يناير ١٩٧٩

الهلال

مجلة الفكر العربي

عدد ممتاز

الإسلام والعصر

العالم الإسلامي في مواجهة التحديات

- د. عبد المنعم النمر
- أنيس منصور
- د. زكي نجيب محمود
- فتحي رضوان
- د. أحمد شلبي
- د. مصطفى الشكعة
- أنور الجندي
- عبد الرزاق نوفل

نظرة على الإسلام والعصر بأقلام:

مكسيم رودنسون جاك بيرك فرانسسكو جابريلي

إرنست رينان جوستاف لوبون

استطلاعات بالألوان:

- من روائع الفن الإسلامي
- مراكز الإشعاع الحضاري في العالم العربي

فهرست الهلال لسنة ١٩٧٨

كلمة الهلال

المسلمون والعصر

هذا العدد من الهلال يمكن ان يعتبره القارىء ندوة أو مؤتمرا موضوعه الاسلام والعصر او الاسلام وتحديات العصر، وهو فيما نعتقد أخطر الموضوعات التى تواجهنا والتي ينبغى ان نضعها موضع النظر والدراسة، لاننا لا نستطيع ان نترك قيادنا، ونحن خمس اهل الدنيا، بايدى غيرنا .

ومن استعراضك لجوانب المشكلة التي يتناولها هذا العدد واسماء الاساتذة الاجلاء الذين ادلوا بآرائهم فى هذه الندوة الإسلامية العربية العامة ومنهم نفر غير مسلمين تستطيع ان تقدر بنفسك المستوى الذى نظرنا منه الى الموضوع والاسلوب الذى اتبعناه فى تنظيم هذه الندوة الحرة .

ستقرأ آراء شتى وكلها على أعلى مستوى من النضج والعمق، وطرحنا نحن المشكلة على انها ليست مشكلة الاسلام والعصر بل مشكلة المسلمين والعصر، لان الاسلام قادر بنفسه على الصمود لتحديات العصر، ومن هذه الناحية لا نجد مشكلة، وانما المشكلة الحقيقية فى نظرنا هى مشكلة المسلمين والعصر، فان بعض شعوب الاسلام قد ابتت فى احيان كثيرة انها اقل من مسئولية الاسلام نفسه، وانها عجزت عن ان تنهض بها . ومن هنا تعرضت تلك الجماعات الاسلامية لمشكلات كبرى تجمعت على مر الزمن ووقفت بالمسلمين فى المرتبة الأسيفة التى يجدون انفسهم عليها فى عصرنا الراهن .

وقد يرضى الكثيرون بهذا الوضع لشعوبهم، ولكننا نحن لا نرضاه، لان امة الاسلام فى رأينا ينبغى ان تكون فى كل عصر امة قائدة رائدة ولا يجوز لها ان ترضى باقل من ذلك .

وعلى عادتنا نحن نطرح المشكلات الفكرية والثقافية الكبرى ونبدى رأينا وندعو من يتفضل بالاستجابة لرجالنا ان يدلى بدلوه معنا، لان الهلال مجلة القارىء قبل كل شىء .

والاسلام عقيدة وشريعتوهو حضارة، حضارة كل من يعيشون فى دار الاسلام ايا كان دينهم، ومن ثم فان باب الراى مفتوح على مصراعيه للجميع ..

المحرر

في هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

صفر ١٣٩٩ هـ
يناير ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
– أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
– السنة السابعة والثمانون –
أول يناير ١٩٧٩ – ٢ من صفر
١٣٩٩

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفني : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

● مسابقة العدد ●

● دراسات ●

● تذكرة طبية ●

● ابواب ومتنوعات ●

● فهرست ●

● شعر ●

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم
قيمة الاشتراك السنوي : «١٢» عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ ج ٥٠ ك بالبريد الجوي ١٥ دولارا أو ٩ ج ٥٠ ك تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
الادارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

الغلاف الأول

.. من الاسلام العظيم ، رسالة السماء ، والدين الخالص للانسانية في كل عصر ، يقدم « الهلال » هذا العدد الخاص عن « الاسلام والعصر » وقد أسهم في اعداده واشترك في تحريره حشد من كبار الباحثين والمفكرين والكتاب والمستشرقين .. وقام بتصميم وتنفيذ غلافه الفنان أحمد الوردجي

بالشورى

يواجه الإسلام

لكي تواجه شعوب الاسلام تحديات هذا العصر ـ واي عصر ـ لا تحتاج الا الى شيئين : نظام سياسي شوري سليم .
وجدية حقيقية لكل فرد وجماعة في حدود القانون .
الاسلام بخير ولكن الذين
ليسوا بخير هم المسلمون

يبدو ان أصحابنا الذين يظنون انهم يقدمون للاسلام خدمة لا تقدر عندما يقولون انه « صالح لكل زمان ومكان » لا يعرفون شيئا عن طبيعته ، وليست لديهم فكرة واضحة عن تاريخه

ذلك ان أقل معرفة بالاسلام تدل على انه صالح لكل زمان ومكان ، فهو يقوم على عبادة الله الواحد الخالق دون سواه والتسليم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته وعبادة الله كما هو أهله والتزام قواعد الاخلاق الكريمة التي لا ينازع فيها احد والتي يجمعها قولنا : مكارم الاخلاق .

ومن البديهي ان عقيدة بهذا الوصف تصلح لكل زمان ومكان فليس فيها سدود ولا قيود على حريات الناس أو عقولهم ، وليست فيها عبادات خاصة معقدة تحتاج الى كهنوت ومراسم مركبة . وليس فيها تحريم لشيء ، صالح ينفع الناس .
وانما المشكلة في الناس الذين اثبتوا اكثر من مرة انهم غير جديرين بالاسلام .

فقد عاش الاسلام زاهرا فاتحا البلاد وقلوب العباد الى يومنا هذا ، وهو في تقدم وصعود ، واذا كان تقدمه قد تراخى خلال العقود الاخيرة فان المسئولين عن ذلك هم المسلمون .
لان المسلمين لا يحسنون الانتفاع بالاسلام . فهم لم يعرفوا كيف يفيدون من القوى الاخلاقية والمعنوية والفكرية والانسانية التي يفيضها هذا الدين : فلم يوفقوا الى اسعاد انفسهم به .. وعجزوا عن ان يكونوا على مستواه .

وقد كانت هناك اجيال اسلامية اثبتت بالفعل انها على مستواه ، فقفزت الى قيادة الدنيا وكتبت صفحات من المجد السياسي والحضاري

والحريـــة
تحديات العصر

بقلم : رئيس التحريـــر

ما زالت تبهر الدنيا الى اليوم .

ومثال ذلك اجيال صدر الاسلام التى شادت الدولة الكبرى .

ومثال آخر هم السامانيون الذين اقاموا فى بلاد ما وراء النهـــر وبلاد شرقى فارس دولة القوة والعلـــم على اساس الاسلام

والغزنويون الذين فتحوا للاســلام ابواب الهند ونشروه فيها واستنقذوا من الضلال ملايين بعــــد ملايين من الناس .

والامويون الاندلســـيون الـــذين اقاموا دولة الاسلام والعدل والعلم بين فكى الاسد فى قلب الغرب الاوربى .

والاجيـــال الاولى من الاتـــراك العثمانيين .. اولئك الغزاة المجاهدون الذين وحدوا آسيا الصغرى وغزوا شرق اوربا كله وازالـــوا الـــدولة البيزنطية واقاموا للاسلام فى الشرق الاوربي دولة عمرت على حـــال القوة والصمود مالم يعمره غيرهـــا من دول الاسلام الى ذلك الحين ..

وهنـــاك المرابطون والموحدون وهم فخر من مفاخر الاســلام وحضـــارة الدنيا .

وفيما عدا هؤلاء كانت خــــلال الاربعة عشر قرنا الماضية امم واجيال وماتت كأن لم تعش ، فلا الاســلام عز بهم ولا هم عرفـــوا كيف يعتزون بالاسلام .

فاذا كانت هنـــاك ازمـــة فى عصرنا فهى ليست ازمة الاسلام وانما هـى ازمة امم الاسلام

وكان ينبغى لهذا ان نجعل عنـوان هذا الكلام : المسلمون وتحديات العصر لان الاسلام نفسه ثابت للتحدى بـل لا يعنيه اى تحديات ، فهو فوقهـــا منصور موفق على الدوام .

ولكن المسلمين ـهم الذين اثبتوا بالواقع الملموس من نحو اربعـة قرون انهم اقل من ذلك التحدى . فاضـــاعوا هيبـــة اوطانهم وسمحوا للعـــدو الصهيونى بان يغزوهم فى عقر ديارهم ووقفوا امامه عاجزين حائرين ..

ويجتمع جمعهم وينفض ، ويقوم سامرهم وينتهى بقرار خلاصـــته :

● إذا كانت هناك أزمة في عصرنا فهي ليست أزمة الإسلام، وإنما هي أزمة أمم الإسلام، لأن الإسلام نفسه ثابت للتحدي بل لا تعنيه أي تحديات.

اخفوا رءوسكم ايها المسلمون في الرمال وتجاهلوا الخطر، والعدو سيزيحه الله عنكم بإذنه والعاقبة للصابرين من النعام واشباه النعام.

فاذا تقدم زعيم من زعمائهم وقال: اخرجوا رءوسكم من الرمال يا قوم وواجهوا التحدي وتحركوا فان اخفاء الرءوس في الرمال لن يرهب عدوا او يحل مشكلا، والركود لا يسمى قط صمودا وانما هو تقهقر وهزيمة! صاحوا به: انت خارج على الاجماع، ومخالف لما انعقد عليه امرنا من دس رءوسنا في الرمال والصمود قعودا حتى يأتي الفرج باذن الله..

احوال امم الاسلام اليوم لا تسرنا ولا ترضينا

الاسلام الذي لا يواجه تحديات يعجز عن التغلب عليها.

ولكن المشكلة في المسلمين

وايا كان تفاؤلنا وحسن ظننا فاننا ينبغي أن نقرر ان احوال المسلمين اليوم لا تعجبنا ولا ترضينا بل قل انها تخجلنا.

فكل بلاد الاسلام والعروبة تدخل في نطاق الامم المتخلفة التي نسميها من باب المجاملة بالامم النامية.

ولا دولة اسلامية واحدة خطت الى الصف الاول، او حتى الى ذيل امم الصف الثاني.

وفينا امم غنية، وامم لديها امكانيات لا حصر لها لكي تنطلق الى الامام، وهناك منا ايضا امم قليلة السكان تستطيع بشيء من الجهد ان تحمل حملها القليل وتسرع به الى الامام.

ولكنها لا تفعل او قل لا تستطيع ان تفعل.

لماذا؟

شيئان اساسيان نحتاجهما: نظام سياسي شوري سليم وحرية صحيحة

الاسباب كثيرة، ولكن اهمها وابعدها اثرا هو اننا جميعا ما زلنا بعيدين عن أن نحقق في بلادنا نظاما سليما متينا للحكم يحمي الحقوق حقا ويؤمن المواطنين تماما على انفسهم واموالهم ويفتح طريق العمل والانتاج والاستمتاع بالدنيا واسعا امام كل الناس كما هو الحال في البلاد التي نمت وتزداد نموا كل يوم:

● هناك أمم منا تحاول الوصول إلى بداية الطريق لتسير بعد ذلك فى السبيل الذى يؤدى إلى النهوض والقوة وتحقيق الآمال فى كل مجال ، وأما منا التجربة المصرية الحالية ، وهى تجربة سليمة صادقة مخلصة .

والحكم السليم الذى ننشده لا يتصوره المواطن المسلم بسهولة لأنه حرم منه من منتصف عصر الراشدين اى من ثلاثة عشر قرنا .

ولكننا جميعا نراه ونعرفه فى بلاد غيرنا ، ونسميه ديمقراطية .

والديمقراطية هى حكم الشورى اى ان امور الجماعة لا تستجمع فى يد واحدة تتصرف فى كل شىء ولا تنتقل قدم عن قدم الا باذنها .

والشورى كما مارسها ابو بكر وعمر لم تكن كذلك حكم الاغلبية ، فان اغلبية الناس — فى كل مكان — لا يعرفون الا مصالحهم — وليتهم مع ذلك يعرفونها ! اما صالح المجموع ، صالح الوطن كله فلا تشعر به فى العادة الا قلة قائدة ، هى الصفوة وهى التى ترسم الخط السليم وتثبت للناس انها جديرة بالثقة لانها مخلصة صادقة عارفة ، ومن ثم فان الغالبية تؤيدها وتسير معها وتعينها .

لقد كان ابو بكر وعمر يجتمعان بأهل الرأى من الصحابة ويدرسان معهم أمثل الحلول لتحقيق صالح الامة ، وبقية الناس لهم تبع .

وهذا بالضبط هو الذى يحدث فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، فان الناس يختارون للنيابة عنهم من يثقون بامانتهم ومعرفتهم ووطنيتهم ليضعونهم فى مجلس العموم او فى مجلس النواب او الكونجرس ويعطونهم الوقت الكافى ليتعرفوا كما يشاءون اربع سنوات او خمس او سبع ، والأمة ترقب وتتبع ، وبعد نهاية المدة يكون الحساب، فتقرر الأمة ان كانوا يستحقون ان يجدد لهم العهد ام لا يستحقون .

وهذا هو الطريق السليم الذى سرنا عليه فى فجر تاريخنا وساروا هم فيه من فجر تاريخهم الى اليوم .

وذلك هو الفرق ..

الشورى هى التى تجعل هذه الأمة سباقة ومتقدمة وضياعها هو الذى يضع الأمة فى صفوف المتخلفين .

ومع الشورى الحرية واحترام شخصية المواطن وارادته وبناء النظام الديمقراطى للدولة على اساس يمكن الناس جميعا من الاستمتاع بملكاتهم ونشاطهم بحرية تامة .

وكنا نحن كذلك فى العصر النبوى وفى عصر الراشدين وبهذا وحده انشانا عالم الاسلام الواسع وكنا فى طليعة الامم فى وقت كان اغلبنا فيه

● قد عاش الاسلام زاهرا فاتحا البلاد وقلوب العباد إلى يومنا هذا وهو في تقدم وصعود، وإذا كانت تقدمه قد تراخى السنوات الأخيرة، فإن المسؤولين عن ذلك هم المسلمون

لا يقـــراون ولا يكتبـــون . ولكـن كل فرد من افراد الامة كان يشـعر انه رجل محترم ، وانه يستطيع ان يحدث ابا بكر او عمر ويعرض رايه دون خوف .

حكوا ان سـعد بن عبادة لقى عمر فى طريق ، فساله عمر عن سـبب انقطاعه عن زيارته ، فقـال له : والله ما رضيت قط عنك او عن صاحبك « ابو بكر » فلا شان لى بكما ..

قالها ومضى آمنا مطمئنا ..

وهذه الحرية وتلك الشورى هـى التى قام عليهـا مجد الاسلام . ولو سالتنى اليوم : ماذا ينبغى لنا لنواجه تحديات العصر لقلت لك : شـيئان اثنان : نظام سياسى سليم يقـوم على الشورى والحرية فى صدق واخلاص انا تحقق لنا هذا تحقق كـل شىء غيره .

تجارب سليمة صادقة يمكن ان تؤدينا الى الطريق الصحيح

حقا هناك امم منا تحاول الوصول الى بداية هذا الطريق لتسير بعد ذلك فى السبيل الذى يؤدى الى النهوض والقوة وتحقيق الامال فى كل مجال.

هناك التجربة المصرية الحالية ، وهى تجربة سليمة صادقة مخلصـة . فان رئيس الدولة يعتز بانه رأس الأسرة المصرية قبل ان يكون رئيس الدولة . وهو يستشير ويناقش وياخذ الرأى السليم ، ومن مأثورات كلمـه قـوله : « انى لا اخطو خطوة الا وانا واثق من ان شعبى يؤيدنى فيها » .

ومجلس الشورى او مجلس الشعب يزداد كل يوم قوة . وطراز النـواب دائما فى تحسن ، وطريقة معالجتهـم للأمـور تتحسن وتزداد فاعليتها يوما بعد يوم .

وقد وضع حد للمركزية القاتلة التى شلت سير الامور فى كل ميدان عشرات السـنين . والمحافظ او حاكم الاقليم يختـار من بين أهله ، والنـاس عليه رقباء ، وهو يحكم عـن طريق مجالس متخصصة ، وبناء على رأيهـا يتخـذ القرار الذى يراه ، وهو مسـئول مسئولية مباشرة امام أهل ناحيتـه وامام السـلطة المركزية وامام مجلس الشعب .

طريق سليم نرجو ان يسير فـى طريقه المرسوم ويحقق الامال المعقودة عليه .

وفى بلاد اسـلامية كثيـرة تجارب اخرى هدفها كلها وضع الحكم علـى أساس الشورى واتاحـة الحريات للمواطنين ليقولوا ويفعلوا ما يريدون

● قد كانت هناك أجيال إسلامية أثبتت بالفعل أنها على مستوى الإسلام فقفزت إلى قيادة الدنيا ، وكتبت صفحات من المجد السياسي والحضاري ، لازالت تبهر الدنيا إلى اليوم .

فى ظل الدستور ، ولا بد من الدستور ولابد من مجلس شورى ، وبدون ذلك لا تقدم أصلا .

وأى بلد تستبد بالحكم فيه أقلية تفرض نفسها بالقوة لا يمكن أن تنتظر له تقدما فى اى ميدان .

والانسانية الانسان
لا تتم الا بالحرية

اذا تحقق ذلك كان هنـــاك أمل فى أن يتحقق كل شيء عداه ..

لأن الشعوب ليست غنما ترعى وانما هى مجمـــوعات بشرية من المواطنين المتساوين فى القيمة الانسانية ، والحقوق والواجبـــات ، وانسانيتهم لا تتم الا بالحرية ، لأنك اذا حرمت انسانا من حريته تفقد حرمته من انسانيته ، وهنا لا يمكن ان تنتظر منه خيرا .

وتلك هى الحقيقة التى تغيب عــن الكثيرين منا ، فيعتقدون انهم يتولون امور الناس على رغمهم لكى يحققــوا للشعب ما يسمونه بآماله ، لان الشعب فى رايهم عاجز عن معرفة صالحه اين يكون ، وهم وحدهم الذين يعــرفون ويفهمون ويقررون .

وهذا هو الطريق غير المأمون ..

هذا هو الذى حكم علينا بأن نظل حيث نحن فى عالم المتأخرين .

لكى تواجه شعوبنا تحديات العصر وتحديات اى عصر علينـــا أن نضــع نظاما سياسيا سليما يقـــوم على الشورى والحـــرية واحترام كـــرامة الانسان ..

فاذا تحقق ذلك أكمل الناس الطريق .

اذا كان ينقصنا العلم فسيتعلم الناس

اذا كان ينقصهم المـــال فسيخلق الناس المال : سيتاجـــرون ويصنعـــون ويبيعون ويشترون ويجمعون المال .

واذا كانت تنقصنا الثقافة فسيتثقف من الناس من يفهم ان الثقافة سلاح فى الحياة .

مهما كانت علل الاوطان فان علاجها الشورى والحرية

اعطوا الناس نظما سياسية شورية سليمة وحـرية حقيقية تواجه امكم بانفسها كل ما تتصـــورون من التحديات . . .

د . حسين مؤنس

الإسلام وتحديات العصر

● د. عبد المنعم النمر ●

● طلب منى الأخ الأستاذ الكبير الدكتور حسين مؤنس ان اكتب « للهلال » العريقة عن الاسلام وتحديات العصر . ولم اجد فى نفسى مقاومة امام طلبه او اعتذارا بكثرة مشاغلى ومسئولياتى ، فهو عندى اخ اقدره ، والموضوع نفسه موضوع يغرى امثالى بالحديث عنه . .

وحين جلست للكتابة فى غفلة من مشاغلى ، وجدت الموضوع شاسع المساحة ، متشعب المسالك والدروب يحتاج الى كتاب ووقت مناسب له . . . فسألت نفسى : ولم الحاجة الآن الى الكتابة فى مثل هذا الموضوع ؟

ووجدت الجواب سريعا ، فنحن المسلمين الآن على اختلاف أفكارنا وأوطاننا نعيش فترة دفاع .. دفاع عن الأرض ، ودفاع عن الدين ، امام قوة الغرب والشرق الفكرية والمادية والعلمية ، ونحس التخلف المتعدد الدرجات عن غيرنا .. فلا عجب اذا نحن رأينا انفسنا نكاد نقصر جهودنا على الدفاع عن ديننا ، امام الهجمات التى توجه اليه ، وامام الحياة نفسها التى تتطور وتتقدم بسرعة ، فرأينا عناوين : الدين والحياة ، الاسلام والحياة ، الاسلام والعلم ، الاسلام والمدنية ، الاسلام وغزو الفضاء .. الى غير ذلك من العناوين التى نريد ان ندلل فيما نكتبه تحتها ان الدين صالح للحياة او يصنع الحياة ، والمدنية ، والعلم وغزو الفضاء .. الخ .

والذى الجأنا الى هذه الحالة هو الضعف العام الذى أصابنا فى كل ميادين الحياة ، ووجود شبه اتهام بأن الدين هو السبب فى اصابتنا بهذا الضعف .. مع ان الدين برىء تماما من هذه التهمة ، ولهذا نشط الكتاب الاسلاميون ليبرهنوا على هذه البراءة ، وعلى ان الدين صالح لصنع الحياة المزدهرة القوية ، الخ .. بعرض نماذج من المبادىء والتعاليم التى تنهض لصنع هذه الحياة ، والتى اهملها المسلمون وفرطوا فيها فاصيبوا بهذا الضعف ... فمسألة هذا الضعف عندنا نحن الذين نتصدى للكتابة فى هذا المجال لا ترجع الى الاسلام ومبادئه وتعاليمه ، ولكنها ترجع الى ضعف همة المسلمين وفتور فى تعلقهم بدينهم واهمال لتعاليمه .

ولو كنا نعيش مثلا فى العصور الاسلامية الاولى ، عصور القوة المادية والعلمية والحضارية التى صنعها الاسلام فى كل مكان حل فيه ، لما ورد هذا التساؤل ، ولما كنا بحاجة الى البرهنة على ان الاسلام دين الحياة ، لان الحياة فى هذه العصور هى وحدها الدليل القوى على هذه القضية ، الاسلام دين الحياة ، دين القوة المادية والعلمية والحضارية ... نعم ، لم يكن المسلمون فى تلك العصور يشعرون باية حاجة الى هذا الدفاع ، لان التساؤل اصلا ما كان له وجود . بل كان الامر بالعكس : الحياة نفسها دليل على صنع الاسلام لكل تقدم فى كل مجال ...

فلما حل بنا الضعف ، او صنعناه لانفسنا بأيدينا ، اغرينا غيرنا بالتهجم علينا وبسوء الظن بديننا ثم اعتقلت

العدوى الي الكثيرين منا نحن المسلمين نتيجة ضعفنا الثقافي بديننا

والموضوع الذى اقترحه عسلى الاخ الفاضل الدكتور مؤنس هو وليد لحالة الضعف ، والرغبة فى الدفاع عن ديننا، واظهار قدرته على صنع الحياة القوية المزدهرة فى هذا العصر ، فجاء بهذه الصورة : الاسلام وتحديات العصر ، هل فى الاسلام قوة لمجابهة هذه التحديات والتغلب عليها ؟.. والأمر يقتضى اولا، أن نتصور او نصور هذه التحديات..

فما هى هذه التحديات ؟

يمكن فى تصورى أن نملأ صفحات فى الكلام عن سرد هذه التحديات والحديث عنها لو كنا بصدد تأليف كتاب ، ولكن المجال مجال مقال له صفحات محددة ، فلنوجز الحديث اذن بقدر الامكان ...

ان الاسلام منذ جاء وهو يواجسه الكثير من التحديات ، ولكنه انتصر عليها وشق طريقه الى القلوب والى الحياة بقوة ايمان المؤمنين به ، وتعلقهم او التزامهم بتعاليمه . لكان الاسلام دينا ايجابيا فى كل مكان انتشر فيه . وعلى أساسه صنع المسلمون حياتهم واقاموا حضارتهم « وكانوا مثالا للكمال البشرى مدة ثمانية قرون » كما يقول مسيو هنرى دى شامبون ...

ومما لاشك فيه ان لكل عصر ظروفه ومشكلاته وتحدياته ، ولا نريد ان نتكلم عن الماضي الا بقدر ما ناخذ منه عبرة او دليلا فى مسيرة الحاضر والمستقبل.. لا نريد ان نعيش فى غيبوبة الماضي فرارا من الحاضر ، ولا نريد ان نقف على شاطىء النهر تتحدث عن آبائنا واجدادنا الذين كانوا يعبرونه ، ونحن نقف على شاطئه نرتعش ونتحدث عن التاريخ..

لابد ان نخوض البحر « بعوامة » الاسلام ، ولابد ان نجابه الحياة بزاد الاسلام ، فهل يساعدنا هذا الزاد ؟

ولابد ان نواجه تحديات العصر بسلاح الاسلام ، فهل يمكن ؟



د. عبد المنعم النمر

ان امام الاسلام والمسلمين الآن تحديات فكرية وتحديات علمية ومادية، فهل فيه من القوة ما يمكنه من التغلب على هذه التحديات ؟ .

ان اهم التحديات الفكرية التى تجابه الاسلام الآن انما هو الفكر المادى الذى يقوم على اساس مادية الحياة ، وانكار الاله ... وقد انتشر هذا الفكر المادى عقب انتصار الثورات الأوروبية على الاقطاع المالى والاقطاع الفكرى والمالى الكنسى ، وجاء الفكر الماركسى فاصل هذا الفكر المادى وطعمه او الحق به مذهبا اجتماعيا فيه كثير من اغراء الفقراء والكادحين بهذا المذهب المادى. فانتشر هذا المذهب كرد فعل لما كان يعانيه الكثيرون من التحكم الاقطاعى المالى ، وما زال حتى الآن يسيل لعاب الكثيرين ويستهوى أفكارهم نتيجة الحقد ، والآمال فى القضاء على الأغنياء.

ولو لم يطعم ماركس فكره المادى بهذه الافكار الاجتماعية التى تسيل لعاب وحقد بعض الناس ، لصار فى التاريخ كأى مفكر مادى لا ذكر له الا فى بعض الكتب ، وكم حفلت البشرية بالماديين المنكرين لله قديما وحديثا ومروا ونسيهم الناس ونسيهم التاريخ الا النادر منهم ممن يذكر فى كتب الفلسفة او التاريخ. وربما ماتوا وليس حولهم أحد يتبعهم..

لكن كانت خطورة المادية الماركسية وجود المغريات لها من التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية وبناء هذه التنظيمات فى الفلسفة الماركسية على هذا الأساس المادى مما جعل للماركسية اتباعا متعصبين ثم جعل لها دولا تتخذها مذهبا رسميا أو عقيدة رسمية لها تدافع

عنها وتنشرها بكل وسائلها المادية .

ولم يكن الذين اقاموا الدولة اوالدول الشيوعية اخيرا غافلين عن اهم عقبة تقف أمام افكارهم وهي الاسلام بعقيدته وتنظيماته للحياة .. ومن هنا كان تركيزهم يكثر على الاسلام لاكتساحه وكسر شوكته . وكانت تصريحات بعض زعمائهم التى تنم عما فى صدورهم .. فيقول مولوتوف فى خطبة له :

لن تنتشر الشيوعية فى الشرق الا اذا ابعدنا اهله عن تلك الحجارة التى يعبدونها فى الحجاز « يريد الكعبة » والا اذا قضينا على الاسلام »

وتقول مجلة سوفييتية « اوزبكستان مادانياتى » فى عددها الصادر فى ٢٥ من مارس سنة ١٩٥٨ « ان من شأن الدين ان يحول بين المواطن السوفييتى وبين ان يكون بناء فى صرح المجتمع الشيوعى» والاسلام بصفة خاصة هو بحكم تقاليده وعاداته عدو للاشتراكية والشيوعية »

وفى يوميات الاستاذ الأديب الأخ فهمى عبد اللطيف التى كتبها بأخبار ١٥ ــ ١١ ــ ١٩٧٨ قال ان المستشرق الروسى « كراتشكوفسكى » كتب له يقول : « اطمئن فلن تدخل الشيوعية بلدكم ابدا مادام فيها القرآن يملأ نفوس أهلها وقلوبهم بالايمان والاطمئنان .. الخ »

ويقول الكاتب الفاضل « لقد كشفت لى هذه الكلمة من سر خطير وعرفت فيها ما تطويه الشيوعية فى حقيقتها نحو الاسلام ونحو القرآن » الخ ..

وهذا الكلام الذى قاله المستشرق الروسى والذى قاله مولوتوف وقال مثله بعض كبار الغربيين يبين لنا خطر الشيوعية وغيرها على الاسلام من ناحية، كما يبين لنا أقوى سلاح فى يدنا لمجابهة الشيوعية والتغلب على تحديها للاسلام .. وهو التمسك بالاسلام عقيدة وتنفيذه نظاما وسلوكا وهذا هو ما يجب على ان الفت الانظار اليه هنا وفى عالمنا الاسلامى حتى لا يختبىء الحكام المستبدون والاغنياء الظالمون ويحتموا وراء كلمة الاسلام ويطمئنوا الى مصائرهم امام التحدى الشيوعى ، فان الاسلام انما يحمى من الشيوعية ويقهرها بعقيدته القوية ونظامه المنقذ لا سيما فى العدالة والكفالة الاجتماعية والحرية ، فالاسلام بذلك وبذلك وحده يتغلب على اقوى تحد له فى العصر الحديث .. ويصبح الامر فى ذلك ليس امر الاسلام ، ولكنه امر المسلمين وفى يدهم ، فالاسلام فى ذاته وبنظمه الاجتماعية يتحدى الشيوعية وما هو أقوى منها تحدى نظام لنظام ، او تحدى عقيدة ونظام لعقيدة ونظام .. ونحن هنا انما نتكلم عن الاسلام كعقيدة ونظام لا عن الاسلام على يد المسلمين او من يسمون مسلمين ويماشون واجبات الايمان بالاسلام لأهواء تلعب بنفوسهم غير حاسبين حسابا لأخطار تهب عليهم ..

فالايمان بالله ، وبقوة فوق قوى البشر مجتمعين ، امر طبيعى فى الانسان ولابد ان يرجع الى طبيعته ، وان عاش زمنا على عقيدة صناعية .. فحين حضرت الوفاة لينين اليهودى الاصل وزعيم الدولة الماركسية والأسس الثانى للماركسية ، واشتدت عليه سكرات الموت وقد احاط به زعماء الحزب الشيوعى لم يمتلك نفسه من ان يصيح من الأعماق صيحة البائس المضطر قائلا : «اى يهوه» اى يا الله .. فلما احس دهشة المحيطين به تدارك الامر وقال : « ان هذا من هلوسة المرض » .

وصرحت بنت ستالين بعد مغادرتها الاتحاد السوفييتي فقالت : «القدلنشأت في بيت لا يعرف الله ولا تذكر فيه حكمة الله أبدا ، ولكني بعد أن كبرت ونضجت عرفت ان الحياة صعبة وقاسية بغير الايمان بالله » .. ولم تكن تستطيع ان تقول هذا وهي في روسيا ، ولكنها في امريكا وجدت مناخ الحرية الذي استطاعت ان تعبر فيه عن طبيعتها .

والفيلسوف الروسي « تولستوي » يقول « لقد نبذت تلك العقائد الدينية في أول الامر ، ثم قبلتها الآن ووجدتها مليئة بالمعاني » .. ثم يقول « انني لا اعيش اذا فقدت العقيدة في وجود الله ، ولولا انني كنت اتعلق بأمل غامض في وجود الله لقتلت نفسي ، انه ذلك الذي لا يستطيع المرء ان يعيش بدونه ، انه الله ، وعندما اعتقدت في وجود الله اعتقدت في الكمال الخلقي وفي التقاليد التي تحمل معنى الحياة » .

ربما اكون قد اطلت عليك في ذكر هذه الاعترافات ، لانني اريد ان اقول ان ذلك الذي نراه في روسيا والدول الشيوعية من الحاد وانكار لله حتى من كبار زعمائها ، انما هو أمر مصطنع خارج عن الطبيعة الفطرية ، والانسان لابد يوما ما من ان يعود لفطرته التي فطر الله الناس عليها ... ولو رفع سوط الارهاب من البلاد الشيوعية لوجدت الاندفاع الشديد نحو الايمان أو اظهاره والتعصب له .

وامامي الآن مجلة أكتوبر الصادرة في ٥ من نوفمبر سنة ١٩٧٨ تنشر في صفحتها الثالثة عنوانا يقول : « الاسلام يهدد الشيوعية في روسيا » وتتحدث عن كتاب صدر لكاتبة فرنسية درست الوضع السكاني والحالة في روسيا لمدة عشرين عاما ، وتنقل عنها قولها : « على الرغم من ان الشيوعية على رقاب العباد ، فان المسلمين لا يرفعون عيونهم عن القرآن»

وتقول : « انني من واقع دراستي والارقام التي عندي ورصدي المستمر لما يجري في روسيا اقول : ان محمدا « عليه الصلاة والسلام » هو الذي يهدد كارل ماركس وسوف يزداد خطر الاسلام في العشرين عاما القادمة » يعني على روسيا والشيوعية » .

ولعل في هذا الذي ذكرته ما يغنيني عن الكلام الكثير عن قوة الاسلام لتحدي الشيوعية والافكار المادية عموما والتغلب عليها . وهي أخطر ما يواجهه الاسلام من تحديات فكرية في هذا العصر ...

***

بقي بعد ذلك ما أشرنا اليه من قبل من التحديات العلمية والتكنولوجية والصناعية التي يقدم الغرب والشرق ايضا في مجالها بسرعة وصورة تفوق التصور ...

فاقول ــ ونحن هنا نتحدث عن الاسلام لا عن واقع المسلمين ــ لو اننا رجعنا الى الماضي لنأخذ منه شاهدا أو درسا ، لعرفنا أن الاسلام صنع حضارة مزدهرة في عصوره الأولى كان الغربيون في ذلك الوقت ينظرون اليها بدهشة تشبه دهشتنا الآن من التقدم الغربي والشرقي في مجال العلوم والصناعة وغيرهما .. وهذا يعني أن المسلمين لو ظلوا يسيرون بقوة هذا الدفع الحضاري الاسلامي الذي سبقنا به الغرب بعدة قرون، لكان حالنا الآن حال الغرب المتقدم بل واكثر منه بأشواط ، فالتقدم الحضاري والعلمي الذي صنعه المسلمون انما كان

بقوة الاسلام وعلى أساس من مبادئه وتعاليمه . ولا تزال قوة الدفع الاسلامي ولا تزال مبادئه وتعاليمه هي هي . . .

لاتزال النصوص القرآنية التي تحث على العلم وترفع من شأن العلماء، وتدعو الى النظر والتفكير في ملكوت السماوات والأرض ، وفي الانسان والحيوان والنبات والشمس والقمر والرياح ، لا تزال هذه الايات بيننا نتلوها كما كان يتلوها أسلافنا ولكن الفرق بيننا وبينهم أنهم انطلقوا منها الى العلم والعمل . ونحن اكتفينا بترديدها ، وهز رءوسنا « وتطريبنا» حينما نسمعها من قارىء حسن الصوت .

روى أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطي في الرياضيات السماوية لبطليموس على أستاذه الابهري ، فدخل عليهما بعض الفقهاء يوما فقال لهما : ما الذي تقرآنه ؟ فقال الابهري : «أفسر آية من القرآن وهي قوله تعالى : (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) فأنا أفسر كيفية بنائها ؟ . .

وهذا يرينا كيف انطلق المسلمون من القرآن الى شتى العلوم يعرفونها من أي مصدر كان ويتقنونها ويزيدون عليها . .

والقرآن لا يزال بيننا ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله في العناية بالعلم وبكل ما يتعلق به ، ويترتب عليه ، موجودة . . وأمجاد المسلمين الأول فيما وصلوا اليه من علوم وصناعات واكتشافات علمية ، وحضارة مزدهرة أمامنا نقرؤها ، ولكنا نقف عند مجرد التفاخر بها . وشهادات علماء الغرب للمسلمين وما وصلوا اليه من تقدم علمي وحضاري كان أساسا لنهضة الغرب أمامنا كذلك نقرؤها ، ولكن دون أي اعتبار بها . . .

فالعيب اذن فينا لا في الاســــلام ، والقصور منا لا من الاسلام .

اننا لو لم تكن أمامنا الا آية واحدة في سورة الأنفال لتمسك بها ونعمل بمقتضاها لكنا أقوى خلق الله في كل مجال . تقول هذه الآية : **« وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »**

فهذه الآية تأمرنا بأن نوفر لأنفسنا قوة رادعة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء علينا ، للدفاع والارهاب لا للهجوم ، وهذا يوجب علينا أن تكون قوتنا أقوى من قوى أية دولة ان لم تكن جميع الدول . وهذا لن يتوفر لنا الآن الا اذا كنا أقوى من روسيا وأمريكا مثلا في العلم والصناعة والزراعة والقوة الحربية ، أقوى منهما في كل مجال من مجالات الحياة ، وأسبق منهما في الاكتشافات والصعود الى القمر والمريخ وصنع القنابل الرهيبة التي جعلت كلا من روسيا وأمريكا يخشى أحدهما الآخر ويعمل حسابه وحساب ما يملكه من آلات التدمير . . .

نحن مأمورون بمقتضى هذه الآية وحدها أن نكون أعلى شأنا من هذه الدول في كل شيء نحتاج اليه لنكون قوة رادعة لهم جميعا .

وهل يمكن أن يتوفر لنا هذا الا بالعلم والصناعة والخلق ؟ نعم آية واحدة هي هذه الآية كافية لأن يتغلب الاســلام وأتباعه المؤمنون به على كل التحديات . فما بالنا وقد حفل القرآن بالآيات كما حفلت كتب الأحاديث بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تتجمع كلها لتجعل من المسلمين أمة تسبق كل الأمم في كل المجــالات ، وتنتصر بالاســلام على كل التحديات . . .

د . عبد المنعم النمر
وكيل الأزهر
وشيخ الأزهر بالنيابة

نبى الإسلام في رأى الغربيين

● اعتقد ان رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم فى العالم باجمعه لتم النجاح فى حكمه ، ولقاده الى الخير وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة ..

« برناردشو »

● كان محمد مؤسسا لامة، ومقيما لامبراطورية ، وبانيا لدين ، فى وقت واحد .. وهو وان كان اميا فقد اتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا واخلاقا عامة وكتبا مقدسة فى كتاب واحد، وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى ، لانه معجزة فى دقة الاسلوب وسمو الحكمة وجلال الحق .

« الكاتب الانجليزى ب. سميث »

● ان حياة محمد وقوة تامله وتفكيره وجهاده ، ووثبته على خرافات امته وجاهلية شعبه وشهامته وجرأته وثباته على الدعوة ثلاثة عشر عاما فى وسط اعدائه ، وتقبله سخرية الساخرين ، وحميته فى نشر رسالته ، وايمانه بالفوز والنجاح ، ونجاح دينه فى حياته وبعد موته — كل ذلك ادلة على انه كان يعيش على الحق : ولم يكن يعيش على باطل .

« الشاعر الفرنسى — لامارتين »

● تكشفت لمحمد الدنيا ومشكلاتها فلم يغفل الناحية العملية الدنيوية فى دينه ، فوفق بين دنيا الناس ودينهم ، ولذلك تفادى اخطاء الذين حاولوا خلاص الناس من طريق غير عملى . لقد شبه الحياة بقافلة مسافرة يرعاها الله وأن الجنة نهاية المطاف .

« الجنرال الامريكى د. ف. بودلى »

● لم يقل محمد انه هو وحده نبى الله ، بل اعتقد فى نبوة موسى وعيسى وقال ان اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم واعتناق الاسلام . وفى سنى دعوته الاولى احتمل كثيرا من اضطهادات أصحاب الديانات القديمة ولكنها لم تثنه عن دعوته .. لاريب أن هذا النبى من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع البشرى خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا انه هدى امة كبيرة الى نور الحق ..

« من كتاب « نبى الإسلام فى مرآة الفكر الغربى » للاستاذ عز الدين فراج » .

الإسلام والنظرة العقلية

● د . زكي نجيب محمود ●

انه اذا كان عصرنا هذا هو عصر العلم بغير نزاع ، فهو بالتالي عصر يركن في احكامه الى منطق العقل . فاذا نظرنا الى الاسلام ، ووجدنا منطق العقل كانت له الاولوية الاولى عند الباحثين المسلمين على اختلاف ميادينهم التي يجولون فيها .. اذن يحق لنا ان نقول ان ما وجده الاسلام محورا صالحا له ، هو نفسه المحور الذى وجدهعصرنا ملائما لانتاجه العلمي .

ننظرة سريعة الى رجال البحث الاسلامي بعد نزول الوحي في القرن السابع الميلادي تدلنا على انهم منذ البداية اسلموا انفسهم للعقل ،وللعقل وحده . فكانت الخطوة الاولى هي النظر في اللغة وعلومها ، باعتبار اللغة أساسا ضروريا لفهم القرآن . فاذا بنا نرى نظرة علمية من الطراز الاول عند علماء اللغة الاولين كالخليل وسيبويه . ويكفى ان نعلم عن الخليل كيف رتب قاموسا عربيا كان هو القاموس الاول في تاريخ الفكر البشرى فيما نعلم وتسال **كيف رتبه ؟ .. فنجيبك الجواب الذى يثير الاعجاب الذى ليس بعده اعجاب : بالدقة العلمية العقلية المنطقية.**

فانظر في هذا الموقف العلمى وحده . كم من منطق العقل في ثناياه .

فاولا : جمع مفردات اللغة لاول مرة هو في ذاته عملية علمية .

وثانيا : ترتيب هذه المفردات بحسب اوائل حروفها . وهذه عملية علمية اخرى .

وثالثا : البحث في مخارج الصوت . ليعلم اى الحروف يخرج من هنا ، واى الحروف يخرج من هناك وهذه عملية علمية ثالثة .

ورابعا : اثبات هذه المفردات بمعانيها مستشهدا بالنصوص الشعرية القديمة التي وردت فيها تلك الألفاظ وهذه عملية علمية رابعة .

***

ولا نترك الخليل بن احمد قبل ان نلقى نظرة سريعة أخرى على عمل علمى آخر من الطراز الاول . وهو استخراجه لبحور الشعر العربي لاول مرة . فالبضاعة التي بين يديه هي شعر قاله الشعراء . فانظر **كم من منطق العقل تستدعيه عملية استخراج القوالب او الاطر او الهياكل المجردة من ذلك الشعر بعد اسقاط المضمون المعنوى ...**

هذان عملان في ميدان اللغة لو اكتفينا بهما وحدهما لكانا شاهدين على مدى اعتماد علمائنا الاولين على منطق العقل وحده في بحوثهم .

***

ثم ننتقل الى مجال اسلامى آخر وهو الفقه . فبعد أن فرغ المسلم الباحث من النظر في اللغة ابتغاء فهم القرآن الكريم فهما دقيقا ، انتقل الى ميدان الفقه ليستخرج الاحكام الشرعية من النص القرآني .

وهذه عملية اراها اروع ما بلغه العقل الاسلامى في تطبيق الاستدلال المنطقى الصرف في استخلاص النتائج.

وهنا ايضا اقول اننا لو اكتفينا بالفقه وحده دليلا على اعتماد المسلمين على النظرة العقلية الخالصة لكفانا دليلا ولكننا ننتقل الى مجال ثالث جاء في تلك المرحلة الاولى ايضا وهو مايسمونه علم الكلام ، وذلك أنه قد نشات بعض المشكلات العقلية عند محاولة المسلم فهم بعض المعانى الاساسية كفكرة الخلق ، وفكرة الارادة هل هي حرة أو مقيدة وفكرة الثواب والعقاب .. وغير ذلك .

فحسبنا ان نقرأ لواحد من هؤلاء المتكلمين نختاره كما اتفق ، لنجد أنفسنا امام فاعلية عقلية من الدرجة الأولى فى تحليل المعانى المراد تحليلها .

***

وننتقل الى ميدان رابع هو ميدان الفلسفة ذاتها التى هى عقل صرف . فاذا بنا فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) امام نشاط عقلى نقف حياله حائرين لغزارته ودقته . وحسبنا هنا ان نذكر الى جانب الفلاسفة من امثال الفارابى وابن سينا أن نذكر جماعة اخوان الصفا فى رسائلهم التى تبلغ اثنتين وخمسين رسالة هى عبارة عن موسوعة عقلية تلخص ما وصلت اليه الانسانية من علوم . وان اخوان الصفا هؤلاء ليذكروننا بفلاسفة فرنسا فى القرن الثامن عشر واعنى قرن التنوير الذى كان فى مقدمته فولتير . فهم أيضا اخذوا ينشرون الموسوعات والقواميس ليلخصوا الاتجاه العقلى الذى ارادوا ان ينشروه فى الناس .

ونقفز على موج التاريخ قفزا لنصل الى عصرنا هذا .. ولننظر الى الرءوس التى كانت لها القيادة فى حياتنا الثقافية المعاصرة : بادئين من رفاعة الطهطاوى ثم الامام محمد عبده مرورا بقاسم امين ولطفى السيد وطه حسين والعقاد الى ان نصل الى ايامنا هذه .

فاذا ما القينا نظرة على انتاج هؤلاء جميعا . وعلى اى محور كان يدور هذا الانتاج لوجدنا الرسالة الاولى التى ارادوا أن ينشروها هى توكيد مكانة العقل عند المسلم ... فرفاعة الطهطاوى يكاد يضع لنا منهجا لحياتنا الثقافية خلاصته التجرد من العواطف الشخصية عند اختيار ما نعرضه على عقولنا .

وننتقل الى الشيخ محمد عبده ، فاذا هو رجل يريد ان يضع الاسلام على ضوء العقل العلمى ليرى القارىء كيف انه لا خلاف بين هذا وذاك ، وانه ليس فى الاسلام ما يستعصى على النظرة العلمية .

وقل هذا فى سائر القادة لطفى السيد وطه حسين والعقاد وغير هؤلاء .

على أن اهم رجل بين المسلمين فى عصرنا هذا من حيث طرحه للعلاقة بين الاسلام والعقل هو محمد اقبال فى كتابه « تجديد الفكر الاسلامى » لأنه أوضح فى جلاء كيف ان الاسلام أراد للمؤمنين به ان يجعلوا احتكامهم للعقل وحده كلما اشكل عليهم امر .

ومن هنا كان الاسلام آخر الرسالات الدينية .. لماذا؟ لأنه فيما قبل الاسلام كان كلما تكاثرت المشكلات أمام الناس وعجزوا عن التماس الطريق السديد فى حياتهم جاءهم رسول برسالة سماوية تشق لهم مسالك الحياة بعد ان سدت فى وجوههم . حتى اذا ما جاء الاسلام آخر الأمر وكان الانسان قد بلغ من النضج درجة كافية قالت الرسالة الاسلامية لهذا الانسان انت وعقلك منذ الآن ، فلم يعد ما يدعو الى رسول آخر ورسالة اخرى .

كل هذا نقوله لنقول : انه حينما كان المجال مجال نظر عقلى ، فلا يكون المسلم غريبا عليه ، وانما يتكيف له أسرع مما يتكيف له أبناء أية عقيدة اخرى . وان هذا نفسه كان هو السبب الذى يفسر لنا لماذا نقل المسلمون الاقدمون فلسفة اليونان وهضموها على حين لم تنقلها بلاد ذات حضارة اخرى كالهند والصين ..

أليس ذلك دليلا على انه كلما كان الأمر امرا مركزا على العقل ومنطقه ، كان لسان حال المسلم يقول : هانذا .

ولما كان عصرنا هذا عصر علم .. اى عصر عقل كما قلنا بالدرجة الأولى فمرة اخرى يقول له المسلم : هانذا ، شريكا فى جهودك مستندا الى ايمانى والى عقيدتى . فليس بين عقيدتى وبين مقتضيات هذا العصر من علم وعقل شىء من التضاد .

●

الإسلام والمستقبل

● فتحي رضوان ●

● لعل المسلمين بين الأمم البانية للحضارات ، والمنشئة للثقافات ، والتي ظفرت يوما ما بالمجد والصدارة ، ثم ادال الزمن عليها ، فبادت حضارتها ، وأصبحت آثارا توحي وتلهم ، وركدت ثقافتها ، فباتت مراجع للباحثين ، ومصادر للدارسين .. لعل المسلمين بين تلك الأمم ، اغربها ، وابعثها للدهشة ، وادعاها للحيرة .

فهذه الطائفة من الامم ذات المجد المندثر ، والماضي الزائل ، واحدة من امتين : أمة زالت من الوجود تماما ، بزوال ملكها الاثيل ، وعزها الرفيع ، وامة بقيت بين الاحياء ، ولكنها نفضت يدها من تجديد المجد الضائع ، واستئناف الحكم المنقرض ، واستنامت للواقع ، ورضيت به .

أما المسلمون ، فلم يكفوا قط عن التحدث عن حضارتهم ، ولا عن الاشادة بثقافتهم ، ولا عن بذل الوعد وراءالعهد، بأنهم سيقيمون ما تداعى من بنائهم ، وسيسترجعون ما تلاشى من أمجادهم ، وأن الزعامة تنتظرهم ، ليقودوا الانسانية الى عهد جديد من السلام والتآخي والتعالي على مشكلات العصر الحاضر ، والتوقي من آفاته ، واستلهام الدين الحنيف اسسا شبيهة به ، وقائمة عليه ، تحقق ما جاء في آيات القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم » ـ « انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ـ « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » ـ«هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ـ « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

وتمضي القرون وهذه الوعود تتبخر في الهواء ، ثم تسمع ، وتتبدد في الفضاء، وتتكرر ، ويبقى كل شيء في مكانه : فقد أصبحت دولة الاسلام الكبرى امما تفرقت الايدي بها،وحضارة أصبحت خرائب في المدن ، ليس لها حتى ما للآثار عند الامم المعاصرة من مكانة ورعاية ، وثقافة ركدت حتى استحالت مستنقعات ملأتها الهوام والحشرات ، وفاضت منها روائح تزكم الانوف ، وتضيق لها الصدور ، فهي اما خرافات وأراجيف ، واما قطع متناثرة من القديم والجديد ، والبالي والمستحدث ، والعلم والاماني .. وعلماؤنا اكثرهم عالة على علماء الآخرين يأخذون عنهم ، ولا يلحقون بهم . الا اذا رحلوا عن بلادهم ، ونأوا عن مجتمعاتهم ، وأظلتهم سماء الاجانب ، وطوتهم مجتمعات الأعداء .. فهل سيبقى هذا مصير المسلمين الى غير غاية وامد ؟

• لابد من إنشاء مجلس ثقافي إسلامي ، متفرغ للشئون الفكرية في دنيا المسلمين ، ويكسب بدوره مكانة تؤثر في النفوس والعقول .

لكن ما السر في هذا الشوق المتجدد عند المسلمين الى ماضيهم ؟‥ وما سبب عجزهم عن تحقيق ما يتشوقون اليه ويطمحون فيه ، وفي أرضهم ورمالهم وبرهم وبحرهم ، وموقعهم ، وبعض حاضرهم ، ما يرشحهم للمكانة التي يحلمون بها ، والزعامة التي يتطلعون اليها ؟

لقد حدثت في آخر مراحل الحكم الاسلامي المجيد الباهر ، ملابسة ، اربكت المسلمين ، واضطرب لها تاريخهم ، فتعثرت مسيرتهم ، وقد بدأت في اوائل القرن الثالث عشر ، وعلى وجه التحديد سنة ١٢٢٧ ، حينما طارد المغول أمامه قبيلة من الترك في سهول آسيا الوسطى ، الى الغرب ، ولم يكن تعداد تلك القبيلة يزيد على حفنة صغيرة من الآف من رعاة البدو ، وقد استقر بهم الترحال آخر الامر على مقربة من (انقرة) أشبه شيء باتباع أو عبيد للسلاجقة .

فلما أفل نجم دولة السلاجقة في سنة ١٣٠٠ ارتفع عن اعناقهم نير العبودية وأصبحوا احرارا . وما لبث شيخهم ان رفع نفسه الى مرتبة (السلطان) ، ومنذ ذلك التاريخ ، الى سنة ١٩٢٢ ، بقيت هذه القبيلة سيدة تركيا ، وصاحبة الكلمة النافذة فيها ، فقد عرفت بدولة بني عثمان ، وذاع هذا الاسم وشاع ، حينما امتد ملك بني عثمان ، من فارس الى (فيينا) عاصمة النمسا في اوربا تدخلت في امبراطوريتهم أجناس وشعوب عديدة لم تجتمع في ظل امبراطور آخر ، حتى ولا امبراطورية أسرة هابسبورج ، التي عرفت باسم « امبراطورية النمسا والمجر » .

لقد أظلت دولة بني عثمان مع الاتراك والعرب ، الرومانيين ، والصرب ، والكروات ، واليونان ، والبلغار ، والمجر ، والألبان . ففي سنة ١٤٥٣ فتح بنو عثمان القسطنطينية ، ووضعوا نهاية بذلك الفتح المبين لحياة الامبراطورية البيزنطية المتداعية ، آخر طيف لروما الامبراطورية ، او امبراطورية روما . وبتحويل كنيسة (أياصوفيا) في القسطنطينية الى مسجد ، بات للعالم المسيحي الغربي كابوس ثقيل لا يفارقه في الليل أو النهار ، اسمه (التركي الرهيب) . ونقلوا عن السلطان التركي ربما بسببه ما ركبهم من خوف ، انه لن يمضي وقت طويل حتى تدخل جياد جيوش تركيا الى مذبح القديس بطرس في كنيسة هذا القديس ، بعد ان تحوله مذودا . وتصاعد الخوف من (التركي) الرهيب عندما فتحت هذه الجيوش مصر في سنة ١٥١٧ بعد ان تدفقت جحافلهم على الشرق العربي ، ثم اندفعت الى شمال أفريقيا ..

وعبر سلطان فرنسا ، فرانسوا الاول باسم الغرب المسيحي عن الفزع الذي تولى هذا الجانب من العالم ، اذ عقد مع سلطان تركيا معاهدة ليكون السلطان المسلم ردءا للملك المسيحي في صراعه مع عائلة

هابسبورج . وحاصر الاتراك فيينا في ١٦٨٣ ، ولكنهم ردوا على أعقابهم ، ومنذ ذلك التاريخ انحسرت موجة المد ، وبدأ الجزر واستمر . وبدأ دور تركيا في صد هجمات لا نهاية لها من الغرب المسيحي ، الذي كان قد استجمع قواه ، وقرر أن يطرد الاتراك المسلمين من أوربا ، ثم أن يتعقبوا فلولهم ، حتى لا يبقى لهم أثر لا في أوربا وحدها بل في المسرح السياسي والعسكري الدولي قاطبة ..وظل الصراع بين أوربا وتركيا ثلاثة قرون ، كان العالم الاسلامي فيها يشاهد ، ولا ينتفع بشيء مطلقا من هذه المأساة الطويلة المريرة ، وقفت تركيا في وجه حملات الاستعمار الغربي ترده ، وكان دمها ينزف ، ومالها ينفد ، وقواها تتسرب من جوانبها ، حتى سميت آخر الامر (بالرجل المريض) ..

فماذا كان أثر هذا كله في العالم الاسلامي وأحلامه التي تتخذ من المجد وعودة الصدارة اليهم محورا ، تدور حوله ، وتتفرع منه ، ثم تعود فتتجمع وهكذا دواليك ..

كان أول الآثار لوجود دولة بني عثمان واتساعها ثم تداعيها وانسحابها ، ان المسلمين أحسوا في قيام (الخلافة) في الآستانة ، أو دار السعادة ، أو (اسلامبول) ، أو (استانبول) ، بأن مجدهم المادي ،وملكهم الدنيوي لم يزل . وأن لهم (دولة) تمثلهم ،وتدافع عنهم، وتنزل بأعداء المسلمين والاسلام، الحاقدين عليهم وعليه ، والخائنين منهم ومنه ، الهزائم ، وتردهم على أعقابهم خاسرين .
وكان سلاطين بني عثمان يفعلون ذلك حقا وصدقا ، فلقد بقيت دولتهم قرونا ، قوة عسكرية ، وسلطة امبراطورية ، لم يشهد تاريخ الامبراطوريات ، والدول الضخمة ذات السلطان الواسع ، دولة في مثل اتساعها وصمودها للزمن .وكان السلاطين يعتزون بانتمائهم للاسلام ، ويقيمون وزنا لكلام شيوخ الاسلام ، ويطيعونهم في أكثر الامر ، ولما تناقصت قوة هذه الدولة ، وبدات امراض الشيخوخة تدب اليها ، استطاعت ان تمنع أوربا الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية من التهام العالم العربي ، وجزر البحر الأبيض المتوسط الخاضعة لسلطان الاتراك من السقوط في أيدي هذه الدول واتخاذها مواقع للوثوب على العالم الاسلامي وتغريبه اولا توطئة لنزعه من نطاق الاسلام روحيا وفكريا ، وتهيئته للشك في دينه وجدوى التمسك به والاصرار عليه ، واغرائه بالنظر في فضائل الحضارة الاوربية المسيحية اليهودية ، وجلال آثارها في مجالات الصناعة والعلوم والفنون .

والثابت أنه لولا السلطان عبد الحميد، الذي كان الغرب يسميه (السلطان الاحمر) لاصبحت فلسطين في يد الصهيونية قبل سنة ١٩١٧ . فلقد زاره هرتزل ، وزاره من قبل هرتزل ومن بعد هرتزل ، رسل الحركة الصهيونية ، وعرضوا عليه القروض الضخمة ، وتحالفا سياسيا يدافعون بمقتضاه عن السلطان التركي في صحف أوربا وأمريكا ، ويوقفون حملات الدعاية التي سادت في دوائر السياسة والبرلمانات والمؤتمرات الدولية ، والتي كانت تركيا وسلطانها ، ووزراؤها ، وفسادها وتحللها ،ومذابح

الارمن والمسيحيين في ولاياتها ـ هدفا دائمـــا لها ، مقابل أن يسمــح لرواد الصهيونية ان يبنوا مســـتوطناتهم في فلسطين . ولكن السلطان أدرك بفضـل تمرسه بالسياسة الدولية ، ومعرفته لمهاب الأمـــور قبـل وقوعهـــا ، أن هذه المستوطنات التي تبدو بريئة ، هي أول الغيث ، أو هي مستصغر الشرر الـذى تنجم عنه أكبر الحرائق .

وبقيت تركيا للعالم الاسلامي ، شبحا يخايل شعوبه ، ويمنى مفكريه وزعماءه ومصلحيه ، يعقـــدون عليه الآمال ، ثم ينفضون يدهم منه ، حتى وقعت الحرب العالمية الاولى ، وزالت تركيا القـــوية ، ثم جاء كمال أتاتورك ، لأراح العـالم الاسلامي ، واستراح ، حينما اســـقط الخـــلافة العثمانيـة ، وأنهى دولة بنى عثمان ، وأقام جمهورية علمانية في أنقرة ، وأدار ظهره للعالم الاسلامي ، تمــاما ، وخلع العقيق والطربوش ، ونبذ الحروف العربية ، واصطنع قانون الأحـــوال الشخصية السويسرى ، فهز المسلمين من الاعماق ...

غضبوا أول الامر ، وسخطوا على كمال ، ونسبوه الى المتهودة الاتراك ، ثم هدأت الصدمة ، فبدأ رد فعل مضاد ، تجاهه : أيكون هذا السبيل المؤلم هو سبيل بعث العالم العربي ، أو العالم الاسلامي ، .. تصطنع الحضارة الغربية بحلوها ومرها وشرها وخيرها ، وتنظـر في ديننا بروح العلم ، وتطبقه بعد أن تراجـــع الكتب التي أورثتنا اياها القرون الوســـطى وما بعدها ، والتي قامت سدا بيننا وبين الدين الحنيف ، دين الفطرة والحرية ، دين البساطة والوضوح ..

ولم يفعلوا شيئا .. .

كان الذى كتبه مفكرو العـــرب عن انحلال دولة بني عثمان وزوال سلطانها ، بعد عمر طويل ملىء بالانتصارات والفتوح ، أقل من القليل ، وكان القليل الذى كتبوه ، نقلا عن كتب الغرب ، وترديدا لدعاويه ، ولم يستخرجوا من هذا الحدث الضخم ، عظاته الكبيرة والـــكثيرة ، على الرغم من أنهم تعلقوا بهذه الدولة في صدق وحب واعجاب ، وعلقوا عليها الآمال الكبـار ، وبكوا لسقوط الخلافة عن رأى سلطانها ، وغياب الخلافة كلها .

ولا أزعــم أنهم كانوا قادرين على أن يردوا عن دولة بني عثمان عادية الزمان ، ولا أن يطيلوا عمرها أكثر ممـــا طال ، ولكن كانوا جديرين أن يدرسوا أسباب انهيار الدول والمجتمعات في دولة ضخمة ، كثرت الوشائج والروابط بينهم وبينهـا باعتبارها أضخم دول الاسلام ، وباعتبارها وارثة الخلافة الاسلامية ، وباعتبــــارها واقعة في المحيط الجغرافي الذى تقع على شواطىء بحاره وعلى مقربة من مجـــاله أكثر الدول العربية والاسلامية .

ولو تأملوا في هذه الظاهرة الكبيرة ، لتبينوا أن الخســـارة الكبرى التي منى بها المسلمـــون أن تركيا التي اتســـع سلطانها ، وترامت حـــدودها ، وضخمت قوتها العسكرية برا وبحرا ، كان ينقصها أكبر ما تحتـــاج اليـــه الدول الكبرى لتتماســـك ، ثم لتبقى ، ثم ليبقى أثرها بعدها حينما يفعل فيهـــا الزمن فعله ـ وأعنى به (الثقافة) ، (الطاقةالروحية) (الرسالة الانسانية) ..

فقد كانت حضارة دولة بنى عثمان ، عسكرية بحتة ، ولم تتح قط للفكر الاسلامي ان يتطور ولا للشعوب الاسلامية ، بفنونها وصناعها وثقافاتها القديمة وحضاراتها المندثرة ، أن تصنع ما صنعته دول المسلمين فى دمشق وبغداد ومصر والاندلس وشمال افريقيا ، فلا معاهد دين لدرس القرآن ولشرحه ، وتجمع الحديث وتصححه ، ولا فنانون ولا صناع ولا مترجمون ولا بعثات ..

ولو تركت دولة بنى عثمان للعرب ان يسهموا فى بناء دولتها ، لاصبحت عواصم العالم العربى فى ظل الحكم التركي منارات تضيء وتشع ، وتكسب الدولة احتراما ومهابة ، ولما تدهور الحكم العثمانى الى الحضيض الذى وصل اليه ، ولا سيما فى القرنين التاسع عشر واوائل العشرين ، بل والقرن الثامن عشر .

ولو اطال المسلمون النظر فيما اعتبر كارثة ، اى اسقاط الخلافة العثمانية فى تركيا ، لأدركوا أن هذه الخلافة كانت قد سقطت منذ أجيال ، وان الدين الاسلامى فى تركيا ، كما هو فى أكثر الدول الاسلامية ، فقد قوة دفعه ، وقدرته على تشكيل المجتمع والهام أفراد الناس بروح الولاء له ، والتأثر به . وان ما يجرى فى عالم المسلمين ، هو من قبيل التصور الذاتى . فالناس يمارسون عباداتهم ، ويترددون على مساجدهم ، ويتلون بعض ما يصل الى أيديهم من كتب الدين ، بحكم العادة والتقليد فى الاغلب الأعم ، وان كان هذا الحكم ليس صحيحا فى جملته وتفصيله ، ففى المجتمع الاسلامى الآن ، حركات أيقظت وجدان المسلم وفكره ، وجعلته يتأمل دينه ، ويحاول ان يبحث عن الخلل فى العلاقة التى تربطه بهذا الدين .

ولكن ما هو أهم ما يلزم للمسلمين فى هذا الدور ؟ .

***

لقد عانى الفكر الدينى فى القرن العشرين من ضربات متوالية .

لقد كانت الثورة الصناعية ، والتقدم العلمى ، وسرعة تغير المجتمعات الانسانية ، وخروجها من اهابها القديم ، والمشكلات التى تكاد تكون بلا حل المصاحبة لكل هذا ، صدمات جعلت أكثر المتدينين حيارى وهزت ايمانهم . فمنهم من تزعزع اطمئنانه الى الدين ، فاستمسك بعروبته مجاهدا ، ومنهم من قطع صلته به ، ووجه وجهه لمصدر أو مصادر للالهام ، بدت له أكثر غناء .

وجاء الفكر السياسى الحديث ، بدروبه المختلفة ، واتجاهاته المتباينة ، مستعينا بوسائل البحث التى استحدثت ، وطرائق الاستنتاج والتخريج والمقابلة ، فتدفقت فى دنيا الكتب والثقافة ، مع سيل متدفق من الكتب والبحوث والدراسات ، التى بدت الى جانبها الكتب القديمة التقليدية ، بأساليب صياغتها ، وبمنهج دراساتها ، باعثة على السأم ، من جهة ، وعاجزة عن الاقناع من جهة اخرى .

وقد نجم عن هذه الصدمة الاخيرة ،

شيء احب ان اقف امامه طويلا ، ذلك هو صدمة (النظرية) ٠

***

لقد خرج من أنقاض الحربين العالميتين الكبريين سنة ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، و ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، مذاهب جديدة ، منها الاشتراكية التي اعتبرت الشيوعية خاتمة المطاف فيها ، والنازية ، بأسمائها المختلفة ودار بين المذهبين صراع دام ، كانت الحرب العالمية الثانية احدى صوره ، ولكنه استمر بعد ذلك ولا يزال مستمرا ، وكانت الصهيونية صورة أخرى من صور التفكير ، انتهزت هذه المجازر ، وحققت لنفسها مكانا ، وظفرت بمكاسب لا يمكن أن تقلل من شأنها ٠

وقد كان الصراع الفكري بين هذه المذاهب كلها ، يدور حول نظريات تقدم ويحسن عرضها ويدافع عنها الانصار ويهاجمها الخصوم ، حتى اصبح (للنظرية) سحر ، فمن لم يكن له نظرية يعتنقها ويدافع عنها ويهاجم في ظلها ، يشعر بأنه مكشوف في دنيا العقائد ، وان كلامه لا يقنع ، وموقفه لا يفهم ، ولا شك ان (النظرية) هي اسلوب لتنظيم التفكير الانساني ، ميزتها الكبرى انها تحاول أن تضع مبدأ أساسيا للنظر الى الكون وعلاقة الانسان به ، ثم تخضع كل ما يتفرع من هذا المبدأ الاساسي لنفس المبدأ ٠

ولعل سيادة فكرة (النظرية) هي التي اججت الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية والديمقراطية والفاشية او النازية ٠ ولعل هذا الصراع هو الذي ثبت سلطان (النظرية) على عقول الناس وافهامهم ٠

ومن هنا كان المتدينون شاعرين بانه لم يعد لدينهم الذي يؤمنون به وجود في دنيا الفكر ٠ لانه لا يقدم (نظرية) متكاملة تحلل في مضمونها العلاقات الانسانية من حيث المنشأ ، والتطور والتعقد والانفراج ، ولا علاقات الانسان بوسائل حياته المادية والروحية ، ولا عناصر وجوده من مال وآلة وحكومة ٠

والخطأ الذي يقع فيه المتدينون أنهم يريدون أن يكون لديهم نظرية شبيهة من حيث الصياغة والتبويب ، على نسق النظريات الحديثة التي يسمعون دويها وتتجاذبهم تياراتها وأمواجها ٠

ولقد بلغ من فرط تأثرهم (بالنظرية) وشغفهم بها ، أن بعضهم وضع للاسلام (نظرية)وصاغها في قالب بعض المبادىء الحديثة ، واعتبر ان الاسلام قد سد النقص في جدراة ، وأنه الان يستطيع أن ينافس بقية المذاهب الحديثة وان يغلبها ٠

ولا بأس عندي من كل محاولة جدية ، فالتطور والتفكير المتجدد ، وان اخطأ او تعثر ، خير من الجمود والركود والتصلب ٠

ولكن على ان نحسن دائما الاهتداء ٠ ولا يمكن أن نحسن الاهتداء الى البداية الحسنة ، ومن ثم فنحن لا يحق لنا أن نصادر حق احد في الاجتهاد ، ولو اخطأ ، فقاعدة من قواعد الاسلام ، أن للاجتهاد دائما ثوابه : لمن اجتهد واخطأ ، ثواب ، ولمن اجتهد وأصاب ، ثوابان ٠

ولكن الذي أحب أن أؤكده هنا ، أن الاسلام يقوم على نظرية من أساسين :

الاولى ــ ان الله واحد ، « قل هو الله احد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد »

الثانية ــ ان الانسان ، سيد هذه الارض ، وان الكون الذي يحيط به ،

ويعيش فيه ، سخر له يطيعه ، ويأتمر بأمره ، ويمكنه ان يديره يمينا ويسارا ، بالتدبر والتأمل والاجتهاد والثقة بنفسه، والاعتماد على الله .. « ولقد كرمنا بنى آدم » .

ومن هذين الفرعين يقوم بناء كامل ، يتناول الانسان من مولده الى مماته ، ويقنن للصغيرة والكبيرة ، وما يتصل بالمال والحكم ، والزواج والطلاق ، والرق والعتق ، والتجارة والزراعة ، والصناعة . ويدخل مع الانسان فى مخدعه ويصاحبه مع وساوسه وهواجسه، ومخاوفه ومطامعه .

وهذا الكلام المجمل اذا بسطناه ، استنفد منا وقتا وجهدا كبيرا ، يضيق بهما المجال هنا ، ولكن حسبنا أن نقول ان هذا المنهج الذى وضعه الاسلام جرب فى مجتمع هو أقل المجتمعات مالا ، وأنآها عن أسباب الحضارة ، وأحقها بأن يتجاهلها التاريخ ، ويتحاشاها الناس، فهى تقوم على فقر مجدب ، فى صقع مغوار ، فأنبت دينا ودولة ، وحضارة وثقافة ، وملكا وسلطانا ، وتدفقت له الجيوش الجرارة ، وأخرج المدارس والمعاهد والجامعات ، وأتقن فى ظله الصناع والفنانون ، والكتاب ، والمفكرون أجمل وأرق وأخفى والطف ما صنع الانسان ، وما ترك الفنان .

وهذا المنهج قادر على أن ينتج نفس الاثر ، فى مثل هذا الوقت القليل ، لو أخذناه بلا تكلف ولا حذلقة ، وفهمناه على وجهه من غير تعال أو تنطع . يعنى أن يفهم أن المسلمين الاوائل ، وصلوا الى القوة فى صدر الاسلام وفى الاجيال التى تلته ، لانهم آمنوا فى بساطة تامة ، بكل الذى طلبه الاسلام منهم ، فهم اذا صلوا اعتقدوا أنهم بين يدى الله ، وسعوا جهدهم ليفرغوا ذهنهم من كل شىء ، لتحسن وقفتهم بين يدى الله ، فاذا فرغوا من الصلاة ، أحسوا فعلا بأن قواهم تجددت ، وروحهم سمت ، وانهم قادرون على مواجهة متاعب العيش ، ومخاوف الحياة فى قوة وثبات ، وبلا وهن أو ضعف ، فاذا طلب منهم أن يتصدقوا ، شعروا حقا بأنهم يقرضون الله قرضا حسنا ، وأنه سيرده اليهم اضعافا مضاعفة ،وان الحج يكفر ذنوبهم ويغفر خطاياهم وهكذا دواليك . .

ومن كل تلك الالفاظ البسيطة التى يؤدون بها الصلاة ، ومن كل هذه الحركات القليلة التىيقومون بها سجودا وركوعا بين يدى الله ، وبالفرحة التى يستقبلون بها الصوم ، وبالبهجة التى يباشرون بها مناسك الحج ، تكتمل لهم قوة حقيقية ، مادية وروحية أدت بهم الى هذا التفوق والتجلى الانسانى .

فما لم يكن فى مقدور المسلمين أن يعودوا الى هذه البساطة ، وما لم ينتزعوا من انفسهم هزءهم الخفى بها ، واحساسهم الكامن بأن المسلم الحديث لم يعد يكفيه ما كان يكفى العربى منذ اربعة عشر قرنا ، وأن الزاد العقلى الذى يليق به ، ويصل الى سواه ، هو ما يجب على علماء المسلمين ومشرعيهم ، وفقهائهم ومفكريهم ان يصوغوه ، فى قالب يمكن أن يواجه تحدى النظريات الحديثة ولو واصل المسلمون سيرهم فى هذا الدرب واصروا عليه ، استمر حالهم على المنوال الذى نراه .

***

ليفكر كبار المفكرين المسلمين ، وليبدعوا كتبا عظيمة ، وليستخرجوا من آيات الله الكريم ، وأحاديث رسوله

العظيم ، آثارا جديدة بأسلوب يثير الاهتمام ، ويدعو الى التفكير ، ويبعث على المناقشة والجدل ، ولكن كل هذا لايغني في قليل أو كثير عن العودة البسيطة غير المتكلفة الى الاسلام ، في صورته التي تلقاها الرسول العظيم ، محمد بن عبد الله ، النبي الامي ، ثم تلقاها عنه صحابته ، فالمسلمون الاوائل ، واكثرهم فقير وضعيف ، لا يؤبه له .

فان هذه العودة ، هي التي سيشتعل لها وجدان المسلمين ، وسيتقد خيالهم ، فاذا التفاعل بين الاسلام الحقيقي ، والنفوس الصغيرة الصادقة ، يتحقق . واذا الاشتعال يبدأ ، واذا بالادوار السابقة تتلاحق وتتابع ويحدث البعث المنشود ، وعندها سنرى فيضا من الانتاج الفكري والفني يشبع جوع الجائعين الى بناء عقلي يفلسف لهم أمورهم ويردها الى قاعدة عامة مستمدة من القرآن الكريم ..

ولكن لا مناص للمسلمين ، ليخرجوا من هذا الموقف الذي جمدوا فيه ولا خلاص لهم بالاسلوب الذي نقترحه ، الا بالاخذ بأمرين :

أن يكون للمسلمين نواة لزعامة ، وبداية لقيادة فكرية .

فللمسيحيين ، كاثوليك كانوا او بروتستانت أو ارثوذكس زعامات مركزية كاملة ، ظاهرة وباطنة ، دينية ودنيوية .

ولليهود مثل هذه الزعامة ، ممثلة في اكثر من هيئة ومجلس .

أما المسلمون فحبلهم على غاربهم .

وليس ثمة مجلس أو هيئة ، تجتمع بصفة دورية ، تحاول أن تعلو عن التفاصيل والامور المحلية ، والخلافات الاقليمية ، وتنظر الى الاسلام في مجموعه .. وتقف الى جانبها أمانة تتلقى المعلومات وتجمعها وتبوبها وتحللها .. ثم تحاول هذه الهيئة ان يجتمع لها على مدى الايام ، شيء من الهيبة والمكانة والتأثير ، تكسبها على طول الوقت ، بحسن التوجيه ، والجهد المبذول ، والادارة الموفقة ، والتجرد لوجه الغاية المشتركة .

ولابد من مجلس ثقافي اسلامي ، ينشأ أيضا الى جانب الهيئة ، متفرغ للشئون الفكرية في دنيا المسلمين ، ويستقر ويستمر ، ويكسب بدوره مكانة تؤثر في النفوس ، والعقول ..

فانه من غرائب الامور ، أن يكون لفريق من المسلمين هم العرب ، مشكلة كمشكلة فلسطين ، تبدأ وتستمر وتتعقد ، ولا يوجد للعالم الاسلامي الضخم الفني المترامي الآفاق ، رأي لا يقف عند حدود المشكلة السياسية العابرة ، انما يدرك مقدماتها البعيدة ، ونتائجها العميقة في المستقبل .

وللمسلمين من موسم الحج ، معين على ان يفكروا في هذه الامور المجردة التي تعلو على الوقت الذي يمر بنا وحدود الدول الضيقة ..

● وقد نستطيع ان نضع الخطوط الاولى في صورة عظيمة للاسلام العظيم .

من روائـــع إعجـــاز
القرآن

● د . جمال الفندى ●

● الفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر هو ان الرياح فى حالة السحابة الممطرة « المزن » انما تستمر وتدأب على تغذيتها ببخار الماء الذى يتكاثف الى نقط من الماء السائل او بلورات الثلج اذا كانت درجة الحرارة منخفضة ، وكلها تنمو سريعا وتروح متساقطة الى الارض على هيئة مطر او برد او ثلج . وفى هـذا المعنى بالذات يقول القرآن الكريم :

« وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين » ـ (الحجر ٢٢)

ولقد فسر بعض المسلمين فيما مضى كلمة لواقح بانهـا تعنى تلقيح الرياح للنباتات كما هو معـروف ، ولكن هذا المعنى لا يربط بين شطرى الآية الكريمة ، ولا يتمشى مع قـوله تعالى : « فانزلنـا من السـماء ماء فاسقيناكموه » . والتفسـير العلمى السليم هنا لكلمة لواقح هو انها انما تشير كما قلنا الى تلقيح الرياح للسحاب او امداده له ببخار الماء ونوى التكاثف بصفة مستمرة ، لكى يتكاثف ذلك البخار الى نقط من الماء او بلورات من الثلج تنمو سريعا ويزداد وزنها ، ولا يقوى الهواء الصاعد داخل السحب على حملها فتتساقط على هيئة مطر او برد ...

ولا تغذى الرياح السحاب ببخـار الماء وحده بل انها تمدها وتلقحهـا كذلك بجسيمات صغيرة مجهرية من مساحيق او تمتصه مثل مسـاحيق ملح الطعام التى تتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات ، ومثل ابخـرة الاحماض التى تكونها عمليات الاحتراق المختلفة او حتى يكونها البرق فى عواصف الرعد . وتسمى تلك الجسيمات كما نعرف باسم « نوى التكاثف » اى النوى

التى تتجمع عليها جزيئات بخار المـاء وتتدكس لكى تكون نقط المــاء الاولى داخل السحب .

هذا هو المراد من كلمة « لواقح » فى هذه الاية الكريمة . وفى هذا العصر يحــاول العلمــاء استمطار السحب الركامية العابرة او عصرها ، وذلك كما قلنا بتلقيحها بنوى التكاثف بطــريقة صناعية بواسطة الطائرات او المولدات الارضية التى تمدها مع الهواء الصاعد بمساحيق ملح الطعام الصــخرى ، او ابخرة يودور الفضة ، أو حتى ببللورات الثلج الصناعى . ورغم أن هذه المحاولات امطت بعض المطر الا انه لا مناص ولا مفر لكى تجود السحب بمقــادير وفيرة من الماء من ان تداب الرياح على امدادها ببخار الماء اللازم لتكوين ذلك المطر ... اما اذا كان الهواء مقيمــا جافا فلا سبيل الى نجاح تجارب المطر الصناعى .

ولقد آمن العلماء بأنه عندما تتوفر ابخرة الميــاه فى الرياح فان الســحاب يمطر طبيعيا ولا تكون هناك حاجــة الى المطر الصناعى . اما اذا كــانت الرياح عقيمــا فلا ســبيل الى نجــاح المطر الصناعى رغم الحاجة اليه ، اذ لاتمطر السماءطبيعيا كذلك ، فسبحان الذى قال :

« افرايتم الماء الذى تشربون . انتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون » ـ الواقعة (٦٨ و ٦٩)

والذى قال : « ... ومن يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمتــه ، أ اله مع الله ؟ » ـ (النمل ـ ٦٣)

ومهما ازداد الانســان علمــا ، فلن يستطيع بصفة مستمرة تغيير دورات الرياح العامة او تصريفها على الــدوام حسب هواه ، حتى باستخدام الطــاقة النووية ، الا فى حدود ضيقة محلية . والسر فى ذلك ان الشمس تمد الارض كل يوم بطاقة تعادل مئات آلاف الطاقة النووية وان استخدام الطاقة النووية هنا معناه تلوث الهــواء ، وان الطاقة الشــمسية العظمى ـ التى لا يمــكن التوصل اليها ـ هى التى تدفــع بالرياح فى مسالكها . ويشــير القرآن الى هذا المعنى فيقول فى ســـورة الاعراف الاية (٥٧) ـ « وهــو الذى يرسل الرياح بشرى بين يــدى رحمته »

ويقول فى سورة الفــرقان (الاية ٤٨) : « وهو الذى ارسل الرياح بشرى بين يدى رحمته » .

***

والمطر هو اصل كل الماء العــذب الذى تشربه وتروى به الارض ســواء ـ كما قلنا ـ حصلنا عليه من الانهار أو الابار أو العيون أو اخذناه من المطر المباشر . ولهذا يقول الحق جل وعلا:

« فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه» اما قوله « وما انتم له بخازنين » فتلك قضية علمية اخرى تقرر فى جلاء ووضوح أن هذا الماء العذب لا يختزن فى مكان معين ، ولكنه يخضع لدورة عامة بين السماء والارض تعرف باسم دورة الماء بين السماء والارض ، ومجملها ان اشعة الشمس تبخر بعض ماء البحار والمحيطات ويصعد البخار فى الهواء لانه اخف من الهواء او اقل كثافة ، وتحمله الرياح معها فى مسلكها عبر آلاف الكيلومترات ثم تصعد لتكون السحب ، وتداب على تغذية تلك السحب ببخار الماء فيتكاثف البخار الى مطر يتساقط على الارض مكونا الانهار او يغوص الى جوف القشرة الارضية ليعود من جديد الى البحار والمحيطات ، ثم تعود القصة كلها من جديد بفعل اشعة الشمس ، وهكذا ..

***

ولا يقف القرآن الكريم عند هذا الحد بل يستمر فى تقرير الحقائق العلمية فيتحدث بالتفصيل المعجز المذهل عن نوعى السحب ، وهما النوع الركامى ، والنوع الطبقى .

والمعروف علميا ان السحاب تبعا لطريقة نموه ينقسم تلقائيا الى ركامى، وهو الذى ينمو فى الاتجاه الرأسى حتى يصير كالجبال الشامخة ، ثم الى طبقى . وهو السحاب الذى يمتد افقيا فى طبقة او طبقات ...

والسحب الركامية هى النوع الهام لانها قد تمتد راسيا عبر ١٥او٢٠كيلو مترا فتصل الى طبقات من الجو العلوى باردة جدا تنخفض فيها درجة الحرارة الى ٦٠ و ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر وبذلك يتكون « البرد » فى اعالى تلك السحب.والمعروف علميا ان نمو البرد فى اعالى السحب الركامية يعطى انفصال شحنات او طاقات كهربائية سالبة وانه عندما يتساقط داخل السحابة ويصل فى قاعدتها الى طبقات مرتفعة الحرارة فوق الصفر المئوى يذوب ذلك البرد او يتميع ويعطى انفصال شحنات كهربائية موجبة . والتفسير العلمى لانفصال تلك الشحنات هو ان الطاقة السطحية للبرد تتحول الى طاقة كهربائية عند تغيير طبيعة السطح بالنمو او بالتميع .

وعلى هذا الاساس يجب ان نبعد نهائيا عن اذهاننا فكرة تولد الكهربائية داخل السحب الركامية بواسطة الاحتكاك فهى فكرة قديمة خاطئة لا يمكن ان تستخدم فى حالة السحاب وفى نفس الوقت نجد انه طالما استمرت

الرياح على تلقيح السحابة الركامية ببخار الماء تحول ذلك البخار الى برد فى اعالى السحابة ثم انطلق الى اسفل بفعل الجاذبية وانصهر او تميع فى اسفل السحابة وتكون هذه العمليات بمثابة المولد الكهربائى او « الدينامو » الذى يداب على شحن السحابة الكهربائية وعندما يقوى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا عن الشحنة الموجبة فى اسفل يحدث التفريغ الكهربائى على هيئة برق وينجم عن التسخين الشديد المفاجىء الذى يحدثه البرق فى منطقة انبعاثه ان يتمدد الهواء فجاة ويتمزق محدثا الرعد . وما جلجلة الرعد الا عملية طبيعية بسبب سلسلة الانعكاسات التى تحدث من قواعد السحب لصوت الرعد الاصلى وقد يحدث فى بعض العواصف ان يتكرر حدوث البرق داخل السحابة اربعين مرة فى الدقيقة الواحدة، اما اذا حدث التفريغ الكهربائى بين السحابة وأى جسم مرتفع من سطح الأرض فانه يسمى صاعقة .. والآن كيف تتكون السحب الركامية ؟

عندما صورت بالرادار وجد ، كما قلنا ان السحابة الركامية الواحدة تبدأ بعدة خلايا او تتف صغيرة تظهر فى السماء ثم تتحد كل خليتين او اكثر مع بعضها البعض لتكون الخلية الكبيرة التى سريعا ما تصبح كالجبل الشامخ وينزل منها المطر . ومن روائع اعجاز القرآن فى هذا الشأن قوله : فى سورة النور « آية ٤٣ » « الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيهــا من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار »
صدق الله العظيم

نبى الإسلام ومجتمع السلام

● د . مصطفى الشكعة ●

● حين يمسك المرء بقلمه لكى يكتب شيئا عن السلوك المحمدى تتواكب الافكار والانوار امام بصره وبصيرته ، وتتدافع القيم والمبادىء فى عقله وخاطره الى المدى الذى يحيره ويبهره ، فيقف مذهولا ايها يتمثل وايها يدع ، ذلك ان السلوك المحمدى ليس شيئا فريدا فى دنيا العقيدة والاخلاق وحسب ، ولكنه شىء اسمى من ذلك وارفع ، انه قيادة الى خير البشرية ، ودعوة الى سعادة الانسان ، ولمحة الهية خص الله عباده بها تفضلا منه وتكريما ، فهل وعى الانسان ذلك الفضل ؟ وهل استوعبت البشرية ذلك التكريم ؟

اخشى ان اقرر انها لم تفعل ، ولو قد وعت واستوعبت لغدا الحال غير الحال ، ولاستراحت نفوس ، وسعدت ارواح ، وبرئت اجسام ، وارتفعت شعوب ، ونعمت امم ، وتطهرت مجتمعات . ان السلوك المحمدى يستهدف تلك القيم كلها ويعمد الى تدعيم هذه المعانى جميعا ويستهدف توثيقها .

والدعوة المحمدية هى دعوة السلام وجوهرها، ومحمد صلى الله عليه وسلم مهيبا لذلك داع اليه ، والله سبحانه اعلم حيث يضع رسالته ، **وبالتالى فقد تخرج محمد فى مدرسة القرآن كتاب الله المعجز فى كل شىء ، المعجز فى دعوته الى الهداية والتوحيد والتشريع ، المعجز فى دعوته الى السلام والصلاح والاخوة البشرية ، المعجز فى اسلوبه وبنيانه ومعانيه ، وبعبارة موجزة لقد تخرج محمد فى مدرسة الربوبية فكان عبدا لله صالحا ورسولا لله امينا .**

لقد زكى الله محمدا وشرف قدره ورفع من شانه فى كتابه الكريم فقال جل من قائل : **((وانك لعلى خلق عظيم))** .

ولقد تفضل الله سبحانه وتعالى على كثير من رسله وانبيائه بالثناء والتكريم ، ولكن صيغ التكريم التى حبا الله بها رسله وانبياءه مجتمعة ومنفصلة لاتنهض لكى تشكل قدرا صغيرا من هذا المعنى السامى الذى خص الله به رسوله المصطفى .

ويمنح الله محمدا مزيدا من التوصيف بلين الجانب ورقة الشمائل فى قوله تعالى اليه : **((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك))** .

ويخاطب الله المؤمنين فى شان محمد ويقرر مدى اهتمامه لهمومهم ، ويقرر حرصه على صلاحهم ونفعهم فى الآية

الكريمة : ((لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) .

ذلك بعض وصف القرآن لمحمد وخلق محمد وسلوك محمد ، ولقد كان محمد في اول حياته يلقب بالصادق الأمين ، وكفى المرء ـ اى امرىء ـ ان يكون صادقا امينا ، ولكن مقام الرسالة وصاحبها لابد له من شمول فى كمال الصفات فكان كما وصفه الله سبحانه ، وكان ايضا كما وصف نفسه في قوله الشريف : بعثت لاتمم مكارم الأخلاق ، وفى قوله : ادبني ربي فاحسن تاديبي ، وفي قول زوجه ام المؤمنين عائشة حين سئلت عن خلقه : كان خلقه القرآن .

ان محمدا وهذه صفاته وذاك تكوينه لم يكن الرسول الذى لا ينطق عن الهوى وحسب ، وانما كان الرائد والقائد والدورة والقدوة .

***

ان العقيدة الخالصة النقية يكون اعتناقها عن رضا واقتناع ، وكذلك فعل المسلمون الأولون ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وعائشة وسلمان وغيرهم من الصحابة البررة ، وان دستور الاسلام فى ذلك يتجمع ويتبلور فى قول الله باعث الرسل ومبدع الديانات : ((لااكراه فى الدين)) وفى قوله الكريم الموجه الى رسوله الحبيب : ((افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) .

انه دين محمد ـ بحكم كتاب الله الذى انزل على محمد ـ ليس دين اكراه ، ولكنه تبشير الى الهداية ودعوة بالكلمة الطيبة والعبارة الحسنة ، ومن الحقائق الثابتة انه ما اكره على الاسلام فرد واحد من أصحاب العقائد السماوية ، واما الكافرون بالله وبرسالاته من منكرين او عباد للأصنام فبقاؤهم على ما هم عليه شر مستطير يحطم كيان المجتمعات ويزلزل سلام البشر ، ومن هنا كان شن الحرب عليهم حتى يؤمنوا علاجا لمرض وترياقا لسموم وبرءا لسقام ، وان مفهوم الدعوة من هذا المنطلق لا يخرج عن مفهوم السلام ومن ثم كان محمد الهادى الى الايمان والرشد هو نفسه صاحب الفكرة الكبرى للسلام .

***

والسلوك المحمدى فى نطاق الرسالة السماوية يدعو الى أسمى قيمة دعا اليها المصلحون وانقى سبيل تاقت اليها المجتمعات الحضارية منذ ان عرفت الحضارة على وجه الارض ، تلك القيمة السامية هي المساواة ، ولعله من نافلة القول ان نقرر ان المساواة بين الناس لم تتحقق فى يوم ما كما تحققت فى نطاق دعوة محمد . ان الرسالة السماوية قد تعهدت هذه المساواة وفرضتها على المؤمنين فى قول الله عز وجل: ((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) وليس هناك ابلغ فى التعبير عن روح المساواة بين الناس مما حوته روح هذه الآية الكريمة التى جعلت التفاضل بين العباد يجىء من مبدأ تقوى الله ، وتقوى الله هى الصلاح فى كل مفاهيمه ومعانيه ومقاصده وتطبيقاته .

لقد كان السلوك المحمدى كامل الانسجام مع المبدأ الالهى للمساواة بين الناس حين عبر الرسول عن ذلك بقوله الشريف الخالد: ((الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى)) . لقد قضى هذا المبدأ على النعرات الجاهلية والعصبيات القبلية ومبدأ سيادة الاحرار واسترقاق العبيد ، فكان سلمان الفارسي مفضلا على كثيرين وكذلك كان بلال الحبشى

وكلاهما كان عبدا حرره الاسلام . ولم يكن مبدأ المساواة مجرد شعار نادى به القرآن وردده محمد ، وانما كان مبدأ مطبقا وقانونا ممارسا ، بل لقد طبق في اروع صورة واكمل أداء وذلك حين اقترفت احدى الشريفات جريمة السرقة ، فلما أريد تطبيق الحد عليها سعى أسامة لدى رسول الله راجيا اعفاءها ، وهنا يغضب الرسول العظيم ويسارع الى تبصير الناس بالخطر الذي يحيق بهم اذا ما أبطلوا الحدود قائلا : أتشفعون في حد من حدود الله؟ والذي نفسي بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

ان الصادق الأمين يقسم بالله ــ وهو ادرى الخلق بخطر هذا القسم ــ على ان البتول فاطمة ، ابنته الأثيرة ، الزهراء الطاهرة ، أم حفيديه العزيزين على قلبه ــ لو سرقت لطبق الحد عليها وقطع يدها ، وهنا يكمن السر الأعظم في السلوك المحمدي الذي لا يفرق بين فرد وآخر في نطاق الثواب أو في مجال العقاب ، ولا يكون المجتمع مكتملا أسباب الصلاح الا اذا تمثلت القدوة الصالحة في كبرائه ، ولقد كان محمد خير قدوة للناس الى جانب كونه خير انسان بين الناس .

***

والاسلام الذي جاء بالهدى للناس وجعلهم جميعا سواء فحقق المساواة الكاملة بينهم ، هو نفسه الاسلام الذي ضمن للناس حرياتهم وامنهم على ارواحهم واموالهم واعراضهم ، فالاسلام محرر العبيد بلا ريب قد رسم السبيل لتحريرهم في نطاق التشريعات المتتابعة لعتق النفوس وفك الرقاب بما يضمن القضاء المبرم على هذه الظاهرة الشاذة التي واكبت الحياة الانسانية منذ ان كان القانون الارضي مطبقا بين الناس ، بل ان العبودية كانت في أوجها في عصور ازدهار الحضارة اليونانية والقوة الرومانية .

لقد سعت الرسالة المحمدية الى تحرير الرقاب والى ضمان الحرية للناس واشاعتها بين المجتمعات ، ولكن الاسلام يدرك ان لكل شيء حدودا ، وان الحرية اذا أسيء فهمها وساء تطبيقها كانت الفوضى بعينها ، وانقلب نعيمها الى جحيم ، وخيرها الى شرور ، وصلاحها الى فساد .

ان محمدا الرائد يدرك ذلك وهو الذي ضمن للناس حرياتهم ، فيشرع للمجموع كي يحميه من عبث الفرد ، ويجعل الأصل في الخير هو خير الجماعة الانسانية والأساس في الحرية هو حرية المجموع ، ويقضي على كل تفسير للحرية غير سديد في قوله الشريف : أن قوما ركبوا في سفينة فاقتسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع؟ قال: هو مكاني اصنع فيه ما شئت . فان اخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركز على سلامة المجموع ، جاعلا منها الأصل والمتبع ففي سلامة المجموع سلامة الفرد دون نزاع ، وان ذلك لا يصطدم مع اللفتة المحافظة على سلامة الفرد لان الفرد جزء من المجموع وليس العكس بالصحيح .

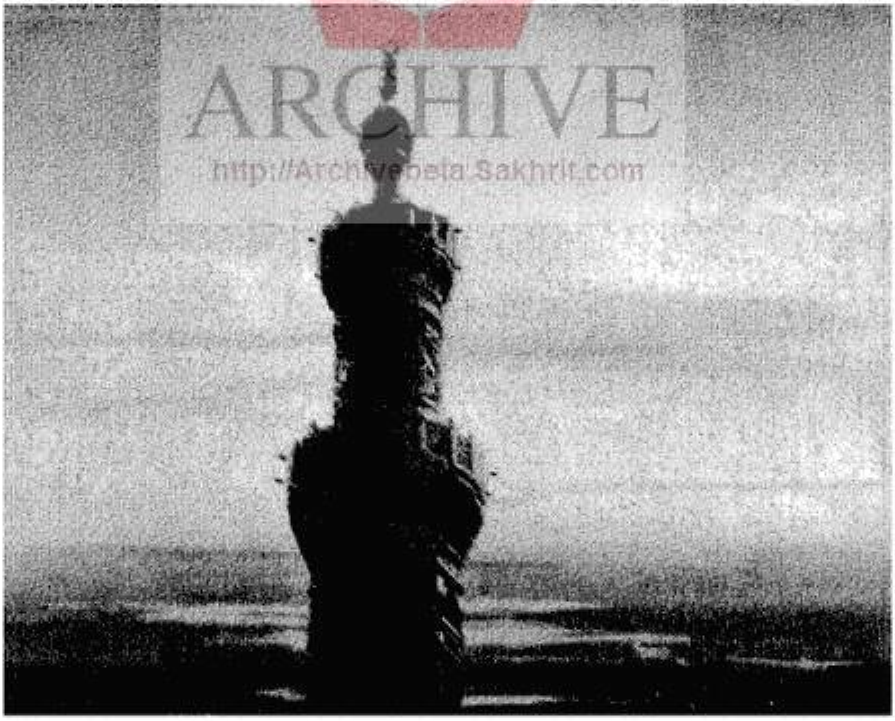
لقد قلت في صدر هذا الحديث ان من يعرض للحديث عن السلوك المحمدي تتواكب الانوار امام بصيرته وتتدافع القيم في عقله وخاطره الى المدى الذي يوقعه في حيرة امام اى المعاني يأخذ وأيها يدع ، واى القيم يترك وأيها يختار لأنها من الثراء بحيث لا تنفد ، ومن النفاسة بحيث لا تترك ، ومن السمو بحيث لا يتسامى اليها .

بأبي وامي سيدنا رسول الله ، لقد كانت رسالته السعادة والسلام ، وكان خلقه القرآن .

وعيبه أن معظم سكانه لا يعرفون مصادر الثروة والقوة وما هو الجمال

عالم فسيح جميل فياض بالخير .. لو أردنا لكنا من أقوى أمم الأرض ولكننا لا نريد! لو أردنا لفعلنا ، فإن الدنيا إرادة وعمل ، وماذا تنفعك أرضك الخصبة وثرواتك التى لا حدود لها إذا كنت لا تعرف من وسائل العمل إلا الأوهام والكلام والأحلام .

بقلم الدكتور حسين مؤنس



عالم من الثروة والقوة والجمال

ان عالمنا الاسلامى جميل ..

● انه يمتد من حدود الهملايا الى المحيط الاطلسى، ومن شواطىء البوسفور وجبال الكربات فى شمال يوغوسلافيا الى جنوبى خط الاستواء فى نيجيريا والكمرون والجابون وموزمبيق وانجولا .

ومساجد الاسلام ترتفع مآذنها فى جبال كشمير عند سفوح الهملايا وتزين ممرات الجبال فى افغانستان ، ذلك القطر الجبلى الساحر الجمال ، وتمتد فى سلاسل طويلة من الابداع الفنى الجميل آلافا وآلافا من الاميال ، ولا يدلك على اختلاف صور الجمال فى عالم الاسلام شىء بقدر ما يدلك عليه اختلاف اشكال المآذن ، والفرق بعيد بين مئذنة قطب منار الرائعة فى دلهى ومئذنة جامع كانو فى نيجيريا تحيط بها القباب الخضراء البديعة ..

وعالم الاسلام فى يومنا هذا حافل متسع ومساجده تصور اتساعه وتنوع حضاراته ، فقد رأينا مئذنة جامع فى سراييفو فى يوغوسلافيا صاغها المعمارى فى هيئة صاروخ نووى ، وفى لندن مسجد جديد فى حى ريجنت بارك اجتهد واضع خطته فى ان يجعل المئذنة والقبة على نفس طراز عمائر ناش التى تجاورها فى حى ريجنت ، وهذا المسجد مستقبل اى يصلح ان يكون شاهدا معماريا على موقف الاسلام من حضارة هذا العصر .

وفي الكويت مسجد سيريالى فى حى ضاحية عبد الله ، وهو قطعة فنية رائعة لاتعجب الكثير من التقليديين ، ولكنها تعجبنا نحن الذين نفكر فى الاسلام فى ضوء العصر ونعرف ان مستقبل أمم الاسلام مرهون بقدرتها على مجاراة العصر ومطالبه ، والجمود لا ينفعنا فى شىء لأنه موت . والاسلام وأمم الاسلام لا يمكن أن تموت .

***

وقد تناول هذا العدد من « الهلال » مشكلات الاسلام والعصر من شتى نواحيها وفى هذه الصفحات نعطيك صورا شتى من بلاد الاسلام تصور لك جمال عالمك الاسلامي وما فيه من تنوع ، وما يتمشى فى كيانه من علائم النهوض .

وجدير بالملاحظة أننا نحن المسلمين لا نعرف قيمة عالمنا الاسلامي أو اهميته فى عالم اليوم . وبعضنا تشغله ظواهر الأمور مثل مسائل البترول أو علاقاتنا مع من يجاورنا من الامم ، فمنذ شهور وقع انقلاب افغانستان وتولت الحكم جماعة قيل انها تعمل لحساب روسيا ، وزعم الكثيرون أن الشيوعية استولت على أفغانستان ، ولكننا نحن لم نفزع أو ننزعج ، لاننا نعرف تماما طبيعة شعب افغانستان ، فهم على بساطتهم من أشد المسلمين تمسكا بالاسلام ، ولا يمكن بحال أن ينحرفوا عنه ، ويكفى أن نقول انهم يسمون بلاد الهندكوش التى تقع بين الهند وافغانستان كافرستان أى بلاد الكفار ، لانهم لا يعرفون الا الاسلام ، وما عداه فى رأيهم كفر وضلال . والقوة الكبرى فى تلك البلاد هى الاسلام ، ولعلنا نرى اليوم ما يحدث فى ايران ، ونحن هنا لا نأخذ جانبا أو نبدى فى المشكلة رأيا وانما نحن نقرر حقيقة ، وهى ان الاسلام فى ذاته اقوى من أى تيار . وانه مهما كانت العقبات فى طريقه فهو منتصر دائما .



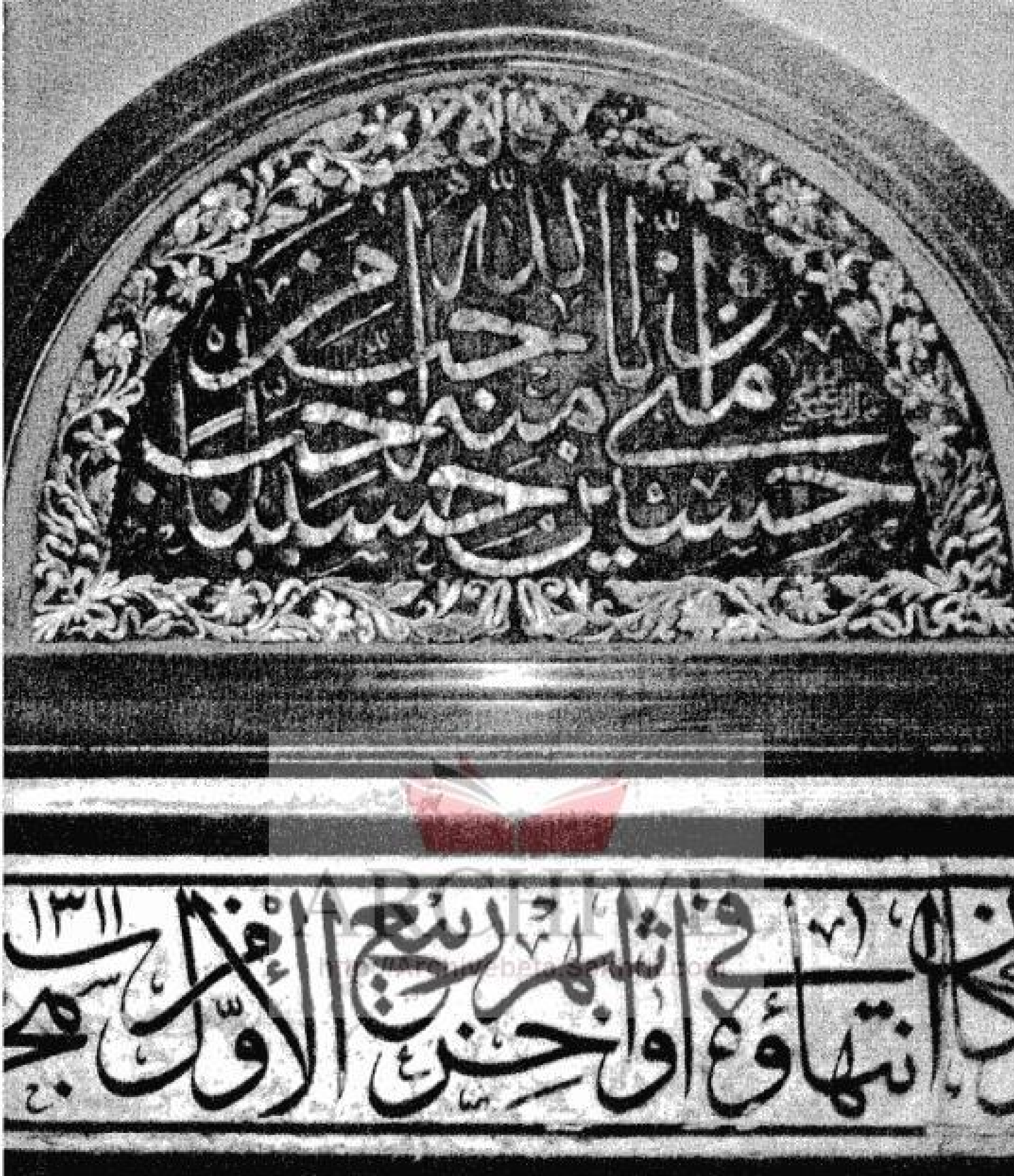
يعتبر مسجد ابي العباس المرسي بالاسكندرية الذي يبدو في يمين هذه الصورة ويتميز بمئذنته المربعة من اسفل ، المسدسة من اعلى ، من معالم تاريخ العمارة الاسلامية . فان الذي وضع تصميمه هو المهندس الايطالي اريكوماروسي الذي عاش في مصر وخدم العمارة الاسلامية بتجديدها ، وانشا هذا المسجد ومسجد راس التين ومساجد اخرى كثيرة في مصر واسلم في اثناء ذلك ومات على دين الله

وعندما سقطت قوة الاسلام السياسية في الاندلس بقي الاسلام ، ولم يجد الاسبان بعد ذلك للقضاء عليه في بلادهم الا تصفية المسلمين تصفية جسدية بشعة عن طريق التعذيب وديوان التحقيق والطرد من البلاد ، وهنا فقط لم يبق في الاندلس مسلمون ، ولكن حضارة الاسلام ظلت قائمة ، وانت اليوم اذا زرت اسبانيا احسست للوهلة الاولى ان الاسلام مر من هناك ، فهناك ، وفي الجنوب بصفة خاصة اثر اسلامي قوي وناس يفخرون بان اجدادهم كانوا مسلمين .

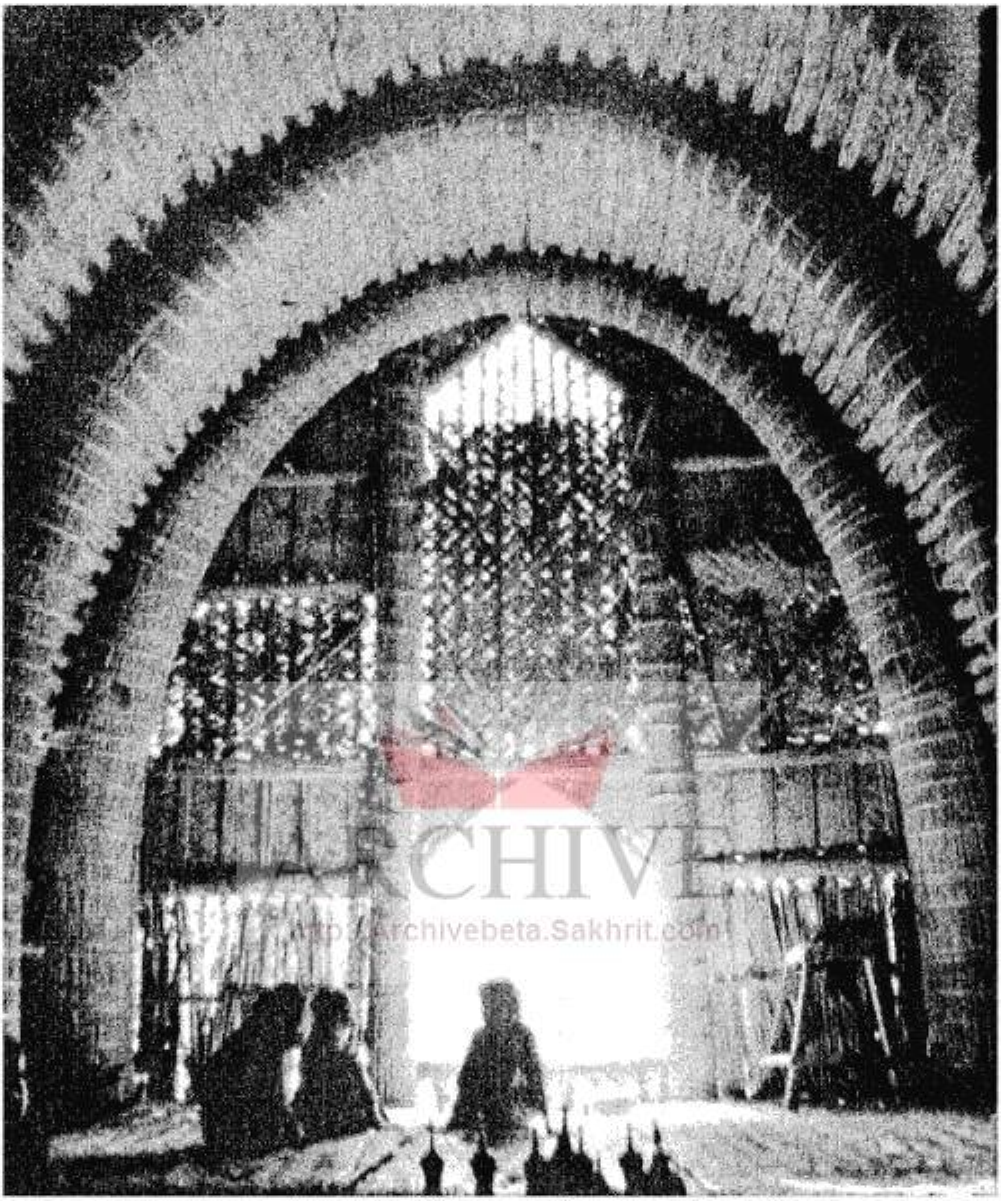
وكذلك الحال في صقلية . ومن اغرب ما تسمعه اليوم في ايطاليا انهم يقولون : لماذا اجتهدنا هذا الاجتهاد في فصل صقلية وجنوبي ايطاليا « ابوليا وكلابريا » عن عالم الاسلام ؟ . . وهذه بلاد كانت ولا تزال اسلامية الروح ، وهي جزء من تونس لا من ايطاليا ، وكان حال ايطاليا يكون احسن بكثير لو وقفت حدودها جنوبي نابولي .

***

والمشكلة الكبرى التي يواجهها عالم الاسلام اليوم من الناحية الحضارية هي انه لا توجد بين شتى شعوبه صلات وعلاقات تعرف شعوب الاسلام بعضها ببعض ، وتشعر كل شعب مسلم انه عضو في جماعة انسانية حضارية تمثل خمس البشر ، ومن المسلمين يعرف ان كل خمسة بشر على وجه الارض منهم واحد مسلم ؟ ومن منا يعرف مثلا ان هناك بلادا اسلامية اجمل بكثير من سويسرا . ؟ .



الكتابة العربية من اعظم عناصر الزخرفة الاسلامية ، وقد تمكن الخطاطون المسلمون من الابداع فى هذا الفن وتحويله الى عنصر جمالي أصيل ، ونرى نموذجا لذلك فى أعلى مدخل المسجد الجديد للامام الحسين ريحانة اهل الجنة وقد بنى المسجد سنة ١٣١١ هجرية .

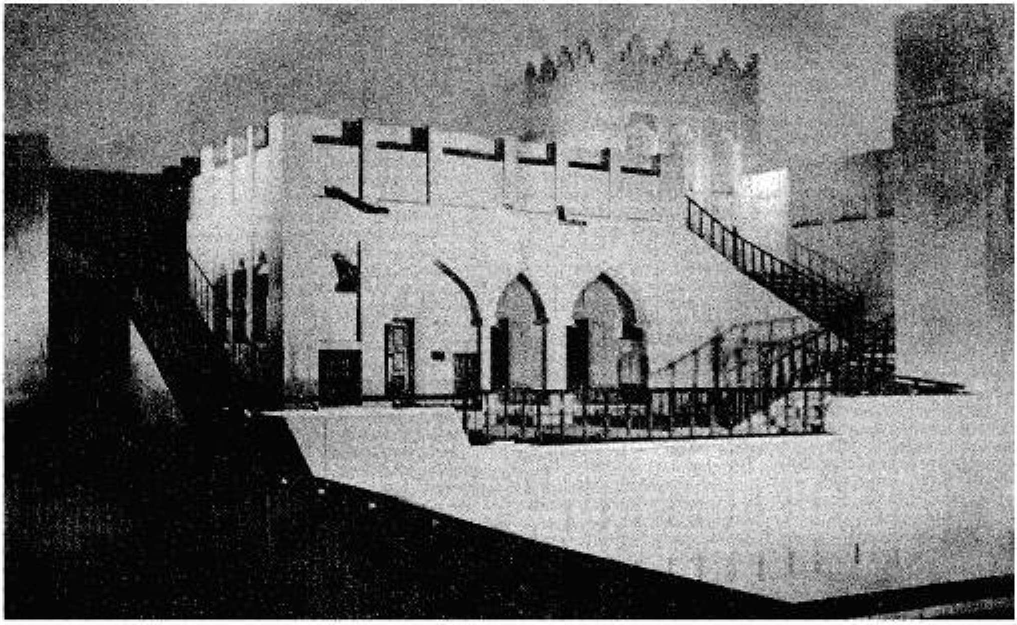


هذه الصورة الجميلة تصـــور الحياة فى منطقة من اجمل مناطق العراق منطقـة الأهوار فى الجنوب . والأهوار بحيرات من مياه الفرات ودجله وفيهـا جزر يعيش فيها الناس كما يعيش اهل فينيســـيا وينشئون فى الجزر بيوتا كلها من القـاب والبوص والخشب . انها عمـــارة بديعة فريدة فى بابها . وفى الصورة مدخل بيت من هذه البيوت . واهل البيت يحتســون القهوة العربية



●● حتى سواحل الخليج ... البحرية الاسلامية والتاريخ
وقد خرجت ... الاولين ... انشاء السفن . والصورة التي

تراها هنا تعبر عن فصول جديدة من فصول العرب . انها صورة عن صناعة
السفن في منطقة الخليج ... المحلات . لتشكل احدى
موارد دولة الامارات الرئيسية ●



لا يعرف الكثير من القراء ان بلاد الخليج ذات ماض تاريخي بعيد فقد اقام الاسكندر الاكبر مثلا جالية يونانية في جزيرة فيلكا الكويتية . ومن هذه الجالية نشأت جالية يونانية اخرى في شبه جزيرة قطـــر التي عرف تاريخها القديم عصورا من الحضارة

المختلطة ما بين عربية وفارسية ، وبعض مخلفات البرتغاليين ، والاثر عـــنا كله يحتفظون بها في متحف قطر الوطني الجميل الذي نرى صورته هنا



جامع الزيتونة من اجمل مساجد بلاد المغرب العربي وهو درة تزدان بها مدينة تونس ويرجع انشاؤه الى ايام الوالي العربي عبيد الله بن الحبحاب الذي حكم المغرب كله ابتداء من سنة ١١٤ هجرية ، وقد اعيد بناء المسجد على ايدي ولاة وامراء كثيرين آخرهم الخليفة المستنصر الحفصي

من منا يعرف ان جبال الفانستان تروع النفس بخضرتها وبهجتها ، وان شمال العراق وهو الموصل وما يليه شمالا بلاد رائعة الجمال من الممكن ان تكون احسن مصايف الدنيا ..

ومن منا يتصور جمال منطقة جبال العلويين في سوريا او جمال بلاد المغرب التي يذهب اليها الفرنسيون لممارسة رياضة الشتاء ؟ وفي عالم الاسلام بلاد تزينها تلك الخضرة التي تبهرك في اجمل بقاع الدنيا التي تعرفها ، وهل تعرف مثلا ان كشمير اكثر بلاد الدنيا خضرة ، وان معظم الذين يذهبون لصعود الهملايا يقصدون كشمير ليستريحوا ويستجموا قبل المحاولة ؟.

وهل تعرف ان اجمل شواطىء الدنيا على الاطلاق هي شواطىء البحر الابيض من غربي الاسكندرية الى تونس ، واننا اذا انشانا شركة عربية عامة للسياحة في البحر الابيض فان معظم السائحين الذين يزدحمون على الشواطىء الاسبانية سيجيئون الينا ، وان هذا المورد وحده كفيل بان يأتينا بمدد من المال يعدل اقصى ما يمكن ان يأتينا من اى مورد آخر بما في ذلك البترول ؟ .

لقد تنبه بلدان عربيان اثنان الى ذلك هما تونس والمغرب ، فجنيا من ذلك الملايين ، بل ان هناك جزيرة صغيرة تسمى جربة في خليج سدر الكبير ، وهي تابعة لتونس وقريبة من قابس ، هذه كانت جزيرة شبه قاحلة يسكنها قوم من الخوارج الاباضيين ، فتمكنت تونس ، بفضل حكومتها الرشيدة ان



البحرين تلك الجزيرة الصغيرة في الخليج العربي، تعتبر من اجمل بلاد الاسلام والعروبة ومن اكثرها خضرة .. وتحيط بالجزيرة الكبيرة جزر اخرى صغيرة تشابهها في الجمال والخصب مثل جزيرة النبي صالح التي يبدو منظر من مناظرها في هذه الصورة

تجعل منها مصيفا من اجمل مصايف الدنيا ، وأنت تذهب الى هناك فلا تصدق عينيك : عشرات الفنادق الحديثة الجميلة وشواطىء ممتدة على مرمى البصر وكل ما تتطلبه السياحة الحديثة من مطالب ، كل ذلك انشأه التونسيون بتفكيرهم الهادىء السليم ·

***

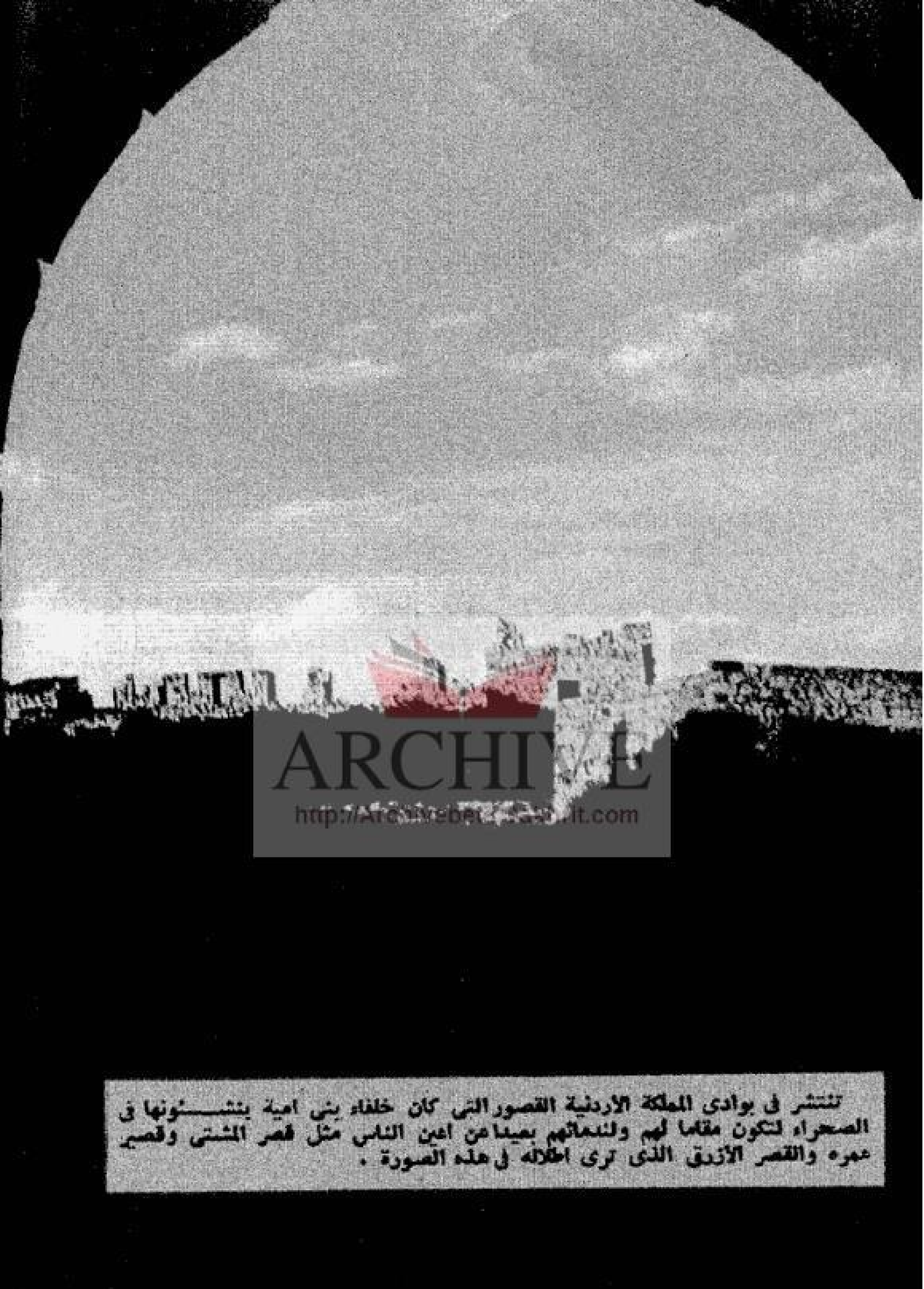
وهل تعرف ان اكبر بلد مصدر للبرتقال في الدنيا اليوم هي المملكة المغربية ؟ لقد تفوقت حتى على اسبانيا ، و « بورصة » البرتقال العالمية مركزها طنجة ، واسعاره تحدد من هناك، لقد حاولت اسرائيل ان تستولى على سوق البرتقال ففشلت امام المغرب ، لان اسرائيل فى حقيقتها كلام اجوف ،فكانت تشترى عشرات الالوف من اقفاص البرتقال المغربي وتاخذها الى ايطاليا وهناك تختم بعبارة « مستورد من اسرائيل » واوهمت الناس انها تنتجمن ارضها الصغيرة برتقالا يغطى كل اوربا ، ثم تنبه الناس الى ذلك اليوم ·

المهم عندنا ان بلادنا فيها من موارد الخير والثروة والجمال ، مايكفى لكى نسير الى الامام بخطوات اسرع مئات المرات مما نفعله اليوم ، ولكننا لانعرف بلادنا ولا نعرف كيف نستفيد منها ·

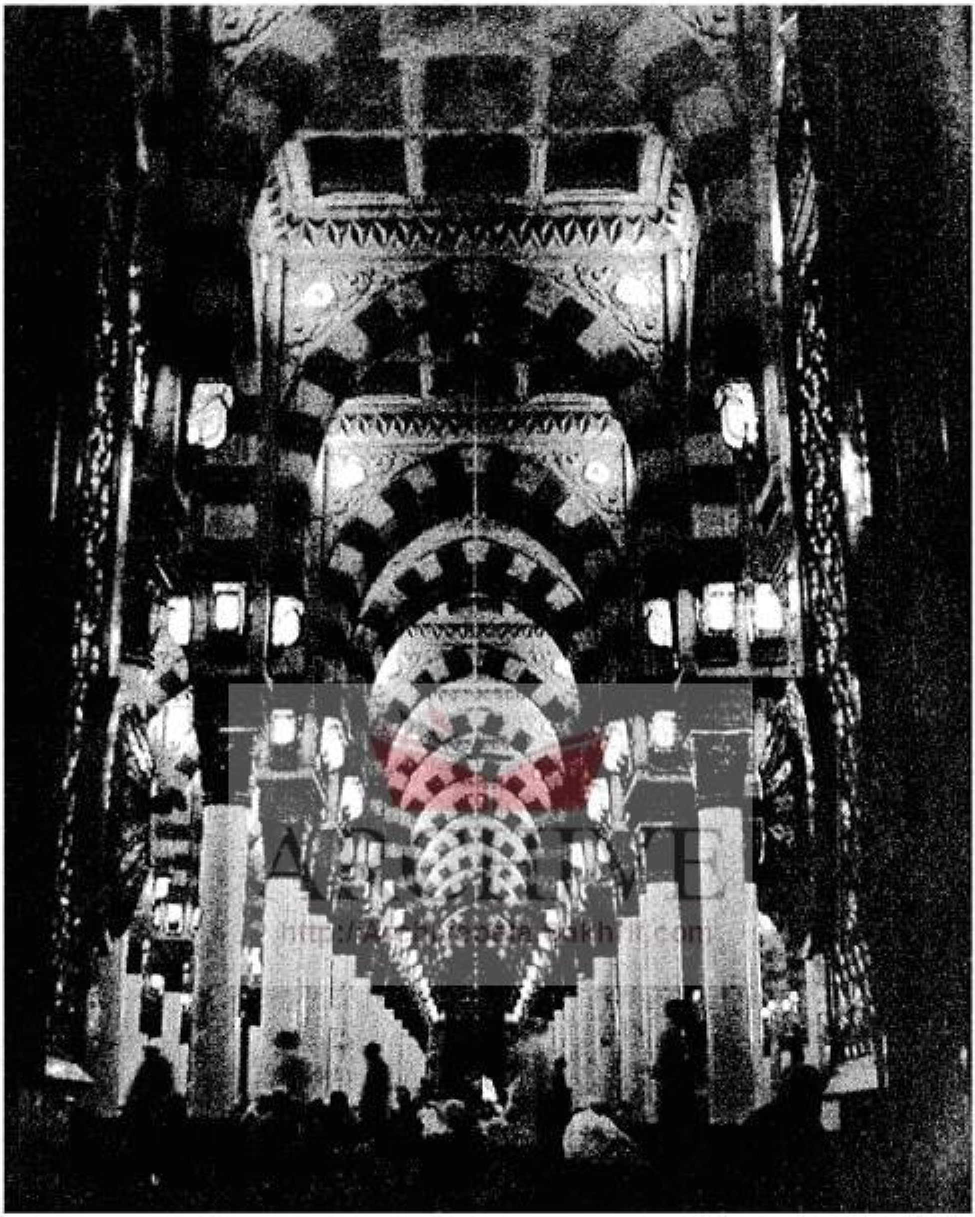
***

ليس يخاف على أحد أن عالم الاسلام يخوض معركة وجود ·

ولا ترجع هذه المعركة الى عداء خاص



تنتشر فى بوادى المملكة الاردنية القصور التى كان خلفاء بنى امية ينشئونها فى الصحراء لتكون مقاما لهم ولتنعمهم بعيدا عن اعين الناس مثل قصر المشتى وقصير عمره والقصر الازرق الذى ترى اطلاله فى هذه الصورة .



هذا الرواق الجميل يعرفه كل من اسعده الله بالحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة . انه الرواق الأوسط للزيادة الجديدة فى المسجد النبوى التى انشأتها الحكومة السعودية على اجمل صورة يتصورها العقل . الرواق كله من المرمر وهو من تصميم مجموعة من المهندسين المعماريين المصريين



● جامعة الخرطوم تعد من معالم النهضة العربية الكبرى وهي من أعظم جامعات العالم الاسلامي وتمتاز بمركزها الرفيع وعمارتها البديعة كما ترى في الصورة ●

بينناوبين غيرنا ، بل لان المنافسة القاتلة هي أساس سياسة اليوم . روسيا نفسها تخوض معركة حياة او موت .. الولايات المتحدة تكافح من أجل بقائها .. الصين مهددة بخطر الروسيا . واليابان يحاربونها بكل سبيل ، العصر كله عصر صراع مرير دموى ، ونحن من جملة العصر فلماذا نشكو ؟ .

بدلا من الشكوى علينا ان نواجه الدنيا كما ينبغي ان تواجه الدنيا .

والدنيا لا تواجه بالشكوى او المطالبة بالعدالة أو طرق ابواب هيئة الامم لان هيئة الامم ـ ومجلس الامن أيضا ـ تدافع عن وجودها الذى ينعدم شيئا فشيئا . انها اليوم مجرد منبر للكلام ، للكلام فقط ونحن اذا لجأنا اليها فكما يلجأ اى مظلوم إلى المحكمة وهو واثق من

ان المحكمة لن تعطيه شيئا ، لانها حتى لو حكمت لصالحه فان الحكم لن ينفذ .
اننا نجهل الدنيا كما نجهل أمور بلادنا .

اننا نعقد اجتماعا سريعا قمة ونتخذ قرارات تزلزل الجبال كما نظن ، ثم ننتظر فلا يتزلزل تل واحد . والسبب ان القرارات نفسها لا تغير من واقع الامور شيئا ، انما الذى يغيره هو التنفيذ السليم .

اننا مثلا ظننا ان مشكلة السياحة عندنا هى مشكلة الفنادق ، ولكننا ننسى أن مشكلة زائر القاهرة تبدأ من

جامع حسان يعتبر اثرا فريدا فى بابه فى تاريخ العمارة المغربية ، فقد شرع فى انشائه الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف المنصور بعد ان اتم انشاء مسجد اشبيليه الجامع . ولكنه مات قبل اتمام مسجد حسان ، فظل قائما كأنه سيطلونية لم تتم تشهد عليها تلك الصومعة البديعة فى مدينة الرباط .



ساعة نزوله المطار . حصوله على سيارة توصله الى الفندق مشكلة . بعض الزوار دفعوا ٢٠ جنيها ليصلوا الى الفندق

زائر اعرفه دفع جنيهين لينتقل من فندق شيراتون الى مبنى الجامعة العربية ليست المسألة مسألة فنادق فقط بل هى

مشكلة تفكيرنا الذى لم يتعلم الى اليوم كيف يفكر تفكيرا شاملا دقيقا حتى اذا حل مشكلة حلها فعلا لا مجرد توهمه انه حلها . . !

***

هل أقول ان مشكلة عالم الاسلام مشكلة عقلية ؟

فعلا ، هى مشكلة عقلية . .

مشكلة عقول لم تعرف بعد كيف تنظر الى الامور نظرا سليما وتقوم بالعمل قياما سليما وتعرف ان درهم تنفيذ سليم خير من قنطار تنفيذ اعرج لا ينفع فى شىء .

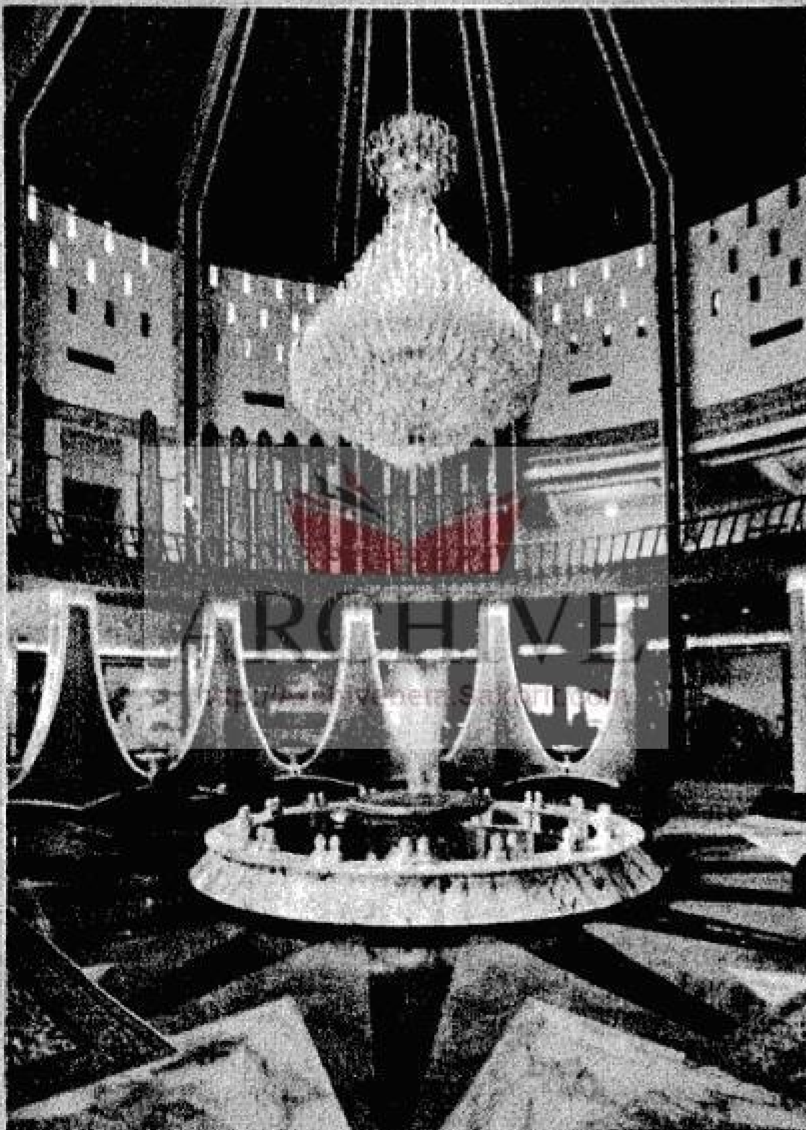
ان عالمنا الاسلامى جميل غنى قوى . وامامك صور منه تفيد ذلك ،ولكن عيبه نحن . . . عيبنا اننا لم نصح من النوم بعد ،ولم نفهم فى اى عصر نعيش واى تحديات نواجه .

وهل من المعقول ان بلدا عربيا يساعد مالطة بتقديم طائرات لها ، ويساعد الحبشة على القضاء على الاريتريين ، وهم عرب مسلمون ويترك أهل بلاده جهلة فقراء ويحسب أنه يغذيهم بخطبه او بصورة تعلق فى ميدان او بكتاب ملون دعاية للبلد يطبع فى ايطاليا ؟

اذا كنت لم تعرف بعد ما هو الكلام الفارغ ، فهذا هو الكلام الفارغ امامك . فكر وقل لى : الى أين ننتهى ؟

د . حسين مؤنس

من اجمل المنشآت المعمارية فى الكويت قصر السلام الذى يستعمل اليوم دار ضيافة ودارا للمؤتمرات وكله من الرخام والمرمر المختلف الالوان ويمتاز بعمارته الحديثة التى لا تخلو من جراة معمارية .



نجوى

• ابراهيم عيسى •

❋ إذا ما جَفّ زيتُ العمرِ في مشكاةِ أيامي
وغابَ النورُ إلا ومضةٌ في كَفّ أحلامي

❋ وتهتُ على دروب الليل أستجدي سنا الفجرِ
وتاهتْ عن يَدَيَّ عصايَ حتى حِرْتُ في أمري

❋ وكدتُ أذوب في بحرِ الحياةِ بغيرِ الآفِ
وضاعَت حِكمةُ الملاحِ لمّا ضاعَ مِجدافي

❋ وأغوَلَ موجُهُ العاتي .. على شهقات دمعاتي
وأصبحَ موجُهُ يعلو على صوتِ الضراعاتِ

❋ تمزّقني .. وتقذِفُ بي إلى المحراب والحانِ
فلُذتُ بنور توراتي وانجيلي وقرآني

❋ ورُحتُ أفِر من ذنبي .. وأصرخُ في متاهاتي :
أنا الظلماءُ يا ليلَ العذابِ .. فأين نجماتي ؟

❋ فإنْ مال السّنا عني .. وجفّت فوقه دمعه
وَرُحتُ أضيء في كهفِ الخطايا من دمي شمعه

❋ أرَى لله كفا تحتوي ذاتي وتكويني
وتمتد إلى روحٍ سَمَت عن عَالمِ الطينِ

الإسلام والأمن

● د . لواء كمال عبد الحميد ●

● مر بالقاهرة منذ ايام وفد امريكى من جماعة ((المورمانز)) ، وهى طائفة مسيحية محافظة تقيم بولاية ((اوتاه)) فى غرب الولايات المتحدة ، وكان بين اعضائها صديق قديم ، هو الدكتور ((وليم لوثر)) . عرفته منذ عشرين عاما بمدينة ((سولت ليك سيتى)) ، وكان عضوا بمجلس ادارة صندوق ((بيت المال)) الذى اقامته الطائفة لجميع التبرعات النقدية : ((الفوائض العينية من الهبات والهدايا التى يقدمها ابناء ((المورمانز)) لتكون رصيدا قائما متزايدا لسد حاجة المحتاجين)) .. وقد تضاعفت ارصدة الصندوق منذ سنوات طويلة حتى استطاعت الطائفة تغطية الخدمات ومستلزمات الحياة بالولاية كلها ، بل واستطاعت ان تقدم قروضا ومعونات للحكومة الاتحادية بواشنطن فى اوائل الثلاثينات ، عندما اختنق العالم بالازمة الشاملة .. وكانت هذه الصورة ماثلة فى ذهنى وانا اتهيا للقاء الضيف الذى عرفت عنه ومنه كل الخير والصدق ..

● وحرصت على لقاء الدكتور لوثر لاقدم له ما استطيع من الواجب ردا على ما قام به فى زيارتى لجماعته حيث شهدت عندهم صورة مثالية للمجتمع المتجانس المتعاون فى هدوء وانسجام ، فهم جميعا هناك يسعدون بالخدمة يقدمونها لمن يزورهم او يقصدهم ، لا يعرفون الكذب ولا الغش ولا النفاق .. يتمسكون بالحق وبكل الفضائل ويعيشون بالايثار والحب ، ولا يدخنون ولا يشربون الخمر ..

ورأيت فيهم صورة حية للمجتمع الذى دعت اليه شرائع السماء وأوضحه الاسلام بكل أبعاده من حقوق وواجبات مما دفعنى الى طلب المزيد من المعرفة عن فلسفتهم وعقيدتهم ، فلم أجدهم بعيدين عن الاسلام الا بالنسبة لنبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فهم يرونه قائدا ، ومصلحا اجتماعيا ، وزعيما انسانيا لا مثيل له... ويؤمنون بوحدانية الله ، وبأن عيسى هو نبيه ورسوله الأخير أكرمه الله منذ مولده ورعاه بالتأييد والمعجزات المادية ليواجه جدل وتحديات اليهود ..

دعوة جديدة لقمة دينية

● وفى لقائى الاخير بالدكتور لوثر علمت منه نبأ اهتمامه مع فريق من زعماء جماعته بالعمل من أجل الاعداد الى مؤتمر قمة عالمى لاقطاب وعلماء الاديان الثلاثة .. يمهدون له ليعقد فى ((سولت ليك سيتى)) لمناقشة وتحديد مواطن الخلاف فى التشريع بين

المذاهب والاديان ، املا فى معالجة تلك الخلافات او حصرها ، وذلك للرجوع بالمجتمع الدولى على اختلاف مذاهبه وعقائده الى الله من اقرب طريق .. ففى ذلك تحقيق السلام الدولى عمليا من طريق الشعوب ورجال الدين دون حاجة الى استمرار الانتظار لجهود القادة السياسيين ، بعد ان ثبت ان اكثر قادة الشرق والغرب يعملون من اجل الانفراد الى السيطرة على العالم ويرابطون بسلام الشعوب لمجرد الدعاية لانظمتهم وفلسفتهم الاستراتيجية .

● واضاف لوثر بانه لم يفقد الامل فيما سعى اليه منذ ثلاث سنوات منذ بدأت من مدينته الدعوة للحوار الدولى فى الاديان .. وان تحقيق مثل هذا الحوار سيكون فرصة للاحتكام العقلى لكل ما يفرزه الحوار من قضايا ، ولعل ذلك يؤدى الى وحدة فكر ، او وحدة عقيدة ولو على مراحل وليدة .. فيكون ذلك هو اعظم امل يتحقق للبشرية منذ خلقها الله ، ويسود السلام والوئام بين الناس ..

وكان تصور الرجل انه لابد وان يسبق هذا الحوار الدولى تمهيدات مرحلية تقوم بها قطاعات الاديان الثلاثة، فيجتمع المسيحيون لتوحيد جهود عملهم . وكذلك يوحد المسلمون كلمتهم وبالمثل يفعل اليهود .. وتكون المرحلة الاولى للحوار خاصة بالتشريع والسلوك الفردى والجماعى ، على اساس ان تترك جواهر العقائد الى مرحلة تالية بعد ان تظهر ثمرة وحدة التشريع الاجتماعى المقتبسة من الشرائع السماوية اولا ...

ولقد درس لوثر وزملاؤه الاسلام ، وعرفوا انه اكثر الاديان حصيلة وثروة فى التشريع ، ولكنهم مع ذلك يتحفظون بالنسبة لبعض القضايا . وكانت هى موضوع حوارنا المحدود بالنسبة لعلاقتها بامن المجتمع واستقراره ، اى باستراتيجية الامن للمجتمع ، على اساس ما تتضمنه الاستراتيجية من كافة الاعتبارات والتجهيزات المعنوية، والاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية بالمفهوم العصرى السائد

الاسلام والامن الاجتماعى

● وكان الموضوع الاول متعلقا بالامن الاجتماعى وموقف المراة فى المجتمع ، وخاصة وان الاسلام اباح صراحة تعدد الزوجات ، بجانب ما منحه لها من حرية كاملة فى التعامل والتحرك والاعتقاد الدينى والعمل السياسى والتجارى ، بما لم يتطرق اليه دين آخر وبذلك ظهرت امام غير المسلمين ما يشبه المتناقضات فيه حول موقفه من المراة .

● فكان الرد على هذه الاشارات او المتناقضات .. هو بان الاسلام اكرم المراة دائما بغير تناقض وباكثر مما كرمها اى تشريع مفروض او موضوع فقد منحها كل حقوق الحياة الكريمة ودعا الى تربيتها وتعليمها والحفاظ عليها واعطاها حق المبايعة((السياسية)) فى اختيار ولى الامر ، وامتدت حمايته لها حتى بعد وفاة زوجها او عائلها فاعطاها من الميراث وفرصة الزواج حتى ولو من رجل متزوج . فخير لها ان تعيش معه من ان تبقى طريدة او وحيدة ، فتضطر الى الانحراف وخاصة فى مجتمعات ما بعد الحروب حيث يقل عدد الرجال . وقد كانت اباحة تعدد الزوجات علاجا واقعيا مطهرا للمجتمع من التفاصى والاعتراف بذيوع العشق والفساد بين الازواج والزوجات كما هو الحال فعلا فى كل المجتمعات غير الاسلامية .. وللعلم ، فلم ينفرد الاسلام باباحة تعدد الزوجات من حيث المبدأ بل سمح به البابوات من كنيسة روما فى حالات كثيرة كحالة ملك فرنسا .. شارلمان !

وبالرغم مما أباحه الاســلام من تعدد الزوجات فقد اشـترط لذلك ضرورة العـدل فى المعاملة بين الزوجات مع ضمان القدرة على الانفـاق ، وسـمح بالتعـدد فى حالة مرض الزوجة أو فى كونها عاقرا ، فالأكـرم لها أن تبقى فى عصمة رجل متزوج بدلا من ان يستبدل بها زوجة أخـرى وتبقى هى بعـدها وحيدة فى مهب الريح ..

اذن ، جاءت حكمة تعـدد الزوجات لحماية المرأة أولا ، والمجتمع ثانيـا ، ومع ذلك أشار القرآن صراحة بالنسبة للعدل فى المعاملة بينهما بقوله : **« فان خفتم الا تعدلوا .. فواحدة »**

والأمن السياسى

● وبالنسبة لموضوع نظام وأسلوب الحـكم السـياسى فى المجتمع ، فقـد تعرض الاسلام للأركان الأسـاسية التى يقوم عليها الحـكم الشـورى ، وهى **المسـاواة والعـدل بين الجميع** ، فلا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى .. وأن يكون الأمر قائما على الشورى فلا تعسف ولا استبداد بالرأى ، وفتح مجال الاجتهاد لأولى الأمر للأخذ بما ينفع الناس وفقا لمقتضـيات التطور الفكرى والاجتمـاعى لقيـاس الأمور بأشباهها ــ **« فان تنـازعتم فى شىء فردوه الى الله ورسوله »** على أساس عرض موضوع الخلاف فى أى مشكلة على قواعد الدين وعلى أساس أن الطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر وبشرط أن **« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »** وأن يكون الاحتـكام الى العقـل موطن الحكمة مع الالتزام بالعدل والقسـط بين الجميع .. **« كونوا قوامين بالقسط شـهداء لله ولو على أنفسـكم .. أو الوالدين .. أو الأقربين »** ، وفى آية أخرى : **« اعدلوا هو أقرب للتقوى »**.

● **ولم يقم الاســلام كما زعم خصومه بحد السيف** .. ولم يدع الى العدوان والابادة ، بل كـانت دعوته دائما الى السلام والأمان ، ولو اقتضى ذلك الاضطرار الى القتـال دفاعا عن النفس والعقيدة والعـرض والأرض والحماية لها كلها .. ودعا الاســلام الى **التعايش** مع جميع النـاس ، ولم يفرض الاسلام نفسـه بالقوة أو القهـر **« وجادلهم بالتى هى أحســن »** ــ و **« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وهو محسن »** ــ **« كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء »**

ولقد اعتمد الاســلام على المنطق والحكمة بالاحتكام الى **العقـل الـذى أكرم الله به الانسان وفضله به على كل العـالمين** ، فبه **استحق آدم أن تسجد له الملائكة** ، فهم **« يفعلـون ما يؤمرون »** ، **أما الانسان فبعقله منحه الله نعمة وابتلاء الاختيار « ليميـز الخبيث من الطيب » فكان بذلك سيد الأكوان** ، **فبالعقل تميز الانســان** ، **وبالاسلام كملت للانســان وسيلته** .

دعا القـرآن الى تحكيم العقـل والاسترشاد بنوره الذى أودعـه الله فيه ، وأن يكون التدبر أساسا للعمل والتحـرك ــ **« أفلا يتدبرون القرآن »** .. وهل هناك وسيلة أو طريق أعظم لتكريم الانسان من أن يترك الله عـز وجل عبده ليقرر بنفســـه وبمحض اختيـــاره طريقه الى المعـرفة بنفسه وبالله ؟ « من عرف نفســه فقـد عرف ربه » .

هذا ما أوضحه الاسلام فى تكريمه للانسان ليختار طريقه ، ويختار أولى الأمر منه ، وهذا أسمى تطبيق لمفهوم

الحرية ..

الإسلام والحرب ..

● واما الحديث عن الحرب والسلام ، فقد دعا الاسلام الى السلام الحقيقي وحث على ضرورة الاستعداد لحماية وتأمين السلام حتى ولو اقتضى الامر خوض القتال من أجل السلام والكرامة والحرية وكلمة الحق ، وهذه كلها هي معالم سبيل الله ، ونص صراحة على عدم البدء بالعدوان « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا** » وأعلن بان « **الله لا يحب المعتدين** » .

ولم يتجاهل الاسلام حقيقة الحكمة في أن الحرب ظاهرة حتمية **لتطور الحياة** وهي ضرورية **لتطهير المجتمعات** من حين الى آخر **حفاظا على الحق واحياء له** « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** لفسدت الارض ولكن **الله ذو فضل** على العالمين »

ولهذا أوضح الاسلام .. آداب الحرب ، ودستورها، وضرورة الاستعداد لها ، لفرض الحق أو استخلاصه « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » ومع ذلك دعا الى السلم بقوله « **فان جنحوا للسلم فاجنح لها** » ، وقد أوصى الرسول قادته وجنوده وهو الذي «**لاينطق عن الهوى**»: أغزوا باسم الله وفي سبيل الله ولاتغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا، ولا شيخا ولاكبيرا ولا امرأة .. ولاتذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكلة .. ولا تهدموا بيتا، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة .. الخ » ..

الامن الاقتصادى للمجتمع

● وبقى موضوع هام يتعلق باستقرار وأمن الجبهة الداخلية وسياساتها القائمة على أمنها الاقتصادي ..

فلقد كانت « المشكلة أو المسألة الاقتصادية » **هي أخطر قضية واجهت الانسان منذ وجوده وبسببها اختصمت الجماعات وتقاتلت القبائل ، واشتعلت الحروب بين الدول والكتل الاقليمية وفي فلكها** دارت وتشتت المذاهب والفلسفات الايديولوجية بين الشرق والغرب وفيما بينهما ، **وقامت انظمة وعقائد** بين الاشتراكية والشيوعية والراسمالية وانظمة اخرى ، فشلت **كلها تماما فيما دعت اليه لتلبية حاجة** الانسان ورخائه واستقراره .. وها نحن نرى كل يوم تحولا وتطورا في النظريات والتطبيقات الاقتصادية ، وميل كل جانب الى خارج محوره ، والخروج تدريجيا عن مبادئه ومثله ونظرياته واستمرار **التعديل والترقيع** فيها ..

وذلك كله دليل فشل كل ما هو موجود من نظم ونظريات ، في حين أن تجربة التطبيق **للتشريع الاسلامى** سبق أن اثبتت نجاحا **فريدا لم يعرف** له مثيل في التاريخ حتى امتد ظلها من اقصى الصين شرقا الى الاندلس غربا في أقل من نصف قرن ، بما عجزت عن تحقيق مثله كل قوى الأرض بالرغم مما تملكه حاليا من كافة مقومات الفتح والانتشار والاستثمار ..

نعم ، كانت شريعة الاسلام هي وحدها التى حققت الاستقرار ، والرخاء ، والسلام ، والقوة .. فلقد احترمت للفرد حقه في الحياة والكسب والعمل والامتلاك ، وفرضت في نفس الوقت الزكاة وحق المجتمع على

الافراد ، فصار العطاء عاما ومنتشرا وفتح الاسلام ميدان الارث ونظم قواعد التوريث تقضي بهدوء واقتناع على النظام الطبقي ، واوسع دائرة الانتفاع بالملكية بين الورثة ، فلا حقد ولا ضغينة . وقد قال «لوبون» عن ذلك في كتابه « حضارة العرب » بأن **«مبادئ المواريث التى نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف» كما فتح الاسلام مجال التوصية للانفاق على وجوه الخير والايتام والفقراء وفي سبيل الله .. وحدد للفقراء حقوقهم في الغنائم والفيء ، وحرم تكنيز الاموال ، ودعا الى توظيفها واستثمارها لصالح المجموع كما دعا صراحة الى عدم الاسراف وحث على الاعتدال والادخار ووصف المبذرين بأنهم « اخوان الشياطين » .. وشدد على الحفاظ على اموال اليتامى والقصر الى ان يبلغوا اشدهم ، والى ضرورة التعاقد المكتوب في المعاملات وبوجود شهود ، منعا للحساسيات والخصومات والقلق في التعامل .. وحرم الربا ودعا الى حرية التجارة ، وحث على الانفاق في سبيل الله ، وان يكون الانفاق من طيبات ما رزق الله به عباده ، وحرم القمار والتلاعب بالكيل والميزان ..**

وهكذا تعرض الاسلام في صراحة وقوة لمعالجة كل قضايا الاقتصاد بالحكمة التي اظهرها الله في كتابه الكريم وبذلك كانت استراتيجية الاقتصاد الاسلامي فريدة في مكوناتها وقواعدها على مستوى مسئولية حاجة الفرد والجماعة . وبذلك تقط تحل كل مشكلات الحياة من الفقر ، والقلق والفساد ، والاحقاد، فتستقر المجتمعات ويسود الرخاء ، وهذه غاية الغايات لكل ما قدمته البشرية من محاولات في التشريع والتقنين ، وباءت كلها ــ وهي بعيدة عن شريعة الله ــ بالفساد والفشل المبين

التسلح الخلقى والقلق

وكان آخر ما تحدثنا عنه ، تعليقا على انباء مذبحة « معبد الشعب » التى اعدها القس « جونز » في جويانا ــ ان علق الدكتور لوثر ذلك بقوله بأن هناك جماعات كثيرة اتجهت الى الشذوذ في الفكر والسلوك هربا من اليأس والضياع ، وخاصة بعد حرب فيتنام التي طالت باكثر مما استغرقته اى حرب اشتركت فيها الولايات المتحدة ، ومع ذلك لم يعلم اى مواطن امريكي حكمة التورط في تلك الحرب في الوقت الذى عرف فيه بلاده بأنها الداعية الى الحرية والسلام ... وبذلك راى الامريكيون تناقضا عجيبا ولفاقا اعجب من القادة والساسة لافي بلدهم وحدها بل وفي العالم كله ، فتحطمت المثل العليا الديمقراطية والصدق السياسي والتعاون الدولي ، فانحرف الشباب بصفة خاصة الي الجنس ، وادمان المخدرات وممارسة الجريمة باصرار وتفنن كسلوك للتمرد والتحدى ..

وكان رد الفعل الثاني ، الاتجاه او الهرب الى منافذ اخرى والاستجابة السريعة الى اى دعوة براقة تستقطب النفوس الهائمة للهروب الي السلام سواء بالتسلح الخلقى الحقيقي كما حدث في جماعة الدكتور فرانك بكمان في سويسرا ، او في الدعوة الى الخلوات الدينية ، كما دعا القس جونز وغيره من اصحاب الدعوات والطقوس الشاذة ..

● وهنا نقول ان الاسلام دعا فى وضوح وطمانينة الى الاصلاح بكل صورة ، اصلاح للبدن والنفس والعقل والروح .. اصلاح للفرد والجماعة والمجتمع .. والعمل الايجابى للانتاج والخدمات ، ووضع حدود المعاملات بين الناس ، وشرع احكام هذه المعاملات من ثواب وعقاب . وخص بالجزاء الذى أوضحه الله بحكمته بالنسبة للجرائم الكبرى حتى لايكون فيها جدل أو اجتهاد أو ميل عاطفى ، وهى :«الجرائم .. القتل ، والسرقة والزنا ، وقطع الطريق، والفتنة والبغى، والقذف..» فلا هوادة مع الآثمين فيها ، وترك مع ذلك حدود الجزاء فى غير ذلك من الجرائم لأولى الأمر لتحديد العقاب وفق ظروف الزمان والمكان ، وخصوصا للجرائم الشائعة الناجمة من احتكاكات المصالح والبشر اليومية ..

● ولعل موضوع قطع يد السارق كان أكثر ما تحدث الناس من غير المسلمين عنه ، ومع ذلك فقد شرط الاسلام فيه اعتبارات معينة لتحديد تنفيذ القطع ، فمثلا :

● شرط ان يكون السارق عاقلا ورشيدا .

● وان لا تكون السرقة بسبب الجوع أو الحاجة الشديدة .

● واذا كانت السرقة من مال الغير وليس للسارق حصة فيه .

● واذا كان المال المسروق،متحفظا عليه ، اى ليس مشاعا كالأنعام التى التى ترعى فى الطريق بغير راع .

وهكذا جاء الاسلام ملائما ومهيا لكل عصر ، ومن يدرسه بامعان يكتشف فيه المزيد من المعرفة ونور الحق فهو بالفعل شريعة السماء التى اهداها الله نعمة كاملة للانسانية لتكون لها نبراسا دائما على كل العصور من اجل استمرار الحياة كما أرادها الله نعمة لعباده . ولقد صدق قوله عز وجل :

« اليوم اكملت لكم دينكم .. واتممت عليكم نعمتى .. ورضيت لكم الاسلام دينا »

وبذلك ختمنا حديثنا مع ضيفنا الذى غادر مع جماعته مصر الى الشرق ليجمع معلوماته ويمهد لدعوته الى مؤتمر قمة الاديان ، من اجل العودة الى الله ... من اجل السلام ..

فى العدد القادم

نتيجة مسابقة :

لا تصدق كل ما تقرا

لا تزال لجنة المسابقات فى «الهلال» توالى فحص ردود المشتركين فى مسابقة « لا تصدق كل ما تقرا » لاختيار الاجابات الصحيحة من بين آلاف الرسائل التى حملها البريد الينا طوال فترة المسابقة ....
وسوف تجرى القرعة بين اصحاب الردود الصحيحة
ونعلن اسماء الفائزين فى العدد القادم باذن الله

المناهج الإسلامية الحالية لا تمثل الإسلام الصحيح

● د . احمد شلبى ●

● عندما نقول ان الاسلام يناسب العصر الذى نعيش فيه، فان ذلك يدخل ضمن النطاق الذى اتفق عليه المسلمون، وهو ان الاسلام دين كل زمان ومكان، وليس هذا القول منبعثا عن تسرع أو عصبية دينية ، بل هو نتيجة لاستقراء تاريخى ، ولتتبع الاحداث .

فاذا نظرنا الى الاقطار التي استقر الاسلام بها فى هذه المساحة الشاسعة من الأرض وبين الشعوب السامية او الآرية او الحامية ، نجد ان جميع هؤلاء الاجناس لم تحس أبدا ان الاسلام وافد غريب ، وانما احست انه دين لها ، تعمقت فى ثقافته ، ونعمت بتشريعاته ، وظهر فيها مفكرون فى الدراسات الاسلامية على مستوى رفيع ...

ففى اندونيسيا ظهر محمد ناصر ، ومحمد حتى ، وشكرو امينوتو .. وفى افريقيا ظهر عثمان انفديو ، واحمدو بولو ... وفى الهند وباكستان ظهر اقبال ومولاى محمد على ... وفى افغانستان وفى كل منطقة فى العالم الاسلامى تجد علماء من اهل المنطقة ، وهو شىء لا تكاد نجد له نظيرا بين الأديان الأخرى ، فلا يزال البيض يقودون الكنائس والبيع فى ربوع افريقيا وجنوب شرقى آسيا على الرغم من أن المسيحية دخلت هذه البقاع منذ عدة قرون ...

وتعتبر مصر بحق نموذجا فريدا على ان الاسلام دين كل زمان ومكان ، فقد تلقت مصر الدين الاسلامى الذى حمله العرب الوافدون به من الجزيرة العربية، وتلقت مصر كذلك لغة القرآن من هؤلاء الوافدين ، وسرعان ماقامت بمصر مدرسة اسلامية واصلت جهدها وجهادها حتى أجادت الدراسات الاسلامية واللغة العربية خير اجادة ، وقدر لها أن تحمل هذه الدراسات الى الجامعات فى مهبط الوحى ، وتحمل اللغة العربية الى معاقل العرب فى نجد

والرياض ، وهو بدون شك معجزة للاسلام الذى يناسب الأبيض والأشقر والاسود والاصفر دون تفريق ، ويلبي حاجات الجميع دون استثناء فى كل عهد وكل مكان .

***

وفى الاسلام كذلك كل الدراسات التى تربي الفرد والمجتمع ، فيه السياسة والاقتصاد وتنظيم المجتمع وحقوق المرأة وجذور الحرية الكاملة للعقل وللانسان ، وقد كان موقف الاسلام من الرق اساسا لتحرير الرقيق وانقضاء عهد العبودية .

ولكنا نصل بذلك الى نقطة هامة ، هى ان الاسلام الذى يناسب العصر هو الاسلام الذى جاء به محمد بن عبد الله من عند ربه والذى تجلى فى القرآن الكريم واحاديث الرسول والسلف الصالح ، وليس الاسلام الذى يعلمه الأزهر او المعاهد التى تسمى نفسها معاهد اسلامية والتى تسير على نهج الأزهر فى الدراسات ، وانا اقول ذلك وانا ازهري النشأة ، فقد تلقيت فى معهد الزقازيق ماسموه العلوم الاسلامية واللغة العربية مدة تسع سنوات ، كنت خلالها اول الناجحين ، ولكنى لم اذق للاسلام طعما اكثر مما عرفته فى قريتي قبل ان التحق بالأزهر ، وانما خضت فى اسرائيليات التفسير وفيما حوته كتب التفسير من نحو وفقه وبلاغة جعلت ماكان واضحا من معانى القرآن يصبح غامضا ، وخضت فى فقه مذهبى تبرز فيه العصبية المذهبية ، وتكثر فيه التفاصيل المملة والفروض التى لا يمكن ان تحصل ، كما تكثر فيه الحيل ...

ولم اعرف كتب التراث فى اللغة العربية ، اذ كانت علوم اللغة عندنا هى النحو والصرف او قل شواذ النحو والصرف ، اما اللغة نفسها وادبها وشعرها ، فلم ننعم به الا بعد ان نفض بعض الطلاب الطوق وبدأنا نقرأ كتب الجاحظ والاصفهاني والقالى والمنفلوطى والرافعى ، وشعر المتنبى وابى العلاء وشوقى . وقد اعتبرنا القوم آنذاك متمردين على الدراسات الأزهرية ، وعندما تفتقت السنتنا عن الشعر والمقال رمونا بالمروق والبعد عن الجادة .

ومن اجل هذا فنحن نصرخ صرخة نريدها ان تقبل او تدرس ، ولكننا لن نسمح لجماعة اللامبالاة بوأدها ، وهى: ان تعود الدراسات الاسلامية الى عصر صدر الاسلام ، نريد ان نعود بهذه الدراسات الى أصولها الخالدة لتنبثق كل الدراسات الاسلامية من القرآن الكريم واحاديث الرسول ، فان من يدرس تاريخ المناهج الاسلامية يرى بوضوح ان العلوم الاسلامية الصحيحة التى تحدث عنها كتاب الله وعنى بها رسول الله قد عبثت بها عصور الظلام ، تقلت شطرها وانحرفت بالشطر الاخر، قتلت علم مقارنة الاديان وعلم الحضارة الاسلامية ، فلم يعد المسلم يعرف من الأديان الأخرى شيئا ، مع أن القرآن تحدث عن اليهود واليهودية والمسيح والمسيحية وعن عبادة الاصنام والطاغوت والملائكة والشياطين ... وسماها أديانا مع بطلانها ، قال تعالى : « لكم دينكم ولى دين » وأورد القرآن آيات تحث على مباشرة هذا العلم وآيات اخرى تحمل نماذج من المقارنة ، قال تعالى :

ـ « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (العنكبوت ٤٦) .

ـ « وجادلهم بالتي هي احسن » (النحل ١٢٥) .

ـ « افمن يخلق كمن لا يخلق » (النحل ٦٧) .

ـ « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (الأنبياء ١٢٢) .

ـ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » (المؤمنون ٩١) .

وقد عنى الصدر الاسلامى الأول بهذا العلم وكتب فيه العلماء المسلمون الأول اروع كتابة مثل النوبختى (٢٠٢ هـ) والمسعودى (٣٤٦ هـ) والمسبحى (٤٢٠ هـ) والبغدادى (٤٢٩ هـ) وابن حزم (٤٥٦ هـ) والشهرستانى (٥٤٨ هـ) .

ذلك علم قد وأده عصر الظلام ولايزال موءودا ، ولم نر منه كلمة واحدة خلال تسع سنوات درسناها في الأزهر ، مع اننا درسنا الفقه والتفسير والنحو والصرف دراسة متكررة ومملة ، ولم يدخل علم مقارنة الأديان المناهج الأزهرية الا لشعبة صغيرة في كلية اصول الدين ، ويدرس فيها كأنه شيء دخيل وكائن غريب .

وكما قتل علم مقارنة الأديان ، قتل علم الحضارة الاسلامية ، ذلك العلم الذى يبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى في مجال السياسة والاقتصاد والتربية والحياة الاجتماعية والسلم والحرب وغيرها . وآيات القرآن الكريم حافلة بالحديث عن هذه الموضوعات التي لو احيينا دراستها فاننا نبرز أن الاسلام هو دعامة العصر ومجد العصر وانقاذ العصر من كل ما يحيط به من آلام ودموع . ويدخل في الحضارة الاسلامية فرعان مهمان هما :

١ ـ حضارة الخلق ، وهي الحضارة التي ابتكرها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام كالنهج الاسلامى في السياسة والاقتصاد .

٢ ـ حضارة البعث والاحياء ، وهي الحضارة التي كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت ، ثم أحياها المسلمون وطوروها ، وابتكروا في مجالاتها ، وهي الحضارة المرتبطة بالعلوم التجريبية ، كالطب والرياضة والفلك والموسيقى وغيرها .

***

ذلك هو شطر العلوم الذى وأده عصر الظلام ، اما الشطر الآخر الذى انحرف به ، فهو الفقه والتفسير واللغة العربية . فلقد اصبح الفقه ـ كما قلنا آنفا ـ مذهبيا لا يعنى بحكمة التشريع وانما يعنى بالحيل والفروض المضحكة، واصبح التفسير اسرائيليات وخرافات، واصبحت اللغة العربية نحوا وصرفا ،

او قل شواذ النحو والصرف ، وتعجب عندما ترى الطالب عربي النشأة واللسان يدخل كلية اللغة العربية ، او كلية دار العلوم حيث تخصص له حوالي عشرين ساعة أسبوعيا لعلوم اللغة العربية مدة اربع سنوات ، ثم يخرج ضعيفا في اللغة العربية ، لا يستطيع ان يعبر عن نفسه متكلما او كاتبا ، ولا يستطيع ان يقيم لسانه .. مع أن خمس ساعات أسبوعيا مدة عام أو عامين كافية لاجادة لغة جديدة كاللاتينية والعبرية .

وقد قلنا هذا عدة مرات وناقشناه فلم نجد معارضا ، ومع هذا فالمناهج هي المناهج ، كأنها شيء مقدس لا يمكن التغيير فيه أو المساس به .

***

ولم تكتف عصور الظلام بقتل شطر المناهج الاسلامية والانحراف بشطرها الآخر ، بل خلقت مجموعة من العلوم الموتة ، ودفعتها الى المناهج على انها علوم اسلامية ، وهي في الحقيقة بعيدة عن الاسلام أو عدوة للاسلام ، كعلم الكلام ، والمنطق ، والفلسفة . ويقول استاذ الفلسفة بكلية دار العلوم عما يسمى الفلسفة الاسلامية انها ليست الا فلسفة يونانية بلسان عربي وقد زينت بافكار أخلاقية ودينية . ولكن هذه الاضافات لا تشكل جوهرا ولا أساسا في هذه الفلسفة .

***

وبعد ، أن الاسلام دين هذا العصر وكل عصر ، وفيه الدواء لما تعانيه الانسانية من آلام ، فيه النظم في كل مجال ، وفيه الأخلاق التى خلا منها الشرق أكثر مما خلا الغرب ، ولكن أكثر مايدرسه في المعاهد والكليات الاسلامية باسم الاسلام لا يمثل الاسلام الحقيقي ، او على احسن الأحوال يحتاج الى كثير من التنقيح والتهذيب .

وقد شكا الامام محمد عبده من التعليم في الأزهر ، وقال عنه : « قضيت سنة ونصف سنة لا افهم شيئا لرداءة التعليم ، فادركني اليأس وهربت من الدرس ، وهذا الأثر يجده ٩٥ ٪ من الطلاب في الأزهر ، ولكنهم يظلون على سوء الحال حتى يكبروا ويبتلى بهم الناس » .

ومنذ فترة ليست بعيدة ، ظهر في الولايات المتحدة اقبال على الاسلام وعلى اللغة العربية ، وممن دخل الاسلام شابان أمريكيان قرءا بعض الدراسات الاسلامية وتعلما اللغة العربية ، وقد رحبت احدى الدول الاسلامية بهذا الاقبال فخصصت منحتين لهذين الطالبين النابغين ليتعلما في الجامعات الاسلامية بها .

وفرح الطالبان بهذه المنحة ، وسرعان ماشدا الرحال الى الجامعة الاسلامية العربية ، والتحقا بحلقات العلم ، وظلا على ذلك بضعة شهور ، ثم اقبلا على

ما اقبل عليه الأستاذ الامام من قبل ، فشدا الرحال مرة اخرى للعودة للوطن، ولما سئلا عن ذلك اجابا بان ما يسمعانه في المحاضرات بعيد عن الاسلام ولا يجذبهما اليه ، فخلال هذه الشهور كان الحديث عن انواع المياه وعن الجبيرة وعن المنطق وعلم الكلام وشواذ القواعد وما لهذا جاء هذان الطالبان وتركا الوطن والأهلين ، وصرخ الطالبان : اين الفكر الاسلامي ؟ واين حضارة الاسلام ؟ واين اخلاقه ؟ واين اللغة العربية الفصحى وبلاغتها ؟

ما اجدر هذين الطالبين بالاشفاق ، لم يجدا في معاهد الاسلام اسلاما ، نقنعا بما عرفا من مبادىء جذبتهما من قبل الى الاسلام ، وعادا قبل أن تأخذهما دوامة المناهج الحالية .

وامتد العقوق بالاسلام الى الجامعات المدنية ، نكليات التجارة والاقتصاد بالعالم الاسلامى تدرس فيها كل النظم حتى التى ثبت فشلها ولكنها لا يدرس بها النهج الاسلامى فى الاقتصاد ، وقل مثل هذا عن كليات العلوم السياسية وكليات التربية ، والكليات العسكرية ، وأغلب الظن أن الكليات المدنية تأثرت بالكليات الاسلامية ، اذ أن هذه لا تدرس الاتجاهات الاسلامية فى هذه المجالات، فكيف تدرسها الجامعات المدنية .

***

بقيت كلمة عما يسمى تطوير الأزهر ، وهى كلمة ترتبط بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، والمطلعون يقررون ان هذا القانون أجدر به أن يسمى تدمير الأزهر، لأنه فتح فى الأزهر كليات عملية للطب والهندسة والعلوم ونحن نرحب بذلك ، ولكن هذه الكليات جذبت خيرة الشباب الأزهرى الذى يحصل على ثانوية الأزهر، ولم تترك الكليات العملية لكليات (الشريعة واصول الدين) الا الفتات ، فحرم الدراسات الأزهرية من نوابغ الطلاب الأزهريين ، وهى مؤامرة على الاسلام ينبغى ايقافها ، ثم أن الكليات العملية بالأزهر بها سنة تمهيدية وهذه السنة تحرم هذه الكليات من المتازين فى الثانوية العامة حتى لا يضيعوا عاما من اعمارهم دون جدوى ، ويكبر الخطب عندما نقرر أمرا مسلما به هو أن الدراسات التى تقدم للطلبة فى هذه السنة التمهيدية لا تستهوى الطلاب بهذه الكليات ، وليست الا نموذجا من الدراسات العقيمة .

وعلى هذا ، فيمكننا أن نقول ان الاسلام هو دين العصر دون شك ، ولكن كيف نحصل على الاسلام الصحيح اذا كانت مناهج الأزهر والمعاهد الاسلامية غارقة فيما قررته عصور الظلام ، وهذا قول يوشك ان يكون موضع أجماع .

ولذلك نصرخ : اعيدوا النظر فى المناهج الاسلامية ، فان لم تفعلوا فقد بلغنا ، واللهم اشهد . ●

د . احمد شلبى
استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية
كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

كادت انجلترا تعتنق الإسلام

«الهلال» تسبق الصنداى تايمز بربع قرن

● مصطفى الشهاوى ●

نشرت « الاهرام » فى عددها الصادر يوم ١١ من نوفمبر ١٩٧٨ بحثا مترجما عن جريدة «الصنداى تيمز» الانجليزية ، وعنوانه «كادت بريطانيا تصبح امارة اسلامية» .

وقد بدات « الصنداى تيمز » بحثها بعبارة : « كشف تاريخى فريد ، اثبت ان بريطانيا اوشكت ذات مرة ان تتحول الى امارة عربية تابعة لسلطان المغرب والاندلس محمد الناصر ، أوائل القرن الثالث عشر ، طواعية وباختيار الملك جون الاول الذى عرض ان يعتنق الاسلام هو ورجال بلاطه وشعبه ، وان يكون تابعا مخلصا للسلطان .. فقط ، اذا قبل السلطان ان يبسط عليه حمايته ... الخ » .

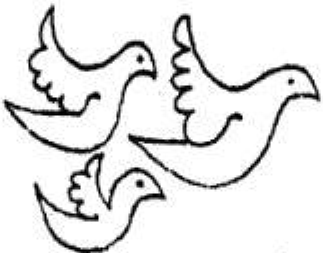
ثم يستطرد البحث فى ذكر الاحداث التى وقعت بعدئذ ...

وهذا الكشف التاريخى الفريد ، كما وصفته « الصنداى تيمز » سبق ان كتبت عنه مجلة « الهلال » فى عدد مايو عام ١٩٥١ اى منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما ، وكان ذلك احد القصص والطرائف التاريخية التى ينشرها « الهلال » .

وكان مقال «الهلال» ــ الذى كتبه الأستاذ مصطفى الشهابى ــ تحت عنوان : «كادت انجلترا تعتنق الاسلام» يشمل الكثير من الحقائق التى وردت فى ترجمة «الأهرام» لبحث « الصنداى تيمز » ويزيد عليها ان ملك انجلترا تعهد بدفع جزية ، وان السلطان الناصر رفض هذا العرض وقال لرسل الملك : « انى عليم ببواطن الامور ، ان ملككم بدا يخرف بتاثير الشيخوخة ، وهو غير جدير بتحالفى معه ، اغربوا عنى ..! ان فضائح ملككم قد زكمت انفى » ! ..

وهكذا سبقت مجلة « الهلال » جريدة « الصنداى تيمز » الانجليزية باكثر من ربع قرن الى الكتابة عن موضوع يتناول حدثا هاما وطريفا فى تاريخ انجلترا ...

مادة السلام



في القرآن

• د. احمد الشرباصي •

مادة « السلام » لغة في معظم احوالها – كما في مقاييس اللغة لابن فارس – تدل على الصحة والعافية ؛ والسلامة هي ان يسلم الانسان من العاهة والأذى ، والله جل جلاله هو السلام ، لسلامته سبحانه مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء ، والاسلام هو الانقياد ، لأنه يسلم من الاباء والامتناع ، ويقال سلم من البلاء ومن المرض : برئ وسلمه الله .

والسلام : المسالمة والسلم والاسلام واحد ، وسمى الله بالسلام ، وهو اسم من اسمائه الحسنى ، وقد ذكر في سورة الحشر : « هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يصفون » . وذلك لأنه مصدر السلامة والسلام والامان .

ويأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول في السلام كافة ، فيقول في سورة البقرة : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » أى يأيها الذين صدقوا الله ورسوله : ادخلوا في الاسلام والسلام ، اى دوموا عليه جميعا ، ولا تتبعوا آثار الشيطان ونزغاته ، فهو ظاهر العداوة لكم .

ويأمر القرآن بالاستجابة الى دعوة السلام والامان ، فيقول في سورة الانفال : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » : ان مالوا الى السلام ، وارادوا المسالمة والمصالحة ، فمل الى السلام ، واقبل منهم ذلك ، وتوكل على الله فانه كافيك وحده .

وقد جاء في الحديث الشريف : « سيكون بعدى اختلاف ، فان استطعت أن يكون السلم فافعل » . ويدعو القرآن

أهل الكتاب أن يجتمعوا مع المسلمين في التوحيد والمساواة ، وعدم الاعراض عن نداء الحق ، فان عارضوا فاستمسكوا باسلامكم وايمانكم ، فيقول في سورة آل عمران : « **قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم، الانعبدالا الله ولا نشرك بهشيئا ولا يتخذ بعضنابعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** » : أي يا أهل الكتاب ــ من اليهود والنصارى ــ تعالوا الى كلمة مفيدة عادلة نستوي نحن وأنتم فيها : لا نعبد الا الله وحده ، ولا نعبد وثنا ولا صنما ولا طاغوتا ، ولا اي شيء سوى الله الواحد ، نفرده بالعبادة لا شريك له ، ولا يطيع بعضنا بعضا في عصيان الله ، فان أعرضوا عن هذا الانصاف وتولوا ، فأشهدوهم أنتم على استمراركم في الاسلام ، والاسلام مشتق من السلام والمسالمة ، والمعنى أسلموا انفسكم ونفوسكم لله في خضوع وانقياد.

وقد أمر الله عباده بأن يحافظوا على هذا الاسلام طيلة حياتهم ، فيكون مصاحبا لهم ماداموا احياء ، يحيون به ويموتون وهم عليه ، فقال في سورة آل عمران : « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون** » : اي جاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ، وحافظوا على الاسلام دعوة السلام ، فمن شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه .

●●●

وهذا هو الاسلام يعلم اتباعه الاعراض عن الباطل في القول والعمل، وان يقابلوا المبطلين واللاغين والجاهلين في اعمالهم وسلوكهم بالسلام ودعوة السلام، فيقول في سورة القصص : « **واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** » وقد أمر الحق جل جلاله بأن يجتمع الناس على هدى الله ، واسلام النفوس اليه ، فقال في سورة الانعام : « **قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين** » : **نخلص له العبادة وحده ، لا شريك له، واسلمنا امرنا اليه** .

ويقرر لنا كتاب الله ان السلام موقوف على الاتجاه الى الله ،والاستمداد من هداه ، فيقول في سورة طه : « **والسلام على من اتبع الهدى** » : اي السلام عليك ان اتبعت هدى الله . ولهذا لما كتب رسول الله الى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله : « **بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، فاسلم تسلم ، يؤتك الله اجرك مرتين** » .

ولهذا قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون : « **والسلام على من اتبع الهدى . انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى** » : أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه الينا من الوحي المعصوم أن العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله ، وتولى عن طاعته ، كما قال الله تعالى: « **فاما من طغى. وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هي المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هي المأوى** » .

وقد عني الاسلام عناية شديدة بأمر السلام ، فجعل السلام تحية يلقيها المسلم على من عرف ومن لم يعرف ، ومن تعبيرات السنة الرائعة أن السنة تدعو المسلم الى « بذل السلام للعالم » .

ونتذكر هنا قول القرآن الكريم « **ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة. كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا** » .

وجعل السلام من المسلم على النبي واجبا ، فقال تعالى : « **ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** » . وجعل من عبارة التشهد في كل صلاة قول

المسلم: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» .

كما دعا المسلمين ان يسلموا على انفسهم ، وعلى كل عبد من عباد الله الصالحين ، ففى التشهد : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » وجعل ختام الصلاة بالسلام ، بالتسليم يمينا ويسارا حين ينصرف منها المصلى قائلا: « السلام عليكم ورحمة الله » .

وفى السنة ان المصلى يقول بعد السلام داعيا : « اللهم انت السلام ، ومنك السلام ، واليك يعود السلام .. نحينا ربنا بالسلام » . واذا كان الاسلام قد حث المسلم على القاء السلام ، وجعل هذا الالقاء سنة ، فقد جعل رد السلام ممن ألقى اليه امرا مفروضا.

ومن العجيب ان كلمة الاسلام وهى اساس العقيدة مشتقة من مادة السلام .. وقد ذكر الله تعالى القاء السلام على المرسلين ، فقال في سورة الصافات: « سلام على المرسلين » . وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين » . وقال الله تعالى في الصافات ايضا : « سلام على ابراهيم » وقال ايضا : « سلام على نوح في العالمين » . وقال ايضا : «سلام على موسى وهارون » . وقال : « سلام على آل ياسين » .

وقد جعل الله ميزة ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، أنها ليلة سلام، يسلم فيها الملائكة على أهل المساجد حتى يطلع الفجر : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

***

والاسلام الذى هو اسلام الوجه لله، والخضوع لأمره ، والانقياد لطاعته ، هو صفة أهل الايمان أينما كانوا ، ولذلك قال الله تعالى في آل عمران: « **ان الدين عند الله الاسلام** » وقال أيضا : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه**» وقال في سورة المائدة : « **ورضيت لكم الاسلام دينا**» . وقال في سورة الانعام: « **فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام** » .

وفى القرآن شواهد كثيرة على ان الاسلام ــ وهو اسلام النفس لخالقها ــ كان دين المؤمنين من فجر التاريخ ، فالاسلام كان دعوة سليمان ، ولذلك يقول القرآن في سورة النمل : «**انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم. الا تعلوا على واتونى مسلمين** » . أى لا تتجبروا على واتونى مخلصين مطيعين .

ولقد كان ابراهيم على الاسلام من قديم الزمان ، وها هو ذا القرآن فى سورة البقرة يقول عن ابراهيم واسماعيل : «**واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم** » .

ثم يتحدث عقب ذلك عن ابراهيم فيقول : « **اذ قال له ربه اسلم قال : اسلمت لرب العالمين. ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون. ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى، قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون**».

فانت ترى هؤلاء اجمعين وذريتهم كانوا مسلمين ، وعاد القرآن الى تأييد ذلك . فقال النص الكريم فى سورة البقرة : «**قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم**

لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون»

فنحن نرى ان الله تعالى اصطفى ابراهيم ودعاه الى الاسلام بما اراه الله من آياته ، ونصب له من بيناته ، فاجاب ابراهيم الدعوة ، وقال : « اسلمت لرب العالمين » ، وقد نشأ ابراهيم في قوم يعبدون الكواكب ويتخذون الاصنام ، فأراه الله حجته ، وأنار بصيرته ، فادرك أن للكون ربا واحدا منفردا بالخلق والتدبير ، وقد وصى ابراهيم اولاده ان يختاروا الاسلام ، وأن يحافظوا على الاخلاص لله ، والانقياد اليه ، فلا يتركوا ذلك الاسلام لحظة واحدة ، لئلا يموتوا فيها فيموتوا غير مسلمين ، ومثل ذلك فعل يعقوب مع اولاده ، فقد قال لهم عند موته من تعبدون ؟ فقالوا : « نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » .

وخلاصة وصية ابراهيم ويعقوب هي كما يقول الامام محمد عبده : عقيدة الوحدانية في العبادة ، واسلام القلب لله تعالى والاخلاص له ، وتكرار لفظ الاسلام في هذه الآيات يراد به تقرير حقيقة الدين ، وقد ابانت الآيات هنا ان دين الله تعالى واحد في حقيقته ، وروحه التوحيد والاستسلام لله تعالى ، والخضوع والاذعان لهداية الانبياء ، وبهذا كان يوصى أولئك النبيون ابناءهم واممهم ، فتبين ان دين الله واحد في كل امة ، وعلى لسان كل كل نبي ، فالتفرق في الدين ما جاء الا من الجهل والتعصب للأهواء والمحافظة على المنافع المتبادلة بين المرءوسين والرؤساء . والقرآن يطالب الجميع بالاتفاق في الدين ، والاجتماع على اصله العقلي وهو التوحيد والبراءة من الشرك بانواعه ، واصله القلبي وهو الاسلام والاخلاص لله في جميع الاحوال ..

وابراهيم خليل الرحمن هو الذى كان يحرص على وجهة السلام حتى مع مخالفيه في الدين والعقيدة ، وقد قال عنه القرآن في سورة مريم في شأن ابيه : « قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا » . وهذا يوثق روابط ابراهيم بالاسلام الذى يدعو الى السلام حتى مع المخالفين ، فيقول التنزيل في سورة الفرقان عن عباد الرحمن : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وابراهيم نفسه هو الذى تتحدث عنه سورة الحج فيقول القرآن فيها : « وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » ..

***

ونوح كان مسلما ، وكان مما قاله لقومه : «فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين » . اى ان كذبتم واعرضتم عن الطاعة فانى لن اطلب منكم على نصحى اياكم شيئا ، والله وحده هو الذى يعطينى أجرى ان طلبته ، وأنا ممتثل ما أمرنى الله به من الاسلام لوجهه عز وجل . والاسلام هو دين الانبياء من اولهم الى آخرهم وان تنوعت شرائعهم ، وتعددت مناهجهم ، كما جاء في تفسير ابن كثير .

ويوسف عليه السلام طلب من ربه ان يتوفاه على الاسلام . فقال يدعو ربه: « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والأرض انت وليى في الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما والحقنى بالصالحين »

وموسى عليه السلام كان على الاسلام ومذكرا به ، فجاء فى سورة يونس : ((**وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين**)) .

وعيسى عليه السلام كان على الاسلام ونفهم هذا من حوار فى سورة آل عمران: ((**فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله ، قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون**)) : لما استشعر عيسى من قومه التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال : من انصارى الى الله ؟ من يتبعنى الى الله ؟ قال الحواريون : — وهم طائفة من بنى اسرائيل كانوا انصارا لعيسى — : نحن انصار الله ، آمنا بالله ، واشهد بانا مسلمون .

ويعود القرآن الى تقرير هذا فيقول فى سورة المائدة : ((**واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد** باننا **مسلمون**)) .

واهل الكتاب كان منهم مسلمون ؛ **يقول** القرآن فى سورة القصص عنهم : ((**واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين**)) نزلت هذه الآية كما قيل فى شأن سبعين نصرانيا ارسل بهم النجاشى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فاسمعهم سورة يس فآمنوا وقالوا : ((**انا كنا من قبله مسلمين**)) اى موحدين مخلصين لله . وفى حديث الصحيحين : أن من الذين يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه ، ثم آمن بى » .

***

ويعمم **القرآن الاخبار** عن وجود الاسلام بين الناس منذ القديم ، فيقول فى سورة آل عمران : ((**افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون . قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**)) : **ينكر** الله تعالى على من أراد دينا سوى دين الله ، الذى انزل به كتبه ، وأرسل به رسله وهو عبادته وحده لا شريك له الذى استسلم له من فى السماوات والأرض طوعا وكرها ، كما قال تعالى : ((**ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال**)) فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فانه تحت التسخير **والقهر والسلطان** العظيم الذى لا يخالف ولا يمانع .

وهؤلاء سحرة فرعون ، حضروا فرعون على عهد موسى ؟ وقالوا له انهم مسلمون ؟ وسيموتون مسلمين ، فجاء فى سورة الأعراف : ((**قالوا انا الى ربنا منقلبون . وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين**)) ..

فالاسلام بمعنى الاسلام لله والانقياد لوجهه معروف مألوف من قديم الزمان ، وهو الدعوة الحق الذى يجتمع عليه المؤمنون .

ونعود لنرى مزيدا من افشاء الاسلام لدعوة السلام ، وتذكير المسلم بها فى كل زمان ، فلم يكتف القرآن بتحديثنا عن السلام فى دنيانا او دنيا من سبقونا ، فاذا كان القرآن قد حدثنا عن يحيى فقال : ((وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا)) .

وحدثنا عن عيسى ايضا ، فقال على لسانه : « والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا » ..

فانه قد انتقل الى الحديث عن السلام فى دار الآخرة ، فحدثنا ان دار النعيم وهى الجنة تسمى «دار السلام» يقول الله تعالى فى سورة الانعام : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » ويقول فى سورة يونس: « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

ويتكلم عن اقسام من اهل الجنة فيقول فيما يقول فى سورة الواقعة : «واماان كان من اصحاب اليمين. فسلام لك من اصحاب اليمين » : تبشرهم الملائكة بذلك ، تقول لاحدهم : سلام عليك ، لا بأس عليك ، انت الى سلامة، انت من اصحاب اليمين »

***

وتحية اهل الجنة هى السلام ، يقول تعالى فى سورة يونس : «دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيهاسلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » ، ويقول فى سورة الواقعة: « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما » ، ويقول فىسورة يس : « لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون. سلام قولا من رب رحيم » . ويقول فى سورة الرعد : «والملائكة يدخلونعليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » .

ويقول فى سورة الحجر : « ان المتقين فى جنات وعيون . ادخلوها بسلام آمنين » ويقول فى سورة النحل: « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » ، ويقول فى سورة الاحزاب: « تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما » .

ويقول فى سورة الزمر : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا . حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . هذا اخبار عن هؤلاء السعداء المؤمنين حين يساقون الى الجنة جماعة بعد جماعة ، المقربون ثم الأبرار ثم الذين يلونهم ، كل طائفة مع من يناسبهم ، حتى اذا وصلوا الى ابواب الجنة فتحت لهم ، وهنا قال لهم خزنتها سلام عليكم ، طابت اعمالكم واقوالكم ، وطاب سعيكم فطاب جزاؤكم .

وقد جاء فى حديث ابن ماجة : « بينا أهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور ، فرفعوا رءوسهم ، فاذا الرب تعالى قد اشرف من فوقهم فقال : السلام عليكم ياأهل الجنة. فينظراليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ، ما داموا ينظرون اليه ، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم » .

وخير مثل للسلام والاستجابة لدعوته ، هو رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام الذى خاطبه ربه فقال: « قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين » وقال له فى سورة الانعام : « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وانا اول المسلمين »

وهو القائل فى حديثه : « من اراد ان يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة ، فليقل آخر مجلسه حين يريد ان يقوم : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمدلله رب العالمين»

الإسلام والحياة المعاصرة

● د . محمد كمال جعفر ●

● جمع الاسلام فى اطار موحد بين عالمى الغيب والشهادة جمعا لا يتعارض مع المرونة والتجدد فى الفروع المختلفة ، يعتبر بحق موضع اعتزاز كل مسلم بصير . فان كل النظم الوضعية دون استثناء لا ترى من ساحة الحياة الا جزءا ضيقا قريبا منها ، يتمثل اما فى الحاضر واما فى مستقبل ليس بالبعيد ، وهذا هو السر فى ضرورة التغيير المستمر فى هذه النظم من اساسها لا من فروعها وجزئياتها فحسب .

لكن ما قد يطرأ من تجديد أو تغيير فى الساحة الاسلامية على وجه الخصوص انما تتصل بالفروع والجزئيات والمفاهيم المحددة التى هى بطبيعتها عرضة للتغيير والتعديل . وهذا هو ما ينبغى أن يفهم من حركات التجديد فى الاسلام مسايرة لمتطلبات العصر وتطور الحياة ، وهذا ما يؤكد ايضا أن المسلمين بخاصة والبشرية بعامة ليسوا بحاجة الى شرع جديد ، وانما قد يكونون بحاجة الى فهم جديد فى بعض فروع هذا الشرع الفريد .

ولتوضيح ذلك نقول ان **المخطط العام والتوجيه الشامل للحياة الانسانية فى الاسلام ثابت اصيل مهما تعددت جوانب هذه الحياة ، ومهما تنوعت اهتماماتها . وهذا المخطط لا يصيبه الوهن أو البلى ، لأنه بسعته وشموله ــ وهو من عند « الواسع العليم » ــ يقبل العديد من الأنماط والنماذج والصور والأمثلة فى المجال التطبيقى دون ان يتخلف عن تطور .**

ولا مراء فى ان الاطار الذى رسمه الاسلام للحياة الانسانية يعتبر أوسع الأطر التى قدمت لهذا العالم ، واكثرها مرونة واوفاها قبولا لما لانهاية له من التطور والتقدم ، من حيث تهيئته وتيسيره وتشجيعه على التحرك وعدم الجمود والقبوع والانكماش .

ولكى يتحقق لنا استيعاب ذلك بايجاز علينا أن نتأمل هذه الحقيقة البسيطة والخطيرة فى نفس الوقت مهما حاول الباحثون والفلاسفة من تعقيد مسالكها وتشعيب دروبها بحكم التخصص والاغراق فى التفاصيل

وهـذه الحقيقة ترتبط بمبـدأين اساسيين فى الروح الاسلامية اولهما « حركية الكون وديناميكيته » ـ « وكل فى فلك يسبحون » . حتى الجماد الصلد « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » والملائك تتنزل ، والأنهار تجرى ، والارض تهتز ، والنبات ينمو ويتحرك ويهيج ، والريح تعصف ، والسحاب يسير ، والحيـوانات تدب والانسان يسـعى ، حتى الكلم ينتشر ويرتفع أو يسفل وغير عسـير على القارىء ان يتلمس مصداق هذا المبدأ الاساسى فى الآيات القرآنية الكريمة .. الكل يتحرك ، لا جمود ، ولا وقوف ويشمل ذلك الانسان بما حوى من بدن ومشاعر وخواطر وأفكار ، والنبات بما حوى من ساق وزهر ونوار وثمار ، والحيوان بما ضم من اعضاء وغرائز ، والجمـاد من رطب ومن يابس والجن والملائك وغير ذلك مما أبدع الخالق . فالحركة هى الشعار الأول لكل ما فى الوجود .

اما المبدأ الثانى فوحدة الانسان رغم تعدد احتياجاته وتنوع المجالات التى تتصل بهذه الاحتياجات . ان هـذه المجالات تشمل فى ايجاز الجـوانب الثلاثة المشهورة فى الانسان وهى على الترتيب : الجانب الفكرى او العلمى او الادراكى ، والجانب الوجدانى او العاطفى أو الذوقى أو المتصل بالمشاعر ، واخيرا الجانب النزوعى أو الارادى أو السلوكى أو التطبيقى الفعـال الذى يجسم بالاعمال والاتجـاهات حصيلة التركيبة الثقافية الانسانية .

وقد افاض علماء النفس ـ وقـد سبقهم الى ذلك الدين ـ فى ضرورة اشباع وتغذية هذه الـكفايات او الجوانب واتاحة الفرصـة لها لكى تبدع وتبتكر أو تسـهم فى صـنع التقدم والتطور . كما اضحى معلـوما ان تكوين الانسان السوى المتـكامل يتحقق بتغذية هذه المجالات فى توازن واضطراد وفى ظل من الامن بمعنـاه الشامل الذى حدده الاسلام .

ان هذه النظرة ـ وان كانت تركز على الاهتمام بالفرد بما هو انسان ـ ليست انانية أو فردية على الاطـلاق لانها لا تغفل عن حقيقة كون الفـرد لبنة فى بناء المجتمع ، ومن سـلامة اللبنات تضـمن سلامة البناء كله . والدارسون فى الشرق والغرب ـ قديما وحديثا ـ يدركون بوضوح الطـابع الاجتماعى العالمى للتوجيه الاسلامى .

أن من المهم ان ندرك أن هـذه الاحتياجات الكبرى والمجالات العـامة لا يختلف فيها أنسـان الريف وانسان الحضر ، كما لا يختلف عليها الانسـان القديم والانسان المعاصر ، غير أن طريقة تغذية هذه المجالات وطريقة قبولهـا او رفضها هى التى تتطور ، كما أن ترجمة آثار هذه التربية الى مبـادىء ومهارات ومواقف واعمال هى الأخرى يحكمها التطور المتتابع ، دون ان يصطدم أى تطور مع المبادىء الاسـاسية التى بدأ منها الانبثاق الاسلامى .

***

ولننتقل الآن الى تأمل اول هـذه الجوانب فى الاسلام وهو المجال الفكرى لنرى كيف يضمن لنا انبثاقنا الاسلامى فى هذا المجال سلامة الانطلاق وشموله وايجابيته ، وكيف يتساوق وينسجم هذا الانبثاق مع الحياة المعاصرة ، وكيف نـمد بانفسنـا الزاد الحقيقى الموجه لطاقاتنا الفكرية نحو الفعالية والتأثير . ويمكن بعد ذلك ان نلمح الى الجانبين الآخرين حتى تتم الصـورة الصحيحة للمسلم المعاصر الذى يجمع الى عراقة الاصل ، مواكبة ميزة المعاصرة .

ان القرآن الـكريم حشد للمجـال الفـكرى كافة ادواته وتنوع مناهجه وطرائق استدلاله ووسائله واهم موارده ومصادره . وعرض القرآن الكريم كل ذلك فى مقامات وسياقات متنوعة بحيث ترسخ فى الاذهان والقـلوب معا قيمة الفكر وثماره وكونه فى النهاية قمة بين النعم التى هياها المنعم الخالق للانسان .

ولو رحنا نستشهد على كل نقطـة سابقة فى هذه الفقرة الأخيرة بآيات قرآنية لما وسعتنا صـفحات عديدة يضيق عنها صدر هذا المقال ويكفى فى هذا المقام ان نشير الى تنوع المنـاهج لما نرى من اهميته فى التوجيه العلمى الذى يعتبر عمادا للتطور بصورة عامة . ولما له من صلة بموضوع المقال فيمـا يتعلق بالحياة المعاصرة .

لقد وجه القرآن انظارنا الى المنهج

الاستقرائي او التجريبي او العلمي بالمعنى الحديث في مناسبات متعددة ، مما يبطل مزاعم بعض الدارسين الذين يظنون انه وليد العقلية الاوربية الحديثة مع ان ميلاده تم في المناخ الاسلامي . وليس امام الدارسين المعاصرين الا ان يسلموا لسبق المسلمين الى ارتياد هذا المنهج بعد ان سلم به رواد اسلافهم في القرون الوسطى وفي مطلع العصر الحديث . غير انني الح هنا على المرجع القرآني لاصل هذا المنهج .

فمن المعروف ان هذا المنهج يبدأ بالملاحظة والمشاهدة التي يتبعها الفرض ثم التجربة للتحقق ثم وضع النظرية او اكتشاف القانون . ونقطة البدء هذه — وهي الملاحظة والمشاهدة — هي ما تفهم بداهة من مثل قوله تعالى في الرد على بعض العرب الذين وصفوا الملائكة بالانوثة « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا، اشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون » .

ويعرض القرآن مناهج اخرى للكشف والاستدلال في بعض قصص الانبياء كقصة ابراهيم عليه السلام ، وفي ردوده على الشبهات المثارة وفي تحذيراته من مخاطر السبل الضالة في تكوين الفكرة .. من المتابعة بغير علم « ولا تقف ما ليس لك به علم » ومن الخلط بين الظن واليقين « ان الظن لا يغني من الحق شيئا » . « ولا تلبسوا الحق بالباطل » . « ولا تكتموا الحق وانتم تعلمون » .

***

ويوجه القرآن البشر الى مصادر المعرفة المتنوعة ويبين ان الطبيعة مصدر من هذه المصادر ، وان التاريخ مصدر آخر لمن لم يعش تجارب السابقين ، كما ان الوحي مصدر ثالث ، والبحث الدءوب الى غير ذلك من المصادر . ولم يغفل القرآن وسائل المعرفة وحذر في مناسبات عديدة من اهمال الطاقات .

والطريف الخالد في القرآن هو الربط الدائم بين العلم والعمل والفكر والسلوك والعقل والقلب في وحدة رائعة تصون الانسان من الانفصام الشخصي او التشتت والصراع المدمر بين الطاقات والملكات ، والميول والرغبات .

وخلاصة التأمل في عرض وتغذية هذا الجانب في القرآن ان الاسلام يهيىء للفكر الانساني ان ينطلق بلا حدود فيما حوله من ظواهر طبيعية او انسانية . والفكر في الطبيعة هو عمل العلم الحديث الذي قد يشمل في اطاره الفروع الانسانية التي اكتملت ادواتها وتبلورت موضوعاتها .

وليس للفكر حدود كما قلنا الا اذا حاول الجري وراء اكتناه طبيعة او سر الذات الالهية . هنا يحذر الفكر وينبه الى ان هذا المستوى لا تنال حقائقه او المعلومات الصحيحة عن هذه الذات المقدسة الا عن طريق الوحي المعصوم من الاختلاط والتشويه . ومصداق هذا التوجيه مستفاد من الحديث النبوي الذي يوجهنا في هذا الصدد اذ يقول ما معناه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » وهذا لعمري اشمل واسلم توجيه للانسان بما هو انسان في هذا المجال الفكري .

وفي ضوء ما سبق الافضاء به يتبين لنا خطأ هؤلاء الذين اساءوا فهم مصطلح « البدعة » التي حذر منها الرسول صلوات الله عليه حيث فهموا هذا اللفظ على انه يشمل كل جديد لم يرد فقد رأينا كيف يصور الاسلام الكون متحركا بلا توقف ، وكيف وعد بكشوف لا حصر لها في نطاق الآفاق والأنفس .

ان المسلم المعاصر لا ينبغي ان يفزع لكل كشف علمي مهما بدا رائعا او مذهلا ، بل عليه ان يسهم في تحقيق مثل هذه الابداعات فان لم يستطع فليعتقد في ثقة بان هذه الكشوف تعتبر توثيقا وتأكيدا لصدق ودقة التوجيهات والحقائق الاسلامية .

أما الجانب الثاني الذي ينبغي ان نتأمله فهو الجانب الوجداني او العاطفي او الشعوري ، وقد ألمحنا الى ان

القرآن الكريم ــ حرصا منه على وحدة الانسان وتأكيد الانسجام والتكامل بين قواه وملكاته ، لايفرد هــذا الجانب بالتوجيه منفصلا عن الجانب الاول ، بل كثيرا مايجمعهما في صعيد واحد ، وذلك يعنى ببســاطة انه اذا انطلقت العواطف أو ثارت المشــاعر فلابد ان تكون هناك حراسة فكرية تحول دون انقلاب هذه المشــاعر الى رياح هوج تعصف بشخصية الفرد وتدمر حياته

ومن الناحية الاخرى اذا صدر الفكر مجردا باردا على النطاق العقلى خيف عليه أن يقف عند هذا الحد من التجرد والبساطة وعدم الدخول في دنيا الواقع والتطبيق ، فلابد ان تسرى حــوله حرارة العاطفة والوجدان ، وان تدفعه صحوة الضمير واهتزاز المشاعر .

ان هــذه الحقيقة الاخيرة هى التى تربط العلم بالعمــل والاخــلاق ، وان تنفيلها في الحياة المعاصرة يسد الثغرة الشنيعة ، والهوة السحيقة بين العلم الحديث والاخــلاق . فنحن نرى ان هذه الهوة تزداد اتساعا لدرجة تهدد الحضارة الانسانية برمتها ، حيث اطلق لهذا العلم العنان بصــورة اسقطت الانسان تماما من حسابه .

ان العالم المسلم البصير الذى اهتدى بمبادىء دينه الفكرية والروحية أهل لضمان سلامة البحث واخلاقية نتائجه لانه لن يضيف الى الحياة الا مايسعد الحيــاة وما يجددها ويملؤها بالخير والسلام . الســلام الذى هو تحيته المتبادلة بينه وبين افراد ملته ، والسلام الذى بنى خالقه دارا باسمه ، السلام الذى أطلقه سبحانه على نفسه ، السلام الذى ســيظل الــكلمة الحلوة التى ستتبادلها شفاه وقلوب أهل الجنة .

ان تغذية هــذا الجانب الوجدانى لابد ان تراعى تنبيه الاحساس الجمالى والابداع الفنى فى نفــوس الاطفــال والشباب ، وان نطرح هــذا الجمود الذى قد يفهم منه بعض الناس ان هذا الوجود لم يخلق لنا نحن المسلمين ، كأن ما ابدعته يد الانسان من معارض الجمال ليس لنا به شان ، وليست له غاية ، وكأن هذه الروائع الفنيــة التى جادت بها قرائح الموهوبين ليســت من عطاء هذا المبدع الخلاق جل شانه .

ان مثل هذه النظرة الضيقة تغــرب المسلم فى وطنه وتبعده عنوة عن مجال الادراك الصــحيح لآثار قدرة الله فى الطبيعة والانسان ، وتقتل فيه حوافز البحث ، وتسد فيه منابع الابداع .

***

وينبغى الا يفهم المســلم ان ادراك الجمال وتقديره وخلق الفن وابتكاره امر كمالى مترف : فلو تامل المســلم فى هدوء آثار التربية الجمالية ، ولو تأمل التوجيه الجمالى والفلسفة العامة التى يمكن أن تستمد من القرآن الكريم ــ نقول لو تامل المســلم ذلك بامعان ــ لادرك على الفور اهمية التربية الجمالية فى تحسين السلوك وسلامة الذوق .

ان مراعاة هذه التربية المنبثقة من فلسفة قويمة مســتمدة من القرآن والسنة تغنى من تتبع الافتــاء الطارىء المتضارب احيانا حول بعض الظــواهر الفنية والجمالية ، وهذه الفتاوى التى كثيرا ماتترك الشــباب حائرا وكأن الاسلام لم يات الا بالتضييق والتحريم .

اننا لا نريد للمسلم ان يكون غريبــا فى هذا العالم ، بل عليه أن يتمثل المكارم والاصول العامة لدينه ، وهى كلها تشكل خلفية قوية تحمى ظهره وتشد ازره ، ولا تحجبه عن خير ، ولا تحول بينه وبين صنع التقدم او المشــاركة فى صنعه ، او على اضعف المستويات فهمه .

وحســبنا الآن ان نكون قد وصلنا الى ان منأطات الانطلاق العلمى والفنى مكفولة فى الاسلام بصورة تمكن المسلم من ان يحيا دائما عصره هو ، وفى نفس الوقت يرتبط بالاصــــــل وبالاسلاف بحيث يجمع فى صعيد واحــد بين الاصــالة والمعــــــــــاصرة .

د. محمد كمال جعفر
رئيس قسم الفلسفة الاسلامية
دار العلوم ــ جامعة القاهرة

الدين في مجتمعات العصر

● د . محمود على مكى ●

● فى سنة ١٩٧٢ كتب الشاعر الشيلى الشيوعى بابلونيرودا بين يدى ديوانه « السيف المشتعل » يقول ان هذا الديوان رواية شعرية خلاصتها ان الحروب والكوارث التى حلت بالعالم المتحضر قد قضت على الجنس البشرى كله ، ولم ينج من هذا الخراب الا رجل واحد انتهى فى فراره من مصير البشرية الرهيب الى صحارى البتاجونيا الموحشة المقفرة الممتدة فى جنوبى شيلى مقدرا ان تكون نهايته هى نهاية آخر ساكن لدنيا البشر . وفيما هو كذلك اذا بفتاة تلحق بهذا المكان السحيق فى طرف العالم هاربة بدورها من مدينة القياصرة الذهبية .

اما « السيف المشتعل » الذى يتحدث عنه الشاعر والذى اتخذ منه عنوانا لديوانه فانه يشير الى آية فى سفر التكوين من «العهد القديم» (٣ / ٢٤) « فطرد الانسان ، واقام شرقى جنة عدن الكروبيم « اى الملائكة المقربين » ولهيب سيف لحراسة طريق شجرة الحياة »

ومن الواضح ان الديوان كله ليس الا هجوما عنيفا على الدين اتسم به كل انتاج هذا الشاعر اخلاصا لعقيدته الشيوعية ، ومناداة بان يطرح الانسان فكرة العقيدة الدينية تأكيدا لشخصيته وتحقيقا لما يسميه الشاعر « قدسيته » هو .

وكان بابلونيرودا قد نال فى سنة ١٩٧١ جائزة نوبل العالمية للادب ، كما انه شهد فى السنة السابقة انتصار الحزب الشيوعى فى بلده شيلى ووصوله الى الحكم . وكان نيرودا راى ان فرحته بهذين النجاحين لا تتم الا بهذا التهجم والتحدى لمشاعر كل من يؤمن بعقيدة دينية . على انه كان فى ذلك موافقا للايديولوجية الشيوعية التى لم تتخل ابدا عن عدائها الشديد للدين وخططها لتدمير جميع الاديان .

اما فى العالم الغربى فان التقدم العلمى الكبير الذى احرزته اوربا منذ عصر الثورة الصناعية فى القرن الماضى قد افضى بالانسان من الانبهار بالعلم وقوانينه ومن الاعتداد بمنجزاته من مكتشفات ومخترعات الى ضرب من الغرور والاستخفاف بالدين والى كثير من النزعات الفكرية الشاكة او النازعة الى الالحاد الصريح غير ان حرية التفكير والتعبير التى سادت الغرب الاوربى جعلت من حق المتدينين ايضا ان يمارسوا عباداتهم ويعبروا عن معتقداتهم بغير ان يتعرضوا لحملات الاضطهاد والتنكيل التى يتعرض اليها المتدينون فى البلاد الخاضعة للمذهب الشيوعى . ومع ذلك فان حصيلة التطور الاجتماعى والاقتصادى الذى

● إن البناء الجديد لابد أن يقوم على أساس متين من الإيمان بالدين وقيمه الروحية وضوابطه الخلقية .

حدث فيما يسمى بالبلاد الغربية فى اوربا وامريكا كانت تراجع الدين بوجه عام ، وفقده المطرد لمزيد من الارض .

فاذا انتقلنا ببصرنا الى العالم الاسلامى رأينا ان الاسلام قد تعرض منذ ظهوره ومازال يتعرض لحملات ضارية : تارة من خارج وهى تتمثل فى الحملات التى استهدفته من الشرق والشمال والغرب فى العصور القديمة ، ثم فى الحملات الاستعمارية التى لم تنقطع من الالحاح عليه بصورة او باخرى حتى اليوم . وتارة من داخل ، وقد عرفها عالمنا قديما فى صور شتى من حركات الزندقة والالحاد ، ثم تجددت فى العصر الحديث ولا سيما بعد أن انتقل الى العالم الاسلامى كثير من الافكار السائدة فى البلاد الواقعة على حدوده سواء اكانت **شرقية ام غربية . وترتب على ذلك ان دخلت الى العالم الاسلامي الوان من الأفكار التى تستهدف الحملة على الدين او التشكيك فى قيمه او الدعوة الى التخلى عنه بصفته من مقومات المجتمع الحديث .**

على أن اسوأ ما فى الأمر هو ان هذه التيارات الفكرية التى تتخذ من الدين هدفا لحملاتها فى بلادنا لم تكن ثمرة لتطور اجتماعى واقتصادى او لتقدم علمى سريع كما كان الامر فى البلاد الأوربية. وانما كانت فى كثير من الأحيان لونا من التقليد وترديدا لدعوات غير نابعة من حقيقة مجتمعنا . هى مجرد «تقاليع» يأخذ بها بعض مصطنعى « الحداثة » ، بغير فهم واع ولا تمثل علمى مكتمل ، تماما كما ياخذون بآخر « صيحة » فى دنيا الازياء او الفنون مما يظهر فى أوربا بين وقت وآخر ، حتى نوهم انفسنا اننا مسايرون لتطور العصر ، غير متخلفين عن ركب الحضارة وغنى عن الذكر ان مثل هذه الدعوات المنقولة من الخارج اذا انتشرت فى مجتمع غير مكتمل النمو مثل مجتمعنا فانها لا تعين الا على مزيد من تشوش الذهن وتخبط المسيرة ، وتكون فى النهاية صفقة خاسرة .

ومع ذلك فلننظر الى الحساب الختامى لذلك التحلل من قيم الدين فى المجتمعات المحيطة بنا . ولنطرح لتبين هذا الحساب سؤالين رئيسيين:

الى اى مدى استفادت هذه المجتمعات من تلك الدعوات المادية المتحللة ؟

ثم هل تمكنت هذه التيارات الفكرية المضطربة فى الشرق والغرب من القضاء على سلطان الدين فى النفوس ؟ وهل استطاعت اقناع الناس حقا بأن الايمان بالدين لا مكان له فى مجتمع العالم الحديث ؟

اما السؤال الأول فانه يكفى للاجابة عنه ان تلقى نظرة على ما نراه فى مجتمعات اليوم سواء فى البلاد الغربية التى تسمى نفسها بالعالم الحر او فى البلاد التى تدعو نفسها بالكتلة الاشتراكية . وسنرى ان التعارض الذى يتحدثون عنه بين هذين العالمين ليس بذلك القدر من الحدة ولا التناقض ، فقد ادى غياب القيم الدينية وضعف الاحساس بما تعنيه من التزامات خلقية فى كلا العالمين الى درجة تكاد تكون واحدة من المادية المسعورة التى لا مكان فيها لطمأنينة الروح ولا الاحترام لآدمية الانسان .

فى البلاد الغربية يتسابق الناس على الثروة وعلى ما تعنيه من لذة ومتعة وهم لا يرون فى سبيل ذلك باسا فى ان ياكل القوى منهم الضعيف . واذا كانوا قد ادركوا بالفعل نصيبا عظيما من الرفاهية المادية فان ذلك لم يضع حدا للنهم والبحث عن اللذة حتى انتهى الامر بعد ان استنفدت المتع الطبيعية

او المعقولة الى الوان غريبة من الانحراف وأدت التخمة الى انتشار شعور بالملل والسأم والفراغ وعبثية الحيـــاة ، او الى الاغراق المرضي في العنف والجنس وتعاطي المخدرات وما الى ذلك ، مما أصبحت فيه انسانية الفرد هناك سائرة في طريق رهيب من التدني والانحطاط.

وأما في المجتمعات التي تدعو نفسـها بالاشتراكية فان المادية وهي من اسس تكوينها الايديولوجي قد انتهت فيها الى امتهان كرامة الانسان وتحويله الى قطعة صغيرة أو مسمار من آلة ضخمة ، آلة لاتسمح للفرد بأن يكون له تفكيره المستقل ولا تعبيره الحر ولا كيانه الروحي الخاص هذا هو الشاعر الشيوعي بابلو نيرودا الذي افتتحنا هذا الحديث بكلام له يتمدح فيه بما سماه « تقديسه الانسان » يقول في قصيدة «الاقليات الرجعية» من ديوانه « النشيد الكبير » مفتخرا بما صار اليه بعد انتمائه الصريح الى الحزب الشيوعي:

« وحينئذ تحولت الى جندي
تحت رقم مجهول في كتيبة ما
من كتائب المحاربين الخالصين
والى استخدام شفرة الاجهزة السرية
تحولت الى شجرة مســلحة لا يمكن
تحطيمها
شجرة هي احدى معالم طريق الانسان
في الارض » !

غير ان الرجل الذي يتحول في ظل المجتمع الشيوعي الى « رقم مجهول » لا يملك الا أن يفقد خصوصيته الانسانية ، ولا نظنه قادرا على أن يصبح « من معالم طريق الانسان في الأرض » .

أما ضوابط العلاقات بين الأفراد في مثل هذه المجتمعات فانها بعد أن تحللت من منطلق الدين وسلطانه الروحي فانها لم تعرف كيف تقدم بديلا ناجحا يمكن الاحتكام اليه ، ولم تحقق في النهاية ما أراد لها واضعو الايديولوجية الشيوعية بل انها اثبتت قلة فاعليتها . ويدل على ذلك ما يصل الى اسماعنا بين وقت وآخر من وراء الستار المضروب على بلاد الكتلة الاشتراكية من دوي انفجارات لأزمات اجتماعية وخلقية لا تعرف كل تفاصيلها .. ولولا ان النظم الشـيوعية لا تتيح الفرصة لتبين ما يجري فيها على وجـه التحقيق ولا تسمح بالنقد الحر في داخل مجتمعاتها ، لعـرف النـاس من الوان الفساد فيها اكثر مما يعرفون ، وان كان من الجلي ان هذه المجتمعات ابعد ما تكون عن ذلك « الفردوس الارضي » الذي كان « انبياء » الشيوعية يبشرون به الانسانية

اما السؤال الثاني عن مدى نجاح هذه الدعوات المعادية للدين في مجتمعات اليوم فان الذي يتأمل الاوضاع فيها ينتهي الى ان هذه الحملات الضارية على الدين سواء في الشرق او الغرب لم تؤد الى ما كان يتوقع لها من نتائج . فنحن نرى في العالم الشيوعي بعد ستين سنة من نجاح الثورة البلشفية كيف لايزال للدين فيه مكان لم تقلع الدعاية المضادة المتواصلة في خلعه عنه حتى اليوم . ولهذا فقــد اضطرت السلطات الحاكمة في البلاد الشيوعيـة راغمة للتسامح مع مابدا من شعوب هذه البلاد من تمسك بشعائرها ومعتقـداتها الدينية . فالمساجد في الجمهـوريات الاسلامية في جنوب الاتحاد السوفييتي مازالت تعمر بالمصلين ، والمسلمون هناك على الرغم من محاولات الدولة لتدمير ثقافتهم وتراثهم الفكري القديم لايزالون مصرين على التمسك بما بقي من خيوط تربطهم بذلك التراث ، ومثـل ذلك ينسحب ايضا على العقيدة المسيحية .

وفي مجتمعات البلاد الغربية ترتفـع الآن أصوات عدد كبير من المفـكرين والمصلحين الاجتماعيين معبرة عن قلقهم

● الإسلام لا يحجر على الفكر، بل يحضه على أن يقتحم مجاهل الكون.

المتزايد وهم يتأملون الانحدار الخلقي الذي أدت اليه دعوات التحلل من الدين والضوابط الخلقية المستمدة منه، ولا سيما بين اجيال الشباب التي ترى نفسها الآن في حالة مخيفة من التخبط والضياع ويرى هؤلاء ان اصلاح الاحوال في بلادهم لن يتم الا بالعودة الى رحاب الدين وافساح جانب من حياتهم لرياضة الروح ·

بل اننا نرى الان بين شعوب البلاد التي كانت وثنية او بلا دين اتجاها متزايد القوة يحاول ان يلتمس في دين من الاديان السماوية ما يكفل لمجتمعاتها شيئا من التوازن النفسي الذي يضفيه الايمان الديني · وقد حملت الينا الصحف مؤخرا نبأ اعتناق بعض الشخصيات البارزة في اليابان للاسلام · هذا مع ان اليابان بالذات كانت من البلاد الشرقية التي اتسم النمو الاجتماعي والاقتصادي فيها بقدر كبير من الاعتدال، والسلامة مما صحب هذا النمو في البلاد الاوربية من تطرف وعنف ونزعات الى التمرد · وهذه العودة الى البحث عن الايمان بالله ظاهرة جديدة جديرة بالتسجيل والتنويه في مجتمعات اليوم ·

اما عالم الاسلام فقد كان للدين فيه – ولا يزال – مكانة مرموقة · وبفضله استطاع المسلمون ان ينشئوا حضارة عرفت كيف تستفيد من كل حضارات العالم القديم وثقافاته بغير تهيب ولا عقد وان كانت لها بعد ذلك شخصيتها المستقلة واصالتها المميزة . وليس هناك شك في ان من اهم ما قدمه الاسلام للعالم هو الانسجام والتوازن بين حرية ارادة الانسان وعبوديته لله، وبين حث الانسان على استخدام كل قدراته العقلية بغير قيود وبين الايمان بقدرة الله العليا ·

فالاسلام لا يحجر على الفكر، بل يحضه على ان يقتحم كل مجاهل الكون الا انه يحوط هذه الحرية بسياج من الايمان بالله والعبودية له وحده · وبهذا يتحقق للانسان اعتداده بقدراته العقلية في ظل سكينة الروح وطمأنينة النفس، بحيث لا يصيبه الغرور ولا يتحول ما يتوصل اليه عقله من منجزات الى ضرب من الصدام والتعارض بين الانسان والله، ويصبح العلم والايمان عنصرين متكاملين متجانسين في حياة الانسان، لا يفرض فيهما ان ينتهيا بالضرورة الى الصراع ·

وهذا هو في الحقيقة ما رأيناه يستقيم في الفكر الاسلامي في عصوره المشرقة، فعلماء طبيعيون وكيميائيون واطباء مثل ابي الريحان البيروني وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابي القاسم الزهراوي وابن النفيس، وفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد، وجغرافيون مثل المسعودي والادريسي والبكري ورياضيون مثل الخوارزمي وابن البناء – كل اولئك قاموا ببحوثهم وتجاربهم وحققوا منجزات رائعة في مجالات عملهم بغير ان يشعروا في وقت من الاوقات بان ما يصلون اليه سوف ينتهي بهم الى تحدي قدرة الله او الاعتقاد في « قدسية » الانسان، كما نرى في المجتمعات الحديثة حيثما اصبح تقدم العلم مرتبطا بكثير من الازمات النفسية الحادة الناتجة عن تزعزع الايمان وانهيار القيم الروحية ·

ونحن نخلص من هذا الى اننا الآن في اشد الحاجة الى أن نعود مرة اخرى الى استحياء هذا المبدأ في بناء مجتمعنا الحاضر : أن نأخذ من أسباب العلم بكل ما نستطيع وأن نقبل على الحياة اقبال الواثق الذي لا يريبه شيء من كل منجزات العقل، على أن يقوم هذا البناء الجديد على أساس متين من الايمان بالدين وقيمه الروحية وضوابطه الخلقية ●

مفهوم عصرى للإسلام فى أفريقيا

الشيخ : عبد الرحمن النجار ●

● يذكر التاريخ أن الاسلام دخل أفريقيا عن طريقين رئيسيين : هما مصر فى الشمال الشرقى الذى انطلق منها الى جهة الغرب حيث نشرته فى غرب افريقيا ، وانطلق منها جنوبا الى بلاد النوبة ، الى ان صار غربا حتى كردفان ودارفور ..

والطريق الثانى هو طريق الساحل الشرقى المواجه للجزيرة العربية ، والذى لا يفصله عنها الا البحر الأحمر ، وقد رحل الكثيرون من العرب الى هذا الساحل ووجدوا الشاطىء الافريقى قريب الشبه بوطنهم ، لقد وجدوا ـ أولا ـ سهلا حارا جافا تسقط عليه أمطار منتظمة لها آثارها على النبات الطبيعى والزراعة والتطور الحضارى ، ووجدوا بيئة تشبه ما ألفه عرب الجنوب فى بلادهم ، ووجدوا ثروة طبيعية ونشاطا بشريا ، وانتاجا أوفر من الطيب والصمغ والعاج ، ولا يزال الشاطىء الافريقى يحمل أسماء من الجنوب العربى فى مناطق مصوع وعصيب وما وراءها فى الداخل .. واذا ما استقر الوافدون خالطوا أهلها الذين سبقوا اليها ، ونشأ من التفاعل نمط حضارى له ملامحه الاجتماعية والسياسية والثقافية ، المتأثرة بما كان فى الجنوب العربى من عادات وتقاليد ...

ولقد اخذ الافارقة عن العرب شدة تدينهم ، ورغبتهم فى المحافظة على فرائض العبادات سواء أكانت مفروضة أم مندوبة . وقد اخذوا الدين فى يسره وبساطته ، وواقعيته .

لقد حل بينهم العرب فوجدوا السحر سائدا بينهم ، والخرافات تضرب باقدامها الثابتة فى اراضيهم ، وهناك السحرة ولهم شهرتهم وصيتهم ، ويتدخلون فى امور الناس ، ويخشاهم من لم يدفع لهم اتاوة ، كانوا يعالجون

المرضى بالسحر ، ويتقاضون على ذلك جعلا طيبا ... وعندهم اعتقاد قوى بأن للماء قوة فاعلية غريبة ، فالطبيب الساحر مثلا لا يغتسل بالماء البارد ولا يمسه الا كل عام مرة .

ويتركز تأثير « الطبيب » وقوته فيما يكون بجسمه من وسخ ودهن يتخذ منه مادة الطب ، فاذا ما مس الماء تناقصت قوته ، وكانوا يعتقدون أن الماء البارد اذا صب على القبر استراحت روح الميت ، وحفظ مما قد يزعجه .. واذا ما هبت عاصفة شديدة ،تراهم يسارعون الى اعداد الماء البارد ليلقوا به في طريق الرياح ، فاذا اهملوا ذلك فمن المحقق ـ في اعتقادهم ـ ان يموت واحد منهم ... وقد كان العلاج مقصورا على أفعال السحر هذه ، وكان الايمان به متغلغلا في القلوب ...

وبنشر قيم الاسلام ، فهم المسلمون هناك تعاليمه فهما صحيحا ، وانتقل هذا الى غير المسلمين . فالسحر ليس هو الوسيلة المفضلة للعلاج من الأمراض بل ان هناك الاطباء المتخصصين والأدوية المختلفة. والدين يعلمهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « تداووا عباد الله، فان الله لم يخلق داء الا وخلق له دواء »، وبذلك فهموا العلاج فهما عصريا من واقع تعاليم الدين .

ومن القيم التى كانت سائدة عندهم عدم احترام العمل اليدوى ، فالذى يعمل بيده هو انسان ساقط المروءة، لا يصاهر الا من يعمل مثل عمله ـ اى فى عمل يدوى ـ لكن الآن اصبح للعمل اليدوى قيمة ، لانهم فهموا قول رسول الله صلى الله عليهوسلم : « ما أكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل منعمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

وقبل الاسلام كانوا يحتقرون العمل فى الزراعة ، فأهملوا الأرض ،وتركوها ليستثمرها الأجانب بعد أن يتملكوها ، وكان الافريقى يرى أرضه يملكها غيره ، ويستخرج منها خيراتها وهو جالس لا يجد قوت يومه ، وقد استنكف العمل فى الأرض .....

والآن بعد ان فهموا أن الاسلام هو دين الحياة ، وانه يحث على العمل فى جميع المجالات ، ويشجع جميع الانشطة، ناضلوا من اجل استرجاع ارضهم ،ثم تعميرها بالزراعة .

لقد سمعوا فى تاريخ المسلمين ان رجلا جاء من البادية وهو ممن يعمل فى قطع الأشجار ليبيع اخشابها حتى خشنت يداه ، وجاء الى المسجدالنبوى الشريف ، وسلم بيده على الصحابة فوجدوا فيها خشونة من كثرة العمل ، ثم سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فيها الخشونة ، فشد عليها فى حفاوة وغبطة ، وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » .

***

وكان لهم ـ قبل الاسلام ـ فهم عجيب فى معنى الطهارة والنجاسة ، وقد شاهدت بنفسى فى بعض جهات أفريقيا اثر هذا الفهم ... رأيتهم لا يسلمون بأيديهم على الأجانب من الوافدين عندهم ، ولفت نظرى أننى شاهدت بعض كبرائهم فى حفل رسمى وهو لا يسلم على الضيف الأجنبى ، ولكن يشير اليه برأسه تحية له ، وسألت عن هذه الظاهرة ، فقالوا لى : ان الله تعالى يقول : « يا ايهاالذين آمنوا انما المشركون نجس » وما دام المشرك نجسا ، فاذا وضعت يدى فى يده فكأننى وضعتها على نجاسة ، وانا أحب أن يظل جسدى طاهرا ، وقلت فى نفسى : سأتركهم مع هذا الفهم الخاطىء الى أن تستقل الدولة ، ويصبح الأجانب فيها افرادا عاديين ، وأفهمهم ان معنى نجس أن عقيدتهم باطلة ، فالنجاسة معنوية ، لكن أجسادهم ليست نجسة ، ويجوز انيسلمواعليهم ولا يكون ذلك وضعا لأيديهم على نجاسة

وبالتالى لا ينتقض وضوؤهم ، وفعلا تركتهم لتتعمق كراهيتهم للمستعمرين ، وعندما استقلت الدولة التى كنت أعمل بها شرحت لهم معنى الآية « انما المشركون نجس » وتعبت معهم كثيرا فى تفهيمهم معناها ، وهى أن النجاسة معنوية لا حسية .

***

ومن فهمهم الطيب لقيمة دينية جليلة احترامهم العلماء احتراما يصل الى حد التقديس ، واحترامهم المسنين ، ويقولون : هذا الرجل قد شاب فى الاسلام . يعنى أن عمره قد طال وهو مسلم ، فله فضل كبير عند الله ... وعندهم قداسة لكتاب الله ، انهم يحرصون على ان يكون عند المسلم مصحف ، أو جزء واحد من اجزائه ، واذكر وانا ازور منطقة من مناطق شرق افريقيا ، وكان معى مجموعة من المصاحف واردت توزيعها ، انهم تسابقوا الى درجة التماسك بالأيدى ، وكل واحد يريد ان يحظى بشرف ان يكون عنده مصحف ، ثم لو نسوا الصحف اوراقا واخذ كل واحد ورقة منه ...

والعجيب ان الافريقيين عموما ، لغتهم ليست هى العربية ، ولكن تعليمهم قراءة القرآن منذ صغرهم ، جعلتهم يستطيعون القراءة فى المصحف بطلاقة وان كانوا لا يفهمون المعنى الا اذا شرح لهم بلغتهم ...

وقد كانوا لا يتعلمون الا العلوم الدينية ، لأنها هى الوحيدة التى تقرب الانسان من ربه ، لكنهم الآن فهموا أن العلم المطلوب من المسلم ان يتعلمه ليس مقصورا على علوم الدين وحدها ، بل يتسع ليشمل جميع ألوان العلوم ، وكلها تقرب الى الله ... والله تعالى يقول : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » – ويقول : « وفى انفسكم افلا تبصرون » – وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ورد فى القرآن الكريم : « وقل رب زدنى علما » ...

***

ولقد كانوا يفهمون معنى التوكل على الله ، على أنه الكسل والقعود والزهد فى الدنيا ، فانتشرت لديهم البطالة ، اعتمادا على انهم متوكلون على الله ، والله تعالى تكفل برزق عباده حسبما قال : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » .

لكنهم الآن فهموا أن التوكل ليس معناه التواكل ، فالتوكل فيه اتخاذ الأسباب ثم الاعتماد على الله ، اما التواكل فهو عدم اتخاذ الاسباب ابدا وسؤال الله الرزق بلا عمل ، لقد وجدوا أن ذلك لا يطعمهم من جوع ، ولا يغنيهم من فقر ، ولا يسعدهم من ضيق ، فجدوا فى العمل فى جميع مجالاته ، والله تعالى قد حث على العمل حيث يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . ولقد استغلوا اراضيهم احسن استغلال واستخرجوا منها كثيرا من خيراتها « ورزقهم الله من حيث لا يحتسبون »

***

انهم يقدسون يوم الراحة من كل اسبوع ، ولا يحاولون اداء اى عمل فيه ، بل يقضونه فى النزهة والترفيه ، حتى يعودوا الى عملهم بعد يوم الراحة وهم اكثر ما يكونون نشاطا واقبالا على العمل ، وفى الحق انهم يحترمون اوقات العمل كل الاحترام ، وبنفس القدر يحترمون ايام الراحة ، ويتفننون فى ايجاد جو الترفيه حولهم ، بحيث يستريح فيه الرجل الذى يعمل ، ومعه اسرته واولاده . كما ان وقت العمل لا يحب الواحد منهم ان تضيع منه دقيقة واحدة ، ولا يتزاورون اثناء

وقت العمل ، ويعتبرون العمل عبادة يثيبهم ربهم عليه، فهم يطبقون ماترفعه من شعارات : العمل حق ، العمل شرف ، العمل واجب ، العمل حياة .

***

والجميل جدا عند الافريقيين عموما احترامهم للنظام ، لا ترى تزاحما عند ركوب السيارات العامة، ولا تزاحما أمام مكاتب البريد ، أو التلغراف ، او امام اى مرفق من مرافق الخدمات ، انما تراهم يقفون صفوفا منتظمة ، ولا يتخطى أحد دوره مهما يكن شأنه ، وقد تعلموا ذلك من النظام في الصلاة ، حيث يطلب من المصلين جماعة ان يقفوا صفوفاً منتظمة ، خلف أمامهم ، الذى يلتزمون بتعاليمه ، فلا يدخلون في الصلاة الا اذا دخل ، ولا يركعون الا اذا ركع ، ولا يسجدون الا اذا سجد ، ولا ينهون صلاتهم الا اذا انهاها اولا ...

لقد طبقوا هذا النظام في حياتهم العملية ، وهو بلا شك فهم عصرى وواقعى لتعاليم الاسلام . ولم يجعلوا من الصلاة مجرد طقوس تؤدى شكلية بدون ان يكون لها تأثير عملي في سلوك الانسان .

***

ومن الفهم العصرى للاسلام بساطتهم في الحياة ، فهم لا يعقدون حياتهم ، ولا يتكلفون فيها ، بل هى الصراحة والوضوح ، يدعوك الواحد منهم للطعام اذا كنت في زيارة له ، فان كنت في حاجة الى الطعام اكلت معه ، والا اعتذرت ، انه يدعوك مرة واحدة ، ولا يلح عليك من باب المجاملة وانت تعتذر من باب المجاملة كذلك ، بل يدعوك مرة واحدة ، لتعتذر أو تجيب .

واذا زارك وأراد الانصراف فلا ينتظر منك أن تطلب منه مد وقت الزيارة ، ويعتذر ، وتحاول ثانيا وتقسم بأن يجلس ولو زمنا قليلا ، وهكذا مجاملات لامعنى لها ، وقد يكون صاحب البيت عنده ما يشغله ، ولكنه يجامل بلسانه فقط لكنهم وفروا هذا الوقت الضائع ، اذا هم الزائر بالانصراف ، فيسلم عليه صاحب البيت ويودعه ، وذلك لا يستغرق دقيقة واحدة ، هذه هى تعاليم الاسلام الحضارية التى تدل على أن الانسان يحترم وقته ووقت غيره .

ومن آثر هذه الصراحة أن الواحد منهم اذا ارتكب خطأ وسألته عنه اعترف لك واعتذر . ولا يحاول أن يخفى حقيقة من الحقائق ، أو يكذب وهو يقص عليك حادثا وقع له ، فالصدق عندهم فضيلة مقدسة ، وقد تعلموها من دينهم وعرفوا أن نبيهم الذى يحبونه أشد الحب كان يلقب منذ صباه بأنه الصادق الأمين ، والله تعالى يأمر بالصدق في قوله : ((**ياأيهاالذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**)).

***

بهذا فهموا الاسلام فهما عصريا .. لم يفهموه طقوسا مبهمة ، ولم يفهموه معزولا عن حياتهم ، بل طبقوا تعاليمه على حياتهم وسلوكهم ، فاستحقوا بذلك ــ مع أن اكثرهم شعوب بدائية ــ استحقوا ان ينطبق عليهم قول الله تعالى : ((كنتم خير أمة اخرجت للناس)) لأنها اتخذت من رسولها أسوة حسنة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مدحه ربه بقوله : ((وانك لعلى خلق عظيم)) .. وهو الذى دعا امته الى اصلاح دنياهم واصلاح آخراهم في قوله : ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)) . ويا ليت المسلمين في مختلف أقطارهم يطبقون تعاليم الاسلام عمليا ، ويفهمونه هذا الفهم العصرى .. حتى يكونوا تقدميين متحضرين .

مصاحف النسخ الفنى للقرآن وآثار إسلامية نادرة

ابراهيم البعثى
يكتب من دبلن :

● ان تقوم دولة او هيئة بجمع روائع المخطوطات ، فهذا يبدو امرا عاديا او معقولا .. ولكن عندما يقوم فرد بهذه المهمة ، فهذا ما يلفت الانظار خصوصا اذا كان هذا الشخص غير دارس للتاريخ او متعمق فى الادب او الفن او الدين او غيرها ..

اسمه : تشيستربيتى – جنسيته ايرلندى – مهنته : مهندس ومستثمر للاموال .

اهم شىء كان يتميز به ، هو انه كان يتمتع بقدرة عالية على الحكم الجمالى ويحسن الحكم على القيمة الفنية للصورة او الرسم او الخط .

وقد اصبح تشيستربيتى جامعا للمخطوطات فى جدية واهتمام منذ عام ١٩١٢ اثر زيارة قام بها للشرق الاوسط ، فقد عثر مصادفة على مجموعة كبيرة من المخطوطات الاسلامية التى كانت معروضة للبيع باثمان زهيدة ، سواء لشدة حاجة صاحبها الاصلى الى المال او لانه لم يكن على درجة من الوعى بحيث يقدر قيمتها او اهميتها .

ومنذ هذه اللحظة اقبل تشيستربيتى على شراء المخطوطات والاعمال الفنية العربية والفارسية والهندية .

ولم يكن يقتصر على جمع الطبعات الاولى فقط ، بل انه كثيرا ما كان يشترى الكتاب بسبب تجليده او ما يزينه من رسوم ..

ولم يكن يهتم بشراء مخطوطات عصر معين ، بل ان مجموعاته المختلفة اصبحت تضم ما يبرز تاريخ الحضارة ابتداء من عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد وحتى اليوم ..

ومن اقدم ما نجح فى الحصول عليه : مجموعة الواح الطوب البابلية ، واوراق البردى المصرية واليونانية ، ومنها على سبيل المثال صحيفة من البردى كتبت فى عهد رمسيس الخامس ، وهى تمتاز باهمية خاصة لانها تضم بعض اغانى الحب المصرية القديمة فى نصوصها وهى كاملة تماما ..

ولكن أشهر مجموعة من أوراق البردى فى مكتبة تشيستربيتى هى صحائف البردى التى تضم الكتاب المقدس باليونانية ، وقد اكتشفت فى



نموذج للصحيفة الافتتاحية لكتاب عقيدة ابن اصبيح ، مكتوب فى الاندلس فى القرن الثالث عشر ...

الفيوم المدينة المصرية العريقة حيث كانت مدفونة فى مكان كان من قبل سردابا لكنيسة قديمة ، وحصل عليها تشيستربيتى من بائع فى القاهرة عام ١٩٢٩ ، ولكنه لم يعلن عن اكتشافه على العالم الا عام ١٩٣١ عندما تأكد من صحتها ـ وطبعا كان البائع لا يعرف قيمتها أو قدرها ...

وفى فترة الانتظار كان علماء الكتاب المقدس يفحصون أوراق البردى بسرية تامة لتحديد تاريخها وعمرها ، وقد اتضح بالفعل ان أوراق البردى هذه كانت أهم فئة من المخطوطات المتعلقة بالكتاب المقدس التى اكتشفت منذ اكتشاف قانون سيناء عام ١٨٤٤ ، واتضح ايضا أن اجزاء سفر التكوين

التى حصل عليها تشيستربيتى كانت اقدمها فى الوجود ..

وتمتاز أوراق البردى القبطية أيضا بأهمية قصوى نظرا لاحتوائها على نصوص كتب مفقودة لاصحاب العقيدة المانوية التى كانت سائدة فى الماضى حول جزء كبير من حوض البحر الابيض المتوسط .

ترى كيف خرجت هذه الروائع النادرة ببساطة من مصر ؟!

صالة المخطوطات الغربية

وكانت مكتبة تشيستربيتى تضم فى فترة ما عددا كبيرا من المخطوطات الغربية الا أن اغلبها بيع بعد وفاة السير تشيستربيتى عام ١٩٦٨ ..

والباقى منها له اهمية قصوى ، فعلى سبيل المثال يوجد « كتاب الساعات » الرائع الذى كتب بأمر من عاشق الكتب الكبير الاميرال كوتيفى الفرنسى حوالى عام ١٨٤٥ ..

وهذا الكتاب عبارة عن ١٤٤ لوحة جميلة فى حجم صغير جدا قام برسمها كبار فنانى بدفورد .. ويقال أن الاميرال كوتيفى كان يأخذها معه فى رحلاته ..

وكذلك تضم مجموعة تشيستربيتى مخطوطات ارمينية لها وضع خاص لدى المؤرخين نظرا للمركز الذى كانت تحتله ارمينيا بين بيزنطة والاسلام ، وقد نجح القادة المسلمون فعلا فى نقل الرسم البيزنطى الى مراكز التاليف والمخطوطات فى عواصم العالم الاسلامى ..

وتعود روائع هذه المخطوطات الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وقد زين بعضها برسوم أعظم الرسامين ، ومن بينها أيضا عدد كبير من المخطوطات من أصفهان ، وفيها أيضا خمسون مجموعة من المخطوطات الاثيوبية التى زينت برسوم « منمنمة » كثيرة واكلها ذات طابع افريقى قوى ..

وهناك أيضا نسخة من كتاب « ويداسا مريم » أى مدائح مريم ، كان قد أستولى عليه ضابط بريطانى بعد معركة مجدلة عام ١٨٦٨ عندما غزا البريطانيون أثيوبيا ..

وهناك مجموعة صينية عبارة عن ١٧٠ صحيفة منها ٣ مجلدات من موسوعة قديمة كانت قد الفت بأمر من الامبراطور العالم تشيين لونج « ١٧٥٦ ــ ١٧٩٥ » التى بلغ عدد مجلداتها الفى مجلد ، وقد حفظت هذه المجلدات فى المكتبة الامبراطورية فى بكين الى ان قامت ثورة البوكسر عام ١٩٠٠ عندما أحرقت البناية أثناء المعارك ، وبعد الحريق تم انقاذ بعض المجلدات ونقلها من الصين ، وبالتالى أستطاع تشيستربيتى ان يشترى ثلاثة مجلدات منها .

وهناك أيضا تعويذة سحرية بوذية من القرن الثامن عشر كتبت على ورق واحيطت بمعبد مصغر ، ولها اهمية كبيرة حيث أنها اقدم نموذج معروف لنص مطبوع .

والمجموعة اليابانية تحتوى على مائة صحيفة ملونة من الرسوم ، ولبعضها قيمة صناعية خاصة لانها تحتوى على تسجيل لعمليات زراعة الشاى وصناعة الحرير وكذلك معلومات عن التعدين والمناجم .. وهنا تنعكس اهتمامات تشيستربيتى الاصلية اذ انه بدأ حياته كمهندس تعدين ..

وهناك ما يقرب من الالفى عمل مطبوع باليابانية بالاضافة الى عدد من الكتب المطبوعة بالكليشيهات الخشبية ، وتمثل هذه الكتب جميع عظماء فن الطباعة اليابانيين من أمثال هوكوزاى ، وهيروشيجى ، واوتامارو وغيرهم ..

الكنوز الاسلامية

والزائر العربى الذى يدخل مكتبة تشيستربيتى فى دبلن سيصاب بدهشة شديدة لما سيجده هناك ، واول ما سيثير اهتمامه هو نسخة من القران الكريم

بخط اعظم خطاط عربي هو ابن البواب، وقد كتبهافي بغداد سنة ٣٩١هجرية ـ ١٠٠٠ ميلادية ، والى جانبها هناك رسم « منمنم » رائع بريشة « بهر زاد » ادق رسام فارسي على الاطلاق ، وسيجد ايضا ـ على بعد خطوات ـ مؤلفا عربيا فريدا من البيزرة من مكتبة الخليفة الفاطمي العزيز ..

وطبعا سيتساءل الزائر العربي في دهشة :

● كيف وصلت هذه الكنوز من نوادر الادب الاسلامي وروائع الفن الفارسي الى هذه البقعة البعيدة عن الشرق الاوسط؟

قبل الاجابة أقول :

ـ صحيح أن تشيستربيتي كان ايرلندى الجنسية ، ولكن الحقيقة انه ولد في مدينة نيويورك الامريكية عام ١٨٧٥ وتعلم بها . وفي عام ١٨٩٥ انتسب الى كلية هندسة التعدين في كولومبيا حيث تخرج بتفوق عام ١٨٩٨ ، وفي شتاء العام نفسه غادر نيويورك متجها الى دنفر في ولاية كولورادو التي كانت و تشد مركز صناعة تعدين النحاس الامريكية ..

وكانت هذه فترة حياة الغرب الامريكي القفر الذى عرفناه جيدا من الافلام الامريكية في الثلاثين عاما الماضية ، وفي هذه الفترة تمرس تشيستربيتي على حياة العنف التي لم يكن يامن فيها انسان على حياته ما دام لا يحمل مسدسا في حزامه ، ولكن تشيستربيتي يختلف عن الجميع بانه كان يخفي مسدسه في حذائه الطويل ..

وفعلا تعرضت حياته للخطر أكثر من مرة ...

كان قد وصل دنفر في ولاية كولورادو وكل ثروته عبارة عن سبعين دولارا ، ولكنه قبل أن يبلغ السادسة والثلاثين ـ اى خلال ١٢ عاما ـ أصبح يملك مليونا من الجنيهات ...

وفي السادسة والثلاثين من عمره قرر أن يعتزل العمل في المناجم بين العنف والسحب، وقرر أن يعيش في بريطانيا،



صحيفة من مخطوطة « شاه نامه » للشاعر الفردوسي . دونت بايران حوالي عام ١٣٤٠ ، وتمثل كسرى وهو يملى رسالة الى خاقان الصين .

وكان الاطباء قد ابلغوه في ذلك العام ـ ١٩١١ ـ أنه لن يعيش أكثر من عام أو عامين .

وتشخيص الاطباء استند الى انه امضى ساعات تحت الارض تحت اقسى الظروف وهو يتنفس غبار المناجم الدقيق باستمرار مما أدى الى اصابته بمرض تراب الرئة ..

ولذلك قرر بيتي أن يمضى ما بقى من عمره في جو افضل واكثر ملاءمة لصحته، ولذلك فضل أن يعيش في اوربا صيفا وفي مصر شتاء .. وهكذا وصل لندن موطن قلبه ، وقلبه وعقله قد رسخت فيهما هذه القناعة .

وزاد من آلامه ان زوجته توفيت في الولايات المتحدة قبل مغادرته لها بايام . ولكنه في لندن ، عاد يتعلق بالحياة وتزايدت اهتماماته ببلاد العالم المختلفة بالاشتراك مع صديقه هربرت هوفر الذى أصبح رئيسا للولايات المتحدة فيما بعد ..

وانتقل تشيستربيتي من كنوز جبال الاورال في روسيا الى نحاس روديسيا ثم ذهب افريقيا الغربية ..

وكما كان مهندسا قديرا في شئون

مصاحف نادرة وآثار إسلامية نادرة

المناجم برزت مواهبه المالية ، ولكن قيام الحرب العظمى الاولى حال دون تزايد نشاطه ..

وفي شتاء عام ١٩١٣ ، وصل بيتى مع زوجته الجديدة الى مصر للمرة الاولى ، وقد شعرا بروعة جمال وادى النيل وآثاره الاسطورية ، ووجدا المناخ الذى يلائمهما تماما ، ولذلك قام بشراء مسكن « فيللا » سماها البيت الابيض ، ثم بنى بيتا بالقرب من اهرام الجيزة احاطه بالحدائق والبساتين ..

وكان من عادته ان يتمشى حول الاسواق وفي احياء القاهرة القديمة ، وكان يصادف اثناء هذه الجولات عددا من باعة المخطوطات القديمة المتعددة الانواع ، وكان يجد على سبيل المثال نسخة من القرآن كتبها خطاط لاحد سلاطين المماليك او رسالة مزينة بالرسوم الغريبة اعدت لمكتبة اسطنبول الملكية او سجلا قديما من الرسوم من بلاط الامبراطور الهندى جهانكير .

والذى اثار دهشة واهتمام بيتى ان عددا ضئيلا من الناس كان يبدى اهتماما بهذه النفائس بينما الاغلبية لا تهتم بها رغم وجودها امام انوفهم ..

وكان الاوربيون وقتئذ يفضلون جمع المخطوطات الغربية للعصر الوسيط على المخطوطات الاسلامية ..

وهكذا كان من السهل على تشيستربيتى أن يشترى روائع المخطوطات والاعمال الفنية بابخس الاثمان رغم أنه كان عاجزا عن قراءة سطر واحد منها لجهله باللغة العربية ..

وعندما عاد الى لندن بدأ يبحث في اسواقها ومكتباتها على المخطوطات والمؤلفات العربية والفارسية . وقد استعان في هذه المرحلة بالمستر ادوارد ادواردز الذى كان يعمل وقتئذ في قسم المخطوطات الشرقية في المتحف البريطاني .

وكان بيتى يدفع ربع ثمن الكتاب كتأمين ثم يعطيه لصديقه ادوارد ليدرس ويتفهم مدى قيمته ، فاذا نصحه بشرائه دفع باقى الثمن .

واصبح له وكلاء في الشرق أشهرهم هما : كاتا ساكيسيان وكان تاجر كتب ارمنى له متجر بالقاهرة ، و أ. س. يهود المستشرق اليهودى في شمال أفريقيا . وفي الفترة بين عام ١٩١١ – ١٩٤٩ كان بيتى يسمح لمستشرقى العالم على مختلف جنسياتهم بفحص ودراسة مخطوطاته بل انه استعان ببعض العلماء – على نفقته – في تدوين وفهرسة وطباعة مجموعاته .

وفي عام ١٩٤٩ وعلى اثر خلافات مالية مع الحكومة البريطانية انتقل الى دبلن عاصمة ايرلندا حيث اشترى منزلا واعد مكتبة تحمل اسمه ..

وكان لتشيستربيتى مشهورا بالكرم خاصة فيما يمس الكتب والمخطوطات ولكن قمة كرمه وسخائه انه عندما توفى عام ١٩٦٨ وهب مكتبته باكملها للأمة الايرلندية .. هذه المكتبة التى تضم الان أكثر من اثنى عشر الف مخطوط وعمل فنى ..

والمخطوطات العربية عبارة عن ٣٦٥٠ مخطوطا قام بتنسيقها وفهرستها المرحومان أ.ج. آربرى من كمبردج ، والالمانى باول كاله .

وهى عبارة عن ثلاثة انواع : نسخ قديمة جدا ، ومؤلفات فريدة ، ومخطوطات نسخت بيد المؤلف الاصلى .. هناك مثلا نسخة يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثالث عشر من صور الاقاليم «مخطوطة ٣٠٠٧» من تاليف الاصطخرى « ٣٤٠ هجرية – ٩٥١ ميلادية » وقد زينت بخرائط ممتازة .

وهناك مؤلف بلا عنوان للكاتب الاندلسى المعافرى المالقى يحتوى على مقالات لنساء شهيرات في الاسلام مثل عائشة بنت طلحة . وام الدرداء من دمشق المشهورة بعلمها في الفقه وعلم الكلام ، والشاعرة ليلى الاخيلية مع بعض

استعارها « مخطوطة رقم ٢٠١٦ » وفهرست ابن النديم « ٣٧٧ هجرية ـ ٩٨٧ ميلادية » ..

وهناك جزء من كتاب « خاورنامه يحتوى على قصص ابطال الاسلام وخاصة اولئك الذين يتصلون بالامام على ، والصور فى حجم كبير غير عادي وقد رسمت بالوان زاهية جدا .

وهناك مخطوطات تركية كثيرة نظرا لان السلاطين الاتراك كانوا يشجعون التصوير واحدها يضم فتوحات السلطان سليمان القانوني وقد كتبه لقمان عشورى المؤرخ الرسمي للسلطان ، وهناك مخطوطات مغولية هندية من ٧٤ مجلدا وسجلا مصورا .

٧٠ نسخة من القرآن

وتضم مكتبة تشيستربيتى نخبة بديعة من المصاحف جمعت من كل انحاء العالم ابتداء من الاندلس حتى الصين . وقد كتب منظم فهرس مجموعة المصاحف المستشرق ا . ج . آربرى ما يلي :

« أن مجموعة المصاحف فى مكتبة تشيستربيتى الفائقة فى الحجم والجودة والتنويع تضم نماذج مدهشة من كل قرن وكل اسلوب بحيث توضح بكمال يثير الدهشة تاريخ النسخ الفني للقرآن الكريم » ..

العربية فى الجامعة الايرلندية

وبعد أن اصبحت المكتبة ملكا للشعب الايرلندى بدات ايرلندا الوطنية فى تطوير وتحسين مستوى تدريس اللغة العربية والدراسات الاسلامية ، فقد تبين أنه اذا اريد لشعب ايرلندا ان يستفيد من مجموعات مكتبة تشيستربيتى فانه لابد من تمكين الطلاب الايرلنديين من تذوق محتويات هذه المكتبة والاستمتاع بدراسة كنوزها ..

● موعد مع الهلال ●

فى العدد القادم والاعداد التالية تفتحت صفحات هذا العدد من « الهلال » للبحوث والدراسات عن « الاسلام والعصر » ... فتاجل نشر مواد كثيرة مما يقدم «الهلال» من ثمرات قرائح كبار الكتاب وشباب الأدباء والشعراء ... فمعذرة ، وموعدنا العدد القادم والأعداد التالية من « الهلال ».

ولذلك تقرر أن تيسر دراسة اللغة العربية لخريجى الجامعة من حملة البكالوريوس أو لغير الخريجين من الطلاب ..

وقد بدا الاخذ بهذا المخطط بالنسبة لتعليم اللغة العربية والدراسات الاسلامية فى عام ١٩٧٢ ..

ولكن الدراسة لم تثمر على النحو المرجو ، ولذلك فاننا نقترح ان يسهم الازهر ووزارات التربية والتعليم فى كل الدول العربية فى هذه الخطوة الهامة التى تقوم بها جامعة ايرلندا الوطنية نظرا لضعف امكانياتها .

وبهذا تنجح مكتبته فى نشر اللغة العربية بين المواطنين فى دولة بعيدة عن الشرق الاوسط .. دولة قريبة من القطب الشمالي ... ●

المرأة

بين الإسلام والشرائع الأخرى

● عبد الرزاق نوفل ●

● كرم الاسلام المرأة حيث لم تكرمها الشرائع الاخرى ، وافرد لها مكانتها في تساو مع الرجل ، بل انه خالف الشرائع الاخرى وناقض المعتقدات التى كانت سائدة بالنسبة للمرأة وقت أن انزل الله سبحانه وتعالى الاسلام نهاية الاديان واكملها ، وآخر الرسالات — اذ نجد في أول صفحات التاريخ المكتوب ، سواءا كانت رسوما على حجر ، أو تسجيلا على الر — ان المرأة أيا كانت مسمياتها أو صفتها ، زوجة او خليلة او تابعة او جارية : انما كانت تختلف عن الرجل في قيمتها اختلافا كبيرا ، وتبعد عنه بعدا طويلا .. فهى لاتملك حتى نفسها ولاتماثل الرجل حتى في شكل الحياة التى تعيشها معه .. فكافة الرسوم الموجودة على الآثار تظهر الرجل يسير متقدما على المرأة .. واذا ركب الدابة ، فهى تسير خلفه وخلفها ، تحمل متاعه ومتاعها ..

وما زالت هذه العادة فاشية في بعض المجتمعات المتخلفة والقرى النائية ، مما يؤكد أن المرأة لم تكن في ظن الرجل ولا في معتقده الا جارية له ، أو تابعة تتبعه ، أو خادمة تقوم على كل شأنه ..

وكانت بعض الشرائع تذكر أن المرأة كان لا روح لها ، وانها اذا ماتت فلا تحشر ولا تحاسب ، ولذا اذا مات زوجها تترك بلا غذاء حتى تموت !.

واذا رجعنا الى الشرائع القديمة المكتوبة نجد أن في شرائع الهند النص الذى يقول :

« ان الوباء والموت والجحيم والسم والافاعى والنار — خير من المرأة » .

وفي الشرائع الاحدث نجد في نسخ العهد القديم المتداولة وفي سفر الجامعة بالاصحاح السابع نصا يقول :

« درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ، ولأعرف الشر أنه جهالة ، والحماقة انها جنون ، فوجدت أمر من الموت : .. المرأة ، التى هى شباك ، وقلبها اشراك ، ويداها قيود .. الصالح قدام الله ينجو منها أما الخاطىء فيؤخذ بها !» .

هذه النظرة الى المرأة ، وهذا الاعتقاد فيها ، قد ترجم الى قوانين وتشريعات ، فالى عهد قريب وحتى القرن الماضى لم تكن للمرأة الشخصية الاستقلالية التى تجعلها تمتلك حتى ملابسها ، فهى اما ملك لزوجها ، أو لأبيها .. وان لم يكن لها الزوج او الأب فهى ملك لأكبر اشقائها .. وليس لها الأهلية التى تمكنها من التصرف في مالها — أيا كان مصدره — بل هناك دليل واضح على قدر ما ترى المجتمعات الغربية في المرأة .. انها تفقد اسمها واسم أبيها وعائلتها بالزواج ، اذ تحمل

اسم زوجها ، وما ذلك الا من آثار ما كانت عليه المراة اذ تتبع زوجها تبعية كاملة تفقد معها شخصيتها الاستقلالية بل اسمها احيانا واسم عائلتها حتما ..

ولم تكن المراة فى بلاد العرب احسن حالا .. فكان الاعرابى يقتل ابنته بمجرد ولادتها ان كانت قبيحة .. فان كانت جميلة وابقى على حياتها : فانما لفترة حتى تصير طفلة فيدفنها حية ، وهذا هو «الوأد» الذى يقول عنه القرآن الكريم: **« واذا الموءودة سئلت . باى ذنب قتلت »**

وكان الاعرابى يجمع بين الاختين بالزواج ، ويتزوج لفترة زمنية يحددها .

ومثل ذلك كثير مما يشير الى مهانة المراة فى مجتمع العرب قبل الاسلام.

ونزل القرآن الكريم ، دستور الدين الخالد ، الاسلام ، ليعطى كل ذى حق حقه ، ويكرم الانسان : التكريم الذى اراده الله سبحانه وتعالى . اذ خلقه بنفسه ليكون خليفة له فى الارض .

والانسان الذى خلقه الله وجعله خليفة فى الارض انما يضم الجنسين الرجل والمراة .. وحيث كانت المراة قبل الاسلام تعيش فى ذلة ومهانة ، وفى ضياع وندامة ، فقد ركز القرآن الكريم على تكريم المراة ، واهتم نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم بها ، ايما اهتمام .

فقد افرد القرآن الكريم للمراة سورة خاصة بل اطلق عليها اسمها وهى سورة النساء ، احدى السور الشريفة الطويلة : وقد اختصت بالعناية بكل شئون المراة .

علاوة على ذلك فان سورا اخرى كريمة قد اوردت حقوقها واوضحت التوصية على العناية بها ، وابرزت اهمية دورها فى الحياة .. نجد ذلك فى سور الطلاق ، والبقرة ، والمائدة ، والنور ، والاحزاب ، والمجادلة ، والممتحنة ، والتحريم ..

واذا اعتبرنا ان سورة النساء هى الدستور الخاص بالمراة : نجد ان اول مواده ، اى اول آياتها : هى الاية التى تقرر الحقيقة الاولى فى خلق المراة : التى تستهدف اعلان تساويها مع الرجل فيه ، فهى وهو سواء فى الخلق ، وانها خلقت كما خلق .. وذلك بالنص الشريف :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا »

والمتامل لهذه الاية الشريفة يجد انها اوردت ان الخلق تم من نفس واحدة ومن هذه النفس بذاتها ، خلق منها زوجها ، فخلق الزوج ، اى الاثنين يتساويان فى الطريقة والاصل والهيئة والشكل .. ويتساويان تماما: اذ ان النفس الواحدة انقسمت الى قسمين متساويين ومتماثلين فكونا الفردين ، الرجل والمراة .. ولذلك فان القسم الواحد هو زوج الآخر ، اى شطره ونظيره ..

وتاكيدا لهذا المعنى ، فان القرآن الكريم لم يذكر المراة اطلاقا على انها زوجة الرجل ، وانما هى زوج الرجل اى نصفه المماثل الذى يكتمل بها .. كما انه ايضا زوج المراة .. وذلك فى ضوء الآيات الكريمة بالنسبة للمراة وانها زوج الرجل :

« فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه »

« فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه »

وبصيغة الجمع نجد لفظ ازواج ايضا ولم ترد زوجات ابدا فى مثل النص الكريم :

« واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا »

ونفس اللفظ نجده بالنسبة للرجل وانه زوج المراة فى النص الشريف :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها »

هذه الدقة فى البيان الاسلامى واللفظ القرآنى ، انما ليعلن ويؤكد فى صراحة ووضوح تساوى الرجل والمراة فى الاصل والخلق والتكوين انهما شطران لنفس واحدة لاتقوم الا بهما معا .

●

مسابقة العدد :

أحداث وبطولات إسلامية

يسعد « الهلال » فى عدده الخاص ـ الاسلام والعصر ـ ان يقدم لقرائه فى ارجاء الوطن العربى ، هذه المسابقة الجديدة تدعيما لنشر الثقافة الدينية والمعرفة الصحيحة بالبطولات والاحداث في تاريخنا الإسلامي المجيد ..

● السؤال الاول ●

فى تاريخ العالم الاسلامى الحديث حوادث حاسمة تعين مراحل فاصلة فى تاريخ تحرر بلاد الاسلام ونهضتها الراهنة . ما هى فى رأيك اهم حوادث خمسة فى هذا التاريخ ؟ ..

لا تكتب اكثر من ثلاثة سطور عن كل حادث من هذه الحوادث الخمسة تشرح فيها اسباب اختيارك .. علما بان العصور الحديثة بالنسبة للعالم الإسلامى تبدا من القرن الثاني عشر الهجرى ـ الثامن عشر الميلادي

● السؤال الثانى ●

تاريخ الجهاد فى سبيل الحرية فى عالم الاسلام الحديث حافل بالابطال وزعماء التحرير من رجال السياسة والحرب ورجال الفكر .

من هم الخمسة الاول الذين ترى ان لهم اثرا اكثر من غيرهم فى تحرير الوطن الاسلامى ؟ ..

لا تكتب اكثر من ثلاثة سطور عن كل شخصية تختارها تبين فيها اسباب اختيارك لها .

شـروط المسابقـة :

- اكتب الاجابة عن السؤالين بدقة وخط واضح .
- من حقك الاشتراك فى المسابقة بأكثر من رد
- ارفق اجابتك بالقسيمة المنشورة هنا، بعد ان تملأ بياناتها بخط واضح ..
- آخر موعد لتسليم الاجابات اول مارس ١٩٧٩
وتعلن النتيجة اول ابريل ١٩٧٩ .

الجوائـز

الجائزة الاولى : عشرون جنيها
الجائزة الثانية : خمسة عشر جنيها
الجائزة الثالثة : عشرة جنيهات
الجائزة الرابعة : خمسة جنيهات

الجوائز الخمس التالية :

لكل فائز اشتراك مجانى
فى الهلال لمدة سنة

كوبون المسابقة
فى ظهر الغلاف الأخير

الإسلام

في مرآة الفكر الغربي

● محمد الحديدي ●

● « محمد : النبي ، ورجل الدولة » ــ عنوان كتاب الباحث الانجليزي مونتجومري وات ، وهو استاذ للدراسات الاسلامية والعربية في الجامعات الانجليزية ، وله كتابان آخران عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، هما : « محمد في مكة » ، و « محمد في المدينة » ، وهذا الكتاب : « محمد النبي ورجل الدولة » ، هو بصفة اساسية ، ادماج مختصر لهذين المؤلفين الكبيرين .

وقد كتب الكثيرون من مؤلفي الغرب عن حياة الرسول وعن رسالته ، وفي رايي المتواضع انه مما يهم المسلم ان يطلع على كتابات الغربيين في موضوع الرسالة ، وفي حياة الرسول وصفاته، وذلك لأمرين : أولهما انه امر مشوق جدا أن نعرف ما يقولونه وما يكتبونه ، وان كان من المنتظر ، بل من المؤكد ، انه سيكون مخالفا لما نعتقده ، بل ولما نعرفه . والأمر الثاني هو هذا نفسه ، وهو أن ما نعرفه وما نعتقده . الايمان الذي الهمنا الله ، تاميزنا به عن الخلق أجمعين ، قد يجعل البعض منا يفقدون شيئا مما تأتي به الدراسة التاريخية المحضة لهذه الحقبة من تاريخ البشرية، التي كان لها أثر أعظم الاثر ، وخطر أجل الخطر ، والتي حولت مسار التاريخ الانساني في دفعة هائلة سريعة، وجاءت من حيث لم يكن لأحد أن يتوقع ، وفي زمن ومن بيئة لا هذه ولا ذاك كان ينبىء بأدنى أثر على تاريخ الانسان أو عقيدته ، وعندما جاء هذا كله فانه جاء على يدي رجل أمي نشأ طفلا فقيرا يتيم الأبوين ، وكما يقول مؤلف هذا الكتاب « لم يكن ليتيم في مكة ، على ما كانت عليه أحوالها في القرن السادس (الميلادى) ، لم يكن له أن يتوقع حياة سعيدة ، ففي حياة البدو القديمة ، كانت تقع على كاهل زعيم الأسرة مسئوليات نحو الضعفاء من ابنائها ، اما في مكة ، فقد كان صراع المتاجرين من أجل الثروة قد جعل كل واحد منهم لا يكترث الا بمصالحه ولا يلقي بالا كبيرا للمسئوليات التقليدية » .

وهكذا فان الكثيرين منا ، وربما كلنا ، في ايماننا العميق ، والشعور بالطمانينة التي تاتي من هذا الايمان ، لا نعطي الاهتمام الذي يستحقه منا الجانب التاريخي العظيم في الدعوة الاسلامية .

وصحيح ان الاسلام لا يفرق بين محمد النبي ومحمد الانسان ، اذ انه **((ما انا الا بشر مثلكم يوحي الي))** ولكن الحقيقة تبقى ، وهي ان هنالك عالما عظيما من المعرفة والمتعة ، يأتي من تأمل الجانب الدنيوي من هذا التاريخ منفصلا ولو للحظة خاطفة ، يأتي من محاولة الاجابة عن هذا السؤال : كيف امكن لمحمد كل هذا ؟ محمد رجل الدولة ، لا محمد النبي ...

وعلى اية حال فان محمدا لم يزعم انه كان قادرا على اية معجزات ــ **((انا الا بشر مثلكم يوحي الي))** ، ولكن فيما عدا الوحي كان محمد قائدا وزعيما ورجل دولة ، كأي قائد أو زعيم او رجل دولة ، صحيح ان وقع الكتاب الكريم وآياته كان له اعظم اثر في النفوس ، ولكن هذا لا ينفي انه ابتداء من هذا الاثر كان محمد يقود الرجال ويخوض الحروب ويعقد المعاهدات ، وخلفه رجال كانوا من صحابته ، نشأوا معه في اعماق هذه الصحراء الجافة الجامدة المترامية ، وماتوا وهم خلفاء يحكمون امبراطورية هي كل ما كان معروفا من الدنيا اذ ذاك ...

هؤلاء الكتاب

عندما نقرأ لهؤلاء الكتاب اذن ، فان علينا أن ندرك ان الله لم ينعم عليهم بما انعم علينا به ، وان نقرأهم ونحن عارفون بذلك ، وأن نحتمل منهم ما يظهرونه من شك في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، لان امامنا خيارين لا ثالث لهما ، ان نقرأهم ، والا نقرأهم ، فاذا اتفقنا على ان العلم بما يكتبونه افضل من الجهل ، وان هناك الكثير مما يمكننا ان نجنيه من هذه القراءة ، فانه لا معنى اذن لان تتسم هذه القراءة بالحنق او السخط ...

علينا أن نتقبل ما نقرأ بالحكمة والاناة ، فهي حقيقة علمية ان هنالك مؤمنين وغير مؤمنين ، والايمان ليس هو التزمت والتشنج ، انه الادراك الواسع السليم ، وكلما كان الايمان عميقا كان المؤمن اكثر صبرا واكثر تعمقا واقدر على فهم حقائق الحياة .

منهج الكتاب

ويتخذ هذا الكتاب طابع السرد ، فهو يبدأ بسيرة محمد طفلا ، يتمه وكفالته عند عمه ابي طالب ، ثم يتوقف وقفة طويلة قائلا انه ليس معروفا الكثير عن شبابه ، ثم يتطرق الى زواجه من خديجة ، ثم نزول الوحي ، ثم بدء الدعوة ، ثم الرحلة الى الطائف والعودة منها ، ثم الهجرة الى المدينة ، واتساع نطاق الدعوة في المدينة ، ومن ذلك الى الغزوات منتهيا بواقعة الخندق ، ويكثر من الحديث عن يهود النادر وقريظة وخيبر ، ويمضي من هذا الى فتح مكة ،

ثم الى فصل بعنوان « حاكم بلاد العرب » ، وينتهي الكتاب بفصل عنوانه « تقييم » .

ما الذى يقوله ؟

ورغم ان الكاتب ـ كما أسلفنا ـ ليس مسلما ، الا انه فى مواضع كثيرة يظهر درجات عالية من الذكاء والشجاعة والانصاف، فيقول في بداية عرضه لهبوط الوحي « القرآن عند المسلمين هو كلمة الله ، ولابد ان محمدا كان يعتقد ذلك، ومن المؤكد أنه كان مخلصا تماما فى اعتقاده ، من المؤكد أنه كان مقتنعا تماما بقدرته على التفرقة بين أفكاره والرسالة التى تأتيه من خارج ذاته ، ان استمراره فى دعوته فى مواجهة الاضطهاد والاعتداء لم تكن لتستمر لو لم يكن مقتنعا تماما بأن الله قد ارسله ، ولو انه كان يدرك أن الوحى كان من صنع أفكاره هو ؛ لانهارت دعوته الدينية من أساسها » .

وهو يمضى بعد ذلك فيعلل كراهية الغربيين للرسول عليه الصلاة والسلام، بأن المسلمين في الفتوحات التي تمت بعد وفاته ، استولوا على البلاد التى ولدت فيها المسيحية : مصر وسوريا ، ثم : « عندما نأخذ فى اعتبارنا ما كان يقال عن الفاتحين فى العصور الحديثة ـ مثل نابليون وكايزر وهتلر ـ فاننا لا ندهش للعداء المرير الذى ووجه به المسلمون والذى لم يخفف منه ما ظهر به المسلمون فى اسبانيا من الرقة والدعة وحب الحياة الرغدة فى مواجهة شظف الأوربيين وبساطة حياتهم » .

وعن الدين الجديد ، يقول : « والاسلام يتفق مع العقيدة التقليدية التى تسود اليهودية والمسيحية ـ أو لكى نتجنب الايحاء بانه أدنى منهما ـ العقيدة الابراهيمية ، وهو ليس باية حال مجرد انعكاس لهما ، فهو ينبع من اندماج عناصر الكتاب المقدس مع حركة تحرر الروح الانسانية ، والتى تأتى بدورها من الظروف المحلية . يجب أن تكون كل هذه الجوانب واضحة لنا عندما نحاول تصور مولد الاسلام » .

والمؤلف يدفع عن الرسول كل الاساءات التي يلحقها به زملاؤه من الكتاب الغربيين فيما يتعلق بزيجاته ، فهو يقول عن زواجه بعائشة « من الواضح أن الزواج بعائشة كان لأسباب سياسية ، هى ايجاد الرابطة القوية بينه وبين أبى بكر ، وكذلك كانت أغلب زيجاته والزيجات التى كان يعقدها لبناته وللمقربين اليه ، وليس صحيحا ما يدعيه كتاب الغرب من انه كان رجلا شهوانيا ، فأغلب هذه الزيجات كانت تتم وهو يقترب من الستين ، وأغلب النساء كن أرامل رجال ماتوا فى الغزوات ، واذا راعينا سرعة نضج الفتيات فى هذه البيئة وسرعة هرم النساء ، رأينا ان أغلبهن كن عجائز لا يغرين احدا بالزواج » .

وفى قصة الافك ، يحكي المؤلف ان الرسول دعا مجلسا من الانصار قبل ان يتخذ قرارا بمعاقبة المتقولين ظلما فى عائشة ، ثم يضيف « وهذا يدل على انه لم يكن باية حال حاكما أوتوقراطيا فى المدينة ، وأنه اذا هاجمه رجل فى اسرته فانه يطلب موافقة انصاره قبل أن يوجه اليه اللوم » .

ثم يقول فى مسألة اليهود « ان استمرار بقاء اليهود فى المدينة ، وان

يكونوا قلة . يكفي للدلالة على خطأ البـاحثين الأوربيين الذين يقولون ان محمدا اتخذ في السنة الثانية للهجرة مبدأ يقضي باقصاء كل اليهود عنهـا ، لمجرد انهم يهود ، وانه استمر في هذه السياسة بلا هوادة ، بل ان هذه لم تكن وسيلته ولا سياسته ، فقـد كانت له دائما نظرة متوازنة الى المواقف ، وكان يكيف الأمور طبقا للظروف المتغيرة دون التزام بموقف واحد متجمد ، وقـد كانت مهاجمته لقبيلتين يهوديتين لاتعدوان تكون نتاجا لموقف اليهود أنفسـهم الذي كان يهدف الى الاساءة الى الاسلام بانكار الوحي والنقد لنصوص القرآن كما انهم كانوا يؤيدون اعداء محمـد ويتحالفون معهم ، والذين لم يلجأوا منهم لهذه السياسة هم الذين سمح لهم بالبقاء في المدينة ، وكم كان يمكن ان يتغير تاريخ البشرية لو ان اليهود ــ وهم أصحاب ديانة توحيدية ــ امكنهم ان يصالحوه أو يتعاونوا معه ! » .

بعد الفتح

يزداد اهتمام المؤلف بمحمد كرجل دولة ــ فيما يسمى به الكتاب ــ بعد فتح مكة ، ولكنه يضيف « ان اهم سبب لنجاحه في فتح مكة هو جاذبية الاسلام، وصلاحيته لظروف المجتمع العـربي ، وربما كان القادة يجدون منفعة سياسية في الابقاء على العادات والتقاليد القديمة (يقصد أبا سفيان وغيره) اما الناس العاديون فسرعان ما اكتشفوا عيوب النظام القـديم ، واثرت عليهم حنكة محمد ودبلوماسيته ومهارته في الحكم والادارة ، وكان زواجه من ميمونة وام حبيبة وسيلة سريعة لكسب العباس وأبي سفيان الى جانبه ، وبمجرد اتمام الفتح المكي اصبح محمد حاميا لمكة من أعدائها لا قاهرا لها ، ومن أعظـم انجازاته وصوله الى صلح صـادق حقيقي مع زعمـائها الذين كانوا أمر أعدائه منذ شهور ، الى حد ان اباسفيان ساعده في تحطيم اصنام الكعبة » .

الاسلام واللغة العربية

وبرغم أن المؤلف ــ المستر مونتجومري وات ــ دارس للغة العـربية الا ان مصطلحاته الانجليزية في احيان كثيرة لا تقابل المعنى المقصود في العـربية ، فالمهاجرون يسميهم Emigrants وهو يعني المهاجرين الى قطر آخر بحثا عن حياة اخرى ، وهذا لم يكن حال المكيين الذين صحبوا الرسـول في « هجرته » وليس « مهـاجرته » والانصار Helpers وهي تعني « المساعدين » ، ربما Supporters كانت تكون افضل ، وفي ترجمة الكثير من الآيات الكريمة نجد هذه الترجمة لا تنقل المعنى اطلاقا : « وللآخرة خير لك من الأولى » تصبح : The latter is better than the former

وهي جملـة تحدثنا عن « الأول والثانية » في سياق الجمل وليس عن الحياة الدنيا والحياة الآخرة . ومثل هذا كثير في الكتاب .

ولكنه لا ينقص من المتعة العقلية التي تأتي ــ كما اسلفنا ــ من الانصات لما يقوله غير المسلمين عن ديننا الحنيف ، طالما انهم باحثـون متحـررون من التعصب ، يكتبون بعقل مفتوح وقلب مفتوح ، وهما الـزم الامور في هذا الزمن المضطرب .

وهما ألزم الأمور لنا قبل غيرنا .

المسلمون وإعادة التقييم

● جاك بيرك ●

جاك بيرك
الأستاذ فى الكوليج دي فرانس وواحد من اعلام المستشرقين الفرنسيين الذين يمتازون بالفهم الكامل للعرب وماضيهم وتراثهم والتحرر فى أفكاره من كل نزوع استعماري .

● اخذ الكثيرون فى الشرق الأوسط ، يدركون أن التحليل السليم لابد وان يبتعد عن القواعد المربكة والمثيرة للبلبلة . فعلى المرء ، وهو يرى الحقيقة الواقعة ، فى أن الكيانات العربية الاقليمية قد نشأت ابان الصراع ضد التبعية فى الاتجاه المعاكس للامبريالية التى ظلت تؤثر امدا طويلا على وجود الأمم الكبرى وأعمالها طيلة القرن الماضي ، ان لا يتجاهل عناصر الاستمرار الكامنة فى البعث العربى . فالوطنية الجريحة ، والنقمة التى لها كل ما يبررها ، وغليان المكدودين ، كلها ظواهر تعبر عما يختلج فى قلوب الناس من ثورة قومية وتمزقها ، ويعتمد نجاح هذه الثورة اول ما يعتمد على قوتها وعلى المدى الذى تستطيع فيه حشد الجماهير وراءها ضد السيطرة الاجنبية ولا شك فى ان الشعارات المجسدة للحنين العنيف من مجتمع عريق ، والامال التى تولد براعمها فيه ، قد اسهمت كلها فى تحقيق التحرير اكثر من اسهامها فى تحقيق الانجازات المادية . ومن الواضح ان التصميمات المشروعة وان كانت مفرطة فى تسرعها ، وقد شجبت بصورة كاملة المبدأ المتحرك للمرحلة السابقة وهى مرحلة الاستعمار الرهيب ، ولا شك فى ان هذه الامور كانت كامنة فى هذه المرحلة وان لم تكن قد أدت بصورة غير مباشرة الى الاسراع فى ثورة العرب اللاحقة . وينطبق هذا القول على الثقافات الاوربية ، حتى ولو كان نشرها يتم تنفيذا لدوافع انانية ، وكانت تفقد طبيعتها الاصلية اثناء عملية النشر ، فلقد القت عناصر لايمكن دحضها او انكارها ، فى البعث العربى ، يضاف الى هذا ، ان اية بلاد حققت استقلالها لم تحاول فى الواقع اظهار اى تردد او تراجع فى هذا المجال . وتعكس هذه القدرة على التقييم الصحيح ورفض الحزازات العامة ، وظهور حكم تاريخى سليم فى هذه البلاد ، كما تساعد على دفع عملية البناء الاستقلالى الاولى الى الامام .

واسهمت التطورات الداخلية فى تحقيق ذلك . فلقد تحقق التحرر فى الواقع بالرغم من عنفه القومى ، ولكن الاستقلال لا يعنى نهاية اعادة التقييم ، وانما يعنى فى الواقع بدايتها . ومن هنا فان الكيانات الجديدة ، لم تعد تعتبر نفسها استهلالات عارضة للحضارة الآلية وانما اسهاما فيها . فهى تهدف الى خلق تركيب تجمع فيه بين هذه الحضارة وبين اصالتها . ولقد وصلت هذه الكيانات الى استقلالها عن طريق ما ابدته من مقاومة لقوى اجنبية تضطهدها ، ومن قدرة على التكيف مع حضارة هذه القوى ، عن طريق الاجراءات المادية الخارجية طبعا ، وعن طريق اساليب العمل والفكر العميقة ايضا .

ولعل من الاشارات الباعثة على التفاؤل ، التقدم الذى تحقق فى مفهوم القومية ، وهو المفهوم الذى مثل القضية العاطفية التى تم خوض معارك النضال الاولى من أجل تحقيقها .

وفي وسعنا تغيير حدة هذه الخلافات، ومدى ما حققته البلاد العربية من تقدم في ضوء درجة تحول هذه الفكرة الى واقع ملموس قادر على اداء دوره في تضامنات العالم الخارجي . وليس من قبيل الصدفة العارضة ان هذه البلاد تدرس بالحاح الموضوع القومي وتناقشه في كتبها وندواتها ومؤتمراتها واصبح الكثيرون من ابناء هذه البلاد يرون في القومية الانطوائية ، مجرد طراز جديد للاستعمار . وقد يموت هذا المفهوم القديم عن القومية مع مفهوم شريكه الاستعماري ، نتيجة تمسكه بالشعارات التي كانت في وقت ما تدعمه وتعززه ، ثم اصبحت تهدده الان نتيجة التحامه بالعاطفية المفرطة ، اذ ان شعوب هذه البلاد اخذت الان تكافح للتخفيف من مظاهر عدم التكافؤ التي خلقتها الحقبة الاستعمارية التي مازال الاجانب يحاولون المزيد من استغلالها لمصالحهم مستخدمين في ذلك ما حققته التقنية من تقدم ، ولا شك في ان هذه الشعوب تتساءل الان عما اذا كانت قد انتصرت على الاستعمار لتفسح المجال لمساوىء اخرى

ولا شك في ان هذا هو الوضع الذي تحاول جميع الحركات المسماة بالاشتراكية في الوطن العربي ، دراسته وايلاءه الاهتمام والعناية ، ولاشك في ان قائمة هذه الحركات الكبيرة تتردد بين روح الجماعة القديمة الطراز التي يمثلها الاخوان المسلمون وبين اليسار الماركسي ، وتضم صورا متعددة منها الاشتراكية الناصرية التعاونية واشتراكية حزب البعث والحزب القومي السوري والحزب الاشتراكي التقدمي الذي اسسه كمال جنبلاط وقد يكون من الصحيح القول بانه بالرغم من جميع ما حدث من تجديد في الصور والمرائي والعادات والمواقف الفكرية في غضون الخمسين سنة الاخيرة ، فان النظرات العصرية مازالت مضطرة الى اخذ الماضي بعين اعتبارها ، اذ ان الجماهير مازالت خاضعة لتاثيره من نواح عدة وان الكثيرين من الناس مازالوا ينظرون اليه كصمام امن لهم ومن هنا تبرز بعض الغرائب في مفاهيم بعض هذه الحركات ، كما تبرز الخلافات الكثيرة في اساليبها ، ولكن المستقبل سيكون على اي حال ، للحركة القادرة على ان تثبت لهذه الجماهير قدرتها على افهامها حقيقتها ، وعلى تزويدها بما تحتاج اليه من عدد الكفاح والنضال.

اجل سيكون المستقبل بعبارة اخرى للحركة القادرة على تحديد هوية هذه الجماهير ، وتمكينها الى اقصى حد ممكن من الانسجام مع العالم والتكامل معه . ولا شك في ان الأحزاب ونظم الحكم التي تعجز عن تحقيق هذا الهدف المزدوج ، وهو تمكين هذه البلاد من تحديد هويتها ومن تكييف نفسها مع بقية ارجاء العالم ، ستنهار وتزول ، ولا شك في ان الاتجاهات والأفكار التي ستحقق النصر في المستقبل ، هي التي تستطيع ان تحدد مواقفها من المستقبل ، لا على اساس غيبي او على اساس من الرغبة في الثار بل على اسس من الابتكار والتنافس ويصح هذا القول على الشرق الاوسط كما يصح على اجزاء العالم الاخرى . وفي وسعنا ان نخمن الثمن الذي لابد من دفعه لتحقيق هذا الهدف ، وهو الثمن النابع من عنف ردود الفعل على مثل هذه التقييمات المعادة ، والقوة التي تستخدمها في هز المعتقدات القديمة . ولا يهمنا كثيرا هنا من يثير المناقشات ، سواء كان قبطيا ماديا كسلامه موسى ، او شيعيا من الفاطمية كالوردي ، او استاذا ازهريا كخالد محمد خالد . هذه المناقشات تثير الفزع في نفوس الناس بافكار تختلف في مضمونها وظروفها باختلاف الحالات التي تقع فيها ، وتختلف في الوقت نفسه عما يثيره المصلحون العرب الآخرون ولكن ما يهمني قبل كل شيء هو الأثر الضار الذي تخلفه هذه المناقشات اذ انها تحسر النقاب عن حدة الصراع . ●

الإسلام في عالم البحر المتوسط

● فرانشيسكو جابريلي ●

فرانشيسكو جابريلي
شيخ المستشرقين الايطاليين اليوم وهو استاذ للدراسات العربية في جامعة روما من اربعين سنة ويتميز فكره بالتحرر والصدق والاطلاع الواسع وفهم للعرب سليم ، وتقدير لمقامهم في الماضي والحاضر .

● ولد الاسلام في منطقة صحراوية من العالم القديم ولكنه سرعان ما تجاوزها واصبح عقيدة تشع منها قوة عجيبة انتجت حضارة تدعو الى الاعجاب رغم اختلاف البيئات والمستويات الثقافية التي ازدهرت فيها .

وقد كان للحضارة الاسلامية أثر بعيد وتراث حافل في العالم الغربي وخاصة ما يطل منه على البحر المتوسط حيث كانت تقوم الامبراطورية الرومانية التي اصبح بعض ممتلكاتها ارضا اسلامية حتى اليوم أو ارضا اسلامية لفترة من الزمن « الاندلس وصقلية » أو ارضا دخلت في نطاق حضارة الاسلام بحكم مجاورتها للاولى أو الثانية .

سنتناول في هذا البحث النوعين الثاني والثالث ، والنوع الثاني يعني شبه جزيرة ايبيريا وصقلية وكريت وجزءا كبيرا من اليونان والبلقان اما النوع الثالث فهو يشمل فرنسا وشبه جزيرة ايطاليا واوربا الوسطى وباقي البلقان .

وتنقسم اتصالات الاسلام بأوربا في هذه المناطق الى فترتين :

١ ـ فترة العصور الوسطى وفيها كان الفتح والتغلغل عن طريق العرب والبربر .

٢ ـ فترة العصور الحديثة وفيها قام الاتراك المسلمون بدور البطولة .

وفي الفترة الأولى كانت الحضارة الاسلامية في دور التكوين ولم تلبث ان اصبحت أخصب وأمجد مرحلة من مراحل النشاط الفكري الاسلامي التي خلفت تراثا للغرب في عصره الوسيط ، وكان هذا التراث ذا أثر بالغ في تطور الغرب في المستقبل .

أما الفترة الثانية فهي المعاصرة أو التالية للنهضة الاوربية وفيها كان الغرب يسير نحو النهوض والقوة بينما كان الشرق الاسلامي يتراجع أمام الضغط الغربي بسبب فشل الأتراك العثمانيين في التغلغل الى قلب أوربا ، وتحولهم للسيطرة على الشرق الاوسط فلما تمت هذه السيطرة اتجه جهدهم الى عزل العالم الاسلامي الذي لخضع لهم عن بقية العالم .

نظرة العصور الوسطى الغربية الى الاسلام وانتشاره

كان الاسلام بالنسبة لتلك العصور خطرا يهدد المسيحية فى صميمها ، لأن مبدأ التوحيد، وهو القاعدة الاساسية لرسالة محمد « صلى الله عليه وسلم » ، أنكر مبدأ تعدد الآلهة كما هاجم فكر الثالوث المقدس وأهم من هذا ان محمدا « صلى الله عليه وسلم » خرج الى الدنيا نبيا ورسولا مبشرا بدين جديد .

وكان انتشار الاسلام فجأة على سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين مغيرا للتوازن فى هذا البحر بل ومنهيا للعصور القديمة فى التاريخ . وقد نتج عن ذلك أن البحر الابيض قامت فيه حضارتان متنافستان هما المسيحية والاسلامية .

وسيطر المسلمون على البحر الابيض وجعلوه بحيرة اسلامية مما اضطر الغرب الأوربى الى الاعتماد فى اقتصاده على دواخل القارة الاوربية فقط بدلا من البحر بسبب هيمنة المسلمين عليه الى حد كبير . وكان لهذا أثره فى التدهور الاقتصادى لبلاد الغرب .

طرق انتقال التراث الحضارى الاسلامى الى الغرب

وقد انتقل تراث الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى الى الغرب عن طرق ثلاثة هى بيزنطة وشبه جزيرة ايطاليا وجزرها ثم فرنسا « عن طريق الأندلس »

أثر الحضارة الاسلامية فى الاجزاء غير الاسلامية من الامبراطورية الشرقية

أدى الاحتكاك بين الفكر اللاهوتى البيزنطى والفكر الاسلامى الى الاتجاه لتحطيم التماثيل فى كنائس الدولة البيزنطية ، وفى ميدان الادب ظهرت لدى الطرفين قصائد «الجهاد العربية» والاغانى البيزنطية والقصص الشعبية لابطال عرب من امثال السيد غازى البطال وعمر النعمان

ومن الغرب انتقلت الى أوربا أساطير شرقية قديمة كقصص كليلة ودمنة والسندباد .

وقد كشف النقاب أخيرا عن آثار انتشار العرب فى اراض يونانية يبسط المسلمون نفوذهم عليها فى حوض بحر ايجه وفى اليونان نفسها وفى كريت حيث وجدت عملات وكتابات وآثار اسلامية وغيرها كمسجد أبى أيوب الانصارى قرب القسطنطينية ومسجد آخر فى ريه فى قلابريا ، بل وعلى سطح الاكروبوليس نفسه أقيمت مساجد اسلامية عثر على آثارها . وذلك كله نتيجة للعلاقات التجارية بين الاسلام والنصرانية وقيام جاليات التجار المسلمين فى اليونان وجاليات التجار النصارى فى بلاد الاسلام .

المسلمون فى وسط البحر المتوسط

كان استيطان المسلمين وسط البحر المتوسط اقصر مما كان عليه فى شبه جزيرة ايبيريا ولكنه كان أطول واخصب منه فى «الاجزاء اليونانية» أما فى ايطاليا فلم يقم للاسلام حكم مستقر الا فى امارتين هما بارى وطارنط خلال النصف الثانى من القرن التاسع . أما فى صقلية فقد استمرت السيطرة الاسلامية اكثر من قرنين عدا العصر

النورماني الذى امتد خلال أثر الاسلام الحضارى فى صقلية اكثر من قرن من الزمان

اما نظام الحكم الاسلامى فى صقلية فقد كان محليا ولكنه غير من الاوضاع الاقتصادية ، اذ الغى الاقطاعيات الكبيرة وأحيا الزراعة واغناها .

وقد أسهمت صقلية فى الحياة الفكرية للاسلام اذ ازدهرت فيها دراسة الشريعة والفقه واللغة والنحو والشعر العربى بجوره وأوزانه ولم يتخذ الشكل والاوزان الشعبية كما حدث فى اسبانيا حيث نشأ الزجل والموشح .

ونجد خلاصة التأثيرات العربية على الحضارة الايطالية فى الكلمات العربية التى دخلت اللغة الايطالية وتتركز فى المبادلات التجارية والجمركية واسماء الواردات والمهن ، يضاف اليها بعض العلوم كالفلك والتنجيم والرياضيات والكيمياء والصيدلة والطب والفلسفة .

وهنا موضع سؤال : لماذا كانت شبه جزيرة ايبيريا مكان الاتصال المثمر بين الاسلام والحضارة الاوربية ؟

الجواب : انه على مدى سبعة قرون كانت لدى المسلمين — فضلا عن السيطرة الدينية — الوقت والوسيلة للتغلغل فى البنية البشرية والاجتماعية والثقافية فى شبه جزيرة ايبيريا ، فلما انسحبوا من شبه جزيرة ايبيريا تغيرت تغيرا كبيرا وبقى العنصر العربى عنصرا اساسيا فى طبيعة البلاد ومصيرها ، بل وظهر تأثير ذلك فى طبيعة الشعب الاسبانى كله ، وخاصة فى الجنوب .

ولتقييم الانجاز العربى — الاسلامى هنا يجب ان نؤكد على سرعة فتح الاندلس ، ففى سنوات ثلاث وصل الفتح الى اقصى الحدود الشمالية ولكنه لم يحتفظ فيها بالقوة لمدى طويل ولذلك استردها المسيحيون فى القرن الحادى عشر . ولعل السبب هو طول المواصلات البرية بين قواعد المسلمين فى افريقيا وفى ايبيريا وعدم وضع خطط للتوسع مستقبلا ، فضلا عن نقص الامدادات والتعزيزات الاسلامية اللازمة للاحتفاظ بما يتم فتحه .

وأوضح آثار الوجود العربى فى اسبانيا هو الاثر اللغوى وخاصة المفردات التى تتناول مختلف نواحى الحياة ويضيق المجال عن ذكرها اذ هى بالمئات وهناك اثر آخر يتجلى فى اسماء الاماكن الاسبانية التى لا تزال حتى اليوم مركبة من عناصر عربية .

ومن اعظم افضال الحضارة العربية فى اسبانيا انتقال العلم والفلسفة . ومن المؤكد انه بعد افول القوة السياسية للعرب هناك بقى للعرب تراث علمى ضخم اذ انه فى القرنين ١٢ ، ١٣ بعد فقد الاسلام لبرشلونه وطليطله واشبيليه اصبحت تلك المدن مراكز للترجمة بهدف استخراج كنوز المعرفة اليونانية التى عربت فى بغداد فى القرنين ٩ ، ١٠

وأمام اوربا الجديدة وقف المسلمون فى موقف دفاعى ولم تظهر فكرة مسايرتهم للظروف الحديثة الا فى أواخر القرن ١٩ وذلك فى الاراضى العربية .

واخيرا يمكن القول بان تراث الفترة « العثمانية » لا يقارن بتراث الفترة الاولى ، لان اوربا عصر النهضة والاصلاح اكتسبت وعيا وتملكها حب استطلاع هدد الاسلام بالتوسع السياسى والاقتصادى للاوربيين ●

موقف الغرب من الإسلام عبر التاريخ

• مكسيم رودانسون •

مكسيم رودانسون
مستشرق فرنسي بالغ التحرر في كل ما يلقي به من آراء . انه متمكن من الثقافة العربية الاسلامية ، وواحد من اعلام الفكر الحر في اوربا اليوم .

● كان المسلمون يشكلون تهديدا للعالم المسيحي الغربي قبل ان يصبحوا مشكلة بزمن طويل فقد حدث تحول في القوى في الشرق «الاوسط» ، وقام شعب غير مسيحي — فاجتاح اراض واسعة، وانتزعها من قبضة المسيحية حتى وصل الى السواحل الايطالية وبلادالغال (فرنسا) ثم اسبانيا . ومن ثم فقد اصبحوا في نظر البلاد المسيحية « كارثة » ، مثلهم كمثل الشعوب البربرية .

وقد سمع المسيحيون بالعرب ، وكانوا يسمونهم السراسنة ، قبل ظهور الاسلام، وعندما اعتنق العرب الاسلام ، لم يلحظ اغلب المسيحيين في أوربا ذلك الامر ، ولذلك لم يعنوا بالحصول على مزيد من المعلومات عنهم .

والوحيدون الذين عنوا بهذا الامر هم مسيحيو اسبانيا المغربيةالمعروفون باسم المستعربين The Mozarabs بسبب المؤثرات الثقافية في الدين المسيحي ، وكان لابد لهؤلاء من معرفة أسيادهم وافكار أسيادهم ، للرد على ما انتشر بين عامة الشعب المسيحي واليهودي من أساطير مشوشة ومهينة .

ولم تنجح تلك المحاولة الا في القرن الحادي عشر عندما اصبحت صورة العالم الاسلامي أكثر دقة واصبحت أوربا كلها مسيحية تقريبا وبقي العالم الاسلامي هو العدو الرئيسي ومن ثم كانت أوربا كلها تتحرك ؛ مع الاسبان، لاستعادة الاراضي التي احتلها المسلمون .

وأصبحت صورة العالم الاسلامي بصفة عامة واضحة أمام أوربا المسيحية فراوه بنية سياسية عدائية ذات حضارة مختلفة ونظام اقتصادي غريب .

ولكن من ناحية اخرى اوجدت الحروب الصليبية حاجة ملحة لاعطاء صورة كاملة تشوه صورة الاسلام في

نظر رجل الشارع ، وبشكل يرضي الذوق الأدبي عندهم .

واستطاع علماء اللاهوت الفلاسفة ان ينقلوا الى المسيحية ما كان يذكره ابن سينا عن الحضارة الاسلامية كروجر بيكون « ١٢١٤ ـ ١٢٩٢ » الذى استخدم فى تفخيم البابا ما ذكره ابن سينا عن الامام الاسلامى . بل لقد جاء وقت كانت فيه كلمة فيلسوف تعنى « المسلم » .

***

وكان الدافع الاقتصادي مؤديا الى زيادة المعلومات من العالم الاسلامى لانه عالم اقتصادى هام لكثير من التجار الاوربيين الذين كانوا يتاجرون مع الشرق من خلال وسطاء اجانب كاليونانيين والسوريين واليهود . ولكن بعض المدن الايطالية كالبندقية ونابل ـ استولت على جزء من هذه التجارة منذ القرن التاسع وبالتدريج اتسع نطاق التجارة مع دول مسيحية أخرى مما ادى الى اعمال مشتركة صغيرة كرواج العملة الغربية أو تقليدها وكاستعمال عقود شرقية . ثم ازداد حجم التجارة مما ادى الى وجود اتصالات على المستوى الحكومي ونشأت محالفات مع المسلمين رغم تهديد البابا وتفجع لويس الثاني .

وكان من نتائج زيادة المعلومات الصحيحة عن الاسلام وشعوبه وعن الاتصالات السياسية والتجارية أن تغيرت النظرة الى المسلمين وتحول العالم اللاتيني والغربي الى علمنة الأيديولوجيات ، ويتجلى ذلك في بعض الحالات كالامبراطور فردريك الثانى النورماندى الذى كان يناقش المسلمين فى الفلسفة والطب وغيرها بل واقام مستعمرة ومسجدا خاصا للمسلمين الذين عملوا فى خدمته .

واعتبر البابا جريجورى التاسع عمل فردريك خطيئة جنسية ولذلك طرده من الكنيسة عام ١١٣٩ .

ولعل الصورة التي ابرزت للمسيحيين تقوى وفضائل المسلمين كانت حيلة لمناواة الاكليروس في القرون الوسطى وعلى اى حال فقد قوت الإتجاه الى اعتبار المسلمين اناسا مثل غيرهم، يعبدون الله على طريقتهم وان كانت « حسب الرأى المسيحى آنذاك » طريقة خاطئة .

ولم يطل امد الاتجاه نحو فهم اعمق للفكر الاسلامي بل قام بعض الفلاسفة مثل بيكون الانجليزى وليل الفرنسي يدعوان الى جمهورية بشرية تقوم على فهم العقيدة واللغات الاسلامية بدلا من الجهود العسكرية مع التسليم بوجوب محاربة الاسلام .

وفى بداية القرن ١٤ اخرج دانتى من النار كلا من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين ووضعهم فى المطهر مع حكماء العالم القديم وأبطاله .

وفى عام ١٣١٢ وافق مجلس فيينا على افكار بيكون وليل بخصوص تعلم اللغة العربية .

وقد وضع سقوط عكا ١٢٩١ حدا لآمال الصليبيين وحلت محل مخطط توسيع عالم أوربا المسيحى الممتد مخططات تحيكها كل امة على حدة .

وبتقدم الثقافة وانهماك اوربا اللاتينية فى صراعاتها الداخلية ضعف الصراع العقائدى مع الاسلام واصبح النزاع العقائدى الداخلى هو المهم .

ونادى ويكليف بأن اصلاح الكنيسة والعودة الى منبع المسيحية سيؤديان الى ذبول الاسلام اذ تبين أن ما نسب للمسلمين من رذائل كان متوافر فى

العالم المسيحي اللاتيني وأن اليهود والمسلمين ليسوا بأبعد عن الخلاص من كثير من المسيحيين

وانتشر هذا الرأى وبدأ كبار المؤلفين المسلمين يدمجون ضمن الثقافة العامة كابن سينا وابن رشد والغزالي والرازى وغيرهم ، يعدون وتعاد طباعة مؤلفاتهم وتدرس .

وقد ذكر تشوسر في حكايات كنتربرى طبيبا يعرف الكثير عن كبار العلماء ومن بينهم الرازى وابن سينا وابن رشد ، ولابد ان هذا الطبيب كان يمثل عصره .

ولكن عصر النهضة أكد على الاعمال الكلاسيكية اليونانية ولذلك هوجمت ترجمات العصر الوسيط عن اليونانية والعربية باعتبارها همجية بالنسبة للأصول ونودى بالعودة للمصادر الاصيلة ولكن ذلك الاتجاه لم يمنع من تكاثر الاقتباسات الثقافية عن الشرق الاسلامي وذلك بسبب العلاقات التجارية المتزايدة .

التعايش السلمى

وقد أدى نمو الامبراطورية العثمانية على حساب البلقان المسيحى الى بعث الاهتمام بالاسلام بين علماء الدين المسيحى لصعوبة احياء الحروب الصليبية في وقت كان المفهوم المسيحي ذاته مترديا ، ولذلك اقترح احد هؤلاء عقد مؤتمرات عن فقهاء المسلمين، وقام بترجمة القرآن واشترك في وضع رسالة البابا بيوس الثاني الى محمد الثاني فاتح القسطنطينية ، وهي رسالة من الجدل الماهر تهدف الى الاقناع الفكرى ، غير أنها كانت حيلة خالية من كل صدق . واعتبر المسيحيون الاتراك العثمانيين خطرا سياسيا وثقافيا أكثر منه عقائديا ولذلك تحتم اقامة علاقات سياسية معهم وجرت مفاوضات .

وهكذا اندمج الاتراك في الجو السياسي الاوربى واصبح الاسلام يبدو أقل غرابة ومدعاة للنفور واصبحت كلمة « تركى » و « مسلم » مترادفتين، وفى نفس الوقت بدأ احتكاك الاوربيين بمسلمى الهند وحكامهم المغول ، أما العرب فلم يكن لهم تأثير سياسى .

وظل الاتراك يسيطرون على أقوى امبراطورية في أوربا بما فيها القسطنطينية التى أصبحت اقرب منالا لتحسن المواصلات ، وكانت أبهة الباب العالى مدعاة للاعجاب والتأثير في النفوس .

من التعايش السلمى الى الموضوعية

واصبحت الدراسة الموضوعية للشرق الاسلامي أيسر بسبب الصلات المختلفة والرحالة والمبشرين ، كما اصبحت حاجة ملحة لرجال السياسة والتجارة ، ومن ثم بدأت دراسات منفصلة ودقيقة ومتزنة وموضوعية لأنماط الحياة والنظام السياسي والأدارى والعسكرى للامبراطورية العثمانية ، وانتهت الى الاشادة بفعالية ذلك النظام ، ذلك لأن الشرق الاسلامى يومئذ كان على درجة كبيرة من الغنى والازدهار الحضارى ، الى الحد الذى دفع بعض الرحالة الى ارتداء الزى التركي بعد عودتهم الى اوربا ، والى اضافة عناصر السحر والاعاجيب الى صورة الشرق . ولكن ذلك التيار لم يستمر طويلا اذ أخذ اللون المحلى يفرض نفسه تدريجيا .

الحلال والحرام في الإسلام

● تاليف : يوسف القرضاوى ●

● استطاع الاستاذ يوسف القرضاوى أن يجمع كل ما يهم المسلم فى حياته فى كتاب جامع شامل لحدود الله عز وجل ، فذكر كل الواجبات التى كلف بها الله المسلم ، فى صحائف جمعت ما يجب ان يعرفه المسلم مما يحل له ومما يحرم عليه فى حياته الشخصية ، وفى حياته العائلية ، وفى حياته الاجتماعية ، وذلك مما يصون على المسلم نفسه وعقله وخلقه وماله وكيانه كانسان . كل ذلك فى كتاب يتميز بالتبسط وسهولة الاقناع مع المقارنة بالديانات والثقافات الأخرى .

وان موضوع الحلال والحرام فى الاسلام من الموضوعات الشائكة والمهمة، والمرجع الاول والاخير لها انما هو الكتاب والسنة ، حيث ان الله عز وجل هو الذى وضع حدودها ، وبذلك فهو تشريع سماوى يصلح لكل زمان ومكان لان المشرع خبير بخلقه ، وما يصلح لهم ، وما يصلحون له ، فلا يحل شيئا جزافا ، لكل شىء خلقه بقدر وكل شىء شرعه بميزان ، فلا بد للانسان ان يقف عند حدود الله عز وجل حتى يضمن سعادته فى الدنيا وفلاحه فى الآخرة فبذلك يفوز بالسعادتين ويفلح فى الدارين .

ونحاول هنا أن نعرض صورة موجزة لهذا الكتاب حيث انه مقسم الى اربعة ابواب ، كل باب مقسم الى عدة قضايا تخص حياة كل مسلم ومسلمة .

والمؤلف اعتمد فى عرض تلك القضايا التى تخص الحلال والحرام فى الاسلام على الاقناع العقلى مستنداً لكتاب الله وسنة رسوله ، مع قدرة المؤلف على العرض السهل الموضح لكل كبيرة وصغيرة تخص المسلم .

ونرى تحت عنوان « الاسلام يبيح الطيبات » ما يأتى :

ذكر ان الاسلام جاء والناس بين مسرف فى تناول الطعام ومتطرف فى الترك فوجه نداء الى المؤمنين، فقال الله عز وجل :

« يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم » ــ سورة البقرة .

وهذا نداء خاص للمؤمنين أمرهم سبحانه وتعالى ان ياكلوا من طيبات ما رزقهم وان يؤدوا حق النعمة بشكر الله عز وجل ، ثم بين الله الاصناف التى يجب على كل مسلم الا يتناولها . ثم اخذ المؤلف فى تحليل حكمة تحريم هذه الاصناف المذكورة فى الاية مع التحليل المعتمد على الاقناع العقلى .

وأما تحريم الخمر فقد تناول ذلك مبينا خطورة الخمر واثمها، وبين المنهج

التربوى الحكيم الذى اخذه الاسلام متدرجا فى تحريم الخمر حتى نزلت الآية الجامعة القاطعة فى سورة المائدة : « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ »

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن اشربة تصنع من العسل أو من الذرة او من الشعير تنبذ حتى تشتد ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد اوتى جوامع الكلم ، فأجاب بجواب جامع : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » .

وقال ايضا « ما اسكر كثيره فقليله حرام » . ثم بين ان الاسلام يحرم ايضاً الاتجار بالخمر ، واهداؤها ايضا حرام ، والتحريم قد شمل المخدرات ايضا لان التحريم يتبع « الخبث والضرر » تحرمه هذه الخبائث التى ثبت ضررها الصحى والنفسى والخلقى والاجتماعى والاقتصادى مما لا شك فيه ؛ وعلى هذه الحرمة اجمع فقهاء الاسلام ، وفى طليعتهم ابن تيمية الذى قال : « هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء سكر منها ام لم يسكر . . »

وفى الملبس والزينة ذكر المؤلف اهتمام الاسلام بالنظافة حيث انها الأساس لكل زينة حسنة ، وكل مظهر جميل ، وقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « تنظفوا فان الاسلام نظيف » .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النظافة تدعو الى الايمان ، والايمان مع صاحبه فى الجنة » حيث انه لا تقبل صلاة من مسلم لا يكون بدنه نظيفا ، وثوبه نظيفا ، والمكان الذى يصلى فيه نظيفا .

وقد ذكر من المحرمات للرجال لبس الحرير والذهب رغم ان الاسلام اباح الزينة ، ولكنه حرم على الرجال نوعين من الزينة وهما التحلى بالذهب، ولبس الحرير الخالص ، فعن على كرم الله وجهه قال : اخذ النبى صلى الله عليه وسلم حريرا فجعله فى يمينه ، واخذ ذهبا فجعله فى شماله ، ثم قال: « ان هذين حرام على ذكور امتى » .

وعن عمر قال : سمعت النبى صلى عليه وسلم يقول : « لا تلبسوا الحرير، فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » .

ثم اذا جاء الحديث عن تحريم التماثيل نجد الشرح والتعليل لهذا التحريم حيث حرم الاسلام فى البيت الاسلامى ان يشتمل على التماثيل ، ويقصد بها الصور المجسمة غير الممتهنة، وجعل وجود هذه التماثيل فى بيت سببا فى ان تنفر عنه الملائكة ، وهم مظهر رحمة الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل » « او تصاوير »

ورأى العلماء فى ذلك انما يرجع الى التشبه بالكفار ، لانهم يتخذون الصور فى بيوتهم ويعظمونها ، فكرهت الملائكة ذلك ، وحرم الاسلام على المسلم ان يشتغل بصناعة التماثيل ، حتى ولو كان يعملها لغير مسلمين ، قال عليه الصلاة والسلام : « ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور ».

وبذلك يتبين لكل مبصر ان الله سبحانه لم يرد ان يذلل الناس بما احل ، ولا يضيق عليهم بما حرم ، وانما شرع لهم ما يصلحهم ويحفظ عليهم دينهم ودنياهم ، حيث انه اذا توافر للمسلم المعرفة الواعية بحدود دينه وشريعته ، والضمير اليقظ الذى يحرس هذه الحدود فقد توافر له الخير كله ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « اذا اراد الله بامرىء خيرا جعل له واعظا من نفسه » . . .

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

الله

• البحتري الصغير •
• عمر شاهين •

مَنْ سَخَّرَ الشَّمسَ
لِتُضِيءَ للإنسانْ
من أنبَتَ الحَبَّ
واستخرجَ الأغصانْ
مَنْ أنزَلَ الغيثَ
فاخضَرَّتِ الوِدْيانْ
مَنْ فَجَّرَ النَّهرَ
يَجرِي بِلا نُقصانْ
مَنْ صَوَّرَ النَّاسَ
والطَّيرَ والحَيَوانْ
مَنْ ألهَمَ القَلبَ
النَّبضَ والخَفَقانْ
اللهُ أنشَأَها
فِي سالِفِ الأزمانْ
فانظُرْ لِقُدرتِهِ
الواحِدِ الدَّيَّانْ
وانطِقْ مِنَ القَلبِ
آمنتُ بالرَّحمنْ

• ليتني •

لَيتَنِي أحيَا طَلِيقاً
بَينَ أزهارٍ وماءْ
مِثلَ عُصفورٍ صَغيرٍ
دائِماً يَهوَى الغِناءْ
تَحتَكِي فَوقَ الغُصونْ
دُونَ خَوفٍ أو غِطاءْ
باسِطاً رِيشَ الجَناحِ
راكِباً مَتنَ الهَواءْ
لا أمَلُّ الشَّدوَ يَوماً
فِي صَباحٍ أو مَساءْ

رسالة إلى الهلال

في السيرة النبوية

حول الرؤية الجديدة

الأستاذ الكبير رئيس تحرير الهلال

تحية النسب الأدبي والاخاء الاسلامي وبعد ، فانا من قرائك القدماء ، بل من تلاميذك المجددين الذين يصغون لما تقول ، ويدرسون ماتكتب ، بل انا التلميذ الذي يعلق على كلام استاذه ، ومنذ اكثر من ربع قرن علقت على رأيك في نسب بني أمية في الأندلس في جريدة الزمان ، وهانذا اقف موقفا مماثلا نحو مقالك الأخير في هلال سبتمبر ١٩٧٨ فقد جاء في مقالك الممتع عن « السيرة النبوية - رؤية جديدة » هفوات . وقبل ان اورد الملاحظات اقرر انني استفدت فوائد جمة من حيث جغرافية المدينة مدينة الرسول - بابعادها من كل جهة ، فقد كانت المعالم غير واضحة في ذهني فجلوتها جلاء موفقا . واستفدت معرفة منزلة الوثيقة التي كانت دستورا لمنهج الرسول مع سكان المدينة بعد الهجرة وأثر ذلك في جماعة المسلمين .

انه مقال يجب أن يقرأ مرارا وتكرارا لما حوى من المعلومات الأصيلة ، والحقائق المنسية لدارسي السيرة

وهنا استأذنك في ذكرى الهفوات :

(١) قلت : « والحقيقة أن زينب بنت جحش كانت في مرتبة ابنة خالة رسول الله ، فهي من بني أسد بن خزيمة ، والسيدة آمنة بنت وهب رضي الله عنها كانت من هذه القبيلة » وهذه العبارة حوت خطأين : الأول أن زينب ابنة خالة رسول الله ، والحقيقة أنها ابنة عمته « اميمة بنت عبد المطلب » والخطأ الثاني أن « آمنة بنت وهب » كانت من تلك القبيلة ، والصواب أن آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراف قريش في الصميم لأنها من بني زهرة ، وزهرة أخو قصي جد الرسول من جهة أبيه ، فنسب آمنة مجتمع مع نسب الرسول في كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي . فأسد قريش غير أسد خزيمة

(٢) في حديثك عن صلح الحديبية ذكرت أن من تولى المفاوضة عن قريش « صفوان بن أمية » الذي كان في مقدمة قريش وأغضب عمر بن الخطاب « اذ انه لم يرض عما طلبه صفوان بن أمية من أن يكتب في الوثيقة هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله بدلا من محمد رسول الله » أما التاريخ فيذكر أن الذي تولى المفاوضة « سهيل بن عمرو » .

(٣) نفيت أن الرسول انشأ دولة ، وبينت الأسباب ، ومنها انه لم يكن في المدينة أيام الرسول هيئة حاكمة ولا دولة الا بهيئة حاكمة ، لم يكن هناك موظفون .. وهذا القول - مع الاعتذار - غير دقيق ، فالرسول انشأ دولة ولها موظفون بعد فتح مكة ، ولاة وقضاة وجباة أموال ، وجيش له قيادة في كل موقعة ، ولولا ذلك ما استقام الأمر لمن بعده من الخلفاء . وأنا معك في أن الأوصاف التي تذكر للرسول مثل العبقري والسياسي لاتليق برسالته صلى الله عليه وسلم

● السيد حسن قرون ●

وكيل شبرا الثانوية للبنين بالمعاش

أوديب مصريا (٢)

● يوسف الشاروني ●

الحلقة الثانية والاخيرة من الدراسة القيمة التى نشر «الهلال» اولى حلقاتها في عدده الاسبق « نوفمبر ١٩٧٨ » وتناول فيها الكاتب الناقد الاستاذ يوسف الشاروني بالعرض والتحليل « أوديب » في ادب توفيق الحكيم ...

● اما على احمد باكثير فكان اكثر امعانا في تجريد المسرحية مما يعتبره خرافة ، اذ جعل الكاهن الاكبر لوكياس يختلق نبوءاته ثم يعمل على تحقيقها بتدبيره ومكره الى ان تتحقق من بدايتها الى نهايتها . ودافعه الى هذا احط من دافع ترزياس عند توفيق الحكيم فقد علل باكثير تصرفات الكاهن الاكبر في بدايتها بأن بوليب ملك كورنث كان ينافس لايوس على زعامة هيلاس ، ويخشى ان يكون لخصمه ولد يرث عرشه وليس لههو وريث ، فرشا الكاهن الاكبر بعشرين الف اوبول ليفترى وحيا باطلا حتى يحمل لايوس على التخلص من ولده فلا يبقى له وريث .. اما الاله الحكيم فحاشى ان يوحى بمثل هذا الاثم (على احمد باكثير ، مأساة اوديب ، لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ، ص٢٣)

وتستمر احداث قصة اوديب كما نعرفها ولكن ليست تحقيقا لنبوءة وحى الهى بل نتيجة لمؤامرة لوكياس كبير الكهنة .

ومعنى هذا ان باكثير يحول الصراع من صراع بين الانسان وقوى اعلى منه الى صراع بين الانسان والانسان فيفقدها الصراع بالمعنى الدينى . ولهذا فانه عندما يتساءل اوديب ساخرا لماذا لم يعلن الوحى ان هناك رجسا فى المدينة من قبل وقد مضى على هذا الزواج الآثم سبعة عشر عاما ، أكان راضيا عن عمله لم غضب اليوم ؟ .. اذن فماذا اثار اليوم غضبه ؟ - « المرجع السابق ص ٩٣ » ندرك ان باكثير يريد ان يقول انه لو كان هناك وحى الهى حقيقى لاعلن سخطه من اول يوم تم فيه الزواج الآثم .

اما ان يقع بعد سبعة عشر عاما وبعد ان انجب اوديب من امه ابنين



وبتتين فتفسيره ان الامر كله من تدبير انسان يفترى على الاله .

وفى موقع آخر يقدم باكثير تفسيرا انسانيا آخر، وذلك على لسان أوديب حين يعلن للشعب ان الرجس كان موجودامن قبل ، فليس اذن هو سبب ما هم فيه من عذاب ، انما السبب ان اموال الامة تتكدس فى ايدى الكهنة يحتجزونها من دون الشعب الذى يموت جوعا . ولن تزول المجاعة — وهى ليست طاعونا عند باكثير — الا بمصادرة أموال المعبد وتوزيعها بالعدل، ومن الطبيعى أن تختلف اذن نهاية أوديب باكثير عن نهاية أوديب سوفوكليس ، فهو لا يفقأ عينيه انما يغادر مدينة طيبة وهو اقرب الى الجنون ..

وتتردد فى مسرحية باكثير الكثير من التعبيرات الاسلامية اكثر مما تتردد فى مسرحية توفيق الحكيم ، حتى ليخيل الينا أن تريزياس ليس عرافا اغريقيا بل فقيها اسلاميا. كما يرفض باكثير بوضوح فكرة الانسان المسير ويعلن أكثر من مرة على لسان فقيهه تريزياس ان الاله بحكمته خلق الخير والشر ، ومنحنا عقلا نميز به بينهما، ومعنى هذا ان الانسان هوالذى يصنع قدره وليس العكس .

وهكذا غير باكثير تماما من المفاهيم الاساسية التى تقوم عليها مسرحية سوفوكليس بعد ان أقصى دور القوى العليا عنها . ومما يجدر التنويه به ان لعلى باكثير مسرحية أخرى بعنوان اخناتون ونفرتيتى ، ولكنه فعل ما فعله سيجموند الذى تحدث عن كل من أوديب واخناتون ولكن لم يدر بخلد أحدهما أن لايهما أية علاقة بالاخرعلى نحو ما فعل ايمانويل فليكوفسكى .

ولقد ألقى على باكثير ضوءا على طريقة معالجته لمسرحية أوديب فى محاضراته فى فن المسرحية من خلال تجاربه الشخصية التى القاها عام ١٩٥٨ على طلبة معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ونشرت فيما بعد ،فقال ان المسرحية قد حافظت على شخوص الاسطورة وحوادثها كما هى فى الاصل الا فى بعض التفصيلات الثانويةالتى لاتخرج عن اطارها العام، وان وضعت لكل حادث من حوادثها تفسيرا يختلف فى مدلوله عن مدلوله الاصلى »« على أحمد باكثير ،محاضرات فى فن المسرحية من خلال تجاربه الشخصية ، جامعة الدول العربية،معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٨٩ » .

ونحن لا نوافق باكثير على انه لم يغير الا فى بعض التفصيلات الثانوية

التى لا تخرج المسرحية عن اطارها العام ، لأنه ــ كما قلنا ــ غيَّر من المفاهيم الأساسية التى تقوم عليها مسرحية سوفوكليس واهمها رفضه دور القوى العليا .

غير أن باكثير استطرد قائلا اننا اذا تأملنا مسرحيته وجدنا لها دلالة تعكس واقعنا العربى ــ وعلى وجه الخصوص الفترة بين حرب فلسطين « ١٩٤٨ » والثورة المصرية « ١٩٥٢ » ــ بدقائقه وتفاصيله « لقد خضنا حرب فلسطين بجيوشنا الستة او السبعة فماذا كانت النتيجة ؟ خسرنا الحرب حيث كسبتها اسرائيل فاضيفت الى رقعتها أراض واسعة ، فهل كان ذلك امرا طبيعيا اقتضاه ضعف العرب وقوة اسرائيل ام كانت المسألة كلها مدبرة من قبل .. ومتى بدأ هذا التدبير .. الم يبدأ منذ اعلن بلفور وعده المشئوم باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ؟ فانظروا الآن الى قصة المسرحية . الا ترون فيها مشابها من هذا الذى حدث ؟ لقد اعلن لوكياس نبوءته الكاذبة قبل مولد أوديب ثم وجه الأحداث نحو تحقيق هذه النبوءة حتى تحققت . وكان أوديب هو الذى سعى بنفسه الى خوض غمار التجربة ، متحديا تلك النبوءة حتى وقع فى صميم المأساة طبقا لخطة مرسومة لايدرى هو عنها شيئا ، تماما كما سعى العرب الى خوض غمار الحرب ضد اسرائيل ، متحدين بزعمهم كل القوى التى تناصر اسرائيل حتى وقعوا فى صميم المأساة طبقا لخطة مرسومة لا يدرون عنها شيئا .

وفى حرب فلسطين هدفتان الاولى والثانية الفلا تجدون فى قصة المسرحية مشابها لهما فى ذهاب أوديب الى طيبة مرتين فى الأولى ليقتل اباه والثانية ليتزوج امه ؟ » ــ « المرجع السابق ص ٨٦ ــ ٨٧ » .

ثم يشبه الطاعون الذى انتشر فى طيبة والذى كان سببه استيلاء المعبد على الاراضى الزراعية حتى لم يبق للشعب فيها الا القليل ، بالاقطاع الذى كان متحكما فى مصر وغيرها من البلاد العربية والذى كان مسئولا عن كثير من المآسى بلغت قمتهــا فى حريق القاهرة .

ومصادرة املاك المعبد وما تلاها من توزيع الاراضى على شعب طيبة ، يذكرنا بما قامت به الثورة المصرية من المصادرة والتوزيع على الشعب .

ومن الــذى قام بذلك فى الأولى ؟ اليس أوديب الذى تجرع غصة المأساة وعانى ذلها وخزيها ؟

ومن الذى قام بذلك فى الثانيــة ؟ اليسوا هم الذين اكتووا بحرب فلسطين وعانوا ذل المأساة ؟

ومتى جاء الانقاذ فى الحالتين ؟ الم يجىء حين اشتد الكرب وعظم الخطب ؟

وهكذا تستطيعون ان تمضــوا فى استنباط وجوه الشبه بين هــذه المأساة كما صورتها المسرحية ، وبين واقعنا العربى ، لا على اساس الرمز الجزئى الذى يخص كل شخص أو كل حادث فى احدهما بشخص او حادث فى الآخر ، ولكن على طريقة الرمز الكلى الشائع فى المسرحية كلهــا .. فقد يرمز الشخص او الحادث الى اكثر من شخص او حادث .

ويختم على باكثير القاء الضوء على ما فى مسرحيته « مأساة اوديب » من رمز بقوله :

أن الرمز هنا يتذبذب فيمس وترا هنا ويمس وترا هناك كالسيمفونيــة التى يثير توقيعها فى نفســك مختلف المشاعر والاحاسيس دون أن تستطيع على التحديد ان تقول : هذه النغمة تثير كذا وكذا من المشاعر ، وهــذه النغمة تثير كذا وكــذا من الاحاسيس ــ « المرجع السابق ص ٨٨ ــ ٨٩ » .

اما معالجة على سالم التى قدمت على مسرح الحكيم بالقاهرة عام ١٩٧٠ ثم نشرتها دار الهلال بعد ذلك ، فى حدود علمى ، فانها المعالجة الوحيدة فى العالم التى يعلن مؤلفها على غلافها انها كوميديا وليست ماساة . ولعل هذا هو السر فى انها باللغة العامية المصرية فى معظمها وليست بالفصحى ، لا لانها كوميديا فقط - واللهجة العامية انجح فى الاضحاك لانها اكثر مباشرة وتلغى المسافة بين الممثل والمتفرج - بل لان مؤلفها حاول ان يلغى البعدين الزمانى والمكانى ايضا . وكانت اللغة العامية احدى وسائله فى هذا الالغاء .

وفى مقدمة على سالم لمسرحيته « اوديب » او « انت اللى قتلت الوحش » يشير الى بحث ايمانويل فليكوفسكى الذى عرضنا له فى اول هذه الدراسة ويردد القول بان سوفوكليس وان لم يغادر ارض اليونان فقد كان صديقا للمؤرخ اليونانى هيرودوت الذى زار مصر كثيرا وكان يسمح له بمشاهدة طقوس معينة محرم على الشعب ان يراها . ويقول انه ربما كانت مسرحية اوديب سوفوكليس ليست سوى طقوس معينة محرم على الشعب ان يراها . ويقول انه ربما كانت مسرحية اوديب سوفوكليس ليست سوى اعداد اغريقى لمسرحية مصرية تقدم نفس الاحداث ويتولى اخراجها كهنة آمون فى معابدهم ، ولعلهم كانوا يعرضونها على كبار الشخصيات من زوار مصر كنوع من الاعلام الموجه لتشويه صورة الملك اخناتون بعد ان انتصروا عليه وعلى مبادئه واعادوا عبادة آمون مرة اخرى .

ويمضى على سالم فى تدعيم رأيه فيشير الى مسرحية جان كوكتو « الآلة الجهنمية » فيرى ان الجو الفرعونى فرض نفسه عليه بحيث لم يستطع



التخلص منه ، تصور ابا الهول على انه فتاة جميلة يرقد على حجرها انوبيس اله الموتى فى مصر . واندريه جيد فى مسرحيته اوديب يجعل بولينيس بن اوديب يغازل اخته انتيجون ويعرض عليها الحب ، وعشق الاخت والزواج منها عادة ملكية فرعونية قديمة ، ولهذا كله عاد على سالم باحداث مسرحيته اوديب الى طيبة مصر القديمة وليس طيبة اليونان ، كما اعطى نفسه الحق فى ان يجردها من كل المفاهيم اليونانية القديمة والتى تتضمن اساسا الانسان وعلاقته بالاقدار والآلهة . هذا هو الاستبعاد الاول ، الاستبعاد المكانى .

اما الاستبعاد الزمانى فيتمثل اولا فى تصويره استخدام اهل طيبة الاختراعات الحديثة كالاذاعة والتليفزيون والتليفون . ويتمثل الاستبعاد الزمانى الثانى فى شكل

المسرحية وطريقة اخراجها ، فقد استخدم المؤلف فى الفصل الثانى التقدم التكنيكى الذى حققته التجارب المسرحية المعاصرة فى بث حركة سريعة نابضة فى ارجاء المسرحية يتطلبها دائما المسرح الفكرى لدفع الاملال . كما تم الغاء المسافة الزمانية ثالثا — وبطريقة اكثر وضوحا — فى الفكرة التى تقوم عليها المسرحية . فالماساة لم تعد ماساة أوديب ،بل ماساة طيبة وشعبها ، فهى تستاجر من يحل لها اللغز ، وتكافئه على هذا بأن تجعله ملكا عليها ، ولكن اذا حدث وتصدى فرد لعمل بطولى مثل انقاذ امة ، والمح فى هذا ، فاننا لا نلبث ان نتبين حقيقة ما فعل . ان الانقاذ وهم زائف ، هو فى الحقيقة تأجيل مؤقت للهزيمة . لهذا فان تريزياس يسخر من اسطورة اوديب القديمة قائلا : هل تزاعم ان ملكا تربع على العرش لمجرد انه حل احجية ، افرضوا ان اوديب غير موجود وسطكم ، فماذا كنتم تفعلون ؟

انقذ أوديب طيبة من الوحش ، أو هكذا قيل على لسان خبراء الدعاية فى المدينة وصدق الناس النبأ وانصرفوا الى اعمالهم اليومية وانقطع اوديب لاختراعاته ومكتشفاته ليبنى امته على اساس المنجزات المادية وحدها ،بينما ترك حاشيته تخرب نفسيات الشعب، بدعوى العمل على ان يلتف الشعب حول مليكهم . وهنا كمنت الماساة فلا فائدة من الاختراعات والاكتشافات ما لم يصحبها بناء الانسان ، والكارثة ان مايحدث هو هدم الانسان . لذلك يعود الوحش من جديد الى الظهور . وحين يطالب الناس اوديب بملاقاته من جديد يجيبهم بانه سيلبى طلبهم ويحل اللغز ويقتل الوحش ، ولكن حين يموت ماذا هم فاعلون . لذلك يذهب شعب طيبة لملاقاة الوحش فيلقى الهزيمة ، وحين يتساءل اوديب عن سبب الهزيمة مع انه طور طيبة آلاف السنين واخترع للناس كل ما يصنعه الانسان فى المستقبل ،يرد عليه تريزياس قائلا : واخترعت ايضا يامولاى اسوا اختراع فى التاريخ . « الخوف » الاختراع الوحيد الذى يفسد كل الاختراعات الاخرى . ويعلن أن اللغز الحقيقى هو أن يحرر الانسان من الخوف والتملق والشك من اجل كل الطاقات الابداعية بداخله ، ومن يحل هذا اللغز هو الذى يستحق ببساطة لقب الحاكم .

وهكذا غير على سالم معالم الاسطورة تماما ، فاحالها الى كوميديا وان كانت روح الماساة تتغلغل فى احداثها واصبحت وقائع الماساة القديمة مجرد اصداء باهتة تبعث من ماض قديم ، مجرد اداة يطوعها المؤلف المسرحى المعاصر ليعكس قلقه وقلق عصره ومجتمعه ويقدم خلالها رؤيته وكلمته .

***

ونأتى اخيرا الى صياغة فوزى فهمى فى مسرحيته «عودة الغائب» فنجد انه ظل محتفظ بروح الماساة ولهذا فانه كتبها بالعربية الفصحى بل باسلوب اقرب الى روح الشعر من حيث التقديم والتاخير والسجع المتناثر خلال الحوار . اما الصراع فليس صراعا بين الانسان والقدر ، ولا بين الحقيقة والواقع .. الخ لكنه صراع اجتماعى فى جوهره، الشعب احد طرفيه واوديب يتزعم هذا الطرف لانه يحقق احلام الشعب ويدافع عن حقوقه . « هو فى تاريخ طيبة ليس له مثيل ، ملك يدفع بعيدا عنه المنافع الشخصية وينتزع الثروات من الارض لا لنفسه بل لكل الناس ، امر لم تعتده طيبة .. ؟ — (فوزى فهمى احمد ، عودة الغائب ، الهيئة المصرية العامة الكتاب (مسرحيات مختارة) ١٩٧٧ ، ص ٢٨) ..

اما الطرف الآخر فهم اعداء الشعب وعلى رأسهم كريون اخو الملكة والعراف تريزياس ، ويعبر كريون عن موقف هذا الطرف حين يعلن قائلا : ان ما اسوقه هو حصاد تجربة عشتها ، فانا من بيت حكم ، الفت التعامل مع هذه الجماهير .. انهم لا يثقون بنا ، انهم يعلمون اننا فوقهم .. نحن غيرهم . وهم دائما اعداء لمن يحكم — (المرجع السابق ص ٣١) .

وهؤلاء كانوا يريدون من اوديب أن يملك ولا يحكم ،لايهمهم أن تحبهم الجماهير بل أن تطيعهم . وكانوا يعتقدون أن قتل لايوس تم نتيجة تدبيرهم ، لكن النتيجة جاءت على غير ما دبروا ، فبدلا من أن يخلو لهم الجو ويحققوا مطامعهم ، حل أوديب اللغز فأصبح من حقه ان يحل محل الملك المقتول ويتزوج زوجته .

ولئن كان اوديب في الفصل الاول « التعرف » يتعرف على حقيقة ما ارتكبه بما لا يختلف كثيرا عما في مسرحية سوفوكل ، فانه في الفصل الثاني « القرار » نجده يتخذ قرارا مخالفا تماما لما اتخذه اوديبسوفوكل، لانه لا يفعل ما فعله سلفه حين فقأ عينيه وتخلى عن عرش طيبة ، فمعنى هذا انه تخلى عن شعب طيبة وتركه نهبا لمستغليه . ثم لماذا يفعل بنفسه هذا ولم يخطىء لا هو ولا امه لانهما ليسا اشرارا ، وسيثبتان لانفسهما ولمن يعدهما بانهما حقا ابرياء وانهما ضحيا الضلال من حياتهما لحظة تبيناه . ثم انهما ليسا مسئولين عما جرى لهما .

وهكذا قرر أوديب الا يدع العمر يضيع في باطل وان يغرق نفسه بما اراده لها: صنع مستقبل الناس الطيبين اهل طيبة . (المرجع السابق ص ٥٦) . وبذلك فان أوديب«توزى فهمى » يدين أوديب « سوفوكل » بأنه اضاع عمره في باطل وانه تحمل مسئولية أمر لا مسئولية له فيه .

ونتيجة لهذه المقدمة اتخذ أوديب قراره : انه لن يعلن حقيقة قصته ، لان اعلانها معناه ان يحطم المتلصصون صرحه ويعرقوا جرحه ليعودوا بطيبة الى الوراء ، الى ماقبل اليقظة من الرقاد حيث الاشباح تعود ، ويفرخ الشر ويباح ، وتداس كرامة الناس بالنعال — (المرجع السابق ص ٥٨) .

وعندما تؤكد أمه جوكاستا بأن جريمتهما لا يمكن أن تغتفر يقاطعها بالا جريمة هناك . من أجل ذلك قررا ان يظلا زوجين امام الناس ولكنهما امام نفسيهما سيكونان اما وابنا — (المرجع السابق ٦٠) .

ويحاول كريون المندفع التآمر على أوديب ليحرق رجاله الحقول ويحطمون السدود ولكن مؤامرته تفشل . ليشير عليه تريزياس الخبيث ان يشترى مجلس الشيوخ ليقف اعضاؤه ضد مشاريع اوديب ليعزلونه عمن حوله ويجعلونه وحيدا .

اما جوكاستا فانها تشفق على ابنها وتغرى وصيفتها اوريجانيا بأن تكون زوجته مدعية أن مرضا خبيثا يحول بينها وبين أوديب بأمر من الاطباء . وقد اتضح أن اوريجانيا تحب أوديب لانها تحب فيه وطنها في ثوبه الجديد .

وعندما يشي كريون لاخته جوكاستا بالعلاقة غير الشرعية بين أوديب وأوريجانيا يفلت منها لسانها

معلنة ان أوديب ابن دمها . وحين ينتشر الطاعون يجدها كريون وتريزياس فرصة ذهبية لهما . فتريزياس لا يزال يعمل بكهانته ، فيطالب أوديب ان يرحل لأنه قاتل ابيه ومعاشر امه فأسراره ليست بمنأى عن سكان الاولب ، لكن أوديب يتصدى له معلنا ان ظل سكان الاولب على الارض رغيف وسلام بينما تريزياس يخضب بالموت ارض طيبة ويطالبه بان يمرغ اطماعه فى الوحل والا يجعل موت البشر سلاحه مستثمرا زمن الضيق ، ويتحسر أوديب على ضيعة الآمال فى عالم الاحقاد - (المرجع السابق ص ١١٦) . ويشيع تريزياس فى طيبة أن سبب الدمار وجود من ارتكب معصية فى طيبة ويجب التخلص منه ، فيرد أوديب ردا منطقيا: فالعقاب فى الشرائع لمن ارتكب الخطأ ولا يمكن للآلهة أن تساوم ولا ترضى أن يدفع شعب دمه المسفوك عقابا لمن ارتكب الخطأ ، بل العقاب يحتمله مرتكب الخطأ والا فالآلهة اذن آلهة ظالمة .

لكن أوديب يضطر فى النهاية الى أن يعلن ان حجب الحقيقة عن الشعب هو خطيئته ، ولكن الكورس يبرىء أوديب معلنا انه ليس هنالك لعنة بل هنالك مؤامرة ، وأن هذه المؤامرة تتستر فى ظل المعبد . ولكن الكورس يعود فيعاتب أوديب معلنا : كتمت عنا جرحك ونحن شعبك ، صار صمتك وحشا آخر يترصد بنا ، أوديب انت بسقطتك وصمتك لست لنا - (المرجع السابق ص ١٣٤) .

حينئذ يستجيب أوديب لرغبة شعبه معلنا ان الديمقراطية لن تنحنى امام سلطته . فلتصنع طيبة مصيرها ولتمارس حريتها ولتعلم أن امامها الطريق غير مفروش بالورود .. « ايها الطيبون انا لا اخالف اجماعكم ، انتم ترفضوننى وهذا حقكم ، كى لا تبقى حريتكم وهما وشعارا مرفوعا .. لكن الانتصار الحقيقى لكم هو ان تستمروا بهذا القدر من الشجاعة فى ممارسة حريتكم امام مواقف اخرى مماثلة .. وداعا وانا اتركم احرارا من ذلك الخوف » . ثم يصرح بمعارضته لسلفه أوديب سوفوكل : اما انا فقد كان على ان افقا عينى كما تحكى قصتى ، لكن هاأنذا اصد بكل ارادتى عن نفسى فقا العينين فانا احلم بالخصب لا بالعقم - (المرجع السابق ص ١٣٦) . وهكذا فانه اذا كان أوديب على سالم قد علم شعبه الخوف فان أوديب فوزى فهمى قد حذرهم منه .

ويبدو أن فوزى فهمى يسقط على أسطورة أوديب موضوعا معاصرا، وان كان فى الواقع موضوعا جديدا قديما لانه يتصل بأساليب الحكم فى كل عصر وفى كل مكان . ونحن نلاحظ انه احتفظ من ناحية الموضوع بجانب من الاسطورة القديمة وتخلى عن جانب آخر ابرزه الصراع مع القدر الذى حل محله الصراع الاجتماعى، اما من ناحية الشكل فكان اكثر احتفاظا بالشكل الاغريقى للمسرحية اذ احتفظ بالكورس وبروح الشعر وبالشخصيات الرئيسية وبزمانها ومكانها ولكنه قسمها الى ثلاثة فصول .

وهكذا استرد ادباء مصر - ومن مختلف الاجيال - أوديبهم بعد ان تغرب طويلا ، ووجدوا فى شخصيته طواعية لأن يؤقلموه مع عقائدهم حينا ومع همومهم حينا آخر ، فارتدت ثيابنا وتحدثت بلهجتنا ، ولا غرابة فأوديب شخصية خصبة تلاقت مع مواهب خصبة ●

من روائع الفن الإسلامي

التصوير في الهند الإسلامية

لا زال الكثيرون منا يحسبون فن التصوير لم يزدهر في بلاد الإسلام ، ولكن الحقيقة أن تاريخ فن التصوير عند المسلمين لا يقل إشراقاً عنه في أي بلد غربي ، وفي الصفحات التالية لمحات عن التصوير في الهند الإسلامية .

السلطان جاهنجير في حديث خاص مع ابنه الامير خسرو ، لوحة بريشة منوهر رسمت سنة ١٦٠٥



● رغم ما يقال من أن الاسلام يحرم التصوير فان للتصوير تاريخا حافلا في تاريخ الحضارة الاسلامية ، وفي هذه الصفحات نعرض باللفظ والصورة لنواحي الابداع في فن التصوير في مدرسة واحدة من مدارس الفن الاسلامي : المدرسة الهندية .

دولة اسلامية عظمى قامت في مطالع العصر الحديث

لا يعرف معظم المثقفين العرب والمسلمين عن التصوير في عالم الاسلام الا القليل ، بل ان كثيرين منا لا يعرفون ان هناك فنا تصويريا زاهرا في تاريخ الحضارة الاسلامية ، ويبدو ان الناس متأثرون في هذا الباب بما قيل من ان الاسلام يحرم التصوير ، وهو أمر غير صحيح . ان الحجة التي يستند اليها القائلون بهذا التحريم حجة واهية تقول ان الاسلام حرم التصوير خوفا من أن يعبد المسلمون الصور والتماثيل وهذا غير صحيح فان المسلم الذي يؤمن بالله ورسوله لا يمكن قط أن يعبد صورة أو تمثالا مهما كان علمه بالاسلام قليلا . وليس هناك مسلم لا يعرف أن الاسلام عقيدة توحيد وتجريد ، ولم نسمع قط رغم كل ما ظهر في تاريخنا من مذاهب منحرفة عن العقيدة العربية بأن فرقة اسلامية عبدت صورة أو تمثالا .

ولكن المسلمين بطبعهم عزفوا عن التصوير والمثالة نفورا من الوثنية وتمييزا لعقيدتهم عن العقائد الاخرى التي تعتمد على التصوير والتماثيل في زينة معابدها كما نرى في المعابد والكنائس التي تكثر فيها الصور والتماثيل لأنها تستعمل وسيلة لتصوير مشاهد من العقيدة أو من الكتاب المقدس واحاديث الانبياء والحواريين .

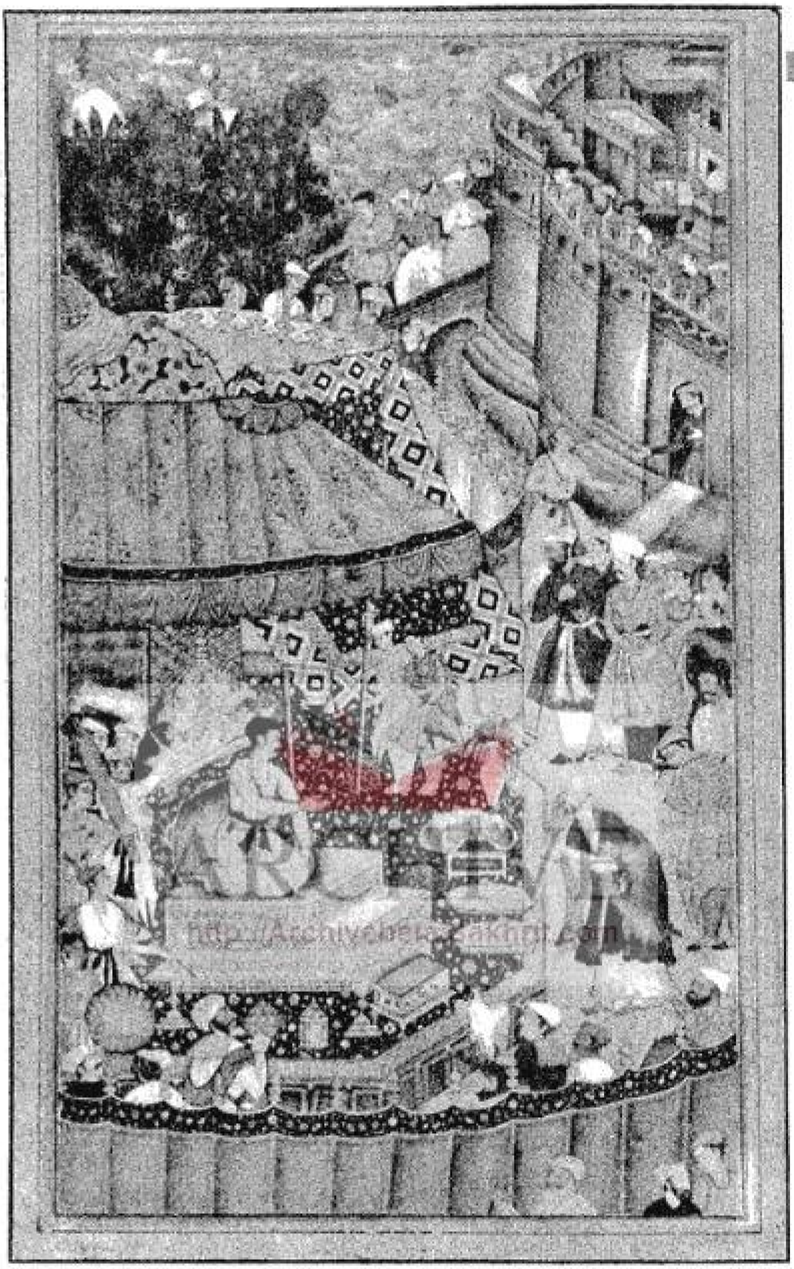
وقد استغنى المسلمون عن هذه الوسيلة في التعبير الفني بأمرين : الزخرفة والكتابة . فاستعاضوا عن التصاوير بالزخارف البديعة المختلفة الاشكال والالوان ، وأبدعوا في استعمال الكتابة عنصرا زخرفيا ، ووفقوا في ذلك توفيقا بعيد المدى حتى اصبحت الزخرفة بشتى أشكالها فنا يكاد يكون مختصا بالحضارة الاسلامية ، ولفظ أرابيسك في الفن الاسلامي يدل على فن الزخرفة بصورة عامة سواء ما ابدعه المسلمون منها وما أبدعه غيرهم فيها .

ثلاث مدارس كبرى في تاريخ التصوير عند المسلمين

ولكن هناك بلادا اسلاميه ثلاثة اشتهر اهلها بالتصوير وصارت لهم فيه مدارس مشهورة معروفة: الاندلس وايران والهند، ففي كل بلد اسلامي من هذه اهتم الناس بالتصوير ورسموا لوحات وصنعوا تماثيل وانشأوا مدرسة من مدارس الفن التشكيلي ، ومع ذلك فلم تسمع قط أن فقيها اندلسيا أو ايرانيا أو هنديا احتج على صورة أو تمثال، بل كان هناك تمثال جميل من المرمر لامرأة ترضع طفلها في أعلى باب من أبواب قرطبة تسمى الباب باب الصورة ، ولم يطلب أحد من الفقهاء نزع ذلك التمثال أو المساس به .

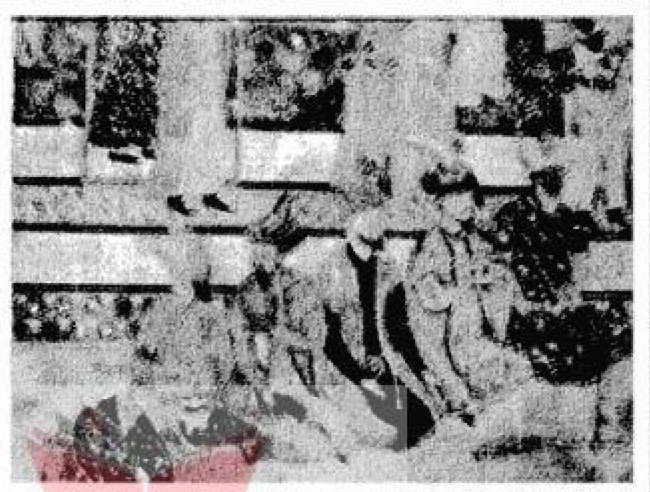
وفي ايران نجد مصورين بارعين رسموا لوحات ومنمنمات هي الغاية في الجمال من امثال بهزاد صاحب مدرسة هرات المشهورة ، وكان بهزاد من اكثر الناس ايمانا وتقى ، وكانت لوحاته والكتب التي زينها بصوره تتداول بين الناس دون حرج ، وكان للرجل مكان مرموق في المجتمع الايراني وما زلنا نحتفظ الى اليوم بمجموعات من لوحاته ومنمنماته . والمنمنمة هي الصورة الصغيرة التي تزين بها بعض المخطوطات ، وقد اشتهر المسلمون باتقان هذا الفن ويقال انهم هم الذين ابتدعوه ، وعنهم نقله الغرب .

وسنخصص حديثنا هذه المرة على فن التصوير في الهند الاسلامية وسندرس أصول التصوير في المدرسة الهندية

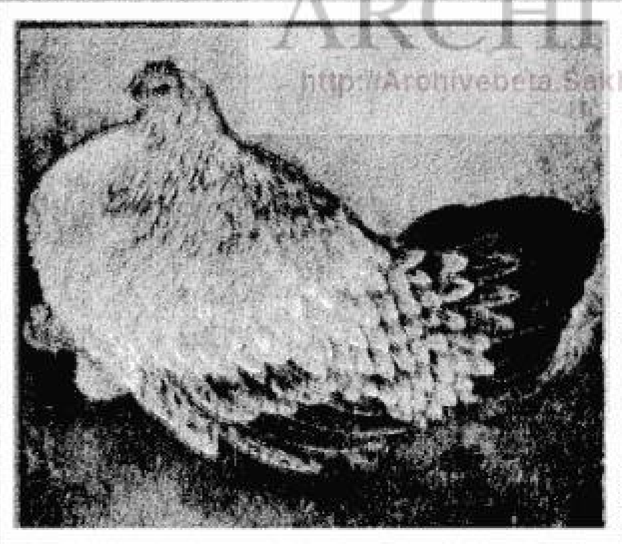


السلطان اكبر يتلقى الهدايا فى معسكره الى جوار «جوانبور» من رسم «بقوان» .. اللوحة من مخطوطة اكبـــر نامه

اسرى حرب يقدمون الى السلطان اكبر .
لوحة من عمل المصور الهندى حسين
نقاش . الصورة ماخوذة من مخطوطة
اكبر نامه التى تم عملها سنة ١٥٩٠ .

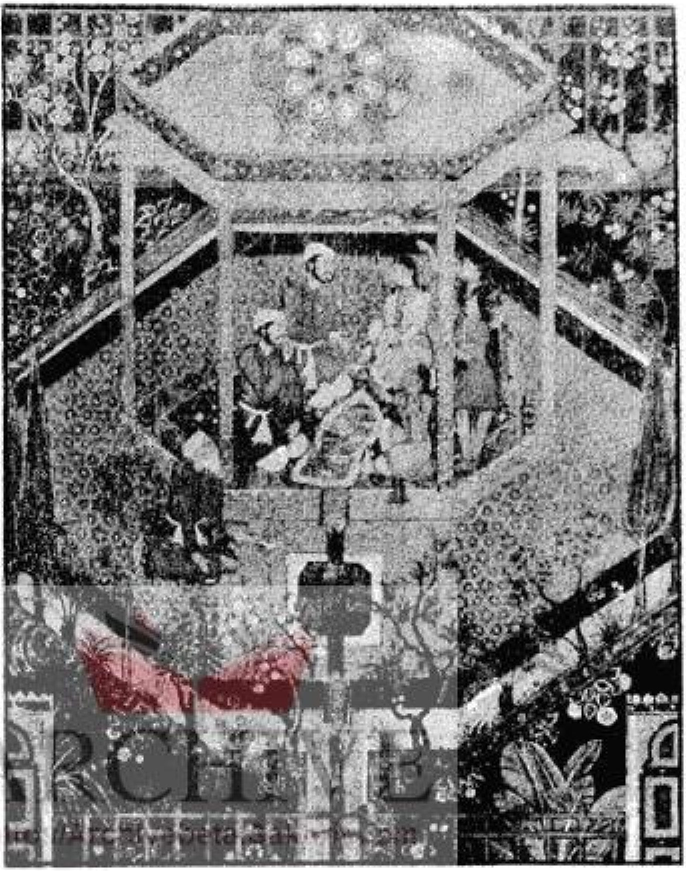


لوحة تمثل كبار السلاطين والأمراء من آل تيمور « سلاطين مغول الهند » . لوحة رسمت على قماش من القطن بين سنتى ١٥٥٠ / ١٥٦٠ محفوظة فى المتحف البريطانى



دجاجة مع فراخها . لوحة رسمت على القطن فى عصر السلطان جاهنجير ١٦٠٥ - ١٦٢٨ محفوظة بالمتحف البريطانى





رستم ومهرافاروز يتحدثان في خميلة وسط حديقة .. لوحة رسمت على قماش قطني من مخطـوطة احمزه نامه

ونتحدث عن كبار الرسامين هناك،ونؤيد الكلام بنماذج من تصويرهم ملونة وغير ملونة .

قيام دولة اسلامية عظمى : دولة سـلاطين مغول الهند وازدهار الحضارة والفن الاسلاميين في ظلها

يبدأ تاريخ التصوير الاسـلامي في الهند مع بداية عصر سلطنة مغول الهند التي وضع أساسها السلطان بابر سنة ١٤٨٣ وبابر من احفاد تيمور لنك ولهذا فان أسرته تسمى اسرة سلاطين المغول وكانت اسـرته تحكم أول الامـر اقليم فرغانة في افغانستان الحالية .

وعندما تولى بابر عـرش فرغانة سنة ١٤٠٥ بدأت امارة فرغانة تتوسع فتفتح سمرقند في بلاد ما وراء النهر ثم نقل عاصمته الى كابل سنة ١٥٠٤ . ومن هناك اتجه ببصره الى الهند وقرر غزوها لتجديد دولة الاسـلام فيها ، وكان يحكمها اذ ذاك آخر سلاطين أسرة لودى وعاصمتهم لاهور ، فسـار بابر بجيوشه فيوادى نهر كابل الذى يخترق جبال الهملايا ، ومر من ممر خيبر ودخل الهند حيث انتصر على سلطان لودى في موقعة بانيبات المشهورة سنة ١٥٢٦ ثم هزم اتحـاد امارات الراجبوتانا الهندية وقتل أميرهم ميوار رانا سانجرام سينج وبعد هذا النصر اصبح بابر يحكم امبراطورية واسعة تمتد من اقصى بلاد ما وراء النهر شـمالا الى هضبة



صفحة من مخطوط يحكي ماساة استشهاد الحسين ابن علي في كربلاء .. والصورة تمثل هجوم الاعداء على قبر الحسين لتحطيمه ، والنص مكتوب بالفارسية .

الدكن جنوبا ، وعندما توفي بابر سنة ١٥٣٠ كان من أعظم ملوك عصره في عالم الاسلام وخارجه وجعل عاصمته آجرا ، ودلهي .

سلطان عظيم وشاعر وفنان : جلال الدين بابر

وكان بابر الى جانب عبقريته العسكرية والسياسية رجلا ذا مواهب أدبية وفنية، فقد أملى مذكراته باللغة التركية وسماها « بابر نامه » أي كتاب بابر وكان ينظم شيئا من الشعر ، كان حبه للفنون والتصوير خاصة عظيما .

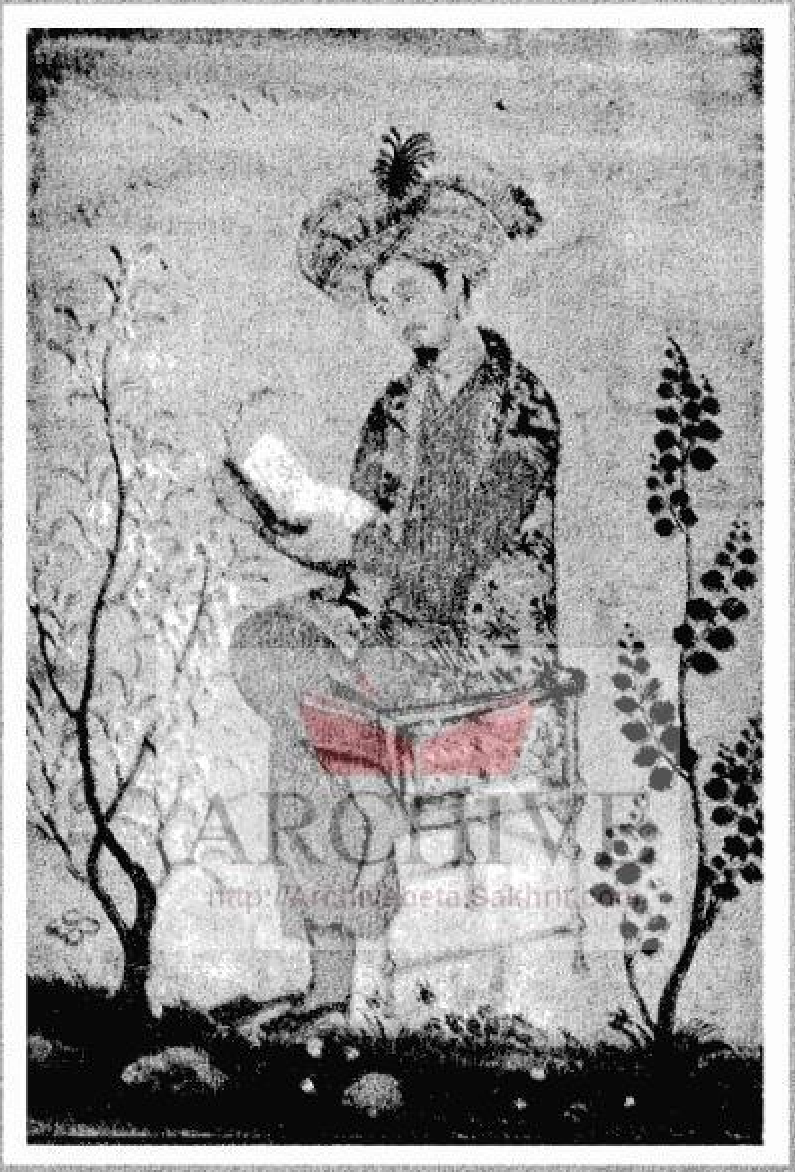
خلفه ابنه السلطان همايون وكان فاتحا عظيما أيضا ، وقد تمكن من تنظيم دولة أبيه الكبيرة ، ولكن الدولة بلغت اوجها أيام حفيده اكبر بن همايون الذى بدأ يحكم سنة ١٥٥٦ في سن الثامنة عشرة ، وقد انتصر على امراء الراجبوتانا انتصارا عظيما عند بانيبات سنة ١٥٥٦ ، واستولى على بلادهم ووقعت في يده قواعدهم العسكرية الكبرى مثل غيتور ورانتامبور والكوجرات سنة ١٥٦٨ . وفي سنة ١٥٧٣ استولى على سورات وضم الى بلاده البنغال وكشمير سنة ١٥٨٦ ، في كل البلاد التى نتحها أزال معابد الوثنية .

السلطان اكبر : فيلسوف ومفكر ديني حاول انشاء ديانة جديدة فلم يوفق وانتصر الاسلام

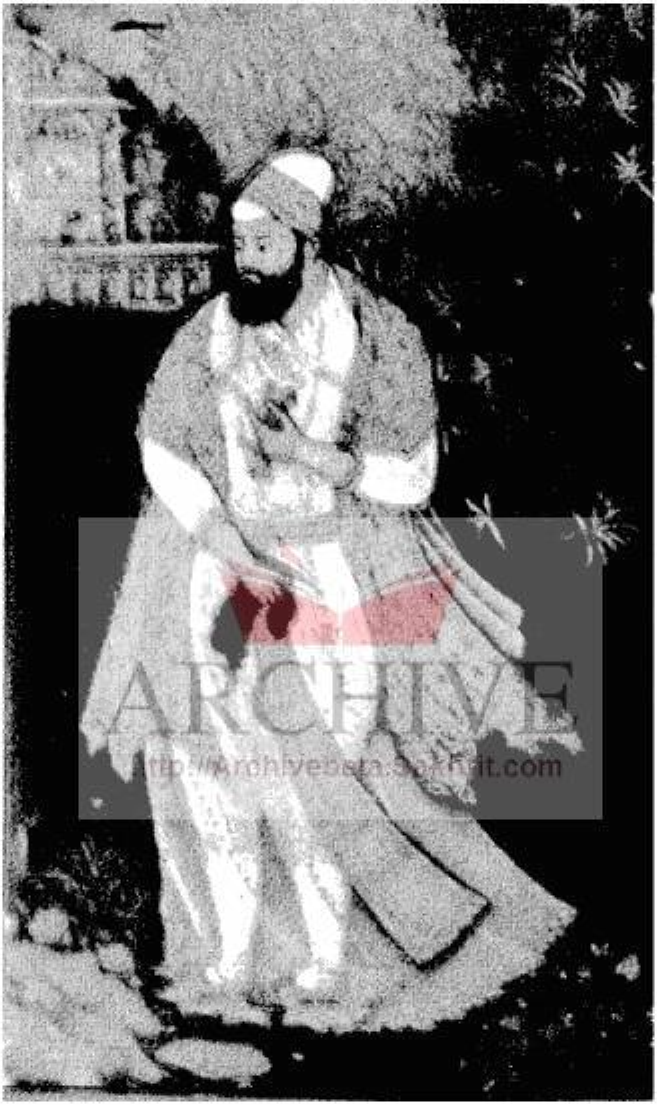
وبعد أن أنشا السلطان اكبر هذا الملك العريض بنى لنفسه عاصمة جديدة قرب أجرا هي فاتح بور سيكرى في الموضع الذى عاش فيه زاهد عندى مسلم مشهور هو الشيخ سليم شيستي وكان السلطان اكبر رجل تاملات وأفكار فلسفية ومن هنا نفهم كيف أنه فكر في توحيد الاديان الكبرى التي وجدت في الهند اذ ذاك الاسلام والبوذية والهندوكية والمسيحية في ديانة واحدة سماها « الدين الالهي » وهي محاولة لم توفق ، وكان يميل الى الجدل الديني والقراءة في الآداب ، وقد قام بكتابة تاريخ حياته واحد من أدباء عصر هو الشيخ أبو الفضل وسماه اكبر نامه ، وكان أبو الفضل مصورا ماهرا .

جاهنجير وشاه رجاهان : سلطانان مسلمان رعيا الفنون والتصوير خاصة

وخلفه ابنه جاهنجير ، وكان شبيهاً بأبيه في النشاط والعمل ، ولكنه أقلع



السلطان بابر جالس على كرسيه يقرا . رسمت فيمـــا بين سنتي ١٦٠٥ ــ ١٦١٠ مقاييسها ١٨ × ٥ر١١ ســـنتيمتر بالمتحف البريطـــــاني . .



لوحة تمثل موسيقيا من بيجابور رسمت
سنة ١٦١٥ محفوظة بالمتحف البريطاني

عن بدعة « الدين الالهى » وكتب لنفسه ترجمة حياة سماها توزيكي جاهنجير وتوفى سنة ١٦٢٧ وخلفه ابنه شاه جاهان الذى انشأ التاج محل درة العمارة الاسلامية فى الهند .

قيام مدرسة التصوير الهندية الاسلامية

فى ذلك البلاط الزاهر الذى تعاقب عليه السلاطين العظام ازهر فن التصوير موضوع هذا المقال .

وكان السلطان همايون هو أول من انشأ فى قصره مصورا « ستوديو » خاصا لمصورى البلاط ، وقد قبس ذلك عن البلاط الفارسى ، فقد قضى فى تبريز سنوات طويلة منفيا من بلاده ، وهناك رأى ان شاهات الصفويين لهم مصورون خاصون بهم وفى القصر الملكى مصور خاص يعملون فيه ، والمصور مجموعة قاعات واسعة فياضة بالنور يعمل فيها مصورو البلاط .

وعندما عاد همايون الى عرشه اخذ معه نفرا من اعلام التصوير الايرانى من مدرسة تبريز على رأسهم المصور الايرانى الكبير سيد مير على سنة ١٥٤٩ ثم استدعى الى بلاطه فنانا ايرانيا آخر هو عبد الصمد .

وقد تناول نشاط هذه الجماعة من المصورين تحت اشراف السلطان همايون ومن جاء بعده لوحات ضخمة ملونة للسلاطين أكبر وجاهنجير وخرم (الذى سمى باسم شاه جاهان) ، واللوحات كلها على أسلوب مدرسة تبريز الايرانية ، ولا تختلف عنه الا فى شكل العمامة الهندية التى تميز سلاطين الهند من المغول .

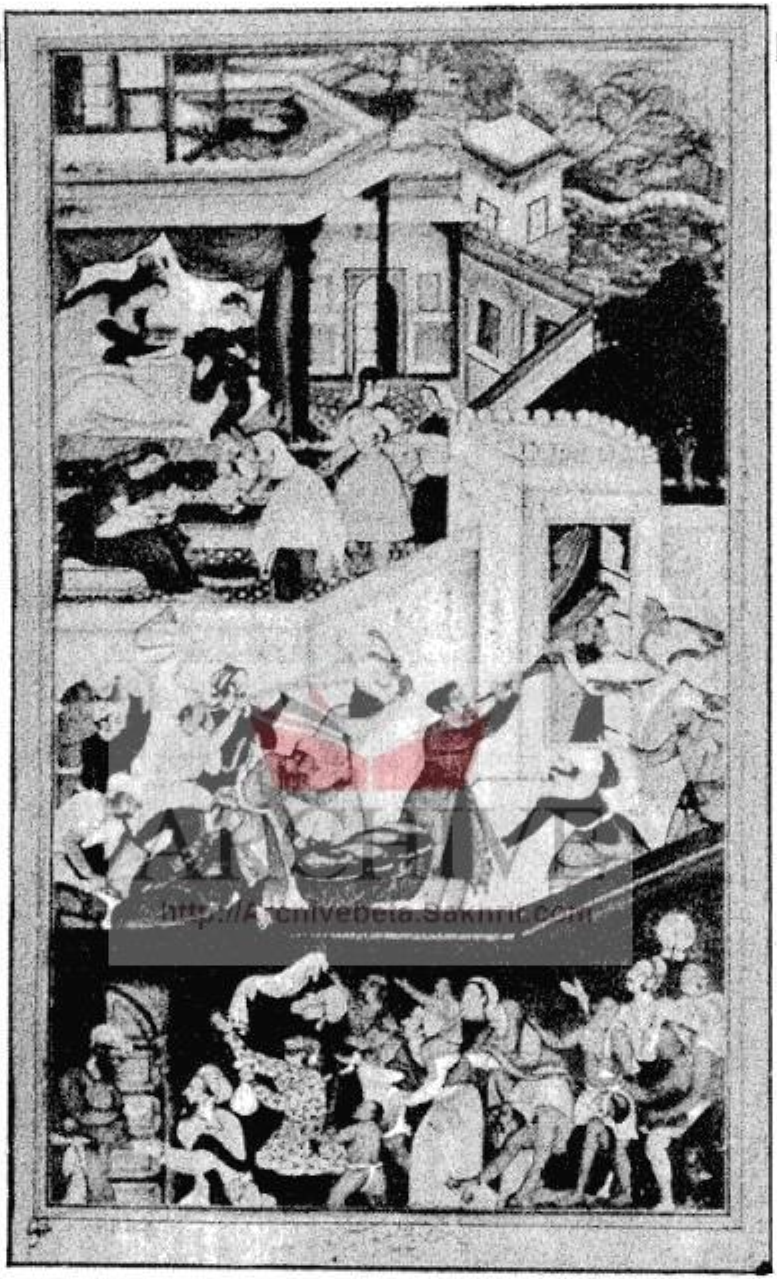
وكان السلطان اكبر نفسه من هواة الرسم ، كان يرسم بيده وهو صغير ، وقد تلقى تدريبا على الرسم على يد سيد مير على ، وعندما عاد سيد مير على الى بلاده سنة ١٥٧٤ أصبح عبد الصمد الرسام الاول والفنان المقرب الى همايون وبمعاونته استدعى عبد الصمد الى بلاط اجرا نفرا من الرسامين الهنود من ولايات احمد بخار وميشاپور وجولكوندا ، وعلى يد هؤلاء اخذ التصوير فى الهند يتحرر من قواعد المدرسة الايرانية ، وظهر ذلك بشكل واضح فى المنمنمات التى زينت القصة الجميلة المسماة بـ « حمزة نامه » اى كتاب حمزة وهى قصة اسطورية تدور حول سيدنا حمزة الشهيد وموت الابطال الذى لقيه فى موقعة احد . وقد كانت القصة تقع فى ١٤ مجلدا فى كل واحد منها مائة لوحة وحجم الصفحة ٤٥ بوصة اى نحو ١٢٠ سنتيمترا . ويعتبر هذا المخطوط الذى لم يبق من أوراقه الا القليل أضخم عمل فنى تم فى تاريخ التصوير عند المسلمين .

حمزة نامه كتاب ضخم من لوحات مصورة

وكان هذا الكتاب المصور الضخم — واوراقه من القماش المقوى بالشمع — يعرض على مجمع من الناس بينما يتلو قارئ قصة حمزة والعيون تتأمل الرسم والتفاصيل . حقا ان التفاصيل فى اللوحات الباقية لنا كثيرة جدا يفقد المتأمل معها قدرته على التركيز ، ولكن المصورين عرفوا كيف يضفون على الرسوم قوة وحيوية غير معهودة فى التصاوير الاسلامية . ثم ان الالوان زاهية جدا ، وهى قد تبدو جافية احيانا ، تدل على مهارة كبيرة ، وقد قصد الرسامون من استخدامها الى احداث اكبر وقع فى النفوس .

رسامون عظماء : سيد مير على وعبد الصمد وعبد الرحيم

وبعد ذلك كلف همايون احد قادته وهو بيرم خان بترجمة تاريخ حياة جده المسماه « بابر نامه » الى الفارسية ثم كلف الرسام عبد الرحيم بتزيين المخطوط بمنمنمات مفردة او مزدوجة ، اى تغطى نصف صفحة او نصفى صفحتين متقابلتين ، والرسم هنا جميل جدا ، والوانه اكثر تناسقا من الوان



لوحة تمثل الفرحة بميلاد الأمير سليم ابن السلطان أكبر
وقد رسم الصورة ذرمداس الرسام الهندي

كتاب حمزة نامه . وقد صور هذا المخطوط أكثر من مرة ، ونسخه الباقية لدينا - في المتحف البريطاني خاصة - يختلف بعضها عن بعض أشد الاختلاف وكل التصاوير تحمل امضاء راسميها وأحيانا نجد امضاءين لرسامين على لوحة واحدة .

« أكبر نامه » كتاب مصور فريد في بابه

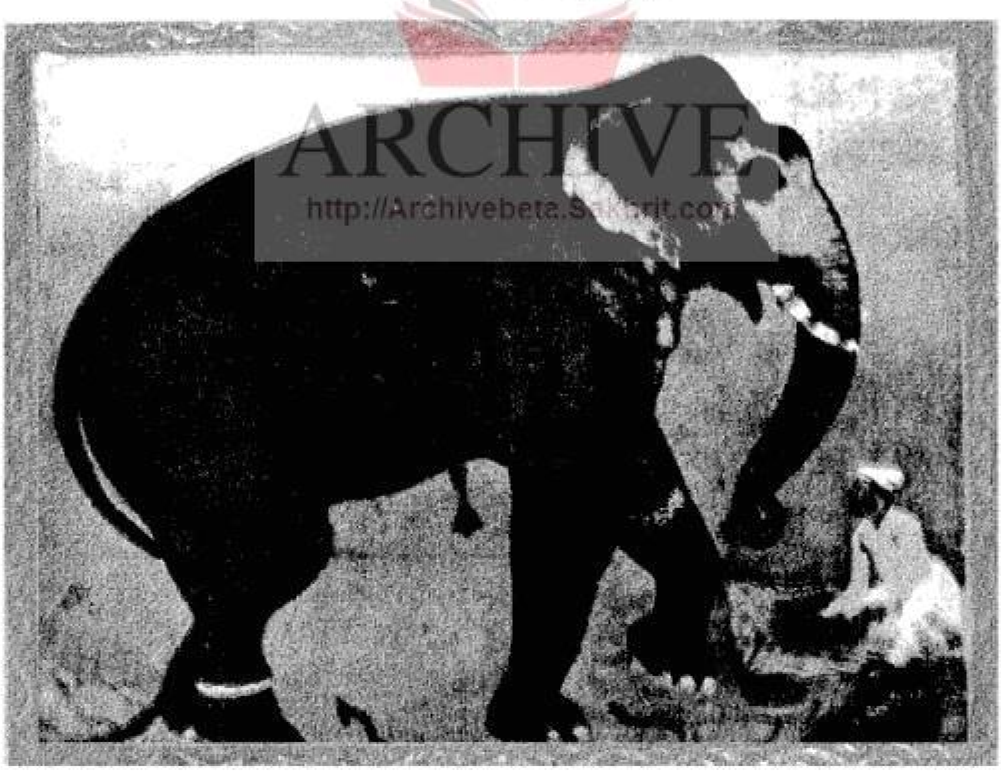
ولكن أعظم اعمال التصوير التي تمت في عهد أكبر هو تصاوير تاريخ حياته التي كتبها كاتبه أبو الفضل وأشرف هو بنفسه على اعمال كتابة المخطوط وتزيينه بالصور . والكتاب يضم ١٨٩ منمنمة . وقد أنجز وقدم للسلطان اكبر ابن همايون سنة ١٥٨٤ .

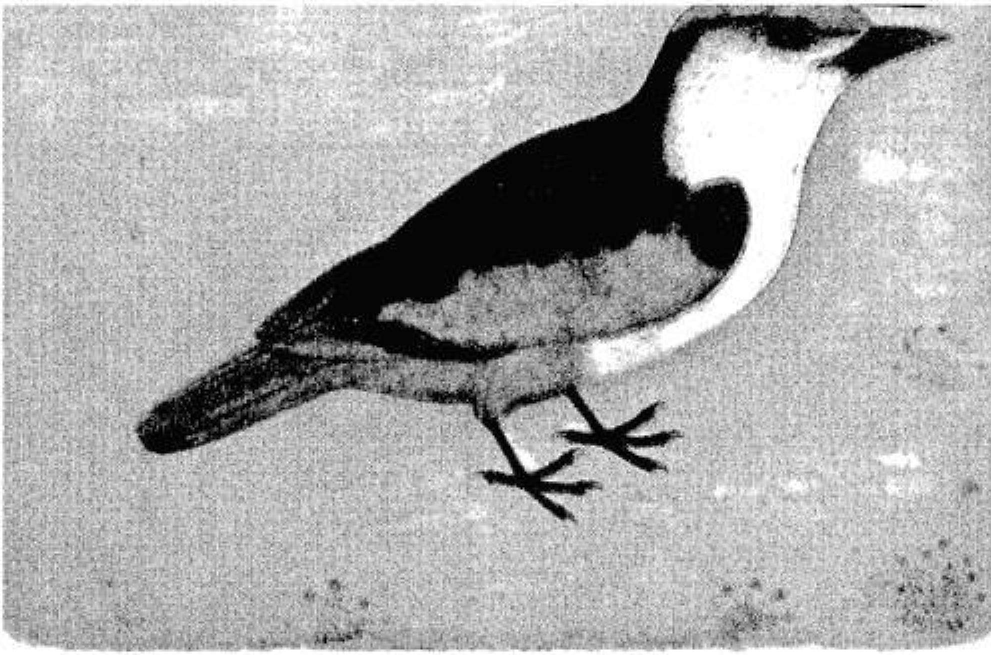
وفي نفس الوقت امر السلطان اكبر بترجمة الملحمة الهندية المعروفة باسم « مهابهاراتا » فترجمت الى الفارسية بعنوان « رزم نامه » وزينت بالصور البديعة ذات الألوان الباهرة ، **ومخطوطتها اليوم في ملك مهراجا جايبور وقد تمت وقدمت للسلطان اكبر في نفس التاريخ . وتصاوير هذه المخطوطة عملت بأيدي رسامين من الهنود لانهم اعرف بطبيعة تلك الملحمة الهندية الكبيرة من غيرهم من الرسامين المسلمين ويبدو ان السلطان اكبر أعجب بهذه التصاوير فأمر بان تترجم المخطوطة الى الفارسية وتصور ملحمة هندية اخرى تسمى هاريكامسا وهي تدور حول** شخصية كريشنا الذي تتمثل فيه شخصية الاله الهندي فشنو ، وتصاوير هذا المخطوط ، مثلها في ذلك مثل تصاوير المهابهاراتا تمتاز بالحيوية والحركة التي ادخلها الفنانون المسلمون على فن التصوير عند الهنود .

مخطوطات كثيرة مزينة بالمنمنمات

ومن بين روائع الاعمال التي صدرت عن مصور السلطان أكبر مجموعة من المخطوطات المصورة تدور كلها حول

اطعام الفيل .. لوحة رسمت سنة ١٦٢٠ في عصر جاهنجير مقاييسها ٢٠ × ٢٨ سنتيمترا





صورة طائر ذى ريش مختلف الالوان رسمت في سنة ١٦٢٠ في عصر جاهنجير

ملاحم فارسية ، هذه المخطوطات أصغر حجما ، ومن ثم فان رسومها أصغر مساحة ، لانها عملت للمطالعة الخاصة لا للعرض كما هو الحال مع المخطوطات الكبيرة التى تحدثنا عنها آنفا • ونلاحظ فى هذه التصاوير أثرا أوربيا فلمنكيا فى الغالب ، لان العلاقات التجارية بين الهند وهولندا كانت نشيطة فى ذلك العصر وهو القرن السادس عشر الميلادى

لوحات أشخاص لا تقل عن اللوحات الاوربية فى عصرها

وقد أشتهر التصوير الاسلامى فى الهند بلوحات الاشخاص • ومن اشهر ما عمله ابو الفضل تلك اللوحة الكبيرة التى رسمها للسلطان اكبر ومازالت باقية تبهر العيون بجمالها وروعة الوانها الى اليوم • وقد امر اكبر بان تعمل لوحات لعدد من افراد اسرته ووزرائه وكان بعض المصورين يرافقونه فى حملاته ليصوروا بعض مشاهد المواقع ، ومازلنا نملك الى اليوم تصاوير بديعة لحصار تشيتور ورانتابهور

جاهنجير ومصوره أبو الحسن

وقد ورث السلطان جاهنجير حب والده للتصوير وتميز عنه بحب بالغ للطبيعة ومظاهرها • واثناء سنوات نزاعه مع والده وابتعاده عن اجرا جمع حوله طائفة كبيرة من المصورين اشهرهم آقارضا أو آغارضا ، وقد ادخل هذا المصور ـ وأصله من هرات ـ أصول فن التصوير التى تكونت فى مدرسة هرات تحت رعاية البلاط الصفوى على يدى آقارضا وفيها ظهر رسام هندى كبير من أصل فارسى هو أبو الحسن ، وهو اكبر من يمثل لنا فن التصوير الهندى فى عصر جاهنجير •

وكان جاهنجير كذلك معجبا بالتصوير الاوربى ، وكان يطلب الى السفير البريطانى السير توماس رو أن يوافيه باللوحات الاوربية ، وقد حكى السير توماس رو فى مذكراته تفاصيل المحاورات التى كانت تدور بينه وبين جاهنجير حول موضوع التصوير ، وفيها نقرأ انه لم يكن معجبا بالتصاوير التى عملت فى أيام أبيه اكبر • ولكننا نلاحظ مع ذلك ان التصاوير التى صنعت له أو لبعض مشاهد حياته مثل الاستعراضات العسكرية تتميز بجمود يفقدها الكثير من الحيوية التى نجدها



صورة لاحد الاوربيين الذين دخلوا الهند تجارا ، رسمت بريشة رسام هندي مسلم في مخطوطة تاريخ حياة جاهنجير

في الصور التي عملت تحت اشراف أبيه اكبر ، ونجد نماذج من التصوير في عصر جاهنجير في مخطوطة تاريخ حياته المسماه « توزكي - جاهنجير » •

ومن روائع اللوحات في ذلك العصر اللوحة البديعة التي صنعت لشاه جاهان ابن جاهنجير قبل أن يتولى الملك وهي لوحة باهرة تتميز بجمال ملابسه والجواهر الثمينة التي تزين بها • وقد امر جاهنجير مصوره بشانداس بأن يصنع له لوحة للشاه عباس سلطان ايران ، وارسله مع بعثة دبلوماسية كانت ذاهبة الى بلاط اصفاهان ليقوم بعمل الصورة ، وكانما اراد السلطان الهندي أن يرى صورة معاصره العظيم الذي لم يره قط •

تصوير طيور وحيوانات في غاية الابداع

ومن بين الصور التي صنعت لجاهنجير مجموعة من اللوحات يمكن أن توصف بانها عملية ، وقد كان هذا السلطان شديد الولع بتأمل اشكال الطيور والحيوانات الغريبة التي كان يراها في رحلاته ، وكان يعهد الى مصوريه بعمل صور لتلك المخلوقات ، وما زالت عندنا مجموعة كبيرة منها وهي تضاهي في جمالها ودقة رسمها الصور المماثلة التي كانت تصنع في أوربا • ومن اللوحات المشهورة التي عملت في مصور جاهنجير اللوحة المسماة « موت عنايته خان» وهي تصور رجلا مسكينا يموت بسبب ادمانه على الافيون • وقد أمر السلطان بهذا الرجل فأحضر الى مجلسه ليراه ويتأكد من دقة التصوير الذي عمل له •

المجموعات المصورة او الالبومات

وقد اشتهر التصوير الهندي بالمخطوطات التي يمكن أن تسمى مجموعات صور او البومات ذات موضوع تصويري واحد • ومثال ذلك البومات رسوم الصيد والقنص التي نرى فيها لوحات جميلة جدا تمثل هذه الرياضة التي اشتهرت بها الهند • وهناك كتب مصورة من هذا الطراز خاصة بلوحات الاولياء والصالحين اثناء صلواتهم ومن بين لوحات هذا الطراز واحدة مشهورة في العالم كله تصور زاهدا متصوفا يصلي ويتعبد في محرابه •



لوحة للقائد الهندى المسلم آصاف خان الذى عاش فى عصر جاهنجير ، رسمها الرسام بالشنف .

لوحات شاه جاهان

وقد اشتهر السلطان شاه جاهان باللوحات الكبيرة التى عملت لشخصه ، وهو يبدو فيها بملابس فاخرة زاهية الالوان مزينة بالجواهر وتعلو رأسه شارة القداسة • وقد حرص المصورون فى عصره على أن يصوروا فى منمنمات صغيرة مشاهد حياته التى سجلها فى كتابه المسمى ((شاه جاهان نامه)) • وهناك مجموعة من الصور تمثل السلطان تيمور جد مغول الهند والسلاطين الاربعة الاول من رجال تلك الاسرة الباهرة التى انشاها بابر • وتضم هذه المجموعة لوحة بديعة تمثل القائد الكبير آصاف خان فى ملابسه العسكرية والملائكة تحوم فوق رأسه ، وفى مؤخرة الصورة نرى جنوده مصطفين •

عشرات من المصورين النابهين

ولدينا الى الآن أسماء نحو أربعين مصورا ممن نبغوا فى فن التصوير فى بلاط دلهى واجرا ، وقد ذكرنا منهم مير سيد على وعبد الصمد وأبا الفضل• ولا شك أن أبا الفضل هذا هو امهرهم وأبدعهم تصويرا وكذلك تلميذه بسوان ، وكان أبو الفضل شديد الاعجاب به لا يزال يذكره ، والحق أنه مصور بارع ويكفى أن نذكر هنا لوحة « الجزيرة » المشهورة الموجودة فى المخطوطة المسماة دارانيان •

المدرسة الهندية الاسلامية فى التصوير ومكانها فى تاريخ التصوير العالمى

هذه فكرة عامة عن احدى مدارس التصوير الاسلامى وهى الهندية فى عصر سلاطين المغول •

انها حافلة بروائع الفن والابداع ، وغنية بأسماء الفنانين الكبار الذين لم يسمع الكثير منا عنهم قبل الآن ، مع انهم معروفون بل مشاهير فى تاريخ الفن العالمى كله • وفى كل الكتب المؤلفة فى تاريخ التصوير نجد فصولا عن مدارس التصوير الاسلامية وخاصة الهندية والايرانية والاندلسية •

وهذه ناحية واحدة من نواحى حضارة الإسلام التى لا نعرف عنها الا القليل ، ناحية تدل بالبرهان القاطع على ان الاسلام اوتى من القدرة ما يمكنه من مواجهة تحديات هذا العصر واى عصر غيره ،ولكن العبرة هنا بالارادة والعزيمة والايمان ، فاذا أردنا ان نكون سادة العصر باسلامنا كنا كما نريد ، ولا مفر لنا على اى حال من هذه الارادة وذلك الايمان ، لان التحدى قوى وخطر ، وليس له الا واحدة من نتيجتين : اما أن نكون او لا نكون •

● د • حسين مؤنس ●



في مثل هذه الجميلة قالوا

● منية الروح ●

يا منيةَ الروح يا أفــــراحَ أيـّـامى
يا كوكبا فى ســماء المعبَد السّامى
يا دنيـتى يا شـــبابى ، أنتِ ملهمتى
شعرى .. فأنتِ نشيدى ، أنتِ إلهامى
أنتِ الربيعُ وإنى طـــائر غـــرد
لولا الربيع لمَا غرّدتُ أنغـــامى
لولاكِ ما اهتزّ قلبى للهــوى أبدا
ولا تراءت مع الأطـــيافِ أحلامى

● عبد الله هلال ●

● فاتنة الثغر ●

يا وارفَ العينـــين بالحنين
أمتعتنى فى لحظـــة سنين

أكادُ مِن سُرور تَشْـــوتى
أقبّل اليَـــدَين والجَبـــينْ
يا وَارِف العينَين بالحَنينْ
وتَغرُك المُطِل فى اشتيـــاق
لدعْوةِ اللّقــــاءِ والعنَاق
تَستـــمرت عَيْـــون لهفتى
على ضِفاف ثغرك الحــزينْ
يا وَارف العينَين بالحَنين

● محمد على عبد العال ●

● ملهمـــة ..... ●

مَرّى على جِسْرِ الهوى وترفّقى
فاذا وجدت عَــلامتى فسلتَقى
حَمّلتها وَجْدَ الشوقِ صَبابَة
وزرعتُها بَينَ الخَميلِ المُـــونِقِ
فهنا سنَجلس وحْدنا فى روضَة
ويداى تحلُم فى يديك وتَستَقى
فهواكِ نبــع لا يغيبُ خَـــريرُه
نِعمَ الحياة بِظلّ نبع ناطـــق !

● طارق صــلاح الدين بنداری ●

● حنان قلب ●

فى بحر عينيك أغرق　　　فى نار حبك أحرق
ما كنت أحسب يوما　　　قلبى يحب ويعشق
حتى جلوت لعينى　　　حسنا زها وتألق
فنور وجهك يجلو　　　ظلام ليل مطبق
وورد خدك يدمى　　　قلبا بحبك يخفق
فى ظله تتساقى　　　حنان قلب تدفق

● احمد محمد الديب ●
● حلوان ●

● قولى ... ! ●

قولى ... فحرفان　　　سيقطران كلفى
الجمار ، والبكاء　　　كاللآلىء .. للسعف
قولى ... فانه　　　وعد .. مع العزف
فى باحة الألق　　　والذوب فى شغف
قولى .. فتملؤهما　　　كأسى .. ومغترفى
يا فرحة تنبى　　　بشروقى الأنف
قولى بايماء　　　ما دمت فى خوف !
فالحب لا يختفى　　　والصمت لا يعفى !

● احمد مرتضى عبده ●
● قنا ●

غرام الشعراء

قصة حب

الشاعر ريتشارد شريدان

ومغنية الأوبرا اليزابيث لينكى

● د . سليم الاسيوطى ●

● فى شارع كنجسزميد ، فى مدينة باث بانجلترا وفى غضون ربيع عام ١٧٧٢ كانت الآنسة اليكيا شريدان فى فجر التاسع عشر من عمرها — تقيم مع شقيقها ريتشارد ، البالغ من العمر عشرين عاما ، وشقيقتها الصغرى بيتسى فى ربيعها الثالث عشر .

كان ابوهم ، توماس شريدان — مدرس فى الخطابة وشخصية اجتماعية مرموقة فى عصره — متغيب فى موطنه الاصلى مدينة دبلن فى ايرلندا .

كان يقيم فى الشارع القريب المجاور ، توماس لينلى ، مدرس الموسيقى والغناء وزوجه ، مع أسرة رائعة ، فقد كانوا جميعا موهوبين موسيقيا . كانوا جميعا البنات والأبناء يتمتعون بالجمال الرائع والذكاء الخارق ، وكانت كبراهن اليزابيث ، وعلى الرغم من انها لم تكن قد بلغت السابعة عشرة من عمرها ، قد نالت اعتراف الجميع بوصفها اعظم مغنية أوبرا سبرانو فى انجلترا ، ولقد ابدع جينفر بورا ، مصور الشخصيات العظيم ، رسم ، مابنيف على الاثنتى عشرة صورة لاولئك الفتيات الفاتنات .

وكانت اليزابيث قد أصبحت موضوع مسرحية الفها الكاتب المسرحى العبقرى الساخر ، صموئيل فوت ، وكانت هذه المسرحية تدور حول عدم رغبة اليزابيث فى الزواج من ثرى كهل تقدم بطلب يدها .

وكان لاليزابيث معجبون كثيرون ، جاوزوا الاثنى عشر متيما ، ولكن كانت ابغض المجاملات والملاطفات التى يظهرها عاشق طمعا فى الفوز بقلبها ، هى تلك التى كان يمطرها بها الولهان توماس ماثيوز ، وهو ضابط برتبة كابتن فى الميلشيا الايرلندية ، وكان قد تزوج حديثا ويقيم فى مدينة « باث » .

أسرت اليزابيث الشابة الى صديقتها الحميمة اليكيا شريدان ، بما تلقاه من مضايقات ماثيوز وكرهها له ورغبتها فى الخلاص منه ، وكانت تخاف أن تفضى لأبيها بسرها ، خشية أن يتحدى الأب هذا الضابط الى المبارزة ويثير فضيحة اجتماعية جديدة ، خاصة وأن المجتمع فى المدينة كان لا يزال يتحدث عن تلك المسرحية التى تصورها فتاة تعزف عن حب كهل ... فأسرت الى



ريتشارد شيريدان



الحسناء اليزابيث شيريدان . من تصوير جينز موران المصور المشهور . . .

صديقتها اليكيا شيريدان ، رغبتها في الانزواء في دير فرنسي ، حتى تبلغ الواحدة والعشرين من عمرها .

واقترحت عليهـــا اليكيا ان يكون شقيقها ريتشارد الذي خط له القـدر في لوحه أن يكون الشـــاعر المسرحي الفذ ، المقبل في انجلترا ــ هو فارسها المطوف الذي انيط به انقاذ فتاة عذراء في مازق . وفي الثامن عشر من شهر مارس ، كان مستر لينلي وابنه الاكبر توم وابنته ماري ، يقومون باحياء حفل موسيقي ، تغيبت عنه اليزابيث بحجة المرض ــ احضر ريتشارد شـــيريدان سيارة كبيرة مغطاة الى بيت آل لينلي . وفي هذه السيارة حملت اليزابيث الى مركبة الاجرة التي كانت في انتظارهما على الطريق الى لندن . كما استأجر سيدة لتقوم على رعاية الفتاة .

وقبل الرحيل ، ترك شيريدان خطابا الى مستر لينلي والد اليزابيث ، ضمنه سلوك الضابط الايرلندي ماتيوز تجاه ابنته اليزابيث ، ولقـــد حمل هـــذا الخطاب الأب على أن يرجيء السفر للعودة بابنته حتى ينال الضابط المفتون ما يستحقه من عقاب .

وفي هذه الأثناء كان مستر بويدلز صاحب المنزل الذي تسكنه أسرة شيريدان في كنجسز ستريت ، لا يرتاح لفكرة وجود فتاتين شابتين بمفـــردهما في البيت دون رجل يقوم على حمايتهما ورعايتهما ، وبلغ اهتمامه بهذا الموضوع حدا جعله ينطلق لتوه في البحث عن تشارلس ، شقيق ريتشارد الاكبر .

كان تشارلي البالغ من العمر اثنين وعشرين ســـنة متيما بحب اليزابيث لينلي ، الذي يكتمه ولا يبوح به لانسان ولقد انتهى به تفكيره الى أنه ينغمس في هوى يجـــرعه آلام الحب فحسب ، ولا يذيقه رحيقه الحلو . فقر عـــزمه على أن يعتزل المجتمع ليعيش في بيت في مزرعة على بعد عدة أميـــال خارج مدينة « باث » لكي يكون بعيـــدا عن صحبة المغنية الشابة .

ولما لم تكن هناك اية بادرة تشير الى اية صلة بين شقيقه الأكبر ، والحسناء اليزابيث لينلي ، فقد اضطرب تشارلي لنبأ الهروب ، وقر في ذهنه أنه كان ضحية خدعة حاكها له الهاربان فاسرع

فى الذهاب الى « باث » حيث وجد كابتن ماثيوز ، فى شارع كنجسز ميد يحاول اماطة اللثام عما قد حدث . وتفوه شارلس بما اغضب ماثيوز واكرهه على ان يصرح انه على الرغم من اعتزازه بحب الآنسة اليزابيث وعلى الرغم من انه متزوج ، فهو لا يتردد فى اعلان أمله فى الفوز فى حبه لولا تدخل صديقتها الشابة ، ولقد كتبت اليكيا شيريدان بعد عدة سنوات عن سلوك ماثيوز .

●●●

ونعود ، لنتتبع المركبة المغطاة التى ضمت اليزابيث والمرأة التى ترعاها ، كانت العربة تنطلق فى تلك الليلة من شهر مارس الى لندن القرن الثامن عشر ، وعند وصول المركبة اقترض شيريدان بعض النقود من مستر ايوارت العجوز ، وهو قريب له ، بدعوى ان الآنسة لينلى وريثة لثروة ضخمة رضيت بأن تتزوج منه فى فرنسا .

وفيما بعد ذلك اليوم ، قابل شيريدان صديقا شابا آخر ، وهو ابن لتاجر خمور من حى المال فى لندن اقترح عليه ان يضمن له سفرة بحرية الى دنكرك فى سفينة يملكها ابوه مستر فيلد .

قال مستر فيلد الاب انه سوف يتولى رعاية الزوجين الشابين على السفينة ، بنفسه .

كان الابحار الى دنكرك حافلا بالمتاعب والمصاعب ، وفيما بعد ، وبعد مرور سنوات وسنوات وحينما كانت اليزابيث مريضة مرضا خطيرا ، كتب فى مذكراته عن هذه التجربة التى مر بها :

« حملت المسكينة اليزابيث ، التى تجاورنى الآن وهى تذبل فى مرضها ، وبفضل مودتها ، فقد شغفت بها حبا آنذاك الى درجة انه لو قدر لها الموت كما ظننت ذلك من قبل فى اثناء وجودنا على ظهر السفينة ، لقذفت بنفسى بكل تأكيد خلفها الى غيابة القبر »

وعند وصول الزوجين الى دنكرك ، ذهبا الى مدينة ليل عن طريق كاليه ، وهنا اخبر شيريدان اليزابيث بوضوح للمرة الاولى انه يهواها ، وانه لن يتركها فى دير كما رغبت ، مالم تنزل عند رغبته فى الزواج منها – هذا الزواج الذى ظل املا يهدهده طوال شبابه .

ولقد كتبت الآنسة اليكيا شقيقة ريتشارد فيما بعد :

ان الآنسة لينلى (اليزابيث) التى كانت حقا تفضله على جميع من عداه من المعجبين لم تكن عصية يصعب اغراؤها ، وفى قرية ليست بعيدة عن كاليه ، اقيمت حفلة الزواج على يد قسيس كان مشهورا بهذه الادوار فى مثل هذه الظروف .

ولما لم يكن لهذه الحفلة القوة الشرعية اللازمة ، فان الطرفين المتعاقدين وهما صغيران بروتستانتيان ، فقد اعتقد شيريدان انها سوف تكون ملزمة لاليزابيث فتربطها به وتمنعها من الزواج باى شخص آخر سواه ... وبعد معاناة طويلة وصعوبات اطول انتهى بها السير الى دير . ولكن ماكاد يستقر بها المقام هناك ، حتى كان والدها قد وصل الى ليل .

ولقد بدا فى النهاية ان شيريدان يستطيع ان يصحح الاوضاع ولكن توماس لينلى (والد اليزابيث) اصر على العودة الى انجلترا للوفاء بعدة ارتباطات كان قد عقدها نيابة عن ابنته ، ومن هنالك فقد انطلق ثلاثتهم عائدين الى انجلترا ، وهناك علم شيريدان بما كان من امر ماثيوز ، واعلانه الذى نشره فى صحيفة « باث كرونيكل » الذى يندد فيه بمسلكه ، واقسم الشاب انه لن ينام ليلته فى انجلترا حتى يتحدى هذا الماثيوز الى نزاله فى مبارزة .

لم ينكث بعهده ، واوفى بوعده فلقد بقى ساهرا طوال الليل فى كنتربرى وعند وصوله الى لندن فى الساعة التاسعة فى ليلة التاسع والعشرين من ابريل

علم من صديقه ايوارت ان ماتيوز فى لنـــدن وانطلق لتوه الى حيث يقيم ماتيوز فى كرتشـدفراير ، فوصل المنزل بعد منتصف الليل بنصف ســـاعة ، وهناك اخذ يجأر عاليـــا خارج البيت منددا بخصمه ، داعيا اياه للنزال الى أن سمح له بالدخول فى الساعة الثانية صباحا . تحــدث الخصمان ماتيوز وشيريدان على امتداد خمس ساعات.

ورغم كل المحاولات بعد ذلك ، فلم يكن هنـــاك بد من النزال ... وكان ايوارت الشاب شاهد المبارزة لشيريدان، وقام بدور الشاهد لماتيوز كابتن نايت وهو عم لماتيوز الذى اختار السيوف .

وقد اتفقا على أن يجرى النزال فى حجرة فى كاسل تافرن على مقربة من شارعى بدفورد وهنريتا . وحين ذاك كان مساء ، وعندما امتشق كل منهما الحسام كانت الغلبة لشيريدان ، وبعد أن كسر سيف ماتيوز ، وافق هذا على كره منه على أن يبعث باعتـــذار الى صحيفة « باث كرونيكل » وظهـــرت نشرة الاعتذار فى السابع من مايو .

« لما كنت مقتنعا بأن العبارات التى استعملتها للاساءة الى مستر شيريدان كانت ثورة انفعال وبسبب الحقائق المشوهة التى نميت الى ، فانى لاسحب ماقد قلت ضد هـذا السيد واطلب صفحه ، خاصة عن اعلانى الذى نشرته فى صحيفة باث كرونيكل » .

***

واستمرت اليزابيث توالى لقاءاتهـــا سرا فى الأماكن المنعزلة بشيريدان ولكنهما لم يتقابلا كعاشقين بل لم يظهرا جهارا كزوجين قط ، فقد كانا يثقان حقا أنهما لم يرتبطا بعد الرباط الشرعى المقدس .

ولكن كتب لهذين العاشقين الفراق وشيكا ، لان اليزابيث وشقيقتها مارى وشقيقها توم رحلوا جميعا لاحياء حفل موسيقى فى صحبة والدهم ووالدهم وكتبت اليه اليزابيث عشـــية غادرت باث :

« فكر فى وانا بعيدة عنك ، ولا تكن افكارك مصدر ازعاج لك بسببى لانى مادمت حية فليس بوسعى الا أن اكون حبيبتك اليزا .. »

لقد كتبت اليزابيث اليه ، الرسالة فى ٢٩ يونيو ١٧٧٢ ، وفى مساء اليوم التالى مباشرة وافق شيريدان على لقاء ثان مع كابتن ماتيوز ، مبكـــرا فى صباح الاول من شهر يوليو فى كنجز دون على مسيرة اربعة اميال من باث بالقرب من الطريق الى لنــدن ، ولكن ماتيوز بعد أن تبين أن ســلوكه كان سببا فى جرح كرامته والاســاءة الى شـجاعته وكبريائه فى اللقــاء الاول حاول أن يستدرج شيريدان فى خطاب أرسله اليـه لكى يوقع وثيقة جولة ثانية للمبارزة .

اختار شيريدان السيوف ورفض الانصياع لرغبة ماتيوز وسقط الاثنان معا على الارض ، وانكسر سيف ماتيوز ايضا . ولكن عند ســـقطتهما وقع ماتيوز فوق شيريدان وكان بيده بقية السيف وهى أطول من بقية ســـيف غريمه ، فما كان منه الا أن راح يثخن بالطعنات شيريدان الذى رفض بـــكل اباء وشمم أن يلتمس العفو بحياته وفى النهاية تدخل الشاهدان .

غادر ماتيوز المكان وكان قــد أعـد العدة للهروب الى فرنسا والتو شخص الى غايته نحو الشاطىء ، ونقـــل شيريدان الى حانة هـوايت هارت فى مركبة اخرى واعلن هناك الاطبـــاء خطورة حالته وأن سفره مســتحيل .

وبعـــد وقت قصير وصل توماس شيريدان الى باث غاضبا ، ولكن عندما صرح الاطباء بأن شيريدان قــد اجتاز مرحلة الخطر ، امره والده بالابتعاد عن جميع افراد أسرة لينلى .

أما توماس شيريدان فقد كان يعتبر ابنه أعلى مرتبة اجتماعيا من اليزابيث وتوماس لينلى كان بدوره يعتقد ان غلاما يافعا فى العشرين من عمره ولا يملك متاعا ولا مالا ولا يمارس مهنة ، يعتبر صفقة زواج خاسرة لشابة مرموقة تربح الكثير من الغناء .

وكان الابوان يريدان الحيلولة دون زواج العاشقين فما كان من توماس شيريدان الا ان ترك منزله فى باث وحمل ابنتيه الى دبلن وبعث بابنه ريتشارد لدراسة القانون فى ولتهام .

كان ريتشارد عليلا فى ذلك الخريف، وبدأ يتشاءم ناظرا للحياة نظرة يأس وقنوط من حيث صحة زواجه من اليزابيث ، وفى ديسمبر اخبره صديق له فى باث ان سير توماس كلارجس سوف يتزوج الآنسة لينلى أو يهرب بها . لقد كان حقا انه طلب يدها ، ولكن اليزابيث قد رفضت هذا العرض .

اما عن اليزابيث نفسها فقد سمعت قصصا تروى عن جولات وجولات يخوضها شيريدان مع حسان ولتهام فكتبت اليه :

« كنت ضحية خداعك ، وخداع الجميع الى حد بعيد سلب فيه لبى . فأنا لم أكن أتوقع أنك تحاول تبرئة نفسك وتبرير سلوكك لا فانك لا تستطيع هذا معى .. فاذا ما كنت تحرص على سلامى العقلى والقدره فلتعد الى خطاباتى »

وكتب اليها شيريدان محاولا تبرير سلوكه مرة أخرى ، فتلقى منها أكثر من رد .

كتبت اليزابيث اليه خطاباتها المفعمة بالمشاعر والاحاسيس وهى فى اوج نجاحها المهنى . ومع ذلك فعلى الرغم من كل هذه المشاحنات فقد جمع بينهما رباط الزواج المقدس فى خاتمة المطاف .

لقد كان زواجا بلغ ذروة السعادة. فان اليزابيث بما تتسم به من فرط جمال ، وحصافة وذكاء وحساسية فنية كانت الزوجة الكاملة لشيريدان .

وفى عام ١٧٩٢ بعد مولد طفلتهما الاولى التى طال انتظارها سقطت اليزابيث فريسة لمرض السل الذى كان قد ذهب من قبل بشقيقها وشقيقتها الموهوبة الى القبر ونصح لها الاطباء بالاستشفاء فى مياه برستول الساخنة .

لقد كان الدكتور بلير متفائلا فى أول الامر بشفاء اليزابيث ، وفى التاسع من مايو انتقلت مع صديقتها الحميمة مسز كانينج الى سكن خاص فى كلفتون تطل نوافذه البيضاء المستديرة على حديقة من أشجار التوت . وعلى الرغم من الامل الحلو الذى كان يداعب رأس طبيبها فانه بعد اسبوع واحد فحسب اظهرت التقديرات المحتملة للمرض انها لا تستطيع البقاء على قيد الحياة ستة أشهر .

وفى باكورة شهر يونيو لعام ١٧٩٢ كتب شيريدان الى دوقة ديفونشاير :

« الليلة الماضية ، رغبت فى الجلوس الى البيانو عزفت بعض الالحان ، وهى تبدو كطيف لصورتها والدموع تنحدر على ذراعيها الناحلتين . لقد غدا عقلها سماويا ولكن جسمها الزائل كان يتلاشى ذابلا من عينى بينما أنا أبحث عبثا فى عقلى المتسامى الى معتقدها بأن كل شىء لن يفنى »

وفى الثامن والعشرين من شهر يونيو أسلمت اليزابيث شيريدان الروح وهى فى ربيعها التاسع والثلاثين ، ودفنت الى جوار شقيقتها الحبيبة مارى لقد كانت المثل الكامل للانوثة النبيلة .. ●

زهرات من رياض العرب

خير منه ..

قدم عقيل بن ابي طالب على معاوية فاكرمه وقربه ، وقضى عنه دينه ، ثم قال له في بعض الأيام : يا عقيل .. انا خير لك من أخيك على بن أبي طالب ..

قال : صدقت .. اخي آثر دينه على دنياه ، وانت آثرت دنياك على دينك . فانت خير لى من أخى ، واخى خير لنفسه منك لنفسك .

الاخلاص ..

دخل اعرابي المسجد النبوي، فصلى صلاة خفيفة ، فقام اليه الامام على ـ كرم الله وجهه ـ فخفقه بالدرة خفقة خفيفة ، وقال له : اعد صلاتك .

فاعادها الاعرابي مطمئنا ... فقال له الامام : اهذه خير ام الاولى ؟ فقال الاعرابي : الاولى لاني صليتها لله ، اما الثانية فقد صليتها خوفا من الدرة !

ذكـــاء

كان الخليفة المامون في مجلسه ، وحوله الأمراء والعلماء ، فجاءت امرأة تتظلم اليه ، وتقول : مات أخي وترك ستمائة دينار ، فلم يصبني الا دينار واحد . فقال لها المامون : اترك اخوك اما وبنتين وزوجة واثنى عشر اخا ، واختا واحدة ؟

قالت : نعم يا امير المؤمنين ...

قال : قد اخذت حقك ... فللبنتين الثلثان : اربعمائة دينار ، وللام السدس مائة ، وللزوجة الثمن : خمسةوسبعون دينارا ، بقى خمسة وعشرون دينارا ، لكل اخ ديناران ، وبقى دينار واحد لك .

فعجب الحاضرون من فطنته وسرعة اجابته .

مواساة ..

قال بعضهم : دخلت على بشر بن الحارث في يوم شديد البرد ، فرايته قد تعرى من ثيابه ، آلا ما يستر العورة ، وهو ينتفض من البرد ، فقلت له : يا ابا نصر ، الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم ، وانت قد نقصت منها ! ..

فقال : ذكرت الفقراء وما هم فيه ، وليس عندي ما اواسيهم به ، فاردت ان اوافقهم بنفسي في مقاساة البرد !

جهنم ...

دخل أبو حازم على بشر بن مروان في قلق وحيرة ، وقال له : ما المخرج مما نحن فيه ... ؟ فقال له بشر : تنظر ما عندك فلا تضعه الا في حقه، وما ليس عندك فلا تاخذه الا بحق ..

فقال أبو حازم : من يطيق هذا يا أبا بشر .. ؟

فأجاب : من أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين .

هدايا ..

ركب الرشيد وجعفر بن يحيى عن يساره فالتقى الرشيد في طريقه باحمال ثقيلة مقبلة ، فسال عنها فقالوا له : هذه هدايا خراسان من على بن عيسى وكان الرشيد ولاه عليها بعد الفضل بن يحيى .. فقال الرشيد : اين كانت هذه الهدايا يا جعفر أيام اخيك ؟ فاجاب جعفر : كانت في منازل أصحابها يا أمير المؤمنين !

جيران الله ..

عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال : « يقول الله تعالى يوم القيامة : اين جيراني ؟ فتقول الملائكة : من هذاالذي ينبغي له ان يجاورك ياذا الجلال والاكرام ؟

فيقول : اين قراء القرآن وعمار المساجد؟ » .

● محسن فهمي ●

أمل جديد للمتخلفين

● د. مصطفى الديواني ●

● ان لضعف القوى العقلية درجات تتفاوت فى شدتها ، ولا يصل معظمها الى درجة البله او العبط ، بل قد تقتصر على اعراض تبدو بسيطة اول وهلة ، ولا تثبت خطورتها الا بمرور الزمن .. والطبيب الفاحص المدقق هو الذى يدرك هذه الحالات فى بدايتها ، وبذلك يتمكن من اسداء بعض المساعدة او كلها لهذه المخلوقات التعسة التى يشاء الله ان تستقبلها الحياة بترحيب ممزوج بتثاقل وعطف واشفاق ... فهى لكى تشق طريقها فى الحياة ، لابد لها من مشاطرة الغير عقله وتفكيره وارشاده .

ومن منا لم يصادف فى حياته العملية ازواجا لم يكد ينتهى الحول الاول أو الثانى من زواج موفق سعيد، حتى يصدمهم القدر ببكر أبله معتوه ، يخيب املهم فى الحياة ، ويجعلهم يتساءلون عما اذا كانت هناك فائدة فى الاستمرار فى التناسل ما دامت البشائر قد دلت على ما قد يجيء به المستقبل ..

والجواب فى مثل هذه الحالة هو العكس تماما . فانه كثيرا ما ينجب الوالدان اطفالا غاية فى الصحة والذكاء بعد بكر فى أحط درجات الادراك العقلى ..

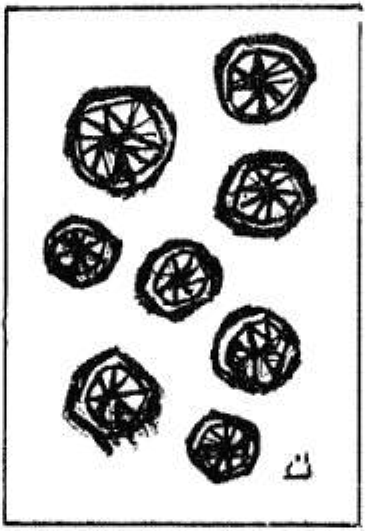
الاعراض

يمكن التوصل الى تشخيص ضعف القوى العقلية باستجواب الأم أولا ، وبالفحص الطبى ثانيا ، وسنصف كلا على حدة ..

« اولا » استجواب الام ، قد تخبرنا الام اثناء أخذ التاريخ المرضى بوجود عادة الادمان على تعاطى المشروبات الروحية فى العائلة ، او وجود اشخاص آخرين من اقارب الطفل بهم مس من الجنون او البله او حدة فى المزاج وعصبيته او الصرع ، ويمكننا ان نعلم منها ، اذا كانت ولادة الطفل عسرة او قبل الاوان ، واذا كان قد انتابته تشنجات عصبية بعد ولادته بقليل .

ويجب ان نستعلم من الأم عن تقدم الطفل منذ ولادته ، وفى امكاننا — حتى فى الحالات البسيطة — ان نستخلص منها ما يدل على ان سلوك الطفل وطباعه غير طبيعية . وهنا ألفت الانظار بصفة خاصة الى النقط الآتية :

١ — قد يبدو على الطفل تثاقل وكسل غير عاديين ، فهو لا يقبل على الثدى او زجاجة الرضاعة ولا يراس بيديه ورجليه ، ولا ينشرح بمداعبة



امه ، بل يقابلها بفتور يجعلها تسائل نفسها عن عدم ميله اليها ...

٢ ــ يحدث احيانا ان تشكو الام من كون طفلها يقضى نهاره وليله فى صراخ متواصل دون سبب ظاهر ، وقد يكون الطفل صغيرا لا يزيد سنه على شهرين او ثلاثة . فيفحصه الطبيب فحصا دقيقا ، ويصف له مختلف الادوية المسكنة ، وقد يعزو بكاءه الى المغص او الجوع او غيرهما من مسببات البكاء فى الأطفال الذين فى سنه ، ولكن دون ان يصل الى نتائج حاسمة فى العلاج .

٣ ــ وعلى النقيض من ذلك ، قد تتحدث الام عن هدوء طفلها غير العادى حتى ان اى متردد على المنزل فى اى ساعة من ساعات النهار ، لا يدرك ان فى المنزل طفلا كان عليه ان يملأ الجو صراخا وضجيجا .

٤ ــ قد تلاحظ الأم تأخر الطفل فى قدرته على القعود والوقوف والزحف على الأرض والمشى .

وبالرغم من مرور الشهور سراعا ، فانه يعجز عن محاولة تناول الطعام بيده أو الشرب من الكوب دون مساعدة الغير ، فى السن التى يجب ان يقوم فيها بمثل هذه المحاولات .

٥ ــ يستمر الطفل فى التبول او التبرز على نفسه ، ولا يطلب من امه احضار المبولة (القصرية) اذا دعت الحاجة .

٦ ــ قد يلاحظ تدلى اللسان باستمرار خارج الفم ، ويكون هذا مصحوبا بسيلان اللعاب بكثرة .

٧ ــ يتأخر الطفل فى الكلام ، وقد تمضى السنون قبل أن ينطق بلفظ واحد حتى « بابا » و « ماما » .

٨ ــ من اهم علامات النقص العقلى حدوث تشنجات عامة تعاود الطفل على فترات متباعدة او متقاربة ، وقد يرجع تاريخها الى الاسابيع الأولى بعد الولادة .

(ثانيا) فحص الطفل : قد يبين فحص الطفل ما يأتى :

١ ــ صغر حجم الرأس نتيجة عدم نمو المخ نموا طبيعيا وتلاحظ عادة فى مثل هذه الحالات ، ان اليافوخ الامامى يتصلب مبكرا . وقد يولد الطفل ويافوخه مقفل .

٢ ــ قد تكفى مجرد نظرة الى الطفل للتوصل الى تشخيص المرض ، فمثلا اذا دلت ملامحه على أنه من نوع « المونجول » أو اشار كبر رأسه الى اصابته باستسقاء الدماغ ، امكننا استنتاج ان الطفل ــ حتى اذا كان صغير السن لدرجة لا يمكن معها الحكم على ادراكه العقلى بالضبط ــ ينتمى الى فصيلة ضعاف العقول .

٣ ــ واذا لم يظهر الفحص اى تشوه جسمى فان حركات الطفل تنم بسهولة عن حالته العقلية .. اذ تصدر عنه اشارات غريبة كأن يرمى رأسه الى الوراء فاغرا فمه ، او يضحك ويبكى دون سبب ، وقد لايبدى اى اهتمام لما حوله .. فلا يتساءل بابتسامة رضا لمن يداعبه ، او غضبة احتجاج لمن يعاكسه .

***

وقبل أن ننتقل الى طرق العلاج ،

احب ان الفت النظر الى نوع من الضعف الفكرى والعقلى ، لا يمت الى البله او العته بصلة ، بل هو نتيجة العزلة والبعد عن الاوساط المستنيرة والجهل ، كالفلاح مثلا فى حقله النائى وبيته المظلم . كذلك الطفل الذى تصيبه الامراض المنهكة المزمنة ،والتى يبقى بسببها فى فراشه أو غرفته مدة طويلة لا يخالط الناس . وغنى عن القول ان الطفل الاعمى أو الاصم ، ما لم يولى عناية خاصة ، ينشأ محدود الذكاء اولى التفكير .

العلاج

من الطبيعى ان يكون وجود طفل من النوع الذى ذكرناه مصدر تعاسة لمن حوله ، فاذا صادفنا فى حياتنا العملية احدى هذه الحالات ،

وجب علينا ان نوجه اهتمامنا وعنايتنا لا الى المريض فقط ، بل الى الحالة النفسية لوالديه أيضا ، ويكون تفكيرنا بالنسبة إليه مبنيا على الأسس الآتية :

« اولا » ان الطفل ضعيف العقلية ، يبقى كذلك مهما بذل الطب من جهود .

« ثانيا » عند معظم هؤلاء الاطفال قابلية للتحسن ، لدرجة قد تكون بسيطة ، الا انها كافية لاسعادهم وافادتهم من المجتمع الذى يعيشون فيه .

« ثالثا » ان الام الذكية اكبر عون للطبيب فى علاج هؤلاء الاطفال ، اذ عليها فقط يقع عبء تدريبه وارشاده والاخذ بيده ، من حياة كلها وحشة وظلام الى مجال يشعر فيه ببعض المسئولية ، كان تعلمه القيام ببعض الاعمال المنزلية التى تبث فى نفسه روح القيام بالواجب ، وتشعره انه ليس عالة على الغير بل انه يؤدى لمن معه بعض الخدمات ، وانه حسب ظنه ، يؤديها باتقان وضمير طاهر ، وما على الطبيب فى هذه الحالات الا ارشاد الأم بين آن وآخر عن خطوات العلاج والتدريب ، حتى تتدرج بطفلها دون ان تجهده ، الى اقصى المستطاع بالنسبة اليه .

« رابعا » تتوقف نتيجة العلاج على مقدار ما يتمتع به الطفل من الذكاء ، فطبيعى ان الطفل الابله لا يمكنه التعاون مع امه او طبيبه ، وبذلك لا يعطى نتائج حسنة . اما الطفل الذى لا يزال لديه بقية من الذكاء ، فبمقدار هذا الذكاء يكون التحسن قليلا او كبيرا .

« خامسا » اذا لم يكن الطفل مشلولا ، فان عدم تحريكه لاطرافه يرجع الى كونه لا يحاول ذلك ، اذ انه لا يدرك ان حوله جوا وهبه الله ملكا للجميع يتحركون فيه كيف شاءوا . فواجب على الأم ان تنمى فيه غريزة الانتباه الى ما حوله باللعب التى تحدث اصواتا كالشخليلة والطبلة والصفارة وكلما زاد انتباه الطفل يأخذ فى تحريك اطرافه تدريجيا ، وتفيد الصفارة فى الحالات المصحوبة بسيلان اللعاب لانها تقوى عضلات الشفة .

« سادسا » ان هؤلاء الاطفال معرضون لاكتساب العادات السيئة كمص الاصابع وقرض الاظافر وغيرها ، وهم يلجاون اليها لانهم لا يفكرون الا فى انفسهم غير عابئين بما حولهم ، واذا ارادوا قتل الوقت التمسوا اقرب الاشياء اليهم كاصابعهم واظافرهم واعضائهم يعبثون بها ، فعلى الام ان تراقب طفلها بدقة حتى لا تستفحل فيه احدى هذه العادات ، وان تحول اهتمامه الى ناحية اخرى كلما وجدت منه ميلا الى ممارسة عادته المفضلة .

« سابعا » يجب ان تثير اهتمام الطفل بأى شىء حوله وان تشجع فيه غريزة الاهتمام بالاشياء التى يراها كل يوم ، فمثلا اذا وجدنا انه يسر للنظر من النافذة ومراقبة السيارات والترام والعربات وهى تسير ، وقفت

الام او المربية به عند النافذة عدة مرات في اليوم ، واذا اعجبته الاصوات الموسيقية واللعب البراقة افدناها عليه بسخاء ، واذا لاحظت الام ان طفلها لا يميل اليها ميلا خاصا ، وجب عليها أن تثبه فيه عاطفة الحب والميل، بملاعبته ومحادثته ومداعبته .

« ثامنا » بالرغم من أن هؤلاء الاطفال يتاخرون في الكلام ، فان واجب الام أن تبدأ التحدث مع طفلها مبكرا حتى اذا لم يفهم ما تقول او ينتبه اليها وهي تتكلم ، فلابد أن ياتي اليوم الذي يقلد فيه بعض الكلمات . ومتى بدات ملكة الكلام يتعلم الطفل كلمات أكثر بمرور الزمن ، ولو أن الكلام في معظم الحالات يكون غير واضح تماما . وكثيرا مايحدث أن يعجز الطفل تماما عن الكلام في سنواته الاولى ، ومتى كبر انطلق لسانه واصبح كثير الكلام ، ويحسن أن تبدأ الام بتعليمه كيف يقلد أصوات الحيوانات أو اللعبة التي يلعب بها ، وتكرر عليه مرات عديدة في اليوم. ثم تسمي له بعض الاشياء التي يراها يوميا ، وتطلب منه أن يكرر ما تقول ، وهنا أوصي الام بالصبر وطول الاناة ، فان نفاد صبرها قد يفسد عليها مجهودا طويلا سبق أن بذلته . .

« تاسعا » يجب أن يشعر الطفل بروح العطف والمساعدة والتعاون ممن حوله ، وان يمنع الاطفال الذين حوله من معاكسته أو معايرته .

« عاشرا » قد لا تجدي الادوية في علاج الصراخ المتواصل الذي يصيب هؤلاء في شهورهم الاولى ، وقد يقلل الخروج بهم في الهواء ، كثيرا من نوبات الصراخ

« حادي عشر » اما علاج الشلل الذي قد يصحب هذه الحالات فيتلخص في تحريك المفاصل المتصلبة الواحد بعد الآخر بواسطة الأم أو الطبيب ، اذ ان هذا يساعد على تليين العضلات ، ويستحسن عمله عقب حمام دافيء وحينما يكون الطفل هادئا . اما اذا كان متهيجا لسبب ما فيجب تاجيل العملية لوقت آخر . كذلك تعليم الطفل القيام بحركات يستعمل فيها عضلاته المتصلبة ، وهو مستلق على ظهره اويتم تعويده الوقوف ثم المشي تدريجيا بمساعدة الغير او « المشاية » ، ثم احضار دراجة ليحاول استعمالها وبذلك تعود الى عضلات القدم ليونتها وقوتها شيئا فشيئا .

وهنا يجب أن اذكر أن التدليك والعلاج الكهربائي قليلا الفائدة ، فان العضلات لا تنقصها القوة ، وانما تنقصها المرونة والرشاقة والمران . اما العمليات الجراحية ، فقد تفيد اذا كان للطفل من الذكاء ما يمكنه من السيطرة على حركة اطرافه والتعاون مع أمه وطبيبه اثناء دور التمرين .

البيت ام المصحة ؟

يحسن بقاء الطفل في المنزل بين أهله في سنواته الاولى ، حيث ينعم بعناية خاصة وعطف هو احوج اليه من اي شيء آخر . ولكنه اذا بلغ السادسة او السابعة من عمره اخذ يشعر بنقصه بالنسبة لاخوته الذين يشاهدهم وهم يلعبون حوله ويقومون باعمال تبدو معقدة بالنسبة له ، فيزيد ذلك من تعاسته ومن تعاسة والدته التي تراقبه في حسرة واسى . وقد يدفعها عطفها المتزايد نحو طفلها المشوه أن تهمل في شئون اخوته أو ترهق نفسها لتؤدي واجبها نحو السليم والمريض من فلذات أكبادها .

وطبيعي أن الطفل يشعر بطمأنينة اكثر وتزداد ثقته اذا وجد نفسه بين زملاء له لا يبزونه في ادراكهم العقلي ؛ بل قد يدفعه حب التفوق الى الاتيان ببعض حركات او اعمال يرى انهم عاجزون عن تقليدها . هذا فضلا عن قيام الاخصائيين بالعناية به وتدريبه على الوجه العملي الصحيح ، مما لا يتسنى له وهو في المنزل بين اهله وذويه . . .

كتاب

● الى ـ ممدوح ٠ / ٠ م ـ الوايلي القاهرة :
ـ أنت رجل معممي ! ..
يأخذك كل ذي رأي معه !
وتقول لكل قائل أنا معك !
أمسك نفسك عن الهرولة بين الرأي والرأي المضاد ! ..
ولا تصدق أن العربية لغة مترادفات متشابهات ..
فليس للاسد ولا للجواد أو السيف عشرات الاسماء ، مترادفات من التكرار والاكثار ...
وانما الحق في هذا ما جرى به الحوار بين أبي علي الفاسي وابن خالوية، من أشياخ اللغة
قال ابن خالوية لصاحبه : كم للسيف اسما ؟ ..
قال : اسم واحد ،
قال : بل اسماء كثيرة .. الحسام والمقضب ، وال ..
قال : لا ، لا يا ابني .. هذه كلها صفات ! ..

***

● الى ـ م ٠ كمال رضا : الجيزة ـ القاهرة :
لايحزنك أنك ـ (لو صح أنك !) ـ شاعر ! ..
واعلم أن من قصور الفهم ما تتصوره في القرآن العظيم موقفا يندد بالشعر والشعراء ...
صحيح أن في الآية الكريمة من سورة الشعراء ، انهم « يتبعهم الغاوون » ـ وانهم « في كل واد يهيمون » ـ وانهم « يقولون ما لا يفعلون » ...
ولكن هذه المثالب الثلاثة ليست تعميما ولا تأكيدا .. ودليل ذلك انها مشفوعة بأداة استثناء : الا ..
بل ان هذه المآخذ الثلاثة متبوعة في الآية الكريمة ذاتها بتزكيات طيبات ثلاث ...
وأروى لك ما روى بعد نزول هذه الآية
فقد وفد الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ـ جمع من الشعراء يبكون ، ويقول قائلهم : « انا الشعراء .. والله أنزل هذه الآية .. »
فابتسم الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم مبينا مافي سياق الآية بعد ذلك لهم من استثناء وتكريم ، فكان يتلو من الآية ثم يلتفت للشعراء
عندما تلا ، في الآية (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ـ قال : انتم
« وذكروا الله كثيرا » قال : انتم ٠
« وانتصروا من بعد ما ظلموا » ـ قال : انتم ..
وهكذا طابت أنفس الشعراء ، وفهموا ..
لكن ، وبالطبع لم يخطر لهم ان سيكون من خلفهم شاعر يظهر في

وقـــــراء

● نصر الدين عبد اللطيف ●

جوزة ولا يفهم — بعد اربعة عشر قرنا هجريا — مثلما فهموا ! ..

***

● الى — سميح فتحى : ميدان الثورة — المنصورة :
هى — الديسكو ميوزيك — موجه تغزو الان أوربا ، والمراقص ونوادى
ستماع فى مدن وعواصم كثيرة من أنحاء العالم ..
والديسكو ميوزيك ليست ايقاعا خاصا بقدر ما هى رنة — من الرنين —
وت معين متميز ..
كذلك — وليس كما تقول فى سؤالك — فهى امريكية ، لا انجليزية
الانجليز منذ تقليعة « البيتلز » ، لم يسمع لهم ابداع خارق يتجاوز الجزيرة
ما وراء البحار ..
ربما لأن الموسيقى عندهم ، منذ البدء ، تدور فى دائرة مغلقة ، وتولد
مدارسهم منطوية على ذاتها .. فان النظام المتبع فى تدريس الموسيقى
د الانجليز ، ينحصر فقط فى دراسة الموسيقى الانجليزية ..
لعلها العقدة المضادة لعقدة الخواجة هنا .. فانهم يتحـــرزون فى
ن الى درجة الخوف من كـل ما هو أجنبى .. واذا كانت الموســـيقى
بلاد الدنيا تدرس كعلم متكامل ، يبدأ قوميا ثم ينفتح على التــراث
لابداع العالمى قديمه وحديثه — فانهم فى انجلترا يدرسون موسيقاهم
وجهة نظر قومية انجليزية فقط وعلى طول الخط ..
لذلك ، فان من النادر ، بوجه عـام ، أن تلتقى بموسيقى انجليزى ، أو
و انجليزى للموسيقى ، قد استمع فتذوق فعشـــق مثلا ، موســـيقى
زارت ! ...
وليست هذه الظاهرة عندهم مقصورة على الموسيقى وحدها .. فهناك شىء
مثل ذلك فى الأدب !..
فالأدب الانجليزى .. ولكن ...
ولكنك سألت فقط عن الموسيقى .. ولم تسأل عن الأدب ! ..

***

● الى : أحمد دربالة — شبين الكوم — عدى أسعد — المطرية
مناط الامر والرأى هنا ، أستاذنا الدكتور رئيس التحرير ..
اسرتنا الكبيرة فى « الهلال » ، هو كبيرها .. وله فيما يقبل وينشر
اى والفتوى والخيار ! ..
لا تظن الآن انى صاحب قرار يفرض أو يرفض
بل انى لتاخذنى كثيرا حماستى وافتتانى بروح العصر ، الى غربة عن روح
بلال عراقة وتراثا ووقارا !! .. وكم لى هنا من كتابات تترك ، أو ترجأحتى
لغ سن اليأس من النشر !
ليس اذن لى فى هذا الأمر ، أمر ! ..
أنا مجرد عازف فى جوقة الموسيقى ، قد يكون لى أن أوزع الاماكـــن

والادوار على العازفين ، ولكن ليس لى أن أفرض فكرى وذوقى فأحدد لهم من الالحان والمقطوعات ما يعزفون ! ..

وكل مالى بعد ذلك خمس دقائق فى آخر الســـهرة .. أعنى خمس صفحات فى آخر العدد ـ أقدم فيها للناس والعصر فاصـــلا من العزف المنفرد ! ..

ربما لهذا السبب ، تجىء نغماتها ، اعنى ســطورها ، مفعمة بالتيارين الشهيرين فى عالم النفس : (الاســـقاط ، والتعويض) .. فانى اعتبر هذه الصـــفحات الخمس ، جزيرة لى هائلة آهلة .. ارفع عليها راياتى ... وانشىء فيها سلطنة .. وانصب عرشا ، واتباعا ، ومجلس اسمار واركانا ، وخزائن ادب تحوى كنوز العصر شــعرا وعلما .. و ... حبيبة ، فينانة ، عذبة الحضـــور ، تحفة الله ، مليكة جارية ، رائعة الحنان !

ـ احلام !؟

ـ اعرف ، يقينا ، انها احلام .. واعرف ايضا ، واحلف ، انها .. عقد ... عقد !!

***

● الى ـ محمد ناظم نميسى ـ تونس :

« الابداع » هو انتاج عمل ما فى العلم او الفن او الادب ، على ان يكون جديدا فى صـــياغته ، غـــير مسبوق بما يماثله ، وان كـــانت عناصره موجودة من قبل ...

والاختـــــراع هو احد جوانب الابداع ...

والاكتشاف غير الاختراع ...

من الامثلة ، تحديدا وتمييزا بين هذه الثلاثة ...

كريستوفر كولمبس اكتشف جزر الهند الغربية التى كانت موجـــودة من قبل ـ وهذا هو « الاكتشاف » .... وجراهام بل توصل الى انتاج مجموعة من المبادىء التى ســـبق التوصل اليها ـ وهذا هو « الاختراع »

اما الابداع فهو ما انتج شيكسبير بتاليف مسرحية « عطيل » . فرغم ان الدراما كانت ستوجد فى العصر الاليزابيثى حتى اذا لم يوجـــد شيكسبير ، فانه لم يكن من الممكن لاحد غير شيكسبير ان يكتب « عطيل » تماما كما كتبها هو . ورغم ان كل عنصر من عناصر « عطيل » قـــد تناوله شعراء اخرون ، فان ادماج هـــذه العناصر بهذا الشـــكل الشيكسبيرى ، هو ثمرة فكر وعقل شيكسبير وحده بالذات ـ وذلك هو « الابداع » ! ..

***

الى ـ نور الدين وهدان ، المحلة الكبرى :

... على مقربة من ذاكرتي الان رايه – الاستاذ العقاد – في فن القصة ... ولكنك تظلمني بظنك ان لي ذات الراي في نفس الموضوع! فالقصة عندي حبيبة ، كالشعر، ولا مفاضلة ...

وليس حتما وانا أحب العقاد ، اكون له ومن ورائه رجع الصدى ... فالحق انى ، في عالم الفكر ، احب الحب كالبحر ، رحيب المدى، ينفسح للموجة والموجة المضادة !..

والقصة ، بعد ذلك ، – جوابا عن بقية سؤالك – لم تعد كما كانت في البداية مع بوكاشيو في القرن الرابع عشر ، ولا حتى مع ولتر سكوت بعد ذلك بخمسة قرون ، ايام كانت – القصة – تمثل الابن البغيض في الاسرة الأدبية !..

لقد نمت القصة الحديثة واكتملت ، واعطتنا – كما سجل مؤرخ اعلام الفن القصصي الشهير د. هنري توماس – روائع تعد في صف أنبل انماط الادب ... فالقصة الحديثة حتى في أدنى مستوياتها – بساط سحري – يحملنا على « النسيان المبارك » وتمنحنا المتاعة والعبرة وتجربة حياة الاخرين ...

وهي كذلك صورة أدبية تنتظم كل الصور الأخرى : الشعر ، والمسرح ، والتاريخ والاجتماع والعلم ، والسياسة ، والدين ، والفن ، والمغامرة ...

والقصة العظيمة ، اليوم او في اي وقت اخر ، هي صورة كاملة تشمل الجسم والعقل والروح للانسان ... وهي بالاضافة الى ذلك كله ، صورة تكشف من انسان واحد بنوع خاص هو القصاص نفسه ، فاجود جزء من القصة ، هو ذلك الذي يتجلى فيه القصاص » ...

● ردود خاصة ●

● الى : محمد بيومي المديني ، المحامي ، القاهرة :

« بكاء الرجال » – قصتك – طويلة ، يجري الكلمات في سطورها محملة بالاحداث المتلاحقة .. الاغتصاب ، والوساطة ، والانتقام ، والجزاء وميراث الأحزان – تحتشد كلها في الورقة الأولى وحدها . وللاوراق التالية احداثها ..

اعتبرها « ورقة افكار » للسيناريو وقدمها لهم ، ومرحبا بتجاربك الجديدة الجيدة ..

***

● الى : ابن الجموزي – الخرطوم ، جنوب :

لك العتبى ، للسودان الشقيق كل المحبة ..

حمدا لله أن الصورة التي تشير اليها كانت ، كما تقول ،

من الاستعمار ، وهى على اى حال من مطبوعات احدى منظمـات الأمم المتحدة ، وبغير توســع فى التفاصيل فليكن غضـبك مجرد الفعال وحماســة حب للسودان الحبيب الذى ننافسك فى حبه هنا وكلنا فى الهلال وكل صحف دار الهلال ..

● الى ســمير . ى الروبى ـ المنيا :
لوانك أردت ، كما تقــول ، أن تختبر « حسن ادبى » ، فكتبت لى تشتمنى .. ـ فان من حسن ادبى ان ارد عليك الشــتيمة بمثلها أو باحسن منها . ولو أنك كتبت لى ، كما تقول أيضاً ، على وجه واحد من الصـفحة بخط مقــروء ، وبعد التحية والســلام ـ تسالنى ... **فسوف اباهى بك العــالمين فى الأمم المتخلفة ! .. واجيبــك عن اسئلتك بكل اجتهادات المتقــدم لاختيــار فرصــة عمر فى منظمة الأوبك !**

***

● **هانى احمد الأسمر ـ عمان**
سبق لى ان اجبت عن ســؤال كسؤالك فى عدد ســابق ، بان النصائح هى بعض ما ليس عندى .. لكن وبما انك قررت ان تعطى حياتك للادب ـ مثلى ، كما تقولى ، فلست املك الا ان اقدم لك ما قال اعرابى للاصــمعى .. فى احدى رحلات الاصمعى فى عمق الصــحراء لقيه اعــرابى رحب به ، ثم سأله : « ما حرفتك » فابتسم الأصــمعى وقال : « الأدب .. » فقال الاعرابى : « نعم الشىء ، ولكن باب التوفيق فيه أن تكون نفس صاحبه كبيرة ! .. »

***

● الى : ع . م . احسان ـ المعادى
ـ الدب فى الغابة يعرف احدى وأربعين اغنية تدور كلها حول الكمثرى! ربما لأنه يعرف ، لأنه يغنى ، فأن له فى النهاية ، عند حاملات الثمار
ـ تطوف المشتهى ! ...
و .. يا سيدتى ، أو يا سيدى ، ردا على سؤالك « .... والى أين وصلت ؟ » ـ :
فلعلى أكثر من الدب اجتهادا ..
أعرف أكثر من احدى وأربعين أغنية لكل نوع من الكمثرى واخواتها .
وبالمعرفة وللحب اغنى فى غابة الناس والعصر ..
اخالف فى قيثارتى وتر الجرح ! ..
ولا ارتجى ضياع المتاهة يهدينى طريق النهر ! ..
كلما تألقت لى السماء الدنيا زينة بأنجمها ، ساهرتها حوارا ونجوى
.. ولكنى ، أبدا ، لا اقول لها : ليتنى كنت ..
ليته كان كل حظى من المعرفة أن أغنى للكمثرى ! ..

فهرست

موضوعات الهلال

عام ١٩٧٨

● يناير ١٩٧٨ عدد خاص عن «الحب والجمال» ●

الموضـوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ●			
رحلة مع الحب	د. حسين مؤنس	يناير	١٢
الحب والجمال فى المأثورات الشعبية المصرية	رشدى صالح	«	١٨
عبد المنعم الصاوى وحديث عن الحب والجمال	عاطف مصطفى	«	٥٢
الجمال نوع من الهندسة وما يربطنا به هو الحب !	د. زكى نجيب محمود	«	٦٠
الجمال كما رشدنى الى الجمال	نجيب محفوظ	«	٦٤
الحب أجمل من الارض والسماء	مصطفى أمين	«	٦٥
اللذة فى الحب هل هى العذاب والالم ؟	د. مصطفى محمود	«	٦٦
الحب أبقى وأسمى .. والجمال لحظة لم يفنى	كمال الملاخ	«	٦٧
الجمال اتساق وانسجام فى النسب والالوان	صلاح طاهر	«	٦٨
ساعة حب	د. طه حسين	«	٧١
هو وهى	عباس محمود العقاد	«	٧٣
ورقة ورد	مصطفى صادق الرافعى	«	٧٥
قالت وقلت فى الحب	ابراهيم عبد القادر المازنى	«	٧٧
الرسالة الثالثة والثلاثون	د. زكى مبارك	«	٨٠
الحب بطريقة افضل	محمد طنطاوى « ترجمة »	«	٨١
مواقف حب	عبد الله عنيفى	«	٨٤
الحب والجمال عند ابى حيان التوحيدى	ماهر قنديل	«	٩٢
الحب والجمال عند الشاعر الانجليزى شيللى	د. عادل سلامه	«	٩٨
التاريخ الحقيقى لميلاد السيد المسيح	زكى شنوده	«	١٠٤

● يونيو ١٩٧٨ عدد خاص عن «الذكر والفكاهة» ●

● اغسطس ١٩٧٨ عدد خاص عن ((سيدنا محمدصلى الله عليهوسلم)) ●

١٥٧

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
● بحوث ودراسات ●			
لو تركنا الامور على ماهى عليه لماتت الرواية فى الادب العربى	د . حسين مؤنس	اكتوبر	٦
ما هو مستقبل الرواية العربية فى راى كبار الروائيين	تحقيق عاطف مصطفى	»	١٢
دور الوحى فى الايمان .. صدفة ام عناية	احمد حسين	»	٢٨
الكسب غير المشروع فى الشريعة	اسماعيل الخطيب	»	٥٢
الحرية المدنية فى الاسلام	د . على عبد الواحد وافى	»	٥٨
غرام الشعراء	د. سليم الاسيوطى	»	٦٢
مصر فى كتاب المسعودى «١»	فاروق خورشيد	»	٦٦
المعايير الفلسفية للادب	د . عبد الفتاح الديدى	»	٧٠
جامعة عربية فى الغل		»	٨٣
عودة الحب الحزين	د . حسين مؤنس	»	١٠٨
مصر فى شعر هويتمان	د . صلاح عدس	»	١٢٥
كتاب خالد من التراث العربى : دلائل الاعجاز	د . محمد عبد المنعم خفاجى	»	١٤٨
● استطلاعات ملونة ●			
كل شىء عن اذنك لتحافظ على سمعك	د . رشدى البدراوى	»	٢٥
الطوارق .. امراء الصحراء	د . حسين مؤنس	»	١١٥
كسوف الشمس		»	١٢٤
● طب وعلوم ●			
اطفال الانابيب وخيال الادباء	محمد الحديدى	»	٨٦
اصابات المخ ليست قاتلة		»	٩٦
تذكرة طبية : صمام الاورطى بالقلب	د . السيد الجميلى	»	١٠٤
ثلث الامراض الباطنية حالات نفسجسمية	د. احمد متولى مسلم	»	١٤٤
● قصص ●			
الزلزال	عاطف سعودى	»	١٠٠
محاولة لعمل شىء ما	ابراهيم سمعان	»	١٣٤
نهار	رافت سليم	»	١٣٦
السمك يعيش على الارض	عبد العزيز الشناوى	»	١٣٨
الاعشاب التى ..	فؤاد بركات	»	١٤١
الهمس الصاخب	على عبد	»	١٤٢
رجل وامراة لم يشتركا فى الحرب	صبرى العسكرى	»	١٥٤

● نوفمبر ١٩٧٨ ●

مختارات من الشعر الفارسى في ضيافة الشعر العربى

شعر : أنورى
ترجمة : احمد مصطفى حافظ

قال لى صاحبى : ـ تصبَّرْ قليـــلا
تجد الصَّبْرَ للخَــلاص ســبيلا
غاضَ ذا المَــاءُ من غديرك ... لكنْ
سوفَ يَجرى ، كعهــدِهِ ، سلسَبيلا
وتصــيرُ الأمــورُ خيرا وأبقى ،
من عهُــود قدْ أمتعَتْكَ طــويلا

***

وأجبْتُ الصديقَ : ـ حسْبُك .. قل لى :
ـ أىُّ نفع للمـاءِ ... يُشفى الغَليــلا ؟
... (سمكى) اليومَ ، بالجفافِ ، قتيــل
هلْ سيُحيه ... ذا العُبابُ ، قتيــلا ؟!

مجلة الهــلال
مسابقة العدد الخاص : عن الإسلام والعصر

يناير ١٩٧٩ الهلال

الإســم :
الســن :
العنــوان :

أنظر شروط المسابقة والجوائز داخـل العـدد

إلى الجامعات والمدارس والمعاهد التعليمية

السبورات الضوئية البولندية

ڤاريمكس

OVERHEAD
PROJECTORS



وهي تمتاز عن مثيلاتها بملحقاتها
الإضافية التي تتيح استعمالها
كأجهزة لعرض الشرائح وكذلك
لتكبير الصورة حتى مقاس
٢,٤ متر × ٢,٤ متر.
ومعها أيضا منضدة مضيئة
لتحضير الرسومات قبل المحاضرة

سعر الجهاز بكامل ملحقاته ٣٥٠ جنيه

متوفر حاليا

بشركة الجمهورية للأدوية

بالإدارة التجارية بالأميرية وفروع البيع

VARIMEX

لكافة الاستعلامات
المركز البولندي للاستعلامات التجارية والفنية ڤاريمكس
٦ ميدان الفلكي - باب اللوق - القاهرة
تليفون : ٣١٨٤٢ / ٣٣٥٤٨


مسابقة بجوائز
الهلال
مجلة الفكر العربي
تجربتي مع الايمان
احلامنا وواقع حياتنا
كرامة شخصية


ابتسامتك
مفتاح نجاحك
سيناء.. رغم أنف الدعاية اليهودية

في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفي عمر شركات الطيران قليلا ما تجد هذا الرقم

٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - أسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

إبتسامة وبشريات ربيع

مع مطلع فبراير من كل عام تهب علينا فى عالم العرب نسمات مبشرات بقرب الربيع ، نسمات دافئة تذهب بصقيع الشتاء وتفتح امام الربيع السعيد الذى أحسن البحترى وصف مقدمه بقوله :

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد يبدو لبعض العرب أن الجو اليوم بعيد من التفاؤل •

ولكننا هنا نشعر بتفاؤل عظيم ، فعن قريب ستنفرج الازمة ، وسيتراجع العدو الصهيونى وتهل علينا بشريات النصر باذن الله •

وانا واثق اننى فى افتتاحية عدد مارس او عدد ابريل على الاكثر من الهلال سأهنىء العرب – والهلال مجلتهم – بطليعة النصر باذن الله •

ويومها سيذوب ثلج كثير ، وستتصافح أيد عربية كانت تظن أن القطيعة قد دبت بين العرب الى الابد • وكلنا نعرف هنا – فى مصر أقصد – أن شيئا يسمى قطيعة بين العرب لا يمكن أن يدوم طويلا لأن العرب امة واحدة ، بعضهم لبعض مهما اختلفوا •• لابد أن تعود الوحدة وترفرف رايات العروبة والسلام •

لقد مررنا نحن العرب بآلام كثيرة ، ونحن دون غيرنا من الامم كنا اول من تحدى الامبراطورية البريطانية وثرنا فى وجهها مطالبين بحريتنا فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وخضنا مع الانجليز والفرنسيين صراعا طويلا ومريرا حتى انتصرنا وانتزعنا استقلالنا ، ثم نكبنا بكارثة اسرائيل انتقاما منا، وظنوا اننا لن نخلص منها الى الابد •• ومن ذا الذى يستطيع مواجهة الصهيونية العالمية التى عنت لها وجوه الجبابرة فى اوربا وامريكا ؟

وقلنا : نحن ! نحن نصمد لهؤلاء الطواغيت ونسير بالسيف الى وكر الجبار ونضرب بين عينيه ••

وقد كان !

وانظر اليوم الى خوف اسرائيل واضطراب اسرائيل وعلائم الخذلان التى تبدو فى كل ناحية من نواحى حياة اسرائيل ••

انها بشرى النصر لنا ••

انها طلائع الربيع ••

والى اللقاء مع زهر الربيع ورياض الربيع وبسمات الربيع التى يحمل اليك بشراها ذلك العدد من الهلال ••

المحرر

في هلال هذا الشهر

● موضوعات عامة ●

الهلال

مجلة الفكر العربي

ربيع الأول ١٣٩٩ هـ
فبراير ١٩٧٩ م

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
المدير الفني : أحمد فاضل
سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون -
اول فبراير ١٩٧٩ - ٤ من ربيع
الاول ١٣٩٩

● من عيون الأدب الغربي ●

● سينما ●

● ابواب ومتنوعات ●

● شعر ●

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم
قيمة الاشتراك السنوي : ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ جـ ٥٠٠ ك بالبريد الجوي ١٥ دولارا أو ٩ جـ . ك . تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
الإدارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف الأول

هذا العدد من الهلال ، عدد باسم ، صممناه لتخفف ضغط الموضوعات الكبرى التي عالجناها في الاعداد الماضية . وربما لم نجد ما يعبر عن ذلك القصد الا هذه الصورة المشرقة الفياضة بنبض الحياة والتفاؤل ..

إلى أين يمضي بنا هذا الجمود؟

بقلم: رئيس التحرير

في عالم العرب في يومنا هذا حالة جمود مخيف .. الكثيرون من أهل السياسة منا قرروا الوقوف في مكانهم حتى تحل القضايا نفسها بنفسها .
وأهل الفكر تنازل معظمهم عن دورهم داخل عالم الفكر وخارجه ، فالى أين ينتهي بهم هذا التنازل ؟ ..
ان الدنيا تجرى يا قوم ..
ومن لا يتقدم يتأخر ولا شك ..

● يستوقف نظرنا في تاريخ العرب في الماضي والحاضر بطء الحركة التاريخية ، والاتجاه العام الى الركود والسكون .
فاذا استثنينا القرنين الهجريين الأولين ، وجدنا أن سير العرب انما هو استسلام للتيار . تيار الحياة هو الذى يسير ، أما العرب فلا يتحركون الا في النادر ، حتى في حالات الاخطار الداهمة تجد ان حركتهم بطيئة وثقيلة ، بل يصل الامر الا انهم - في غالب الاحيان ينتظرون مكانهم حتى تقع الواقعة .

وهذا كما قلنا باستثناء عرب القرنين الهجريين الاول والثاني عندما كان العرب قوة دافعة لا تتوقف ، حتى ان الانسان لا يصدق ما قام به العرب بتلك السرعة الخاطفة حتى تم على أيديهم فيهما ما تم خلال قرن ونصف فحسب من الزمان ..
وهل يصدق الانسان مثلا ان العرب أتموا فتح الشام والعراق وايران ومصر وبلاد الترك ووصلوا الهند قبل سنة ٩٠ للهجرة ، وفتحوا الاندلس فيما بين ٩٢ و ٩٥ هجرية ، وقاموا بفتوحهم العظيمة في فرنسا فيما بين ٩٦ و ١١٤ هجرية ... وفي هذه السنة الاخيرة كانت موقعة بلاط الشهداء في قلب فرنسا ، وهي

● إن الظروف التى تعيش فى الدنيا فى أيامنا هذه بالغة القسوة وإننا فى عصر يموت فيه عالم ويولد فيه عالم جديد.. وهناك دول أوروبية فى قمة الحضارة ، ولكنها تموت اليوم شيئاً فشيئاً لأنها عجزت عن ملاحقة الزمان ...

● إن أى حركة خير من أى جمود ولو كان هذا الجمود على قمة المجد والحياة ومن قوانين الحياة أن الذى لا يتحرك من تلقاء نفسه . وهذا الوقوف الجامد مهما كان رأينا فيه لا يمكن أن يؤدى إلى خير ...

التى تعين توقف التقدم العربى فى غرب اوربا ٠٠ ؟

تصور المسافة من دمشق الى مدينة ثور بفرنسا ، وتصور الجهد الخارق الذى بذله العرب للوصول الى قلب فرنسا فاتحين ٠ قارن هذه السرعة الخاطفة فى الحركة والعمل ، بالبطء الغريب الذى سارت به الاحداث ابتداء من القرن الهجرى الثالث وهو قرن يمكن ان نسميه قرن التوقف عن التقدم ٠

لا ندرى ما الذى حدث للعرب ، لان الذى نعرفه ان العربى رجل متحرك لا يميل الى السكون ٠٠ قف مرة مثلا فى شارع عربى وانظر كيف يتحرك الناس باستمرار وتدافع ٠ فى أحيان كثيرة تجد هذه الحركة فى الشارع بلا داع ولا هدف ، ولكنها حركة على أى حال ٠ وانه لمن الغريب ان تكون للعرب كل هذه الحركة فى الشارع وفى الصغائر ، ثم يكونون بذلك البطء أو الجمود فيما يتصل بالتاريخ ٠ لقد استوقف ذلك انتباهى أكثر من مرة ، لانه ليس من المعقول ان يكون هناك ناس بهذا التدفق فى الحيوية ثم يكون تاريخهم بهذا الركود ٠٠

***

ونحن نتحدث كثيرا عن تخلصنا من الغزوة الصليبية ونعتبر ذلك من مفاخرنا ، ولكننا ننسى اننا احتجنا الى اكثر من قرنين ونصف من الزمان حتى نحرر بلادنا من قوة ضئيلة مثل قوة الصليبيين ، فقد نزل الصليبيون ارض الشام سنة ١٠٩٧ ، ولم نتحرك لرد العدوان الا بعد نصف قرن من الزمان ، ولو ترك الامر لولاة الامور فى بغداد لما حدثت هناك حركة على الاطلاق ، ولكن جماهير الناس هى التى تحركت فى بغداد وبقية العراق ، واقتحمت قصر الخلافة على الخليفة ورجاله وطالبتهم بالحركة والقيام لطرد المعتدين ، ومع ذلك فان الخليفة لم يتحرك ، وكان الذى بدأ مسيرة النضال اتابكة الموصل ٠٠ وقد وقف هؤلاء الاتابكة وحدهم فى ميدان النضال ، ولكن امة العرب أيدتهم وتطوعت فى صفوفهم حتى تمكن عماد الدين زنكى من الاستيلاء على الرها ، والقضاء على واحدة من الامارات الصليبية الاربع سنة ١١٤٤ ميلادية ، **ثم احتجنا بعد ذلك الى ٤٣ سنة لكى نستعيد بيت المقدس ، فلم ندخلها الا سنة ١١٨٧ بعد موقعة حطين ، ولو أن الله لم يرزقنا اذ ذاك بمجاهد من طراز فريد هو نور الدين محمود لما كان هناك صلاح الدين ولا كان نصر حطين ٠٠**

إلى اين يمضى بنا هذا الجمود؟

ثم احتجنا بعد ذلك الى ٨٠ سنة لكى نتخلص من بقايا الصليبيين عندما استولى الاشرف خليل على عكا سنة ١٢٩١ووضع حدا لمأساة العدوان الصليبى ..

قرنان ونصف من الزمان مضت ونحن فى مشكلة الصليبيات ، خلال هذين القرنين كانت معظم قوانا قد استنفدت لا من الحركة والعمل بل من الركود والجمود ، وكان نشاطنا العام قد بطؤ حتى كاد يتوقف ، لان سلاطين المماليك الذين تولوا الامور بعد الايوبيين استغلوا خطر الصليبيين ليثبوا على السلطان ويتحكموا فى رقابنا أولا ، ثم لكى ينهبونا نهبا ذريعا بحجة حالة الحرب والظروف الطارئة ثانيا .

وهذا هو الذى حدث فى قضية انتصرنا فيها .

واذا نظرت فى القضية فى جملتها رأيت اننا فى النهاية خرجنا خاسرين ، فان المائتى سنة ونصف التى قضيناها فى مشكلة الصليبيات هى التى أضعفتنا الى درجة أصبحنا معها عاجزين عن الوقوف أمام المماليك ، وأصبح المماليك أنفسهم عاجزين عن ادارة البلاد ، وتهيأت سلطنة مصر والشام للوقوع فى أيدى الاتراك العثمانيين سنة ١٥١٧ ، ثم كان ليل الاحتلال العثمانى الطويل ..

أى اننا فى النهاية خسرنا ولم نكسب .. والسبب فى ذلك هو الجمود وانتظار فرج الله دون مجهود .

***

نقول هذا بمناسبة هذا الوقوف الجامد الذى يتمسك به بعض اخواننا العرب ويظنونه جهادا .

لقد تغيرت الدنيا كثيرا ومعظمنا فى غفلة عن هذه الحقيقة . انهم يحسبون ان الزمان سينتظر حتى نتفضل ونتحرك على الاسلوب الذى يعجبنا ..

وبعضنا الاخر يحسبون ان مفاتيح المستقبل العربى بأيديهم ،وانها ما دامت فى أيديهم فيمكنهم الانتظار بل النوم ، ولن يستطيع أحد الدخول لان معهم المفتاح ..

لهؤلاء جميعا نقول : آنستم .. !

قد تكون المفاتيح فى جيوبكم ، ولكن للمستقبل العربى أكثر من باب . وبينما انتم على الارائك مضطجعون دخل غيركم وأمسك بناصية الامور ومضى يحاول ان يرسم مستقبل العرب كما يشاء ..

وانظر مثلا الى الوقاحة الاسرائيلية التى تجعلهم يستمرون فى انشاء المستعمرات فى الاراضى المحتلة دون ان يبالوا بأحد ..

ما الذى يجعلهم يبلغون فى الجرأة هذا المبلغ ؟

السبب اننا نقف متفرجين نكتفى بالاحتجاج . وفى بعض الاحيان تصل الهمة الى درجة الاستنكار والجرى الى الامم المتحدة لكى تصدر بيان استنكار .

وواحد منا فقط رفض موقف الجمود وما يتصل به من احتجاج كلامى وبكاء وجرى لا نتيجة له الى الامم المتحدة ..

واحد فقط رفض هذه السلبية ، وتقدم ليحرك القضية ويخرجها من الجمود ويكشف الستر عن أضاليل اسرائيل ..

ذلك هو الرئيس السادات صاحب المبادرة الفريدة فى بابها فى التاريخ ، وما أعقب هذه المبادرة من تحرك شامل للقضية كلها وتغير كامل فى وضع النزاع العربى فى العالم .

فماذا فعل الكثيرون منا ؟

غضبوا وأصروا على الوقوف مكانهم

ومن منطق التاريخ نقول لهم : ان الوقوف دون حركة لا يمكن ان يؤدى الى شىء ، لان التاريخ فى صميمه حركة ،

والوقوف والجمود معناه الوقوف خارج نطاق التاريخ .

والذى حدث أثناء أزمة الصليبيين هو اننا بجمودنا وضعنا أنفسنا خارج نطاق التاريخ ، حتى تحرك أتابكة الموصل بعد خمسين سنة من الكارثة وأعادونا الى ميدان التاريخ .

ومع ذلك ، فقد كلفنا ذلك الجمود ١٥٠ سنة أخرى من الشقاء والضياع .. ثم استنفد الامر قوانا وكان ما كان مما حكيناه .

***

نقول هذا بكل تجرد واخلاص لاخواننا العرب .

ان الظروف التى تعيشها الدنيا فى أيامنا هذه بالغة القسوة

اننا فى عصر يموت فيه عالم ويولد فيه عالم جديد ..

هناك دول أوربية فى قمة الحضارة ، ولكنها تموت اليوم شيئا فشيئا لانها عجزت عن ملاحقة الزمان ..

أنظر الى انجلترا والازمات التى تعانيها وعجزها عن الامساك بعجلة القيادة بعد ان كانت تدير الدنيا ..

وانظر الى ايطاليا التى توصف الآن بالفعل بانها بلد يموت ..

عصابات من الغلمان استطاعت ان تشل الحياة فى بلد ضخم مثل ايطاليا ، بل اختطفت أكبر سياسى ايطالى وقتلته ووضعت جثته فى سيارة على أمتار من مخفر البوليس ..

لماذا ؟

لان انجلترا وايطاليا بعد الحرب العالمية الثانية وقفتا جامدتين أمام الزمن المتطور ..

لقد ألغت انجلترا وجودها بنفسها عندما أخرجت نفسها من القضايا العالمية، وانظر مثلا الى قرارها العجيب بالتخلى عن كل موقع لها شرقى السويس .. بهذا القرار أخرجت انجلترا نفسها من نطاق التاريخ .

وكان التدهور ، وكان سقوط الاسترلينى ، وكانت الاضطرابات .

أما ايطاليا فقد ظن أهلها انهم كسبوا الحرب أو على الاقل عدوا أنفسهم فى عداد المنتصرين .

وغفلوا عن سياسة بلادهم ودخلوا فى دوامة صراع الاحزاب .

وفى أثناء ذلك تسلل الشيوعيون واجتهدوا فى اضعاف قوة ايطاليا لكى يسقط نظامها الديمقراطى ويدخلوا هم منقذين ..

من هذا الجمود احذركم أيها الاخوة العرب .

فان اى حركة خير من اى جمود . والذى لا يتحرك يتاخر من تلقاء نفسه .

وهذا الوقوف الجامد مهما كان رأيكم فيه لا يمكن ان يؤدى الى خير ..

ولسنا نقول هذا لرجال السياسة ، فلا شأن لنا بهم فى نطاق هذا المنبر الفكرى . ولكننا نوجه الكلام الى أهل الفكر .

لانهم فى الحقيقة جامدون جدا هذه السنوات .

انهم لا يعلنون رأيا فى شىء ، ويكتبون وكأنهم يخطون على السحاب ، ويمضى العام كله فلا يخرج الواحد منهم كتابا له قيمة كبيرة ..

صح النوم أيها الاخوان .. لقد مضى معظم النهار .. ولم يبق على المغيب الا ساعات !

● د . حسين مؤنس ●

تجربتي مع الإيمان

● للامام الراحل : د . عبـد الحليم محمود ●

واقصـد « بالتجربة الكبرى » « تجربة الهداية » ..

ان الله سبحانه وتعـالى يقول فى حديث قدسى :

« يا عبادى كلكم ضال الا من هديته، فاستهدونى اهدكم » .

ويقول سبحانه لرسوله الكريم :

« انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

ونحن نمر بامثـال هـذا الحـديث الشريف ، وهذه الآية القرآنية الكريمـة فلا نكاد نعيرها التفاتا ..

انهم يقفون طويلا مرددين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما رواه الترمذى : روى عن ام سلمة انه كان اكثر دعاء رسول الله صلى الله عليـه وسلم اذا كان عندها :

« يا مقلب القـلوب ثبت قلبى على دينك » ، ومعه صلى الله عليه وسلم فى قوله ــ فيما رواه الامام مسـلم :

« اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .

وكنت انا احد هؤلاء الذين اتجهـوا الى الله يضرعون اليه بهذا الدعاء، واحب ان اسير مع الامر من ابتدائه .

نشأت فى اسرة تتسم فى الظـاهر والباطن بالتدين ، وكان والدى رحمـه الله يفرض جو التدين فى ارادة لا تلين ، لقد تعلم فى الأزهر ثم استقر به المقام فى القرية ، وكان معنيا بكـل صـغيرة وكبيرة من فروض الدين ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان يجد فى ذلك مقاومة ، ولا معارضة . لقـد كانت والدتى رحمها الله تسير على غراره وتتبع جو هواه ، فتسير فى تياره .

وحفظت القرآن الكريم فى كتـاب القرية، ثم دخلت الأزهر ، وكانت امورى فى قراءتى ، وفى افكارى تسير فى الجـو العادى التقليدى .

ثم كانت النقلة المفاجئة الى فرنسا ..

ومن اول يوم حلت فيه قدماى ارض فرنسا : بدأت المفاهيم والمبادىء عنـدى تاخذ مجراها فى مختبر النقد والتفكير، ولكنها كانت فى صورة هينـة سهلة ، بل ويمكن ان اقول انها لـذيذة ، ومن امثلة هذه الامور الهينـة اننى رايت النشاط يدب فى جميع مجالات الحيـاة ورايت السرعـة ، وحـب السرعـة ، والحرص على السرعة فى كل مجـال ، وفى كل مكان .

لقد رأيت الفتيات يمشـين بسرعة ، ورأيتهن يتحدثن فى سرعة . وجال فى ذهنى ، ما كنا نقرؤه عن وصف المرأة الجميلة ، وان من سمات جمالها مايقوله الشاعر عن مشيتها ومن حديثها :

« مشى القطاة ونطقها ايماء » ..

واخذت اوازن بين مفاهيم الشـعراء القدماء فى الجمال ، ومقاييسهم فيه ، فى المشى والحديث وغيرهما ، وبين ماأرى واسمع ، واهتزت نوعا ما المقـاييس القديمة ...

ورايت الرجال اكثر سرعة واكثـر نشاطا وحركة ، وبدت الحياة وكانهـا سرعة ونشاط وقفز ، وابتعاد فى كـل ثانية عن الماضى ، واستئناف فى كـل لحظة للمستقبل ، وتجديد دائم لا يهدأ



• [illegible]

ولا يفتر قط ... وتذكرت عند ذلك وصف سيدنا عمر من انه اذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع ، واذا تكلم أسمع .

ونعمت فى اللحظات الأولى من وصولى بهذا الذوق الراقى ، فى كل شىء . وهذه النظافة التى تجدها أينما تسير : فى الشارع ، فى محلات البيع ، على وجوه الاطفال ، وعلى الملابس عند الكبار وعند الصغار ... وبهرتنى الحضارة الأوربية فى مظهرها هذا الخارجى الذى يتمثل فى النشاط والنظافة والذوق ..

وكان هذا الانبهار يجعلنى أعود الى المفاهيم الاسلامية فى النظافة وفى الجمال وأستذكر :

« ان الله جميل يحب الجمال » ..

« وان الله طيب لا يقبل الا طيبا »،

وقوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » ..

وقوله سبحانه : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » ..

واتذكر هذا التراث الاسلامى الضخم الذى يتصل بالنظافة والنشاط والذى يعيشه الغربيون فى صورة واقعية فكانوا فى هذا كأنهم مسلمون مثاليون ..

واعود من الانبهار الى الأسف على ما عليه المسلمون فى هذه المجالات مبتعدين عن الاوامر الاسلامية الصريحة ..

ولكنى كنت اعود فاقول : هذا المظهر الخارجى مادام مرتبطا بالثقافة ودرجتها وما دام الاسلام قد حث عليه فى قوة ، ومادمنا آخذين باسباب الثقافة فى عناية ظاهرة فاننا سنصل الى ما نرضاه فيه ان شاء الله ، وكان هذا يجعل المجال الظاهر من الحضارة الغربية فى تصورى ليس ببعيد المنال بالنسبة لنا نحن الشرقيين ..

ودخلت الجامعة ، وبدأت الدراسة فى علم الاجتماع وعلم النفس ... ومادة الأخلاق ، وتاريخ الأديان ...

وكانت هذه المواد يتزعم دراستها وتدريسها الأساتذة اليهود ، أو الذين تتلمذوا على الاساتذة اليهود ، وكانت هذه المواد كلها تسير فى تيار محدد ، هو : انها علوم مجتمع ، أى انها لا تتقيد بوحى السماء ، ولا تتقيد بالدين على أنه وضع الهى ، فهى تدرس موضوعاتها على انها ظواهر اجتماعية وظواهر انسانية .

وبدأنا فى الدراسة نسمع مختلف الآراء فى نشأة الدين ، ومختلف الآراء فى تفسير النبوة ، وينتهى الأمر برأى الاستاذ فى الموضوع .

وليس فى هذه الآراء — على اختلافها وتعددها — ما يتجه الى ان الدين وحى من السماء أو ان النبى موصول الأسباب بالسماء ، واذا انتظرنا من الاستاذ ان يصحح الوضع ، فيدلى فى النهاية برأيه مثبتا الالوهية والنبوة هادما للآراء الأخرى واصفا لها بانها ضلال — اذا انتظرنا ذلك منه فاننا نكون واهمين ، فانه واحد من هؤلاء العشرات من الاساتذة فى هذه المواد وما شابهها المنغمسين فى تيار المادية .

لقد فسرت الجامعات الأوربية العلم على أنه القواعد التى تقوم على التجربة والملاحظة ، والتزمت أن تفسر وأن تشرح علم الاجتماع وعلم النفس وجميع الظواهر فى الآفاق وفى الأنفس على هذا الاساس ، والتزمت ذلك ايضا فى تاريخ الاديان ...

هذه العلوم بالذات وفروعها تتكاتف لتقود الانسان متعاونة متساندة الى الالحاد .

ان للدين — فيما يزعمون — نشأة انسانية اجتماعية ، وقد تواضع الناس على سلوك معين سموه « فضيلة » ، وعلى سلوك آخر سموه : « رذيلة » ..

ودراسة الدين والاخلاق اذن تتجه الى النشأة والمظاهر وعوامل التطور وظواهر التطور . وليس للسماء فى الدراسة من نصيب ، اللهم الا الوصف لظاهرة نشأت فى المجتمع . وكل الظواهر والمظاهر فى هذه الدراسات اعتبارية نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ، ولا تستقر على وضع ، لانها فى كل يوم تتبدل حالا بحال .

وهذه الافكار تتكرر فى هذه المواد : تسمعها فى علم الاجتماع ، وتسمعها فى علم النفس وتسمعها فى دراسة مادة الأخلاق ، وتسمعها فى دراسة تاريخ الأديان ، وتسمعها فى دراسة العلوم المتفرعة من كل ذلك .

والشاب الذى انتقل من الاقسام

● بدأت تجربتي بين عالمين من المعرفة : عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء وهي أمور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، وعالم التفكير المجرد في الدين والأخلاق والمجتمع .

الثانوية الى الجامعة يتأثر بأستاذه فاذا كان الاساتذة متكاتفين على هدم القيم الثابتة ، والمثل العليا التي يقررها الدين ، وتقررها الأخلاق ـ اذا كان الأمر كذلك ـ فان الطالب الذي يعيش في اجواء تتعاون كلها على هدم عقائده ومثله وقيمه ينتهي به الأمر ـ في الاغلب الاعم من الحالات ـ بأن تنهار هذه القيم في شعوره .

ومن هنا كانت الظاهرة التي تجدها في طلبة الجامعات في أوربا من الاستخفاف بكثير من العقائد ، وبكثير من القيم . وينتهي الطالب بالالحاد ، أو على أقل تقدير بالايمان الذي لا فاعلية له ، ولا تأثير له في سلوك الانسان .

وكنت ـ من غير ما شك ـ أضيق بكل ما يجري في هذه الدراسات ، ولكن الله سبحانه وتعالى الهمني التفكير في قيمة وآراء الاساتذة انفسهم في هذه المواد .

وبدأت العمل بين عالمين من المعرفة عالم الماديات كالطب والطبيعة والكيمياء ، وهي امور تحكمها التجربة ولا تتعارض مع الدين ، ولا اختلاف فيها . وعالم التفكير المجرد في الدين والاخلاق والمجتمع .

واخذت ادرس في اناة هذا الجانب الخير من الزاوية التاريخية ، فوجدت انه منذ ان بدأ التفكير بدأ في اللحظة الاولى الاختلاف فيه ، وبدأ كل زعيم من زعمائه ينتقد الآخرين في عصره وكل مفكري عصر ينتقدون المفكرين في العصر السابق عليه . وهكذا الامر ...

وما من شك في ان هؤلاء الاساتذة الذين يدرسون لنا ينتقد بعضهم بعضا في آرائهم ويخطيء بعضهم بعضا . كما ينتقدون السابقين عليهم ويخطئونهم . وسيصنع من بعدهم فيوجهون اليهم النقد ويخطئونهم ، وهكذا الى ان يرث الله الارض ومن عليها ...

لقد أخذ « دوركايم » اليهودي يعمل بمعاول هدامة في كل القيم والمفاهيم الدينية والاخلاقية ، واخذ تلميذه الاكبر اليهودي ، ليفي بروهل ، ينهج منهجه ويسير على طريقه في علوم الاجتماع وفي علم الاخلاق . وكتاب ليفي بروهل « الاخلاق وعلم العادات » ـ مثل واضح لهذا النوع من القيم ، ومحاولة القضاء على كل المثل ، وعلى ايجاد الضغائن والفتنة بين مختلف فئات الشعوب ، والثمرة التي يعملون دائبين على الوصول اليها ، أن يكون المجتمع شاكا مليئا بالفتن ، وذلك سبيلهم الى السيطرة .

ان اليهود يهدفون من وراء كل ذلك الى السيطرة على العالم ، والا تقف في وجههم قوة من ايمان أو قوة من خلق . ومن أجل ذلك تكاتفوا على أن تكون لهم الكلمة الاولى في الجامعات هناك في علم الاجتماع وفي علم النفس ، وفي مادة الاخلاق ، وفي تاريخ الأديان ، ولم يكن من السهل على اثناء هذه الدراسة الاستمساك الواثق بالقيم والمثل التي

نشأت عليها ، ولولا عون من الله سبحانه وتوفيق منه ، لصرت كواحد من هؤلاء الألوف الذين يدرسون في الجامعات الاوربية ثم يخرجون منها ، وقد تحطمت في نفوسهم المثل الدينية الكريمة ..

وانتهيت من هذه الدراسة ، ثم كانت المرحلة التالية هي مرحلة «الدكتوراه».

***

بعد تجارب هنا وهناك في مجالات مختلفة من الموضوعات ، وبعد تردد بين هذا الموضوع أو ذاك — هداني الله — وله الحمد والمنة — الى موضوع التصوف الاسلامي .

ولم يكن ذلك مصادفة ، وانما هي هداية وتوفيق من الله سبحانه وتعالى وهي عناية أعجز عن شكر الله سبحانه وتعالى عليها ... وانغمست في العنصر الأساسي في موضوع الرسالة ، وهو دراسة الحارث بن أسد المحاسبي ..

انغمست في جو مجموعة من المخطوطات لهذا العالم الكبير ، والصوفي المستنير ، ورأيت أنه قد مرت به — هو الآخر — فترة من الضيق لاختلاف الآراء وتفرقها والحيرة في أيها الأحق وأيها الأصوب ؟. ثم هداه الله سبحانه الى الطريق الأقوم .

وجدت في جو الحارث بن أسد المحاسبي الهدوء والطمأنينة ، ولكنه ليس الهدوء السلبي ، او الطمأنينة المعتزلة المنطوية على نفسها ، ولكنه هدوء اليقين ، وطمأنينة الثقة بما يعلم ...

فقد ألقى بنفسه في معترك المشاكل التي يثيرها المبتدعون والمنحرفون ، واخذ يصارع مناقشا ومجادلا وهاديا ومرشدا ، متخذا الأساس الأصيل ، والمصدر الاول : القرآن والسنة ، متخذا ذلك مقياسا وحاكما متحكما في كل مايقال او يفعل ...

وانتهيت من دراسة « الدكتوراه » واذا بي أشعر شعورا واضحا بمنهج المسلم في الحياة ، وهو منهج « الاتباع » ..

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلمة موجزة عن هذا المنهج هي اعجاز من الاعجاز ، انه صلى الله عليه وسلم يقول : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ..

وهي كلمة حق وصدق ثرية بالمعاني الطويلة العريضة ، يبرهن آخرها على اولها ، والنهي في وسطها يبرهن عليه أيضا آخرها : أي اتبعوا فقد كفيتم ، والكافي سبحانه وتعالى الذي أوحى المبادىء والأصول والقواعد ، وطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك وبينه ، فكان تطبيقه مقياسا وبيانا ومرجعا يرجع اليه المختلفون : ولا تبتدعوا فقد كفيتم : ان الذي يبتدع هو من لا كفاية له ، ولكن الله سبحانه وتعالى بعد أن أكمل الدين ، وأتم النعمة ، فليس هناك من مجال ، ولا من حاجة الى الابتداع .

لقد كفانا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كل ما أهمنا من أمر الدين .

وبعد أن وضح هذا المنهج في شعوري واستيقنته نفسي ، أخذت أدعو اليه : كاتبا ومحاضرا ومدرسا ، ثم أخرجت فيه كتابا خاصا هو كتاب : « التوحيد الخالص » ، أو « الاسلام والعقل » ..

وما فرحت بظهور كتاب من كتبي مثل فرحي يوم ظهر هذا الكتاب ، لأنه هو خلاصة تجربتي في حياتي الفكرية ..

وكل ما كتبته عن التصوف ، وعن الشخصيات الصوفية ، فانما يسير في ذلك هذا المنهج ، منهج الاتباع .. وهذا المنهج يفترض :

ا — مقاومة الغزو الفكري .

والغزو الفكري له مجالات مختلفة ، هناك الغزو الفكري في العقائد ويتمثل في

● إن منهج الاتباع هو الخلاصة الجوهرية للتجارب الخاصة بالطريق الذي ينبغي أن يسلكه المسلم في حياته .

كل هذا التراث الضخم الذي نقل الى اللغة العربية فيما يتعلق بما وراء الطبيعة، وهو تراث مختلف متعارض بل ومتناقض وهو نتاج بشري بكل ما يتسم به النتاج البشرى من خطأ وضلال .

٢ ـ والغزو الفكرى فى نظام المجتمع، الذى حاول ان يفرض علينا نظام المجتمعات الأوربية ، واذا نحن سرنا فى تياره ، فاننا نصبح ولا شخصية لنا ولا ذاتية ، ونصبح وقد فقدنا رسالتنا التى كلفنا بتبليغها للناس ونشرها ، وهى رسالة الاسلام التى من اجلها كانت الأمة الاسلامية وبدونها تصبح الأمة الاسلامية ولا مبرر لها ..

٣ ـ والغزو الفكرى فى مجال التشريع :

وهذا الغزو الفكرى فى مجال التشريع توجد أسسه واصوله بصورة مشروعة فى مختلف الاقطار العربية ممثلة فى كليات الحقوق التى تنفق عليها الدولة وتعتمد شهاداتها ..

وكليات الحقوق تلك دراستها غزو فكرى ، واستعمار فكرى ، ودراستها اثر من آثار الاستعمار التى لم تزل بعد ان زال الاستعمار ...

واذا كانت الأمم الواعية تحاول جاهدة ان تتخلص من وصمة الاستعمار بما فيها من شرور ورجس وآثام ، فان الكثير من الدول العربية لم تحاول أن تتخلص من وصمة الاستعمار الصارخة الواضحة الممثلة فى هذه الكليات ..

ان هذه الكليات تخصص عشرين ساعة فى الأسبوع للقوانين الاوربية أى للفكر الاوربى فى التشريع ، وتفرض على الطالب أن يذاكره ويستوعبه ويحفظه ويتمثله ، وينهج نهجه فى الامتحان .

اى انها تفرض على الطالب أن يستحضر فكر الأوربيين فى مجال التشريع وان يلغى ذاتيته الاسلامية فى هذا المجال ، وأن يكون تابعا للأوربيين فى هذا المجال مقلدا لهم ، تجره عجلتهم مستسلما لغزوهم .

وبينما تخصص هذه الكليات عشرين ساعة اسبوعيا للفكر الأوربي فى التشريع اذا بها تخصص ساعتين فقط للتشريع الاسلامى .

ولو أن هذه الكليات فى فرنسا او فى انجلترا لما فعلت اكثر من ذلك . ومنهج الاتباع الذى يقتضينا أن ننظر فى جد فى امر هذه الكليات لتمثل الوطنية والاسلامية والعروبة .

وبعد :

فان منهج الاتباع هو الخلاصة الجوهرية للتجارب الخاصة بالطريق الذى ينبغى ان يسلكه المسلم فى حياته، واذا سار فيه المسلم فردا ، أو سار فيه المجتمع مجتمعا ، فان الله سبحانه وتعالى يكتب له الهدوء والطمأنينة والسعادة ، لأنه يكون فى جو ربانى ملىء برعاية الله سبحانه وتعالى وعنايته .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » . هذا وبالله التوفيق . ●

د. عبد الحليم محمود

اللامبالاة

حتى في حياتنا الثقافية !

• د. زكي نجيب محمود •

يبدو لي ان افضل زاوية ننظر منها حينما نريد أن نلتمس الاسباب التي من اجلها انصرف القراء بصفة عامة عن المشكلات الثقافية الصرف التي لا تمس أمور السياسة ولا امور الشئون الجارية مسا مباشرا ، أقول انه يبدو لى ان افضل زاوية ننظر منها عندما نريد ان نلتمس الاسباب التى ادت الى هذه الظاهرة فى ايامنا هى ان نعود بالذاكرة الى فترة من الزمن مثل العشرينات حديثا ، او ربما نعود الى فترة اخرى من الزمن ، اوغل فى التاريخ ، وهى الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) لنرى ما هى الظروف التى جعلت القراء العرب ، فى العشرينات يهتمون اهتماما واضحا بالمشكلات الثقافية ، التى لا تربطها علاقة مباشرة بالحياة السياسية الراهنة ، او ما هى الظروف التي سادت الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى ، وادت الى ذلك النشاط الثقافي العجيب ، الذى لا يخطئه بصر فى حياة الامة العربية فى ذلك الحين

وعندئذ ننتقل الى عصرنا نحن الآن ، لنتبين كيف اختلفت الظروف المحيطة بنا اختلافا كان من شأنه هذا الانصراف عن الثقافة البحت ، على نحو ما ذكرنا ..

فاما حياتنا فى العشرينات من هذا القرن ، فقد كان اهم ما يميزها ان الاقلام التى حملت عبء الكتابة السياسية على المستوى الارفع ، كانت هى نفسها الاقلام التى حملت مهمة نشر الرسالة الثقافية ، فكأنما كان الكاتب منهم يومئذ يكتب صفحة للسياسة ، وصفحة للثقافة على التوالى ،لانه شعر بأنه هو الرائد فى كلتا الحالتين .

ولما كانت فكرة الحرية اهم رسالة توجه اليها الكاتب السياسى ،فقد نتجت عن ذلك نتيجة مباشرة ، وهى ان ذلك الكاتب ، سرعان ما رأى ان تلك الحرية السياسية المنشودة ، لم تكن لتكتمل للمواطن العربي المصرى الا اذا ساندتها تصورات للحركة فى مجالات أخرى غير السياسة ، كتصور الحرية فى الشعر ، وتصور الحرية فى الفن التشكيل ، وتصور الحرية فى النقد الادبى ، وتصورها فى الفكر الفلسفى ، وهلم جرا .. فالواقع ان الدعوة الى الحرية التى يمكن اعتبارها الفكرة الأم فى نشاطنا العقلى كله هى التى اوحت الى الكاتب والقارىء معا بأن يتوسع فى تغذيتها من شتى الجوانب .

ويمكن القول بأن تلك التغذية لفكرة الحرية بالمعنى الشامل لهذه الكلمة ، تأتى أساسا من مصدرين أولهما الشعور بالانتماء الى ثقافة عربية أصيلة ، حتى لا يخامرنا الوهم او الظن بأننا أمة متسولة فى الميدان الثقافى لم يكن لها رصيد غزير مخزون وموروث من أسلافها الاولين .

وأما المصدر الثانى فهو الحضارة الاوربية التى شاء لها الله أن تكون هى حضارة العصر .

فكان الشغل الشاغل لكتابنا ، ثم لقرائنا بالتالى مزدوج النشاط . ففى الوقت نفسه الذى كنا فيه نحيى تراثنا القديم ، احياء يعيده الى دماء تجرى فى شرايينا ، كنا ننقل امهات الثقافة الغربية فى كل عصورها ، نقلا كان فيه النقد والتمحيص .

فلا غرابة أن يجد القارىء نفسه مشوقا الى تزويد نفسه بما كان يتعطش اليه من شعور بفرديته الحرة ، فكان يتابع ما ينشره كتابنا الكبار فى كلا الجانبين معا ، جانب الموروث من حياتنا الفكرية السابقة ، وجانب المنقول من حياة أوربا فى كل عصورها . فلو عدنا الى الفترة الاخرى التى أردنا أن نسوقها مثلا آخر ، وهى القرن الرابع الهجرى ،وجدنا الشىء نفسه الذى رأيناه فى عشرينات هذا القرن ، يتمثل أمامنا على نطاق تاريخى

واسع من حيث الاتجاه الاول نحو الترجمة ٠

وأما الاتجاه الثانى فهو أن المفكرين ابان ذلك القرن نفسه كانوا يعكفون على دراسة المسائل التى تفرعت عن الثقافة العربية الاسلامية نفسها منذ ظهور الاسلام

من هذين المثلين يتبين لنا أن الحيوية الثقافية التى تشد الكاتب والقارىء معا الى بؤرة واحدة ، يلتقيان فيها باهتمامهما ، انما تتمثل في الجمع بين لونين من التفكير أحدهما هو اللون الاقليمى المحلى ، والثانى هو اللون المنقول عن الحضارات الاخرى ٠

وعلى هذا الضوء ننظر الى هذه الفترة من السنين التى نحياها اليوم ، والتى نشكو فيها بان القارىء قد انصرف عن متابعة المشكلات الثقافية البحت ٠فاقول ان انصراف القارىء هذا ، انما هو تابع فرعى من توابع انصراف الكاتب نفسه، عن تلك المشكلات الثقافية ٠ فاين هو الكاتب الان الذى يهضم الثقافة العربية القديمة ، هضما يمكنه من عرضها ، عرضا نقديا ، كما كان يفعل طه حسين فى العشرينات ٠

وأين هو الكاتب اليوم الذى يتاح له ان يتابع الثقافة الاوربية بمثل ما كان يتابعها اعلام العشرينات أيضا ٠ بل اين هو الكاتب اليوم الذى يستقطب بثقافته ، جميع الخطوط الرئيسية ، التى تميز ثقافة العالم باسره ، كما كان يفعل ابو حيان التوحيدى فى القرن الرابع الهجرى، او اخوان الصفا فى نفس ذلك القرن ٠

فاذا لم يسكن الكاتب الغزير فى تحصيله الواسع فى أفقه النافذ فى نقده، الهاضم فى فهمه وفى عرضه لما يكتبه ، أقول اذا كان مثل هذا الكاتب غير موجود فى يومنا الراهن، بصورة واضحة ، فكيف نبيح لانفسنا أن نبحث عن قارىء لهذه الصفحات أو شىء منها ؟!

اننى لارجو من اراد ان يكون منصفا فى حكمه على فترتنا الراهنة ، ارجوه أن يراجع ولو لفترة محدودة ، ما يكتبه كتابنا اليوم (او معظمهم) ٠٠ اما فى الصفحات الادبية من الصحف اليومية ، واما فى المجلات الثقافية ليرى بنفسه كيف اصبحت الكتابة تتعمد الا تغوض فى المشكلة التى تتعرض لها ، مكتفية بما يشبه « الساندوتشات » فى دنيا الطعام ! كانما الكاتب قد اصبح يحس انه اذا تعمق مشكلته ، فلن يجد مكانا فى الصحف لتنشر له ، ولن يجد فراغا عند القارىء ليطالع ما كتبه ، مطالعة الفاحص المدقق ٠

اننى الاحظ اليوم كثرة الاحاديث والندوات ، فى حياتنا الثقافية ٠ لان الحديث بين اثنين ، أو الندوة التى تعرض فى وسيلة من وسائل الاعلام ، تكتفى بطبيعتها بالقشور ، لانها مادامت ندوة ، فهى اساسا للتسلية ٠٠

من أين ناتى بالكاتب أو بالقارىء ، الذى ينذر نفسه نذرا ، للمشكلات الفكرية اذا كانت الجامعات ، وهى ملتقى الثقافة على أعلى مستوى ، قد ازدحمت كل هذا الازدحام ، وقد انشغل فيها الاساتذة ، كل هذا الانشغال بكثرة المحاضرات فى الاسبوع الواحد ٠ فلا الاستاذ يجد الدقيقة الواحدة التى يصرفها فى شحذ أذهان طلابه خارج صلب مادته التى يحاضر فيها ، ولا الطالب طبعا يجد الحافز الذى يدفعه الى الاهتمام بمشكلة ثقافية ، خارج مذكراته الجامعية ٠

اننى على ضوء هذا كله ، لا يدهشنى أن أرى الفراغ الرهيب الذى يتحرك فيه شبابنا اليوم ، عند اختيار أهداف حياتهم الثقافية ٠ فهنالك منهم من يكاد يمحو من نفسه اثر التعليم الذى تعلمه فى المدارس واوشك الذين يعلمون أن يكونوا فى غمرة من لا يعلمون ! ٠ لا يفرق بين هؤلاء واولئك خاصة مميزة ٠

وفى ظنى أن حياتنا الثقافية لن تعود الى عنفوانها وعمقها واخلاصها الا اذا احس الكاتبون والقارئون معا ، باهتمام داخل نفوسهم يؤرقهم ، حول مشكلة بعينها او مشكلات ٠ فاذا وجد هذا الاهتمام المؤرق ، وجدت الكاتب مدفوعا للكتابة ،والقارىء مدفوعا للقراءة فى وقت واحد ٠٠

وعلى ذلك فصميم المأساة فى حياتنا الثقافية الراهنة ، هى انعدام الاهتمام باية مشكلة ثقافية ٠ ولذلك نرى الكاتب اذا كتب ، والقارىء اذا قرا ، فهو يكتب او يقرا ، وكانه غير ذى صلة شخصية بالمادة التى يكتبها او يقرؤها ٠ فلا تهمه طريقة المعالجة ولا النتائج التى يوصل اليها ، ويصبح كل شىء مساويا لكل شىء ٠ وفى ذلك موت للفكر الجاد لحساب التفاهات التى تنشغل بها اليوم ٠ ●

الأحلام

وهل هي إنذار بما سيحدث؟

● بقلم الدكتـــور : هلموث كـروج
عميد الاطباء النفسيين الالمان ●

● ترجمة : د . حسين مؤنس ●

اهتمام الناس بالاحلام

مهما يقل لك الناس انهـــم لا يعلقون اى اهمية على الاحـلام ، وانهـــا كلها اوهـام وتصـــورات تتراءى للانســـان فى النـــوم دون ان يكون لها اى معنى او دلالة ــ فان كل انسان يهتم باحلامه ، وخاصة ما كان منها مزعجـــا او ما كان له معنى على وجه من الوجوه ...

حتى الذين يزعمون لك انهم متحررون من كل فكرة قديمة وانهم لا يؤمنـون الا بوقائع الاشياء ، يحرصون على احلامهم وان كانوا يظهرون ان الاحـلام اضغاث لا تستحق منهم لحظة تفكير !

واذكر انه كانت فى دار الكتب المصرية نحو عشر نسخ من كتاب تفسير الاحلام لابن ســـيرين ، ومع ذلك فلا اذكر اننى طلبته مرة فوجدته ، وأتاح لى الحظ مرة فرصة شرائه ، فما زال أصـــحابى يستعيرونه ويردونه حتى استعاره واحـد منهم ولم يرده وضاع ، وكان قد استهلك وصار قطعا ! ..

فرويد ونظرياته فى دلالات الاحلام

وقد كان ســـيجموند فرويد أول من درس الاحلام دراسة علميـــة ، وخرج بنظرياته الكثيرة عنها وأهمها القول بأن الاحلام ليست مجرد أضغاث وتصورات أو أوهام ، بل هى ظاهرة عظيمة الدلالة على شخصية الانسان وتجاربه فى الحياة، فان العقل الباطن يختزن التجـــارب والاحداث ، وخاصة ما كان لها اثر بعيد **فى حياة الانسان ، وتظل هذه التجارب مكبوتة فى حالات اليقظـــة ، فاذا نام الانسان ونام ذهنه المفكر اطلق العقـــل الباطن تلك الصور المختزنة فظهـــرت فى اشـــكال شـــتى لها دلالاتهـــا الكبيرة ، وخاصة فى الحـــالات التى يصاب فيها الانسان بحالات مرضـــية نفسية ، هنا يكون الحلم تعبيراً عن قلق او خوف عميق وخفى يؤرق الانســـان ويكون له اثر فى سلوكه وتصرفاته ..**

ولهذا يهتم المحللون النفسيون اهتماما كبيرا بالاحلام ويطلبون الى عملائهم بيانا وافيا عنها لكى يســـتطيعوا التعرف على أسباب القلق أو الاضطراب النفسى الذى



حلم السلم الصاعد في الفراغ والانسان عليه في خوف من السقوط يدل على طموح وخوف من الحياة .. ولكنه ليس دلالة على خطر مقبل ...

يعانيه المريض .

ولكن بحوث النفسيين في الاحلام تطورت تطورا كبيرا من ايام فرويد الى اليوم ، فلم يعد العلماء يعطون للافكار والاحلام الجنسية تلك الاهمية الكبرى التي أعطاها اياها فرويد، فقد كان فرويد يرى ان الجنس هو القوة الكبرى وراء تفكير الانسان ، وتبين بعد ذلك وخاصة في بحوث يونج وآدلر أن الجنس قوة دافعة كبرى في النفس الانسانية ، ولكنه ليس أقوى الدوافع المحركة لفكر الانسان ونشاطه .

لا علاقة للاحلام بالمستقبل وما سيحدث فيه ...

وما زالت البحوث في الاحلام مستمرة في كل جامعات الدنيا ، وقد انتهى العلماء الى عدد من الحقائق الهامة التي تختص بطبيعة الاحلام وتفسيرها ..

والحقيقة الاولى هي ان الاحلام لا علاقة لها بالمستقبل . فاذا راى الانسان حلما مخيفا او مفزعا فلا يتصور ان ذلك انذار بشيء سيء سيحدث . فالاحلام تتركب من رواسب ماضية ولا يمكن ان يكون لها اثر او علاقة بالغد ...

وهناك الكثيرون من الناس يؤكدون لك ان الاحلام انذارات بما سيحدث ، ويحكون حكايات كثيرة تؤيد هذا الرأى ، وهؤلاء الاشخاص صادقون فيما يحكون عن أحلام رأوها ثم تحققت أو صدق **ما توقعوه ، وتفسير ذلك ان الحلم في هذه الحالة لم يكن انذارا بما سيحدث ، بل يدل على ان ذهن صاحب الحلم كان مشغولا بموضوع ما يهمه او يخيفه او يرجوه ، فيكون الحلم في هذه الحالة**

ظهرا لانشغال البال والعقـــل الباطن بذلك الموضوع ، ويكون ما رآه الحـالم توقعا من ذاته الباطنة ، فاذا وقع بالفعل ظن الانسان ان الحلم قد تفسر ..

اما ما يذهب اليه الكثيرون من القول بان هناك أشياء اذا رآها الانســـان فى الحـــلم كانت ذات معنى خاص فغير صحيح . فرؤية الذهب فى الحلم لاتدل على شر مقبل ورؤية اللبن لاتدل على خير ورؤية شخص ميتا لاتدل على انه سيطول عمره ، ورؤية الثعبان لاتدل على ان عدوا سيؤذيك ، وكذلك الحلم بخلع الضرس لايدل على ان الانسان سيفقد عزيزا ..

كل هذه اشياء غير صحيحة ، وانما هى أفكار قديمة توارثها الناس واستغلها المفسرون للاحلام وكرروها مرة بعد مرة حتى استقر فى الاذهان انها حقائق حتى أصبح الناس يفزعون من الاحـــلام فزعا شـــديدا وصرت اذا اردت ان تقص على زوجتك أو صاحب لك حلمـــا كان أول ما يقول : خيرا ان شاء الله ..

فلا تؤرقك الاحلام اذن ، واطمئن من ناحيتها ، فليست لها اى عـــلاقة بمـــا سيحدث لانها كلها أصداء لما حدث وفات أو لما يحدث أو يشغل البـــال فى الفترة التى يقع فيها الحلم ..

الاحلام المتكررة ودلالاتها

ولكن هناك نوعا من الاحـــلام ثبت بالفعل انله علاقةبماضىالانسان وحاضره ومستقبله ، أى بوجوده كله ، تلك هى الاحلام المتكررة ، ويراد بها الاحلام التى يراها الانسان مرة بعد مرة فى صـــور وأشكال شتى ، ولكن صميمها واحد

فمن الناس من يرى نفسه فى المنام يخوض فى ماء مرة بعد مرة ويصـــاحب ذلك الحلم خوف من الماء ...

فمرة يرى هذا الماء يفـــور كانه ماء دوامة ، وهو يســـير فيه فى خـــوف وحذر ...

ومرة اخرى يرى هذا الماء يتعالى شيئا فشيئا ويخاف ان يغطيه ويغرق فيه ..

ومرة ثالثة يرى هذا المـاء بنى اللون وهو يخوض فيه بخوف لانه يشـــعر ان هناك حيات فيه ..

وهكذا .

مثل هـذا الحلم المتـــكرر له معنى واساس من حياة صاحبه . انه يعانى من خوف عميق مستمر ، والخـوف مرتبط بالماء . وربما يكون قد تعرض وهو صغير لحادث غرق فى الماء ونجا منه . قـــد تكون هذه التجربة القاسية وقعت لغـيره امام عينيه وهو صغير ..

ودلالة الحلم النفسية هى عدم الثقة بالنفس والخوف من الحياة والقلق على النفس والزوج والاولاد . .

ومثل هذا الشخص ينبغى ان يطمئن



اذا رأيت نفسك فى الحلم فى بيت من زجاج فلا تتوقع فضيحة مثـلا ، فالاحلام لا صلة لها بالغد .. وانما هذا الحلم يدل على انك تشعر انك لست فى المكان الذى تريده

الى أن هذا الخوف وهمى ، وان هـــذا الحلم لن يقع له او لأحد ممن يحب فى واقع الحياة · انه ليس نبوءة ولا انذارا· انه صـــدى لشىء قديم ترك فى النفس شعورا عميقا من الخوف · والحلم يتردد طالما ظلت حالة القلق الناتجة عن الاعتقاد بأن هذا الحلم لابد أن يقع يوما فى عالم الحقيقة ·

نماذج من الاحلام المتكررة

سيدة ترى نفسها دائما فى بيت من زجاج

ونموذج ثان من تلك الاحلام المتكررة ·

سيدة كانت تحلم دائما بانها تعيش فى بيت جدرانه شفافة كانها من زجاج ·· فى الحلم تشعر بأن العيون ترى كل ما تصنع ، لانها تعيش فى الحقيقة فى فراغ ··

نفس السيدة تحلم فى نفس الوقت بأن لها بيوتا كثيرة ·· كلها لها ولكنهـا كلهـا لا تعجبهـــا وفى كل منها شىء يخيفها ···

مرة تحلم بانها تعيش فى بيت شفاف على حافة الماء ·· الماء يضرب الجـدران ويدخل من النوافذ · الجـــــدران كلها شفافة كانها من زجاج ، انها ترى نفسها فى الحلم تبحث عن مكان تختبىء فيه··

انها دائما مهـــددة بافتضـاح أمورها ·· مهددة بماء أو نار أو فيران ضخمة خطرة تملأ البيت ··

وهي دائما فى تنقل من بيت لبيت · فى كل حلم ترى نفسها وكانها فى بيت جديد ، ولكن هذه البيوت محـدودة ··

انها هي هي تتكرر في الاحلام ..

ودلالة هذا الحلم المتكرر هي ان هذه السيدة تشعر دائمـــا الا مكان لها على الارض .. انها نفس قلقة لا تجـــد الراحة ...

ويدل الحلم كذلك على انهذه الانسانة تريد اخفاء شيء عن الناس . قد تكون قد وقعت في خطأ وتريد ان تستره ، قـــد تكون تخشى ان تنـــدفع الى الوقوع في خطأ وتحس بان الناس يعرفون ذلك .

اعرف رجلا كان يرى مثل هذا الحلم : حلم بيت الزجاج والخوف من الفضيحة. بعد التحليل النفسي تبين ان هذا الرجـل متزوج من سيدة في سنه ، ولكن لهـــا ابنة جميلة مطلقة تعيش معهمـــا . انه يعشقها في قرارة نفسه ويشـــتهيها ، وأكثر من مرة حاول ان يقدم على امـــر معها ، ولكنه خاف الفضيحة ..خاف ان ترفض أو تصرخ أو تســـتغيث ... ان الحلم يحذره من نفسه . يقـــول له ان الناس يرون كل ما في نفسه ويعرفونه وان ابنة زوجته تعرف ذلك ..

والنصيحة التي قدمتها اليــــه هي ان يعمـــل على أن يجعل تحقق هذا الامـــر مستحيلا . كانت ابنة الزوجة تعيش في غرفة الى جوار غرفته فنصحته بأن ينام في نفس الغرفة التي تنام فيهـا زوجته اذا أمكـن ان تخـــرج البنت من البيت وتسكن في مكان آخر كان احسن بكثير . وفي النهاية نصحته بأن يصارح زوجته بالامر ويبتعد عن البيت، لفترة ما ..وان يتأكد من أن هذه النزعة الداخليـة وهم خادع ، وان ابنة الزوجة لن تســمح له بشيء فهو في الثانية والســتين وهي في الثلاثين .

حلم السلم الصـــاعد الى مالا نهاية في السماء ..

وسيدة كانت ترى حلما متكررا يملأ نفسها خوفا ...

في الحلم ترى نفسها وكأنها تصـــعد على سلم في الهواء . السلم ممتد الى مالا نهاية في الفراغ بلا سياج حاجز ...

مرة ترى هذا السلم وكأنه سلم حريق صاعد الى السحاب ، أو سلم من رخام ذي درجات منفصل بعضها عن بعض ، وهي تصعد على هذه السلالم المخيفة كل مرة وقلبها ملء بالخوف ..

انها رسامة تعمل في محل ديكور كبير .. وهي تقوم بأعمال ضخمة وعظيمـــة فعلا . في المحل الذي تعمل فيه يعهدون اليها بأشق المهمات ، وتقوم بها بنجـــاح كبير ...

اذن ما معنى هذا السلم الذي يخيفها في المنام ؟

تبينت أولا من التحليل النفسي انها غير متزوجة . ان ســنها تقترب من الاربعين ولا زوج . في قرارة نفسها تشـــعر انها معلقة في الهواء بلا زوج او ابن او بنت ، والسلم يقود خطـــواتها الى مزيد من الخوف من هذه الناحية لان السن تتقدم بها . انها تقول انها لا تريد ان تتزوج او



كذلك عندما يرى الانسان نفسه في المنام عاريا وسط الناس فلا ينبغي ان يخاف من هذا الحلم المتكرر ... انه يدل على ان صاحب الحـــلم يشعر انه يعـــاني مخاوف غير واضـحة ويخاف النـــاس

ان هناك رجـــلا يريد الزواج منهـا ، ولكنهـــا تخشى الا يوفق الزواج ، ثم ان الرجل لا يعجبها كثيرا ٠

ومن ناحية أخرى هى طموح جدا ٠ تريد ان تحقق المستحيل فى عملهـــا ٠ كلما عهدوا اليها بمهمة عســيرة تكـرر الحلم ٠ انها تصنع مشروعات بالغـــة الطموح ، وتخـــاف في نفس الوقت الا تستطيع ارضاء طموحها رغم ان الشركة راضية كل الرضا عن عملها ٠

قلت لها : تزوجي ٠٠٠

لا علاج لك الا الزواج

حقا ان الرجل لا يعجبـــك كثيرا ، ولكنك في حاجة الى سند ، في حاجة الى رفيق حياة ، فى حاجة الى شريك وبيت واستقرار ٠ ثم لماذا تخشى ألا تنجب ؟٠

واخذت بنصيحتي وتزوجت ٠٠
بعد قليل الفت الزوج واحبته ٠٠

ثم انجبت طفلة جميلة ٠ هذه الطفلة امتصت كل طموحهـــا ٠ كانت تنفق الساعات في تسريح شعرالبنت وتزيينها وعندما كانت ترى ابنتها فى اجمل صور الطفولة كانت تشعر انها حققت شـــيئا عظيمـــا ، وتلاشى الحـــلم المتـــكرر المخيف ٠

الرجل الذى يرى نفسه في الحلم يقود سيارة وهو لا يحسن القيـــادة ٠٠٠

ورجل كان يحلم دائما بأنه يقـــود سيارة وهو لا يحسن القيـــادة ٠٠

بين الحين والحين يحلم بأنه فى سيارة جميلة تستلفت أنظار كل الناس ، ولكن الخـوف يملأ نفســـه . انه يحس انه لايحسن القيادة ، أو انه لا يملك رخصة قيـــادة وان رجال المرور لن يلبثـوا ان يقبضوا عليه ..

فى حالات كثيرة ينتهى الحلم بحادث . حادث صغير أو كبير ، ولكن النهاية دائما واحدة ..

وكان يقول لى ان هذ الحلم انذار متكرر له بأنه سيموت فى حادث سيارة .

بعد التحليل تبين لى ان الامر بعيد كل البعد عما يظن .. وهو فى اغلب الظن لن يموت فى حادث سيارة ..

ولكن السيارة فى حلمه رمز الى ميـل داخل فى نفسه الى الظهـور بمظهر اكثر من حقيقته . وهو يعـــرف انه يكذب على نفسه وعلى الناس ويخاف ان يفتضح امره او يقع فى مشكلات بسبب حب الظهور هذا ..

ثم ان الثقة الكاملة بالنفس تنقصه . عدم حصوله على رخصة قيـادة يدل على ذلك ...

وعندما فكر فى أمر نفسه وتواضــــع لله وقنع بما هو فيه بدأ ذلك الحــــلم يتلاشى ..

وشابة تحلم دائما بأنها تحس بنفسها مكشوفة امام العيون

وجاءتنى سيدة شابة تقول انها ترى نفســـها فى حلم متكرر وكأنهـــا بغير ملابس ...

لا احـد فى الحلم يراها بغير ملابس ولكنها هى تشعر بأنها مكشـــوفة أمام الناس ..

هذا الحلم يؤرق امنها . انهـا تخشى فضيحة ما ...

انها ســــيدة متزوجة على خلق كريم وحشمة تامة . وزوجها يحبها ولكن الله لم يرزقهما ولدا ..

قلت لها : ولماذا لا تحاولين ان تحمل . اذهبى الى طبيب نساء وحاولى .

وذهبت الى طبيب وطبيب وطبيب .. وفى النهاية حملت .. وأنجبت ولدين .. وتلاشى الحلم .

وكان الذى جعلنى أنصحها بذلك هو ما قررته هى فى جلساتى معها بأنها من أسرة ريفية كثيرة العيال . وفى قريتهم يعير الانسان اذا لم ينجب

واذن فهذا الحلم دلالته أنها تشـــعر انها مكشوفة أمام أهل قريتها . لانها لم تنجب . والستر الذى كانت تبحث عنه هو الولد ..

وكانت مخطئة عندما أهملت مســـألة العلاج ..



وعندما تشعر فى المنام وكأن على صدرك وزناثقيلا فلا تخف فان هـذا ليس انذارا بشر مقبل وانمـا هو يـدل على انك فى موقف عسير وتحـاول التخلص منه ...

لا تخف من الاحلام المفزعة ...
فلا علاقة للاحـــلام بالغد ...

هذه الاحلام المتكررة اذن هى التى لها معنى ومغزى

لو حلمت مرة انك تخلع ضرسا فلا تكترث لهذا الحلم ، لن يموت شخص عزيز عليك .. هذا ليس انذارا ! ..

ولو حلمت نفس الحــــلم خمس مرات على فترات متباعدة وفى صور شتى كانت للحلم دلالة ...

وليست دلالته انك ستفقد عزيزا ...

بل دلالته ربما كانت انك غير مطمئن على صحتك. قد تكون من الاشخاص المصابين بوسواس المرض . اقل الم فى اى جـزء من جسمك يجعلك تفـــرض اســـوا الاحتمالات ..

لا بد ان تتخلص من هذا الوهم ..

لا تثق بتفسيرات الاحـــــلام التى يملأون بها اذنيك ...

لا ترى نفســـــك فى المنام فى ثوب ابيض فتظن ان ذلك انذار بالمـــــوت قريبا ..

الاحلام لا علاقة لها بالغد ...

انها تتكون من نسيج حياتك بالامس واليوم .

والاحلام المتكررة وحدها هى التى لها دلالة نفسية ويمكن علاجها ...

فيمـا عـدا ذلـك ، نم هنيئـا واحلم بما تريـد ولا تكترث ! ..

مع طلائع القرن الهجري الخامس عشر

نظرة شاملة على تحديات القرن الأخير

● أنور الجندى ●

يوشك القرن الرابع عشر الهجرى – (الذى يوافق بالتاريخ الميلادى عامى ١٨٨٣ – ١٩٨٠) على نهايته . وهو قرن حفل بالاحداث الجسام وكان بعيد الأثر في التحولات الخطيرة التي واجهت جغرافية العالم الاسلامي وتاريخه ومصيره ، ومن ثم فقد كان لابد من نظرة شاملة الى القرن الرابع عشر ، قبل الحديث عن التحديات التي تواجه القرن الجديد ، وتتمثل هذه النظرة في عدة عوامل ضخمة هي :

اولا : استكمل فيه الاستعمار الغربي عملية تطويق عالم الاسلام ، وهي الخطة التي بدأها الاستعمار قبل ذلك بوقت طويل ، هذه المرحلة التي بـدأت بعد سقوط الاندلس مباشرة وعلى أيدي قوات اسبانيا والبرتغال التي أخذت تغزو سواحل افريقيا وتنتزعها من أيدي أصحابها المسلمين ، ثم امتدت هذه الحركة حتى بلغت شواطىء الهند وسيطرت على جزر الملايو وكانت مقدمة للاستعمار الهولندى في اندونيسيا ، والبريطاني في شبه القارة الهندية .

كذلك فان قوى النفوذ الروسي أخذت في نفس الوقت تنتزع الأجزاء الاسلامية في آسيا « القوقاز والقريم وبخارى والتركستان » .

وقد استولت فرنسا على الجزائر وتونس والسنغال ومدغشقر والمغرب بين عامى ١٨٤٧ – ١٩١١ ، واحتلت ايطاليا ليبيا والصومال واريتريا (١٨٨٧ – ١٩١١) ، واحتلت اسبانيا الريف « المغرب الأقصى » واحتلت هولندا جزيرتي جاوه وسومطرة ومايعرف الآن باسم اندونيسيا « ١٦٢١ – ١٨٧٤ » ، واحتلت بريطانيا شبه القارة الهندية « البنغال والبنجاب » ونيجيريا ومصر والسودان وزنجبار وجزيرة قبرص .

ولم يبق في أول القرن الرابع عشر الهجرى على استكمال تطويق عالم الاسلام الا خطوات قليلة ، فقد احتلت مصر عشية بدأ القرن ، ثم احتلت المغرب ، وفي ابان الحرب العالمية الأولى احتلت فلسطين والعراق وسوريا ثم سلمت فلسطين للصهيونية وقسمت تركة الدولة العثمانية بين فرنسا وانجلترا .

ولكن العالم الاسلامي لم يستسلم للاحتلال الأجنبي ، وقاومه مقاومة شديدة احتشد لها بالنماء والأرواح ، وقد عرفت قبل بداية القرن مقاومة الأمير عبدالقادر الجزائرى للفرنسيين من ١٨٣٠ – ١٨٤٧ وتوالت حركات المقاومة وامتدت . وفي مصر كانت مقاومة احمد عرابى للاحتلال البريطاني ، كما كانت مقاومة محمد احمد المهدى للانجليز في السودان ، ومقاومة الشيخ شامل للروس في القوقاز .

وكانت حركات المقاومة في الهند للاستعمار الانجليزى وفي ارخبيل الملايو للاستعمار الهولندى ، وفي قلب افريقيا للاستعمار البريطاني والفرنسي .

وعرفت أسماء عمر المختار في مقاومة الاستعمار الايطالي في ليبيا ، وعبد الكريم الخطابي في ريف المغرب ، كما عرفت ثورة أحمد بن عرفان في الهند ، وثورة يعقوب في التركستان ، ولم يتوقف

● لم يتوقف المسلمون خلال القرن الرابع عشر عن المقاومة حتى أرغموا الاستعمار الغربي على إعادة النظر في مخططاته والنزول على إرادة المسلمين والعرب

● واجه العالم الإسلامي خلال القرن الرابع عشر ما يسمى معركة الاستعمار الثقافي والاقتصادي ، وهي المتمثلة في البدائل التي أقامها النفوذ الأجنبي

المسلمون خلال القرن الرابع عشر عن المقاومة حتى أرغموا الاستعمار الغربي على اعادة النظر في مخططاته والنزول على ارادة المسلمين والعرب على النحو الذى حقق لهم الانتقال الى مرحلة الاستقلال

وعرفت هذه المرحلة محاولات متعددة للاصلاح والبناء ومواجهة النفوذ الأجنبي من خلال حركة اليقظة الاسلامية ودعوات جمال الدين ، ومحمد عبده ، والألوسي ، والدهلوى ، والدكالي ، وابن باديس ، والطاهر بن عاشور ، وعشرات من المصلحين الذين كان لهم أبعد الأثر في يقظة الفكر الاسلامي .

●●●

وهكذا نجد أن القرن الرابع عشر بدأ باستكمال حركات الاحتلال ، ولكن سرعان ما نزل عند ارادة المسلمين والعرب الذين استطاعوا في شطره الثاني أن يحققوا خطوات واسعة نحو الاستقلال والتحرر وفيه جلت القوات الاجنبية عن معظم أجزاء العالم الاسلامي . وبدأت خطوات الوحدة والاتحاد عربيا واسلاميا

●●●

ثانيا : شهد القرن الرابع عشر الهجرى الذى نوشك أن نودعه تحديات الغزوة الصهيونية التي بدأت خطواتها الأولى في مؤتمر بال ١٨٩٧ ، حيث توالت الخطوات بالتآمر والغدر من أجل السيطرة على فلسطين ، فكان أول قرار رسمي يعطى الصهيونية العالمية حق الاقامة هو تصريح بلفور ١٩١٧ ، ثم قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ ثم احتلال بيت المقدس ١٩٦٧ . وكان الاحتلال البريطاني هو الذى حضر لهذه المؤامرة الخطيرة باستيلائه على شئون الانتداب في فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى ، وكانت الولايات المتحدة من بعد هي التي عمقت هذا الكيان ودعمته بالاشتراك مع روسيا السوفييتية .

ولاريب كان النفوذ الاجنبي يرى في سيطرة الصهيونية على فلسطين وقيام اسرائيل : انها قاعدة لاستمرار سيطرته على العالم الاسلامي ، وكانت بريطانيا وأمريكا من بعدها ترى في الاحتلال الصهيوني لفلسطين بديلا من الاستعمار الذى انتهى عهده ووسيلة لاستمرار رسالتها الاستعمارية والسيطرة الاقتصادية والثقافية على أخطر أجزاء العالم الاسلامي ، ولاسيما منطقة قناة السويس الاستراتيجية والقدس التي يتمثل فيها نفوذ الأديان الثلاثة « الاسلام والمسيحية واليهودية » .

ولاريب ان لقيام الدولة اليهودية في فلسطين تاريخا طويلا استهدف القضاء على الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وتقسيم البلاد العربية بين فرنسا وانجلترا وكان للماسونية دورها الخطير في تحقيق هذه الخطوات التي ادت الى تمزيق الوحدة الاسلامية ، وقيام الكيانات الاقليمية ، وايجاد روح الصراع بينها وفي داخلها • والواقع ان الصهيونية كانت تحديا جديدا للعالم الاسلامي أصبح مع مرور الايام اشد خطرا من الاستعمار الذي امكن انهاء احتلاله من اغلب أجزاء العالم الاسلامي • ذلك ان الاحتلال الصهيوني لفلسطين قد اخذ صورة اشد عنفا من الاستعمار نفسه ، فهو استعمار استيطاني من نوع اشد خطورة • ذلك ان الصهيونية لم تكتف بما أطلق عليه وطن قومي لليهود ، ولكنها لم تلبث أن أعلنت عن مخطط واسع لبناء امبراطورية كبرى يجري العمل لتنفيذها بالتوسع والاحتلال لأراضي الدول العربية المجاورة ، حتى تتحقق مؤامرة « من النيل الى الفرات » وان اسرائيل تعدت حدود التقسيم منذ اليوم الاول وتوسعت أكثر من مرة وضمت القدس والضفة الغربية وصحراء سيناء وهضبة الجولان منذ عام ١٩٦٧

ولعل هذا هو الخطر الذي مازال يواجه العالم الاسلامي على مشارف القرن الخامس عشر الهجري •

•••

ثالثا : ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية بوادر خطر جديد في مواجهة وحدة العالم الاسلامي وحريته ومصادر ثروته ، تلك هي محاولات النفوذ الشيوعي في السيطرة على بعض أجزاء البلاد العربية والاسلامية تحت اسم مؤازرة هذه الشعوب على التحرر من الاستعمار القديم والنفوذ الغربي •

ولقد واجهت بعض البلاد الاسلامية « محاذير » هذه التجربة الشيوعية وتكشف مدى الاخطار التي تعرضت لها وخاصة اندونيسيا ومصر وبعض بلاد القارة الافريقية •

وقد تبين بوضوح خيوط مؤامرة يجري حياكتها وتديرها القوتان الصهيونية والشيوعية من وراء ستار من أجل السيطرة على مقدرات العالم الاسلامي ، وقد كشفت حوادث كثيرة ووقائع متعددة هذا الخطر وتلك المحاولة . ولقد استطاعت بعض الدول التي أحسنت الظن زمنا بالكلمات البراقة الخادعة ، أن تتخلص بسرعة من النفوذ الشيوعي ،ولا تزال الدول أخرى تحاول ذلك ، وتعكس صورة الصراع في افريقيا مدى المخاوف الخطيرة التي تواجهها القارة نتيجة تغلغل النفوذ الشيوعي وتزايده في هذه السنوات الاخيرة من القرن الرابع عشر وخطر انطلاقه الى مواقع الثروة البترولية والمنافذ الاستراتيجية •

•••

رابعا : واجه العالم الاسلامي خلال القرن الرابع عشر : ما يسمى معركة الاستعمار الثقافي والاقتصادي ، وهي المتمثلة في البدائل التي اقامها النفوذ الاجنبي بعد انسحابه العسكري والسياسي الظاهر وتتمثل هذه البدائل فيما يسمى بالغزو الثقافي والتغريب وهي محاولات ترمي الى القضاء على الذاتية العربية الاسلامية وصهرها في بوتقة الاممية وخلق قوى مؤازرة للنفوذ الاجنبي في البلاد العربية والاسلامية عن طريق بث الدعوات الهدامة والحركات الوافدة وخاصة « البهائية والقاديانية والماسونية وغيرها •

ويحظى عالم الثقافة والتعليم بالدور الاكبر من التحدي ، كذلك فان هذه المحاولات تستهدف اللغة العربية والقرآن وتاريخ الاسلام وقيم الاسلام الاساسية في محاولات متعددة ومختلفة للحيلولة دون تمكين البلاد الاسلامية من تحرير

إن المسلمين يؤلفون وحدة إقتصادية إلى ما يوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك وطراز مشترك

ارادتها واحكام سيطرتها على مقدراتها والتماس منهج الاصالة في الحكم والتربية والاجتماع وخاصة مايتعلق بتطبيق الشريعة الاسلامية واسلوب التربية الاسلامية والتحرر من سيطرة امبراطورية الربا والتخلص من تبعات الانحلال والاباحية التي تتمثل في ركام فساد الحضارة الغربية في مرحلة التحلل والانهيار .

●●●

خامسا : لا تزال الخطوات مستمرة من اجل اعادة توحيد العالم الاسلامي. وقد شهد منتصف القرن الرابع عشر محاولات متعددة ومؤتمرات مختلفة وكان أبرزها المؤتمر الاسلامي في لاهور والرباط وقد شملت هذه المؤتمرات تجمعات وخططا تستهدف الى وضع خطط للتكامل الاقتصادي ولمحو الخلافات والفوارق القبلية والوطنية من بين جميع شعوب العالم الاسلامي واحكام الرابطة الاسلامية باتخاذ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مصدرين للهداية والتوحيد والعمل على تحقيق الاتحاد بين زعماء الشعوب الاسلامية وادخال عناصر التعليم الاسلامي في جميع مناهج الدراسة والعمل على دعم اللغة العربية وتعميمها باعتبارها لغة الثقافة والعقيدة وبمثابة اللغة الثانية بعد اللغة القومية .

ولقد كان من بين قرارات هذه المؤتمرات مانص على « ان المسلمين يؤلفون وحدة اقتصادية الى مايوجد بينهم من دين مشترك وشعور مشترك وطراز مشترك فاكثر الاقطار الاسلامية مناطق متجاورة وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ، ذلك هو طراز اقتصادياتها ، اذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لاتزال في مرحلة الزراعة والعامل الهام هو اننا اذا كنا مستقلين نوعا سياسيا الا اننا لا نزال من الناحية الاقتصادية في قبضة الأمم القوية ولم يستطع بعضنا، حتى بعد الحصول على الاستقلال ، التخلص من العبودية الاقتصادية » .

●●●

سادسا : كشفت السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر عن تملك العالم الاسلامي لثلاثة عناصر من القوة التى تمكن الأمم من استعادة مكانتها الحق، وهي الثروة المالية والطاقة والتفوق البشرى .

ولاشك كانت معركة رمضان علامة على طريق جديد للعالم الاسلامي من حيث ان العرب أصبحوا قادرين على مواجهة القوى الغازية باحدث وسائل العلم والتكنولوجيا واصبحوا يمتلكون القدرة على ايجادها واستعمالها وانهم حققوا النصر بها عن طريق مفهوم الاصالة الاسلامي الذى يجمع بين الايمان الروحي والاعداد المادى باعتبار ان هذا هو اسلوب المسلمين على طوال تاريخهم في مواجهة العدو والمرابطة في الثغور

هذه نظرة سريعة للماضي ، ويبقى علينا بعد ذلك ان نلقى نظرة على مطالع القرن الجديد ... ●

حول مذكرات محمد فريد

قصة تثير الجدل

بين المؤرخين والسياسيين أيضاً

● د . محمد انيس ●

... اخيرا تشجع مركز تاريخ ووثائق مصر المعاصرة فى نشر جزء من مذكرات الزعيم محمد فريد ، وهى التى تتنــاول الفترة من ١٩٠٤ حتى وفاته فى برلين فى نوفمبر ١٩١٩ وقد عنونها الزعيم الراحل تحت عنوان ((مذكرات بعد الهجرة)) .

وعلى الرغم من انها ليست مذكراته بعد الهجرة على وجه التحديد لانه هاجر عام ١٩١٢ ، الا ان هذه المذكرات تتناول الحقبة مابين ١٩٠٤ الى اكتوبر ١٩١٩ .

وقصة هذه المذكرات معروفة لدينا ذلك انه بعد هجرته مع صديقه اسماعيل لبيب فى ١٩١٢ وقبل شعوره بالوفاة مباشرة ، ارسل الى اسماعيل لبيب فى جنيف حيث كان يقيم هناك ، فجاءه صــديقه على عجل ، وسلمه الزعيم محمد فريد صــندوقا من الاوراق ليسلمها الى ابنه المرحوم عبد الخالق فريد .

ومن سخرية القــدر ان اسماعيل لبيب قد مات قبل ان يــسلمها الى عبد الخـــالق فريد ، فقامت زوجة اسماعيل لبيب بتسليم هذه الاوراق الى عبد الخالق فريد .

وتطرح هذه المذكرات قضايا عديدة فى مقدمتها تعريف المذكرات .

وينقسم الرأى حول هذا الموضوع فى : ان صــاحب المذكرات هو الــذى اشترك فى صنع الاحداث وكتبها . هذا راى بعض المؤرخين .

والرأى الاخر : ان المذكرات يكتبهــا المعــاصر للاحــداث وليس بالضرورة صانعها ، اى المراقب لها وليس المشترك فيها ..

ويتردد المؤرخون بين هــذا الــراى وذاك ، فعلى سبيل المثال : —

كتاب عبد الرحمن الجبرتى المعنون ((عجائب الآثار فى التراجم والاخبار))

هل هذه مذكرات شخصية ام تدخل فى باب المؤلفات التاريخية .

مع ان الجبرتى لم يشترك فى اى حقبة من هذه الحقب فى صــنع احداثها ، فقد كان ساخطا الى حد ما على حكم المماليك ، وزاد ســخطه على الحكم الفرنسى ، ثم ازداد سخطه بدرجة اكبر على الفترة التى عاشــها فى عصر محمد على ...

فى كل هــذه الحقب كان الجــبرتى مراقبا منفعلا بالاحداث ، موضوعيا على قدر ما يمكن ان يكون عليه الانسان موضوعيا .

ان غالبية المؤرخين يعتبرون ((عجائب الآثار)) بمثابة مذكرات لان الرجل كان معاصرا لهذه الاحداث وانفعل بها وكتب عنها .

نقول ذلك لان محمد فريد فى كتاباته يتعرض لمثل هذا الجــدل ، ذلك لان



محمد فريد : أحـدثت غيبته في أوربا خصومة بين صفوف الحزب xxx



الجبرتي : كان ساخطا على حكم المماليـك والفرنسيين والفترة التي عاشها في عصر محمدعلي

محمد فريد كتب كتابا تحت عنـوان «تاريخ مصر العثمانية من عام ١٨٩١ – ١٨٩٧» . وقد خرجت هذه الكتابات محققة على يد الدكتور رءوف عباس – الاستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة .

خلال هذه الكتابات لم يكن محمد فريد مشاركا للاحداث وانما كان مراقبا لها منفعلا بها – وكان محمد فريد فى سلك القضاء فى ذلك الوقت .

ونشرها الدكتور / رءوف عباس تحت اسم مذكرات محمد فريد فى العام الماضى ، وثار الجدل حول هل هذه مذكرات ام لا ، لان محمد فريد لم يشترك فى صنع الاحداث بل كان مراقبا لها ومنفعلا بها .

ويصر بعض المؤرخين على أن هذه مذكرات وان كانت تأتي في الاهمية من ناحية مذكرات الرجل السياسي الذى شارك فى صنع الأحداث .

ويبدو أن هذه القضية تحتاج الى مزيد من البحث والمناقشة بين المؤرخين حتى يصلوا الى رأى موحد .

القضية الثانية التى تلفت النظر فى « مذكرات بعد الهجرة عام ١٩٠٤ – ١٩١٩ » ، هى .. تقييم الدور الوطنى الذى لعبه محمد فريد ..

هل كان بقاء محمد فريد فى مصر يكافح ويتعرض للاضطهاد أفضل ، أم كان أفضل للحركة الوطنية كلها أن يسافر الى الخارج للدعاية للقضية المصرية ؟

١ – أصحاب الرأى الاول يصرون على ان خروج محمد فريد كان خطأ ، ويسمون هذه القضية « الكفاح على طريقة محمد فريد » أى الكفاح الخارجى .

٢ – أما أصحاب الرأى الثانى فيرون : انه لم يكن فى امكان محمد فريد تحت وطأة الاستعمار البريطانى الصارمة ان يتحرك فى مجال نشاطه .

ومرة أخرى تظل هذه المشكلة موضع خلاف بين المؤرخين والسياسيين ... معا .

وقد يكون أصحاب الرأى الثانى أكثر صوابا ، لانه يلاحظ أن محمد فريد حينما قامت ثورة ١٩١٩ دهش بها دهشة كبيرة ، ولم يكن يتوقعها ، ولعل هذه الدهشة ترجع الى غيابه عن الساحة السياسية المصرية نفسها ، ثم ان غيبة محمد فريد فى أوربا قد أحدثت خصومة عنيفة وانقسامات بين صفوف الحزب الوطنى .

فكان هناك الجناح الرئيسى وهو جناح القيادة الذى يتزعمه محمد فريد .

ثم كان هناك جناح آخر وهو الذى

حول مذكرات محمد فريد

يتزعمه عبد العزيز جاويش ، ثم جناح ثالث يميل الى الطاعة والولاء بشكل كامل الى الخديو عباس حلمى الثانى ويمثله تشريفاتى الخديو عباس المعروف بيوسف الصديق وهو ابن « صديق المفتش » الذى قيل عنه انه قتل فى عهد الخديو اسماعيل .

كما يمثله ايضا على فهمى كامل شقيق « مصطفى كامل » .

ومثل هذه القضية مثار جدل بين المؤرخين والسياسيين ايضا .

والبعد الثالث الذى تثيره هذه المذكرات ان محمد فريد المولع بكتابة التاريخ قد كتب تاريخ مصر فى الفترة ما بين عام ١٨٩١ ـ ١٨٩٧ ، ومذكرات سياسية فى الفترة ما بين عام ١٩٠٤ ـ ١٩١٩ .

ولكن الفترة ما بين عام ١٨٩٧ ـ ١٩٠٤ يحوطها الغموض التام بالنسبة الى محمد فريد ، فهو لم يكتب عنها ، ولم ينشر شىء منسوب اليه من هذه الفترة ، فهل سقطت هذه الفترة من هويته التاريخية وضاعت من أوراقه الخاصة ، أم ان انشغاله بالعمل الوطنى لم يترك له مجالا للكتابة فيها ، أم انها ما زالت محجوبـة بين ورثة الزعيم الراحل .

كل هذه اسئلة تستوقف النظر لمن يتفحص تاريخ مصر بشكل عام فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وبالذات الحركة الوطنية ... وعلى وجه التحديد دور محمد فريد فى الحركة الوطنية أو كتاباته عن الحركة الوطنية .

غير ان الاستاذ الكبير المرحوم عبد الرحمن الرافعى الذى كان تلميذا لمحمد فريد كتب فى كتابه عن محمد فريد ... أن محمد فريد قد اضطر الى اتلاف او احراق الكثير من أوراقه بعد مقتل بطرس غالى ـ على يد ابراهيم الوردانى .

وكان ابراهيم الوردانى عضوا سريا فى الحزب الوطنى وعلى صلة وثيقة بمحمد فريد .

وثمة بعد آخر تثيره هذه المذكرات وهو :

تشكك محمد فريد فى كافة الشخصيات التى تعرض لها .

وقد يكون هذا التشكك راجعا الى حذر ذاتى من طبائع الزعيم محمد فريد ، او يكون له ما يبرره من ملاحقة الانجليز لنشاطه فى الخارج ، خصوصا وانه كان يعمل فى سلك القضاء والنيابة قبل ان يستقيل منها فى مصر .

ولكن يبدو الأمر هنا غير مقنع كثيرا على الرغم من كل هذه الاحتمالات اذا ذكرنا مثلا :

ان الطبيب الذى فحص محمد فريد « وكان مصابا بداء الكبد » قد نصحه بالعودة الى بلاده الدائنة .

فيقول عنه محمد فريد : ان هذا الطبيب كان جاسوسا للانجليز عليه ..

والأمر يبدو أغرب حين يتعرض محمد فريد فى مذكراته هذه الى مدام دى روشبرن الفرنسية التى كانت قرينته والتى أنجب منها طفلا ما زال يعيش فى باريس باسم ريشار ـ ويملك محلا صغيرا فى حى نوتردام ، ليس بعيدا عن منزل والدته ، يفرق بينهما نهر السين .

وقد قدر لى ان اقوم ، بصحبة الدكتور حسين فوزى ، بزيارة هذه السيدة فى باريس مرتين ، وزيارة ابنه مرة واحدة فى عام ١٩٧٥ ، وكان هدفى هو الحصول على مذكرات تكون قد كتبتها هى أو رسائل من الزعيم محمد فريد لها .

وقد استطعت بالفعل الحصول على هذه المذكرات وهى فى طريقها الى النشر باللغة العربية ، وتأتى اهمية مذكرات هذه السيدة فى انها تضع الكثير من خطابات محمد فريد فى مذكراتها .

ومع ذلك ... فليست هذه المذكرات سواء الخاصة بمحمد فريد والتى تم نشرها بالفعل .. او مذكرات مدام دى روشبرن كافية تماما لاعطاء صورة كاملة عن محمد فريد .

ذلك لأن خطابات محمد فريد التي أرسلها الى عدد من السياسيين الغربيين أو العرب والرسائل التى وردت اليه من هؤلاء تشكل من وجهة نظرى الحجر الأساسى لصورة محمد فريد المتكاملة .

●●●

ولاشك أن هناك أفكارا كثيرة يطرحها محمد فريد فى « مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ — ١٩١٩ » اذ مما لا شك فيه أن محمد فريد كان شديد الاعجاب بحركة الاتحاد والترقى ووثيق الصلة أيضا بزعماء هذه الحركة ، وهى الحركة التى أطاحت كما نعلم بالسلطان



عمر سلطان

عبد الحميد فى ١٩٠٨ .

والطريف ان محمد فريد يذكر فى هذه المذكرات انه زار الآستانة فى ١٢ من أبريل من عام ١٩٠٨ لاول مرة فى حياته :

« وفى صبيحة ١٣ منه حصلت الحركة الارتجاعية المشهورة التى انتهت بعزل عبدالحميد بقوة حزب الاتحاد والترقى وهمة البطل محمود شوكت باشا .

« ومن غريب المصادفات أنها حصلت صبيحة وصولى ، فأخذت ارسل الأخبار تلغرافيا للواء فى اليوم مرتين او ثلاثة ، وكانت أخبارى أصدق اخبار الجرائد لانى كنت أستقيها من



طلعت حرب

أصدق المصادر حتى قال بعضهم انى كنت على علم بما سيحصل هناك ، ولذلك سافرت فجاة .

« والحقيقة أن سفرى كان لتوثيق الروابط بين حزبنا وبين رجال حزب الاتحاد .

« ولقد حضرت صلاة الجمعة مع السلطان عبد الحميد بجامع حميدية قبيل عزله ، وحضرت الصلاة فى أول يوم جمعة عقب تولية محمد رشاد الخامس بجامع آيا صوفيا ، ونشرت كل ما رأيته مفصلا فى مقالاتى التى نشرها اللواء حينئذ » .

●●●

غير أننى أعتقد أن من اطرف ما جاء فى هذه المذكرات موضوع هجرته الى الخارج ، اذ يذكر ان هجرته الى الخارج حدثت بعد ان اقفلت صحيفة اللواء نهائيا فى سبتمبر او اكتوبر عام ١٩١٢ .

ويذكر « وكان لعمر سلطان ووكيله حرب « أى طلعت حرب » وعلى فهمى ورجاله الفضل الاكبر فى ذلك » .

كما يذكر انه اضطر الى ان يخفف حدة خطابه السنوى فى الجمعية العامة للحزب الوطنى يوم الجمعة ٢٢ من مارس عام ١٩١٢ .

ويحدد أنه منذ ذلك اليوم بدأ تفكيره فى الهجرة فيقول :

● البقية العدد القادم ●

● د. محمد انيس ●

صبيحة المرقص الصاخب



● ادوارد حنا سعد ●

خَرَجتُ والفجر سِرٌّ عن كتمه ضاق صدر
عن ساحة الرقص تَمضي والخطو عسر ويُسر
دهَا عيون فتاتي في ردهة الدار ذُعْرٌ
ضاعَ السّوار .. فهل لي عن الرجوع مفرّ ؟

***

رجعتُ أطوي الطريق والذكريات رفيق
تَشْوي تبعثر حولي أصداء لحن رقيق
وسحر غيد سكارى من حسنها .. لا تفيق
والبِشر في الكأس طاف والشّجو فيها غريق !

***

بلغتُ باب السرور فالحجاب عن مهجور
ومظلم كنتُ فيه من ساعة ... وهو نور
وصامت كان دُنيا من الدويّ المثير
في ضجّة الرقص ماجت وفي دبيب الفتور !

***

وراء كتوم الحشايا والمنضدات العرايا
حطام كأس ... وزهر ممزّق في الزوايا
والخمر والنقل صارا ثمالة وبقايا ! ...
أشحت أهرب منها فحاصرتني المرايا !

***

ما أكذب العنوان في قصة الانسان
تذوي الثمار .. وتنمو تفاحة الحرمان !
والدهر في الناس يبني والفأس في الجدران
ولا يزال الزمان بالكرّ .. حرب المكان !

سيناء
فى نظرنا جزء من أرضنا الطاهرة
سيناء
فى نظر إسرائيل مجال للجشع وأداة للدعاية والتضليل

على قمة ذلك الجبل ، وهو جبل الطور ، كلم الله موسى تكليما ... والجبل فى جنوبى سيناء ، يرى منه البحر الاحمر من بعيد ، وفى قصة حديث الخالق سبحانه مع موسى يقال انه وهو يكلم الله سبحانه وتعالى طلعت الشمس ، ورأى نخلات وأشجارا من بعيد ، وسمع صوتا يقول له : تلك هى الارض المباركة .



سيناء

مثال من الفكر الاسرائيلى الضـــال وأساليب هؤلاء القوم فى خداع الدنيـا والناس .. ولكن اقدام الكذب قصيرة ، والقنـاع قد سقط ، وبدت للنـاس اسرائيل كما نعرفها نحن وكما ينبغى ان يعرفها كل الناس ..

● اكبر ما حدث خلال العـــام المنقضى بالنسبة لصراعنا مع اسرائيل ان قناعها ســـقط **واتكشفت للناس على حقيقتها .**

لقد كان خداع الناس وستر حقيقتها **عنصرا من** اكبر عناصر قوتها !

كانت تكذب ويصدقها الناس ..

وكنـا نقـول لهم انها تكذب فـلا **يصدقوننا .**

كنا نقول لهم ان كل ما فى اسرائيل خداع . كل كلمة يقولها رجالها كذب ، كل ما تدعيه من نفســـها قائم على تضليل . كنا نحن وحدنا نقول ذلك .

الآن تقوله معنا كل الدنيا . حتى اكبر أصدقاء اسرائيل فى الولايات المتحدة أصبحوا الآن يشـــكون فى ذلك الوهم الطويل الذى عاشوا فيه وكلفوا بلادهم الوف الملايين فى سبيله : وهم اسرائيل المظلومة ، الضعيفة ، المهـــددة ، التى تقوم وسط وحوش وهمج لا يفكرون الا فى الانقضاض عليها وافتراسها .. وهم اسرائيل البلد المتحضر وسط بلاد العرب غير المتحضرة ..!

اسرائيل التى ستجلب الحضـــارة والعلم والاستقرار فى المنطقة ..

اسرائيل التى لا تريد الا أن تعيش مع جيرانها فى سلام لتستطيع أن تعينهم على التقـدم والتحضر والســـير الى الامام ..

لا احد فى الدنيا يصدق ذلك الآن ..

والذى قلناه وكررناه وكذبونا فيـه يقولونه هم الآن ..

واقدام الكذب قصيرة كما يقولون .. تستطيع ان تكـذب مرة ومرتين ، وعاما وعامين وعشرين ، ولكن النـاس فى النهاية سيعرفون ، والحقائق لابد أن تنكشف للناس .

وفى خطاب صغير من خطابات القراء الى مجلة « دير شبيجل » ـ « المرآة » الالمانية كتب قارىء يقول بمناسـبة قرار لجنة جائزة نوبل تقسيم الجائزة **بين رجل السلام الحق انور السادات ، وبيجين صاحب مذبحة دير ياسين ، قالت سيدة من شتوتجارت : منذ الآن لـن اثق بقرارات لجنـة نوبل ابدا . اذا كان هنالك انسان واحد استحق ـ على طول تاريخ جائزة نوبل ـ ان ينالها عن السلام فهـو انور الســادات ، فكيف يعطونه نصفها فقط ؟**

***

وفى هذه الصفحات نعرض مثالا من تضليل اسرائيل للرأى العام العالمى . موضوع التضليل هذه المرة هو سيناء

تلك القطعة العــزيزة من أرض مصر وأرض العرب التى احتلها الاسرائيليون اثناء حرب يونيو الاسود سنة ١٩٦٧ .. لقد حسبوا يومها ان سيناء ستظل فى ايديهم الى الابد .

وكانوا يعرفون من البداية انهم لــن يستطيعوا أن يعملوا فى سيناء أكثر من احتلالها استعدادا لوثبــة اخرى على ارض العــرب ، لان تعمير ســيناء واستخراج كنوز ســيناء يحتاج الى الوف كثيرة جدا من ملايين الدولارات والى الوف كثيرة جدا من الناس ..

وعنـدما ذهب الاسرائيليـون الى الولايات المتحدة يطلبون اليها معاونتهم بالوف الملايين من الدولارات لتعمــير سيناء لم تستطع حكومة جونسون ان تقدم لهم الا جزءا ضئيلا مما طلبوه على الرغم مما نعرف من أن جونســون كان قلبا وروحا مع اسرائيل ..

ولكن لكل شيء حدودا ..

ومع ميل جونســون ودين راســك لاسرائيل الا انهما لاحظا ان الملايين التى اخذتها للتعمير استعملتها للتســليح . انفقتها فى بناء خط بارليف . وبعد ان فرغت من بناء سد « ياجوج وماجوج » ـ هذا كما تصورت ـ ذهبت مرة أخرى الى الحكومة الامريكية تقول انها الان حصنت سيناء ، ولن يستطيع الشيطان ان يقتحم عليهم سيناء ، وقد جاء دور التعمير ...

وكان جونسون قد خرج من البيت الابيض وحل محله نيكسون والى جانبه هنرى كيسنجر ..

واتفق الاثنان على ضرورة التريث فى هذا الموضوع .

وانطلق رجــال اسـرائيل يعملون ويرتبون لكى يرغموا الولايات المتحـدة على التسليم بما يريدون .

***

كانت وسيلتهم عمل حمــلة اعلامية عالية تقول انهم عمروا سيناء وعملوا فيها المعجزات ..

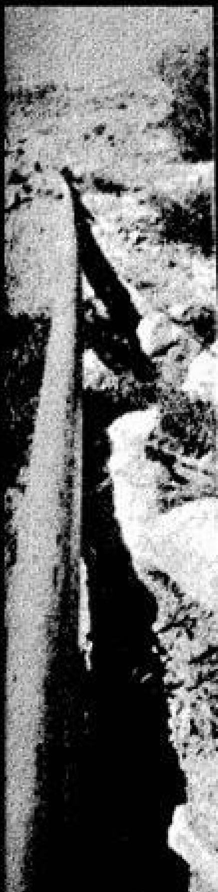
وكما هى العــادة كان ما يكتبونــه

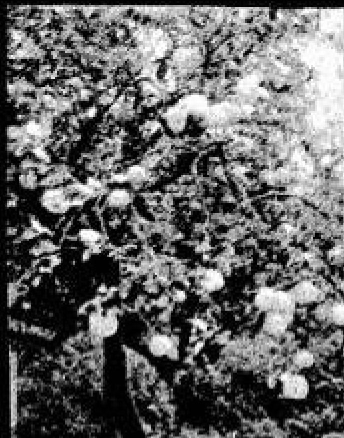




فى الصورة العليا .. فى واد وسط جبال سيناء يقوم دير سانت كاترين المشهور ، وترى مبانيه وقبة كنيسته .
وفى الســفل .. راهب مصرى من رهبان الدير يقرأ فى الانجيل .

سيناء











في الصفحة اليمنى مجموعة من الصور يرى فيها .. شجرة برتقال يزعم الاسرائيليون انهم زرعوا منها ملايين في سيناء ، وهم يستخدمون مثل هذه الصور للدعاية

ولمثل هذا الغرض يلتقطون صورة حقل من حقول الطماطم ، ويزعمون انهم ادخلوا زراعتها الى سيناء مع اننا من عشرات السنين نزرع الطماطم في شبه الجزيرة العزيزة دون دعاية ودون كلام كثير ..

وفي الليل يغطون اشجار الطماطم باغطية من البلاستك لحمايتها من البرد القارس ، وهو امر معروف لنا من زمن كما يزعم الاسرائيليون انهم يستخرجون من ارض سيناء مقادير هائلة من الماء ، وهذه الصورة تكذب مزاعمهم ، فهي لانبوب يجلب الماء من نهر الاردن الى مزارعهم المزعومة . وصورة بئر تقليدية من آبار سيناء وعمرها الوف السنين وترى فيها التركيبة التي يقيمونها فوق فوهة البئر لانزال الدلو ، واستخراج المياه ..







بدات الحكومة المصرية تهتم بالاسرة والمراة الجديدة فى سيناء ، وارسلت المشرفات الاجتماعيات للتعليم والتوجيه .. وهذه مجموعة من الصور ، فيها نظرة تفاؤل لواحدة من بنات سيناء ، وطفل يترقب المستقبل السعيد ، وفى الثالثة مشرفة اجتماعية تقوم بتعليم فتيات من سيناء الخياطة والتطريز .



سيناء

لا يقوم على حقيقة ، لان الهدف من ورائه كان الايهام ، وبالايهام يحصلون على المال ..

قالوا انهم حولوا شرم الشيخ الى مدينة سياحية عالمية ، وانشاوا فندقا و « موتيل » و « سوبر ماركت » و « كورنيش » صغيرا على البحر ..

واشتغلت الدعاية فى العالم كله تقول ان الاسرائيليين عملوا فى سنوات ثلاث



مالم يعمله العرب في ثلاثة آلاف سنة!، انشأوا مدينة ومصيفا وطريقا على شاطىء خليج العقبة يؤدي الى شرم الشيخ .

وادرجت شرم الشيخ في نشرات الدعاية السياحية العالمية ، وانخدع الكثيرون وذهبوا الى آخر الدنيا ليجدوا فندقا و « موتيل » وبعض البارات و « سوبر ماركت » ثم ماء البحر الاحمر ..

والذين ذهبوا الى شرم الشيخ مرة لم يذهبوا اليها الثانية ..

لكن الدعاية العالمية استمرت ، بل جرؤ الاسرائيليون على الدعوة الى عقد مؤتمر السياحة العالمي في شرم الشيخ، وتبرع بالتكاليف الصهيوني البارون ادمون روتشيلد .. وانفق يومها ملايين الفرنكات ، واشترى اراضي واسعة عند شرم الشيخ على امل أن يبيعها يوما من الايام باضعاف ثمنها ..



هذه هي شرم الشيخ التي مــلأوا الدنيا دعاية بانهم حولوها الى بــلدة سياحية من الدرجة الاولى . وهذا هو الساحل هناك الذي يقولون في دعايتهم انه جنة الغواصين . قريبا من هذا الســاحل اقاموا فندقا وموتيلا ودعوا الناس من اقاصي الارض للاصطياف والتشمس هناك .. الآن اخلى الفنادق والموتيل . ولم يبق الا الكلب ..

ســيـنـــاء

سيناء

ولكن اكذوبة المدينة العالمية فى شرم الشيخ لم تلبث أن انكشفت والـذين اشتروا الأراضى هناك اخذوا يبيعونها ويعودون من حيث اتوا . وكان يهودى فرنسى من اهل نيس قد باع بارا كان يملكه وهاجر بامواله الى شرم الشيخ، وهناك فتح بارا واخذ ينتظر الايراد العظيم .. وبعد خمس سنوات عاد الى فرنسا ليعمل « جرسون » فى نفس البار الذى باعه .. !

ووقفت اكذوبة شرم الشيخ .

والفندق الذى هناك استعملوا معظم ادواره مصحا لمرضى الصدر ..

والذين يذهبون للاصطياف هنـــاك هم الذين يبحثون عن المصيف الرخيص، وهم يأخذون الى هناك جماعات العمال وطلبة المدارس .

ومازالوا يتبجحون

وفى ادلة السياحة العالمية ما زالت شرم الشيخ تدرج على انها من اجمل مصايف الدنيا ، ولا ندرى من هو المجنون الذى يترك شواطىء البحر الأبيض لكى يذهب الى ذلك الوكر الممل الذى انشأوه فى شرم الشيخ .

***

لم التفتوا الى المستوطنات ..

ونحب أن نقول هنـــا ان هـذه المستوطنات التى ينشئونها فى الاراضى العربية انما هى مؤسسات عسكرية وسياسية وليست عمرانية بحال ..

وفى سيناء بالذات دلت التجارب على الا مستقبل حضارى لها على الاطلاق . فمن الواضح ان مصر لن تسكت قط على شبر مسروق من أرضها ، وطال الزمن أو قصر ستعود سيناء الى مصر

والاسرائيليون يعرفون ذلك .

ولـكنهم يخـدعون على عادتهم ويضللون .

يذهبون بعيدا على الشاطىء عنـد بحيرة البردويل لينشئوا مستوطنة .

ولماذا هـذا العمق كله فى الارض المصرية ؟

لكى يساوموا عليها فيما بعد ..

وقد قرأت الكثير جـدا مما كتبه الاسرائيليون انفسهم عن المستوطنات ورأيت مرة فى لندن فيلما كاملا عنها .

المستوطنة الواحـدة تتكلف مبالغ لا تصدق ...

فان الماء يوصل اليها فى معظم الاحيان بتكاليف باهظة ...

فهم يريدون أن يزرعوا أشياء تبهر الأذهان وتستوقف النظر . بدلا من أن يزرعوا بطاطس مثـــلا يزرعون زهور الداليا أو الكريزنتيم ؛ لان الذى يقرأ الاخبار ويرى الصور والافلام الملونة يقول : يا سلام !. حتى الـــزهور زرعوها واخرجوها بهذا الجمال ؟ لابد انهم فرغوا من زرع القمح والـذرة والبطاطس حتى التفتوا الآن الى الكماليات ..

ومن المعروف أن زهور الداليـــا والكريزنتيم تستهلك ماء كثيرا جدا ، وأى رجل خبير بزراعة الزهور يعرف ذلك ، فاذا رأى صورة بالالوان لزهور الداليا التى انتجتها مستوطنة فى سيناء يقول : لابد أن هؤلاء الناس لديهم مقادير هائلة من المياه ..

ويقـول الاسرائيليـون فى دعايتهم : تصور أن العـرب عاشوا هنا آلاف السنين دون أن يعرفوا كيف يستخرجون لتر ماء ونحن الان نخرج مياها تكفى لزراعة آلاف الفدادين !.. هـذه المستوطنة التى ترى فى الصورة صفا من منازلها ستصبح بعد قليل مدينة



بدوى مصرى من اهل سيناء على قمة جبل الطور ، حيث كلم الله نبيه موسى عليه السلام تكليما ...



ســـيـنـــاء

الطريق الرئيسي في سيناء .. في صباح السادس من اكتوبر ١٩٧٣ أقبل اليهـود ليتناولوا بوالعهم على ضفة القناة ، وبعد الظهر اتى المصريون وازالوهم من على ضفة القناة .

سيناء

كبرى تتسع لمائة الف نسمة ، وقد وجدنا مقادير هائلة من الماء وكنوزا من المعادن ...

اما الحقيقة فهي ان هذا الماء آت في انابيب من نهر الاردن ، والانابيب مصممة على هيئة في غاية الدقة لكي يصل الماء الى جذر النبات مباشرة ، وهذا يتكلف اموالا طائلة ، اي ان كل زهرة داليا او كريزنتيم تظهر في الصورة تتكلف مئات الدولارات . ولكن خداع الاسرائيليين يذهب الى حد عرضها في محلات بيع الزهور في اكبر شوارع باريس وبيعها بثمن لا يصدق حتى يظن الناس انهم ينتجون منها مقادير ضخمة جدا ...

وقد اكتشفوا ذات مرة ان هذه الزهور ترسل من تل ابيب الى نابولي في ايطاليا وهناك تضاف اليها مقادير اخرى مزروعة في ايطاليا ، ثم ترسل الشحنة كلها الى لندن وباريس على انها كلها مزروعة في اسرائيل .

***

لقد تعاقدت شركة زراعية اسرائيلية ذات مرة مع مستورد هولندى للخضر والفواكه على توريد كميات من الطماطم والبرتقال والليمون .

وارسلت اليه بالفعل الكميات المطلوبة في المواعيد المحددة . ثم تبين بعد ذلك ان معظم هذه الكميات واردة من مزارع رجل يهودى فرنسي يعمل في قرسقه ويضع على كل برتقالة خاتم : مستورد من اسرائيل وكذلك على كل صندوق ، والسفينة تخرج من يافا وتمر على قرسقه وتحمل هذه البضاعة كلها الى مرسيليا حيث توزع في نواحي فرنسا كلها . ويتعجب الناس من ذلك البلد الصغير الذى يملأ الأرض انتاجا ، حتى جرؤ صحفي اسرائيلى ذات مرة وكتب يقول ان اعظم شعب منتج في الدنيا هو شعب اسرائيل . انه اكثر انتاجا من اليابان بالنسبة لحجمه وعدد سكانه ، ثم ختم مقاله قائلا : ولكن اسرائيل مظلومة لا تستطيع ان تؤدى دورها كما تريد ، لان من حولها أولئك العرب الذين يهددون هذا العمل الحضاري الضخم كله بالزوال ، ومن واجب الدنيا كلها ان تقف الى جانب هذه الأمة البطلة الشجاعة وتحميها .. تحمي الحضارة !

وفي الاستطلاع الملون الذى تراه على هذه الصفحات ترى الصورة التي يعرضون بها عرب سيناء المصريين . تصور .. أنهم يقولون انهم بذلوا أقصى ما يستطيعون لتحويلهم الى حضر مستقرين ، ولكنهم — أي العرب — لا يريدون ! انهم ، في رأى كاتب المقال لا يريدون الرقي ويرفضون التطور ، وكل ما استطاع رجال اسرائيل ان يفعلوه هو نقلهم من الخيام الى مدن الصفيح ! ..

***

اكاذيب واضاليل . هذا هو عالم اسرائيل . وكل شيء عندهم يستعمل للاساءة الى العرب وخداع الناس .

حتى أرض سيناء الطاهرة يستعملونها للدعاية لانفسهم ، وكان ينبغي أن تكون أبعد الموضوعات عن الدعاية ، حتى أرض جبل الطور حيث كلم الله سبحانه سيدنا موسى تكليما .

ولكن لا فائدة .

كانوا يحلمون بأن سيناء اصبحت لهم الى الأبد .

ثم جاءت حرب اكتوبر ، وعلى رمال سيناء صوحت آمال اسرائيل .

وخط بارليف العتيد أصبح مفخرة



هذه الصورة تنطق بتعاسة البدو المصريين الذين يعيشون فى سيناء تحت الاحتلال الاسرائيل . وهى تكذب كل دعاية اسرائيل واكاذيبها . انها لمصرية بدوية الى جانب كوخ من الصفيح هو كل ما تملك فى الحياة ، وهذا هو ما تعطيه اسرائيل للبدو الذين تزعم انها أتت لترتفع بمستواهم .

للجندى المصرى ووكسة لاسرائيل
ثم جاءت المبادرة وفتحت الدنيا كلها عيونها .

ورأى الناس اسرائيل على حقيقتها

ولن ينخدع الناس فيها بعد ذلك ابدا ...

واقول لاخوانى العرب اجمعين .
هونوا عليكم : سيناء ستعود بل عادت والضفة الغربية ستعود وغزة ستعود والقدس العربية ستعود ..

وكل ما نرجوكم فيه شىء واحد : لا تكونوا من الذين لا يعملون ويسوءهم ان يعمل الناس ٭٭٭

تقدموا فلا خوف عليكم باذن الله .
ضعوا ايديكم فى ايدينا ولنسر صفا واحدا ..
ويومها ستعود اليكم كل ارضكم ، كل ارضكم ، شبرا بشبر ٭٭٭
ويد الله مع الجماعة !

● د. حسين مؤنس ●



سيناء

مثال من أمثلة استخدام اليهود لسيناء كعنصر من عناصر الدعاية المضللة : مزرعة طماطم صغيرة لا يزيد حجمها على نصف فدان ، مغطاة بالزجاج ، والماء يأتيها من نهر الاردن ، ثم يقولون انهم حولوا سيناء كلها الى جنة خضراء ، ويزعمون انهم وحدهم حققوا المعجزة • وزيادة فى التضليل يأتون ببدوية ويقولون انهم حولوا البدو الى زراع •

تلك الخطى



● محمود المتريس ●

إذهبي عني ... رعاك الله أيـــان ذهبـــتِ
علَّني أبرأ بعـــدَ اليـــوم ... من حبِّي ومقتي

لم أكن « قيسَكِ » ـ يا هذى ـ ولا « ليلاى » كنتِ
فاذهبي ... حسبُكِ من تلكَ الخطى .. ماقد مشيتِ !

إذهبي ... حسبك أصـــداءَ من الدرب ـ وذكرى
ربَّمـــا تنجيكِ من وهم .. بدنيـــاك استقـــرا !

أنا من عاقـــرت أقـــداحَ الهوى .. حلْواً ومُـرا
لم أشأ تحطيمَ أقداحِكِ ... لكن أنتِ شـــئتِ !

لم أشـــأ ذبحَ المنى والعطـــر .. ما ذلك دأبي
إنَّني أحتضـــنُ الحســـنَ بعينيَّ ، وقلبي !

إن يكن بينكِ ذنبي ... فلقـــد آثرتُ ذنبي !
ربَّ ذنب ... يرأبُ المصدوعَ من جدران بيتي !

ربَّ ذنب يرقأ الأدمعَ .. في جفن الليـــالي
ويداوي برحيـــق الصبر أشجان الجمـــال

فاذهبي يامن لها ـ في التيهِ ـ كم قلت : تعـــالي
لستِ أنتِ المنَّ والسلوى لقلبي ـ لســـتِ أنت

لستِ أنتِ اللحنَ والنور الذي يحدو .. ويحدى
رغم تلك الفتنـــةِ النشوى .. وعمرٍ يتحـــدَّى

أنا ـ يا هذى ـ مدى في الحب .. لن يعجزَ مدَّا
حسب أيامكِ من أيامِـــه .. ما قـــد رأيتِ !

وحدة الثقافة الإسلامية ودور اللغة العربية فيها

● محمد خلف الله احمد ●

شاءت ارادة العليم الحكيم ، جل جلاله ، ان يصطفى لخاتمة رسالات السماء الى الارض رسولا من شبه الجزيرة العربية .. وان يجعل آيته المصدقة لرسالته ، المتضمنة لاصول شريعته ، كتابا معجزا بلسان عربي مبين .

وبهذا ارتبطت اللغة العربية بالاسلام ارتباطا وثيقا ، فانتشرت بانتشاره الى مختلف آفاق الارض ووسعت بعبقريتها وقابليتها للنمو والتطور تعاليمه وثقافته ، واقبل عليها المسلمون من كل جنس ولسان – ودون فرض او الزام – يصلون انفوسهم بجوهر الرسالة عن طريقها – ويتذوقون أدبها ويحلق الكثيرون من غير العرب منهم التعبير والدرس والتاليف والكتابة بها ، ويشاركون في نهضة علومها وآدابها ودراساتها ،وفى ضبط معجمها ، وتقنين نحوها وبيانها ، مشاركة أصيلة سجلها التاريخ ، وسجل لهم قصب السبق فى كثير من ميادينها .

وكان من أول ما اهتم به الخلفاء الراشدون – بعد ان لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بربه – جمع القرآن ثم تسجيل نصه على طريقة تحفظه من الخلاف – فى مصاحف معدودة ارسلت الى كبريات الامصار الاسلامية .

وكان الذى قام على جمع القرآن الخليفة الاول ابو بكر الصديق « رضى الله عنه » وقد عهد بذلك الى هيئة من المختصين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واخذ المتفقهون فى الدين من الصحابة كعلى وابن مسعود وابن عباس يبينون ما قد يشكل على الناس من آيات الكتاب واحكامه ، مهتدين فى هذا بما حفظوا من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله وفعله ، مستعينين بالرجوع الى اللغة العربية الفصحى التى نزل بها القرآن والى خصائص تلك اللغة فى دلالاتها واساليب تعبيرها ، وظلت جماعة المسلمين مدة تعتمد فى أمر السنة النبوية على الحفظ والرواية حتى اذا قارب القرن الهجرى الاول نهايته بدأوا حركة جمع الحديث النبوى وتسجيله وتبويبه ،وهى الحركة التى آتت ثمارها فى كتب « الصحاح » ومصنفات السنة التى حفظت للمسلمين المصدر الثانى بعد القرآن لشريعتهم وثانية المنارتين اللتين وعد الرسول المسلمين ألا يضلوا ما تمسكوا بهما ، وهما كتاب الله وسنة رسوله .

أدرك المسلمون ان اول ما يلزم للمحافظة على هذين الأصلين ، ولاستنباط الاحكام الشرعية منهما ، ان

تجمع اللغة العربية ونصوص أدبها وشعرها الذى يمثل ديوان العرب ، وأن تسجل الفاظ اللغة وتضبط دلالاتها وتراكيبها ،وتدرس صور التعبير وفنون الحقيقة والمجاز فيها ٠

وقد شهدت القرون الهجرية الثلاثة الاولى من تاريخ الاسلام فى هذا الميدان جهودا علمية لم تظفر بمثلها لغة أخرى – على ما هو معلوم من حيوات اللغات الكبرى فى تاريخ الانسانية ٠

وتمثلت هذه الجهود فى بضع نواح رئيسية ٠

الناحية الاولى :

جمع اللغة ونصوص شعرها ونثرها من افواه الرواة فى مختلف البيئات والقبائل وتصنيف رسائل وكتب ومجموعات تضم قدرا كبيرا من تلك الثروة اللغوية والادبية التى خلفتها العبقرية العربية فى مرحلة نموها وازدهارها الفنى قبل الاسلام ، وقامت على أساس هذه الجهود حركة وضع المعاجم اللغوية التى شغلت ولا تزال تشغل حيزا كبيرا فى تاريخ حياة اللغة العربية ٠

الناحية الثانية :

العناية بما يعين على صحة ضبط أواخر الكلمات ، اذ كانت اللغة العربية التى نزل بها القرآن لغة اعرابية تتغير فى اشكال أواخر كلماتها حسب مواقعها ووظائفها فى تركيب الكلام ٠ وقد بدأت سلسلة الجهود فى هذه الناحية منذ القرن الاول الهجرى بادخال علامات بالنقط تدل على حركة الحرف وعلى شكل أواخر الكلمات من رفع أو نصب أو جر ٠

وتطورت هذه الجهود حتى أثمرت علم النحو . وهو علم ذو قواعد وأصول وضوابط ، تساعد مراعاتها على سلامة الاداء وعدم الوقوع فى اللحن خصوصا بعد أن انتشر الاسلام ودخلت فيه أمم كثيرة لها ألسنتها وطرائق نطقها ٠ وعملت عوامل التأثير والتأثر عملها ، ونشأ اللحن عند سكان الحواضر والامصار ٠

والناحية الثالثة :

دراسة عبقرية الأدب العربى فى فنون صناعته ، وألوان صوره وخصائص نظم القرآن ودلائل اعجازه وأسرار بلاغته ، وأساليب الخطابة والكتابة الادبية ،وقد انبثقت عن هذه الجهود علوم لها شأنها فى الثقافة الاسلامية ، وعرفت بعلوم البيان والبلاغة العربية ، ودراسات ومؤلفات حاولت البحث العلمى والفنى فى اعجاز القرآن ٠

والناحية الرابعة :

تفسير الكتاب العزيز وتأويله اعتمادا على المروى فى هذا عن الرسول وصحابته والمأثور من أسباب النزول من جهة ، وعلى الدلالات اللغوية والصور البيانية وطرائق العرب فيها من جهة أخرى ، ثم التأليف العلمى فى مختلف نواحى القرآن من غريب ومتشابه وناسخ ومنسوخ ومكى ومدنى وغيرها ٠

ظفرت المكتبة العربية من هذه الجهود المتنوعة بكتب وموسوعات ، تآلفت فيها الدراسات الدينية والعلوم اللغوية والادبية والبيانية وظهر فيها التلاحم واضحا بين الاسلام واللغة العربية ٠ولم يجىء القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى / حتى كان الاسلام بلسانه العربى قد بنى حضارة عالمية زاهرة سمحة الاخذ والعطاء شارك فى صنعها المشرعون والفقهاء والمؤرخون والفلاسفة والرياضيون والادباء والفنانون من مختلف ديار الاسلام فى مشرقه ومغربه من عرب وغير عرب من مختلف ديار الاسلام ومن مختلف الملل والنحل المستظلة بلواء الاسلام والمتمتعة بالامن والحرية والاستقرار تحت رعايته ٠

وحدة الثقافة الاسلامية

ودور اللغة العربية فيها

وقد أخذت هذه الحضارة الاسلامية العربية مكانهـا في تاريخ الحضـارة البشرية ، واثرت أثرها في نهضة الغرب المسيحي وحضارته الحديثة

غير ان السنن الكونية وطبائع العمران اقتضت ان تمر هذه الحضارة الاسلامية العربية - بعد ازدهارها - بمرحلة من التاريخ تبلغ بضعة قرون ، أبطأ فيهـا سيرها ، وتوقف نموها او كاد ،وأخذت حضارة الغرب الحديث تسـبقها في ميادين العلم والتجـريب والاختراع ، وتستغل هذا السبق في محاولة السيطرة على بلاد الشرق والاسـلام ، وكبت حرياتها ، والاستئثار بخيراتها ، وكان من لطف الله ان قامت معـاهد العلم الاسـلامي الكبري - وفي مقدمتهـا

« الازهـر »- بالحفاظ على التراث الاسلامي العربي ، والدراسة للغة الكتـاب المبين من أن تفقد مقـومات شخصيتها ،ومعالم عبقريتها .حتى جاءت بداية القرن الماضي (التاسـع عشر الميلادى) فأخذ العالم الاسلامي يتحرك من جديد وينفض عن نفسـه غبـار التخلف ويحاول أن يصل حـاضره المتوثب بماضيه المشرق في عصـوره الذهبية قبل مرحلة الضـعف والركود وكان من الطبيعي ان تكون الوحـدة الثقافية والفكرية والسياسية في مقدمة

الشئون التي تشغل تفكير قـادته ومصلحيه ، وكان من الطبيعي كذلـك أن يثور النقاش في بعض الهيئـات الاسـلامية الكبرى - غير الناطقـة بالعربية - خلال القرن الحـاضر حول ضرورة العناية فيها بلغة القـرآن والاعجـاز والتشريع والحضـارة

الاسلامية ، وافساح المجال لهـا في مناهج التعليم الوطني ، بل ارتفـع صوت الداعين في بعض تلك الهيئات لان تصبح اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية أو اللغة الاولى فيها . وفي السنوات الاخيرة قامت مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية بنصـيب في

الدعوة الى العناية باللغـة العربية في مختلف بلاد العالم الاسلامي واصـدار التوصيات والقرارات في شأنها وكذلك فعلت كثير من الندوات والمؤتمرات التي اقيمت في شتى انحاء العـالم العربي والاسلامي .

وفي التمهيد لهذا نضع تحت انظار العالم الاسلامي بضع نقاط اساسية لمزيد من البحث والمناقشة .

النقطة الاولى : ان هناك كمـا اشرنا في مستهل البحث - رباطا احكمته يد الارادة الالهية بين الاسلام واللسان العربي المبين ، وان اللغـة العربية كانت وستظل الأداة الضرورية للفهم الصحيح للاسلام ونصـوصه واحكامه واسرار شريعتـه ، وان العلوم العربية الاسلامية من تفسير وحديث واصـول وفقه ، وفقـه لغة ، ونحو وصرف وبلاغة وادب وفلـك وتـاريخ وتقويم بلدان وغيرها - انما نشـأت وترعرعت في كنف القرآن الـكريم والسنة ، وقصدت اول ما قصـدت الى خدمتها وتطـور دراسـاتها ، وان الحضارة التي ينتمي اليها المسلمون جميعا ويعتزون بها حضـارة اسلامية عربية : اسلامية في روحها وعقيدتهـا وتعاليمها ومثلها الاخلاقية وغاياتهـا السلوكية ، عربية في لسانها وبيانها

● هناك رباط أحكمته يد الارادة الالهية بين الاسلام واللسان العربي المبين ، وأن اللغة العربية كانت وستظل الاداة الضرورية للفهم الصحيح للاسلام ونصوصه وأحكامه وأسرار شريعته .

وادب كتابها وسنتها وتراثها وعلومها وآدابها ومختلف منجزاتها الفكرية .

النقطة الثانية : ان من الخير للمسلمين اينما كانوا وباى لسان تكلموا – بل من حقهم – أن تشارك اممهم واجناسهم كل بقدر ما يستطيع فى الاتصال المباشر بالقرآن واسراره واعجازه ، وبالسنة النبوية وهديها وباصول التشريع ومذاهب الفقه الاسلامى . ولن يتحقق ذلك على الوجه الامثل الا بالاتصال – نوع الاتصال – باللغة العربية وثقافتها وباساليبها فى التعبير ودلالات الفاظها

النقطة الثالثة : أن العالم الاسلامى الحديث فى أشد الحاجة الى تحقيق وحدة ثقافية شاملة تتعاون فى صنعها كل أجزاء ذلك العالم ، وتصب فيها جداول عبقريتها على مختلف اجناسها وألسنتها وألوانها ، والاداة الضرورية لتلك الوحدة الثقافية الاسلامية فى العصر الحديث هى الاداة التى قامت عليها وحدة الثقافة الاسلامية فى العصر الذهبى للتاريخ الاسلامى وهى اللغة العربية الفصحى .

النقطة الرابعة : أن تحقيق وحدة ثقافية مشتركة – بين أمم العالم الاسلامى – على تعدد ألسنتهم وقومياتهم – يعين على تحقيق وحدة فكرية وسياسية واجتماعية فى هذا العصر الذى نعيش فيه : عصر الكتل الكبرى والتجمعات الواسعة .

النقطة الخامسة : ان هذه الوحدة الثقافة الاسلامية التى ننشدها ، والتى تتخذ من اللغة العربية محورا لها ، لاتتعارض واحتفاظ كل شعب اسلامي بلسانه الوطنى الذى يؤلف ركنا فى هيكل بنائه القومي ، ومن الثابت تاريخيا ان الاسلام – كما اتبع فى شئون العقيدة مبدأ « لا اكراه فى الدين » وكذلك جرى فى الاقطار التى انتشر فيها على الحرية فى امر اللغة فلم يقف فى طريق نمو الألسنة والآداب القومية فيها ، ولم يلزم أحدا بتعلم اللغة التى نزل بها القرآن ، ولكنه ترك الناس لعاطفتهم ووجدانهم الدينى، وكان الذى يحدث حين يعتنق الفرد دين الاسلام أن يتعلم آيات أو سورا قصارا من القرآن الكريم يقيم بها صلاته ، ثم تعمل العاطفة الدينية عملها ، فيندفع الكثيرون الى طلب المزيد من الحفظ ، والى محاولة تحصيل لغة القرآن والشريعة بالمخالطة والتقليد او بالتعلم ، والى استعمالها فى التخاطب الى جانب لسانهم القومي .

وقد سجل ظاهرة الازدواج هذه كثير من رحالة المسلمين ، ومن بينهم « المقدسي» صاحب كتاب « احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » ..

وتدفع حرارة الايمان ، والاعتزاز بالعقيدة والتطلع الى المشاركة فى شئون الدولة ووظائفها ، كثيرا من المسلمين الجدد الى اتقان لغة الشريعة والتبحر فى علومها والتاليف في بعض ميادينها والتبريز فى شعرها ونثرها ، وبين ايدينا شواهد ذلك فى طوائف من كبار المفسرين والمحدثين والفقهاء وعلماء البلاغة والادب واللغة ، والمؤرخين الجغرافيين والفلاسفة

وحدة الثقافة الاسلامية ودور اللغة العربية فيها

الرياضيين ممن تكشف أسماؤهم عن انتماءاتهم البيئية : كالطبري والبخاري، والخوارزمي ، والنيسابوري ،والجرجاني وغيرهم .

وقد كان للرحالة والمتصوفة والتجار والملاحين دور في انتشار الاسلام ولغته بعد مرحلة الفتوح الأولى التي تم معظمها في القرن الاول من حياة الاسلام .

***

ان الثقافة العربية الاسلامية الشاملة التي حققتها تاريخ الاسلام في عصوره الذهبية والتي شاركت في صنعها عناصر من المواطنين في العالم الاسلامي على طول امتداده في الشرق والغرب لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، قد استطاعت ان تعبر من عبقريتها في دنيا الفلسفة والعلوم والآداب والفنون ، وأن تترك طابعها على تاريخ الحضارة الانسانية .. وانتقلت الى العالم الغربي في تاريخه الوسيط ثمار أصالتها وابتكارها مضافا اليها ثمار ما تمثلته من ثقافات العالم القديم — وكان لهذه الثمار الاصيلة والمنقولة آثارها في بعث الاحياء الاوربي وتلك حقيقة تاريخية شهد بها علماء الغرب ومفكروه منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، ولا تزال البحوث الغربية تكشف كل يوم جديدا من آثار هذا التراث الحضاري الخالد ، ولا تزال مكتبات العالم الكبرى تضم كنوزا من مخطوطاته التي تبلغ الملايين عدا .

وقد تنبه المسلمون حديثا الى المشاركة في دراسات الحضارات ، وفي الكشف عن ما بين الحضارة العربية الاسلامية وحضارة الغرب المسيحي من صلات ، وما كان للاولى على الثانية من فضل السبق والتأثير ، وتلاقت في هذا بحوث علماء من الشرق والغرب في المؤتمرات العالمية للثقافة الاسلامية التي عقدت في خلال العشرين سنة الاخيرة والتي كان من أهمها « ندوة برنستون ومكتبة الكونجرس الامريكي سنة ١٩٥٣» وقد نشرت بحوثها في مجلد باللغة العربية -بالقاهرة سنة ١٩٥٧ . ثم الندوة العالمية للاسلاميات في لاهور — باكستان سنة ١٩٥٨/٥٧ وقد نشرت اعمالها في مجلد باللغات العربية والاردية والانجليزية .

***

ان العالم الاسلامي اليوم في مرحلة بعث حضاري شامل ، وقد تحررت غالبية شعوبه من ربقة الاستعمار الاجنبي الذي عاق تطوره وتقدمه بضعة قرون ، واخذت الامم الاسلامية تكشف عن مصادر قوتها المادية والمعنوية ، واخذ ساستها ومفكروها ينسقون بين جهودها على الصعيد المحلي وعلى الصعيد الدولي ، كما اخذ علماؤها ومشرعوها يعملون على اعادة بناء حياتها المتطورة على أسس من تعاليم الاسلام وتشريعه في مجال الثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

وبموازاة هذا التطورالاسلامي الشامل أخذت اللغة العربية لغة القرآن والتشريع ، تسير منذ القرن الماضي

● إن العالم الاسلامي الحديث في أشد الحاجة إلى تحقيق وحدة ثقافية شاملة تتعاون في صنعها كل أجزاء ذلك العالم ، وتصب فيها جداول عبقريتها على مختلف أجناسها وألسنتها وألوانها .

بخطى حثيثة نحو النمو والاتساع والاستجابة لمطالب الحياة والعصر ، وأخذ علماؤها يكشفون عن عوامل تنميتها المتأصلة فيها ، ويضيفون الى رصيدها الضخم من طوالب التعبير عشرات الآلاف من مصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة ، وقامت المجامع اللغوية في العالم العربي بالدور الاكبر في هذا البحث اللغوى ، وفي تيسير كتابة اللغة العربية وضوابطها وفي تصنيف المعاجم الحديثة لها من كبير ووسيط ووجيز ، وأخذ أدبها كما أخذت ثقافتها في الانفتاح على الاداب والثقافات العالمية المعاصرة ، واتسعت حركة الترجمة بينها وبين اللغات الاخرى الواسعة الانتشار .

بهذه الحيوية والتجدد والنمو ، وبالرصيد الحضاري الخصب ، وتمشيا مع المكانة البارزة لدنيا الاسلام والعروبة في المعترك الدولي الحاضر ، تهيأت اللغة العربية لان تأخذ مكانها كلغة رسمية في هيئة الامم المتحدة ومنظماتها ، وفي كثير من المؤتمرات الدولية ، وهي الآن موضع عناية الدارسين والباحثين في كثير من جامعات العالم ، ومراكز دراسات الشرق الاوسط فيها .

وانا لنلمح في هذا التطور بشائر اتجاه المسلمين كافة الى أن يحيوا الرابطة القديمة الوثيقة بين الاسلام والعروبة ، وان يعيدوا للغة الوحى والقرآن والسنة والتشريع مكانها في دعم ثقافة العالم الاسلامي ، وأن يجعلوا منها ملتقى لافكارهم وآرائهم وعلومهم وأهدافهم . ولسانا مشتركا لستمائة مليون يمثلون خمس سكان العالم المعمور .

وان الشواهد قائمة على ان كثيرا من الشعوب الاسلامية غير الناطقة بالعربية تتطلع الى الاخذ بنصيبها في العناية بلغة القرآن ، وان الازهر ليوالى القيام برسالته في هذا الميدان عن طريق ايفاد العلماء الى مختلف المجتمعات والهيئات الاسلامية ليساعدوا في تنمية الثقافة الاسلامية وتعليم اللغة العربية للشباب المسلم ، ويزيد الازهر كل يوم من عنايته بطلبة البعثات الاسلامية ورعايتهم ومساعدتهم على اتقان اللغة العربية ، وتخريجهم في فروع الدراسات ليكونوا بعد عودتهم الى أوطانهم رسل اصلاح وقادة فكر ، ودعاة وحدة .

وتضطلع الهيئات الاسلامية في مصر وفي البلاد العربية بنصيب كبير في احياء التراث العربي الاسلامي وفي تزويد الجماعات الاسلامية في مختلف بقاع العالم بالكتب الدينية والثقافية باللغة العربية وبغيرها من اللغات ، كما تبذل بعض البلاد العربية الاسلامية جهودا موفقة في رعاية الشباب وفي تنمية الاقتصاد الاسلامي ، وفي جمع كلمة المسلمين على التمسك بعقيدتهم ، والعمل لدعم وحدتهم ، والوقوف صفا واحدا في الصراعات العالمية التي لم يعد يقوى على الثبات فيها الا الكتل الكبيرة ، ذات القوى البشرية الهائلة ، والثروات الاقتصادية الضخمة ، والتقدم العلمي في ميادين التجريب والاختراع . ●

مصر.. عند الشدياق

● فاروق خورشيد ●

يعتبر احمد فارس الشدياق احد المعالم الرئيسية فى دنيا الادب العربى ، ودنيا الصحافة فى القرن التاسع عشر . ولا يمكننا فى الحقيقة ان نفهم حقيقة التيارات التى سادت هذا القرن قوميا وسياسيا الا اذا درسنا حياة الشدياق فى خروجه من لبنان واستقراره بمصر، ثم هجرته الى مالطه ، ثم الى تونس ومقامه فى انجلترا وفرنسا . ثم استقراره اخر الامر فى الاستانة لاصدار اشهر جريدة عربية فى زمانها ونعنى بها جريدة «الجوائب» التى عرف بها الشدياق وعرفت به .

والشدياق كاتب لبنانى المولد ولكن مصرى الهوى ، مهما طال اغترابه فى بلاد العالم ، ومهما كان امر استقراره آخر الامر فى الاستانة ، داعيا للخلافة الاسلامية ، ومناصرا لمعنى الوحدة الاسلامية الشاملة . لقد قصد الشدياق مصر هربا من ضائقته الاقتصادية فى لبنان ، وهربا ايضا من عسف واضطهاد ، وخاصة من اعدائه الموارنة .

ويقول السندوبى فى كتابه « أعيان البيان » ص ١١١ ـ « نظل ـ اى الشدياق ـ يعانى غصص الحياة الى ان تمت مصائبه بوفاة اخيه سعد فى سجن اعدائه الموارنة لتركه نحلتهم وانتحاله المذهب الانجيلى ، فجاهر فارس بسوء فعلتهم وأخذ يندد بهم ، فخشوا غضب لسانه فاقتفوا اثره للنكال به ، فالتجأ الى المرسلين الامريكان فاجاروه ، وبعثوا به الى مصر ليعلم فى مدارسهم بها ، فجاء الى القاهرة فى عهد مصلح مصر الكبير محمد على باشا » .

ولعل هذه المرحلة هى التى جعلت الشدياق يغير دينه فيعتنق الاسلام ، ويتسمى باسمه الثانى ، وهو احمد، ويصبح احمد فارس الشدياق ، ففارس هو الاسم الذى سماه به أبوه والشدياق هو اللقب الذى عرفت به العائلة واحمد هو الاضافة التى جعلت من الشدياق مسلما بين المسلمين ، ثم بعد هذا داعية الى الاسلام ووحدة المسلمين فى «الجوائب» .

***

وقد تقلب الشدياق منذ وصوله الى مصر فى عدة اعمال، بدأ بالتدريس ثم العمل ككاتب عند احد السراة ثم الاشتغال بالصحافة . . ويقول الدكتور / محمد خلف الله فى كتابه « احمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والادبية » ص ٢٦ : « كان الاشتغال بالصحافة هو الامر الذى

جعل للشدياق ذكرا فى البلاد المصرية وفى غيرها من البلاد الاسلامية من امثال تونس وتركيا . ويذكر لنا الدكتور ابراهيم عبده فى كتابه اعلام الصحافة العربية أن السيد رفاعه الطهطاوى هو الذى جر الشدياق الى هذا الميدان، وانه الذى افسح له صدر الوقائع المصرية ، وان الصلة بينهما كانت صلة التلميذ بالاستاذ » ..

فمصر لم تكن بالنسبة للشدياق محطة من محطات مهجره ، وانما كانت عنصرا رئيسيا فى تكوينه ، وفى استقراره ، ثم فى تحديد المهنة التى أصبحت بعد هذا هى كل حياته ووجوده وأعنى بها مهنة الصحافة، فالشدياق لم يعرف سوى مهنة النسخ والتجارة على حمار والتدريس فى المنازل فى لبنان . . أما فى مصر فنستطيع أن نقول انه التقى بنفسه ومستقبله ومهنته التى حددت مستقبله وكيانه كله ، كما أن صلته بمصر لم تنقطع بعد هذا أبدا . ونحن نشهد أول لقاء له بمصر منذ الكتاب الثانى من « الساق على الساق فيما هو الفارياق — أو أيام وشهور وأعوام — فى عجم العرب والاعجام » .

ولكى نكون على بينة من هذا الموقف فى تأليف الكتاب نعود الى ما أكده رافائيل كحلا الدمشقى كاتب مقدمة الطبعة الاولى من الكتاب عام ١٨٥٥ حين قال : « انى لما طالعت هذا الكتاب المسمى بالساق على الساق ، رأيته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد الفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس باسلوب رائق معجب » .

ويقول الشدياق نفسه فى الكتاب الاول : « ثم ان شرطى على القارىء الا يسطر شيئا من الالفاظ المترادفة فى كتابى هذا على كثرتها ، فقد يتفق ان يمر به فى طريقواحده سرب خمسين لفظة بمعنى واحد او بمعان متقاربة، والا فلا أجيز له مطالعته ولا أهنئه به »

والواقع ان الشدياق يعتبر هذه المترادفات اللغوية هدفا رئيسيا من أهداف الكتاب ، ويعترف صراحة انه كان يرجع الى القاموس ، بل ان



الشدياق : قدم صورا هامة من الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع المصرى ...

القاموس كان مرجعه الأول والوحيد ، فيقول ص ٢٨١ « هذا وانى قد ألفته وما عندى من الكتب العربية شىء أراجعه وأعتمد عليه غير القاموس فان كتبى كانت قد فركتنى فاعتزلتها، غير أن مؤلفه رحمه الله لم يغادر وصفا فى النساء الا وذكره ، فكأنه الهم ان سيأتى بعده من يغوص فى قاموسه على جميع هذه اللآلىء فى مؤلف واحد منسق لتكون أعلق بالذهن وأرسخ فى الذكر » ..

ولعل الشدياق يفسر لنا بهذا ، ولنفسه أيضا ، سر اهتمامه بالمرأة، والنساء عموما فى كل رؤاه عن مصر ومن غير مصر على السواء . ولكن المرأة المصرية تحتل جزءا هاما من ملاحظاته ومن تحليلاته وكلماته

ونحن نحسب انه فى اشارته للقاموس انما يعنى القاموس المحيط للفيروزبادى فليس فى علمنا ما يطلق عليه هذا اللفظ دون اضافة غيره ..

***

يغادر الشدياق الاسكندرية الى احدى جزر البحر الابيض المتوسط، ولكنه لا يطيق الحياة هناك ، فيعود مرة أخرى الى الاسكندرية ومنها الى القاهرة . ولكنه يقابل فى الاسكندرية حين عودته بأن يسكن الى جوار دار

فيها طرب وغناء ، فيعود اليه تفاؤله وحبه للحياة بعد يأسه فى تلك الجزيرة وضيق حاله بها ، فيقول : « ورأى لدوله مصر رونقا ، وفى عيشها رغدا مغدقا ، فكان الناس كلهم معرسون او مفاخرون او منافسون » ..

ويعود الشدياق الى ذكر نساء مصر ، وهو قد علل اهتمامه بالنساء باهتمام القاموس بوصفهن ، ولكننا نكاد نحس ان وقوفه عند وصف النساء فى كل مكان ذهب اليه من لندن الى باريس الى مالطه الى تونس الى الشام ، جزء هام من اهداف تأليف هذا الكتاب .. وهو يؤكد بنفسه هذا حين يعتبر ذكر النساء أحد امرين بنى عليهما الكتاب : الاول ما ذكرنا من الاهتمام باللغة والثانى يقول عنه : « والامر الثانى ، ذكر محامد النساء ومذامهن فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعرفة بحسب اختلاف الاحوال عليها » .

ويقول : ومن تلك المحامد ايضا حركات النساء الشائقة ، وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصور منها شيء الا وذكرته فى هذا الكتاب ، لا بل قد اودعته ايضا معظم خواطرهن وافكارهن وكل ما اختص بهن » ...

ولهذا فلم يكن غريبا ان يقول عن نساء الاسكندرية فى وصوله الثانى اليها ص ٢٣٣ — « ان لنسائها كياسة وظرفا وجمالا ، ولطفا ولينا ودلالا ، وتيها واختيالا ، يخطرن فى الطرق بالحبر كالمنشئات فيجعلن مجموع الهم على القلب فى شتات ، وما انا اول واصف لهن انهن خلابات للعقول ، غلابات للفحول ، فقد وصفهن بذلك كل ناظم وناثر وذكر محالهن كل من حاولهن من الاكابر والاصاغر ، وفى المثل السائر : تراب مصر ذهب ، وغيدها نعم اللعب ، وانها لمن غلب » ..

ويمضى الشدياق يتحدث عن ركوبهن الحمير ، ومشيهن فى الاسواق . وفتنة الرجال بهن وبحميرهن على السواء ثم يورد مجموعة الالفاظ التى تتعلق بوصف النساء وجوها وقامة وسلوكا على السواء ، ويأخذ المسألة مأخذ الجد مرة ومأخذ الهزل مرات ، رابطا بين ما استغرق فيه من وصف للابسات البرقع ، وبين احداث حياته التى بدأت تأخذ شكلا جديدا فى مصر التى قدمها وفى نفسه آمالا كبارا « فان مصر حرسها الله معدن الخير والبركة »

وقد عمل اول قدومه الى مصر كاتبا عند رجل من السراة الاغنياء ، فخرج من العسر الى اليسر ، ومن الضيق الى الفرج ، « قد اكتريت لى دارا صغيرة واشتريت حمارا ، واتخذت خادما تصلح لى الدار ، وخادما يصلح الحمار .. »

ثم اشتغل الشدياق بالصحافة وتعلم على يد الشيخ محمد شهاب الدين حيث قرأ عليه طائفة من كتب اللغة والادب ، وقد اعادت مصر اليه الهدوء بعد طول القلق ». فتزوج وأنجب اثنين من الاولاد ..

ويقول جرجى زيدان فى الجزء الثانى من مشاهير الشرق : « وتعرف فى مصر بعائلة الصولى من وجهاء السوريين فصاهرهم ، وولدت له امرأته ولدين هما فائز وسليم ، اما الاول فتوفى بعد ذلك فى ضواحى لندره اثناء اقامته فيها كما سيجيء ، وبقى سليم وحيدا ، وهو سليم أفندى فارس نزيل بلاد الانجليز » ..

وبعد ان هاجر الشدياق من مصر ، ظلت هى العامل الاول فى استقراره واستمراره فى عمله ، عندما انشأ جريدة « الجوائب ». ويقول الدكتور محمد أحمد خلف الله : « على ان صلة الشدياق بمصر من الناحية الاقتصادية ظلت قائمة حتى بعد ان غادر الرجل مصر واقام فى غيرها من

البلدان ، وهي صلة نلحظها من ذلك العطاء الجزيل الذى كان يقدمه اسماعيل باشا خديو مصر للشدياق اثناء مقامه بتركيا وتحريره للجوائب ، وقد أشار الشدياق نفسه الى هذه الصلة ، كما اشار اليها غيره من المؤرخين » ..

واشارة الشدياق هذه تاتى فى كتابه سر الليالى فى وصفه للجوائب وحديثه عنها ، وكيف انفردت بالصدارة فى عالم الصحافة ويقول ص٩٦ — «..فالشكر لله على نعمه ، ولعزيز مصر على كرمه ، فانه الذى اعلى منارها ، وسنى استمرارها ، كيف لا وهو كسميه اسماعيل اب للعرب ، وسند كل ذى ادب وارب ، فادامه الله نصرا للاسلام وفخرا للانام » ..

وهذه الصلات بالبيت الحاكم فى مصر استمرت بعد وفاه اسماعيل ، والدكتور محمد احمد خلف الله يرجع وقوف الشدياق الى جانب توفيق فى الثورة العرابية فى جريدة «الجوائب» الى هذه الصلات المالية بين الشدياق وحاكم مصر ، ويؤكد بهذا بايراد قول السندوبى فى اعيان البيان « وفى سنة ١٨٨٦ وفد على مصر فى عهد الخديو السابق توفيق باشا فنال من لدنه كل رعاية واكرام .. »

ونحن نرجع الى هذه العلاقة ايضا سر هذا التعلق الذى يبديه الشدياق لمصر ، ثم سر موقفه من عامة المصريين موقف النقد الذى يصل الى حد التجريح فى أحيان كثيرة . فعلى الرغم من اقامته لفترة طويلة بمصر الا انه ظل ينظر اليها دائما نظرة السائح الى بلد حل فيها ترحاله فهو ليس منها ، وان كانت خيراتها ملك له فيقول : «وكيف كان فانها مدينة غاصة باللذات السائغة ، متدفقه بالشهوات السابغة ، توافق المحرورين من الرجال خلافا لما قاله عبداللطيف البغدادى . يجد بها الغريب ملهى ومسكنا ، وينسى عندها اهلا ووطنا » ..

النظرة هنا ، نظرة الضيف الذى يرقب ويسجل . ويحدد رؤيته للاشياء بما يحس موقفه هو من هذه الاشياء . وبما يوافق هواه ويستدعى التفاته فيقول : « ومن خواصها ان ما يذهب من اجسام رجالها يدخل فى اجسام نسائها فترى فيها النساء سمانا كالاقط بالسمن على الجوع ، والرجال كالحشف بالشرج على الشبع » . ومن ملحوظات الزائر او السائح قوله « ومنها ان اسواقها لا تشبه رجالها البتة . فان لاهلها لطافة وظرفا وادبا وكياسة وشمائل مرضية واخلاقا زكية واسواقها عاريه من ذلك راسا » ..

ومن ملحوظات الضيف الغريب قوله « ومنها ان ماءها لا يشبه عيشها اى خبزها فان الاول عذب والثانى تالف » .

الا أن للشدياق من الوصف فى أهل مصر ما يدل على احساسه بما يعانيه الانسان المصرى من ضيق فى بلده واحساسه بقيمة هذا الانسان ، رغم كل ما يلقاه من عنت فهو يقول : « ومنها ان العالم فيها عالم ، والاديب اديب ، والفقيه فقيه ، والشاعر شاعر ، والفاسق فاسق ، والفاجر فاجر » .

ويرتق هذا بقوله « ومن ذلك ان البرنيطة فيها تنمى وتعظم وتضخم ، وتتسع وتطول وتعرض وتعمق فاذا رايتها على راس لابسها حسبتها شونة» وبعد أن يصفها بعدة الفاظ مترادفة أو متكاملة يقول « كيف انماها هواء مصر وكبرها الى هذا المقدار ، وقد طالما كانت فى بلادها لا تساوى قارورة الفراش ، ولا توازن ناقورة الفراش ، وكيف كانت هناك كالتراب ، فاصبحت كالتبر .. ياهواء مصر ، ياتارها .

يا ماءها يا ترابهـــا ، صيروا طربوشي برنيطة وان يكن احسن منها عند الله والناس ، وافضل » ..

فالمصريون يقعون في بلادهم في موقع اقل من الاتراك ، واقل من الاجانب الغرباء على السواء ، وهم على هـذا في عسف من السلطة دائم ومقيـم :

« ومن ذلك ان لضابط البلد شـفقة زائدة على اهلها تقرب من حد الظلم ، وذلك انه يأمر جميع السـالكين في طرقها ليلا أن يتخذوا لهم فوانيس وان كانت الليلة مقمرة ، خيفة ان يعثـروا بشيء في أسواق المدينة فيسـقطوا في هوة أو جب فتنكسر ارجلهم أو تنـدق أعناقهم ، ومن وجد ليـلا يطوف من غير ذوى البرانيط وليس بيـده فانوس ، غلت رجله الى يده ، ويده الى عنقه ، وعنقه الى حبل ، والحبل الى وتد ، والوتد الى حائط ، والحائط الى ناكر ونكير ، وتصلية سعير » .

وقد استطاع الشدياق بهذه الجمل الساخرة واللقطات السريعة ان يصور حال مصر والمصريين في ظل عصر محمد على ، بما لم يستطعه مؤرخ ملتـزم الدقة العلمية الكاملة . فاهـل البلد في واد وحكامهم ومستغلوهم في واد آخر ، وهـؤلاء الحكام اما من الترك واما من اصحاب البرانيط ، واما من فئات وافدة مد لها الحاكم الحبـل على الغارب فيقول « ومن خصائصها ايضا ان البعاث بها يستنسر ، والذباب يستصـقر .. والنـاقة تسـتبقر والجحش يستمهر . والهريسـتنمر ، بشرط ان تكون هذه الحيوانات مجلوبة اليها من بلاد بعيده » . اما اهـل البلد انفسـهم فيقول عنهم ص ٢٤٧ (اهلها ذو لطف وأدب ، واحسـان الى الغريب وفي كلامهم من الرقة ما يغني الحزين عن التطريب ، اذا حيوك فقد أحبوك ، وان سلموا عليك فقد سلموك ، وان زاروك زادوك شوقا الى رؤيتهم ، وان زرتهم فسحوا لك صدروهم فضلا عن مجالسهم) .

والواقع ان الرصد الاجتماعي الذي يسجله الشدياق للحيـاة في مصر بالغ الاهميــة في التعرف على الـكثير من العادات السـائدة في مصر ، الى جوار التركيب الاجتماعي الذي كان يشـكل صورة المجتمع المصري في عهد محمـد على ، ذلك المجتمع الذي يعنى بموظفي الدولة عناية فائقة ويتيح لهم صـورة الحياة الكريمة بينما يعاني عامة الناس من الضنك الكثيـر ، ويقـول : « اما دولة مصر اذ ذاك فانها كانت في الذروة العليا من الابهة والفخر والعز ، والكرم والمجد فكان للمتسـمين بخدمتها مرتب عظيم من المال والكسى والشـحن ما لم يعهد في دولة غيرها ، وكان والبهاليل المراتب العلية وسمات الشرف السنية لكل من المسلمين والنصـارى ما عدا اليهود وخلافا لدولة تونس فان شرفها عم الجميع » .

ويتحدث الشـدياق عن الطوائف المختلفة في مصر فيقول عن العلماء « اما علماؤهم فان مدحهم قد انتشر في الآفاق وفات فخر من سواهم وفاق . بهم من لين الجانب ورقة الطبع وخفض الجناح وبشاشـة الوجه مالا يمكن المبالغة في اطرائه » .

ومن النصـارى في مصر يقـول الشدياق : « ولكل نوع من النـاس عندهم اكـرام يليق به سواء كان من النصارى أو غيرهم وربمـا خاطبوهم بقولهم يا سيدى ، ولا يسـتكلفون من زيارتهم ومعـاشرتهم خلافا لعـادة المسلمين في الديار الشامية . وبذلك لهم الفضـل على غـيرهم . وكـان هـذه المزية وهي حسن الخلق ورقـة الطبـع امـر مركوز في جميع اهـل مصر » ..

وهو يفرق بين النصـارى والقبط فيقول « ذلك أن المسـلمين أهل قناعة

وزهد وفي النصارى شره عظيم الى اتخاذ الديار الرحيبة وقنية الخيل النجيبة والجواهر النفيسة والمتاع الفاخر لا حد لها » ..

وبعد ان يصف بيوت هؤلاء النصارى وما بها من متاع ورياش مبالغ فيهما يقول : «ولو ان مشتريا شاء ان يشترى شيئا من تاجر مسلم لوجد سعره ارخص من بضاعة النصراني بربع الثمن ، ولكن وجود هذه الشراهة انما هو في الغالب عند النصارى الغرباء ، فأما القبط فانهم اشبه بالمسلمين وقل من تعاطى المتجر منهم » ..

ويقدم لنا الشدياق الى جوار هذا الوصف لطبقات المجتمع المصرى صورا هامة من صور الحياة الاجتماعية المرتبطة بالمحتوى الثقافى والحضارى ، والسلوكى للمصريين في عصره مما يصلح مادة هامة عند الدارسين الاجتماعيين من اصحاب الانثولوجيا ، وكذلك دارسى الحضارة والفولكلور .

فيصف مشهدا فريدا من مشاهد حياة المرأة المصرية العاملة وصفه الساخر قائلا « من ذلك .. ان البنات اللاتى يستخدمن في المبرى لحمل الآجر والجبس والتراب والطين والحجر والخشب وغير ذلك يحملنه على رءوسهن وهن فرحات جامحات رامحات سابحات ، صادحات مادحات غير آحات ولا ترحات ، ولا دالحات ولا رازحات ولا طامحات ولا نائحات ومن كان نصيبها من الآجر نظمت عليه موالا آجريا » أو من الجبس غنت له اغنية جبسية كأنما هن سائرات فى زفاف عروس » .

وهو يذكر بعض العادات المصرية فى دقة فيتحدث عما نعرفه بالقافية البلدية فيقول « فان لعامتهم ايضا مخالقة ومجاملة . وكلهم فصيح اللهجة بين الكلام سريع الجواب . حلو المفاكهة والمطارحة . واكثرهم يميل الى هذا النوع الذى يسمونه « الانقاط » .. وكأنه المحاورة وهى المفاكهة تشبه السباب وهو اشبه بالاحاجى . فان لم يكن قد تدرب فيه لا يمكنه ان يفهم شيئا وان يكن شاعرا » ..

وكان لابد للشدياق أن يقف عند الغناء والطرب فيقول : « وكلهم يحب السماع واللهو والخلاعة . وغناؤهم اشجى ما يكون . فلا يمكن لمن الفه ان يطرب بغيره . وكذلك الاتهم فانها تكاد تنطق عن العازف بها . واعظمها عندهم هو العود . وقل اعتناؤهم بالناى . ولهم في ضرب العود طرق فنون تكاد تكون من المغيبات غير انى أذم من غنائهم شيئا واحدا ، وهو تكرير لفظ واحد من بيت او موال مرات متعددة حتى يفقد السامع لذة معنى الكلام . ولكن اكثر ما يكون ذلك من المتطفلين على الفن » .

وعلى الرغم من طرافة ودقة المشاهد التى يلتقطها الشدياق من الحياة المصرية الا أننا نحس انها تسجل بعدسة المشاهد لا المشارك ، أو بعدسة الغريب لا من رؤية ابن البلد الذى يحسب نفسه جزءا منها ومواطنا فيها . فالمصريون عنده « هم » لا « نحن » . الشىء الوحيد الذى يجمعه بهم هو استعماله لكلمة العرب لتدل على ابناء المنطقة جميعا الشامى منهم والتونسى والمصرى فى مقابل كلمة ترك او الغرباء .. لتدل على غير ابناء المنطقة ، وهو استعمال يحتاج الى دراسة متأنية اذ هو يدخل فى كتابته دخول المسلمات المتعارف عليها فى جيله وعند كتاب عصره .

ومع هذا فان هذا الكاتب يطل بموقفه وبما سجل من وصف ومشاهد على كل كتاب عصره بل وعلى المؤرخين ، ويصبح كتابه « الساق على الساق » مرجعا رئيسيا لوصف الحياة فى مصر فى عهده أو فى العصر التاريخى الذى نعرفه بعصر محمد على ، لاغناء عنه لاحد من الدارسين او الادباء الذين يريدون استلهام العصر .. ●

هيوارد نميروف
شـاعـر أمـريـكى مـعـاصـر

• ماهر شفيق فريد •

فى « ملحق التايمز الأدبى » – قبل احتجاب التايمز والملحق اخيرا – الصادر فى ٦ اكتوبر ١٩٧٨ ، كتب الشاعر والناقد الاسكتلندى ج. س. فريزر مقالة عن كتابين للشاعر الامريكى هوارد نميروف هما « مجموعة القصائد » (مطبعة شيكاغو) و « اشكال الفكر تاملات فى معنى الشعر ومقالات اخرى» – (دار « ديفيد ر . جودين » للنشر ببوسطن) .

يقول فريزر : ان نميروف الذى بلغ الآن الثامنة والخمسين ليس نموذجا لشعراء جيله . فهو – بغزارة انتاجه ووضوحه – أقرب الى الشعراء العظماء لجيل اكبر سنا مثل روبرت فروست ، رغم انه فى قصيدة مثل قصيدته المسماة « البركة » يكشف عن تعقيد واع اكثر مما كان فروست خليقا أن يكشف عنه ويكتب مرثية رعوية حزينة . ان صبيا يدعى كريستوفر يغرق فى بركة فيسميها أهل المنطقة « بركة كريستوفر » على سبيل ابقاء ذكرى الصبى ، ولكن النباتات لا تلبث مع مرور السنين ان تزحف على البركة وتنضب ماءها ..

وفى قصيدة « طبيعة ميتة (٢) » ، وهى فى آن واحد تحية للشاعر الامريكى ولاس ستفنز ونقد له ، نجد اشارات الى عدد من قصائد ستفنز مثل « صباح الأحد » و « جرة فى ولاية تنسى » و « الرجل ذو القيثار الأزرق » . يقول نميروف فى هذه القصيدة :

الاطباق تفاحات ، الاطباق جيتارات
تطفو فى برك من لحمها الخاص
بيد ان طهارة الجرار المتحدة
تؤنب فوضى اللحم ...

ففى قصيدة ستفنز « صباح الأحد» اطباق فاكهة تذكرنا انها لو لم يدب اليها البلى لغدت الحياة الابدية أشبه بمعرض للصور الشمعية مثل معرض مدام تيسو فى لندن . ان « الموت ام الجمال » كما

يقول ستفنز . ومعادلة الأطباق والتفاحات والجيتارات عند نميروف تذكرنا بحكمة ستفنز القائلة : «ينبغي أن تكون تجريديا» وبحبه للرسم التجريدي . فالجرة على تل في تنسي تسيطر على كل ما حولها وتلوم فوضى الحواس ، اذ لا توحي بطائر ولا شجيرة كما يوحي غيرها في ولاية تنسي . والجرتان المتحدتان انما هما من ابتكار نميروف واتحادهما ظاهر . انهما رمز للأفكار المجردة الخالية من رغبات الحواس .

● اشكال الفكر ●

وكتاب نميروف المسمى « اشكال الفكر » مجموعة مقالات تستخدم سلاح الفطنة وتمتاز بالذكاء بل بروح الفكاهة . انه يعارض رأي الناقد هارولد بلوم الذي يؤمن بأن كل قصيدة عظيمة انما هي محاولة لاعادة كتابة الشعر الذي يعجب به صاحب القصيدة والذي اساء فهمه ..

● اناشيد كيتس ●

وردا على ذلك نقول : ان اناشيد كيتس الى العندليب أو الى الخريف أو الى اناء اغريقي ليست اساءة فهم لقصائد أسلافه جراي وكولنز أو لسوناتات شيكسبير . كذلك نجد أن صمويل جونسون وأوليفر جولد سميث وجورج كراب لم يسيئوا فهم بوب .

● الشعر والمعنى ○

وفي مقالة عنوانها « الشعر والمعنى » يورد نميروف مقتطفات من قصيدة لاحد طلبته ، وكان نميروف قد قال له : « هانتذا . لقد قرات ومن المحتمل ان تكون قد فهمت ادب الاربعمائة سنة الاخيرة ، ولكنك لم تسمع شيئا قط» . يعني أن تلميذه يفتقر الى تلك الحاسة النغمية التي بدونها لا تغني قراءات الشاعر عنه شيئا . بيد ان اكثر ما يلقي الضوء على انجاز نميروف نفسه هو قوله :

« ان مهمة الشعر ـ حين ينظر اليها من احدى الزوايا ـ هي ان تلهم ، بل وان تبتكر غرضا انسانيا . بيد ان نقيض ذلك صحيح في الوقت ذاته : فالشعر هو الوسيلة الانسانية التقليدية لمواجهة افتقار الغرض الانساني الى الهدف » .

وقد حقق نميروف تقدمه الشعري من خلال الانتباه ـ على نحو حي الضمير ـ الى هذين الرأيين المتعارضين ..

قالت لي الروح

● كامل أمين ●

قالتْ لِيَ الروحُ مابالُ الرؤى اختلطتْ
علَيَّ مِن عالَمِ الأرواحِ والبدنِ
بيْني وبينَ السَّما أشياء تحجبُها
عنّي ومِلءُ الثرى أشياء تحزنني
ذرْني ومابِي أُسبِّح في ضبابهما
لله في غربة النزّاحِ في فتني
عسى الجمالُ الذي في الخُلْدِ أنشدُهُ
أراهُ في لمحة من غفلة الزمنِ
دعْ عنكَ من خدعت عينَيك فتنتها
هل كانت الأرضُ إلا موطنَ الفتنِ
ظلتْ توسوسُ لي نفسي بذاك وقدْ
وعتْ حديثا لخُلودٍ كادَ يفتنني
كانتْ معي وكأني لم أكن معها
تاهَ الحديثُ بنا كالحُلْمِ في الوسنِ
تغشى غواشٍ على عيني فأغمضها
ويهمس الحب لا تصغي له أذني
جسم غريب على روحي يقدم لي
شيئا يسمونه حبا بلا ثمنِ
أشم ريحَ شواءِ اللحمِ فيه على
جمر الغرائز مرغوبا على دخنِ
صدفتْ عنه ونفسي عنه راغبة
كأنّ شيئا أمامِي مِنه لم يكنِ
لكنّ شوقي إلى المجهول حرّضني
لأطمئنّ لشيء لا يُطمئنني
فقلتُ هبْ أنّ هذا الحبّ تجربة
مِن التجاربِ .. جرّبْ ، وانتقِ وامتحِن!
قالت لِي الروح .. هذا الحب أكرهُهُ
لأنه من تراب ليسَ في وطني

عرفتُ حباً جميلاً في السماءِ وهَـ
ذا الحب لم أرهُ فيها ولم يَسحرْني
إن كنتَ تَبحث عنه في الترابِ فقد
ضيعت عُمرَك بينَ الوَهْم والحَزنِ
عَصَيتها وقبلت الامتحان بهِ
كطالب العلمِ لوْ يُرْمى بِمُمتحِنِ
وقلتُ إنْ كنتَ حبا والجمالُ سما
وباءَ كِلاهما تدّعى في أرضِنا ، أرني
فقالَ تلهو على اللذاتِ مُنتقِلا
لهْو الفَراشةِ بينَ الزَهْر والغُصُنِ
وترشفُ الشهدَ من ورد على شفةٍ
وتحضِنُ القدَّ كالشحرورِ لِلفَنَنِ
فقلتُ هَل سوف يَبقى لهونا أبَدا
أمْ سوفَ يَفنى مع الأيام والزمنِ
فقالَ : جَلَّ الذى يَبقى الدوامُ لهُ
فقلتُ : هل كنت محتاجا إلى المِحَنِ
ماذا أقولُ لِرَبِّى يومَ يَسْألنى
عَمّا اقترفت وباتَ السكوْن يلعَنُنى
ذَرْنى وما أنا فيه من تذكّرِهِ
ماكنتُ أخلِطُ بينَ الخَمْر واللبَنِ
ماكل حسن يَروق العين منظَرُهُ
حُسْنٌ فكم حَسَنٍ ما كانَ بالحَسَنِ
عيبُ الجَمالِ بلاهُ بَعْد رَوْنقِهِ
وآفة القلبِ فيهِ حُبّهُ الوثنى
ماكانَ للحسن أن يُغرى القلوب بِهِ
لو كانَ للنقّابِ ما لِلعقل من فطَنِ
أعوذُ باللهِ من حُب أضِل بهِ
فى غيره ، أو هَوى فى الأرضِ يفتننى
قالتْ لىَ الروح : إنّى الآنَ عُدْتُ أرى
ماكانَ للنور فى نفسى وفى بَدنى
كل الجمال أرانى الانَ أحضنهُ
من عالَمِ الروح والأرواحُ تحضنُنى

معلومات جديدة عن تطور الإنســـان

● محمد الحديدي ●

● **كيف كان انسان العصور السابقة ؟**

من أعقد المشكلات العلمية ــ واكثرها استحقاقا للمحاولة واستهلاكا للجهد، والبحث ــ الاجابة عن هذا السؤال، وفى كل يوم يجد العلماء فى خفايا الارض أصابع وأسنانا وجماجم تحدث فى تاريخ الانسان فروقا .. تصل الى ملايين السنين ! والمليون سنة ليست فترة قصيرة فى عمر الانسان كما هى فى عمر الكون ، فقد امتد عمره اخيرا من مليون واحد ، الى ثلاثة ملايين ونصف ، والعلم عند الله !

والمهمة شاقة ، فالدلائل الاساسية هى الحفريات ، قطع واجزاء يصعب استنتاج شىء منها ، وكثيرا ما تؤدى الى استنتاجات متناقضة تزيد من حيرة الباحثين ، خاصة وان ملايين السنين من الزمن الثقيل تجعل املاح الارض تغوص فى باطن العظام وتحل محل جزئياتها وتحيلها شيئا مختلفا تماما عما كانت عليه .

ويعمل المطر وغيره من العوامل على اخفاء الادلة التى يبحث عنها العلماء ، وتتوقف حالة مخلفات الانسان والحيوان على ظروف الهلاك ومكانه ، ومن المعروف ان شرق افريقيا يحظى باكبر قدر من اهتمام الباحثين وذلك لان الظواهر الجيولوجية قد كشفت عن طبقات فوق طبقات من الترسبات واظهرت مايخفى .

كيف يستنتجون ؟

وتستلزم التجارب تحليل التربة التى وجدت فيها ، ثم تنقية المخلفات ثم اعادة تجميع الاجزاء لتصبح جمجمة او يدا ذات أصابع ، وذلك بجهود مضنية تشبه الجهد الذى يبذلونه لتجميع اجزاء طائرة محطمة لمعرفة سبب سقوطها ، هــذه « انثروبولوجيا » التكنولوجيا ، اما تلك فانثروبولوجيا الانسان ، ويلى ذلك خيال العلماء والفنانين الذى يعمل على تكوين شكل الكائن كما كان أثناء حياته .

واشهر علماء الانثروبولوجيا الان « علم تطور الانسان » هو ريتشارد ليكى وهو شاب فى اوائل الثلاثينات وكان ابواه ، لويس ومارى ليكى ، عالمين كبيرين وباحثين شهيرين فى تطور الانسان وكذلك كان بالطبع توماس هكسلى ، جد الكاتب الشهير الدوس هكسلى ، وصاحب نظرية التطور ، تشارلز داروين ، ... الخ .

وريتشارد ليكى كينى الجنسية ، ينتمى الى كينيا ، وهو يجرى بحوثه فى هذه المنطقة التى تعد أصلح مكان للبحث عن تاريخنا الذى لم يسجله اجدادنا القدماء ..

وقد أصدر ليكى كتابا بعنوان



المؤلف مع انسان عمره ثلاثة ملايين سنة

« الاصـول ORIGINS » ، ضمنه خلاصة بحوثه وكشوفه . لن نستطيع فى مقالة كهذه أن تنقل لقارئنا العربى ولا حتى خلاصة لهذه الخلاصة، ولكن نزرا يسيرا فقط . . .

وليكى انجليزى الاصل ، ولكنه ـ كما سبق ـ مواطن فى كينيا « السوداء » كما تسمى ويسمى غيرها من البلاد الافريقية التى يحكمها الان ابناؤها ، ولا يفوته فى نهاية هـذا الكتاب ،

وتحت عنوان « نظرة عامة الى النوع الانسانى » ، أن يدمج خلاصة علمه وفكره النابه ، فيقول والكتاب يقترب من نهايته :

« انه ليس هناك أدنى شك فى أن التفرقة بين ما يسمى بالانسان الابيض ومايسمى بالانسان الاسود قد خلقت تهديدا خطيرا ومستمرا للسلام ،

وبصرف النظر من الراى الفارغ العقيم الذى يقول بأن هناك فوارق عقلية بين البيض والسود . فان تصنيف الانسان الى انواع هو فى حد ذاته هـذيان لا معنى له ، الواقع انه ليس هناك

وجود لشيء اسمه الانسان الابيض او الانسان الاسود ، فالمسألة لا تعدو انه كلما اقتربنا من خط الاستواء زادت نسبة التعرض للاشعة فوق البنفسجية ، وسواد الجلد ليس الا

الاستعداد الطبيعى للتعرض لهذا الاشعاع وهكذا فان الاجيال التى تتعاقب فى هذه المناطق تنتج فى النهاية نوع الجلد الادمى المجهز للحياة فى هذه البيئة ،

وليست المسألة بهذه الدرجة من السذاجة فالمسألة ليست أبيض واسود بل درجات متتابعة من اللون البنى تتناسب مع مسافة البعد من خط الاستواء ،

معلومات جديدة عن تطور الانسان

والسواد كما يسمونه ليس الا الانسجام مع البيئة التى تتطلب ذلك ، وليس لعاقل ان يتصور ان لهذا ادنى علاقة بالمقدرة الفكرية .

« ولقد تغير لون جلد سكان المناطق الحارة عندما نزحوا شمالا وبدات جلودهم تفقد المادة الملونة لانه لم يعد لها لزوم ، والعكس حدث عند النزوح من شمال أمريكا الى جنوبها .

واذا كان سكان امريكا الوسطى الان لم يكتسبوا لون سكان اواسط افريقيا فهذا راجع لقصر الفترة التى قضوها هناك ولكن هذا التغير آت حتما ، ومن السخف ان نتخذ من تفوق الاقلية البيضاء على بقية الجنس البشرى اساسا لمثل هذه الاستنتاجات الساذجة وليس هناك ما يدل على أن هذا التفوق سوف يستمر لانه ليس الا تطورا تاريخيا حادثا فى عالم بشرى يفتقر الى الكرامة والعدالة »

نعم ، ما اجمل الكلام فى السياسة عندما يأتى من عقول تستنير بالحقيقة العلمية وتعتد بفضل اصحابها على الانسانية، وليس من الاوباش المتجرين بالسياسة والذين يتخذونها مهنة لالشىء الا لانهم لا يصلحون لاية مهنة اخرى !

فصول فى حياة الانسان

يبدأ الكتاب بتامل مركز الانسان فى الكون الفيزيائى ، هذا الموضوع القديم :

« ان كوكبنا الصغير يدور حول الشمس وهى ليست الا واحدا من عشرة آلاف مليون نجم فى هذه المجرة ، وهذه المجرة واحدة من ملايين المجرات التى يعتقدانها نتجت عن « الانفجار العظيم » كما يسمى ، وهو الحادث الذى ادى الى وجود الكون كما نعرفه نحن او كما نراه ، يقدر ان هذا الحادث وقع منذ ثلاثة عشر الف مليون سنة ، هذه الارقام الهائلة تلقى ضوءا على مكانة الانسان من الكون ، واذا اردنا أن نكون امناء : فلابد ان نقر باننا لن نعرف أبدا ماالذى وقع لاسلافنا خلال رحلة التطور التى ادت الى الانسان الذى يوجد الان ، فالمسألة ببساطة هي ان الادلة لا تكفي للوصول الى معرفة قاطعة ...

« ومثلا : مواطن اقامة الانسان منذ مليونى سنة ، قليل منها مابقي على حالة تمكن من البحث ، وهذا القليل لن يكتشف منه الا نزريسير بينما تبقى البقية مدفونة تحت الارض : والذى سنجده فيما نكتشف لن يكون الا قطعا مبعثرة من الادوات الحجرية وغيرها هى كل ما تبقى من مدنية معقدة التكوين بمقاييس عصرها على الاقل . الى جانب قدر من العظام المتحجرة ...

« برغم هذه الصعوبة الكبرى ، فاننا نجتاز الان ثورة فى دراسة عصور ماقبل التاريخ ! والذى كان الى عهد قريب مجرد جهود عزلاء منعزلة للعثور على أدوات حجرية وحفنة من الحفريات اصبح الان بحثا علميا تشارك فيه مجموعات عديدة من العلماء من تخصصات كثيرة ، وقد أصبح الان واضحا بما لا يقبل الشك ان خط التطور الذى انحدر منه انسان اليوم يمتد الى الوراء الى خمسة وربما ستة ملايين سنة ، وليس مليون سنة فقط كما كان العلماء يعتقدون الى بضع سنوات مضت ! ومن الواضح ايضا ان اجدادنا الذين تناسلنا منهم كانوا يقتسمون نفس البيئة مع نوعين من المخلوقات لهم بهما صلة وثيقة ولكنهما انقرضا بعد ذلك ، هذان « النوعان الادميان » ، يطلق عليهما اسم « أوسترا لوبيتيسين » ، أحدهما كان ضعيفا نوعا ، أما الثانى فكان صلبا .

هذه الانواع الثلاثة ، تنتمى الى اصل واحد مشترك على الاقل ، وهو قرد صغير يسمى « رامابيتيكاس » ، ظهر لاول مرة منذ اثنى عشر مليون سنة على الاقل وعاش فى أوربا وآسيا وافريقيا . شىء آخر تشترك فيه هذه الانواع الثلاثة ، هو انها كانت كلها منتصبة تمشى على قدمين ، ولا يمكننا

حتى الان ان نصف عملية التطور التى ادت الى ظهور هذه الانواع الثلاثة ولكن مع الكشوف الكثيرة الاخيرة يمكننـــا وصف اسلوب معيشة كل منها بشيء من التفصيل ، ولم تكن هناك خلافات كبيرة بينها اول الامر ، الا ان « هومو » ، وهو الكائن الذى نتحدر منه، بدأ يتميز ويتطور مبتعدا عن زميليـه ، وكان من الاحداث الخطيرة فى تطوره ان بدايأكل اللحم ، لان اكل اللحم يتطلب الصيد ، والصيد يتطلب التعاون وايجادالجماعات وكان الامر الثانى هو جمع الثمار للطعام استمر هذا وذلك الى فترة ترجع لمـــا لا يزيد على عشرة آلاف سنة ، عندما بدا الادميون يعرفون الزراعة .

بقية القصة معروفة ، جاءت الثـورة الصناعية بعد الثورة الزراعية «فى القرن الماضى فقط » وادى هذا الى الحيـــاة التى نعيشها اليوم ، وصحب ذلك تزايد تعداد الكائن البشرى من عشرة مـلايين اثناء الثورة الزراعية ، الى مايزيد عـلى اربعة آلاف مليون ، اثنان من كل ثلاثة منهم يعانيان الجوع !

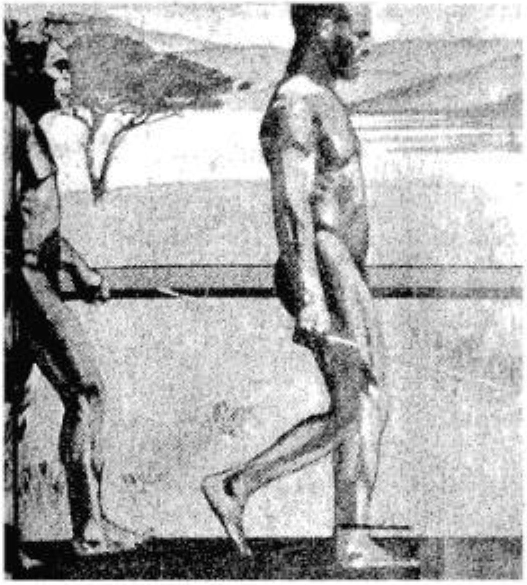
المقياس الزمنى

يلجأ المؤلف الى تصوير جميل للفواصل الزمنية بين مراحل تطـور الانسان ، فيقول : لو اننا اردنا ان ندون تاريخ كوكب الارض ، يوما بيوم ، وسنة بسنة منذ ان ولد هذا الكوكب كعضـــو فى مجموعة الشمس ، منذ ما يقدر بأربعة آلاف وخمسمائة مليون سنة ،فى كتاب واحد يقع فى الف صفحة بالضبط ، كل صفحة تصف اربعة ملايين ونصف مليون سنة ، فان الربع الاول من الكتاب حوالى ٢٢٠ صفحة ، ستصـــف كيف وجدت الظروف التى تناسب نشـــاة الحياة ، والتى جاءت بعد أن تـــكثفت الغازات لتكون جسم الارض . عندئذ ، بدات كتل جيلاتينية التكوين ، اجسام حية بلا شك ،تظهر فى دوامات المحيطات الدافئة .

اما بقية انواع الحياة البحرية التى نعرفها الان فانها لاتظهر الاعندماتاتى على ثلاثة ارباع الكتاب ، وعصر الحيـــاة السمكية يرجع الى خمسمائة مليـــون سنة ، اما الكائنات البرية الاولى ،وهى سلالة الكائنات البحرية التى هجـــرت حياة البحر ، فتظهر بعد ذلك بثلاثين صفحة ، اى منذ حوالى ٣٥٠ مليـــون سنة .

ياتى بعد ذلك عصر من اكثر عصـــور الحياة الارضية اثارة للعمر وهو عصر الديناصور ، الذى يستمر ثلاثين صفحة تصف الفترة التى تمتدمنذ ٢٢٥ مليون سنة مضت ، الى ٧٠ مليون سنة مضت وفجاة تختفى هذه الكائنات الهائلة وتحل الثدييات محلها ، وفى هذه الفترة ذاتهـــا منذ ٧٠ مليون سنة ، بدأ ظهـــــور « البدائيات » وهى الكائنات القـــروية ذات الاصابع ، وقد بدات بأنواع تشبه الفئـــران ، ما لبثت ان تركت الارض وصعدت الى الاشجار ، من هـــذه الانواع تنحدر القـــرود والنسانيس والانسان .

ولكن اول مخلوق يشبه الادميين يظهر قبل نهاية الكتاب بثلاثة صفحات فقط، منذ حوالى ١٢ مليون سنة ، هذا هو « راما بيثيكاس » ، اما الانســـان « هومو » ، فيبدأ فى الظهور فى نهاية الصفحة قبل الاخيرة !! اى ان عمـــره لا يزيد الا قليلا جدا على واحد من الالف من عمر الكوكب الذى يعيش فيه فسادا الان ، ويبدأ ظهور العدد المصنوعة من الحجر ، وهى علامة عظمى فى تطـــور الانسان ، فى منتصف الصفحة الاخيرة ، واما الازمنة الحديثة ، فتتزاحم الجمل التى تصفها ، فى اخر ســـطر فى الكتاب ! وفيها كل شيء : الفنون والقيم الجمالية ، واللوحات الفنية التى تصور كهوف العصر الحجرى ، ثم بداية الزراعة فى مصر ، ثم الاثارة الفكرية التى صاحبت



معلومات جديدة عن تطور الانسان

عصر النهضة في أوربا ، واضطرابات الثورة الصناعية ، وظهور القوي الكبرى واستقطاباتها الدولية ، وبداية عصر الفضاء ، وكل هذا الذى نعيشه اليوم، ليس الا لحظة تافهة في تاريخ الكون العظيم !

يمضى المؤلف فيقول : ان الانسان قد يكون هو سيد الارض في الوقت الحاضر ولكن علينا ان نراعى ان تاريخنا على الارض ليس الا لحظة خاطفة في زمن طويل ، وانه كما ان الماضى طويل ، فالمستقبل بعيد ايضا ، وسوف تمضى مائتا مليون سنة من الان ، والسؤال هو : هل سيكون « هومو ـ سابينز » اى الانسان « العاقل » كما يسميه العلماء ، هل سيكون موجودا على ظهر الارض ؟

الاجابة هى ، النفى ، بشكل يكاد يكون مؤكدا . وذلك لسببين : اولهما أننا اذا مضينا في غرورنا واسرافنا في استهلاك مواردنا بالمعدل الذى يتميز به الان من يعدون انفسهم « متمدينين » فاننا سنكون قد استهلكنا البيئة التى نعيش فيها بقدر يفوق قدرتنا على التلاؤم ، ان لم نكن قد ابدنا على كوكب الارض ذاته ، والسبب الثاني هو مايدلنا عليه تاريخ الارض ذاته ، وهو ان استقرار عنصر واحد من عناصر الحياة ، معقد بهذا القدر ، لفترةطويلة مهما كان قادرا على التغير والتلاؤم ، غير ممكن من الناحية البيولوجية ،كما ان حياتنا الفكرية واسلوبها يعلوان فوق حياتنا البيولوجية ، وهذا في حد ذاته يجعل مستقبلنا اكثر غموضا ،ويجعلنا لا نستطيع ان نتنبأ بما سيأتى بعد مائتى سنة ، لا بعد مائتى مليون سنة .

كلمة عن المؤلف

مثل هذا الشاب النابه ، هو مايحتاجه كل مجتمع يصبو الى النهضة والى مكانة دولية لائقة . وقد جربنا نحن المصريين ، عصرا كان فلاسفتنا يقولون لنا فيه انه لا أمل في التقدم التكنولوجي والعلمى ، وان العوض اذن يكون مايسمى « التقدم الاجتماعى » ، اى ان البديل للعقول وللسمو الفكرى هو ان نترك زماننا للرعاع يقودوننا الى الوفاة الفكرية والثقافية .

وقد ولد ريتشارد ليكى ليكون عالما انثروبولوجيا ، كما سبق كان أبوه لويس ليكى ، باحثا قديرا في تطور الانسان ، مات سنة ١٩٧٢ ، بعد أن كان قد اضاف كشوفا مثيرة نتيجة لبحوثه عند بحيرة « توركانا » في كينيا ، (والتى كانت تعرف باسم بحيرة رودلف) وكان ريتشارد قد أتم ستة شهور من عمره عندما صحبه ابواه في اول رحلة استكشافية .

وكان قد تعلم الكشف عن الحفريات وفحصها من قبل ان يتعلم النطق ، ثم تعود استقبال العلماء ومصاحبتهم في رحلات ابيه الاستكشافية ، وفي السابعة عشرة ترك دراسته وبدا يخرج في رحلات التنقيب بمفرده ، مرتزقا من الصيد ومصاحبة هواة « السافارى » ،



حلقات التطور كما يتخيلها العلماء

وفى سنة ١٩٦٣ شاهد من رحلة بالطائرة فوق المنطقة موضعا اعتقد انه قد يحوى آثارا هامة ، وبتشجيع من ابويه بدأ اعمال الحفر . وقد كان ان عثر على اجزاء من هيكل « اوسترالوبيتيكاس » ، وهو الكائن الذى يقال ان القردة والادميين تنحدر منه .

سافر بعد ذلك الى انجلترا للدراسة، وتقدم للجامعة واجتاز امتحانات القبول ولكنه وجد ان عليه ان يضيع سبعة شهور قبل بدء الدراسة ، فترك الجامعة واستأنف اعمال التنقيب . ومازال حتى الان لا يحمل هذا الشىء الذى يعتبر فى بلادنا تصريح الدخول الى الحياة : الشهادة الجامعية !

وفى سنة ١٩٦٨ سافر الى امريكامع ابيه وطلب قرضا من الجمعية الجغرافية القومية هناك ، لينفق منه على بحوثه ، وعثر فى منطقة بحيرة توركانا على الآثار التى غيرت نظرة العالم كله الى المعلومات التقليدية عن تاريخ الإنسان .

ماذا تقول الحفريات ؟

مصدر المعلومات عن ماضى الانسان هو البقايا العظمية التى تعطى اجزاء دقيقة جدا من الحقائق ، التى كثيرا مالاتكون حقائق ، وكثيرا ما تناقض بعضها البعض وتخلق اسئلة اكثر مما تعطى اجابات ».

وليست كل الهياكل تعيش طوال هذه السنين ، لابد ان تكون « محظوظا » لكى تموت فى ظروف تجعل عظامك تكتشف بعد مائة مليون سنة ، فالذى يحدث هو ان يموت الحيوان او النبات ويدفن فى الطين الذى يغطى بعد ذلك بركانيا ، أما اذا مات فى أدغال غابات ممطرة فان عظامه تتحلل كيمائيا بحيث لا يبقى منها اثر بعد ذلك . القليل من العظام اذن هو الذى يتحجر ويبقى ، والقليل من هذه هو ما يكتشف ، والقدر الاعظم من هذا — كما اسلفنا ، يوجد فى شرق افريقيا .

والعثور على الحفريات يتطلب بصرا ثاقبا وحاسة « مهنية » راقية ، هذا النوع من الفراسة الذى يتميز به الباحث الموهوب ، وهناك من اكتشفوا أدلة لها اثر عظيم على النظريات الانثروبولوجية فى اماكن يمر بها الوف الناس كل يوم دون ان يلحظوا شيئا ..

قصة لم تنشر

كرامة شخصية

● محمد عبد الحليم عبد الله ●

كان الزوج مطرقا ... لم يتكلم .. لم ينف الحادثة ولم يثبتها ...

● **كانت نهاية كل اسبوع تحمل اليها خطابا منه ، وتحمل اليه خطابا منها ..** وبدت الحياة التى يصفها كل منهما على الورق جديدة طريفة كأنهما لم يعشا مثلها من قبل ، كتلك التى يصفها الروائى ولا يستطيع ان يحياها ..

وكانت هى واثقة بان فترة البعد التى فرضتها عليهما الظروف هى التى اكسبت الدنيا طعمها الجديد . لقد رات زوجها يحلق ذقنه امام المرآة كل صباح ، لكن كلمة : « وحلقت ذقنى لم تناولت فطورى » ــ التى كتبها لها فى احدى رسائله ــ كان لها سحر وعطر ذكريات ...

وتنهدت .. وعادت تنفض من ذهنها هذه الفكرة . فكرة أن البعد هو الذى اكسب حياتهما هذا الطعم الجديد . وهزت راسها وهى فى النافذة تنظر الى لا شىء . حين ادركت ان البعد يخدم الحب والكره بميزان واحد ، يخدم الحب باشعال الشوق ، ويخدم الكره ببذر النسيان .

وعلى الرغم من ان الفصل صيف ، فقد كانت هذه المدينة الصغيرة تنام فى وقت باكر ، وتسهر « سميرة » فى الشباك للتنظرات على الليل والشجر والنوافذ البعيدة وملعب الكرة الفسيح الخالى الذى اكلت اعشابه احذية اللاعبين ، وعلى امراة حامل يسبقها بطنها ويتبعهما زوجها تتمشى على الطريق الهادىء .

ويتيح لها كل هذا ان تفكر فى حياتها وان تلقى نظرة على الاعوام التى مضت .

انه رجل لطيف .. زوجها. جاوز الاربعين بقليل ، يشغل وظيفة فى ديوان المحاسبة وله صلات اجتماعية لا باس بها . من النوع ذى الاعماق المتتابعة الذى ينكشف لك منه بعد جديد بعد ما توقن انك قد وصلت الى قراره . وهو لذلك يسحر النساء ، غير ان ثقة سميرة بنقاء صفحته كانت موضع عجب كل من يعرفونهما ، وكانت تحس ان فتور علاقته بها احيانا شىء مثل فتور



النوم .. وينتمي الى الحيوية مثل انتماء الراحة الى العمل . وحتى اخطاؤه الحقيقية كانت لا تنال الا صفحها .. كثيرا ..

لكنها في هذه الفترة التي يغيبها الآن - في الاسكندرية - خامرها شعور غامض كشعور العذراء ، ذو طابع قلبي اكثر من اي شيء آخر . وخالطها هذا الشعور طوال الليلة الماضية فلم تنم كثيرا . وفي ساعات النوم كانت تحلم بما ستعمله في الصباح . وفي الصباح الباكر منذ الساعة السادسة والاولاد لا يزالون في فراشهم . ارتدت ثوبا بسيطا وخرجت من البيت .

وكانت تبتسم وهي في الطريق وفي لحظة من اللحظات لم تفطن الى ان الابتسامة التي على شفتيها كانت واضحة جدا الا عندما ابتسم لها احد الطلبة ورفع لها يده بالتحية .

« ما اجمل ان يستمع مني اليوم كلمة صباح الخير على غير انتظار ! قبل ان ينزل الى عمله .. قبل ان يغادر غرفته في الفندق الذي ينزل فيه .. ما اجمل ذلك ! »

ولمت هذه الفكرة على وجه ما عندما كانت الساعة تشير الى السابعة صباحا في مكتب التليفون في المدينة الصغيرة و « سميرة » تنظر الى الساعة من خلال الباب الزجاجي المقفل .

ثم كتبت له آخر خطاب تقول فيه : « انني انتظر عودتك التي لم تحددها بعد » وكان مليئا بعبارات حب لم تكتبها اليه من قبل .. عبارات عادية غير مغلفة كما تعودت ان تفعل ، فقد كان في بعاده يقرأ رسائلها فيحس كأن الحياء يتسلط على اهم كلماتها . اما في هذه المرة ، فهناك حديث عن القبلة والشفة الغليظة والتلاشي بين الذراعين القويتين . كانت الرسالة امامه الجسد سقطت عنه الغلائل .. وخيل اليه انها تتحدث عن حبهما له بصوت عال يسمعه الجيران ، فلم ينكر حديث الحب بل انكر ارتفاع الصوت . يا الهي ما هذا !!

وقلب الرسالة بين اصابعه باهمال ،

وتاهت نظراته في البحر الصاخب ، ثم استقرت وهو يسندها على الراية السوداء المرفوعة على سارية . وتنهد .. وبحث عن ريقه ، احس انه ظمآن .. الى ماذا ؟! الى الراحة .. وهل هناك شيء ؟!

كان موقنا ان احاديث الحب لاتصلح الا همسا ، ويعلم ان « سميرة » تعرف ذلك وتذكر رسائله اليها . كانت فيها عبارات غير مغلقة ، فهل أحست هي بنفس احساسه ؟ ربما ! وشرد يتذكر .. كان قادرا في هذه اللحظة على استحضار كل ما فات . على قراءة الرسائل التي عنده .. كانت منشورة أمامه . وقال في نفسه : « بمثل هذا سنعذب في الآخرة عندما تصبح اخطاؤنا ماثلة امامنا كيوم وقعت ويكشف حجاب الغيبة عن عيون الناس .. آه » ..

ولم يدر لماذا اوحى اليه ان ينهي مهمته في الاسكندرية قبل ميعادها المحدد بايام .. وركب القطار عائدا الى المدينة الصغيرة . وكان طول الطريق يفكر في الكلمات العابرة والصوت الهامس ، عندما يفتح الباب بالمفتاح الذي يحمله ويفاجئها في ركن الشقة .. آه !

ترى ماذا سيكون الموقف ؟ ! ان المفاجأة ستحملها على البكاء .. حتما !! وتخيلها وهي مسندة راسها الى كتفه تبكي كطفلة كبيرة .. ثم طعم الماء المالح الذي بلسانه ، انه اعظم انواع الحلوى ! ..

وادار المفتاح في الباب برفق شديد ودخل على اطراف اصابعه .. كان كل شيء ساكنا والشبابيك مغلقة . ولم يكن ممكنا ان يراها من الشارع الرئيسي الذي جاء منه لأنها كانت تطل على شوارع خلفية . وعجب .. وعلى الرغم من يقينه الا احد في المسكن فقد رفع صوته ينادي كما يفعل الجريح ليثبت لنفسه انه لم يمت . نادي : « سميرة » .. فجاءه الصدى. ولم يكن هناك مجال للعتاب فميعاد عودته كان بعد ايام .. نعم وقرية أصهاره على مسافة نصف ساعة بالسيارة من هذه العاصمة الصغيرة .

وحمل رأسه بين كفيه وهو جالس على احد الكراسي في المدخل ، ثم أفاق قليلا فرأى ورقة كبيرة تنادي من يقرأ موضوعة على احدى المناضد . فقام اليها ملهوفا وقرأها .

كانت تقول له : « انني يا حبيبي سئمت الوحدة والوحشة » ولم تستطع ان تتغلب بالشوق وهي في السجن الانفرادي فسافرت الى اهلها في الريف : « واذا قدر ان تحضر وأنا غائبة فاطلب اخي في تليفون العمدة .. تبلاتي والأولاد » .

واحس نوازع الشوق تكاد تحرقه . وأحس بظمأ شديد . ثم قام ففتح النوافذ وأطل على الملعب .. كان هناك فريقان يتصارعان وغبار خفيف معقود في سماء الملعب . واصوات التشجيع والارشاد والمخاوف تتناهى اليه . ولم يكن داخل الزوج باحدا من هذا كله . كان في نفسه غبار والم وأشياء يصطدم بعضها ببعض ..

وترك النافذة وعاد الى المدخل ليأخذ حقيبة سفره . وعندما انحنى ليأخذ الحقيبة القريبة من الباب رأى ورقة اخرى ، في حجم نصف الخطاب المعروف داسها بقدمه وهو داخل ، ومن المؤكد ان يدا دفعت بها من تحت الباب المقفل لتدخل الى الشقة ،

وليراها الداخل عندما يعود ..

وقراها بلهفة . كانت مكتوبة بسرعة واهمال . انسان يريد ان يقول شيئا بسرعة وخوف وان كان عمله لا يخلو من المجازفة : « حبيبتي .. كنت اطمع في لقاء آخر قبل سفري ، لكن .. ظروف . « س » « ... »

ولم يصدق عينيه . وعاد تقرا الورقة حتى .. صدق عينيه ! ثم ، وضع خطابها جنب هذا الخطاب الحب عن اليمين والخيانة عن اليسار ، وكاد يجن . . انه شيء لا يصدق . وحمل رأسه بين كفيه واطرق يذكر الماضي . الجنة والنار .. والدفء والحريق حتى بلغ به العذاب منتهاه فقرر أن يتصل بتليفون العمدة ويطلب شقيقها ويقول له : ان كل شيء بينهما قد انتهى . و . . و . .

وعندئذ سمع جلبة على الباب واقداما لا تزال تصعد السلم . وصوت ولده وبنته يحاوران امهما في شيء فتاهب للنزال وهو جالس خلف الباب .

ومن فتحة الباب دخل الطفلان اول كل شيء واغرقا الأب في عناق طويل ولم يكن لقاء الزوجين في حرارة لقاء الأب واطفاله فقد حاولت « سميرة » أن تحتفي به بما يسمح الوقت الذي يشهده الأطفال ، فرد عليها ببرود . لكنها جلست الى جواره تثرثر ببراءة عجب لها . وكانها لا ترى الوجوم الذي يظلل وجهه :

« كانت اياما جميلة .. اقصد التي قضيتها انا في الريف .آه ، مالك ! .. مؤكد انك تعبان من السفر » .

— مؤكد !!

— آه .. » وضحكت في سعادة« قلت في نفسي مادام زوجي يغطس كل يوم في البحر فلماذا لا افعل مثله ! »

فرد في فتور وتحد قائلا :

— آه ، صحيح .. واجب !

— لكن .. بما انه ليس عندنا بحر مثل بحر اسكندرية فلماذا لا اذهب الى الريف .. البحر الاخضر .. هناك ، هه !! لماذا لا ترد ؟

— ...

— آه ، هل قرات الرسالة التي تركتها لك ؟ معذرة فقد كانت أمي مريضة ، آه .. هل اعجبتك افكاري .. ما رأيك في رسائل الغرام التي اكتبها ؟ هل تراها من النوع الحاد !؟

فرد وابتسامة مخيفة تتخايل على شفتيه ، ابتسامة المبارز حين يخرج السيف من جرابه ليشهره في وجه خصمه .

ثم هز رأسه مرتين وقدم لها احدى الرسالتين قائلا :

— في حرارة مثل هذه الرسالة ؟
وظل محملقا فيها .. اما هي فقد قراتها ووضعتها على منضدة برفق ، ثم اخذت الاطفال الى الداخل ووضعت لهم طعاما يشغلهم ، وعادت اليه وعلى وجهها علامات تصميم شديد :

— اين التقطت هذه الورقة ؟
— من صفيحة القمامة !

— اذن ، اذن .. فلا علاقة لنا بها!
— لقد وجدتها في المدخل ، مدفوعة بلا شك من تحت الباب .
— وانا مالي !
— اليست موجهة اليك ؟

ـ لا يا وكيل النيابة : لكن ألا تثق بي ؟ !

ـ كنت ...

ـ والآن ؟!

ـ لا .

ـ لا ؟ لكن .. لماذا أثق بك ؟!

ـ لانني أهل لذلك !

ـ أهل للثقة لانني لم أجد مثل هذه الورقة التافهة في أوراقك !!

فهز كتفه ولم يرد .. وظل يحملق كالنمر الذي ينتظر فرصة الوثوب ، وخيم صمت حاد جدا . قالت بعده :
ـ هل تحب ان تعرف الموقف ؟

فضحك حتى لمس راسه الحائط .
ـ وقال ساخرا :

ـ اذا سمحت !

فتنهدت وقالت :

ـ احسست بشوق شديد اليه .. قمت في الصباح الباكر ولبست ثيابي ، وكان الاطفال نائمين ..

ونظرت اليه . ناذا به ناغرا فمه متعجبا من اعترافها . فاستطردت :

ـ وكانت الساعة تشير الى السابعة صباحا حين كنت في كشك التليفون اطلب الفندق . في اسكندرية ..

وصمتت ونظرت اليه . كان لونه مصفرا وبدات اعضاؤه تتراخى ، وقلت حدة نظراته .. واستطردت :

ـ ردت على عاملة التليفون هناك وسألتني : من تطلبين ..؟ ثم قالت بعد وهلة كمن تذكرت شيئا : آه .. لقد نزل حالا .. هل ترغبين ان تكلمي المدام ، فلما وافقت طلبت الحجرة التي فيها ـ انت تعرف من صاحبها ؟! ـ لاكلم المدام .. لكن ما لبثت العاملة ان اعتذرت بانها لا ترد فلعلها في الحمام ..

« لم استغرقت في الضحك » ..
كان الزوج مطرقا ، لم يتكلم ، لم ينفِ الحادثة ولم يثبتها .. ولما طال الصمت قالت له زوجته :

ـ افرض ان هذه الورقة التافهة صحيحة .. فما رأيك في قاعدة المعاملة بالمثل ؟!

فرد بصوت جريح . لكنه قادر :
ـ انا .. لا ، لا أقر هذه القاعدة ..

فردت هي بهدوء قائلة :

ـ ولا انا .. بالنسبة لي فقط ، لانني احترم نفسي !.

ثم قامت وغابت قليلا وعادت وجلست ثم سألته :

ـ هل تطلب تفسيرا لخطاب الغرام القصير المتعلق بي انا ؟
فاوما براسه : نعم .

فقدمت اليه النصف الثاني من الورقة .. وكانت تذكرة طبيب تعودوا التردد عليه . قطعت نصفها الابيض وقلبته وكتبت عليه بيدها اليسرى ما كتبت ، وكان عنوان عيادة الطبيب على هذا النصف لكن على الوجه الآخر .. شطبته بالرصاص ليمكن مسحه عند التحقيق وكتبت بنفس القلم الذي شطبت به . كانت تقوم بمسح الشطب وتركيب نصف التذكرة الابيض على النصف الآخر بهدوء ومهارة ، وهو صامت صمت الصنم .
لم قدمت له كل هذا في صمت ...
عندئذ قام وهو لا يتكلم . فشيعته بكلمة واحدة :

ـ هل عرفت ؟!

لكن مستقبل الايام كان احسن .. لكن بالتدريج ، قليلا قليلا .. بعد ان استعادت النفوس هدوءها والقلوب ثقتها بمرور الزمن ، كما تسترد الارض المنهوكة خصوبتها .. قليلا ، قليلا .. ●

الجدّ والحفيد

● عامر محمد بحيرى ●

رجعتُ من حَلْبة القصيد   بلُعبة الجدِّ ، والحَفيدِ !
ولذّة اللهو ، والتصابى   كرِنَّةِ اللحن ، والنشيد
كأنّنى أستعيد عمرى   وهل لما فاتَ من مُعيد ؟
طفولتى بعدما تولّت   تَعُود فى ثوبها الجديد ..
كأنّنى فى مقرِّ دارى   بمجلسى المفردِ ، الوحيد
من فتيةِ الكهف .. بعد نوْمٍ   الاعب « الكلب » بالوصيدِ
يقول « هو ، هو » .. فيستبينى   بصوته الناعم السعيد
يجيؤنى الصبح فى سريرى   بالصحف من عزمه الوطيد
ويرهف السمع فى انتشاء   لقارئ السورة المجيد ...
وربما راحَ وهو يبكى   فى غضبة الثائر العنيد
وربّما عادَ فى ابتسامٍ   وقدّم الكفّ .. للصعود ...
فقلت أهلا ، وقلت سهلا   طوقت بالباقياتِ جيدى !
حفظت صحبى ، وأهل ودّى   وصنت ما بينهم عهودى
وسقت غيثى لهم رحيما   ينبت بالزهرِ والورود
فلم أجِد كالصغار أهلا   لحبّى الصادق الأكيدِ
وكلهم كالحفيد عندى   إذا تأملت ... من بعيد
أحبهم .. غيرَ أن قلبى   يخصه اليوم بالمزيدِ
فطالما شاقنى لديه ـ   براءة الناشئ ، الوليدِ
براءة الطفل ... وهى صدق   أولى من الكذب ، والجحود !

ناس وصور وحكايات

صح النوم

●● مهمـــا كان مستوى البرلمانات فان جلساتها مملة في أحيـان كثيرة ، وخصوصا عندما تطول المناقشات ويكثر الاخذ والرد في امور لا تهم بعض القوم فيغلب عليهم النوم ، وهم معذورون ...

هذا يحدث في كل برلمانات العالم .

ولكن الصورة التي تراها هنا تستحق منك ابتسامة .

لقد اخذت في مجلس النواب الفرنسي المسمى بالكورتس اثناء التصويت على الدستور ...

وبينما كان الخطباء يتناوبون على المنصة قبل التصويت استولى الملل والسأم والنعاس على بعض النواب .





المليونيرة وسائقها

●● من الطبيعي ان يكون لكل مليونيرة سائق ، او اكثر من سائق . ولكن المليونيرة الالمانية ميتزى فايلاند وسائقها فيليكس اداتوس ثنائي عجيب .

انها اقصر مليونيرة في الدنيا فطولها ١٤٥ سنتيمترا فقط وهو اطول سائق في الدنيا ، فطوله ٢١٠ سنتيمترات ..

والصورة امامك تعبر عن هذه المفارقة ، حتى السيارة الفاخرة مرسيدس ٤٥٠ س ل - اغلى سيارة في الدنيا - تبدو قزمة الى جانب هذا العملاق ! ..

ناس
وصور..
وحكايات

هكذا تكون الأخوة

● ● عندما نبحث في ملفات المحاكم عندنا نجد مئات من الاخوة غارقين في قضايا بعضهم مع بعض على اشياء فانية من الميراث والى هؤلاء نهدي هذا الخبر :

رولف ريتر (٣٦ سنة) شاب المانى يعمل مهندسا في احد المصانع الالكترونية ، وهو موفق في عمله ، وكان الشيء الوحيد الذي ينغص عليه حياته هو أن اخته روزى (١٧ سنة) مصابة في كليتيها وقد قرر الأطباء انها لن تعيش طويلا ٠

ولانقاذها كان لابد من استئصال الكليتين وتعويض روزى بكلية سليمة من اخيها ، وبكل نفس راضية وافق رولف ، واجريت العملية المزدوجة للاثنين في وقت واحد : استؤصلت كليتا روزى ونقلت واحدة من كليتى رولف الى اخته ونجحت العملية وشفيت روزى ، وعادت اليها متعة الحياة ، في الصورة السفلى روزى وقد اقعدها المرض ولم تعد تنتقل الا على كرسى ذى عجلات ، وفي العليا روزى واخوها بعد الشفاء ٠







لإنقاذ كلب

●● كان الكلب بللو ـ وجنسيته المانية لأن صاحبه ديتريش ليمان الماني من دسلدورف ـ يقفز فوق حفرة عميقة الى جوار قدمه ،ولكن القافزه لم تتثبت بالناحية الاخرى من الحفرة ووقع المسكين الى القاع ، وقف في الماء الى منتصف القامه واخذ يبكى .

وترامى الصوت الى صاحبه ، فاسرع الرجال المطافيء ، فجاءوا بسلم حديدى ومدوه حتى بلغوا موضع الكلب وحملوه وصعدوا به ...

واخيرا عاد بللو الى ذراعي صاحبه .

الا ترى الشكر والامن في عيني الكلب ...

عادت إلى حجمها الطبيعي





هل تذكر كريستين كيلر والفضيحة التي أثارتها بعلاقتها باللورد بروفيومو الوزير الانجليزى أثناء الستينات ؟

يومها قال الناس ان كريستين كيلر قفزت الى القمة واصبحت من شخصيات العصر ، وانها ستصبح من ذلك الحين كوكبا لامعا فى المجتمع مثلها فى ذلك مثل مدام بمبادور محظية لويس الرابع عشر مثلا ..

ولكن فاتهم ان مدام بمبادور لم تكن مجرد محظية .

كانت شخصية ادبية فكرية فنية .. كانت مؤهلة لتصير سيدة مجتمع وقبلة الانظار فى صالون ادبى كبير ..

ولكن كريستين كيلر كانت مجرد امرأة ارخصت نفسها ، ثم جاء اللورد بروفيومو فهبط الى مستواها واقام علاقة معها ، بغباء اللوردات المعروف ..

وتألق نجمها

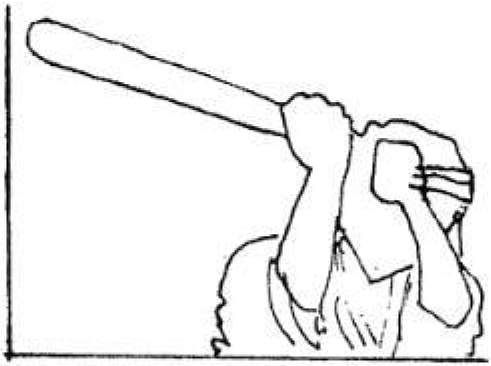
ولكن الفضيحة قضت على اللورد بروفيومو .

وانطفأ ضوء كريستين كيلر وعادت الى حجمها الحقيقى .. عادت عاملة فى محل تجارى ، بائعة فى متجر ضخم لا يلتفت اليها أحد ..

فى الصورة الاولى ترى كريستين كيلر ايام مجدها الرخيص ..

وفى الثانية كريستين كيلر كما هى اليوم .. فى حجمها الطبيعى .

ولا زالت مذبحة الأطفال مستمرة



فى شمال كندا والسويد والنرويج تعيش فى الثلوج الفقمات وهى نوع من كلاب البحر تمتاز بوداعة وظرف فهى فى أصلها كلاب لطيفة امينة،ولكنها منذ ملايين السنين أخذت طريقها الى البحر واصبحت من فصائل الاسماك .

والفقمة تولد بفراء ابيض طويل الشعرفى غاية النعومة ، فاذا كبرتسقط الشعر الابيض الناعم ، وبدا من تحته الجلد الاسود فيخرج منه شعر اسود غليظ هو الذى تعيش عليه الفقمة بقية حياتها ..

ولكن الشعر الابيضالذى يكسوجسد الفقمة الطفلة اشتهر فى عالم الفراء باسم المينك أو الديرمين ، وهو من اغلى انواع الفراء واجمله ، ومعطف المينك للسيدات قيمته عشرة آلاف جنيه ، لأنه يتكون من خمسين فراء مهياة ومحاكة بعضها ببعض .

وكان الناس فى الماضى يعثرون على طفلات الفقمات مصادفة فيأخذونها ويستخلصون جلدها ، وكان فراء المينك نادرا ولكنه تحول من سنوات الى تجارة واسعة النطاق .

وعندما تحول الامر الى تجارة أصبح الصيادون لا يبالون بشىء ، لكى يحصلوا على الفقمة الطفلة يضربونها بخشبة ضخمة على رأسها لتموت ، لأنهم يخافون أن يصاب فراؤها بشىء اذا ضربوها بالرصاص .. فاذا تصادف ان كانت الام موجودة قتلها الصياد بسكين لكى يأخذ الطفلة .

وقد تفاقم الامر فى السنين الاخيرة ، فاصبح اولئك القتلة الذين يسمون انفسهم صيادين ينزلون بهذه الفقمات الاليفة مذابح رهيبة حتى لقد بلغ ما يصيده الواحد منهم عشرين طفلة فى اليوم يبيع فراء الواحدة منها بنحو ١٠٠ دولار لكى يعالجها تجار الفراء بعد ذلك ويبيعونها بالف .

والنتيجة ان جنس الفقمات معرض للفناء ..

لارضاء جشع حفنة من الصيادين ووحشيتهم تنزل مذبحة بفقمات صغار بحياة جنس من الحيوان اليف وديع .

وارتفعت الصيحة فى اوربا وامريكا، وتألفت جمعيات لمحاربة هذه الوحشية، وانشأت هيئة الامم مؤسسة وظيفتها ايقاف هذه المذبحة الرهيبة ..

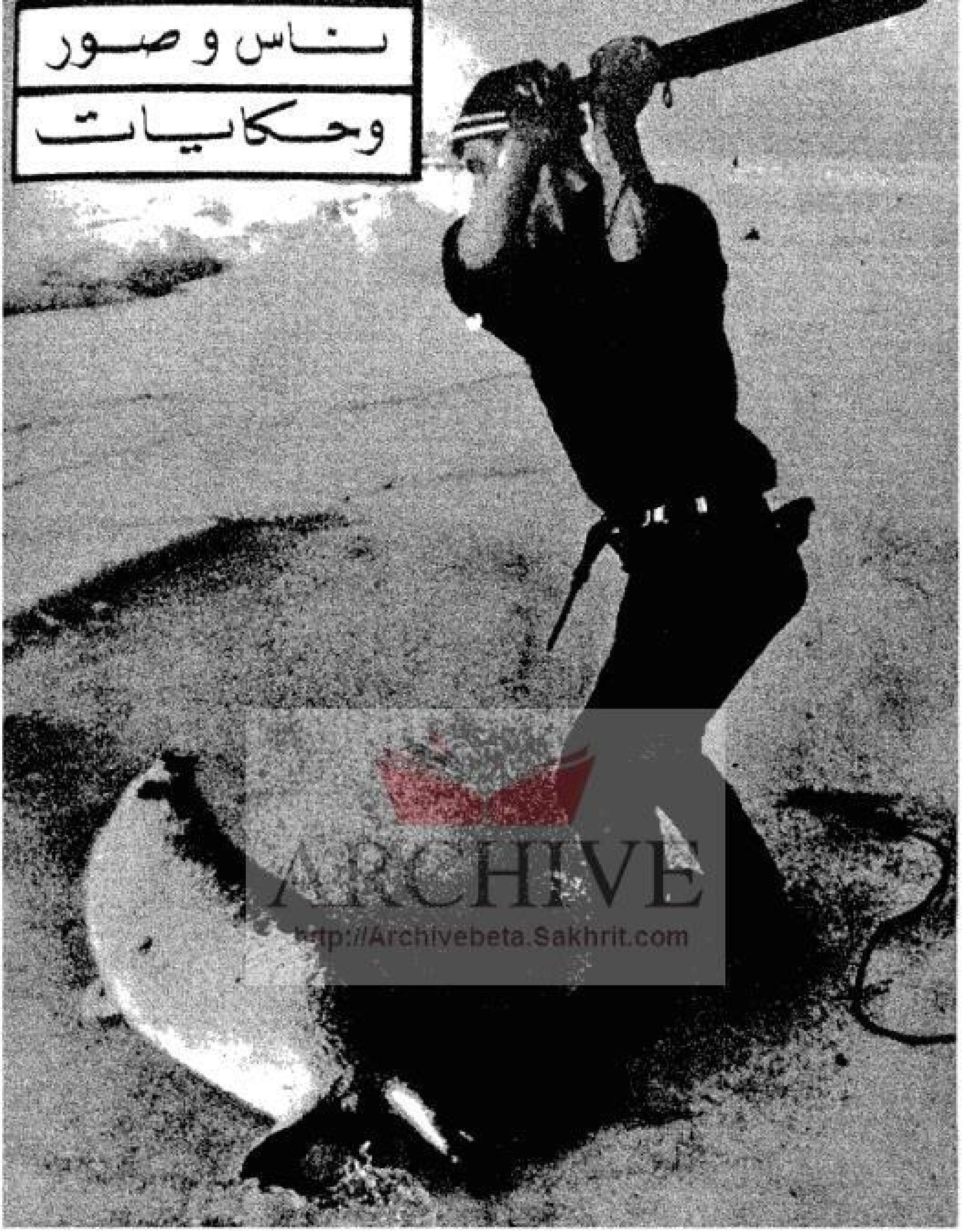
ونجحت الحملة الى حد ما ، ولكن المذبحة مستمرة ، خفت بعض الشىء . ولكنها مستمرة ...

حقا ، لم يخلق الله على هذه الارض اسوأ منجنس الانسان : انه يبيدأجناسا كاملة ليعيش هو . كان فى الولايات المتحدة عندما اكتشف الاوربيون أمريكا ٣٠ مليون من الثيران المعروفة باسم البيزون .

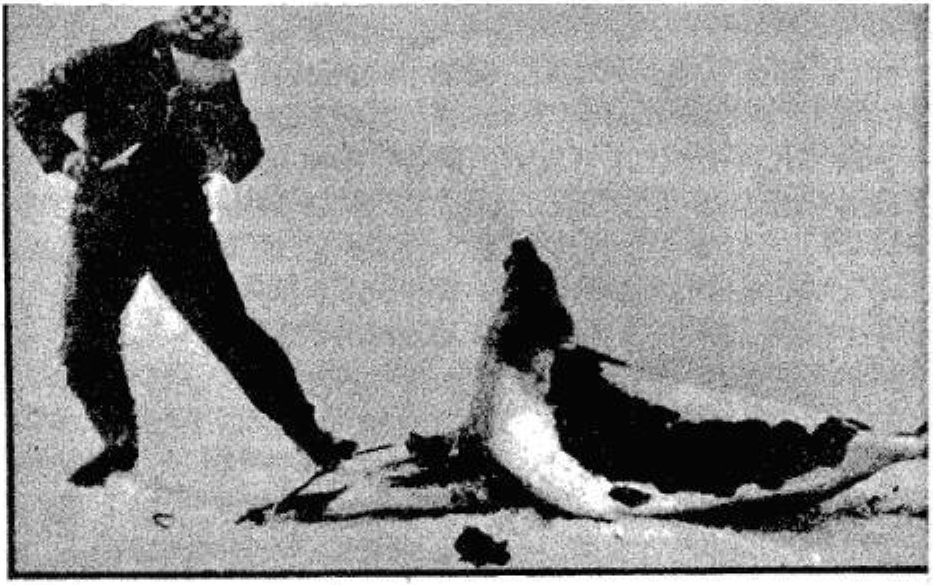
هذه كلها أبيدت !

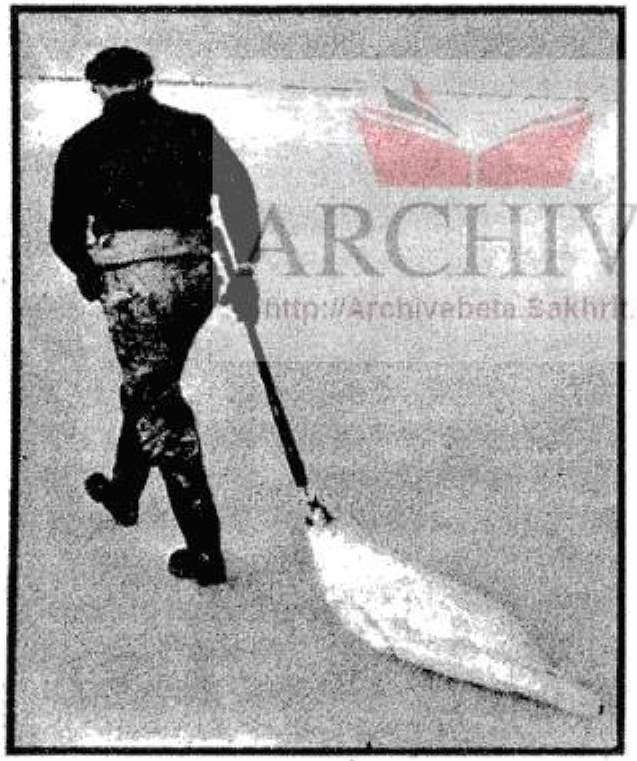
لم يعد من البيزون الا نماذج قليلة تعيش فى المتنزهات القومية فى كندا والولايات المتحدة ..

ويخشى ان يكون هذا مصير الفقمات اذا لم تتوقف مذبحة هذه الاطفال الوديعة



هكذا يقتل الصياد القاسي تلك الفقمة الطفلة بعصا غليظة .. يضربها على راسها ليقتلها دون أن يتلف فروها .. انظر كيف تسترحمه المسكينة وترجوه أن يبقى على حياتها !.





هذه المرة وجد الصياد الفقمة الأم الى جانب طفلتها ، فاخرج سكينا وضربها فقتلها ثم قتل الطفلة لكي يحصل على ١٠٠ دولار ! أزهق روحين في مقابل هذا المبلغ الزهيد ٠

وبعد أن قام بجريمته ربط الفقمة الطفلة القتيل بحبل وجرها على الثلوج لكي يبيعها بمال قليل

مرآة الفكر الغربي

الفراق

● للشاعر الانجليزي لورد بيرون ●

● ترجمة وتقديم : د . سليم الاسيوطي ●

● اللورد بيرون شاعر نال من التقدير والاعجاب في خارج وطنه اكثر كثيرا مما ناله بين قومه ومواطنيه : ولم يهتموا له الا فيما بعد ، ولم يلتفتوا الى شعره الا في وقت متأخر ..

ولد لورد جورج جوردن بيرون في لندن ، في الحلقة الاخيرة من القرن الثامن عشر ، وهو ينتمي الى اسرة نبيلة اخنى عليها الدهر . وعندما آل اليها لقب الاسرة ، « اللورد » كان هو في سن الطفولة . ولكنه اضطر الى بيع ممتلكاته لتسديد ديونه .

ولم يهنأ بيرون في زواجه : فقد اقترن بفتاة ورثت ثروة طائلة ، ولكنها حرمتها عليه ، كما بخلت عليه بالوفاء والولاء ، فتركته يجتر همومه ...

وسافر الى ايطاليا حيث انضم الى زمرة المقيمين في « بيزا » وكان من بينهم شيللي . وهناك نشر عددا عديدا من اشعاره في صحيفتهم « الحر » .

وفي عام ١٨٢٣ غادر جنوا الى اليونان لينضم الى صفوف المناضلين للدفاع عن حرية اليونان واستقلالها .

ولم يمض وقت طويل عليه في حياة الجندية والكفاح من اجل الحرية : حتى قضى نحبه اثر اصابته بالحمى في ميسكوتونغى

قصيدته « دون جوان » ، وشقيقتها « تشايلدهارولد » ـ هما من أروع اعماله واشهرها . أما هذه المقطوعة «الفراق» فهي رجع الصدى لما اصابه بعد هجر محبوبته

ON PARTING

The kiss, dear maid ! thy lip has left
Shall never part from mine,
Till happier hours restore the gift
Untainted back to thine.
Thy parting glance, which fondly beams,
An equal love may see :
The tear that from thine eyelid streams
Can weep no change in me.
I ask no pledge to make me blest
In gazing when alone ;
Nor one memorial for a breast,
Whose thoughts are all thine own.
Nor need I write—to tell the tale
My pen were doubly weak :
Oh ! what can idle words avail,
Unless the heart could speak.
By day or night, in weal or woe,
That heart, no longer free,
Must bear the love it cannot show,
And silent ache for thee.

Lord Byron.

الفراق

للشاعر الانجليزى لورد بيرون

ان القبلة التى طبعتها شفتاك ايتها العذراء الحبيبة !
لن تزايل شفتى ،
حتى تبادلك الهدية ساعات اسعد
فتعيدها اليك طاهرة نقية

***

ان نظرتك التى تودعنى تشرق هياما
ستحظى بحب يعدله
والعبرة التى تنحدر من اجفانك
لن ترى غير مثيلها عندى

***

انى لا ابتغى عهدا يهبنى البركة
وانا احدق فى عزلتى ،
ولا ارغب فى تذكار لصدرى
الذى يحفل بكل ما هو لك

***

فلا جدوى من ان اكتب قصتى
وقلمى يعجز المرة تلو المرة
اواه ، ! ماذا عسى ان تفيد الكلمات العقيم
ما لم يستطع القلب ان ينطق

***

سواء فى الليل او النهار فى السراء او الضراء
يتعين على القلب الذى فقد الحرية
ان يحتمل عبء الحب الذى لايستطيع البوح به ،
وان يألم فى صمت من اجلك

شيء من العلم

أرسطو العصر الحديث!

• د. صلاح عبيد •

نظر الى استاذ الفيزياء الذرية فى احدى جامعاتنا بدهشة كبيرة حين شرعت اتحدث عن وجهة نظرى فى معادلة الكتلة والسرعة « لاينشتين » ...

واستوقفني قائلا انه حين كان يعد رسالة الدكتوراه خطر له أن يبدى ملاحظة عارضة على بعض افكار « آينشتين » فانتهره استاذه بشدة... ومن يومها وهو لا يجرؤ على تكرار ما فعل !..

وكان معنى كلامه انه اذا كان هذا هو حال اهل العلم ، فكيف تجسر انت يا رجل الأدب على معارضة « آينشتين » فى أهم معادلات النظرية النسبية الخاصة والتى هى الوجه الآخر لمعادلة الكتلة والطاقة الشهيرة: ؟.

والواقع انني كنت سعيدا جدا حين تمكنت من فهم معادلات النظرية النسبية الخاصة ، وكنت اعتبر انني اضفت شيئا هاما جدا الى معلوماتي ... ولم يخطر ببالي أنني سوف اقف منها موقف الناقد أو المعارض يوما ما ، ولكن ما حيلتي وقد قادتني تأملاتي فى طبيعة تركيب الاجرام الفلكية الى اعادة النظر فى افكار « آينشتين » ومعادلاته ...

لقد وجدت ان نقيض فكرة الكتلة والسرعة على طول الخط هو الذى يفسر لنا طبيعة تركيب الارض مما لا ادخل الآن فى تفصيلاته وكان على اما ان اضحى بفهم هذا التركيب أو بمعادلات «آينشتين» ... وقد اخترت التضحية بالثاني !.

وفى هذه الصيف شاءت الظروف ان اكون على مقربة من جامعة « ويلز » فى بريطانيا ، وقلت لنفسي انها لفرصة رائعة لعرض افكارك فى الفيزياء على بعض المتخصصين هنا !..

والتقيت بالدكتور « جوب».

وكان الرجل لطيفا ومهذبا ، وتواعدنا على اللقاء فى الغد ...

وحينما التقينا فى موعدنا صباح اليوم التالي بدا لى أن الدكتور «جوب» فهم انني اريد شرحا مبسطا لقوانين الحركة ، فاخذ يشرح لى قوانين «نيوتن» من البداية ...

وبذلت جهدا فى تحويل مجرى **الحديث وتعميقه حتى تطرقنا الى معادلات النسبية الخاصة ، وحينما تبين له انني لا اوافق على التركيب الرياضى لهذه المعادلات حيث ادخل فيها « آينشتين » معامل لورنتز المبنى على نظرية الاثير – توقف الرجل برهة كأنما فوجىء بأمر لم يتوقعه على الاطلاق ..**

وقال : اذن فانت تعترض على معادلة « الكتلة والسرعة » ..

ومع انه ظل هادئا فى نقاشه بعض الوقت الا انه اصبح عصبيا بعض الشيء وهو يستمع الى اعتراضى على التجربة التى أيدت هذه النظرية وهى تجربة نويمان وبوشرر ..

واشتد بيننا الخلاف على مفهوم الكتلة وقدمت له حجتي المبنية على البحوث الحديثة فى الفضاء حيث تبلغ طاقة الالكترونات الحرة فى اعالى الغلاف الجوى عدة مئات من ملايين الالكترون فولت ، بينما كتلتها القصورية صغيرة جدا .. ونهض الى احد كتبه يلتمس فيها ما ينقض حجتي ، ثم وعد أن يجد فى المستقبل ما ينقضها . واحسست أنه غاضب بالفعل من جرأتى على « آينشتين » ، ولكنه غضب ملفوف بالتهذيب البريطاني وانتهت المناقشة الطويلة المرهقة دون ان يقنع احدنا الآخر برأيه ...

ولكنى تبينت بعدها ان «آينشتين» قد تحول الى عقيدة وانه ربما اصبح ارسطو العصر الحديث ... وان المشقة التى تنتظرنى فى اقناع الناس بوجهة نظرى فى طبيعة تركيب الاجرام الفلكية كما تمثلها الارض، على اساس نظرية تتعارض مع النظرية النسبية – هى مشقة كبيرة حقا ، ولكنها مشقة مصحوبة مع ذلك بلذة كبيرة ..

ذاعَ في هذهِ الرُّبا ذاتَ صُبْحِ
أنْ قضى اليومَ شاعرٌ في المدينهْ
ماتَ وسطَ الضجيجِ .. دونَ ضجيجِ
وثوى راضيا .. بحضنِ السكينه
لم يُشيّعه للثرى غيرُ قلبٍ
كان منذُ مطلع الشباب .. خدينه
هكذا .. تأفلُ النجومُ جميعا
في زحام المدينة المجنونه !

***

عندما ذاعَ في الرُّبا : ماتَ شاعرْ
رُوِّعَ الطيرُ والسَّنا والأزاهرْ
وارتدى الروضُ حُلَّةً من حِداد
ومشى في المروج صَمتُ المقابر ...
لَثمَ الزهرُ عطره في خشوع
وتهاوى منكسَ الغصن .. حاسرْ
والنسيم الهيمان كفَّ جَناحيه ، وحطَّت فوقَ الصباح .. الدياجير

***

وإذا بلبلٌ يجيء من الأفْق لهيفا ... مُرَوَّع النفس .. ذاهِلْ !
صاح : يا هذه الرُّبا والخمائل
يا طيورا .. يا نسمة .. يا جداول !
ذاكَ عيدُ الخلودِ في الأرض .. هيَّا
أرسلي الصوتَ واصدحي يا بلابِل

***

ذلك الشاعرُ الذي عشق الـ
ـحسن وعاش الحياةَ إرنانَ طائرْ
وشذا زهرة ... وهمسَ نسيم
وسنا نجمة ... وإيمانَ ثائرْ
كفكفِي الدمعَ يا رُبَا وأقيمي
مهرجانَ الجمال .. فالميتُ شاعرْ !

توماس مور في ذكراه الخمسمائة

● د . انجيل بطرس سمعان ●

● عندما ورد ذكر أحد المؤتمرات العديدة التي عقدت مؤخرا في كثير من بلاد العالم للاحتفال بالذكرى الخمسمائة لمولد « توماس مور » في حديث مع أحد الزملاء — كان رد الفعل المتسائل والمشوب بالدهشة لهذا الزميل هو :

« وهل مرت خمسمائة سنة على مولد مور ؟ اني لا اخال ذلك ممكنا » .

ولكنه سرعان ما أدرك أن تلك حقيقة تاريخية لا مفر من الاعتراف بها .

أما رد فعله هذا فلعله دليل ، خير دليل ، لا على خلود اسم « توماس مور » وبقاء ذكراه حية في نفوس ابناء هذا الجيل فحسب ، بل على قربه الينا ، وعلى ان البعد الزمني بينه وبيننا يكاد يختصر تماما بحيث نرى « مور » وكأنه معاصر لنا في كثير من وجوه فكره وفلسفته ونظرته للحياة .. ومن هنا كانت ذكراه الخمسمائة التي شارك في احيائها عشرات من الكتاب والدارسين لحياة « توماس مور » واعماله ، ومئات من المعجبين به ، ومحبي شخصيته ، وذلك بالكتابة والقاء المحاضرات وعقد المؤتمرات العلمية واللقاءات العامة التي جمعت بين الدارس المتخصص والانسان العادي غير المتخصص — حدثا ادبيا فريدا من نوعه ..

وعلى امتداد عامي ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ التقى لاحياء ذكرى « مور » علماء وادباء ونقاد من انجلترا وفرنسا والمانيا واستراليا ونيوزيلندا ومصر والولايات المتحدة وكندا في جامعة انجيه في فرنسا ، واجتمع غيرهم وبعض منهم مرة أخرى في واشنطن بالولايات المتحدة وفي السوربون في باريس ، وغيرها من الجامعات أو المدن في المانيا وبلجيكا وانجلترا واليابان .

وكان أهم ما يميز معظم هذه اللقاءات انها اتسمت من ناحية بالروح العلمية الاكاديمية التي برزت في كثير من البحوث التي قدمت فيها لم تنشر بعض منها في الدوريات الادبية ، على أن يجمع افضلها وينشر في كتب فيما بعد ، كما اتسمت بروح الصداقة والالفة والوحدة الفكرية التي جمعت بين اناس من بلاد شتى ومهن مختلفة ، فمن أصدقاء « توماس



توماس مور

مور » الى جانب الدارس والاديب ، رجل القانون والسياسي ، والمعلم ورجل الدين والطبيب والعالم وربة البيت والممرضة والادارى ، ومنهم الشباب والشيوخ والرجال والنساء على حد سواء ..

وفى ذلك تحقيق لآمال توماس مور واحلامه فى انتشار الصداقة ، والاخاء لا بين افراد الشعب الواحد بل بين جميع الشعوب والاجناس ، وفى الاهتمام بالعلم والمعرفة وروح البحث والسعى وراء الحقيقة ما وسع الانسان الجهد .

اما ان دل هذا الاحياء الحافل والصادق لذكرى « توماس مور » الخمسمائة على شيء ، فانما يدل على ما بلغته شهرته من ازدهار فى هذا العصر الذى يتضح ان ـ « مور » ـ قادر على مخاطبته تماما كما كان قادرا على مخاطبة عصره ، او لعله اكثر قدرة على مخاطبة عصرنا الذى انتشرت فيه بصورة اكبر واعمق افكار كانت تعد افكارا جديدة بل وخطرة فى بعض الاحيان فى عصره ، واصبح اكثر تفهما لبعض صفات « توماس مور » ومواقفه من بعض العصور الاخرى التى تفصل زمنيا بين عصرنا والعصر الذى عاش فيه سير « توماس مور » او القديس « توماس مور » ...

وتمثل هذه السمة من سمات شخصيته ، وهى ما يمكن ان نطلق عليها عصريته أو قدرته على مخاطبة هذا العصر ، احدى الزاويتين اللتين اود ان القى من خلالهما بعض الضوء على هذه الشخصية الفريدة الساحرة التى خلدها الزمن فظلت ماثلة امام عيوننا الى الآن ..

اما الزاوية الاخرى والتى قلما تنبهت اليها الغالبية الكبرى من عارفى هذه الشخصية ، فهى ثراؤها وتعدد جوانبها بدرجة تكاد تصل الى حد الاعجاز . فقلما يذكر الكثيرون عن حياة « توماس مور » سوى علاقته المأساوية بالملك الطاغية هنرى الثامن ، ملك انجلترا ، الذى كان فى مستهل حياته صديقا لـ « مور » : شديد الاعجاب بكفاءته وقدراته فى مجال القانون والسياسة ، واجراء المفاوضات بحيث لم يهدا له بال حتى الحقه ـ بصعوبة شديدة ـ بخدمته فى البلاط اولا ، ثم فى حكومة الدولة .. الى ان ارتقى ارفع مناصبها . ولكنه فى النهاية عز عليه ان يمتنع « مور » عن ان يبارك رغباته الشخصية الجامحة والتى تتنافى مع تعاليم الكنيسة التى يؤمن بها « مور » ويقدسها ، ولا يرى غضاضة فى ان يضحى فى سبيلها بكل شيء حتى الحياة ذاتها ... وهكذا لم يتردد ذلك الملك الفاسد الشرير فى ان ينكل بذلك الرجل الامين الصادق الذى فضل الموت على خيانة المبادىء التى يؤمن بها وما يعتقد انه الحق . ومما لاشك فيه ان موقف « مور » هذا واستشهاده فى سبيل عقيدته دعامة قوية من دعائم شهرته وخلوده ، خاصة اذا حاولنا ان ننظر الى هذا الموقف نظرة اكثر شمولية لنرى فيه الذروة لحياة « مور » وما دعا اليه خلالها من مبادىء وافكار ، كما نرجو ان نوضح فيما بعد ..

اما النواحى الاخرى لهذه الشخصية المتعددة الجوانب الثرية غاية الثراء فستتضح اذا القينا نظرة سريعة على التفاصيل الرئيسية لحياة « مور » اولا ثم ركزنا بايجاز على بعض هذه النواحى .

ولد توماس مور فى مدينة لندن فى

السابع من فبراير عام ١٤٧٧ ويقال ١٤٧٨ . » ومن هنا امتد الاحتفال باحياء ذكراه طوال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ » ، في « اسرة طيبة وان لم تكن مرموقة » كما كتب هو في المرثية التي تركها لتعيش على شاهد قبره . وتعلم اللاتينية في مدرسة القديس انطونيوس. وفي حوالي الثانية عشرة من عمره انتقل الى منزل الكاردينال جون مورتون وهو رجل مشهود بتقواه ونزاهته وعلمه ، وكان يشغل منصب الوزير الاول للدولة ، وبينما يعمل الصبي وصيفا في داره على عادة القوم في ذلك الوقت ، تنبه الكاردينال الى تفرده فاوصى بارساله الى جامعة اكسفورد في عام ١٤٩٢ .

ولم يقض « توماس مور » سوى عامين في اكسفورد ثم ارسله والده الذي كان يعمل قاضيا ويريد لابنه ان يسلك نفس الطريق ، الى مدرسة القانون وكانت تسمى بجامعة انجلترا الثالثة « بعد اكسفورد وكمبردج » ، واتم « مور » فترة دراسته وتدريبه ، واخذ في ممارسة القانون محاميا في بادىء الأمر ثم تدرج في سلك القضاء الى ان بلغ أعلى مراتبه .

وفي تلك الأثناء اخذ في تعلم اللغة اليونانية على ايدي خيرة دارسيها في ذلك الوقت ، جون كوليت ووليم جروسين وليناكر ، واظهر براعة فائقة في تعلم تلك اللغة والترجمة منها ، وابدى رغبة شديدة في تكريس حياته للدراسة والعلم . وان كانت رغبة والده في سلوك ابنه طريق الحياة العامة قد تغلبت في النهاية . ولكن حبه لليونانيات قد ظل أحد اهتماماته الرئيسية طوال حياته وزاده قوة لقاؤه بالعلامة الهولندي ارازموس ، عالم علماء الكلاسيكيات في عصر النهضة .

كذلك ظل « مور » موزعا بين رغبته في الخدمة الدينية وبين مواصلة العمل في سلك القضاء ، شاكا في صلاحيته لحياة الرهبنة والكهنوت ، فعمل على اختبار ذاته بأن قضى اربع سنوات بين رهبان دير تشارترهاوس ظل خلالها يجمع بين ممارسة القانون ومتابعة دراسة اليونانية والترجمة منها ومن اللاتينية ، وبين حياة التقشف والعبادة التي يحياها الرهبان . ولعلنا نجد هنا ثلاث نواح هامة ، من نواحي حياة « مور » هي : اهتمامه بالقانون وبالكلاسيكيات وبالدين . ويقال عادة ان لحياة « مور » العملية جوانب ثلاثة : فقد كان الدارس العالم ، ثم رجل القانون ومن ثم السياسي البارز ؛ ثم القديس الذي ضحى بحياته في سبيل ما يعتقد انه الحق .

أما الجانب الأول فيتضح في كتاباته العديدة ومترجماته المختلفة في ميادين الادب والتاريخ واللاهوت . فقد ترجم من اليونانية وكتب باللاتينية والانجليزية ، وفي ميدان الأدب كتب الشعر والقصة الخيالية والمسرحية .

وكانت بادرة اعماله : « مقطوعات توماس مور اللاذعة والكثير من الأبيات الشعرية المترجمة من لغة الاغريق » والتي اخذ في كتابتها في عام ١٥٠٥ ونشرت كاملة في ١٥١٨ ، ثم ترجمة لسيرة حياة الكاتب الايطالي المعروف واحد مشاهير عصر النهضة بعلمه ودعوته للاصلاح ، « بيكو دي ميراندولا » بعنوان « حياة جون بيكو الميراندولي » حوالي عام ١٥١٠ كان قد شارك صديق عمره ارازموس في ترجمة ونشر « الكثير من اعمال لوكيانوس الصغرى مترجمة الى اللاتينية على يد ارازموس وتوماس مور » في ١٥٠٦

وفي باب التاريخ أخذ في كتابة « تاريخ ريتشارد الثالث » باللاتينية وكاد يتم ترجمة انجليزية له بقلمه حوالي ١٥١٣ ــ ١٥١٤ . وكان يرمي الى ان يجعل من هذا الكتاب صورة تاريخية لعصره

حتى موت هنري السابع ، ولكنه لم يتمه ، ربما نتيجة لانشغاله باعمال أخرى ، وربما نظرا لما رأى في ذلك من خطورة لما تعرض له من تقد لنظم الحكم الفاسد والظلم والقهر في عصره .

اما كتابه التالي وهو « يوتوبيا » او كما اطلق عليه «مور» عند نشره : « كتاب مفيد وممتع حقا عن الحكومة المثلى للدولة والجزيرة المسماه يوتوبيا»

فقد نشر باللاتينية في مدينة لوفان في ١٥١٦ ، واصبح أكثر اعمال « توماس مور » شهرة واقربها الى قلوب القراء في جميع أنحاء العالم تقريبا . وسرعان ما توالت الطبعات المختلفة الواحدة بعد

الاخرى في سرعة غير مألوفة ثم تتابعت الترجمات الى العديد من اللغات الأوربية اولا ، ثم فيما بعد الى اللغات الاخرى ومنها مؤخرا اللغة العربية .

وتتكون « يوتوبيا » ـ من كتابين : الكتاب الأول وقد كتب في فترة لاحقة لكتابة الكتاب الثاني

وكانت كتابات « مور » من الصرخات المدوية التي نادت بالتغيير والاصلاح ونشر العدل والحرية بين الناس .

ويرى بعض النقاد في « يوتوبيا » مقدمة لعصر النهضة في انجلترا واحد اعمال النهضة الأوربية الهامة بوجه عام . وهي الى جانب ذلك وثيقة من وثائق الحركة الانسانية الاوربية التي كان « مور » احد اعمدتها ومن ابرز روادها ارازموس الهولندي وبوديه

الفرنسي ، وفيفيس الاسباني ، وكوليت الانجليزي وغيرهم ، وكان الانسانيون جميعاً يدينون بحب الانسانية والسعي

في سبيل تحقيق العدل والسلام والوحدة بين الشعوب ، والعمل على نشر العلوم والآداب الكلاسيكية، ويتطلعون الى عصر يسوده العقل والعدل والرحمة

وقد ربطت الصداقة بين دعاة هذه الحركة والفت المبادىء المشتركة بينهم، فتبادلوا الرسائل كما هو معروف في حالة « مور » و « ارازموس » و (بوديه) وغيرهم ، واصبحت كتاباتهم وثائق هامة لمخاوف الانسان وآماله في تلك الفترة الهامة من فترات التاريخ الانساني ..

من أعمال « مور » الأخرى « الاشياء الأربعة الأخيرة » ، « ١٥٢٢ تقريبا » و «محاورة الراحة ضد المحنة» «١٥٣٤» و « تأملات » « ١٥٣٤ » ،و « صلوات

لمور وابنته مارجريت » « ١٥٣٥ » وجميعها تحوي تأملات روحية دينية ، كتبت الثلاث الاخيرة منها في أواخر أيامه وحين ادرك أن النهاية وشيكة لا محالة .

وهكذا نرى تداخل الجانبين الاول والثالث من جوانب حياة « مور » أي اهتماماته الأدبية والدينية الى حد كبير، كما نرى تداخل الجانب الثاني والثالث فيما بعد .

اما الجانب الثاني وهو جانب «مور» رجل القانون والسياسة ، فيتضح فيما قام به « مور » من مهمات دبلوماسية وما اضطلع به من اعباء سياسية ، طوال حياته العاملة . لقد ارسل أكثر من مرة في بعثات دبلوماسية الى أوربا، وشارك في ابرام اتفاقيات للسلام ، فقد كان مفاوضا بارعا وذكيا ، وانتخب عضوا في البرلمان الانجليزي ثم اختير رئيسا له ، وعمل في خدمة مدينة لندن نائبا لرئيس شرطتها ثم قاضيا ، وفي بلاط الملك هنري الثامن اختير عضوا بمجلس البلاط ومستشارا للملك واخيرا عين قاضي القضاة ووزير الدولة الأول .

اما «مور» رجل الدين ، فقد خلده الزمن ومنحته الكنيسة الكاثوليكية في ذكرى استشهاده الاربعمائة لقب قديس في عام ١٩٣٥ .

تلك الجوانب الثلاثة لحياة « مور » العالم والسياسي والقديس – على ثرائها واهميتها – لا تمثل في واقع الأمر الا الجانب العام من جوانب تلك الشخصية الفريدة . فهناك الجانب الخاص الذى لا يقل روعة وثراء .

لقد كان « مور » نعم الزوج والاب ونعم الصديق .

كان زوجا محبا رقيقا لزوجته الاولى الشابة الجميلة جين ثم لزوجته الثانية – الارملة اليس التى كانت كما قال مرة مازحا « لا هى بالصغيرة ولا بالجميلة » كما كان خير اب لابنه وبناته ، وخير جد لأحفاده ، وخير سيد لخدمه ، وخير صديق لكل من وطأت قدماه عتبة داره .. كان نعم الصديق لعامة الشعب الذى كرس الكثير من وقته لخدمته ، وخير نصير للفقراء والمظلومين حتى لقب بـ « خير صديق للفقراء »

● كما كانت تربطه علاقة الصداقة الوثيقة بمعظم مبرزى عصره من العلماء والادباء ورجال الدين والساسة ، وكانت داره ملتقى لجميع الفئات ولمختلف الجنسيات : كما كانت مركزا للأدب والفن ، اذ كان جميع افرادها يحبون القراءة ومعظمهم كلفون بالدراسة والكتابة ، تعزف الموسيقى التى تعلمتها زوجته واتقنتها الفتيات ، ويقيم بالدار احيانا فنان مصور وأحيانا أخرى اديب ناشيء أو طبيب في مرحلة التدريب كما تجمع بين جنباتها الكثير من الطيور والحيوانات . كانت داره أسرة كبيرة ترفرف عليها روح الود والاخاء والمشاركة التى آمن بها « مور » وعمل على نشرها .

أما مركز هذه الاسرة ونقطة الجذب بها فكانت شخصية « مور » الساحرة بابتسامته ورقته وحبه للناس . فقد كان مرحا في غير ابتذال ، هادئا ، مخلصا ، حازما في غير قسوة ، متقشفا في غير تزمت ، متدينا في غير تعصب ، محدثا لبقا ، ومناورا بارعا ، يثير في النفس الثقة والاعجاب .

ومن بين أبنائه كانت ابنته الكبرى مارجريت أحب بناته الى قلبه ، وذلك لطيبة قلبها وذكائها وحبها للعلم ، وتعلقها الشديد به . كما كانت مثلا رائعا لايمانه بقدرة الفتاة على التعليم مثلها مثل الفتى وصدق دعوته الى ذلك ...

أما صديق عمره ارازموس فقد قدم لنا خير وصف له في حياته في رسالة بعث بها إلى صديق مشترك طلب اليه أن يوافيه برسم لشخصية « مور » الذى عرفه من كتبه ولم يلتق به – وهو أولريخ فان هوتين

فاذا انتقلنا الى الزاوية الأخرى التى وعدنا بالنظر من خلالها الى تلك الشخصية ، وهى قدرتها على مخاطبة هذا العصر والتأثير في وجدانه .. فلعلنا بعد هذا العرض السريع نكون أكثر قدرة على فهم سر حيوية هذه الشخصية وبعض أسباب قدرتها على ذلك .

كتب احد معاصرى « مور » من المعجبين به يقول – بحق « انه رجل لكل العصور » . ثم جاء كاتب مسرحى معاصر لنا – بعد هذه المئات من السنين يستخدم نفس الكلمات عنوانا لمسرحية تصور جانبا من حياة «مور» وازمة الضمير التى ادت الى النهاية

التى نعرفها جميعا ، تصويرا بارا يجسد تلك الأزمة ويضع امام المشاهد صورة حية نابضة لتلك الشخصية الخالدة . ولقد كان حسن استقبال المسرحية ثم الفيلم الذى تحولت اليه ونجاحهما الساحق ، دليلا واضحا على قدرة تلك الشخصية على اثارة وجدان ابناء هذا الجيل .

كما ان نجاح هذه المسرحية لم يكن الا مظهرا واحدا من مظاهر هذا الاهتمام « بتوماس مور » فى عصرنا هذا . لقد منحته الكنيسة لقب قديس فى ١٩٣٥ ، وكرمته انجلترا بعد طول تجاهل بوضع لوحة تحمل اسمه فى القاعة الكبرى لويستمنستر فى ١٩٦٩ ، واقيم له تمثال نصفى فى ضاحية تشيلسى التى كان يقيم بها . كما ظهرت ترجمات حديثة لسيرته ، واعيد طبع بعض ماكان قد ظهر منها من قبل . واخذت بعض الجامعات الامريكية بوجه خاص فى اعداد طبعات حديثة ومحققه لاعماله ، لعل أهمها مشروع جامعة ييل لطبع أعماله الكاملة والذى حشد له لفيف من أبرز المتخصصين والذى ظهرت بعض مجلداته بالفعل .

ثم تكونت الجماعات والجمعيات لاصدقاء « توماس مور » فى كثير من البلاد مثل انجلترا والولايات المتحدة واليابان مثلا ، وان كان اشهرها جماعة « اصدقاء توماس مور » التى تجمع بين اعضاء من مختلف الجنسيات ومقرها مدينة انجيه بفرنسا ، وعنها تصدر مجلة « موريانا » التى تنشر بحوثا تعالج حياة « مور » وأعماله ، وعصره باللغتين الانجليزية والفرنسية ، ومن وقت لآخر بلغات أخرى ، واخيرا تلك الاحتفالات العديدة بذكراه الخمسمائة كما أشرنا .

ما هو اذن سر هذا الاهتمام الشديد به فى هذا العصر بالذات ؟ . لعل السبب كامن فى ذلك الوصف المعبر وهو أن « مور » — « رجل لكل العصور » وبالاخص تلك العصور التى تجد فيها أفكاره وفلسفته صدى لها . ففى هذا العصر الذى أصبح فيه الايمان بضرورة نشر العدل وتحقيق الكفاية للجميع ومحاربة الظلم والقهر والاستبداد والعمل على استقرار السلام فى العالم واحترام حرية الفرد — هى المبادىء السائدة ، وان تعذر فى بعض الاحوال تطبيقها تطبيقا كاملا : وفى هذا العصر الذى يطيب للفرد ان يشعر انه وضميره هو الحكم الاول لاعماله وتصرفاته ، وان الدولة تكفل له تلك الحرية ما لم يسىء الى حرية الآخرين وامنهم ، أليس من الطبيعى ان تحرك حياة « مور » وفكره وجدان ابناء هذا العصر ؟ .

وهل ادل على قدرته على الجمع بين القلوب وعلى عصريته وعالميته معا من ان يتبارى كل من المعسكرين الدوليين الشرقى والغربى على تكريمه ودراسة اعماله والاشادة بها .. لقد احب مور الانسانية جمعاء ، وعاش صادقا مع ذاته ، فاحبه الناس وخلده الزمن ●

شاعر

• د . محمد صلاح الدين •

لست بالغاوى ولا يتبعنى رهط الغواه
لست بالهائم ضل السعى فى كل اتجاه
لست بالقائل والأفعال تنفى ما رواه
وانا الشاعر استلهم آيات الإله
فى علاه

فطنة الايمان ترقى بى الى ابهى خيال
وهو الخير يناجينى باسرار الجمال
وصفاء النفس يوحى لبيانى ما يقال
فلنفس شعرى من الإبداع والسحر الحلال
مبتغاه

لى شيطان وشيطانى له قلب رسول
فاتن كالأمل البسام براق خجول
صادق كالوحى فعال يعانى ما يقول
طاهر النبل وان ذابت لبانات العقول
فى هواه

ياله من ساحر يخلب ألباب العباد
يده خلاقة بيضاء من غير سواد
وعصاه تلقف الإفك وتجتث الفساد
ووصاياه وئام وسلام ورشاد
وصلاه

« والشعراءُ يتبعُهم الغاوون • ألمْ ترَ أنهُم في كلِّ وادٍ يَهيمُون • وأنهُمْ يقولون مالا يفعَلون • إلاّ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ وذكروا الله كثيرا وانتصرُوا منْ بعدِ ما ظُلِمُوا ، وسيعْلَمُ الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبُون »

« صدق الله العظيم »

يا له من مزهر يعزف الحان السماء
فتتيه الارض بالحسن ويهتز الفضاء
ويفوح العطر والنور وانفاس الرجاء
ويغنى الحب فى كل صباح ومساء
للحياه

ذلك الشعر السماوى الالهى المبين
ان يمس الشاعر المطبوع شيطان امين
يرحم الناس ويستغفر رب العالمين
ويشن الحرب شعواء تهد الظالمين
والطغاه

ايه شيطانى لولا تتهاوى للحسان
طالبا حواء فى كل خيال وعيان
راصدا من سرها مالايراه الناظران
لتبوات ذرا الطهر الى اسمى مكان
فى سماه

بيد ان الاصل غلاب وللنار لهيب
ومن الطين الى الطين حنين ووجيب
وعمار الكون يهديه حبيب لحبيب
والذى ابدع حواء غفور مستجيب
وحمى العصمة يستعصى على غير الاله

● شعر : د • محمد صلاح الدين ●

أضواء على السينما الإفريقية

● ماري غضبان ●

●● السينما الافريقية جديدة على رواد السينما في العالم كله ، وفي افريقيا .... والسينما الافريقية التي نقصدها ليست السينما العربية التي ازدهرت في مصر في الركن الشمالي الشرقي من افريقيا منذ اكثر من نصف قرن ، لكنها السينما في افريقيا السوداء التي لم تكن نسمع عنها شيئا في السنوات الماضية حتى جاء مهرجان فينيسيا السينمائي عام ١٩٦٨ ومنح جائزة للفيلم السنغالي « الحوالة » . وبعدها بدات السينما الافريقية تخطو خطواتها واصبحت هذه الخطوات تحت الاضواء التي اسهم بعد ذلك مهرجان قرطاج في تسليطها عليها ..

●● ولا يمكن ان نطلق على الافلام الافريقية التي انتجت قبل عشر سنوات بانها افلام افريقية صرف ، فهذه الافلام كانت نتاج فكر اوربي وناطقة بلغات اوربية اجنبية عن القارة ، لكنها كانت تحمل جنسيات البلاد التي صورت فيها وشاركت في تمويلها .

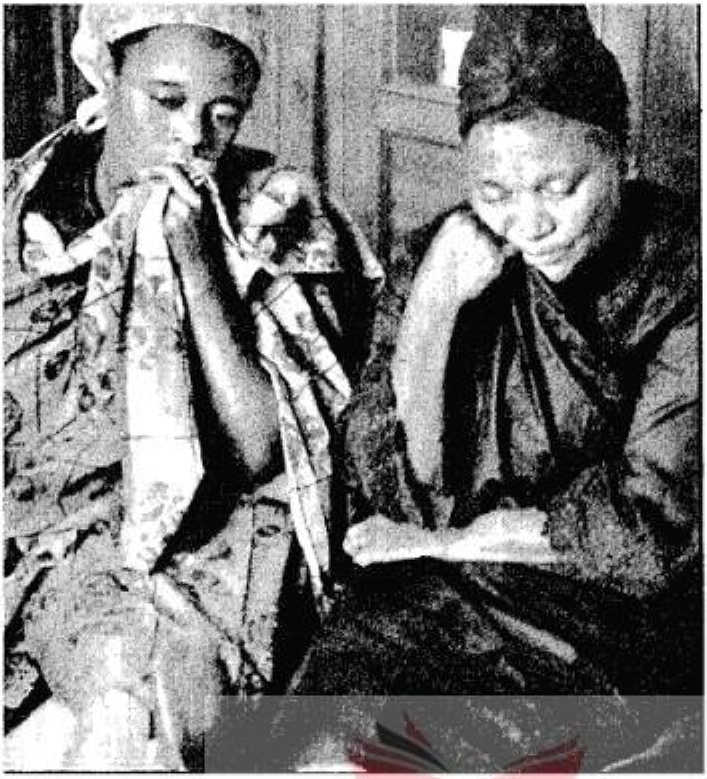
ومن هذه الافلام نتذكر فيلم« انا زنجي » اخراج الفرنسي جان روش والمخرج الانجليزي ليونيل ريجوزين الذي قدم فيلم « الجنوب » و « العودة الى افريقيا» والمخرج دونالد سوانسون الانجليزي أيضا الذي اخرج فيلم « مشربة القرع » .

وعام ١٩٦٦ يعتبر بداية قيام السينما الافريقية الحقيقية حينما اخرج المخرج السنغالي المسلم عثمان سامبان فيلمه الطويل الاول « زنجية من ... » وهو يحكي قصة أسرة فرنسية عاشت في السنغال تعرفت على فتاة سنغالية متعلمة مثقفة عرضوا عليها ان تذهب معهم الى باريس للعمل سكرتيرة لرب هذه الاسرة .. وترضى الفتاة املا في الوصول الى عاصمة النور - كما نسمع - لكنها تفاجا عند وصولها بانهم يعاملونها كخادم تقوم بالاعمال التافهة ، وينتهي الامر بانتحارها .

●● والملاحظ ان معظم الاعمال السينمائية الافريقية الجادة التي ظهرت بعد ذلك استمدت مضمون واقعها من اعمال ادبية افريقية .

والمخرج عثمان سامبان الذي كان اول من لفت الانظار الى السينما الافريقية في مهرجان فينيسيا ١٩٦٨ هو ايضا روائي وكاتب صحفي ولذلك يقوم بنفسه بتحويل اعماله الادبية الى اعمال سينمائية وكما صرح لي اثناء لقائي معه في تونس في ديسمبر الماضي « لقد اتضح لي - والامية التعليمية متفشية في افريقيا - ان كتاباتي ، رواياتي ، مقالاتي لن تصل الى معظم الناس فاخذت لغة السينما لأن الصورة مبهرة واستطيع من خلالها ان اكتسب الجماهير

وليس معنى اتجاه عثمان سامبان الى السينما انه ترك الكتابة ،فهو حريص



مشهد من الفيلم الانجولى «سامبزنكا»
اخراج سسارة مالدورور . . .

على مخاطبة المثقفين والمتعلمين من خلال الكلمة المكتوبة ، لكنه يخاطب الجميع من خلال لغة الصورة .

وفيلم « الحوالة » الذى فاز به عثمان سامبان بجائزة مهرجان فينيسيا عبارة عن حوالة بريدية تساوى ٥٠٠ فرنك ارسلها عامل سنغالى يعمل فى باريس الى أهله فى داكار ويتعرض الفيلم للبيروقراطية ونظم الروتين التى حالت دون وصول قيمة الحوالة المالية الى الاسرة الفقيرة المتعطشة لهذه المساعدة المالية التى ارسلها ابنها العامل فى باريس .

وفيلم « جزالا » يحكى قصة البورجوازية الافريقية التى وقفت ضد الاستعمار الاجنبى للبلاد واصبحت بعد التحرير صورة من البورجوازية الاوربية تقلدها وتسايرها فى السلوك والافعال .

وغير عثمان سامبان عرفت السينما السنغالية المخرج معمر تيام الذى قدم الفيلم الجيد « سارزان » المقتبس عن قصة براجو ديوب « الضابط سارزان » والرواية تدور حول ضابط سنغالى التحق بالجيش الفرنسى تنتهى مدة خدمته ويعود الى وطنه متصورا انه متحضر ويفهم فى المدنية الغربية وأن عودته ستفيد أهله وتطورهم ، لكن تصرفاته عند العودة أوجدت شقاقا بينه وبين الجميع ، ووجد نفسه وحيدا وبعد فترة انتهت ايامه فى مستشفى

للامـــراض العصـــبية والعقلية • ومن افلام معمر تيام الناجحة ايضاً فيـلم « كريم » عن قصة لنفس الكاتبعثمان براجوديوب .

• انجولا وسينما المراة •

●● فى انجولا يعرفون المخرجـة سارا مالدورور ، قدمت أكثر من فيلم روائى اهمها فيلم « الحياة الحقيقيـة لدمينجو زافيا » عن قصة الكـــاتب الانجولى لوندينو فيرا ويحكى قصـــة اعتقال مناضـــل وحبسه فى مكان غير معروف ويتعرض الفيلم لبحث زوجته عنه فى كل مكان .

والفارق بين هذا الفيلم والافـــلام الافريقية الاخرى ان تكاليف الفيـلم كبيرة وتتجاوز ميزانية اى فيلم عادى بما لا يتناسب مع امكانيات السـينما الانجـولية اقتصـــاديا برغم تمويل حركات التحرير الانجولية للفيلم .

●● وفى الكونغو برازافيل يعرفون المخرج كاميا سباستيان وانجح افلامه « التحالف » وقصته مقتبسة عن رواية الكـــاتب البرازافيل جان مالونجـــا « اسطورة ماما زونو » وتحكى قصـــة الفيلم قصـــة القبائل الافريقية فى سنوات بعيدة فيما قبل الاحتلال .

●● وفى ساحل العاج يتحدثـون عن مخرج السـينما ديزيريه ايكاريه وفيلمه « فرنســا لنا نحن الاثنين » وموضوع الفيـلم يستمد فكرته من أشعار الشاعر ليوبولد سنغور رئيس السنغال وديوان شعره « سيدة عارية .. سيدة سوداء » والفيلم عبارة عن انشودة الحزن على ضياع المثقف الافريقى فى العواصم الاوربية .

●● وفى نيجيريا يعتبرون سيجون اولسولا رائد السينما الجديـده فى نيجيريا وهو فى الاصل مخرج تليفزيونى ويشغل وظيفةمدير البرامج السينمائية فى تليفزيون لاجوس الى جانب كونـه كاتبا مسرحيا ، واشهر أفلامه المأخوذة عن عمل أدبى « الحصاد » مأخـوذ عن مسرحيـــة تليفزيونية للكاتب النيجيرى بول سونيكا .

ومن اشهر افلامه الروائية « البداية» وفيلم « القا » و « المهرجان » وافـلام « الحياة » و « المهرجـان الجـــديد » ، و « اغنية افريقيـــة » ، و « نيجـــيريا ستكسب » .

●● وفى غينيا يعرفون المخرج أمين اكين واشهر افلامه « الشاويش » وهو من مسرحية للكاتبالغينى اميل سيس عن مجند فى الجيش الفرنسى يعـده اهله بالزواج من فتاة جميلة بعد عودته من السفر ، وعندما يعود تنضج الفتاة ويحاول تنفيذ وعد أهلها،ولكنها ترفض فقد اصبحت فتاة متعلمة ولم يعـد الشاويش العائد يرضى طموحها فيلجأ الى السحرة لعمل سحر لها يمكنه من الزواج منها ولكنه يفشل .

●● والمخرج سليمان سيس مـن جمهورية مالى حصـــل هـــذا العام على الجائزة الفضية « الجائزة الثانية »عن فيلمه الذى عرض هذا العام فىمهرجان قرطاج السينمائى بتونس .. والفيلم اسمه « بارا » والفيلم يحكى قصـــة رأســـمالى يقع فى مشكلات مع عمال مصانعه بعد ان تنبه العمـــال لضرورة حصولهم على حقوقهم العمالية وحصل بطل هذا الفيلم ابو بكر كيتا على جائزة احسن ممثـل • وكلمة « بـارا » تعنى العمل بلغات مالى المحلية .

●● ومن اشـــهر مخرجى اثيوبيا سالمون بيكيلى الذى اخــــرج فيلم « واجادوجر » والسينما فى اثيوبيـا تهتم بالافلام التسجيلية والقصــيرة ولا تعطى اهتماما كبيرا للسينماالروائية.

وفى غانا يعرفون المخرج سام اريتيه ومن اشهر افلامه « لا دموع » والفيلم ناطق بالانجليزية وبلغة محلية اخـرى هى لغة التوى • والفيلم يحكى اسطورة افريقية عن العنكبـــوت الذى يتميـز بالمكر ويؤثر فى حياة الناس .



بن جزارة وجينا رولنـــدز فى فيلم
جون كاسافيتش فى ليلة الافتتاح ..

وفولتا العليا برغم صغر حجمهـا الا ان وجودها الســينمائى اكبر من الكثير من البلاد الافريقية ذات الوجود الجغرافى والسكانى مثل زائير واثيوبيا وتنزانيـا وكينيـا وغيرها . ومعظم مخرجى فولتـا درســوا فى الايديك الفرنسى ، واشهر مخرجيهم و . سيكو وبير دابيرى وادويث سانجوت وهى مخرجة تليفزيونية فى الاصل واشهر افلامهم « المخلطون » اخراج محمدكولا وهو يناقش مشكلات التفرقة العنصرية فى شمال فولتا حيث لا يســمحون بزواج المخلط مع صاحب العرق الزنجى النقى .

وفى تشاد يعتبر ادوار سـابلى من أشـهر مخرجى الســينما وأهم افلامه « اليوم الثانى » و « اكتشـاف تشاد » وهو فيلم طويل فلكلورى ثقافى .

●● والســـينما الافريقية التى تعرضـنـا لبعض ملامحهـا التى القيت الاضواء عليها من خلال مهرجـانات عالية اهمها المهـرجانات الافريقية فى ترطاج وفى واجـادوجو ـ هــذه السينما السوداء تتميز بان معظــم مخرجيها من الدارســين فى الخارج وخاصة فى البلاد الاوربية فى رومـا ولندن وباريس ، حتى عمليـات التسجيل والطبع والتحميض تتم فى نفس المعامل مما يجعل التكاليف باهظة بجانب ضعف التمويل وعدم وجـود شركات سينمائية مستقرة ، وقلة دور العرض ... والى جانب هذا تعـدد اللهجات المحلية خاصـة بعد التوجيـه بعدم استعمال اللغات الاوربية فى حوار تلك الافلام مما يصعب من مهمة توزيـع الفيلم ووصوله الى الناس . وعدم وجود عناصر سينمائية محترفة يصعب ايضـا من اسـتقرار صناعة السينما الافريقية وان كان الامل ، حاليـا ، ان تسـهم امكانيـات ومعامل التليفـزيون فى معاونة الانتاج السينمائى بمـا يكفل ضمان اسـتمرار هذه الســينما واسـتقرارهـا ●

عباقرة

في العلم والفن معاً :

● عزت محمد ابراهيم ●

ما أكثر الأدباء والفنانين والشعراء الذين بداوا خطوات حياتهم الأولى على نهج لا يمت الى الأدب أو الفن أو الشعر بصلة ، ثم اذا بهم لأهون الأسباب يصبحون من المبرزين فيه ذوى الصولة والاقتدار في ميدانه ، وكذلك ما أكثر العلماء الذين بلغوا في العلم شأوا بعيدا ، ولم تكن بداياتهم تنبىء بذلك وكانت تشير الى اتجاه غير الاتجاه ..

لنأخذ لذلك مثلا من حياة «صامويل مورس» مخترع الارسال البرقي ، وقد قيل فيه ان من الغريب ان يقدر لفنان تحقيق حلم طالما راود الشغلين بالكهرباء ، المهتمين بحل مستعصياتها .

كان رساما ذائع الصيت ، واحب أن يصقل موهبته ، ويزيد من ثقافته فرحل من أمريكا الى فرنسا ، ينهل من معين الفن فيها ، ويغترف من عذب نميره ، وعاد بعد غياب سنين .

وقد أزمع العودة الى وطنه ، وفي ظنه وتقديره أنه قد تزود من الفن بزاد وفير يكون له عونا فيما يتطلع اليه من مستقبل ، ثم يلتقى في طريق عودته وعلى ظهر السفينة بـ « الدكتور فيكتور جاكسون » واحد من المهتمين بدراسة الكهرباء ، ويتجاذبان الحديث عن التيار الكهربي والمغناطيس ، والوسيلة التي يمكن بها نقل الرسائل عبر الأسلاك في التو واللحظة . وهنا يقول « مورس » : « لقد خطرت لي الفكرة بمجرد سماعي « الدكتور جاكسون » ، وتخيلت في الحال اداة يمكنها اداء هذا العمل ..

انها ومضة الخلق والابتكار ، وليس بجهد الدرس والتحصيل ، ولو كانت كذلك لكان « جاكسون » هو الأولى بها ، ولا يكون في ذلك مدعاة لغرابة ، أو مثارا لدهشة واستغراب .

دون في كراسته الرسوم التوضيحية لاختراعه ، وهبط من السفينة ، وكراسته في يده يطبق عليها اصابعه ولا يدعها تفلت من بينها ، وهو يقول انه لا يتخلى عنها مقابل الوفير من المال ، وقد كانت في الحقيقة فوق أن تقدر بالمال مهما كثر وازداد .

●●●

والعالم الشهير « آينشتين » كان يهوى الموسيقى ، انحدر اليه شغفه بها من أمه صاحبة الذوق الرفيع فيها ، وقد كان لذلك أثر كبير في مستقبل حياته جعله يقرن الرياضة الى الموسيقى ، ويشيد بالتناسق والترابط بين عالم الأرقام وعالم الأنغام

وليس بأديب أو فنان ذاك الذي يقف جهده على الأدب وحده ، وكذلك ليس بعالم ذاك الذي يجعل العلم وحده هو مدار اهتمامه ، وحسبنا ان نعرف ان الشاعر « ت . س . اليوت » لم يكتب قصيدة « الأرض الخراب » مفخرته ومبعث شهرته وذيوع صيته الا بعد قراءته لكتاب « الغصن الذهبي » للعالم الباحث « جيمس فريزر » .

وقد كان الروائي الايرلندي « جيمس جويس » من المهتمين بأعمال



بنيامين فرانكلين



البرت آينشتين

« آينشتين » في النسبية ، وبما يكتب وينشر عن بحوث الذرة ، وساقه ذلك الى الاهتمام بفكرة الزمن والمحاولة الرائدة للوصول الى ما وراءه ، وتشعبت اهتماماته وتنوعت ، واكب على اللغات يدرسها درسا مستفيضا ، يريد من ورائه ان يصل الى تحليل الكلمات واعادة صياغتها ، مستخدما في ذلك العديد من التعبيرات التي تتلاقى كلها في اعماله بطريقة دائبة الحركة توحي بالتحول الدائم ، وبلغ ذروة ما اراد في قصته « فينيجانز ويك » التي استغرقت كتابته لها سبعة عشر عاما ، والتي كادت فيها الصلة بين الكلمة والمقصود بها تتلاشى فتصبح الكلمة ومدلولها شيئا واحدا متصلا اتصالا عضويا لا فكاك منه وكان ذلك هو ما جعل منه ظاهرة فريدة في الفن الروائي لا مثيل له بين سابقيه .

اما الذين جمعوا بين العلم والفن وكان لهم فيهما معا شأن ، فهم كذلك ليسوا بالقليل ، كان منهم « عمر الخيام » عالما رياضيا ، وشاعرا يردد الناس صدى رباعياته .. وكان منهم « بنيامين فرانكلين » اديبا ومخترعا معا ..

ومضرب المثل في ذلك كله هو عملاق عصر النهضة .. « ليوناردو دافنشي » مبدع لوحة « موناليزا » التي لا تنقطع صفوف المشاهدين امامها في متحف « اللوفر » والتي مازالت حتى اليوم مصدر وحي والهام لادباء وشعراء ، بل وموضوعا لروايات سينمائية يشاهدها الملايين .

وقد كان لـ « دافنشي » في العلم جوانب شتى ، واسهامات متعددة ، فهو قد خاض في الهندسة وطرق بناء القلاع والحصون ، وادوات الحرب والقتال ، وهو قد تعرض لعلم مساقط المياه الذي يعرف اليوم بعلم « الهيدروليكا » وقد صنع آلة للموسيقى على هيئة جمجمة حصان ، فكانت بذلك شيئا فريدا له جماله وطرافته ، اما العازف على أوتارها فلا يضارعه غيره من العازفين على غيرها من الآلات .

ولعل عبقرية « دافنشي » العلمية لم تظهر على حقيقتها ، وباوضح واجلى معانيها الا بعد العثور على مذكراته ومخطوطاته التي ظلت على مدى بضعة قرون تنتقل من يد الى يد ، ومن بلد الى آخر ، ومن متحف الى سواه ، في خفية وتستر ، وحرص وكتمان ، لا يدانيه الا الحرص على الكنوز الغالية والنفيس من الآثار ، وخاصة منها ما سمي بمخطوطتي مدريد ، اللتين عثر عليهما منذ سنوات قليلة ، وكشفتا جانبا هاما من جوانب العبقرية العلمية عند « دافنشي » ..

وقد كادت احدى هاتين المخطوطتين تكون مخصصة لموضوع واحد هو علم « الميكانيكا » وكان لها بذلك فضل الامتياز على غيرها من المخطوطات التي تناثرت الموضوعات بين صفحاتها على غير نسق أو ترتيب ، وان نظرة واحدة تلقى

على رسومه التوضيحية لما يسبقه من نظريات لتدعو الى الدهشة حقا ، فكانما هى رسوم لما نعرفه اليوم من آلات واختراعات لا تكاد تفترق عنها فى شىء ، اما نظرياته العلمية ، فقد تعرض فيها للقوى المحركة من وزن وقوة وحركة وضغط ، ثم كان ينتقل من ذلك الى المجال العملى ، فيطبق النظرى على العملى ليرى مقدار صحة نظرياته .

وقد كان « يوجين ديلاكروا » مصورا عظيما ، بل لعله آخر المصورين العظام ، حمل لواء الرومانسية فى الفن ، فصور بها اعظم اللوحات ، وابعدها فى النفوس اثرا ، واثار الانتباه ، ولفت الانظار ، وهو لا يزال شابا ، حين رسم « قارب دانتى » مستمدا موضوعها من « الكوميديا الالهية » واستاثرت اللوحة باعجاب كبير ..

وقد استمد « ديلاكروا » من اعماق نفسه اعظم الافكار ، واكثرها غرابة كذلك ، وهو لم يكتف بالتعبير من عالمه الداخلى بالريشة واللون فحسب ، بل ان يومياته تحفل بالنظر الداخلى الذى يصل الى الاغوار ، ويبحث فى أعمق الاعماق . فكان مما تناوله فى كتاباته موضوعات الالهام والعبقرية والخيال والحلم ، متخذا من نفسه ميدانا رحبا فسيحا لبحثه وتنقيبه ، وبلغ فى ذلك حدا جعله مصدرا من مصادر علم النفس ، ورائدا من رواد التحليل النفسى ، حتى ليتخذه « فرويد » مرجعا من مراجعه فى اعماله الاساسية .

ولم يكن « ديلاكروا » على وفاق مع عصره وابناء عصره ، شانه فى ذلك شان كثير من العباقرة الافذاذ فى كل ميدان ، فكان عرضة لسخط الساخطين من المصورين التقليديين المطمئنين الى مناصبهم يذودون عنها كل متطلع الى مثل ما هم فيه من جاه وسلطان ، فوضعوا فى طريقه العقبات ، كلما تخطى عقبة وضعوا فى الطريق سواها ، ووقفوا له بالمرصاد فى كل محاولة يريد بها شق طريقه .

واعيتهم الحيل وذهبت محاولاتهم سدى ، وباءت جهودهم بالفشل والخسران ، حين صور لوحته « الحرية تقود الشعب » التى كانت ضربة قاصمة لظهورهم ، واشترتها الحكومة الفرنسية ، فكان فى ذلك دفعة قوية يسرت له تحقيق ما كان يصبو اليه من سفر وترحال ، فيمم وجهه شطر الشرق ، يعيش فى سحره ، ويغترف من باهر ضوئه ولالائه ، واتاح له ذلك مجالا رحبا فسيحا لابداع خصب متنوع ، فتح له باب حياة فنية حافلة لا ينضب لها معين .

وبقدر ابداعه فى الفن ، كان ابداعه فى الكتابة والتاليف ، وما تركه فى ميدانهما يكفى لوضعه فى مصاف كبار الادباء ، فلو لم يكن مصورا عظيما ، لكان اديبا مرموق المكانة ، عظيم القدر ، ويشتمل تراثه الادبى على رسائل عامة تقع فى اجزاء خمسة ، ويومياته التى تعد « عملا اساسيا فى الفن الفرنسى » وبحوث عن مشاهير الفنانين تقع فى جزءين ، ومقالات ادبية تضم آراء سديدة فى الفن وانطباعاته وتاملاته ، يضاف الى ذلك قصص ومسرحيات ، الى جانب ما لا يزال مخطوطا ، وهو لا يقل عما نشر من اعماله قدرا وقيمة

لم يسخط « ديلاكروا » على اختراع آلة التصوير ، ولم يصب عليها جام غضبه ، كما فعل سواه من الفنانين الذين نظروا اليها نظرة مقت وعداء ، بل سره اختراعها ، وود لو ان ذلك قد تحقق فى مقتبل عمره ، وليس فى مقدم شيخوخته ، اذن لكانت حياته اكثر خصوبة ، واوفى امتاعا ، وهو مع ذلك قد افاد منها وجعلها خادما لفنه ، حيث اشفق سواه أن تكون حربا عليه ، وبلغ من حسن استخدامه لها أن قال فيه احد معاصريه : « ان اختيار الطبيعة ، والمواقف ، وتوزيع الضوء ، والتواء اعضاء الجسم من الجمال بحيث يبدو لك ان هذه التجارب الفوتوغرافية



ليوناردو دافنشي



يوجين ديلاكروا

ليست فى الواقع الا صورا للوحات كبار الفنانين ، وقد كان «ديلاكروا» فى هذه اللقطات سيدا للآلة وللعناصر التى يشير بتصويرها ».

وبلغ من حماس « ديلاكروا » لهذه الآلة المستحدثة فى زمانه ان تطلع الى بعيد ، فتراءى له ما يمكن ان تؤدى اليه فى مقتبل الايام ، وكاد فى يومياته يتنبأ باختراع الاذاعة المرئية الذى تحقق بعد عشرات السنين من قوله : « سيأتى اليوم الذى سيتمكنون فيه من عزف السيمفونيات فى نفس الوقت الذى تعرض فيه الصور وذلك بغية استكمال الاحساس المراد نقله » .

●●●

وكان « جول فيرن » روائيا واسع الخيال ، خصب القريحة ، متوقد الذكاء ، فكانت مؤلفاته خير عون للمخترعين والمبتكرين ، فهو الذى مهد لهم طريق العلم ، وعبد لهم مسالكه ، وهو الذى وضع لهم الصور والعلامات على منحنياته وتعاريجه ...

ومن مثار الدهشة حقا أن يكون ما وصفه فى رواياته عن مركبات الفضاء ، هو ما تحقق فعلا ، بكل تفاصيله ودقائقه ، ومقاييسه وأوزانه، التى كان يحرص عليها كل الحرص ، فيذكر المقياس والميزان ، والطول والعرض ، وما ينبغى أن يكون وما لا ينبغى ، فكأنما قد وضع نظريات او معادلات رياضية ، لا ينقصها الا التنفيذ لكى تصبح حقيقة واقعة .

اشتغل فى بدء حياته بتأليف المسرحيات التى لم تكن تدر عليه غير القليل من المال ، كما اشتغل بالاعمال المالية التى لم يحالفه فيها الحظ ، ولم يقدر له الاشتغال بالمهن القانونية التى حصل فيها على اجازتها ، وتقلب فى أعمال عديدة ، ولكنه لم يكن يكف خلال ذلك عن القراءة والاطلاع ، وتزويد نفسه بزاد وفير من المعارف والمعلومات ..

والقراءة توسع الآفاق، وتبعد مرامى المدارك ، والفكر يقدح زناد الفكر ، وقد أعان ذلك على اشعال جذوة الخيال فى نفسه ، وابقى عليها مشتعلة زمنا طويلا ، كان كافيا لتأليف كتبه العديدة التى تحلق فى اجواء بعيدة لم يسبق لانسان ارتيادها . فاذا التقى بصاحب دار نشر مشغوف بالرسم والتصوير ومعارف **الطيران ومضت فى ذهنه فكرة روايته «خمسة أسابيع فى منطاد» ثم كانت خطوة أخرى الى الامام فى لقاء مع ناشر آخر تعاقد معه على نشر قصصه ، فكان ذلك ايذانا له بالانطلاق والتحليق ، فاخرج ستين قصة فى نحو اربعين عاما ، منها : رحلة الى مركز الارض ، من الارض الى القمر، عشرون الف فرسخ تحت الماء ، حول العالم فى ثمانين يوما ، وغيرها من قصص الخيال التى شدت اليها الناس بما فيها من غرائب وعجائب ، وارتياد لمجهول لم يسبق لهم ان اطلعوا عليه فى خيال متخيلين، او واقع واقعين ...** ●

كتاب يستحق القراءة



● د . حسين نصار ●

● « بناء الجملة بين منطق اللغة والنحو » ، والذى أصدرته نجاة عبد العظيم الكوفى المدرسة فى كلية البنات جامعة عين شمس كتاب جدير بالقراءة — على الرغم من أمور متعددة . .

فعلى الرغم من انه كتاب فى النحو . فالمألوف ان يقرأ القراء كتب علم اللغة او فلسفة اللغة لانها تقدم لهم موضوعات عامة أو فيها شىء من العموم ، وتقدم موضوعات تكشف عن الفكر الانسانى عندما يحاول التعبير عن نفسه ، وما ينشب بين الفكر والتعبير من صراع ، وما يحدث بينهما من صلح ، وما يضطر الفكر اليه من اصطلاح ليرضى عن التعبير . أما النحو فالاداة التى يجب على الانسان أن يحيط بها وبقدراتها ومسالكها معرفة ، ويجب عليه ان يحسن استخدامها فاذا ما أحاط بالمعرفة وأحسن الاستخدام استغنى عن الرجوع اليه ، والاطلاع عليه ثانية .

وعلى الرغم من انه كتاب مدرسى ، ابتغت مؤلفته أن تلقيه محاضرات على طلبتها ، ووضعت نصب عينيها مستواهم الثقافى وحاجتهم العلمية ، واعتمدت فيه على التبسيط ، ولجأت فيه الى سبل التوضيح . فاستهلت كل واحد من فصوله بقائمة بالعناصر التى يحتوى عليها ، وختمته — بل ختمت كثيرا من الاقسام تحت الفصول — بمجمل يورد القواعد التى شرحتها وأبانتها . وأعقبت هذا المجمل بدليل للاعراب على شكل جداول فى مواضع متعددة . وتناولت قواعد فى ميسورها أن تستغنى عنها او استهدفت القارىء العام .

وعلى الرغم من انه كتاب قواعد ، يسعى الى أن يدون قواعد اللغة العربية وان يضم مااستطاع منها ، وان يعالج آراء النحاة عندما يختلفون بصدد واحدة من مسائلها ، او واحد من شواهدها . على الرغم من ذلك كله هو جدير بالقراءة . لا يبدأ فيه قارئه حتى يجد نفسه منجذبا اليه ، شديد الرغبة فى مواصلة القراءة الى ان يفرغ منه .

● محاولة متكاملة ومنسقة .. تقدم الدرس النظري للناقد القديم ، وتقدم التطبيق المتكامل للمنهج الحديث ، وتقدم العلاج الشامل للقواعد النحوية قديمها وحديثها » .

فالكتاب يقدم رؤية خاصة بمؤلفته ..

لقد اتخذ النحاة العرب ـ منذ أقدم العصور التي نعرف جهودا لهم فيها ـ من فكرة منطقية عمادا للنحو ، بنوه عليها ، وشكلوه وفق ما تفرضه ، وهذبوا أطرافه على بصر منها . ولم يستطع أحد منهم أن يفلت من أسرها ، غير قليلين منهم من حصل على قدر من التحرر ، مثل ابن جنى ، ومنهم من سعى الى تحطيم سلطانها مثل ابن مضاء ، والسهيلى قديما ، وابراهيم مصطفى وشوقى ضيف وتلاميذهما حديثا .

تعلن تلك الفكرة ـ تحت تأثير العلاقة بين الاثر والمؤثر ـ ان كل معمول لابد له من عامل . وانطلق النحاة من هذه الفكرة الى مجموعة من النتائج كان لها أشد التأثير في النحو . ومن أهم هذه النتائج تقسيم العوامل النحوية الى لفظية ومعنوية ، والى أصلية وفرعية .. وكل منها له عمله الذى يختلف عن الاخر ، والا يتنازع عاملان معمولا واحدا ، وان يتقدم العامل على معموله ، والا يفصل بينهما أجنبى ... الخ .

وقد هاجمت الكاتبة ـ تبعا للثائرين ـ نظرية العامل ، وردت اليها عيوب النحو التقليدى ومشكلاته . فقد تجاهل المؤسسون للنحو العربى ـ تحت سلطان تأثرهم الفلسفى وتحمسهم للقياس ونظرية العامل ـ تجاهلوا أن اللغة منطقا اجتماعيا مرنا متغيرا ، لا يتفق كل الاتفاق في جميع الامكنة والازمنة مع المنطق الأرسطى الذهنى الثابت . فاصطدم كثير من احكامهم بالاستعمال العربي الصحيح ، وبخاصة ماجاء عن الاستخدام الادبى العالى والاستخدام القبلى المحلى فاضطروا الى كثير من التخريج والتبرير ثم التأويل . بل اضطروا الى طرح ما لم يستقم لقواعدهم ولم يخضع لتعليلهم أو تأويلهم .

وكان من الطبيعى ان تهدم الكاتبة نظرية العامل وتطرحها . ولكنها لم تشا ان تتوسع فتتجنبها في النحو كله ، وانما قصرتها على الحروف وحدها . فضيقت مجال سيطرتها ، وحدت من نشاطها ، وقيدتها في حقل يبين تأثيرها فيه واضحا لا تخطئه الابصار ، فتضطر الى البحث عنه ، فتهتدى حينا معتمدة على التقدير ، وتعجز حينا اخر فتلجأ الى التأويل او عدم الاعتراف .

وعندما طرحت نظرية العامل في ما وراء الحروف تخلصت قواعد النحو من الملاط الذى يلصق بعضها ببعض ويشكلها ، وتحللت لتتيح الفرصة امامها لتعيد تشكيلها .

وقد فعلت .

ولم تتخذ من الحركة الاعرابية في اخر الكلمة العربية أساسا للدراسة والتقسيم . فاجتمع لها أمور :

١ – لم تعد الاسناد السبيل الوحيد للتعبير اللغوى ، مما يقصر التراكيب اللغوية على الجملتين الاسمية والفعلية. بل أعلنت أن اللغة قد عبرت بتراكيب خلت من الاسناد اطلقت عليها الاساليب مثل النداء والاختصاص والتحذير والاغراء .

٢ – اتسع المصطلح النحوى فشمل جميع الاستخدامات اللغوية الصحيحة التى ورد فيها العنصر اللغوى . فجاء الفاعل مثلا عندها مرفوعا عندما تركز الخبر فى اسناد الفعل أو الحدث الى فاعله . وجاء مجرورا بالباء للتعجب فى أفعل به ، ومجرورا بمن لتأكيد النفى، ومجرورا باضافة أحد المشتقات مثل قول الشاعر : « اراك عصى الدمع » فالمعنى عصى دمعك ، والدمع اذن فاعل للعصيان على الرغم من جره .

٣ – اختلف التصنيف العام للنحو ، وتغيرت صورة الابواب فى الكتاب عن مثيلتها فى كتب النحو التقليدى، فالكتاب ينقسم الى بابين : اكبرهما لبناء الجملة ، والاصغر للاساليب . اضيف الى ذلك أنه يضع كان واخواتها فى الجملة الفعلية لا الاسمية ، ويسمى اسمها فاعلا وخبرها مفعولا تبعا لابن هشام .

***

وبعد ما استقام منهج الدرس للكاتبة التفتت الى المادة التى تستخلص منها احكامها ، أريد قواعد اللغة ، وخاصة أنها تصرح مرارا أن منهجها يبغى الالتزام بالمنطق اللغوى لا المنطق الفلسفى . واعلنت الكاتبة ان اول المصادر التى اعتمدت عليها القرآن الكريم، ثم الاساليب العربية الرفيعة من الشعر والنثر بل الحديث النبوى الذى لم يعتد به أكثر النحويين القدامى .

***

لا أستطيع أن أصفه بالجدة التامة أو الاصالة الخالصة . فالمبادىء التى هدمها – نظرية العامل أو العلل المنطقية – هوجمت منذ أزمنة بعيدة ، وعم الهجوم عليها فى العصر الحديث بحيث تهاوت فى أكثر معاقلها حصانة.

واعادة تنظيم ابواب النحو وتصنيفها انما هو استمرار لمحاولات متعددة سابقة .

والاراء الجريئة التى تبثها الكاتبة فى كتابها ، وتتخذ مظهر التجديد ، تتابع فى اكثر الاحيان آراء سابقة جاء بها بعض نحاة الكوفة غالبا ، وافراد من نحاة البصرة أو المتأخرين او المحدثين أحيانا .

ولكن الكتاب يقدم محاولة متكاملة ومتسقة . يقدم الدرس النظرى الناقد للقديم ، ويقدم التطبيق المتكامل للمنهج الحديث ، ويقدم – اضافة الى ذلك – العلاج الشامل للقواعد النحوية قديمها وحديثها ، فى اختصار جميل ، وعبارة واضحة كل الوضوح .

لا أعنى بذلك أن الكتاب يخلو من الاراء الاصيلة للكاتبة خلوا تاما . فقد وقفت موقف الند من كبار النحاة قدماء ومحدثين ، وجادلتهم فى ثقة واطمئنان جدالا جديرا بالاعجاب . وخلصت الى عدد من اللمحات القيمة التى تدل على اتصال دائم بالعربية ، وفهم عميق لها، وتذوق حسن لمناحيها الادبية ، وخاصة فى الاستخدام القرآنى . واضرب مثالا لذلك بتفرقتها بين اليس ، واوليس

● اللغات المعربة مثل العربية، تمنح المتكلم بها حرية واسعة في ترتيب تراكيبه أو حذف بعضها اكتفاء ببعضها الآخر، دلالة على أغراض شتى يشعر بها ويريد أن يومئ إليها والحكم الوحيد هو عدم اللبس إلا إذا أراده المتكلم

« ١٣٠ ــ ١٣١ » ، **وبين معانى افعال المقاربة والرجاء والشروع « ١٤١ ــ ١٥١ » وحديثها عن الواو التى حيرت النحويين « ٢٠٥ ــ ٢٠٧ »** .

كذلك لا يعنى اعجابى بالكتاب خلوه من المآخذ أو من المواضع التى اختلف فيها مع صاحبته . ويهمنى هنا المواضع التى اعتقد أن فيها خروجا على المنهج الذى وضعته لنفسها .

واهم هذه المواضع تناولها للتقديم والتأخير ، وللحذف فى الابواب النحوية التى تناولتها ، وللحروف التى تعمل اذا اختصت ولا تعمل اذا فقدت الاختصاص . فاننى اعتقد أن طرح نظرية العامل يجعل من هذا الحديث عبثا . فاللغات المعربة مثل العربية تمنح المتكلم بها حرية واسعة فى ترتيب تراكيبه او حذف بعضها اكتفاء ببعضها الاخر ، دلالة على اغراض شتى يشعر بها ويريد ان يومىء اليها . والحكم الوحيد هو عدم اللبس الا اذا اراده المتكلم .

كذلك احتكمت الكاتبة الى منطق غير لغوى فى بعض المواضع فقد احتكمت الى مبادىء دينية فى معالجة جواز بناء الجملة من اسمين وعدم جوازه من فعلين « ٢٩ » ، والتفرقة بين عمل الرئيس ونائبه « ١١٣ » .

واختلف معها فى اعراب جملة القول « ١٢١ » ، فان ذلك امر لفظى محض ، لايتفق مع بحثها عن ربط الاعراب بالمعنى .

واختلف معها فى تناولها بعض الاستخدامات التى لا يوجد شواهد عليها ، فانى اخشى أن تكون ثمرة حب بعض العلماء للتظاهر ، ومنافسة بعضهم بعضا ، مثل « هب » بمعنى رد « ١٦٦ » .

***

وتبقى امور ارجو ان تعيد الكاتبة النظر فيها ، وتمنحها مزيدا من الدراسة . واهمها معانى بعض الافعال فانها تقول ان وجد بمعنى أدرك فى قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » « ١٥٨ » والاقرب ان يقال انه بمعنى لقى . كذلك المنصوب الثانى فى افعال التحويل مثل رد وجعل « ١٦٣ ــ ١٦٦ » فان ما القيته عليه من نظرات تقرب بينه ــ فى خلدى ــ وبين الحال ، وتباعد بينه وبين المفعول الثانى .. ●

مرآة الفكر العربي

الكعبة المشرفة

● تاليف : امينة الصاوى ●

● يهتم كثير من الباحثين والدارسين بالآثار الاسلامية واهمها الكعبة المشرفة لما لها من قدسية فى نفوس المسلمين جميعا .. وقد سجلت الكاتبة الاديبة امينة الصاوى اضـــافة جديدة الى هذه الدراسات بكتابها الجديد عن الكعبة المكرمة ، فقد عرضت للمراحل التاريخية فى أسلوب ســهل مبسط وابرزت دور الكعبة وما واجهها من أحداث جسام ،صمدت لها وظلت كما هى كعبة المسلمين جميعا .

وتحدثت الـكاتبة عن الكعبة من حيث انها من الآثار الجليلة تاريخا وعقيدة ، فهى اول بيت مبارك وضع للناس .

وعن عمر رضى الله عنــه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بعث الله جبريل الى آدم وحواء يأمرهمـا أن يبنيا له بيتا، فخطلهما جبريل ، ومكث آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى أجابه الماء ، فلما انتهيا أوحى الله اليه أن يطوف بـه .

ثم مرت القرون لتأتى فترة ظلام على الناس ارتدوا فيها عن الايمــان وغلبت عبادة الاصنام ، فارســل الله عز وجل اليهم نوحا ليهديهم الى الرشاد ، ولكنهم طغوا ، فحق عليهم التدمير بالطوفان الذى دمر كل شىء ، ثم تستـعد الحياة لدور جديد فى تاريخ البشرية، وتدخل الكعبة فى أهم أدوارها ، ويقف ابراهيم عليه السلام موقفا متشددا من الكفرة وعباد الاصنام وتكون حياته سجلا حافلا بالكفاح من أجل دعوة التوحيد . وتزوج من ســارة ومن هاجر التى أنجبت له اسماعيل وكانت بداية جديدة لحياة الكعبة . حيث كانت مكة جرداء لا ماء فيهــا ولا زرع ، ولكن رحمــة الله كبيرة ، وقد تدفق المـاء من جوف الارض ليكون بحيرة صغيرة تحت قدمى اسماعيل، وأخذت أمه هاجر تحمد الله على هــذه النعمة الجليلة ، ولايزال الماء يتفجر حتى يومنا هذا من عين زمزم

وتمضى الايام حتى يأتى أمر الله ببناء الكعبة ويبدأ ابراهيم واسماعيل فى العمل ويمضيان فى تطهير الارض حتى ظهـرت القواعد الاساسية للبيت ، وأخذا معا فى بنائه من جـديد ، وجاء جبريل بالحجر الأسعد والمناسك كلها ،وبذلك استقرت مكانة مكة المكرمة أم القرى . ثم توالت الايام وتموت ســارة وهاجر وابراهيم واسماعيل لتدخل الكعبة مرحلة أخرى من مراحلها التاريخية الحافلة بالاحداث ... وهى فترة الجراهمــة الذين ملأوا الدنيا فسادا وظلاما وصراعا ، وفى تلك الفترة حدث تصدع لجدران الكعبة بسبب السيول ، وظل هذا الوضع حتى هزمت الجراهمة على يد خزاعة التى كانت أسوأ من سابقيها .

وتستمر الصراعات المتلاحقة والاحداث ويحاول الكثير من الملوك والحــكام ان يبنوا بيوتا أخرى مزينة بأعظم التماثيل ليغيروا بها اتجاه الحجاج بدلا من الكعبة ولكن حماية الله لهـذا البيت أكبر ... قد ظهرت عناية الله ورعايته للكعبة على مر الايام والعصور ، فلم تهدم قواعده أو أساسه الذى أسس عليـه ، ولم يستطع عدوان الغزاة أن يصل اليه ...

وهكذا ، الى ان أرسل الله ســيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مرشـدا وهاديا ، يزيح عن هذه الدنيا استــار الظلم والجهــل والفســاد وينشر على الناس والدنيا نور الايمان ، مبشرا بدين الله الحنيف ، وتبقى الـكعبة فى عهـده ويكون له الشرف الاكبر فى حمل الحجر الاسعد ، وازدهرت الكعبة بنور الاسلام ... ومرت الايام والاعـوام ... هاهى الكعبة المشرفة شامخة فى العهد السعودى الذى حشد كل الطاقات والامكانات لتعمير وتوسيع حرم الكعبة المكرمة وبذلك توافرت للملايين الذين يحجون بيت الله الحرام كل عام سعة من الارض الطيبة يستطيعون أن يقضوا مناسك حجهم فى يسر وراحة

وأخيرا فان هذه الدراســة الجديدة تســهم اسهاما عظيما فى ربط المسلم بأشرف مقدساته الاسلامية ، وتوقظ فى قلبه الحنين والشوق الدائم الى لقاء ربه ، اداء للفريضة فى بيته المقدس حاجا أو معتمرا .

روح مصر في قصص السباعي

● تأليف : حسن محسب ●

● عن الاديب الفنان المبدع الشهير يوسف السباعي - كتب الروائي حسن محسب هذه الدراسة الممتعة التي صدرت عن دار المعارف في سلسلة « كتابك » بعنوان « روح مصر في قصص السباعي » .

والحق أن هذه الدراسة التي تحمل ملامح وفاء حسن محسب ، تعبر بصدق عن روح مصر من خلال قصص الشهيد الاديب صاحب الموهبة المبدعة ، والحساسية التي تتعدى الحدود والازمان يوسف السباعي ...

لقد عاش يوسف الروائي الفنان واقعه وتعايش مع مجتمعه بكل ظروفه واحواله واستطاع بمقدرته الفنية وعمق حساسيته تصوير كل قطاعات المجتمع المصري والحياة بكل تقلباتها ، كاشفاً عن قدرات فنه ووعيه الاجتماعي وتطوره الفكري في معالجة قضايا بلده كمصري اصيل عاش لارضه ووطنه واهله وعروبته ، وتلك هي اهم سمات الفنان الاصيل الذي يتعايش مع الانسانية جمعاء حتى اخر قطرة من دمه

وقد أمتعنا المؤلف بحديثه عن التطور الفكري للكاتب الاصيل يوسف السباعي مبينا مراحل تطوره الادبي من القصة القصيرة الى الرواية الى العمل الصحافي والاداري مبرزا أن التطور الفكري عند يوسف السباعي يمر بثلاث مراحل .

الاولى ، مرحلة البحث عن الذات وفيها كتب القصص العاطفية والاجتماعية لبعض المجلات مثل مسامرات الجيب ، وهي مرحلة تصور الهروب من الوقوع في الخطيئة سواء بسبب الفقر أو سوء التربية والتخلف الاجتماعي ، ومع تمرد السباعي على تلك الاوضاع الفاسدة في مجتمعه ، فان صوره الادبية يتجسد فيه حبه لمصر ، وذلك واضح في مجموعاته : أطياف، اثنتا عشرة امرأة ، خبايا الصدور في موكب الهوى ، مبكى العشاق .

المرحلة الثانية : مرحلة الوعي الفكري الذي أنضجه تنوع قراءاته وتعدد تجاربه، وتلك المرحلة تمثل لنا بداية موقفه الثوري في معالجة جوانب البطولة في الانسان المصري ومشكلاتها مجتمعة .

كما نحسه في « بين الاطلال » التي تنادي بتحرير المرأة وتطوير تلك الدعوة التي نادى بها من قبل كثير من المصلحين الاجتماعيين ، ثم تأتي « الى راحلة » وغيرهما مفعمة بتلك الدعوات الصادقة

واول رواية للسباعي «نائب عزرائيل» حيث يناقش فيها جوانب الشخصية المصرية من كل الزوايا وبمختلف الوانها ساخرا وناقدا ، ومتعاطفا . وهو بكل ذلك يغير الصورة الكئيبة للحياة .

ثم يتخذ مساره كاتبا جادا يبشر ببداية ثورة فكرية كبيرة في « يا أمة ضحكت » .. وبذلك نجد ان يوسف السباعي يناقش قضايا اجتماعية غاية في الخطورة ويريد من مجتمعه أن يكف عن الهزل ليواجه بجدية تلك المشكلات التي تغرق الانسان المصري ... وبعدها يواصل مساره الادبي في قوة وشجاعة وثورة جديدة في « أرض النفاق »،والتي تمثل قمة الانفجار الفكري وتعكس تخلف المجتمع بكل آفات الجوع والفقر وأحلام الثراء والطمع ، والزهد ...

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة تطور فيها يوسف السباعي لكي يمارس بنفسه وبقلمه هذا الاصلاح ، ويسميها المؤلف - حسن محسب - مرحلة الفعل الثوري . وهنا يحاول بصلابة كسر الاغلال ،وينادي بالعدالة الاجتماعية ، والاستقرار العائلي للاسرة المصرية والعيش بدون خوف ..

ولعل اهم اعمال يوسف السباعي التي تعبر عن تلك الاهداف : « السقامات » « البحث عن جسد » ، « رد قلبي » ، « نادية » ، « نحن لانزرع الشوك » ، واخيرا « العمر لحظة » التي جسد فيها تجارب عمره وحصاد ثقافته المتنوعة .. و « العمر لحظة » ماهي الا رد لكرامة الانسان المصري العربي مسجلا اروع بطولات الجندي المصري في معارك العبور والانتصار ●

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

إبتسامتك مفتاح نجاحك

د . حسين مونس

- إبتسامة صادقة على وجه إبنك خير ألف مرة من بكالوريوس يشقى نصف عمره ليحصل عليه ، ويشقى نصف عمره الباقي ليعيش منه !..
- إننا نحس أنفسنا بأنفسنا ، ونحن في حاجة إلى هدوء وأعصاب ، وإلى تفكير وثقة في النفس والغير .

على غلاف هذا العدد من «الهلال» وجه ضاحك ..

لم نقصد قط أن نضع على الغلاف صورة فتاة او امرأة جميلة ، كل ما رمينا اليه أن نطالعك بابتسامة حلوة من وجه شابة أفرغ الله عليه رونق الجمال ..

ورجونا ونحن مجتمعون لتقرير صورة الغلاف أن تنتقل هذه الابتسامة الحلوة الى وجهك وقلبك ، لأننا نشعر انك مثلنا تشعر أن الحياة ثقل ظلها هذه الايام ، والقت على أكتافنا مسئوليات ومتاعب تحتاج منا الى مزيد من القوة والصبر لنواجهها به ، وهذه المسئوليات ليست من صنع أحد ولا هي صدرت عن ظروف معينة ، وانما هي طبيعة الحياة في عصرنا هذا في مطالبه الكثيرة وأسعار تلك المطالب في ارتفاع ، والوارد الينا لا يزداد الا في بطء السلحفاة ، وعلينا ان نعمل ونعمل من الصباح الى ساعات الليل المتأخرة لكي نستطيع أن ننهض بأعباء هذه



الشباب والمرح وخفة الظل

خفة الظل والمرح ، والميل الى الدعابة من ميزات الشباب . وهذه البنت الجميلة تعطينا مثلا حلوا لروح الشباب هذه . فقد وضعت ساعتها في شعرها ، وجعلتها خلف ظهرها لتعاكس الناس طبعا، فان الذي يرى هذه الساعة في هذا الوضع ، لابد أن يبتسم على الاقل ، وان يسأل نفسه : ترى لماذا وضعت البنت الساعة في هذا الوضع؟ والجواب: لكي تتخذها وسيلة للكلام مع من تريد الكلام معه من الشبان طبعا !..

فهي تستطيع أن تسأله : كم الساعة ؟! ثم تستدير ليقرأ هو الساعة ويخبرها . تقليعة شباب .. وما أجمل مايصدر من الشباب من أمثال هذه التقاليع

إبتسامتك مفتاح نجاحك

الحياة ومطالبها المتزايدة

***

وقد يحسب بعض الناس ان ثقل الحياة هذا خاص بنا دون غيرنا ، ولكنك تستطيع ان تطمئن ، فهذه حال الدنيا كلها اليوم ، بل نحن احسن من غيرنا بكثير ، وكلما تقدم البلد فى ميدان الحضارة زادت متاعب أهله .

ولقد كنت فى بلدين أوربيين هذا الصيف فاحسست وكأن عصر الضحك والابتسام قد ولى مع أمس الدابر ، وحل محله عصر العبوس . وما فتحت جريدة الصباح هناك يوما الا امتلأت نفسى هما : اضرابات وأزمات وحروب ومشكلات تستعصى على الحل ، والمسئولون فى كل بلد أصبحوا اتعس من غيرهم ، فهم يحملون مسئولياتهم ومسئوليات الغير ، ويقفون دائما وظهرهم الى الحائط كأن الوظيفة العامة أصبحت فى يومنا هذا حكما بالسجن مع الاشغال الشاقة بلا أمد محدود ...

وأنا لا أزور ما أزور من بلاد الغرب سائحا قط ، انما انا لى فى نواحيها اصدقاء . فأنتهز فرصة السفر لأراهم وأتعرف من خلالهم على حال الدنيا ، فكنت اذا زرتهم قبل سنوات تزاحمت على دعوات المسرة والتسلية وسهرات الاصحاب ، اما اليوم فلا دعوات ولا سهرات ، انما هو اللقاء القصير وتبادل التحايا ويذهب كل منا فى طريق ، لأن كلا من هؤلاء يحمل من المتاعب والمسئوليات والمخاوف فوق ما يطيق .

ولا انسى صديقا لى فى ضواحى جنيف يعمل فى احدى منظمات الامم المتحدة من نحو عشرين سنة ، وكان لقاء هذا الرجل سعادة اسعى اليها ؟ فهو بطبعه طروب ، متفائل ، واسع الرزق ، يعيش فى بيت وحى كأنهما قطعتان من الجنة ، وقد أسعده الله بزوجة هى البشر بعينه ، وما زرت بيتهما قط الا قضيت ساعات من المتعة ، واصطحبانى للغداء او للعشاء فى تلك المطاعم المشرقة بالنور المسعدة بما يقدم لك فيها من طعام مختلف الوانه ، فلما نزلت به ذلك الصيف قرأت فى وجهه كآبة لم اعهدها ، واحسست ان الرجل ضيق بالدنيا والناس ، ولم ألبث ان عرفت السبب : لقد انفصل عن زوجته ، ولم أصدق الخبر ، ومضيت الى حيث الزوجة المطلقة فوجدتها فى هم ناصب ، وعرفت ان السبب فى ذلك بنت لهما كانت متعة القلب وقرة العين صباحة وشبابا وجمالا انحرفت مع موجات هذه الايام وهربت مع شاب من أمريكا اللاتينية ، وكان من رأى الأم أن تترك البنت وشأنها ، فهذه حياتها وهى حرة ولا شأن لنا بها ...

اما الاب فلم يكن على هذا الرأى .. كان يحب ابنته ولا يريدها ان تضيع فى عواصف هذا العصر ، واشتد النزاع بين الاثنين وانتهى الامر بالانفصال .. ولقيت الزوجة . انها تعمل فى مكتب سياحى . وجدتها فى حالة من الضيق لا توصف .. لقد ضاعت ابنتها ، وهذا هو زوجها ضاع ، فماذا بقى لها فى الحياة ؟.

***

وتبينت خلال الاسبوعين اللذين قضيتهما هناك ان هذه هى الحالة الغالبة على الجميع .. كلهم فى ضيق كلهم فى تعب .. رغم أن بيوتهم قطع من الجنة ، وفيها كل مستحدثات الحضارة ،



كارولين فيلة لطيفة تعمل فى سيرك فى المانيا ، مدربها شاب يسمى فرانز رومر ، وهما رفيقان لا يفترقان بحكم العمل

ويبدو أن كارولين وقعت فى غرام فرانز نتيجة لطول الصحبة والاشتراك فى التدريب ساعات كل يوم

ولم تجد كارولين ما تعبر به عن غرامها بمدربها الا ان تجلس على الكرسي وتدعو مدربها ـ باللغة التى يتفاهمان بها عادة ـ الى ان يرقد على ذراعيها لتهدهده كأنه طفل .

ورآهما صاحب السيرك فى هذا المشهد الغرامى الطريف ، فوجد ان هذا المشهد يصلح ليكون « نمرة » من نمر السيرك يشاهدها الجمهور.

وبالفعل تزاحف الالاف ليروا كارولين تخرج الى الحلبة وتمد يديها ، ويقبل فرانز ويصعد على سلم وينام على ذراعى صاحبته ...

ولكنهم يعيشون فى جحيم ...

ماذا جرى للدنيا ...

اين ضاعت الابتسامات ؟..

ولماذا كنا قبل عشرين سنة مضت نبتسم ونضحك ملء قلوبنا مع ان احوالنا لم تكن احسن فى شيء مما هى اليوم ؟

ولماذا ـ مثلا ـ كانت هناك صحف ومجلات وظيفتها اضحاك الناس وتسليتهم ، وكان الاقبال عليها عظيما؟

***

السبب فيما اتصور اننا جميعا اعطينا الامور المادية أكثر مما تستحق ، فاخذت تطحننا بثقلها وقسوتها .

ومن الواضح أن الحياة اليوم اصعب بكثير مما كانت بالأمس الأسعار فى ارتفاع فى الدنيا كلها ، ومطالب العيش أصبحت اضعاف ما كانت عليه .. ولكننا من ناحيتنا نبالغ فى تضخيم مشكلات الحياة ونكلف انفسنا أكثر مما نطيق .

عرفت اسرة ركبتها الهموم لان واحدا من اولادها لم يحصل على مجموع يأذن له فى دخول الكلية التى يريدون ان يدخلوه فيها

ورأيت ازمات ومشاجرات فى بيت بين الأب وابنه لان الولد يطلب مزيدا من مصروف الجيب لا يملكه ابوه ***



ابتسامتك مفتاح نجاحك

مرح من القلب

مجرد نظرة الى هذه الصورة تملأ القلب مرحاً وتفاؤلاً والبسمة انها شابة ضحكت من كل قلبها .. وكل ما فيها يضحك . والشابة اسمها كارولين جريمالدي ، ابنة موناكو التي اصبح اسمها الآن كارولين جونو ، وكان زفافها عرساً دولياً احتفلت به الدنيا كلها . تعيش مع زوجها فيليب أيام ثالث في شهر العسل والدنيا كلها من حولها ضحك وابتسام وتفاؤل .

ابتسامتك

مفتاح نجاحك

وكان الشاب يقول : ان اصحابى جميعا يدخنون سجائر اجنبية فكيف اكون اقل منهم ؟ انني لابد أن اجاريهم فى الجلوس فى « البوفيه » ..

وعادت بى الذكرى الى ايام كنت فى مثل سنه . كنت امشى على قدمى نصف المسافة من الجامعة الى شبرا ، لانني كنت ادخر نصف تكاليف المواصلات لاشترى مجلات وكتبا .

وكنا نسمع برامج الاذاعة من الشباك اذ لم يكن عندنا جهاز راديو ، وكان يمضى الشهر والشهران دون أن نذهب الى سينما ، لاننا كنا نستعيض عنها بالقراءة ..

وكان فى القلب دفء ، وفى الدنيا خير وفى الرأس مطامع لا مطامع ، ولهذا كنا لا نحمل فوق اكتافنا هذه الهموم كلها ، وكنا نجد الوقت للابتسام والضحك ...

***

ولا تصدقوا ان الحياة فى الماضى كانت اسهل منها اليوم ...

نعم كانت اسعار الحاجيات اقل بكثير من اسعارها الراهنة ، ولكن المرتبات كذلك كانت أقل بكثير مما هى عليه الآن ..

واذكر انني عندما انتقلت للسكنى فى حى الروضة كانت الأرض فضاء او حقولا مزروعة ، وكانوا يبيعونها بجنيه للمتر ، وفى بعض الأحيان كنت تستطيع ان تشترى متر الأرض بنصف جنيه .

وقال لى من أسابيع شاب من أقاربى :

ـ لقد ضيعت الفرصة !. كنت تستطيع أن تشترى فدادين .. تصور لو انك فعلت هذا لكنت اليوم من الأثرياء ..

قلت : حقا يا بنى .. ولكن صدقنى ايامها لم أكن أملك مدخرا اشترى به مائة متر ! .. انت على حق ، كان متر الارض يومها بجنيه أو نصف جنيه .. ولكن الدخل لم يكن يسمح بادخار مائتى جنيه مثلا لأشترى أربعمائة متر من الأرض ، وهى اقل مساحة يمكن أن يقوم عليها بيت ..

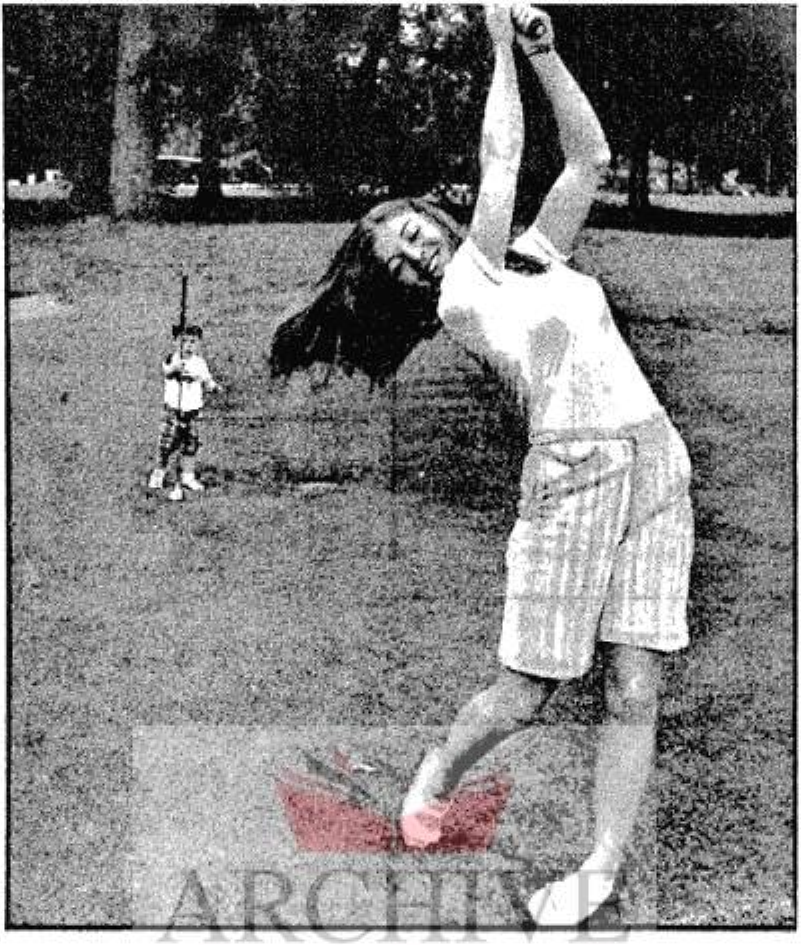
ثم اننا يا بنى لم نكن نفكر فى الغنى او الصفقات . كنا نفكر فى الحياة فى هدوء وسلام .

اذكر انني زرت استاذى عبدالحميد العبادى رحمه الله ، وكان يسكن فى بيت واسع فى حى الروضة حوله حديقة واسعة . فقلت له : لماذا لا تشترى هذا البيت .

فقال وهو يبتسم ابتسامته الجميلة الطيبة : ولماذا أشتريه ؟ . هأنا ساكن فيه ومستمتع به .. لماذا اقلق راحتى واسعى لكى اكون صاحب ملك وأرض وانفق وقتى عند المحامى وادارات التسجيل ... اليس افضل من ذلك ان اقرأ كتابا !! ..

واعجبنى رأيه . كنا فى عصر هادىء رزين لم تعصف به هذه التيارات المفتعلة التى تعصف بنا اليوم .

واقول مفتعلة ، لان الحقيقة اننا نحن المسئولون عن معظم هذا الجو العصبى الذى نعيش فيه ، ومعظم ازماتنا مصطنعة .



فى نظر الشباب الدنيا كرة ، يلعب بها كيف يشاء ، هذه الزوجة الشابة تلعب الجولف برشاقة واناقة ، ومرح وطرب ، ومن ورائها ابنها يريد أن يفعــل مثلها . ولكنه لايدرى كيف ، فمد يده بالمضــرب لانه رأى ((خدم)) اللعب يقفون وراءها دائمــا بالمضارب ، كما هو معروف فى لعبة الجولف

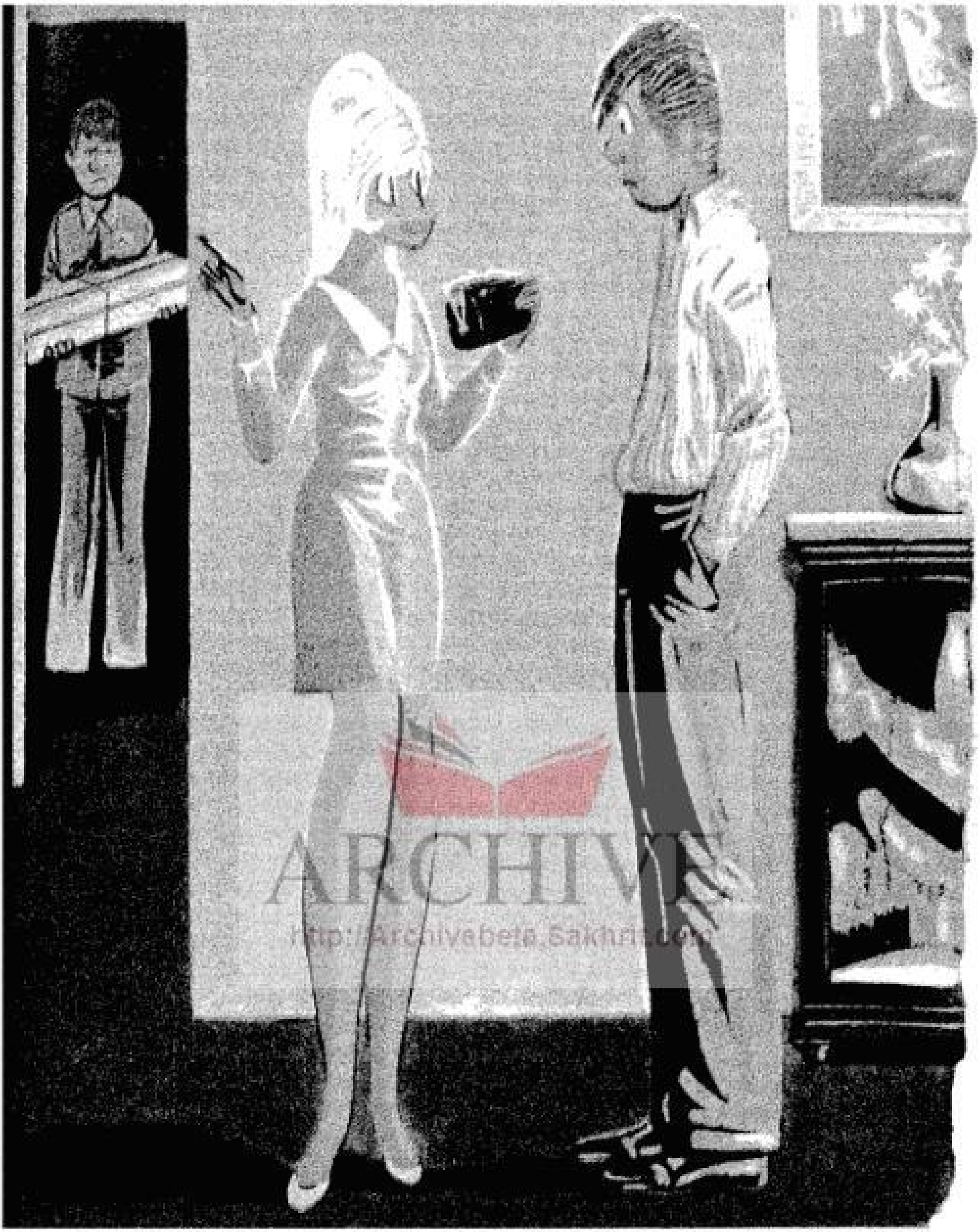
واضرب لك مثالا نشـــهده كلنا كل يوم .

انظــر الى النـــاس الذين ينتظرون فى محطة الحافلة أو الاوتوبيس . انهم متجمعون متاهبون كأنهـــم يستعدون لمعركة . لماذا كل هذه العصبية ؟ .

وماذا يحــدث لو أن أولئك المواطنين وقفوا صفا بحسب وصولهم

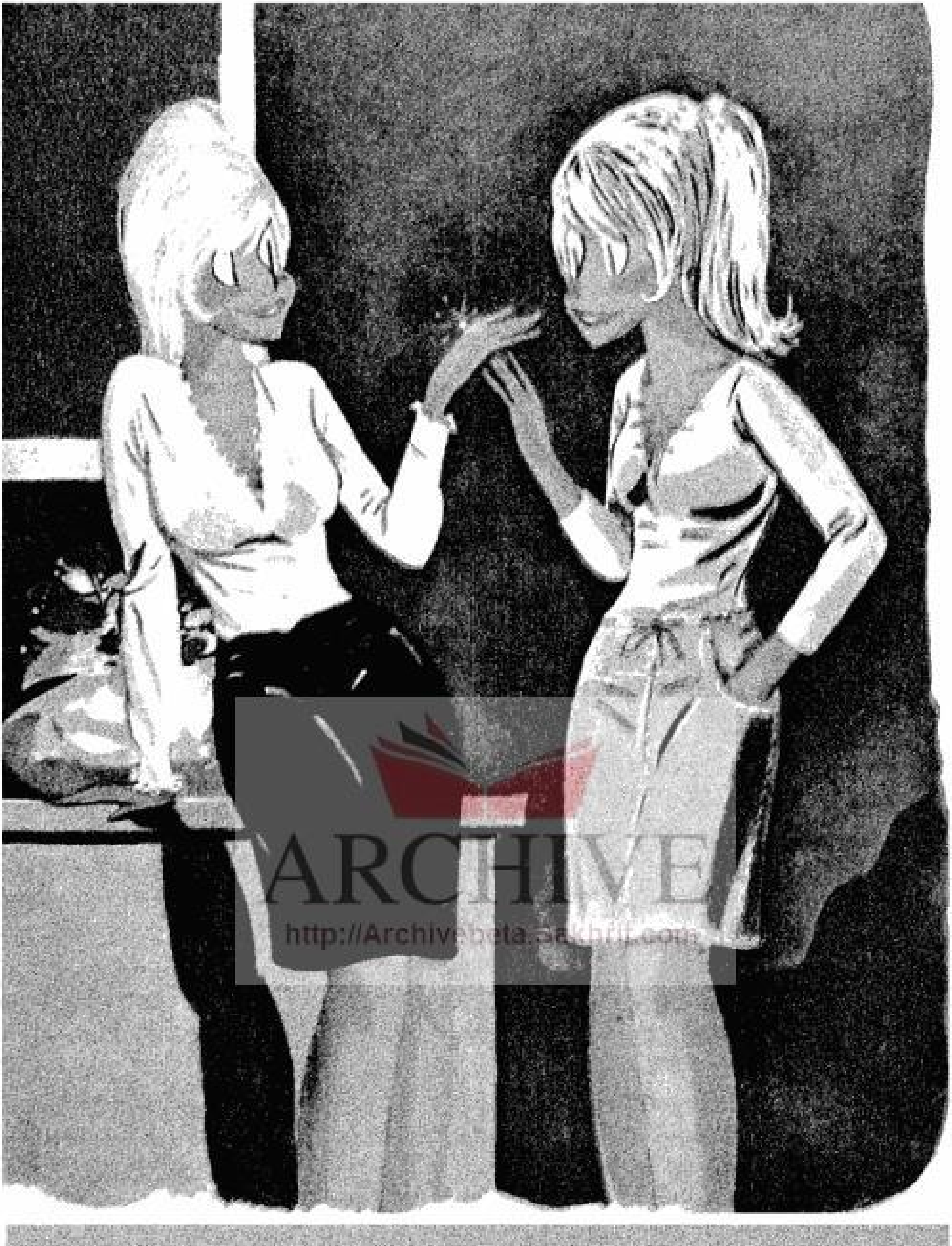
سيركب كل منهم فى دوره ، دون هجوم، دون زحام ، دون تدافع .. ودون أن يتحطم الاوتوبيس .

هذا المنظر البغيض فى ذاته رمز على العصبية التى نعيش فيها دون داع .. لأن أهل الدنيا كلهم يقفون صفوفا فى



ابتسامتك مفتاح نجاحك

هي لزوجها : اصلي اشتريت الهدية اللي كنت باحلم انك تقدمها لي أ... عاوزه شوية فكه بسيطة يا حبيبي ٤ مائة جنيه بس ...



- مش معقول .. الخاتم البديع ده لمته لمسة حنان ؟
- تمام ... أصلى شفت زوجي ف لمسة حنان مع واحدة صاحبتى
... واضطر يشترى لى الخاتم ده صلح وتعويض !!



انتظار دورهم ليركبوا الحافلة .. نحـن وحدنا من دون النـاس نخوض معركة لأمر بسيط مثل ركوب السيارة .

وهذا مثال بسيط نراه كل يوم ..

وهو ينطبق على تصرفاتنا كلها .

وانتقل بك من هذا المشهد اليومى الى المأساة التى تعيشها أسرنا كل عام دون داع ...

من شهر أبريل تجد الاسرة كلها فى حالة عصـبية : الاولاد يذاكـرون والمدرسون الخاصون داخلون خارجون، الأب متوتر الاعصاب يفكر دائمـا فى المجموع الذى سيحصل عليه الاولاد والأم تضع يدها على صدرها ..

لماذا ذلك كله ؟!

لأن كل الاولاد يريدون دخول كليات الطب او الهندسة ..

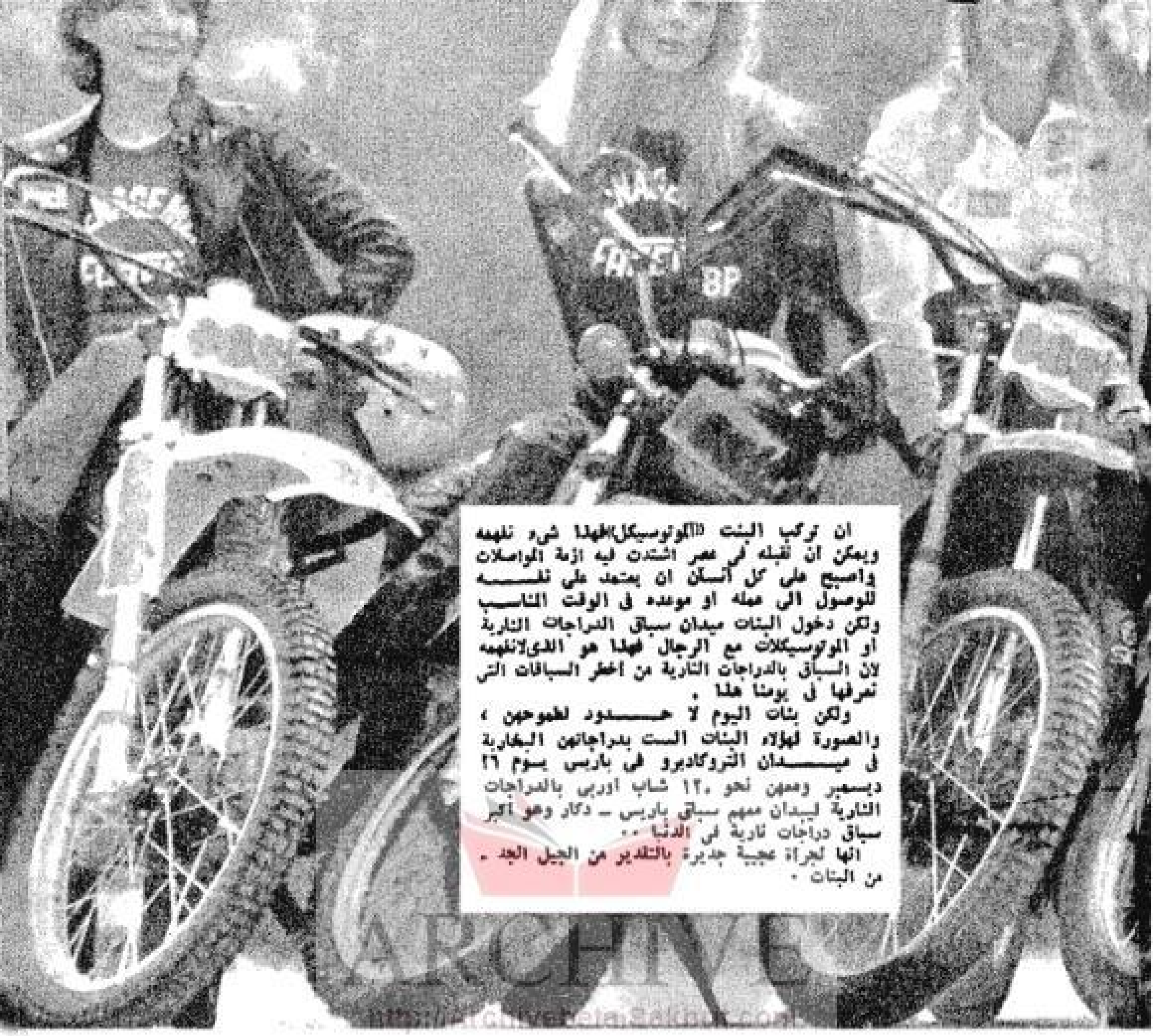
أليس ذلك عجيبا ؟

هل من المعقول ان يصبح هؤلاء كلهم اطباء ومهندسين ؟

وهل هؤلاء جميعا لديهم الاستعداد ليكونوا أطباء ؟

وهل سيصبحون سعداء اذا أصبحوا أطباء ...

وهل تعرف هذه الأسر مقدار الجهد



ان تركب البنت «الموتوسيكل» فهذا شيء نفهمه ويمكن ان نقبله في عصر اشتدت فيه ازمة المواصلات واصبح على كل انسان ان يعتمد على نفسه للوصول الى عمله او موعده في الوقت المناسب ولكن دخول البنات ميدان سباق الدراجات النارية او الموتوسيكلات مع الرجال فهذا هو الذى لانفهمه لان السباق بالدراجات النارية من اخطر السباقات التى نعرفها في يومنا هذا .

ولكن بنات اليوم لا حدود لطموحهن ، والصورة لهؤلاء البنات الست بدراجاتهن البخارية في ميدان التروكاديرو في باريس يوم ٢٦ ديسمبر ومعهن نحو ١٢٠ شاب اوربى بالدراجات النارية ليبدان معهم سباق باريس ــ دكار وهو اكبر سباق دراجات نارية في الدنيا ..

انها لجراة عجيبة جديرة بالتقدير من الجيل الجديد من البنات .

الذى لابد أن يبذله الشاب لكى يحصل على البكالوريوس ..؟

ولماذا لا يحدث هذا في انجلترا او فرنسا مثلا ؟

لأن الناس هناك يفكرون بهدوء ولا يدعون انفسهم قط نهبا للتوتر العصبى دون داع ..

وليس من الضرورى قط أن يصبح جميع أبناء الأسر أطباء ، لأن الطب استعداد وموهبة وعمل كثير جدا ، ومن الظلم للشباب أن نعبىء رأسه بأفكار زائفة تقول انه اذا دخل كلية الطب ضمن مستقبلا سعيدا .

ومن الممكن جدا ان يكون دخول كلية الطب بداية التعاسة للشاب ...

لماذا لا ندع الشبان يختارون مستقبلهم دون عصبية ودون خوف ؟.

اليس الهدف الاخير أن يصل كل من هؤلاء الشبان الى العمل الذى يتفق مع مواهبه ليعيش مرتاح الاعصاب ؟

وهل يفكر اولئك الآباء والأمهات في سنوات الجهد والشقاء والخوف التى سيعيشها أبنهم في كلية لا تناسب قدراته او مواهبه او مزاجه ؟!

لقد اقسم لى اب من الآباء انه ينفق



طائر البطريق ، او البنجوين من الطف خلق الله شكلا ، فهو يبدو وكأنه بالفعل بطريق ، يلبس جبة بيضاء وفوقها طيلسان أسود . وفي بعض الأحيان تتولون كل البنجوين يلبس « الفراك » بصورة مستمرة ، ولكن يبدو ان الصياد القطبي ليس متحرجا من الجلوس وسط هذا الحشد من البطاريق .. أما الصورة الجانبية فترى فيها « فقمة » الصحاح من قلبها ، والى جانبها زوجها .

إبتسامتك
مفتاح نجاحك

الف جنيه دروسا خصوصية على ابنيه اللذين يدرسان الطب .

قلت له : انت صادق .. ولكن لماذا هذا الانفاق كله ؟.

– لا مفر من الدروس الخصوصية

.. كل الطلاب ياخذون دروسا خصوصية .. بدونها لا ينجحون ..

قلت : صدقنى أن هذا كله لا لزوم له . وهذه الدروس الخاصة وهم

لا فائدة فيه ، والطالب الذى رزقه الله الاستعداد لدراسة الطب لا يحتاج لساعة واحدة من الدروس الخاصة..

اننا نحشر ابناءنا فى هذه الكليات وندفعهم الى السير فيها بكل عنف وقسوة وننفق مئات الجنيهات !!

ونعيش معهم سنوات من القلق والاضطراب النفسى ، والنتيجة ؟

بعد هذا كله لن ينجح فى عالم الاطباء الا صاحب الاستعداد لهذه

المهنة الشريفة .. اما الباقى فنثق أن معظمهم لا يصلون الى السعادة المنشودة قط ..

***

ومثال آخر :...

تصور معى ما تفعله كل اسرة تزوج بنتا لها . .

الوف الجنيهات ينفقها نفقراء

ليؤثثوا للبنت وزوجها بيتا من اربع غرف وصالة على الاقل ..

لماذا لا يحدث هذا الا عندنا ؟

هل فى انجلترا وفرنسا مثلا لابد ان

تبذل الاسرة كل هذه التضحيات لكى يدخل شاب حديث التخرج فى بيت زوجية مؤثث تأثيثا كاملا ؟ .

كل هذا لا داعى له ...

لان الذى ينبغى ان يتوفر للزواج السعيد ليس الاثاث ولا الغرف الاربع ..

الذى ينبغى هو الوفاق والالفة والسعادة وهذه لا تستطيع الاسرة ان تهيئها مهما أنفقت ، وأمامك المئات من البنات عندنا : تزوجن وكلفن اسرهن الالوف ولم يجدن السعادة ولا الوفاق . بل وجدن الطلاق ...

***

حقا ان الحياة اليوم قاسية .

ولكننا بعصبيتنا وبجهلنا بطبيعة الحياة نجعلها جحيما ..

ولا انسى يوما زارنى فيه صديق وجلسنا نتحدث ، ثم اتى انسان وقال ان فى البلد ازمة بن ..

وقفز الصديق وخرج يجرى ليشترى بنا قبل ان ينفد .

وعندما اتصلت به بعد الظهر

بالتليفون قال انه اشترى خمسة كيلو جرامات .

ولم تكن هناك ازمة ولا شبه أزمة ، وأيامها كان البن ملء الاسواق ...

ثم ... ماذا يحدث فى الدنيا اذا لم يكن هناك بن ؟.. هل القهوة طعام أو شراب حيوى ؟.

***

الحق اننا نتعس انفسنا بانفسنا

ونحن في حاجة الى هدوء أعصاب ، والى تفكير . الى ثقة بالنفس والغير .

هنا ستجد الابتسامة طريقها الى الوجه ...

هنا سنضحك من جديد ملء افواهنا

وهنا ايضا ستهبط نسبة الامراض الى النصف ... وستجد الحياة رغم ما فيها من متاعب ، رغم غلاء الاسعار .. ستجدها رحلة لطيفة هادئة .. فيها عمل كثير متعب وجهد متواصل .. ولكن فيها هدوء اعصاب واطمئنانا وابتساما ..

وابتسامة صادقة على وجه ابنسك خير الف مرة من بكالوريوس يشقى نصف عمره ليحصل عليه ، ويشقى نصف عمره الباقى ليعيش به ...

● د . حسين مؤنس ●





لكى يسعد المعوقون

فى اوربا يريدون ان يزيلوا لفظ المعوقين من قاموس اللغة لانهم يريدون الا يعانى انسان من نقص فى تكوينه ابتلته به الطبيعة . وهم يبتكرون كل يوم أشياء تساعد اولئك الأخوة على التخلص من متاعب النقص الذى لايد لهم فيه .

ومن آخر ماقرانا من اخبار هذه المحاولات ، اختراع سيارة لمن اقعده الشلل عن الحركة ، وربطه الى سجن الكرسى ذى العجلات .

هذه السيارة تتيح لسجين الكرسى ان يدخل بكرسيه فى السيارة ، ويصبح الكرسى فى هذه الحالة كرسى قيادة . ومن مجلسه وهو مرتاح يستطيع الأنسان انيقود سيارته ، وكل مفاتيحها تحرك باليد .



فكّر.. واكتب

إنها تخاطبك ..
تفضل بالرد عليها ..

حديثنا هنا موجه الى الشعراء والكتاب ـ وهو دعوه منا اليوم للاشتراك فى هذه المسابقة الجديدة .

هذه البنت الحلوة تنظر اليك وفى عينيها كلام ..

وانت ـ شاعرا كنت أم كاتبا ـ تفهم هذا الكلام ..

ولابد ان لديك ردا عليه .. اذ لا يستطيع اديب او شاعر أن يرفض الرد على هذا التحدى الذى ينبعث من هاتين العينين .

تأمل الصورة وقل لنا ـ شعرا او نثرا ـ ماذا تقول لك ... بماذا توحى لك ..

وقل لنا : بماذا ترد عليها ، .. ماذا عندك تقوله لها .. ما هو الحوار الذى يمكن أن يدور بينك وبينها ..

لا تسرع فى الكتابة ، فكر أولا فان الامساك بالقلم هو آخر خطوة فى الانشاء الفنى .. شعرا أو نثرا !

فى الشعر ، اكتب ابياتا قليلة .. وفى النثر فقرات وجيزة .. وابعث لنا بما كتبت .

ولك من الفوز ، ولكل من الفائزين الاربعة الآخرين ـ جائزة .. اشتراك مجانى لمدة سنة فى « الهلال »

عمود الشعر وشعرنا المعاصر

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

ـ ١ ـ

● عمود الشعر ، اصطلاح يتردد كثيرا فى النقد العربى ، وعلى السنة الشعراء ، منذ القرن الثالث الهجرى ، حتى اليوم . وتنسب القصيدة الشعرية الى عمود الشعر ، ويقال لها قصيدة عمودية .. فما هو عمود الشعر اذن ؟

انه اصطلاح جديد ، ظهر فى العصر العباسى فى القرن الثالث الهجرى ، وتردد صداه على السنة النقاد العرب ، فى هذه الحقبة الحافلة بمختلف التيارات الأدبية والنقدية . واخذه منهم من جاء بعدهم من النقاد .

يروى الآمدى الحسن بن بشر (٣٧١ هـ) عن أبى على محمد بن العلاء السجستانى ، وكان صديق البحترى ، انه قال : سئل البحترى عن نفسه وعن أبى تمام ، فقال : « هو أغوص على المعانى ، وانا اقوم بعمود الشعر » .

وكان الآمدى يقول عن البحترى : انه أعرابى الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف . وقال عن أبى تمام : شعره لا يشبه أشعار الاوائل ، ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة ، والمعانى المولدة .

وهكذا نجد هذا المصطلح النقدى يظهر ويذيع فى القرن الثالث والرابع ، والآمدى على أية حال من اظهر النقاد الذين حكموا عمود الشعر العربى ، وكشفوا عنه ، واحتفلوا به احتفالا شديدا ، وكان يرجع الى الأصول الفنية والبيانية فى الشعر القديم ، فيجعلها كل شىء ، أو أهم شىء ، فى النقد ، فهو ينقد شعر أبى تمام بالاحتكام الى عمود الشعر ، والى النهج العربى فى شعره ، ويحكم الذوق الادبى والاساليب العربية فى أسلوبه فيرد ما ترده ، ويقبل ما تقبله ، فللعرب طريق خاص فى استعمال الاسلوب والنظم والصياغة ، وفى تناول المعانى والأخيلة والموضوع ، وفى الأوزان الشعرية التى ينظم الشاعر عليها شعره ، ولهم نهج خاص فى مجازاتهم واستعاراتهم وتشبيهاتهم ، وفى التمثيل والكناية والبديع من جناس وطباق ومقابلة وتورية ، وخلاف ذلك ، وذلك كله هو ما يجب على الشاعر ان يلتزمه ، ويسترشد به ، ويحتذى حذوه ، وينظم شعره على مثاله ، وهذا النهج الفنى هو عمود الشعر العربى ، وهو خلاصة لكل التقاليد الفنية التى التزمها القدماء من الشعراء فى قصائدهم ، فى الشكل وفى المضمون ، فى المعانى والاخيلة والصور ، وفى الوزن واللفظ والاسلوب .

ـ ٢ ـ

وهذا العمود الشعرى هو الذى حكمه النقاد فى الشعر ، وحتموا التزامه ، وسموا ماجاء على نمطه من الشعر قصيدة عمودية ، وقالوا عنها : انها القصيدة الملتزمة لعمود الشعر ، اى لكل قيمه الفنية ، والبحترى لذلك اقوم بعمود الشعر ، وابو تمام غير ملتزم له . ان كثرة الاختلاف فى قضايا النقد

• إن كثرة الاختلاف فى قضايا النقد فى القرن الرابع الهجرى جعلت الاحتكام إلى عمود الشعر أمراً ضرورياً ، فهو الميزان يوزن به كل ما جد على القصيدة الشعرية من ألوان التجديد المحدث

فى القرن الرابع الهجرى ، جعلت الاحتكام الى عمود الشعر امرا ضروريا ، فهو الميزان الذى يوزن به كل ما جد على القصيدة الشعرية من الوان التجديد المحدث ، وصار العمود الشعرى حكما فاصلا فى قضايا النقد ، وليس هذا العمود الا كل التقاليد الفنية الموروثة فى القصيدة العربية عن الشعراء القدماء من امرىء القيس حتى نهاية العصر الاسلامى ، اى حتى نهاية الخلافة الاموية ، والاحتكام اليه اكثر انصافا فى النقد . لانه احكم المقاييس النقدية واصدقها .

على أن النقاد القدامى لم يستطيعوا ان يحددوا لنا مضمون هذا المصطلح النقدى ـ عمود الشعر ـ ولا نجد تعريفا صادقا له عند كل النقاد ، من قدماء ومحدثين ومعاصرين ، وتعريفنا السابق له قد يكون أوفى ما يمكن أن نعرفه به .

ـ ٢ ـ

لقد امدتنا القصيدة الجاهلية بكل القيم الفنية للشعر ، وهى قصيدة المعلقات ، التى تركت آثارها على الشعر العربى فى مختلف عصوره ، حتى مطلعها الطللى ، أو مقدمتها الطللية ، صارت جزءا من تقاليد الشعر ، وفهم ناقد كبير مثل ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) انها تدخل ضمن عمود الشعر ، وانها يجب أن تلتزم فى القصيدة . ولكن اذا كان المخضرمون والاسلاميون قد التزموا المطلع الطللى للقصيدة فاننا نجد الشعراء المحدثين ، من بشار وابى نواس ، ومن جاء بعدهم ، قد ترك أكثرهم المقدمة الطللية للقصيدة ، وبدأوها بالغزل ، أو بوصف الراح ، أو بدون مقدمات على الاطلاق .

ان قصيدة المعلقات قد حددت كل التقاليد الفنية الملتزمة فى القصيدة العربية : شكلا ومضمونا ، موضوعا وفكرا ، خيالا وصورا ، لفظا وأسلوبا وموسيقى ، وبالتالى فقد رسمت لنا عمود الشعر . والقصيدة العمودية التراثية هى قصيدة ملتزمة مقيدة ، والفن هو الفن ، لابد فيه من القيود ، والمثل الفرنسى يقول : لا يحيا الفن بدون قيود ، فمن خلال القيود الفنية تظهر عبقرية الشاعر وموهبته الاصيلة ، والحرية فى الفن هى استعمال الفنان الموهوب لاقصى قدرات عبقريته ، من خلال تلك القيود .

وليس من الصحيح ان نعد ذلك استعبادا فنيا ، وكان الدكتور احمد زكى أبو شادى رائد مدرسة ابوللو الشعرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥ م) يرى أن الشكل العمودى أو التقليدى للقصيدة استعباد للشاعر ، وعلى ذلك يسير اكثر الثائرين على عمود الشعر ، ممن يذهبون الى ان الوزن التقليدى يجر الشاعر الى استخدام اسلوب وايقاعات تضرب بجذورها فى أعماق عقله الباطن ، وتملى عليه الايقاع والمعجم والاسلوب ، وتغلبه على ابداعه وشخصيته . وعندهم أن هذا الشكل لا يتصف بالكمال ، وهو غير قادر على التعبير عن كل الموضوعات والتجارب والحالات الشعورية عند الشعراء العموديين .

ومن الخطأ أن نتابع مذهب الذين يرمون الصياغة الكلاسيكية بانها تغلب الشاعر على ابداعه ، وشخصيته ، ولا تسمح للقوة الخلاقة ، الكامنة فيه ان تكشف عن نفسها ، ففى رأيى ان الصياغة الكلاسيكية لا يمكن ان تقف

عقبة امام الابداع وظهور الشخصية ؛ ولا امام حرية الفنان واستقلاله الشخصي ، وكان ابو شادي يكرر انه يهدف الى التحرر من قيود لا ضرورة لها لا الى التحرر من القواعد الفنية جملة ...

ان القصيدة العمودية بموسيقاها الجميلة ، ونغمها الموقع ، وجمالها الفنى الاخاذ ، أصبحت فى العصر الحديث مجالا للنقد . ونحن لا ننكر ان بعض هذه التقاليد يمكن التحرر منها او التجاوز عنها ، او التحوير فيها ، لمنح الشاعر قسطا أوفر من الحرية ، لكن ذلك لم يكن يجوزه – على اية حال – الذين التزموا بعمود الشعر من النقاد العرب ولا يعنى هذا ايضا التحرر من كل القيود .

ان الشعراء المحدثين فى العصر العباسى قد تجاوزوا بعض قيود عمود الشعر ، واحدثوا تجديدات واسعة فى القصيدة ، فاذا كان الشعراء الاسلاميون اى شعراء العصر الاموى ، قد احدثوا فى الشعر قصيدة الاراجيز ، فان الشعراء المحدثين قد أحدثوا قصيدة الموشحات ، وجددوا فى كل عناصر الشعر ، جددوا فى الشكل والمضمون وفى الوزن والقافية ، وفى المعنى والخيال والصورة الشعرية ، الى غير ذلك كله.

وبجانب ذلك وجد نقاد محافظون متعصبون للقديم ، كأبى عمرو بن العلاء والاصمعى وابى عبيدة وغيرهم . فأبو عمرو شديد التعصب على المحدثين ، لخروجهم عن عمود الشعر ، بل هو شديد التعصب على الشعراء الاسلاميين كذلك ، وكان لا يرى الشعر الا للجاهليين ، وكان أشد الناس تسليما للعرب كما يقول ابن سلام (– ٢٣١ هـ)، ولا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين ، وسئل عن المولدين ، فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم .

ان مثل ذلك التعصب للقديم موجود فى الاداب الاوربية ، **فقد كان هوراس** الشاعر الرومانى يرى ان **شعراء** الاغريق هم النماذج التى يجب ان تدرس ليلا ونهارا ، وأن الشعر ينبغى ان ينظم كما كانوا ينظمونه ، والنقاد فى العصر الكلاسيكى فى اوربا كانوا يفتنون بالنماذج الاغريقية القديمة.

وهناك طبقة من النقاد انصفت المحدثين وشعرهم ، بل دافعت عنهم ، ومنهم خلف الاحمر (– ١٨٠ هـ) ، والجاحظ (– ٢٥٥ هـ) ، وابن قتيبة (– ٢٧٦ هـ) ، وابن المعتز (٢٩٦ هـ).

– ٤ –

وعند هذا الحد يتضح لنا معنى عمود الشعر ، وتحكيم طائفة من النقاد له فى الشعر فى القرنين الثالث والرابع تحكيما شديدا ، ولقد كان نقاد القرن الثانى يعرفون عمود الشعر بمضمونه وفحواه ، لا بنصه وفصه ، بعكس نقاد القرن الثالث الذين عرفوا عمود الشعر بحقيقته وحده ، وتحدثوا عنه فى كتبهم ، وكذلك فعل نقاد القرن الرابع . ومن ذلك نعرف مضمون القصيدة العمودية الملتزمة للوزن والقافية ، او الملتزمة لعمود الشعر العربى التزاما كاملا .

كما نرى اعتدال فريق من النقاد فى تحكيم عمود الشعر فى قصائد المحدثين ، وفى انصافهم لشعر المولدين. ولا يخلو عصر من عصورنا الادبية من متعصبين لشعر الأوائل من نقاد وشعراء ، يحتذون حذوه ، ويقلدونه تقليدا شديدا .

على أن المعاصرين ، ممن خرجوا على المذهب الكلاسيكى ، وتحرروا من الاوزان الشعرية العروضية الموروثة عن الخليل ، قد نظروا الى عمودية القصيدة ووزنها الموروث نظرة خاصة ، فانصرفوا عن الاوزان القديمة وعن الاوزان المولدة جملة واقبلوا على الشعر الحر والمرسل والمنثور ، وغير ذلك من ضروب التجديد فى القصيدة الشعرية ، ممعنين كل الامعان فى الخروج على عمود الشعر مرة اخرى ، وهؤلاء لعمود الشعر وللقصيدة العمودية عندهم اصطلاح آخر غير اصطلاح القدماء ، الذى أشرنا اليه من قبل . فالقصيدة العمودية لديهم هى الصورة البديلة للشعر الحر او الجديد. ولا ريب أن الشعر الحر هو خروج كامل على العمودية ومنهج العموديين ، ومن أجل ذلك كان الخلاف بين النقاد المعاصرين حوله شديدا عنيفا ، كما

كان الخلاف من قبل شديدا عنيفا حول تجديد ابي تمام واضرابه .

ان القصيدة العمودية تعبير عن روح الشاعر الاصيلة العميقة الرفيعة ، وتمتاز بموسيقاها وبغنائيتها وبمحافظتها على كل تقاليد القصيدة وقيمها الفنية ، وهي تناق الحرية التي لا تستند الى اساس فني خالص .

***

والشعر الحر ظهر في فرنسا ، منذ عام ١٨٣٥ . وانتشر في انجلترا والمانيا وغيرهما ، ونظم اليوت شعرا حرا ، كما نظم مايكوفسكي شاعر روسيا الشعر الحر وطبق ايديولوجيته فيه ، وظهر الشعراء التعبيريون في المانيا من دعاة المذهب التعبيري ، فبداوا منذ اوائل **القرن العشرين يطلقون صرخات الاحتجاج والغضب والسخط في الشعر والقصة والمسرحية ، بل وفي الرسم والموسيقى، واخذوا يعملون عملهم في تحطيم القديم بحثا عن شيء جديد، وفي مقدمة المجموعة الشعرية التعبيرية التي سموها « فجر الانسانية » نادى التعبيريون بصرخاتهم ، وقد اخذوا في تحطيم اوزان الشعر والخروج الى ميادين الشعر الحر ..**

ان هذا كله يشبهه ما نراه اليوم بيننا من دعاة الشعر الحر ، الذين يتصورون ان عصر القصيدة العمودية قد انتهى .. وهو لم ولن ينتهي ابدا .

ان القصيدة الجديدة المرتبطة بالموسيقى العروضية عند العقاد والمازني وناجي وابي شادي وابي ماضي ومطران وشكري ، لا تزال هي سيدة الموقف حتى اليوم ، مهما علت صرخات الشعر الحر المتجرد من الوزن الشعري العروضي عند شعرائه الذين ظهروا في مطالع الثلث الثاني من القرن العشرين .

واذا كان شعراء هذا الشعر الجديد لم يستطيعوا المحافظة على موسيقى القصيدة الداخلية ، وهم قد طرحوا الموسيقى الخارجية للقصيدة كذلك فكيف يمكن للقارىء ان يتاثر او يهتز بهذا الاسلوب النثري البعيد عن الغنائية؟ ومن اجل ذلك نادى العقاد والزيات وعزيز اباظة وصالح جودت وغيرهم بأن هذا الشعر الجديد اولى به ان يسمى الشعر المنثور ويؤكد عزيز اباظة في مقدمته لديوان « أصداء الحرية » للشاعر عبد الله شمس الدين بأن مصيره هو العفاء .

وقد اصبحت نازك الملائكة منذ صدر ديوانها الرابع « شجرة القمر » تتنبأ بأن تيار الشعر الجديد سيتوقف في يوم غير بعيد ، وسيرجع الشعراء الى الاوزان الشطرية ، بعد ان خاضوا في الخروج عليها ، والاستهانة بها ، مع انها كانت تتزعم حركة الجديد الشعرية ، واصدرت كتابها « قضايا الشعر » لتدافع عنه ولتؤكد انتماءه الى الاوزان العروضية الخليلية ...

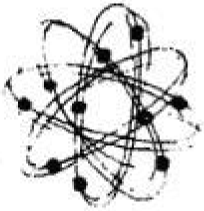
ومن شعراء الشعر الجديد فريق كبير ينادي بمهاجمة التراث وعمودية القصيدة وتقاليدها الفنية الاصيلة .. يقرر ارسطو في كتابه « الشعر » ان الفنون الشعرية الكبرى – اي الجيدة – تستخدم كل ادوات المحاكاة ، وهي الايقاع والانسجام والوزن . ويتساءل افلاطون في كتابه « القوانين » : اي فن هو الفن الجيد ؟ ويجيب عن هذا السؤال : بانه الفن الذي يلذ ، اي يمتع الناس . فاين هذا الشعر الذي يمتع الناس اذا خلا من الموسيقى الجميلة ، واللفتات الفنية الرائعة التي تحركها موهبة الشاعر الاصيلة المستندة الى ركن قوي من التراث **والقيم الفنية والموسيقى الخفية التي تغذيها العاطفة والخيال وعبقرية الشاعر في رسم الصور ..**

ان الشعراء الجدد الذين حافظوا على التفعيلة قليلون جدا ، وهم قد تركوا الموسيقى المركبة الى تفاعيل مفردة لم تمنح اصحابها حظا من التاثير في وجدان السامعين والقراء .

على ان كل جديد لا يجافي الاصالة ولا يبعد عن روح الفن ، ولا يتنكر للتراث ، ولا يعادي المذاهب الاخرى ليصرعها ويقف على اشلائها ، هو جديد انساني النزعة ، لا يمكن ان يأباه احد .. لكن المصارعة في ميدان الفن تقتل روح الفن نفسها ، ولا تثمر جديدا ●

الذره في خدمة السلام

آفاق جديدة للطب النووي الحديث



● لم يخطر على بال الذين اكتشفوا الذرة وسخروها لاغراض الحرب والتدمير – انه سيأتي يوم تستخدم فيه هذه الطاقة التدميرية الهائلة من آجل السلام ورفاهية الانسان وسعادته .

ولقد جرت فعلا محاولات عديدة لاستغلال الطاقة النووية في مجالات انتاج الغذاء وتنمية الثروة الحيوانية وخدمة اهداف الصناعة ، وكمصدر لانتاج الكهرباء . وامكن الحصول على كفاءة غذائية اكبر عن طريق استخدام النظائر المشعة في السيطرة على نسبة الفوسفور والكالسيوم في الغذاء .. كما تستخدم الطاقة الاشعاعية في تعقيم الادوية والاغذية ، مما يؤدى الى قتل جميع الميكروبات والبكتريا ويسمح بالتالي بتخزين الاغذية لمدة طويلة ..

●●●

وهناك مجالات اخرى عديدة تستخدم فيها الطاقة النووية لخدمة الانسان .. ومن اهم هذه المجالات استخدام الطاقة النووية في اغراض الطب والعلاج. ولقد اصبح الطب النووى علما اساسيا يتطور بسرعة كبيرة ، ويحقق في كل يوم اضافات جديدة ..

وفي الولايات المتحدة الامريكية يستخدمون الاشعاعات النووية في اغراض التشخيص واكتشاف الامراض وتتبع مسارها وتاثيرها في الخلايا ، وفي التعرف على مواقع الخلل في جسم الانسان .

والسؤال الآن : كيف تستخدم الذرة في اغراض التشخيص والكشف عن المرض ؟ .

يجيب عن هذا السؤال الدكتور جين سميث الاستاذ بكلية الطب بجامعة جورج واشنطن ، ومدير قسم الطب النووى بادارة المحاربين القدماء بالولايات المتحدة ، وسكرتير عام الاتحاد العالمى للطب النووى والبيولوجيا النووية :

يقول الدكتور سميث : اننا نحقن المريض بقدر بالغ الضآلة من مادة مشعة يقل اشعاعها مائة مرة عن الاشعة السينية المعروفة .. ثم نتتبع هذه المادة اثناء سريانها في الجسم . حيث تتجه عادة الى اماكن المرض كمايحدث بالنسبة للغدة الدرقية على سبيل المثال ..

فالذين يعانون خللا في وظائف الغدة الدرقية ، يتم حقنهم بقدر ضئيل جدا من مادة اليود المشع الذى يشق طريقه راسا للغدة الدرقية التي تمتص بطبيعتها كل ما يدخل الجسم من مادة اليود ، ويطلق اليود المشع فور وصوله الى الغدة اشارات اشعاعية تحولها اجهزة الكشف الاشعاعي الى نبضات كهربية تولد قدرا من الضوء يتم التقاطه على فيلم فوتوغرافي .. وبتحليل هذا الضوء يحدد الطبيب النووى موقع الخلل وحجمه ومن ثم يمكنه بالتالى تحديد العلاج اللازم ..

● كيف تعالج الغدة الدرقية بالذرة ؟

للاجابة عن هذا السؤال ، يقدم لنا الدكتور سميث مريضا يعانيمن نشاط زائد في غدته الدرقية . ان هذا النشاط الزائد في الغدة الدرقية يفقد المريض كثيرا من وزنه ويجعله غزير العرق ، وترتفع نبضات قلبه الى ما بين ١٤٠ و ١٨٠ نبضة في الدقيقة . كما يصاب بجحوظ في العينين .

والعلاج هنا ، كما يوضح الدكتور سميث ، يتم ايضا بواسطة اليود المشع .. حيث يحقن المريض بقدر اكبر من هذه المادة التي تتجه راسا الى الغدة

ماذا تعــرف عن الطب النـــووى ؟

الجهاز الذى أحدث ثورة فى التشخيص الطبى

حقـائق جديـدة عن مرض الســكر

الدرقية ، فتبطىء من حدة نشـاطها ، وتعود بهذا النشاط الى معدله العادى .

الجهاز السحرى الجديد

لقد حقق فرع الطب النووى الحديث انجازات ضخمة فى مجال اجهزة الكشف الاشعاعى ، حيث تم اختراع العديد من الأجهزة التى تخدم أغراض التشخيص والعلاج النووى . ومن احدث هذه الاجهزة جهاز جديد اسمه « جهاز التصـــوير الاشعاعى المحورى الالكترونى » ، يعرف باسم « س . ايه . تى » وهو يجمع بين الحاسب الالكترونى وجهاز الاشـعة السينية ، وترجع أهمية هذا الجهاز الى انه يوفر منظرا ثلاثى الابعاد مجسـما لاعضاء الجسم الداخلية .

وهناك نوعان من هذا الجهـاز يبث اولهما حزم الاشعة السينية المنخفضـة الطاقة عبر جسم الانسان ويتم تجميعها من الطرف الآخر على لوحة فوتوغرافية تترجم عليها مواقع الحقن فى الجسم .

اما النوع الثانى فيقوم باطلاق المادة المشعة الى مناطق معينة فى الجسم ـ قلب مصاب مثلا ـ تتركز المادة المشعة فى منطقة القلب .. وتبدأ فى اطـلاق اشارات من اشعة جاما نحصــل عن طريقها على صــورة ثلاثية الابعـاد « مجسمة » للنوبة القلبية ، يمكننــا بواسطتها ان نحدد على وجه الدقة درجة النوبة ومدى خطورتها .

ويوضح الدكتور سميث الفـارق بين الاشعة السينية التى اكتشفها رونتجن فى اواخر القرن الماضى ، واجهزة الكشف الاشعاعى الحديثة ـ فيقول : ان الاشعة السينية تكشف عن العظام المصــابة بالكسر او الاورام او ما شـابه ذلك من تغيرات .. وفى اغلب الحالات يكـون المرض ـ كما فى حالة السرطان ـ قد تقدم كثيرا قبل ان تكتشــفه الاشعة السينية .

اما اجهزة الكشف الاشــعاعى فى الطب النووى الحديث ، فتســتطيع ـ والحديث ما زال للدكتور سميث ـ أن تكتشف فى البداية ادق التغيرات التى تحدث فى الخلايا من قبل ان تصـيب الجسم باضرار يصعب علاجها ..

ويضيف الدكتور سميث ان الاشعة الســينية لا تظهر التغيير التشريحى الذى احدثه السرطان فى الجســم الا بعد ان يدمر ٤٠ أو ٥٠ فى المائة من خلايا العضو المصاب .. اما وســائل التشخيص النووى فانها تظهر هــذا التغيير منذ لحظة بدايته .

جائزة نوبل للطب النووى

وبرغم ان الطب النــووى يعــد من الفروع الحديثة ، الا ان علماء هذا الفرع الجديد من فــروع الطب قد حققــوا انجازات هامة فى مجــال التشــخيص والعلاج النووى ، مما كان موضع تقدير الدوائر العلمية والاكاديمية فى العالم .

ففى العام الماضى ، اقتســم ثلاثة من رواد هذا الفرع جــائزة نوبل للطب . بينهم اثنــان من العــاملين فى ادارة المحاربين القدماء هما دكتـوره روزالين يالو ودكتور اندرو شالى .

وقد حصل دكتور شالى على الجائزة تقديرا لبحوث اجــراها على وظائف الهرمونات بالمخ ، اما دكتوره يالو فقد توصلت الى حقائق جديدة عن مـــرض السكر ، منها ان المصاب بهذا المـرض لا يعانى من نقص مادة الانسولين ، كما كان شائعا ، وانما تكمن المشكلة فى ان جسم المصاب بمرض الســكر لا يستخدم الانســولين بالطريقة العادية .

مشروع رائد يقترحه "الهلال"

في كل يوم يزورنا في مجلة « الهلال » شبان يحملون في ايديهم كتبا تبحث عن ناشر ..
والكثير من اولئك الشبان موهوبون، وكتبهم تستحق ان تنشر ، ومن واجبنا ان نساعدهم على ذلك ..
ولكن لكل دار صحافة ونشر حدودا ونظما وقواعد تسير عليها ، ومهما بذلنا فاننا لن نستطيع ان نفتح الباب امام كل موهوب ، لن نستطيع ان نفتح الف باب لألف موهوب .

وكما قلنا قبل ذلك مرة بعد مرة ، في عالم الفن والمواهب لايستطيع احد ان يساعد احدا ... المواهب هي التي تساعد صاحبها ، والنجاح في عالم الادب والفن صراع بين أصحاب المواهب الذين لابد ان يصعدوا وجيوش ممن لا مواهب لهم ، ولا يريدون لاحد ان يخرج من صفوفهم ـ صفوف المغمورين ...

ولكن الشاب صاحب الموهبة لا يستطيع ان يصنع كثيرا اذا وقف وحده ...

وفي عصر ازمة فكرية كهذا ، عصر ركود في الابداع ، تصبح مسألة الخروج من الزحام شبه مستحيلة في الادب الناشيء الذي يطرق الابواب وحده ويصيح بأعلى صوته ولا يسمعه احد ..
ولكنه اذا اجتمع مع اخوانه ووضع كل منهم يده في يد الآخر لهان عليهم السير ..
لا مفر لهم من ان يتعاونوا فيما بينهم .
وهذا هو الذي فكرنا فيه نحن في مجلة الهلال
ونحن نشعر ان معاونة الجيل الجديد من شباب الفكر والادب والفن والاعلام جزء من مسئوليتنا ...
وكما كان الهلال دائما مدرسة الاجيال ، فسيكون أيضا مدرسة هذا الجيل الجديد ..

***

وتفاصيل فكرتنا ، وهي فكرة رائدة سيعرفها كل شاب يمر بنا : لانها مجرد فكرة ستنضج اثناء الاخذ والرد والمناقشات .
ولكننا نسمح لانفسنا بأن نقول انها فكرة تقوم على تعاون الشباب الفالح بعضه مع بعض ليفتحوا بأيديهم الطريق ...
ولهذا فنحن ندعو كلا منهم للمرور بنا ...

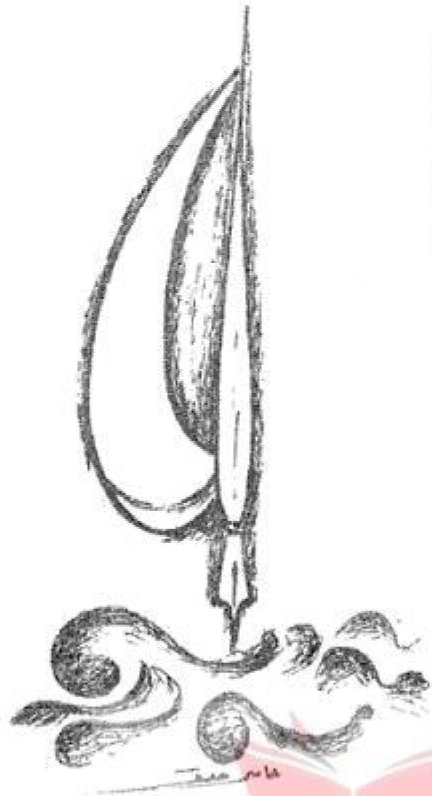
ومن بين من سيمرون بنا سنختار مائة من الجادين حقا ، الذين يعرفون اننا نبحث عن مواهب جادة وحقيقية . لان الفكر العربي في اشد الحاجة اليها ..

نريد مائة من اولئك الطامحين الذين يشعرون انهم موهوبون .. كل ما يحتاجون اليه فرصة يثبتون بها للناس قدراتهم ومواهبهم ..
ولكن ، كيف يجتمع هذا النفر من شباب الفكر والادب والفن والاعلام لكي يصنعوا خطة السير ؟
قلنا : هذا واجبنا نحن ، هذا حقهم علينا ...
الهلال التي حملت على اكتافها جانبا كبيرا من مسئولية الفكر في مصر والعالم العربي ستقوم بهذه المهمة ..

انها تدعو اولئك الموهوبين الذين لديهم كتب يريدون نشرها أو أفكار يريدون مناقشتها الى المرور بنا ليطلعوا على الخطوط العريضة للمشروع الذي وضعناه لهم لنناقشه معهم .. لأنهم هم الذين سيقومون بالتنفيذ ؛ ونحن سنعاون ونساعد وسنفعل كل مانستطيع ليضع الجيل الجديد قدميه على أول الطريق الجديد ..
وبعد ذلك نحدد معا موعد اجتماع يتقرر فيه الموعد الذي ستتحرك فيه قافلة الجيل الجديد .
ولكي نعرف أنك من الجماعة التي تاخذ الموضوع جدا وستسير معنا ، نرجو ان تقطع البطاقة المنشورة في غلاف الصفحة الاخيرة من هذا العدد وتاتينا بها معك .

بقايا من ضياع

● محمد علي عبد العال ●



أنا ما زلتُ في تيه العباب أسيرٌ في بأس
يثور الموجُ فوق الموج يدفعني إلى الغطس

وأبحرُ ثم أبحرُ تائهـــا ببحاره الخمس
فبدءُ البدء إعيــاء وفعـــل اليوم كالأمس

بقايا من ضـيـاع خافت الأصـوات والحس
أذوبُ أذوب لا أمل ، وفي لا شيءَ قد أمشي

فماضي البحر إظلام يصب بظلمـــة النفس
وضعتُ وضـــاعَ ما أبغي من الآمال والأنس

سوادُ الليل ضيعه وأفـــرغَ عامدا كأسي
وأصرخُ دون فائدة ، يضيعُ الصوت من يأس

موضـــوع للثـــرثـــرة

● فؤاد بركات ●

● هذه القصة « موضوع للثرثرة » واحدة من مجموعة قصصية للكاتبة الروديسية «دوريس ليسنج » ، عنوانها « تسع قصص افريقية» تروى خلالها معاناة الانسان الاسود فى تلك الدولة الرازحة فوق بركان بشرى ، والمحاطة بموزمبيق شرقا وانجولا غربا ، والكونغو وملاوى شمالا ، ثم الى الجنوب حيث تقع ام العنصرية « جنوب افريقيا » ..

وهى فى مقدمة مجموعتها ، تهاجم الرجل الابيض هناك ، وتنعته بالجهالة والعنجهية والقسوة .. وتحلل مجموعتها بشتى صور الحياة المتناقضة هناك .. الرعب ، وحياته وزوجاته ، الباحثون من الذهب وكيف يبدأون احيانا من الصفر ، العامل الاسود وقلبيته العميقة وسط تقرر ويتخلف فى مواجهة رفاهية نادرة فى العالم يصنعها الانسان الابيض .. مع صور شاعرية للجبال والاحراش ..

موضوع للثرثرة

مدقان ضيقان أحدهما تبر عمقته ركلات الاقدام العارية — ممتدان من مساكن فلاحى المزرعة الى البئر المهجور ، خلال نصف الميل من الاحراش الكثيفة .. النساء الوطنيات مع اطفالهن قد اعتدن قطع ذلك الطريق من المزرعة الى البئر ، وهن يطلقن ضحكاتهن الصداحة ويبعثرن صياحهن المرفرد الى قمم الاشجار .. وعند البئر يقضين نصف النهار واقفات فى مجموعات ، والصفائح المدنية المدلاة او اللامعة مرفوعة الى الرءوس المغطاة بالحشائش او منحنيات مدليات بالملابس .

وقد تلوح من خلال الاحراش آنذاك مفتولة ، ثم تنسحب الى الداخل ، او تتقدم لبعض الماكثات ، ولكن لا يهم ، فالبشر يثرثرن ..

واذ هن هناك بضحكاتهن ، وصيحاتهن ، واطفالهن ، وجرارهن ، واشغالهن المدنية ، فانهن يسمعن نداءات المنازل من المزرعة ... فيلملمن انفسهن ، ويشكلن مجموعات تزيد الى هناك فى منظر خلاب ..

وبدون النساء فان ماحول البئر كان يلوح مقفرا قبيحا ، بظلاله السوداء الفاحمة الممتزجة مع اشعة الشمس الباهتة .. كن عادة جميلات اللامح عدا تلك المرأة ذات العين الواحدة بشرار لاسع . فانها تخالف الاخريات .. وقد اعتادت ان تتقدم خلف الاخريات وحيدة او معها الكبار من الاطفال ، ولم تكن تعانى من آلام بالساقين فحسب ، بل كانت ايضا تنوء بجسد مترهل متهالك .. داخل الملابس الوطنية السوداء ، بحزام ازرق ملفوف حول الوسط ، وحيدة فى المسير كما من وحدها عند البئر ، وبلا ضحكات ..

واذا كانت تحمل صفيحة ماء ثقيلة ، فانها تظل معظم الوقت مهددة بالسكاب مائها مرة لكنها كانت تعيد الامور الى نصابها بحركة متشنجة سخيفة ...

هذه المرأة كانت أسن واقدم زوجات ذلك الرجل الطويل ، والذى كان سائقنا الماهر .. لم يكن طويلا عملاقا ، وان كان يبدو كذلك لنحافته الشديدة ، كما يبدو دائما قلقا كثير الحركة ممسكا بيديه حزمة حشائش يقضمها بيدين عصبيتين ، وكتفاه ترتعدان وتتخلخلان فى عصبية ، جسده الطويل ينتهى برأس صغير ، واذنين مفرطحتين كبيرتين .. ويبدو منظره مقلقا ، بتعبيرات وجهه القوية المتقبضة سواء كان غاضبا ام ضاحكا او — كشأنه معظم الاوقات — شاكيا .. كما كان له لسان لاذع يخشاه الجميع فى المزرعة حتى ابى الذى يبتسم الى مناقشات معه ، ويقول لنا :

— انه رجل هذا الاسود .. يجب على المرء ان يحترمه .. انه يعد كل شىء لايجد شيئا تعاتبه عليه !»

وكان الرجل يعاني من متاعب جسيمة مع زوجاته الثلاث ، وقد اعتاد ان يتجه الى ابى ويحادثه — حديث رجل لرجل — كيف أن الزوجة الصغيرة قد انشأت علاقة مريبة مع أحد صبيان المزرعة المجاورة ، وكيف انهما قد قذفت زوجته الوسطى بعلبة كبيرة معدنية للتبغ يعتز بها !

ولقد الفنا منظره واقفا على باب منزلنا عند الغروب ، وابى يتمشى فى هدوء السير الانتهاء من العمل .. يتمشى مع ابى ليحكى له قصة شاكية ، واحيانا يتنهد فى عمق كرجل مرهق ، ويضحك ابى طويلا ..

وذات مساء ، اتى حزينا مكتئبا — يطلب من ابى ان يقنع امرأته العجوز ان ترحل « بعينها الواحدة حادة النظرات » — حيث انها قد ابت ان ترحل الى اهلها .. قال شاكيا فى ضجر :

— ان المرأة فى منزلك رغم اى شىء تصبح احيانا مثل ثعبان على جسدك !.

واستاء ابى من طلبه ، والرجل يلح بانه يود ان يتخلص من زوجاته جميعا وخاصة من هذه العجوز فهى ايضا تفسد له الطعام !

ولكن الامر بدا اكثر تعقيدا ، فالزوجتان الاخريان كانتا تصران على بقاء العجوز .. هما تكرهانها حقا ، ولكنهما اتحدتا على شىء واحد : ان العجوز يجب ان تبقى ، وانها نافعة جدا ، فهى ترعى لهما الاولاد ، والزراعات البسيطة ، وتسليهما احيانا بحكايات غريبة ! ورفض ابى طلبه فى حيرة ثم فى غضب .. وطالبه ان يكف عن هرائه .

واخيرا مع الحاحه الشديد — انفجر ابى صارخا به ان يمسك لسانه وان يسالج مشكلاته مع زوجاته بنفسه ..

وفى ذلك المساء ، مضى الرجـــل وراح يحادث نفسه ، وهو يتقلص بعصبية حشائش الثبالات ، ثم انصرف الى زوجتيه الشابتين وامرأته العجوز وام اطفاله الكبار .

بعد اسابيع وجه ابى سؤالا عارضا للرجل الطويل :

— بالمناسبة يا طويل .. كيف تجرى الامور الان !.. هل عادت الاشياء على مايرام ؟!.

واجاب بلا اكتراث :

— نعم .. انها قد رحلت بعيدا !

وهز كتفه قائلا انها قد رحلت فجأة ، دون ان تقول شيئا لاى انسان .. ولكنها من قبيلة تقطن ارضا تنأى بمسيرة عدة ايام من المكان ، والسير الرهق الطويل خلال الاحراش ، لا يمكنها ان ترحل وحدها .. فهل اتى شقيق لها او قريب ليصحبها الى قبيلتها ! .. — أم تراها قد رحلت مع الجماعات التى تسير على الدلتات متنقلة من مكان لاخر ! ..

وبعد قليل نسى ابى كل شىء من هذا الموضوع الذى لا يهمه ، وان كان سعيدا بان اشد رجاله اخلاصا له قد فرغ من مشاكله ، قبيل جمع المحصول ، وقبيل التاعب فى نقل الماء ، لقد كانت هناك بئران ، الاولى خاصة بنا ، ولكنها تجف دائما فى يوليو — وحتئذ كان الرجل الطويل يأتى لنا بالماء من النهر على بعد عدة اميال فى عربة خاصة « حاملة ماء » .. والبئر الثانيـــة كانت للوطنيين ، وغالبا مذاق سيىء ولون بنى

بيد ان الشكاوى قد انهالت من النساء ان الماء فى البئر قد تغير مذاقه ، وان البئر يجب ان تنظف .. فاجابهن ابى فى اقتضاب :

— ان البئر ستنظف عندما يجد الوقت ملائما لذلك ..

ذات صباح ، وعلى باب منزلنا ، شاهدنا شروق الشمس ، والنسوة الوطنيات قد تجمعن متذمرات يتصايحن فى هياج لسائلات ابى :

— انه اذا لم تنظف البئر فان اطفالهـــن سيمرضن !

اجاب ابى متصديا ليؤكد لهن ان البئر ستنظف فى الاسبوع القادم ، وان عليهن الهدوء ..

وفى ذلك اليوم — هرع الرجل الطـــويل آتى بالبراميل ، وراح ينزح مـــع الرجال فى داب ماء البئر .

وعند تفريغ البئر الى ما بعد المنتصف كانت هناك روائح عديدة عفنة شرعت تتسلل الى الانوف ، وتتزايد مع استمرار النزح والاقتراب من القاع .. حتى اصبحت الروائح اخيرا لا تطاق .. مع ظهور فئران ميتة على خشبات البئر الحجرية .

بل لقد وجدنا عند القاع .. ما هذا !! هيكل جسد بشرى رويدا رويدا يطفو .. ذراع وبقايا جسد .. انها المرأة العجـــوز ذات العين الواحدة . امرأة الرجل الطـــويل « وقد اصبحت جثة متحللة .

وبدا الرجل الطويل مذهولا شاكيا .. ثم اخيرا انفجر فى البكاء والصراخ

قال لذا ابى فى هدوء : ألم تقــل انها قـــد رحلت الى اهلها ؟!

فاجاب الطويل صارخا : واين كان يجب ان اقول انها قد ذهبت !

ورد ابى قائلا فى غيظ :

— اذا كان من الضرورى ان تقتل نفسها ألم يكن من الافضل لها ان تشنق نفسهـــا على شجرة بدلا من افساد البئر ؟!.

اجاب الطويل متصنعا التماسك ، وعيناه مسلطتان الى البئر :

— ربما كانت قد سقطت !

ننظر ابى الى الطويل متفرسا ، وردد فى تؤدة :

— اجل ربما كان الامر كذلك !

وكان الحادث مثار حديثنا لعدة ايام ... وكيف ان الوطنيين احيانا ينتحـــرون بطرق غريبة ، وبدا الموضوع مثيرا للثرثرة .

غير ان الرجل الطويل بدا حزينا صامتـــا تتنقل نظراته احيانا بسرعة خاطفة الى البئر ، وتعود غارقة فى هم ابدى ..

هجر اخيرا زوجتيه وهجرنا ، ثم اختفى .. وقيل انه هام على وجهه بعيدا حيث الاحراش والحشائش المبعثرة ، والجبـــال الترابية ..

وقيل ان صورة له مخيلة شبحا ، تظهر احيانا يرقص على سطح البئر ، بلوح لزوجتيه ، وللاخريات .. ثم سرعان ما يختفى فى الاعماق او متسربا الى النهر ! ..

فى المنتدى

« البحترى الصغير »
● عمر شاهين ●

ودعت فى يـــوم التلاق
ما كان من امـــر الفــراق
ردت لنـــا ارواحنـــا
لمـــا راينـا الحـب باق

●●●

فى منتدى بين الشجـــر
قد ضـم جمعـا من رفاق
وامامنـا فوق النضـــد
خمـــر والقداح رقاق
ومضيفـــة تسقى لنـــا
قامت عـــلى قدم وســاق
لغة الهوى ما بيننـــا
همس ووجـــد واشتيـــاق
وتقول خذ .. واقول . ها
ت الكاس ما احلى المذاق

●●●

قد شاقنى عهـد الهـوى
والقـلب للمحبـوب تاق
املامة ان شـــاقنى
والقلب بالهجران ضـاق
ياليـل قد ذاقت الكئـو
س وملؤها الدمـع المراق
حتى بـدا بـدر الدجى
فى اعينى مثـــل المحـاق

●●●

فى نشـــوة العشاق قد
سرنا على غـير اتفـــاق
ماضرنا والحـــب كا
ن رفيقنا .. اين المساق ؟
وتكحلت عينى بحســـ
ـنك والهـوى والوصل راق
وكاننا نجـــم وليـــ
ـل .. ما يكون لنا افتـراق
فى عشنا طاب الهـــوىَ
ما كان احـلاه العنـــاق

أسطورة

● فوزى فؤاد صالح ●



عندما تقبلين ،
تزغرد فى القلب الامانى
ويرقص الهوى
ويحضن الوئام الجديد
منابت البداية الطروب
ويغرق الطوى
***
عندما تبسمين
يرقرق الرواء وتسجع الحمائم
وتنثر النسائم الندية
بشائر الصفاء
وتنسج الخمائل البديعة
وشائج التلاقى
***
فؤادى الطليق
منازل تليد
فى ساحة الهوى
يبارك التروى ويمقت الولائم
مزاجه الوحيد فى هداة الليالى
ازاهر وغنوه
ومعزف حنون
وصاحب ودود
ينابيع التفانى
ويعشق الوفاء
***
حبيبتى ..
أهزوجة رقيقة
فى عالم صفيق
تشابه الملائك
وتبهر الالق
فى كفها الدقيق
ترائب الطفولة
ومعزف التزق !
وريشة صغيرة ..
تداعب الانامل
تسطر الولاء !
حبيبتى ..
اسطورة قديمة
تداعب الخيال !

قصـــة

سلّم إلى السماء

● محمد كمال محمد ●

● منذ وقع الحادث ، والشيخ عبد ربه حبيس المسجد لا يغادره ..

عبر الباب الموارب ، كنت المحه ، كلما راقت أبي شيخ المسجد قابعا في حجرته الضيقة الملاصقة لمدخل المئذنة ، يدفن وجهه في مصحف كبير ، كان الشيء الوحيد الذي يصحبه في كل اوقاته .

مرتان او ثلاث ، كنت اشهد الشيخ عبد ربه يتوضأ في الميضأة ، فتقابلني منه نظرة صامتة اقل ما بعدها نهبا لمشاعر مختلطة من الرثاء والشفقة والالم ...

كل من يعرف الشيخ عبد ربه ، كان يقول انه صائر حتما الى الجنون .. وكان أبي يقول انه كان اذكى من عرفت من طلبة المعهد الديني ، وأرسخهم احلاما ، وانه لو واصل دراسته بالازهر لصار ذا شأن كبير ..

وكلما ذكره أبي بعد وقوع الاساة ، قال رائيا لحاله :

ـ « مسكين ! .. ان نكبته بفقد ولده الذي بقى له من أسرته ، اطاشت صوابه » .

ليتمثل لي على الفور وجه « الاستاذ يوسف » كما كان يلقبه أبوه حتى قبل ان يتخرج مدرسا برقته ووداعته ـ ويتساب صوته الندى في اذني ، وهو يردد أذان العشاء وابتهالات الفجر من مئذنة الجامع بدلا من أبيه الشيخ .. واذكر مايحدث من الشيخ عبد ربه ، حينما تنتابه تلك الحالات المفاجئة فينتفض بعد ان يؤذن للصلاة في مدخل المسجد ذى السلالم الرخامية العريضة ، وصدى صوته الخاشع الحزين لا يزال يتردد في أسماع المصلين .. ويصيح في من يجده بجواره :

ـ « كان يناجيه من فوق ، كان قريبا منه .. فأخذه عنده » .

وترتفع عيناه ببريق غريب الى المئذنة التى حرم على نفسه صعودها ، منذ سقط ولده من قمتها ذات فجر من رمضان .. لم يخلفهما الى السلالم تحت قدميه ، يحدق فيها ويهمهم بوجه يضطرم :

ـ « رأيتم جسده هنا عندما سقط .. رأيتموه ! ـ وأنا أيضا »

ويبتسم فجأة ويزعق :

ـ « لكنكم لم تروا الشيء الذى رأيته ساعتها .. ! لم تروه »

ويلوى رقبته هازا رأسه هزات متلاحقة ... ثم يبتعد داخل المسجد مهرولا الى حجرته وهو يردد :

ـ « لن اقول ابدا مارأيت !.. لن اقول ابدا مارأيت ! »

مرة واحدة قابلت فيها الشيخ عبد ربه ، تلك الليلة ..

كانت ليلة المعراج التى ازدان فيها المسجد الرحيب ، وتوهجت داخله اضواء الثريات الكبيرة ..

وكان الوقت قد مر بى قرب المحراب وحدى بعد صلاة العشاء ، استعيد في تأمل وشغف حديث أبي للمصلين عن المعراج الذى تعرج عليه الارواح عند الموت الى السماء .. وفي اذني لايزال صدى الانبهار بمعجزة الاسراء ومعجزة المعراج ، ورحت أتمثل تلك الصورة الرائعة ، التي وصف بها النبي المعراج : « .. فلم أر شيئا احسن من المعراج ، وهو مرقاة من الذهب ومرقاة من الفضة ، ومرقاة من الزبرجد ، ومرقاة من الياقوت الاحمر .. »

وسمعت صوت الشيخ عبد ربه ينبعث من حجرته مرتعشا يردد في خشوع وايمان :« ولقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

نهضت من مكاني فرأيته منتصبا الى جوار المنبر بقامته الطويلة ، وعوده النحيل ، يحدق نحوى بدهشة وانكار ، كأنما يرانى لاول مرة .. وشيئا فشيئا لانت ملامحه بترحيب صادق ، وربما لانه تذكر في صديق ولده ، على رغم ماكان بيننا من فارق السن .

أومأ برأسه مرتين : ـ تعال !

دنوت منه في دهشة يخالطها الود ، بينما تردد

في جنبات المسجد للحظة قصف الرعد : — انظر!

لامست رأسانا وهو يطل من طاقة مربعة في الجدار عبر السماء ..

— هنا كان السلم ممدودا في الفضاء، ورأيتها .. روحه تصعد عليه الى السماء، فناديتها باكيا بوجيعة قلبي — لكن شيئا بهر عيني فسكت ...

استدار ليلصق ظهره بالجدار ، بينما أومض البرق من فتحة الطاقة كشعاع خاطف ..

عاد تتحول الى الطاقة وأطل متأملا :

— تبدو في الليلة أكثر تألقا وأكبر نورا ..

رفع بصره الى الثريا الكبيرة المتدلية من سقف القبة العالية ، يشع منها ضوء وهاج .. وانبعث صوته مرتجفا يختلط بصوت المطر الذي انهمر في الخارج فجأة :

— وكان السلم منورا بنورها .. هذا هو الشيء الذي بهرني فأسكتني !..

انغرست أصابعه الرفيعة في لحم ذراعي .. ترك ذراعي وضرب فخذه بباطن كفه :

— عندما سمعت صوت جسمه يسقط من فوق المئذنة ، جريت لأنظر ، لكن المهم هو ما رأيته من هذه الطاقة .. أتعرف ! — كانوا يريدون أن يسدوها عندما جاءوا يرممون الجامع ... لكني منعتهم !

تحول الى الجدار وقد تغير وجهه :

— كان شابا يعرف الله ... سل أباك عنه وأنت !! هل رأيت فيه غير ذلك !!

احتضن بإحدى ذراعيه العمود الرخامي المجاور يهمهم محدثا :

— لقد قبض ملك الموت روحه بحربته التي من نور ، وأرسلها الى عليين ،لأنها روح طيبة، تطلع الى سقف المسجد المزخرف مشرق الوجه وراح يردد :

— الجنة ، الجنة .. كأني أراه فيها الآن ، على كرسي من نور .

التفت الي بعينين دامعتين متألقتين :

— هل حدثك أبوك عن الجنة !!

استضاءت ملامحه ، وحملق من خلال باب المسجد في صفحة السماء التي بدت بعد انقطاع المطر مغسولة بالصفاء :

— رآها النبي ليلة الاسراء ، رأى الجنة ، وذكر أوصافها الكثيرة : « أرضها بيضاء مثل الفضة ، وحصباؤها من اللؤلؤ والمرجان ،وترابها المسك والزعفران ، وأشجارها ورقة من فضة وورقة من ذهب .. والثمار عليها مثل النجوم المضيئة ، والعرش سقفها ، والرحمة حشوها، الملائكة سكانها ، الرحمن جارها » — أوصافها كثيرة .. ما أجمل هذا النعيم !

اقترب من الطاقة ، ووضع يده على حوافها يتحسسها :

— انهم لا يعرفون أي شيء نوراني يطل علي من هذه الطاقة ، ليؤنسني في وحدتي ... لا يعرفون !

أغلق الشيخ عبد ربه باب المسجد ورائي ، لانكر في حيرة ودهشة ...

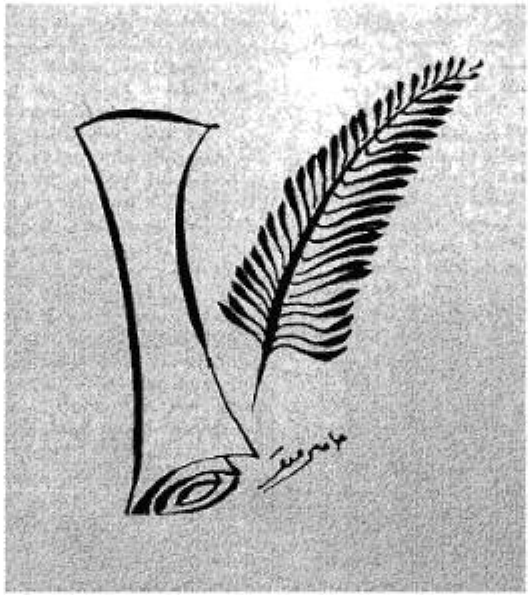
لكن ثمة شيئا على أي حال يحسه هو ، يشرق في روحه .. ليمده بالعزاء والسلوى ...

وظل الشيخ عبد ربه قابعا في المسجد ليله ونهاره لا يبرحه .. وكانوا اذا دخلوا بتفشيت ليقيموا عليه الصلاة ، حدق نحوه من ركنه وابتسم .. دون أن يثير الدهشة والاستغراب، لطول ما ألفوا منه ذلك ...

وترن عند خروج النعش صيحته في جنبات المسجد طويلة مطوطة الحروف : — « دنيا »

وتطول في صيحته الياء وتشتد ، حتى تكاد تبلغ عنان السماء ....





ترانيم

● عبد الهادي النجار ●

نصيحتي اليك يا محاربي ... فكل ما ترهبه .. في كتبي !
وكل ضربة تلقيت مرها ... ملك لنا يا جاهلا بالعرب
فكيف تنسى امة عريقة ... في حومة الوغى بكف ضارب
وكيف تنسى امة تلالات ... امجادها في الشرق او في الغرب
يا ايهذا العبد تحت امرتي ... هيهات لن تصنع نذلا : تعبي !
سهرت اعواما على تعلتي ... وصبرنا عليك حلم الضارب
وطار في جنبيك حقد موغل ... ما مسنا بل كان لي : كالطرب
لك الاسى مفصلا وقهره ... وهكذا يكون حظ الخائب
أرى شعوبا كابدت ضياعها ... فلم تعش للحب طول الحقب
يموت بالارجاس كل فاجر ... كما يموت فارس بالهرب
انى وان كنت الرحيب عطفه ... عفوا : فما كتمت يوما غضبي
ايه : نسور الحق وفوا عهدكم ... بالروح وبالسيف وبالذهب !



سوسينا

● تاج الدين سلامة نوفل ●

« سوسينا » كالطبيعه   جميلة مطيعه
وقلبها رقيق   وروحها وديعه
امينة عفيفة   حصينة ، منيعه
عيونها الخيال   بلوحة بديعه
اتت على الجمال   وقد حازت جميعه
واشرقت عليه   وعانقت ربيعه
وحسنها حيا.   سجاياها رفيعه
بلا مزايفات   به ولا خديعه
فان عددت حسنا   فانها الطليعه
كابهى ما تكون   فما احلى الطبيعه

***

وانما الحياة   من المولى وديعه
فان لم تشر فيها   فقد تفنى سريعه
اذا مات الحياء   فموته فجيعه

***

وتحفظ الكتاب   واحكام الشريعه
وتوصل الارحام   ولا تهوى القطيعه
وتكره الحرام   وتستزرى صنيعه
وتاسى للقلوب   وموتها ـ صريعه
وتابى ان تكون   لمستهو تبيعه

***

فان عددت حسنا   فانها الطليعه
كاحلى ما تكون   وما احلى الطبيعة

قصة

ليس الوقت متأخراً دائماً

● حسين عيد مادى ●

يخترق حنفى الطريق كعادته متمشيا على مهل .. الطريق متعرج طويل يبتلع الظلام اغلبه .. كان يخشى ان تنزلق قدمه فى بؤرة ماء فسيل يداريها الظلام ، فيتطاير رشاش الماء ، ليلوث «بنطلونه» الوحيد او يطمس الطين لمعة حذائه المغبر بالاتربة ...

يصل لعتبة داره ، يتنفس الصعداء ، يتوقف ، يلقى نظرة على الطريق ... يتسرب بصيص الضوء من الابواب النصف مغلقة ، فيلقى ظلالا شاحبة على الارض السوداء ... يسمع امراة تلعن ابنها الشقى . يهز راسه بلا مبالاة ، يدخل البيت ، فيسقط فى ظلام حالك . تهب عليه رائحة عشة الدواجن . يصعد السلالم المهدمة ببطء ... يدخل شقتهم مغتما ، يواجه امه . تحيط عينيها الحزينتين هالة سوداء . يلقى التحية ساهما ، يندفع الى حجرة النوم .. اخوته الخمسة يفترشون الحصيرة الصفراء الكالحة . يغطسون فى نوم عميق تجلبه رائحة العرق الفجة .

ـ حنفى ، حنفى ...

ينصاع لنداء أبيه ، يدخل حجرته بلا ارادة ، يضطجع الاب على الفراش عندما يراه يصرخ فيه فجأة : تختفى منى يا ولد ... وترجع ولا تتكلم !

عندما يصرخ الاب فالنظرة الى الارض كسيرة ، والكلام ماله الموت ، ولا معنى للاحتجاج ، فالرجل رغم مرضه لا يتزاح عن فتوته الكريهة ....

يأمره الاب : فى الصباح تقابل عمك حسان ، تطلب منه ترشين ، فاهم يا ابن ...

يصيب جو الحجرة ركود . يغرق العرق الجسد . تطفو رائحة شىء عفن . يهز حنفى راسه موافقا ... فيصرخ الأب ثانية : انفصل ذاكر ... وحياتى ما انت نافع ، وحياتى ...

يعود حنفى الى حجرة اخوته . يرمى كتبه وكشكول محاضراته على منضدة صغيرة ، تتكتل عليها كتب اخوته . يغير ملابسه بينما صوت ابيه الهادر ، الجهورى ، يلعن كل شىء ... فيتضاءل ازاءه صوت امه الطيبة ، تواسى اباه ، تدعوه لعدم تعكير دمه لأنه مريض . والرجل سادر فى غيه ...

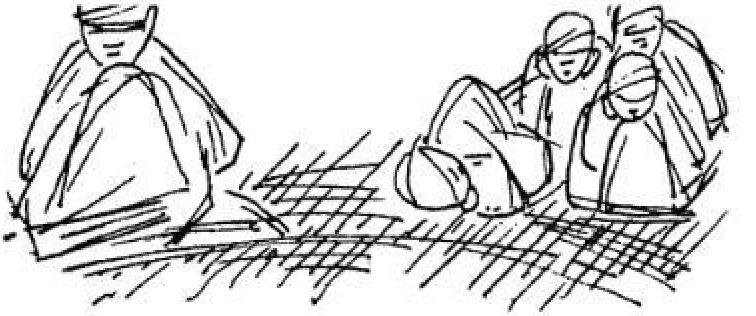
***

يتمطى حنفى . يتمدد بجوار اخوته . يحس بالراحة تخدر جسده المكدود . يملأ الضيق نفسه ، لكنه يندهش ، انه لا يثور ... فقط يود لو يغمض عينيه ، سوف يعدلها المولى ، فلن يحكم على الدنيا أبدا بالفناء العاجل .

يتثاءب . يغمض عينيه . يتلاشى تدريجيا صوت ابيه وأمه . لم تعد رائحة العرق العفنة تثقل عليه . او يضجره تتابع انفاس اخوته الرتيب .. تحرك مبتعدا فى هدوء ، لينتقل من طيات الظلام الى اشراقة نور ساطعة ... فجاة يوقفه سؤال : لم يصر الوالد العجوز على اضطهادى المستمر ؟ .

سمح للسؤال أن يمر فى سلام قبل ان يخنق انطلاقة خياله ... سار فى الطريق اللامع النظيف . اشار له الخلق باعجاب . وهو فى تواضعه خجول . لا تحيد نظراته عن ارض الطريق .. ينضج على جثة السؤال القديم آخر وليد : لم لا أرفع عيناى فى أبى ... وأتحداه ؟ .

وكما عبر السؤال الاول فمر مرور الكرماء ، مر الثانى دون أن يثير ضجة ... عاد الى شقتهم فى حى آخر راق بالمدينة الواسعة ... نظافة ، نظافة بلا حدود . تقلب فى سرير كانه الجنة ...



يشعر بلدغة في مؤخرة رأسه . يحك قفاه بقوة . فيسحق حشرة تحت ضغط اصابعه . **غادر الفراش الوثير الى حجرة مكتبه الانيقة . هدوء مطبق** ، يشرخه صوت امرأة تلعن اجداد جدود ابنهـا الشقي .

يسند جانب ساقه على الحـائط ، فيرتاح لرطوبته . يتنهد بعمق . يفجعه صوت امه المولول : أبو حنفي .. أبو حنفي .. ما بك يا أبو حنفي ؟!

تمتد نظراته عبر زجاج النـافذة المحطمة الى السماء المفتوحة ، الواسعة .. يحاول ان يعاود النوم ، لكن امه توقظه ، تنوح بوجه حزين : حنفي .. **ابوك مات ياحنفي !..**

تجهش الام ببكـاء مر ... حنفي يتساءل غير مصدق : اقولها واقع ام مجرد حلم عابر ؟! .

***

لا يدري حنفي كيف انقضى نهـار يومه الجديد ... كل ما يذكره اشتات متناثرة من مشاهد شتى ، لا يقدر على الربط بينها ، او جمعها في كل واحد .

... في الصباح قابل عمه حسـان . تحجرت عيناه الضيقتان عندما اخبره بطلب ابيه الاخير . كور شفتيه . اعطاه النقود بلا نقاش .. ثم تقفز الى مخيلته الكسرة تحت الشمس الحارقة ، فـراغ يحط عليه الغراب ، آنسته فيه حشرات شاردة بلون الرمال الصفراء .

تحملق فيه اعين الجيران . وسـط سرادق مزعج ، طويل . تشد الايدي على يده — بحرارة — تواسيه . يهز رأسه ببلاهة ... **خرافة ما يقولون ، لا شـك أصاب الناس الجنون ... لم يواسونه؟!**

يتطلع الى الجالسين في الصـفوف الطويلة بخشوع ، ينشـد الجواب ... تفاجئه همسة خجلى : « كان مع هوكل رجلا طيبا » . اراد أن يصرخ في الرجل . **عوى الصوت في اعماقه ، مترنحـا ، مهزوما : لا تصدقوه ، لا تصدقوه ... الرجل ابي وانا اعرفه ، فلا تصـدقوه ... انه مثل اى كائن يعيش . لا تكذبوا وتقولوا كان ..**

يشد رجل على يده . يخصه بالقول المأثور . يجلس الرجل على كرسي قريب من وقفته . يغمض عينيه . يعض شفته السفلى ... فجأة تتشكل على وجهـه ابتسامة كبيرة . يتنبه الى الجو الحزين المحيط به . يتلفت مذعورا . يوقن ان احدا لم يره ، فيغمض عينيه من جديد فرحا بانتصاره الصغير .

يبتسم حنفي ، تتحول **ابتسامته الى ضحكة مفاجئة** ، كسجين **ظهر له لوهلة منفذ للخلاص** ، فتدفقت **من خلاله كل مشاعره المكبوتة .**

يتهامس القوم بحزن مشوب بالفضول : مسكين !.. المسكين فقد عقله ، اصابه الجنون لموت ابيه !.

واذا الضـحكة تتحول في حلقه الى حشرجة . تغيم عيناه بالدموع . يتشبث بصره بالبيوت القديمة المتلاصقة . ثم تدب على الطريق المظلم ، المعـرج المـليء بافخاخ متعددة من بؤرات المياه الراكدة واكوام القاذورات المتناثرة التي يتزاوج حولها الذباب بكثرة ... ثم تغزو مجال رؤيته وجوه الجيران . هيكلية شـاحبة .. بينما امرأة تلعن أولادها مولولة ..

يتنفس بعمق كمن يكاد يختنق ... تفجعه رائحة العرق العطنة وسط العظام البارزة ، والعيون الغائرة ... فيعوى الصوت من جديد ، في اعماقه المعذبة بياس قائلا : صدقوني ، لم يمت ... فكل شيء على حاله القديم ... كل شيء على حاله القديم . ولم يتغير اى شيء .. ●

قصة

اليوم أو غداً..

● عزت معوض مصطفى ●

وقف « خالد » برهة ينظر الى السماء بعينيه المسهدتين ... بعد أن اطلق لنفسه العنان ، الافكار في داخله تمتصه ، تقطر في كيانه سطوات مخيفة لاذعة .. العزلة ملأت عقله بالأفكار الغريبة ، انطلق معها في احلام شبحية ... الحياة بصورتها الرتيبة المملول خلقت عنده نوعا من التشكك . كل شيء في نظره أصبح جامدا لا يتغير ... الناس هم الناس بشذوذهم وجشعهم ، بصراعهم بلونهم وعجزهم ، حلقات متصلة من فراغات ، من دوائر يتحرك في داخلها كائن في حجم الفيروس يصيب ويصاب .. التعاسة في داخله ، والحياة أصبحت ارقاما عديدة كثيرة الحروف ، كثيرة الالغاز ، حب وكره .. وجود وفناء .. وفاء وخيانة - لم كل هذا ؟

هل فقد الحب والعاطفة ولم يبق من صدقهما الا خيوط العنكبوت ؟ !

●●●

فالصراع .. هذا الملعون فجر في الاعماق اشياء كثيرة بغيضة ، حتى ملأ جوف النفس بعوالم غامضة ، تتداخل وتتصارع فيهما ملايين الرغبات والعواطف ... الخوف امتدت جذوره - حتى خلايا انسجتهم . انتشر فيها الميكروب حتى النخاع ... القدرة على الفهم والتمييز اصبحت مفقودة ... عندما تقول حقيقة أن هذا لك وانت صاحبه ، يعترض آخر ، أن ما هو لك فهو لي ... وما هو لي فهو لي أنا وحدي ... انانية تجري في شرايينهم الضلال والقسوة ، لا تملك الا ان تهرب وتدمر كل شحنة عواطف جميلاً في حياتك ، لم يعد هناك حس سوى الوهم ، فالفراغ الفكري شقق عقولهم ومسخهم بهلوانات ثائبة .

●●●

لم يستطع « خالد » أن يلتقط انفاسه ، حبات العرق ترسم على جبينه خيوطا من اشكال متنافرة مفزعة ... التعاسة تسيطر عليه ، حاول أن يكتم الهمهمات الحزينة الصادرة من اعماقه ويتماسك امام « سوزان » ولكنه تهالك ونظر الى صديقه « حامد » بلا مبالاة وهمس في اذنه : انها المحنة أن تفكر في حب شيء وانت جائع من كل شيء ! اتدرك ذلك ... اتدرك انني أصبحت متبلدا ولم يعد عندي قدرة على الهمس الخافت والتأمل المريح .. أصبحت مثلهم متشنجا عصبيا مكدودا مفتقدا لحظة انطلاقة ، لحظة اجد فيها نفسي كانسان ، أجد فيها ذاتي ... انصهرت من المعاناة حتى أصبحت ككائن قادم من عالم مجهول غامض مدمر .. شخصيتي البريئة الهادئة سرقت ، لم اعد احسها في أعماقي ... لا تلمني على ذلك ولكنها الحقيقة .

- اية حقيقة يا « خالد » وأي لوم وانت متجرد من كل شيء .. لماذا اهملت « سوزان » هكذا ؟ صديقتك الجالسة بجوارك ؟

- كلهن سوزان ، ولكنهن اختلفن في العنوان ... لا تهتم فسوف تدرك الحقيقة بانه لم يعد عندي ما أعطيه لها ، ففاقد الشيء لا يعطيه .

- ولكن هي تريد أن تعطيك ....

- هذا خطأ ... انها لا تستطيع أن تمنحني الاشياء التي ابحث عنها ... الاشياء التي ذبلت في داخلي ، أن اتجرد من كل شيء وانطلق في كل شيء .

- انت برهيمي ...

- بل انا من يرغب في أن يلتقط اللحظة بصورة أو بأخرى دون قيد من أحد .

- اتدرك ماتقول ... انها الوجودية بعينها .

- لست افهم هذه المضامين ، ولكني ادركها بالتخيل من خلال اشباع رغبتي في أن اتمرد على ما يقيد لحظة الاختيار عندي .

- أنت تحاول أن تهرب من ......

- انا لا اهرب ولكنك لم تفهم ... ولكنه التمرد الذي انساق وراءه ، فأنا الألم ، وهي بقايا صراع الألم ، وفي يوم ما ستلتحم معا في خلية واحدة ، ولكن ليس اليوم او غدا ..

رغم حاجتي اليها لتنزعني من عالم الخوف وتحتويني بين عينيها ، الا انني هائم في عالم غريب وهي مختلطة بعالم أكثر غرابة ..

فاللحظة عندي أن أجعل الحياة فريدة الفكر ، تسبح ، تعزف لحنا ولا يمكن أن تبلغ نغمته مسمعكم ، فالكرات البللورية اللامعة كقطرات الندى تتدفق عبر تشققات جدران الاحلام عندي .. وما تسمونه قسوة هو الاختراع الخالد .

رسالة جامعية الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر

● سمير عبد المجيد



الدكتورة رشيدة مهران تتلقى التهنئة من لجنة المناقشة ...

● صورة مشرفة للمرأة المصرية الأم ، والجامعية المكافحة ... تمثلت في رشيدة مهران المدرسة بكلية الاداب قسم اللغة العربية بجامعة الاسكندرية التي حصلت على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الاولى . وكان موضوعها « الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر » .

تكونت لجنة مناقشة الرسالة من الدكتور عبد القادر القط عميد آداب عين شمس سابقا والاستاذ بجامعة بيروت رئيسا ، والدكتورة نفوسة زكريا الاستاذة بآداب الاسكندرية عضوا . وقد اشرف على الرسالة الدكتور محمد زكي العشماوي نائب رئيس جامعة الاسكندرية .

قالت الدكتورة رشيدة مهران في رسالتها ان الواقعية مرحلة من مراحل تطور الادب . وتكاد تكون ثمرة تضج استمدت وجودها من جذور متأصلة في اعماق عالم الادب والفن . وتمثل تلك النقطة البعيدة في مراحل التغير التاريخي والاجتماعي الحتمي الذي يطرا على العالم .

لذلك اتخذت عنوان البحث : « الواقعية واتجاهاتها في الشعر العربي المعاصر »

فكان الفصل الأول عن الاتجاه « الواقعي الرومانسي » استعرضت مقومات هذا الاتجاه من واقع اشعار نازك الملائكة ، واحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور .

وفي الفصل الثاني فصلت الاتجاه الثاني الذي حددته للشعر المعاصر وهو « الاتجاه الاشتراكي الثوري » عرضت فيه خصائص هذا الاتجاه كما اوضحتها اشعار عبد الوهاب البياتي ، عبد الباسط الصوفي ، محمد الفيتوري ..

اما الفصل الثالث من الرسالة فقد خصصته «للاتجاه القومي الفلسطيني» ذلك الاتجاه الذي عبر فيه شعراء المقاومة عن تجربتهم المأساوية في صورة شعرية استحقت ان تكون اتجاها منفردا من الاتجاهات الواقعية .

وحددت بهذه الفصول الثلاثة الاتجاهات التي رأت ان الواقعية قد حددتها لنفسها داخل كيان الشعر العربي المعاصر .

وفي الباب الثالث والأخير من الرسالة ثلاثة فصول وقد جعلته الدكتورة رشيدة مهران صاحبة الرسالة للمقومات الفنية للتجارب الواقعية . وكان الفصل الاول للصياغة والصورة بحيث تناولت شرح وتفصيل التجربة في الشعر الحديث .

وكان الفصل الثاني في هذا الباب « للموسيقى والوزن » والتغير الذي طرا عليهما والتجديد الذي استحدث بحيث اعتبر ثورة في الشعر الحديث .

اما الفصل الاخير فكان عن موقف النقد الحديث في هذه التجارب الواقعيه يعتبر بمثابة تقويم عام للتجربه وتوضيح قيمة التجربه بين السلب والايجاب .

واخيرا فان تلك الرسالة ● اضافة منهجية جديده في ذلك المجال .



مدينتي

مدينتي ...
احس فيك بالضياع ، وانتفاضة القلق ...
احس بالهزيمة النكراء ، بالغباء
.. بأن ما تشيعه الأضواء من بهاء..
.. مزيف الألق !
مدينتي ...
لأنني أتيت دون دعوة اليك ...
افتقد الأمان والسلامة !
يقتالني النفاق ، والاعياء
يمتصني الأرق ...
لأنني أتيت من مواسم القتامة
الى دروبك العنيفة الأضواء والصارخة الألوان
شعرت بالسآمة ! ..
لمست ما يقال عن صفاقة الانسان ...
عن فظاعة الهوان !
فقدت ماورثت من شهامة !
فقدت ماملكت من حمية !
وعشت كالسجين فى الفردوس ..

***

حبيبتي .. والتبغ ، والرفاق ، والقلق ...
وجلسة المساء فى المقاهى ...
والخوف والحديث عن بلادة المكان ..
وصخب الملاهى ...
ملامح للقهر والهوان فيك يامدينتي ...
لكنها غريبة ، مفروضة عليك !
فنحن فى البداية ، ونحن فى النهاية ..
ونحن فى الاثناء .. نحن للأمان والهدوء والنقاء
.. وحمرة الشفق

مصطفى رجب ــ سيوط

زهرات من رياض العرب

● اللعنة ●

حصلت لابي علقمة النحوي علة، فدخل عليه الطبيب يعوده فقال: ما تجـد ؟ .. قال : أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطسئت طسأة ، فاصابني وجـع ما بين الوابلة الى دأية العنق ، فمازال يزيد وينمي حتى خالط الخلب والشراسيف .. فماذا ترى ؟!

قال الطبيب : خذ خربقا ، وسلفقا ، وشبرقا مزهزقة وذقذقة واغسله بماروث واشربه ..

فقال علقمة النحوي : ما تقول ؟

فقـال : وصـفت لي من الداء مالا اعـرف ، فوصفت لك من الدواء مالا تعرف !

● مسكين .. ●

قيل لابي صدقة المدني : ما اشـد الحاحك ؟

فقال : تلومونني على ذلك وانا اسمي مسكين ، وكنيتي ابو صدقة ، واسم ابي صدقة ، واسم امراتي فاقة !

● الصابر والشاكر .. ●

قالت حمرة امراة عمران بن حطان ، وكان قبيحا وكانت جميلة : انى لارجو ان تكون جميعا في الجنـة .. فقال : ولم ؟

قالت : لانك اعطيت مثلي فشكرت ، واعطيت انا مثلك فصبرت ، والصـابر والشاكر في الجنة !

● نجابة ابي حنيفة .. ●

كان قتادة السدوسي من كبار علمـاء التابعين ، وقد دخل الكوفة مرة ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : سلوا ما شئتم .. وكان ابو حنيفة حاضرا ، وهو يومئـذ غلام حدث ، فقال : سـلوه عن نملة سـليمان : اانثى كانت أم ذكـرا ؟

فسـألوه . فأفحم . فقال أبو حنيفة كانت أنثى ، فقيل له : كيف عـرفت ذلك ؟ . فقـال : من قوله تعـالى : (قالت نملة) ، ولو كانت ذكرا لقال : قال نملة .

فخجـل قتادة السـدوسي وقـام وانصرف ...

● بدون مقابل .. ●

أتى رجل تاجرا للحمير فقال : اشتر لي حمارا ليس بالصغير المحتقر ، ولا الكبير المشتهر ، ان أشبعته شكر ، وان أجعته صبر ، وان خلا الطـريق تدفق ، وان كثر الزحام ترفق ، لا يصـدم بي السواري ، ولا يدخل بي تحت البواري ، ان ركبته هام ، وان ركبه غيري نام .



فقال له التـاجر : أنظر في قليلا ، فان مسخني الله حمـارا خذني بدون مقابل ، وانا انفذ لك كل ما طلبت !

● ما بين ذلك .. ●

دعا اعرابي ، وهو يطوف بالكعبـة ، فقال :

اللهم قد اطعنـاك في احب الاشياء اليك : شهادة أن لا اله الا انت وحـدك لا شريك لك ، ولم نعصـك في ابغض الاشياء اليك ، الشرك بك ، فاغفر اللهم ما بين ذلك .

● محسن فهمي ●

الموشى أو الظرف والظرفاء

● لابى الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء ●

● د . انس داود ●

اما مؤلف هذا الكتاب فهو ابو الطيب محمد بن اسحق بن يحيى المعروف بالوشاء والاعرابى ، وقيل انه ابن الوشاء ، انه من ادباء النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى حيث اتسعت الحياة العربية واشتملت على فنون من الرقة والاناقة فى الفكر وفى السلوك، وشاع نمط من الحضارة لهج الأدباء والمؤلفون فى تتبع شياته والعناية باصحابه .

فليس الظرف والظرفاء هنا من الفكاهة واشاعة الحديث الطلى فى مجالس المنادمة ، ولكنه نمط من السلوك الاجتماعى له رسمه المميز وخلائقه المنتقاه فى الطعام ، والشراب ، والصداقة والمصاحبة ، والعشق ،وتحمل تبعات الحياة الاجتماعية ، والاخاء مما يصح معه ان نسمى هذا الكتاب « فن الاتيكيت العربى » .. فهو كتاب يمثل آداب ذلك العصر ، نقع فيه على كثير من صفات « الجنتلمان » العربى والانسان الظريف فى عرف المجتمع العربى ، الاسلامى ، آنذاك ..

كما حفل الكتاب بوصف الازياء التى كانت شائعة يومئذ فى مختلف الطبقات الاجتماعية ، وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار او بالاحرى يتسجرونه « بالدانتيل » والخيوط المذهبة والمفضضة على الثياب والعصائب والزنابير والمناديل والشعور والوسائد، بل وحتى ما كانوا يزينون به النعال ، وآنية الشراب والعيدان ..

وفى دراسة كل ذلك نفع لاهل زماننا ، فضلا عن قيمته التاريخية .. ففيه رصد لتلك الصفات المثل التى ينبغى عى الرجل المهيب فى المجتمع والمرموق ، والمثالى ، أن يتحلى بها من

صدق وعفة ورعاية للاخلاق الفاضلة ، وبذل للمحبوب وللصديق ، وايمان بالواجب ، وتفان في عمل الخير ماوسعه ذلك ..

وفيه ما يستطيع أن يقف عليه أصدقاؤنا من مخرجي السينما والتليفزيون مما يتصل بأزياء ابناء ذلك العصر في القرن الثالث الهجري ، حتى يتسنى لهم أن يقفوا على الصورة الصحيحة التي كان عليها مظهر القوم ولباسهم ، بدلا من تلك الفوضى في الازياء – التي تحمل عليها اجتهادات غير مرتبطة بالتوثيق التاريخي – التي نجد عليها بعضا من المسرحيات التاريخية التي تتناول احداثا في تلك الفترة الهامة من تاريخنا .

***

واول ما حث عليه الكتاب من شروط الظرف ان يتخير الانسان « مجالسة الرجال ذوي الالباب ، والنظر في افانين الآداب ، وقراءة الكتب والآثار ، ورواية الاخبار والاشعار » ، وتاتي بجانب هذه الدعوة الى العلم والمعرفة الواسعة ، دعوة الى التواضع ، ومعرفة حدود علم الانسان على حد ما قال الشاعر .

ما حوى العلم جميعا احد
لا . ولو مارسه الفي سنه
انما العلم كروض زاهر
فتخير من كل شيء احسنه

اي فتخير من كل شيء احسنه على نحو ما قال ابن عباس :

« العلم اكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه » .

وينهى المؤلف عن الجدل واللجاجة ، وادعاء العلم والتفيهق ، بما لا يعرف :

لا خير في حشو الكلام
اذا اهتديت على عيونه
والصمت اجمل بالفتى
من منطق في غير حينه

بعد المعرفة ، وتكريم الانسان لعقله، يأتي السلوك النبيل ، والخلق الامثل.. وأول ما يجمل بالظريف ، اختيار اخوانه .

« روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اختبروا الناس باخوانهم ، فان الرجل يخادن من يعجبه نحوه » .

وقال مجاهد : اني لأنتقى الاخوان كما انتقى أطيب الثمر .

وقال بعض الشعراء :

ولا تصحب اخا الجهل
واياك واياه
فكم من جاهل اردى
حليما حين آخاه
وللشيء من الشيء
مقاييس واشباه
يقاس المرء بالمرء
اذا ما المرء ماشاه
وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه !.

وقال أبو العتاهية :

من ذا الذى يخفى عليك
اذا نظرت الى قرينـــه
وعلى الفتى بطبـــاعه
سمة تلوح على جبينـــه

فاذا ما اختار الظريف « خلا » فـان للصحبة آدابا ، وللصداقة واجبات، وقد اوفاها المؤلف حقها ، حتى تبلغ مرتبة الحب فى الله خالصا من شوائب المنفعة، وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الاساس الثابت لهذه المحبة المخلصـة حين قال :

والايمان ان يحب الرجـل الرجـل ليس بينهما نسب قريب ، ولا مال اعطاه اياه ، لا يحبه الا لله عز وجلّ .

ثم افاض المؤلف فيما يجب أن يتدرّع به « الظريف » من سجايا الصـدق والمروءة ، والحفظ للعهـد ، والوفاء بالوعد ، وحفظ الجوار ، والانفـة من العار ، وطلب السلامة من الاوزار ..

ولن يكون الظريف ظريفا على حـد ما يقول الكتاب الا اذا اجتمعت فيـه خصال اربع : الفصاحة ، والبـلاغة ، والعفة ، والنزاهة ... واعتد آخرون باربع صفات اخرى هى : الحيـاء ، والكرم ، والعفة ، والورع ... وهى كلها سجايا من الخلق الرفيع التىتصور المثل الاجتماعى الاعلى فى ذلك العصر ، واحرى بابناء عصرنا ان يتاملوا تلـك الصـفات ، وان يقتبسـوا من هذه السجايا ... فعصرنا قد اصبح فقيرا وبخيلا ، وقد وصفه كثير من الشعراء بالدمامة لكثرة ما راعهم من تغير اخلاق الانســان ، وبعده عما ينبغى ان يكرم به نفسـه من النبل والمثالية ...

***

ويفرد الكتاب صفحات مطـولة عن صـفات الثيـاب والحـلى للظرفاء والمتظرفين، ومن ذلك الفن الذىابتدعته الحضـارة آنذاك فى توشـية الحـلى والثياب ، بكلمـات من رائع الأدب أو بأبيات من موفق الشـعر ...

فمما كتب على الفصوص :

ما علينا جنــاح
فى هوى البيض الملاح

وايضا :

تحت ثيابى بدوناحل
وفى فؤادى شغل شاغل

ومما كتبعلى التفاح حين يهدى **للحبيبة:**

ليس شىء يتهـــادى
مثل تفـــاح مكتب
خط بالفضـــة من
نبراس تحرير مهذب
يا منى قلبى ماترى
لترى عشق معـــذب

وايضا مما كتبعلى التفاح بالفضة:

انا للاحبـــاب بالسر
وبالوصل رســـول

الهاوى فارق القلب
والقلب ملول

ثم غير ذلك على الأردية والقمصان والزنانير ، فقد كتبته احدى الجوارى على قميص كانت تلبسه لبراه حبيبها :

زفراتى ليس تغنى
وفؤادى بك مضنى
اترضاك وأبدى
لك حبا ذاق غبنا
بأبى كم اتمنى
والى كم اتمنى
بعد ما اصبح قلبى
فى يد الاحرار رهنا



الى غير ذلك مما سجله المؤلف مما كان يكتب على المناديل والستور والوسائد والبسط والمرافق والمقاعد ، وماكان يكتب أيضا على جبين الجارية وخديها ، وما كان يكتب على القنانى والكاسات والاقداح على نحو ماذكر المؤلف مما كتب على قدح :

وماليس العشاق ثوبا من البلى
ولا خلعوا الا بقية ما أبلى
ولاشربوا كاسا من الحب حلوة
ولا مرة الا وشربهم فضلى

ومن هذا العرض السريع ، يتضح ما لمثل هذا الكتاب من أهمية ادبية وتاريخية واجتماعية .. فهو رصد لعادات فى السلوك وفى اللباس بالغة فى مغزاها التاريخى والاجتماعى ، وهو رصد لاخلاق حميدة مجد الناس اصحابها ودعوا اليها ، وهو متحف حافل بالقطع الشعرية المختارة ، والمأثورات المنتقاة .. وهو فى كل ذلك كتاب ادب وتاريخ : يضيف الى قارئه متعة بالفن وبصرا بالاخلاق وبالتاريخ .

كلّه - [جيداً] - شعر..
وكلّه - الآن - أزمة !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

ارني رايك فى الشعر ، والعصر ، والازمة !

ولا تلتفت الى الوراء تستدعى لنا التاريخ يحشر انفه بيننا ! ..

الوقت الآن لواقعنا ، ولرؤية فكر وعمل بأدوات عصرنا ..

وما دام الحب معك ، فكن معنا حيث تشاء فى ملتقى الشعر عموديا أو بغير اعمدة ، فكله ـ (جيدا :) ـ شعر ! .. وكله ـ الآن ـ ازمة !

الحب ، وحده ، وليس غيره ، هو كل ما بقى لنا من عصر المعجزات ...

والحب وحده الآن ، هو المعجزة التى تطوف حولها دعواتنا ، عشاقا وحالمين بان يسترد للشعر عرش سليب ، وتكون امارة ، وأمير جديد !...

● أشهر الاخطاء المطبعية هذا الموسم ، تجرى لصالح نادى القصة ! ...

فى معظم الاخبار ، فى معظم الصحف ، فى معظم الاحيان ... وانت تطالع خبرا تحت عنوان نادى القصة ، سوف تكتشف ـ بعد فوات الاوان ! ـ ان المقصود هو نادى القصيد !

ليس ذلك عن عمد بالطبع او سوء قصد ..

وانما هى ضغوط عصر السرعة تحريرا وطباعة ، تفرض على نادى القصة ونادى القصيد ، وعلينا ، ضريبة : علفط الشىء بالشىء خلطه !

لكن ومن حسن الحظ ، فان الواقع بين القصة والقصيد اجمل بكثير مما تنشر الصحف بأخطاء مطبعية وبغيرها ! ..

ففى مثل هذا اليوم من الشـهر الماضى ، ونادى القصة يحتفل بتوزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقته السنوية ـ وقف الاستاذ ثروت أباظة رئيس الحفل وأمين عام نادى القصـة يلقى خطبة الافتتاح ، فكان مفتتح كلماته بيت شعر من قصيدة شوقية ! ..

ولكن اختيار هذا البيت من الشعر لهذه المناسبة ، كان دليـل ذوق وحسن تذوق وحافظة محيطة بكنوز الشعر الجميل !

كذلك الالقاء ، لبيت الشعر وفى خطاب الحفل كله ، كان رائعا واثقا ، مبينا ... ومرتجلا ... وقليل قليل بين المتكلمين فرسان الكلام الرجيل ! ..

و ... لا نستطرد فما اظن هذه النافذة الصغيرة هنا تنفسح لأبعد من اطلالة على طرافة الاخطـاء المطبعية فى بعض ما تنشر الصحف من أخبار الناديين : العتيد ، والجديد !

ولقد جاء افتتاح حفل القصة ببيت من قصيد ، تحية كأنهـا تعويض للقصيد وأهله ... ولو أنها قد تكون تحية غير مقصودة لذاتها ، فان أمين القصة ثروت أباظة موصول الثقافة بالشعر ، يتذوق من روائعه ويختار : حبا ، وحكمة ، واحتكاما ! ..

ويبقى فى الختام سؤال ...
وليس السؤال : شوقى فقط .. شوقى دائما ؟ .
ولكن ...
لو أنك اضيبت فى تلك اللحظة شعر شوقى ...
فمن كنت تذكر من الشعراء الآن فى الناس والعصر ؟ ..
من ... ؟

***

● شجرة الحكمة والتمرد ●

فى أحد شوارع العصر ، عند الملتقى بين طريقى الحكمة والتمرد ـ رأيت الشاعر حائرا يفكر ويحلم ...

كانت تتوهم فى نظراته قصيدة معاناة يعيشها ولم يكتبها ! ..
معاناة شاعر تستغرقه الاعباء فى العمل والحياة ، فلا يبقى منه للشعر ـ والشعر روح حياته ! ..
والمعاناة ... نباتها الصبر ، ثمرها التمرد ! ..

ومن اجل الشعر ، يتمرد هو على القيود والاعباء ، عملا ومشغلة حياة ...
يريد ان يخلص للشعر وحده ! ...
ان يتنفس الحياة شعرا ! ...
وليضرب بكل ما عدا الشعر عرض البحر ! ..

. . . .

الآن يلتفت ليبدأ ...
ها هو يتسلم من القدر كتاب الرحلة ، ومفاتح الطريق ...
فى ظاهر الصفحة الاخيرة من الكتاب ، لفتته أقباس من قانون الأمر الواقع فى غاية الناس والعصر .. :
الاتجاه هدف ، الهدف يأخذ ويعطى ...
والشعر ، آه .. الشعر ـ حتى الآن ـ يأخذ فقط ، يأخذ ، يأخذ !

. . . .

وتريث الشاعر ...
ترك نفسه لخطواته تدور حول نفسها !
... ومن اجل الشعر ،
فى دائرة الملتقى بين طريقى الحكمة والتمرد ...
رأيت الشاعر إبراهيم صبرى ، لايزال واقفا ، يفكر ، يحلم وتعلو شفتيه ابتسامة شهيدة ...
ولم اسأله : من اين ، والى اين ؟
ولكن الابتسامة الشهيدة قالت لى : الآن ، وكما ترى!.. انا .. واقف فى الممنوع !

***

● تقول ليل ... ●

قرأتها ، هذه الكلمات الرقيقة ، مرتين ...
وفى المرة الثالثة نحيت عنى موازين الشعر والنقد ، وسبحت وراء الكلمات فى خواطر وضيئة من وحيها ...
الكلمات ، قصيدة منثورة للشاعرة ليل موسى ، وعنوانها ـ (القصيدة !) ـ الشعر والشاعر ...
وليل موسى شاعرة مصرية ، تكتب الشعر بالعربية وبالفرنسية، وهى زميلة فى أكاديمية الشعراء الفرنسية بالقاهرة ، وعضو فى « سيبياف » ـ المركز الدولى للفنون والفكر الفرنسى بباريس ...

تقول ليل فى : الشعر والشاعر :
« الشاعر يتنفس شعرا ..
يتكلم شعرا ، ينبض شعرا :

الشعر في عينه ، في ثغره ، ملء يديه ...
الشعر عطاء ، وسخاء ، وفيض !
الشعر برق ، وهمس ، ولحن ...
الشعر حرف ، وكلام ، وصمت ...
الشعر يرعد ، يمطر ، يصفو ...
والشعر ، قول ، وسكون ، وخلد ! »
. . . .

والآن ،ولأن الخواطر الوضيئة لا تخرج سريعا ،ودائما ،من غابة الفكر بصيد ثمين ، فانني أملأ فترة الانتظار الى أن يدخل الصيد الشباك ، بمناقشة حول اقامة جسور عصرية بين شعرنا العربي والشعر الفرنسي المعاصر ، للتواصل واللقاء ...

والمناقشة هنا ليست للمبدأ ، فهو موجود ... ولكنها للتنفيذ فهو المطلوب ! ...

***

● الشبع ثقافة ورهافة ... ●

لو أن لك ، مثلي ، صديقا رقيقا ، تحبه في لندن ..

فان اختلاف النهار والليل ، في لندن ، ينسى !

كذلك فان الجو الأبرد من البرود الانجليزى هناك ، قد يغريه بالتكاسل عن النزول الى أقرب مكتبة في شارع اكسفورد ليشترى لك ، يرسل ، كتاب – ترجمة ذاتية – « عالم داخل عالم » للناقد الشاعر العجوز المعاصر ، ستيفن سبندر ...

واذن ، فانه لن يحدث شيء لأى شيء لو أنك هنا كعادتك تقلب أوراقك في ليل القاهرة – والقاهرة دفء كقلوب الشعراء – فوجدت عندك بين آثار هذا الشاعر الانجليزى ما تختار منه هذه الاقطوعة ، تنفس بها عن عتابك وعدم أعجابك بما يفعل الاصـــدقاء الرقاق فيما وراء البحار ! ...

الكلمة ...

للشاعر : ستيفن سبندر

« الكلمة مثل السمكة
« تعض الكلمة مثل السمكة
« فهل ألقي بها ، لتعود حرة ...
« الى ذلك البحر ،
« عندما تندفع الأفكار فجاة وبعنف
« وتضرب الذيل والزعنفة ؟ ...
« أو أكبح جماحها ، واردعها
« لتتناغم معي شعرا وقافية
«على صفحة طبق من الطعام ؟! »

والآن ، سوف يخطر لك بالطبع أن تسألني عن هذه « الكلمة » ا « سبندر » ، ما صلتها بالموقف أو المناسبة هنا ؟ .. فأقول : أبدا ...

تقول : إذن ، فلم كتبتها ، لم تقدمها ؟
أقول : مجرد مناغاة لعزيز بعيد !
تقول :أونعرفه ؟
أقول : هو الأديب المشبع ثقافة ورهافة ، ماهر شفيق فريد ..
تقول : ألم يكن أولى لك أن تكتب مباشرة له ، فتوفر على نفسك وعلينا كل هذا الذى ...
أقول : ولكني لا أستطيع ... مستحيل !
تقول : مستحيل أن تكتب رسالة لصديق فى لندن ؟
أقول : تماما ! لأنى لا أعرف عنوانه فى لندن !

***

● لعله .. لعلها ؟ !. ●

سرقت منه أحداث الليالى أجمل مواعده مع الشعر ! ...
كان كلما خلا الى فكرة أو ذكرى وعاطفة ، فاجأته الاحـــداث برحلة عذاب مع الحياة والأحياء فى قاع المدينة ! ..

لكنه رغم الأحداث ، رغم الليـــالى مخلفات الوعد ــ (قيـــل ولا يجمـــع الوعد ، وقيل يجمع على وعود) ! ــ لم يغب هاتفا الشعر عن سمعه وعن وجدانه ! ...

لذلك ، ولأن حساسيته لاستباق السنين فى مجرى العمر تزكى يقينه بأن للشعر عليه حقا ، فقد تنازل ــ مستقبلا ــ عما بقى له من سنوات عمل فى سجله المرموق ...

وتلفت ، أخيرا ، يفتح ذراعيه للأيام والليالى شاعرا ، عاشقا متفرغا يؤدى للشعر حقه ...

منذ أشهر كان له فى سلك الشرطة رتبة اللواء ..
الآن هو الشاعر اللواء سالم حقى ...

والآن أيضا يلتقى وشعره بقراء وقارئات ، وجمهور ندوات فى الاسكندرية ، والقاهرة ، وفى بلدهم كفر الزيات !..

وفى منتديات القصيد ، وأنت ترى وتسمع صوته المهيب والمنظار الأسود والشعر الرمادى .. قد تحس فى زخم الصوت ، فى القرار الر جرح ، وشجى نغمة رمادية ...

لعله ... لعلها ! .. ولا تسأل ، فسوف تجرفك ضحكته مرحة سمحة ، ساخرة ...

والشعر حياة!.. انى اشعر !.. انى ألعب فى الوقت الضائع.

مختارات من شعر العالم

فى ضيافة الشعر العربى

الحمام ...

● للشاعر الفرنسى : تيوفيل جوتييه ●
● ترجمة : احمد مصطفى حافظ ●

بين الأحداث بدت تخضوضر ... إكليلا ، كالريش الأخضر
نخلة رابية ، باسقة ... بسطت ذروتها ، كي تستر :
خضر يد سواعدها ، عشاه ... لحمام بهديل – يأسر !

***

فإذا ما انفلق الإصباح ... صدحت وائتلفت أفراح
وافتقدت نخلتنا عقدا ... يقفا ، منفرطا ، ينداح
برحيل حمائمنا عنها .. ... تطويها سبل وبطاح

***

نفس كالنخلة .. يغزوها ... بجنون رؤى – ما يغزوها
وتظل تصفق بجناح ... كحمام حيى فى واديها
وتروح تخايلها سحرا ؟ ... .. وطلوع الشمس – يواريها

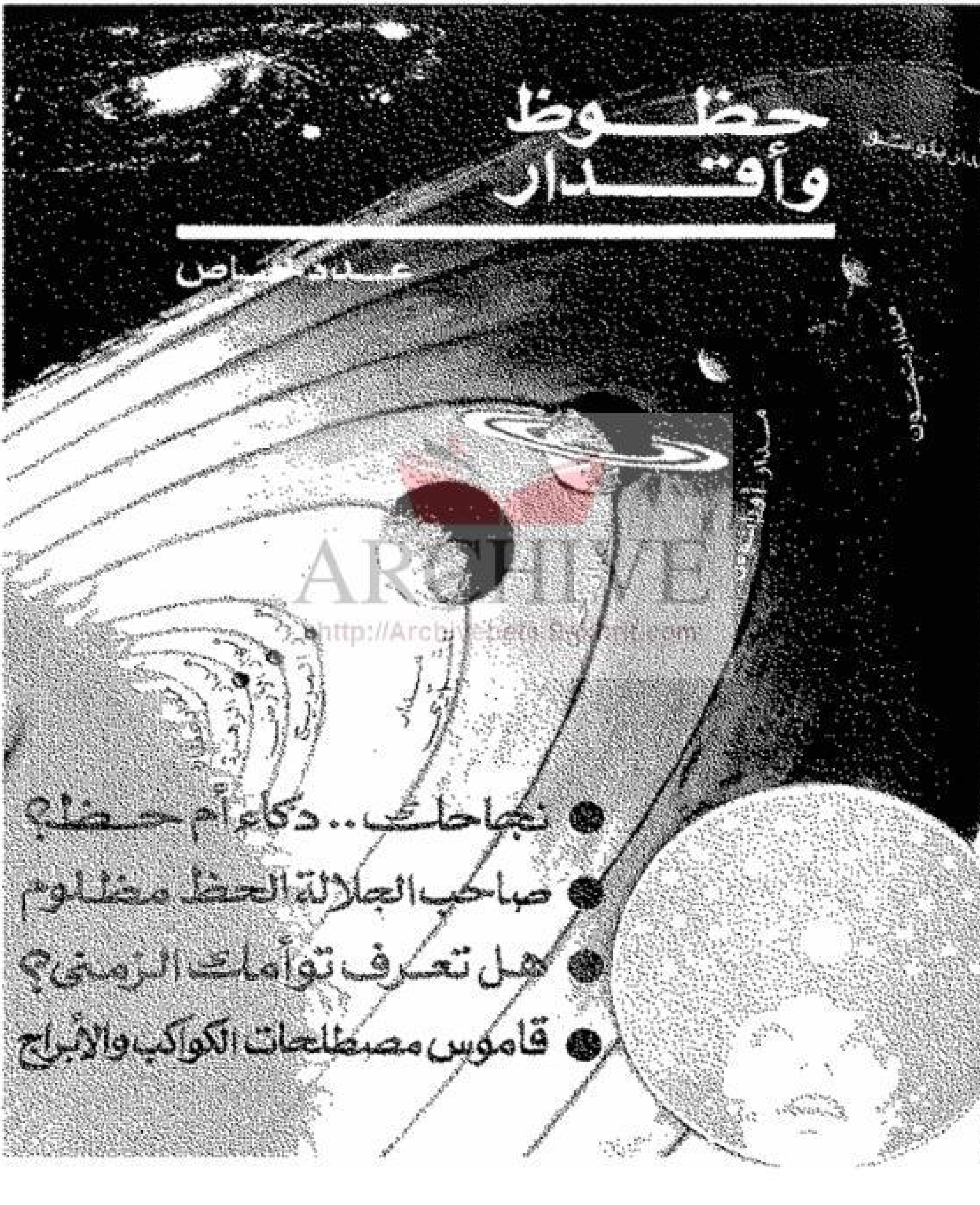

الهلال
مجلة الفكر العربي
الشريعة والكسب غير المشروع
الهلال
ثروة من العلم والفن والفكر
الهلال
الهلال
قيمة الاشتراك السنوي :
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
في البلاد العربية :

نتيجة مسابقة الهلال

مارس ١٩٧٩

الهلال

مجلة الفكر العربي



حظوظ وأقدار

عدد خاص

- نجاحك .. ذكاء أم حظ؟
- صاحب الجلالة الحظ مظلوم
- هل تعرف توأمك الزمني؟
- قاموس مصطلحات الكواكب والأبراج

كلمة الهلال

مولد

كان ينبغي ان نصدر عدد الشهر الماضي (فبراير ١٩٧٩) بمقال عن مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولكننا هذه المرة رأينا ان نتريث حتى نرى كيف يحتفل الناس بتلك الذكرى العظيمة التي لا تدانيها ذكرى في تاريخ المسلمين كله .

ومن عند المسلمين غير محمد ؟ وماذا كانت تكون اممهم لولا محمد ؟

واليك كيف احتفلوا بذلك المولد العظيم .

اقامت كل وزارة أوقاف ليلة او سهرة لم نسمع فيها ما يستحق الذكر الا آيات القرآن الكريم التي بدأت بها الاحتفالات وختمت . وبين آيات الافتتاح وآيات الاختتام لا شيء ...

كلام مكرر معاد سمعناه ونحن بعد في الكتاب . كان يلقيه علينا سيدنا الطيب المسكين ، واليوم يلقيه علينا أصحاب فضيلة وقدر عظيم .

وخرجت من مراكزها جماعة الصوفية ورفعوا البيارق وساروا في مواكب في ظل اعلام خضراء وحمراء وفي مقدمة كل جماعة شيخها على فرس شهباء تمشى به من القلعة الى الحسين وكان ينبغى ان تسير به والسيف في يده الى ميادين الجهاد هناك في فلسطين نصبت خيام بيعت فيها عرائس المولد وخيل المولد وكلها من الحلاوة وكلها من السكر ، أكلها الاباء مع الابناء ونشرت الصحف مقالات قرانا امثالها عشرات المرات .

وانتهى المولد .

وانتهى الاحتفال بذكرى مولد سيد الخلق اجمعين .

ونحن والقون من أن ذلك كله سيتغير عندما يستجيب الناس للدعوة الكريمة التي يحمل لواءها المخلصون من اهل هذه الأمة للنهوض بالدين وكل ما يتصل بالدين .

وكل عام وانتم بخير ..

المحرر

في هلال هذا الشهر

● موضوعات عامة ●

● استطلاع بالألوان ●

● حظوظ وأقدار ●

الهلال
مجلة الفكر العربي

ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ
مارس ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون ـ
أول مارس ١٩٧٩ ـ ٢ من ربيع الثاني ١٣٩٩ .

● مرآة الفكر العربي ●

● مرآة الفكر الغربي ●

● سينما ●

● أبواب ومتنوعات ●

● كاريكاتير ●

● شعر ●

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠مليم
قيمة الاشتراك السنوى: «١٢» عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما بقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريد العادى ٧دولارات او٣ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو٦ ج.ك.تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
الادارة: دار الهلال ـ ١٦شارع محمد عزالعرب ـ القاهرة .
التلفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف الأول

خطوط والوان ..
من الاعداد الممتازة التى يقدمها الهلال خدمة للقارىء والرواد للفكر الانسانى .

فكرى أباظه

صفحة ناصعة فى تاريخ الفكر والصحافة

● كنا فى انتظاره صباح الاربعاء ١٤ من فبراير كما تعودنا كل يوم منذ خمسين سنة، لأن فكرى أباظة كان لا يتأخر عن موعده ابدا ولكنه فى ذلك اليوم كان على موعد آخر .. موعد مع الخلود .

● صفحة مجيدة من صفحات تاريخ الفكر والصحافة فى العالم العربى طويت فى صباح يوم الاربعاء ١٤ من فبراير الماضى عندما أعلن الناعى خبر انتقال الاستاذ فكرى اباظة ، شيخ الصحفيين جميعا ـ الى دار البقاء .

ذلك ان فكرى اباظة دخل ميدان الصحافة فى العشرينات من هذا القرن اى من اكثر من خمسين سنة ....

دخل دخول هواية وعشق للأدب بمقالات تفيض صدقا وعذوبة وحيوية، كان ينشرها فى الاهرام فى اسلوب ضاحك بلا متاق يجتذب النفوس اجتذابا ويثير فى النفس اصداء بعيدة المدى ...

ومن الاهرام انتقل فكرى اباظة الى المصور فى أوائل الثلاثينات، ومن ذلك الحين ارتبط اسمه بتلك المجلة العريقة التى راس تحريرها وقاد دفتها نحو ثلاثين سنة بكتابة نادرة ، وخصوبة فى الذهن والابتكار قل ان نجد لها مثالا،

فلم يقتصر عمل فكرى اباظة على كتابة مقالة واعمال رئاسة التحرير ،



بل كان يبتكر ابوابا طريفة تدل على شخصيته النقادة الواعية مثل : كلمة الحق ، ومناظر مؤذية ، ويعجبنى ولا يعجبنى وغير ذلك كثير مما جعل المصور منبرا حرا للفكر السياسي والادب الاجتماعي والكتابة الجميلة السهلة الممتنعة التى لم يوفق احد قط الى مجاراة فكرى أباظة فيها .

وكان العصر آنذاك عصر شوامخ فى الكتابة السياسية : كان عصر محمد عبد القادر حمزة ، وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد فى الدور السياسى من تاريخه الحافل ، وانطون الجميل ، وداود بركات ، وفؤاد صروف وغيرهم ممن شادوا بالصحافة العربية ذلك الصرح العالى الذى انتقل بها من مهنة من لا مهنة لهم « فى أوائل هذا القرن » الى مهنة اصحاب الفكر الوقاد والشعور الوطنى المتدفق ، واصحاب القلوب الحية والضمائر اليقظة الذين ايقظوا امة العرب وانهضوها من سبات القرون .

هنا يحتل فكرى اباظة مكان الصدارة ، فلم يكن قط مجرد كاتب ، وانما كان صوتا حرا ، ونداء عاليا للاصلاح فى كل ميدان ، فالى جانب جهده الضخم فى المصور كان يكتب فى الهلال مقالات ادبية رفيعة ، وكان



كان فكرى اباظة واحدا من رواد الرياضة فى مصر .. أحب كرة القدم وعشقها ، وكنت تجده فى مدرجات النادى الاهلى مشجعا ومتحمسا كانه شاب فى العشرين ، وقد إختاره اعضاء مجلس ادارة الاهلى رئيسا شرفيا للنادى مدى الحياة لقاء ما قدمه للرياضة والرياضيين فى مصر ×



كان شخصية جذابة فى احاديثه الاذاعية .. لقد قدم مايربو على اربعة الاف حديث واذاعة .. وكانت شهرته كاذاعى تجعل المستمعين حريصين على سماعه فى البرامج المختلفة حتى لا تفوتهم متعة الزاد الروحى الذى يقدمه من فكر وفن لا يبارى ..

يلقى فى الاذاعة احاديث تستولى على الباب السامعين .

ولا ينسى احد قط صوت فكرى اباظه فى احاديثه الاذاعية فى الثلاثينات والاربعينات وهو يتكلم باسلوب سهل حلو عميق يلقيه صاحبه فى صوت قوى ونبرات كأنها وقع الموسيقى ، حتى قيل ان مصر كلها لا تصغى اصغاء كاملا لما يذاع الا لثلاثة اصوات :

ام كلثوم ، محمد عبد الوهاب ، وفكرى اباظة ـ صداح الفكر وغريد الاسلوب العذب الذى لا يضارع ..

***

الى جانب ذلك هناك فكرى اباظة البرلمانى المثالى الذى طالما جلجل صوته تحت قبة البرلمان معلنا أو قائلا كلمة الحق غير هياب ولاوجل ، وغير طامع قط فى وظيفة أو تقرب من سلطان ، ولو اراد فكرى اباظة ان يكون وزيرا أو رئيس وزراء فما كان ذلك بعسير عليه . ولكنه بفضل وطنيته الصادقة



كان فكرى اباظة نجما متألقا فى المجتمع ، تعرفه المنتديات الادبية التى كان يغشاها ، وتفتقده اذا غاب عنها .. كان خطيبا مفوها فى كل الوان الخطابة ، عرفته منابر الخطابة ومن اهمها مجلس الشيوخ الذى كان عضوا من ابرز اعضائه .

أخذ مكانه فى صف الوطنيين الاحرار الذين اعتصموا بحصن « الحزب الوطنى » لكى يكافحوا فى سبيل الوطن دون أن يكون لأعداء ذلك الوطن سبيل الى التأثير عليهم باغرائهم بالمناصب الوزارية وما فى مستواها . لان رجال الحزب الوطنى فى ذلك العصر كانوا قد حرموا على أنفسهم المشاركة فى هذه الوظائف ، لان حزبهم كان حزب التشدد والاباء ، وكانوا يرون أن كل مفاوضة لابد أن تكون على حساب تضحيته بشيء من حقوق ذلك الوطن ، فقالوا لا مفاوضة الا بعد الجلاء، وهى ليست عبارة رفض كما حسب الناس فى ذلك الحين ، وانما كانت مبدأ سليما يرمى الى المحافظة على القضية القومية بعيدا عن كل مساومة .

***

ومن على منبر مجلس النواب: هاجم فكرى اباظة اخطاء السياسة والسياسيين ، وهاجم القصر ورجال





لم تكن نشاطاته تقف عند حد من اوجه النشاط .. فى الندوات الفكرية، وفى بلاط صاحبة الجلالة ، وفى مجال المحاماة والذود عن حقوق المظلومين برجاحة عقله وقوة منطقه ، وحلاوة بيانه .. ونرى فى هاتين الصورتين : عن اليمين: امام الميكروفون فى ندوة يتحدث فيها باسلوبه العذب . وعن اليسار صورة له فى شبابه .

القصر، وهاجم الانجليز، وضرب بذلك مثلا رائعا من مثل السلوك الوطنى الصادق والبرلمانى الصريح ...

فى سنواته الاخيرة ظل فكرى اباظة رغم ما امتحنه به القدر من علة فى البصر وأدواء اخرى يجلبها معه السن وتجارب الايام ــ رغم ذلك ظل فكرى اباظة دائما ذلك الرجل الصادق الوفى الذى يكافح بقلمه فى سبيل ما يراه حقا ، واصابته المحنة التى أصابت كل الاحرار قبل حركة التصحيح ، فصمد وتجلد وعاد الى مكتبه فى المصور ليواصل رسالته القومية والصحفية حتى وافاه الاجل المحتوم .

صفحة طويت ولم تطو ، وصوت سكن ولم يسكت ، لان امثال فكرى اباظة يمثلون اعلاما رفيعة خالدة فى حياة الفكر وحياة الكفاح فى تاريخ امتنا المصرية العربية .. ●

حديث إلى أدباء الشباب

بقلم: رئيس التحرير

● ان « الهلال في هذه السنة يسير في عامه السابع والثمانين وهو يبدو بهذه السن وكأنه صحيفة عجوز ، تكتبها اقلام ذات أسنان ولا تنشر الا موضوعات تعجب أصحاب العمر الطويل •

ولكن الغريب أن « الهلال » مع عمره الطويل هذا ، كان ولا يزال مجلة شابة مفتوحة لاقلام الشباب ، ومجلة مستقبل تستطلع آفاق الغد ، لقراء العربية اجمعين •

كان جرجي زيدان شابا عندما أنشأها وكانت كل أقلام الفطاحل اذ ذاك شابة ، لان الأدب العربي الحديث ، كان يخطو خطواته الأولى ، نحو النضج والازهار •

وكتاب الجيل الماضي ، والذين قبلهم جميعا ، كتبوا في « الهلال » وهم شبان ، وكتبوا فيه وهم كهول ، وكتبوا فيه وهم شيوخ •

ولكنهم في أى سن كتبوا كانوا دائما يكتبون بأقلام شابة ، وكان أدبهم يصدر عن قلوب شابة • ولابراهيم عبد القادر المازني مقال يفيض شبابا وحيوية ، كتبه وهو في الرابعة والستين من عمره ، وقبل أن يتوفى بأسبوع ، ونشره له « الهلال » بعنوان «لن يلحقني المشيب»

وقد أكد المازني في هذا المقال حيويته رغم علو سنه ، وشباب « الهلال » ، رغم ما انقضى عليه من السنين

هذا مجرد مدخل أردت به أن أوجه الحديث هذه المرة الى الشباب : الى قراء الشباب ، وكتاب الشباب •

والذى يدفعني الى هذا الحديث ، انني سمعت كلاما كثيرا من بعض الشباب يذهبون فيه الى أنهم لا يأخذون حظهم في مجلة « الهلال » •

واحب أن اقول هنا – اننا في كل ما ننشر ، لا نفرق بين شيب وشباب ، لأن كل الذى يعنينا ، هو أن يكون ما ننشره ناضجا وجميلا ، مستوفيا لكل ما يطلبه قراء « الهلال » وهم الى يومنا هذا خيرة مفكرى ذلك العالم العربي ، وقد ظلوا أمناء « للهلال » لأنه لا يقدم لهم الا ما يعجبهم ، وما يشتهون•

ومن زمن طويل لم يكن لدينا احساس



جرجي زيدان منشيء «الهلال»
كانت كل اقلام التطاحل اذ ذاك شابة



ابراهيم عبد القادر المازني :
مقاتل اكد حيويته رغم علو سنه

بأن هناك شيئا فى عالم الفكر ، يسمى الأجيال ، أو صراع الأجيال ، لأن الموهبة اما أن توجد أو لا توجد ، فاذا وجدت فلا شباب هناك ولا شيخوخة ، واذا لم توجـد ، فلا ينفع معها سن ، أو مرور أعوام .

والأديب الموهوب ، أو الفنان الموهوب يولد مع موهبته . وأنت تعرفه لمجرد أن تقرأ له ..

وفى كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ترى بوضوح أن نقاد الادب فى تاريخنا الأدبي ، كانوا يعرفون الشاعر الموهوب، من أول قصيدة يقولها ، وكذلك كانوا يتبينون الشاعر غير الموهوب،ويصارحونه بحقيقة موهبته القليلة ، ويظل عندهم فى موضعه مهما طالت به أيام العمر ، ومهما أنشأ من قصيد .

وفى كتاب الذخيرة لابن بسام ،حكاية عن شاعر من هذا الطراز ، عـرض على ذلك الناقد الأندلسي المشهـور ، أبى الحسن على بن بسام الف دينار ، لكى يختصه بباب من أبواب الذخيرة . فقال له : أما الألف دينار فقد قبلناها ، وأما الباب فقد سددناه ! .

وفى احدى مقالاتنـا الماضيـة ، قلنا : ان أحدا فى عالم الأدب والفن ، لايساعد احـدا ، فاما ان تشق طريقك بذراعك ، واما فلن يشـقها لك أحد ! .. وكل ما يسمى اليوم بخصـومة الشـباب والشيوخ ، يقولاها أدباء يشـكون فى ملـكاتهم ، ويريدون أن يلقوا التبعة على الغير ، لأن الأديب الموهوب كما قلنا ، لا يحتاج الى عكاز يتوكا عليه ، بل هو يفرض نفسه بنفسه .

واذكر اننى اول ماعرفت ادب يوسف ادريس كان عنطريق مجموعته القصصية « ارخص ليال » . وكنت أعمل ايامها فى اسـبانيـا ، وازور مصر بين الحين والحين لبعض عمل ، واشترى ما تيسر من الكتب . وكانت هذه المجموعة من بين ما اشـتريت ، فقلت بعد ان فرغت من قراءة القصتين الأولـين من المجمـوعة : هذا فنان صادق . وبعد أسابيع وكنت فى اسـبانـيا ، زارنى اديب مصرى فى طريقه الى الولايات المتحدة ،وكان يحمل

لى بعض الكتب هدية ، وفى أولها نفس كتاب يوسف ادريس فقلت فى نفسى : يا سبحان الله ، ان الموهبة الصادقة تعلن عن نفسها ، وتشق طريقها بيدها ، ولا يمكن ان تخفى طويلا ، مثلها فى ذلك مثل المصباح الذى يتوهج ويجتذب الانظار .

و « الهلال » يعرف هذه الحقيقة ، ولهذا فان مجلتنا مفتحة الأبواب للشباب ولا أظن أن هناك مجلة أدبية تنشر للشباب بقدر ماننشر ،ولا أظن أن هناك مسئولا عن مجلة ادبية يقرأ من أدب الشباب الذى يصل اليه قدر ما اقرأ . ونحن نفعل هذا خدمة « للهلال » فى المكان الأول ، لأن « الهلال » لا يعيش بغير كتاب .

ومن واجبنا نحن أن نتبين من بين ما يصلنا الجيد ، لكى نقدمه ، واعتقد ان هذه حقيقة يعرفها الكثير من الشباب ولا أظن أننى من يوم أن قمت بالعمل فى هذه المجلة ، فاتنى اديب شاب ذو موهبة .

***

اما ما قلناه فى بعض المقالات عن أدب الشباب ، وما نأخذه عليه من مآخذ ، فكان دافعنا اليه أملنا فى أن يظهر من بين الشباب ، جيل جديد من الأدباء ، يتولى حمل الرسالة ويسير بها الى الأمام

ونحن لا ننكر اننا استعملنا فى بعض الأحيان لغة فيها شىء من العنف والعتب الشديد ولكن سبب ذلك كما قلناه هو الحب ، والأمل . وغضبنا فى هذه الحالة هو غضب الأب على ابنه اذا لم يعجبه شىء من تصرفاته . فان الصبى اذا ارتكب خطا ، كان أبوه أشد الناس غضبا عليه . وبينما تجد الآخرين يتسامحون ويتساهلون ، ويهونون الأمر تجد الوالد لا يتسامح مع ابنه ، ويسترسل مع غضبه .

وليس معنى ذلك أن الأغراب يحبون الصبى أكثر مما يحبه أبوه ، ولكنهم لا يهمهم أمره بقدر ما يهم أباه .

وهذا مجرد مثل ضربناه لكى نفسر به عنفنا فى الحديث عن الشباب فى بعض الأحيان ،ولا وجه هنا للتشبيه بين أدباء الشباب والصبيان ، ومعاذ الله أن يخطر ببالنا شىء من هذا القبيل .

***

اظن ان هذا يوضح لأدباء الشباب موقفنا من الموضوع الذى يدور حوله الآن نقاش طويل ،وهو موضوع أدب الشباب وما يتصل به ، مما يزعمون انه صراع بين الأجيال . والآن وقد قلنا ذلك ، فليأذن لنا ادباء الشباب فى بضع كلمات نقولها من قلوب عامرة بالمحبة والمودة ، والأمل فى المستقبل الزاهر للأدب العربى بمشيئة الله . نقول للشباب أولا : ان النجاح فى عالم الأدب والفن متوقف الى حد كبير على الاطلاع والقراءة فى عمق واتساع . واذا اذن لى الشباب قلت لهم: اننى وجدت فى الكثير مما يكتبونه نقصا بالغا فى الثقافة ، وتراخيا فى الاطلاع ، وتقصيرا فى دراسة لغة اجنبية ،والتمكن منها ، واشد ما آلمنى فيما يكتبون ، هو ضعف اللغة العربية ، وعدم المعرفة بقواعدها .

ومن المؤسف جدا ، ان نضطر الى توجيه هذه الملاحظة الى ادباء الشباب . حقا ان بعضهم متقن للغة العربية ، لايقع فى أى خطا نحوى أو تركيبى ، ولكن البقية يهملون لغتهم اهمالا مؤلما ، فتقرأ لناس ، لا يعترفون بلغة أو نحو أو قواعد ،بل يستهينون بالنحو ،ويجدون

في التزامه نوعا من التأخر · أو نوعا من القيد ينبغي أن يتحرروا منه ·

لهؤلاء جميعا نقول : انكم ادباء عرب تكتبون بلغة العرب ، ولابد ان تكتبوا بها دون غيرها ، ولهذا لابد ان تجيدوها، ولا عيب في ان يبدأ الواحد منكم فيستدرك ما فاته لكي يعرف كيف يكتب اسلوبا عربيا فريدا · وصدقوني اذا قلت لكم انهم في فرنسا او انجلترا ، او المانيا لا ينشرون قط صفحة لأديب ، او قصة لقصاص فيها خطا نحوى او تركيبي ·

وحتى في أوساط العلم والتخصص يرفضون اى رسالة علمية ، اذا كان فيها خطأ في النحو او التركيب ، لانهم يحترمون لغتهم ، ولا يتسامحون فيها ·

ولعل هذا يفسر للكثيرين من الادباء امتناعنا عن نشر اى عمل أدبي ، لا يكتب بغير اللغة العربية الفصحى ، حتى لو كان قصة مصرية — مثلا — فنحن لانقبل الحوار باللغة العامية ، ولا نقبل جملة واحدة لا تكون بغير هذه اللغة ·

ونحن لا نصر على ذلك لمجرد أننا نعتبر أنفسنا مجلة الفكر العربي ، بل لأننا نعتقد أن رسالة الهلال مرتبطة بمصير اللغة العربية،وأن واجبه حمايتها والمحافظة عليها سليمة من كل ما يخالف قواعد الكتابة والاملاء ·

وقد قلت « الاملاء » لأنني ينبغي أن أقرر مع الأسف الشديد ، أن الكثير مما يقدم الينا حافل بأخطاء الاملاء ، وبعدم المعرفة بأصول كتابة الهمزات ·

أما الادباء ومعرفة اللغة الأجنبية ،فلا يمكن أن يوصف الا بأنه مأساة فان الكثيرين منهم ، لا يجيدون لغة أجنبية واحدة · ومن ثم فهم لا يستطيعون الوصول الى الآداب الغربية ، في لغاتها واذا كان هذا يبدو غير ضروري للشاعر مثلا ، الا أننا نقرر أنه لا غنى عنه للقصاص أو الروائي ، لأن القصة والرواية بنتان مستحدثتان في اللغة العربية ·



فاروق شوشة :
نشاط متجدد في مجال الادب والفكر ·

وفن القصص كله ليست لنا فيه تقاليد ، وتقاليده راسخة في آداب الغرب ، ولا يمكن لأديب عربي أن يكون قاصا أو روائيا ، الا على أساس متين من الاطلاع الواسع العميق ، على الأدب الغربي ، في أي لغة من اللغات الغربية ·

ومن المعروف ان من نسميهم بجيل الشوامخ ، كان الاطلاع على آداب الغرب في لغاتهم من اكبر مفاخرهم ، بل هو من اسباب تفوقهم ·

والذين قصروا عن اللحاق بالصف الاول منهم ، مع توفر الملكات الادبية عندهم ، كان سبب ذلك ، عدم معرفة اولئك المقصرين بلغة اوربية · والأمثلة

في ذلك معروفة ولا داعي لذكرها تجنبا للحساسيات .

***

والأمر الثاني الذي نأخذه على أدباء الشباب هو التعجل : تعجل النشر ، وتعجل الشهرة .

ونحن نقدر طموح الشباب ، ونعرف أن كل شاب يحرص أشد الحرص ،على أن يرى ما يكتبه مطبوعا . ولكن الشيء الذي يلفت النظر اليه ، هو أنهم جميعا متعجلون .فهم يرون مثلا أنهم اذا كتبوا قصة ،فلابد أن تنشر ، بأسرع ما يمكن .

وتضيق صدورهم اذ تأخر هذا النشر ، وهم يعلمون بطبيعة الحال ، أن طريق الأديب – مهما كانت موهبته – شاق وطويل ، وأنه ينبغي أن يكتب ويكتب ، ولا يغضب لتأخر النشر ، لأنه – كما قلنا – اذا كان موهوبا ، فلا خوف على موهبته أبدا ،وانما هي طبيعة العمل الأدبي : صبر واطلاع وكتابة مرة وثانية وثالثة ، حتى يضع الأديب أو الشاعر قدمه على أول السلم ، ثم يسير باذن الله

وأنا أعرف أننا في عصر قاس وعنيف وأن ظروف الحياة تلهب ظهورنا أجمعين لأن مطالبها في زيادة ، والحياة لاترحم. والشاب الذي يريد أن يعيش من الأدب يتعجل الوقت الذي يستطيع فيه فعلا العيش من الأدب . ولكن ما الحيلة ؟!. وهذه هي الظروف .. وتلك هي طبيعة العمل الأدبي !

ولو علم شباب اليوم ،كم كتب غيرهم، ومزق ، وألقى ، وكم تأخرت جهات النشر عن نشر ما كتبوا ، حتى وصلوا الى أول الطريق ، لفهموا عني هذا الكلام وأنا أقدر تماما أنهم يفهمونه ، لأنهم أهل ذكاء وفطنة . ولا يمكن أن يطرق باب الأدب والفن الا صاحب ذكاء وفطنة

وقبل أن أختم هذه السطور ، أحب أن أتوجه الى شبابنا برجاء ..

لا يدفعكم اليأس من النشر أو الظهور الى التماس الطريق الاسهل ، أو الى تكوين الجماعات التي تسمى «بالشلل» **أو الخضوع لرغبات أصحاب الأقلام وبرامج الاذاعة والتليفزيون . لأن الذي يسير في هذه الطريق ، ربما وصل الى المال . ولكنه لن يصل أبدا الى أن يكون في يوم من الايام ، الأديب الذي يرجوه لنفسه .أو الشاعر الذي تتناقل الأفواه شعره ،ويتباهى الناس بحفظه وروايته.**

أقول هذا لأنني أشعر بالألم البالغ، لما أسمع وأرى في المذياع والتلفاز من قصص في غاية الركاكة والضعف ، وفي غاية البعد عن الابتكار ،والمستوى. وبودي لو فهم أدباء الشباب الطامحون، أن الأديب هو الذي يحدد مستوى نفسه فاذا كان بالفعل واثقا بنفسه محافظا على مستواه فسيظل دائما في مستواه .

أما اذا انحرف ودخل في دائرة أولئك الذين جعلوا القصة والرواية تجارة ، فلا مخرج له من هذه البئر العميقة أبدا .

وليس أسوأ بالنسبة للأديب الشاب خاصة من أن يقرأوا اسمه ، ثم ينظرون الى ما أنتج ، فيسخطون ، ويسرعون الى اغلاق المذياع أو التلفاز .

وهذا الرجاء موجه الى أدباء الشباب خاصة ، الذين استولوا على القصص والروايات في الاذاعة والتلفاز . وأظن أنني لا أبالغ اذا قلت : انهم لم يحسنوا بهذا لا لأنفسهم ، ولا للاذاعة والتلفاز .

موعد مع مائة كتاب من أدب الشباب

يتابع الهلال فى عدده هذا عمله لانجاح مشروع مائة كتاب لادب الشباب ، والمشروع كما ذكرنا فى العدد الماضى هو مشروع تعاونى بين الشباب الطامح الواثق بنفسه .

واسرة مجلة الهلال لكى تفسح الطريق امام جيل جديد من ادباء الشباب لياخذوا مكانهم فى ركب التاريخ الادبى ، وشيئا فشيئا يتجمع ادباء الشباب حول ذلك المشروع الجديد ، وقد اصبح الراغبون فى الاشتراك فى ذلك المشروع الان بضعة عشرات من خيرة شباب الادباء ولكننا نطمع فى المزيد .

ولهذا فاننا نرجىء الاعلان الكامل عن ذلك المشروع الى العدد القادم حتى تتضح الفكرة تماما قبل اعلانها على الجمهور لاننا نريد لهذا المشروع أن يلقى النجاح لاول اعلانه

ولهذا فاننا نرجو الشباب ، ان يواصل تعاونه معنا والاتصال بنا حتى يستمر الحوار للخروج بهذا المشروع الى حيز التنفيذ فى القريب العاجل باذن الله . اكتب لنا بما تراه لاننا فى حاجة الى رايك .

بطاقة اشتراك
فى مشروع المائة كتاب من أدب الشباب
(فكرة تعاونية ثقافية تقترحها مجلة الهلال)

الاسم : ____	عمل أدبى إنتاجى أرشحه للنشر
السن والمهنة : ____	مجموعة قصصية : ____
العنوان : ____	ديوان شعر : ____

لطفى السيّد

أستاذ جيل ربما.. ولكن جيلنا لا يرى فيه شيئاً!

● احمد حسين ●

تثبت الحقائق التاريخية عندما تقال وتكرر ثم لا يقوم قول يناهضها ، او حتى يتشكك فيها ، ولما كنت معاصرا لنصف حياة لطفى السيد على الاقل ، ولما كنت صاحب فكر وقلم ، فاصبحت مسئولا عن ان اسكت عن قول يردد امامى على انه حقيقة ، حيث اراها حقيقة قد زيفت لتحقيق مآرب خاصة ، او لتوافق ظروفا عابرة ، مرت بمصر فى يوم من الايام ، ويرجع الفضل لى حفزى على كتابة هذا المقال للتخفف من مسئوليتى امام التاريخ ، الى الكاتب الاسلامى الكبير ، والمؤرخ الاستاذ انور الجندى ، وهو الذى الف موسوعة للادب فى مصر خلال القرن العشرين .

وقد كان يمكن لمقال الاستاذ انور الجندى الذى كتبه فى مجلة الاعتصام ليجرد لطفى السيد من الهالة التى تحيط باسمه ، أن لا يستوقفنى فى شىء ، فأنا واحد من جيل ، لم ير من لطفى السيد ، خلال ما يزيد على أربعين سنة ، أبيض ولا أسود ، ولكن واقعة وردت فى المقال لم يشأ الكاتب الامين أن يجزم فيها برأى ، ولكنى لم أكد أديرها فى رأسى ، حتى وجدتنى أجزم فيها **برأى قاطع لا يداخلنى فيه ذرة من شك ، اما هذه الواقعة فهى القول بان الترجمات التى نسبت اليه لكتب ارسطو ، فهى من عمل قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية ، ابان رئاسته لها ، ولا جدال ان له جهدا فى هذه الكتب قل أو كثر ، ولا جدال ان كان هو الموجه وهو المشرف ، وهو المصحح والمراجع ، والمنسق ، والا لما سمح لنفسه أن يضع اسمه على هذه الكتب كمترجم لها ، ولكن الذى لم يعد فيه شك عندنا ، ان صلب عملية الترجمة ، قد تولاه موظفو دار الكتب .**

اما من اين يجيئنا اليقين ، بانه ليس المترجم ابتداء ، فذلك لأن الدنيا لم تشهد ، واحسبها لن تشهد ، انسانا يعيش ما يربو على الثمانين عاما لا يترجم ، فضلا عن أن يؤلف كتابا واحدا ، ولكنه فى منتصف العمر نراه يخرج كتبا فى خلال سنتين أو ثلاثة ، ثم يعود لعقمه فيعيش أكثر من اربعين سنة ، دون أن يترجم ، فضلا عن أن يؤلف كتابا ...

ولا تفسير لذلك الا انه فى خلال الفترة وجد ظروفا لم يجدها من قبل أو من بعد ، وهذه الظروف هى انه وجد مرءوسين تحت ادارته ، استعملهم كأدوات للترجمة ، ثم راح يفعل بهذه الترجمة ما يفعل ، لتكون له القدرة على ادعاء نسبتها اليه .



احمد شوقي
الابداع الشعرى في الثلاثينات



مصطفى كامل
ايقظ الوطنية المصرية لمقاومة الاحتلال

وابادر فاقول ان هذا الامر لا يهمني في قليل؛ أو كثير والله أعلم بحقيقتـــه وسواء ترجم لطفي السيد هـذه الكتب أو لم يترجمها ، فحكمي عليه لا يتغير ، من أنه في اخصب سنوات عمره (بعد الاربعين) لم يقدم لمصر شيئا مع انه لعب في السياسة دورا متصلا ، فكان وزيرا أكثر من مرة في وزارات عطلت الدستور ، والغت حق الشعب في حكم نفسه ...

وخارج النطاق السياسي فقد عمل مديرا للجامعة المصرية في العشرينات والتحقنا نحن بالجامعة في اول الثلاثينات وتخرج في الجامعة أفواج في ظل ادارته لها ، فلم يحدث أن سمع احد منهم قولا له مسموعا او مقروءا ، فضلا عن أن يلقي محاضرة للطلاب او يصـــدر لهم كتابا .

ربما ، ولكن ؟!

وهكذا عشـــت وعاش كل جيل من طلاب الجامعة ، لا نرى أو نـسمع عن قول او توجيه للطفي السيد من اى نوع كان ، وان كانت عبارة أستاذ الجيـــل ظلت تتردد ، خاصـــة وانه قال قـولا أعجب قائد الثورة فصارت وســائل الاعلام تكرر هذا القول ، الذى لا معنى له وليس الا بعد أن شرعت اكتب تاريخ مصر الحديث (في موسوعة تاريخ مصر) ان وجدت دورا للطفي السيد في حياة مصر ، ويتلخص هذا الدور بعد دخول الانجـــليز الى مصر واستتباب الامور لهم ، وشروع مصطفى كامل في ايقاظ الوطنية المصرية ، ومقاومة الاحتـــلال البريطاني ، فكان من الطبيعي ، أن يحاول الانجليـز خلق طائفة من المصريين ترى مصـــلحتها ومصلحة مصر (طبـعا) مسايرة الانجليز والترحيب باساليبهم ، باعتبارها الطـــريق المؤدى الى نهضـــة مصر ، فكان أن شجع الانجليز على قيام حـــزب « الأمة » المؤلف ممن كانـــوا يسمونهم أرباب البيوتات ، والعـــائلات الكبيرة وقـــد اعتبروهم فيما بعـــد « اصحاب المصالح الحقيقية » ، وانشأ حزب الأمة لسان حال له وهو (الجريدة) ووضـــع على راســـها « احمـــد لطفي الســـيد » كرئيس لتحـــريرها ، وظلت الجريدة تقوم بعملها مناهضة للحـــركة الوطنية التي كان يقودها مصطفى كامل وجريدته اللواء ، حتى وصل الامر بنشر بعض اقوال لمصطفى كامل على صفحات الجريدة ، تحت عنوان « ناقل الكفـــر ليس بكافر » .

ومن ناحية اخرى كانت « الجريدة » تقاوم حـــزب الاســـتقلال الذى انشاه الخـــديو بزعامة الشـــيخ على يوسف صاحب « المؤيد » .

فأنت ترى انه اذا كان للطفي السيد تأثير ، فهذا التأثير لا يعدو أن يكون فى أضيق نطاق متصور وهو قلة قليلة من الشبان الذين لم ينخرطوا فى الحركة الوطنية ، والذين لا يؤمنون بأن الدين الاسلامي(والمسلمون أغلبية مصرالساحقة) يصلح لان يكون منطلقا للبعث والنهوض وانما هى اقلية ترى فى محاكاة اوربا السبيل الى النهضة .

والمهم انه فى الفترة التى لا تتجاوز بضع عشرة سنة ، وهى فترة اشتغال احمد لطفي السيد بالصحافة ، لم يمتد تأثيره الى كل « الجيل » وانما لبعض هذا الجيل ومن هنا قلنا « استاذ جيل ربما ...... » فقد كانت هذه فترة لم نعايشها ، فلا نستطيع ان نقطع برأى ، ولو ان احمد لطفي السيد مات قبل ان نعاصره او بالاحرى نعاصر القسم الاخصب في حياته ، واى انسان يعيش حتى يجاوز الثمانين ، فلا يمكن الا ان يكون نصف حياته الاخير هو الاخصب (انظر الى حياة احمد شوقي، والعقاد ، وطه حسين ، واحمد امين وامثالهم) .

وما كنت لاسمح لنفسى ان أنفى عن احمد لطفى السيد انه استاذ الجيل ، او لم اعاصره ، فلم اتلق منه ولا اى واحد من جيلى توجيها واحدا . وها هو رئيس تحرير الهلال،واحد من هذاالجيل وهو مؤرخ عظيم ، فياحبذا لو قال لنا، ماذا سمع أو نقل عن لطفى السيد شيئا مما يسمع أو ينقل عن الاساتذة)

ومنتهى علمي ان من تصدى للتعليم يوما فانه لا يكف عن التعليم أبدا .

من أين جاءت الفكرة ..

ويكون السؤال الان ، من اين اذن جاءت الفكرة ، فكرة استاذيته لجيل ؟

ولا يمكن أن يكون ردى على هذا التساؤل الا من نوع الرجم بالغيب،وقد يكون خطأ كله ، فلاشك أن للانجليز دورا فى هذه التسمية ، وللمستشرقين كذلك ، فمادام الرجل يروج للمبادىء والافكار الاوربية ، فلابد من شد أزره ومن تقويته ، هذا احتمال قائم .

وثمة احتمال آخر ، وهو أن يكون بعض ممن قادوا الفكر في مصر قد قالوا هذا القول من انه أستاذ جيل .

ولسنا نعرف من هؤلاء الا اثنين : الدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين .. فما هو موقف كلا الرجلين منه ؟

الدكتور محمد حسين هيكل

فاما الدكتور محمد حسين هيكل ، فقطب من اقطاب مصر فى ميدانى السياسة والأدب والفكر ، وهو يمت بصلة القربى الوثيقة بأحمد لطفي السيد ، فهذا الأخير هو « خال » الاول

وفى مذكرات الدكتور هيكل السياسية نرى اشارات كثيرة لأحمد لطفى السيد ولكن هذه الاشارات كلها تدور حول خلاف اساسى يقوم بين هيكل وبين خاله ، وقد يفهم من هذه الاشارات ، ان احمد لطفى السيد ، قد يكون رجلا مرموقا من اعيان الدقهلية ، وقد يكون من اقطاب رجال السياسة ، ولكنك لن تستخلص أبدا من كلام هيكل عن خاله، انه كان استاذا يقف الى جوار أى فكرة من الافكار فضلا عن أن يعلمها .

فترى الدكتور محمد حسين هيكل يأخذ على « خاله » وهو الذى كان فى « الجريدة » يندد بالخديو وتصرفاته ، ومع ذلك يراه فى مقدمة من وقفوا يحتفون باستقبال الخديو وتكريمه .

وفى موقف آخر يأخذ الدكتور هيكل على «خاله» جزعه الشديد علىمصطفى كامل حتى ليلبس عليه السواد ويدعو لاقامة تمثال لمصطفى كامل ، وهو الذى عاش طوال حياة مصطفى كامل يندد به ويعتبره نكبة على مصر ..

ونحن نختلف تماما مع الدكتور هيكل ، ونرى فى كلا الموقفين اللذين لم يعجباه فى خاله ما يدل على انه مصرى أصيل ، وان العاطفة الوطنية كانت تتغلب دائما عليه فيطيعها ، تاركا هذه الكتابات التى كان يبدو أنها لا تصدر عن اقتناع كامل بها .

ويحدثنا الدكتور هيكل اخيرا فى مذكراته عن مواقف لم يفهمها لخاله حيث رفض أن ينشر له مقالا فى الجريدة عقب تاليف الوفد المصرى وصيرورة احمد لطفى السيد عضوا فيه .

ويعنينا من كل ذلك ان احمد لطفى السيد يمكن أن يوصف باى شىء طيب او غير طيب (حسب اختلاف وجهة النظر) ولكنه لا يمكن أن يوصف بانه استاذ صاحب مدرسة .

مع الدكتور طه حسين

ياتى فى الدرجة الثانية بعد الدكتور هيكل ، علم آخر من أعلام مصر ، وهو الدكتور طه حسين ، فلابد ان يكون هذا القطب ، ممن تصور البعض انه واحد من تلاميذ لطفى السيد ولم يحدث ان نفى طه حسين هذا القول ، فلقد كان يكتب مقالات فى الجريدة ، وكانا يمتان للمدرسة التى تتصور ان مصر لن تنهض الا بأن تترسم طريق أوربا ولما كانت أوربا أعلنت عن نفسها ، انها تدين بنهضتها للاغريق ، فحين دعا طه حسين لاعتبار الاغريق هم الذين يجب ان يكونوا اساس الثقافة المصرية ، فان احمد لطفى السيد هو الذى ترجم كتب ارسطو ، ثم تزامل الرجلان فى الجامعة، هذا مدير لها وذاك عميد لكلية الآداب ولكن الرجلين افترقا بعد ذلك فى كل شىء ، فعندما اطيح فى حكومة اسماعيل باشا صدقى (١٩٣٠) بالدكتور طه حسين ، فقد كاد احمد لطفى السيد ، ان يسكت على ذلك ، لولا أن طلبة الجامعة (تحت تاثير الوفد) اعتبروا ذلك عدوانا على استقلال الجامعة ، واجبروا لطفى السيد على الاستقالة ، فاستقال محرجا . وحيث انضم الدكتور طه حسين الى الوفد ، فان احمد لطفى السيد ظل مع حزبه القديم « حزب الامة » بعد أن اصبح اسمه « الاحرار الدستوريين » ولم يلبث ان اصبح وزيرا عندما الف الحزب وزارته ، **وحيث مضى طه حسين كأى مفكر وكاتب يكتب ويحاضر ويؤلف ، ويتطور بفكره حتى آخر لحظة فى حياته ، فان لطفى السيد ظل عقيما لا يفصح عن رأى من اى نوع كان ...**

والأمر الذى لا شك فيه ان أحمد لطفى السيد قد استطاع بصمته المطبق الذى دام اربعين سنة ، ان يحافظ على الهالة التى نسجت حول شخصه .

ولا يمكن ان يقال ان الرجل اعتزل الحياة العامة ، واكتفى بما اداه من دور فى يوم من الايام ، ولكن الرجل ظل يشارك فى السياسة ، كوزير فى حكومة الاحرار الدستوريين .

كتاب عن لطفى السيد

وقد اصدر اخونا المفكر والباحث والمؤرخ الدكتور حسين فوزى النجار ، كتابا فى سلسلة اعلام مصر ، عن احمد لطفى السيد ، والكتاب امين كل الامانة فى عرض شخصية احمد لطفى السيد ، ولذلك لم نر فى الكتاب ما يجعلنا نغير رأينا فى احمد لطفى السيد فى انه قد يكون استاذا لنفر لا نعرفهم ، أما نحن وقد عاصرناه قرابة أربعين سنة واكثر ، فلا نعرف له شيئا من اى نوع كان الا انه كان احد باشوات حزب الاحرار الدستوريين ووزرائهم ، وسمعنا انه كان مديرا للجامعة ، عندما كنا طلابا بها .

ومرة أخرى أرجو الا يتصور متصور أننى أحاول الغض من شخصية احمد لطفى السيد ، عندما انسبه لحزب الاحرار الدستوريين ، فانا نفسى كنت متعاطفا معهم فى وقت من الاوقات ، وكان محمد باشا محمود رئيس الحزب من اكرم الناس عندى ، وقد اجبرتنى ظروف الكفاح والنضال ان اواجهه واتحداه وهو رئيس للحكومة ، ولكن **الرجل النبيل استطاع ان يغلبنى على امرى بكرم اخلاقه وتواضعه وتسامحه، فانا عندما اصف احمد لطفى السيد بانه من اقطاب الدستوريين ، ولا زيادة، فانا انما اتحرى الدقة (من وجهة نظري) للحديث من التاريخ كما** درسته وعاصرته . . .



وجدت السعادة في السمنة

● عاشت اليزابيث تايلور طول عمرها معذبة بسبب الحرص على قامتها ووزنها ومقاييس جسمها، طالما كانت تعمل نجمة في السينما . ولكنها الان وبعد أن شبعت من السينما والكاميرات والاضواء والمال والشهرة تزوجت زوجها الحالي ، عضو مجلس الشيوخ . وعرفت للمرة الاولى طعم الحياة الزوجية الهنيئة الى جانب زوجها ، جون وارنر ، .. ونتيجة لذلك فقد ارسلت جسمها على طبيعته ، فسمنت وزاد وزنها ، ولم تعد تهتم بما تأكل وتشرب ، وهي تؤكد انها سعيدة جدا بسبب هذه السمنة ، وكذلك زوجها يقول انها هكذا تعجبه اكثر .



حقيقة المساواة بين الرجل والمرأة

● يزعم الرجال انهم منحوا المرأة حريتها · واذنوا لها بان تتساوى بهم ! وتزعم بعض السيدات بانهن الان على قدم المساواة مع الرجال في كل شيء · ونحن لا ننكر ان الله منح المرأة من الذكاء والقدرات ما يعدل (او ما يزيد) على ما عند الكثيرين من الرجال · ولكننا نسأل : هل هذا كله حقيقة ؟ وهل تحتل المرأة بالفعل في عالمنا الراهن المكانة التي تستحقها ؟ ! ··

لعل الصورة خير تعبير عن حقيقة الوضع بين الرجل والمرأة في عالمنا الراهن ، في ارقى البلاد الغربية · فالمرأة رغم ذكائها ، وقدراتها ما زالت تقف امام الرجل في حقيقة الامر على الهيئة التي تراها في الصورة الماثلة امامك ! ·

منظر طبيعي من نيويورك أرقى مدن الدنيا كما يقولون



● ان ارصفة نيويورك نظيفة تكاد تلمع ،ومحلاتها انيقة ·· ولكن أحداث نيويورك كارثة · فهم يتجمعون على نواصي الشوارع ، وعند دور السينما ، ويتحزبون أحزابا ، وتقوم بينهم المعارك وهم يعتدون على المارة وخاصة في الليل ،ويقسمون الشوارع الى مناطق نفوذ ·
وقد يئس البوليس من السيطرة عليهم لكثرتهم وجراتهم ، واقدامهم على اى عمل غير قانوني ، أو غير أخلاقي ·
والصورة التي تراها مالوفة جدا في تلك المدينة الكبرى · ويلاحظ ان المارة لا يكادون يهتمون لمشهد الصراع المخيف بين هذين الغلامين ·

صورة جميلة وكارثة عائلية

● هذان الغلامان يسميان بيتر وهاينز ، وهما توامان · والمشكلة ان الزوج وقف امام ابنيه فى حيرة بالغة ، فانه هو وامرأته بيضاوان ، فمن اين جاء التوام الاسود ·
الزوجة تقسم انها زوجة صالحة ، ولكن ما الحيلة ، والبرهان ساطع واضح !



حظـــــوظ
وأقــــــدار



جـــزء خـــاص

الحياة عمل وجهد وكفاية ، وقيـام بالواجب . والحياة أيضا أقدار .

فهناك دون شك شيء أسمه الحظ ، وعندما انتصر نابليون فى معركة «واجرام» سئل عن سبب النصر ، فقال ثلاثة أشياء : أنا ، والحظ ، والحظ . وعندما أبلغوه ان قائده الكبير «ديزيه» قتل في المعركة ، قال : ضعوه فى قائمة الابطال ، واكتبـوا تحته : أنطوان ديزيه ، جنرال فرنسـا ، حالفه الحظ خمسة وأربعين عاما ، وتخلى عنه خمس دقائق !.

وهكذا فنحن نعمل ، ونحن نجد ونسهر ، ولكننا دائما فى حاجة الى الحظ .. الى ذلك الشيء المجهـــول الذى لا نستطيع السيطرة عليه ، وهو الحظ ، أو المصادفة : أو ذلك الشيء الغريب الذى يجعـــلك فى الوقت المناسب ، فى المكان المناسب لكى يقع الحظ فى حجرك ، أو بين يديك كما تقول .

***

وانت تتحكم فى العمل ، وفى علاقتـــك بالناس ، ولكنك لا تدرى قط ، ما هـــو الوقت المناسب والمكان المناسب اللــــذان يلقاك فيهما ذلك الشيء الغريب الذى اسمه الحظ .

حكى سعد زغلول حكاية طريفة ، تصور لك كيف يلعب الحظ بالناس ، أو للناس .

قال : انه كان يبحث عن رجل من أواسط الناس يعينه وزيرا لكى يعرف النـاس ان عهد الوزراء الباشوات قد انقضى .

وجلس فى مكتبه يفكر ، عندما قيل له ان الاستاذ نجيب الغرابلى يطلب المقابلة . وكان نجيب الغرابلى اذ ذاك محاميا متوسطا فى طنطا . وكان يتولى لسعد زغلول بعض الاعمال القضائية ، وعرف فيه سعد زغلول الامانة ، والوطنية ، ولكنه لم يفكر فيـه وزيرا !.

ولكن حظ نجيب الغرابلى ارسله فى هذه اللحظة بالــذات : فى الوقت المناسب والمكان المناسب ، لكى يسد الفراغ الذى كان يحير سعد زغلول .

ودخل الرجل فى كشف الوزراء ، واصبح وزيرا ، ووزيرا ناجحا .

هذا يصور لك ما نريد ان نقوله .. هو ان الحظ موجود ، ولكن المشكلة هى كيف يلقاك ، أو كيف تلقاه فى الوقت المناسب ، والمكان المناسب ..

فى الصفحات التالية قسم خاص يحدثك عن الحظ . ادع الله معنا أن تكون من أولئك الذين يجدهم الحظ ، فى الوقت المناسب ، والمكان المناسب ..

حظوظ تلعب بأقدار النابهين والأبطال

● فتحى رضوان ●

● مضى الايطالى ، ابن ميناء جنوه ، كريستوفر كولمبس ، فى السنوات ١٤٩٢ و ١٤٩٣ و ١٤٩٨ على راس ثلاث سفن الى المحيط الاطلسى ، بحر الظلمات ، يستدرجه امل الوصول الى الهند من الغرب ، وقد اخفق فى تحقيق امله ، ولكن كان اخفاقه أعظم من النجاح الذى يطمح اليه ويحلم به ، فقد كشف عالما جديدا ، فاضاف بهذا الفشل عالما جديدا الى الدنيا التى يعرفها الناس ، ويطاون ارضها ، ويتمتعون بخيرها ، قارتين تتراءى آفاقهما من المحيط الى المحيط وتمتد مساحتهما من القطب الى القطب ، وتفيض ارضهما وماؤهما بما لا عين رات ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

ولكن هذا المغامر الجسور ، عاد الى بلاده سنة ١٥٠٤ ، مجللا بالعار ، مكبلا بالاغلال ، ثم تحاشاه الناس ، فمات فقيرا لايكاد يجد قوت يومه .. فى حين ان افاقا ، كتب عن الدنيا الجديدة كتابا خلب الالباب ، واستولى على هوى القراء فاطلقوا اسمه « اميرجو » على هذا العالم الضخم ، وكانه لم يكتشفه فقط ، بل كانه خلقه خلقا ، وصنعه على عينيه ، وشكله بيديه !

هذا مثل ضخم فى التاريخ ، يرى كيف يعبث الحظ باقدار الابطال يرفعهم الى السماكين ثم يهوى بهم الى الدرك الاسفل ، وهم بين الارتفاع والانخفاض ، وبين الرفعة والخمول ، وبين الظهور والخفاء ، لا يكافأون على العمل المثمر ، ولا يعاقبون على الخطأ والتفريط ، بل يمنحون ويمنعون ، حسب قانون لا يعرف أحد نصوصه ، ولا أحكامه ..

وان أردت الحق ، فظاهرة اختفاء صاحب الموهبة ، أو تواريه ، أو قلة حظه مع حسن ما قدم ، ووفرة ما انتج ، وطول ما امتع او علم ، هى ظاهرة طبيعية ، وقد تخلو من الظلم الذى قد نتوهمه فيما يصيب العظماء من الجحود والاهمال .

فنحن نحكم على الشخصية العامة سياسية أو أدبية ، بمقياس واحد ، هو مقياس ما نعرفه نحن عن هذه الشخصية وننسى انه مجموعة من العناصر والصفات والخصائص وأن حياته ثمرة عوامل كثيرة ، تتعارض وتتواتر ، وتخرج آخر الامر شخصا آخر غير الذى نعرفه فيما



احمد عرابي :
فى البدء جاءت دعوة للنهاب الى نظارة الحربية



محمد عبيد :
حارب كألف بطل فى جسم رجل واحد

نقرؤه عن هذه الشخصية أو نقرؤه لها .
ولعل احسن مثل يفسر لنا قلة حظ بعض النابهين من رجال السياسة او الفكر ، ممن تتألق مواهبهم فيما قاموا به من الاعمال وما تركوه من الآثار هو ما نلاحظه فى أن بعض ذوى الوجوه الحسنة ، والقسمات الجميلة ، حينما يقفون أمام آلة التصوير ، فيبدون أقل جمالا ، بل قد يبدون من أول الوجوه المنكرة والتقاطيع المنفرة ..

هذا هو (القبول) الذى تقول عنه (عامتنا) ، وهو لفظ بسيط وسهل ، ولكنه ممتنع على الشرح ، لا تدرى سره ولا تحلله الى عناصره ، ولكنه يوجه تاريخ الانسانية ، ويقدم ويؤخر الكبار ، ذوى الصدارة ، فى مسرح الامم ومجال الاحداث العظمى ، فاذا الذكى ، الذى واتته بلاغة البيان ، وقوة اللسان ، وحدة الذكاء ، وسرعة الخاطر ، المقدام الجسور الفعال ، رجل فى المؤخرة ، أو فيما يقرب منها ! ..

والامثلة كثيرة فى الشرق والغرب ، والقديم والحديث ، لعل اظهرها فى التاريخ المعاصر ، وصول (أتلى) فى انجلترا ، الى زعامة حزب العمال ... و « ترومان » فى الولايات المتحدة ، عقب وفاة الرئيس (روزفلت) الذى بقى فى رياسة الجمهورية لبلاده أربع مرات خلافا لنص الدستور الذى يحرم على الرئيس أن يبقى فى دست الرياسة أكثر من مرتين ..

وقد بقيت أتحدث كلما لاحت فرصة عن عدد ممن أخطأهم الحظ ، فنسيت أقدارهم ، وألقى عليهم الاهمال ، أو قل الجحود ، ظلالها الكثيفة ، حتى غابت أسماؤهم ، وطمست آثارهم ..

فى مقدمة هؤلاء من رجال الحرب والسياسة اثنان هما : محمد عبيد بطل الثورة العرابية ، وعبد الرحمن فهمى ، قائد ثورة سنة ١٩١٩ ، فى أثناء غيبة زعماء الثورة فى الخارج ، وعند احتدام الاحداث ، أو اضطرام المعارك .

ومن رجال الفن اثنان هما : محمود مراد ، وعبد الرازق عنايت .

ومن رجال الأدب اثنان هما : محمد صبرى السربونى ، وعبد الرحمن شكرى
وعندما تقرأ تاريخ مصر ، وتقلب صحائفه السياسية ، ثم تنتقل الى صحائفه الفنية والسياسية ، ترى عجبا . ترى الابطال المغاوير ، والمفكرين الافذاذ ، والمجاهدين الصامدين ، وقد استحالوا الى ما يشبه الخارجين على القانون ، الذين تطلب رؤوسهم العدالة ، ويتعقب آثارهم رجال الامن ، مدججين بالسلاح ، معززين بوسائل قص الأثر ، فان هؤلاء يتوارون عن الانظار حتى تغيب اشخاصهم

وأسماؤهم ، ما لم يدقق الانسان في المراجع والآثار الباقية ، وعندها يتضح لهؤلاء ، أثر عظيم ، وجهد باق ، وأيد تطوق عنق البلاد ..

***

اما محمد عبيد ، فقدمهد لثورة سنة ١٨٨١ ، التي عرفت في التاريخ المصري الحديث ، باسم الثورة العرابية ، مهد لها بما حفظ قادتها ، ودفع مسيرتها ، ولو لم يقيض الله لمصر هذا البطل بكل جرأته ، وثبات جنانه وقوة ايمانه لما وقعت هذه الوقعة الكبرى ، التي كانت بغير شبهة بداية للقومية المصرية في أحدث أدوارها .. احست معها بنفسها ، وعرفت طريقها ، كما عرفت اعداءها .

ولا يغض من هذه الحقيقة ، ان هذه الثورة أفضت الى الاحتلال البريطاني وانطوت صحائفها على مواقف لا ترضي الكبرياء المصرية ، ولا تتسق مع مثالية المجاهدين المؤمنين . ولكن الذي يطلب بطولات لا تشوبها نقائص البشر ، ولا تعلق بذيلها زلات بني آدم ، عليه أن يلتمس في عالم الاساطير الابطال الذين تتجاوز قدراتهم طاقة البشر ، فيستحيل الحديث عنهم لونا من الخرافة الممتعة التي لا تثبت لضوء الشمس ..

وقد بقي محمد عبيد بطلا لا ند له في الثورة العرابية عندما بدأت ، ثم عندما وقعت المعارك بين الجيش المصري والجيش البريطاني ، فقد كان اول من امتشق سيفه ، وكان الوحيد الذي استشهد من زعمائها في ميدان القتال وتحت غبار المعركة ، وقد كان قبره تحت سنابك جواده ، لم يعثر له على جثمان ، ولم يقم له ضريح ..

في بداية الثورة ، وهو بعد جنين في بطن التاريخ ، عرض عثمان رفقي وزير الحربية المصري الشركسي الاصل ، على مجلس الوزراء الذي كان يرأسه رياض باشا ، ان يحتال على قادة الثورة احمد عرابي ، وعبد العال حلمي ، وطلبة عصمت ومحمود فهمي حتى يلقي القبض عليهم ثم يزجهم الى السجن العسكري ، ثم يعقد لهم محاكمة عسكرية ، ثم ينفذ فيهم حكم الموت أو على الأقل النفي ، وتهيب رياض باشا من هذه المجازفة ونصح بعدم الاقدام عليها ، وصمم رفقي على انفاذها ، ومازال بالوزراء حتى وافقوا وفي أول مايو سنة ١٨٨٢ تلقى عرابي وزملاؤه دعوة للحضور الى نظارة الحربية وكانت مبانيها في ثكنات قصر النيل التي بقيت زمنا طويلا على شاطيء النيل الغربي ، بالوانها الحمراء القاتمة حتى ازيلت في احتفال بعد ثورة ١٩٥٢ ثم بنيت في مكانها دار الجامعة العربية وفندق هيلتون .

وتداول الزعماء في هذه الدعوة التي فاحت منها رائحة المؤامرة فقد كانت المناسبة لا تستدعي دعوة كل هؤلاء القادة ، اذ لم تعد التداول في اجراءات الاحتفال بزفاف شقيقة الخديو ، ولكنهم كرهوا ان يتخلفوا عن تلبية الدعوة خوفا من شر يقع عليهم ، ورأوا أن شرفهم يقتضيهم أن يلبوها ، ويحتاطوا لاعدائهم فذهبوا في الموعد المحدد ، وقد تركوا عيونهم وارصادهم خارج مبنى الوزارة ، واتفقوا معهم على أنهم اذا لاحظوا طول مكث القادة داخل الوزارة عن الزمن المعقول والمناسب للمهمة التي دعوا اليها يخطرون اخوانهم وزملاءهم في ثكناتهم ليهبوا لنجدتهم ..

وطال غياب القادة العرابيين في مبنى الوزارة ، فاسرع من اخبر الاميرالاي محمد عبيد بك ، وكان في خدمة حرس الخديو فما كاد يتلقى النبأ حتى امتطى جواده ، وأمر ضباطه وجنوده أن يتبعوه ، ومرق بهم من باب قصر الخديو — قصر عابدين — الى ساحة الميدان متجها الى ثكنات الوزارة ، وكان الخديو توفيق في شرفة القصر ، فعجب لخروج عبيد واخوانه وجنوده في هذه الساعة فأمر قائد الحرس بملاحقته ورده

الى الثكنة ، وفعل الرجل ، وأسرع في اعقاب (عبيد) ، فلم يلتفت اليه ولم يحفل به ، وانطلق ينهب الارض الى (وزارة الحرب) ، واقتحم بابها ، مزيلا من طريقه الحراس ، وراح يبحث هنا وهناك عن (عرابى) واخوانه ، فاذا عثمان رفقي قد حقق مؤامرته ، فما كاد عرابى يصل الى الوزارة حتى زج به الى السجن ، وقد جرد من سيفه ، ونزعت عن صدره وكتفه شارته العسكرية ، وفعل الشيء نفسه مع زملائه .. وانعقد المجلس العسكرى ليحاكم هؤلاء الابطال الذين لم تكن جريمتهم سوى رفض الذل الذى تفرضه العناصر الاجنبية في الجيش المصرى ، والسيطرة الغريبة الزاحفة على مصر وسلطاتها ، وكان عثمان رفقي وأعوانه من خصوم المصريين يمنى نفسه بأن يخلص من عرابى واخوانه في نصف ساعة يتهمهم ويحاكمهم ، ويستصدر الحكم ضدهم، وبذلك تقتل الثورة ، وهى بعد براعم لم تتفتح ..

فاذا عبيد يقتحم أبواب الزنازين التى أودع الابطال فيها ، وكأنه اعصار هب فجأة بلا تمهيد ، واذا الاسرى الذين استدرجوا الى هذا المصير بنذالة وخسة ، قد عادوا الى الحرية ، وردت اليهم سيوفهم ، وشارات مجدهم وخرجوا رافعى الرأس ، في حين تولى الذعر وزير الحربية واعضاء المجلس العسكرى ، فتزاحموا على النوافذ ، ليقفزوا منها الى شاطىء النيل الذى كانت مبانى الوزارة تطل عليه وهبطوا الى الارض كما تهبط الاحجار الثقيلة ، بلا كرامة ولا احترام للنفس، ومنهم من قام يظلع بساقه ، ومنهم من لم يستطع الحراك من مكانه لرضوض وجروح !

***

وبقى محمد عبيد من قادة الثورة ، ينفخ في نارها ، وينظم صفوفها ، وينفى الضعف عن أتباعها ، حتى وقعت الواقعة الكبرى ، واسفر الانجليز عن وجوههم ، وحاولوا غزو مصر ، جهرة ، وعلى مرأى ومسمع من هذا الوهم الذى يسمونه الرأى العام العالمى ، وقد بدأوا أولا بمحاولة التدفق الى مصر من جانبها الغربى، أى من طريق الاسكندرية فدمنهور ، ولكنهم وقفوا عاجزين وحائرين امام التحصينات التى أقامها الضابط المهندس المصرى محمود فهمى باشا عند كفر الدوار ، فأستداروا الى الجانب الشرقى من مصر من الناحية المكشوفة ، اى قناة السويس ، حيث توالت معارك حاربت فيها الخيانة والخديعة والرشوة الى جانب الجيش الانجليزى والجند حتى انتهت الفاجعة الى معركة « التل الكبير » فامتشق محمد عبيد سيفه فوق صهوة جواده ، وحارب كألف بطل في جسم رجل واحد ، يدخل في صفوف الاعداء ، ويكر ، وقد فر من فر ، واستسلم من استسلم ، واستبسل من استبسل ، حتى استشهد ثم داسته سنابك الخيل وأقدام المقاتلين ، فلم يعثر له على جثمان ، ولم يقم له ضريح ...

ثم حدث ما هو ادهى وامر ، فانك ان طفت مصر ، شبرا شبرا ، باحثا عن اسم « محمد عبيد » على درب او شارع ، او مدرسة او معهد ، او ضريح او مبنى ، فانك ستبوء بالخيبة والفشل ... وستمنى بهما ايضا ان فتشت في دواوين الشعراء منذ كانت الثورة العرابية حتى اليوم ، او في قصص القصاصين ، واعمال المسرحيين ، لتجد بيتا من الشعر او مشهدا يخلد ذكرى هذا البطل العظيم ، او يتخذ من بطولته الفذة ، ووطنيته الملهمة ، وسيلة لاثارة انبل المشاعر وأسماها في نفوس المصريين .. ولكنك ستجد صحائف طويلة وكلاما لا ينتهى على من هم دونه شجاعة وفدائية ، واسهاما في الثورة وايمانا بها وفناء فيها ..

ولا تفسير الا انها حظوظ ومقادير .

●●●

وبعد أقل من نصف قرن ، كانت ثورة أخرى ، وظهر « اميرالاى » آخر.
اما الثورة فكانت ثورة سنة ١٩١٩ .
وأما الضابط الفذ الغريب ، فقد كان عبد الرحمن فهمى ..
لعب دورا شبيها بدور سلفه محمد عبيد من حيث ما استهدفه من خطر ، وما ضربه من مثل ، وما حققه من خير، منذرا نفسه فى غير تخوف ولا احتياط، بائعا روحه بلا من ولا ادلال ، متقدما الصفوف فى غير طمع ولا انانية ..

فى مارس سنة ١٩١٩ انفجرت القضية المصرية ، مروعة ورائعة ، فى وجه سلطات الحكم البريطانى ، التى لم تكن تظن ان هذا الفلاح البسيط الهادىء المسالم ، يمكن أن يستحيل الى متمرد ثائر ، وان يمارس عنفا لم يخطر على بال . ولكن لم تكن هذه الفرقعة المدوية سوى غضب الحليم ، فان بريطانيا منذ وقعت المجزرة البشرية الاولى التى سميت بالحرب العالمية ، فى النصف الثانى من سنة ١٩١٤ ، احست بقبضة العسكرية الجرمانية الرهيبة تمسك بخناقها وتكاد تزهق روحها ، فلم يكن امامها مفر الا أن تعتصر موارد الشعوب التى رزحت تحت نير التاج البريطانى سواء كانت بشرية أو اقتصادية ، ومن ثم فقد عاث ممثلو بريطانيا فى مصر فسادا ، يصادرون الارزاق ويطاردون الحريات ، وينشرون ظلاما كثيفا ماديا وروحيا ، حقيقة ولا مجازا .

وكانت بريطانيا طوال سنوات المجزرة البشرية تعلن فى ملل بانها تحارب من اجل الحرية وتقرير مصير الشعوب بنفسها . فلما وضعت الحرب أوزارها وجد الشعب المصرى يده صفرا من هذه الوعود ، فلا الحرية عادت ، ولا الاحكام العرفية ألغيت ، ولا أسعار الحاجيات اعتدلت ، ولا مرافق العيش انتظمت .

وكانت القلة من أبناء الحزب الوطنى التى تركت خارج المعتقلات ، وبعيدا عن المنافى ، يحرضون المصريين على الثورة التى بقيت تداعب خيال زعيم الحركة الوطنية فى المنفى فى المانيا وسويسرا ، فيذكرها فى مذكراته التى يبثها لواعج حزنه ، وينفس فيها عن ضغوط همومه .

تحدى المصريون السلطة البريطانية الظافرة فى أوائل سنة ١٩١٩ ولم يكن فى ايديهم سلاح يشهرونه ، ولم تكن امامهم خطة يتبعونها ، وغاب عنهم زعماؤهم القدامى والمحدثون ، فمحمد فريد مات فى برلين وحيدا شريدا ، وتلاميذه شردوا فى طول أوربا وعرضها، وسعد وصحبه نفوا الى مالطة ، واصبحت الحاجة ماسة الى رجل يضم الصفوف ، ويشد العزائم ، ويضع الخطط ، ويأمر وينهى ، ويعد ويهدد ، ويبعث الامل ، ويطارد اليأس ، ويعلم الشباب ويدربهم ويحذرهم ، ويشجعهم ويقى الحركة من ملل الشيوخ وميلهم الى المهادنة والتسليم ، فبرز من بين الصفوف مجاهد مجهول ، كان ضابطا فى الجيش ، ثم انتقل الى الوظائف الادارية فكان وكيلا للمديريات ، ثم مديرا فى الجيزة وبنى سويف ، ولم تكن له سابقة جهاد ، ولا خبرة بشئون السياسة ، ولكنه تلقى من الشعب الوحى ، واستهانته بالموت ، وحرصه على الحرية ، وقدرته على الفداء ، وحسن طاعته للائمة والزعماء . فكان عبد الرحمن فهمى . كان مصر كلها ، بريفها وحضرها ، بشبابها وشيوخها ، طوال الفترة العظيمة التى بدأت بها الثورة صحائفها ...

خرج الغرب ــ المهزوم فيه والمنتصر على السواء ــ من المجزرة البشرية مثخنا بالجراح ، فقيرا ، مدينا ، تتهدده الثورات ، والمجاعات والاوبئة ، ولذلك كانت حركات التحرير فى البلاد العربية والشرقية ، التى تستهدف القاء نير



عبد الرحمن فهمي
ادار الحركة الوطنية بكفاءة واقتدار

الحكم الاستعماري الغربي عن كواهلها، تخيف دول اوربا ، وتبعث في قلوب قادتها الفزع ، وقد كانت ثورة سنة ١٩١٩ في مصر ، نذيرا بان الامور لن تسير على هواهم ، ولذلك فقد تواصى الغرب كله على تشويه هذه الثورة والحط من قدرها ، بتسميتها «القلاقل في مصر» وقد ضنوا عليها جميعا باسم «الثورة» ، ولكن عبد الرحمن فهمي لم يزل يدبر الثورة في الجانب السياسي منها في مصر على وجه من الحنكة والبراعة حتى سلمت صحف بريطانيا الكبرى بان ما يجرى في مصر — في غيبة زعمائها — هو ثورة بالمعنى الحرفي لهذا اللفظ .. فقد كان عبد الرحمن فهمي يعرف مهاب الدسائس ، فيقفل الباب في وجهها ، من ذلك محاولة الانجليز التفرقة بين المسلمين والاقباط، فاحكم عبد الرحمن فهمي الرباط بينهما واصبح من تقاليد الثورة ان يخطب القسس في المساجد ، وان يخطب علماء الازهر في الكنائس ، وان يصنع لمصر علم جديد يحمل الهلال والصليب

وحدثت مضاعفة خطيرة ، اذ تفتقت حيلة السياسة البريطانية عن ارسال لجنة بزعامة احد دهاقين ساستها هو اللورد ملنر ، ليعلن انه جاء يتحرى أسباب الغضب المصرى ، مؤملا ان يفرق صفوف المصريين ، بين معتدل ومتطرف وراغب في التفاهم مع الانجليز ومنصرف عن ذلك ، فواتت بديهة عبد الرحمن فهمي بحل مثالي لهذه المحنة اذ قرر ان المصريين لن يستقبلوا اللجنة ، ولن يستمعوا لها ، ولن يسمعوها ، وأنه لا مناص للورد واعوانه من العودة الى زعماء مصر الذين كانوا آنذاك في باريس، واحكم الحصار الوطنى على لجنة ملنر وصحبه ، حتى لم يجد انسانا واحدا ذا قيمة يقبل أن يرد لها تحية او يجيب عن سؤال منها . وكان هذا النجاح شهادة لوحدة المصريين وحسن تنظيمهم وكفاية قائد حركتهم عبد الرحمن فهمي.

فلم يكن هناك مناص امام بريطانيا سوى اعتقال عبد الرحمن فهمي ، والزج به الى السجن بتهمة تآمره على حياة السلطان فؤاد ووزرائه واتباعه ، وتدبيره لحوادث التخريب والتدمير في مايو سنة ١٩٢٠ .

ثم اقاموا محكمة عسكرية في المدة من ٢٠ من يوليه سنة ١٩٢٠ حتى ٦ من اكتوبر في السنة ذاتها برياسة جنرال انجليزي اسمه «صرولون» ، فارتفع عبد الرحمن فهمي ، من مرتبة القائد عند الشعب المصري الى مرتبة الشهيد، فاصبح اسمه على كل لسان ، والدعاء له يرتفع بعد كل صلاة وصورته في كل مقهى وناد ، واصوات المحاكمة شغل الناس الشاغل ، في البيت والطريق .

وغضب سعد زغلول لالقاء القبض على «عبد الرحمن فهمي» ، وهدد بقطع المفاوضة مع الانجليز ... وكان قد دخل في هذه المفاوضة مع ممثل الحكومة البريطانية في فرنسا . وسجل في مذكراته ان عبد الرحمن فهمي بمثابة جيش كامل ، وان الفراغ الذى يخلفه لا يملؤه احد ، وصدر حكم المحكمة الانجليزية العسكرية عليه بالموت، ثم خفف الى السجن والاشغال الشاقة ١٥ سنة .

حظوظ تلعب بأقدار النابهين والأبطال

وقد كان الانجليز يخافون من عبد الرحمن فهمى القائد الثورى الكفء الذى بلغت صلابته وعناده أقصى الحد ، ولكنهم كانوا يخافونه اكثر من ذلك بكثير ، بوصفه رائد الحركة العمالية فى مصر ، اذ نجح فى تاليف اتحاد لنقابات العمال كان يضم أكثر من ١٢٠ نقابة و ١٥٠ الف عامل ، وهذه قوة كانت آنذاك ، تبعث الفزع حقا .

وخمدت نار الثورة ، ودبت الفرقة بين المصريين ، وقامت حرب أهلية تطايرت قذائفها ، واصبح اخوان الامس اعداء ، ولم يعد لعبد الرحمن فهمى مكان ، فنسى عمله ، حتى لقد رشح نفسه فى احدى الدوائر العمالية ، فلم يظفر الا بثلاثة وثلاثين صوتا .. وتوارى القائد ، ونسى الناس اسمه ، ولم يعد احد يعرف أن ثورة ١٩١٩ لم تعرف قائدا مثله ، فى أعظم ادوارها ، حينما كانت حركة قوية شاملة لكل مصر ، من اقصاها الى اقصاها تسير على خطى مرسومة ، وتهتدى بخطة مدروسة ...

ولم يقم لعبد الرحمن فهمى تمثال ، ولم يذكر اسمه على ميدان ، واذا ذكر اسمه خلطوا بينه وبين عبد الرحمن الرافعى حينا ، أو بينه وبين عبد العزيز فهمى حينا آخر .. وراح واحدا من الذين اخطأهم الحظ بلا ذنب ارتكبه .

***

فاذا انتقلنا الى عالم الفكر والفن قابلنا مثلين آخرين من هذه الضحايا ، التى توارت فى صفحات التاريخ ، فى صمت وسكون .. اولهما عبد الرازق عنايت ، وثانيهما محمود مراد ، وكلاهما اتصل بالمسرح ، وهام به ، وبذل فى سبيله كما يبذل المؤمن فى سبيل عقيدته ..

وقد تفتحت عبقرية محمود مراد مبكرة ، ثم انطفأت بانطفاء حياته وهو بعد فى مقتبل العمر ، يحلم بأعمال كبار ، ويتهيأ لها . وقد كان مصريا قحا ، ولد فى حى بولاق ، ونشأ فيه ، وارتبط به ، حتى بعد أن اتم تعليمه فى مدرسة المعلمين العليا واوفدته بلاده ليحصل على مزيد من العلم فى الآداب من انجلترا ، ليعود مدرسا للتاريخ فى مدرسة الخديوية .

ولما عاد الى مهنته الاصلية ، مهنة التعليم والتلقين ، لم يقنع بالواجب التقليدى للمدرس فى مصر ، بل فتح فتحا فى الثقافة الرفيعة ، المدرسية والعامة ، اذ وضع مسرحية شعرية استوحاها من تاريخ مصر القديم ، وسماها « مجد رمسيس » فحقق بهذا العمل الواحد اربعة اهداف عظيمة كانت تستعصى على فحول عصره ، اولها وضع المسرحية الشعرية ، واقناع سلطات التعليم بان المسرح المدرسى اداة اصيلة وعميقة وبعيدة الأثر فى تعليم الناشئة وتلقينهم وتهذيب وجدانهم ، وتحريك خير نوازعهم ... ثم تقديم اوبريت مصرية كاملة ، فى حين كان الغناء الفردى المتمثل فى « التخت » ، هو الفن السائد والمسيطر آنذاك ، وكان الغناء المسرحى يحاول أن يولد فى المسارح العامة على يدى الفنان العظيم « سيد درويش » وانداده فى ذلك العهد المبكر فى حياتنا الفنية كعهد كامل الخلعى ، وداود حسنى ، وسلامة حجازى من قبلهما .

والهدف الثالث تثقيف اصوات تلاميذ المدارس الثانوية بتعليمهم الاداء الغنائى الشاق ، المضبوط بالقواعد العلمية الحديثة ... وأخيرا اخراج مسرحية مدرسية كاملة ، بوسائل المدرسة المحدودة ، ونطاقها المعروف ، وداخل جدران المدرسة ، ثم دعوة أهل الفكر والفن ، واولياء الامور فى الحكومة ، والبيوت ليشهدوا عملا فنيا متكاملا ، ناضجا وناجحا .

وقد نجح فعلا نجاحا مشهودا وكان لهذا العمل الفنى الرائد أثره فى دنيا واسعة تمتد من مدرسة الخديوية الثانوية ، حتى الصحافة ، ودوائر المسرح والغناء والتلحين .

ولا تنس أنه كان عملا وطنيا فى الوقت

نفسه ، اذ لم يكن مجرد مسرحية تؤلف اعتباطا بل كانت استلهاما لتاريخ مصر القديم ، والاشادة به .

ولم يقف جهد محمود مراد عند هذا الحد فقد بعث بتلميذه في المدرسة ، محمد رجائي ، الى معهد « برجرين » ليتعلم الاداء الصوتي السليم والموسيقى الغربية على أصولها الصحيحة ، وبذلك فتح باب التربية الموسيقية السليمة ، وقد تبع محمد رجائي في الانتساب الى هذا المعهد « محمد عبد الوهاب » وكان الفضل في ذلك الى محمود مراد الذى لم يقف جهاده عند هذا القدر الباهر من التجديد ، والريادة ، اذ ترجم مسرحية « البروكة » الغنائية ، وقدمها لسيد درويش الذى لحنها ، وكانت سبقا فنيا بقى اثره الى اليوم ..

واضاف محمود مراد ، الى آلائه ما ترجمه الى العربية من عيون الادب الغربي ، بلغة عربية ناصعة . ولو مد الله في أجل محمود مراد ، لأثمرت هذه البذور التي ألقاها في سخاء ، ولأصبحت اشجارا باسقة ، فقد كانت في حاجة الى رعايته الحميمة ، وحبه الذى يبذل بغير من ولا تردد . ولكن الله اختاره لجواره فمضى مع عمله العظيم ، ووطنيته الصادقة ، ومواهبه العديدة ، مجهولا غير مذكور ... فأنت لا ترى لاسمه أثرا في صحائف التربية والتعليم ، ولا في تاريخ الادب والترجمة الادبية .. وكأنه لم يشق طرقا مجهولة ، ولم يضع اسسا لأعمال مجيدة ، بقيت بعده ، منسية مجهولة ومتروكة على حساب المصلحة العامة في كل ناحية واتجاه .

●●●

اما المجاهد الفذ ، عبد الرازق عنايت فهو جدير بأن يؤثر بصفحة كاملة في تاريخ المسرح المصري ، وأن توضع له لوحة في اكثر من مسرح ، وأن يطلق اسمه على شارع من الشوارع التي تقام فيها المسارح وقاعات الفن . ففي وقت مبكر جدا ، اقام هذا الرائد المجهول مسرحا من حر ماله ، على أرض سوق الخضار بأرض العتبة الخضراء ، قبل أن تصبح سوقا بطبيعة الحال ، وكان مسرحا حديثا من حيث بنائه وتصميمه ، ومن حيث ادواته ومعداته . ووضعه في خدمة مسرح «**احمد ابو خليل القباني**» الرائد الثاني للمسرح العربي بعد مارون نقاش وأخويه نقولا وسليم نقاش ، ولكن هذا المسرح لم يلبث أن احترق عن آخره ، فأتت النار عليه من القواعد ، وكان آنذاك ثروة قائمة بذاتها ، في وقت ينفق فيه الاغنياء مالهم على بناء الدور التي تدر عليهم المال . وكانت هذه الصدمة جديرة بأن تفت في عضد عبد الرازق عنايت ، وأن تصرفه عن المسرح ، أو على الاقل عن الانفاق في بناء دور للمسرح ، ولكن ايمانه كان أكبر من أن تقضى عليه صدمة واحدة ، ولو كانت بهذه الفداحة ، فقد اسس في الشر مسرحا جديدا في شارع الباب البحرى لحديقة الازبكية غير بعيد عن ميدان الخازندار وشارع الجمهورية « ابراهيم باشا سابقا » وأطلق على هذا المسرح « دار التمثيل العربي » وهو مسرح اقترن بالكثير من أدوار المسرح في بلادنا ، وشهد الكثير من أيام ازدهاره كما شهد الكثير من محنه .

وفي هذا المسرح اقيمت لأول مرة المقاصير « البناوير والالواج » للسيدات وخصص لهن باب خاص ، واقتنى الكثير من المناظر الفخمة والثياب الغالية والمعدات الفنية التي لم يحصل عليها مسرح آخر بعده من المسارح الاهلية وبعض الحكومية . وعلى هذا المسرح تألق الشيخ سلامة حجازى وبقى يجلجل فيه صوته حتى أصيب بالفالج في ١٨ من يوليه سنة ١٩٠٩ ولكنه عاد اليه بعد أن تماثل للشفاء .

●●●

هذه هي حفنة من العظماء الذين غبناهم ، وجحدنا فضلهم ، نذكر بعض ماعملوا ، لتؤدى اجيال المستقبل حقهم ، وليرفعوا ذكرهم ، وليذيعوا على الناس خيرهم . ●

حظوظ وأقدار عند الشعراء القدامى والمحدثين..

● محمد عبد الغنى حسن ●

● ما رأيت أكثر إيمانا بالحظوظ والاقدار من شعراء العرب : قديمهم وحديثهم ، جاهليهم واسلاميهم ، مسلمهم ومسيحيهم .. فهى فكرة راسخة التقوا عليها قبل ان يلتقوا على دين.. ولقد أدار شعراء العرب ألفاظ « الحظوظ » و « الجدود » و « المقدار » و « القضاء » على كثير من اشعارهم ، مما يدل على انهـا كانت فكرة راسخة وعقيدة ثابتة .

وإذا كنا نجد شاعرا اسلاميا تنسك وتزهد بعد لهو وغزل مثـل « ابى العتاهية » يجعل نقش خاتمه هـذا البيت المؤمن بحتمية القضاء :

سيكون الذى قضى ... سخط العبد أم رضى

فانا نجد قبله باربعة قرون تقريبا ، وفى ذروة العصر الجاهلى ، شاعرا جاهليا وثنيا غير ذى دين كتابى ، يؤمن بالقضاء المحتوم ، والقدر المقـدور ، فيذهب الى قيصر ملك الروم مستعينا به على استرجاع ملكه ومعه صاحبه ورفيق دربه : « عمرو بن قميئة » فيبكى الصاحب والرفيق تخوفا مـن المجهول ، ولكن « امرأ القيس » يدفعه ايمانه بالقضاء المحتوم الى الاقبال على السير ، والمضى على الدرب . ويصور لنا هذا الاطمئنان فى أبياته الرائيـة التى يقول فيها :

بكى صاحبى لمـا رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقـان « بقيصرا »
فقلت له : لاتبك عينـك ، انمـا ... نحاول ملكا او نموت فنعذرا ..

والواقع ان الشـاعر امرأ القيس ــ ونحن نبدأ به مرحلة الشعر العـربى فى مسارها الطويل ــ كان مؤمنـا بالحظ الى حـد بعيد وعنده أن المرء مادام مجدودا ــ أو محظـوظا ــ فلن يضره العجز ، ومادام محـروما فلن ينفعه السعى والكد :

عاجز الحيلة مسترخى القوى ... جاءه الدهر بمـال وولـد
ولبيب ، آبى ذو مـرة ... محكم الآراء ، مأمون العقـد
خصـه الدهر ، وغطى حزمه ... وانتضـاه من عديد وسـبد
لا يضر العجز ذا الجـد ، ولا ... ينفع المحروم ايداع وكـد

وفكرة الايمان بالحظوظ والاقـدار قد دفعت كثيرا من شعراء الجـاهلية الى اقتحام الغمرات ، واقدامهم أنفسهم على المكاره . فالشاعر « طـرفة بن العبد » يقول فى ايمان بالاقدار :

إذا كان جد المرء فى الشئ مقبلا تأتت له الأشياء من كل جانب
وإن أدبرت دنياه يوما توعرت عليه، فأعيته وجوه المطالب

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى
فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى ابادرها بما ملكت يدى

وكذلك كان الشاعر الفارس «عنترة العبسى» ، فقد حمله ايمانه بالمقدور على خوض المعارك مادامت المنية منهلا يرده كل انسان :

بكرت تخوفنى الحتوف كاننى اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها : ان المنية منهل لابد ان اسقى بكاس المنهل

وقد رسخ الايمان بالأقدار والحظوظ فكرة الشجاعة عند ابطال الشعراء فى الجاهلية ، كما رسخ فكرة أخرى تريح العليل من التفكير فى العلة، وهى أنه لا نفع للدواء اذا حم القضاء. واذا كانت هذه الفكرة قرينة اليأس فان فيها راحة لنفوس الأعلاء . وما أصدق الشاعر « ابن احمر الباهلى »، وهو يعبر عن ذلك قائلا :

شربنا وداوينا . وما كان ضرنا اذا الله حم القدر الا تداويا

وشر ما جلبته فكرة الايمان بالحظ والقدر، انها قد تكون جنت على أصحابها الشعراء ان يجنحوا الى التواكل وإيقاف السعى فى الحياة، وهى جناية تضيع من قيمة العمل فى الحياة . وكثيرا ما حث القرآن على « العمل » حتى، لا يتوقف دولاب الحياة. ويمثل هذه الفكرة الشاعر المخضرم «كعب بن زهير» حيث يقول :

لو كنت اعجب من شىء لاعجبنى سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها والنفس واحدة والهم منتشر

ومن حسن الحظ أن « البحترى » فى حماسته نسب هذا الشعر المثبط الى شاعر غطفانى غير كعب بن زهير ، فبرأ بذلك ساحة « كعب » من تهمة التواكل فى الحياة ..

وعجيب أن روح التقاعد هذه ، المنبثقة عن فكرة الاطمئنان الى الحظوظ والاقدار ، ظلت تسرى من العصر الجاهلى الى عصر صدر الاسلام فالعصر الأموى ، حتى رأينا شاعرا مثل « عروة بن أذينة » يفد على الخليفة هشام بن عبد الملك ، فينكر عليه هشام قوله :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى ان الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه ولو قعدت أتانى لا يعنينى

وترتبط فكرة الحظوظ والاقدار بالرزق منذ العصر الجاهلى ، حتى باتت أكثر ما تستعمل مع الفقر والغنى، وان كان ذلك لا يمنع ارتباطها بالعافية والمرض ، والشقاء والسعد ، والقوة والضعف ، والجدة والحرمان . وقد نفى شاعر جاهلى من بنى قريع ان يكون للمرء حيلة فى غناه وفقره ، فما هى الا حظوظ وجدود . وبهذا ينتفى أن يصف الناس الفقير بالعجز ، والغنى بالقدرة .

و « الحظ » فى نظر الشاعر العربى - جاهليا كان أم اسلاميا - لا يجلب الغنى او يطرده وحسب ... ولكنه يقرب ابعد الأشياء ، ويحسن أقبح المناظر ... كما أن الحظ التعس يباعد القريب ، ويقبح الجميل، وقد عبر عن ذلك الشاعر بقوله :

اذا كان جد المرء فى الشيء مقبلا تأتت له الأشياء من كل جانب
وان ادبرت دنياه يوما توعرت عليه ، فأعيته وجوه المطالب

كما احسن التعبير عنه الشاعر « عبد الله بن يزيد الهلالى » بقوله :

الجد املك بالفتى من نفسه فانهض بجد فى الحوائج او ذر
ما اقرب الأشياء حين يسوقها قدر ، وأبعدها اذا لم تقدر

ويبدو ان الشعراء ـ وخاصة المحدودين منهم ـ قد روجوا فى اشعارهم لفكرة ان الحظ الحسن والعقل لا يجتمعان .. ، وذلك تسويغا لما هم فيه من حرمان ، فهم يؤكدون فضلهم وعقلهم بما حصل لهم من لنحس وقلة البخت ! وقد وجدوا من الكتاب من يروج لهم هذه الاقوال ، ويجريها مجرى الأمثال ... فنقرأ ـ مثلا ـ مثل هذا القول : من زيد فى عقله نقص من حظه . ونصادف مثل هذه العبارة : ما جعل الله لأحد عقلا وافرا الا احتسب عليه من رزقه ! ومن هنا نجد مثل قول الشاعر :

وخصلة قل فيها من يخالفنى الرزق والحمق ملزومان فى قرن

وقول الآخر :

خاب امرؤ ظل يرجو ان ينال غنى بالعقل ما عاش فى دهر المجانين !!

ثم نتقدم خطوة لنصادف الشاعر الفحل الذى كثيرا ما كانت الأقدار تعاكسه وهو يقول فى كبريائه واعتداده المألوف :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأبعد من ان اجمع الحظ والفهما!

وكان « المتنبى » هنا يقول مع المثل المشهور : ذكاء المرء محسوب عليه..

ولقد ذهب بعض شعراء العربية فى سبيل تقدير « الحظوظ » الى حد تعطيل كل آلة للعمل فى الحياة ، فالسيف ينبو حين لا يساعف الحظ ، وقلم البليغ حين لا تسعد المقادير ـ شبيه بالمغزل .. اى تتجافى عنه البلاغة ، وتزور عنه الفصاحة ، ويخطئه الابداع ...

فهذا شاعرنا « الفرزدق » يؤتى الخليفة سليمان بن عبد الملك بأسرى من الروم وهو حاضر ، فيأمره الخليفة بأن يضرب فى اعناق هؤلاء بالسيف ، ويدفع اليه سيفا كليلا ، فيضرب عنق واحد من الأسرى فينبو السيف ... فيضحك سليمان ومن فى مجلسه من الحاشية ، فيقول « الفرزدق » معتذرا عن نبو السيف فى يده :

لم ينب سيفى من رعب ولا دهش عن الأسير ، ولكن اخر القدر
ولن يقدم نفسا قبل ميتتها جمع اليدين، ولا الصمصامة الذكر

وهذا الشاعر ابو العلاء المعرى يقول :

لا تطلبن بغير حظ حاجة قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح ، وهذا اعزل ..

وما أفظع ان يقع انسان بين عجلتى حظ مقبل وحظ مدبر ، فتقرأه فى حاليه اذا كان شاعرا ـ وتحس بالفرق بين حلاوة الاقبال ، ومرارة الادبار . . . وقد حدث هذا لملك شاعر رقيق الحس ، هو « المعتمد بن عباد » . وقد تنبه المستشرق الاسبانى « انخل جنثالث بالنثيا » الى شعر « المعتمد » فى سعوده ، وشعره فى منفاه . وهو موقف يعكس ما بين حالتى السعد

لاتطلبن بغير حظ حاجةً   قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما   هذا له رمح ، وهذا أعزل

والنحس من مفارقات . ولا شك ان الحظوظ السعيدة الحسنة تريش اصحابها ، أما الحظوظ التعسة فتستل النصول من النبال ... ولعل الشاعر « عائد بن حبيب الأسدى » كان يقصد هذا المعنى تمام القصد حين قال :

الا بكرت عرسى على تلومنى   وتزعم انى راكب جمل الفقر
تريش الجدود الصالحات بنيهم   وجدى بسكينيه متبركا يبرى . . .

وما أكثر شاعر عربى من الحديث عن « الحظ » ومفارقاته وعجائبه مثلما فعل الشاعران : ابن الرومى ، وابو العلاء المعرى .

فابن الرومى قد عالج « الحظ » فى ديوانه معالجة تؤكد ايمانه به ، وسخطه عليه ، وتسليمه اليه . وظل ايمانه بالحظ الى اللحظات الأخيرة التى كان يودع فيها الحياة . وما أصدقه وهو يقول وهو من أواخر شعره :

غلط الطبيب على غلطة مورد   عجزت محالته عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب ... وانما   خطأ الطبيب اصابة الاقدار

فحين يخطىء الطبيب او يعجز فما ذلك الا اصابة من « القدر » الذى لا يخطىء ولكنه دائما مصيب .

ولم يبعد ابن الرومى — فى معرض تحدثه عن الحظ — عن راى الشعراء السابقين الذين جعلوا الجمع بين الرزق والعقل مستحيلا . فالجهلاء فى بلهنية ، وذوو العلم والتجارب فى شظف من العيش :

عزت مطالب دنيا كل ذى ادب   وهان مطلب دنيا الانوك الحلق
وقدر الله فيها ان يذللها   فهان مطلبها للجاهل الحمق
فليس ينفك ذو علم وتجربة   من ماكل جشب ، او مشرب رنق
وذو الجهالة منها فى بلهنية   من مسمع حسن ، او منظر انق
تبارك العدل فيها حين يقسمها   بين البرية قسما غير متفق

ويلح الشاعر ابن الرومى — فى غير موضع — على حظوظ الأغبياء ، وتعس العقلاء ، كما يلح على ارتفاع الأدنياء ، وسقوط الحكماء . . ويلوك المعنى الذى لجأ اليه بعض الشعراء المكدودين المحدودين ، من ارتفاع الجيف فوق الماء ، وهبوط الدرر فى الأعماق ، فيقول فى نسجه الخاص الرائع : —

طار قوم بخفة الوزن حتى   لحقوا غفلة بقاب العقاب
ورسا الراجحون من جلة النا   س رسو الجبال ذات الهضاب
ولذا ذاك للئام بفخر   لا ، ولا ذاك للكرام بعاب
هكذا الصخر راجح الوزن راس   وكذا الدر شائل الوزن هابى
فليطر معشر ويعلوا ، فانى   لا اراهم الا باسفل قاب
جيف انتنت فاضحت على اللجـ   ـة ، والدر تحتها فى حجاب
وغثاء علا عبابا من اليم   وغاص المرجان تحت العباب
ورجال تغلبوا بزمان   انا فيه وفيهم ذو اغتراب . .

على ان الذى كان يعزى « ابن الرومى » فى سوء حظه اعتقاده ان الحظ « متنقل » غير ثابت ولا قار ، فقد يبارح الحظ التعس ليحل محله حظ آخر سعيد :

صبرا فكم ناهض من بعد وقعته يوما ، وكم واقع من بعد ما طارا
اذا هوى الدر فى الميزان اصدره تاجا الى قمة العلياء سوارا . . .

و « الحظ » كما يراه ابن الرومى لا يحوج صاحبه المحظوظ الى معاناة او كد او سعى بل ياتيه وهو وادع ، لم يبذل جهدا ، ولم يحرك قدما ، على حين يتعب السيء الحظ ويشقى، فلا ينال من سعيه ادنى نصيب :

ارى «الحظ» يأتي صاحب الحظ وادعا ويعيي سواه ساعيا فيه متعبا
اذا كان مجرى كوكب سمت هامة علاها ، والا اعتاص ذلك مطلبا

على أن الشاعر ابن الرومى خرج من معالجة قضية « الحظ » بمعنى هجائى بديع ، فقد هجا يوما « ابا الصقر اسماعيل بن بلبل » ، فأراد ان يفتن — كعادته — فى اسلوب الهجاء فقال عن مهجوه :

ان « للجد » كيمياء اذا ما مس كلبا احاله انسانا . . .
يفعل الله ما يشاء ، كما شا ء ، متى شاء ، كائنا ما كانا !

وهكذا كان « أبو الصقر » مهجو ابن الرومى مسخا من اعاجيب الحظ العجيب . . .

***

أما « أبو العلاء المعرى » ، فقد ادار قضية « الحظ » و « البخت » فى شعره على أوسع ما تدار عليه قضية يثيرها شاعر حصيف، محدود مكدود .

و « الحظ » عند المعرى لا يخص الانسان وحده ، بل هو ملابس للحيوان والنبات والجماد . تكلها يصيبها من الجد والحظ اقبالا وادبارا ما يصيب الانسان . ويطيل المعرى الكلام فى قضية الحظ عند الحيوان، فالحظ السعيد يجعل صغير الحيوان كبيرا ، ودنيئه عظيما . « والحظ » قادر ان يجعل أصغر الجراد ابلا كبيرة، كما انه قادر — حين يدبر — أن يهلك النعم والماشية :

« السعد » يجعل ذرى الدبى نعما والنحس يهلك ما للمرء من أمر

وقد يدرك « الحظ » السعيد النبات فيجعله الها معبودا ، كما يدرك الحجر فيجعله الها كذلك يعبد وتقدم له القرابين :

والسعد يدرك اقواما فيرفعهم وقد ينال الى ان تعبد الحجرا
وشرفت « ذات انواط » قبائلها فلم تباين على علاتها الشجرا ..

وذات انواط شجرة من السمر كانت تعبد فى الجاهلية ، وقد اشار اليها الحديث النبوى الشريف

ومجمل « الحظ » و « البخت » عند ابى العلاء المعرى أنه — اعنى الحظ — جعل الأصنام تعبد ، وانه يجعل التابع سيدا ، وانه يجرىء « الثعالب » « الهجارس » على الاسود فتفترسها ، وانه يجعل المرء عزيز الجانب حتى لتهاب الأسود غنمه . . .

وبالحظ يضحى تابع القوم سيدا وتأكل آساد العرين الهجارس

أرى "الحظ" يأتي صاحب الحظ وادعا ... ويعيى سواه ساعيا فيه متعبا
إذا كان مجرى كوكب سمت هامة ... علاها، وإلا اعتاض ذلك مطلبا

من يؤت حظا يبتهج ، ويكن له ... عز فترهب ضانه الآساد

و « الحظ » كذلك عند المعرى يضمن للبازى رزقه وهو فى وكره لم يبرحه ، كما يضمن للمرء مال عدوه من غير حرص ولا مكر ، ولو نحست قبيلة طىء لالحق « حاتم الطائى » بحى سواها استتماما لقوة السعد والنحس :

اذا سعد البازى البعيد مغاره ... تادى اليه رزقه وهو فى الوكر
ويحوى الفتى بالحظ مال عدوه ... على رغمه من غير حرص ولا مكر
ولو نحست طىء لالحق حاتم ... بحى سواها ، مثل تغلب او بكر

وتمتد لمسات الحظ فى راى المعرى الى « البلاد » نفسها ، فهى تشقى وتسعد كما يشقى الناس ويسعدون ... فهناك بلدة محرومة من الماء لا تناله ولو بالحفر البعيد ، مثل بلدة « كفر طاب » ، وهناك بلدة اخرى مثل « بالس » اغناها نهر الفرات ، عن ان يحفر اهلها بئرا ... :

ارى «كفرطاب» اعجز الماء حفرها ... و«بالس» اغناها الفرات عن الحفر
كذلك مجرى الرزق : واد بلا ندى ... وواد به فيض ، وآخر ذو جفر .

وبالطبع لم يفت الشاعر ابا العلاء العاقل المحروم ، والذكى الفاضل المكدود المحدود ان يشير الى قضية استحالة الجمع بين الفهم والحظ الحسن فى قوله :

لا حظ فى الدنيا لعاقل همة ... والوحش الفضل صيدها الأعيار !

***

ولقد تناول شعراء العربية المحدثون والمعاصرون قضية الحظ ، والاقدار ، والسعد ، والنحس من زوايا تلتقى عند شعرائنا القدامى فى الكثير ، ولا تفترق الا فى القليل .. فهذا شاعرنا « محمود أبو الوفا » رحمه الله - يعبر عن ملازمة النحس له ، وآثامته عنده ، تعبيرا ساخرا مريرا حين قال :

لو غسلت الثوب ابغى نشره ... السمت شمس الضحى لم تطلع
ولو انى تلمس التبر يدى ... حول التبر ترابا اصبعى !

اما الشاعر المهجرى « نسيب عريضة » صاحب ديوان « الأرواح الحائرة » ، فقد راى الحياة كلها من اسود جوانبها ، واحلك جهاتها ، نجنح الى نظرية « القدر الظالم » و « القدر الغاشم » ، وملا اغلب شعره بنغمات البؤس والتشاؤم :

ضاق ذرعا بالأسى لكتبه ... ظل فى كتمانه حتى انفجر
فاسمعوا اناته تروى لكم ... رجع ما ردده صوت القبر
عن ظلام العيش ، عن سجن البنا ... عن فيافى التيه ، عن ظلم «القدر» .

ولعل شاعرنا « احمد شوقى » اجمل لنا فكرة « الحظ » العجيب وقدرته على ما لا يقدر عليه شىء ، كما ركز لنا فكرة الخوارق والمعجزات التى تصنعها « الحظوظ » و «الاقدار» فى هذه الدنيا العجيبة فى قوله من قصيدته التى نظمها بمناسبة انعقاد المؤتمر الجغرافى فى مصر :

و (الحظ) يبنى لك الدنيا بلا عمد
ويهدم الدعم الطول اذا خانا

اسعد الله حظوظكم ايها القراء الاعزاء !

صاحب الجلالة الحظ يندب سوء حظه

الحظ مظلوم

● عباس محمود العقاد ●

● اردت أن أرى الحظ الذى يتطلع جميع الناس الى رؤية محياه .. وجلست فى فترة الانتظار اتخيل كيف يكون مرآه ...

فان قرائح البشر لم تختلف فى تصوير شىء من الاشياء كما اختلفت فى تصوير هذا « المخلوق » الذى يمـلأ جوانب الخيال ...

فمنهم من تصوره فى السماء يتالق فى كوكب النحـوس كمـا يتالق فى كوكب السعود .

ومنهم من تصوره فى صورة فتـاة حسناء ولكنها عمياء او معصوبة العينين تنثر الذهب ذات اليمين وذات الشمال، لا ترى من تجفوه وتعرض عنه ، ولا من تحابيه وتقبل عليه !.

ومنهم من تصوره فى صورة فتى رشيق مجنح الذراعين يجرى على كرة لا يستقر لها قرار ، وتقف به تارة وتنطلق به تارة اخرى الى حيث يريد او الى حيث لا يريد ...

ومنهم من تصوره فى صـورة مارد عملاق يعطى بغير كرم ويمنع بغير بخل ، على طريقة ابن عباد الذى قيل فيه :

لا تمدحن ابن عباد وان هطلت
يداه بالجود حتى ساجل الديما
فانها خطرات من وساوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما !.

وانى لافكر واقدر ، واقابل واعادل ، واتخيل ، واتأمل ، اذا بالباب ينفرج عن منظر عجيب ..

وينادى على :

ـ هذا هو الحظ بين يديك

اى منظر عجب هو هذا الحظ الذى وقف بين يدى ؟.

مخلوق شاحب ناحب، متجهم متبرم، مكبل بالسلاسل والاغلال ، لا يريد أن يرى احدا ، وكل احد فى هذه الدنيـا يريد ان يراه ...

قلت : « ويحك ... هل تضي عليك أن تخلف كل حساب حتى فى مرآك ؟ »

قال فى ذلة ونقمة : هو نكد الطالع !.

قلت : وما هذه السلاسل والاغلال التى كبلوك بها وأنت فى أوهامنا كـرار فرار لا تستقر بالليل ولا بالنهار ؟..

قال : هو ما ترى !.

قلت على غير قصد منى : جزاء وفاقا، تستاهل !.

قال : وانت أيضا تلقانى بالشماتة ؛ وترانى اهلا لهذا البلاء الذى اعانيه !.

قلت : ولم لا .. ألست تحرم المحروم، وتجود على المجدود ؟.

قال : ما حرمت ولا انعمت الا وانا كما ترى مكبل بالقيود !.

ففكرت قليلا فيما اسمع ، وسألته متعجلا : وهل كنت مقيدا بالحديد حين افرغت الذهب على ذلك البخيل صاحب الملايين فاعطيته نمرة المصرف الرابحة

اربع مرات ، وهو غني عن مرة واحدة منها بما يملك من العمائر والضياع وما عنده من المال والمتاع ؟!

قال : الحمد لله ، لقد هداك الله الآن الى مثل واحد يغني عن جميع الامثال، فلو شئت لعددت لك عشرين قيدا كانت في كل جارحة من جوارحي يوم وصلت تلك الهبات الى ذلك البخيل اللئيم .. واحسب على اصابعك ولا تغلط على في الحساب : فكل رقم من الارقام في دفاتر المصرف قيد لا يفلت منه انسان ولا شيطان ...

فقطعت عليه بيانه قائلا : دعنا من دفاتر المصرف وارقامه ، فما يسالك احد عنها،وانما يسالونك عن تلك الارقام التي تجيلها في صندوق القرعة على هواك، ولا يدري انسان من ضحاياك لماذا تديرها هنا ولا تديرها هناك ؟!

فاجابني وهو لا يتكلف التفكير كانه قد فرغ من كل تفكير في هذا الموضوع: وهل انا ادري ؟.

فبادرته متسائلا : ومن يدري اذن ؟.

قال : سل عن تلك الكرات الدقاق قانون الجاذبية الذي يقذف بها هنا وهناك ، ويقيدوني معها بقيود اعسر على طالب الخلاص من قيود الدفاتر والارقام !.

قلت : واليد التي تحركها ؟

قال : كل قطرة دم في تلك اليد تطيع القلب الذي يدفعها والبنية التي تحتويها ولا تطيعني في كثير ولا قليل !.

فاكرهني كلامه — والحق يقال — على التدبر في صدق مقاله ، وبدت مني صيحة لا اريدها فقلت : مظلوم !.

قال : بل شر من المظلوم ؛ لان المظلوم قد يجد بين الخلق من يعطف عليه !.

قلت : حسبك عطف السعداء واصحاب الحظوظ ..

فصاح مغضبا : لعنة الله عليهم ، انهم لاقسى على من الاشقياء المحرومين لانهم لا ينالون خيرا الا حسبوه من حقهم ، بغير منازع ، وزين لهم الغرور انهم قد بلغوه بصدق النظر وصواب الراي ودقة الحساب ... وانهم لولا بصيرة نيرة تهديهم في كل عمل ، وتعصمهم من كل زلل ، لبذلوا المال في صفقة من صفقات التجارة ولم يبذلوه في ورقة من اوراق النصيب ، او لبذلوا المال في هذه التجارة الخاسرة ولم يبذلوه في تلك التجارة الرابحة ... فاذا ربحوا مما يسمونه « حظا » فليس الحظ بمشكور. واذا خسروا منه فالحظ ملعون غير معذور !.. وهكذا يضيع الحظ بين السعداء والاشقياء ، ويخرج محروما مظلوما من هؤلاء وهؤلاء على حد سواء !..

فسبقتني سخرية لا مناص منها في هذا المقام ..

وسالته : فما بالهم اذن يدعونك بصاحب الجلالة ايها المسكين ؟.

قال : هي ملكية مقيدة كما ترى!.

ثم راح يقول متهكما : ملكية مقيدة مع فارق صغير جدا كما قد تعلم لان الملكيات يقيدها دستور واحد . اما انا ..

واشار الى القيود والاغلال التي تجلله من فرعه الى قدمه ؛ وتوشك ان تطغى على لسانه وفمه ، وراح يقول : **اما انا فدساتير العالم كله تقيدني وتقهرني وتجرني وراءها الى حيث تشاء هي لا الى حيث اشاء انا او يشاء الناس !.. دساتير الارض والسماء، دساتير الطبيعة وما وراء الطبيعة ، دساتير الغيب والشهادة ، دساتير العقول والاجسام.. وكل ما ترى من هذه السلاسل والقيود ففيه حلقة من حلقات تلك الدساتير ، وفيه رقيب عتيد على هذه الملكية المقيدة بجميع القيود .. ملكية صاحب الجلالة الحظ المحروم من جميع الحظوظ !.**

فما تمالكت ان رثيت للمسكين المظلوم، وتركت الحظ ينتحب سوء حظه ، ومضيت وانا اقول :

« محروم مظلوم ضائع ، كما قال ، بين السعداء والاشقياء على كل حال !. ●

عن « الهلال » — ديسمبر ١٩٤٧

الصدفة

أصفار وراء العقل ..

● د . عبد الفتاح الديدي ●

● كتب فريدريك الثاني خطابا الى فولتير سنة ١٧٥٩ يقول فيه : كلما تقدمنا في السن اكتشفنا ان صاحبة الجلالة المقدسة « الصدفة » تقوم بتدبير ثلاثة ارباع عمل هذا العالم التعيس ! »

وما زلنا حتى اليوم نطلق اسم الصدفة ، والحظ ، والنصيب ، والقدر ، والبخت ، والفرصة ـ على آلاف المناسبات وثلاثة ارباع المواقف التى تعرض لنا فى حياتنا اليومية ، على الرغم من كل المدنيات التى عشناها حتى الآن ، وعلى الرغم من التقدم الذى احرزناه فى مجالات العلوم والمعارف .. ولا نكف عن اطلاق هذه الاوصاف المترادفة على عدد لا حصر له من الوقائع العادية او الغريبة ذات الطابع الخاص بالنسبة الى اقساطنا من الحظ او التعاسة ومن السعد او النحس فى وجودنا ..

واعتمادا على هذه الاوضاع المتباينة التى يلمسها الناس فى حياتهم ، عرف الانسان معنى المراهنة . وتطورت المراهنة على مدى التاريخ حتى صارت ثقة بالمستقبل وايمانا بالمصير . وتطورت فى مجالات العلوم حتى أصبحت احتمالا محسوبا . وظهر علم بأسره يعرف باسم حساب الاحتمالات .

وبين العلم والتاريخ اختلف العلماء والمؤرخون حول طبيعة الاحداث وتسلسلها حتى صار موضوع الحتمية والاحتمال يشكل أضخم باب من أبواب علوم الطبيعة والفيزياء وفلسفة التاريخ فى الوقت الحاضر .

والمراهنة تشير الى المخاطرة مع الامل فى أن تدور الدوائر لصالح الشخص . وقد تشير الى الاندفاع نحو هدف ما ، مع التسليم بما قد يكمن وراءه من الاخطار .. وهذا يعنى أن الانسان يترك زمام أموره وقياد مصيره أحيانا كثيرة للتوقعات والتنبؤات . وتخضع هذه عادة لاحكام المماثلة أو الاستثناء أو التفرد أو الحساب



فردريك الثانى



فولتير

الرقمى أو الثقة بالله سبحانه وتعالى • فالمراهن الذى يـــلعب « الروليت » او « البكاراه » أو سباق الخيل يضع اختياره للرقم أو اللون أو العلامة وفقا لتقديرات حسابية فى التكرار ونسبة وقوع العلامة المختارة بناء على حصر دقيق لكل احتمالاتها اى لعدد مرات وقوعها فى الماضى وللمرات المنتظر فيها ورودها مستقبلا ••

مثلا زهر الطاولة له ســتة اوجه ، واحتمال كسب احد هذه الاوجه الستة يكون بمعدل واحد الى ستة • ومن هنـا أصبح لهذا الوجه درجة احتمال فى الكسب مرة واحدة كل ست مرات نلقى فيها بزهر الطاولة • ولذلك تجـد المراهنـين فى المسابقات الدولية يحتفظـــون بمفـكرة يسجلون فيها مرات التكرار لكل لـــون احمر أو اصفر أو اخضر او اسود ، ولكل الارقام الواردة فى الدائرة • ويكاد يصبح التوقع فى بعض المرات أكيدا ••

وكذلك الحال فى توقع ميلاد الطفـــل الذكر أو الانثى • فالذكر قد يتكرر وكذلك الانثى مرة بعد مرة ما لم تتغير منسوبات العوامل الوراثية والمخالطة الزوجية •• ويبلغ العدد الكامل للناسلات عند الذكر حوالى بضعة آلاف • وتحمل الصبغيات أو الكروموزومات هذه الناسلات او الجينات وسلوك هذه الصبغيات غير المحكوم هـو المصدر الاكبر فى التأثير على نوعية المولود داخل الاسرة •

ويقول جان روستان فى كتـــابه عـن الانسان ، ان الصدفة هى التى تقرر كل شىء هنا •• وتوجد مجموعة من الاسباب المعقدة لهـذه الظـــاهرة بحيث يستحيل تحليلها أو معرفة كافة احتمالاتها • ولذلك تزداد الاصفار الواردة الى يمين الارقام فى وصف المعدلات ، وتزداد معها دقة الظواهر والملابسات ودرجة تعقيدها ، مما يدفـع بنا الى التسليم بالامر الواقع فى النهاية •

وفى راى روستان أن هذه الملابســات تشبه الملابسات التى تصاحب القاء قطعة نقود على الارض • واحتمال أحد الوجهين فى كل مرة يعادل ٥٠ ٪ •

التاريخ والاحتمال

والصدفة مشكلة أبدية فى علم التاريخ لان المؤرخ يتطلع فى العادة الى تقرير عدد من التكهنات التى تبرر تخميناته بالنسبة الى المستقبل • وازدادت أهمية هـــذا

الموضوع فى مطلع هذا القرن بعد ظهور نظرية كورنوه ، العالم الرياضى الفرنسى ، فى احتمالات القانون العلمى وامكان وقوع الظاهرة فى المستقبل ٠

واطلق كورنوه صيغة مؤداها أن الواقعة مصادفة بين سلسلتين أو بين نسق كامل واحدى السلاسل ٠ وتخضع كل واحدة من السلسلتين لحتمية صارمة ولكن نقطة الالتقاء بينهما تتحقق بمعزل عن أى قانون ٠ ولم تلبث نظرية كورنوه (١٨٠١ ـ ١٨٧٧) أن استهوت عددا من المؤرخين فى نهاية القرن الماضى ومطلع هذا القرن ٠٠

والواقع ان كل حدث من احداث التاريخ وليد سلاسل عديدة ٠ ولو القينا نظرة على الحرب العالمية الاولى او الثانية ٠ لوجدناها ناشئة عن اسباب عديدة ٠ ولكن الى جانب الاسباب المعروفة ، هناك دور خاص تلعبه الحروب فى المجتمع الاوربى فى هاتين الفترتين كامتداد للسياسة الاوربية وكثمرة نسق معين من مجموعة الاساليب المتبعة فى الدبلوماسية الساخنة ٠٠ وهذا الموقف هو ما نسميه بالسلوك العدائى الحربى المبنى على اسباب نفسية او حتى على دوافع جنسية كامنة (كما يقرر البعض) يتم تجسيمها فى المؤسسات القومية داخل اطار المدنية الرفيعة ٠ اما فلاسفة التاريخ من اصحاب الايحاءات البيولوجية فيرجعون بظاهرة الحرب مباشرة الى اصولها وجذورها الحيوانية فى الانسان ٠

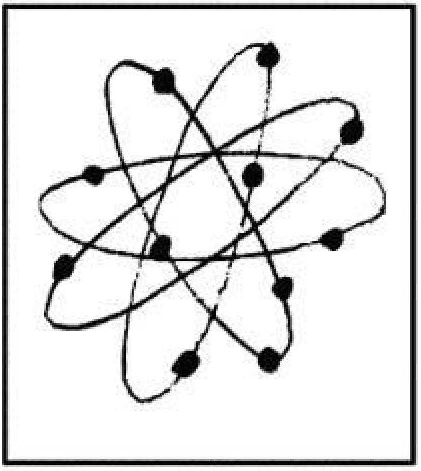
ويعمد المؤرخ عادة الى الاسباب المسلسلة فى وضوح فيبنى منها شكلا منطقيا متكاملا قائما على عدد من الاستدلالات الصارمة ٠ وعندئذ تختفى ملامح العشوية او المصادفة المطلقة كما تختفى أيضا ملامح النظام المترابط فى صورة محكمة مطلقة ٠

ويعيد المؤرخ رؤية التطورات المعهودة فينسج المصير بناء على رؤية لجوانب الاشكال وبصيرته فى النفاذ الى أسرار الموقف ، ويبدو الحدث المعين عرضيا بالنسبة الى عدد من المقدرات السابقة والشواهد المتقدمة ، ويبدو جوهريا بالنسبة الى عدد من الدلالات البارزة ٠ ومن ناحية يصبح ذلك الحدث المعين مصادفة عند التقاء الوقائع الحديثة المتواترة فى صورة متتابعات أو مسلسلات ، ومن ناحية أخرى يصبح ترتيبا غائيا عقليا عند العثور على نظام محكم مقبول على المستويات الاعلى ٠

ونجد نموذجا للسبب العام فى وقوع الحرب فى كتاب جاستون بوتول عن ظاهرة الحرب التى يقرر فيها من وجهة نظر المؤرخ الاجتماعى أو الباحث فى فرع الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ان الحرب وظيفة اجتماعية شأنها شأن الموت والشيخوخة والمرض ٠ فالحرب فى نظره ظاهرة اجتماعية دائمة بدوام المجتمعات وعامة ومنتظمة الحدوث ٠ وبالتالى لا تمثل أى شذوذ ٠

ومن نفس هذا المنظور العلمى يقرر ريمون آرون فى كتابه السلام والحرب بين الامم سببا خاصا مباشرا لوقوع الحرب العالمية الثانية ، وهو الشعور الناشىء عند بعض الساسة بعدم وجود أنداد لهم أو قرناء على مستوى البلاد الأخرى الاجنبية ٠ فالشعور بالتميز على الأقران الذين يحتلون نفس المواقع فى الدول الاجنبية والاقتناع بأنهم ليسوا أقرانا حقيقيين وعدم الاعتراف بالشخص المماثل أو الند فى البلاد الأخرى ، هو أحد الجذور الاجتماعية والنفسية على السواء التى تظل تخلق الحواجز بين الجماعات حتى ترتفع يوما الى السطح فتؤدى مباشرة الى الحرب ٠٠٠

ونتكلم فى العادة عن المصادفة فى التاريخ عندما نفكر مباشرة فى نمط معين من الوقائع الطبيعية الذى يعترضه فاصل متقطع بسبب هزات ارضية او



مرض مفاجيء او ظروف مناخية معطلة، وكذلك عندما نتدبر عدم التجانس او التساوق بين الاسباب والمسببات (كالقشة التى تقصم ظهر البعير) او عندما يقود شخص عظيم مسار التاريخ ويتملك ازمة الاحداث المصيرية • فالأمور التى تمضى بكثافة زمانية نحسبها دائما طبيعية وجوهرية وغالية • وما يبدو لنا عرضيا وعابرا وجزئيا من الاحداث نطلق عليه اسم المصادفة •

وتعنى الحتمية أن الارادة لا يمكن ان تغير هذا العنصر أو ذاك من عناصر الواقعة ولا تملك حولا او قوة أمام عجلة الزمن • وفى الحتمية تترابط كل الأحداث بعضها بالبعض الآخر كأنها سلسلة متشابكة من الحلقات • ومن يسمى بالعظيم انما يعبر عن مجموعة أو عن كيان او عن عصر برمته • ويلتقى فعل الغزاة والفاتحين بضرورة تاريخية وبمصير انسانى • ولعلنا لا نخطىء كثيرا من هذه الناحية عندما يجرى على لساننا كلام مؤداه أن العصر لا يجد من يمثله • أو نقول أحيانا ان هذه الحقبة لا تلقى من يستجيب للمسئوليات التى تفرضها • أو نقول هل كانت الامور قد سارت على نحو ما تمضى لو كان شخص آخر فى موضع المسئولية ؟

ومعنى هذا أننا نخلط بين الأحداث التاريخية والموضوعات الاجتماعية التى تتمثل لنا فى شكل مهام من صميم أوضاع المجتمع • او بعبارة أخرى غالبا ما نجهل الفرق بين السبب التاريخى وبين الظواهر الاجتماعية • وبالتالى لا نملك القدرة على تحديد السبب التاريخى الخالص • ولكن يظهر أيضا من ناحية أخرى أننا تعودنا تصور الأسباب التاريخية على نحو ما نتصور ترتيب الوقائع فى حياة كل يوم كأن نضغط على زر فيضاء المصباح أو نحك الثقاب فيشتعل • ولكن هذا التصور السببى المعزول أبعد ما يكون عن تصوير الواقع الجارى فى باب التاريخ •

والمهم هنا هو ان هذا المبحث يقود الى الكشف عن المقومات الاجتماعية التى تدخل فى تكوين ما نسميه بالتاريخ ••• وأصدق تعبير فى تعريف علم الاجتماع هو انه العلم الذى يبحث تأسيس وتأصيل القوانين أو يبحث تحديد ترتيب الاحداث فى حين يحرص التاريخ على سرد الوقائع فى تسلسلها الفريد • وبالتالى يصبح علم الاجتماع بحثا لاستخلاص العلاقات العامة بين وقائع التاريخ وهذا هو أساس علم الانثروبولوجيا الاجتماعية •

العلم الطبيعى والمصادفة ••

يمكن ان يقال بصفة عامة ان الهدف الاساسى من العلم هو معرفة الواقع الحقيقى من أجل استيعاب الأسباب والنتائج استيعابا يسمح بتأسيس قوانين التوقع أو التنبؤ بما سوف يجىء به المستقبل • وتبغى المعرفة العلمية اقامة القوانين بشأن ما يتكرر

من الاحداث حتى لا تفاجئنا الأحداث بغير المتوقع . ولذلك تخللت الفيزياء الحديثة والمعاصرة محاولات ضخمة من اجل تحويل التجارب الى صيغ رياضية وتصوير الظواهر فى قوالب حسابية . وقد دلل باشلار فى كتابه عن الروح العلمية الحديثة على أهمية الصياغة الرياضية لموضوعات العلم المعاصر .

وما دمنا قد سلمنا بأن العلم يهدف الى تحقيق معرفة تقريبية عن الواقع من أجل الحصول على الصدق ، فمن المستحيل استبعاد درجة يقين معينة بالنسبة الى هذه المعرفة . أعنى يستحيل أن تنفصل المعرفة العلمية عن تصيب معين من الصدق وبالتالى لا يمكن أن يصدر حكم من الاحكام العلمية بدون صفة تقريبية لطبيعة هذا الحكم . وهذه الصفة هى ما نسميه جهة الحكم . فلكل حكم جهة .. اما أن يكون تقريريا أو ان يكون ضروريا ، أو أن يكون احتماليا ، الى آخر سلسلة الجهات فى الاحكام التى يلصقها المناطقة عادة بالاحكام المنطقية ...

واقوى الاتجاهات المنطقية المعاصرة على الاطلاق هو المنطق العضوى الذى أسسه رينيه بواريه استاذ المنطق بالسوربون فى الخمسينات والستينات من هذا القرن . ويرتبط المنطق العضوى ارتباطا وثيقا بالاحتمال العلمى فى الوقت الحاضر . وهو قائم أساسا على مفهوم الجهة فى الحكم كاشارة الى درجة احتمال الوصف العلمى للاحداث والظواهر .

وما نسميه بالمصادفة يكمن غالبا فى الاصفار اللانهائية التى تتشكل وراء العقل . او كما يقول مارسيل بل (بضم الباء) فى كتابه عن يقين المصادفات ان الصدفة تكمن فى الغالب فى مقدار جهلنا بالارقام ، وفى مدى الاهمية التى تكون للعوامل المعقدة التى يصعب تقويمها وتقديرها فى بعض الظواهر .

والافضل – فى رايه – هو ان نضع التنبؤات ذات التقدير الاحتمالى محل اليقين غير المؤكد وان نحرص على ان نشير الى هذه التنبؤات باقصى مانستطيع من التقدير العلمى الصحيح . ولسوء الحظ اننا كما يقول مارسيل بل نحول تفكيرنا فى المصادفة الى نوع من الاعتقاد الصوفى ، وهو ما لا يقل سوءا عن التفكير الحتمى الصارم .

ويقدم لنا مارسيل بل نموذجا حسابيا للصدفة من لعبة «البيلوت» الفرنسية باوراق الكوتشينة ، فيقول انها لعبة تعتمد على فكرة الحصول على اكبر عدد ممكن من اولاد « الكوتشينة » الاربعة اللذين تضمهم الى ٢٨ ورقة «كوتشينة» أخرى مختلفة ، فيكون مجموع الاوراق ٣٢ . ويتم خلط الاوراق وتفنيطها جيدا حتى تتعادل الفرص بين اللاعبين واللاعبات . وعندئذ تصير درجة احتمال سحب الولد من بين أوراق «الكوتشينه» ٤ على ٢٨ اى الثمن أو (١٢٥ر٠) ودرجة الاحتمال تلك تساوى ٥ر١٢ ٪ أما درجة احتمال سحب أية ورقة « كوتشينة » من غير الاولاد فهى ٢٨ على ٣٢ اى ٧ على ٨ أي (٨٧٥ر٠) فتكون فرصة سحب أية ورقة اخرى غير الاولاد تعادل نسبة ٥ر٨٧ ٪ .

وينسحب مانقوله هنا عن «الكوتشينة» على معظم وقائع العلم الطبيعى . غير ان العلم الطبيعى او الفيزياء لا تنظر الى الحتمية على نحو ما تنظر اليها الفلسفة او التصوف . ولا يتوفر مفهوم الحتمية فى نظر العالم الطبيعى لوى دى بروى مكتشف الميكانيكا التموجية فى ثلاثينات هذا القرن ، الا اذا استند العالم الى امكانية التنبؤ الاكيد بالظواهر المستقبلة . فتكون هناك حتمية فى نظر عالم الفيزياء اذا سمحت معرفته السابقة او الحاضرة ومعرفته بقوانين الطبيعة بان يتنبأ بصورة أكيدة بان هذه الظاهرة أو تلك سوف تحدث فى لحظة قادمة ..

غير ان هذا التعريف صار يمثل صعوبات كثيرة كما يقول لوى دى بروى فى كتابه عن المتصل والمنفصل فى الفيزياء الحديثة . اذ لما كان فى الطبيعة احتكاك كونى بحيث يمكن ان تؤثر حركة أبعد الكواكب عن الارض على حركة ابسط الذرات فى الجسم المادى صار التنبؤ الأكيد باحدى الظواهر المستقبلة يستلزم مبدئيا معرفة شاملة بالوضع الحاضر للكون بأسره وهو أمر مستحيل التحقيق . ولم يكن فى الفيزياء القديمة اى اعتراض على مبدأ التنبؤ بالظواهر المستقبلة . ولهذا كان من المقبول أن نفكر تفكيرا حتميا فى الفيزياء قبل انتشار وازدياد معارفنا عن الظواهر الكمية أو الكوانتا . أما بعد ظهور فيزياء الكوانتا وامكان دراسة ظواهر العالم الذرى حيث تتكشف مجالات الكوانتا فقد اكتشف العلماء استحالة دقة المعطيات الضرورية للتوقعات القطعية التى تتحول فى النهاية الى ارقام وراء العقل .

وفى هذا المجال ظهرت احتمالية الظاهرة فى فيزياء هايزنبرج . وبفضل تحليلاته وتحليلات نيلز بوهر حول الميكانيكا التموجية أمكن فتح مجالات جديدة امام التفكير الفيزيائى المعاصر . وتوالت بعدئذ الميكانيكا الكمية والميكانيكا التموجية عند لوى دى بروى وشرودينجر ونظرية الالكترون القفازى أو الحلزونى عند ديراك ، فضلا عن نظرية الفوتونات لأينشتاين قبل ذلك سنة ١٩٠٥ .

كل هذا أدى الى احداث تغييرات يسمونها بلغة العلم انقلابات فى الميكروفيزياء او الفيزياء الجهرية المعاصرة . ولم يعد الجسيم شيئا محددا فى الزمان والمكان وصار امكانية محتملة باستمرار . وأدت تفسيرات بوهر وهايزنبرج الى رد كل الفيزياء الى باب الاحتمال واسبغت مفهوما جديدا على معنى العلم .



والخلاصة أن قوانين العلم أبعد ماتكون اليوم عن أن تأخذ شكل الضرورات المنطقية ، انها مجرد مستخلصات من التجربة او مجرد احتمالات . وليس هناك ما يدفع الى التشكيك فى قوانين الطبيعة ولكن من المؤكد ان هذه القوانين لا تماثل الضرورات العقلية فى شىء . وبالتالى لا يمكن تفسيرها او تعليلها .. ولهذا أصبحت الفيزياء اليوم مجالا لتاسيس قوانين الطبيعة لا اكثر . .

وبين الطبيعة وسير الاحداث التاريخية — على كل ما فحصناه من هذه وما عشناه من تلك — ما زلنا نحبو فوق ارض لا هى بارض اليقين ولا هى باعماق الظنون .. وقد تدور العجلة دورة فى لحظة ونحن على مشارف الحضارة فنعود اعقابنا فى ضربة حظ الى مشارف ما قبل التاريخ . وننعم من جديد بالشعور بيقين المستقبل بين ازميل من حجر وكاس من فخار فى كهوف وسراديب المجهول ... الامل وحده فى الله ..

التنجيم ما هو؟

● محمد الحديدى ●

● **لكى نحاول الاجابة عن هذا السؤال ، يجب أن نبدا بتصور لأوضاع الفضاء والاجرام السماوية ، او بشيء من انعاش الذاكرة حول هذا الموضوع ...**

كما هو معروف ، نحن نعيش على كوكب كروى الشكل تقريبا ، وهو احد توابع الشمس المعروفة « وعددها حتى الآن تسعة » .. كل هذه الكواكب تدور حول نفسها ، وبذلك فهناك ليل ونهار فى كل منها ، كما انها تدور حول الشمس ، والسنة فوق كوكبنا هى الفترة التى تستغرقها الارض فى دورانها حول الشمس ..

وكل هذه الكواكب تتحرك فى مستوى واحد « ما عدا آخر كوكب تم اكتشافه وهو بلوتو فهو يتحرك فى مستوى مائل قليلا ، وهذا هو السبب فى شك الفلكيين فى حقيقته) فلو تصورنا الشمس كرة فى حجم كرة « التنس » مثلا ، تطفو فوق سطح الماء فى حوض فان الكواكب ستكون جسيمات صغيرة تسبح فوق سطح الماء هى ايضا وتدور حول كرة « التنس » ، وفى نفس الوقت تدور كل منها حول نفسها (محوردوران الارض ليس راسيا تماما بالنسبة للمستوى او « سطح الماء » هذا ، فهو مائل ٥ر٢٣ درجة ، وهذا هو السبب فى اختلاف طول النهار والليل على مدى السنة ، وهو ايضا السبب فى الفصول ولكن هذا موضوع آخر) .

الشمس نجم قريب جدا منا ، وهو ايضا نجم متواضع جدا ، فهناك نجوم يصل حجمها وكتلتها الى ما يساوى حجم الشمس وكتلتها آلاف الملايين من المرات ، ولو كان كل شيء فى الكون متناسبا فلعل لمثل هذه النجوم توابع هى ايضا ، واذا كان فيها سكان فالافضل أن نكون نحن متواضعين بقدر تواضع الشمس .

الذى يعنينا من هذا الآن هو أن اى انسان يقف على سطح الارض وينظر الى السماء فى الليل سوف يراها مرصعة بالنجوم ، ولكنه مهما كان عاشقا وهائما ، فانه لن يستطيع ان ينفق الليل فى عدها ، ليس لانها كثيرة ، او ليس هذا فقط ، ولكن لسبب اهم ، هو انه كلما انفق وقتا فى العد كانت الارض قد استدارت قليلا ، مما يؤدى الى اختفاء بعض النجوم (التى «تغرب» او تختفى وراء الافق من ناحية الغرب) وظهور البعض الاخر (الذى « يشرق » او يطلع فوق الافق من ناحية الشرق) فالارض فى دورانها الدائم من الغرب الى الشرق تجعل كل فرد على ظهرها ، فى اى مكان ، **يرى صفحة السماء فى حالة تغير مستمر ، الا انه تغير بطيء ، والدورة الكاملة تتم فى يوم وليلة ، ولكن**

● إن أى انسان يقف على سطح الأرض وينظر إلى السماء فى الليل سوف يراها مرصعة بالنجوم، ولكنه مهما كان عاشقاً ولهاناً فإنه لن يستطيع أن ينفق الليل فى عدها، ليس لأنها كثيرة، ولكن لأنه كلما أنفق وقتاً فى العد كلما كانت الأرض قد استدارت قليلاً، وتغيرت مواقع النجوم.

هذا التغير لا يزال ملحوظا، فانت ترى القمر فوق الافق، وبعد ساعة مثلا تجده قد « صعد »، هذا نتيجةدوران الارض، نفس الشيء بالنسبة للنجوم، فهى تشرق وتغرب بصفة دائمة مع دوران الارض، وهذا يحدث طوال الوقت، نهارا وليلا، واذا كنت لا ترى النجوم فى عز الظهر فهذا لا يعني بالضرورة انك عاقل، فهى موجودة فى عز الظهر، ولكنك لا تراها لان ضوء الشمس القريبة منا يطمس لمعان النجوم ...

كل جسم من الاجسام السماوية يشرق ويغرب، فقط نحن الذين نقصر الشروق والغروب على الشمس لما لها من اثر عظيم على حياتنا اليومية وعلى تكويننا البيولوجى، وربما على حظوظنا ايضا، من يدرى ؟

وكل انسان على ظهر الارض، مهما كان المكان الذى يعيش فيه، تاخذه الارض فى دورتها الكاملة ليواجه كل هذه النجوم التى تقع فى نطاق واحد يلتف حول الارض، (بما فى ذلك الشمس طبعا وكوكب القمر) وهى ذات النجوم التى نراها نحن هنا والتى يراها من يعيش فى سيبيريا او الاسكا او الارجنتين، اما ايها يواجهنا فى الليل وايها يواجهنا فى النهار، فهذا بطبيعة الحال، يتوقف على المرحلة التى نحن فيها بالنسبة للسنة، لان الليل والنهار ناتجان عن حركة دوران الارض فى مواجهة الشمس، وحركة دوران الارض حول الشمس ستؤدي الى اختلاف ازمنة شروق وغروب هذه النجوم بالنسبة لكوننا فى الليل او النهار .

واذا اردنا ان نتخيل هذا بصورة اوضح فلنرجع الى حوض الماء، الكرة الارضية سابحة على السطح، وكذلك الشمس وجدران الحوض مليئة بنقط بيضاء تمثل النجوم المتناثرة فى اعماق الفضاء وحولهما، والان مع دوران الارض فالنجوم تظهر من فوق الافق فى الشرق، ثم تغرب فى الغرب، واى مشاهد على الارض سيرى منها ما يشرق اثناء الليل ولن يرى ما يشرق اثناء النهار، وعندما يهبط الظلام فانه سيرى فى الحال ما يكون منها ظاهرا فى مواجهة الارض فى النصف الذى يعيش هو فيه، والذى لم يكن ظاهرا له منذ ساعة بسبب وجود ضوء الشمس .

ما يرى فى الليل وما لا يرى فى النهار يختلف طوال السنة حسب موضع الارض فى سباحتها حول الشمس ومواجهتها لها من كل الجوانب مع بقاء النجوم ثابتة فى صفحة السماء، وهى بالطبع ليست ثابته ولكنها بعيدة جدا وحركاتها لا تظهر لنا بسبب المسافات الشاهقة التى تبعدها عنا .

الابراج

اذا رجعنا مرة ثانية الى حوض الماء وتخيلنا جدرانه دائرية او أسطوانية فانه فوق وتحت مستوى الماء يمكننا ان نحدد نطاقا مستديرا يحيط بالارض (ومعها الشمس والقمر) هذا النطاق يكون دائرة كاملة فيها ٣٦٠ درجة ، اذا قسمناه الى اثنى عشر قسما (كل منها

٣٠ درجة) فان النجوم ستنقسم الى مجموعات ، الى اثنتى عشرة مجموعة ، كل مجموعة تقع في قسم ، هذه الاقسام هي ما يسمى « الابراج » ، الحمل ـ الثور ـ الجوزاء ـ السرطان ـ الاسد ـ العذراء ـ الميزان ـ العقرب ـ القوس ـ الجدى ـ الدلو ـ الحوت .

هذا الاختيار عشوائى ، اذ ليست هناك اى رابطة بين مجموعات النجوم هذه ، ولو تصورنا اننا نثرنا بضع حبات من القمح فوق فرخ كبير من الورق ثم قسمناه أقساما متساوية لخرجنا باشكال مختلفة لبذور القمح ، فتقسيم الابراج ليس الا تقسيما لصفحة السماء الملتفة حول الارض الى اقسام متساوية . هذه الاقسام تظهر فيها مجموعات من النجوم أطلقت عليها هذه الاسماء لاسباب غير معروفة ، ربما تجد الجوزاء مستحقة لهذا الاسم مثلا من حيث أن فيها نجمين متزاوجين ، وربما كان للعقرب ذيل يتكون من مجموعة نجوم على خط منحنى ، ولكن هذه الاسماء لا تعنى اشيئا . والواقع ان التقسيم الى ابراج يرجع الى ايام البابليين واهتمامهم بالسماء ، ومنذ هذا الحين حتى الآن قد مال محور دوران الارض قليلا وبالتالى فان أعضاء الابراج قد تغيرت قليلا هى ايضا .وهكذا فانه على مدار السنة تختلف **مجموعة النجوم التى يتفق شروقها مع**

شروق الشمس ، عندما تظهر الشمس عند الافق فانه يبدو وراءها (او على الاصح لا يبدو وراءها ، لانها تحجب النجوم) مجموعة نجوم معينة ، فاذا بدا لنا قرص الشمس واقعا فى المساحة او المجال او الجزء من الافق الذى يظهر فيه برج الحمل ، فعندئذ يقال ان الشمس فى برج الحمل . والشمس دائما فى برج الحمل اعتبارا من ٢١ من مارس الى ١٩ من ابريل من كل سنة ، وذلك طبقا لموضع الارض بالنسبة للشمس

وعندما يقول شخص ((انا حمل)) فان هذا لا يعنى انه يصف نفسه بالتخاذل او انه ((خروف)) ، هذا يعنى انه ساعة ولادته كانت نجوم برج الحمل ، او منطقة برج الحمل المعروفة باشكالها ، فى لحظة ((الشروق)) وهذا بالطبع قد يكون فى اى ساعة من الليل والنهار.

والفارق بين التنجيم « العلمى » ـ ان جاز أن نقول ذلك ـ وبين مسالة « البخت » التى تراها كل يوم فى الصحف تضع البشر كلهم فى اثنتى عشرة زكيبة ، وتتنبأ بما سيحدث لكل زكيبة هذا اليوم ، الفرق بين الاثنين هو ان الاول ياخذ فى اعتباره برج الشخص ، اى البرج الذى كان يشرق ساعة ولادته ، وهذا يختلف باختلاف المكان والزمن الذى ولد فيه هذا الشخص ، اما الثانى فلا يهتم الا بالبرج الذى كانت فيه الشمس اثناء حوالى ثلاثين يوما ولد اثناءها .

يمكننا تماما أن نتجاهل هذا الموضوع ونعتبر اعمدة « حظك اليوم » او كائنا ما كان اسمها والتى تنشرها الصحف كل يوم ، نعتبرها شيئا يلحق بماذا تاكل اليوم ، فليس من الضرورى ـ وفى كثير من الاحيان ليس من الممكن ـ ان

ما يرى في الليل وما لا يرى في النهار يختلف طوال السنة حسب موضع الأرض في سبحتها حول الشمس ومواجهتها من كل الجوانب مع بقاء النجوم مرتبة على صفحة السماء . وهي بالطبع ليست ثابتة ولكنها بعيدة جدا وحركتها لا تظهر لنا بسبب المسافات الشاسعة التي تبعدها عنا .

تأكل الطبق الذي يقترحونه عليك وليس من الضروري أن تصدقهم في موضوع « البخت » وان وجدت هذا وذاك موضوعاً مسليا فلا باس .

وهكذا فلكل شخص برجان :

١ ــ البرج الذي كانت الشمس فيه في الايام التي ولد فيها .

٢ ــ البرج الــذى كان يشرق في اللحظة التي ولد فيها . (ونكرر انه لا يهم ما اذا كان هذا ليلا ام نهارا فكوننا لا نراها لا يدل على انها لم تشرق) .

فاذا اتفق ان ولد شخص ساعة شروق الشمس فهذا « يفقده برجا » ويصبح ببرج واحد فقط هو الذي كان يشرق ساعة مولده ومعه الشمس طبعا .

ويجوز لنا هنا أن نلاحظ أن المسألة كلها من وجهة نظر مشاهد على الارض فهذه الأبراج بعيدة جدا جدا عنا وعن الشمس ولا علاقة للشمس بها ، بل انها هي نفسها بعيدة جدا عن بعضها البعض وقد يكون الكثير منها قد اندثر منذ ملايين السنين ولكن بعد المسافة هو الذي يجعلنا نراها للآن .

الفلكي الحقيقي

المنجم ، بمعنى هذه الكلمة ، هو الذي يجري ما يلي :

١ ــ بحسب مكان وساعة وتاريخ مولدك .

٢ ــ يعيد حساب الزمن ليصبح صحيحا من الناحية الفلكية . وانت عندما تنظر الى ساعتك وتقول « سبعة الا عشرة » فهذا بعيد جدا عن الحقيقة مهما كانت ساعتك مضبوطة . فهناك تصحيح يأتي من عدم انتظام دوران الارض حول الشمس ، فهي لا تسير على دائرة وانما على منحنى (القطع الناقص كما يسمى) وهو الذي تراه عندما تمسك سكينا كبيرا وتقطع خيارة بالسكين مائلا ــ اى ليس عموديا ، ثم هناك تصحيح لنتيجة اننا نعد اليوم ٢٤ ساعة من باب التسهيل ، ولكنه ليس كذلك من وجهة نظر مشاهد بعيد ــ بمعنى من وجهة نظر الكون ــ وذلك لان الارض عندما تكون قد دارت ٣٦٠ درجة حول نفسها ، تكون قد انزاحت ايضا ولابد من « زقة » صغيرة أيضا لمن يقف على ارض لكي يجد نفسه يواجه الشمس كما كان في اليوم السابق . ثم هناك تصحيح للوقت المحلي ، وهو « مراعاة فروق التوقيت » كما في الصلاة وفي الافطار والتي تنتج عن توحيد التوقيت بالنسبة لمناطق باكملها ، فتوقيت القاهرة هو توقيت السلوم ولكنه ليس كذلك فلكيا .. الخ .

٣ ــ من هذه البيانات ، يوجد « البرج » او علامة الـ « زودياك » ، من ذلك يعرف انك ولدت في اللحظة .

التي كان فيها « الدلو » يظهر فوق الافق ، وهذا على سبيل المثال فقط دون ان نقصد اي اساءة

٤ ــ لم يوجد البرج الذى كان فى منتصف المسافة بين الشروق والغروب اى فوق الرأس بالضبط فى المكان والساعة التى ولدت فيهما .

٥ ــ لم يحدد مواضع الشمس والقمر ، والكواكب على هذه الخارطة التى اصبحت الان تمثل ما يسمى « اوروسكوب » أو « المنظار الزمنى» الخاص بك أو بأى شخص آخر ولايمكن ان يشترك فيه اثنان ولو كانا توأمين!

حتى هنا الموضوع علمى جدا ، لايستطيع اى عالم فلك أن يعترض عليه اما ما يبنى على ذلك فهذه مسألة اخرى ..

الشخصية والمستقبل

هناك أشخاص مغرمون بهذا الموضوع الى حد انهم يعرفون أصدقاءهم بأسماء أبراجهم ، هذا « ثور » وهذا « دلو » وهذا « عقرب » ... الخ ، وكل واحد من هؤلاء له طباع معينة أو شخصية ، الى آخر هذا الهذيان .

هذا ــ كما سبق ــ ليس موضوعنا موضوعنا هو ، هل صحيح ان الاوضاع الكونية لها تأثير على كل مايحدث على الأرض ؟ بما فى ذلك شخصية المولود ؟ بل والمهنة التى سيشتغل بها ؟ ومستقبله .. ، الخ ؟

الجاذبية اهم ظاهرة فى هذا الكون وهى قانون عالمى ، بمعنى الكلمة ، لا استثناء منه ولا مفر ، وكل جسم فى هذا الكون يجذب كل جسم آخر بقوة تتناسب مع كتلة كل منهما ، وتتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما والارض تجذب كل واحد منا وهذا هو ما يجعل له « وزنا » ، ولذلك فان جاذبية الاجسام لبعضها البعض لايظهر اثرها وذلك بسبب تغلب جاذبية الارض

ولكن بقية الاجسام السماوية تجذبنا ايضا ، وبصفة خاصة الشمس ، والقمر والكواكب ، واكثرها تأثيرا على الارض هو القمر ، رغم انه صغير الحجم جدا بالنسبة للشمس ، واصغر كثيرا من الكواكب ، الا ان قرب المسافة بينه وبين الارض هو الذى يجعله يجذب ماء المحيط فيسبب المد والجزر ، ويجذب الغلاف الجوى مؤثرا على الضغط الجوى ... الخ .

ولكن الفلكيين ــ والمقصود هنا المنجمون ، فالآخرون « علماء الفلك » ــ ينسبون الى هذه الاجسام اثرا على الحياة فى الارض يصعب على الانسان العادى ان يتصوره ، خاصة والتأثيرات التى تنسب للكواكب لاتقتصر على فعل الجاذبية ، وان كان هذا نفسه مشكوكا فى اهميته لبعد المسافة ، بل ان التأثيرات تتخذ اشكالا وانكارا ميتافيزيقية ، وابتداء من هنا ، فان ما يقول به الفلكيون العالميون من ان التنجيم علم ، يبدأ فى فقدان قدرته على الاقناع .

هذا الذى يقولون به مجرد معتقدات تقليدية ، وسيلتهم فى اثباتها اغلبها « احصائى » فالذين يولدون والمريخ فى وسط السماء يصبحون أطباء ، هكذا بصرف النظر عما سيصادفه هذا المولود فى مستقبله بما فى ذلك مكتب التنسيق . مسألة المهن هذه اجريت عليها تجارب كثيرة فى اوربا وامريكا وهم يقولون انهم يأتون بال « اوروسكوب » الخاص بعدد من الناس ويعطونها

● الفارق بين التنجيم "العلمي" وبين مسألة "البخت" هو أن الأول يأخذ في اعتباره برج الشخص، أي البرج الذي كان يشترق ساعة ولادته، وهذا باختلاف المكان والزمن الذي ولد فيه هذا الشخص، أما البخت فلا يهتم إلا بالبرج الذي كانت فيه الشمس خلال ثلاثين يوماً ولد أثناءها.

للفلكيين الذين يحددون مهنة كل واحد منهم بنسبة نجاح عالية . لو حدث هذا امامي مليون مرة لقلت انها مليون صدفة ، او رمية من غير رام كما يقول العرب .

وهناك قواعد اخرى كثيرة فالخارطة تدل ايضا على طباع الشخص وعلى مميزاته الشخصية وقدراته .. الخ وكل هذا - كما سبق - يبنى على مجموعة من المعتقدات القديمة ، ومن المستحيل ايجاد اى رابطة منطقية بين هذه المعتقدات واغلبها اشياء مبهمة ولا توجد اى قواعد يمكن فهمها .

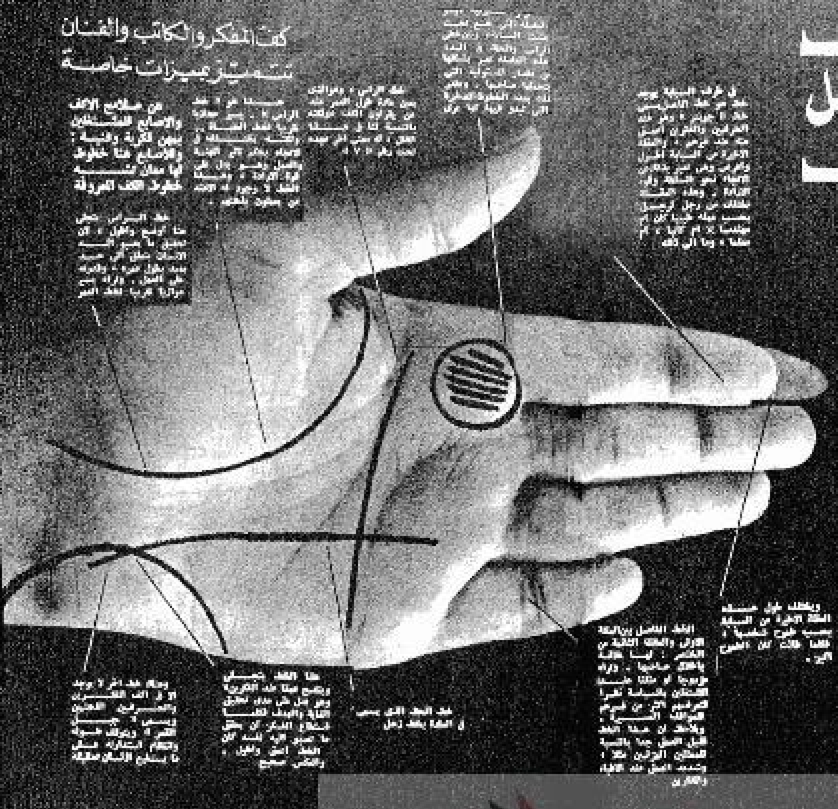
ولكن بعض العلماء مازالوا يحاولون ايجاد تفسيرات لهذه المعتقدات وبلغ الاقتناع بهذه الامور الى حد ان عالما تشيكوسلوفاكيا اوجد الرابطة بين الشهر القمري ودورة الطمث عند الاناث وخرج من بحوثه بطريقة لمنع الحمل عند كل سيدة ، تستنبط من الخارطة الفلكية ايضا ، بل ان نوع المولود - فيما يقولون - يتوقف هو الاخر على أوضاع القمر والكواكب .. .. الخ وبناء عليه فان هذه كلها يمكن التحكم فيها او « تخطيطها » بواسطة الفلكيين !

كل هذا شيء ... والتنبؤ بالمستقبل شيء آخر ، وبنو الانسان فى رغبتهم فى استباق الحوادث لا يملون الاستماع الى التنبؤات التى تدلهم على ما سيقع في اوقات لم نصل اليها بعد !

اعتقد ان هذا الجزء على الاقل يجب ان يكون مجرد تسلية ، لان المستقبل شيء لم يحدث بعد وبالتالى فهو شيء لا وجود له الان ، وبكل بساطة ، اذا عرفناه فانه لم يعد مستقبلا ، وليس كل واحد منا شخصية فى مسرحية اوديب بحيث يمكننا معرفة ما سيحدث دون ان يمكننا منعه او تغييره . ولكن الفلكيين والذين يصدقونهم لن يعجزوا عن التلاعب بحقائق العالم المادى ، وعلى رأسها ان الزمن موضوع نسبى ، وان ما يبدو لنا انه الماضى والحاضر والمستقبل ليس الا تهيئوات نحن الذين نخلقها ونفترضها .... الى آخره ، حسنا ، لكل من يسرون باستنباط المستقبل من الاوروسكوب والخرائط الفلكية ، كما لو كانت لحظة مولد الانسان هى اللحظة التى يتحدد فيها كل شيء ((وهو خطأ فادح)) ، بل ونقول للذين يؤمنون بالكف والكوتشينه وقراءة الفنجان: لتستمتعوا بما تسمعونه اذا كان يمتعكم، وليس من الضروري ان يكون صحيحا من الناحية العلمية ، فليست الحقيقة العلمية هى النوع الوحيد من الحقيقة ، وليست الحقيقة هى اهم شيء على اية حال ، كثيرا ما يكون الخيال افضل منها ... اما انه امتع، فهذه هى الحقيقة لا يختلف فيها اثنان . ●

كفك دليل مهنتك

كف المفكر والكاتب والفنان تتميز بميزات خاصة



●● سواء الذين ممن يؤمنون بقـــراءة الكف، وما تضمه من معان، أم لم تكن، فإن هناك حقيقة مقررة، وهي أن المهنـــة التي تمارسها، تؤثر في شكل كفك، وخطوطها. وهذا أمر واضح تستطيع أن تتبينه عندما تقارن كف رجل يعمل بالأدب، أو الفكر، أو العلم، بكف رجل يعمل في مهنة يدوية.

ولـكن حتى في هذه الحدود، هناك فروق جوهرية بين الكف من يعملون في المهـــن التي نسميها ذهنية أو فنية، مثل الطب والتدريس والتصوير والكتابة، وما إلى ذلك. لأن كف الإنسان ليست مجرد قاعدة للأصابع، وإنما هي صـــورة لشخصية تتكيف بحسب هـــذه الشخصية، وتأخذ مع مرور الزمن صـــورة معينة ذات ملامح معينة شبيهة بملامح الوجه التي تكتسب هيئة خاصة نتيجة لنـــوع الحياة التي يعيشها الإنسان وما يصـــادفه فيها من ظروف ذات طبيعة دائمة.

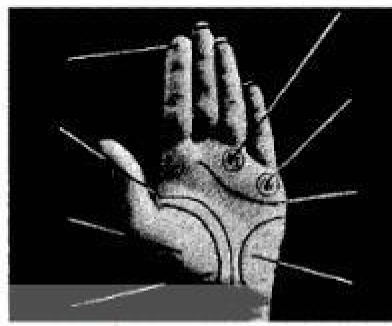
ولكن دلالة الكف تختلف كل الاختلاف، عن دلالة الكف على المستقبل الذي يؤمن به الكثيرون من الناس وهو في الحقيقة ليس علما وإنما هو ذكاء وتجربة من قارىء الكف التي يستجمع المعلومات الأساسية عن الشخص لم ينظر في كفه ويستنتج ملاحظات عن الحاضر والمستقبل.

في موضوعنا هنا لا تقتصر الكف على مجرد قاعدة الأصابع، بل تدخل فيها الأصـــابع أيضـا، لأن لها دلالتهـا بحكم ممارسة المهنة. فترى في الصـــورة الرفقة لهـــذا الكـــلام بيانا بالنقط الأساسية التي سنعتمد عليها في كلامنا، وفي شرحنا للصورة التالية لها ●●

كـفـك دلـيـل مـهـنـتـك

● يد الكاتب ●

يلاحظ ان خطوط الاصابع فيها قليلة ، وان اطرافها مستديرة ، في حين ان قواعد الخنصر والبنصر تكون عضلات قوية . ومن الغريب ان خط القلب في اكف الكتاب دائما قصير . اما خط الرأس ، فهو عندهم عميق ، وقد يكون مزدوجا . وتتميز يد الكاتب بان جبل القمر الذى اشرنا اليه في الرسم الاول يكون متميزا جدا ، ويطول عندهم خط العمر .



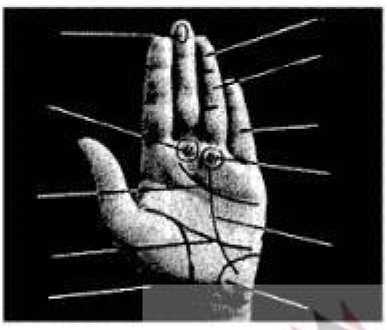


● يد المدرس ●

تمتاز هذه اليد ببسطة الكف ، وطول الاصابع وغلظها ، وضخامة العضلة الواقعة عند منبت الخنصر . وأكبر ما يميز المشتغلين بالتدريس بالنسبة لاصابعهم هو قوة السبابة ، وكثرة خطوطها ، بسبب استعمالها المتواصل . ولهذا فان قاعدتها تتميز بمربع يسمى مربع المدرس

● كف الفنان واصابعه ●

يلاحظ طول عقلات الاصابع ودائرة الفن ،حول الظفر الاصبع الوسطى ، وكذلك تبدو الخطوط الفاصلة بين عقلات الاصابع عميقة ، والعقلات نفسها طويلة ، وتتميز أكف الفنانين بقاعدتى الوسطى والخنصر .. والاولى تسمى جبل زحل .. والثانية تسمى جبل الشمس . ومن كل من هاتين العقلتين يخرج خط . فالاول يسمى خط الشمس، والثانى خط زحل كما يرى في الرسم .لاحظ اختلاف اتجاهات خطوط العمر والارادة ،والفكر، في قاعدة الكف ، لان المشتغل بالفن في العادة يتميز بعصبية وحساسية خاصة





● كف الطبيب ●

تتميز اصابعها بالطول والتدبب في الاصبعين الوسطى والخنصر ، اما السبابة فهى في العادة مستديرة ، لان الطبيب سواء أكان جراحا ام باطنيا يستعمل السبابة باستمرار .. ويلاحظ أن العقلة الاولى من السبابة تكون قوية ذات خطوط كثيرة رأسية ، في حين ان الخط الفاصل بين السبابة والكف يكون عميقا لان السبابة تعتبر في الحقيقة من اعظم ادوات الطبيب . وخطوط الكف بالنسبة للاطباء لاتتبع نظام خطوطها عند غيرهم ، نظرا للحساسية الخاصة التى تتربى عند الاطباء المارسين أيا كان تخصصهم

المعجزة الباقية

● د . مختار الوكيل ●

زَهَوْنا بميراث النبي محمد ... ولُذْنا بقرآن الإله تهجدا
إذا أقبل الليل انثنينا لسورة تُطالع فيها الباقيات على المدى
... إذا أقبل الليل استضأنا بنوره لأنّ لنا فيه ملاذا ومسجدا
هدًى ذلك القرآن للناس كلهم فليس لبعض منهمو نُزّل الهدى

***

وفى هدأة الليل الحنون ترنمت لهاة بآيات وضاء هى الندى !
وعيد ووعد بالجنان ، ورحمة وعهد بغفران لمن تاب واهتدى
ونار أعدت للذين تجبّروا عتوا ، فضلّوا وانتهى أمرهم سدى
ودين ودنيا ، والعصور التى خلت فلم يبق منها فى الحياة سوى الصدى

***

فياسيد الرسل الكرام ، تحية إليك من القلب الذى قام منشدا
لقد جئت من رب الأنام بمعجز على الدهر يبقى فى الصدور مرددا
مضت معجزات الرسل فور ظهورها وقرآنك الباقى على الدهر سرمدا

***

عجبت لمن ينأى عن النور جاهلا وفيه شفاء الروح والعز والندى
فيامن إلى القرآن تنتمى أصولهم أعزوا كتاب الله ترضوا محمدا

قاموس مصطلحات النجوم والأبراج

• شندى الفلكى •

الزودياك : دائرة الابراج وهي كلمة يونانية وضعها العالم اليوناني زودياكوس ، و « زوون » باليونانية تعني الكائن الحي • وهي دائرة مائلة بمقدار ١٧ درجة ارتفاع ، تحيط بالارض ، ويقسمها خط الشمس في وسطها • طولها يعادل سمت الشمس ويساوى ٣٦٠ درجة •

يقسم الفلكيون دائرة الزودياك الى ١٢ جزءا متساويا ، كل جزء منها مؤلف من ٣٠ درجة واطلقوا على هذه الاجزاء اسم « ابراج الزودياك » •

وهذه هى الابراج بالتسلسل ، مع موجز للصفات العامة التى تميز بها شخصيات مواليدها :

برج الحمل : شخصيتك تدل على القوة والمهارة وقوة العزيمة ومتانة الخلق ، وانت تستطيع تحديد مستقبلك أو التحكم فى ظروفك واحوالك •• كل اخطائك بل ومتاعبك فى الحياة نتيجة التسرع فى تصرفاتك أو اعمالك أو اقوالك ، بل وفى عدم صبرك ••

الثور : تعشق الجمال والفن والموسيقى والغناء ــ عواطفك قوية عميقة ، ومشاعرك رقيقه حساسة ــ عنيد ، تتمسك دائما برأيك ــ وانت قوى الارادة وقد تستخدمها لمصلحتك أو ضد مصلحتك أحيانا ــ وانت صديق صدوق ومخلص لا صدقائك جميعا •

الجوزاء : يغلب عليك القلق والتشاؤم ، وهذا نتيجة سرعة افكارك وميلك الشديد الى التغيير المستمر ــ انت حساس بطبعك ، عاطفى ومحب ومحبوب وكريم ، ولكنك مندفع ومتقلب احيانا اتبع وحى ضميرك واختر من الاعمال ما يناسبك او يلائم طبيعتك لتصل الى السعادة والنجاح •

السرطان : شخصيتك تدل على الامانة والصدق وعلى الاحتفاظ بالاسرار ، كما انك تقوم باعمالك بدقة ومهارة ــ عواطفك عميقة متينة وهى مفتاح السر لشخصيتك ــ توازن عادة بين قواك العقلية والجسمية ، ومع ذلك فانك تبدو احيانا منقبضا متشائما حزينا •

الأسد : انت فخور بنفسك معجب بذاتك ، متكبر نوعا ، نصيحتى اليك ان لا يزيد الاعجاب أو الكبر فى نفسك الى درجة تجعلك غير مقبول فان ذلك يعوق طريق نجاحك ــ عندما تحب يكون ذلك فى عمق واخلاص وتضحية ورقة وكرم شديد •

العذراء : طبيعتك حساسة وانت تعيش داخل نفسك ومشاعرك الخاصة ، لانك محافظ بطبعك ومسراتك تأتى دائما من داخلك ، حسب ما يوحى به عقلك الباطن ــ تبدو مصمما ومثابرا الى اهدافك او غاياتك ــ انت خبير باحوال الناس وطبائعهم •

الميزان : لك شخصية مستقلة ، وتعرف جيدا ماذا ينبغى عمله أولا ــ تستفيد دائما من تجارب الماضى ــ وانت حساس رقيق ومرهف الشعور ، تميل الى الفنون بطبعك ــ قاوم احساسك بالحزن أو التشاؤم فهو نتيجة ارهاق



عصبي او قلق نفسي

العقرب : انت تتحكم في قدراتك العقلية بشكل يضمن لك النجاح في اي عمل ـ قد يلجأ اصدقاؤك اليك يسالونك المساعدة فلا تبخل بها ـ ستصادف حظا موفورا من ثروة وشهرة وتصل الى مركز عظيم في حياتك ـ واعلم ان الحظ يخدمك كلما تقدمت في السن وخصوصا في اواخر ايام العمر ..

القوس : تعتريك بعض الافكار الحزينة كما يساورك الخوف بالنسبة للمال او العمل او المستقبل انت عنيف في ساعات الغضب ، لا يمكن لاحد ان يثنيك عن عزمك ـ لا تحب التعقيد بل تميل الى البساطة واليسر والتساهل ـ قوي الملاحظة قوي الحجة .

الجدي : انت ملهم وعندك القدرة على التنبؤ باشياء في المستقبل ، حياتك العقلية في تطور مستمر ومن النادر ان تبقى على فكرة واحدة طويلا ـ انصحك باستخدام ما يوحي به اليك عقلك المفكر لتحقق النجاح السريع في حياتك ـ

الدلو : قد لا يعرفك الكثيرون جيدا او قد يخطئون فهمك لانهم لايستطيعون ان يسبروا غورك او اعمالك ـ انت طيب القلب ورحيم وخدوم ، وروحك شفافة عالية وهمتك مشكورة ـ تعيش في عالم من الاحلام وتتمنى لنفسك وللعالم اماني جميلة ، وتنشد السلام مستسلما كثيرا لاحلام اليقظة .

الحوت : انت مخلص في نواياك واعمالك ومقاصدك ـ بالتفاؤل والمرح والابتسام تحقق انجازا كبيرا ـ حاستك للحب او الجمال او الفن قوية نشيطة ـ ينبغي ان تتغلب على الانطواء والخجل والحساسية ، تسير في اعمالك او مشروعاتك بخطى ثابتة وتصل الى اهدافك بفضل ما منحك الله من عزيمة وعقل راجح وفكر صائب .

دائرة البروج الفلكية :

اختلف الكثيرون في معنى البروج ، فقال بعضهم هي القصور من السماء مثل قصور الارض ، وقيل هي النجوم وقيل هي السرج وقيل هي ابواب السماء التي تسمى المجرة . وقال غيرهم انها البروج المعروفة اثنا عشر برجا . وانها مقسمة ترابيع وتثاليث ، وهي مقسمة على الكواكب السيارة . وذكر بعض العلماء بقول الله تعالى **((تبارك الذي جعل في السماء بروجا)) ـ هي محل** الكواكب السيارة .

ومنطقة البروج الفلكية تشبه الى حد كبير دورة حياة الانسان وتطورها منذ المهد الى اللحد .. « فالحمل » يمثل اول مرحلة في تلك الدورة ، اي تلك المرحلة التي تشبه الطفولة بطلباتها الكثيرة .. ثم مرحلة « الثور » وهي تتمشى مع المرحلة التي يعثر فيها الطفل على الحب الذي يبحث عنه ، « والجوزاء » تمثل الطفل في مرحلة اللعب وهو ينمي علاقته بالحياة خارج نطاق الاسرة .. اما « السرطان » ، فيعبر عن مرحلة المراهقة عندما يعكس الصبي آراء وتصرفات الاسرة والبيئة المحيطة به و « الاسد » يمثل الشاب الذي يتخذ لنفسه زوجة ، وهي بالطبع « العذراء » . و «العقرب» يعبر عن الصراع . اما « القوس » فهو المرحلة التاسعة التي يكون صاحبها قد اكتسب فيها الحكمة والتفاهم مع الآخرين اي مرحلة العلم ثم مرحلة الانطلاق والتقدم في « الجدي » ، ثم مرحلة فلسفة امور الحياة في « الدلو » ثم المرحلة النهائية وهي الاستعداد للرحيل من الدنيا ومرحلة التصوف في « الحوت » .

الكواكب السيارة : وظائفها رموزها وتاثيراتها

يتكون نظامنا الشمسي من الشمس التي تدور حولها الكواكب « وتشمل الارض وتابعها القمر » وتسمى الشمس والقمر عادة في علم النجوم التطبيقي

((النيرين)) .

ولــكل كوكب علامة تــدل عليه ، وتناظرات وعلاقات خاصــة مع بيوت النجوم وبروج دائــرة البروج ولــكل كوكب أيضا حركته الدائرية الخاصة ، ودور الكواكب مهم جدا لانهـا تؤثر في خريطة البروج الشخصية وفي التنبؤات المحلية والعالمية .

الشمس : الحياة ، الملك ، الرئيس ، القائد ، الاب ، الاشعاع ، الانتشــار ، السلطة ، القدرة على تحقيق الذات .

ومن العيوب الغطرســة ، الغضب ، الغرور ، الاثرة ، الطغيان أو الاستبداد وله من الابراج الاسد وهو البيت الخامس

القمر : الخصوبه ، والمراة باعتبارها الزوجة والام في العائلة ، الام الروحية ، الجماهير ، النــاس ، النفس ، العقل الباطن والظــاهر ، التخيل ، الذكرة .

ومن العيوب التقلب ، الاستغراق في التفكير الحاد ، النزوات ، التهــرب من الواقع ، وله من الابراج السرطان .

عطارد : الشباب ، الاخوة الصغار ، اولاد العم والخال ،الوسطاء،الروحانيون ذكاء متوقد ، قدرة على التكيف ، فصاحة ، مرونــة ذهنيــة ، قدرة على التكيف والاستنتاج ، دبلوماسية ، براعة يدوية .

ومن العيوب عدم الاستقرار ، انغماس في الملذات ، خيانة ، كذب ، خداع ، سرقة ، وله من الابراج الجوزاء والعذراء ، وهما البيت الثالث والبيت السادس

الزهرة : الفنون ، الجمــال في كل صوره ، الصــديقة ، المراة للفنــان ، الاجتماعية ، الكياسة ، المثالية ، القدرة على التجاوب ، الاحساس الفنى .

ومن العيوب الاهمال والغيرة ، والكسل واللاأخلاقية . ولها من الابراج الثـور والميزان وهــما البيت الثــاني والبيت السابع .

المريخ : الحيوية ، الرجولة ، الكفاح الحرب ، الحركة ، القــائد ، الصراحة ، الجاه ، المغامرة ، الشجاعة ، قوة التحمل والاقدام ، تفضيل المشروعات العملية عن التخطيط النظرى ، الحس الاستراتيجى وديناميكية ، من الســهل ان تؤثر على الآخرين .

ومن العيوب الاهمــال ، الاندفاع ، التهور ، الغضب ، القسوة ، روح الحقد والســخرية وله من الابراج برج الحمل وهو البيت الاول .

المشترى : المناصــب العليا للدولة ، ادارية ودينية ، رجال القانون الصديق الكريم ، الحكمة ، التمسك بالفضيلة ، الاهتمام بالانسانيه ، التعقل ، رباطــة الجاش ، الاحساس بما هو عدل ، قدره هائلة على التنظيم ، مهــارة طبيعيه ، الاحساس بالواجب واحترام الســلطه ، النزوع الى فعل الخير .

ومن العيوب الانغماس في الشــهوات النهم ، الغرور . ولــه من الابــراج القوس وهو البيت التاسع .

زحل : الزهد ، التــدين ، المعرفة الواسعة ، التماسك ، الحكمة ، المثابرة ، ذكاء ، قوة تركيز ، تأمل ، بعد النظر ، الحيطة ، اتزان عاطفى ، طبيعة محافظة .

ومن العيوب الانانية ، عــدم الثقة ، التشــاؤم ، بغض الجنس البشرى ، العناد . وله من الابراج برج الجدى وهو البيت العاشر .

أورانوس : خيال وشــفافية ، رغبة في الدراســة ، احســاس بالاخوة ، الاصدقاء ، التقدم ، ميل الى العلــوم النفسية والميتافيزيقية .

ومن العيوب المطالبة بما لايقدر عليه ، الفوضوية الثورية وحب الذات ، وله من الابراج برج الدلو وهو البيت الحــادى عشر

نبتون : الجمــاعة ، التصــوف ، الوساطة ، المحيط ، الحيرة ، الليونة ، التفتح العقلى الحرص ، الايمــان ، حب العبادة ، التطور الروحانى .

ومن العيوب الكسل الذهنى ، يسهل التأثير عليه ، الكآبة . وله من الابــراج برج الحوت وهو البيت الثانى عشر .

بلوتو : احســـاس كامن بالعدالة ، فوضى طبيعية ، تغيرات نفسية كبيــرة ، القدرة على اعادة البناء الجسدى والتحليل النفس الذاتى ، موهبة الابتكار والاتزان الذهنى ، التقوى .

ومن العيوب العناد ، العنف ، القوة ، الميل الى التحايل بدرجة كبيرة لارضاء الرغبة في الثراء وله من الابراج العقرب وهو البيت الثانى ●

في موكب الحب..

● ابراهيم عيسى ●

سَلي ثغرَكِ الطفلَ من قبّلَه ؟
وجفنَكِ من بالهَــوَى كَحّلَه ؟
ومن أيقظ الحبُّ في مَهْـــدِه ؟
ومن قد رعاه .. ومَن دَلّلَه ؟
وصدرَكِ من هَــزَّ أشواقَــه ؟
وخمــرَكِ من في فَمي حَلّلَه ؟
أنا كنتُ فارسَــكِ المُــرتجى
وكنتُ بغصنِ الهَــوى بُلْبُلَه

***

وقلتُ : أحبكِ ... قلتُ كلاما
كثيرا كثيرا بلا أقنِعَــــــــه
صدقتُكِ حتى ضَمَمْتِ حروفي
وقلتِ لقلبيَ إنّي مَعَــــــــه
وينتفض الشوقُ في مهجتينــــا
فنختفي بأعماقنا الزوبعَــــه
لكَي لا يَرى الناسُ أنا جُننّــا
وجُبْنا البحارَ بلا أشــــرعَه

***

وتَغفو على جَمَــرات الوصالْ
وتَصحو على همســة مستجيره
وأجذب شــعرَكِ .. أغرسُ كفّي
فتَلهو على راحتيْ الضّـــفيره
وتعبث بي موجَــةُ الأمنيــاتِ
فيسكُب شَوقي بقَلبي هَـديرَه
كأنّي شِراع بِبَحــر الهَــوَى
رَمَتْه الليالي .. وأنتِ الجزيره!

الفلكيون يؤكدون :

لكل إنسان منا توأم زمني في مكان ما بالعالم ... ! فهل تعرف توأمك الزمني ؟

● تأليف العالم الفلكي : جودافيچ ●
● تقديم : جورج عزيز ●

● لكل انسان على وجه الارض ـ تقريبا ـ توام زمني في مكان ما ، اى ان يكون هذا الانسان مولودا في اى مكان مع توام له يكون قد ولد في مكان آخر ، وتكون الولادة في يوم واحد ، وربما في ساعة ولحظة واحـدة ، وعلى نفس خطى الطـول والعرض ..

وكثيرا ما يحـدث أن يولد عشرات الاطفال في وقت واحد تقـريبا بالمدن الكبيرة . وقد يولد في اللحظة نفسها ، في اى مكان آخر على سـطح الارض ، عشرات آخرون من الاطفال .

في وقت واحد في طالع واحد !

وهؤلاء الاطفال الذين يولدون في وقت واحد ، أو لحظة واحدة تقريبا يشتركون، أغلب الاحيان ، في طالع واحد ..

ولقد ظل الفلكيون ، طـوال قرون عديدة ، يذهبـون الى ان الناس الذين يشتركون في طالع واحد لهم حياة واحدة ، وان اختلفوا أحيانا من الناحية الخلقية ، ومن ناحية الاتجاه الذى خرجوا فيه مـن أرحام امهاتهم .

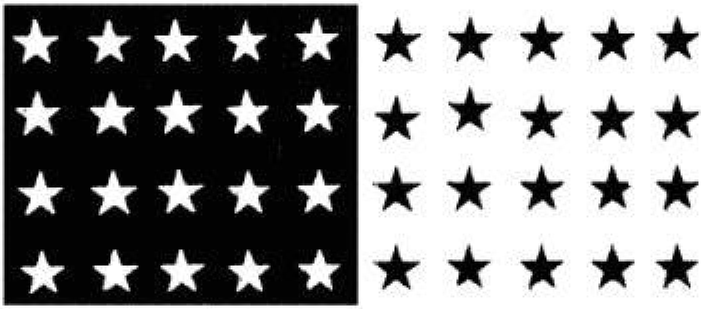
ذلك انه اذا كان للقوى الجبـارة في الكون المحيط بنا اى تأثير يمكن التنبـؤ به ، على حياة البشر ، فان تأثير تلك القوى على حياتك يمكن الاستدلال عليه والافضاء الى كنهه، بالعثور على اناس ولدوا في نفس الوقت والمكان تقريبا، والوقوف على كل التفاصيل في تاريخ حياتهم لمعرفة ما اذا كانت هناك أوجه شـبه بينها وبين تاريخ حياتك

وثمة أمر له اهميته القصوى في هـذا الصدد، هو أن وجود علم الفلك أو عدمه يرتهن بالاهتداء الى مثل هذه القرائن .

ومن ثم استقر رأى المؤلف على ان يدرس هذا الموضوع بدقة وعناية العـالم الحريص على معرفة الحقيقة ، وذلك لكى يثبت ما اذا كان علم الفلك علمـا بكل ما تنطوى عليه هذه الكلمة من معنى أم كلاما أجوف لا نصيب له من العلم !

وبعد سنوات عديدة من الدراسـة والبحث والتقصى ، اهتـدى المؤلف الى قرائن عديدة حدت به الى أن يقول بأسلوب العالم الواثق بنفسه :

« لقد ثبت لى بالادلة القاطعة الدامغة ان «توائم الابراج» أى الاشخاص الذين يشتركون في طالع واحد لانهم ولدوا في نفس الوقت تقريبا ـ يتشابهون في امور كثيرة ، ويصابون عادة بنفس الاصـابات



في وقت واحد تقريبا ، وفي نفس المكان من الجسم !

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن الآثار التي تتخلف عن الاصابات في أجسامهم تكون متشابهة الى حد يثير الدهشة والعجب . واغلب هؤلاء الناس يتزوجون ، وينجبون أطفالا ، ويتقدمون في السن ، ويخط الشيب شعرهم ، في وقت واحد على وجه التقريب ، بل انهم يموتون في نفس الوقت لنفس السبب في أغلب الاحايين ! »

هل يحدث بمحض الصدفة ؟

ان كثيرين من الناس يعتقدون ان هذه الامور لا تحدث الا بمحض الصدفة ، غير ان الادلة العديدة المتباينة التي استطاع المؤلف جمعها خلال فترة غير قصيرة من الزمن تثبت ، بما لا يدع مجالا للشك ، ان هذا الاعتقاد أبعد ما يكون عن الصحة .

ولكن ينبغي لنا مع ذلك أن تدخل الوراثة في حسابنا ، ولا مفر لنا من أن نربط بينها وبين تأثير البيئة ، وان كان هذا كله يواجهنا بأسئلة يتعذر علينا أن نجيب عنها لأنها تدور حول مسألة تثير شيئا غير قليل من الحيرة هي امكان وجود قوى خارجية لها تأثير بعيد المدى في تكوين أخلاق وصفات المرء ، وقد تحدد مصيره ومستقبله في الحياة .

فالامير الثري ، والفقير الذي لا يملك شروى نقير ، قد يكون لهما طالع واحد ، بيد أن مركز كل منهما في الحياة يمنعه من أن يعمل على نفس المستوى الذي يعمل فيه الآخر .

وهناك دراسات وبحوث عديدة تثبت ان لموعد الولادة تأثيرا كبيرا على الطريقة التي يفكر بها المرء ، ويشعر ، ويسلك في الحياة .

وفي هذا يقول الطبيبان الامريكيان دكتور ويلسون ودكتور ريس ان التوأمتين «بوبي جين» و « بتي جوالين » ولدتا في ١٩ من أغسطس عام ١٩٣٠ في مدينة بورلير بولاية كارولينا الشمالية ، واصيبتا باضطراب عقلي بعد حياة مليئة بالتماثل في أمور عديدة : الحوادث ، والاصابات ، والامراض !

غرائب المصادفات !

ففي يوم ١١ من ابريل عام ١٩٦٢ وجدت احدى ممرضات مستشفى براوتون حيث كانتا تعالجان ، أن « بوبي » فارقت الحياة . وعلى الفور اتصلت تلك الممرضة بممرضة أخرى كانت تشرف على العنبر الذي أقامت فيه « بتي » ، وعلمت منها ان « بتي » لفظت أنفاسها الاخيرة هي الاخرى . ولم يتضح من تشريح الجثتين سبب وفاة التوأمتين !

مصادفة غاية في الغرابة حقا .. ولكن هل هي مصادفة ؟!

لقد وضع دكتور « فرانز كالمان »

الاستاذ بمعهد العلاج النفسي في نيويورك تقريرا أثار اهتماما بالغا في الدوائر الطبية ، تحدث فيه بافاضة عن توأمين أصيبا بنوع واحد من انفصام الشخصية (شيزوفرينيا) .

لماذا ؟

نؤثر أن نتجنب الحالات الشاذة غير العادية ، مفضلين التركيز على الحالات غير العادية دون أن تكون شاذة .

في يوم ٤ من يونيه عام ١٧٣٨ ولد طفلان لا صلة بينهما على الاطلاق في نفس الدقيقة باحدى مدن بريطانيا .

وكان الطفل الاول من أسرة عادية ، أي من عامة الناس ، وقد اطلق عليه اسم « صمويل هيمنجز »

وكان الطفل الثاني ـ عندما شب عن الطوق ـ هو الملك جورج الثالث !..

وبعد أن تخرج صمويل في الجامعة آثر أن يكون رجل اعمال ، وافتتح لنفسه مكتبا في شهر اكتوبر من عام ١٧٦٠ ، وهو الشهر الذي جلس فيه جورج الثالث على عرش بريطانيا !

وتزوج صمويل يوم ٨ من سبتمبر عام ١٧٦١ ، كذلك تزوج الملك جورج في اليوم نفسه !

ومرض كل منهما ووقعت لهما حوادث في نفس الوقت تقريبا ، وكان لكل حادث ذي بال في حياة صمويل ما يماثله في حياة الملك ، والعكس صحيح . ولكن كان طبيعيا ان تكون لكل منهما حياة خاصة تختلف عن حياة الآخر .

ثم حدث شيء يثير الدهشة والعجب حقا !

ففي يوم ٢٩ من يناير عام ١٨٢٠ توفي الملك جورج الثالث ، وفي اليوم نفسه لفظ صمويل انفاسه الاخيرة ! ..

وامثلة أخرى أغرب من الخيال ..

حدث شيء عجز العلماء عن تفسيره لشخص اسمه دونالد تشابمان وشخص آخر يدعى دونالد برازيل .

وخلاصة قصتهما التي حيرت العلماء انهما ولدا في نفس الساعة ، بل في نفس الدقيقة ، بمدينتين متجاورتين في ولاية كاليفورنيا يوم ٥ من سبتمبر عام ١٩٣٣

وبعد انقضاء خمسة أيام فقط على احتفال كل منهما بعيد ميلاده الثالث والعشرين في يوم ١٠ من سبتمبر عام ١٩٥٦ ، التقى دونالد تشابمان ودونالد برازيل للمرة الاولى والاخيرة في حياتهما . فقد كان كل منهما يقود سيارته في الطريق رقم ١٠١ الممتد جنوبي مدينة « يوريكا » صباح يوم أحد .

وأغرب ما في الامر انه وقع صدام عنيف بين السيارتين ، ولقي كل منهما حتفه في نفس اللحظة ! ..

وحري بالذكر في هذا الصدد ان الفلكيين يزعمون ان طوالع الاباء لها تأثير على الابناء في كثير من الاحيان وعلى الاحفاد في بعض الاحايين !

فهل نقبل ما يذهب اليه الفلكيون في هذا الصدد اذا علمنا ان والد دونالد برازيل لقي حتفه في حادث سيارة في نفس الطريق ، بل في نفس المكان .

(نشرت هذا النبأ وكالة الانباء الامريكية أسوشييتد بريس في يوم ١٠ من سبتمبر عام ١٩٥٦) .

حادث مثير في ايرلندا

وحدث شيء مثير حقا في ايرلندا ، فقبيل أعياد الكريسماس ورأس السنة ـ أي بعد وفاة دونالد تشابمان ودونالد برازيل في سنة ١٩٥٦ ـ كان جاك سميث يقود سيارته والى جانبه زوجته ، على امتداد نهر « ليفي » الذي يمر بالعاصمة الايرلندية . ولسبب ما انزلقت سيارتهما من الطريق وهوت الى قاع النهر ، فماتا غرقا ، وترتب على ذلك أن تيتم ابنهما

بيتر (٨ سنوات) واخته فيكى (١١ سنة) اللذان لم يستقلا معهما السيارة . ولكنهما لم يظلا يتيمين فترة طويلة ،فقد تبناهما جون شانون وزوجته اللذان كانا صديقين حميمين لجاك سميث وزوجته.

وبعد انقضاء أربعة أعوام على غرق سميث وزوجته كان جون شانون يقود سيارته على نفس الطريق الذى يمر بالعاصمة الايرلندية ، ولأمر ما انزلقت سيارته وهوت به الى قاع نهر « ليفى » تاركا أرملة ويتيمين هما « بيتر » و « فيكى » .

ولعل أهم ما ينبغى ذكره هنا أن جون شانون كان قد ولد فى نفس السنة ، ونفس الشهر اللذين ولد فيهما جاك سميث ، ولكن بعد أربعة أيام فقط !

ولدا ، وقتلا ، فى وقت واحد !

فى وقت واحد ، على الساحل الامريكى الغربى ، فى يوم ١٩ من يوليو ١٩٤٤ ، ولد طفلان وسمى أحدهما «فريدشوكلى» واطلق على الثانى اسم «باريت وودراف» وشاءت الصدف أن يصبحا صديقين حميمين ، وان تكون لهما اهتمامات متماثلة أثناء الدراسة الابتدائية والثانوية ... بل كانا يحصلان على درجات واحدة ويمارسان نفس الألعاب الرياضية ويعملان نفس الشىء فى وقت واحد ، وأخيرا التحقا بكلية « أوكلاند » فى كاليفورنيا ، فى وقت واحد !

وفى يوم ٢٣ من مارس عام ١٩٦٤ كان « فريد » و « باريت » عائدين مع زميلتين لهما من رحلة نهاية الاسبوع الى « أوكلاند » . ولكن لم يعد أى منهما .. فقد قتل كل منهما من جراء اصطدام سيارته بسيارة أخرى ، وأغرب ما فى الامر ان الاثنين أصيبا باصابات واحدة ، ولفظا انفاسهما الاخيرة فى نفس اللحظة!

صدفة غريبة حقا !

مصطفى وعلى امين ..

وكان المرحوم الاستاذ على امين قد روى لى قبل رحيله عن دنيانا ببضعة أشهر انه اصيب قبل اعوام بخراج فى فخذه ، على ما اذكر ، فلما عرض نفسه على احد الاطباء طلب منه تحليلا كاملا لدمه ، وتبين من نتيجة التحليل انه مصاب بالسكر ، فاتصل على الفور بتوأمه الاستاذ مصطفى راجيا اياه ان يحلل دمه فاتضح انه اصيب هو الآخر بالسكر فى نفس الوقت تقريبا !

لو كانت عندنا احصائيات دقيقة عن مصير التوائم ، ولو اتجه اهتمامنا الى معرفة كل شىء عند الاطفال الذين يولدون فى وقت واحد ، وهم كثيرون بلا شك لاتضح لنا قطعا أن عندنا فى مصر حالات تثير العجب كالحالات التى اسلفنا ذكرها .

والمسألة ليست معقدة أو عسيرة التحقيق ، اذ يكفى الاعتماد على الاعلان فى الصحف . بمعنى أن يعلن شخص ما عن موعد مولده بالضبط ، ويسأل غيره ممن ولدوا فى الوقت نفسه عما فعلت بهم الايام . ونحن نعتقد ان مثل هذا الاعلان الذى نقترح أن تنشره الصحف بالمجان ، من شأنه أن يثير اهتماما كبيرا ، وأن يؤدى الى الوقوف على حالات تثير الدهشة والعجب ، ويكفل للصحف التى تنشره مزيدا من الرواج ...

لماذا لا تجرب ايها القارىء العزيز ؟

اعلن عن اليوم الذى ولدت فيه ، وحدد الساعة التى جئت فيها الى هذه الدنيا ، واطلب من كل من ولد فى الوقت نفسه، او من يشاركك برجك ان يبعث اليك برسالة يضمنها كل التفاصيل الممكنة عن حياته وظروفه ..

جرب ... وستعرف الكثير والغريب من مصادفات الحظوظ والاقدار .. ●

الشباب السرمد

● ابراهيم صبري ●

كفاكَ شباباً أن ترى الحسنَ بادياً
يؤجّجُ في جنبيكَ ماطنّ خابيا
ويقشعَ غيمَ الرّيب عن خافقِ الهوى
ويمحو مِنَ الدهر السّنين الخواليا
فتضحي .. ولا عمرٌ سوى ما تريده
ولا زَمَنٌ إلا الذي شئتَ آتيا
وتبصر أسرابَ الأماني تلاحقتْ
على دَوْحةَ الأحلامِ تزهو غواديا
ويتّهم الحسّاد غيظا عيونَهم
أهذا الذي خِلناهُ وارى الأمانيا ؟!
وينطق بالمرآة .. مالا يسرّني
فينفرُ قلبي عن مُحيّاهُ ضاحيا
ويشهدُ عينَ الكون أن ليس في الورَى
زمانٌ ولا عمرٌ ينحّي شبابيا
يهاب اقترابا من مَغَاني ربيعه
خريفٌ .. ويمضي خاسِيءَ الطرفِ كابيا
ويلقي على أهل الأراجيف ظِله
فيعجز كلٌّ أن ينالوا نواليا
وتبهرُ الأبصار .. والكلّ سائل
أسِحرٌ يُرى مِنْ بعْد موسى أتانيا
ولو أبصروا حقا .. فلا السّحرُ مُسْعِفي
بل الشّعر بالإلهام يروي فؤاديا
وقرة عيني أن أرى الشعر ملهمَا
وغاية قلبي أن أرى الحب هاديَا



وما أنا إلا شاعرٌ هامَ بالعُلا
وأذّنَ في الآفاق فخراً مُناديا :
أبا الطيّبِ اسمع لي .. وكن لي مجاوبا
ففي إثْر ما أبدعتَ صُغْتُ القوافيا
وما كنت يوما ناظِما ما نظمتَه
إذا كنتَ قد عمّرتَ حتى أوانيا
كلانا به مسٌّ من الدهر ساءه
وضلّل عن دربِ الوصول المساعيا
ولكنني لم أشكُ دهرا مُعاندا
لأني بهذا أشتكي الله ، عاصِيا
وقد قنعت نفسي رضاءً بحكمه
وإن لم تزل ترجو الرغابَ العواليا
وما أنا إلا شاعرٌ عزَّ شعره ...
فلم يبكِ حتى لو رأى الكون باكِيا
ولم يأسَ ممن أنكروا أو تنكّروا
ومروا به صمّا وبكما تعامِيا
فحسبي فخارا أن ترى الشعر شامخا
يخِرّ له ما قيلَ من قبلُ جاثِيا
وخلّف رؤى المجهول قد بات مشفقاً
على شعره من كان في الغيب آتِيا
ويبرزُ في التاريخ من بعدُ منصفٌ
يقول الذي ألقاه في الخلد راضِيا :
لقد كان .. بل مازالَ بالحبّ.. شاعرا
يعيشُ شبابَ الدهر حيّا وباقِيا !

دراسات أدبية

الدّهر والقدر في شعر المتنبّي

● د. محمود علي مكي ●

● كان الايمان بالقدر متأصلا في نفوس عرب الجاهلية ، يستوى فى ذلك بدوهم وحضرهم ، من دان منهم بالوثنية ـ وهم الكثرة الغالبة ـ ومن وقعت اليهم أطراف من الديانات المعروفة مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية .

والحقيقة ان العرب لم يكونوا بدعا فى ذلك بين الشعوب القديمة ، فقد كان هؤلاء يدينون ايضا بالقضاء والقدر ، اى بهذه القوة الخفية التى تحـــدد للبشر طرق حياتهم وترسم مصايرهم ، على أن الذى الفكر العربى منذ الجاهليـــة هو الربط بين القدر والزمن ، فلم يعد الزمن [illegible] هو حركة الفلك كما عرفه اللغويون العرب ، ولا تلك العلاقة بين ظاهرتين او حدثين من حيث القبـــلية او البعدية او التوافق كما يعرفه المحدثون ، وانما اصبح الزمن هو تلك القـــوة الغامضة التى تحدد للناس حظوظهم من الدنيا ، وتخط لهم مسيرتهم فى الحياة . وقد عبر العرب عن هذه القوة بالفاظ عديدة اكثرها شـــيوعا عندهم : الدهر ، والزمان ، او جزئيات الزمن مثل الايام والليالى .

وهكذا أصبح « الدهر » قوة رهيبة تتعقب الانسان فتنزل به كلّ مايقع عليه من شر ، فاصبحوا يقولون « أصابته قوارع الدهر » أو « حوادثه » ، ونســـبوا اليه ما يصور هذه القدرة ، فقالوا « يد الدهر » و « ريب الدهـــر » و « بنـــات الدهر » و « صروفه » اى مصائبه .

هذا زهير بن أبى سلمى يرثى صاحبه هرم بن ســـنان ويعرج على من أدركه الموت من عظماء قومه فيقول :

فاستأثر الدهر الغـــداة بهم ... والدهـــر يرميني ولا أرمي
لو كان لى قرن اناضـــــله ... ما طاش عند حفيظة سهمي
او كنت اعطى النصف قلت له ... احرزت قسمك فاله عن قسمي
يا دهـــر قد أكثرت فجعتنـــا ... بسراتنـــا ووقرت فى العظم
وســـلبتنا ما ليس تعقبنـــا ... يا دهر ما انصفت فى الحكم

وفى هذه الابيات تصوير لذلك الصراع غير المتكافىء بين الانســـان والقـــدر

الذى عبر عنه الشاعر بلفظ « الدهر » .

ويقول عمرو بن قميئة مصورا شيبه ومتحدثا عما حل به من « بنات الدهر » وهي الخطوب التى توجه اليه سهامها النافذة دون أن يجد لها مدفعا :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى — فما بال من يرمى وليس برام
فلو أنها نبـــل اذن لاتقيتهـا — ولكنما أرمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا — أنوء ثلاثا بعدهن قيامى

ولعل أبا ذؤيب الهذلي ـ وهو شاعر جاهلي أدرك الاسلام ـ هو أكثر من ألح الحاحا شديدا على الحديث عن هذا الصراع بين الدهر وبين كل ذى روح من بشر وحيوان ، وذلك في رثائه لابنائه الخمسة الذين ماتوا في سنة واحدة :

أمن المنون وريبها تتوجع — والدهر ليس بمعتب من يجزع

فهو يعاتب نفسه على كثرة التوجع والبكاء ، فذلك ما لن يجديه شيئا ، اذ أن « الدهر » لن يرق للجازعين ، ولن يعمل على استرضائهم أو مراجعتهم بما يحبون ، ولهذا فان الشاعر يحاول أن يتماسك ويتجمل ، حتى لا يفرح الشامتون بمصيبته ، وهو يستعين على ذلك بذكر من سبق أن فجعه بهم « الدهر » من احبائه واهله :

وتجلدى للشامتين أريهم — انى لريب الدهر لا أتضعضع
ولئن بهم فجع الزمان وريبه — انى بأهل مودتى لمفجع

ثم يسلى الشاعر نفسه بالنظر الى عالم الحيوان الذى يضطرب أمام عينيه والذى يوقع الدهر بأهله كما يوقع بالبشر ، اذ أن هذا هو المصير المحتوم لكل كائن يتردد فيه النفس ، فيرسم لوحة رائعة لمهلك حمار وحشى تحيط به اتانه الاربع على يد صائد رمى القطيع بسهامه ، وذلك في الابيات التى يبدؤها بقوله :

والدهر لا يبقى على حدثانه — جون السراة له جدائد أربع

فاذا فرغ من ذلك رسم لوحة أخرى لا تقل روعة عن سابقتها لمصرع ثور وحشي هاجمه الصائد بكلابه الضارية حتى أرداه قتيلا بعد ان أبلى في الدفاع عن نفسه ، وهى أبيات يستهلها الشاعر بقوله :

والدهر لا يبقى على حدثانه — شبب أفزته الكلاب مروع

وأخيرا يعود الشاعر مرة أخرى الى عالم البشر فيتحدث عن مصرع بطلين من الابطال مدججين بالسلاح التحما في معترك الحرب فقتل كل منهما صاحبه ، ويفتتح ابو ذؤيب هذا الجزء من القصيدة بقوله :

والدهر لا يبقى على حدثانه — مستشعر حلق الحديد مقنع

ونلاحظ أن الشاعر قد استهل كل صورة من هذه الصور بشطر واحد يتردد كأنه مدخل حزين لثلاث فجائع كان الصراع فيها بين القدر والكائن الحى ، وكان الغالب في جميعها هو القدر الذى يعبر عنه الشاعر بـ « حدثان الدهر » .

وتتمثل قدرية الجاهليين في قصيدة تنسبها بعض المصادر للشاعر سويد بن خذاق العبدى (من قبيلة عبد القيس التى كانت تقطن على ضفاف الخليج العربى) وفيها يتأمل الشاعر اختلاف حظوظ الناس من الغنى والفقر ، فيرى أن القدر هو الذى يمنح ويمنع دون أن تكون للبشر حيلة في هذا ولا ذاك :

متى ما ير الناس الغنى وجاره — فقير يقولوا : عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى — ولكن احاظ قسمت وجدود
وما يكسب المال الفتى بجلاده — لديه ولكن خائب وسعيد

ولعل من أطرف الصور التى خلفها لنا تراث الشعر الجاهلي في تصوير الدهر هى تلك التى رسمها لنا شاعر آخر من قبيلة عبد القيس لا نعرف حتى اسمه ،

وانما اشتهر بلقب مرده لتلك القصيدة ، وهو « شاتم الدهر العبدي » ، وفيها يمثل لنا الدهر في صورة شيطان مريد أو عفريت من تلك التي كان بعض الاعراب يزعمون في تكاذيبهم لقاءها في قفارهم الموحشة : فهو حيوان خرافي رهيب قبيح الخلقة ، ذو ظهر كأنه ظهر بعير هائل مقطوع السنام ، تضطرم فوق فقاره شعل النار ، وله عرف من شعر قصير خشن ولحية مشعثة حائلة اللون ، وجبهة ضيقة كأنها سير من سيور النعال تشبه جبهة القرد ، وأنف قصير مجدوع، وخدان مائلان ، ونظرات شزر تنذر بالشر والويل :

لما رأيت الدهر وعرا سبيله ... وأبدى لنا ظهرا أجب مسلعا
ومعرفة حصاء غير مفاضة ... عليه ولونا بالعثانين اجدعا
وجبهة قرد كالشراك ضئيلة ... وصعر خديه وانفا مجدعا
هناك ذكرت الذاهبين أولي النهى ... وقلت لعمرو والحسام : الا دعا

- ٢ -

ويشرق نور الاسلام على جزيرة العرب ، وترفع دعوته راية ثورة فكرية تعمل على تحرير الفكر من طغيان هذا المفهوم الجاهلي للدهر ، وما يتضمنه من جبرية تقف عاجزة مستخذية أمام ذلك القدر الذي لا راد له ولا محيص عنه . ويجدر بنا أن نشير الى أن لفظ « الدهر » الذي رأينا مدى شيوعه في الشعر الجاهلي لم يرد في القرآن الكريم الا مرتين : احداهما في معنى الزمن (سورة الانسان ، آية ١) والاخرى في معرض التنديد بما جرى عليه كفار العرب ومن وافقهم من المشركين من نسبتهم الحوادث والنوازل التي تحل بهم من موت أو هرم الى « الدهر » والتكذيب لهم في ذلك : « **وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر** وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » (سورة الجاثية ، آية ٢٤) .

ولهذا فقد كان هؤلاء « الدهرية » لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وقد أنكر الاسلام كما نرى هذه الدعوى المخربة التي تشل الارادة البشرية وهدم كل ما ينبني عليها من خرافات ، كما انه بين للناس المغزى الحقيقي لاختلاف الليل والنهار وتعاقب الشمس والقمر ، فليس لذلك صلة بمصير البشر ، وما كان لهذه الاجرام السماوية ان تباشر اي تأثير على حظوظ الناس أو ما يصيبهم من خير او شر ، وانما الحكمة فيها مانص عليه الله تعالى في كتابه الكريم : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراوقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (سورة يونس ، آية ٥) « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا » (سورة الاسراء ، آية ١٢) .

وفي الحديث النبوي الشريف نجد مثل هذه الدعوة الى نبذ الفكرة الجاهلية عن الدهر وانكار نسبة ما يقع على البشر اليه ، فقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين وأبو داود والنسائي في السنن من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « يقول الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الامر ، أقلب ليله ونهاره »

وقد آتت دعوة الاسلام الرشيدة أكلها بغير شك ، فاليها يرجع الفضل في

تخليص الفكر من تلك القدرية التي عطلت ارادة الانسان من قبل ، غير انه ليس من السهل دائما أن تتخلى المجتمعات والامم عن معتقداتها القديمة المتوارثة ، فقد بقي لفظ « الدهر » عند المسلمين يكثرون من استخدامه للدلالة على ما يصيب الانسان من شر ، وان لم يعن ذلك عودة الى عقيدة « الدهرية » ولا انكارا للمعاد والبعث . فنحن نرى شاعرا اسلاميا هو شمعلة التغلبي يتحدث عن عقوبة أوقعها به أحد خلفاء بني أمية فيقول :

فان امير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

ويقول آخر :

الدهر لام بين ألفتنا ... وكذاك فرق بيننا الدهر
وكذاك يفعل في تصرفه ... والدهر ليس يناله وتر

ويقول ابو صخر الهذلي متحدثا عن فراق محبوبته له :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

ويعلق أبو العلاء المعري على هذه الابيات فيقول : « لم يدع أن أحدا من هؤلاء الشعراء كان يقرب للأفلاك قرابين ولا يزعم أنها تعقل ، وانما ذلك شيء تتوارثه الامم في زمان بعد زمان » .

وكثيرا ما نجد في مختارات الشعر الاسلامي التي ضمنها أبو تمام « حماسته » قصائد ومقطعات يستهلها الشاعر بقوله « لحا الله دهرا .. » ، بل اننا نجد شاعرا اسلاميا آخر هو الكميت بن زيد يوشك أن يكرر صورة رأينا مثلها من قبل عند الشاعر الجاهلي « شاتم الدهر العبدي » اذ يرى الدهر في تقلبه واضطراب أمره أشبه بحيوان يتمرغ في الرمل :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره ... على بطنه فعل الممعك بالرمل

ومن الصور الطريفة التي نرى فيها امتدادا لفكرة الجاهليين عن « الدهر » تلك المناقضة التي جرت بين جرير والفرزدق ، وكل منهما يريد أن يغالب صاحبه مشبها نفسه بما ظن أنه ذروة القوة . أما الفرزدق فرأى الموت أقوى ما في الوجود :

فاني انا الموت الذي هو نازل ... بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله

وأما جرير فقد رأى في « الدهر » ما هو أقوى وأسمى حتى من الموت نفسه :

انا الدهر يفنى الموت والدهر خالد ... فجئني بمثل الدهر شيئا يطاوله

على أننا نرى شراح هذا البيت يضفون عليه صبغة اسلامية فيقولون ان جريرا جعل الدهر الدنيا والآخرة لان الموت يفنى بعد انقضاء الدنيا . وعلى كل حال فان شعراء المسلمين في العصور التالية ظلوا يستخدمون لفظ « الدهر » وما يرادفه من الفاظ مثل الزمان او الايام او الليالي استخداما قريبا مما رأيناه عند الجاهليين وان يكن تصورهم له مجردا من مظنة الالحاد أو « الدهرية » كما رأينا في تعليق أبي العلاء المعري .

ـ ٣ ـ

ويطول بنا الامر لو تتبعنا الحديث عن الدهر في الشعر العربي ، فلنقف به عند شاعرنا الكبير المتنبي الذي قال عنه ابن رشيق القيرواني انه « ملأ الدنيا وشغل الناس » ، وهي كلمة كانت صادقة على المتنبي في أيامه ومازالت باقية الصدق حتى اليوم .

وقد ذهب الدارسون مذاهب شتى في تفسير عبقرية المتنبي ومحاولة الوقوف

على سر اهتمام الناس به على هذا النحو الذى لم يقدر لشاعر غيره .

وقد عاش المتنبى فى عصر اشتد فيه كلب الاعاجم على الدولة العربية ، فامتلأت نفسه بالثورة على تلك الاوضاع ، وأراد ان يحقق هذا الامل الذى ظل يراوده منذ نعومة اظفاره ، وهو رد الدولة الى العرب وتخليص الامة الاسلامية من السيطرة الاعجمية ، وكان شعره وسلوكه تعبيرا عن هذه الرغبة وصراعا مريرا فى سبيل تحقيقها . واذا كان ابو الطيب قد عجز فى النهاية عن بلوغ امنيته وانتهت حياته الى مصير فاجع قبل ان يدرك شيئا مما كان يختلج فى صدره ويلهج به لسانه ، فان صدى كلمته قد ظل يتردد حتى اليوم فى ضمير الامة العربية وكأنه مسبار يغور فى جرح لم يأن بعد اندماله .

وقد تتبعنا لفظ « الدهر » ومرادفاته فى شعر ابى الطيب ، وهو لفظ كثير الدوران فيه ، فرأينا فى حديثه عنه تعبيرا صادقا عن نفسيته وما أصاب حركة وجدانه من تحول على طول مسيرته فى الحياة ، وقد اعتمدنا فى ذلك على استقراء شعر الديوان ، وعلى ماكتب حول المتنبى من دراسات حديثة لعل من خيرهـا ـ ان لم اقل خيرها ـ كتاب شيخنا الاستاذ محمـــود محمد شاكر عن المتنبى الذى صدرت طبعته الاولى فى سنة ١٩٣٧ ، ومازالت له بعـــد مرور اكثـــر من اربعين سنة جدة لاتبلى وطلاوة لم ينل منها تطاول العهد ، فهو كتاب يجمع بين تذوق الشعر واستبطان قيمه الفنية وبين المنهج النقدى التاريخى . وهذه طريقة فريدة فى دراسة الشعر وتحليله ، وهى التى ينبغى ان تنتهج فى بحث الفن الشعرى .

ونعود الى الحديث عن الدهر فى شعر المتنبى ، فنرى انه يمكن أن نقسم هذا الحديث الى ثلاثة اقسام تواكب المراحل التى مرت بها حياة الشـــاعر (٣٠٣ ـ ٣٥٤) :

١ ـ المرحلة الاولى : منذ صباه المبكر حتى اتصاله بسيف الدولة :

وهى فترة تزيد على العشرين سنة ، اذ تمتـــد بين تفتح قريحـــة المتنبى فى زمن جد مبكر (نحو سنة ٣١٤) حتى لقائه لسيف الدولة فى ســـنة ٣٣٧ وتحوله الى شاعره الاول الناطق بلسانه وبلسان العروبة ممثلة فى شخصه .

وفى هذا الطور من حياة ابى الطيب نجده ثائرا متوتر الاعصاب هائج النفس ، ساخطا على مجتمعه ، مهددا بتغيير الاوضاع فيه بقوة السلاح . وقد اختلف الباحثون فى تفسير هذه الثورة التى يضج بها شعر المتنبى منذ أن كان غلاما يطلب العلم فى كتاب يتعلم فيه صبيان الاشراف من العلويين فى الكوفة .

وقد رد الاستاذ محمود شاكر ذلك الى مايوشك ان يكون عكسا لبعض الآراء فى المتنبى ، فابو الطيب عنده علوى الاصل ، غير انه كان يكتم نسبه هـــذا او كان هناك فى الكوفة من اشراف العلويين انفسهم من كان يجبره على كتمان ذلك النسب ، وادت به عداوة هؤلاء الاشراف الى الخـــروج من بلده الى الشام ، وهناك حاول اظهار نسبه فى باديتها ، فقبض عليه فى أواخـــر ســـنة ٣٢١ واودع السجن حتى سنة ٣٢٣ ، وكان سجنه لهذا السبب لا لما يزعمه المترجمون له من ادعاء النبوة .

واختلف الباحثان ايضا حول مدى ما انتهت اليه نوازع السخط والتمرد عند ابى الطيب . فالدكتور طه حسين رأى أن ثورته قد انتهت به الى الاتصـــال بالقرامطة ، بل والى التحول الى داعية من دعاتهم ، وهو يتابع فى هـــذا رأى المستشرق الفرنسى الاستاذ بلاشير .

وأما الاستاذ محمود شاكر فقد أنكر قرمطيـــة المتنبى كل الانكار ، ورأى أن الامر لا يتجاوز محاولته اظهار نســبته العلوية ، الا أن ذلك أحفظ خصـــومه العلويين ، فزجوا بــــه فى الســـجن واســـتمرت عداوتهم له بعد ذلك طيلة حياته ٠ على ان مقابلة الرأيين على شعر أبى الطيب والحجج التى ساقها الاستاذ محمود شاكر فى دراسته الاولى ، ثم ماتجمع لديه من حجج جديدة ونصوص توفرت له حينما اخرج الطبعـة الاخيرة من كتاب « المتنبى » ـ كل ذلك يحمل الباحث على قبول رأيه فى علوية المتنبى وتفسير ما كان يضطرم به شــعره من ثورة على أساسها ٠

ونعود الى استخدام المتنبى للفظ الدهر ومرادفاته فى هـــذا الطور من أطوار حياته ، فنرى أنه لا يعنى به ما رأيناه فى الشعر القديم من « القدر » ، وانمـا يعنى به فى الغالب مجتمعه واهل زمانه ، ولعله كان يخص من « أهل » هـــذا الزمان اولئك الذين تعمدوه بالاذى والاضطهاد ، وهو لذلك يجزيهم كراهيــة بكراهية ، ويصب عليهم سوط غضبه ويرى نفسه معهم فى حرب دامية يتوعدهم فيها باشد النكال ، هذا على الرغم من معرفته بقصور وسائله وقلة حيلته ، ولعل من ادل شعره على ذلك فى هذه المرحلة من حياته قصيدته الميمية التى قالها فى صباه بالكوفة ، وهى من أول قوله :

ليس التعــلل بالآمال من اربى	ولا القناعة بالاقلال من شــيمى
ولا اظن بنـــات الدهر تتركنى	حتى تسد عليهـــا طرقها هممى
لم الليالى التى اخنت على جدتى	برقة الحـــال واعذرنى ولا تلم

وتروع المرء فى هذه الابيات نبرة التحدى وعدم الاستكانة لما هو فيه من فقر ورقة حال وقلة معين ، وأكثر من هذا صدورها عن غلام مراهق لا يمنعه صــباه وعجزه من التحفز لمواجهة مجتمعه الذى انقلبت فيه الاوضاع ، فاصبح الخدم فيه هم الملوك ، والاذناب هى الرءوس ، بل ان هذا الصبى الصغير لا يكتم ما يريده بهذا المجتمع :

لقــد تصبرت حتى لات مصـــطبر	فالآن اقحم حتى لات مقتحم
لاتركن وجوه الخيل ساهمـة	والحرب اقوم من ساق على قــدم
بكل منصـلت ما زال منتظـرى	حتى ادلت له من دولة الخـــدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة	ويســتحل دم الحجاج فى الحـرم

وتذهب بالغلام نفسه الى أقصى درجات العجب والخيلاء ، فيقول فى سذاجة قد تحمل على الابتسام وان كانت قوة تعبيره وجلادته تملأ النفس بالاعجـــاب ، وهو يوجه الخطاب الى ملوك عصره عربهم وعجمهم على السواء :

أيملك الملك والأسياف ظامئــــة	والطــير جائعة لحم على وضـــم
من لو رآنى ماء مات من ظمـــا	ولو مثــلت له فى النــوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشــفرتين غدا	ومن عصى من ملوك العـرب والعجم

ويمضى أبو الطيب فى أحلام يقظته هذه ، فيتصور الزمان ـ أو اهــل الزمان بتعبير أصح ـ قرنا ينبرى لقتاله ، فلا يتردد فى قبول التحدى ومباشرة النزال ، كما نرى فى قصيدته التى خاطب بها معاذ بن اسماعيل اللاذقى :

ابا عبــد الاله معـــاذ انى	خفى عنـــك فى الهيجا مقامى
ذكرت جســيم مطلبى وانا	نخاطــر فيــه بالمهج الجســام
امثـل تاخـذ النـكبات منـه	ويجـــزع من ملاقاة الحمــام

ولو برز الزمان الى شخصا لخضب شعر مفرقه حسامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني فويل في التيقظ والمنام

ويرى الشاعر الدهر في صورة جيش من الفرسان يحاصرونه لكي يوقعوا به ، الا أنه لا يخيم عن اللقاء ويقدم عليه اقدام السيل الجارف ، فهذا هو المجد الحقيقي : هو « قبول التحدي » ومواصلة القتال وحشد الجيوش وشن الغارات:

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر وحيدا وما قولي كذا ومعي الصبر
واشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت الا وفي نفسها امر
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
واقدمت اقدام الأتي كان لي سوى مهجتي أو كان لي عندها وتر
ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

« الدهر » عند المتنبي في هذا الطور من شبابه المفعم بالحماسة النابض بالتحدي ليس هو القدر المحتوم الذي لا مرد لحكمه ولا جدوى من مقاومته ، بل هو مجتمع فاسد لا بد أن تغير أوضاعه بحد السيف . والشاعر الثائر لا يرى « حظه » في الرضا بما قسم له ، وانما يرى المجد في المثابرة على العمل من أجل التغيير ، سواء أبلغ هذا الامل أم خذلته عنه وسائله :

أقل فعالي بله أكثره مجد وذا الجد فيه نلت ام لم أنل جد
سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد

وهو هنا يعود الى التهديد باستخدام القوة من أجل استرداد « حقوقه » ، ثم يصل ذلك بصورة غريبة ، وهي الشكوى الى الزمان من أهله :

أذم الى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد !
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد !

ويكرر هذه الصورة وهو يحمل على مجتمعه ولا سيما طبقة الملوك منهم في مدحه للمغيث بن بشر العجلي ، فيقول :

ودهر ناسه ناس صغار وان كانت لهم جثث ضخام
وما انا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام
بأجسام يحر القتل فيها وما أقرانها الا الطعام

وهو يتخيل الزمان — والمقصود به أهله — وقد ضاق ذرعا به ، الا انه لايبالي بذلك ، لأنه يراه واقفا تحت اخمصيه ، ويعود الى التهديد بالحرب ، فهو يأبى أن يلحق به ظلم ، ودون ذلك أن تشرق الأرض من حوله بالدماء :

ضاق ذرعا بان اضيق به ذرعا زماني واستكرمتني الكرام
واقفا تحت اخمصي قدر نفسي واقفا تحت اخمصي الأنام
أقرارا ألذ فوق شرار ومراما أبغي وظلمي يرام
دون أن يشرق الحجاز ونجد والعراقان بالقنا والشآم

ومن هذه النماذج يمكن أن نرى تصور أبي الطيب في صباه وشبابه للدهر أو الزمان ، فهو لايعنى عنده ذلك المفهوم الغيبي القديم الذي يرادف القدر وما يقترن به عند البشر من استسلام وخضوع ذليل ، وانما هو مجتمع لابد

ان تقلب اوضاعه ، وتعبير المتنبي ازاءه بعيد عن تلك القدرية الجبرية في الشعر القديم ، بل فيه اعتداد بارادة الانسان وحريته وقدرته على شق طريقه لنفسه .

ولهذا فانه على الرغم من شكوى أبي الطيب المستمرة خلال هذا الطور من حياته فان شعره يخلو من التشاؤم السلبي ، بل هو في توتره وحركته الدائبة نابض بالتفاؤل والثقة بالمستقبل ، وان كانت كل الظروف من حوله معادية .

٢ ـ المرحلة الثانية : شعر المتنبي في ظل سيف الدولة :

وهي الفترة المتضمنة بين سنتي ٣٣٧ و ٣٤٦ حينما فارقه لاحقا بمصر .

ولا يختلف استخدام أبي الطيب للفظ « الدهر » ومرادفاته كثيرا عن استخدامه لها في المرحلة السابقة ، الا أننا نلاحظ في حركة وجدانه تطورا له خطره ، فرنة الشكوى القديمة زالت أو كادت تزول ، وحل محلها شعور بالرضا وشيء من الطمأنينة ، لا لما بلغه الشاعر في ظل الامير الحمداني من ثروة وجاه وشهرة ، وانما لانه كان يرى في سيف الدولة تحقيقا لما كان يطمح اليه ، فهو الذي يمثل الفتوة العربية ، وعليه ينعقد أمل الشاعر في تغيير أحوال الامة الاسلامية التي جثم على صدرها الاعاجم .

كان المتنبي يرى في سيف الدولة صورة نفسه الثائرة ، واذا كان أبو الطيب خلال مسيرة حياته السابقة قد قعدت به أسبابه عن ادراك بغيته ، فهاهو ذا الان يرى اميرا عربيا قادرا على حمل الراية وخوض غمرات الكفاح .

وترى في شعر المتنبي في هذا الدور كيف يكون الصراع هو قدر الانسان ، ولا حياة بغير كفاح :

انما انفس الانيس سباع — يتفارسن جهرة واغتيالا
من اطاق التماس شيء غلابا — واغتصابا ، لم يلتمسه سؤالا !

وبقدر علو الهمة يكون التعب في سبيل بلوغ الامل :

واذا كانت النفوس كبارا — تعبت في مرادها الاجسام

واذا كانت حظوظ الناس تختلف فليس ذلك ضربة لازب من قدر يتصرف في البشر كما لو كانوا دمى لا حول لها ولا قوة ، وانما الانسان هو الذي يخط قدره بيده ؟ فليست الايام هي التي تحدد للناس حظوظهم ، بل هي نفسها التي تتفاوت حظوظها بقدر تفاوت هممهم :

لذا اليوم في الايام مثلك في الورى — كما كنت فيهم اوحدا كان اوحدا
هو الجد حتى تفضل العين اختها — وحتى يصير اليوم لليوم سيدا

ويرى المتنبي في سيف الدولة صورة الانسان القادر على أن يرسم بارادته الحرة طريق المستقبل ويخضع لرغبته تصاريف القدر ، ولهذا فان مدائحه له تتحول الى ضرب من انتصار الانسان على « الدهر » ، فهو يقول في احدى سيفياته المبكرة حينما قصد أميره ميافارقين لزيارة قبر والدته في سنة ٣٣٨ :

تعرض سيف الدولة الدهر كله — يطبق في اوصاله ويصمم
فجاز له حتى على الشمس حكمه — وبان له حتى على البدر ميسم

بل ان سيف الدولة قادر على أن يتحدى ارادة القدر فيحمي من جوره حتى الامم البائدة :

اجار على الايام حتى ظننتــــــه   تطالبــه بالرد عاد وجــرهم

ويقول في ميميته الخالدة التي يصف فيها انتصـــار سيف الدولة على الروم وبناءه قلعة الحدث سنة ٣٤٣ :

خريدة دهر ســــاقها فرددتها   على الدين بالخطى والدهر راغم
تفيت الليالي كل شيء اخــذته   وهن لما ياخــذن منــك غــوارم
اذا كان ما تنويه فعلا مضـــارعا   مضى قبل أن تلقى عليــه الجوازم

ويتحدث عن انصياع « الدهر » لسيف الدولة في قصيدة يمدحه بها حينما ارسل اليه ملك الروم سفارة يطلب فيها الهدنة سنة ٣٤٤ :

فتى تتبع الازمان في الناس خطوه   لكل زمـــان في يديه زمـــام

ويكرر هذا المعنى داعيا لسيف الدولة حينما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة سنة ٣٣٧ :

واراك دهرك ما تحاول في العدا   حتى كأن صروفه انصـــار

ويقول في أول قصيدة مدح بها سيف الدولة سنة ٣٣٧ :

ويستكبرون الدهر والدهـر دونه   ويسـتعظمون الموت والموت خادمه

شعر المتنبي خلال هذه السنوات التسع طافح بالقوة والحركة ، ونحن نحس فيه بما يشبه أن يكون حلاوة انتصار الانسان على القدر ، ولا نكاد نلمح فيــه شيئا من التراجع أو الضعف الا في حالتين :

الاول حينما يتحدث الشاعر عن هزيمة يمنى بها سيف الدولة ، ولكن الضعف هنا لا يصل أبدا الى حد اليأس ، بل سرعان ما تعود للشـــاعر حميته ورباطة جأشه ، فاذا به يصور الدهر معتذرا عما كان منه ، والممدوح قادرا على التماسك واستعادة زمام المبادرة ، كما نرى في قصيدته التي يذكر فيها وقعة نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث في سنة ٣٣٩ ، حيث يقول :

الدهر معتذر والسيف منتظر   وارضهم لك مصطاف ومرتبع

والحالة الثانية حينما يتحدث عن الموت في معرض الرثاء لشخص عزيز عليه او على أميره سيف الدولة ، فحينئذ يربط المتنبي بين الموت والدهر ، فيـدركه شيء من التشاؤم الذي يكاد يخلو منه شعره في ظل فارس بني حمدان . ونضرب على ذلك مثلين من مراثيه :

الاول في رثائه لام سيف الدولة حيث يتحدث عما رماه به « الدهــــر » من الأرزاء المتوالية « سنة ٣٣٧ » :

رمــاني الدهـــر بالأرزاء حـتى   فـــؤادي في غشـــاء من نبـــال
فصرت اذا اصــابتني ســــهام   تكسرت النصال على النصـال
وهان فمــــا أبالي بالــــرزايا   لاني مـــا انتفعت بأن ابــالي

والثاني في رثاء أبي الهيجاء بن سيف الدولة وقد توفي طفلا صغيرا في سنة ٣٣٨ :

نبـكي لموتانا على غـــير رغبــــة   تفــوت من الدنيا ولا موهب جزل
اذا ما تاملت الزمـــان وصرفه   تيقنت ان الموت ضرب من القتـــل
وما الدهر اهل ان تؤمـل عنـــده   حياة وان يشــتاق فيه الى النسل

ولكنك اذا تأملت هذين المثلين رأيت أن ما يعبر عنــه المتنبي فيهما ليس ذلك

الخضوع القدرى المستسلم للدهر كما رأينا فى الشعر العربى القديم ، بل هو ضرب من الفتور المؤقت الذى لا يشل الارادة ، هو استكانة عابرة يعود بعدها المحارب الى حلبة الكفاح ، ففى القطعة الاولى سرعان ما يستمد الشاعر من ألمه قوة دفع جديدة ، فاذا به يستهين بما يصيبه من خطوب ، فيعلن انه لا يبالى بها ، وفى المثل الثانى يرى فى الموت ضربا من القتل ، أى أنه يجعله حلقة من حلقات الصراع الذى تخوضه البشرية • صحيح أن النهاية واحدة ولكن القتال يوحى بمعنى الارادة التى لا تستسلم ولا تلين •

٣ ـ **المرحلة الثالثة : منذ مفارقته سيف الدولة حتى وفاته :**
اى الفترة المتضمنة بين سنتى ٣٤٦ و ٣٥٤

خرج أبو الطيب من بلاد سيف الدولة متوجها الى مصر فقدمها فى جمادى الثانية سنة ٣٤٦ ثم بارحها بعد أربع سنوات ونصف ، فقصد الى مسقط رأسه الكوفة . وبين العراق وفارس قضى مابقى من عمره حتى لقى مصرعه فى السابع والعشرين من رمضان سنة ٣٥٤ •

وشعر أبى الطيب خلال هذه السنوات الثمانى الاخيرة من عمره وان كان يحمل سمات شخصيته المتفردة فانه يختلف اختلافا بينا عن شعره السابق ، فقد عرفنا المتنبى حتى ذلك الوقت ثائرا متمردا يدعو منذ صباه « للادالة من دولة الخدم » وينصب نفسه لسانا ناطقا عن ضمير الامة العربية التى مزقتها نوازع الفرقة وسيطرة الاعاجم ، ولكنه يرى نفسه فى النهاية مضطرا بعد فراقه لسيف الدولة للتنازل عن مبادئه ، وللوفود ببضاعة شعره على أولئك العبيد والاعاجم أنفسهم وأعوانهم ، يمدحهم بلسانه وهو يكن فى نفسه لهم أعمق الاحتقار • ونحن نستقرىء شخصيات هؤلاء الممدوحين من كافور الحبشى الى عضد الدولة الديلمى ، فلا نرى فيهم الا من عناهم أبو الطيب بقوله قبل ذلك بنحو عشرين سنة :

لا اقترى بلدا الا على غرر ولا امر بخلق غير مضطغن
ولا اعاشر من املاكهم ملكا الا احق بضرب الراس من وثن

ولنا أن نتصور عمق شعور أبى الطيب بخيبة الامل حينما قصد هؤلاء وهم الذين كان يمنى نفسه فى شبابه بأن ينتصف منهم اذا امتد به العمر :

مدحت قوما وان عشنا نظمت لهم قصائدا من اناث الخيل والحصن
تحت العجاج قوافيها مضمرة اذا تنوشدن لم يدخلن فى اذن
فلا احارب مدفوعا الى جدر ولا اصالح مغرورا على دخن

واذا كان شعر أبى الطيب قد اتسم حتى خروجه من حلب بسورة المحارب واعتداد البطل الواثق بنفسه المعتز بقوته وقدرته ، سواء فى حالات سخطه أو رضاه ، فانه فى هذا الطور الاخير قد أدركه اليأس والعجز لاول مرة ، بعد أن ذاق مرارة الهزيمة •

وحينما يتحدث أبو الطيب عن « الدهر » أو القدر فى هذه المرحلة نحس بهذا التبدل الذى طرأ عليه ، فهو فى مرثيته لخولة اخت سيف الدولة وتعزية أميره وصديقه السابق عنها (سنة ٣٥٢) يقف أمام « الليالى » معترفا بقدرتها على الحاق الهزيمة بالقوى على يدى الضعيف :

فلا تنلك الليـــالي ان أيديهـا | اذا ضربن كسرن النبـع بالغرب
ولا يعن عـــدوا أنت قاهــره | فانهن يصدن الصقر بالخـرب

ثم يتأمل أحوال الدنيا ، فتسبق الى خاطره الفاظ ما كانت لتجرى على لسانه من قبل :

ومن تفكر في الدنيا ومهجتــه | اقامه الفـكر بين العجز والتعب

وقد كان أبو الطيب يرى حظ الانسان هو ما اختاره لنفســه ، وناله بجــده وعمله ، ولكن فكرة الحظوظ المقسومة المقدرة تلح عليه الان الحاحا شـــديدا ، ولا غرو فهو لا يفسر اعتلاء كافور وأمثاله من « العبـــدى » والموالى على عروش الأمصار الاسلامية الا بأنها ضربات حظ غاشم لا يعرف التمييز ، وننبه هنا الى كثرة الحديث عن « الحظ » في كافوريات المتنبي على نحو لا نرى له مثيلا من قبل في شعره ، وتأمل هذه الابيات في واحدة من أولى هذه القصائد :

فيا أيها المنصور بالجـد سـعيه | ويا أيها المنصور بالسعي جــده
فانك ما مر النحـوس بكوكب | وقابلته الا ووجهـــك ســعده

وفي قصيدة تالية وكأنه يتعجب من اصابته الرأى بغير جهد ، ويستكثر عليه النصر بغير كفـــاح :

قد يصيب الفتى المشير ولم يجهد ويشوى الصواب بعد اجتهـــاد
نلت مالا ينال بالبيض والســـمر وصنت الارواح في الاجســـاد

واذا كان أبو الطيب في الابيات الدالية السابقة قد وازن بعض الموازنة بين السعي والحظ ، فانه بعد ذلك كاد يفرد قصيدة كاملة للحديث عن انتصار كافور بفضل حسن حظه وسعد طالعه ، ونعنى بها نونيته التى ذكر فيها ثورة شبيب العقيلي على كافور ومقتله بدمشق سنة ٣٤٨ ، فهي قصيدة عجيبـــة يكاد يكون محورها الاساسي الحديث عن الحظ ، وقـد حشـــد أبو الطيب فيها ـ مع أنها لا تتجاوز سبعة وعشرين بيتا ـ عددا كبيرا من الالفاظ التي تتعلق بهذا المعنى من امثال : الثقلين (وترد مرتين) ، النجم ، الدبران ، الفلك الدوار ، قضاء الله ، الحدثان ، الجد (بفتح الجيم) ، السعد ، المقدار ، الدهر .

وهي الفاظ ما كان أبو الطيب ليجمعها من قبل في مثل هذا العدد القليل من الابيات . ولنستمع الى أبياته في اللحظات الاخيرة لحياة شبيب وفي مصرعه الذى أتى بغير توقع ، وكأنه يرثى هذا المتمرد بدلا مما تقتضى المناسبة من ذمه :

نفى وقع أطراف الرماح برمحــه | ولم يخش وقـــع النجم والدبران
أتته المنايا في طـريق خفيـــة | على كل ســمع حــوله وعيـان
ولو سلكت سبل الســلاح لردها | بطـــول يمين واتســاع جنــان
تقصده المقـــدار بين صـــحابه | على ثقـــة من دهـــره وأمـان
وهل ينفـع الجيش الكثير التفافه | على غير منصـــور وغير معـــان

ثم ينهي القصيدة مخاطبا ممدوحه كافورا بقوله :

قضى الله يا كافـــــور انك أول | وليس بقاض ان يرى لك ثان
فما لك تختار القسي وانمــــا | عن الســعد يرمي دونك الثقـلان
وما لك تعنى بالأســـنة والقنـا | وجدك طعـــان بغير ســـنان
ولم تحمل السيف الطـويل نجاده | وأنت غنى عنـــه بالحـــدثان

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران !

فمفهوم « الدهر » هنا يكاد يكون ردة الى المفهوم القدرى القديم الذى رأينا مثله فى الشعر الجاهلى والاسلامى الذى سقناه فى أول هذا الحديث . بل ان الامر يصل به الى حد الاعتقاد بأن المرء قد يخيب سعيه لا لشيء الا لأنه بذل غاية الجهد واستفرغ أقصى الطاقة ، كما يقول فى احدى مدائحه الاخيرة لعضد الدولة (سنة ٣٥٤) :

والامر لله ، رب مجتهد ما خاب الا لانه جاهد

واذا كان الاسلام قد هذب مفهوم « الدهر » الجاهلى من مظنة التعطيل والالحاد فان أبا الطيب بعدا خروجه من مصر وهو يتأمل ما استدبر من أمره تصيبه الحيرة ، فتبلغ بهالحد الريبة فى العقيدة ، ومقاربة الرجوع الى اغلظ ما كانت الجاهلية الجهلاء تدين به من أمر التعطيل ، اذ يرى أن استيلاء كافور وأمثاله على مقاليد الحكم فى بلاد المسلمين يوشك أن يستحيل الى حجة يتنفج بها الدهرية والمعطلة والمنادون بقدم العالم ، اذ لو كان للعالم مدبر وكانت الامور جارية على تصريف حكيم لما ملك أمثال هذا العبد :

سادات كل اناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم
الا فتى يورد الهندى هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم
فانه حجة يؤذى القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

واذا كان أبو الطيب عظيما فى تعبيره ابان سنى شبابه عن الثورة العارمة التى تتحدى الدهر وتريد أن تقلب موازين الكون بفضل ارادة الانسان الحرة ، فانه الان وهو بأخرة من عمره ما زال عظيما أيضا حينما انتهى الى هذه الاستكانة القدرية العاجزة ، استكانة البطل الذى تحطم سلاحه ، ولم يبق أمامه الا تجرع الصبابة الاخيرة من كاس الهزيمة المر . ولنستمع اليه يقول فى نبرة هادئة حزينة بطيئة الايقاع وهو يتحدث عن الزمان :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منـ ـه وان سر بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ ـه ولكن تكدر الاحسانا
وكانا لم يرض فينا بريب الد هر حتى اعانه من اعانا
كلما انبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

او وهو يقول فى تذكر مسيره عن مصر مستعرضا حياته الماضية التى بدت له كفاحا عقيما باطلا منبت الثمرة :

هون على بصر ما شق منظره فانما لحظات العين كالحلم
الدهر يعجب من حملى نوائبه وصبر جسمى على احداثه الحطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته فى غير امته من سالف الامم
اتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

نجاحك .. ذكاء أم حظ ؟

● مصطفى الشهابي ●

● ايهما اشد تأثيرا في حياة المرء : ذكاؤه ام حظه ؟ ●

اقرأ هذه الأسطورة اولا

التقى الذكاء ذات يوم بالحظ وهو جالس على مقعد باحدى الحدائق، فقال الحظ للذكاء :

ـ افسح لي مكانا لاجلس !

وشعر الذكاء بشيء كثير من التحدي من جانب الحظ ، ولم يدر ايهما يجب ان يفسح مكانا للآخر فأجاب :

ـ ولماذا افسح لك مكانا ؟ انت افضل مني ؟!

ورد عليه الحظ :

ـ الافضل منا هو الأقوى !

ثم اشار الى بستاني يشذب اشجار الحديقة وقال :

ـ اترى هذا الشاب البستاني ، ادخل في راسه فاذا صار بعد قليل من الزمن احسن حالا من الآن ، اعترفت بتفوقك وافسحت لك المكان والطريق ، بل وتركت لك مقعدي اذا كنت جالسا ، كلما وحيثما تلاقينا !

ورحب الذكاء بهذا الاقتراح واسرع بالدخول في راس « كارل » ـ الشاب البستاني .

لم تمض لحظات قلائل حتى بدا « كارل » يفكر فيما حوله وفيما يقوم به من اعمال وتساءل فيما بينه وبين نفسه :

ـ هل ساظل اشذب الاشجار وانسق الازهار طوال عمري في هذه الحديقة الصغيرة ؟ لاشك انني يمكنني بالبحث أن أجد حديقة اكبر حيث احصل على اجر اكبر ورزق أوفر !

وعاد « كارل » لبيته حيث وجد اباه هناك فبادره بقوله :

ـ يا ابت ، اني كرهت العمل بتلك الحديقة الصغيرة ، وأود أن اعمل بحديقة اكبر ...

وتساءل الأب :

ـ واين هي تلك الحديقة الاكبر ؟

وهنا أوحى الذكاء « لكارل » بالجواب التالي :

ـ انها حديقة الملك !

وقال الوالد متعجبا :

ـ ماذا جرى لك يابني ؟ هل فقدت عقلك ؟! ان العمل بحديقة الملك امر قد لا يتحقق لك بسهولة ، ومع ذلك فاذا كنت مصرا على رايك فامض في طريقك والله يوفقك ...

***

وتوجه « كارل » الى قصر الملك ، وانتظر عند الباب الخلفي الذي يؤدي الى الحديقة ، وما هي الا لحظات حتى راى البستاني المشرف عليها قادما ، فحياه وطلب اليه أن يمكنه من العمل معه في تلك الحديقة .

وابتسم البستاني ، وكأنه على موعد مع « كارل » ، ذلك لان مساعد البستاني كان قد توفي منذ بضعة ايام فأخذ يعمل وحده ، وفي نفس الوقت اخذ يبحث عن شاب يساعده ، فلما تقدم له « كارل » رحب به ، وبعد ان ساله بضعة اسئلة عن خبرته بشئون الحدائق ، اجابه اجابات تنم عن خبرة ودراية ، وافق على ان يكون مساعدا له .

وسرعان ما وعى « كارل » كل ما كسبه ذلك البستاني من خبرة طويلة ، بل تفوق عليه لحدة ذكائه وسرعة ادراكه ، وفي أيام قلائل لم يعد في حاجة لاستشارته ، بل اخذ يبتكر طرقا جديدة في فلاحة البساتين بحذق ومهارة ، الامر الذي اغضب البستاني في البداية ، ولكنه بعد تفكير عميق ، وازاء النتائج الباهرة التي وصل اليها « كارل » ، لم يجد بدا من

الاحتفاظ به ، بل وشجعه ايمانا منه بانه اذكى منه ...

ولم تمض بضعة اشهر حتى لبست الحديقة حلة قشيبة مما استرعى نظر الملك واعجابه ، وجعله يكثر التردد عليها مع الملكة ومع الاميرة الشابة ، ابنته الوحيدة .

كانت تلك الاميرة جميلة ولطيفة ، غير انها منذ بلغت الرابعة عشرة من عمرها ، اصيبت بمرض مفاجيء افقدها النطق ، مما سبب الألم للملك وزوجته ، بل والأميرة نفسها ، اذ كان يرتسم على وجهها الحزن الدائم ، لعدم مشاركتها والديها وغيرهم الحديث ، كما كانت تفعل من قبل .

وعرف « كارل » بقصة الاميرة ، وبعد تفكير عميق طلب المثول بين يدي الملك ، وعرض ان يتولى مساعدة الاميرة على النطق ، فحذره الملك من عواقب فشله ولكن « كارل » اصر على طلبه : ولم يجد الملك باسا من أن يضيف الى المحاولات السابقة محاولة جديدة ..

وسار الملك وزوجته وبعض مستشاريه الى غرفة الاميرة ، حيث كانت جالسة تداعب كلبها الجميل الذى ولعت به لأنه كان يفهم جميع اشاراتها .

ولما كان « كارل » يعرف امر هذا الكلب فقد تظاهر عند دخوله غرفة الأميرة بانه لم يرها ووجه انظاره الى الكلب ، وتحدث اليه قائلا :

ـ انا اعرف ايها الكلب انك ذكى وذكى جدا ، ولذا جئت اليك طالبا رايك فى مشكلة يهمنى ان اصل الى حل عادل وحاسم بشانها ...

كنا ثلاثة رفقاء فى السفر اولنا نحات ، والثانى خياط ، والثالث انا .. وبينما كنا نجتاز غابة كبيرة داهمنا الليل فاضطررنا للمبيت فيها . ولخوفنا من الوحوش الضارية اشعلنا نارا واتفقنا على أن يسهر كل منا ثلث الليل للحراسة ولتغذية النار بالوقود .

وكان دور النحات اولنا ، ولكى يسلى نفسه ويقضى الوقت فى شيء يشغله فقد امسك بقطعة كبيرة من الخشب واخذ فى نحتها على شكل فتاة ، وعندما انتهى منها كان دوره فى الحراسة والسهر قد انتهى ، فايقظ الخياط ليبدأ دوره .

ولما راى الخياط تمثال الفتاة سأله عن مصدره فروى له ما فعل ونصحه بانه اذا اراد الا يمل من السهر والحراسة فعليه أن يشغل نفسه بشيء يعمله ، واقترح ان يفصل ملبسا ملائما للفتاة الخشبية .

وفى الحال امسك الخياط بمقص وابرة وخيط وبعد ان قص ملابس الفتاة وخاطها ، البسها اياها .

وكان « كارل » يراقب الأميرة دون ان تشعر ، ولاحظ على وجهها الاهتمام بما كان يرويه للكلب ، فشجعه ذلك على الاستمرار فى قصته فاستطرد قائلا :

ـ ثم جاء دورى فايقظنى الخياط لاقوم بدورى فى الحراسة ، ولما سألته عن ذلك التمثال روى لى ما حدث ، ونصحنى اذا شئت الا اسأم السهر ان اقوم بتعليم الفتاة النطق والحديث .. وفعلا اخذت اعلمها النطق والحديث ، وما كادت الشمس تشرق حتى كانت الفتاة تتكلم وتتحدث كاى كائن بشرى !

وبعد قليل استيقظ رفيقاى ، وطمع كل منهما فى زواج الفتاة فقال النحات: « انا الذى صنعتها ! » وقال الخياط: « وانا الذى كسوتها ! » اما انا فقلت : « انها يجب ان تكون من نصيبى لاننى الذى علمتها النطق ! »

والآن ، قل لى ايها الكلب الذكى : لأى منا يجب ان تكون الفتاة ؟.

وطبيعى الا يجيب الكلب ...وكانت المفاجأة ان الأميرة نطقت قائلة :

ـ يجب ان تكون الفتاة لك وحدك . فما فائدة الفتاة التى صنعها النحات، والكسوة التى البسها اياها الخياط بدون نطق ؟ . ولذا فانت احق بزواجها!

واغتبط « كارل » لأمرين ، اولهما ان الأميرة نطقت ... وثانيهما أن حكمها او رأيها كان فى صفه !

ولذلك قال :

ـ لقد اصدرت الحكم بنفسك يا سيدتى الأميرة ، فلقد منحتك النطق ثانية واعدت لك الحياة من جديد فانت لى !!

***

ولكن كبير مستشارى الملك وجه

الحديث الى « كارل » بقوله :

— ان مولاى الملك سيغدق عليك العطايا لنجاحك فى فك عقدة لسان الاميرة ... ولكنها لن تكون زوجة لك ، لانها يجب ان تتزوج من امير مثلها ، وانت بستانى صغير لا تملك شروى نقير !

واعاد الملك كلمات مستشاره ، واعدا « كارل » بهبة مالية وهدايا عوضا عن تزويجه بابنته ...

ولكن « كارل » رد مؤكدا انه لن يقبل بديلا آخر ، وقال :

— ان مولاى الملك وعد ان يزوج الاميرة للرجل الذى يجعلها تنطق ،دون ان يستثنى من ذلك أى فرد كائنا من كان ... وكلمة الملك بمثابة قانون ، فاذا اراد الملك أن تحرص الرعية على اتباع قوانينه فمن واجبه ان يحافظ على كلمته ، ومن ثم يجب ان يزوجنى بالأميرة ابنته .

وهنا صاح مستشار الملك :

— كيف يجرؤ أحد رعايا مولاى ان يقول انه يجب أن يفعل هذا أو ذاك . ان من يصل الى هذا الحد من الجرأة انما يتحدى مولانا الملك ، وليس من عقاب لهذا التحدى سوى القتل ...

ثم اتجه المستشار بالحديث الى الملك ، وبعد أن انحنى قال :

— هل يسمح مولاى بالقبض على هذا الشاب الأحمق واعدامه ؟

واجاب الملك بالموافقة ...

وسرعان ما ألقى حرس الملك القبض على « كارل » واقتادوه الى السجن ريثما تعد منصة لتنفيذ الاعدام ..

وبعد بضع ساعات وصل الحراس « بكارل » الى ساحة الاعدام ...

وهناك كان الحظ واقفا فى انتظار الذكاء .. فلما رآه بادره بقوله :

— اترى ماذا أصاب هذا الشاب على يديك ؟ .. انه على وشك ان يفقد حياته . اتركه ودعنى اقف الى جانبه ، وسأتولى أمره !

ودقت الطبول ايذانا ببدء اجراءات تنفيذ الاعدام ، وعندما شرع الجلاد فى استخراج السيف من جرابه وجده مكسورا ، فترك منصة الاعدام وذهب ليحضر سيفا آخر ...

وما كاد الجلاد يولى المنصة ظهره حتى سمع المحتشدون حول المنصة صوت بوق فاتجهوا نحو الصوت فوجدوا جنديا ينفخ فى بوق ويلوح بعلم ابيض ، ولما اقترب من المنصة صاح : « أوقفوا تنفيذ حكم الاعدام ! »

وما هى الا لحظات حتى وصلت عربة ملكية لتعود « بكارل » الى قصر الملك ...

والسبب أن الأميرة لما سمعت بحكم الاعدام صارحت والديها بأن « كارل » لم يخطىء فيما قال لأن وعد الملك يجب أن يكون نافذا ، ومن ثم وجب ان يتزوجها ، واذا كان من أصل وضيع ففى استطاعة الملك ان يرفعه الى مرتبة الأمراء ، وهددت بالانتحار اذا لم يلغ حكم الاعدام ويمنح لقب امير حتى تتزوجه ...

ولم يجد الملك ازاء اصرار ابنته والحاح زوجته الا ان قال : يمنح « كارل » لقب أمير .

ثم ارسل الملك رسولا ليوقف التنفيذ وعربة لاحضار « كارل » الى القصر .. لعقد قرانه على الاميرة .

وتم عقد القران فى حفل فخم واستقل العروسان عربة ملكية طافت بهما ارجاء المدينة فى موكب بهيج والحظ يتقدمه .

ورأى الذكاء كل ذلك وشعر بالخجل لتفوق الحظ عليه !

ويقال انه منذ ذلك اليوم كان الذكاء يتوارى كلما رأى الحظ ، أو يفسح له الطريق عندما يلتقيان ؟ ●

طرائف

لا الشمس ولا القمر !

بعد توقيع معاهدة باريس التي اعترفت فيها انجلترا باستقلال الولايات المتحدة ، أقام وزير الخارجية الفرنسية حفلة عشاء تكريما لمندوبي انجلترا والولايات المتحدة وتوثيقا لعرى الصداقة بين دولته ودولتيهما .

ونهض الوزير الفرنسي وطلب ان يشرب نخب ملكه لويس السادس عشر ووصفه بانه يضيء في سماء العالم كالشمس .

ولم يجد مندوب انجلترا سوى القمر الذي يسبب المد في البحار والمحيطات فيسهل دخول السفن وخروجها من الموانىء — فشبه به ملكه ..

بعدئذ نهض مندوب الولايات المتحدة وقال : اني ادعوكم لشرب نخب جورج واشنطن الذي قال ، كما فعل يوشع من قبل ، للشمس والقمر : « قفا ؟ » فوقفا طائعين لامره !

الاطفال يحكمون العالم :

كان تموستكليس القائد الاغريقي الشهير « ٥٢٠ — ٤٥٩ ق.م » يداعب طفله عندما زاره أحد أصدقائه ، وبعد ان رحب به قال له :

— ان هذا الطفل هو الذي يحكم اليونان !

— وكيف ؟

— لان اثينا تحكم بلاد اليونان ، وانا احكم اثينا ، وام هذا الطفل تحكمني ، وهو بدوره يتحكم فيها !

حمالو الهموم

لا يخلو انسان مهما كانت منزلته من هموم واشجان . وقد انشئت في امريكا مكاتب مهمة موظفيها الاستماع الى اى فرد لديه هموم ولا يجد من يشكو اليه أو يواسيه ، وما عليه الا أن يتصل تليفونيا بأحد هذه المكاتب فيبادر أحد « السميعة » للحضور ومحدثه يشرع « الزبون » في سرد متاعبه أيا كان نوعها ، والسرية مكفولة .

ولدى هؤلاء « السميعة » من اللطف واظهار المشاركة في العواطف ما يدعو الى ارتياح الشاكين وشعورهم بانهم ازاحوا من صدورهم الهموم .

كياسة

لما اعترف معاوية بأخوة زياد الذي كان يعرف باسم « زياد ابن أبيه » ، اراد زياد ان يحصل على اعتراف كتابي من ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، فارسل اليها كتابا باسمه الجديد وبدأه : « **من زياد بن أبي سفيان .. الخ » حتى تكتب له السيدة عائشة ردا باسمه كما اصبح ، فيكون كتابها حجة لديه ..**

ولكن السيدة عائشة فطنت لما يقصد اليه ، وكان ردها : « من عائشة ام المؤمنين الى ولدها زياد » .

الراوية كان لصا !

كان حماد بن سابور بن المبارك قد لقب بالراوية ، لانه كان من أعلم الناس بأيام العرب واشعارها واخبارها وانسابها وسبب اشتغاله برواية الشعر انه كان لصاً في بدء حياته ، وحدث انه سطا على بيت وكان مما سرقه كتاب شعر ، فقراه فاعجبه ، وقرأ بعدئذ كتبا اخرى فازداد اعجابا بالشعر ، مما دفعه الى التوبة والاشتغال بالادب ورواية الشعر ..

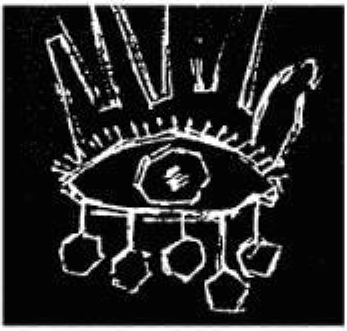
شارع الاختين

في مدريد شارع يسمى « شارع الاختين » وللاسم قصة فحواها أن اسبانيا ذهب الى الحرب وكان له بنتان جميلتان ، تركهما وحدهما في المنزل .

وخشية ان يطمع فيهما أحد لبست الكبرى ملابس شاب وقاية لها ولاختها ، وبمضي الايام اعتقد الجيران والمارون أمام البيت ان به رجلا .

وتسلل الاب الى البيت فوجد شابا نائما بجوار ابنته الصغرى ، فاستل خنجره وقتلهما معا شر قتلة .

وما ان بدت الحقيقة حتى ندم الاب ، وتاثر الجيران واطلقوا على شارعهما اسم « شارع الاختين » .



عن السّحر والزّار وعين الحسود!

● د. احمد متولي مسلم ●

● معظم الناس يخافون عين الحسود ، ويعتقدون انها قادرة على الضرر والاذى ... وكثير منهم يتشاءمون من شخص ما ، ويعتبرونه نحسا ، وينسبون اليه ما يصيبهم من كوارث .. وكثير يلجاون الى وسائل من الرقى ، والتعاويذ ، والزار ، وقراءة الكف ، والفنجان ، والمندل، والتنجيم، والتنويم المغناطيسي، الخ .. وبمقاييس المنطق والعلم والدين فان هذه المعتقدات والممارسات ليست الا خرافات وشعوذات .. هذه المعتقدات مخلفات من فكر القدماء .. توارثها البسطاء جيلا بعد جيل . وكان للخرافات قوة خاصة تساعدها على البقاء !.

في العصر الفرعوني، مثلا، كان الناس يعتقدون أن للانسان ـ الى جانب جسمه المادي ـ روحا (با) ، وقرينا (كا) .. ولا تزال هذه الفكرة تسيطر على معتقدات بعض العامة في عصرنا ، فعندما يقع الطفل فجأة على الارض ، تسرع اليه أمه وتقول : « اسم الله عليك .. وعلى اختك احسن منك » ، فهي تخشى أن تكون اخته القرينة قد اصيبت بأذى !.

وقد لعب السحر دورا حيويا في حياة الناس أيام الفراعنة ، كان الناس ـ من خلال الكهنة المدربين على السحر ـ يطردون الشر ، ويلتمسون من الارواح تحقيق رغباتهم . وكانت التعاويذ وسيلتهم الى طرد المرض ، وكانوا يعلقون التمائم ، وقاية من الاذى . وقد صنعوا هذه التمائم من الحجر الملون ، والمعدن، والخشب، والزجاج، واشهرها الجعران (مرتبط بالاله الشمس) ، وعمود أوزوريس (يهب الثبات) ، وشارة عنخ (تهب الخلود) ، وعين حوريس (تهب السعادة)، وعقدمينات (يحمي النساء)، وريشة النعامة (تهب الصدق والاستقامة) ، والشمس المشرقة (تهب الحياة والبعث) ، وربطة الحزام ، او دم ايزيس (تهب الحماية) .

اختفت هذه التمائم ، وأصبح البسطاء الان يعلقون في رقابهم بدلا منها احجبة تختلف في اشكالها ، لكن مضمونها واحد لا يتغير : مجرد شخبطة على الورق بالحبر الاحمر !.

وقديما صنع الكهنة تقويما لايام السعد والنحس ، وكان الملك يستشير الكاهن قبل ان يقوم بمشروع مهم... وكان الساحر يصنع نموذجا للعدو من الطين او الشمع ، ويسميه باسمه ، ثم يحطم النموذج او يصهره ، ليهلك العدو .

وفي عصرنا يحدث أن ترقى الفلاحة ابنها المريض، بأن تصنع عروسا من الورق ، وتنطق باسم الحاسدات المتوقعات للمريض ، وتثقب الورقة بابرة كلما ذكرت اسما منها ، ثم تحرق الورقة .

وهكذا انحدرت الينا مخلفات من التراث الفرعوني وغيره ،ولم يستطع تقدم العلم وتطور الحياة ولا الصحافة ، ولا الاذاعة المنتشرة فى كل قرية ونجع ، أن تحرر الناس تماما من هذه الرواسب والمعتقدات ..

وقادة الفكر ظلوا يحاربون الخرافة فى الكتب والصحف منذ اكثر من نصف قرن ، ولا تزال الخرافة تعيش فى كثير من الاذهان ...

ولا يزال فى الناس من يتشاءمون من بعض الوجوه ، ويعتبرونها نحسا ، ومن بعض الحيوانات كالقطة السوداء ، ومن بعض الايام ، ومن بعض الارقام كالرقم ١٣ .

وكان العرب يتشاءمون من صوت الغراب ، ومن الطير والحيوان البارح (الذى يأتى من جهة اليسار) ويتفاءلون بالطير أو الحيوان السانح (الذى يأتى من جهة اليمين). وجاء الاسلام فنهى عن التشاؤم والتطير ، وقال النبى عليه الصلاة والسلام : (ليس منا من تحلم او تكهن ، او رده عن سفره تطير)

ولا يزال الناس يؤمنون بالحسد ، ويعتقدون ان شخصا معينا له عين حاسدة تستطيع بنظرتها أن تسبب لهم الاذى، اويعتقدون ان الناس يحسدونهم، وهذا هو سبب ما حل بهم من مصائب.

وهو تفكير لا يقوم على اساس علمى، لان الحسد لا يؤذى المحسود بقدر ما يؤذى الحاسد نفسه ، الذى يحترق بغيظه وحقده :

اصبر على حسد الحسود
فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
ان لم تجد ما تأكله !.

وقد يرد البعض بأن الحسد مذكور فى القرآن : « ومن شر حاسد اذا حسد » . وتفسير الآية أن الحاسد لا يضر « الا اذا ظهر حسده بفعل أو قول ، لايقاع الشر بالمحسود ، فيتبع مساوئه ، ويطلب عثراته ــ القرطبى » ، اى ان الحاسد يؤذى بأفعاله وأقواله ضدك، لابنظرة عينيه كمايعتقدالناس. فما ابعد الفرق بين الحسد فى القرآن والحسد عند العوام .

وقد تظن أن الخرافة وقف على الاميين . والواقع غير ذلك ؛ فلا تزال أعداد كبيرة من المتعلمين تتردد على محترفى «فك» الرباط و «فك» العمل،

وكثير من المرضى العقليين من المتعلمين ، يترددون على الدجالين سنوات طويلة ، قبل أن يلجأوا الى الطب النفسى . ونسبة من السيدات المترنحات على أنغام الزار قد يكن من خريجات الجامعة .

وقد يصادف التعليم شخصا له ميول اجرامية واستعداد للانحراف ، فتعينه معلوماته على ابتكار اساليب جديدة لارتكاب الجريمة ، بحيث لا تطوله يد القانون . ومثال ذلك المشعوذ الذى يرتدى لباس العصر ، تجد « عيادته » فى العمارات الكبيرة داخل المدينة ، تحمل لافتة منوم مغناطيسى ، مثلا ، ويقصده البسطاء من الريف،والوافدون، فيبتز اموالهم بحركاته المسرحية ، وحتى لو تقدم احد ضحاياه بالشكوى ضده فقد يتعذر اثبات الجرم ، والقانون لا يحمى المغفلين ...

ومن الدجالين العصريين : المعالجون بالارواح ، ومن يزعمون انهم يجرون العمليات الجراحية بالارواح ، . والحمد لله هذه بدعة ((مستوردة)) ، وليس لها مندوبون فى مصر على ما نعلم .

والفنان الكبير الاستاذ ((يوسف وهبى)) الذى جرب علاجهم فى الخارج اكثر من مرة ، يؤكد ان تسعة وتسعين فى المائة من هؤلاء المعالجين بالارواح ، ليسوا الا ... نصابين افرنجى !.

الحظ والقدر والأمير الشاعر

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

– ١ –

● كان الاحتفال بمولد الامير الشاعر رائعا يفوق الوصف .. ففي اليوم الثالث والعشرين من شعبان عام ٢٤٧ هـ / اول نوفمبر عام ٨٦١ للميلاد – ولد ، في بغداد ، الامير العباسي عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، اشهر الشعراء من البيت العباسي، واعظمهم شانا في عالم الأدب والنقد والشعر .

وكان الخليفة المتوكل قد جعل ولاية العهد لابنائه الثلاثة : المعتز والمؤيد والمنتصر ، وذلك في عام ٢٣٥ هـ : وجعل المعتز حاكما لاقليم خراسان يستقل باموره بعد وفاة المتوكل والده ، وامر بنقش اسمه على الدراهم ، ثم وكل اليه خزائن الاموال بعد ذلك .

وكان لميلاد عبد الله بن المعتز رنةفرح في قلب والده ولي العهد ، وجدهالخليفة الذي كان يضفي على ابنه المعتز كل العطف والرعاية ..

ولكن سوء الحظ لازم الأمير عبدالله حتى في طفولته ، فلم يلبث ، بعد ان مضى على ميلاده اربعون يوما ، ان قتل جده الخليفة المتوكل ، بقيام الجناح العسكري التركي في جيش الخلافة بثورة عسكرية ، انتهت بقتل الخليفة وتولية ابنه المنتصر مكانه ، وكانالشاعر ابو عبادة البحتري شاعر المتوكل مع الخليفة في قصر « الجعفري » ليلة مقتله ، وشاهد هذه الأحداث الكبرى وصورها ورثى الخليفة المتوكل بقصيدة من عيون شعره ، وكان ذلك في ليلة الخميس الرابع من شوال عام ٢٤٧ هـ الحادى عشر من ديسمبر عام ٨٦١ م.

واعتقل المعتز ، وحبس في الجوسق وصودرت امواله ، وترك له ما قيمة ايراده عشرون الف دينار سنويا ... ونال بيت المعتز وابنه الطفل الصغير عبد الله ، ما نالهما من العذاب والآلام بسبب هذه الاحداث الجسام .

ومرت الايام بطيئة كأنها قطعالليل المظلم ، ولكن الاحداث تحولت الى جانب آخر غير الذي سارت فيه من قبل ، فقد انقسم الجناح التركي العسكري في جيش الخلافة احزابا وتخاصموا ،ومات المنتصر الخليفة بعد شهور قلائل ، وجلس عمه المستعين بن المعتصم على عرش الخلافة ...

وبعد نحو اربع سنوات الا قليلا عزل المستعين ، وبويع المعتز بالخلافة يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة من المحرم عام ٢٥١ هـ : ٨٦٥ م وعمر ابنه عبد الله بن المعتز اربع سنوات الا قليلا وبدات الايام تبتسم للطفل الامير الصغير ابتسام الروض عن زهور الربيع ، واقام المعتز في سامرا العاصمة الجديدة للعباسيين ، وبعد مناوشات حول بغداد طال امدها نحو عام سلم المستعين البردة والقضيب والخاتم للمعتز ، وبايعه بالخلافة ، وخلع نفسه

○ منح ابن المعتز للشعر كل ما كان في حاجة إليه من جمال الصورة وروعة الوصف، ودقة الصنعة، وطواعية النغم والأسلوب واللفظة لفن الشاعر وتجربته

منها، وبايعت بغداد كلها المعتز، وخطب له في مسجدها الجامع، ونظم الشعراء القصائد الطوال في هذا الحدث الكبير. وفي عام ٢٥٢ هـ جعل المعتز الخليفة ولاية العهد لاخيه اسماعيل ولابنه عبد الله، وظل يدير دفة الامور وسط الاعاصير والمؤامرات والفتن، وبعد سنوات ثلاث او تزيد قام الجناح التركي العسكري في جيش الخلافة بثورة ثانية على المعتز بعد الثورة الاولى التي قام بها على المتوكل وانتهت باعلان خلع المعتز نفسه من الخلافة، ثم بمقتله في سامرا، بعد أن أعطى أمانا له ولاخته وابنه وامه، وذلك في الخامس والعشرين من رجب عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م، وسن الامير الصغير عبد الله ثمانية اعوام.

وكان مصير بنت المعتز ـ الخليفة المقتول ـ داميا، امه «قبيحة» وضعت تحت المراقبة، ولكنها تمكنت من الهرب، ومعها بنت لها وجارية من جواريها، وبحث الاتراك منها فلم يعثروا لها على اثر، وظلت مختفية نحو شهرين الى أن عثر عليها في رمضان من عام ٢٥٥ هـ، فصودرت جميع اموالها بسامرا وبغداد، وكانت لها ثروة كبيرة تشبه الأساطير، ونفيت الى مكة. وكانت من اجمل النساء وسماها زوجها المتوكل قبيحة لحسنها وجمالها وكانت اثيرة لديه، حبيبة اليه، عزيزة عليه، وقد زوجت ابنها المعتز احدى قريباتها، فولدت له عبدالله.

وهكذا ذاق عبد الله مرارة اليتم، بعد ان شاهد الاحداث التي انتهت بمقتل والده، وهو بعد لم يتجاوز الثامنة من عمره.. انها لاحداث جسام، واهوال يشيب منها الوليد... وراى عبد الله الامير الصغير اسرته مشردة واموالها مصادرة، والفزع يحيط بها من كل جانب وفقد بمقتل والده كل شيء في الحياة.

والظاهر ان جدته قبيحة، قد اخذته هو وامه واخته وجارية لهما معها الى مكة وهي منفية هناك.... ولكنه عاد الى بغداد، ليعيش من جديد من اجل العلم والادب وتلقى ثقافته على ايدى ائمة العربية وشيوخها، واخذ يدمن القراءة والمطالعة في مصادر الادب والشعر

ولم يلبث ان جاشت في صدره روح الشاعرية، وتفتحت ملكاته عن اديب مطبوع متعدد الجوانب والمواهب الادبية.

وغذى روح الأدب في نفسه اساتذته من مثل: ابن زياد الضبي الكوفي، وابن سعيد الدمشقي، والحسن بن على العنزى، والمبرد، وابي العباس ثعلب وغيرهم من فحول اللغة والادب والشعر وسمع مع ذلك الأعراب الفصحاء، ورواة الأدب من البلغاء، وخالط العلماء والادباء والشعراء، ونظم الشعر وطارت شهرته بين أعلام الادب والفكر في عصره. وتوفيت جدته قبيحة عام ٢٦٤ هـ، ولكن الخلفاء لم يناموا حذرا من هذا الامير الشاب، الذى كان يهدد باخذ الثار من قتلة ابيه، ويقول من شعره:

خليلي ان الدهر ما تريانه
فصبرا والا اى شيء سوى الصبر

ويقول :

لو به اقتل كل قريب
وبعيد لم ينم لى ثار

ووضع الامير الشاب تحت المراقبة حينا ، واعتقل حينا آخر ، وعاش مشردا مهموما حزينا باكيا وصار يشكو فى شعره سوء احواله ،وبخاصة المالية منها .

ويقول :

يا قوم انى مرزا
وكل حر مرزا
خرج كثير ودخل
نزر فلم لا اعزى

وكانت اقامته فى سامرا ، ثم تردد على بغداد ومجالسها وحلقات العلم فيها . وكانت داره فى سامرا بالمطيرة وهى ضاحية من ضواحى سامرا ومتنزه من متنزهاتها .

***

وواصل الامير عبد الله دراسته فلازم كبار الشعراء والادباء والعلماء فى سامرا وبغداد، ولم يلبث ان الف كتابه «الفصول القصار » ، ثم بعد ذلك الف كتابه « البديع » عام ٢٧٤ هـ .

وتزوج ابن المعتز ، ولكنه لم يوفق فى زواجه ، ثم تزوج اخرى ، وكان ابن المعتز يكنى بابى العباس باسم أول ولد له ، وكان له ابن آخر اسمه « عبد الواحد» ويذكر ابن حزم فى كتابه «جمهرة الانساب» الذى حققه بروفنسال ونشرته دار المعارف (ص ٣٥) أن ابن المعتز لم يكن له ولد قط .

وكان لابن المعتز صداقات كثيرة ، ومجالس ادبية عامرة ، واخوانيات رائعة . كان يقيم فى سامرا ، وفى عهد ابن عمه الخليفة المعتضد العباسي (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ) امر الخليفة بعودة ابن المعتز الى بغداد ، فامتثل الأمير للأمر، واقام بدار على شاطىء «الصراة» احد الجداول الصغيرة لنهر دجلة .

ومضت الايام والأمير يعيش فى بغداد بين الامن والخوف ، والغنى والفقر ، والامل والياس ، والخلفاء العباسيون يتوالون على عرش الخلافة .. المهتدى، المعتمد ، المعتضد ، ثم المكتفى (٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ) .. والأمير عبد الله بن المعتز يردد من شعره :

من يشترى حسبى بامن خمول ؟
من يشترى ادبى بحظ جهول ؟

ولم يلبث أن قبض عليه وأودع السجن، ثم أطلق الخليفة المكتفى سراحه. ولكن الاحداث تطورت تطورا جديدا .

الشعب فى بغداد ناقم على الخليفة ــ المكتفى ، ولكن الجيش يؤيده ، ولم يلبث ان مات المكتفى ، وبويع بالخلافة لابنه جعفر المقتدر ، على الرغم من انه شاب صغير في الثالثة عشرة من عمره، ولم يرض هذا الناس فى بغداد، فقاموا بثورة شعبية ، انتهت بأن بايعوا بالخلافة عبد الله بن المعتز فى يوم السبت العشرين من ربيع الاول عام ٢٩٦ هـ ، ١٧ من ديسمبر عام ٩٠٨ م ، ولكن الجناح العسكرى التركى ايضا لم يرضه ذلك التصرف فقبض على ابن المعتز بعد ليلة واحدة من توليه الخلافة ، وقتل يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول عام ٢٩٦ هـ / ١٩ من ديسمبر ٩٠٨ م ، ومات الشاعر العباسى الكبير صريع آماله الكبار ؛ واحلامه الجسام ، ولقى من الحظوظ والاقدار ما ملأ حياته بالاحداث المدوية فى سمع الزمان .

ــ ٢ ــ

وكان ابن المعتز من اعلام الشعر فى القرن الثالث الهجرى ، ويعد هو وابو تمام والبحتري وابن الرومى طبقة واحدة من طبقات الشعراء المحدثين ، الذين آلت اليهم زعامة حركة التجديد فى الشعر فى العصر العباسى الاول .

ولقد اخمل هؤلاء الشعراء الاربعة كل شاعر عاش معهم ، او ظهر بينهم ، ولم يذكر من الشعراء الا من ذكر بسببهم فى خصومة او صداقة او منافسة ، كما يرى ابن رشيق .

وقد منح ابن المعتز للشعر كل ما كان فى حاجة اليه من جمال الصورة ، وروعة الوصف، ودقة الصنعة، وطواعية النغم والاسلوب واللفظة لفن الشاعر وتجربته .

— ٣ —

وكان ابن المعتز رقيق الحاشية ، لطيف الصياغة ، سمح الاسلوب فى شعره ، الصورة الشعرية عنده تمتاز باناقتها وطرافتها ... كان يمثل مدرسة المحدثين وذوقهم الفنى ومواهبهم التى تأثرت بالبيئة والحضارة والترف ، ومثلت العصر والحياة فى شعرها تمثيلا صحيحا ، ونأت عن التقليد للقدماء ، وصارت كلاسيكية الجاهليين على يديه تتحول الى لون جميل جديد من الوان المحافظة على التراث الشعرى ، فلم يعد الشعر عنده قوالب لفظية جامدة ، بل صار انغاما واطيافا وسحرا ، وماكان لابن المعتز ، وهو حضرى تتمثل امامه الحضارة فى ابهى حللها ، وتلوح امام عينيه المدنية فى اجمل مواكبها ، ان ينأى عن الرقة والعذوبة .

يقول ابن المعتز فى وصف نار مشبوبة:

وموقدات بتن يضرمن اللهب
يشبعنه من فحم ومن حطب
يرفعن نيرانا كاشجار الذهب

ويقول فى وصف الهلال :

كمنجل قد صيغ من فضة
يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن ابياته المشهورة :

عجبا للزمان فرحا لتيه
وبلاء دفعت منه اليه
رب يوم بكيت منه فلما
صرت فى غيره بكيت عليه

ومنها كذلك :

اصبر على مضض الحسود
فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
ان لم تجد ماتأكله !.

ومن شعره المأثور كذلك :

وحدثتنى يا سعد عنهم فزدتنى
جنونا، فزدنى من حديثك ياسعد

وقوله :

وحلاوة الدنيا لجاهلها
ومرارة الدنيا لمن عقلا

ولابن المعتز الكثير من الشعر المشهور الذى يتمثل به فى كل مناسبة .. يقول :

والصبا ممتلىء
حاجة واملا

وله شعر فى الطبيعة والسياسة والنسيب ووصف الراح ، وفى الوجدانيات له اجادة تامة ، وكذلك فى الوصف ، الى اجادته فى المدح والفخر والرثاء ، وله ملحمة شعرية نظمها يؤرخ فيها لخلافة المعتضد العباسى واعماله ، وملاحم اخرى فى الطرد والخمريات وغير ذلك .

— ٤ —

واخيرا فنحن لا ننسى انه كان اديبا وكاتبا وشاعرا وناقدا ومؤلفا ..

وهو صاحب نظرية البديع فى النقد العربى ، وكتابه « البديع » مشهور شهرة فائقة تماثل شهرة كتابه «طبقات الشعراء المحدثين » . وله رسالة فى محاسن شعر ابى تمام ومساوئه.. وغير ذلك من روائع اعماله الادبية ..

وكان يقال له : شاعر ادركته حرفة الادب . ولما قتل اراد صديقه الحسن ابن على بن بشار الشاعر (المتوفى عام ٣١٨ هـ) أن يرثيه بقصيدة ، فلم يستطع ان يفعل ذلك فنظم قصيدة رثاء ادعى أنه نظمها فى قطة له اخفاء على المقتدر واعوانه ، وخوفا منهم ، يقول منها :

وكيف ننفك من هواك وقد
كنت لنا عدة من العدد

ورثاه بعض اصدقائه الآخرين من الشعراء ، وهكذا انتهت حياة شاعر كبير من اعلام الشعراء بعد ان ذاق فى حياته من رفاهية وشقاء ولقى ما لقى من امن وخوف وامل ويأس، ومن حظ والاقدار بدات وانهت حياته كما تشاء .. ●

الشعر والغناء

● عامر محمد بحيرى ●

بين مرثيـة ، وبين مديحـة
عبّر اللحنُ عن جمـال الطبيعـه !
وسرت نشـوة .. فهزّت فؤادي
وأعادت ذكرى الليـالي البديعـه
والصّبا ناضـر" بروض الأمـاني
لم يكفكف من السرور دموعـه
يضرب العود في الصدور .. فيحكي
ضربات القلوب .. وهي سريعـه
وأنا جـالس بحجـرة داري
خاطري ثائر ، وعيني مطيعـه
كم شجاني في الليل صوت « المغني »
أتملّى صلاته ، وخشوعه
إنني أبدع القصـيد ... ولكـ
ـنْ بديع الغنـاء .. لن أستطيعه !
فله أهـل الكرام عليـنا
عصبـة أنشأوا السرور جميعـه !
رفعة ... كالكواكب الزهـر تمشي
معبد الليل ... كي تضيء شموعه
وشموس على الضحى ... أينَ منهـا
لمعة الآل .. من سراب بقيعـه !
يا رعى الله في الشبيبة عهـدا
كم تمنيت للـزمـان رجوعه
أين فيما سمعت .. « يا جارة الوا
دي » .. ولحن الهزار يشجي سميعه؟
وأغاريد أم كلثـوم ... تاج
فوق صدر السمـاء منه رصيعه !

وأغانيُّ أســمهان ••• كعِطــــر الـ
ــورد •• أحْنيًا بعدَ الشتــاء ربيعه !
وفريد ، ومن لنَــــا كفـــريد
حامِلِ العُود ، راية مرفــــــوعه ؟
وصَـــــداح للعَنـــــدليب شجِى
رددته وراءه المجمـــــــــوعه
جَمَعَ الله شَـــملنا ••• فى حمى الف
ـن وحَيًّا دياره ، وربوعَـــــه !
أيها الناظِمون ••• هَلْهَلْتُم الشِّعْـ
ـرَ فأين المهلهـلُ بنُ ربيعَــه ؟
إن لحن الغِنـــاءِ يطلب شِــعراً
يتلى أمجـــاد مصر الرفيعَــــه !
وإذا الشِّعر لم يجمّــــل ••• بلحن
فهو كالماسِ موشك أن تضِــيعه !
فدعُوا نصـرّف القَول فى الشِّعْـ
ـر •• وتجلو بيانه ، وبديعَــه !
واجعلوا الصِّدق للفنــون أساسا
فهُو عين الهُدى ، ورأس الشريعَــه
وامسَحُوا بالغِنـــاء صَدر الليالى
بلسَم الجرح ، أو شِــفاء الوجيعَــه
واحفظوا عهـد سابقٍ عبقرىٍّ
كل ما خلّف الـكِرام وديعَــه !
أنشدوا للسّـلامِ فى دولة « السا
دات » •• لحنا ، له الشعوب مذيعه ••
وامنحُوه تأييدكم ••• وانصـــروه
فهو أعلى يداً ، وأقـــوى ذريعَــه
صاحب الثورتين •• بيضـــاء أو خضـ
ـراء •• والليث مقدمٌ فى الطَّليعَــه !
عَــــزمه يرفع القَـــواعد للبيـ
ـت ويبنى حُصُــون مصر المنيعَــه
دعْوة للسّـــــلامِ والحبِّ باتت
تسْعِدُ الجيل •• شيخَه ورضيعَه !

حول مذكرات محمد فريد

٢

قضية تثير الجدل

● د . محمد أنيس ●

« وفى يوم الأحد ٢٤ لما عدت لمنزلى ليلا أخبرنى الجنايني أن أحد ضباط البوليس حضر لمقابلتى ، فأفهمه بأنى عدت للجريدة بعد الغداء ، فطلب منه أن يخبرني عند عودتى بأن انتظره لأنه يريد مقابلتى لأمر خصوصى ، فانتظرته حتى حضر . وبعد الجلوس، اخبرنى أنه مكلف بتوصيل جواب رئيس نيابة مصر اليه ، فدهشت لأنه لم يخطر لى على بال مطلقا أن خطبتى بها شىء يعاقب عليه، ولكن زادت دهشتى عندما اطلعت على الجواب ووجدته يدعونى للحضور صباح الاثنين لاستجواب عما جاء بها ».

ثم يستكمل حديثه فيقول : « حينئذ وعدته بالتوجه فى الغد الى النيابة فطلب منى كتابة ذلك على الظرف ، ففعلت وانصرف .

من هذه اللحظة صممت على ترك مصر ولكنى لم أخبر زوجتى ، بل لما سألتنى عما يريده منى هذا الضابط ، قلت لها: انه صاحبى ويريد استشارتى لأننى محام ، فى مسألة تخصه » .

الجديد فيما يرويه محمد فريد بعد ذلك وأغفله المؤرخ عبد الرحمن الرافعى أن قرار الهجرة اتخذ بعد مداولة بين أصدقاء محمد فريد .

اذ يذكر :

« وبعدها خابرت صادق بك رمضان، وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى ، واسماعيل لبيب ، واسماعيل حافظ أى أعضاء اللجنة الخصوصية التى كنا شكلناها للمداولة فى مسائل الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنة الادارية » .

ويسترسل فى القول :

ـ « فى صباح الاثنين نزلت من القطار فى محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون ، وقصدت منزل الدكتور صادق واخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر ، فوافق واتفقنا على الاجتماع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب ، ثم نزلت الى العاصمة فوجدت محمود بك فهمى فى انتظارى فى محطة كوبرى الليمون او محطة القبة لا اتذكر جيداً .

« ووجدت بعض ضباط البوليس الطليان بملابس ملكية يراقبون حركاتى مع انى أعرفهم شخصيا ـ « وهذا امر طبيعى لأن محمد فريد كان يعمل قبل استقالته فى النيابة العامة » .

« وركبت عربة مع محمود بك فهمى الى مكتبه ، وهناك تركنى وذهب ليقابل محمد سعيد باشا ليعلمه بالامر ، وانا انتظرته بمكتبه .

« بعد أكثر من نصف ساعة عاد بدون أن يقابله لأنه ارسل يخبره بأنه لم يلبس ملابسه ، ولينتظر ولكنه أبطأ عليه ، عندما قصدنا النيابة العامة معا وقابلنا على بك توفيق رئيس النيابة ، فقال لنا أن المكلف باستجوابى هو على بك ماهر ـ « الذى أصبح بعد ذلك رئيسا للوزراء فى اول وزارة عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ مباشرة » . بنيابة الاستئناف ، فصعدنا الى الدور الثانى ورافقنا ومعه القومسيه .

« اخذ على بك ماهر يتأفف من هذه المأمورية ، ومن ظلم الحكومة واضطهادها لنا الى غير ذلك ، وكان موجودا أخى ابراهيم بك وكيل النيابة بها ثم حضر



الزعيم الوطنى محمد فريد : حرص على كرامتـه وكبريائه

احمد لطفى ، واحمد عبـد اللطيف، وعبد العزيز فهمى المحامون، وحضروا الاستجواب .

«وأخيرا بعدالظهر بنصف ساعة،اذن لى على بك ماهر بالانصراف ، فانصرفت مع محمود بك فهمى الى منزل اسماعيل لبيب وهنـاك قصصت على الاخوان مادار بالتحقيق .

« فتقرر بالاجماع سـفرى خارج القطر ، وبعد الغداء ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل لبيب الى محل كوك للاسـتعلام عن السفن المسافرة الى الخارج فوجدنا الوابور الروسي « الملكة اولجا » يسافر الى الاستانة ويبرحه فى اليوم التالى .

«واخلت بعض الأوراق من مكتبى، وفى الساعة الثـامنة مساء قصدت منزلى .

« وانا بالنادى حضر احمد بك لطفى المحامى ونصحنى بالسفر لان الحكومة تنوى القبض على فى الصباح ، وانهـا طلبت ذلك من على ماهر فامتنع ريثما يطالع الأوراق ، وانه يخشى أن تؤخذ الأوراق وتسلم لغيره من ضعاف العزيمة فيأمر بالقبض على ، فاسررت له بالأمر وبأنى مسافر بالغد .

«« ثم ذهبت الى منزلى هناك ، اخبرت زوجتى بالأمر سرا وطلبت منهـا أن لا تخبر الاولاد ولا احدا من العائلة ، وافهمتها ضرورة سفرى ، وبمـا أن الجرائد ستاتى فى الصباح وبهـا تفصيلات استجوابى ، فلتحجزها حتى لا يطلع عليها الأولاد ، وبما أنها امرأة عاقلة وفاهمـة خطر مركزى ، قبلت القضاء بالرضاء وشجعتنى على السفر وتحمل مشاق النفى بدلا من الحبس» .

ثم يسترسل محمد فريد فى مذكراته بقوله :

« فى الصباح الباكر نزلت من المنزل فى الساعة ٦٫٠٠ صباحا وركبت القطار من محطـة الزيتون ثم سـافرت بالاكسبريس ، وقابلت بمحطة مصر ، وبالقطار كثيرين من أخوانى ومن المعارف ، فسألونى عن وجهـة سفرى فكنت اجيبهم بأنى قاصد الاسكندرية للمرافعة فى قضية وساعود فى المساء ، ولم ابح لأحد بالسر حتى ولا لمحمد بك عبد اللطيف ـ الأجزجى ـ بطنطا ، ولذلك بلغنى فيما بعد أنه امتعض لأنى كتمت الأمر عنه .

« لما وصلت الاسكندرية قصدت المحكمة ومنها توجهت لادارة جـريدة « وادى النيل » وقابلت الكلزة واخبرته بالسر ، وعند حضور قطر الساعة ١٢ ونصف من مصر قصدت لوكاندة «آبات» للغداء وهناك حضر اسماعيل لبيب بك ومعـه اخوه عبد الله بك طلعت .

« وبعد الاكل قصدنا الوابور الروسى نركب اسماعيل واخوه عربة وركبت انا مع الكلزة ولما وصلنا الرصيف ، نزلا أولا وصعدا الى الوابور ثم نزل الكلزة ليرى اذا كان الدخول للوابور سهلا أم لا ، واذا كان هناك مراقبون لم استبطائه ، فنزلت قاصدا الوابور فقابلنى ضابط من حرس الجمرك اسود يظهـر عليه انه جعفرى وانه لم يعرفنى ، فدلنى على مكان الصعود فصعدت ودخلت الى غرفة اسماعيل بك .

« أما الكلزة فانصرف بعد قليل ، ثم حضر محمود بك فهمى المحامى بالقطار الذى يصل اسكندرية الساعة ٣ بعد الظهر ، واتى الى الوابور وسلم على ثم انصرف وظل على الرصيف حتى قامت الباخرة ، وعند حضور مفتش الكرنتينا دخلت الى محل الأدب واختفيت فيه نحو عشر دقائق ثم خرجت لما ناداني اسماعيل بك واخبرنى بخروجه . بعد

قيام السفينة دفعت اجرة السفر ولم اعلم القوميسير باسمى واظنه هو ومن بالوابور لم يعلموا اسمى مطلقا » .

ثم يستطرد محمد فريد فى وصف المتاعب التى لاقاها حتى وصل الى الاستانة صباح الاحد ٣١ من مارس سنة ١٩١٢ .

من هذا تتضح الصعوبات الكبيرة التى لقيها محمد فريد لخروجه من مصر الى الدولة العثمانية وهى شجاعة يحمد عليها ، وتدل على عظم وطنية هذا الزعيم، كما ان الطريقة التى اتبعها تدل ايضا على انه اكتسب الكثير من الخبرة فى عمله فى النيابة العامة قبل ذلك .

ويذكر محمد فريد انه قوبل مقابلة حسنة من الاتحاديين ، واستعدادا لمساعدته ، غير انه من المؤسف انه منذ وصوله الى الاستانة حدث خلاف بينه وبين الشيخ عبد العزيز جاويش .

وبعد ذلك يتحدث عن تجواله فى اوربا وبالذات فى فرنسا بصفة خاصة ، ولم تكن هذه اول مرة تعرف فيها بمدام دى رشبرن ، فقد كان عرفها قبل ذلك فى عام ١٩٠٩ بباريس وكانت آنذاك طالبة باكاديمية الاستشراق بباريس .

وكانت رحلته من تركيا الى اوربا نتيجة علاقات المجاملة بين تركيا وانجلترا آنذاك ، ويؤكد ان الحكومة المصرية كانت تبذل جهدها بواسطة سفراء انجلترا فى الاستانة لتسليمه فى ذلك الوقت .

سافر محمد فريد من الاستانة الى جنيف لحضور انعقاد مؤتمر السلام العام فى ٢٢ من سبتمبر عام ١٩١٢ حيث انتخب فى هذا المؤتمر وكيلا له عن المصريين ، ثم سافر الى باريس وبعد ذلك الى السويد ، ثم فى ٢٩ من سبتمبر سافر الى برلين وهناك قابل الدكتور محمود لبيب محرم الذى كان يعانى من مرض عصبى ادى به الى الجنون ، وارسل محمود لبيب الى احد المستشفيات وبقى به حتى مات فى ٤ من سبتمبر سنة ١٩١٣ .

***

اتخذ محمد فريد مقرا دائما لمعديته برلين ، ويعتقد البعض ان محمد فريد كان مقيما بصفة دائمة فى برلين ، وهو اعتقاد خاطىء وذلك لانه كان باستمرار يحاول تكوين جمعيات من الطلبة المصريين فى كافة انحاء اوربا .

وكثير من المصريين بما فيهم المؤرخون لا يعلمون ان هذه الجمعيات التى كونها محمد فريد كانت بمثابة سكرتارية الوفد المصرى فى سنة ١٩١٩ حينما ذهب الوفد الى مؤتمر فرساى، وبذلك يكون محمد فريد قد ادى خدمة كبيرة لاول مفاوضات مصرية للوفد المصرى الذى ذهب الى فرساى عام ١٩١٩ .

وكان الوطنيون المصريون يميلون الى انضمام محمد فريد الى الوفد المصرى الذاهب الى مؤتمر فرساى ، غير ان سعد زغلول اعترض على ذلك ، على اساس ان محمد فريد كان يقيم فى برلين، وهى البلد التى قدر لها الهزيمة فى الحرب العالمية الاولى .

لذلك كان فكر سعد زغلول ان انضمام محمد فريد الموالى لتركيا والمانيا سوف يضعف من موقف الوفد المصرى فى المؤتمر ، وعلى الرغم من ذلك نقد نشل الوفد المصرى فى الدخول الى مؤتمر فرساى لشرح القضية المصرية.

وفى السنوات الاخيرة لمحمد فريد ضعفت صحته وحاول الاطباء علاجه ولكنه مات ودفن فى مقابر المسلمين فى برلين ، حتى استطاع تاجر من الزقازيق ان يذهب الى برلين ، واحضر جثمانه الى مصر .

ومما يقال ان محمد فريد كان تعوزه الحاجة المالية فينزل من المنزل الذى يقيم فيه قائلا لصاحبة المنزل انه سيتناول الغداء فى الخارج ولكنه كان يتجول فى شوارع برلين ويعود دون تناول الغداء فى احد المطاعم حرصا على كرامته وكبريائه امام صاحبة البيت..

والى لقاء آخر .

نتيجة مسابقة "الهلال"

لا تصدق كل ما تقرأ!

● **كان هذا هو موضوع المسابقة التى اعلن عنها « الهلال » فى عدده الصادر فى شوال ١٣٩٨ « اكتوبر ١٩٧٨ » . وكان بمناسبة خبر نشرته احدى الصحف اليومية الكبرى نقلا عن بعض كتب التاريخ ، ويقول الخبر تحت عنوان « واختاروا الاسلام طائعين » :**

« فى خلافة عمر بن عبد العزيز هاجم قتيبة بن مسلم سمرقند المدينة العظيمة بدون انذار حرب ، فلم يرسل لاهلها الانذار المعهود : اما الاسلام واما الجزية واما الحرب . فرفع اهل سمرقند دعوى الى عمر بن عبد العزيز يدعون فيها ان بلدهم فتح غدرا .

« وأمر عمر برفع الدعوى الى القاضى، فاحضر القاضى المدعين والمدعى عليهم بمثلهم القائد العام للجيش الاسلامى ، وسمع اقوالهم ، ثم اصدر حكمه التاريخى الذى يفخر به القضاء الاسلامى على كل قضاء ، حيث حكم القاضى ببطلان الفتح الاسلامى لسمرقند ، لأن الفتح كان قد خالف قواعد الاسلام فى الحرب.

« وحكم بخروج الجيش الاسلامى منها واعطائها مهلة للاستعداد ثم اعلان الحرب من جديد بالصورة الاسلامية المعروفة . ولم يملك الجيش الا ان ينفذ الحكم الغريب جدا من وجهة النظر العامة والموغل فى المثالية الى اسمى مراتبها . وبالفعل شرع الجيش فى الانسحاب واخلاء سمرقند .

« ولكن اهل سمرقند المدعين الذين شدتهم هذه العدالة الاسلامية المطلقة والذين ذاقوا نعمة الحكم الاسلامى خلال فترة الفتح عادوا الى الخليفة يطلبون طائعين مختارين البقاء تحت راية الاسلام » .

وقد ذكرنا اننا بمجرد قراءتنا لهذا الخبر التاريخى تبين لنا انه غير صحيح وانه لا يمكن ان يكون قد حدث . لماذا ؟ كان هذا هو السؤال الذى اردنا ان نمتحن به قدرة قرائنا على تمحيص ما يقرأون من اخبار ، وتمييز صحيحها من باطلها .

وقد سبق لنا ان اعلنا على صفحات « الهلال » عن مسابقات هدفنا ببعضها الى اشراك قرائنا فى عرض ما تجود به اقلامهم او ما تجيش به اذواقهم حول موضوع معين . وكان من بين هذه المسابقات ما اردنا به ان نتعرف على مدى اطلاع قرائنا وثقافتهم كما رأينا فى المسابقة الخاصة ببعض المواقف والاحداث فى حياة محمد « صلى الله عليه وسلم » .

اما هذه المسابقة الاخيرة فقد كانت على الرغم من بساطة السؤال المطروح فيها اصعب وادق ، اذ انها كانت بمثابة اختبار للحاسة التاريخية عند القراء ، وهى امر يحتاج ــ فضلا عن العلم وسعة الاطلاع ــ الى قدرة على المقابلة والتحقيق وتجرد من العاطفة عند الحكم على صحة الاخبار ، فقد يعجبنا الخبر لدلالته او

نتيجة مسابقة الهلال
لا تصدق كل ما تقرأ..

لأنه يقع من نفوسنا موقع الهوى — كما هو الحال فى الخبر الذى بين ايدينا الآن — ولكن الحق احق ان يتبع ، وعلينا ان نعرف كيف نقرأ ، ثم نحكم بعد ذلك على ما نقرأ حتى نستطيع ان نضعه فى مكانه الصحيح . ولو اننا اخذنا انفسنا بذلك وتعودنا الدربة على التحقيق لاستقامت لنا معايير سليمة للحكم على صحة الأخبار ، لا لما مضى به الزمن فحسب ، بل كذلك لما يقع بين ايدينا الآن ، على مرأى منا ومسمع .

وقديما نعى ابن خلدون على بعض جامعى الاخبار وكتاب التواريخ انهم لا يحكمون فيما يجمعون معايير عقلية منطقية كانت جديرة بأن تجنبهم كثيرا مما وقعوا فيه من اخطاء . يقول مفكرنا العبقرى فى مقدمة تاريخه :

« فهو — يعنى المشتغل بصناعة التاريخ — محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانسانى ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب — فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وائمة النقل من المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط » .

واذا كان ابن خلدون قد حمل على بعض جامعى الأخبار وكتاب التاريخ لما وقعوا فيه من اخطاء نتيجة لافتقارهم الى الحاسة التاريخية فان الحق يقتضى ان نقول ايضا ان هذه الحاسة كانت متوفرة لدى كثير من علماء السلف ، ولا سيما أولئك الذين اهتموا بجمع الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من معتلها ، فقد كان جانب كبير من دراسة هؤلاء المحدثين موجها الى معرفة مايسمى بـ « الرجال » ، وكانوا يعنون به تتبع أسماء رواة الأحاديث وسير حياتهم والتحقق من اسانيدهم اى الطرق التى اخذ بها بعضهم من بعض . وقد احتكموا فى ذلك الى معايير تاريخية ونقدية صحيحة جعلتهم ينفون من الحديث النبوى كثيرا مما لم تثبت المقابلة التاريخية صحة النقل فيه ، حتى وان كانت مادته طيبة لا غبار عليها . وتشددوا فى ذلك الى اقصى الحدود ، ووضعوا له قواعد علمية جديرة بكل تقدير .

ونعود مرة اخرى الى الخبر الذى عرضناه فى المسابقة فنجد انه منذ سطوره الأولى يشتمل على ما ينقضه ويثبت بطلانه . فقد جاء فيه أن **قتيبة بن مسلم هاجم سمرقند فى خلافة عمر بن عبد العزيز** . ولو أننا قابلنا بين احداث حياة قتيبة وسيرة حياة الخليفة الأموى عمر ابن عبد العزيز لرأينا ان **هذا الخبر** مستحيل الوقوع كما سوف نبين .

فقتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى أحد أعاظم القواد المسلمين ولد سنة ٤٩ هـ « ٦٦٩ م » وقدم فى سنة ٨٦ هـ « ٧٠٥ م » واليا على خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى عامل الخليفة عبد الملك بن مروان على العراق وكان ذلك قبل وفاة الخليفة بشهور قليلة « فى منتصف شوال ٨٦ هـ اكتوبر ٧٠٥ م » . ومنذ ان ولى قتيبة عمل خراسان بدأ فتوحه العظيمة التى اضاف فيها الى دولة الاسلام اراضى واسعة تمتد فيما وراء نهر جيحون « الذى

يسمى اليوم أمودارِيا » عبر وسط القارة الآسيوية حتى حدود الصين . وقد استغرقت هذه الفتوح كل خلافة الوليد بن عبد الملك منذ ولايته بعد وفاة أبيه في منتصف شوال ٨٦ حتى وفاته في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ « فبراير ٧١٥ » . وكان من أجل هذه الفتوح استيلاؤه على بخاري في بلاد الصغد والمناطق المحيطة بها فيما بين سنتي ٨٧ و ٩٠ « ٧٠٦ – ٧٠٩ » ثم سمرقند وخوارزم والمناطق المحيطة بنهر سيحون « الذي يسمى اليوم سيرداريا » ما بين سنتي « ٩٢ و ٩٥ » « ٧١١ – ٧١٤ » .

وبينما كان قتيبة بفرغانه يستعد لغزو كاشغر اول حدود الصين اتاه نبأ وفاة الوليد بن عبد الملك واستخلاف اخيه سليمان في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ ، وكان سليمان يكره الحجاج الثقفي ويحقد على اعوانه ، وكان قتيبة **على راس هؤلاء** ، فقدر ان **الخليفة الجديد لابد ان** يبعده عن **الولاية ، وقد يعذبه وينكل** به كما فعل مع **غيره من عمال الحجاج** ، فاعلن **خلع الخليفة سليمان بن عبد الملك** . غير ان **قبائل العرب كرهت ذلك ورات في مثل هذا التمرد ما ينذر بشر مستطير . وعمل بعض زعماء العرب حسداً لقتيبة على تأليب الجند** عليه . وكان زعيم هذه **الحركة ، وكيع بن ابي سود حسان الغداني اليربوعي احد زعماء بني تميم. وخرج وكيع على قتيبة وهو بفرغانه وثار به ،فقتله هو واحد عشررجلا من اهله في ذي الحجة سنة ٩٦ « اغسطس ٧١٥ »** .

وقد كان قتيبة بن مسلم على الرغم من هذه النهاية المؤسفة التي حاول فيها شق عصا الطاعة ،من اعظم المجاهدين ومن اكبر القادة العسكريين في التاريخ. ومع ان حياته لم تتجاوز ستا واربعين سنة فانه اضطلع بفتوح رائعة واجه فيها اعداء شديدي المراس كثيري العدد :

فلم تهزم له راية خلال هذه الحياة الحافلة بالصراع. وقد صور لنا الشاعر المشهور جرير حياته ومصرعه تصويرا نابضا بالحياة ، اذ قال مخاطبا أولئك الذين تآمروا على قتله :

ندمتم على قتل الأغر ابن مسلم
وانتم اذا لاقيتم الله انــدم
لقد كنتم من غزوه في غنيمة
وانتم لمن لاقيتم اليوم مغنم
على أنه أفضى الى حور جنة
وتطبق بالبلوى عليكم جهنم

ولا تطول الحياة بعد ذلك بسليمان بن عبد الملك صاحب هذه السياسة الخرقاء في التنكيل برجالات اخيه الوليد واعاظم قواده « فلنذكر ان موسى بن نصير فاتح الاندلس قد لقي ايضا على يديه مثل هذا المصير » . اذ يتوفى سليمان بعد اقل من ثلاث سنوات في يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة ٩٩ – ٢ أو ٣ من أكتوبر ٧١٧ على انه ربما كان من خير ما كفر به عن اعماله استخلافه ابن عمه عمر بن عبد العزيز اعدل بني امية واورعهم واشدهم في الحق .

ومن هذا يتبين لنا ان الخبر موضوع المسابقة ماكان ليحدث، فقتيبة بن مسلم كان قد لقي مصرعه قبل ولاية عمر بن عبد العزيز باكثر من سنتين .

اما ما جاء في الخبر من امر دعوى اهل سمرقند وحكم عمر بن عبد العزيز فيه فمجمله كما ساقه الطبري هو أن اهل سمرقند زعموا لسليمان بن ابي السري عامل عمر على خراسان أن قتيبة غدر بهم وظلمهم وأخذ بلادهم ، وارادوا أن يبعثوا الى الخليفة وفدا يشرح ظلامتهم . فكتب عمر الى سليمان يامره ان يجلس لهم القاضي « فلينظر في امرهم ، فان قضى لهم فأخرجهم الى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة » . فاجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي . فقضى ان يخرج عرب سمرقند الى

نتيجة مسابقة الهلال
لا تصدق كل ما تقرأ..

معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحا جديدا أو ظفرا بعنوة . ولكن الصغد « اهل سمرقند » عادوا فقالوا « بل نرضى بما كان ولا نجدد حربا » . وتراضوا بذلك، فتركوا الامر على ما كان ولم ينازعوا فيه .

والخبر يدل فعلا على موقف غريب من مواقف العدالة يذكر بالفخر للقضاء الاسلامي وللحكم الذي يرى ان السياسة ينبغي أن تقوم على أساس من الالتزام الخلقي . وهذا هو المعنى الذي أراد كاتب الخبر أن ينوه به : ولو انه أحاله عن وجهه ، وأضاف اليه ما أفسد حقيقته التاريخية .

وبعد ، فقد كان هذا السؤال بما فيه من اختبار لتلك الحاسة التاريخية التي لا يسهل توفرها لجمهور القراء العاديين من الاسئلة الصعبة . وهذا هو ما جعل عدد الاجابات الصحيحة — بين نحو الفين ممن اشتركوا في المسابقة — أقل مما عهدناه في المسابقات الماضية، ومع ذلك فقد بلغت الاجابات الصحيحة نحو مائتين من سائر انحاء العالم العربي والاسلامي . وعلى الرغم مما اوصينا به في المسابقة من التزام الايجاز فقد ابى بعض القراء الا ان يضمنوا اجاباتهم بحوثا مستفيضة مدعمة بالمصادر مع النص على مواضع النقل من تلك المصادر بصفحاتها .

ونود ان ننوه هنا ببعض هذه الاجابات:

— السيد المهندس نزار مرزوق — ٣٣ سنة ، طرطوس ، سوريا ص ب ٢٠٠ ، اجابة سليمة دقيقة . وشكرا لتحيته وجميل ثنائه .

— السيد الرباطي العربي — ٣٠سنة، تجزئة الرايسية رقم ٨ ، الجديدة ، المملكة المغربية : اجابة صحيحة محررة في إيجاز ووضوح . وشكرا على تحيته الرقيقة .

— السيد مجدى الطاهر عبد القيوم — ١٩ سنة ، الخرطوم جنوب ، ص ب ٥١١ السودان ، اجابة صحيحة مع تحقيق تاريخي جدير بالاعجاب .

— السيد محمد جمعة العدوى — ٤٤ سنة ، السنبلاوين ، دقهلية ش محمد حسين ، مصر : اجابة سليمة موجزة .

— السيد امجد اللطيف — ١٧سنة، شارع الهادى شاكر : قرنبالية ، الجمهورية التونسية ، اجابة سليمة محكمة .

الفائزون بجوائز المسابقة

اجريت القرعة بين اصحاب الاجابات الصحيحة تحت اشراف لجنة المسابقة برياسة الدكتور محمود على مكى ، فاسفرت عن النتائج الآتية :

الفائز الأول : السيد حسن محمد سليمان ، ٦ شارع سليمان جوهر شقة ١٤ — الدور الرابع ، الدقى — الجيزة وجائزته خمسة جنيهات .

الفائز الثاني : السيد فاروق يوسف اسكندر ، ٢٣ شارع مليون ابراهيم حدائق شبرا ، القاهرة ، وجائزته خمسة جنيهات .

الفائز الثالث : السيد عبد الرسول بخيت ، ٩٠ ش الضياء ، الساحل ، القاهرة . وجائزته اشتراك مجاني لمدة سنة في مجلة الهلال .

الفائز الرابع : السيد المقدم محمد بشير النجار ، عمارات الأوقاف ب أ شقة ٤٠ ، كوبرى القبة . وجائزته اشتراك مجاني لمدة سنة في مجلة الهلال .

الفائز الخامس : السيد محمد أمين خضر ، سمالوط ، المعصرة ، شرق . وجائزته اشتراك مجاني لمدة سنة في مجلة الهلال .

تهنئة للفائزين واطيب التمنيات لمن لم يوافقهم الحظ في هذه المرة والى اللقاء في المسابقة القادمة .

د. محمود على مكى

نحن وزهور الربيع

د. حسين مؤنس

هذا الوجه الباسم الجميل ..
هل هو زهرة ، ام ابتسامة ربيع ؟!
الاثنان في رأينا سيان .. فالابتسامة
مرح النفس ، والربيع مرح الحياة .



نحن وزهور الربيع

الربيع والزهور صنوان لا يفترقان .. فاذا رايت الزهور ذكرت الربيع ، واذا رايت الربيع ذكرت الزهور وفى كل عام يولد ربيع . وتولد مع الربيع زهور الحياة .

وحديثنا هنا عن زهور الحياة، وزهور الربيع . ولك ان تنقل عينيك وذهنك بين الربيعين لكى تشعر بجمال الحياة ، ولكى تختلس من عبوس الايام ابتسامة تنفعك فى مسارك فى هذه الحياة .

***

ولكل بلد زهور ، وليس فى الدنيا بلاد لها زهور اجمل من الزهورالتى منحها الله للعرب فى اوطانهم .

فالورد وهو اجمل الزهور على الاطلاق ، وأرقها عطرا ، زهرة عربية ، كانت مجهولة فى هضاب ايران ، حتى كشفها العرب ونقلوها الى بلادهم ، ونشروها فى شتى نواحى العالم ، واصبحت من ذلك الحين رمزا على الجمال وعلى العواطف من حب وكراهة وحزن وقلق ، بحسب ما يتراءى للورود من الوان .

وصدق ابن حزم عندما قال بيته المعروف :

الورد أجمل ما رات عيني
واحسن ما سقى ماء السحاب الجائد

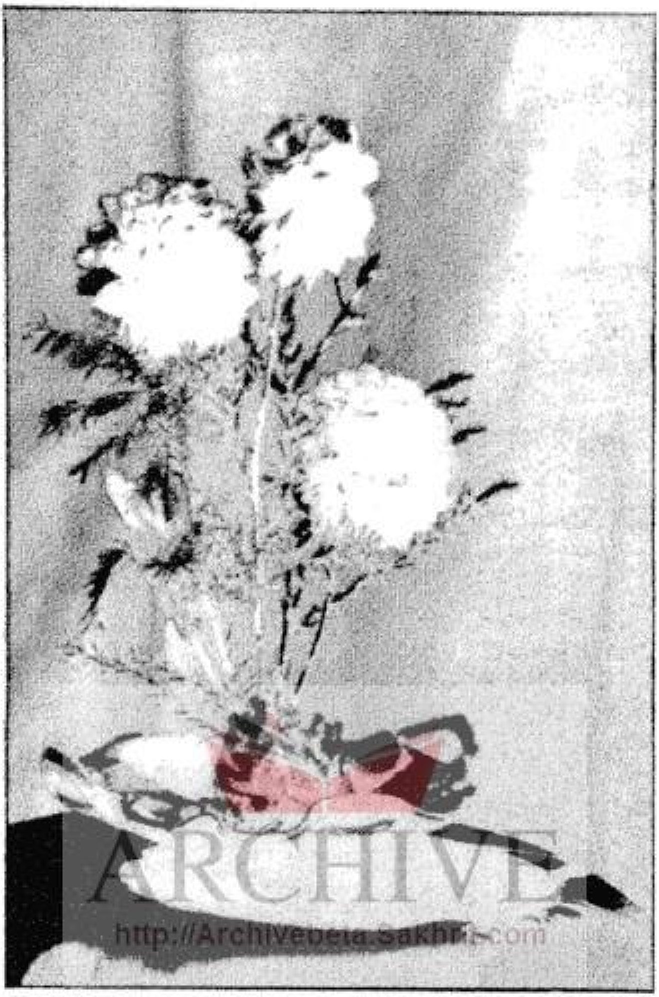
وقد روى هذا البيت معظم ادباء الاندلس ، لأن ابن حزم وصل فيه الى تصوير الورد فى اجمل صوره ، وفاق كل ما كتبه ابو الوليد الحميرى فى كتابه المشهور « البديع فى وصف الربيع » وكنه عن الزهور أو النواوير ، كما كانوا يسمون الزهور فى تلك الايام.

والنواوير مفردها نوار ، اى الذى ينور . لأن الزهور عندما تتفتح من أكمامها تنور الروض ، وتبعث الضوء فى الحياة . ولهذا كان شعراء الاندلس لا يرضون بكلمة الزهور بل كانوا يفضلون لفظة النوار .

حقا لقد عرف الرومان الورد ، وسموه باسم « روسا » ولكن ما ابعد الفرق بين وردة الرومان ، وهى الوردة الأوربية ، ووردة العرب وهى الوردة ذات العطر الجميل ، واللون البديع .

ولان الورد الرومانى منظر فحسب، ولا عطر فيه . ثم انه يخرج دفعة واحدة فتجد شجرة الورد تطلع من مائتين الى الى ثلاثمائة وردة فى نفس الاسبوع . وبعد أيام تذبل تلك الورود ، ولابد ان تنتظر الى العام التالى حتى ترى وردة اخرى .

اما الوردة الجورية ، وهى الوردة



زهرة الداليا، من أجمل ماخلق الله من الزهور ، وشجرتها شجرة كريمة ، تعطيك فى الموسم الواحد عشرات الزهور ، وتعطيك للموسم القادم عشرات الابصال ..

العـــربية (لان العرب نقلوها من اقليم جور فى وسط ايران) فتتجدد اسبوعا بعد أسبوع ، من ابريل الى اكتوبر . فهى حياة متجددة ، وربيع متكرر ، ومن هنا جاءت شهرتها ومكانتهـــا فى عالم العطور ، فان كل شركات العطور التى تسمع عنها ، والتى تبيعك عطورها باغلى من سعر الذهب ، لا يمكن أن تصـــنع عطرا الا وفيه شىء من عطر الورد . لأن عطر الورد أساس فى تلك الصناعة التى





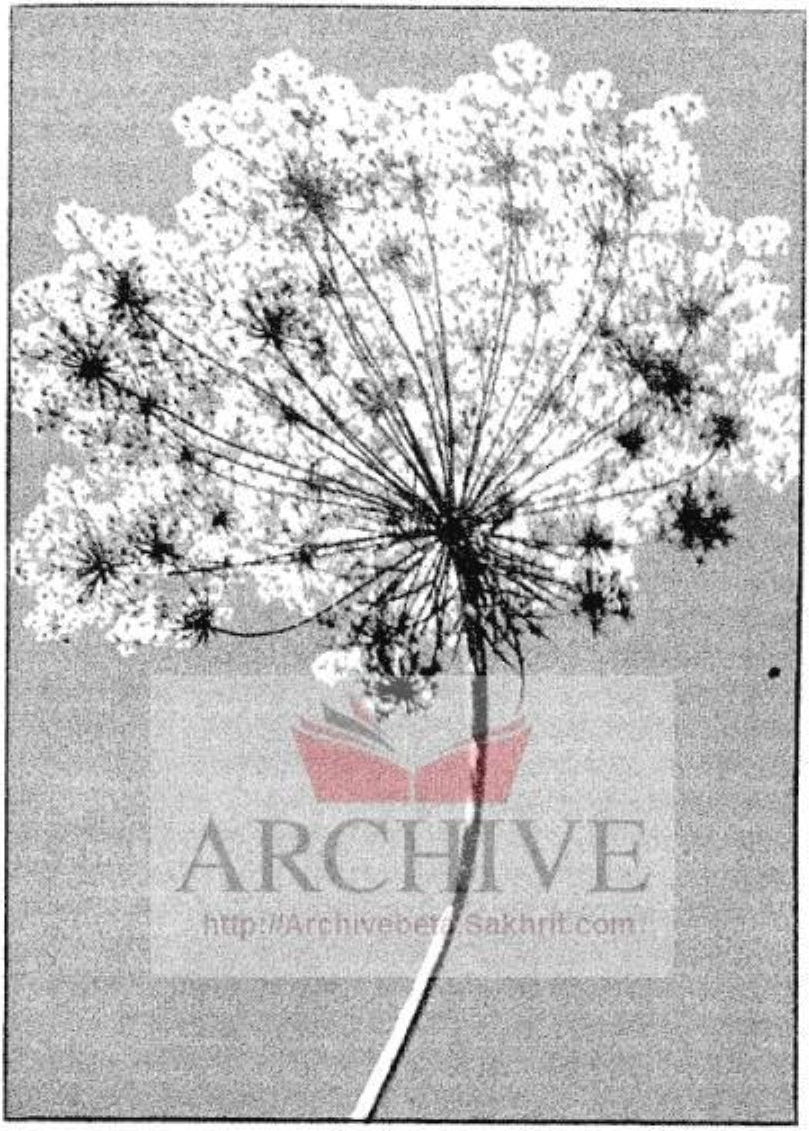
نحن

وزهور الربيع

زهرة من بنات حواء ، ووردة مما تطلع لنا الأرض المباركة ، لا ندرى أيهما أجمل ، ولا ندرى أيهما أدل على حقيقة استمرار الحياة ، وجمال الحياة ولو وضعت تلك الحسناء الوردة فى شعرها ، لاشتبهتا ، ولزادت حيرتنا، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الحسن كله من أصل واحد ، وسبحانه جميل يحب الجمال .

ولكن حذار فلكل من الوردتين أشواكه، وبدون أشواك فلا زهور . أما شوك الورد فنعرفه ، لأنه يدمى أصبعك ، ولكن شوك بنات حواء من يعرفه ؟!.

إن خير ما نفعله إزاء الوردتين ، هو أن نقف عند حد النظر ، نملأ عيوننا من جمال هذه ، وتلك - وحذار أن تمد يدك ، أو معها وقت المسئول.



تبارك الخلاق فى ما خلق ! •

هذه زهرة لا يزيد حجمها على بضعة سنتيمترات ، ولكن الله اودعها من الجمال والتناسق والرقة ، ما تحار فيه العيون •

وتستطيع ان تقضى الساعات فى تامل ذلك الخلق البديع ، وبصرك يجرى من الساق الى الفروع ، ومن الفروع الى الزهور ، وكل ذلك خلقه الله سبحانه وتعالى ، زينة للشجرة الصغيرة التى تخرج « الكسبرة » التى ياخذها البقال والعطار ، ويقتلونها ، ويبيعونها دون ان يعلموا ماذا حطموا •

نحن وزهور الربيع

قدر الملايين .

وعندنا الورد أحمال ، فماذا صنعنا بالورود ؟!.

ان شجرة ورد واحدة تزرع بعناية ، وتراعى فيها كل الظروف التى تجعلها تعطى اكبر قدر من زهورها ، يمكن ان تؤتى صاحبها كسبا يبعث على العجب ، ومن غريب الامر اننا رغم كل ماقلناه عن الورد ، وكل محبتنا له لم نستطع ان نفيد منه الا فى كلام الشعراء ، شأننا فى ذلك ، شأن معظم الاشياء الجميلة فى بلادنا .

ولعل شاعرا من شعراء العصور الحديثة لم يصل فى وصف الوردة ما وصل اليه احمد شوقى ، عندما قال :

تبارك الى خلق قلك من الخفه
واللى كساك الورق ولفه دى اللفه
زى القبل ولفت شفه على شفه ..

وفى بلادنا ينبت الفل ، وهل فى الدنيا عطر اشهر او اقوى ، او اجمل من عطر الفل ؟! .

انه يترامى الى مسافات بعيده ، واذا كانت عندك شجرة فل ، فانك تحس عطرها طول الليل ، لان الفل يخرج معظم عطره فى سواد الليل . كأن العطر يتحول فيه الى نور يضىء ظلام الليل لمخلوقات اخرى غيرنا تحس فى الليل تلتمس غذاءها ، فيجتذبها عطر الفل من بعيد .

ومن فصيلة الفل بنوعيه شجرة هندية بدأت تدخل البلاد العربية ، تسمى ملكة الليل ، وزهورها صغيرة جدا ، ولكنها لا تخرج عطرها الا فى الليل ، وأنت تشم عطرها من مسافات بعيدة . وشجرة واحدة منها تملأ بيتك فى الليل بعطر هادىء جميل . ومن هذه الشجرة يستخرجون اليوم تلك العطور التى يسمونها عطورا رجالية ، ويجنون منها ارباحا لا تقدر ، وهى منتشرة فى بلادنا ، لايكاد يحفل لها احد .

لان الربيع كله فى بلادنا لا يحفل له احد ، وهو يمر كانه لم يات ، ومن اغرب ما تجد فى حياتنا ان الربيع يقدم مع اسوأ فترة تمر على الشباب ، واسر الشباب ، وهى فترة الامتحانات . فتجد الصبى والشاب عاكفين على كتب ثقيلة يستذكرونها للامتحان ، بينما الربيع وزهوره تنتظر خارج الشباك .

اتعلم ماذا يفعلون فى اوربا فى مثل ذلك الوقت ؟

انهم يمنحون المدارس والجامعات اجازة نصف السنة فى الربيع بالذات ، لكى يستمتع الشاب بالربيع ، ويستقبله ويحتفل به ، ويحس بطعم الحياة

عاشق الزهور

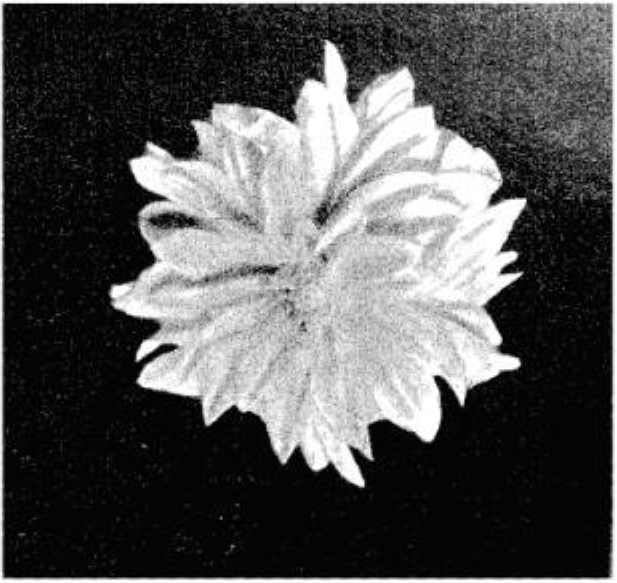
ياليت لى كالفراش اجنحة
اهفو بها فى الفضاء هيمانا
ادف للنور فى مشارقه
واغتدى من سناه نشوانا
وارشف القطر من بواكره
فلا ارود الضفاف ظمآنا
والثم النور فى سنابله
مصفقا للنسيم جذلانا
حتى اذا ما المساء ظللنى
سريت بين الورود سهرانا
اشرب انفاسها وقد خفقت
صدورها للربيع تحنانا
تحلم بالفجر فوق جنتها
يموج فيه الغمام الوانا





وبالعصافير في ملاحنها
تهز قلب الصباح ارنانا
لو يعلم الزهر سر عاشقه
افرد لي من هواه بستانا
فلا تراني العيون مقتحما
سياجه او تحس لي شانا
اذن لغردت في خمائله
وصغت فيه الحياة الحانا
لكنه شاء خلق مبتدع
من فنه العبقري فنانا
اراده شاعرا فدلهه
وسامه جفوة وهجرانا
فليحمني الحسن زهر جنته
وليقصني العمر عنه حرمانا
ما كنت لولاه طائرا غردا
ولو جهلت الغناء ما كانا

● علي محمود طه ●
● من ديوانه : الملاح التائه ●

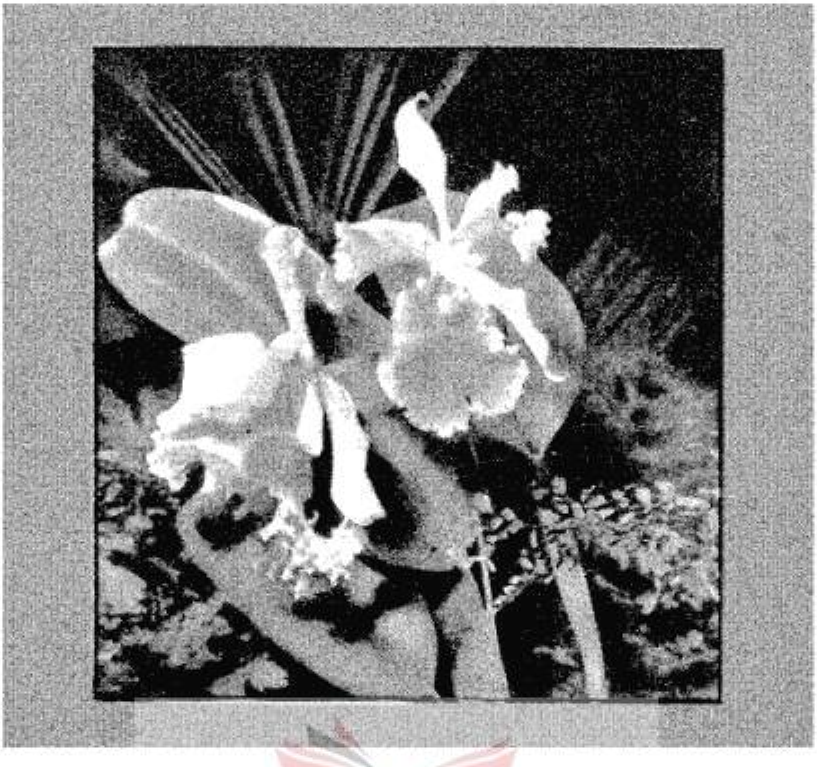


نحن وزهور الربيع

● زهور مصر .

احصى علماء الحملة الفرنسية من زهور مصر ستمائة نوع . واعطوا كل واحد منها اسما علميا، ونقلوا الكثير منها الى فرنسا ، حيث انتشرت في اوربا واخذت اسماء اوربية ، وعادت الينا دون ان تعرف انها « بنت بلدنا » . وفي الصور المنشورة هنا ثلاث من زهور مصر تراها كل يوم ،وتمر بها دون ان تملأ عينك من جمالها .. انها كلها ذات الوان باهرة ، تتالق في ضوء الشمس ، وتتضوع بالعطر ، ولكن من منا يملأ عينيه من الجمال ،ونفسه من العطر .

ان بلادنا بلاد زهور ، ولكننا نحن لسنا اهل زهور ، او غالبيتنا على الاقل. وفي قريتنا كان يعيش الوف من الناس ، ولكن واحدا منهم فقط زرع زهورا ، في جزء صغير جدا من ارضه ، لانه كان انسانا ذا حساسية مرهفة ، اما الباقون فلا هم لهم الا زراعة « الكوسة » و « الخيار » و« الطماطم » و « البصل » الى آخره .







نحن وزهور الربيع

روض من السندس الأخضر ، وجواهر من الزهر الأحمر .. أجمل بساط تقع عليه العين .

قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وما أجمل الدنيا لو نتلمس فيها الجمال ، ونبدد فيها أسرار الجمال ، وجلسة أمام هذا البساط الجميل ، تروح النفس عن هذا الصيف الذي تنفق فيه أيامنا ، ونحس لهث لتال ، ونأكل لنلهث ، وعيوننا لا تبصر من جمال الوجود إلا القليل .. وكل همنا منصرف الى ملء البطون ، وملء الجيوب .. أما الروح فأين من يعنى بالروح .

ودورة الوجود . ويذكر أن هنـــاك أشياء تسمى الحب والجمال والالوان.

ولهذا فان الشاب هنـــاك يعيش الربيع ، ويعمل فى الشتاء .

وعندنا يلعب الشـــاب فى الشتاء ، ويعمل فى الربيع .

وتراث الماضى الذى خلفوه لنا ، تراث ثقيل ، لا حياة فيه . ولا كانت له فى يوم من الايام حياة ، ثم يلوموننـــا على اننا نسير فى الصفوف الخلفيـــة من ركب الحياة .

واين هى الحياة ؟!

***

نريد أن ندعوك الى أن تحتفـل معنا هذا العام بمولد الربيـــع ، وأن تعيش

نحـــن وزهـــور الـربـيـع



مع الربيع ،وزهور الربيع ،وكل مايعنيه الربيع من حب وتفاؤل واستبشار .

نريدك أن تنسى وزن الحيـاة الثقيل الذى يثقل على كتفيك وما اكثر اثقال الحياة فى هذا العصر ..

ويعيش الناس يتصورون اننا نحن وحدنا من دون البشر ، نعانى اوصاب هذا العصر الحافل بالتكاليف والاعباء

ونحب أن نقـــول لك أن تكاليف الحياة واعباءها فى عصرنا هـذا ثقيلة على كل أهل الدنيا فى كل بلاد الله . ولكنهم هناك يفهمون الحياة ويأخذونها على أنها ربيع وخريف وتعب واستمتاع، وجد وهزل ، وهم يضعون كل شيء فى مكانه .

اما نحن فما اكثر ما نجد فى وقت الهزل ، ونهزل فى وقت الجد ،ونريد ان نحتفل بالربيع فى الشتاء ، ونلهب ظهور أبنائنا لكى يعملوا فى الربيع . وفى غير بلادنا ــ مثلا ــ تبيعك الزهـور فتيات جميلات فى شكل الزهور ، فانظـر ــ حرسك الله ــ من يبيعك الفل فى موسم الفل ، انه يبدو أبعد ما يكون عن الفل او عطره ، أو الزهر وجماله . وهـذا مثال من انقلاب الاحوال بفضـــل ذكائنا الذى لا نحسد عليه .

وقد دعوناك أن تبتسم فى العدد الماضى ، وها نحن نقدم اليك ابتسامات الربيع فى زهور ذات الوان ، فهـل عساك ان تسمع منا وتبتسم معنـــا ، وتحس بالربيع وزهر الربيع، كمـــا ينبغى ان تحس به ؟ .

نرجو ...

اشكال الحسن كثيرة ، ولكن جوهر الحسن واحد ..
فانت اذ تنظر الى هذا الوجه المشرق ، بين زهــور الكريزانتيم ، ذات الالوان البديعة ، يخيل اليك ان كل زهرة تحمل لك إبتسامة لا تقل جمالا عن إبتسامة وجه الحسناء .. وهذا هو اجمل ما في الربيع ..





في مثل هذه الجميلة قالوا

● فاتنة ! ... ●

حسناءُ ناعمـــة تزهو نضـــارتها
كالرّوض ، يختالُ فيها الحسنُ مزدهرا
في طرفهـــا حور في أنفهـــا شمم
في ثغرها كوثر لا يعـــرف الـــكدرا
تبدو غدائرُها للعـــين من ذهـــب
وجيـــــدها فاقَ في لألائه الدررا
لما بدت ، ذبتُ وجـــدا عند رؤيتهـــا
فلم ترَ العينُ إلا السِّـــحر مقتـــدرا
مليحـــة برزت في ثوبٍ فاتنـــة
فلا ترى غيرها شمســـا ولا قمـــرا !

● احمد محمد الديب ●
● تجارة حلوان ●

● كأنها طيف ... ! ●

حلما أرى ، ربّاهُ ... ياطول ما
ناجيتُ في وجـــدان أحـــلامي
كأنها طيف ، وتلكَ الـــرؤى
تبرقُ في آفاقِ أوهـــــامي
أظل أرنو ساهيـــا سارحا
في جنة من سحرِ ها الهـــامي

أظل أسقى مهجتى سلسلا
عذبا وأروى غلة الظامى !

● حسنى الامين ●

● ابتسام الندى .. ●

خذينى لعينيك ، حتى الرمق
لألقى الشروق ويصحو الألق
خذينى فقد راوغتنى الليالى
وقد ساورتنى شباك القلق
فما أنت إلا ابتسام الندى
وما أنت إلا — لعمرى — أفق !
أفيضى على انطلاقات روحـ
ـك ، إذ عبوس الدجى ينفتق
ومازال طهر مداك يغنى
لقلبى لحونا ، تصوغ الشفق
خذينى ... فإنى أحب الهوى
إذا فاض منك — ولم يحترق

● احمد مرتضى عبده ●

● لبيك ... ●

لبيك حورية فى الحب أو ملكا
كلاهما أنت فى ظنى وتقديرى
لبيك يا فتنة فى الحسن آسرة
روحى وملهمة فى الشعر تفكيرى
براءة وحياء .. عفة وتقى
وآية أنت فى أدب وتعبير

لو استطعت أصوغ الشّور فيصور
من البيان لجاءت سحر تصـويره
من أجل معجزة في الحبِّ فاتنة
في الحسن ساحرة في بهجة النور
أقول لبيك إن عـزّ الفؤاد بها
والعز أسمى المعاني في هوى الحور

• عبد الله هلال •

• ألحان الشوق ! •

أقول هواك ذا عـذب
من التعـذيب أحيانا !
فحين يكون بي شجن
أجوب الحب نشطانا ..
فأبحث عنك في لهف
شريد القلب حيرانـا
كطير صاده الشبـك
رهين الأسر يقظانـا
فراح يغرّد الشعر
يصوغ الشوق ألحـانا
كذلك يصنع الحـب
بطير صار فتّـانا !

• طارق صلاح الدين بندارى •
• القاهرة •

مرآة الفكر الغربي

لن يموت شئ

● الشاعر الانجليزى : لورد الفردتنسون ●

● د. سليم الاسيوطى ●

● كتب تنسون هذه القصيدة على اثر وفاة صفيه وصديقه الحميم آرثر هلام وهو نضر العود ، غض الاهاب ، فى ربيع العمر وشرخ الشباب . وقد كان موهبة مبكرة وعبقرية قلما يجود زمان بمثلها ، وكان واعدا بمستقبل زاهر عظيم .. فكان لنبأ موته وقع الصاعقة على تنسون وعز عليه فقد اعز الصحاب الى روحه واقربهم الى قلبه . انجمعت سحب اليأس فى سماء حياته ، وران على روحه الاحباط . احس انه لن يلبث أن يقضى نحبه فى اثر نجيه وصفيه ، ولكن قبل أن يحل به الدمار الروحى والجسدى، افاق من غشيته وثاب الى رشده وعاد الى الايمان القوى القويم بأن الحياة لن تكون الى الزوال ، ولكنها ستبقى نابضة دافئة تنطلق قدما ، لا تتردد ولا تتوقف ، بل على النقيض وكالعهد بها دائما تجيش بالآمال الكبار والفرص السانحات ويحفل روضها بالزهر الناضر والثمر اليانع ، وقد حان قطاف هذا وجنى ذاك . فاستشمق حسامه وراح يخوض معركتها مزودا بالايمان والثقة والجهد الجهيد .

ويعتبر لورد الفرد تنسون من اشهر فحول الشعراء فى عصر الملكة فيكتوريا الذهبى فى انجلترا ، وهو ينتمى الى المدرسة الرومانسية . وقد نشر اول ديوان له وهو فى الحادية والعشرين ، ثم تلاه بديوانه الثانى بعد ذلك بسنوات

كان تنسون يهتم اشد الاهتمام بالتراكيب العروضية والقافية والوزن، بالاضافة الى الايقاع . وقد جرب الاوزان العربية والفارسية فى اشعاره وخاصة فى قصيدته ((اوكسلى هول)).

وفى سنة ١٨٥٠ وقع عليه الاختيار ليكون شاعر البلاط خلفا للشاعر وردزورث حيث بقى فى هذا المنصب الرفيع زهاء الاربعين عاما . وعند موته دفن فى مقبرة العظماء فى كنيسة وستمنستر .

لن يموت شيء
حين يعجز الغدير عن الجريان
على مرأى منى
وتعجز الريح عن الهبوب
فى كبد السماء
وتعجز السحب عن المسير
والقلب عن الخفقان
فهل تموت الطبيعة ؟
ابدا ، أواه ! أبدا ، لن يموت شيء ،
سوف يتدفق الغدير
وسوف تهب الريح
وسوف تعبر السحب
وسوف يخفق القلب
ولن يموت شيء .
لن يموت شيء
وسوف يتغير كل شيء
من خلال الابدية .
انه شتاء الدنيا ،
خريفها وصيفها
ولت منذ عهد بعيد ،
جفت الارض حتى قلبها
ولكن الربيع فى الطريق اليها ،
ربيع غنى عجيب ،
سيدفع الريح الى الهبوب
المرة تلو المرة
خلال هذا وذاك ،
هنــا وهنــاك
حتى تفعم الحياة الهواء
والارض من جديد .
هذا العالم لم يصنع ابدا ،
سوف يتغير ولكنه لن يزول .
كذا فلتهب الريح ،
فى المساء وفى الصباح
عبر الابدية
على الدوام
لم يولد شيء ،
ولن يموت شيء ،
وسوف يتغير كل شيء

((تنسون))

Nothing will die.

When will the stream be aweary of flowing
Under my eye ?
When will the wind be aweary of blowing
Over the sky ?

When will the clouds be aweary of fleeting ?
When will the heart be aweary of beating ?
And nature die ?

Never, oh ! never, nothing will die ;
The stream flows,
The wind blows,
The cloud fleets,
The heart beats,
Nothing will die.

Nothing will die ;
All things will change
Thro' eternity.
'Tis the world's winter ;
Autumn and summer
Are gone long ago ;
Earth is dry to the centre,
But spring, a new comer,
A spring rich and strange,
Shall make the winds blow
Round and round,
Thro' and thro',
Here and there,
Till the air
And the ground
Shall be fill'd with life anew.

The world was never made ;
It will change, but it will not fade.
So let the wind range ;
For even and morn
Ever will be
Thro' eternity.
Nothing was born ;
Nothing will die ;
All things will change.

ALFRED TENNYSON.

فيلم من سينما الفكر

النهاية السعيدة والنهاية غير المنطقية

● ماري غضبان ●

●● كثير من الاعمال الفنية يخرج منها الانسان وهو لا يتذكر الا انه امضى ساعات من التسلية او المتعة الفنية . وقليل من الاعمال الفنية او الادبية تلك التي يخرج منها الانسان وهو يعاني من التساؤلات وعلامات الاستفهام المحيرة ..

ومن اهم الاحداث الفنية التي تندرج تحت عنوان السينما الذهنية ذلك الفيلم الذى عرض فى اوائل العام الجديد « احلام نسناس » من اخراج ماركوفاريرى وانتاج مشترك بين ايطاليا وفرنسا .

●●● و « احلام نسناس » تدور احداثه فى اكثر اماكن العالم ابرازا لتناقضات الانسانية .. اختار المخرج ماركو فاريرى نيويورك والولايات المتحدة حيث الحضارة المتقدمة والظروف المتناقضة ، فهناك من يقفون على راس السلم الحضارى ، وهناك ايضا من يقبعون تحت فى الاعماق السحيقة التى لاتمت بصلة الى الوجود الحضارى .. وازمة الحضارة التى يعالجها الموضوع تعنى ان الشخصيات تعيش فى احلام تخرج عن اطار الزمن ، فالناس تتوهم الخطر الذى يتجسد فى الخوف من خطر المذاهب التى تقضى على الراسمالية كالمذهب الشيوعى ولا فارق فى خوف هؤلاء من الشيوعية عن خوفهم من اخطار القوى الاخرى وغزو الاتجاهات اللاآدمية وقدوم كائنات من كواكب اخرى . وازاء هذا الخوف ينعدم كل اسلوب من اساليب التعامل البشرى ، يفقد البعض حتى لغة الحوار والقدرة على الكلام وتصبح وسيلة التعبير لديهم مجرد اصوات تصدر من افواههم تشبه الصفير ..

والبشرية المهددة بالانهيار لا تفقد اشكالها المادية ، لكنها تفقد فقط وجودها الانسانى ، فناطحات السحاب العملاقة والطرق والكبارى موجودة ، ولكن الكيان البشرى هو الذى يختفى ... فالرعب موجود فى كل مكان .. الغوريللات الضخمة اختارت ان تموت على الشواطىء والسواحل الآهلة بالسكان ، والفئران الكبيرة تخرج من الجحور وتهدد حتى مجرد التواجد البشرى ..

نيويورك لم تعد مدينة الحضارة



من فيلم « احلام تسناس » ... مشاهد الرعب في كل مكان ، وفي هذه اللقطة نرى الغوريللا الضخمة التي اختارت ان تموت على الشواطئ والسواحل الآهلة بالسكان . . .

والحركة المتزايدة ، بل اصبحت مدينة الفراغ والخوف والرعب والخطر المحيق بالوجود الانساني والحضارة البشرية . وبقايا المدينة — التي كانت نيويورك — تواجه خطراً آخر هو الحريق الذي يلتهم ما بقي منها من مظهر يدل على الكيان والسلوك الانساني ، وينتهي كل شيء لينتهي معه آخر اثر للحضارة البشرية .

***

وقد وصف النقاد الفيلم بانه يعبر عن مرحلة اليأس ... فالناس مصنوعون ، والحضارة زائفة ، والاعلام مزيف ، والافكار مطحونة . ووسط ما خلقه الانسان من مظاهر حضارية مادية يبدو الانسان — صانعها — قزما امام ضخامة هذه الانجازات المادية ... واين الانسان الضعيف امام قوى الدمار الضخمة .. وهو صانعها ؟ !

واذا كانت المجتمعات قابلة للاختفاء والحضارات قابلة للزوال ، الا ان هناك نوعيات من البشر لاتنتهي ، بل تستمر لكي تخرج من العدم وجودا ، ولكي تؤكد مسيرة الجنس البشري والسلوك الانساني . وهذه النماذج التي تتميز بالقدرة على المقاومة والقدرة على البقاء ، هي حلم مؤلف القصة ومخرجها ماركوفاريري . . .

وعلى شاطئ من الرمال الذهبية التي تجاور ساحلا مائيا فيه صفاء اللون الازرق السماوي ، تبدو امرأة جميلة وطفل صغير يبحثان عن لحظة استقرار بعد فترات ضياع — رمزا لاستمرار الحياة وبداية حياة جديدة وعالم جديد ... بهذه النهاية اراد

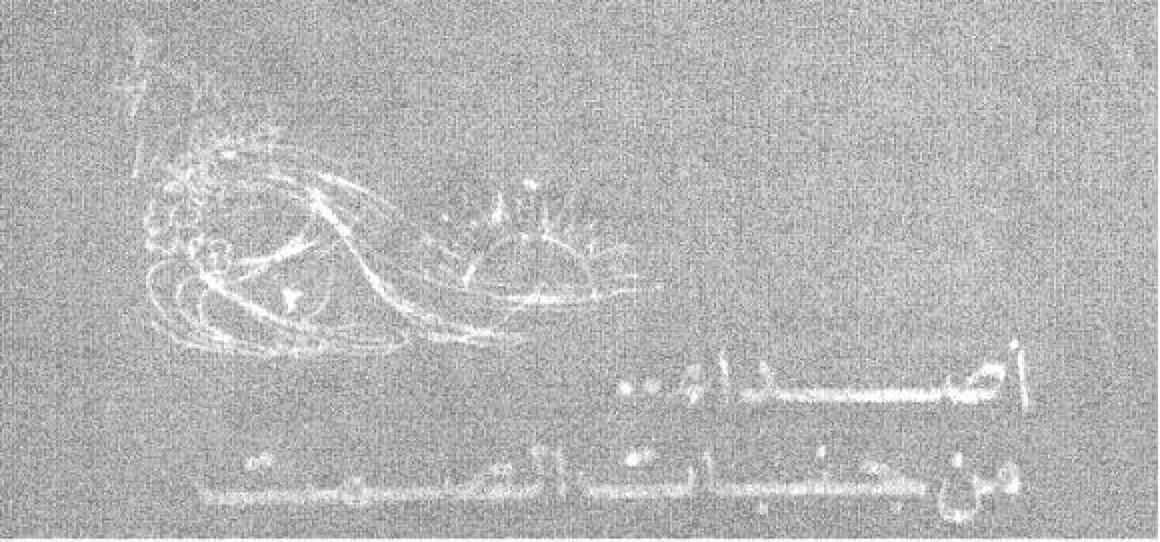


مشهد ناطحات السحاب العملاقة كما جسدها فيلم « أحلام نسناس » .. ان مخرج الفيلم يرمز بهذه اللقطة الى معان كثيرة ومتعددة أهمها اختفاء الكيان البشرى فى ظل التغلغل المادى الذى اصاب العالم

المؤلف ماركو فاريرى ان يقول ان ازمات الحضارة ستنتهى ... صحيح انها ستدمر الكثير من مظاهر الوجود الانسانى ولكن النهاية الحتمية ستبقى فى استمرار الجميل والصحيح من السلوك البشرى .

***

●● هذه الخيالات والتخوفات من انهيار الحضارة الانسانية سبق أن عالجها الكثيرون فى اعمال أدبية وافلام سينمائية ومسرحيات ، لكن هدف هذا الفيلم « أحلام نسناس » يبدو فى ان الكلمات اصبحت فى غالبيتها كاذبة ، والاعلام اصبح وسيلة كريهة لنقل افكار سخفية ، والماركسية التى كانت حلما بالنسبة للكثيرين للتغلب على حماقات النظام الراسمالى ، صبحت ايضا شيئا كريها ، نتطورها لم يعد الصلاح لاحوال المجتمعات . واذا كانت هذه الاهداف ايضا غير جديدة فى نظرة الفن والادب والبحث عن اسلوب جديد للصلاح الانسانى ، الا ان هذا الفيلم الذى مثله مارشيلوماستروياني ، وجيرار بارديو ، واخرجه مؤلف القصة ماركو فاريرى ـ يوضح هذه المعطيات من خلال فهم وتناول جديد يجسد ابعاد المشكلة بشكل محذر ومخيف من اخطار وتراكمات العصر ، لكن النهاية التى لجا اليها المخرج بعد جو من الارهاب والكآبة ، تمثل نهاية مفاجئة لا يستسيغها الكثيرون ، فقد كانت بمثابة « النهاية السعيدة » التى تمثل مخدرا ومسكنا لآلام عديدة يصعب التغلب عليها بمثل هذا الدواء السحرى والنهايات غير المنطقية! ●



● يس الفيل ●

مثلما ينتشر العطـــر عل وجه الصـــحارى
مثلما يلمــــع نجم فى سراديب العيـــارى
مثلما تنـــدلع الاشواق فى ليل العـــذارى
مثلما يرجع للأيام عيد ، فى المدى يوما توارى
تشرق الآمال فى قلبى ربيعـــــا ، وازدهارا !

***

فاغنى .. وتغنى فى زمان الصـــمت روحى
واحس الكون عطـــرا ناعما يكســو جـــروحى
وأرى دنيـــاى تمتـــد الى افق فسيح
وكأن الليـــل ـ فوق الارض ـ لم يرسم ضريحى
وكأنى لم ازل ، والامس لم يحرق طمـــوحى !

***

غير ان الصمت لا يلبث ان يغتـــــال نفسى
واعاصــير الليـــالى بالأسى تمـــلأ كأسى
وبقـــايا العـــالم السحرى فى آفاق امسى
تنطوى مبتـــورة الايقـــاع فى أنقـــاض يأسى
وكأنى صـــرخة الاحـــزان فى ليـــلة عرس !

***

وبرغم الصمت احيـــا ، ازرع الارجاء نورا
وأعيش العمـــر احســـاسا ونبضـــا وشـــعورا
ولقـــد ابصر وجه الارض من حـــولى قبـــورا
غير انى ســـوف اشدو ، امنح العـــانى سرورا
واغنى لغـــد يشـــرق فكرا .. وضـــميرا !

قصة

وحيدة!

• هدى جاد •

● تتقلب في فراشها ، ذات اليمين وذات الشمال ... تحجب الضوء عن عينيها ، رغم ان الدنيا ظلام ... تخفي عن فكرها صور الماضي .. تحاول بكل ما ادخرته من جهد ان تطمس معالم الذكريات !

بالارادة يهون الصعب ... كلمات جميلة ، معانيها حلوة ، تدفع الراغب في تخطي الصعاب ان يتمسك بقشة ، ليهون الصعب . كما يقولون ..

لكن ما الذي يجعلها حقيقة هكذا تتقلب على جمر ؟ .. والفراش وثير والهدوء مستتب ... هذه الفترة بالذات ، تتوقف الحركة ـ حركة المرور ، حركة ضجيج الاطفال في المدارس والبيوت والشوارع ... تستكين العصافير في اعشاشها ، تغلق الحوانيت ابوابها ، ينام السكان وبوابو العمارات .

الانسان حر ... هذه حقيقة . منح حق الاختيار ... حقيقة ثانية . مادام يملك القدرة على التفكير السليم ، له ان يخطط لنفسه حسب ما يرتضيه الحق . ويومىء المجتمع برأسه علامة الرضا ..

ما الذي كان في وسعها ان تخطط له بما يتناسب مع ظروفها ؟

فقدت والديها وزوجها ولم تنجب .. ولا داعي لان تخوض في اسباب انفصالها عن زوجها لانه ربما كان العقم واحدا من اسباب طلاقها .

في نهاية الامر ، اصبحت وحيدة ، هذه هي الحقيقة الاولى والاخيرة ..

« عيب يا امرأة أن تعيشي بمفردك وما زلت ذات فتنة ودلال : عيب يا امرأة ألا يظلل سقف دارك رجل ! رجل بأية صورة : أب ، أخ ، زوج ، ابن ... »

كثيرا ما تصفحت الجرائد اليومية ، والمجلات الاسبوعية ... هل هناك اعلان عن واحدة تريد الانتماء الى رجل ـ بغية التغلب على الوحدة ؟

كل هذه الافكار تحيط بها في كل لفتة في كل حركة . في صحوها ومنامها . في اوقات عملها . خارج البيت وداخله ... المهم . يجب ان تواجه الحقيقة ... تريد أن تعيش بحيث تتنفس هواء نقيا .

كانت تملك مالا يسد رمقها ، يعوضها عن اللجوء للآخرين ، فحمدت ربها واهتمت بوظيفتها وعملت على تحسين مركزها . بالاطلاع والاستقامة حتى حصلت على احترام كل من يتعامل معها ، فحمدت ربها ..

بقيت المشكلة الحقيقية .. وهي اكتشافها المفاجىء لمن يقف أمامها . يسد بجسمه الثقيل ، وأنفاسه المنفرة ، كل ما تروم اليه من حرية ... كيف ؟ جارها الثقيل ، زوج صديقتها الطيبة التي تلبي لها ما تطلب منها ..

رجل منحته الطبيعة وزنا ثقيلا في كيلوات اللحم والدم !

عندما تقف أمام النافذة تراه ... فترة ما بعد الظهر كل يوم يفرغ نفسه ليترصدها ... كأنما خلق في هذه المرحلة ليتمم رسالته ، وهي أن يراقبها كيفما سمح له وقته . في أول الامر ، تجاهلت ما دار في ذهنها من هواجس ، وما لقنه لها قلبها من تحذيرات .. ومرت الايام واستمر الأمر أشهرا طوالا ، ماذا تصنع ... هي التي تقدس معنى الحرية؟

قلبها يستثقل ظل هذا الرجل ، عقلها يهدئها ... كل واحد حر في بيته ... الشيطان يهمس لها .. لابد أن من بنى هذا البيت غرس فيه جثة هذا الرجل ، الذي لا يفارق نافذة بيته التي تطل على شقتها وتكشفها كلها .

وأحيانا تنقلب الصفاقة على المواقف الهسليمة ... فقد حول الجار بندقيــة رصده الى الشرفة ، حيث يكشفها تماما .
لم ييأس ، ولم يكل ، لم يمل .. أخذ يطاردها خارج البيت وفي داخله ..
فكرت ، هل تلجأ لبعض الاقـــرباء المخلصين ليوقفوه عند حـده ؟ ستكون فضيحة بلا شك .. وستخسر صاحبتها البريئة المخلصة ـ زوجته !
ومن هنا تساءلت : ان هـــذا التفكير معناه تسليمها الكامل بأنها وحـدها لا تستطيع الذود عن نفسها !
وطرأت لها فكرة ... لماذا لا تسـافر عند قريبتها في الريف ؟ لها حق في اجازة كانت تماطل في الحصول عليها .. لان طاقة العمل داخل البيت وخارجه ، تنقذها من الاستسلام للفراغ الموحش ... لعلها فكرة صائبة . لأن شعورها بالاختنـــاق وهي حبيسة دارها كان يوغر صدرها ..
واحتواها الريف ، جدد نشاطها ... لم تكن في احتيـاج لغلق النـوافذ أو الاستسلام لكوابيس الاحلام.. هدهدتها قريبتها ، وسعدت باجتمـاعهما معا بعد طول غياب ..

ولكن ، ما اقصر عمر الايام السعيدة .. هكذا انتهت الفترة التي اختلســتها من زمانها لتعود مرة أخرى الى عشها ، الذي تحول في الاونة الاخيرة الى سجن بمحض ارادتها .. الموضوع الان اصبح لا يحتمل المماطلة ، التفكير المتواصل في الحصول على كامل حريتها دون اللجوء الى اخرين ، كاد يعتصرها تماما ...

تبعث من داخلها قوة رهيبة ، ادخرتها الى حين لتخلص نفسها تماما من الضيق المتواصل ، شرط الا تعمــل على اثارة فضيحة ، لأنها لو حاولت البـــوح بما يكدرها لاخرين ينصتون اليها ، قد يتبادر الى اذهان البعض انها ليست حسنة النية، وربما تريد القاء شبهة ما على رجل .. من يدريهم أنها على حق ؟ مازال المجتمع ينظر الى المرأة ، عـلى انها في احتياج مستمر للحماية .. والحماية من رجل..الرجل الذي اصبح يمثل لديها وحشا في غابة متسعة لا حدود لها .

والحصول على مسكن ، دخل في عالم المعجزات ، لن تستطيع الانتقال الى مسكن آخر ـ كذلك هو !

مازال صامدا يترصدها في كل مكان .

يقلق راحتها ، سعيدا بانتصاره وبتغلبه عليها ... النار تشتعل في صدرها غيظا
كانت تستمد قوتها المدخرة من ايمانها مازالت لديها فترة طـويلة تستطيع من خلالها الحصول على أجازة أخرى ..
إدعت المـرض بمـرض معـد وخطير أخطرت جارتها الوفية بذلك ليصل الخبر الى الجار الصفيق ... اختــارت فترة محددة أغلقت على نفسها الابواب والنوافذ بعد أن ادخرت طعاما ومؤنا تكفيها لمـدة شهر على الاقل ..
نظمت وقتها . بعضه لانجاز عملها الذي تريد من ورائه ربحا معنـــويا قد يضمها الى قائمة المتفوقين . انعزلت تماما عن الناس الا بقدر محدود عن طـريق التليفون .
كانت تنام نوما هادئا مســتريحا ، وتقسم بقية الوقت في المطالعة ومشاهدة التليفزيون ، اقترب موعد الخلاص ! ..
احست بأن عبئا ثقيلا كاد ينزاح عـــن صدرها .. فتحت النوافذ ، كانت نوافذ الجار الصفيـــق مغلقة ... قهقهت في سرها ، خرجت الى الشرفة القريبة جدا من شرفة الجار العدو ... ذهلت !
كان الغبار يغطي كل شيء لدرجة توحي بأن المسكن مهجور .. هتف صـوت من باطنها : انتصرت يا امرأة نصرا مبينا !

الخوف من العدوى من مرضها المخيف ربما كان الدافع لهربه أو لهرب الجميع ، فالرذاذ والهواء المخزون المحمل بالميكروبات أوهم الجميع بأنها اصبحت مرتعا خصبا للمرض ..
واجهت نفسها .. ألم انتصر على عـدو صفيق دون حماية من أحد ؟ بعد مـــرارة العذاب النفسي الذي تجرعته ليلا ونهارا في حريتي ، في سكوني ، في نومي وفي يقظتي ..

كل هذه الالام التي لم اجلبها الى نفسي، لكن وضعي المتفرد وظروفي القاسية هي التي اطمعت الطامعين في ..
انما ارادتي ، وعذاباتي ، وعنـــادي المتولد من اصراري عـلى المقاومة كل ذلك سيحميني من شر الآخرين ..
رنت المــرأة الوحيـــدة الى الفضاء الواســـع ودمدمت من بين شفتيها :
الجحيم .. هم الآخرون !

من قضايا الفكر الإسلامي

دراسة ونصوص

● تأليف: د. محمد كمال جعفر ●

يعرض هذا الكتاب القيم لقضية عامة في حياتنا الثقافية المعاصرة، هي قضية اصالة الفكر الاسلامي، وقد ضم بين دفتيه أبوابا رئيسية ثلاثة كل منها يحتاج لكتاب مفصل ينير لنا الطريق، خاصة، اننا الآن تمر بنا مرحلة نحتاج فيها ان نعرف كيف نفرق بين تراث اجدادنا، وبين الوافد علينا من الخارج، وليكون كل منا على يقين من تراثه، ما يفيد منه وما يحتاج لتصحيح مساره.

وقد استطاع المؤلف، وهو الاستاذ الجامعي أن يعمق نظراته في دقة علمية في تراثنا ليضعنا أمام جوهر المشكلة الاساسية التي تواجه المثقف المعاصر. وقد عالج هذا الموضوع باسلوبه الفلسفي والعلمي الواضح، فجاء الباب الاول استجابة لنداءات الضرورة الملحة المعاصرة: الفكر الاسلامي بين الاصالة والتجديد، وقد استعرض فيه الكاتب اللمحات السريعة التي تتعلق بتحديد طبيعة هذا الفكر، وتوضيح النقاط الاساسية اللازمة لتقييمه وتقدير مكانته بين الانماط الفكرية العالمية.

كما أشار المؤلف أولا الى اضطهاد المستشرقين للفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية، مبينا العاصفة الخطيرة التي واجهت الفكر الاسلامي والتي حاولت النيل منه، على يد بعض الباحثين الغربيين بشتى نزعاتهم ولغاتهم وبيئاتهم وهم الذين انتهوا الى آراء متناقضة حول أصالة هذا الفكر.

ويعلق المؤلف على ذلك بقوله «ولا عجب ان يعلق باحث اوربي منصف على مثل هذه الآراء معلنا أنه لم يعد هناك ضرورة الى بعث مثل هذه النظريات المتناقضة التي كانت واسعة الانتشار في الماضي، والتي دابت على تصوير التاريخ السياسي الاسلامي أو الحضارة الاسلامية بصورة عامة على أنهما معا سلسلة مملة من الحكام والطغاة، وتكرار ممل للفكر والاشكال».

وقد بين المؤلف ان أهم مثال على تناقض هؤلاء الباحثين: مكدونالد، وميلر، حيث انهما وغيرهما قد وقعوا في سلسلة التناقضات في وقت واحد نتيجة لافكارهم المسبقة التي تدل على خيانتهم للبحث العلمي والبعد عن النزاهة والموضوعية، وحيث ان هذه الآراء جميعا يمكن الرد عليها بالمنطق والموضوعية، لأنه ثابت تاريخيا أن هناك قرونا عديدة ازدهر فيها النشاط الفكري الاسلامي مع وجود عقيدة القضاء والقدر، ولم نر أى فترة من فترات التاريخ قد تعطل السير فيها بسبب القضاء والقدر، ومن المعروف أن ازهى العصور كانت فكرة القضاء والقدر هي العون على اعتدال الانسان ومعرفته قدر نفسه ومشجعا لتحمل الصعاب والنوائب، ولكن في الحقيقة كل من اراد أن ينتقص من الفكر العربي الاسلامي وأن يقلل من شأن العروبة والاسلام، انما يظهر عليهم ذلك من نزعة عنصرية متعصبة، وقد تعرض المؤلف هنا لأكثر من شخصية لهؤلاء

الباحثين الغربيين مثل ارنست رينان ، وليون جونيه بالتحليل والدراسة مثبتا العنصرية والخيانة العلمية فى آرائهم مع اثبات أن العقلية العربية عقلية علمية قادرة دائما على التأليف والتركيب والتوحيد بين الاشياء وهى بذلك قادرة على الاحاطة والشمول وادراك الكليات .

***

ويرى المؤلف أن اثبات الاصالة للفكر الاسلامى والحضارة العربية الاسلامية ليست بحاجة لطلاسم ،بل ان بها عناصر ثابتة أصيلة تشير الى مواقف عقلية وفكرية تقف تواجه الرأى الذى ينفى اصالة هذه الحضارة وهذا الفكر ، كما تشهد بمواقف الاعزاز والاعتزاز ، بالتراث ..

وأروع ما يطالع الباحث فى الفكر الاسلامى والحضارة الاسلامية أن بهما اتجاهين فيهما التخصص الدقيق والتعميم ولكن ما نلاحظه فى هذا الباب ان الكاتب اعطى اهتماما خاصا بضرورة مراعاة الجوانب الاربعة التى تمثل الفكر الاسلامى فى اطاره العام المطلق ، والا يقتصر فى تقييم هذا الفكر على جانب واحد من هذه الجوانب التى اشير اليها بعلم اصول الفقه ، وعلم الكلام ، والفلسفة المدرسية والتصوف ..

وعلى ذلك يشير المؤلف الى انه اذا كانت مراعاة الجوانب الأربعة السابقة ضرورية لضمان سلامة الحكم على مدى أصالة الفكر الاسلامى فانه من الضرورى كذلك أن تكون نفس هذه النظرة الشاملة هى مصدر الانطلاق فى محاولات التجديد الفكرى ، فكان من أهم اقتراحات المؤلف لتجديد الفكر انه من الضرورى ان يكون التجديد نابعا من الاسلام حيث انه اشمل صيغة للفكر وللسلوك وأوسع دائرة تنظم الفكر والوجود ،وهذا الانبثاق يشترط أن يكون نتيجة لاستعراض واستيعاب الفكر الاسلامى فى ميادينه الاربعة ، وفى ضوء القرآن والسنة الصحيحة فان الاطار الاسلامى الذى يجمع الاصل والكينونة والمصير دون اهمال لاى منهما على حساب الآخر هو الاطار الذى يجب ان يحتذى به .

وقد عرض المؤلف فى هذا الباب مثالين هامين من محاولات التجديد . أولهما للفيلسوف المسلم ، الشاعر محمد اقبال الذى عرض قضية التجديد الفكرى عرضا فلسفيا ، ويعتبر كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الاسلام » الوثيقة الاولى التى تضمنت تصوره العام للقضية واقتراحاته حول التجديد ..

وثانى محاولات التجديد ، محاولة استاذ معاصر هو الدكتور زكى نجيب محمود فى كتابه «تجديد الفكر العربى» حيث رسم فيه خطة للمثقف العربى المعاصر فى اطارها العام وازمته الانسانية من حيث امكانية التوفيق بين روح عصره وتراثه فى خطة تجديدية شاملة ، حتى يكون لديه ما يقدمه لعصره ، فيضيف زادا فكريا جديدا لعالم اليوم ، واعلن أن الثورة لابد وان تبدأ من اللغة حيث انها فى حقيقتها فكر . وقد قدم لنا المؤلف تعليقاته وملاحظاته على هذين المثالين .

اما الباب الثانى فيتضمن استعراض بعض محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة ، وقد اراد المؤلف بهذا الباب توضيح جهود الاسلاف فى مواقف حضارية . وتلك المواقف ان لم تكن شبيهة كل الشبه بموقفنا الآن ، فهى على أى حال قريبة منا حيث كانت بيئات الاسلاف عرضة لغزو فكرى وحضارى، وقد حاول الاسلاف أن يتصدوا لهذا الغزو الفكرى الوافد محتفظين باصالتهم وعروبتهم ، وبذلك يكون هذا الباب وثيق الصلة بالباب الاول .

ثم خصص المؤلف الباب الثالث للنصوص والتعليقات عليها ، فضم نصوصا تنشر لاول مرة وتكشف بذلك عن جوانب عامة ،وقضايا عامة فى فكرنا الاسلامى ، ومن هذه النصوص رسالتان لابن مسرة الاندلسى ، واقوال تتصل « بالنبوة » لابن كمونه .

وهذا الباب يتيح للقارىء الاتصال مباشرة بالنصوص ويتيح له تكوين الحكم والرأى فى حيدة ونزاهة ان يكون قد تمرس باساليب الفلاسفة والمفكرين .

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

قصة

المهاجر

● أحمد الشيخ ●

- ١ -

قال لنفسه وهو يعبر الزقاق :
لـو بقيت فلن يتحقق شيء لى او لهم ..
لو رحلت أكون بالفعل قد انشطرت ، لكني ساحقق حلما طاف بخيالى يوما، ساعيش وايسر لهم اسباب الحياة ...

وقال لنفسه ايضا :

فى مثل هذه الحالات يلزم تجنب العواطف قدر المستطاع ،فالعواطف تعمل على تعويق حركة الانسان .

كان قد عقد العزم على الهجرة، كانت امه فى غفلة من امرها تغسل ثوبه وتعد طعامه ، ترتب فراشه وتتاكد فى ليالى الشتاء المرطبة انه لم يزح عن نفسه الغطاء ... تحتال على الايام وتوزع حنانها عليهم بعدالة فطرية لا تعرف الانحياز او التفرقة كان هو اكبرهم . رجل البيت ومصدر دخله الوحيد . فسعيد ما زال يستعد لامتحان الثانوية ، وآمال تنتظر نصيبها كما تقول الام ،بعد أن فشلت فى الحصول على الاعدادية ...

كان قد دخل الشقة الصغيرة عاقدا العزم على مواجهتها بالامر .. كان يشعر بشيء من الحرج ، ورغم أن نواياه لم تكن شريرة ولا جبانة الا أنه كان يستشعر الحرج من مواجهتها عينا لعين ...

نظر الى بلاط الصالة وراح يحصيه ويتابع شروخا غزته بعد طول الاستعمال . قال بينما تنظر اليه متعجبة من صمته بعد أن ناداها بشيء من الجدية :

ـ سوف اهاجر ...

بدا لها أن ما سمعته لا يخصها فى شيء ... استوضحته :

ـ ماذا قلت ؟

قال ملقيا عن نفسه عبء الانتظار والمراوغة :

ـ ساهاجر ... سوف أهاجر الى استراليا ... قدمت أوراقي وقبلوا طلبي

لم تفهم تماما ما يعنيه ، لكنها أحست انه ينوى الرحيل ... هكذا بلا مقدمات يفكر فى الرحيل الى عالم لا تعرفه أو تسمع عنه قبلا ...

بدهشة ولوم واستنكار قالت :

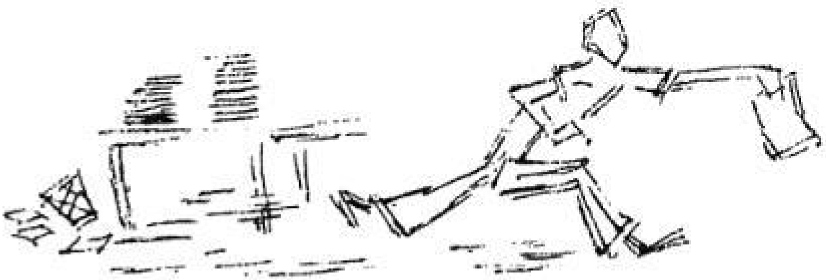
ـ واخوتك ؟ هه ... اذا رحلت فمن يرعانا ؟.. هل جننت ؟..

قال وعيناه تتابعان الشروخ على امتداد الصالة :

ـ سوف أكتب لكم وارفق بكل رسالة مبلغا يعينكم على الحياة حتى ...

صمت ... كان قد أوشك على التراجع ... على الاعتذار الكامل عن فكرته التي تحمس لها تماما ... لكنه حاور نفسه قائلا :

.. لو تراجعت لانهزمت .. لو بقيت



لانتهيت ... وهناك يمكن ان تتحقق كل الاحلام ...

ساد صمت سخيف ... انسحب متعللا بسماع صوت زميل العمل يناديه من الزقاق ...

قالت هي لنفسها : لو كان الولد عاقا لهان الامر ... انه حتى لا يدخن ، يحرم نفسه من كل شيء ويسلمني مرتبه في اول الشهر ... يطالبني بالمصروف في كل صباح كأنه تلميذ ... يسهر مع سعيد ليشرح له ما يصعب عليه في دراسته ... يحنو على آمال ويرعاها كما لو كان ابا صغيرا ... يستر البيت على حساب نفسه ... هل انقلبت الدنيا ليتركنا ؟ .. هل يتغير الابناء في غفلة عنا وبلا سبب ؟ .. كان الصوت الذى سمعته لشخص آخر لم اسمعه قبلا .

ـ ٢ ـ

قال لصاحبه موضحا :

ـ طبعا تضايقت ... لكن ما حيلتي ، كان من الحتم أن تعرف .

قال الآخر :

ـ لقد تربينا على أساس أن نظل بجوارهم ... افقدونا روح المغامرة ... عندما عارضني أبي قلتها له « انت تعتبرني مصدر دخل لك . حسنا ... ساكون هناك أكثر فائدة لك من الناحية المادية ، فكيف تعارض ! »

اعترض هو على أسلوب صاحبه :

ـ لم يكن هناك داع لمثل هذا الكلام الجارح !

ـ أؤكد لك انني بالنسبة له لا اعنى أكثر من هذا ...

اعترض مرة اخرى .. أحس بالضيق .. تذكر الاستاذ عرابي .. تمثله بوجهه الحزين المكتئب وهو يهمس بشيء من الحرج :

ـ تصور يا استاذ ماهر .. خمسة عشر عاما في هذه الشركة ، ولم اتمكن من توفير مبلغ يسمح لي بامتلاك شقة تخصني ... ومع ذلك يسخرون مني لانني لم اتزوج حتى اليوم ...

بدا على وجهه الكدر ... سأل صاحبه :

ـ كيف يرفض الاستاذ عرابي ملء استمارة الهجرة ؟

أليس عجيبا رغم انطباق الشروط على حالته ؟ ..

قال الأخر في استهانة :

ـ رجل تخطى الاربعين من عمره ، وراحت أيامه ...

ـ حرام ... أخلاق ممتازة ، ويد نظيفة ، وكفاءة ...

ـ يستحق ما هو فيه .. غيره يعيش ، من يتعثر تطؤه الاقدام .. ما الذى ذكرك به ؟ ..

ـ لا أدرى ... ربما لأنه الوحيد الذى نصحني بالبقاء ...

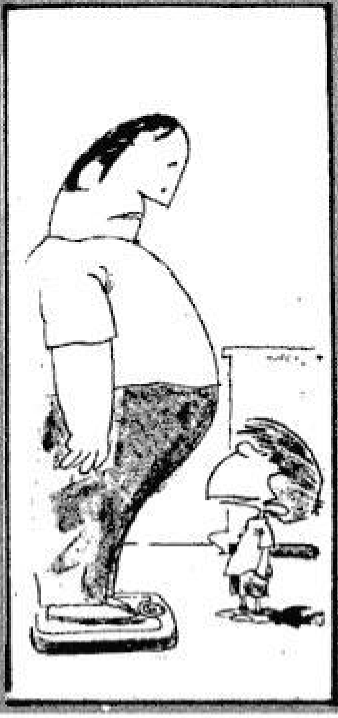
ـ معتوه .. تبقى لتصبح مثله ؟ تموت وانت حى ثم تتمسح مثله في حب الوطن ؟

وشعر بالضيق ، بالمرارة ، نظر الى الاخر في تحفز .. اوشك على صفعه دفاعا عن الاستاذ عرابي ... لكنه تماسك قام ... اعتذر . وهو في اتجاه الباب سمع الأخر ينبه عليه :

ـ لا تنس الذهاب الى شئون العاملين ، فقرار قبول الاستقالة مطبوع ، وعليك استلام نسخة منه لتحصل على تأشيرة الدخول من السفارة .

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



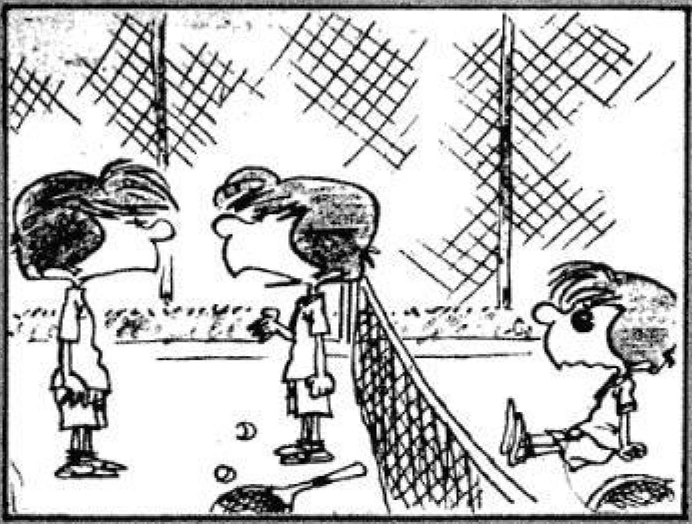
الولد لابيه : مش ممكن تخس مادام بتاكل اكتر منا .. مش مصدق ؟ تعال شوف انا وزني ايه وانت وزنك ايه !



الولد لابيه : وكمان جايب لي كتب اتسلي بيها في الاجازة ؟! ياابني هو انا ناقص . ما انا طول السنة قرفان في الكتب !



الولد لصديقته : هو انا كل ما اقولك حاجة ابوكي يقول لا ؟! هو احنا مش رجالة زي بعض .. خلاص ، اختاري لك واحد منا تسمعي كلامه !



الولد : بدل ماتحملنى مسئولية ان الكورة جات فى عينه، اسأله هو ليه يحط عينه فى سكة الكورة !..

الولد لامه : هو انتم فى البيت ده مالكمش شغلة الا انا ؟ ! طول النهار : اعمــل .. ما تعملش !.. اخرج، ماتخرجش ! ماتسيبونى فى حالى شوية،خلونى اعرف ابقى راجل !





الولد لابيه : تسمح تقولى انت عملت ايه النهاردة فى المكتب !.. والا يعنى انا ماليش الحق اسالك زى انت مابتسالنى كل يوم عملت ايه فى المدرسة ؟!

أغنية حزينة

● صلاح عبد السيد ●

ـ ١ ـ

● .. ازيك يا عم عبده ...
.. ازيك يا عم عبده !.

وتشتعل السرسعات ـ ياعم عبده ـ ، تتداخل الثاثات .. يلوح له الصغار بأيديهم النحيلة ـ عيدان الكبريت ـ وهى تحمل أكياس كتبهم النمور ـ ياعم عبده !. ، يا عم عبده !.

ويشد عم عبده فرامل عربته الكهنة ـ الفنطاس ـ فتصطك قبل ان تقف ويستدير بوجهه المغضن اليهم يحتويهم بعينيه القططيتين ، فتضحك الاخاديد فى وجهه وتختلج الشفتان :

ـ رايحين فين ؟.

وتختلط الضحكات بدبدبات الاحذية :

ـ المدرسة !

فيمد يده الى باب العربة ويضغط عليه : .. اركبوا !

فيرفرفون بأجنحتهم ويتصايحون : ساعوا بعض .. !!

ويملس بعينيه عليهم قبل ان يغلق باب العربة ...

تهتز العربة قبل أن تنطلق ، كأن جسدها كله سيتفكك ، تزوم فى عواء متقطع مكتوم ، فى آخره تكة كالحشرجة ، ثم تقفز للامام فجاة كأنها ضفدعة ، فينكفىء الصغار مهللين ـ عيه ـ وهم يتحاضنون ، وتنساب من تلك المقعوصة الصغيرة ـ يسميها عم عبده المقعوصة ـ والتى تجلس الى جواره دائما ، ضحكة طويلة ، كركرة ضحكة طويلة ، منغومة ، لها ذيل يتلوى ، فتستلقى على قفاها .

وتصطك أسنانها الصغيرة المتآكلة ، وتتموج حنجرتها بالرعشات ، بينما الضحكة تتقاطر من فمها كأنها زغرودة لا تنتهى ، فيضوى وجه عم عبده ، وتتندى العينان باشراقة البكاء :

ـ ازيك يا بت يا مقعوصة انتى !

ويتحسس شعرها ، يمد لها يده بقطعة بسكويت ، فتتدلل ـ كلها انت يا عم عبده ـ لكن يده تظل ممدودة ، فتأخذها منه ، تحتفظ بها وعينها عليه ، الى أن تحين الفرصة و .. تدفعها له فى فمه ، و .. تنساب بقايا الكركرة التى ما زالت فى فمها ، تتسابق معه على الطريق .

قبل أن تنزل البنت المقعوصة من العربة ، تدفع يدها على عجل الى جيب مريلتها القديمة ، لم تخرج بها وبين أصابعها التعريفة الوحيد الذى معها ، فترفعه الى أعلى وهى تهمس شأن الكبار : خد الاجره يا عم عبده

فتضحك عيناه : خليه هاتى بيه حلاوة نبوت الغفير .

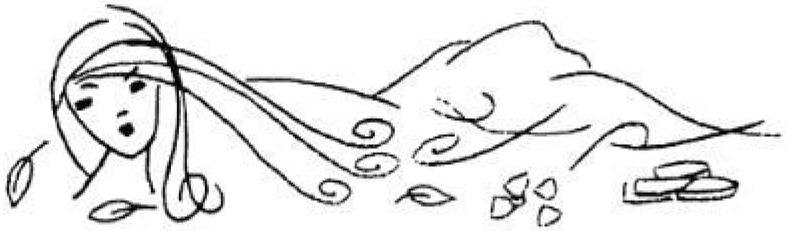
وتنط بكيسها الممور كعصفور صغير

ـ حاسبى وانتى ماشية ـ مع السلامة يا عم عبده !

وتلوح اليد النحيلة ـ عود الكبريت ـ له وترف داخل المدرسة .

يستدير عم عبده بعربته عائدا ، والضحكة أم ذيل فى اثره .

أرنب برى صغير ـ يتشعبط على عربته ، يتنطط على كتفيه ، يتزلق على صدره يمسح بوزه فى وجهه ، لم يتكوم



فى الاخر مستكينا ، مستدقنا ، قابعا فى حجره ، ف .. فتلمع عيناه ، و .. وتتعانق الاخاديد فى وجهه المغضن .

– ٢ –

يرتفع ازيز العربة عاليا ، تتك تكة واحدة مكتومة ، يندفع فى اثرها بخار الماء كثيفا يضرب مقدمتها و .. يتوقف موتورها تماما من الحركة ..

ويهم بالنزول ، لكنه يحس الما فى ساقه، فيتحامل على نفسه وينزل ، فتنزل المغموصة فى اثره ، يرفع غطاء العربة ، يدخل اليها بنصف جسده ، يتحسس بيده المرتعشة آلاتها ، يربت على عددها ، و .. يطيل النظر اليها ..

« شاخت العربة يا عم عبده ، تهرات من الداخل ، لم يعد يجدى فيها الاصلاح ، ولم تعد تنفع الممرة .. عمر ، ويسعل ، عمر طويل ، وهذه العربة معك ، ذهب الكل ، وبقيت هى، شهدت ايام فقرك ولم تتبرم ، وايام عزك ولم تغتر ، لم تخذلك أبدا ، فما الذى حدث لها ؟! »

وتحبو ثاثاة المغموصة الصغيرة .. على ساقيه – عاوز زقة يا عم عبده ؟ فيتدافع الصغار نازلين من العربة وهم يتصايحون – عاوز زقة يا عم عبده ؟ و .. يرفرفون حوله ، ينقرون باعينهم الدجاجية الصغيرة جسده المحنى داخل العربة .. يتوقف عم عبده بكفه المرتعشة على موتور العربة لحظة ، وينصت بعينيه ، ثم يدق بيده عليه ، دقة ، يا الله ، دقتين ، يا الله ، ثلاث ، يا الله، لكن لا فائدة ، لم يعد الموتور يستجيب لدقاته ، ويحس بالالم يعض ساقه ، وينتشر كالنار فى اعصابه ..

« ما الذى حدث لهذه الساق هى الاخرى ، كان الالم فى الاول متباعدا ومحتملا والان اصبح متقاربا وعنيفا » .

ويستعيد نصف جسده من العربة ، وهو يعض على نواجذه ويهمس للصغار فى الم ... ياولاد خدوا عربيه تانيه !. ويزحف متساندا على جسد العربة ، يدخل الى مقعده ، يتحسس ساقه ، يدق عليها دقة ، دقتين ، ثلاث ، لكن لا فائدة ، لم تعد الساق تستجيب لدقاته ، ويحس بالالم يعنف ، وبقدرته تعجز عن المقاومة ، فيغمض عينيه ويسند راسه الى عجلة القيادة وهو فى غيبوبة الالم ، تقاطرت الى اذنيه نهنهة رفيعة مكتومة ، وارب عينيه ليجد المغموصة الصغيرة تتكوم فى حضنه وهى تنشج بالبكاء – مالك يا عم عبده ؟. – رد على يا عم عبده ؟ واختنق صوتها بالدموع .. بالكاد لم كلمتين .. ازيك يا مغموصة !. زقزق صوتها فرحا – خد يا عم عبده . ودست فى فمه قطعة بسكويت – انا شاريها لك من فلوسى .. و .. كركرت ضحكتها ام ذيل ، وسط الدموع .

– ٣ –

نظر الميكانيكى من تحت العربة ولطس الكلمتين :

.. العربية دى خلاص يا عم عبده بقت خرده !.
ويدور عم عبده بعينيه على العربة
.. بيعها خرده احسن لك ياعم عبده
ويدور عم عبده بعينيه على العربة
« أبيعها ؟! أتخلى عنها ؟! وهى التى لم تتخل عنى أبدا ؟. هل آخذها لحما وارميها عظما ، هل هذا هو الوفاء ؟. لقد أصبحت بعضا منى .. فهل ابيع بعضى ؟! »
.. خلاص عمرها انتهى يا عم عبده !
ويتحسس عم عبده غطاء مقاعدها ، انه من نفس قماش بنطلونه ، وتتعلق عيناه بالعروسة القطنيةالقديمة ، المعلقة أمام عجلة القيادة ويتنهد ، انها الشيء الباقى له من زوجته ، ويتذكر يوم اهدته هذه العروسة القطنية ليزين بها عربته فتقرر لحظتها أن تكون هى عروسته ..
.. انا اشتريها منك خرده يا عم عبده ..
ويحس بوخزة فى قلبه
.. قلت ايه يا عم عبده ..؟
يزم عم عبده عينيه فى ضيق وتتهدل الأخاديد فى وجهه ..
..طب شوفلك صرفةفيها ولو تمشى يوم واحد بس !.
ويطس الوجه الملطخ بالسواد ضحكة بلهاء ..
.. اسمعنى بعنى يوم واحد يا عم عبده ؟!.
ويصطك ، يصطك منتشيا ..
ف .. فيعرج عم عبده مبتعدا وهو يسحب ساقه ، الضحكة صخرة .. تتدحرج خلفه ، فيحث الخطى لكنها تلاحقه.. وتثير فى حلقهالغبار والرشاش والأسى ..

ــ ٤ ــ

كان عم عبده عائدا لتوه من ادارة المرور .. قال له الضابط المسئول :
خلاص يا عم عبده ، مش هنجدد لك الرخصة تانى ..
.. خلاص يا عم عبده .. ما بقاش بامكانك تسوق !.
.. خلاص يا عم عبده ، نظرك ضعف .
.. خلاص يا عم عبده ، ودانك خلاص .
داخ عم عبده ، احس ــ فعلا ــ انه لم يعد يرى ولم يعد يسمع ...
خلاص يا عم عبده ، خلاص يا عم عبده .. ، خلاص يا عم عبده ..
ارتجف الطريق فى عينيه ...
تمايلت العربة ، خلاص .. ، اصطكت ، خلاص .. ، خلاص .. ، خلاص .. ، اى ، واحس بوخزة فى قلبه ، أى ، تزايدت الوخزات ، أى ، تكوم على نفسه واصطك ، اهتز فى نوبة سعال متصلة ، ارتفع ازيز العربة، عاليا ، تحشرج صوته ، كحت العربة ، شهق ، أصبحت التكة حشرجة ، انثال العرق عليه ، اندفع بخار الماء كثيفا يضرب مقدمة العربة ، وارب فمه ، انفتح فم العربة واندلق منه الماء ، شهق ، تطاير من الماء رذاذ ، شهق ، و.. واختلج الموتور، اختلج وتوقف..!!
. . . .
و .. ظل الرذاذ يتطاير ..

ــ ٥ ــ

ظل الصغار فى انتظار عم عبده بلا فائدة ، فتحلقوا يدورون حول عربته الخالية وهم يترنمون :
توت .. توت .. هاتلنا بسكوت !.
أيديهم النحيلة ــ عيدان الكبريت ــ تتشابك ، واجسادهم الصغيرة تتقارب، تلتصق ، تتداخل ، حتى لتصبح جسدا واحدا ، دافئا ، ممتدا ، يحيط بالعربة من كل الجهات ، كانهم اوراق وردة متفتحة ، فى منتصفها تماما ، فى القلب منها ، يطفو جسد العربة ..
توت .. توت .. بنحبك موت !.
وتسيل قطرات الندى على زجاج العربة ، تتعرج ، تنزلق.. تتساقط.. كأنها خيط الدمع الممتد بلا نهاية ..
توت .. توت
بنحبك موت
موت ... موت ... موت !..

سكر الأعناب

● عزت الطيرى ●



- ١ -

ويسقط وجه نيسان
على جدران غربتنا
فينكر موسم الافراح
كل بنات قريتنا
ويهجر سكر الاعناب
كل ثمار كرمتنا
وينسدل الستار على
بقايا من حكايتنا

- ٢ -

ويبصق بابك المهجور
فى وجهى
يقول ارجع
فتنعدم الرؤى ، تقسو
مآقينا فلا تدمع
تموت محارة الذكرى
وتخفى سرها المودع
ونبقى دون اغنية

فمن يشدو ؟ . ومن يسمع ؟ .
واهتف يا عطور الورد
يا وطن الهوى المترع
لمن نبكى ، لم نشكه
عذاب فؤادنا الموجع !.

نهاية الحصار

● اسماعيل عبد الفتاح ●

١ - وينتهي الحوار بيننا
بلا نتائج محددة ، بلا هوية ..
لتخفي وجهك المؤرق الجميل
في الحقيبة البنية ...
ويهدأ الحوار بيننا ... وتخمد القضية !..

***

٢ - الاصبع الدافئة في يدك ...
تفتح الحوار من جديد - وأنا ...
أصارع الحديث في استياء ... أساوم الحديث في شقاء
والعن القصائد المرتقة
بالحزن ... والدموع ... والبكاء !

***

٣ - هانت ...
تديرين الحديث باقتدار ... تشددين الحصار ...
يحاصرني وجهك المضيء
بانني المسيء ...
تقررين العقوبة ! ...
تحاصرين حنان اضلعي بالثلج ، والرطوبة !..

***

٤ - تقول لي ...
عيونك الجميلة ...
باننــا ..
على مشارف العبور للوراء
ليصبح اللقاء بيننا - بلا لقــاء !...

***

٥ - وجاء ما اخشاه بانس الخجل ...
يزفني الحنين للرجاء .. املا بلا امل
ويصبح اللقاء بيننا ... يشوبه الملل ! ...

***

٦ - هانا ...
ارفع رايتي البيضاء ...
لأعلن الرحيل والجلاء ...
اشنق الاشواق في شقاء
على ذرا احزاني السوداء
واكتب القصائد المرتقه
بالحزن ، والدموع ، والبكاء !..

***

٧ - ارجوك ..
مضى ما كان وانتهى
وغاله الانين ...
وعانق الحنين اضلعي بالنار والسكين ! ..

***

٨ - ارجوك ...
سيرى مع المساء للوراء ...
مضى ما كان فاتركيني
لرحمة السماء !



أحلام الذى ينتظر

● احمد مرتضى عبده ●



واحلم ،
ادفع عن مقلتيك الجميله
بزوغ البكاء
ورعشة ضوء الليالى القتيله
واحلم ،
اقهر عجز المسافة والمستحيل
بمهماز شعرى المعنى المسافر
بين عروق التنظر والانطلاق !.
واحلم ،
ضوء الموانىء والاغنيات النميره
وريح الصبا فى عناق السكون
واحلم ،
ادفع فى الامسيات بقايا البكاء
لتشرب من فرحتى الاغنيات
ويرحلّ عن دربهن انبجاس الدماء ..
واحلم انى التفت ... وانى احترقت
وصوت الموانىء يصعد رجعا ثقيلا
لصوت السكوت !.

قصة

الذبابة..

• نبيل عبد الحميد •

نظر الى وجه الطفل وضمه الى صدره وقبله ، بكى والتوى وتدافعت يداه ورجلاه . تركه على الارض وقال وهو يمعن النظر الى الصورة :

ـ يشبهه الى حد كبير !

جفلت عينيها وتنهدت . جرى الطفل وامسك برجليها فرفعته الى صدرها ونظرت اليه . قال:

ـ وبعد ؟ ..

ـ سافرت اليه ورجوته أن يحضر معي !! قال انه لا يستطيع احتمال السفر . توسلت اليه واخبرته أنهم لن يصرفوا النقود الا اذا ذهب بنفسه ووقع على الاوراق .. وأخيرا وافق .

امتدت رقبته الرفيعة واتسعت عيناه :

ـ كم ؟

وضعت الطفل على الارض وظلت منكسة الراس

ـ اخذ نصيبه بالكامل !

ـ ماذا ؟

ـ كنت أعرف انه سيفعلها

نفرت عروق رقبته وكست عيناه

ـ يفعل ماذا ؟ يأخذ معاش احفاده ؟

ـ اخذ نصيبه من المعاش ومن المكافأة !! قال انه حقه الشرعي .. وقد سألني ايضا عن نصيبه من اجر القصص والروايات المستحق لنا عند دور النشر .

دقت يده المنقبضة فاهتزت كوب الشاي

ـ كيف ؟ انا لم أسمع ابدا عن جد يفعل مثل هذا مع احفاده !

هزت راسها وتنهدت !!

ـ ولعل أكثر منه مع ابيهم !

ـ ارتفع صوته الخشن !!

ـ ابوهم كان رجلا وامكنه ان يكافح ويحتمل !! ولكن هؤلاء الاطفال كيف ؟ ..

تدلت ملامحها وانخفض صوتها !!

ـ لهم الله .....

ـ كان المفروض أن يساعدهم !! عنده ارض ومعاش كبير . ماذا سيفعل بهذه الثروة ؟

همست وهي مغمضة العينين ؟

ـ لكي يرضي زوجته الجديدة !

ابتعدت السيجارة عن فمه وتطاير الدخان قريبا من وجهها :

ـ وماذا ستفعلين ؟

ارتفعت نظراتها وتعلقت بالصورة

ـ كان يحمل كل العبء بمفرده . لا اعرف كيف يمكنني ؟ ..

ـ اقصد ماذا ستفعلين بالنقود ؟

جفلت عينيها ونظرت الى الارض !

ـ سددت كل ما علينا !! وما تبقى احتفظ به حتى أدبر امري .

ـ اين ؟

ـ اين ماذا ؟

ـ اقصد اين تحتفظين بالنقود ؟

ـ اودعتها صندوق التوفير باسم الأولاد

ـ كلها ؟

ـ انها مبلغ بسيط كما تعلم !! ولكن الظروف تغيرت وأصبح على أن ...

اختنق صوتها وتساقطت الدموع من عينيها . نكس راسه وقال

ـ كفى بكاء .. لقد أصبنا جميعا بجسرح لا يلتئم ، ولكن ماذا نفعل !

قالت بصوت تتخاطفه الشهقات :

ـ البركة فيكم .. لم يعد لنا سواكم .. كنتم احب واقرب الاصدقاء الى قلبه

ـ لا تحملي هما على الاطلاق !! كل الامور ستسير على خير ما يرام .. تقولين أودعت كل المبلغ صندوق التوفير . ولكن مصاريف البيت والاولاد ، الا .....

قاطعته بصوت منخفض :



ـ أشكرك فان معنا ما يكفي !

ـ أقصد لماذا لم تبق بعض النقود معك ـ هنا بالمنزل ـ لعلك تحتاجينها لأمر طارئ

ـ انها نقود الأولاد والمحكمة ستحاسبني عليها ؟ هكذا قالوا لي .

استطالت رقبته واتسع فمه :

ـ أريد عشرة جنيهات ...

انكمشت ملامح وجهها ؟!

ـ ماذا ؟

ـ لتكن البداية من ناحيتي ؟ لكي لا تتحرجين مستقبلا في طلب ...

ـ كيف نتحرج منك ؟! أهذا معقول ؟

ـ حسنا ؟ أعطني الآن عشرة جنيهات ...

أخذت الطفل ووضعته على ركبتيهـــا ، اضطربت الابتسامة بملامح وجهها

ـ أتريدها حقا !

ـ نعم !

بكى الطفل ، ضمته الى صدرها وهدهدته .. قال بصوت خشن ؟

ـ يريد ان ينام ؟ ضعيه في الفراش

قامت واتجهت ناحية الباب .. قال :

ـ لا تنسي العشرة جنيهات !

عادت ؟ وجلست وظلت تربت على ظهر الطفل :

ـ اعتاد ان ينام هكذا .

تدلت ملامح وجهه . تحفزت ؟ امتدت يداه ناحيتها

ـ دعيني اجرب ذلك ...

بكى الطفل وتعلق بها ، قامت وهدهدته فظل يبكي .. قالت بصوت منخفض

ـ يريد ان يأكل وينام !

ـ ولماذا لا تطعميه ؟ .

ـ ويريد أن يغير ملابسه .

امتصت شفتاه السيجارة ؟ اهتزت واقترب توهجها من أصبعيه .

ـ أريد ان اذهب ؟ هيــا احضري العشرة جنيهات !

ارتفع بكاء الطفل وتدافعت رجلاه ويداه . جلست ووضعته على ركبتيها وأعطته اللعبة . ألقاها على الأرض ووضع رأسه على كتفيها ونام

قال بصوت هامس :

ـ يمكنك أن تذهبي الآن

ـ هل ستراك قريبا ؟

ـ سأحضر لأعيد اليك العشرة جنيهات بعد يومين ...

نظرت الى الصورة والى المصباح والى المكتبة . تحسست قدمي الطفل

ـ يبدو مريضا . سأذهب به الى الطبيب غدا !

ـ لا تخافي ؟ كل الأطفال هكذا ... هه أريد ان اذهب .. ضعيه في الفراش واحضري العشرة جنيهات .

قامت وتحركت بالطفل ؟ قالت بصوت مرتبك :

ـ قلت لك انه لا حرج بيننا ، انني أعتبرك عما للأولاد ؟! بل انني .. أقصد ...

تراخى جسده في المقعد وارتمى رأسه الى الخلف

ـ عم الأولاد يريد عشرة جنيهات ...

تلونت ملامح وجهها وقالت بصوت متخاذل :

ـ أخذت عشرة جنيهات من قبل !

ـ اعرف .. سأعيدها بعد يومين !

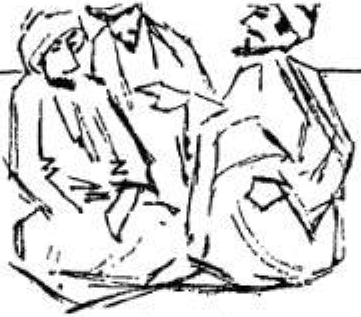
نكست رأسها ومشت بالطفل حول المنضدة . توقفت الى جوار الباب والتفتت ناحيته . فتحت الباب وابتعد صوت خطواتها البطيئة .. ظل

ينظر الى سقف الغرفة ... سمع صوت باب الشقة ينفتح وينغلق ، قام ونادى . جاءت الطفلة متكاسلة تدعك عينيها ، قالت بصوت متماوت :

ـ ماما ذهبت تشتري الأشياء ...

تشنجت ملامح وجهه ، اتسعت خطواته ناحية الباب ، وهرول على السلم وهو يسعل بصوت خشن ...

زهرات من رياض العرب



● لن يعود اليها ●●

خرج المامون منفردا فالتقى باعرابى ، فسلم عليه وقال له: ما اقدمك يا اعرابى ؟

قال : الرجاء لهذا الخليفة ، وقد قلت ابياتا أستمطر بها فضله .

قال المامون : انشدنيها ...

فقال الاعرابي : يا وكيك ، اويحسن أن أنشدك ما أنشد الملوك ؟

فقال : يا اعرابي انك لن تصل اليه، ولن تقدر مع امتناع ابوابه وشدة حجابه،

ولكن ما رأيك لو اعطيتك الف دينار وتعطيني شعرك اتوسل به،لعل أتوصل؟

قال الاعرابي : لقد رضيت !

فبينما هما في المراجعة احدقت الخيل وسلم عليه بالخلافة فعلم الاعرابي انه وقع

فقال : يا أمير المؤمنين انت تعرف ان قبيلة بني الحارث بن كعب من اليمن تبدل القاف كافا ، وهي لغة لعنها الله لن أعود اليها أبدا !

فضحك المامون وامر له بالف دينار .

● لايغمزها احد ! ●

مرض رجل فجاء أبو العبر يعوده وقد ثقل ، فصاحت امرأة الرجل : من لي بعدك يا سيدي ؟

فغمزها أبو العبر ، وأوما اليها : « أنا لك بعده ... »

فلما مات الرجل وانقضت عدتها تزوجها أبو العبر ، فأقامت عنده حينا،

ثم حضرت ابو العبر الوفاة ، فجاء عواده، فصاحت امراته : من لي بعدك ياسيدي؟

ففتح عينيه وقال لمن حوله : لايغمزها الا من يكون قد باع عمره ! ..

● دفاع طفيل ●●

عوتب طفيلي على التطفيل ، فقال :

والله مابنيت المنازل الا لتدخل .. ولا نصبت الموائد الا لتؤكل ... واني لاجمع في التطفيل خلالا ، أدخل مجالسا ،وأقعد مستأنسا ، وأنبسط وان كان رب الدار عابسا ، ولا أتكلف مطلقا ، ولا انفق درهما ولا أتعب خادما أو حارسا .

● رسالة ●●

سأل الفرزدق الشاعر ، عتبة مولى عثمان بن عفان : ياعتبة متى تذهب الى الآخرة ؟

فرد عتبة : وما حاجتك الى الآخرة ؟

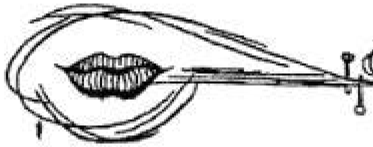
قال الفرزدق : عندي رسالة لوالدي اريد أن اعهد بها اليك .

فقال عتبة : والله ليست طريقي الى جهنم ... فانتظر حتى توصلها بنفسك!

● حصن الامان ●

عن انس بن مالك ، عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « اذا وضعت جنبك على الفراش ، وقرات سورة الفاتحة وسورة الاخلاص فقد امنت من كل شيء الا الموت»

● محسن فهمى ●



نهر العسل

● ابراهيم خليل ابراهيم ●

قيثارتي . شفتاك ان همست . قرار آسر ! ..
وجوابه اما ضحكت فقد تغنى ساحر !
واذا شدوت فقد تمايل في الثمالة شاعر !
***
شفتاك حارستا كنوز ضمها عرف اللما
رويت من الحبب الذى صان الجواهر واحتمى ..
فتلالات . سبحان من وهب البريق وانعما !
***
تعطي وتمنع في نداء واحد نهر العسل
وتشدني وتصدني ما بين ياس او امل !
اني شكوتك للغرام وشاهدي طعم القبل !
***
شفتاك كاسا فرحة وعلى المدى لن يفرغا
مفترتان عن الجمال عن الدلال اذا طغى
اسكرتني .. وليغفر الله الرحيم لمن بغى !

كبرياء

● محمود المدلى محمد ●

ارفعي عينيك عني انني ... استجير من عذاب مقبل
استجير من عيون طالما ... راودتني ، واعدت مقتلي
قتلتني ثم جاءت شيعت ... ما تبقى من عظام الهيكل !

●

كنت نجما في سمائي مشرقا ... كنت شعري ، كنت شهد المنهل
يوم عيد ، ان تلاقينا معا ... ويجن الفكر ان لم تقبلي ...

●

كنت في الماضي اسيرا ، هانا .. ... انا حر فاسمعي او سجلي
كنت نبضي فاسالي قلبي فلم ... يبق منك ، حبة من خردل !
كل ما ارسلته ، مزقته ... انتهى ما بيننا - لا ترسلي !
تدعين اليوم لا ، لا يكفني ... ما شربت من كئوس الحنظل !
تركعين الان لا .. لا تركعي ... ارحلي ... خير لنا ان ترحلي !

الناس والعصر

● نصر الدين عبد اللطيف ●

(١١)

تكوينات حوارية

مفتتح المساء ...
في مجمع استهلاكي ،
بائع يسلم المقررات التموينية لرجل شاب ...

● كل شيء اذن حضر يا أستاذ ... وحسب المقررات في بطاقتك :
– ناولني هنا ، لو سمحت ، في الحقيبة ...
● تفضل ... : والمعلبات والأضافيات ايضا ، والفلفل ، والفول و ... القصيدة !
– القصيدة ؟!
– نعم ، شعر ! .. هنا في العلبة ، على شريط تسجيل !
– آه ، ولكن ... متى دخل الشعر مقررات التموين ؟!
● ابتداء من هذا الشهر !
– والمقررات لكل بطاقة في الشهر : – قصيدة ؟
● لا ... مجموعة من التسجيلات الشعرية !
– عظيم ! .. ومن شاعر المقررات هذا الشهر في بطاقتنا ؟!
● ... الا تجد الاسم مكتوبا عندك على العلبه ؟
– أبدا ... لا اسم ، ولا كتابة من اى نوع على العلبة أو الشريط !
● اذن ، فلعلهم يقصدون ان يكون الامر مفاجأة !
– ولكن ، ليست كل المفاجآت سارة !
● معك حق ...
– ومن حقي أن أرفض هذا « المقرر » الجديد على بطاقتي !
● ترفضه ؟
– واسترجع ما دفعت له ...
● لا ، لا ... ممنوع !
– وما هو اذن غير الممنوع ؟
● الشكوى !
– الشكوى ! .. لمن ؟!
● للأستاذة منى ... (ينادي سكرتيرة المجمع) : أستاذة منى .. منى :(مقبلة) – ماذا ؟

البائع : (مشيرا الى الرجل) ـ تفضل يا ست .. الشكوى الثانية عشرة !

منى : من الفول ؟

البائع : لا .. من الشعر !

منى : آه ، (للرجل) تفضل معي ...

***

« بعد لحظات .. معا ، في مكتب المجمع .. »

هي : لماذا اذن ترفض هذا التسجيل ؟

هو : لأني لا أعرف ما فيه ...

هي : فيه شعر ! ... ألا تحب الشعر ؟!

هو : احبه !

هي : هل يرفض الانسان شيئا يحبه ؟!

هو : وهل يحب الانسان شيئا لا يعرفه ؟!

هي : واضح أنك صعب ، و ... متعب !

هو : أبدا ... أنا غلبان !

هي : متزوج ؟

هو : ليس بالزواج وحده يكون الرجل غلبانا !

هي : ... وعملك ؟

هو : كاتب في مؤسسة لطبع الظروف والجوابات !

هي : كاتب ، مثقف ، كما يبدو ...

هو : شكرا ، ولكن ...

هي : أبدا ... مجرد ملاحظة عن انسان لا يفارق كتبه ، حتى وهو يجيء ليتسلم مقررات التموين !

هو : انسان يطلب الغذاءين في وقت معا ! ...

هي : .. في وقت معا ؟!

هو : نعم ... الغذاء فقط ، وغذاء الروح !

هي : آه ، غذاء الروح ...

هو : الفن ، الفكر ، و ... الشعر !

هي : آه ، الشعر ! ... والشعر كلام حب جميل ...

هو : جميل ! ...

هي : ما رأيك الآن اذن ، وبصراحة ، في تجربتنا ؟

هو : تجربتنا ؟! آه ، ولو أنها لم تبدأ بعد !

هي : اووه ! ... ها .. انما قصدت تجربة توزيع الشعر هنا في مقررات التموين !

هو : اذن ... نجرب ، اولا ، تجربتكم !

***

« المساء التالي ، في ذات الموعد .. »

« الرجل الشاب ، مع احد المشرفين حول مكتب بالمجمع .. »

● ... و « منى » قالت لي كل شيء ، وعنك أيضا بالتفصيل ... لها ، وللمدير ، الثناء الجميل !

الناس والعصر

● لست المدير ··· أنا ملحق ثقافى بالمؤسسة للتحقيق والمتابعة !
ـ متابعة التجربة ؟
● نعم ،ما رأيك فيها ؟ ·· طبعا سمعت التسجيل الشعرى الاول؟!
ـ سمعته !
● اعجبك ؟
ـ لا أعرف !
● كيف اذن سمعته ؟!
ـ كنت جائعا ··· أسمع وانا اجهز الاكل للأكل وآكلُ !
● ··· طريقة عجيبة لسماع الشعر !
ـ وقتها لم يكن عندى أعجب منها !
● ولكن ، الم تحاول أن تسمع باهتمام اكثر ؟
ـ حاولت ·· ولكنه ، هو ، لم يساعدنى !
● هو ! ·· من ؟!
ـ الشعر !
● وكيف كنت تريد أن يساعدك ؟!
ـ يشدنى !
● وهل فى قدرات الشعر أن ؟ ···
ـ نعم ! ·· وان من الشعر ، لو علمت ، ما يهزك فيشـــغلك حتى عن طعامك ، والى مدى ترتعد له اللقمة بين يدك وفمك !
● ذلك على اى حال لا يمنع انك لم تعط تجربتنا الاهتمام ال ···
ـ تعنى انى سمعت شعركم جائعا ، والجائع لا راى له فى ال ··
● تماما ···
ـ اطمئن ، فانى سمعته ثانية ، وكنت على العكس مما كنت !
● يعنى بعد أن اكلت ، وشبعت ···
ـ وحمدت الله ، والجمعية الاستهلاكية ! ·· ثم تركت لجهـــازى العصبى الذاتى (المسئول عن التنظيم الداخلى) عملية سحب الدم الى معركة الهضم !
● وفى هذه المرة ، أعجبك ما سمعت ؟
ـ لا أعرف ··· ولكنى لم ازعل !
● ولم الزعل؟ ·· انك حتى الآن لم تقلْ رأيا ولا نقدا !
ـ انى اقول ما حصل !

● وفي كل ما حصل ، ألم تلمس مشاعرك نفحة مما سمعت أو فكرة ، أو حتى لحظة ذكرى ؟! ..

ـ ربما يحدث ذلك ، أو شيء منه ، مع مقررات الشعر في الشهر القادم!

● ولم تتجاوز هذا الشهر ؟ .. هل ضايقك ، مثلا ، صوت الشاعر ، أو القاؤه ؟

ـ ... كان معقولا !

● والشعر ايضا ، كان معقولا ؟

ـ ولكن ... ! المعقول ليس شعرا !

● آه ، يبدو اننا لن نصل الى شيء ابدا ؛ و ....

ـ وما الذي تريد أن تصل اليه ؟

● أريد أن اكتب للمؤسسة ، التقرير الموسع عن « عملية التسجيلات الشعرية التموينية » ...

ـ والعملية حتى الآن ، وبوجه عام ، ناجحة ؟

● من الناحية التسويقية ، ماشيه ، وبدون طوابير ... ولو أن معظم جمهور البطاقات اعتبروها « تقليعة » ! ..

ـ هذه علامة النصر .. فالتقاليع أروج المبيعات في العصر !

● لا ، لا .. لا تزال الفراخ المدعمة أهم وأنجح !

ـ عموما ، ليس من العدل المقارنة بين «مأكولات» و «تسجيلات»!

● فعلا ! .. المأكولات غذاء فقط ... والشعر غذاء الروح !

ـ على شرط أن يكون شعرا !

● وهل في الشعر ما ليس بشعر ؟!

ـ بلى ! .. الم يصرفوا لك مقررات التموين الشعرى هذا الشهر ؟!

● ها ، ها ، لكن ، وعلى اى حال ، المؤسسة الاستهلاكية ليست شاعرة ولا ناقدة ! انها هنا وسيطة تقدم خدمة شعرية للجمهور!

ـ كتر خيرها ! .. فالجمهور هذه الايام محتاج للشعر .. والشعر محتاج لجمهور !

● لا عجب اذن أن تقوم المؤسسة بينهما بدور الوساطة !

ـ العجب ان المقررات هنا في البطاقات تجعل الوساطة : وصاية !

● في مثل هذه الحالة ، في التموين ، وفي عدالة التوزيع : الوصاية ـ حماية !

ـ انما في الشعر ، لا ! .. الشعر عاطفه ، وروح ، وخيال ... الشعر « مسألة خاصة » !

● وتجربتنا تخدم هذه «الخصوصية» .. والا فما تقول في المؤسسة تتعب نفسها في اختيار الأشعار وتقدم لها أحسن الموجود ؟!

ـ اقول لها يفتح الله .. فأحسن الموجود ـ موجود !

● واذن ، فأنت ترفض التجربة كلها من الالف الى الياء ؟!

ـ لا ! .. من الالف الى الواو !

● لكن ، قل لى .. الا تحب الشعر ؟

ـ أحبه !

● والشعراء ؟

– ... الشعراء !

● واذن ، فلعلك تعرف أنهم الآن ، وأنه ، فى .. أزمة !

– أزمة ؟ ... الحق أنى لا أعرف تماما هل ..

● **ما الذى تعرف اذن ؟**

– **اعرف أن هناك ، الآن حركة تجمع شعرى والمد جديد ، لقيام « نادى القصيد » !**

● والى أن يتم القيام ، وتورق الأحلام ...

– **اعرف ، فان الشعر هذه الأيام ، فقير .. مريض .. مريض عزيز تحمله عربة الى غرف الانعاش !**

● **الانعاش ؟!**

– **نعم ، وكما يبدو .. ففى منتصف الطريق ، تعطلت العربة !**

● **آه .. وبعد ؟**

– **لا شىء ! .. فالكل مشغول .. مشغول فى انعاش العربة !**

● ها ... الا ترى اذن أن تجربتنا هنا قد تكون هى النجدة لمريضك العزيز ؟!

– فى هذا الموقف ، لا ! ...

● لا تنس أن لنا رصيدا من التجارب الناجحة فى التسويق وحسن الرواج !

– ذلك فى السلع : نادرة ، أو فاخرة ، أو ضرورية ... وليس كذلك – حتى الآن – الشعر !

● كثر خيرك ! .. عقدت لنا التجربة .. وسددت نفسى حتى عن كتابة التقرير ! ..

– تقريرك الموسع للمؤسسة ؟ .. ولا يهمك !

● **كيف ؟**

– **هات قلمك اكتب لك ... :**

« نحن الملحق الثقافى للجمعيات الاستهلاكية .. : تجربة مقررات التموين الشعرى » المسجل ، تجربة متعبة ! .. وليس ذلك ، والحمد لله ، ذنبنا !

فالشعر نفسه هذه الأيام محزون ، غامض ، بعيد الحضور !

ان معجزة ، أو شيئا كالمعجزة ، يجب أن يحدث .. والا فان الشعر قد تتجاوزه مسيرة الناس والعصر .. ويجرر أذياله منسحبا الى .. مجاهل « الفولكلور » ! ..

مختارات من شعر العالم
في ضيافة الشعر العربي

الحب العظيم

● من وحى الشاعر الالمانى ، هنريش هينى ●

● ترجمة : احمد مصطفى حافظ ●

تساءيتُ عن أمّى بوهم وغفلةٍ   فما كان أشقانى .. بنأى وغربةٍ

وتقّبت فى طول البلادِ وعرضِها   عن الحبِّ فى شتى صنوف وصورة

لأعرف ماكنه الوداد وسرّه   وألقاهُ فى توق يؤجج مهجتى

أدين بدين الحب .. لا شئ غيره   وأنشده فى كل ثغر ومقلة

وكم جبْتُ آفاقا وجزْت مسالكا   وكم فوق دور الناس كررتُ دقتى

وما كنتُ أستجدى سوى الحب وحده   وإلا .. ففى ذلِّ السؤال منيتى !

●●●

.. وطال بىَ التطواف بحثاعن الهوى   بخفّى حنين قد رجعتُ .. بخيبتى !

وعدْتُ إلى دارى بيثّى ولوعتى   وقد نال منّى الداء فى ذات ليلة

●●●

وأقبلتِ يا أمّى بأسرع خطوة   وقد طاف فى عينيك ما ضاء ظلمتى

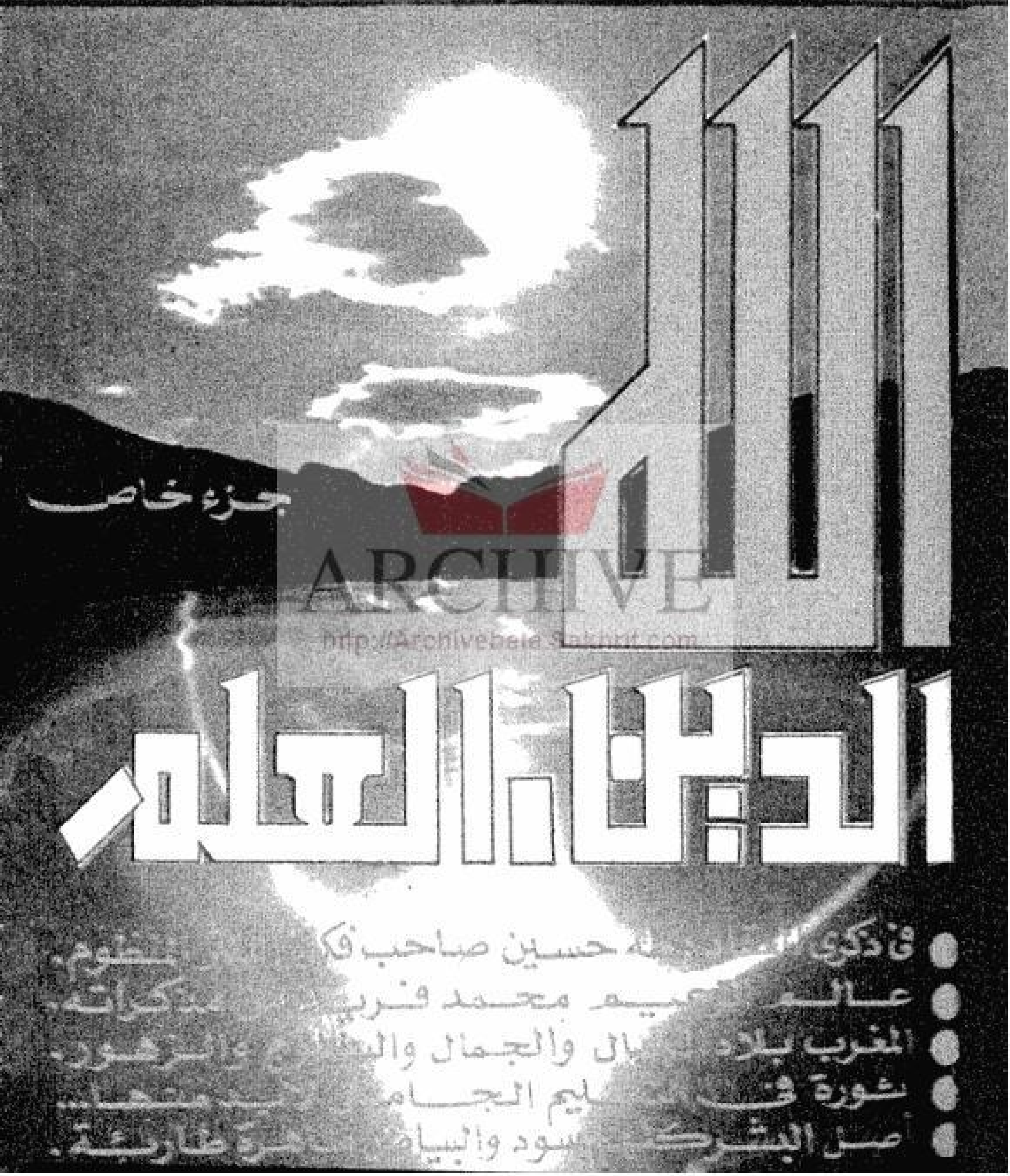
فانى رأيتُ الحبَّ يبدو مجسّما   ويسفر فى عينيك .. من غير ريبة

فأدركتُ فى لمح البصيرة ما الذى   طويتُ له الأمصار ـ فى طول رحلتى



الهلال
مجلة الفكر العربي
الشريعة والكسب غير المشروع
نهاية الرواية في الأدب العربي المعاصر
الهلال
مجلة الفكر العربي
ثروة من العلم والفن والفكر
بقروش قليلة
الهلال
مقالات بأقلام كبار الكتاب - ودراسات في العلم والفن والأدب - استطلاعات مصورة بالألوان
الهلال
خير هدية لك ولأسرتك - تفيد الشباب بقدر ما تفيدهم المدرسة والجامعة لأن الثقافة سلاح العصر لضمان مستقبل زاهر
الهلال
كبرى المجلات الثقافية العربية
قيمة الاشتراك السنوي:
بالبريد العادي:
في مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عددا - في الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية
بالبريد الجوي: في الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات انجليزية
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
في البلاد العربية:

أبريل ١٩٧٩
الهلال
مجلة الفكر العربي



كلمة الهلال

الله جل جلاله

خصصنا جانبا من هذا العدد من الهلال لمقالات عن الله سبحانه وتعالى وعن الدين والعلم ،وقد رمينا من وراء ذلك الى ان نرد الشباب الى الايمان الصحيح • والايمان الصحيح عندنا هو الايمان بالله سبحانه وتعالى والايمان بدينه الحنيف والايمان بالعلم •

والثلاثة فى رأينا واحد ، فلا ايمان بالله دون ايمان بالعلم ورسالة العلم وفضل العلم ، لان عقيدة الاسلام تقوم على ايمان وعلم ، ولا خير فى مؤمن جاهل ، انما الخير كل الخير فى المؤمن العالم باى ناحيـة من نواحى علوم الدين والدنيا ، فالطبيب العالم بطبه لابد ان يكون نتيجة لذلك عارفا لله سبحانه وتعالى ، شديد الصلة به ، مراعيا له فى كل ما يعمل ، وقل مثل ذلك فى المهندس او الصيدلانى او النباتى او عالم الذرة •

لان الايمان فى اعتبارنا ومن وجهة النظر الاسلامية لا يتجزأ •

ولهذا اتينا فى هذا العدد بكلام جميل عن الله والايمان •

وفى باب ناس وصور وحكايات اتينا بصـورة سيدة مال بها الحظ وتنكرت لها الدنيا فلم تجد الا الله سبحانه وتعالى تفزع اليه ، تلتمس فى الايمان قدرة على مواجهة نكبات الزمان بعد ان عزها الملك وجاء الملك زمانا طويلا • لان الله سبحانه وتعالى هو البداية وهو النهاية •

هو بداية الامل ونهاية الامل •

ومثل هذا الكلام نريد به ان نبدد من اذهان الشباب شكوكا ومخاوف واوهاما تراكمت مع الزمن وصرفتهم عن الايمان وظنوا أن الاراء والعقـائد التى يقولها بعض من خلت قلوبهم من الايمان يمكن ان تفتح لهم سـبلا للحياة جديدة •

وما هى بفاتحة الا أبواب الشك والحيرة والتدهور والدمار • فاذا وفق هذا العدد فى ان يرد من يقرؤه من الشباب الى الرشد ، اى رشد الايمان فذلك حسبنا •

والله سبحانه وتعالى ولينا وولى كل الصادقين •

« المحـرر »

فى هلالك هذا الشهر

ص

الهلال
مجلة لشكر تحرير

جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ
أبريل ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون ـ
اول ابريل ١٩٧٩ ـ ٤ من جمادى الاولى ١٣٩٩ .

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير : عاطف مصطفى
سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل الفص ما يستطيع لنشر الصالح منها ، ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب . وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر..

ص

الاشراف الفنى على هذا العدد
أحمد فضل و أحمد الوزدجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .
فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة .
الادارة : دار الهلال — ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة —
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

بين الفتوحات المكيّة
والفتوحات غير المكيّة

بقلم رئيس التحرير

● لن اقف طويلا فى هذا المقال عند الزوبعة التى ثارت حول كتاب الفتوحات المكية لابن عربى ...

فقد تبين بالفعل انها كانت مجرد زوبعة لا اصل لها ، فلا مجلس الشعب اتخذ فى موضوع كتاب الفتوحات المكية قرارا ، ولا صدر تحريم لقراءة مؤلفات ذلك الصوفى الكبير الذى لقب بمحيى الدين ، وبالشيخ الاكبر، وبابن افلاطون .

وليقر الحريصون على حرية الفكر مكانهم ، ولتطمئن قلوبهم ، ولينصرفوا الى ماهو اجدى عليهم وعلى الناس من الكلام فى حرية الفكر وحق مجلس الشعب فى التعرض لكتب التراث ، فان مجلس الشعب لا يفكر ولن يفكر فى مثل ذلك التعرض .

وهذا كلام سمعناه فى جلسة طويلة من السيد الدكتور صوفى ابو طالب رئيس مجلس الشعب .

***

وانما السؤال الان ماالذى يحرك عضوا فى مجلس الشعب الى ان يتقدم

- نحن نعلم أن كلام ابن عربي في الإشراق أو الفلسفة الإشراقية كان له صدى بعيد فيما كتب مفكر ديني ذي شهرة عالمية هو رايموندو لوليو .. وكان له أثر كبير فيما عرف بحركة أهل الأنوار وتاريخ الفكر الأوربي وخاصة عند رجل مثل القديس يوحنا

- عندما تجرأ الدكتور عثمان يحيى لنشر كتب ابن عربي وتجشم في ذلك مصاعب لا يعرفها إلا من قرأ شيئا من كتابات ابن عربي كان في الواقع يؤدي عملا جليلا للثقافة العربية .

بطلب أو « اقتراح برغبة » كما يسمونه، يقترح فيه ايقاف نشر كتاب مثل الفتوحات المكيه لمحيى الدين بن عربى ؟

الدافع الرئيسى فى رايى هو ان النائب المحترم اخذته الغيرة على الدين ، فاحس أن واجبه يقتضيه أن يتقدم بذلك الاقتراح . ونسأل الآن :

ولكن ما الذى جعل ذلك النائب يخشى كتابات محيى الدين ؟

الجواب فيما نظن — ومن حقنا ان نقول رأينا .. انه لم يقرأ الفتوحات المكية او مشاهد الاسرار ، او رسالة الانوار ، او ترجمان الاشواق وغير ذلك مما كتب كبير الصوفيين المسلمين .

ونقول ذلك لاننا نعلم انه ليس من الهين على اى انسان مهما كان مثقفا، أن يقرأ هذه الكتب او يصبر على متاعب مافيها .

ذلك لان ابا بكر محمدا بن على بن عربى المشهور بمحيى الدين وأمثاله مثل ابى نصر السراج ، وابى طالب المكى ، والقشيرى ، والحارث بن اسد المحاسبى ، وغيرهم من ائمة الصوفية — لايكتبون لعامة الناس ، بل يكتبون لانفسهم ولامثالهم ، وكلامهم لا يصدر عن العقل وحده ، ولا هو يقيم للعقل وزنا ، وانما هو كلام خاص صادر عن نفوس مهيأة على نحو ربما كان مرضيا ومن ثم فانه كلام غير مفهوم وغير واضح ولا يقرؤه الا من كان طبعه شبيها بطبع أولئك الصوفية ونظرته الى الحياة متفقة مع نظرتهم .

وكتاب الفتوحات مثله فى ذلك مثل بقية كتابات ابن عربى موجودة فى الاسواق وفى المكتبات عامة وخاصة ، وهى لا تضر احدا ولا يخشى منها

على عقل احد لان عامة الناس لا يفكرون قط فى قراءتها ، واذا فكروا فى ذلك فان الصفحات الاولى من اى كتاب من هذا الطراز جديرة بأن تصرف الانسان عن مواصلة القراءة ، اللهم الا اذا كان صوفيا بطبعه أو متخصصا فى قراءة كلام الصوفية لمشابهة طبعه لطبعهم ، فيفهم عنهم ويصبر على غوامضهم .

ومن ثم فما كان ينبغى ان يثار موضوع هذا الكتاب لافى مجلس الشعب ولا على صفحات الجرائد ، لانه كما قلت لك لا يستهوى انسانا ولا يضر قارئا انما هو طراز خاص من التفكير والتأليف موجود عند المسلمين وغير المسلمين . .

وعندما تجرد لنشر كتب ابن عربى الدكتور عثمان يحيى وتجشم فى ذلك العمل مصاعب لا يعرفها الا من قرأ شيئا من كتابات ابن عربى ، كان فى الواقع يؤدى عملا جليلا للثقافة العربية، فلم يكن من المقبول أن يظل كتاب الفتوحات المكية وهو كتاب طبقت شهرته الافاق مقتصرا على طبعة قديمة غير مبوبة ولا مفهرسة تقع فى نحو اربعة الاف صفحة ، ومع ذلك فقد ندرت نسخها حتى وصلت الواحدة الى اكثر من مائة جنيه . . .

كان لابد أن يطبع هذا الكتاب طبعة جديرة بقدره حتى يكون فى **متناول من يعنيهم** امر التصوف والفلسفة .

واعادة الطبع هذه لن تضر أحدا ولن تعرض العقيدة للشك ، لان كتاب الفتوحات لن يطلبه الا واحد من اثنين :

رجل صوفى المزاج ، وما اقل هؤلاء وما ابعدهم عن الحياة والتأثير فى الناس ، أو رجل يدرس تاريخ التصوف وهو من هذه الناحية عالم من حقه أن يدرس ما شاء من كتب التراث وهو اذا كتب شيئا عن ابن عربى فلن ينشر الا فى مجلة لا يعرفها الا خاصة الخاصة . واذن فما كان هناك قط مايدعو الى التحرك لاثارة الناس على ابن عربى وكتاب الفتوحات ، بل ليس هناك ما يدعو قط الى احالة مؤلفات ابن عربى الى مجمع البحوث الدينية ، فاننا نعرف سلفا أن مجمع البحوث ، هيئة من الفقهاء ، والفقهاء دائما خصوم الصوفية ، وتاريخ الصراع بين الصوفية والفقهاء تاريخ قديم يعرفه كل من **اطلع على تاريخ الفكر العربى ، وهل ينسى فقيه ما كان الصوفية يقولونه فى مجادلاتهم مع الفقهاء :**

أخذتم علمكم عن ميت عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت .

ومن هنا فاننا نعرف سلفا ماقد يقوله مجمع البحوث فى شأن كتاب الفتوحات وغير الفتوحات .

***

والشىء الذى استوقف نظرى واستلفت انتباهى أن عضو مجلس الشعب

• إن أبا بكر محمد بن على بن عربي المشهور بمحيي الدين و أمثاله من أئمة الصوفية - لا يكتبون لعامة الناس ، بل يكتبون لأنفسهم ولأمثالهم ، وكلامهم لا يصدر عن العقل وحده ، وهو لا يقيم للعقل وزنا . وإنما هو كلام غير مفهوم وغير واضح ، ولا يقرؤه إلا من كان طبعه شبيها بطبع أو نشاط الصوفية

المحترم الذى تخوف من كلام ابن عربى لم يتخوف قط من قطاع آخر من قطاعات الصوفية وهو القطاع الشعبى فى الطرق الصوفية المنتشرة فى القطر كله ، والتى اجمع الفقهاء فى كل عصر على أن ما تقوم به تلك الطرق من احياء ذكر على نغمات الموسيقى قد يصاحبها رقص - اجمعوا على ان ذلك كله لايتفق مع صفاء الدين وما ينبغى له من حرمة تجعله بعيدا عن تلك المذاهب التى تدخل فى مجموعها فى نطاق البدع المستحدثة ؛ فما سمعنا بطريقة صوفية كهذه ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عرفنا فى ايام الخلفاء الراشدين بحلقات ذكر او رقصات طرب دينى او مواكب او شارات او رايات او ادارات يتراسها رجال يقال انهم من اصحاب الكرامات والمعجزات يلتف الناس حولهم ، ويعتقد العوام انهم قادرون على الشفاعة بين الله والناس وان لهم عند الله مكانة فوق مستوى البشر ...

وفى ايام محددة من ايام السنة يخرج اصحابنا على صهوات الخيل فى مواكب تظلهم رايات ملونة ويتقدمهم راقصون وعازفون ؛ واغرب مافى الموضوع ان الدولة تزيد فى هيبة هؤلاء فترسل فرقا من رجال الامن يتقدمون مواكبهم ، ويشقون طرق المدينة فى موكب لا يدرى احد معناه ومغزاه .

***

سالت نفسى هل من الممكن ان يكون امثال القشيرى ، والسراج ، وابى طالب المكى ، ومحيى الدين بن عربى ، اقل قدرا فى حياة شعوب الاسلام من امثال الرفاعى والشاذلى والتيجانى ، وابى مدين الذى يلقبونه بالغوث .

ومن عجب أن النائب المحترم هاجم كتابا مسكينا لرجل كتب ما كتب ومضى لشانه وحسابه على الله ، وترك رجالا لايزالون بيننا يمارسون حفلات اذكار واوراد وتسابيح تعتبر كلها فى نطاق البدع التى لم يعرفها الاسلام الاول ، **وقد انقضى مع ذلك زمانها واصبح من الواجب ادخال تعديل على نظمها او تحويلها الى جمعيات وهيئات نافعة لهذا البلد واهله .**

ولا انسى قط كيف زرت وانا صغير شيخا من هؤلاء الذين ينتسبون الى

الطرق الصوفية وشعرت بالخجل عندما رايت ان كل زائر يدخل عليه يحمل فى يده هدية كلفته مالا طائلا ثم يركع ويقبل يد الشيخ الذى يمد يده للتقبيل كانه طاغية والمساكين يسالونه ان يطلب من الله لهم رحمة هو اولى بها منهم ..

عندما رايت هذا المنظر خرجت ومضيت الى دارى وانا افكر ان كان هذا حقا من الاسلام ...

لماذا لم يفكر العضو الجليل فى أمر هؤلاء المنتسبين الى الطرق وما يتصل بها من موالد واحتفالات تجرى فيها أمور لا يرضى عنها أحد .

ولسنا نقول ان رجال الطرق هم المسئولون عما يجرى فى تلك الموالد والاحتفالات ولكننا نقول انه لولا تنظيمات الطرق نفسها لما كانت الموالد والاحتفالات ولا ما يصاحب الموالد والاحتفالات مما لايرضى الناس عنه فقهاء كانوا وغير فقهاء .

***

المسألة فى رأيى تتلخص فى ان الاعتراض على كتابات رجل مضى لشأنه لا يعرض صاحبه لأى خطر ، اما التعرض لهيئات يمثلها رجال يستفيدون ماديا واجتماعيا من وراء مناصبهم أو انتسابهم للطرق فانه يعرض طبعا لبعض المتاعب ولو فى دائرته الانتخابية ، فقد يحملون عليه وينفرون العامة به ويتعرض بذلك مستقبله السياسى لشىء من الخطر ..

***

كل ذلك أقوله لاننى أرى أننا فى كثير جدا من الاحيان ننصرف عن الواقع ومشاكله ، عن مصالح الشعب والوطن الحقيقية ، الى موضوعات لم يتات منها خطر وانما هى تثير زوابع نحن فى غنى عنها ، وتحمل اسماء أصحابها الى صفحات الجرائد وتضفى عليهم شيئا من الشهرة وما اقل ما يفيد البلد من امثال تلك الزوابع .

***

وانا واثق أن العضو المحترم لم ير مرة واحدة انسانا أضله كلام ابن عربى ولم ير مرة واحدة كتاب الفتوحات بيد شاب يقرؤه ويعرض بذلك عقيدته للشك والريب ... لان الفتوحات كما قلت انما كتبت لخاصة الخاصة ، فوجودها فى السوق كعدم وجودها ، وانما الذى ينبه اليها الاذهان ويجعل الناس يطلبونها ويقراونها هو مثل ذلك السؤال أو الاقتراح برغبة الذى تقدم به عضو محترم من أعضاء مجلس الشعب الموقر .

وانا واثق الآن أن الكثيرين جدا من الناس ينتظرون قرار مجلس البحوث الدينية لكى يعلقوا عليه ويثيروا زوبعة اخرى . كل مطلبهم منها أن تنشر أهم

الصحف مقالات وأن يقنعوا انفسهم بأنهم غيورون على الدين حافظون على الاسلام ، والله وحده يعلم ان الاسلام فى غير حاجة الى غيرتهم والى حماسهم وكل الذى يطلبه الاسلام منهم ان يكونوا هم انفسهم مسلمين صالحين يضربون بذلك المثل الصالحة بالسلوك الاسلامى ، وهذا اجدى بكثير على الوطن وعلى الناس من مساجلات عقيمة لا تؤدى الى شيء ؛ فان مجمع البحوث مهما قال فان الذى يريد أن يقرأ ابن عربى سيقرؤه واذا لم نستكمل نحن نشره فى بلادنا فسينشر خارجها ، لان هذه الكتب لا تموت . وقد توفى ابن عربى فى دمشق سنة ٦٣٨ هجرية/١٢٤٠ ميلادية ، أى منذ أكثر من سبعمائة سنة ، فما اضرت كتبه بأحد ولا بلبلت فكر انسان ، بل اضافت الى تراثنا الفكرى مؤلفات نادرة فى الفكر الصوفى كان لها نصيب كبير من تراث الاسلام **الزاخر . ومن المعروف ان مؤلفات ابن عربى ترجمت الى لغات أوربية وقرأها متصوفون غير مسلمين واشادوا بها .**

ونحن نعلم ان كلام ابن عربى فى الاشراق او الفلسفة الاشراقية كان له صدى بعيد فيما كتب مفكر دينى ذو شهرة عالمية هو رايموندو لوليو ، وكذلك كان له أثر كبير فيما عرف بحركة اهل الانوار فى تاريخ الفكر الاوربى وخاصة عند رجل مثل القديس يوحنا صاحب الصليب ، ومكانه فى تاريخ الفكر الاوربى معروف .

***

قد يكون فى كتب التصوف الكثير مما لايفهمه الناس ، وقد يكون فيها الكثير ايضا مما لا يتفق مع الدين كما يفهمه الفقهاء ، ولكن كتابات اهل الصوفية تفيض بحساسية دينية وشاعرية عاطفية لا نجدها عند غيرهم من اهل العلم المذهبى ، ومن منا لا يتأثر قلبه عندما يقرأ ماكتبه الحارث بن اسد المحاسبى فى كتابه المبدع « الرعاية لحقوق الله » أو ما كتبه أبو نصر السراج فى كتاب « اللمع » ومن منا لا يتأثر قلبه وهو يقرأ صفحات « قوت القلوب » لابى طالب المكى .

***

ياناس ...

دعونا مما لا يفيد الى مايفيد ...

دعونا من العواصف الجانبية والدعوات التى لا يرجى من ورائها الا الشهرة وبعد الصيت ، ولنركز على مايهمنا حقا من مصالح وطننا المصرى ، وطننا العربى ، وما اكثر المشاكل العاجلة التى تتطلب منا الحل ، وما اكثر الاخطار التى تتراكم من حولنا وتهددنا وتهدد مصيرنا على نحو يتضاءل الى جانبه كل مايقال عن كتابات محيى الدين وآراء محيى الدين .

● د . حسين مؤنس ●

الإسلام والعلم

• فضيلة الدكتور :
عبد المنعم النمر
وزير الاوقاف •

● لعلني لا ابتعد عن الصواب اذا قلت ان نشاطنا العلمي والفكري الآن يكاد يقتصر على رد الفعل لما يصلنا من الخارج ، وهذا دور لا يقتصر علينا هنا في مصر ، فان غيرنا من الدول العربية والاسلامية ــ ولعل الدول النامية كلها كذلك ــ يقوم نشاطها على رد الفعل ..

وربما كان هذا دورا من ادوار الامم الحديثة اليقظة ، المتأخرة فكريا وعلميا عن غيرها من الدول المتقدمة ..

فلقد تيقظنا في الدول الاسلامية ، ووجدنا حولنا ركاما من الطوب الذي قذفنا به أعداؤنا واعداء نهضتنا ،وربما ظنوا ان ذلك سيقضي علينا ويدفعنا تحت هذا الركام ، وتبيد حضارتنا كما بادت حضارات أخرى بعد أن سادت زمنا طويلا .. دون أن يفطنوا الى ان العمود الفقري للأمة الاسلامية ــ وهو القرآن الكريم لايزال ولن يزال موجودا قائما في روعة قوته وحيويته ، ويمكن للامة الاسلامية أن تسترجع به قوتها وتنصب به قامتها ، وتستأنف سيرها وشوطها .

لطالما قذف المبشرون والمتعصبون الاسلام وعموده الفقري « القرآن » بالقذائف المتعددة الانواع ، المختلفة الاثقال ، بعضها يظهر في شكل دراسات علمية مستترا وراء هذه الدعوى ، وتحتها حقد دفين على الاسلام والقرآن ، وبعضها يظهر في شكل شتائم وسباب واتهامات للرسول صلى الله عليه وسلم ، بلْ ان بعضها احيانا يظهر في شكل عرائس الحلوى ولكنها حلوى مسمومة .. فما أن تيقظنا وبدأنا نصحو الى انفسنا حتى وجدنا اعداءنا قد اغرقونا واحاطونا بهذه القذائف وبقاذفات التراب ، ووضعونا قهرا عنا في موقف المدافع عن نفسه الذي يحاولْ ان يزيل من حوله ومن طريقه هذا الركام ليخطوا الى الامام ، وهم لم

• لا نظن أن هناك كتاباً أنزله الله ، ولا رسولاً أرسله الله - احتفى بشأن العلم والعلماء ، ودفع الناس إلى العلم ، كما احتفى القرآن ، واحتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعد ذلك يتساءلون هل الإسلام قادر على خلق نهضة علمية ؟

بتركونا في حالنا نزيل ما تراكم من الماضي ، بل ظلوا في لعبتهم وارسال قذائفهم حتى لا نفرغ من تنظيف الجو حولنا ، وننتهي من تنظيف ملابسنا ، لنظل في اماكننا وفي موقف الدفاع .

ومن هنا جاء ماذكرته وبدات به من ان نشاطنا الفكري الآن انما هو نشاط رد الفعل ودفع الاتهامات ، ومحاولة تبرئتنا وتبرئة ديننا وثقافتنا الاصيلة من هذه القذائف ..

ولو كان امرا او هما واحدا لاحتملته ... نعم ، لو كان الامر امر الاعداء لهان ، ولكنه كان مع ذلك امر الاصدقاء او الاخوة ، واعني بالاصدقاء والاخوة هنا رجالا من ابناء جلدتنا شركائنا في الدين وفي الوطن ، تأثروا بقذائف الاعداء ، وانسلخوا عنا وانتقلوا الى صفوفهم ، وصاروا مهاجمين لنا مثلهم يرددون كالببغاوات افكارهم وطعونهم وهم منا ، ولكنهم طابور خامس بيننا . يؤثرون في شبابنا من مواقع اعمالهم ومراكزهم وهويتهم واسمائهم في شهادات ميلادهم ، وصاروا بذلك اخطر علينا من اعدائنا التقليديين .

ومن هنا ثقل الحمل ، وزاد العبء على المخلصين الاصلاء الغيارى على دينهم واصالتهم ؛ لقد ازدوج الهجوم واصبحت الحصون مهددة من الداخل ولابد للمخلصين أن يصمدوا ويثبتوا ، وينظفوا صفحة الاسلام من كل مارماه به الاعداء الاغراب والاقارب . لتسلم لشبابنا نظرتهم لدينهم ولدوره العظيم في الحياة .. ومن هنا كثر ما كتبه الكاتبون ، ورددده المتحدثون دفاعا عن الاسلام وتصحيحا لدوره في الحياة .

ولعل حديثنا اليوم كما كان وكان بالامس وقبل الامس ، عن الاسلام والعلم ، هو واحد من هذه الدفاعات والتصحيحات التي نراها ويراها امثالي ضرورية ، وان كنت أحب الا نقتصر على رد الفعل هذا ، والا نستمر في خطوط الدفاع بل لابد ان نهجم ، فلربما صدق

ماقيل من ان الهجوم هو انجح وسائل الدفاع ، ولا نهجم بالسب لغيرنا ومبادلته الاعتداء على دينه او غير دينه ، بل نخطو الخطوات العملية الايجابية التي تمثل براءة الاسلام مما نسب اليه ونخطو هذه الخطوات باسم الاسلام وفى ظل القرآن ..

فناخذ من الاسلام قوانين العدالة الاجتماعية والضمان الاجتماعى ونعلن بالخط العريض انها قوانين اسلامية .. وننشىء مباحث الطاقة الذرية وتقول « الطاقة الذرية الاسلامية » وننشىء المصانع الاخرى التى تنتج ما نحتاجه وتقول المصانع الاسلامية للغزل والنسج .. المصانع الحربية الاسلامية .. المؤتمرات الاسلامية للطب . وهكذا كرد فعل لما يتهمون به ديننا ويتهموننا نحن المسلمين من تاخر بسبب ديننا . ونترك هذه الردود العملية المجسمة تفعل فعلها فى نفوس الآخرين .

ثم تساءل المغرضون وتهكموا : هل الاسلام يقبل النهضة الصناعية ؟ هل يمكن ف ظل الاسلام قيام نهضة صناعية أو علمية ؟ وهل يمكن ؟ وهل يمكن ؟

ولطالما هاجموا ديننا بانه اباح الزواج باربع ، ولم يستحوا وهم يبيحون العشيقات الخليلات بدون التقيد بعدد .

ولطالما هاجموا ديننا بالطلاق ، ولم يكن عندهم اى احساس بالخشية ف عيونهم ولا بما يفشى بيوتهم ، ولا لما ينتسبون اليهم من أولاد ليسوا لهم ، وانما للاخلاء .

بيوتهم من زجاج ويرموننا بالحجارة؟ ولكننا مشغولون بالدفاع !

ولطالما اتهموا الاسلام بانه ضد العلم ونسوا أو تناسوا ان نهضتهم العلمية الحديثة انما استمدت ينبوعها الاول من المعين العلمى الاسلامى ، وانهم تتلمذوا على العلماء المسلمين فى كل علم تعلموه فى بدء نهضتهم ، والذى لا يعرف الف باء لغة لا يستطيع ان يقرأها .

لم يعرفوا طبيعة الاسلام ، ولا ماجاء من نصوص فى القرآن وفى السنة تدفع المسلمين دفعا الى العلم كل العلم لا فرعا منه وتجىء الاية القرآنية الكريمة لتقول « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » مطلقة لتضع حدا بين الذى يعرف والذى لا يعرف اية معرفة وأى علم .. فلم تقيد الذى يعلم بعلم مخصوص ، علم الدين أو علم الدنيا ، علم الفلك او طبقات الارض او الطب أو الطبيعة أو الكيمياء ، أو اللغة . الخ لان الذى يعرف أحسن ممن لا يعرف ، والاول نسميه العالم ولو بعلم محدود والآخر نسميه الجاهل بهذا العلم او الجاهل المطلق ، الذى لا يتحرك عقله ليعلم من امر علوم الدين اوالدنيا شيئا ...

وتتكرر الآيات ومن هذا المنطلق تدعو الى العلم صراحة وترفع من شان العلماء وتعرض صفحة الكون فى السموات والارض وما بينهما وتدعو الى التدبر والنظر .

ويزيد العلم والعلماء شرفا وفضلا حين يجعل العلم وسيلة لمعرفة الله الخالق ، ووسيلة للتواضع وخدمة العباد ، لا وسيلة للتجبر والطغيان والتدمير ، والشىء يشرف وتعلو قيمته بسمو غايته وشرفها ... فيقول « **ان فى ذلك لآيات لاولى الالباب** » **او لقوم يتفكرون ، يتذكرون ، يعقلون ، للمؤمنين ، للموقنين .**

وطلب العلم عبادة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، والدنيا ملعونة ملعون ما فيها **الا ذكر الله وما والاه ، وعالما ومتعلما ، ويحصى الرسول صلوات الله وسلامه عليه للعمل والسعى الشريف فى ذكر الله وتقواه فى العمل ، وفى بذل العلم وتعلمه او فى التقوى والعام .. وتأتى الآية الشريفة لتقرر « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » فتجعل**

● إن العمود الفقري للأمة الإسلامية - وهو القرآن الكريم ، لا يزال ولن يزال موجودًا قائمًا في روعة قوته وحيويته ، ويمكن للأمة الإسلامية أن تسترجع به قوتها وتنصب به قامتها وتستأنف سيرها وشوطها .

وسيلة الرفعة والسمو عند الله في الإيمان وفي العلم .

ولا نظن أن هناك كتابا أنزله الله ولا رسولا أرسله الله احتفى بشأن العلم والعلماء ، ودفع الناس الى العلم كما احتفى القرآن واحتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وبعد ذلك يتساءلون متهكمين هل الاسلام قادر على خلق نهضة علمية ؟

أهو الجهل أم العداء المستحكم ، وكلاهما شر وآفة - هو الذي دفع هؤلاء الى أن يتقولوا على الإسلام ؟

نهضة المسلمين العلمية

وحتى اذا كان هؤلاء لم يطلعوا على ما جاء في القرآن أو في السنة فجهلوا هذا وذاك ، فانه كان يكفيهم - اذا كانوا علماء كما يدعون - أن يتابعوا النهضة العلمية الفجائية التي أوجدها المسلمون ، ولم تكن تلك النهضة من فراغ ، بل كانت دفعة من دفعات الاسلام في كل جانب من جوانب الحياة ..

والملاحظة حتى البسيطة - ان كانوا حقا من أهل الملاحظة كما يدعون - كانت تكفيهم ليكفوا عنا عبثهم أو ليخفوا عن الناس جهلهم .

هل كان من الممكن أن ينصرف كثير من المسلمين ومن أتقيائهم الى طلب العلم - كل علم - والى التفرغ له والتبحر فيه الا بدفع الاسلام لهم ، وفتحه للأبواب أمامهم ...

الذين انصرفوا للقرآن وتفسيره ومعرفة أحكامه والذين انصرفوا للحديث وغربلته ؛ وشرحه واستخراج الأحكام والتوجيهات منه . والذين انصرفوا لعلوم اللغة من جوانبها المتعددة والذين انصرفوا للفلك والرحلات والجغرافيا ، والطب والهندسة والكيمياء والجبر وغير ذلك مما تسمى علوم الدنيا .. هل كانوا ينصرفون اليها ويستغرقون فيها ، الا في ظل الاسلام ورحابه ؟ .

وخلفاء المسلمين الذين شجعوا العلماء وبذلوا لهم هل كانوا يفعلون ذلك ارضاء لله ولدينهم أو تنكرا منهم لله ولدينهم ؟

والحضارة الإسلامية التي تمثلت في المباني وفي التعوثل والزخرفة واقامة المراصد ورصف الطرق وانشاء الحمامات ، ورصد الأوقاف لطلب العلم وايواء الفقراء واليتامى وجبر خاطر الشغالين بدفع ثمن ما يكسرونه من الأواني حتى لا يضربهم من يعملون عندهم وايواء المطلقات أو الأرامل اللاتي لا عائل لهن ، أكل هذا صدر من فراغ ، أو وراءه دافع من الله ومن كتابه ورسوله ؟!

أكل هذه الحضارة العلمية والاكتشافات التي وصل اليها العلماء في ظل الحكم الاسلامي .. أكل هذه لا تسد عيون هؤلاء وتجعلهم يخجلون ولو بعض الخجل من التشكك في الاسلام وموقفه من العلم - اذا كانوا لم يقرأوا القرآن أو السنة ؟!

لقد حفلت الكتب التي تحدثت عن العلوم في العهد الاسلامي بالكثير مما انتجه هؤلاء وقدموه للبشرية واضافوه الى حقل العلم وموكبه الذي لايتوقف.

وقد ذكر السيد جمال الدين الافغاني وهو يتحدث عما سبق اليه العرب ونبغوا فيه من العلوم والفنون ، كما جاء في كتاب « خاطرات » جمال الدين للمخزومي ذكر الكثير من اكتشافات العلماء الاسلاميين كالجاذبية والمركز ولم يكن المكتشف لهما « اسحاق نيوتن » وكذلك التحليل والتركيب والفوسفور واستحضاره واستحضار الاوكسجين والايدروجين والازوت، وحامض الكبريت والكبريتي وغيرهما ، وقال « كل ذلك من مكتشفات العرب وكان الاساتذة في علم الكيمياء للجيل الثالث الهجري هم : احمد بن سلمة المجريطي ، وتلميذه ابن بشرون وابا السمح وقد تقدمهم مثل جابر بن حيان الحراني ، ومن بعدهم زكريا ابو بكر الرازي وغيرهم »

ويقول الامام محمد عبده في كتابه « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » : يقول « جيبون » في كلامه عن حماية المسلمين للعلم في المشرق والمغرب: « ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه .. الخ »

قالوا ان باكون هو أول من جعل التجربة والمشاهدة قاعدة العلوم العصرية ، واقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بآراء المصنفين واطلق العلم من رق التقليد وذلك حق في أوربا ، واما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني للهجرة .

فاول شيء تميز به فلاسفة العرب عمن سواهم من فلاسفة الامم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجريبيات ، حتى لقد نقل «جوستاف لوبون » عن أحد فلاسفة أوربا ان القاعدة عند العرب كانت « جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفا » وعند الاوربي الى مابعد القرن العاشر المسيحي « اقرأ في الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالما » .

واما في الكيمياء فلا يمكنك ان تعد مجربا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعد من المجربين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم .

ويقول الفيلسوف درابر الامريكي : تاخذنا الدهشة احيانا عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد انها لم تولد الا في زماننا ... الخ .

ويقول العالم الفرنسي سيديو : « لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة ، فانتشروا في كل مكان وطئته اقدامهم ، وكانوا هم السبب في خروج اوربا من الظلمات الى النور»

ويقول مستر هنتر المؤرخ الانجليزي : « حين قبضنا على الهند كان المسلمون فيها ارقى السكان عقلا وسياسة وعلما وعملا » .

ويقول الرئيس الامريكي ايزنهاور « في خطاب له امام الجمعية العامة للامم المتحدة » نشرة الاستعلامات ١٠ — ٢ — ١٩٥٩ :

« انني عندما اتطلع الى المستقبل أرى ظهور دول عربية حديثة سوف تقدم الى هذا القرن الحاضر اسهامات تفوق تلك التي لا نستطيع ان ننساها في الماضي ، اننا نذكر ان علوم الحساب والجبر في الغرب مدينة كثيرا للرياضيين العرب كما ان الكثير من اسس علم الطب في العالم وكذلك علم الفلك قد وضعها العرب » .

***

وبعد : فما كان أغنانا عن هذا الدفاع لو ان المسلمين الذين خلفوا المسلمين

الاوائل ساروا على طريقهم ونبغوا فى العلوم نبوغهم ، ولكن الضعف الذى اصيب به المسلمون فى كل ناحية عدة قرون بسبب عوامل كثيرة ليس منها الدين وفى نواح متعددة ومنها مجال العلم هو الذى أغرى المتربصين بالاسلام بالهجوم عليه .

ان الاسلام يحكم على هذه القرون ويحكم علينا حتى الآن بالتقصير ويعتبرنا آثمين فى حق انفسنا لتاخرنا فى المجال العلمى فان الاسلام يوجب على المسلمين ان يكون فيهم متخصصون حاذقون فى كل علم من علوم الحياة بجانب العلوم التى تصحح الدين وذلك على سبيل فرض الكفاية .. فاذا خلا المجتمع الاسلامى من علماء فى اى فرع من فروع العلوم كان من الواجب اليقينى على كل مسلم ان يسد هذا النقص ...

● لنأخذ من الاسلام قوانين العدالة والضمان الاجتماعى ولننشئ مباحث الطاقة الذرية، ونقول : (الطاقة الذرية الاسلامية) وننشئ المصانع "الحربية الاسلامية" وهكذا .. ونترك لهذه الردود العملية المجسمة تفعل فعلها فى نفوس الآخرين .

فالى هذا الحد ينظر الاسلام الى العلم .

وحين امر القرآن باعداد العدة للقوة فقال ((واعدوا لهم مااستطعتم من قوة)) كان معنى ذلك الا يدع المسلمون غيرهم يسبقهم فى اى علم يكون له دخل فى توفير القوة لهم .

وبالتطبيق لهذا الحكم الاية يجب على المسلمين ان يسبقوا امريكا وروسيا فى مجال العلوم والاختراعات ، كقوتين رهيبتين فى العالم . ومن هنا يتبين مدى تقصيرنا واثمنا دينا فى مجال العلوم والصناعات وبالتالى فى مجال القوة الحربية .

ليس هناك عاقل منصف يستطيع ان ينسب تاخير المسلمين علميا وصناعيا الى الاسلام ، انما ذلك من صنع المسلمين انفسهم ومن تقصيرهم كشانهم فى مجالات اخرى .. وما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم ، وظلموا الاسلام معهم واغروا به وبهم اعداءه واعداءهم ،وانئا باسم الاسلام نهيب بالمسلمين فى كل مكان ان يكونوا اسبق الامم واقواها فى كل مجال من مجالات الحياة ليعلوا بذلك كلمة الله وكلمتهم ، وليحققوا معنى العزة التى كتبها الله لهم . ●

الله

وحياة الإنسان في فكره وسلوكه

● د. زكي نجيب محمود ●

● اذا استثنينا عددا من الرجال قد لا يزيدون على اصابع اليد الواحدة ، منذ عرفت الدنيا فكرا ومفكرين ، فنستطيع القول على سبيل اليقين ، لا على سبيل الظن بان صحائف الفكر البشرى ، لم تشهد انسانا بغير عقيدة فى الله .

وكل ماحدث من اوجه الاختلاف فى هذا الصدد ، فهو منحصر فى الصورة التى تصور بها هذا الانسان او ذاك ، الله كيف يكون .. والا فما الذى فعله شيخ الفلاسفة افلاطون ، اذا لم يكن قد اخذ يقيم بناءه الفكرى على شكل هرمى ، اعنى انه اخذ يصعد بالافكار الدنيا الى طبقة اعلى ، فاعلى ، فاعلى حتى بلغ ذروة الهرم ، واذا بهذه الذروة هى الله كما تصوره وهى « فكرة الخير الخالص » . فالله هو ذلك الخير المجرد الذى راى افلاطون انه مامن كائن على وجه الارض ، الا وقد وجد ليسعى نحو تحقيق ذلك الخير .

فلو وضعنا هذا التصور الافلاطونى ، فى لغة قريبة من اللغة التى تستخدمها نحن اليوم ، فى اطار عقيدتنا ، لقلنا : ان ذلك التصور ان هو الا تصوير يوضح معنى الآية الكريمة « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » اى ان كل من فى السماء والارض ومافى السماء والارض انما ينحو نحو غاية عليا ، هى الله سبحانه وتعالى « بلغتنا نحن » وهى الخير الاسمى بلغة أفلاطون .

ثم ماذا فعل ارسطو من بعد افلاطون ، اذا لم يكن قد كرس أهم مافى فلسفته لكى يصور فكرته الاساسية التى تجعل هذا العالم مسيرة تظل **ترتقى الى ماهو** اعلى ثم اعلى ثم اعلى ، **بحيث يكون طرف الابتداء** هو مادة غير ذات **خصائص تميزها** ، وهو ما **يسمونه اصطلاحا** « **بالهيولا** » **ويكون الطرف النهائى لشوط** تلك المسيرة صورة غير **مختلطة بمادة** . اعنى كمالا ، لا تشوبه **نواقص المادة** . تلك الصورة هى بمثابة **الغاية المثلى** ، **التى تجذب اليها العالم بكل من فيه** وما فيه ، وهى الله **سبحانه وتعالى** .

فاذا تركنا العصر اليونانى القديم ، ونظرنا الى خمسة عشر قرنا تمتد من القرن الاول للميلاد ، الى القرن الخامس عشر ، فلا نكاد نقع على مفكر واحد ، او على فكرة واحدة من الافكار الكبرى ، خلال تلك الفترة الطويلة الا ونجد ان الموضوع الاساسى المطروح للنظر ، انما هو حقيقة الخالق جل وعلا كما وردت فى الكتب المنزلة ، سواء كان ذلك كتبا منزلة على الرسل قبل الاسلام ، أو كان ذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذى آمن به المسلمون ، وذلك هو ان محور التفكير خلال تلك القرون هو بصفة اساسية ،

محاولة النظر فى الكتاب المنزل عند المسلمين ، أو عند غيرهم . اما لشرحه ومحاولة فهمه الفهم الصحيح ، واما للنظر فيما يربطه بالفكر العقلى كما ورد عند الفلاسفة الاقدمين .

بمعنى ان يسال المفكر نفسه قائلا : هل فى هذا الكتاب المنزل ، مايتعارض مع ما املاه العقل الصرف على رجال العقل ؟!..

ومعنى ذلك كله هو ان فكرة الخالق جل وعلا ، كانت مشغلة الفكر البشرى فى تلك الفترة ، سواء كان ذلك بصورة مباشرة ، او بصورة غير مباشرة .

***

ثم جاء العصر الحديث بادئا بما يسمى بالنهضة الاوربية منذ القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر .. لماذا نجد عند مستهل تلك الفترة الاخيرة ؟ ..

نجد عند البساب عملاقا فى دنيا الفلسفة هو « ديكارت » . ولعلنا نعلم جميعا ان الفلسفة « الديكارتية » ركزت على الاعتقاد بوجود الله ، لانه اعتقاد لا يمكن فهم الوجود الانسانى ، بفكره من الداخل ، وبجسمه من الخارج الا اذا كان الوجود الالهى متضمنا .

وقد انتهى « ديكارت » الى عقيدته فى الله بطريقته الخاصة ، وهى كما نعلم جميعا «طريقة الشك المنهجى» . اعنى الشك الذى يريد البناء ، ولا يريد الهدم وذلك بان يفترض بأن كل العلم الذى فى راسه تحصيلا من أعوامه السابقة غير ذى وجود ، وانه سيبدا من الصفر لكى يجعل نقطة الابتداء علما يقينيا ، وبالتالى كل ما يبنى عليها يكون علما يقينيا كذلك . فكانت نقطة البدء عنده انه كلما استبطن ذاته وجدها ذاتا مفكرة شاعرة ، وعلى هذا الاساس اقام حجر الزاوية وهو « الكوجيتو » ، اى عبارته المشهورة « انا افكر انا اذن موجود » . ومن هذه البداية اخذ يسلسل النتائج الى ان وصل الى اليقين بوجود الله كنتيجة لازمة عن الطريق الاستدلالى الصحيح .

وهكذا كلما انتقلنا فى مجال الفلسفة من فيلسوف الى آخر ، وجدناه يثبت وجود الله بطريقته . فهنالك «الاينتز» وهناك « اسبينوزا » ، وهناك «كانط» وهنالك « هيجل » .. وهكذا واحدا بعد واحد تجىء عنده العقيدة بالله نتيجة محتومة لفكره الفلسفى بمنهجه الخاص .

وحتى الفلاسفة المعاصرون الذين تغلب عليهم جميعا النزعة الطبيعية التى ملخصها انه ليس وراء هذه الطبيعة شىء ، فلا يفوتهم ان يتصوروا الله على هذه الخلفية نفسها بصورة ملائمة لمذهبهم كان يقولوا مثلا : انه هو بمثابة القوانين الخافية عن البصر ، والتى تنبث فى الكون فتنظمه ، او ان يقولوا انه بمثابة الدفعة الباطنية التى تدفع الحياة الى التطور . ولكن فليقولوا فى الامر مايقولون ، لان النتيجة فى النهاية هى اختلاف فى التصور ، لا اختلاف فى اساس الاعتقاد بوجود الله .

لذلك كثيرا مايدهشنى أن أجد بعضنا فيما يكتب ، او فيما يذيع على الناس ، مركزا قوله على محاولة اثبات وجود الله ، وكانما هذا الوجود موضع شك من احد ... فكما راينا ، انه اذا استثنينا قلة بالغة فى الصغر ، من اهل

الله وحياة الإنسان في فكره وسلوكه

الفكر ، وجدنا أن الكثرة الكاثرة التى تشبه الاجماع لم يتردد منها احـد فى اثبات هذا الوجود ، أعنى وجود الله. والاختلاف كما قلت هو اختلاف فى التصور ، لا فى الاعتقاد نفسه .

***

على ان الاعتقاد فى وجود الله يتضمن جانبين ، قلما وجدت من يتنبه الى الانتفاع فى الحياة الانسانية بهما انتفاعا كاملا . اذ كثيرا جدا مايقتصر المتكلم فى هذا الموضوع على القول أو الكتابة دون الربط بحياة الانسان العملية فى جانبها السلوكى ، اى فى جانبها الاخلاقى . ولو اننا تنبهنا الى الجانبين اللذين اشرت اليهما ، لاتضحت أمامنا صورة الربط بالسلوك الانسانى كيف تكون ...

واما هذان الجانبان فهما : الذات الالهية ، والصفات التى تلخصها أسماء الله الحسنى على شرط الا يفهم من هذه التفرقة ، بانها تفرقة فى المكان أو فى الزمان لان الذات الالهية وصفاتها وجود واحد .. ومحاولة الفهم وحدها ، ومحاولة الانتفاع العملى بذلك الفهم ، هى التى تجعلنا نتحدث عن كل جانب على حدة : جانب الذات الالهيـة ، وجانب الصفات .

لقد اشار بعض كبار ائمة المسلمين ، وبصفة خاصة الامام الغزالى ، الى اسماء الله الحسنى التى تسمى الصفات الالهية ... اقول ان كبار الائمة اشاروا الى هذه الاسماء ، على انها نماذج تصور لنا المثل العليا للسلوك الانسانى ، لانها وان تكن موجودة فى الخالق سبحانه وتعالى بصورة مطلقة ، فهى هى نفسها مايتوق اليه الانسان من جوانب الكمال الذى ينشده لنفسه ، برغم ان الانسان لا يستطيع قط ان يبلغ منها الدرجة المطلقة المتمثلة فى الذات الالهية .

ولشرح ذلك اقول :

اننا اذا تأملنا صفة الحياة عندما نقول الله هو الحى ، أو صفة العلم عندما نقول الله هو العليم ، او صفة الارادة عندما نقول عن الله « **فعال لما يريد** » أو صفة الرحمة عندما نقول الله هو الرحيم او صفة العدل عندما نجد ان العدل اسم من أسماء الله تعالى . وهكذا الى آخر تلك الاسماء المباركة ـ فاننا انما نشير ضمنا الى الاهداف العليا التى يجب أن يتغياها الانسان بسلوكه . فكأنما نريد أن نقول : يجب على الانسان أن يكون متصفا بالحياة وبالعلم وبالارادة وبالعدل الى غير ذلك من الصفات .

ولنقف عند صفة الحياة وحدها لنتأمل ماذا يجب على الانسان أن يفعله ليكون « حيا » بالمعنى المطلوب والمتضمن فى ذلك الاسم من اسماء الله الحسنى . . بالطبع ليس المقصود هو حياة الطعام والشراب والنسل ، ولا هو حياة الزراعة والصناعة والتجارة ، ولا هو اى وجه من أوجه الحياة التى ينشط بها الانسان ويكاد ينشط بمثلها الحيوان ايضا ـ لكننا

نعنى بالحياة هنا ، حياة الوعى والادراك والتعقل ، وما الى ذلك من صفات لانها هى الصفات المتضمنة عندما نقول : ان الله هو الحى ، اى انه هو المحيط بكل شىء علما وادراكا ونورا .. الى آخره .

فاذا وجدنا انسانا لايجعل اهتمامه الاول هو حياته العقلية الواعية المدركة عرفنا انه قد انحرف عن الخطة السلوكية المثلى ، التى ترسمها له اسماء الله الحسنى .

والخص هذا الذى قلته اخيرا فى عبارة موجزة ، فاقول : ان الاعتقاد فى الله من جانب صفاته ، هو فى الوقت نفسه اعتقاد فى الانسان من جانب سلوكه اذا اتخذ ذلك السلوك صورة مثلى .

واما الاعتقاد فى وجود الذات الالهية الموصوفة بتلك الصفات ، فهو اعتقاد ينعكس بدوره على حياة الانسان . وليست المسالة مقصورة على مجرد الاعتقاد وكفى ، والا لما كان هنالك فرق كبير فى الحياة العملية بين المعتقد وغير المعتقد .

وانعكاس ذلك الاعتقاد على الحياة العملية هو الذى يتمثل فى وجود هدف امام الانسان . ولعل الازمة الحادة التى يعانيها عصرنا هى انه لما غاب الاعتقاد الحقيقى بوجود الله من صدور الناس ، غاب فى الوقت نفسه وجود هدف اسمى تتجه نحوه الحياة . وغياب الهدف على هذا النحو ، افرغ الحياة من مبررها فاصبح لسان الحال عند الناس ، يصيح قائلا : ان الحياة عبث فى عبث ، والا فاين هو الهدف الذى يبرر وجودها . وهو قول لا يمكن ان ينبثق من انسان يؤمن بوجود الذات الالهية .

***

هكذا نرى مما سبق رؤية جلية واضحة اولا : بان وجود الله والاعتقاد فيه ، امر مقرر ثابت لا عن طريق الديانات وحدها ، بل عن طريق الفلسفة متمثلة فى رجالها ومذاهبها ، واذا قلنا الفلسفة فقد قلنا العقل .

وثانيا : راينا ان الاعتقاد فى الله ووجوده ليس مجرد اعتقاد يخلو من التاثير على توجيه السلوك البشرى فى الحياة العملية ، بل هو اعتقاد كما اسلفنا يعطى هدفا للحياة من جهة ، ويعطى خطة للسلوك البشرى من جهة اخرى .

ولو تحقق هذان الجانبان ، اعنى الهدف والسلوك الامثل، لعالجنا مايعانى منه عصرنا ، وخصوصا الشباب من هذا العصر ، من قلق وشعور بالاغتراب ، وشعور بالعبث .. الى آخر تلك السمات التى يتميز بها انسان عصرنا . ●

الله والعلماء

● محمد الحديدى ●

« كل من يجتهد بجدية فى طلب المعرفة العلمية سوف يأتي عليه وقت يوقن فيه ان هناك روحا تعبر عن وجودها قوانين هذا الكون ، وهى روح تسمو سموا عظيما فوق الانسان ،ونحن – بقدراتنا المحدودة – نحس فى مواجهتها اننا متواضعون الى ادنى درجة»

« البرت اينشتاين »

● **يذكرني هذا بكتاب من اروع ما قرأت للمرحوم عباس العقاد ظهر منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ، هو « عقائد المفكرين فى القرن العشرين » ، وكان آينشتاين واحدا من عدد كبير من علماء القرن وفلاسفته ، اورد العقاد تصوراتهم لذات الله العلية، وغير ذلك من معتقداتهم فى الدين ..**

واذكر اذ ذاك أن واحدا من النقاد كتب يعيب على الاستاذ العقاد انه يكتب فى أمور الدين لأنه واحد من الموضوعات التى تروج وتجعل الكتب تباع ويبدو ان النسخة التى اشتريتها اذ ذاك كانت طبعة ثانية لانه فى مقدمتها تعرض الأستاذ العقاد للرد على مهاجميه ، وكان مما أورده ان تأليف مثل هذا الكتاب يستغرق وقتا طويلا وجهدا عظيما ينفق فى الاطلاع على مؤلفات هؤلاء المفكرين للتعرف على عقائدهم،وانه لو كان يبحث عن رواج كتبه لكان ايسر واسهل عليه – كما يقول – « أن نمسك بالقلم ونخط على الورق قصة من قصص الشهوات التي تنفق وتروج عند هذا الواغش البشرى » ..

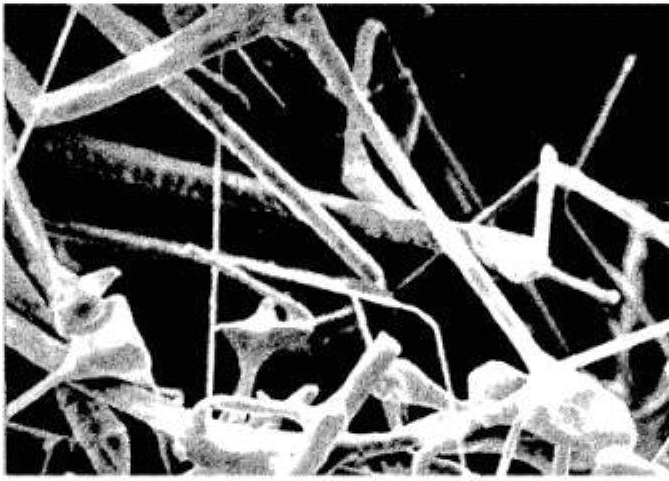
وكان صديق لى قد قرأ الكتاب ومقدمته ثم تصادف أن كان مدعوا عند واحد من معارفه وصادف الناقد المذكور هناك ، وسأله « اقرأت كتاب العقاد الجديد ؟ » فأشار الرجل الى صدره صائحا ، ياسيدى .. أنا الواغش البشرى ! »

معضلات !

أورد هذه القصة الطريفة فى بداية هذا الحديث لعل الاسلوب اللاذع الذى اتصف به الأستاذ العقاد وناقده – رحمهما الله – يدخل المرح الى قلب القارىء ويشجعه على أن يغفر لى ما سيأتى به هذه المقالة مما قد لا يجده مسليا ، وان كنا ما زلنا نأمل أن يجده كذلك !

ونحن ننوى أن نتعرض لبعض المعضلات ، العلم .. الكون .. الخليقة ولكننا – بصراحة – لا ننوى أن نحل واحدة منها ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ! ...

هناك عباقرة خبطوا رءوسهم فى كل ركن وجدوه ولم يصلوا الى شىء ، ولعلنا



كـل شىء يبدو لنا مستمرا ٪ وهو ليس كذلك .. وهذا سطح معدنى لامع من معدن التجستن مكبرا ٢ألف المرات ....

لمسأل اسئلة ليست لها اجابات ، أو لهـا اجابات حتى لو قيلت لنـا فلن نستطيع أن ندركها ، وهل تستطيع البكتريا التى تعيش فى امعاء الانسان ان تبصر الانسان ، أو هل تستطيع النملـة أن ترى الانسـان كما يراه العصفور أو الحصان ؟

فقط ، لا بأس ، ان التسـاؤل فى ذاته متعة عظمى ، وفى سياقه ستكون هنـاك بضـعة أجوبة ، ولا بأس مع التساؤل !

***

هل من الضرورى أن يتعارض الدين مع العلم ؟ أو ـ لعله يكون من الأفضل ان نعكس السؤال ـ هل من الضرورى أن يتفقا ؟

كان المرحـوم الدكتور محمد كامل حسـين ـ وله كل الحق ـ يعجب ان يسـخر من الذين يحاولون ان يثبتوا صحة القرآن لمن لا يؤمنون به ، بان يستخرجوا منه نصوصا تتفق مع العلم الحديث ، تفسيرات يجدون فيها حقائق تتفق مع ما نعرفه الآن عن المادة والفلك .. الخ ، وهم بذلك يسيئون الى الكتاب الكريم بأن يحاولوا ان يهبطوا به الى مستوى كتاب فى الفيزياء النووية او علم النجوم بينما هو أعلى من ذلك بلا حدود ، فهو كتاب فى علاقة الانسان بالله ، واذا كنا نظن ان العلم هو الذرة والالكترون ، لمجرد ان هـذه اشـياء « صـعبة » فالامر بالعكس تماما ، ان جهلنا بأنفسنا ، وجهلنا بما فوقنا ، هو الذى يجعلنا نظن اننا نعرف هذا وذاك! والحقيقة ان علوم الذرة والالكترون ، مهمـا كنـا ـ فى الشرق ـ متخلفين بمقاييسها ، أبسط ـ بلا حدود ـ من الانسان وعلاقته بالله ..

هكذا يتضح لنا ان العلم ـ اى المعرفة المبنيـة على التجربة والملاحظـة ثم الاستنتاج ـ لا يكفى وحده لادراك الكون . وان الدين ـ على هيئة رسالات سماوية ـ ليس الهدف منه أن نحل المعادلات الكيميائية وان نتقدم فى حساب المثلثات والأدهى من ذلك ، ان حساب المثلثات قد لا يكون صحيحا على الاطلاق ، وان استنتاج قوانين المادة والفضاء والزمن وتسخيرها لفائدة الانسان ـ او لضرره ـ ليس معنى هذا كله ان هذه القوانين صحيحة ، كما سنرى .

وبعكس ما يتصـور الكثيرون فان التقـدم المطرد فى العلم والتطبيـق التكنولوجى ، والـذى تتميز به دول أوربا وأمريكا بصفة خاصة ، لم يعد شيئا يناقض الاعتقاد الدينى ، بل ان الجزء الاخير من هذا القرن قد جاء بنوع من المصالحة بينهما بعد الجفاء الذى ساد طوال القـرن الثـامن عشر ، أو عصر « الاستنارة » بصفة خاصة ، واستمر

الى داروين ثم تحطيم الذرة صناعيا .. الخ ، ويتضح هذا فى قصة الخليقة التى أصبح علماء الغرب يجدونها فى سفر التكوين كما يجدونها فى معادلاتهم الرياضية،واصبحت النظرية الارسطالية القديمة والقائلة بانه ليست هناك بداية ولا نهاية لهذا الكون ، تتنافى مع النظرة الحديثة التى ترجح أن انفجارا هائلا وقع منذ حوالى ١٥ — ٢٠ الف مليون سنة هو الذى ادى الى وجود كل هذه النجوم والكواكب ، وان هذا هو السبب فى انها جميعا تتناثر مبتعدة عن المركز الذى انفجرت فيه هذه الكرة اللهبية العظمى، ففى سنة ١٩١٣ اكتشف عالم فلكى امريكى مجرات تطير مبتعدة عن الارض بسرعة تصل الى ثلاثة ملايين كيلو متر فى الساعة ، وكان ذلك فى نفس العصر الذى أعلن فيه اينشتاين نظريته «العامة» فى النسبية والتى ألغت الفكر العلمى النيوتونى .

وفى سنة ١٩٦٥ أعلن عالمان امريكيان انهما التقطا موجات صوتية تأتى من كل مكان فى الفضاء ، او ، بعبارة اخرى ، من لامكان . هذا الصوت ، فيما يعتقد الكثيرون من علماء اليوم هو آثار صوت الانفجار العظيم الذى أدى الى خلق الكون الآخذ فى التمدد .

الا أن هذا ليس أكثر الامور اثارة للحيرة ، أو للمصالحة بين « التصوف » و «المنطق» كما يسميهما برتراند راسل فهناك وجود اول جزىء من المادة يمكنه أن يعيد تكوين نفسه ويستمر هكذا الى أن ينشأ عنه كائن حى ، لماذا حدث هذا مرة واحدة ولم يحدث ثانية ؟ هذه معجزة لا تقل عن معجزة الانفجار الكونى الهائل .. كل هذا جعل العلماء لايجدون فى العلم التجريبى تلك الواحة الخضراء فى صحراء الغموض والتيه ،التى وجدها هذا الصف الطويل من أرسطو الى فولتير الى ماركس .

ثورة اينشتاين

تحدثنا قوانين نيوتن عن كون «مطلق» فالزمن يطرد ثابتا ، وهو « متغير » مستقل عن كل المتغيرات الاخرى . وهى ايضا « مستمر » بعكس المادة ، فهى ليست مستمرة لانها تتكون من ذرات بينها وداخلها فراغات ، والمكان كذلك، فهو فضاء مطلق مستمر لا نهائى ، والمسألة فى غاية البساطة ، لا تزيد كثيرا عما يقول به شاعر ضرير عاش فى معرة النعمان بالشام منذ ألف سنة : « وقد حددتهما حدا ما أجدره ان يكون قد سبقت اليه ، ولكننى لم اسمع به ، فأما الزمان فان اصغر جزء منه يشتمل على جميع الكائنات ، وهو فى ذلك عكس المكان ، فان اصغر جزء منه لا يشتمل على شىء أبدا » .

هذا فى رسالة الغفران ، ثم عاد فى ديوانه « لزوم مالا يلزم » ففرق بينهما فى قوله :

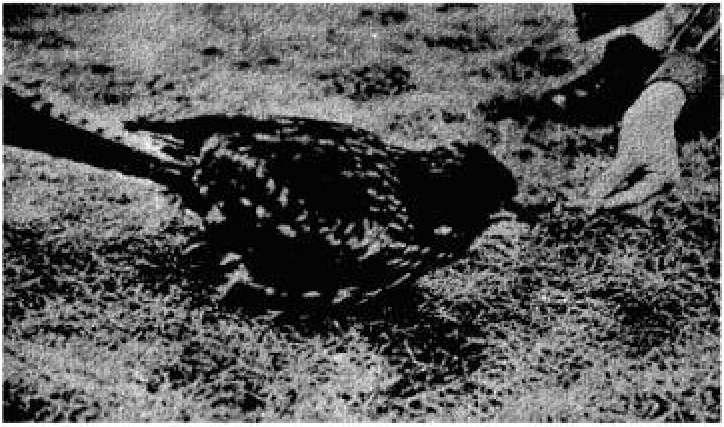
اما المكان فثابت لا ينطوى
لكن زمانك ذاهب لا يثبت

والذى يقصده بقوله « اصغر جزء منه » هو ما يسميه الرياضيون الآن : « Infinitesimal » والذى ظل معضلة الى ايام « لايبنتز » ..

والذى فعله نيوتن اذن — وقد كان معاصرا للايبنتز وتوصل كل منهما الى علم التفاضل والتكامل مستقلا عن الآخر ولكن احدهما لم يصدق ذلك وتبودلت الاتهامات بين انجلترا والمانيا — الذى فعله نيوتن هو انه تصور كونا مطلقا يحيط به فراغ ثلاثى الابعاد يمتد الى ما لا نهاية،وهو ملىء بالخطوط المستقيمة ويمر به زمن مطرد لا اول له ولا آخر ، يمشى مستقيما هو الآخر .. اما المادة فهى قطعة هنا وقطعة هناك . لكل منها كمية هى « الكتلة » ولكل منها ايضا « وزن » ينتج عن قانون دولى لا يخيب هو الجاذبية ، فالجسم على الارض اثقل منه على القمر لان قوة جذب الارض اكبر أما كيف تؤثر الاجسام على بعضها البعض من بعيد هكذا فيبقى مسألة لا تفسير لها .

هل توجد خطوط مستقيمة ؟

نعيد الاعتذار للقارىء ونعد ألا نغرق



والحياة ، هذا اللغز المحير

فى بحار لا نجيد السباحة فيها وسنبدأ أولا بكلمة عن الفضـــاء · ومن ناحية الابعاد فالامر غاية فى البســـاطة ،اذا تصورنا كائنــا دقيقا .كالفيروس يتحرك على سطح مســـتو ، واذا اتخذنا نقطة ثابتة للقيـــاس فانه يمكننا ان نحـــدد موضـــع هذا الكائن « بالنسبة » لها بقراءتين ، كأن تكونا مسافتين سـ ، ص كما هو معروف ، أو مســافة وزاوية ، ولذلك فهذا السطح فراغ ذو بعدين اما اذا كان الكائن حيوانا ـــ كالانسان ـ فلابد من ثلاثة ابعاد لتحديد موضـــعه ، وهكذا فالـــكائن الفيروسى الذى يعيش على سطح منضدة أو على ســـطح كرة يعيش فى فراغ ذى بعدين ولكن الكرة بأكملهـــا وما فى داخلـه ـ فراغ ثلاثى الابعاد وهذا هو الذى نعيش نحن فيه ·

ولـــكن مســـألة انه لانهائى ··· مسألة محيرة · اين أوله واين آخره ؟ الفيروس الذى يسبح على ســـطح كرة سيخيل اليه هو ايضـــا انه يعيش فى فراغ لانهائى ، ذى بعدين ، وهذا لمجرد انه يعيش على « سطح » قطعة من فراغ ثلاثى الابعاد هى الكـرة ، الا يجـــوز ايضا اننا نعيش على ســـطح قطعة من فراغ ذى أربعة أبعاد ؟ هذا الســـطح ـ عندئذ ـ سيكون ثلاثى الابعاد ، وسيبدو لنا ايضا انه لا نهائى ، تماما كما لو كان الفيروس يتحرك على دائرة مقفلة وهذه تكون فراغا ذا بعد واحديحد فى داخله قطعة مستوية من فراغ ذى بعدين ، فى كل هذه الحـــالات ســـيظن الفيروس واينشتاين انهما يعيشان فى فراغ بعده فراغ ··· هكذا الى مالا نهاية

ولـــكن ··· ماذا عن **الخطـــوط المستقيمة** ؟ آه ··· هذه مسألة **جديدة** ، **وما الخط المستقيم** ؟ انه ما **يخيل الينا انه اقصر** مسافة بين نقطتين ، **والفيروس الذى يتحرك على سطح كرة ، بل والنملة فى نفس الموقف** ، يمكنها ان **تجد على** سطح الكرة مســـارا هو **اقرب الطرق** الى نقطة معينة ، وســـيبدو **لها خطـــا** مســـتقيما ، والواقع انه **جزء من دائرة** عظمى (أى مركزها مركز الكرة) ، **ومن المستحيل ان تجد خطا مستقيما على سطح كرة ··· وهذا هو الحال معنا ، فنحن نتخيل خطوطا مستقيمة وهى ليست كذلك وهنـــاك نظريات عديدة فى الفراغ الذى نعيش فيه ، فهو قد يكون دائريا وقد يكون اليبتيـــا (يعنى على هيئـــة قطع ناقص) او بارابوليـــا أو هيبربوليـــا (يعنى على هيئة قطع مكافىء أو قطع زائد) كل هذا معناه ان اقصر مسافة بين نقطتين فى هذا الفراغ هى فى الحقيقة منحنى من هذا النوع ، بل ان برتراند راسل ـ وكثيرين غيره بطبيعة الحال ـ يشك فى « استمرارية » الفراغ ، فهو قد يكون**

منقطعا وهذا هو السبب - **او قد يكون السبب** - في ان الالكترون داخل الذرة يترك مساره فجأة (وهو على شكل منحنى قطع ناقص) - وينتقل الى مسار آخر دون اى مناسبة ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون الفضاء والزمن - والحركة معهما - غير مستمرة والذى ينظر الى لوح من الزجاج أو الى محيط هائل ملء بالماء يرى امامه شيئا مستمرا ، ونحن الآن نعرف ان المادة غير مستمرة .

الرجل المناسب والمكان المناسب

سنأخذ هذا المثال من النظرية العامة للنسبية لندلل به على مدى ما يمكن للعلم ان يقع فيه من خطأ ويظل مع ذلك قابلا للتطبيق العملي ويصلح لصناعة الطائرات والاقمار الصناعية والتليفزيون ... الخ .

سنذكر اولا شيئا عن نسبية الكون كمقدمة لهذه المغامرة الجديدة .

هناك نسبية الفضاء اولا ، فمهما كانت طبيعته ، ليس فى كل هذا الفضاء مكان واحد يمكن ان نسميه مكانا ويمكن أن تكون له « هوية » لانه ليس فيه شيء واحد ثابت يمكن ان يحدد الاوضاع بالنسبة اليه ، كل شيء يتحرك ولابداية ولا نهاية ولا نقطة للقياس ... وكذلك الزمن ، وفى النسبية تجدهما يندمجان معا فى« فضاء زمن » وتصبح الاحداثيات س ، ص ، ع ، ن ولكل نقطة فى« الفضاء زمن » لها أربعة ، والرابع ن هو الزمن، **ومن المؤكد ان المكان لا يوجد بمفرده ولا الزمن ايضا ، والحركة نسبية والسرعة كذلك ، وانت عندما تركب قطارا يسير فى اتجاه معين ويقابل قطارا يأتى فى الاتجاه المضاد يخيل اليك ان سرعته اكبر بكثير مما هى فى «الحقيقة» (ان كانت هناك حقيقة فهى نسبية ايضا) او على الاصح اكبر مما تبدو لشخص واقف على الارض .**

واما الترتيب الزمني فليس الا خرافة اخرى ، لان الضوء له سرعة ، وهى سرعة ثابتة بصرف النظر عن مصدرها ، وهو فى ذلك يختلف عن كل شيء آخر يتحرك ، فانت اذا القيت بحجر من نافذة القطار ، فانه سيترك القطار مكتسبا سرعته ، حتى لو رميته الى الوراء فانه قد يتحرك للامام بتأثير اكتسابه لسرعة القطار ، أما الضوء فايا كان مصدره ، ثابتا كان ام متحركا (وليس فى الدنيا كلها شيء ثابت ، فالثبات نسبي) فان سرعة الضوء تكون كما هى : ثلاثمائة الف كيلو متر فى الثانية .

وهكذا فاذا كنت واقفا فى مواجهة قضبان سكة حديد وهى تمتد الى يمينك وشمالك ، اذا حدث ان مصباحا أضيء فى موضعين مختلفين وانت فى منتصف المسافة بينهما ، فاذا أضيئا فى وقت واحد فسوف تراهما يلمعان فى وقت واحد ، ولكن شخصا يركب القطار ويبتعد عن أحدهما متجها نحو الثانى فان الضوء الآتى من ورائه سيتخلف قليلا عن ادراكه بينما يسبقه الى ذلك الضوء الآتى من الامام لانه يتجه اليه ، فاذا رأى المصباحين يلمعان فى وقت واحد فهذا ذنبه هو ، وهكذا فان الماضى والحاضر والمستقبل مسائل نسبية ، ومن العلماء من يعتقدون ان فى الفضاء آثارا لنجوم هى من مخلفات زمن آخر غير زماننا ، لايزال فى المستقبل بالنسبة لنا ، ولكنه ماض بالنسبة لغيرنا لانه يمضى فى اتجاه آخر ، فكما يمكن ان تنعكس الحركة ، وكما يمكن أن تبتعد عن مكان او تقترب منه ، فانه يمكن ايضا ان يمضى الزمن فى اتجاه مضاد .. ويصبح الحاضر مستقبلا والمستقبل ماضيا وهكذا ...

هل هناك شيء اسمه الجاذبية ؟

فلنعد الى القطار ... ولنفرض انه لا يتحرك بسرعة ثابتة ، بل بسرعة متزايدة ، ولنفرض هذه المرة انه مصعد يتجه الى أعلى فى الفضاء ، اذا ركبت هذا المصعد فسوف تحس نتيجة تزايد سرعته أنك منجذب الى أسفل ، وهذا فى الواقع هو الاحساس الذى ينتابك للحظة خاطفة عندما يبدأ مصعد يتحرك بك الى أعلى



والقمر .. له جاذبية، اذا كان وجها جميلا .. اما قمر السماء فانه لا يجذب احدا ، انه يجعل الفضاء يتلوى !.

وهى لحظة تزايد سرعته ، ولو انه استمر تتزايد سرعته لا ستشعر معك الاحساس بأن قوة تجذبك الى أسفل وان وزنك قد ازداد .. والآن ، لو أن شيئا دخل من فتحة فى المصعد وليكن شعاع ضوء ، فان هذا الشىء اذا خرج من الناحية الاخرى سيخرج من فتحة أسفل تلك التى دخل منها لان المصعد سيكون قد تحرك الى أعلى ، وهكذا ، يخيل اليك ان شعاع الضوء هذا قد تأثر بالجاذبية هو ايضا ... والحقيقة انه لا جاذبية ولا اغراء ... المسألة هى الحركة غير المنتظمة ، وهذا سر من أسرار الكون لم يظهر الا مع النظرية العامة للنسبية ...

نعود الآن للفضاء ... هل هو مستقيم ؟ أبدا ... ان الفضاء الذى نعيش فيه يمكن ان يلتوى ويتبعج وتحدث فيه ثقوب ، تماما كما لو كان لوحا من خشب « الابلاكاش » ...

ولنتخيل لوحا رقيقا من المطاط كالذى يستخدم فى الالعاب البهلوانية ، وهو مشدود فى وضع أفقى ، ومنبسط تماما، اذا دحرجنا كرة عليه فانها تستمر فى حركة مستقيمة على خط افقى ...

اما اذا وضعنا فى وسط اللوح المستوى جسما ثقيلا فانه سيهبط الى اسفل جاذبا معه جزءا من اللوح بحيث يتكون منخفض فى الوسط ويصبح اللوح كله مقوسا بدرجة تخف كلما اتجهنا الى الاطراف .

اذا دحرجنا الآن كرة فانها لا يمكن ان تسير فى خط مستقيم ، سوف تنحدر تدريجيا الى ان تسقط فوق الجسم الثقيل ... لان هذا « المكان » ، هذا الفراغ الثنائى الابعاد ، قد التوى بتأثير الجسم الذى وضع فيه ، هذا هو ما يحدث فى الفراغ ثلاثى الابعاد ايضا، كل هذه الاجسام السماوية ، الشمس والقمر والنجوم ، وكل كمية كبيرة من المادة ، تحدث حولها التواء فى الفضاء ، يجعل الاجسام الاخرى تنحدر او تحاول ان تنحدر اليها ... هذا هو سر الجاذبية ... اعرفتم انكم ما اوتيتم من العلم الا قليلا ؟!

الأديان غير السماوية

● مصطفى الشهابي ●

لاحظنا أن الكثيرين من القراء والشباب خاصة ليست لديهم فكرة عن الاديان غير السماوية ، فاذا سئل احدهم عن البوذية مثلا او الهندوكية ، لم يجد لها في ذهنه أي صورة ، فراينا أن نقدم هذه العجالة عن تلك الاديان ، لكي يتجلى عن طريق ذلك ، فضل الاديان السماوية والاسلام أولها ...

● عرفت الاديان منذ بدأ الانسان يكون المجتمعات ، ويرى اغلب الباحثين أن خوف الانسان من القوى المجهولة ، هو الذي دفعه الى ابتكار آلهة يتقرب اليها لدفع شر تلك القوى ، وطبيعي ان الطقوس الدينية كانت يومئذ بسيطة وساذجة ..

وبمرور الايام نشأت ديانات ، دعا اليها وعمل على نشرها بعض الحكماء والفلاسفة ولقيت اقبالا في بعض الجهات التي ظهرت بها ، ولا تزال آثار بعضها موجودة حتى اليوم .

ومن هذه الاديان القديمة مايعتبره معتنقوه دينا قوميا يخصهم وحدهم ، وهو مايسميه علماء الاديان « دينا مقفلا » أي محصورا في بيئة خاصة ، لايدعى اليه الآخرون

وتختلف هذه الاديان اختلافا جوهريا عن الاديان السماوية المعروفة، والغالبية العظمى من اتباعها يقيمون في القارة الاسيوية ، وقد يوجد بعضهم خارج تلك القارة ، لضرورة كسب العيش وظروف الحياة .

وأهم هذه الاديان هي : البرهمية ، والبوذية ، والكنفوشية ، والشنتوية ، ثم المجوسية .

وهناك اديان أخرى انبثقت عن الاديان السابقة كالطاوية ، واليزيدية والمانوية ، والمزدكية ... الخ - غير ان اتباع أغلبها لايتجاوز عددهم الآلاف .

● البرهمية ...

البرهمية أو الهندوكية أو الهندوسية هي أقدم اديان الهند ، ويدين بها اليوم نحو ٨٠٪ من مجموع سكانها البالغ عددهم أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة ، وهي تنسب للاله « برهما » وهو عند الهنود البرهميين



البوذية نظام فلسفى اخلاقى ، وهذا تمثال بوذا المؤسس لتلك الديانة .

اله موجود بذاته ، يستمد منه كل شيء وجوده ، لا يحـــدث شيء في العالم الا باذنه وارادته ، وهو مسبب الحياة والموت لكل كائن . ولا ترجع البرهمية الى كتاب واحد ، ولكنها نشأت ونمت على مر الاعوام، كما انها استندت في تعاليمها وقواعدها الى عدد كبير من الكتب التي جمعت فلسفة الحكماء القدامى وأفكارهم وتعاليمهم .

واقدم الكتب التى ضمت المبادىء البرهمية وفلسفتها وتعاليمهـا هو كتاب ((الفيدا)) وهى كلمة تعنى العلم او العرفان المقدس .

ويذهب البراهمة الى أن هذا الكتاب نزل به الالهام على جماعة اختارتهم الالهة دون غيرهم ، وأن هذه الجماعة المختارة قامت بنشره كاناشيد يتغنى بها الكهنة للناس ، وذلك منذ اكثر من الف عام قبل مـولد **المسيح ، عليه السلام .**

وظل الفيدا ينتقل من جيل لآخر بالتواتر شفاها نحو خمسة قرون ثم سجل في كتب ثلاثة ، اضيف اليها رابع يتضمن الاحجبة والتعاويذ .

والديانة البرهمية تذهب الى ان جميع الكائنات ، التى صدرت عن الموجود الاول ، متغيرة متناسخة وانها تعود في النهاية الى خالقها ، ويشبهونها بقطرات من الماء العذب تصبها الانهار في البحار ثم تصعد بخاراً في الســماء وتنتقل من جهة الى جهة اخرى ، وقد تتناسخ فتتحول الى قطع من البرد او الثلج ثم تسقط مطرا على قمم الجبال ثم تنحـدر الى الانهار ، وبذلك ترجع الى مصدرها الاول .

وتدعو البرهمية الى الفناء في الخالق وذلك باهمال مطـالب الجسم لتصفو الروح التى هى قبس من الخالق ، والى الاعراض عن متـــع الحياة والاكثار من الصوم والتوبة والندم على ما اقترف من المعـاصى والآثام .

وبعد ان كانت البرهمية في الاصل ديانة توحيد الى حد كبير ، تغيرت بمرور الايام وحلت محلها عقيدة تثليث . لقد زعم كبار الكهنة ان الاله ((برهما)) كان في البداية يقيم في فضاء لا نهاية له ، ثم خلق العالم وسمى نفسه الخالق . ثم انبثق منه ((سيفا)) الاله المدمر الذى يحطم ويخرب كل شيء .

ولما كان وجود ((سيفا)) سيعمل على فناء كل ما بالارض والسماء ، لذلك انبثق من ((برهما)) اله ثالث هو ((فيشنو)) ليحافظ على الكون ويجدد ما يدمره ((سيفا)) .

واهم ماتتميز به البرهمية هو تقسيم المجتمع الى طبقات وذلك - فى رايهم - يرجع الى ان كل طبقة من طبقات المجتمع انما خلقت من عضو معين من اعضاء « برهما » وهى تتفاضل بحسب العضو الذى خلقت منه . فالبرهميون خلقوا من فم « برهما » و « الكشتريون » من ذراعه « والفيساليون » من فخذه « والسودراليون » من قدمه والاخيرون هم من يعرفون باسم « المنبوذين » .

ولذلك قسم البراهمة الوظائف الانسانية بين هذه الطبقات فالبرهميون ارقاها ، يتولون الوظائف الدينية ويعلمون الناس « الفيدا » اما « الكشتريون » فلهم الوظائف الحربية ومهمة المحافظة على الامن ، وأما « الفيسائيون » فيقومون بالتجارة والزراعة وتربية المواشى والاغنام ويبقى « المنبوذون » الذين قضى عليهم أن يكونوا خدما للطبقات الثلاث السابقة ، ولا يقتصر سوء حظهم على ذلك فقط ، بل هم معتبرون انجاسا لايصح لمسهم او مؤاكلتهم أو مصاهرتهم .

والطبقات فى البرهمية وراثية ، فلا يصح لفرد من طبقة ما ان ينتسب الى طبقة اخرى ، فضلا عن مزاولته مهنة غير التي تخصصت لها طبقته .

● الجينية ...

وهى مقتبسة عن البوذية بعد ان ادخلت عليها بعض التعديلات ، ومؤسسها هو « ماهافيرا » الذى كان معاصرا لبوذا ، وتنص تعاليمهاعلى أن الخلاص يكمن فى الافكار والاعمال الصالحة ، وتنص كذلك على أن جميع الكائنات الحية لها ارواح وان ايذاءها يعد خطيئة .

ويبلغ عدد اتباعها نحو ثلاثة ملايين يعيش اغلبهم فى كبرى المدن الهندية .

● السيخية ...

وعن البرهمية أيضا تفرعت السيخية ، وقد اسسها « جورو » اى المعلم « ناناك » الذى ولد فى البنجاب سنة ١٤٦٩ ، وقد واجه مقاومة شديدة من البراهمة ، ولكنه استطاع أن يصمد واخذ يبشر بمبادىء : « العبادة الصادقة والحياة العملية . »

وقد اهتمت هذه الطائفة بالتربية الحربية ، ولذلك نجد للغالبية العظمى من السيخ علامات مميزة كتقلد الخناجر والشعور الطويلة . واكل اللحوم مباح عندهم ، اما المكيفات والتبغ فهى محرمة تحريما باتا ويبلغ عدد السيخ فى الهند نحو خمسة ملايين .

● البوذية ...

البوذية نظام فلسفى اخلاقى دينى ، وكلمة بوذا هى الاسم الدينى لمؤسس تلك الديانة ومعناه باللغة السنسكريتية العالم الذى حصل على « البوذة » اى العلم الكامل او الوعى التام ومن ثم فكلمه بوذا ليست

اسم علم ، بل هي صفة ولذلك وجب أن يقال « البوذا » باستعمال اداة التعريف .

ومؤسس البوذية « سدهاتاجوتاما » ، كان ابنا لاحد زعماء القبائل الهندية في مملكة نيبال ، وقد ولد حوالي عام ٥٦٠ ق . م وعاش عيشة ترف وتزوج في التاسعة عشرة ، ولما بلغ التاسعة والعشرين هجر منزله وزوجته ، ولجأ الى الغابات ليبحث عن حقيقة الحياة وسرها وهل من المستطاع التغلب على آلامها ؟

وفي طريقه لقي احد المتسولين فبادله بملابسه الثمينة اسماله البالية، والتقى بعد ذلك ببعض الرهبان الهندوكيين الذين لقنوه التعاليم الهندوكية التي تقوم على أن تعذيب الجسد بالجوع والالام يؤدي الى سمو الروح وخلاصها . واسرف « جوتاما » في تعذيبه لنفسه مما لفت اليه انظار بعض النساك فالتفوا حوله .

وظل كذلك نحو سبع سنوات ، أدرك في نهايتها أن تعذيب الجسد زاد حياته اضطرابا وقلقا ، ومن ثم قرر أن يضع لذلك التعذيب حدا ، وطلب من أتباعه أن يأتوه بالطعام والشراب ، مما دعا أغلبهم للانفضاض من حوله .

ولم يأبه « جوتاما » لذلك وقرر العودة الى مسقط راسه ، وبينما هو في طريقه جلس يرتاح تحت شجرة ، واذا به يغفو قليلا ويسمع صوتا يناديه بأن « في الكون حقا وحقا لا ريب فيه ، وأن عليه ان يجاهد حتى يناله » وبذلك حلت فيه روح « البوذا » وادرك سر الآلام التي يتكبدها البشر وأسبابها وطرق علاجها ، ولهذا اخذ ينشر تلك الحقائق بين الناس ، واجتمع حوله عدد كبير من الشبان ، لقنهم تعاليمه ومبادئه وطلب اليهم نشرها ، فكانوا خير دعاة له .

وظل « بوذا » يدعو لديانته خمسا واربعين سنة ومات نحو عام ٤٨٣ ق . م .

والاسس التي تقوم عليها البوذية هي :

١ ــ الالم من لوازم الوجود .

٢ ــ الالم سببه شهوات الانسان المادية والمعنوية ، ومنها شهوة اللذات والسلطة ، وهذه وغيرها نار تحرق صاحبها ، وكلما تحققت منها شهوة ، ولدت شهوة جديدة .

٣ ــ ايقاف الالم يكون عن طريق الخلاص من الشهوات .

٤ ــ أما كيفية منع الالم فيكون بكبح جميع الشهوات واتباع الحق وعدم اضمار الحقد أو الحسد أو الكراهية للغير .

وفي كاندي عاصمة سري لانكا « سيلان » معبد « سن بوذا المقدسة» الذي يعتقد البوذيون انه دفن فيه قبلي جسمه ولم يبق منه الا سن واحدة اقيم حولها المعبد ، وهي موضوعة في صندوق من الذهب ، اقيم عليه تمثال كبير من الذهب الخالص .

وفي اغسطس من كل عام تحمل السن المقدسة على هودج من حرير تغطيه قبة من ذهب ، يحمله فيل يبالغون في تزيينه ، ويتبعه قطيع مكون من ٦٢ فيلا اخرى ، وتفرش لها السجاجيد في الطريق لكيلا يدنس وحل الطريق طهارة حملها المقدس ، وبعد أن يطوف موكب الفيلة حول المدينة يعود الى المعبد ، وسط الحجاج الركع السجود المصطفين على

بجانب الطريق وقد انهمرت دموعهم !

وجدير بالذكر أن البوذية التي نشأت وانتشرت في الهند ، كادت تختفي من تلك البلاد اذ لم يعد أتباعها يزيدون على ربع مليون بوذي ، عكس الدول الاخرى التي انتشرت فيها البوذية كسيلان وبورما والتبت وآسيا الوسطى والهند الصينية ، ففي هذه المناطق تكاد تكون البوذية الدين الرئيسي .

● الكنفوشية ...

وهي تنسب الى الحكيم الصيني كنفوشيوس « ٥٥١ – ٤٧٩ ق.م» الذي نشأ في اسرة كريمة ثم اشتغل بالتدريس في بدء حياته العملية ، كما فعل افلاطون ، واهتم بتلقين النشء الاخلاق الحميدة ومبادىء الحكومة الرشيدة ، ولكنه لم يلبث طويلا في القيام بتلك المهمة اذ اخذ يدرس الفلسفة واستبدل بأطفاله حواريين لقنهم الفلسفة بلا مقابل ومن ثم بدأ يشتهر فعين قاضيا ، ولكنه لكثرة حساده ترك القضاء وحاول الاشتغال بالسياسة باسداء النصائح للحكام ولكنه وجد معارضة شديدة مما دفعه الى العودة الى نشر الفلسفة ، وجمع حوله عددا كبيرا من الشبان الذين نشروا آراءه ومبادئه .

ولم يكتب كنفوشيوس شيئا بنفسه ولكن تلاميذه اثبتوا كل ماأملاه او سمعوه منه .

ومن أبرز المبادىء الكنفوشية الاخلاقية ، المحافظة على العلاقة الطيبة بين الافراد وتوثيق الروابط بين الاسر وحسن التعامل بين الرئيس والمرءوس ، والدعوة الى تهذيب النفوس وتطهير القلوب ، وتوسيع كل فرد لدائرة معارفه .

وتناول كنفوشيوس في مبادئه الاتجاهات الرئيسية التي يجب أن يراعيها من يقوم بحكم اية دولة .

وفي العام التاسع والستين من عمره عاد الى مسقط راسه ، فوجد من الجميع ترحابا ، وهنا اخذ القوم على اختلاف منازلهم يتوافدون عليه يسالونه الرأي والنصيحة ، ولكنه كان تواقا لان يعتزل الدنيا ، اذ احس بالمنية تدنو ، ولذلك عكف على جمع الشعر الصيني القديم وعلى اصلاح الموسيقى التي كانت تعزف في الحفلات العامة ، كما ألف سجلا لامجاد تاريخ بلاده .

ولما قضى كنفوشيوس بالغ تلاميذه في تمجيده ولقي بعد موته من ذيوع الصيت ماجعل الاباطرة والحكام الصينيين يقيمون المعابد باسمه ويامرون بتقديم القرابين تكريما لذكراه اربع مرات في العام ، وخلعوا عليه لقب « المظيم القداسة » ونسوا وصيته التي قال فيها : « كل مايجوز أن القب او اوصف به ، هو انني تلميذ لهم ، ومعلم لا يكل ، هذا حسبي .. ولا شيء اكثر » .

● **الشنتوية ...**

وهى الدين الاصلى القديم لليابانيين ويقوم على تمجيد الاجداد ؛ وذلك لانه من الملايين التى تتكون منها الآلهة الشنتوية تنحدر الاسر العظيمة واعظمها الهة الشمس التى تسلسلت منها الاسرة الامبراطورية الحاكمة ؛ ولهذا يمجد اليابانيون امبراطورهم وافراد اسرته بصفة خاصة .

ويعتقد الشنتويون ان الشخص اذا مات بقيت روحه فى العالم الارضى ، تأكل وتشرب وتتمتع بما كانت تتمتع به من ملذات الحياة دون ان يراها احد ولذلك اقاموا لهم الاضرحة ، وجروا على ان يضعوا امامها احب الاشياء للاجداد فى حياتهم .

وللشنتوية نحو ٨٠٠٠٠ معبد فى اليابان ، اهمها واكبرها معبد « يازوكونى » فوق احد التلال المحيطة بطوكيو ويزوره اليابانيون بالملايين ، حيث يقيمون حفلات تكريم لارواح الشهداء فى الحروب .

وفى اغلب هذه المعابد يوجد حصان ابيض ليركبه الاله الذى أنشىء باسمه المعبد ، وهذه الاحصنة لا يجوز لاحد ، كائنا من كان ؛ ان يركبها. والشنتوية اليوم هى الدين الثانى لليابانيين بعد البوذية .

● **المجوسية ...**

وهى تطلق على اتباع الزرادشتية التى أسسها زرادشت حوالى القرن السابع قبل الميلاد وكان اول ظهور لها فى بلخ « بافغانستان » ومنها انتشرت الى جميع أنحاء فارس « ايران » .

وجوهر مبادىء المجوسية هو أن العالم يتنازعه مبدآن متناقضان هما الخير ، الذى يمثله اله النور ويسمى « أهورامزدا » ، والشر ، ويمثله اله الظلمة ويسمى « أهرمان » .

وعن الاول تفيض الحياة الطيبة وكل مافى الوجود من خير ونور ونعم ؛ وعن الثانى تصدر الآفات والامراض وكل ماينزل بالانسان من شر وبلاء . والاثنان فى حرب مستمرة ، يتنازعان الانسان ويحاول كل منهما أن تكون له الغلبة . ولكن الغلبة فى النهاية تكون للاول .

وكتاب المجوسية المقدس يسمى « الزند افيستا » .

ويؤمن المجوس بالبعث والحساب ، كما يؤمنون بظهور مخلص يولد من عذراء وينصر أعوان الخير وبذلك يسود السلام وتعم البركة .

وقد سادت المجوسية بلاد الفرس حتى انتصر الاسكندر الاكبر عليهم سنة ٣٣١ ق . م فانحط شأنها الى حد ما وظلت حتى فتح المسلمون فارس ففر بعض أتباعها الى الهند حيث لا تزال طائفة « البارسيين » .

والمجوس يعبدون النار ويوقدونها فى المعابد وهم لا يدفنون موتاهم وانما يضعونهم فى ابراج لتلتهمها الطيور الجارحة وما تبقى من عظام يجمع ويلقى فى بئر تتوسط تلك الابراج .

ولله فى خلقه شئون .

على هامش لغتنا الجميلة

لابد من مواجهة قومية

● فاروق شوشة ●

تتطلب المواجهة القومية لمشكلات لغتنا الجميلة ضرورة وضع خطة شاملة تنتظم البيت والمدرسة والجامعة واجهزة الاتصال بالجماهير – من صحافة واذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما – كما تنتظم ساحات العمل الرسمي ومواقعه في الدولة – داخل أجهزتها ومؤسساتها ودواوينها – بحيث يكون الوعي بهذه الخطة والعمل بها واحكام دورتها ومسارها، شاملا وفعالا.

واعتبار البيت نقطة البداية في هذه الخطة، يتطلب مخاطبة أجياله من خلال صيغة جديدة تضع في اعتبارها التأثير المتبادل بين المتعلم وغير المتعلم في اطار حوار الاجيال، والتوجه الى النشء المتعلم للغته القومية وهو لا يزال في مرحلة الطفولة، والمتعلم لهذه اللغة شابا أو كهلا او شيخا، بحيث لا يكون هناك قصور في الوصول الى العنصر الانساني كله – وهو جوهر العملية التعليمية – ويتحقق النفاذ الى انسان الحاضر والمستقبل في وقت واحد، ومن خلال جهد دائب ومتصل. خاصة وان المناهج والخطوات الراهنة تفصل ما بين هذه الاجيال في ممارستها لتعلم اللغة العربية من ناحية، ثم هي لا تراعي التأثير المتبادل – سلبا وايجابا – مما يؤدي في النهاية الى قدر من التشتت والتمزق في عناصر الموقف التعليمي من ناحية أخرى. ومن هنا ينتظم تعليم الصغار وتعليم الكبار خطة قومية واحدة مدركة لحقيقة مسئولياتها والوشائج الوثيقة بين عناصرها، ومستشرفة – من وعي وبصيرة – حقيقة النتائج المرتقبة وطبيعتها. فاذا ما اتصل الامر بالمدرسة، كشف الموقف التعليمي للغة العربية عن عناصر شتى، تنتظمها الرؤية الشاملة، منها ما يتصل بالمنهج ذاته، وطبيعة اللغة المستهدفة فيه، والهدف الواضح من تعليم هذه اللغة، ومنها ما يتصل بالكتاب المدرسي واسلوب تأليفه ووفائه بالاهداف المرجوة، ومنها ما يتصل بالمدرس القائم على التنفيذ، ومنها ما يتصل بمناخ الحياة المدرسية وانشطتها، فضلا عن طرق التدريس واساليب التربية، ومدى ملاءمة ذلك كله لاهداف الخطة.

ونكتفي – في هذا المجال بعرض بعض النقاط عرضا موجزا، وان كانت له دلالته على سائر زوايا الموضوع.

فبالرغم من المحاولات الدائبة والمستمرة – خلال عصرنا الحديث –

من اجل اكتشاف صيغة حية ومتطورة يمكن بواسطتها تعليم نحو اللغة العربية وصرفها بطريقة اكثر جدوى بدءا بابراهيم مصطفى صاحب نظرية احياء النحو وانتهاء بالدكتور محمد كامل حسين صاحب نظرية النحو المعقول في دعوته للعربية المعاصرة — وخلالها كانت محاولات المؤلفين الداعين الى النحو الوافي والواضح والميسر والمصفى ، بالرغم من ذلك فان شكوى المتعلمين من دروس النحو العربي وعدم قدرتهم على النفاذ الى اسرار منطقه ، وبعدهم الشديد عن ممارسة قدر من السليقة اللغوية التي تحكمها ضوابط علم النحو وحدوده ، مما جعل النظرة الى درس النحو او حصة « القواعد » تتسم دائما بالجهامة والغلظة ، والمبالغة في مشاعر العداوة والنفور حينا والميل الى السخرية والتهكم والاحساس باللاجدوى حينا آخر .

***

ولقد حاولت النظريات الحديثة في التربية — من خلال مناهجها المستحدثة في طرق التدريس — ان تربط بين تعليم قواعد اللغة العربية وغيرها من فروع تعليم اللغة ، بحيث تصبح ممارسة هذا العلم دائبة في اطار دروس الادب والقراءة ومعتمدة على النص الادبي اكثر من اعتمادها على استذكار القاعدة النحوية ، الا ان ذلك كله لم يجد بالقدر المأمول ، ولا تزال المشكلة قائمة ، والشكوى عامة والمأساة فادحة .

وياتي درس الادب — في صورته الراهنة وعلى ما هو عليه طيلة احقاب طويلة — محققا لنظرية الهرم المقلوب . فمنطق واضعي مناهجنا التعليمية يقضي بان يبدا تلميذ المرحلتين الاعدادية والثانوية تعرفه على ما يسمى بالادب العربي متمثلا في ادب العصر الجاهلي . وبالاضافة الى اصطدام هذا التلميذ — من خلال ادب ذلك العصر — بالكلمات الحوشية والتعابير الوعرة والالفاظ المهجورة ، والصور الشعرية البعيدة عن عالمه ومتناول ادراكه ، وقدرته على التمثل ، فان المشكلة الرئيسية هنا هي في ضرورة استيعاب الظروف الحضارية والتاريخية والنفسية التي تشكل الخلفية الضرورية للعصر الجاهلي ، والتي بدونها ينعدم الفهم بله التذوق لنصوص ذلك **العصر من نثر وشعر ، ويصبح البناء اللغوى للشعر الجاهلي منفصلاً عن روحه وجوهره** ودلالاته .

والمنطق السليم ، والبسيط ، يقضي بأن يبدا الدارس تعرفه على ادب امته من اللحظة الحاضرة ، من حاضر هذا الأدب ، المتمثل في ادب المقالة التي تمتلىء بها الصحف اليومية والاسبوعية ، والقصيدة والقصة القصيرة والرواية والمسرحية التي يطالعها في مجلة او كتاب ، او يستمع اليها او يشاهدها من خلال الاذاعة او التليفزيون : فيبدا الدارس تعرفه على معنى الأدب وفنونه ومحتواه من خلال ما يموج به المجتمع حوله من فنون قولية تصله عبر قنوات الاتصال ، ويقرؤها ويتجاوب معها دون مشقة او اعنات .

ومن منطلق العصر والمعاصرة يمكن الانتقال بالدارس الى ماضي هذا الحاضر الادبي ، والى جذوره البعيدة والضاربة في اعماق التاريخ ، وهو يبدا رحلته مع تراث امته العظيم .

فالبدء بالحاضر اذن شيء اساسي وجوهري وهام . ليس فقط كمنطلق ميسر مفهوم ، ولكن لابراز قيمة التوازن في عطاء الأمة بين ما هو تراث وما هو معاصرة ، وحتى لا يجرفنا الحماس للتراث — وهو حماس له ما يبرره موضوعيا ونفسيا وقوميا — عن تأمل ما حولنا من واقع ادبي وفني متطور ، اشد التصاقا بهمومنا واشواقنا وتطلعاتنا ..

***

ونصل الى درس البلاغة ، لنجد ما هو أفدح واشد وقعا . فما تتضمنه مناهجنا الدراسية منها لا يستطيع ان يبني ذوقا مدربا متمكنا قادرا على التعامل مع عطاء ادبنا المعاصر في شتى فنونه . فضلا عن ان الدرس البلاغي يقوم على نظرة خاطئة الى مفهوم التطور وحركة التاريخ . فهو يغرس — بوعي وبلا وعي — حقيقة ان عصور ازدهار الادب والبلاغة قائمة في الماضي وان على قافلة الادب ان تمضي وعنقها متطلع الى الوراء ، يستلهمه القدوة والنموذج والمثال ، وعندما يصبح الماضي مستقبلا ، فان معنى ذلك قفل ابواب الاجتهاد الادبي والبلاغي وخنق بذور التطور والتمرد والتجديد والوقوع في أسر التكرار والتقليد ، من خلال حفاوة هائلة بكل ما هو منسوب الى القدماء ، بالحق وبالباطل احيانا .

لن تستطيع دروس البلاغة هذه ، الغارقة في علوم البديع ، وضوابط الفصاحة والبيان ، أن تبني ذوقا ولا ان تكون حسا نقديا ، يمكنهما النفاذ الي ابداعات الحاضر الأدبي ، خاصة وأنها تعنى في جوهرها بالجزئيات اكثر من عنايتها بالادراك الكلي لمعنى الابداع ، وقوانين العمل الأدبي في مجموعه ، وغاية الجهد أن تقف عند اللفظة والعبارة والتركيب ، وانواع الاستعارة والتشبيه ، وقيمة الجناس والطباق والتورية ، اين منها الدعوة الى علم جديد للاسلوب ، ومعايير جديدة للنقد الأدبي المتوجه الى فنون القصة والرواية والمسرحية والقصيدة بحثا عن حقيقة التجربة ومعنى الصدق والعلاقة بين الشكل والمضمون وحقيقة الصورة الأدبية ونظرية المعنى والعلاقة بين الأدب والمجتمع أو الفن والحياة بصفة عامة ، فضلا عن الفهم الجديد لأدبنا العربي في اطار النظرة المقارنة بينه وبين الآداب القومية والعالمية .

وتملك أجهزة الاتصال بالجماهير — خاصة الاذاعة والتليفزيون — بما أتيح لها من نفاذ وسعة انتشاره وعمق تأثير ، ان تحكم دائرة الصواب اللغوي والصحة اللغوية ، لو وضعت هذه الأجهزة في اطارها الصحيح من هذه الخطة القومية المنشودة . والذي لاشك فيه ان هذه الساعات الطويلة من الارسال اليومي — بكل ما تمثله من مواد اخبارية وترفيهية وثقافية ودرامية ومنوعة — اذا ما توفرت لها السلامة والدقة والصف مقدموها بما ينبغي للمواطن السوي من حسن الادارك والتمثل للغته القومية ، فان التأثير الهائل المرتقب يفوق في نتائجه بكثير جهد كل من البيت والمدرسة في هذا المجال . فما بالنا لو اتسعت الدائرة لتشمل جزءا من نشاط فني المسرح والسينما — الشعبيين بطبيعتهما — واقول « جزءا » ولا اقول كل أو معظم ، تمشيا مع المنطق الطبيعي للاشياء وادراكا لأهمية العامية وحتميتها كلغة تعبير عبر هذين المجالين في كثير من الأعمال الفنية المستهدفة ، لكن من شأن الخطة القومية ان تزيد من نسبة الفصيح بين الكم الهائل الذي تقذف به صناعة السينما ويموج به النشاط المسرحي ، وقبلهما الدراما الاذاعية والتليفزيونية — وهي في التحليل الأخير لكل استطلاعات الراي الخاصة بالاذاعة

والتليفزيون – المادة الاولى المفضلة لدى المستمع والمشاهد ، والاكثر نفاذا الى عقله ووجدانه والأشد تأثيرا فى سلوكه اليومى وفى تكوين اتجاهاته وتعديلها أيضا .

***

ولقد بدات اذاعة « صوت العرب » فى الآونة الأخيرة خطة قومية لتفصيح برامجها ، والالتزام بالعربية الفصحى ما امكن ذلك ، خاصة فى برامجها الثقافية والدرامية والمنوعة ، بالاضافة الى سابق التزامها ازاء البرامج الاخبارية والسياسية ، وهو جهد يستحق الاشادة والتنويه ، بالرغم من انه – بالنسبة لاذاعة صوت العرب – يبدو امرا طبيعيا واساسيا ، وكان ينبغى الالتفات اليه منذ اللحظة الأولى لميلادها على الهواء . ويبقى ان تصحو بقية اذاعاتنا ، التى تغرق الآن فى فيض من طوفان الدردشة بالعامية ، داخل اطارات الوان شتى من البرامج ولا أستثنى منها اذاعة كالبرنامج الثانى – يفترض فيها الجدية والالتزام بالفصحى حيث انها تخاطب الصفوة من المستمعين – فقد وقعت فيما وقع فيه غيرها ، مما دفع البعض الى تسجيل ظاهرة « اللغة الخنثى » فى البرنامج الثانى ، والتى يصفها بانها ليست فصحى ولا عامية .

وربما كان التطبيق السليم لفكرة المستويات فى لغتنا العربية المعاصرة ، يمثل طوق النجاة بالنسبة لاذاعاتنا الآن ، اذا ما أخذت بفكرة الالتزام بالمستوى العصرى من اللغة الفصحى فيما يستوجبه الموقف الاذاعى ، وبمستوى عامية المثقفين – وهو قريب جدا من الفصحى العصرية المنطوقة – فى برامجها الحوارية ، مما يؤدى الى رفع مستوى الاداء الاذاعى اللغوى ، ويرتفع بالمستمع فى الوقت نفسه الى حيث ينبغى دائما ان يكون .

ولا شك ان الهدف الواضح الصريح من هذه الخطة القومية ، التى نطالب بها وندعو اليها ، هو الوصول بالمواطن الى حالة الاتزان بين لغة يفكر بها ، ولغة يتكلم بها ، ولغة يضطر الى الكتابة بها ، ولن يتحقق القضاء على هذه الفوضى اللغوية بكل ظواهرها المربكة نفسيا واجتماعيا وثقافيا ، الا من خلال العمل الجاد الدءوب بهدف التوصل الى نمط المواطن الصحيح الذى هو التجسيد الحى للغة أمته . واذا كان القول الشائع بأن العيب فينا نحن وليس فى لغتنا صحيحا تماما ، وبقدر سلامتنا نحن وعصريتنا نحن تتحقق سلامة اللغة وعصريتها ، فان علينا أن نتجه الى هذا الانسان – خاصة فى فترات تكوينه الأولى – بكل ما يمكنه من ضبط واجادة مفاتيح هذه الآلة اللغوية ، والسيطرة عليها من خلال مهاراته المكتسبة ، تمهيدا لانطلاقه المتجدد واضافته الثرية – الى التراث المتراكم .

ذلك أن الانسان العصرى المتسم بالرؤية العلمية ، والتكوين الثقافى الصحيح ، هو القادر على ابداع لغته الحية المتطورة ، القادرة على استيعاب منجزات العلم والحضارة ، ومواجهة كل تحديات العصر ، فمن خلال ازدهار العلم والعلماء توجد لغة العلم ، ومن خلال ابداعات الاديب والمفكر والفنان توجد لغة الفكر والفن والحياة . ●

الإسلام والحياة المعاصرة

الثقافة من أجل المسلم المعاصر

● د. محمد كمال جعفر ●

● رأينا في المقال السابق « هلال يناير ١٩٧٩ » ، كيف هيأ الاسلام – ممثلا في كتابه الكريم وهدى نبيه العظيم – كل سبيل لاطلاق الطاقات والكفايات الانسانية لما فيه الخير والتقدم والصلاح ، ورأينا انه لا توجد مواطن محظورة ، او كفايات محجورة ، او افكار ممنوعة مادام الوصول الى الحق هو الغاية النهائية التى يسعى اليها الانسان . ولا يقبل الاسلام ان يحيا الفرد على الشك بدءا ونهاية ، او وسيلة وغاية ، لانه يوقن ان الشاك المدمن للشك من اجل الشك نفسه ، تضطرب حياته ، وتتوزع نفسه ، حتى تشلها ثلوج التردد ، ويخيم عليها ظلام القلق الضال ، وتهوى بها الحيرة فى مكان سحيق .

لقد وضح ان الاسلام يربط دائما بين المعرفة أو العلم او الثقافة والنتائج المترتبة عليها من حيث الصلاح او الفساد ، أو النفع والضرر ، ومن المعروف أن مستويات النفع والضرر ، او الصلاح والفساد انما تختلف باختلاف الميادين او الزوايا التى تتعلق بها المعرفة او الثقافة .

وخلاصة ذلك أن الاسلام يرى تكامل العلم والعمل وتبادلهما النمو والازدهار واذا ادينا ذلك باسلوب العصر قلنا : ان المعرفة والممارسة تشكلان حصيلة الخبرة الضرورية لنمو الثقافة والحضارة وهذا مايؤيد النظرة القائلة بأن الدين كان أسبق من العلم الحديث فى استخدام التجربة بمعناها الشمولى ومنها المعنى الانسانى Experience لا بمعناها العملى المقيد Experiment وهذا الموقف الاسلامى الملتزم بتكافؤ المعرفة والتطبيق وتأسيس التقييم على هذه الركيزة القوية يفوق فى الدقة والسعة كثيرا من مواقف المذاهب الوضعية الاخرى كالبرجماتية مثلا لان الممارسة فى الاسلام تستضىء دائما بالفكرة الموثقة ، وتحل كثيرا من المشكلات الاخلاقية على خير وجه بمبدأ الاسوة الحسنة وهو افضل المبادىء وانجعها فى هذا السبيل .

ولا يشك عاقل فى اهمية الثقافة فى اعداد المسلم المعاصر . ويتقدم هذا المقال خطوة جديدة يحاول فيها ان يرسم اطار هذه الثقافة من حيث المدى ، وان يقترح العناصر اللازمة لتركيبها من حيث التكوين ، وان يتخيل آثارها العملية من حيث المستقبل .

ومادمنا بصدد تثقيف المسلم المعاصر فلابد ان تكفل لزاده الثقافى الاصالة والتميز من جهة ، والمعاصرة ومواكبة الحياة من جهة اخرى . ولا يتم ذلك الا بالانبثاق الواعى من الاسلام ، فهذا الانبثاق يقدم الضمانات الموضوعية لتحقيق الأصالة وتثبيتها ، ويتيح الفرصة فى الوقت ذاته لانماط عديدة من صور التجديد لمواكبة الحياة .

ان الروح الاسلامية المستوحاة من القرآن والسنة علمت الخلص من المتصدرين لصنع الثقافة فى العالم الاسلامى حقيقتين هامتين ، هما فى نظرنا موضع اعتزاز كل منصف نزيه :

● ان الاسلام يرى تكامل العلم والعمل وتبادلهما النمو والازدهار واذا أدينا ذلك بأسلوب العصر قلنا: إن المعرفة والممارسة تشكلان حصيلة الخبرة الضرورية لنمو الثقافة والحضارة ، وهذا ما يؤيد النظرة القائلة بأن الدين كان أسبق من العلم الحديث فى استخدام التجربة بمعناها الشمولى ومفهوما الحقى الإنسانى لا بمعناها العملى المقيد

الحقيقة الاولى تتعلق بالتمييز بين ضربين من الاعداد الثقافى :

الاعداد والاتجاه الاستيعابى الافقى المستعرض الذي يسير على مبدأ « من كل بستان زهرة » . وهـذا الاتجـاه يضع فى الاعتبار ضرورة الاحاطة والالمام بخلاصة الحصيلة الثقافية والفكرية لجوانب الحضارة فى أسرع وقـت وأقرب جهد .. أما الضـرب الثانى فهو الاتجاه التخصصى المتعمـق والمستقصى لمعرفة جزئية محـددة أو موضوع بعينه ، وهذا الاتجاه يقصد الى الاجادة والاتقـان لفرع أو لآخر من فروع الثقافة المختلفة .

وأننا لنجد فى تراثنا الاسلامى نماذج لهذين الضربين ، ولكل انصـاره ومؤيدوه ، وقد استحر الجدال حول هذه الظاهرة بين الفريقين بما يشهد حقيقة بالحيوية والطاقة التى فجرها الاسـلام فى نفوس هؤلاء الاعلام . ومن رجع الى هذا التراث العريق وجـد المؤلفين المتخصصين ، ووجد المؤلفين الموسوعيين ، ووجد الى جانب هؤلاء وأولئك من يجمع بين الاتجاهين : فاذا فكر فى أن العمر قصير والمعـرفة واسعة وفروع الثقافة عديدة ، رجـع عنده الاتجاه الموسوعى فألف فى سـعة وشمول ، واذا فكر فى فرع معين مـن الثقافة واعجب به ، ألف فيه على جهة التدقيق والتعمق والتخصص .

هذا فيما يتعلق بالحقيقة الاولى التى أفادها المسلمون من الروح الاسـلامية المستوحاة من القرآن والسنة ..

الحقيقة الاخرى ــ وهى برهان فخار وكرامة للانسان ، وشاهد فضل واسع من عميم الاحسان ــ جل شأنه ــ تتعلق باستمرار التطور الفكرى . وهـذه الحقيقة يجب أن يعيها المسلم بصـورة تليق بكرامته العقلية ، لا بالصورة التى تفتعلها بعض المذاهب السطحية .

ولا يمارى احد فى ان الاديان ذاتهـا تمثل حلقات متتابعة فى هذا التطـور حتى بلوغ الانسانية رشدها بفضـل الصيغة النهائية الخاتمة لهذه الاديان : ممثلة فى الاسلام . فلا عجب اذن أن يقف الاسلام متميزا فوق مصادر الانماط الثقافية باحتوائه على خصيصة فـريدة لا يشاركه فيها دين أو مذهب فكرى .

ان هذه الخصيصة تتصل بالتنبؤ باقصى الابعاد المحتملة للتطور كما تتحمل الطاقة الذهنية للبشر ، فالواقع ان فكرة التطور فى الاسلام لا تقف عند حد هذه الحياة الموقوتة المحددة ، بل تمتـد الى الحياة الاخرى مع دوام مبـدأ الترقى وازدياد المعرفة والخبرة .

ولم اصادف فيما قرأت عن الاديان او المذاهب الانسانية نصا يدل عـلى الحاجة الى العلم او المعرفة فى الآخرة وان وظيفة التعليم والتعلم تستمر فى هذا النمط الجديد من الحياة ــ كمـا وجدت فى الاسلام ..

ودون استقصاء للشواهد والنصوص نكتفى بمثال من القرآن ، ومثـال مـن السنة . أما المثال الاول فيتمثل فيما علق به المفسرون على قوله تعالى ((لتركبن طبقا عن طبق))

واما المثال الثاني فما ورد عن احتياج اهل الجنة الى العلماء ، لان الاولين ـ حين يستوفون غاية آمالهم ، وقمة تطلعاتهم ـ تقف هممهم دون التقدم للمزيد لعدم درايتهم بما وراء ما استوفوه ، فيلجأون الى العلماء ليبصروهم بما ينبغى ان يطمحوا اليه فى خطواتهم المتقدمة .. لان هؤلاء العلماء اقرب الى ادراك ما يليق فى ضوء معرفتهم بربهم وبما يليق بكماله وجلاله .

ونريد ان نتامل هذه الفكرة فى عمق ـ والا نظن ان المسالة تتعلق بطلبات اهل الجنة وقوائم رغائبهم ـ اذ الواقع ان هذه الفكرة ترمى الى تنبيه العقل البشرى والوجدان الانسانى الى الامكانات الهائلة التى منحها الانسان ، كما ترمى الى التنويه بالمصير اللامحدود فى ترقى هذا الكائن ، وفى نفس الوقت تشير الى لا نهائية الكمال الالهى ـ الذى تسبح فى آفاقه ارقى العقول واصفى القلوب ، والذى يظل القدر الاكبر منه غيبا تتكشف بعض جوانبه تباعا مع نمو المعرفة واطراد الترقى ...

ولعلمائنا كلام طيب حول لفظ « المزيد » الذى ورد فى قوله تعالى « لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد »

تحديد الثقافة وتجديدها

ان من الاهمية بمكان تحديد مفهوم الثقافة ووصفه فى اوجز صورة حتى تتضح امامنا الصورة التى نريد ان تكون عليها الثقافة الاسلامية او بالاصح ثقافة المسلم المعاصر .

اننا نقصد بالثقافة هنا ذلك الزاد الذى يغذى الفكر والوجدان ويطوع السلوك ويعين على صنع وتفهم عناصر الحضارة . ونقصد بالتجديد ، تجديد امثلة وصور الواقع المشكل لجزء هام من الحقيقة الكبرى التى يجب ان يعيها المثقف ، هذا التجديد يرمى الى الربط بين المعارف المختلفة التى يزخر بها عصرنا ، والمشكلات التى تواجهنا والتيارات الفكرية التى تهب ريحها فتلفح وجوه شبابنا بزمهريرها احيانا ، وشواظها احيانا اخرى دون وقاية او حماية فكرية او ثقافية .

ولسنا نعنى بالوقاية والحماية هنا مجرد الحيلولة بين شبابنا وهذه التيارات ، او حجب هذه الافكار والمذاهب عنهم ، فقد علمتنا الحياة ان الافكار الممنوعة هى اكثر الافكار رواجا ، لان احب شىء الى الانسان ما منع .. ونرى فى مثل هذا المسلك لونا من الجبن والغباء المؤسف ، والجهل الفاضح بنتائج هذا المسلك الهزيل المستخذى .

اننا نعنى بالوقاية اشراب شبابنا حصيلة المعطيات المستنبطة من روحنا الدينى فى المجال الثقافى بحيث تكتسب عقلياتهم المناعة الحقيقية والحصانة الذاتية ، فلا ينطلى عليها زيف مهما احكمت حلقاته ، وتتهاوى على اعتابها المذاهب المنحرفة مهما اجيدت حبكتها .

اما الاطار الذى يحوى خلاصة الزاد الثقافى القيم فهو اطار يتسع لكل الوان المعارف العلمية والدينية والفنية بما يحقق التكوين اللائق للمسلم المعاصر .

ولكى نضع ذلك فى صورة تامة الوضوح يمكننا ان نعرج مؤقتا على انماط تصانيف العلوم التى تتخذ الملكات الانسانية اساسا لعملية التصنيف ... ان اصحاب هذه التصنيفات يختلفون زمنا وجنسية ودينا : فهناك الفرنسيون فى مطلع النهضة ـ مثل دوركايم واوجيست كونت ، وهناك الانجليز عقب النهضة ـ مثل بيكون وبرتراندرسل ، وهناك الامريكيون فى مشارف القرن العشرين مثل ديوى ، وجيمس ، وبول موى ، وهناك قبل هؤلاء واولئك المفكرون المسلمون ـ مثل الفارابى ، وابن سينا ، ومسكويه ، والغزالى ، والتهانوى ، وغيرهم كثيرون .
وتوجد تصنيفات جيدة لدى كل من علماء الاصول وعلم الكلام ، كما توجد اشارات قيمة فى هذا الصدد لدى ابن

تيمية وابن قيم الجوزية وابن خلدون.

ولا يتسع المقال لاستعراض هذه التصنيفات والمقارنة بينها واستخلاص الاساس المشترك الذى يجمع بينها باعتبارها استجابة لاحتياجات الانسان بما هو انسان . ولكننا بالرغم من ذلك قد نوهنا بما سيكون عليه الامر بشأن هذه الثقافة المقترحة وهو الاخذ بمبدأ الكفايات او الملكات الانسانية كأساس للتصنيف المعتمد ويختصر ذلك كله فيما يشبع الفكر والوجدان والسلوك ..

غير ان النظرة الموضوعية الى واقع الامر بالنسبة لشبابنا تفرض علينا ان نراعي ان يكون الزاد الثقافى المقدم لهؤلاء على مستويين يختلفان اجمالا وتفصيلا ، او اسهابا واختصارا، ولكنهما يتفقان جوهرا واصولا . وتلك حكمة تمليها التجارب ، وتحتمها طبيعة الاشياء ، اذ لا يعقل ان يكون الشباب المعاصر على مستوى وعى واحد .

ولا يظنن احد أن الالتزام بالانبثاق الاسلامى لهذا الزاد الثقافى ضمانا للاصالة قد يعنى الاتيان بنمط ثقافى يتناقض مع المنجزات العلمية المعاصرة بحكم انه اسلامى ، فالحقيقة أن هذا النمط الثقافى ينتفع بهذه المنجزات فى تأييد الانطلاق الاسلامى نفسه ، وبذلك يثبت للشباب أن العلم فى صميم جوهره حليف للدين لا عدو .

ولايضاح ذلك بالمثال نقول: انه لا داعى مطلقا لان نصدر فتاوى توقيتية حول كل مايجد فى حياتنا الحضارية مادام معنا الاساس العام والتصور الاسلامى الكامل لأبعاد التطور الانسانى كما حوته الثقافة المقترحة . ان هذه الثقافة تغرس فيما تغرس ، ان هذه الحياة ستكون معرضا لاروع صور التطور وان مبلغ ذلك كله لايتجاوز ظاهر هذه الحياة ، وان اى كشف علمى يكتسب به الدين الاسلامى دعما جديدا .

ان فهم الروح الاسلامية الصحيحة كما تشيعها هذه الثقافة يهيىء الانسجام والاتساق بين مواد المعرفة وعناصر الثقافة ، ويفضي الى خلق الشخصية الموحدة والموحدة ، والايجابية فى كل ما يعهد اليها به ، ولذلك نرى من الضرورى خلق المواءمة والاتساق بين نتائج المعرفة المختلفة داخل هذا الاطار الاسلامى الموسع ؛ ومن ثم لا تتبلبل افكار وخواطر الشباب حول نتائج المخترعات الحديثة، أوحول الانتصارات العلمية مع تصريحات العلماء انفسهم حول القضايا او المسائل الدينية .

ويجب ان يوضع فى هذا الزادالثقافى الجديد أن العناية بوجهة النظر الدينية ليست الا لتحقيق أمثل الفرص لضمان الدقة والصلاح والنفع الذاتى للمثقف . وبالطبع لا نسلك الى ذلك طريق الوعظ او الخطابة او الكتابة المنمقة وانما يسلك الطريق الملائم لطبيعة الحقل الذى تعالجه هذه الثقافة .

وقد يكون من المفيد الآن ان نشير الى اهم الجوانب التى يجب أن تمثلها الثقافة الجديدة على المستويين المشار اليهما آنفا ؛ وهذا التحديد تقريبى قابل للبسط اوالطى على النحو التالى:

اولا : **الجانب الدينى الخالص** وفيه تصنع التركيبة الثقافية التى تمزج الاحكام الدينية وعللها العقلية وآثارها النفسية ، وعلاقاتها بكل من الفكر والوجدان والسلوك ، كما تربط بالمبادىء والقيم وصورها الواقعية الممثلة فى الرواد والأعلام الذين هم موضع القدوة من الاسلاف والمعاصرين تأكيدا للفاعلية والحيوية التى يمكن أن تؤدى اليها هذه القيم والمبادىء .

وفى هذه النقطة بالذات نود ان نؤكد على ضرورة الحصافة والدقة فى اختيار الاسلوب والطريقة والنهج الذى تقدم به الثقافة الخاصة بهذا الجانب . ويجب أن يلاحظ ان هذا الجانب الدينى لا يقتضى بالضرورة أن يفسر تفسيرا عقليا صرفا ــ كما هو دأب هؤلاء الذين يتباهون بقدرتهم على احالة النظام

الديني الى نظام عقلي بحت ، وهم في ذلك مخطئون أشد الخطأ ؛ لان احالة سائر النظام الديني الى نظام عقلي صرف هو الخطوة التمهيدية الطبيعية لالغائه او النيل منه . **فطبيعة الدين تفترض أن يكون فيه بعض العناصر التي تتجاوز الحدود العقلية للانسان ، لكنها لا تتناقض مع هذه الحدود .**

ولو لم يكن الامر كذلك لأضحى النظام الديني والنظام الفلسفي شيئا واحدا قابلا للاخذ والرد ، وهذا ليس صحيحا ومن اجل ذلك دعونا الى ان تكون لدينا **فلسفة دينية** ، ورفضنا ان يكون لنا **دين فلسفي .**

وعلى هذه الاقلام التي يسيل منها الاستخفاف بالجوانب الغيبية في الدين بدعوى التحرر والتقدم العقلي ، ان تتطامن وتخشع امام محراب الحقيقة بناء على قانون العقل نفسه . ان اصحاب **هذه الاقلام قد يتظاهرون بانهم يحاولون تعقيل الدين ، واظهاره — في زعمهم — بالمظهر اللائق ، وهم في الواقع يتابعون في سذاجة اقلاما مشوهة تخطط للنيل من هذا التمكن الذي تتصف به العقيدة الاسلامية .**

وقد أطلنا الحديث في الرد على هؤلاء في بعض مقالاتنا السابقة وخلاصة ماانتهينا اليه أن الايمان بالغيب سمة من سمات الكمال البشري ، لانه انفساح للعقل والقلب وتوسيع للأفق وعلو الهمة وتتويج للاساس اليقيني الذي يركن اليه المؤمن بعد وضوح براهين الصدق الحاسمة بالنسبة لدينه والمتمثلة في اطراد صدق الداعي وأحقية الدعوة .

وقد بينا في غير هذا السياق كيف يعتمد العلماء التجريبيون المحدثون في اختراعاتهم على فروض ظلت غيبية فترة طويلة ، ثم جلاها الكشف فاضحت شهادة وقانونا ، بعد ان كانت فرضا وغيبا .

ثانيا : الجانب العلمي الخالص وهو ثاني جوانب الثقافة المقترحة ويجب ان نراعي فيه الربط بين النتائج العلمية المختلفة بحيث لا تدفع الى الشباب مبعثرة لا يضمها سمط ، لان ذلك قد يحرم الشباب من رؤية الحقيقة الكبرى التي تكمن وراء هذه النتائج، وهذه الحقيقة الكبرى هي النبع الاصيل لدينه .

وهذا الموقف الذي يؤلف بين النتائج العلمية ويضعها في نظم مترابط جذاب يختلف بالطبيعة عن موقف العالم نفسه حين يستقصي في بحوثه الجزئية الاحتمالات الممكنة لفروضه أو لتجاربه حتى يصل الى نتائج محددة ، كل نتيجة تقف بذاتها مستقلة مقطوعة الصلة احيانا بالنتائج الاخرى بحكم التخصص الضيق والدقيق للعالم . ولا مانع من أن يقدم الزاد العلمي ايضا على مستويين: المستوى المتوسط الذي يلائم جمهور الشباب المثقف . والمستوى السامي الذي يلائم المستزيدين .

ثالثا : الجانب الوجداني : ويعرض في هذا الجانب ما يرهف الوجدان ولا يرعبه ، أو ينال من قوة تحمله . وبديهي أن هذا الجانب يعتمد في الاغلب على المجالات الفنية والجمالية وفي هذا الجانب حقا تسنح الفرصة الغالية للربط بين القيم الجمالية وقيمنا الخلقية في غير تزمت او تحلل . واننا لواثقون بأن الالتزام الخلقي النزيه لا ينال من الكمال الفني ولا يعوق ترقيه .

ولابد من كلمة صارخة في هذا الجانب الى كل مسئول عن تثقيف المسلمين ، وكل موهوب في شتى الميادين الفنية والجمالية .

اننا نشكو حقيقة خلو زادنا الثقافي الاسلامي مما يربي الذوق والتذوق الجمالي ، وخلو نظمنا التربوية مما يرعى حاسة الجمال منذ نشأتها في الطفولة رغم العناية الفائقة التي يوليها اعلام المربين في شتى بقاع العالم في هذا

الصدد ، ورغم الجهود الصادقة التى بذلها الاسلاف فى هذا السبيل .

اننا نريد ان نحقق بهذا الزادالمتعلق بهذا الجانب الوجداني ان نعين المسلم المعاصر على انجاز شيئين هامين : تقدير الجمال وتذوقه ، ثم خلق الجمال وابداعه .

وتجدر الاشارة هنا الى أن الفن والجمال قد ضما الى رسالتهما الاصلية رسالة اخرى لا تقل اهمية وخطورة وبخاصة فى الميدان السياسى كما وضح ذلك تماما فى المؤتمر الثقافى العالمى الذى عقد فى امريكا ١٩٤٩ بالنسبة لرسالة الموسيقار .

ان الوسائل المستخدمة لاشباع هذا الجانب والتى تشمل الكلمة واللون او الصورة والصوت او النغمة يجب ان تكون هى الاخرى ملتزمة بالدقة والامانة والصدق ، وان تكون دافعة على تكميل البناء النفسى والحضارى فى الانسان وليس على هدم القيم أو تشويه الواقع الذى تحياه الامة فعلا . وهذا لا يتم بالطبع الا اذا كان من يعد مثل هذا الزاد ذا غاية نبيلة وهدف شريف .

لقد آن الاوان لان يقدم الفن غير هياب ليأخذ مكانه فى دفع عجلة الحضارة الثقافية ، وتكميل المسلم المعاصر مادام قد تنسم أريج الاسلام ، وحلق فى افقه الرحيب . ولا يحسب الفنان أن الاسلام يقيد حريته بأكثر مما تقيده به انسانيته الخيرة الهادفة الى الحق والخير والسلام

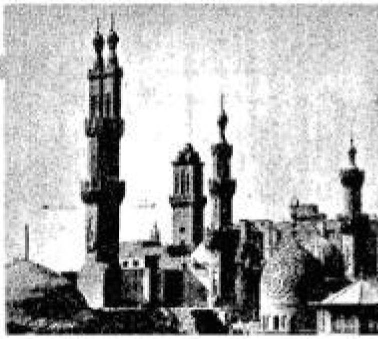
ان استكمال هذه الجوانب الثلاثة فى التركيبة الثقافية المقترحة بصنع الزاد الثقافى للمسلم المعاصر . وهو زاد يجمع بين الاصالة — من حيث انبثاقه من الاسلام وجمعه العناصر الثابتة الاصيلة فى التراث — وبين المعاصرة بما يتضمن من الصور والامثلة المعاصرة التى تربط الحاضر بالماضى — لا بمجرد العودة اليه والانفصال عن العصر ، بل باحياء وتجديد ما نحتاج اليه من الافكار والمناهج .

ان من الواجب ان يجند لاعداد هذا الزاد الثقافى فريق من العلماء والفنانين والمفكرين والتربويين فى حقول الثقافة المختلفة . وهذا الفريق لا ينبغى ان يقتصر على المتخصصين المحترفين ، لان هؤلاء المتخصصين — كما اسلفنا — قد يكون فيهم قصور ضيق النظرة نتيجة للمبالغة فى التخصص وطرح ماعداه .

ان على القائمين على امر الثقافة الاسلامية ان يعملوا على تجديد هذه الثقافة بحيث لا يقف شبابنا حائرا بين حاضر لا يستطيع ادراكه ، وبين ماض مفصول عن الحاضر ، وعلى الهيئات الاسلامية والجامعات العربية وذوى الكفاءة من هذه الامة ان يكرسوا جهودهم لانتاج هذه الثقافة الآن ، لان الظروف تلح على ضرورة ذلك . ولا ننسى دائما ان الثقافة المستقيمة تنتج الانسان المستقيم البناء ، وما أحوجنا الان فى هذه الفترة التى تمر بها امتنا الى مثل هذا الانسان . الانسان الذى يعيش معه الناس فى راحة ، وتعيش نفسه معه فى تعب وكد .

ان ماقد نجده فى هذه الثقافة المقترحة على سبيل المثال تفسير **القرآن تفسيرا يجمع بين مايشبع الفكر والوجدان معا** مع تأكيد اهمية التطبيق ، **كما نجده شاملا لخلاصة العلوم الاسلامية** المساعدة لادراك الحقائق **القرآنية فى** وضوح ويسر ، **على الا تغفل عرض زبدة الحياة الروحية والخصائص التربوية للحياة الصوفية المستقيمة . ولا تغفل خلاصة النتائج والحلول للمشكلات الفكرية والدينية والمدنية بنفس المرونة والانطلاق الذى تتمتع به فى معالجة قضايانا الفنية والجمالية .**

وما اعظم ثقافة انطلقت من دين يجعل الانسان خليفة للخالق فى الارض ، ويمنحه مكان الصدارة والسيطرة بين الكائنات .. انها ثقافة تبنى وتغنى وتعد للنهوض باضخم المسئوليات ..



الأزهر
مناهجه ومشكلاته العلمية

● د. احمد شلبي ●

● **احس بانني من اكثر الذين تغنوا بامجاد الازهر ، وابرزوا دوره العظيم في خدمة الاسلام واللغة العربية عدة قرون ، وليس ولائي للازهر راجعا الى انني ازهري النشأة فقط ، بل لانني مصري عميق الولاء لهذا الوطن ولكل المؤسسات الناجحة به ، ثم لانني مسلم شديد الوفاء والتقدير لكل ما يخدم الاسلام ويرفع شأنه .**

ولكن حبي للازهر يلزمني أن أتمنى له ان يقوم بدوره خير قيام ، وأن يستمر تطوره مع تطور الزمن ليظل منارة يستضيء بها المسلمون ، ويهتدي بهديها المترددون ، بيد أن الاماني لا حياة لها بدون عمل وبدون جهد ، والعمل لتطوير الازهر قليل وخافت ، وذلك شيء اثار غيرتي عليه ، وينبغي أن يثير غيرة كل مصري وكل مسلم .

وبسبب صلتي بالازهر وبالدراسات الاسلامية تجدني عضوا في كثير من اللجان الازهرية وفي اجتماعات اسلامية بالازهر ، وقد رأيت في اللجان والاجتماعات عجبا ، واتخذت فيها كل ما استطيع من اليسر والحكمة لتخدم الازهر والفكر الاسلامي به ، ولكني للاسف قابلت اتجاهات معوقة ، وكان من اخطر المعوقات محاولة اسدال الستار على ماتثيره من فكر ليطويه الزمن ويشمله النسيان ، ولذلك قررت شيئين مهمين هما :

أولا : أن انقل هذه المشكلات الازهرية الى الرأي العام عن طريق المجلات والصحف والاذاعة والتليفزيون ليرى المصريون والمسلمون مايعانيه الازهر وليقولوا كلمة الحق في هذا الشأن .

ثانيا ـ أن يتجدد هذا النداء الانساني حتى نغلب أولئك الذين يسكتون لينسى الناس مايثار من الاراء النافعة والناجحة وسنظل لذلك ندق الابواب الموصدة حتى تتفتح هذه الابواب .

والموضوعات التي ساعرضها عن الازهر كثيرة ومتلونة ، ومن أهمها المناهج الدراسية وتطوير الازهر ، وفي مقالي السابق « بالهلال » اثرت بعض نقاط عن المناهج الاسلامية بالازهر وكيف أنها بعيدة عن المناهج الاسلامية الصحيحة ، كما انتقدت القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م المسمى بقانون تطوير الازهر ، وقد طلب مني بعض القراء مزيدا من الشرح لهذين الموضوعين

ليتعرفوا على حقيقة ماحدث للمناهج من تحريف ، وليعرفوا المزيد عن هذا القانون الذى لم يتح لهم ان يطلعوا عليه ؛ وفى هذا المقال نستجيب لهذه الرغبة الكريمة .

عانت المناهج الاسلامية هجوما معاديا ضدها ، سافرا حينا ومختفيا حينا آخر ، وقد بدا هذا الهجوم مبكرا ، واستفحل فى عصور الظلام ، وبسبب حركة بعض مذاهب الشيعة المغالية فى التشيع التى سببت الانحراف فى الدراسات الاسلامية ، وحركة الصراع حول اللغة العربية فى البيئة الفارسية ، تلك الحركة التى احالت اللغة الى قواعد والغاز ، وقد لعبت البصرة والكوفة دورا خطيرا فى هذين المجالين ، بيد ان مدرسة العراق توقفت نهائيا بالغزو المغولى الذى دمر كل شىء ، وكذلك اضعف الغزو المغولى مدارس الشام .

هذا من الجانب الشرقى من العالم الاسلامى ، وفى نفس الحقبة تقريبا ، كان زحف الفرنجة على الاسلام والمسلمين فى اسبانيا ، ويمتد خطره الى الشمال الافريقى . ولم يبق من موئل الثقافة الاسلامية واللغة العربية غير مصر او قل غير الازهر فى مصر ، ومن هنا يلزم ان نقف وقفة مع الازهر لنراه وهو يعانى من مناهج عصور الظلام .

المناهج المنحرفة

انشىء الازهر كما هو معروف فى العهد الفاطمى « ٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ » وكانت العناية فيه تتجه للدراسات الشيعية ، فلما قامت الدولة الايوبية اوقفت الدراسة بالازهر ، وانشأت المدارس امتدادا للمدارس التى انشاها نور الدين محمود فى الشام ، ولما انتهت الدولة الايوبية وقام العهد المملوكى على اثرها ، اعيد فتح الازهر ، ولم يكن فى حول المماليك أن يضعوا له المناهج السليمة ، فانحدرت الى الازهر مناهج العصور الوسطى بما فيها من تحريف خطير ، فتل بعض العلوم المهمة كمقارنة الاديان والحضارة الاسلامية ، وانحرف بعلوم اخرى عن المسار الصحيح ؛ وكان الازهر على اى حال شعلة نور بين الظلام الحالك آنذاك فى كل اتجاه ، وكان هذا النور الضئيل من الثقافة فى الازهر خيرا من الجهل الذى كان مطبقا فى كل مكان ، ثم جاء العصر العثمانى فزاد الطين بلة ولم يخلق هذا العصر فرصة تغيير او تحسين ، وربما خلق فرصة للمزيد من السوء .

وبعد العثمانيين جاء الاستعمار الغربى وكان هذا الاستعمار يرى فى الدين الاسلامى وفى اللغة العربية وفى الازهر اعداءه الالداء ، ومن هنا تفنن الاستعمار للنيل من هذه القوى الثلاث ، فقلل من قدر معلم الدين الاسلامى ، وجعل هذه المادة اضافية لا امتحان فيها وحقر من قدر مدرس اللغة العربية ، وجعل مرتبه حوالى ربع مرتب مدرس اللغة الانجليزية ، وترك المزيد من الظلام يزحف على الازهر .

وعندما اتضح ان الازهر لم يعد يستطيع أن يحمل رسالة الفكر تقدم الاستعمار فاكثر من انشاء المدارس ، ووضع فيها مايشاء من ثقافات ، وترك الازهر يئن تحت عبء السنين الشداد ومناهج عصور الظلام .

وما يسمى تطوير الازهر !

وبعد الاستعمار الغربى جاءت ضربات للازهر لم تكن ضربات خفية ، ولم تكن خطوات خطوة اثر خطوة ، وانما كانت ضربات علنية وقاتلة ، كانت فى ثوب قانون سمى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ .

ماذا يقول الازهريون وغير الازهريين عن هذا القانون الذى ينبغى ان يسمى قانون « تدمير الازهر » وليس تطوير الازهر ؟

يقول الدكتور محمد البهى وزير الازهر عند اصدار هذا القانون :

ــ ان قانون تطوير الازهر كان يقضى

باغلاق كلياته الثلاث « اللغة العربية ، وأصول الدين ، والشريعة » وان يحل محل هذه الكليات « كلية الدراسات الاسلامية » التى انشئت فعلا لتعود للدرس على حصير المسجد (١) ولكن ذلك المخطط لم ينفذ الى النهاية خوفا من الجماهير المسلمة بمصر وبالعالم .

وقال فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى وزيرالاوقاف وشئون الازهر السابق فى مجلس الشعب (٢) : ان قانون تطوير الازهر لم يكن لرجال الازهر راى فيه ، وقد نزل هذا القانون على الازهر « بالباراشوت » واننا مسوقون الى المحاذير نتيجة لهذا التطوير ، ولولا العناية الالهية لما بقى الازهر بعد هذا التطوير حتى الان .

وقال فضيلة الاستاذ الشيخ صلاح ابو اسماعيل رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب : ان قانون تطوير الازهر الصادر فى يونيو سنة ١٩٦١ صدر فى ليلة ظلماء ، ناقشه المجلس واقره فى ليلة واحدة ، والقانون ليس تطويرا ولكنه تدمير ، وهو جناية فى حق الازهر (٣) .

ويقول الاستاذ فتحى رضوان ، وكان احد وزراء ذلك العهد ، فى مقال عنوانه : « الازهر بين التطور والمسخ »: « أن الكثيرين حاولوا ان يحولوا دون صدور هذا القانون الذى فاجاهم ، وكانه البلاء النازل ، فلما لم ينجحوا بقوا مؤمنين أن الزمن سيثبت أن مصلحة الازهر ، وماضيه الطويل ، واسمه المضىء ، ومصلحة المسلمين .. تقضى كلها بالغاء هذا القانون .

« وقد كان أول الحوافز على معارضة هذا القانون انه لم يكن ثمة وقت متاح لمناقشته وكان هذا شيئا يدعو للعجب ، فكيف يعد مشروع يتصل بهذا المعهد العريق دون أن يرجع بشأنه الى علماء الازهر ، ورجال الفكر ، وكيف تحدد لمناقشته خمس ساعات أو ست ويختار لمناقشته اليوم الاخير فى دورة مجلس الامة ، مما جعل من المستحيل مدارسة القانون ، وأن تقال فيه كلمة الحق ، بل لم يكن هناك وقت لقراءة النصوص واخذ الراى فيها ، فكان يكتفى بتلاوة ارقامها فقط للموافقة على المادة دون معرفة نصها .

« وقد عجز هذا القانون عن ان يميز بين التطور الذى هو حركة حيوية تصدر عن الكائن الحى نتيجة لتفاعل هذا الكائن بما حوله تفاعلا سليما وبين التلفيق والاصطناع الذى هو تغيير خارجى مفروض على الكائن الحى قاهر لارادته » .

***

والعجيب ان هذا القانون الذى اشترك فى الهجوم عليه ثلاثة وزراء ، ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب لم تمتد يد لاصلاحه ...

والان نجد من حق القارىء ان نبرز له بعض مثالب هذا القانون الظالم على الازهر وعلى الاسلام .

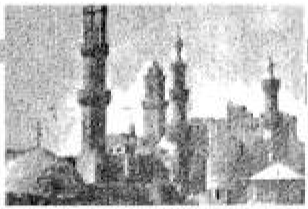
١ ــ انشا هذا القانون كليات طب وهندسة وزراعة وتجارة . والصقها بالازهر ، واخذ طلابها غالبا من الحاصلين على الثانوية العامة ، دون اعتبار لمقدار ثقافتهم الاسلامية ، أو قدراتهم فى اللغة العربية ، ولهذا فهم غرباء على الازهر ، لا تربطهم به رابطة ذات بال .

٢ ــ يمضى الحاصلون على الثانوية العامة سنة تمهيدية قبل ان يلتحقوا بالكليات العملية التى سبق ذكرها ، وقد كانت هذه السنة الضائعة سببا فى ان الطلاب الذين حصلوا على مجاميع كبيرة فى الثانوية احجموا عن الالتحاق بكليات الازهر ، حتى لايضيعوا عاما من اعمارهم وبهذا قضى هذا القانون بأن يكون مستوى كلية طب الازهر أقل بكثير من

(١) حديث (بندوة العلماء) سمعته بنفسى مع جماهير المستمعين وهو لا يزال مسجلا بالتليفزيون .

(٢) ١٤ ــ ٣ ــ ١٩٧٧

(٣) ١٤ ــ ٣ ــ ١٩٧٧



مستوى كلية طب جامعة القاهرة مثلا لانه لا يذهب لطب الازهر الا الطالب الذى لم يمكنه مجموعه من الالتحاق بكليات الطب الاخرى . وقل مثل هذا عن كلية الهندسة والعلوم وغيرهما .

٣ ــ ليست هناك دراسة اسلامية ذات بال بهذه السنة التمهيدية ، ولا يحضر الطلاب محاضرات ، وانما هى مذكرات يشتريها الطلاب ويمتحنون فيها ، وينجحون غالبا بعد ضياع عام فى بيوتهم . واشهد الله ان المغفور له الدكتور عبد الحليم محمود طلب منى ان اشترك معه فى القاء محاضرات مبكرة فى السابعة من صباح كل يوم لطلاب السنة التمهيدية احساسا منه بان الدراسة بها فاشلة ، وقد وافقت على المبدا ولكنى اقترحت موعدا مناسبا « الساعة التاسعة مثلا » حتى يستطيع الطلاب ان يحضروا لنا ، ولم يتم الامر على كل حال .

٤ ــ الدراسات الاسلامية التى تدرس بالكليات العملية لا تستهوى الطلاب ابدا ؛ وهى بعيدة كل البعد عن مطالبهم الفكرية والدينية ...

٥ ــ كان هذا القانون على وشك ان يقضى قضاء تاما على كليات الازهر الاصيلة ، ولكن الله سلم كما قال الدكتور محمد البهى .

٦ ــ لم يمس التطوير او الاصلاح علوم هذه الكليات ، بل فى ظله انقسمت كلية اللغة العربية اقساما للصحافة والتاريخ ، وتقلصت بها علوم اللغة العربية ، وازدحمت كلية الشريعة والقانون بمنهاجى كلية الشريعة وكلية الحقوق ، فناء الطلاب بهذا العبء وعجزوا عن اجادة هذا المنهج او ذاك .

٧ ــ قضى هذا القانون باحداث ازدواجية فى مناهج المعاهد الاعدادية والثانوية ، بان يدرس الطالب علوم الازهر كاملة ، ومعها علوم المدارس الاعدادية والثانوية ، والمنهاج الواحد يعيى الطلاب فكيف بمنهاجين ؟ وكانت النتيجة ان الطلاب لم يجيدوا هذا المنهج ولا ذاك .

٨ ــ عند خلق الازدواجية فى التعليم لم يضمن هذا القانون لمعاهد الازهر مايلزم من وسائل لتدريس علوم المدارس الاعدادية والثانوية ؛ فلا توجد بالمعاهد معامل كافية ولا مدرسون للغات او العلوم او الرياضة من مستوى مناسب

٩ ــ اصبحت الدراسة فى المعاهد الازهرية الثانوية تنقسم قسمين : علمية وادبية ، وفتح الباب لطلاب القسم العلمى ليدخلوا كلية طب الازهر او الهندسة او الصيدلة .. وانهال نوابغ الطلاب الازهريين على هذه الكليات ، وحرمت منهم الكليات الازهرية الحقيقية ولم يبق لهذه الكليات الا الفتات مما قضى على مستوى هذه الكليات بالتخلف الفكرى .

١٠ ــ على ان الازهريين الذين التحقوا بالكليات العملية بالازهر لاقوا عنتا شديدا لانهم ضعاف فى اللغة الانجليزية ؛ وهذه الكليات تدرس بهذه اللغة . وقد كانت نتيجة كلية الصيدلة لذلك صفرا فى المائة فى بعض الاعوام .

***

وهناك عيوب اخرى كثيرة لا حصر لها فى هذا القانون ، ومن اجل هذا فاننا نصرح بان بقاء هذا القانون جريمة فى حق الازهر ورسالته .

وبعد ، لقد وصفنا الداء ، ونحب فى ختام هذا المقال ان نؤكد ان الدواء معروف ، يعرفه رئيس جامعة الازهر ونائباه ، ويعرفه فضيلة شيخ الازهر ووكيله ومساعدوه ، ويعرفه عمداء الكليات واساتذتها ، ويعرفه الكثيرون من المفكرين ، ويعرفه كاتب هذه السطور وهو مستعد ان يقدم مقترحاته ، ويتاخر هو ، فليس حريصا الا على النفع العام والابقاء على هذا المعهد التليد فى رونق يناسب العصر ، ويستطيع ان يؤدى رسالته كما نرجى منه .

ثورة فى التعليم الجامعى لابد منها ..

● د . محمد عبد المنعم خفاجى ●

— ١ —

● التعليم الجامعى فى مصر اليوم يمر بمرحلة خطيرة ، لنسمها مرحلة تطور ، او ميلاد جديد ، او ازمة فكرية ، او اى اسم من الاسماء التى قد تعجز عن التعبير الدقيق عن هذه المرحلة الحاسمة فى تاريخ حضارة وطننا .

ان مصر عريقة فى التعليم الجامعى ، ففيها قامت جامعة الاسكندرية القديمة وجامعة عين شمس الفرعونية ، وجامعة الفسطاط ، وجامعة الازهر ، التى استمرت حتى قامت الجامعة المصرية الاهلية ، التى حولت الى جامعة فؤاد عام ١٩٢٥ ، ثم حولت الى جامعة القاهرة عام ١٩٥٢ بعد قيام الثورة .

وقامت جامعة الاسكندرية أيضا قبل الثورة ، ثم تطورت هذه الجامعة بعد الثورة ، واتسعت فروعها ، وبعد عام ١٩٥٢ رأينا الجامعات الاقليمية تنتشر فى محافظاتنا ومدننا . ورأينا الكليات تقوم فى مدننا الصغيرة فضلا عن الكبيرة ، بلا حساب ولا نظام دقيق ..

وبذلك قامت جامعة المنصورة ، وجامعة اسيوط ، وجامعة الزقازيق ، وجامعة شبين الكوم ، وجامعة طنطا وجامعة المنيا ، وجامعات اخرى تستكمل الان فروعها المختلفة كجامعة حلوان ، وجامعة القناة ، وجامعة سوهاج ، وغير ذلك .

لقد دعوت عام ١٩٤٨ الى الاحتفال بعيد المنصورة القومى ، عيد النصر الكبير على جيش الصليبيين بقيادة لويس التاسع ، بانشاء جامعة فى المنصورة ، واقامة مهرجان قومى فى المدينة ، وانشاء معاهد أزهرية فيها ، واطلاق أسماء الاعلام التى شاركت فى معركة المنصورة على شوارعها الكبرى ، وانشاء متحف وطنى فيها يضم مابقى من آثار المعركة الخ .. ولم أكن أتصور يومئذ أن تقوم فى المنصورة جامعة كبيرة تضاهى جامعة القاهرة اتساعا وفروعا وطلابا وأساتذة ، ومرت الايام ، ورأينا الجامعات تتوالى ، وتتسع بلا حساب ، ودون تخطيط علمى دقيق . ولقد انشأ الازهر أيضا جامعات اقليمية له فى الاقاليم ، أو فروعا لجامعة الازهر فى القاهرة ، كفرع جامعة الازهر فى أسيوط ، وفرع الجامعة فى المنصورة ، وفرعها فى طنطا ، وفرعها فى شبين الكوم ، وفرعها فى الزقازيق الى غير ذلك

ومنذ أسابيع وأنا أطالع فى مجلة « ابولو » القديمة التى انشأها الدكتور

ابو شادى رائد جماعة ابولو الشعرية عام ١٩٣٢ ـ وجدت الدكتور اباشادى لا يستبعد عام ١٩٣٣ قيام جامعات اقليمية فى بلادنا ، بل ويدعو الى ذلك ملحا لمستقبل الاجيال القادمة .

ـ ٢ ـ

انه لمن الغريب ان تكون كل جامعة اقليمية مشابهة لجامعة القاهرة فى كلياتها العلمية والانسانية ، وفى فروع تخصصاتها ، وفى نظامها العلمى كافة ... فكل جامعة تنشأ لابد أن تقوم فيها كلية للاداب ، واخرى للحقوق ، وثالثة للزراعة ، ورابعة للهندسة وخامسة للطب .. الخ .

ولقد دعوت عام ١٩٦٠ فى مقال لى الى أن تكون جامعاتنا نوعية ، فتقوم جامعة للهندسة ، تختص كل كلية منها بفرع من فروع الهندسة لا تشاركها فيه كلية اخرى ، فتكون هندسة القاهرة مثلا للكهرباء ، وهندسة الاسكندرية للميكانيكا وهندسة اسيوط للاعمال المدنية ، وهكذا وتقوم جامعة للزراعة على هذا النمط ايضا ، وجامعة للطب ، وجامعة للاداب والعلوم الانسانية ، وجامعة تجارية ، واخرى صناعية ، واخرى للعلوم ، وجامعة عسكرية ، وجامعة للقانون والشريعة ، وجامعة للبنات ، وجامعة عسكرية ، وجامعة بحرية ، وجامعة للتربية ، وتظل جامعة الازهر القديمة للثقافة الاسلامية ، وجامعة الازهر الحديثة للثقافة العلمية ، على أن تختص كل كلية ايضا بفرع واحد من فروع التخصص العلمى . وبذلك نضمن الحصول على التكامل والتخصص والتعمق فى شتى الفروع العلمية .

ان كليات الزراعة القائمة فى مدننا ـ على سبيل المثال ـ متشابهة فى كل شىء ، وهذا التشابه يلغى التميز الفكرى ويضع الكليات المتشابهة فى درجات وفق النظام الاجتماعى السائد بيننا ، لا النظام العلمى المطلوب التمييز بين الكليات على اساسه .. وهكذا كليات الهندسة والطب والتجارة الخ . ومن الغريب ان تكون كلية الزراعة فى جامعة القاهرة داخل مدينة الجيزة ، ولاتقوم فى القناطر الخيرية مثلا .

ان الاكثار من انشاء الجامعات فى بلادنا مطلوب ، على أن يكون قيامها من اجل مصلحة وطنية ، لا لمجرد العصبية وتنافس المحافظات بعضها مع بعض . وعلى ان تتميز كل كلية من الاخرى تميزا كاملا حتى لا نجد ما نراه اليوم من التكرار والتشابه دون حساب .

وقيام جامعة أهلية جديدة اليوم مطلوب ايضا . على أن تختص بمهمة علمية محددة . ولا تكون فروعا وكليات مكررة ومشابهة للكليات القائمة . ومن **العجب ان بين اساتذة مجالس جامعاتنا من يوافقون كل يوم على انشاء كليات جديدة ، ولا يوافقون على انشاء جامعة اهلية جديدة ...**

وقد دعوت فيما دعوت اليه من قبل الى انشاء اكاديمية ثقافية تضم جميع المؤسسات الثقافية القائمة أو

التي ستقوم فيها بعد . كما تقوم اكاديمية للبحث العلمي بشتى أنواعه وفروعه وتخصصاته المختلفة . ومن حسن الحظ ان قامت اكاديمية البحث العلمي ، ولم تقم اكاديمية ثقافية بعد .

— ٣ —

ويلاحظ اليوم ان التعليم الجامعي قد اصبح يسير على نمط التعليم الثانوي تماما . واذا كانت بينهما فروق فهي قليلة لا تكاد تذكر ..

فالرغبة في الملخصات . وفي الكتاب الواحد . وفي « جمع الفكرة الواحدة في اضيق نطاق . وفي قبول الاراء دون نقاش او تمحيص لها . والعزوف من قراءة المصادر المتعددة . وترك المطالعة في المكتبات العامة . وفقدان المشاركة الوجدانية والفكرية بين الاستاذ والطالب . واهتمام الاستاذ بكتابه . واكتفاء الطالب بالثقافة السطحية ، والعمل من أجل الامتحان ، لا من أجل المعرفة والمسئولية العلمية ... كل ذلك وغيره ، أصبح علامة مميزة للتعليم الجامعي عندنا ، مما يضعف من مستوانا الحضاري والعلمي اضعافا شديدا ويجعل المرحلة الجامعية شبيهة بالمرحلة الثانوية في نظامها العلمي دون أن يكون هناك فروق مميزة بين المرحلتين .

ولقد كثرت اقسام الدراسات العليا وفروعها وخريجوها كثرة مذهلة دون تميز يذكر ، ودون تعمق في الدراسة او في البحث او في الرسائل الجامعية مما يهددنا بخطر شديد لا نستطيع ان نتصور مدى نتائجه ..

ومن المطلوب الحرص على المستوى العلمي الاعلى ، وان نثق بان النظام الجامعي قادر على تخريج مواهب وعبقريات ومفكرين ، لا على تخرج حفاظ للكتاب ، او متلقين لفكر معين . فلقد لاحظنا قلة الطلاب المبدعين قلة كبيرة في محيط التعليم الجامعي .

ان الطموح العلمي عند طلابنا ، وبخاصة طلاب الدراسات العليا ، صار ضئيلا لا نكاد نحس به عند الشباب اليوم . والمواهب الشابة المبدعة من الطلاب صارت اقل من القليل ايضا ، مما يجعلنا في اشد الحاجة الى رصد هذه الظاهرة وتحليلها والتعليل لها ، واستنباط النتائج منها ..

— ٤ —

ومن العجيب أن الطالب لايزال يعمل من أجل الوظيفة ، وبروح الجد من أجل الامتحان فحسب .. ولم تتغير عقلية الطلاب من شبابنا التغير الملائم لتطور مجتمعنا . وقد يكون ذلك راجعا الى ظروفنا الاجتماعية ، او الى اسباب اخرى ، ولكننا نرجو أن نبرأ من روح الغاية المادية للثقافة لانها من اشد ما يصيب التعليم الجامعي بالشلل والتدهور والهبوط .

واذا كانت الرسائل والبحوث العلمية التي تقدم للجامعات للحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه

مطالبة بأن تسهم في خدمة البيئة ثقافيا وفكريا وحضاريا وأجتماعيا .. فانه لمن المؤسف ان تظل هذه البحوث قابعة في مكانها في مخازن ومكتبات الكليات المختلفة دون أن ترى النور ، ودون أن تخرج للجمهور مطبوعة ليقرأها الناس ويطلع عليها المختصون ، ويفيد منها الباحثون .. ولو ان الدولة فرضت على دور النشر المختلفة طبع عدد من هذه الرسائل كل عام لرأى هذا الفكر العلمي النور منذ أمد طويل ..

على ان جامعاتنا مطالبة بنشر الجيد من هذه الرسائل بمختلف طرق النشر ومختلف اسبابه ايضا .. ومن الواجب ان يفرض على الطالب طبع ملخص لرسالته والجديد فيها في شكل كتاب كبير او صغير قبل ان تقدم رسالته للمناقشة ، ليقرأ الجمهور هذا الكتاب قبل المناقشة ، وليكونوا مشتركين فعلا مع لجان الحكم على الرسائل في مناقشتها . وليكون المشرفون على هذه الرسائل على علم بأن الجمهور يشتركون ايضا في الحكم على هذه الجهود العلمية مع لجان الحكم التي تؤلفها الجامعات لمناقشة الرسائل والحكم عليها ..

ومن الواجب أن توزع الجامعات هذه الكتيبات على مختلف الجامعات ولو في وطننا على أقل تقدير ، ان لم توزعها على الجامعات العربية كلها ، أو على الجامعات المهمة في الشرق والغرب المتصلة بهذه البحوث الجديدة اتصالا وثيقا .

ـ ٥ ـ

ومن الواجب للارتفاع بالمستوى الجامعي في بلادنا عقد الحلقات العلمية المختلفة التي يسهم فيها اساتذة الجامعات المصرية او الجامعات العربية ـ اذا ما اردنا الطموح وعملنا من اجله ـ لتطوير البحث العلمي والجامعي في مختلف فروع الثقافة .

وكذلك عقد المهرجانات الثقافية والادبية بين شباب الجامعات المختلفة لايجاد صلات فكرية وروحية بين شبابنا في مختلف جامعاتنا القائمة .

وللاسف لا نجد لاية جامعة من جامعاتنا مجلات علمية متخصصة ، تقوم بعبء الراء البحث **العلمي والعمل من أجل ازدهار الفكر والثقافة .**

ان من الخطا ان يغلب **عامل الاعلام** والدعاية على عامل التقويم **والنقد** في جامعاتنا وعند اساتذة **هذه الجامعات وهم القمة السامقة في محيطنا الثقافي اليوم .**

واتمنى ان ارى العقل الجامعي في بلادنا يبدع ويجدد ويثمر ثمرات فعالة من اجل الحضارة والتقدم ، بعيدا عن الانتماء المذهبي ، والتعصب الايديولوجي والتشيع الحزبي ، وبعيدا عن العصبيات **المختلفة التي تقتل روح العلم في جامعاتنا ، والتي تضع العراقيل امام الباحثين ، وتنسى ان العلم رحم بين اهله ، وان الحب والتعاون والاخاء ثلاثتها هي العناصر الاولى** الضرورية لخلق ثقافة انسانية **مبدعة .**

عالم محمد فريد من مذكراته

كما كنا نتوقع ، اثار المقال الذى نشره الاستاذ الدكتور محمد انيس استاذ التاريخ الحديث بكلية الاداب جامعة القاهرة عن الزعيم الوطني الكبير محمد فريد ، عاصفة من الجدل والمناقشة لان كل مايتصل بمحمد فريد يمس قلب كل مواطن عربى ، لا لدوره المجيد فى الجهاد فى سبيل مصر والوطن العربى بالتالى ، بل للظـــروف الحزينة التى عاشها وعمل فيها محمد فريد .

وقد نشرنا مقال الدكتور محمد انيس لانه من اولى النـــاس بالكلام فى ذلك الموضوع ، لا لانه استاذ التاريخ الحديث فى اكبر جامعــــات العالم العربى فحسب ، بل لانه ذو عناية خاصة بمحمد فريد وبدايات الحركة القومية المصرية بصفة خاصة ، وله من الدراسات والتحقيقات فى هذه الميادين مايجعله بحق حجة فى ذلك الباب .

وقد تفضل الاخ الزميل الاستاذ صبرى ابو المجد ، وهو مؤرخ مصرى له قدم ثابتة فى كل ما يتعلق بتاريخ الجهاد الوطنى في ذلك البلد، تفضل فكتب مقالا فى « المصور » يناقش فيه بعض ماذهب اليه الدكتور محمد انيس مناقشة علمية قومية ، فراينا أن من حق قراء « الهلال » أن يطلعوا على ذلك المقال ليروا وجوه النظر فيما يتعلق بمرحلة هامة مــن مراحل جهاد محمد فريد ، وهى مرحلة سفره الى اوربا ومواصلته الكفاح فيها فى سبيل القضية المصرية .

ونحن اذ ننشر الراى ، والراى الاخر فى هذا الموضوع وغيره ، فانما نعمل على القواعد التى نسير عليها دائما فى « الهلال » ، وهى مجلة الفكر العربى الحر التى تعود القراء منها الصراحة والوضوح والاخلاص والايمان بحرية الراى فى كل ماننشر

ثم دخل مجال المناقشة الاديب الكبير فتحى رضوان ، فادلى بدلوه وهو ايضا من اقطاب ذلك الميدان فهو من رجال الحزب الوطنى ومن رجال الجهاد ، وله دور كبير فى تاريخ الكفاح القومى فى ذلك البلد . ومن هنا فان رايه فى محمد فريد له وزنه وقدره ..

وكل هذا النشاط يسعد « الهلال » وقراء « الهلال » لان الهـــدف الذى يتوخاه الجميع هو الحق والصدق فى كل ما يتصـــل بمحمد فريد ، وكل مايتعلق بقضايا الوطن العربى ...

• ح • م •

مؤامرة جديدة لاغتيال الزعيم الوطني

محمد فريد

● صبري ابو المجد ●

عقب قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، توجهت الى استاذنا عبد الرحمن الرافعى الذى كتب تاريخنا القومى بالامانة والصدق، راجيا منه ان يعيد النظر فيما كتبه ، على ضوء المتغيرات الجديدة والمذكرات والوثائق التى ظلت «حبيسة» طويلا ، واتيح لها بعد ثورة ٢٣ يوليو ان تخرج من مخابئها .

ويومئذ قال لى استاذنا الكبير : لقد اصدرت احكاما على ضوء ما لدى من معلومات وبيانات ، وليس من حقى ان اعيد النظر فى تلك الاحكام ، ولكن من واجبكم انتم كشبان تهتمون بتاريخنا القومى ان تستانفوا تلك الاحكام وان تنقضوها بما يتوفر لديكم من معلومات ووثائق جديدة لم تكن متوافرة عندى او عند غيرى .

هكذا كان موقف المؤرخ الوطنى الذى لم يكتب حرفا واحدا يخالف ضميره الوطنى ، والذى تعرض للمتاعب والمشاق بسبب ما نشره من كتب وطنية ، خاصة نقده الشديد العنيف للملك احمد فؤاد الذى اثار حفيظة نجله الملك فاروق سنوات وسنوات .

وقد يكون استاذنا الرافعى لم يستطع ان يكمل الصورة التاريخية لاحداثنا السياسية الهامة وبصورة تامة ، لعدم توافر بعض المعلومات والوثائق الهامة والضرورية وتنبذ، ولكن الذى لا جدال فيه ، أن الرجل لم يكتب حرفا واحدا عن هوى شخصي . كما انه لم يتأثر باتجاه حزبى فى كل ما الف من كتب .. وهذا هو أيسر ما يجب توافره بالنسبة لكاتب التاريخ ، الذى يكتب لعشرات الالوف من القراء . على مدى اجيال عديدة .

ولكن الأمر يختلف اختلافا بينا بالنسبة لاستاذ التاريخ الذى لا يكتب لعشرات الالوف من القراء وحسب ، وانما يقوم بتدريس التاريخ لمن سوف يكونون فى يوم من الايام ، اساتذة للتاريخ .

ومنذ فترة بعيدة ، والاستاذ الدكتور محمد انيس ، استاذ التاريخ ، ورئيس قسم التاريخ بكلية الاداب فى جامعة القاهرة ، يحرص على ان يشوه تاريخنا القومى فى بعض مايكتبه من مقالات ، وفى بعض مايصدره من كتب .

والدكتور محمد انيس لا يلتزم فى الكثير من الحالات بالقواعد التى يجب ان يلتزم بها كاتب التاريخ أو استاذ التاريخ .

وقد سبق لنا اكثر من مرة ان انتقدناه لانه كان يعتبر بعض الاوراق والتقارير، التى كان يقدمها عملاء حسن نشأت باشا عندما كان وكيلا للديوان الملكى ،

بمثابة وثائق سياسية خطيرة يصدر بمقتضاها الاحكام الخاطئة .

وكلنا يعرف جيدا ، كيف كانت توضع تلك التقارير ، وممن تستقى مادتها .. كما اننا نعرف جيدا ، ان تلك التقارير لا تعبر الا عن رأى اصحابها من مرتزقة السياسة . ومحترفى التجسس .

***

وبين الدكتور محمد انيس وبين الحزب الوطني ثار قديم لا نعرف له سببا حتى اليوم ، رغم الجهود التى بذلناها لمعرفة ذلك السبب . الا ان يكون السبب هو ان اتجاهات الدكتور محمد انيس ــ وله ارتباطاته الحزبية السابقة المعادية للحزب الوطني ولاقطاب الحزب الوطني ــ هى التى تفرض عداوته للحزب الوطني وكل مايمت الى الحزب الوطني بصلة .

ولقد سبق لى ــ فى عام ١٩٧٢ ــ ان ناقشت الدكتور محمد انيس فى مقالات عديدة نشرت بالمصور عن افتراءاته المتعمدة للنيل من شخصية الزعيم الوطني محمد فريد . كما اننى فى عام ١٩٧٣ نشرت ايضا سلسلة من المقالات فى المصور دفاعا عن على فهمى كامل شقيق مصطفى كامل . وكان الدكتور محمد انيس قد حاول تشويه صورته والتقليل من تضحياته .

والأستاذ الدكتور محمد أنيس يريد ان يخلق فى التاريخ مدرسة الاثارة ، كتلك المدرسة التى توجد فى بعض الصحف ، والتى تلقن تلاميذها درسا صحفيا وحيدا هو : انه اذا عض الكلب شخصا ما لم يكن ذلك خبرا ، وانما الخبر هو عندما يعض الشخص كلبا ..

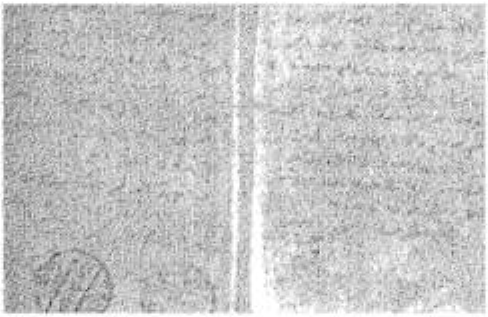
الدكتور انيس يتخذ من بعض العبارات التى ترد فى بعض المذكرات او المقالات ــ وهى عبارات فى الغالب عرضية ، بل وفى بعض الاحيان مشكوك



محمد فريد : بذل كل حياته من اجل وطنه

فى صحتها ــ قضايا هامة وخطيرة . يفرد لها الصفحات تلو الصفحات ... جاعلا من « الحبة قبة » ... كما يقولون .

وقد خرج علينا الدكتور محمد انيس فى الاهرام ، فى ٢٥ــ٨ــ١٩٧٢ ، بما سماه « مذكرات مدام دى روشبيرون » وقد نشر منذ ذلك التاريخ سلسلة من المقالات فيها اشنع هجوم على الزعيم الوطنى محمد فريد . وقد قمنا فى « المصور » وتنتد بتفنيد مانشره حرفا بحرف ، وواقعة بواقعة ، معتمدين فى ذلك على ماتوافر لدينا من وثائق لاتوجد عند غيرنا ، وهى الخطابات التى كان يرسلها محمد فريد الى اصدقائه وزملائه واسرته وهى تزيد على مائتى رسالة ، يفند بعضها كل ما يدعيه الدكتور محمد انيس ، استنادا على





رسالتان تاريخيتان ارسلهما محمد فريد من باريس وجنيف ولوكسمبرج يتحدث فيهما عن حياة الضيق التى كان يعيشها فى اوربا .

مذكرات مدام « دى روشبيرون » التى كان يعتبرها محمد فريد فى مذكراته وفى خطاباته ، جاسوسة عليه لصالح الخديو ، ولصالح جهات أخرى .

وكنا قد ظننا ان الأستاذ الدكتور محمد انيس قد اقتنع بما سقناه من ادلة قاطعة لا تقبل المناقشة والجدل ، غير انه خرج علينا فى عدد فبراير من مجلة « الهلال » بالذات بمقال أعتبره سلسلة لمقالات جديدة تعتبر امتدادا لما سبق له ان نشره فى الاهرام عام ١٩٧٢ ..

وقد انزعجت حقيقة لنشر هذا المقال واستأذنت الأستاذ الدكتور حسين مؤنس رئيس تحرير الهلال ، فى أن أرد على الدكتور انيس فى «المصور» ، فاذن لى مؤكدا انه لا يريد الا أن يشارك فى اظهار الحقائق التاريخية جلية وواضحة ..

والمقال الذى نشره الدكتور محمد انيس فى مجلة الهلال ، هو فى رأيى محاولة جديدة لاغتيال تاريخ الزعيم الوطنى محمد فريد ، وهو فى نفس الوقت بمثابة عدوان جديد على تاريخنا الوطنى الذى نرى لزاما علينا ان نحتفظ له جلاله وان نحتفظ له بكل ما به من قيم وطنية طيبة .

والذى انزعجت له اكثر واكثر انه ـ اى الدكتور انيس ـ ذكر ، ضمن ماذكره .. انه زار السيدة « دى روشبيرون » فى باريس مرتين ، وكان هدفه الحصول على مذكرات تكون قد كتبتها هى او رسائل من الزعيم محمد فريد لها ، ويقول الدكتور محمد انيس فى مقاله ، انه قد استطاع بالفعل الحصول على هذه المذكرات وهى فى طريقها الى النشر باللغة العربية ..

والدكتور محمد انيس يعرف جيدا ان مذكرات « مدام دى روشبيرون » ـ كما نشر هو بذاته فى العدد الصادر من الاهرام بتاريخ ٢٥ـ٨ـ١٩٧٢ ـ موجودة فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، وانه ـ أى الدكتور محمد انيس كما قال فى ذلك المقال ـ أول من عثر على مذكرات هذه السيدة بين اوراق القصور الملكية سابقا وانقل هنا بالنص ماكتبه الدكتور محمد انيس فى مقدمة مقاله سالف الذكر : « ان كريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق كان قد حصل من هذه السيدة على هذه المذكرات ، ولكن فاروق سلمها الى سكرتيره الخاص حسن حسنى لفحصها ، ورأى السكرتير الخاص ، ان المذكرات تمس عددا من الشخصيات المصرية وانه يحسن شراء هذه المذكرات حتى لاتنشر » .

ولا يكتفى الدكتور انيس بذلك، وانما ينشر مذكرة صادرة عن ديوان الملك


GRAND HOTEL STAAR
L. & H. STAAR
LUXEMBOURG (GARE)

رسالة من الزعيم محمد فريد الى زوجته واولاده يهنئهم فيها بعيد الاضحى المبارك

تفيد بان الملك فاروق امر بشراء هذه المذكرات من صاحبتها حتى لا تتصرف فيها بالنشر . فكيف اذن يمكن التوفيق

بين ماقاله الدكتور محمد انيس فى مقاله بالاهرام فى ٢٥-٨-١٩٧٢ وما نشره فى الهلال فى فبراير ١٩٧٩ ... من انه ذهب الى مدام روشبيرون للحصول على مذكراتها ؟

ولا اعتراض لى كمواطن مصرى على نشر مذكرات مدام دى روشبيرون ، المواطنة الفرنسية فذلك من حقها ومن حق اى ناشر يريد ان ينشرها لحسابه

والاعتراض الوحيد الذى اعتقد ان لى الحق فى التقدم به ـ كمواطن مصرى وكواحد من تلاميذ محمد فريد وانصاره ومريديه ـ هو الا ينسب ناشر هذه المذكرات تلك السيدة الى محمد فريد.

وآخر مايحز فى نفسى كمواطن مصرى ، أن يجيء استاذ التاريخ، وبعد مرور ستين عاما على وفاة محمد فريد، ليشارك فى عملية اغتيال الرجل الذى ضحى بكل ما يملك ـ بما فيه الحياة ـ من اجل مصر ، وقضية مصر .

واخيرا أهمس فى اذن الدكتور محمد انيس متسائلا : لصالح من تشارك فى عملية اغتيال الزعيم الوطنى محمد فريد !! ..

عالم محمد فريد

من مذكراته

● فتحي رضوان ●

● ان تاريخنا المعاصر ، لم يظفر بمذكرات القادة والزعماء ، التي تستطيع ان تضيء جوانب هذا التاريخ الغامضة ، فكل ما تركه لنا صانعو السياسة الرسمية والشعبية لا يعدو اربعا أو خمسا من مذكرات أو يوميات هؤلاء العظماء ، وتحتل مذكرات محمد فريد ، الى جانب مذكرات سعد زغلول مكانة الصدارة ، بين الوثائق .

وفيما عدا هذه المذكرات ، مضى الى ربهم مصطفى كامل ، وعلى يوسف وعدلى ، وثروت ، ورشدى ، ومصطفى النحاس ، ومكرم عبيد ، وحافظ رمضان والخديو عباس ، والملك فؤاد وابنه فاروق ، وعلى ماهر – دون ان يخلفوا للمؤرخين والاجيال التالية ، اسرار عملهم السياسى ، وحقائق ما أسهموا فيه من الاحداث والوقائع ، ورأيهم فى الرجال الذين زاحموهم وعاونوهم ، ومروا بهم .. ولعمرك ان هذه خسارة قومية وعلمية فادحة . فان التقليد فى الغرب ، انه ما من رجل يصل الى القمة ، او يقترب منها ، أو يسعى الى الوصول اليها ، من رجال السياسة او العلم او الادب ، او الفن – الا وله مع ما يخلفه للذين يأتون من بعده من مال وعقار ، مذكرات يكتبها يوما بعد يوم ، يسجل فيها خواطره الحميمة ، ويصور الذين اقترب منهم ، وكادوا له أو كاد لهم ، أو تتلمذ عليهم ، أو علمهم ، كاشفا عن الوجوه والاقنعة ، حاسرا عن النفوس ، الحجب والستائر

أما فى مصر ، فالرجل يحمل معه الى قبره ، أسراره وافكاره ، فاذا دفن ، انقطعت صلته تماما بالاحياء ، فلا يجيب عليهم اسئلتهم ، ولا يلهمهم بشىء ، ولا يحرك خاطرهم بقول . فى حين يبقى المشهورون ، ذوو الصيت الذائع ، والمكانة النافذة فى اوروبا ، أحياء بما كشفوا للناس ، عن غرائب النفوس ، وما تطويه الصدور ، وما جرى فى الازمات التى تتزلزل لها العزائم ، وامام المغريات التى تتلاشى امامها المبادىء .

وتمتاز مذكرات محمد فريد بخصائص وصفات ، تجعلها اثرا فريدا وفذا حقا .

واولى خصائص هذه المذكرات انها كتبت بقلم رجل ، كان زعيم أمته ، حينما عاش بين ظهرانى مواطنيه ، فلما هاجر من وطنه الى تركيا وأوروبا بطولها وعرضها ، لم تفلت من يده خيوط الاحداث الكبرى ، التى تحدد مصير بلاده ، بل بقى ندا وشريكا لامير البلاد الذى هاجر بدوره الى أوروبا ، ثم قريبا غاية القرب ، مؤثرا غاية التأثير ، فى رجال السياسة الدولية سواء كانوا اتراكا مسلمين من الوزراء ، وقادة الجيوش ، وعلماء الدين ولم تكن زعامة

فريد في مصر ، ولا هجرته الى أوروبا . في ظرف كسائر ما يمر بمصر أو بالامم قاطبة من ظروف السياسة والحكم ، بل ان زعامته تأكدت ، وبدت عاملا مؤثرا وموجها ، الى أقصى الحد ، في الوقت الذى كانت ظروف العالم كلها تتأزم وتتعقد ، وتتهيأ لتفضى الى المجزرة البشرية الكبرى ، التى سميت بالحرب العالمية الاولى تلك الحرب التى استمرت أربع سنوات حسوما ، قتل فيها من ابناء آدم وبناته ، ما لم يقتل فى مثل تلك الفترة من قبل ، ودارت خلالها من المعارك ، ما لم تشهد مثله ساحات القتال الكبرى ، لا من حيث ضخامة عدد المقاتلين ، ولا من حيث كثرة عدد عباقرة الحرب والسياسة ، الذين شاركوا فى ادارة تلك الوقائع . وما اظهروه من فنون التدبير واساليب التخطيط ، وما ابتدعوه من الاسلحة الفتاكة التى لم يعرف العالم شيئا مثلها ولا قريبا منها .

في هذه الفترة ، كانت القومية المصرية قد برزت معالمها بفضل جهاد مصطفى كامل المستمر المتصل ، الذى استطاع ان يشق للوطن المصرى المستقل الحر ، طريقا عريضا واسعا بين مطامع انجلترا وفرنسا والمانيا من جانب ، وبين البقية الباقية من سيادة تركيا التى أفل نجمها ، وهلك سلطانها وما كانت تضمره وتعلنه قلوب المصريين من امل بعث الخلافة الاسلامية التى رفعت تركيا علمها اربعة قرون ، اختلطت فيها الانتصارات الرائعة ، بالهزائم المروعة ، وتداخلت فيها احلام تجديد مجد الاسلام البائد ، وطغيان الحكم التركي ، وفساده واغلاله ..

ولما آلت الزعامة الى محمد فريد كانت الامور قد بلغت فى مصر الى الحد الذى تستحيل فيه المهادنة بين الوطنية المصرية ، وحكم الخديو عباس ، وطغيان الانجليز ، واستبداد الاجانب باقتصاد البلاد وثقافتها ..

ولم يتعجل فريد المعركة ، ولكنه يعلم انها آتية لا ريب فيها ولم يكن يكربه هذا ولا يخيفه ، لأنه منذ استقال من وظيفته المرموقة ، كوكيل نيابة بنيابة الاستئناف بالقاهرة ، كان يعلم ان ما ينتظره هو تألب القوات والسلطات عليه ، المصرية والدخيلة : الاحتلال البريطانى والخديو ومن حوله ، والطبقات التى تنتفع من نفوذ وحماية هاتين السلطتين وجاههم ومالهم .. وكان مصمما على أن يمضى الى آخر الطريق .. وكانت هجرته من مصر فى ٢٧ من مارس سنة ١٩١٢ الى تركيا ، وتحضيره الهادىء لها ، يدل على أن هذه الهجرة ، كانت أولى خطواته فى طريق مواصلة القتال ، بلا تردد ولا خوف ، ولا تفكير فى الرجوع عن الخطوة التى خطاها ، والتى كانت اشبه شىء بحرق السفن ، على الشاطىء ، لكيلا يتصور أن هناك سبيلا للنجاة خارج ميدان المعركة .

ومذكرات محمد فريد ، لم تبدأ حقا الا فى ٢ من اغسطس سنة ١٩١٢ بعد وصوله الى الاستانة عاصمة تركيا ، ثم سفره هذا اليوم الى أوروبا ، فمنذ ذلك اليوم ، بدأ يكتب يومياته . أما ماكتبه عن الاحداث ابتداء من اغسطس ١٩٠٤ حتى اغسطس ١٩١٢ ، فلم يكن سوى ذكريات ، سرد بها ما جرى فى مصر ، وما جرى له ، حتى يوم الهجرة الى تركيا ثم الاقامة فيها ، وفى اوروبا والتنقل بين عواصمها الكبرى كالاستانة وجنيف وبرن ولوزان ، ثم فيينا التى يسميها دائما (ويانه) وزيورخ وبرلين واحيانا باريس ولندن ولوكسمبرج وبروكسل .. الخ

وقد استفتح الحديث ، فى باب الذكريات ، بواقعتين خطيرتين ، وهما جوهر مذكراته وذكرياته ، لانهما تعلنان عن أسلوب الحزب الوطنى الذى اسسه مصطفى كامل ، والذى آلت الزعامة فيه الى محمد فريد ، ومحمد حافظ رمضان .

والواقعة الاولى ، الصدام بين الخديو



محمد فريد



سعد زغلول



مصطفى كامل

عباس من جهة ، ومصطفى كامل قبل تأسيس الحزب الوطنى من جهة اخرى وكانت هذه الواقعة فى (ديفون) احدى مدن الاستشفاء بمياه العيون .

والواقعة الثانية الاصطدام بين الخديو عباس من جهة ، وبين محمد فريد من جهة اخرى .

وسنأتى على بيان لهاتين الواقعتين كما رواهما محمد فريد فى ذكرياته التى سبقت مذكراته التى كتبها فريد فى منفاه الاختيارى من اغسطس سنة ١٩١٢ – كما مر بنا – حتى وفاته فى برلين فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٩١٩ . وقد حذفت من عبارتى فريد ، بعض ما كان من قبيل الجمل الاعتراضية ، او التفاصيل التى لا يؤدى اسقاطها الى الاخلال بالسياق ، او غموض المعنى .

والواقعتان الافتتاحيتان ٧ تدلان على ان الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل منذ البداية حزب معارضة ، لا تستقيم علاقته بالحكومة ، ولا يستقر تعاونه معها ، ولا سيما فى الفترة التى كان فيها النفوذ الاجنبى الانجليزى ، سائدا ، وكانت الوزارات المصرية ، فى خدمة طغيان الخديو من جهة ، وطغيان الانجليز من جهة اخرى ، مع سيادة النفوذ الاجنبى ولا سيما فى ميدانى الاقتصاد والمال اولا ، والثقافة والتعليم ثانيا .

قال محمد فريد فى ص (٥١) من كتاب « أوراق محمد فريد » الذى أصدرته هيئة الكتاب فى صيف عام ١٩٧٨ فى الباب المعنون : الكراسة الاولى »

« فى اغسطس سنة ١٩٠٤ حضرت الى ديفون ، وكان مصطفى كامل فى انتظارى بالمحطة فتوجهنا الى الاوتيل الكبير ، وكان بانتظارنا الخديو امام قاعة التياترو ، فاستقبلنى أحسن استقبال ، وفى اخر السهرة اجتمعنا فى احد صالات الاوتيل ، ودار الكلام فى المسائل الحاصلة بمصر وكان اهمها وقتئذ قضية زواج الشيخ على يوسف (صاحب ومحرر جريدة المؤيد) بصفية بنت السيد عبد الخالق السادات .

وكان الخديو يساعد (الشيخ على) حتى انه ارسل أخاه (الامير محمد على) لمصر قبل ميعاد عودته ليتكلم مع قاضى مصر اذ ذاك يحيى الندى – مصطفى اخذ يلوم الخديو بلطف على تدخله فى هذه القضيه مبينا ان ذلك يسىء الى سمعته خصوصا وان الراى العام كان ساخطا على الشيخ لرغبته فى التزوج بالبنت رغم ارادة والدها . فقال الخديو (راى عام ايه شيخ ، هو فيه حاجه اسمها راى عام او أمة .. انا فى مصر لبست برنيطة ومشيت فى البلد ، ما حد يتكلم) واحتد الخديو وقال لمصطفى أخيرا (أنا ماحبش تنصحنى ، أنا عارف الواجب على) وقام زعلانا فبقينا نحن ، وكان مصطفى فى

حالة هياج شديد يقول (لابد من قطع علاقاتي بهذا الرجل) وفي الصباح امتنع مصطفى عن مقابلة الخديو في (غرفته بالفندق) فقابلته أنا ومحمود أبو النصر ، ومن دهاء عباس (الخديو) لم يتكلم مطلقا في حادث الليلة السابقة بل أخذ يكلمني في الزراعة ..

عدنا بعد ذلك مع مصطفى الى مدينة جنيف فأراد مصطفى كامل أن يكتب جوابا يقطع علاقاته معه فمنعناه بكل مشقة ،.ولكنه صمم على رأيه في نفسه ولما عاد الى مصر في سبتمبر حرر الجواب المشهور ، أرسله اليه من الاسكندرية وارسل صورته الى الجريدة قبل مقابلتي حتى لا امنعه،ولما وصل القاهرة وقطعت بذلك العلاقات بينهما مدة سنتين تقريبا » .

عاد مصطفى كامل الى مصر ونشر في ٢٤ من اكتوبر سنة ١٩٠٤ خطابه المشهور الى الخديو عباس ، فقال له فيه انه يقطع علاقته به ، لان الانجليز يتخذون من علاقتهم به ، سبيلا للكيد للخديو اذ يحملونه كل ما يصدر عن مصطفى من قول او فعل ، ويختم خطابه بانه ينصحه بان يبعد سيىء السمعة من افراد بطانته فانه اعظم ضررا به من الانجليز أنفسهم .

وكان هذا الخطاب عملا ضخما ، كشف للناس ،طبيعة العلاقة بين الحديو والزعيم مصطفى كامل ، وان مصطفى لم يكن يوما صنيعة من صنائع عباس ، وانه لم ياتمر بامره ، ولا يعمل بوحيه ، بل النقيض هو الذى كان يجرى . الزعيم كان ينصح ، بل كان يشتد في اللوم ، اذا لم تنفع الاشارة الخفيفة ، والتعريض المستور ، وكان نشر الخطاب في صفحات اللواء ــ بعد الاتفاق الودى الذى ابرم بين بريطانيا وفرنسا في سنة ١٩٠٤ ، والذى تخلت بمقتضاه فرنسا ، عن تاييد الحركة الوطنية في مصر ، وعن التضييق على الاحتلال البريطاني لوادى النيل ــ كان نشر الخطاب دليلا على ان مصطفى كامل لم يكن يعتمدفي صراعه مع الاحتلال لا على الخديو ، ولا على فرنسا ، وانه قادر على أن يبقى في الميدان وحده ،وان يحارب مع الاحتلال البريطاني ، كلا من الخديو عباس ، وفرنسا . وانه كان يشعر ان وقوفه في الميدان وحيدا ، ومصاولته للخديو والانجليز في آن واحد يزيد من تاييد الشعب له ، وثقتهم به وأن هذا التاييد هو العدة الحقيقية والاصيلة لمصطفى كامل وللحزب الوطني وان ما عداهما زائل او عابر . وقد كان فانه لم يمض على مجاهرة مصطفى كامل بالعدوان السافر للخديو اقل من عامين حتى وقعت حادثة دنشواى في ١٣ من يونيه سنة ١٩٠٦ ، فاحسن مصطفى استغلالها ، وراح يذرع اوروبا جيئة وذهابا ، منددا بفظائع الاحتلال البريطاني ، وجرائمه ، وبسوء سياسة اللورد كرومر ، وتخبطها ..

وسقط كرومر فعلا تحت ضربات مصطفى كامل البارعة .. والمحكمة في مصر وفرنسا والمانيا وتركيا ، وبريطانيا ذاتها ، وزاد نفوذ مصطفى كامل ، وعظم تاييد الشعب له ،وحبه لشخصه وأصبح اسمه في كل قرية ، وعلى لسان كل فلاح ..

واحس الخديو بانه هو الذى بات معزولا ومكشوفا فسعى الى الصلح مع مصطفى كامل ، وتم الصلح فعلا بفضل وساطة أحد اصدقاء الخديو ، ومصطفى كامل في الوقت نفسه ، وهو الدكتور صادق رمضان ، وقد حدثنا محمد فريد في مذكراته في ص ٥٤ من مطبوع هيئة الكتاب ، فعرفنا صورة أخرى من صور النصيحة والتوجيه التي كان يمارسها زعماء الحزب الوطني لرأس الدولة فقال :

« في خريف سنة ١٩٠٦ المذكورة توسط الدكتور صادق رمضان ، ومهد



السـبيل للمقابلة وفعلا اجتمعنا انا ومصطفى كامل والدكتور صادق ولطيف سليم باشا ، وقابلنا الخديو ليـلا فى عزبة مسطرد وفى هذه الليلة اتفقنا على تأسيس الحزب الوطنى ، وكنا مختلفين هل يكون الحزب (سرى) أو (علنى) وكان رأى الخديو أن يكون سريا ،ولكن تغلبنا على جعله جهريا »

ثم قال محمد فريد :

« عارض المرحوم لطيف باشـا فى مقابلة الخديو أو العمل معه لعدم ثقته به لأنه رجل انانى ، يفضـل دائمـا مصلحته الشخصية على الصالح العام ، وكان يكرر دائما هذه الجملة (هذه كلها قناطر مررنا عليها ووجدناها غير موصلة) بعد هذه المقابلة اجتمعنـا مـرات مع الخديو انا وصادق رمضان ومصـطفى بجامع سيدى البرى بجنينة القبة ، ولم يحضر لطيف باشا هذه المقابلات ، وفى احدى هذه المقابلات تكلم معه الدكتور رمضان صراحة بخصـوص بيع الرتب والنياشين وان هذا الامر يجعل للانجليز سبيلا للطعن عليه ، فقـال الخديو بأن هذه المسالة كانت من أمور الشـبوبية وقد تركهـا وسيشـتغل من الآن فى المسائل العامة بجد واجتهاد ويترك هذه الصغائر » ..

وهذه الفقرات تزيد حقيقة استقلال الحزب الوطنى واستقلال زعمائه الكبار جميعا عن الخديو ، وعن وقوفهـم منه موقف المعلم والمرشد والناصح وانهم كانوا يسـلكون لاداء هـذا الواجب الوطنى العظيم موقف الصراحة والمواجهة ، دون لف ودوران ، ودون تلطيف أو تخفيف فاذا سهل علينا تصور أن ينصح مصطفى كامل الخديو ، باعتبار ما لمصطفى كامل من مكانة أضفتها عليه زعامته وشهرته وحب الشباب له ، وذيوع مقالاته وخطبه فى مصر واوروبا ، وكثـرة عـلاقاته بكبار رجال السياسة الدوليين فرنسيين والمان وطليان ونمسـاويين وأتراك ، فاننا لا نكاد نفهم كيف يجـرؤ رجل قليل الحظ من الشهرة كالدكتور صادق رمضان ، أن يشتد فى تقريع الخديو ، لتورطه فى مسألة تتعلق مباشرة بالذمة والامانة ، وهـو على رأس الـدولة ، فيستخذى الحاكم المطلق ، ويعتذر بأن ما فرط منه كان من سقطات الشباب ، وانه سيترك هذه الصـغائر ، ويلتفت للعمل الجاد .

ولابد لنا من وقفة امام موقف لطيف باشا سليم من الخديو عباس ، واعلانه أنه غير اهل للثقة ، وأن العمل معه لن يؤدى الى خير الحركة الوطنية ، ثم يحضر اجتماعا واحدا مع صديقيه مصطفى كامل ومحمـد فريد ومع الدكتور صـادق رمضان لفرط الحاحهما عليه ، ثم بعد ذلك ، ينقطع عن حضـور جلسـات الحزب الوطنى ، لانه يرى فى التعاون مع الخديو مضيعة للوقت .

وليس هذا الا دليلا آخر على ان زعماء الحزب الوطنى ، كانت تملؤهم الثقـة بانفسهم حتى لا يروا الخديو جـديرا بزمالتهم ،وينفضون اليد منه ،وينصرفون عنه . فاذا قال لك قائل بعد ذلك ان مصطفى كامل كان يتحـرى ما يرضى الخديو عباس فيعمله وهو غير مقتنع بما يفعل فثق تماما ان هذا القائل واحد من اثنين اما انه جاهل ــ واما انه مغرض .

فالذين يقولون مثلا ان مصطفى كامل هاجم عرابى ، وآخذه بأمور فى آخـر ادوار الثورة العرابية ، لمجرد استرضـاء الخديو ، او مجاملته يقول زورا وبهتانا

بقى أن ننقل ــ فى هذا السياق ــ ان ننقل من مذكرات محمد فريد ايضا ، ومن صفحة ٥٩ ، مادار بين الخديوعباس وبين محمـد فريد ، عند اعتزام محمد

فريد السفر لاول مرة بعدانتخابه رئيسا للحزب الوطنى فى ١٤ من فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة زعيم الحزب الوطنى فى ١٠ من فبراير من السنة نفسها ، قال محمد فريد :

« فى مايو عزمت على السفر الى اوروبا ، وقابلت الخديو قبل السفر بيومين ، ودار بينى وبينه هذا الحديث:

الخديو : ماذا عزمت عليه يا سى فريد

فريد : ساسافر لاوروبا واسير فى طريق مصطفى .

الخديو ـ عظيم ! عظيم ! .. سافر نجح الله مقاصدك !

فريد : ساسافر ان شاء الله وانما اطلب من افندينا الا يعاكسنى فى مساعى والا يرسل ورائى من يسعى ضدى او يعرقل مساعى كما فعل افندينا فى العام الماضى سنة ١٩٠٧ اذ ارسل حافظ عوض واسماعيل اباظة باشا الى لندن لعاكستى ..

الخديو : لا والله يا سى فريد لا تخف . ومع ذلك فانا لم ارسل حافظ عوض فى العام الماضى .

فريد : ان امر ارساله مثبوت ، وانك اعطيته ٣٠٠ جنيه مصاريف سفر .

الخديو : لا والله مايه وخمسين فقط.

هنا تلعثم الخديو ، وتغير لونه فتركته وقمت » .

واحسب أن القارىء الكريم فى غير حاجة الى بيان تضييق فريد الزعيم الثانى للحزب الوطنى ، على ولى الامر وأمير البلاد ، وهو يستاذن فى السفر الذى كان يجرى فى عهد ما بعد الحزب الوطنى ، على صورة مخالفة تماما ، فالوزير أو الكبير حينما ينال شرف المثول بين يدى ولى النعم ، وسلطان أو ملك البلاد ، لا يتكلم الا اذا أذن له ، ولا يتكلم الا فى الموضوع الذى يفتحه ولى النعم ، ولا يطيل فى القول ، أما ان ينقلب اللقاء الى تأنيب للسيد الاعلى ، واحراج ، وتحقيق .. فشىء لا يخطر على بال ..

هذه هى الصفحات الاساسية فى كتاب الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل الذى بقى حريصا على تقاليده .

واذا استقرأنا مذكرات محمد فريد ، واستخرجنا منها اتجاهاته السياسية، وترامى آفاق ثقافته الدولية ، وحرصه الشديد على تناول الامور التى تتعلق بمصير بلاده وهى بين براثن الصراع الدولى الرهيب من جهة ، وتحت وطأة الاحكام العرفية البريطانية ، من جهة أخرى ، لاحتجنا الى صفحات وصفحات .

ولكن قد يجمل بنا ان نقف امام أمرين لهما شأن خاص .

أما الامر الاول ، فهو فى حقيقة الواقع ، قليل الشأن ، ولكن اريد له ان يكبر ، ثم نفخ فيه ، حتى اصبح كالمنطاد ، يبدو ضخما ولكن حسبه راس دبوس صغير ، ليتهاوى على الارض .

واعنى بهذا كله ،السيدة روشبرن ، التى طافت ومعها أوراق تسميها مذكرات وقد عرضتها للبيع ، وفى الايام الأول للثورة ، طرقت بابى ، وكنت اذ ذاك وزيرا للدولة ، وكان يهمنى بطبيعة الحال ، اى شىء يتصل بمحمد فريد وتاريخه ، والحزب الوطنى وجهاده ، فاحلت هذه الاوراق الى المستشار برهان سعيد ، وكان يعاوننى فى عمل كوزير للدولة ، وهو من المصريين القلائل الذين يحسنون الفرنسية ، فضلا عن كونه من الشباب البارز فى الحزب الوطنى ، فتوفر على قراءة هذه الاوراق فقال:أنها لا تستحق ان تشترى ، وانه لم يقع فيها

على شيء يجلو غامضا ، أو يضيف جديدا .

ولم اقابل السيدة على ضوء هذا التقرير ولكنى سمعت بعد ذلك ، ان ما كان معروضا علينا لشرائه كان قد بيع بالفعل الى الديوان الملكى فى عهد فاروق وان المقصود هو بيع ما يسمى بمذكرات مدام روشبرن للمرة الثانية ..

وهذا حسبك لتعلم مدى ما يمكن ان تحتويه هذه الاوراق ! ..

ومناقشة هذه المذكرات كان يستحق اهتمام العلماء ، او الباحثين ، حتى ولو كانت لهم حوافز أخرى غير علمية ، لو أن محمد فريد لم يشر الى السيدة صاحبة المذكرات كثيرا ، وكان من الممكن ان تورد كل هذه الاشارات فى مواضعها ولكن حسبى أن أشير الى موضعين أو ثلاثة ، لنعرف منها رأى محمد فريد فى مدام روشبرن . ففى صفحة ١٠٩ من المذكرات حسب طبعة هيئة الكتاب ، قال فى يومية ١٢ من سبتمبر :

« هذه السيدة « روشبرن » تنقد عشرين جنيه تركى شهريا للتجسس على وافادتهم بأخبارى ، ولكنها أخبرتنى بجلية الامر ، وهى الآن تنقل لى اخبارهم كما تنقل لهم ما تقف عليه من أخبارى » .

وفى صفحة ١١٥ ، يشير محمد فريد الى عملية قامت بها مدام روشبرن بايعاء من المسيو هاكسيدس وكيل الخديو فى جنيف ، ويتحدث فريد عن هذه العملية بقوله : « يظهر انها العوبة من الألاعيب السابقة » ..

ولو شئنا لتعقبنا المذكرات وأوردنا منها الكثير من هذه الآراء الصريحة التى تجعل الاطمئنان الى هذه الاوراق التى يقال عنها مذكرات وانها فى طريقها الى الظهور ، عدما . وقد نعود الى مزيد من القول ، فى هذا الصدد ، بتفصيل أوسع .

الأمر الثانى الذى يستحق ان يذكر لدى التلاوة الاولى لمذكرات محمد فريد ، هو انشغال خاطره بالتحضير للثورة فى مصر ، والعمل المسلح ، والحرب العالمية قائمة ، وكل شيء ينذر بأن مستقبل مصر ميئوس منه سواء ظفر الانجليز فى الحرب ، أو ظفر الاتراك والالمان .

ففى يومية ١٠ من سبتمبر سنة ١٩١٥ يقول محمد فريد : « قابلت أنا كذلك مترجم أول السفارة الالمانية وتكلمنا كثيرا ، وخلاصة الحديث أن دولته مستعدة لمساعدتنا بالسلاح والضباط اذا امكننا عمل مفيد بمصر بقصد تحريرها من الاحتلال » ..

وفى يومية ١٩ من مارس سنة ١٩١٥ يقول محمد فريد :

« وصل عبد العزيز عمران وملخص اخباره ان الحالة الروحية فى مصر جيدة جدا وان اخواننا مشتغلون بتنظيم اعمالهم استعدادا للثورة عند سنوح الفرصة . ولكنهم ينتظرون منا ان نرسل اليهم السلاح . وسنسافر معه قريبا الى برلين للسعى فى ارسال الاسلحة والذخائر » .

وفى يومية ٣ من مايو سنة ١٩١٥ يقول محمد فريد : « قابلنا الهر فون زيتنس السكرتير العام لوزارة الخارجية ، وهو قدمنا للهر « ويزن دونك » رئيس القلم المشتغل بالمسائل الخارجية فذهبنا معه الى غرفته وتكلمنا كثيرا بخصوص ارسال اسلحة لمصر ، فوعد ببحث المسألة والاستعلام منا عن اللازم عند تقريرهم شيئا » ..

فاذا كنا نتحدث عن ثورة سنة ١٩١٩ باكبار واعزاز ، بوصفها من قدرات الشعب المصرى ، الابى المناضل ، فلا يجمل بنا ان ننسى ان محمد فريد ممن بذروا بذور هذه الثورة وحضروا لها ، ونسقوها ، وفرحوا بها عند ما قامت ولم يضعف من فرحه انها قامت وعلى رأسها سواه ، وانه كان فى المنفى ، لا يملك ان يشارك فيها الا بقلبه ولسانه .

كلمة أخيرة

ليست مسائل ثانوية

● في مجلة « روزاليوسف » ، العدد الصادر بتاريخ ٥ مارس ١٩٧٩ ، كتب د . عبد العظيم رمضان تحت عنوان : « الزعماء السياسيون ، هل هم مقدسون ؟ » . وذلك تعقيبا على مانشرته بالعصور عن الزعيم محمد فريد ، وما نشره آخرون عن سعد زغلول .. وكان من بين ماقاله ان الكاتب الذى هاجم سعد زغلول ، والكاتب الذى دافع عن محمد فريد — الذى هو انا — قد ظلما الزعيمين الكبيرين ظلما بينا ، فالزعماء السياسيون لا يؤاخذون على هذا النحو ، فليسوا — من جانب — قديسين تطلب لهم العصمة من الخطأ والكمال من الصفات ، وليسوا من جانب آخر — افرادا عاديين تجوز عليهم المحاسبة ، كما يحاسب الافراد العاديون .

ثم يقول الكاتب ايضا — في مكان آخر — من كلمته : ان علاقة محمد فريد بمدام دي روشبرون تصبح مسالة قابلة للاجتهاد التاريخي قد تحتمل الخطأ وقد تحتمل الصواب دون أن يترتب على النتيجة في كلتا الحالتين اى تأثير بالسلب او الايجاب على زعامة محمد فريد او شخصيته الانسانية العظيمة .. فلا ثبوت هذه العلاقة في اى صورة من صورها يمكن ان ينتقص من هذه الزعامة او يؤدى الى « اغتياله » على حد التعبير الطريف لكاتبنا الكبير ، ولا نفي هذه العلاقة يمكن أن يثبت زعامة هذا الزعيم ، فزعامة زعمائنا لا تقوم على أمثال هذه المسائل الثانوية والا كانوا أفقر الناس في صفات الزعامة وقيادة الشعوب ، والشعوب المتخلفة وحدها هي التى تنشد في زعمائها ، صفات الصحابة والخلفاء الراشدين والانبياء والقديسين ، ان عظمة هؤلاء تكمن في تغلب عوامل القوة في شخصيتهم الانسانية على عوامل الضعف ، والانحياز الطولي لقضايا بلادهم المصرية ، وتغليبها على مصالحهم الشخصية ، على عكس مايفعل الافراد العاديون وحياة الزعيم الخاصة أيا كانت هذه الحياة، هي ملك له وحده ، والغرض من دراستها هو استكمال الصورة الانسانية للزعيم السياسي ، وليس التجريح ، او التمجيد ... »

وعند اكثر من عشر سنوات عندما كنا نحتفل بذكرى مرور نصف قرن على وفاة الزعيم محمد فريد ، وفي احدى الندوات التى اشتركت فيها مع الدكتور محمد انيس قال لى الاستاذ الدكتور انيس : « لماذا تعطى موضوع مدام دى روشبرون كل هذه الاهمية .. ان وجود عشيقة للينين — مثلا — لم ينقص من قدره عند شعبه ولم يقف عنده الكتاب والمؤرخون ، كما تقف انت بهذه الصورة العتيقة الجامدة »

وهذا هو جوهر الخلاف بيني وبين الدكتور محمد انيس ، الذى هو موضع التقدير كاستاذ جامعي مرموق ، أدى للاساتذة والمكتبة العربية بما الف ودرس ، الكثير من الخدمات .

دكتور محمد انيس ، ومن يتفق معه في الرأى والاتجاه يرون أن موضوع زواج زعيم وطنى من احدى السيدات زواجا سريا يثمر ابنا لم لايعترف الزعيم بالابن ولا بالزوجة ، هذه مسألة ثانوية من ناحية ، ومسألة شخصية من ناحية اخرى ...

وأنا أرى ككاتب وكواحد من تلاميذ محمد فريد يفتخر ، في مقدمة مايفتخر به في حياته ، انه ظل وفيا لمحمد فريد رغم كل الظروف الشديدة

التي كانت تحول دون هذا الوفاء ، أو على الاقل تحرمه — أرى أن مثل هذا الموضوع في مجتمع مصري اسلامي يؤمن بالقيم والمثل العليا ، ليس موضوعا تاريخيا وليس مسألة شخصية ابدا ...

ولو انني حقيقة كنت قد تأكدت من زواج محمد فريد بمدام دي روشبيرون ، وانجاب احد الابناء كثمرة لهذا الزواج ، لكان لي رأي آخر في محمد فريد ، ولتأثرت علاقتي به ، أو على الاقل لاهتزت صورته ، عندي .

ولو انني حقيقة أيضا ، كنت قد تأكدت من وجود هذا الزواج وهذا الانجاب ، لما ترددت في نفس الوقت مهما تكن علاقتي بمحمد فريد ، ومهما تكن ارتباطاتي الحزبية بالحزب الوطني في أن اعترف به ، ولا اجادل فيه على الاطلاق ، فلست أبدا ممن يحاجون في المسائل الثابتة القاطعة .

ولكنني متأكد الى ابعد حدود التأكد أن هذا الموضوع لا اساس له من الصحة . وقد سألت فيه الاستاذ خليل مذكور الذي عمل سكرتيرا للزعيم الوطني في السنوات الاخيرة من حياته ، فنفاه بالقطع كما حاججت فيه الاخ الصديق الاستاذ عبد الخالق فريد ، نجل الزعيم محمد فريد ، طويلا ، فأثبت لي بالادلة التي اقتنعت بها أن هذا الموضوع لا اساس له من الصحة . كما أن مذكرات محمد فريد تؤكد لنا انه كان يعتبر مدام دي روشبيرون جاسوسة عليه من قبل الخديو السابق ، وان الخديو السابق عباس حلمي كان يعطيها اجرا ثابتا لقيامها بتلك المهمة .. ولا اعتقد ابدا أن محمد فريد الذي نعرف جيدا اخلاقه يمكن أن يقول عن السيدة التي ارتبط بها حتى ولو لأيام قلائل ، انها كانت جاسوسة عليه لصالح خصومه السياسيين ، فقد كان ممكنا اذا ماكان الارتباط صحيحا ، أن يبتعد عن الاشارة اليها في مذكراته ، والا يوجه اليها مثل هذه الاتهامات التي تسقطها وتزلزل الى ابعد الحدود في سمعتها .. ان كل ابناء الحزب الوطني ممن زاملوا محمد فريد يعرفون جيدا قصة مدام دي روشبيرون منذ أن بدأت تتصل بالمصريين الذين كانوا يعدون مؤتمرا مصريا وطنيا في باريس في صيف ١٩١٠ وكانت لجنة تنظيم هذا المؤتمر قد اتخذت مقرا لها بباريس في شارع جاليلي رقم ٦٣ واستأجرت قاعة كبرى في ٢٨ شارع سيربون لعقد جلسات المؤتمر ، ثم رأت حكومة مسيو بريان منع عقد المؤتمر بباريس مجاملة للحكومة البريطانية ، فتم نقل المؤتمر الى بروكسل !

وقدامى رجال الحزب الوطني يذكرون جيدا زواج مدام دي روشبيرون من أحد الضباط الاتراك ، وانجابه منها ابنا اسمه وحيد و . و .

واذا كانت مدام دي روشبيرون تمسك ببعض بطاقات المعايدات الرقيقة التي كان يكتبها محمد فريد اليها في بعض المناسبات ، فان هذه البطاقة لاتدل ابدا على وجود علاقة زواج ، ذلك ان اللغة الفرنسية وهي من ارق لغات العالم ، تحمل بعض العبارات الرقيقة التي يستخدمها البعض لمخاطبة السيدات دون أن تحمل وراءها اكثر مما تحمله رقة اللغة الفرنسية ..

ونحن لا نلوم مدام روشبيرون الا على ادعائها الزواج من محمد فريد ، بعد مماته في الوقت الذي لم تكن تجرؤ فيه على اظهار هذا الادعاء في حياته : لقد جاءت الى مصر بعد وفاة محمد فريد مباشرة لتقديم التعزية فيه وكانت تعرف انه رجل عليه ترك الكثير الكثير فلما عرفت الحقيقة وعرفت أنه مات غارقا في الديون ، عادت الى باريس دون أن تقول شيئا من هذا الموضوع وان كانت لم تتوان عن اظهار علاقتها الطيبة به ، واهتمامها بتاريخه . وانني اذكر ، مرة في نوفمبر ١٩٥٠ وكنت قد ألفت لجنة للاحتفال بذكرى محمد فريد ، وكانت الاهرام تنشر متفضلة اخبار هذه اللجنة وكنا قد اخترنا مسرح الريحاني لنقيم فيه حفلة التأبين — اذكر انني تلقيت برقية من طريق الاهرام تحمل اسم مدام عزيزة دي روشبيرون تشاركني فيها الترحم على محمد فريد . وعندما عرضت البرقية على استاذنا عبد الرحمن الرافعي ، وعلى بقية اعضاء « الحزب الوطني » ، سمعت منهم — ولاول مرة — القصة الحقيقية لمدام دي روشبيرون » .

ولا اريد أن اطيل في هذا الموضوع الذي سبق أن كتبت فيه مقالات عدة ، مكتفيا بنقل فقرات مما جاء في مذكرات محمد فريد عن مدام دي روشبيرون وهذه الفقرات من وجهة نظري الخاصة تكفي للتدليل على حقيقة العلاقة التي كانت بين محمد فريد ومدام دي روشبيرون .

يقول محمد فريد في مذكراته تحت عنوان « طلب روشبيرون التوسط في الصلح » :

وفي مساء ١٢ سبتمبر ١٩١٢ قال لي عزت بك شكري أن الخديو اخبره عند مقابلته في العام الماضي في اكتوبر او نوفمبر ان مدام روشبيرون كتبت له وليوسف باشا صديق تعرض عليهما ان تتوسط لدى في الصلح مع الخديو ، ولكنه — اى الخديو — امر يوسف باشا بعدم الرد عليها بهذا الخصوص . وهذه السيدة تتقاضى عشرين جنيه تركي شهريا للتجسس على والاتهم باخباري ، ولكنها اخبرتني بجلية الامر وهي الآن تنقل لي اخبارهم كما تنقل لهم ما تقف عليه من اخباري » .

وفي مكان آخر من مذكرات محمد فريد يقول :

« سافرت سلطنا من باريس الى جنيف ، وهناك في اليوم التالي أي مساء ١٠ منه ، حضرت روشبيرون موفدة من قبل الخديو لمقابلتي والاتفاق معي على الصلح ، وكانت كتبت بذلك من قبل ، وبانها قابلت الخديو في جيونلي « بوسفور » واظهر لها اسفه مما حصل واخبرها بانه يريد أن تكون هي واسطة الصلح واعطاها للمصاريف السفر .. وانت تأجيتها بأني مستعد للصلح على شرط أن تكون المخابرة بيني وبينه مباشرة

● البقية صفحة ٧٠ ●

قضية الشعر الجديد بين طه حسين والعقاد

● د. عبد الفتاح الديدي ●

● تبدو الحياة الادبية هذه الايام صماء لا تجد صدى يلوح بها لأى رأي او اى فكرة .. وكأنما لم يعد ثم مجال لتناول اى شيء بالبحث والدراسة .. وقضية الشعر الجديد انتهت الى ما يشبه الجمود تقريبا لأن الشعر العمودى لا يزال معمولا به ، فضلا عن أن الشعر الجديد اكتفى بتسجيل ارقام قياسية فى الانتشار واشاع أصحابه عن انفسهم انهم الشعراء المثقفون ، وانتهت المشكلة بإيجاد منامة من نوع آخر لأصحاب الشعر الجديد .

وقد اعتبر النقاد المحدثون أن الاستاذ العقاد مسئول عن محاربة هذا الشكل الجديد من الشعر . واعتقدوا انه تسبب فى ايذاء الشعر الجديد وفى تضييق الخناق على أصحابه حين قام بتحويل دواوين الشعر الجديد الى لجنة النثر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية !

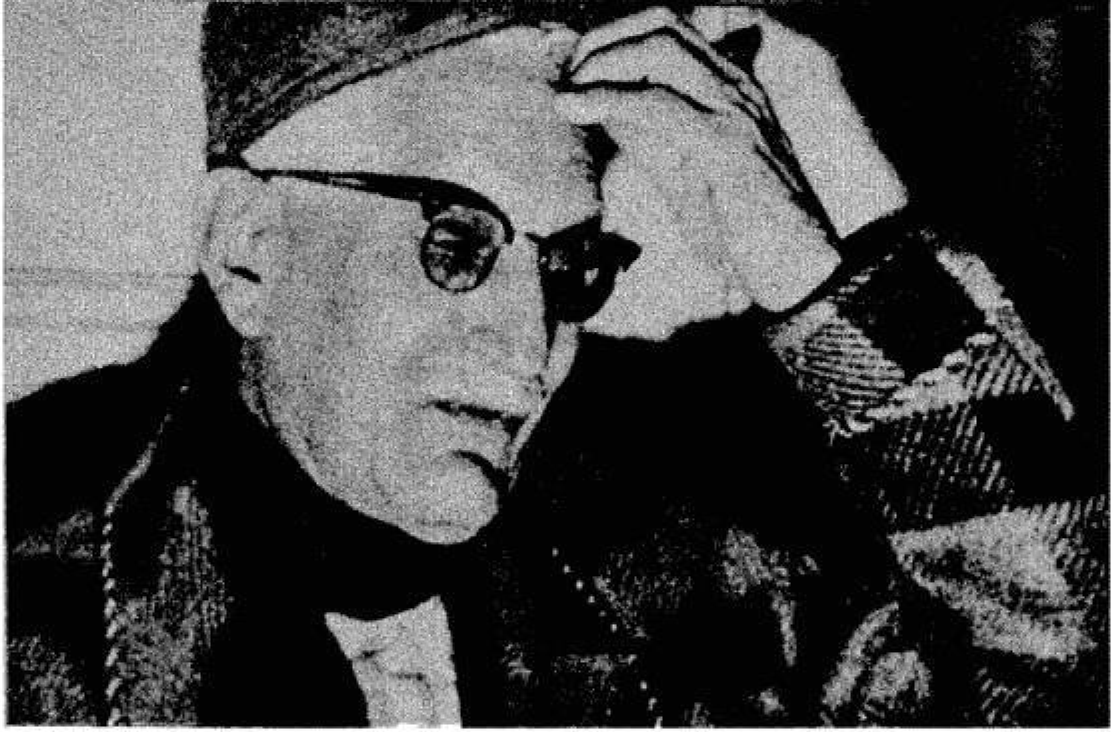
ولو علم أصحاب الشعر الجديد حقيقة الأمر لما غضبوا من العقاد لهذا السبب . فالواقع أن طه حسين هو السبب المباشر فى تحديد هذه الخاصية عن الشعر الجديد عندما أصدر الجزء الثالث من كتابه على هامش السيرة وبه خمسة فصول أولى موزونة على طريقة الشعر الجديد دون أن يسجلها شعرا ...

وكانت محاولة طه حسين تلك سنة ١٩٢٦ على وجه التحديد .. وثار الموضوع فى ذلك الوقت على صفحات « الرسالة » ، ثم عاد الصمت واطبق على هذه القضية ... ثم ثارت مرة اخرى على صفحات « المجلة » على يد الاستاذ يحيى حقى الذى أراد أن يخلق مواجهة جديدة للقضية بتوجيه الناقد الكبير انور المعداوى .

ولهف عدد كبير من الادباء على اجراء مثل هذه التجربة ، ولكنهم وزعوا التفعيلات على سطور ولم يتركوا كلماتهم تمضى فى شكل فصول أدبية . وبهذا ظهرت المشكلة التى عالجها العقاد على ذلك النحو .

والمسئول الاول عن هذه المشكلة هو طه حسين .. فلو قد ظن أنه كان يسجل شعرا لا فصولا نثرية ، لقام بتوزيع تفعيلاته على السطور كما يفعل بعض الشباب الآن ..

وقد احببت أن اثير هذه المسألة مرة اخرى بمناسبة ذكرى استاذنا العقاد لكى اكشف عن شيء هام هنا



العقاد ـ العملاق .. كان انسانا وديعا لا يلاحظ كل شيء ملاحظة هادئة متأملة ..

وهو ان بعض اعمال الشاعر صلاح عبد الصبور اثارت اعجاب العقاد ، واذيع الآن كلماته التى سمعتها منه امانة للتاريخ بهذا الصدد . لانه قال « كان لازم صلاح عبد الصبور يكون جادا لان بضاعته الشعرية سليمة » وكثيرا ما ابدى اعجابه به ويستطيع صديقى الاستاذ حسن عنبر ان يشهد بذلك ...

ولم تكن العداوة النقدية عند العقاد سوى شيء ظاهرى ، لانه ـ بمعزل عن العملية كعمل صحفى ـ يصبح العقاد انسانا وديعا اليفا يلاحظ كل شيء ملاحظة هادئة متأملة .. ولم يكن هناك سبب للخصام الشديد بين مدرسة العقاد ومدرسة الشعر الجديد لان معظم نقاد الشعر الجديد ومنهم الدكتور عز الدين اسماعيل ـ كان يوما من تلاميذ العقاد .

وقد تحركت عند العقاد رغبة جادة فى تطوير التشكيل الزمانى للاطار الموسيقى بالقصيدة كما تحركت هذه الرغبة عند عز الدين اسماعيل وانصار الشعر الجديد . بل لقد ورثنا جميعا حب تطوير الشكل الاطارى للقصيدة من العقاد ذاته . ومن الظلم للتاريخ ان يقال غير ذلك . وكل محاولات العقاد من هذه الناحية مسجلة بديوانه اعاصير مغرب وغيره من الدواوين ...

وكان العقاد ابرع شعراء اللغة العربية تعبيرا عن طريق المعنى الذى يشيع به احساسا معينا يملك بدفقة الاحساس عند القارىء من البداية الى النهاية . اعنى انه كان ابرع من يحدث وقعا ونبرا فى صميم الاحساس الشعرى وهى الخاصية التى فاض فى تحليلها سيد قطب فى مقالاته النقدية عن شعر العقاد سنة ١٩٣٨ بمجلة الرسالة القديمة . واستطاع سيد قطب ان يخطف ابصار كل نقاد الشعر فى تلك السنوات بما ابداه فى تحليلاته من دقة وحساسية وجمال .

فالتجديد الجوهرى الذى يمس اطار الشعر كان هدفا فى شعر العقاد . ومحاولاته كانت جادة فى هذا المجال بدليل انه اشاد بها عند مطران فى قوله :

حررت أوزان القصيد
فزاد في الميزان وزنا
وتوسعت فيه البحور
فارسلت دررا ومزنا
هذى الثلاثيات حقك
من لدنك ومن لدنا

وديوان العقاد « عابر سبيل » انموذج واضح في أوائل الثلاثينات لثورة شعرية حقيقية تتناول المضمون وتتناول القالب أو الاطار التشكيلي ...

وليس ذنب العقاد انه حاول أن يدعم مركزه اولا في ميدان الشعر كشاعر اصيل ، ثم يمتد فنه الى التغيير الجوهري للاطار التشكيلي ثانيا . فقد كان هذا هو هدفه الاول ولكنه هدف مؤجل لارتباطه اساسيا بجماليات فنية صعبة التحقيق بدون مكانة شعرية مرموقة .

وقد ذكر النقاد العديد من هذه المحاولات ولكن الشيء الذى فاتنا تقديره بعيدا عن الشعر الجديد هو مايسمونه بالايقاع الداخلى للكلمات اى ايقاع الحركات والسكنات بما فيها من قوة أو لين ومن طول أو قصر ومن همس أو جهر .

ونعود فنقول الم يلتفت طه حسين الى هذا الايقاع الداخلى في الفاظه وهو استاذ النبر الصوتى لكى يحول دون سرد فصوله ذات الوزن الفعلى في كتابه على هامش السيرة على هيئة الكتابة النثرية المألوفة ؟

ولم اكن قد تناولت قضية الشعر الجديد بالتفصيل قط في كتاباتى وان كنت قد تناولت قضية الموسيقى الشعرية كما افهمها ، ولا استطيع ان اقول سوى شيء واحد هنا وهو أن نقاد الشعر الجديد شأنهم شأن نقاد « الهراوة » لم يحاولوا أن يتفهموا القضية تفهما علميا واضحا بالمناقشة الجادة الواعية بعيدا عن الحماس والتعصب .

ولاشك انني أحببت العقاد كما قلت دائما ولكن حبي لرفاق الدرس واصدقاء العمر شيء لا سبيل الى انكاره . وقد نشأت القضية خطأ عن وجود العقاد في كفة وبقية النقاد في الكفة الاخرى كما قلت يوما لصديقي الاستاذ الدكتور عبد القادر القط . وقد أبديت اسفي له عن الاسلوب الذى شاع عند مناقشة القضايا الادبية بحيث يلهب النقاد ظهور خصومهم تبكيتا وتنكيتا ، في حين ان المسائل هنا تحتاج الى ريادة من نوع جديد . وكم كان يمكن ان نحل العديد من الاشكالات بالتفهم والدرس الدقيق .

واحب ان اطرح الآن مع جميع الاصدقاء والدارسين والنقاد مشكلة أولى من مشكلات الشعر الجديد والشعر العمودى ، وهي الى اى حد يقوم كل من الشكلين الشعريين بعملية التبليغ او الاتصال ؟

فانا وغيرى من النقاد نعتقد أن الشعر فن قائم على اساس التوصيل والابلاغ المتقن اى انه يخلق جسرا اشبه بالقنوات التى تمر خلالها الكلمات لتترابط في النهاية عند السمع كسياق بنيوى أو تتهاوى بعده الكلمات بدون تجميع .

والسياق السمعي النغمي يقتل الالفاظ قتلا كي ينصرف الوعي بعد السمع الى الدلالات . فاذا فاق الشعر الجديد باطاره التشكيلي « الشعر الاطاري السياقي » اذا صحت هذه التسمية لاتجاهات الابداع الفني للعمل الشعري مع الارتباط بالسياق البنيوي ـ اقول اذا فاق الشعر الجديد مدرسة السياق البنيوى في هذه الخاصية كان اولى بالتقدير .

والمهم هو ان نلاحظ ان المقارنة بين اتجاهي الشعر الجديد ومدرسة السياق البنيوى لا تحتاج الى برهان على الاجادة بقدر ماتحتاج الى برهان على الفشل في الاداء المطلوب عملا بقول الشاعر

ابن خميس :
« لا أشتم الذئب طبع الذئب يكفيني »

والفشل الظاهر بين أصحاب الشعر الجديد يماثل تماما الفشل الظاهر في شعراء السياق البنيوي . ولعل الخمول الذي يغطي أرجاء الشعر الآن يصاب برجفة أمام دعوتنا اليوم الى سماع ثلاث قصائد من كل لون يتفضل بارسالها الى « الهلال » أصدقاؤنا من الشعراء هنا وهناك لاعادة شكل القضية ودراستها على نحو بعيد عن الخلط والمغالطة .

والجانب الذي يهمنا الآن بالدرجة الاولى هو التوصيل . ونود أن يعتبر كل شاعر هذه القضية قضيته وقضية مستقبل الادب العربي الحديث . فالشعر شأنه شأن كل الفنون مطالب بأن يكتشف فتحات ينفذ منها الى قلب القراء ووجدانهم وسط كل المشاغل اليومية . **او بعبارة أخرى يخضع القارىء اليوم لمؤثرات شتى** تبعده عن الكلمة **المقروءة ومن الضرورى** أن يحاول الاديب **محاولة جادة من اجل** تشكيل الكلمة المقروءة **بالاسلوب والنغم** المطلوبين لنجاح مشروع **الشعر أيا يكن .**

وهذا نفسه هو ماحدث بفرنسا عند ظهور تيار الشعر الذي تغنى به جاك بريفير في ديوانيه « المطر والجو الصافي » و « اقوال » فاستطاع بذلك ان يجذب جمهور القراء بشكل رائع ، وصار شعره في متناول كل انسان .

ولكن هذا لم يقض نهائيا على شعر بول ايلوار بل ظل الادب الفرنسي الحديث والمعاصر يرمى مايسميه بالكلاسيكيات الادبية ، وهى الاعمال ذات الطابع الجاد القويم المتفق مع قواعد واصول وتاريخ الفن الشعرى .
والمهم هو ان نلاحظ ان تغيير قوالب الشعر الاطارية لا تمثل اتجاها مثل اتجاهات الفن كالحوشية ، والسيريالية ، والتجريدية ، والانطباعية ـ بل هى عملية تحرك قواعد الفن من أساسه ؛ وبالتالي لا تشكل مجرد موقف كما حدث حتى الآن بالنسبة الى الشعر الجديد ، وانما من الضرورى ان نعهد الى عدد من شعرائنا بتسجيل موقفهم الحسى من موسيقى الشعر لاكتشاف طرق ووسائل التغيير .

ليس حسبنا هنا موقف او موجة جارفة تروح وتجيء وانما نحن بصدد احداث تغيير جوهرى يناسب مقتضيات عصرية مناسبة ؛ من الظروف المعيشية والثقافية والاجتماعية . وعلى ذلك فالنغم المطلوب ايجاده يخضع لايقاعات جديدة مطلوبة ونبرات أصلح وأقرب الى اسلوب الجماهير في تلقى الانغام .

لابد من سليقة موسيقية شعرية تتالف عند المرء بالتاصيل والمقارنة والاستيعاب . للشاعر خاصية موسيقية في تصوير الالفاظ هى ماتسميه ملكة الشعر . يبقى بعد هذا اما أن يستغلها استغلالا تقليديا فاسدا او يقدم عبارته من خلالها على نغم طريف مجدد متحرك . ●



عباس العقاد

ليست مسائل ثانوية

بلا وسيط وبدون حضور احد أيا كان، استعلمت من محل المسيو « هاكسيدس » وكيله بجنيف فاخبرها ان الخديو بلوزان ، فارسلت اليه تلغرافا تخبره بما حصل .. وقد اخبرها هاكسيدس بالتليفون بأن تلغرافها وصل الخديو ولكنه سيسافر غدا الى الاستانة .. روشبيرون قابلت هاكسيدس فاخبرها ان الخديو سافر وانه سيرسل لها بالاوامر اللازمة من مصر ، فحضرت هي الى باريس لمقابلة يوسف صديق وانا حضرت لباريس كذلك في صباح الجمعة ٢٥ لاقيم بها فصل الشتاء كله او بعضه ، وقابلت روشبيرون فقالت لي انها قابلت يوسف صديق ، وانه اخبرها بان الخديو خشى جواسيس الانجليز الذين علموا بانه يريد الصلح معنا ، وعلى ذلك سافر الى الاستانة بدون أن يدخل جنيف حتى لا يتهم بمقابلتي . »

وفي مكان آخر من مذكرات محمد فريد يقول :

« **قابلت روشبيرون الاحد ٩ نوفمبر فاخبرتني بانها قابلت شخصا اسمه المسيو دوباز ، ودار الحديث بينها وبينه على مسائل الدولة ، فعلمت فيه اثناء الحديث أن فرنسا تسعى جهدها لاستمالة كثير من الشوام في مساعدتها ، وان « الروسية » تبذل جهدها كذلك في بلاد ارمينيا اذ انه ينتظر حدوث ثورات بولايات ارمينيا في الربيع القادم ، وانه هو سافر الى الشام لهذه الغاية ، وانه يريد أن يعمل بينها وبين وزير خارجية فرنسا علاقة لتوافيهما بالاخبار ، وربما تمشيا بمأمورية في جهة ارمينيا لمساعدة الروسية ، اي انها ستكون جاسوسة هناك . ولا فائدة في ذلك فانها تسعى فيما ذلك من مدة بسبب سعيها في التقرب من رجال الاتحاد والترقي ، والتعرف بالضباط ، وبالاخص الضباط ... الاحتلال ذلك من الآن »**

ويستطرد محمد فريد قائلا :

« في يوم السبت ٢٩ نوفمبر ورد لي جواب من روشبيرون تقول فيه ان محل كوك ارسل لها تذكرة درجة اولى من باريس الى القاهرة بالوابور الذي يغادر مرسيليا يوم ٥ ديسمبر ، وانها تنتظر مرتب الشهر لتسافر حسب الطلب والظن أن هذا الطلب لابد وان يكون له علاقة بمخابرات الصلح ، كتبت على الفور لاسماعيل حافظ ، بان يخبر فؤاد بك سليم بذلك ، وبان يرفضوا تدخلها بالمرة ، والظن ان الخديو لم يطلبها الا بعد قرار مجلس ادارة الحزب « الوطني بالطبع » بعدم التكلم في الصلح معه بناء على انه غير صادق في مسعاه ، وغير كتوم للسر .. فان اللجنة كانت قررت في آخر اكتوبر قبول المخابرة معه ، وعينت عبد اللطيف افندي حمزة ، ومصطفى افندي الشوربجي ليتوليا من اللجنة في المخابرات ، ثم عدلت من هذا القرار لاشاعته بالقهاوي من جهة ، وبعد وقوفهم على مادار من المخابرات بواسطة توفيق بك زاهر وصادق رمضان من جهة اخرى ، تلك المخابرات التي لم تأت بفائدة »

ومما يدل على ان محمد فريد كان يرى في الزواج غير الشرعي وفي العلاقة غير المشروعة امرا تأباه الاخلاق الكريمة ، انه كتب في مذكراته يقول :

« **علمت امس بطريقة غريبة ان يوسف صديق له ولد من الزنا يتربى في مدينة الهافر ، وقد رأيت هذا الغلام ، وهو يبلغ الحادية عشرة وتظهر على ملامحه سيما المصريين ، وسألته عن اسمه فقال « صديق » .. وهو لايعرف كلمة من العربية عندها قالت لي فهيمة هانم زوجة محمود مسعود بك ، وبنت مصطفى باشا صديق اخ يوسف صديق ، وكانت مع اولادها في لوكاندة ستا - « ٦٣ شارع جاليلي » انه غلام يتيم تبناه يوسف ولكنها كانت تتلعثم ، وظهرت عليها امارات الخجل ، لانها قالت لي في مبدا الامر عند سؤالي منها عن هذا الغلام . انى لا اعرف اباه . فقلت لها عجبا انه كله مصري تقريبا »**

والذي يكتب هذا الكلام عن ولد غير شرعي بمثل ذلك الاتهام الشنيع ، لا يمكن أن يقبل على نفسه أن يكون له زوجة يتنكر لها أو ابن يرفض انتسابه اليه .

ان كل مالدي من وثائق تاريخية ، ومن بينها اكثر من مائتي خطاب ارسلها محمد فريد من منفاه الى زوجته واولاده واقاربه ، تؤكد في مجموعها ان اخلاق محمد فريد كرجل وطني مسلم مستقيم .. لم تكن لتسمح له بان يتزوج زواجا غير شرعي ، كما ان اخلاقه الكريمة وشجاعته التي فاقت كل الحدود تأبى عليه ان يكون له - وهو الذي حارب الخديو والانجليز اعنف حرب لاكثر من عشرين عاما - ولد من صلبه يرفض ان ينسبه اليه .

وفي النهاية نقول أن مثل هذه الامور التي يرى البعض انها مسائل ثانوية أو مسائل شخصية تخص الزعيم وحده ، لايمكن ابدا ان تكون مسائل ثانوية في مجتمع اسلامي يؤمن بالقيم والمبادىء . ولو ان مثل هذا الامر الذي تنسبه مدام روشبرون الى محمد فريد كان له نصيب من الصحة ، لاهتزت شخصية محمد فريد الى ابعد الحدود عند اصدقائه ولاميذه ومريديه .

ان علاقة محمد فريد بمدام روشبيرون لاتتعدى علاقة مصلحة ، لهو يستخدمها ليكشف عن طريقها خطط خصومه واعدائه ، وهو في نفس الوقت لا يريد أن يقطع هذه الصلة ، لانه يريد أن يعرف الكثير من الاخبار السياسية ذات الاهمية البالغة التي كانت تتوافر عند مدام روشبيرون نظرا لصلاتها الوثيقة بالخديو وبالمخابرات السياسية وغيرها من الاجهزة التي كانت تعمل فيها مدام روشبيرون .

● صبري أبو المجد ●

ناس وصور

وحكايات



حمّام جماعى للأسرة

تعتبر الفقمة ((كلب البحر)) من الطف ماخلق الله من حيوان ، فهى ذكية واليفة وتحب اللعب . ولهذا يستخدمونها فى السيرك . ونحن نعجب من طرائف ماتقوم به من بهلوانيات ... ومن احسن صفات الفقمات هو الحب العائلى فان الفقمة سواء كانت ذكرا او انثى تحب اسرتها وتعيش حياة اسرية كاحسن ماتكون تلك الحياة وفى الصورة ترى مشهدا من مشاهد الحياة العائلية لفقمة واسرتها فهم يستحمون معا فى حمام خاص اقامه لهم صاحب السيرك .

الأميرة ... حافية ... إجلالاً للمسجد



لذلك لم تر فى حياتك اميرة حافية القدمين، لان المعروف ان الاميرات لا يسرن الا على الحرير ، ولا يتحركن الا باحذية من اغلى ما يصنع الصناع . ولكن هذه اميرة حافية ، هى الاميرة جريس اميرة موناكو ذات الجمال والشهرة والصيت .

وهى حافية لانها ستدخل المسجد فقد كانت فى زيارة لاستانبول ، وقبل ان تدخل مسجد احمد باشا خلعت نعليها ربما للمرة الاولى فى حياتها.



الله ... الملجأ الأخير

هذه السيدة التى تراها فى الصورة ، هى الشهبانو فرح ديبا التى كانت من أقوى وأغنى نساء العالم ..

وقد حدث فى ايران مانعرفه جميعا ، وتبدل الحال غير الحال وذهب ناس وأتى ناس . وفى لحظات الفزع الاخيرة والتماسا للأمل تركت الشهبانو العرش والتاج والترف واتشحت بالسواد واتجهت الى الله ... الى العتبات المقدسة فى النجف ، تلتمس العون ممن لا عون بدونه ، ولا امل بدونه : الله سبحانه وتعالى .

وسبحان مغير الاحوال



علموه كيف يقتل .. فقتل

هذان الصبيان اللذان تراهما فى الثالثة عشرة من عمرهما وهما فيتناميان من جنس الخمير وهما اثنان من مئات الالوف من شباب وصبيان فيتنام الذين ولدوا فى الحرب وعاشوا مع الحرب ولم يعودوا يعرفون لانفسهم حياة غيرها ولذلك فالحرب بالنسبة لهم لعبة او قل لعبة الحياة .. فهما يحملان فى يديهما مدفعا رشاشا يحصدان به الارواح وهما لا يعرفان ماهية الارواح .



تلك هى ألعبة الخطرة التى دخلت فيها فيتنام من أكثر من ربع قرن وهى لا تعرف اين تقف او كيف تقف ...

وكان المفروض بعد خروج الامريكيين ان تستقر فيتنام سنوات طويلة لترتب وتعيد البناء وتتم وحدة فيتنام ... أما الهجوم على كمبوديا فكان فيما نظن سابقا لاوانه ، لم يكن ضروريا اطلاقا ولكن ما العمل وهناك الوف من مثل هذين الصبيين لا يعرفان من لعب الاطفال الا البندقية الرشاشة ...

تولستوي

- بقلم ابنته : الكسندرا تولستوى
- ترجمة : نصرى عطا الله

قارن أبي احدى المرات بين الكتابة وبين تعلم الموسيقى ، قال : انه لأمر مضحك أن يسألك الناس :

– هل جربت أن تكتب ؟

وما من أحد منهم يجد في السؤال أي غرابة ، في حين انه اذا سأل سائل:

– هل جربت ان تعزف على الكمان أو البيانو ؟.. فسوف يكون ذلك امرا بالغ الغرابة ، لانه لابد لك ان تتعلم العزف!

كان ابي يقول دائما ان الكتابة ليست مجرد موهبة من المواهب الذهنية بل لابد لك ان تدرس بقدر ما تدرس من اجل اى شيء آخر تود ان تمارسه : وبطبيعة الحال فعل هو ذلك ..

وأتذكر انني قرأت أول قصة كتبها حين قرأت مخطوطاته خلال السنوات الاولى للثورة ، كان هناك اثنا عشر صندوقا من مخطوطاته ، وعندما شرعت في دراستها وجدت احدى قصصه – كيف ينتهي الحب – أو شيئا يشبه ذلك وعندما قرأتها خيل الى انها من انتاج شاب في احدى المدارس العليا ، لقد كانت هزيلة للغاية . تلك كانت واحدة من محاولاته الاولى ، وبعد ذلك تعلم شيئا فشيئا أن يكتب ..

لقد نسخ « الطفولة » و « الشباب » اربع مرات . (مع تعديلات فى كل مرة) .. ونسخت أمي « الحرب والسلام » سبع مرات من البداية الى النهاية ... وقد أنفق سبع سنوات في كتابة تلك القصة ..

وكم كان ينصرف عن « أنا كارنينا » ولا أستطيع أن اتذكر بالضبط كم من الوقت انفقه في كتابتها ... لا أظن أنه أقل من عام ، ولكنه كان يصدف عنها ويقول ان قصة « أنا كارنينا » تسبب له الضجر . ثم يبدأ من جديد ويعكف على كتابتها فصلا فصلا ! ..

وهكذا ظل ابي تلميذا ويقوم بدراسة ما يعرض له من بداياته . وظل على الدوام يتعلم شيئا ما حتى آخر أيامه.

كان أبي يحب الطبيعة ، واستطيع أن أقول انه لم يكن يحب الحضارة كثيرا جدا ، وقد قال مرارا ان اولئك الذين يحاولون العيش في عالم متحضر يشتمل على البرق والتليفون دون وعي روحي ، اي محبة الله والايمان – انما ينحدرون الى أسوأ فأسوأ ... انه لأمر مدمر في حقيقته !

وهكذا لم يكن يحب حياة المدينة اطلاقا .. أمي كانت تحب المدن ولكي لا يسبب لها أي كدر ، كنا احيانا نقضي فصل الشتاء في موسكو ، واستمر ذلك – كما يغلب على ظني – حتى بلغت السادسة عشرة ، وكان لنا في موسكو حديقة واسعة ، أظنها حوالي فدان، وكان أبي يمتلك جوادا ، وكان يتجول أحيانا ممتطيا جواده ، كما كان لدينا بقرة هناك .. كان ذلك شبيها بالريف ،ومع ذلك فقد كان يكره المدينة كراهية عميقة !

ولانه كان يحب الطبيعة كان يربط بينها وبين الحقيقة كلها ...



تولستوى .. كان يعتقد ان الشىء الطبيعى لـدى الانسان هو ان يتقـدم ويبلغ مرتبة السيطرة على الذات .

وكانت عقيدته أرحب افقـا من اى نوع من الديانات ، كان يؤمن بالمسيح ولكن كانت له عقيدته الخـاصة ، كانت ديانته المسيحية أو اتباع تعاليم المسيح ولكنه نحى المعجزات جانبا وبلغ به الحد ان كتب انجيلا خاصا به اشتمل على التعاليم الواضحة للمسيح دون اى شىء آخر ، اى بدون معجزات .. ولقد نبذته الكنيسة الارثوذكسية ، ولكننى لا اظن ان ذلك ترك أثرا فى نفسه ، اذ انه فى الوقت الذى فصلته فيه الكنيسة ، كان هو قد انفصل عن الكنيسة ...

ولم يحدث أن فهمت جماهير النـاس تولستوى ، بل هو غير مفهوم فى الوقت الحاضر .. المحافظون حاولوا أن يقولوا انه ثورى ، والثوريون قالوا انه محافظ ... وهو لم يكن هذا ولا ذاك . وقـد قال ان حكومة القيصر تحتفظ بالسلطان عن طريق الشر والعنف ، وان حكـومة الثورة على القيصر سوف تستولى على الحكم بالقوة والشر ..

شىء آخـر قاله وهو انه يعتقـد ان الثورة الروسية سوف تدفع بالعالم الى طريق مسـدود ، وأعتقـد انه كان على صواب . اذ أننا فى الوقت الحـاضر نشعر حقا اننا أمام طريق مسدود . كان أبى يساوره القلق على مستقبل العالم . كان مثاليا . تلك هى خصيصته المميزة التى أسـتطيع أن اذكـرها .. وكان يعتقد ان الشىء الطبيعى لدى الانسـان هو ان يتقدم ويبلغ مرتبة السيطرة على الذات ، وكان يعتقد ان العالم والشعوب سوف تتقدم أيضا تدريجيا ... كان يؤمن بامكانية كمال الانسـان . عندما يرقى كل انسان بذاته فسـوف يحقق ذلك السعادة للدنيـا .. كان يؤمن ان ذلك أمر طبيعى بالنسبة للانسان .

كان والدى بالتأكيـد رجلا جـديرا بالمحبـة ، وما كان فى اسـتطاعته ان يكتب قصصه لو لم يحب الناس ويعرفهم وكانت عمتى « تانيـا » هى النمـوذج الاصلى لشخصية « ناتاشا اوروستوفا » فى رواية « الحرب والسلام » وقد قالت مرة لأبى :

ـ افهم انك تستطيع أن تصف قائدا حربيا أو أحد ملاك الاراضى أو الفلاحين وتستطيع حتى وصف أم من الامهات .. ولكن كيف تستطيع أن تصـف فتاة تحب ..؟ اننى لا استطيع أن افهم ذلك!

حسنا .. لقد كان يفهم الناس وكان فهمه لهم متعدد الجوانب ، كان يستطيع أن يفهم الغلام الذى يأتى اليه ، والفتاة التى تمر بتجربة غرامية وتأتى اليه لتحدثه عنها .. لقد فهم الناس وأحبهم .. كان يحب عائلته ، ولكنه لم يكن على وفاق معها ، ومع ذلك فلم يحل ذلك بينه وبين محبتها .

واعتقد انه فى اعماق اعماقه كان رجلا يحب ، كما انه رجل استمتع ايضا بالحياة واحبها وفهمها . انه لا يفهم الناس فحسب بل الطبيعة ايضا ... فاحيانا كان يجلب معه باقة من الزهور ... ويبدو انه يستمتع بها الى حد كبير ، كما كان يستمتع بصحبة جواده، كان يسعد بأشياء كثيرة فى الحياة ويحب للآخرين ان يسعدوا بها .

وذلك هو سبب حزنه الشديد على الفلاحين الذين لم يكن لديهم ما يكفي من الارض ، وذلك هو سبب كثرة كتاباته عنهم .

وعندما كان ابى يكتب مقالاته كنت **اقوم بعمل** السكرتيرة الخاصة له ، وقد كنت فى السادسة والعشرين فقط عندما مات ولذا لم يتح لى أن أنسخ **القصص** الطويلة فيما عدا « **البعث** » **التى نقلتها** عندما كنت فى الخامسة عشرة ، **ولكن** فيما بعد كنت أنسخ له **مقالاته واعماله الفلسفية** .

وقد أرسل لنا « رمنجتون » أول آلة كاتبة خرجت من مصانعه وكانت قد اخترعت فى ذلك الحين ، وسرعان ما تعلمت الكتابة عليها ، وكنت استعملها فى كتابة مخطوطاته وذلك « على مسافتين » .

وفى الصباح كان أبى يعمل حتى الواحدة ، ثم أنسخ له مخطوطاته واقدمها له صباح اليوم التالى ، وبعد أن يراجعها لا تبقى صفحة واحدة دون تصويبات ، وقد يكتب بين الهوامش وبين السطور وعلى هوامش الوجه الآخر من صفحات المخطوطة ، واحيانا كان يمزق كل شىء الى قطع صغيرة . وعلى مدى أيام وأيام يكتب نفس الصفحة ويصححها ، ثم يعيد تصحيحها وأحيانا يقضى فى كتابة مقال شهرين أو ثلاثة أشهر ، ولا أعرف عدد المرات التى كنت أرى فيها نفس المخطوطة وقد كتبت مرة أخرى .

وهكذا كان أبى شديد التدقيق فى صياغة افكاره ، محاولا دائما أن يدرس، محاولا دائما أن يصل بكتاباته الى مستوى الكمال .

ولى ان أقول ان ثمة خلافا كان قائما بين أبى وامى ازاء القضايا الاساسية فى تعاليمه ... وكانت هى لاتستطيع ان توافق عليها . واخيرا .. أصبح الجو العائلى عاصفا ، وهاجمت أبى الامراض، واصبح متعبا جدا ، وعزم على ان يحقق الحلم الذى طالما راوده طوال حياته وهو ان يذهب ويموت بين البسطاء من الناس الفلاحين .

ان أتباع تولستوى يعيشون بين احضان الطبيعة .

ولكنه كان متواضعا للغاية ... انه لم يفطن ابدا الى التأثير الهائل الذى احدثه فى الشعب الروسى : لقد ظن انه يستطيع ان يذهب الى مكان هادىء يعيش فيه ولا يعثر عليه احد ، ولكن كل المراسلين والمخبرين الصحفيين ورجال الشرطة كانوا يحاولون العثور على تولستوى ..

ولسوء الحظ لم يستطع ان يصل الى اصدقائه ... لقد مرض وهو فى الطريق اليهم ... كنت معه ، وحدث ذلك فى محطة صغيرة للسكك الحديدية **هى « استابوفو » على بعد ثلاثمائة ميل من منزلنا . لقد دهمه المرض ، ومات متاثرا بالالتهاب الرئوى .**

اريد ان احدثك عن آخر ما قال :

فى مساء الليلة التى رحل فيها ، نادى اختى ونادانى . وقال :

ـ لماذا تنظرون فقط الى ليو (يعنى نفسه) هناك كثيرون فى الدنيا غير ليو ... وانتم لا ترون غيره !

والشىء الأخير الذى قاله وكان آخر ما تفوه به :

ـ الحق ... اننى احبه كثيرا !

فى المترو

● محمد حليم حامد غالى ●



تطرقُ البابَ برفقٍ ... ليتَهـــا   تطرقُ البابَ على قلبى الحـــزين
غادة تختالُ فى سـحرِ الصِّــبَا   أخذتْ من غُـرة الصبْحِ الجبين
ثغرُها كالفَجرِ ، حينَ ابتَســمت   مزجَتْ بالروحِ عرفَ اليَاســمينْ
وقـــوام يتثنى بَــــانهُ   يسمِ القلْبَ خُطَــاه ، كالرنين

***

أفسحوا للشَّمس فى مجلِسِـــهم   وجمَال الشَّمس بينَ الجالســينْ
وتناجَوْا خشَّعــاً أبصارهم   فى جَــلال كصَــلاةِ العــابدين !
تأفل الشَّمس .. ويَخفى ضَوْؤها   وضياها ليْسَ بينَ الآفلــينْ ....

***

تَشهد الدنيا إذا ما سَـــفرتْ   أنهـــا الكأس لروحِ الشــاكرين
منْ جلالِ الله ؛ إلاَّ أنهــــا   خُلقتْ فى الكَوْنِ من مَاء وطينْ
يا ... الـــكَوْن ؛ أبدعتَ ... وما   تعشَـــق الأرواحُ إلاَّ المبْدعين !

الأعمال الأدبية
وراء نجاح أفلام المهرجان

● ماري غضبان ●

●● في العام القادم يصبح عمر مهرجان برلين السينمائي الدولي ثلاثين عاما، وهو بهذا العمر يصبح ثاني اعرق مهرجان سينمائي عالمي بعد فينيسيا التي توقف مهرجانها في الفترة الاخيرة ●●

وظروف مهرجان برلين تختلف عن بقية مهرجانات العالم نظرا لطبيعة برلين المنقسمة بين جزء يمثل مدينة تتبع جمهورية المانيا الاتحادية، وجزء أساسي هو عاصمة جمهورية المانيا الديمقراطية. وهذا التقسيم السياسي لمدينة برلين انعكس على مهرجانها، فحتى ما قبل ولاية فيلي برانت لمستشارية المانيا الغربية لم يكن هناك سماح بعرض أفلام البلاد الاشتراكية.

ومع تغير النظرة بعد اخذ المانيا الغربية بسياسة الانفتاح على الشرق، بدأت مشاركة الدول الاشتراكية الاوربية والاسيوية وكوبا في المهرجان، وظل اشتراك هذه الدول في المهرجان بدون عوائق أو مشكلات حتى تفجرت مشكلة العام الحالي عندما عرض الفيلم الامريكي « صائد الغزلان » الذي يعبر عن وجهة نظر متطرفة، في احداث الحرب الفيتنامية رغم أنه لا يمثل قيمة فنية ذات معنى، الا أن عرضه ضمن أفلام المسابقة تسبب في اعتذار وانسحاب عدة دول من الاستمرار في المشاركة في المهرجان. وهذه الدول هي الاتحاد السوفيتي، وتشيكوسلوفاكيا، والمانيا الشرقية، والمجر، وبلغاريا، وكوبا، بينما لم تنسحب كل من رومانيا ويوغوسلافيا والصين والبانيا..

ورغم انسحاب المانيا الشرقية من المسابقة الرسمية فقد تركت افلامها في العروض العادية وسوق الافلام، وبقيت المخرجة التشيكية « فيراتشيتلوفا » في لجنة التحكيم الدولية، بينما اصر



مشهد من الفيلم المصرى الحائز على جائزة الدب الفضى « اسكندرية .. ليه » ـ اخراج يوسف شاهين

المخرج « بال جابور » الذى حصل على جائزة احسن مخرج فى مهرجان القاهرة الدولى الثانى ، على الانسحاب مع وفد بلاده المجر رغم كونه عضوا فى لجنة التحكيم .

ولعل اهم ملاحظة خرجت بها من متابعتى لعروض الافلام المشتركة فى المهرجان هى ان الاعمال الادبية المنشورة كانت وراء نجاح العديد من الافلام التى حققت نجاحا كبيرا فى هذا المهرجان .

والفيلم الحائز على جائزة « الدب الذهبى » وهى الجائزة الاولى فى المهرجان هو فيلم « داود » أو «ديفيد» وهو انتاج المانى وموضوعه مستمد من رواية « جوهيل كوبنج » عن نفس الاسم « داود » وموضوعه الذى اخرجه بيتر ليلنتال الذى اشتهر بتقديم الافلام التسجيلية وبعضها صور فى البلاد العربية بجانب خبرته فى اخراج الافلام الروائية الطويلة .

ومضمون الفيلم يدور حول ابن حاخام يهودى يعيش فى قرية المانية خلال سنوات حكم هتلر فى عام ١٩٣٦ وقتها كانت الشعارات تغطى الشوارع « لا مكان لليهود » وبعد سنوات طردوا الشاب ديفيد من مدرسة القرية ورحلوه الى برلين للدراسة فى المدارس الالمانية هناك ، بعد القبض على الاب . وهربت الاسرة من مقاطعتها الى برلين متصورة أنها اكثر امنا . ويتم القبض على الاسرة الهاربة بدون بطاقات اقامة ، وينجح ديفيد فى الهروب من المانيا .

ولولا أن هذا الفيلم يعالج موضوعا يستغل فيه اليهود عقدة الذنب عند الشعب الالمانى ، لما امكن لهذا الفيلم الطويل والممل أحيانا ، ان يحصل

على الجائزة الاولى . وكان الفيلم المرشح لها الفيلم المصرى « اسكندرية .. ليه » اخراج يوسف شاهين ،والذى يروى فترة من تاريخ مصر خلال الاربعينات اعتمد فيها شاهين على عدد من المراجع الادبية والفكرية . ومن بينها رباعية الاسكندرية للكاتب المعروف لورانس داريل ، وكتاب تاريخ الحرب العالمية الثانية ، والمراجع والوثائق والصحف والمجلات والافلام الخاصة بهذه الفترة ..

وقدم شاهين نسيجا فنيا جميلا يحكى قصص التسامح السكندرى وصورة الاسكندرية التى تمثل نموذجا للحب والتعايش بين الاجناس والاديان ، وبين المصريين العرب والمصريين من اصل ايطالى او يونانى او مالطى وايضا بين اصحاب الافكار المختلفة حيث يجمعهم احترام الفكر الانسانى ولا يفرقهم اختلاف النظرة الى الامور من دينية وسياسية وفلسفية واجتماعية وثقافية

ولقد حصل فيلم يوسف شاهين « الاسكندرية .. ليه » على الجائزة الخاصة جائزة « الدب الفضى » وهى اهم الجوائز بعد جائزة الدب الذهبى التى حصل عليها الفيلم الالمانى لاعتبارات كثيرة خلفت توقعات النقاد والسينمائيين من ان « اسكندرية ليه » هو الفيلم الاحق بالجائزة الاولى فى مهرجان برلين السينمائى الدولى التاسع والعشرين .

والفيلم الحائز على جائزة أحسن ممثل لبطله ميشيل بلاسيدو فيلم ايطالى هو « ارنستو » الذى اخرجه سلفادورى سامبيرى ومقتبس عن رواية تأليف امبرتو سابا لنفس الاسم « ارنستو » وبطل الفيلم شاب فى السابعة عشرة هو فى نفس سن ابطال فيلمى « ديفيد » ـ « اسكندرية ليه » وتشترك فى بطولة الفيلم الايطالى « ارنستو » الممثلة المعروفة فيرنا ليزى وموضوع الفيلم يدور حول مراهق من اسرة مفككة انفصل فيها الاب عن الأم ويضيع الشاب فى متاهات واهتمامات شاذة ومنحرفة تجرفه الى رمال الضياع .

والفيلم الحاصل على جائزة أحسن ممثلة وهى هانا شيجولا ماخوذ ايضا من نص ادبى هو « زواج ماريا براون » الذى كتبه بيتر مارتشيمر . ومن اخراج فاس بندر وهو يعد اهم مخرجى المانيا فهو يماثل انجمار برجمان فى السينما السويدية ..

وقصة هذا الفيلم تحكى قصة زوجين يقضيان معا ٢٤ ساعة فقط، يستدعى بعدها الزوج الى ميدان القتال ، وبعد فترة انتظار ترتبط هى فى قصة حب مع امريكى اسود وتنجب منه طفلة ، ويعود زوجها بعد سنوات الحرب ويفاجأ بزوجته عشيقة لامريكى زنجى وتدور مشاحنات بين الزوج والزوجة والعشيق تنتهى بقتل العشيق على يد



«القادات مع رجال فوق العادة» مشهد
من فيلم بهذا الاسم ـ اخراج بيتربروك

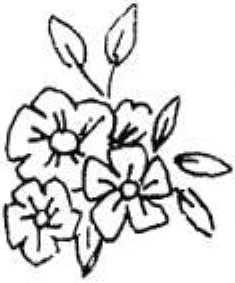
الزوجة ويعترف الزوج بانه القاتل ويحكم عليه بالسجن .. الفيلم كما وصفه بعض النقاد يشبه افلام الميلودراما المصرية والهندية !

واذا كانت الافلام السابقة هي الافلام الحاصلة على جوائز في المهرجان ومستمدة من أصول ادبية ، فان هناك فيلما جيدا مأخوذا عن كتاب معروف في الاوساط الثقافية البريطانية وهو « لقاءات مع رجال فوق العادة » لمؤلفه جورديف ، قام باخراجه المخرج المعروف بيتر بروك الذي اشتهر في البداية كمخرج مسرحي وقدم اشهر اعمال شيكسبير مثل روميو وجوليت ، والملك لير ، وحلم ليلة صيف ، وكليوباترا وهاملت ، كما قدم قطة على صفيح ساخن من اعمال تينسي وليامز المعروفة بينما لم يقدم في السينما الا سبعة افلام فقط آخرها فيلم « رجال فوق العادة » ، ويدور موضوعه حول أسرة قوقازية ، رب الاسرة نجار يحار في فهم تساؤلات ابنه الفلسفية عن لغز الحياة والموت ، ويكون الشاب مع بعض اصدقائه ورجل دين جماعة للبحث عن الحقيقة وقد تنقلوا في رحلتهم وراء المعتقدات والفلسفات والعقائد من جنوب الاتحاد السوفييتي الى تركيا ثم الى الصحراء والوادي المصري ، والى الهند وبلاد التبت بحثا عن الحقيقة التي ينشدونها ، وينتهي الفيلم والحقيقة هدف لم يحصل عليه الشاب الباحث عنها ..

●● والمحصلة التي نخرج بها من البحث عن سينما الاعمال الادبية هي ان العالم كله وليست السينما المصرية وحدها ، تعاني من فقر في الموضوعات المكتوبة خصيصا للسينما ، ولهذا تلجا السينما الى الاعمال الادبية ، والاعمال المكتوبة التي تعاني ايضا من ندرة في مجال الفكر المعاصر . ●

موعد في .. المغرب

بلد الجبال والجمال والثلوج والزهور



● عبد الكريم غلاب ●

● بلادكم جميلة ...

● يا للجمال في هذا البلد الاخضر ..

● ما كنا نظن ان المغرب جميل الى هذا الحد !

بهذا يفاجئنا بعض الزائرين ، من عرب وغير عرب ، حينما يزورون المغرب سائحين ، أو في مهمات رسمية ، أو لحضور بعض المؤتمرات والاجتماعات التي تعقد من حين لآخر في المغرب .

تنوع الطبيعة له الاثر الاكبر في جمال المغرب الذي يتحدث عنه الآخرون قبل أن يتحدث عنه المغاربة انفسهم ... فللمغرب شواطيء واسعة على المحيط، زرقاء لازوردية ، بعيدة الآفاق بعد الاطلسي الكبير ... تبدا من حدود موريتانيا حتى مضيق جبل طارق ، عند مدينة طنجة ، التي حمل المغرب اسمها ردحا من الزمان . وتسلم شواطيء المحيط المغرب الى شواطيء البحر الابيض بهدوئها ودفء مياهها من طنجة الى السعيدية ، قريبا من الجزائر

« ٢٥٠٠ كم طول الشواطيء المغربية »

وعلى شواطيء المحيط والمتوسط تربعت مدن جميلة نابضة بالحياة والحركة من: العيون، وطرفاية، واقنى الصحراوية الى اقادير ، والصويرة ، وآسفي ، والجديدة ، والدار البيضاء، والمحمدية ، والرباط ، والقنيطرة ، والعرائش ، وأصيلة ، وطنجة ـ وطنجة تسلمنا الى تطوان ، وسبتة ، ومليلية ، والناضور ، والسعيدية .

كلها مدن اصيلة لعبت دورا خطيرا في التاريخ المغربي . وكانت مراكز صراع بين المغرب المستقل ، كما عرف نفسه دائما ، وبين الطامعين من أيام الرومان حتى ايام الفرنسيين مرورا بالبرتغاليين والانجليز والاسبانيين والالمان ، وانتصر فيها المغرب فحمى ثغوره العديدة ، وانتهت امبراطوريات اجنبية على شواطئه مثل امبراطورية البرتغال في معركة « وادي المخازن » التي احتفلنا اخيرا بمرور اربعة قرون على حدوثها .

ويحيط بجنوب المغرب حزام هائل من الصحراء ينتهي بوادي السينغال . ولم يكن حزاما مانعا ولا عازلا بين المغاربة والامتداد الحضارى فى افريقيا، وانما كان صلة وصل بين حضارة المدن والريف الاخضر وحضارة الصحراء التى تركت فى الواحات المهمة فى قلب الصحراء اثرها العميق فى الامتداد الحضارى للمغرب .

وبين الشواطىء والصحراء تمتد سلسلة جبال الريف والاطلس المتوسط والاطلس الكبير ، مجللة بملايين من اشجار الارز السامقة المثلجة الخضراء الناشرة ظلالها على السفوح ذات التربة السمراء تحتضن بينها سهولا رائعة خضراء منتجة !

***

شروق الصحراء يلتقى بغروب البحر.

ففى الصحراء الشاسعة التى تسلمنا اليها جبال الاطلس الكبير تمتد الرمال متموجة تموج البحر ، تتنقل تموجاتها مع الرياح شرقا وغربا فتحدث آكاما ذهبية تعطى للصحراء تنوعا غريبا ، تقدم للزائرين لوحات فنية عن تجاوب الشمس مع الرياح الناعمة المتموجة ، وعن انعكاس ضياء القمر الفضى فى البحر اللجى الذهبى فى ليالى الصحراء الدافئة ، وعن آلاف الغزلان النافرة ترتع فى الصحراء تتأبى على الصيادين بجمالها وخفة حركتها .

ولا تكاد تسير فى الصحراء التى تقطعها طرق معبدة رائعة حتى تستريح العين فى الواحات الغنية بمياهها تحتضن آلافا من النخيل السامق ينشر ظلاله فى الصحراء ، ويعطيها مدلول الحياة . واحات اخرى تنتشر فيها الورود الزاهية . وورود قلعة « مكونة » اجمل ورود العالم واطيبها رائحة واغزرها انتاجا . وحول حقول الورد تنتشر معامل انتاج العطر ، ومعامل تربية الورد وتصديره الى الخارج .

وفى قلب الصحراء تكونت مراكز علمية كانت ملجا للعلماء والطلاب الذين كانوا يعيشون متفقهين للعلوم الاسلامية ، ولا تزال مكتبة الزاوية الناصرية فى « تامكروت » من احفل المكتبات بالمخطوطات النادرة فى التاريخ والدراسات الاسلامية ، ولا تزال ملجأ للباحثين والسائحين يطلعون فيها على جزء مهم من التراث الاسلامى والادبى الذى خلفه الباحثون المغاربة كجزء من اسهامهم الايجابى فى الدراسات العلمية .

***

لم تنقطع الصحراء المغربية عن عالمنا الحديث .

فلا تزال قوافل السائحين تقطع الاطلس الصغير عن طريق مكناس او الاطلس الكبير عن طريق مراكش او اغادير ؛ لتتمتع بأجمل خريف واجمل شتاء واجمل ربيع تقدمه البادية فى المغرب . وفى مختلف الواحات التى تعتبر قرى حية نشيطة توجد سلسلة من الفنادق الحديثة لا تجد مكانك فيها اذا ما ردتها خريفا او ربيعا .

والصحراء هى التى تسلم المغرب الى قلب افريقيا ، وتسلم قلب افريقيا الى المغرب عن طريق سلسلة جبال الأطلس الشامخة .

ولم تكن الجبال حاجزا بين اجزاء المغرب ، ولكن المغاربة ارتادوها . فليست هناك قمة من قمم « تيشكا » او « هبرى » او « اوبكايمدن » او « افران » او « الريف » الا بنوا فيها قراهم ومداشرهم ، والمغربى لا تقهره الطبيعة وانما يقهرها . كانت القمم ملجأهم فاتخذوا منها الدار والقرار ، ودافعوا عنها دفاع الابطال ، وعلى صخراتها كانت تتحطم احلام الغازين .

والجبال هى التى امدت رجالها بالحياة ، لانها امتنعت عن ان تكون جبالا جرداء ، فغابات الأرز تحتل منها القمم والمنحدرات ، وتمثل احفل غابات تعرفها قمم عالية يقطنها انسان ... وبين الغابات والصخور الصامدة يحرث الانسان الارض فتمده بالقمح والشعير والخضر والفواكه . وكان الانسان الجبلى فى المغرب مكتفيا اكتفاء ذاتيا ،

وهو الذى يمد السهول بالحطب ، واحيانا بما تبقى من بيض ودجاج وماعز

هذه القمم العالية المثلجة شتاء المخضرة على طول السنة تبدو شامخة فى جلالها وجمالها ، تنوع الطبيعة فى المغرب فلا تكاد العين تمل من رحابة السهل حتى تصطدم بالجبل الأخضر فترتفع عالية مقتحمة خضرته تعب من جماله وتنته .

والطرق التى عرفها الانسان المغربى وهو يتنقل من السهل الى الجبل هى التى عرفتها الآلة فشقت طريقها اللاحبة التى تربط الآن شمال المغرب بجنوبه. وتسير بك السيارة اينما شئت الى قمة الريف والأطلس وتنزل بك الى ما خلف الجبل فتجد نفسك فى سهول اخرى تكون اللوحة الرائعة المتعادلة للمغرب الجميل .

وفى قمة الجبل ستجد المأوى الجميل الذى ينتظر رواد الجبال فى الصيف والربيع ، ومحبى رياضة التزحلق على الثلوج فى الشتاء . وستجد ، ان كنت ممن يبحثون عن الانسان الجبلى أكثر مما يبحثون عن الجبل الشامخ ، الرجل القوى ذا الوجه الصارم الذى لوحته شمس الجبل بنعومتها فمنحته سمرة خفيفة . وسترى المرأة الجبلية فى لونها الذهبى تحتطب وترعى الماشية وتسقى من العين ، وتعيش لعائلتها مع ذلك ترعى البنين والبنات ، وتوفر للرجل الحياة الناعمة التى تعوضه عن مشقة العمل بين الاشجار والصخور ومطاردة الصيد .

والمرأة الريفية من اجمل نساء العالم فى بساطتها وفقرها ومن اكثر نساء العالم اخلاصا وحبا . ولا تكاد تزور الريف حتى تطمئن الى ان المدينة لا تقدم الجمال ، وان كانت تصقل هذا الجمال وتبرز محاسنه .

كانت الجبال أكثر ابحاء من السهول؛ فيما يبدو ، المجتمع الجبلى يعيش فنانا ينشد الشعر — باللهجات المحلية — ويغنى ويرقص . والرقص الجماعى فى الأطلس يقدم أروع لوحات من التراث الفنى الرائع الذى احتفظ به المغرب ، ولاتزال الاغانى والرقصات التى تقدمها مجموعات الرجال والنساء تقدم أروع الفنون الشعبية بآلاتها البدائية واهازيجها وانتظام ايقاعها الغنائى الرقصى . ففى الأفراح العائلية والمواسم والمهرجانات المحلية والوطنية والاقتصادية كالاحتفالات بموسم الزهور أو موسم التمر على أطراف الصحراء أو موسم الحصاد ، تنتظم مجموعات الرجال والنساء فى رقصات منتظمة تنشد الشعر وتغنى للحب والجمال ، وتغنى للوطن والجبل . وليس فى الرقص والغناء بالجبل احتراف .

والذين لا يرتادون الصحراء ويخشون شموخ الجبل وهيبته تغريهم السهول الفسيحة . وبين الاطلس والريف يمتد السهل المنبسط بين مجارى الانهار ، تقطعها السيارات فى ساعات طويلة بين مراكش جنوبا وطنجة شمالا ، بين فاس التى تتربع وسط المغرب ووجدة التى تقع على الحدود العراقية ، بين الناضور فى الشمال الشرقى وأبركان ، بين اغادير فى الجنوب الغربى وطنطان . سهول غنية بتربتها الحمراء ، وهى تمنح المغرب الخصب والثراء مما تنتجه الحقول من قمح وما تنتجه الاشجار من فواكه . وقد عاش المغرب يصدر قمحه وفواكهه واعنابه للخارج . وكان الى عهد قريب يبادل ايطاليا السكر بالرخام — قبل أن تعرف أوربا انتاج السكر من القصب .

***

وسفوح المغرب تزهو بربيعها الطويل. فمنذ البشائر الأولى لقطرات المطر فى



الانسان في المغرب يسهم في تقـديم نماذج من الجمال الرائع في بلاده ، وفي الصورة الوان من الجمال الفني الذى تقدمه يد الصانع المغربي من منتجات الخشب والجبس والفسيفساء بالنقوش البديعة ، وهذا بائع يعرض الزخارف في احد احياء الدار البيضـاء ..

شهر سبتمبر تخضر الارض وتعشب حتى يداهمها الصيف في شهر يونيـة . وتستمرحقول اشجار البرتقال والليمون مخضرة يانعة في مختلف فصول السنة. المياه التي تتدفق في اغلب السنوات ، والثلوج التي تكسو الجبال في فصـل الشتاء تحيي الارض الخصبـة ، وهي توفر في الانهار والوديان والسـدود الحديثة ، التي انشئت على منحدرات الجبال ، زادا لأيام الصيف ، ومنهـا تسقى الحقول الشاسعة للبرتقـال والتفاح والمشمش والبرقوق وغيرهـا من الفواكه والخضر التي تنضـج في المغرب قبل نضجها في اوربا ، فتكـون ثروة للمغرب بمصدراته الواسعة ...

ولعلنا ادركنا من هذه الجولة الموجزة في اقاليم المغرب ان الجو فيه متنوع. اذا كانت الصحراء في الجنوب والشرق حارة في الصيف فهي في مناطقهـا الغربية معتدلة تنهل من تيارات المحيط. ولعلها من اكثر الصحارى في العالم اعتدالا في جوها صيفا وشتاء . ولتشتد الحرارة في الصيف في الاقاليم الداخلية من المغرب ولكنها لا تعدو الاربعـين درجة ، كما يشتد البرد في بعضها في الشتاء وخاصة التي تقع على مشارف الجبال التي تثلج في الشتـاء . ولكنه برد محتمل جاف لا يقاس ببرد اوربا وهي على بعد بضعة اميال من شواطيء المغرب . في الشواطيء الشاسعة على المحيط والمتوسط نجد اعتـدالا في الصيف والشتاء لا تنزل الحرارة لأقل من عشر درجات في الشتاء ، ولا ترتفع في الصيف لأكثر من سـبع وعشرين درجة .

وتوجد على شواطيء المحيـط مدن كاغادير والصويرة لا تكاد تختلف درجة الحرارة المعتدلة فيها صيفا وشتـاء . وسوف لا تستغرب اذا وجدت قوافل السائحين تسبح على شواطيء البحر او في مسابح الفنادق في شهر ينـاير ، وسوف لا تستغرب اذا وجدتهم يملأون

سائح الفنادق بمراكش فى شهر نوفمبر او فبراير ؛ وهى المدينة التى تبعد عن شاطىء البحر زهاء مائتى ميل .

***

لا تكاد تعرف فى العالم العربى بلادا تزدهر فيها مجموعة من المدن كما فى المغرب . لكل اقليم عاصمة، ولكل عاصمة روافد من المدن المحيطة بها . ولقد لعبت كثير من هذه العواصم ادوارا مهمة فى التاريخ ، كما تلعب اليوم دورا قريبا منه فى حاضرها . ويكفى أن نذكر أن فاس ومراكش ومكناس والرباط كانت جميعها عواصم للدولة مدة قرون أو عقود من السنين فى تاريخ المغرب الاسلامى . ويكفى ان نذكر أن طنجة وتطوان وسلا والدار البيضاء « آنفا قبل الاسلام » ، قد لعبت ادوارا مهمة فى التاريخ القديم والحديث .

وفتنة المدن لا تقل عن فتنة الريف . فقد كانت المدن القديمة قلاعا متكاملة تحيط بها الاسوار ، وتتنفس عبر بوابات ضخمة تقفل على المدينة عند الغروب . وهى تقدم نماذج رائعة من المدن الاسلامية التى يعتبر المسجد الجامع سرة المدينة وتتفرع منه الشوارع والزقاقات الضيقة الملتوية التى حاولت فيها الهندسة القديمة ان تستغل المساحة وان يكون الجوار والترابط قاعدة الحياة الاجتماعية .

انك فى فاس تجد جامع القرويين (اقدم جامعة فى الدنيا) هو وسط المدينة وعنه تتفرع الاحياء ، وكل باب من المسجد يفضى الى طريق توصلك الى حى بعيد عن الاحياء الاخرى . وتتجول فى المدينة كلها لتعود الى قلبها النابض بالحياة : القرويين وما حول القرويين ..

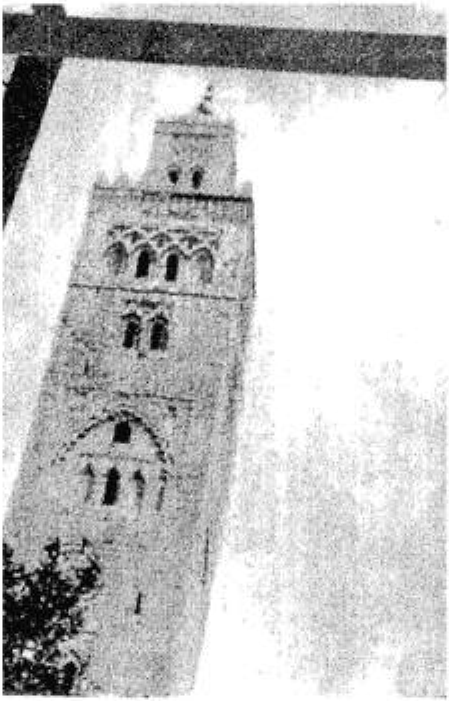
وجامع الكتبية فى مراكش قلب المدينة الحى الذى يلعب نفس الدور الذى يلعبه القرويين فى فاس .

لكل مدينة طابعها المتميز . اذا كنت فى طنجة فستبصر على بعد قريب شواطىء أوربا ، واذا كنت فى مراكش فستسعد بشمسها الدافئة فى الشتاء ، وجبل أوريكا يطل عليك مجللا بالبياض الثلجى فى أروع منظر يجمع بين دفء المدينة وثلج الجبل .

واذا كنت فى فاس فستبهرك عيونها المتدفقة ومنعرجاتها والسهل الشاسع على اطرافها والحدائق تحيط بها لتملأ جوها عطرا وخاصة فى ربيعها الطويل .

***

والانسان فى المغرب اسهم فى تقديم نماذج من الجمال الفنى الرائع . وانت واجد هذا الجمال الذى تقدمه اليد الصناع فى القصور والمساجد والمدارس « التى كانت تتخذ لسكنى الطلبة كاحياء جامعية حول القرويين بفاس ومسجد ابن يوسف بمراكش » والاضرحة وبوابات المدن . لقد استغل الفنانون الخشب والجبس والزليج (الفسيفساء) لنقوشهم البديعة التى تعطى فكرة واضحة عن الاحساس بالجمال عند الفنانين المغاربة . وقد صمد هذا الفن الجميل على مر الزمان فلا تزال آثار العهد المرينى والعهد السعدى (من خمسة قرون) ماثلة فى المدارس والمساجد والمنارات والبوابات . ولم ينقطع الاتصال بين هذا الفن والعصر الحديث ، فلا تزال فاس ومراكش تقدم اروع فن للنحت والتزليج ، ولا يزال هذا الفن الجميل يظهر فى الزرابى بالرباط وسلا وبعض المدن الاطلسية وفى الادوات المنزلية .



مئذنة مسجد حسان الذى لم يتم فى مدينة الرباط وهذه المئذنة اخت مئذنة جامع اشبيليه فى الاندلس التى مازالت باقية الى اليوم ، وتعتبر من مفاخر الفن الاندلسى

اينما تجولت فى مدن المغرب وقراه ستجد مظهرا بارزا من مظاهر الحضارة المغربية فىعمائرها وبناياتها ومساجدها واضرحتها والقصبات والقصور التى تعمر صحراءها. وكل مظاهر الحضارة هذه لا تقوم على أساس المنفعةفحسب، ولكن على أساس الجمال ويستند المغاربة فى ذلك الى نظرية فلسفية اجتماعية . فقد لا تجدهم يعنون بمظهر المنزل من الخارج مثلا حتى لتظن وانت تسير اليه انك داخل لخراب ، ولكنك ما أن تعدو عتبته حتى تجد اروع قصر واجمل بناء ، بنقوشه الخشبية الجبسية المذهبة أحيانا ، وبزليجه (فسيفساء) الملون الذى يرسم نماذج هندسية رائعة فى استدارتها وتعاريجها . ونافورة من المياهالمتدفقة فى وسط الدار . وكثيرا ما تضم باحة الدار احواضا من اشجار الليمون والبرتقال والاشجار التى تنعش الجو وتنشر الظلال .

وتسأل : لم العناية المتناهية بداخل المنزل والاهمال المتناهى لخارج المنزل ؟

وتجاب : العائلة تعيش اغلب ايامها داخل المنزل ، فالمرأة لا تكاد تخرج (هكذا كان) من منزلها الا نادرا ، ويجب أن يعوضها المنزل ما تفتقده خارج المنزل .

ولعل العناية بعمارة المساجد والاضرحة والمدارس التىيسكنها الطلبة كان ــ كما هو الامر فى مختلف بلاد العالم الاسلامى ــ نوعا من التقرب الى الله عن طريق الفن الرفيع . المغاربة ، ولو انهم محافظون ، الا أن الفن عندهم طريق الى الله . ولا يرون فى ذلك غضاضة فى الدين ولا بعدا عن طريق الله . يرفعون عقيرتهم بالدعاء مغنين. وينشدون قصائد المدح فى النبى الكريم والقصائد الصوفية عن طريق الغناء وبالدفوف والالات .

وهكذا نجد اروع ثلاث مآذن بناها مهندس واحد فى عهد الموحدين هى مئذنة الكتبية بمراكش، ومئذنةحسان بالرباط، ومئذنة ((الخيرالدا)) باشبيليه وجميعها تمثل اجمل آيات الفن الرفيع صنعته يد صناع منذ اكثر من ثمانية قرون .

فن العمارة الجميل يكمل جمال الطبيعة فىالمغرب،ويتضافران معا على تقديم باقة من الجمال لكل زائر لبلاد المغرب الجميلة .

أبو القاسم الشابي

تخطّى بشِعْره قيود التجربة وحدود العمر

● مصطفى عبدالرحمن ●

● روح سماوى رفرف فى العلا .. شاعر بنى مجد أمة ، وصنع تاريخ شعب دعاه لينهض من نومه فى كهوف الظلام ليسير مع قوافل الحياة المحفوفة بالمجد .

ذلكم هو أبو القاسم الشابى شاعر الحياة والخلود .. شاعر الفجر المتوهج والبعث الجديد . سما بشعره الى عالم من النور مشرق جميل فيه الخير ، وفيه الحب ، وفيه الجمال .. عبر به عن القلق والحرمان اللذين عاشا معه وقاسماه الحياة .. عبر به عن المطالب السامية للنفس الانسانية .

صور مآسى شعبه ، وآماله ، وأحلامه ومطامحه فى أروع أنشودة وطنية :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى ولا بد للقيد أن ينكسر

ضوأ الشابى متخطيا بشعره قيود الثقافة ، وحدود السن ، وأرسلها اشعاعات قوية الوهج ، قوية اللمعان ثم مضى ..

مضى كما يمضى الحلم الساحر الجميل ولم يتجاوز السادسة والعشرين ربيعا .. ما أقصر عمر الورود ! ...

كان الشابى من أعلام مدرسة (أبولو) تأثر أول ما تأثر (بخليل مطران) الذى كان امتدادا لحركة البعث التى خلصت الشعر العربى مما شاع فيه من صور باهتة سقيمة مكبلة بقيود البديع والمحسنات اللفظية .. تلك الحركة التى قام شعرها على قوة الاسلوب ، وجزالة اللفظ ، والتى حددت مفهوم الشعر فى أنه فكرة وعاطفة تنتظم أحلام البشرية وآمالها ، وآلامها من خلال تجربة الشاعر الخاصة ليشترك فيها الناس معه ..

●●●

تأثر الشابى كذلك بمدرسة الديوان (شكرى ـ المازنى ـ العقاد) التى قامت كرد فعل لمدرسة البعث وهاجمت زعيما من زعمائها هو (شوقى) فقالت انه ارتفع بشعر الصنعة الى ذروته العليا ، وهبط بشعر الشخصية الى حيث لا تتبين فى



أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود والبعث الجديد .. سما بشعره الى عالم من النور المشرق فيه الخير والحب ، والجمال .

شعره ملمحا من الملامح ولا قسمة من القسمات التي يتميز بها انسان عن انسان بين سائر الناس ـ الى آخر ما قال أصحابها ..

وكان شعراء مدرسة الديوان ينادون بخصائص جديدة لم تظهر في مدرسة البعث منها الوحدة العضوية التي تضم أبيات القصيدة في كيان عضوي يتصل كل جزء بجزء آخر اتصال الاعضاء والجوارح في الجسم الحي ومن أهم ما تدعو اليه مدرسة الديوان ويميزها عن مدرسة البعث هو أن يتخذ الشاعر موقفا فريدا ازاء الكون والانسان لا يتقيد فيه الا بعواطفه وبما يجيش في أعماقه من مشاعر وانفعالات الى غير ذلك من الآراء التي نقلوها عن المدرسة الرومانسية الانجليزية في الشعر ، وهي التي دعت الى شعر الوجدان أو التعبير الصادق عن التجارب الشخصية للشاعر بغض النظر عن أحداث عصره ...

***

وتأثر الشابي بحركة المهجريين الذين رحلوا الى أرض الأمريكتين . بحثا عن الحرية التي افتقدوها في الوطن الراسف تحت نير الحكم العثماني ، واتخذت من كتاب (الغربال) لميخائيل نعيمة ميثاقا يعبر عن آرائهم واتجاهاتهم ، وحاجتهم الى الافصاح عن كل ما ينتابهم من العوامل النفسية من رجاء ، ويأس ، وايمان ، وشك ، وحزن ، وفرح ، وحيرة ، وقلق ، وشعور بالغربة الموحشة ...

كما تأثر بمدرسة المهجر الشمالي وبخاصة جبران والاقليمية التي كانت ترفض الانتماء الى القومية العربية ...

وأخيرا تأثر بما ترجم الى العربية من شعر شعراء المدرسة الرومانتيكية الاوربية من أمثال وردزوورث ، وكلودج ، وبيرون ، وشاتوبريان ـ وغيرهم ..

***

وقد حدد الشابي ملامح (أبولو) بقوله : « ان المدرسة الجديدة تدعو الى حرية الفن من كل قيد يمنعه من الحركة والحياة ».

ان هذه المدرسة الحديثة لم تصبح مذهبا واضح الحدود والمعالم ، ولكنها ما زالت ثورة مشبوبة هائمة ، وايمانا قويا عميقا ، وثورة في سبيل حرية الشعر

وكماله ، وايمانا بسمو الغاية وجلال المبدأ ... أجـل هى ثورة ما زالت تختلط فيها الميول وتضطرب المذاهب » .

وقد بدأ الشابى حياته مقلدا لشعر القدامى ، ثم ما لبث أن تمرد على هـــذا القديم وهوى عليه بمعاوله ، واندفع فى قوة بثورة الشـــباب فتتلمذ على هـذه المدارس . وما لبث أن استوى له مذهب له شخصية واضحة المعالم ...

تفتحت عبقرية الشابى فوجد الرومانسية الشـــائعة فى كتـــابات الادباء ، والشعراء فكان هذا المزاج الذى وجدناه فى شعره الذى حفل بالمعانى الثائرة على العيش فى ظلام القديم والذى امتاز بشبوب العاطفة ، والموسيقية الساحرة . وسعة الخيال ..

لقد اندلعت وطنية الشابى من اصطدامه العنيف بالواقـــع الاجتماعى المتخلف فراح يرسلها قوية جبارة تؤجج نار الثورة فى وجه التخلف الرجعى والاستعمار البغيض ..

ارسلها ـ عملاقا يحطم القيود ، ثائرا على أسلوب الحياة فى الأغلال ، هاتفـا بالشعب ان يهب ليثار لحريته ... دعاهم لينفضوا عنهم غبار الغفلة وأن تتحرك فيهم ارادة الحياة ..

اذا الشعب يوما اراد الحيـــاة   فلا بد ان يستجيب القـــدر
ولا بد لليـــل ان ينجـــل   ولا بد للقيـــد ان ينـــكسر
ومن لم يعانقه شـــوق الحياة   تبخـــر فى جـــوها واندثر
كـذلك قالت لى الكائنـــات   وحدثنى روحهـــا المستتر
ودمدمت الريح بين الفجـــاج   وفوق الجبـــال وتحت الشـــجر
اذا مـــا طمحت الى غـــاية   لبسـت المنى وخلعت الحـــذر
ومن لا يحب صـــعود الجبـال   يعش ابد الدهـــر بين الحفر

ويضرب على هذه النغمة العلوية مستحثا قومه لكى ينهضوا ويســيروا فى موكب الحيـــاة :

خلقت طليقا كطيف النســـيم   وحرا كنور الضحى فى ســـماه
تغـــرد كالطـــير اين اندفعت   وتشـــدو بما شـــاء وحى الاله
وتمرح بين ورود الصـــباح   وتنعم بالنـــــور انى تراه
كذا صاغك الله يابن الوجـــود   والقتك فى الكون هذى الحياة
فما لك ترضى بذل القيـــود   وتحنى لمن كبلوك الجبـــاه
اتخشى نشيد السمـــاء الجميـــل   اترهب نور السما فى فضـــاه
الا انهض وسر فى سبيل الحياة   فمن نام لم تنتظره الحيـــاة !

وهو ينذر المستبدين بالنار الكامنة تحت الرماد ، ينذر هـــؤلاء الطغاة الذين استغلوا الشعب وامتصوا دمه ـ ينذرهم بثورة عارمة تطغى منـدفعة لا تبقى على شىء ولا تذر ..

حتى اذا رأى الشعب غارقا فى نومه ثار به ثورته العارمة :

لست يا شيخ للحياة بأهل	انت داء يبيدها وتبيده

***

ونشيد الحب فى شعر الشابى نشيد جبار صادر عن نفس تؤرقها الاشواق ‥ لقد وقع الشابي فى شراك حب عنيف قاده الى معابد الغرام ، ومحاريب الهوى والهمه اروع قصيدة غرام ‥ فهذه هى روحه الشفافة تأخذنا الى هيكل من هياكل العبادة لتشجى الوجود بأنغامها السماوية :

عذبة انت كالطفولة كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد
انت ما انت ؟ انت رسم جميل عبقرى من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود
انت روح الربيع تختال فى الدنيا ، فتهتز رائعات الورود
وتهب الحياة سكرى من العطر ويدوى الوجود بالتغريد
انت انشودة الأناشيد غناك اله الغناء رب القصيد
انت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود
انت قدسى ، ومعبدى ، وصباحى وربيعى ، ونشوتى ، وخلودى !

وها هى ذى قصيدة غرام أخرى يحملك فيها على أجنحة من خياله الرفاف الى خمائل الغاب تحت الزان ، والسنديان ، والزيتون ، فى ظل الطبيعة الميمون ‥ فى واد سحرى تتغنى فيه ملائكة الحب وتدوى أغاريد الشباب ‥‥ يقول الشابى :

اى دنيا مسحورة ؟ اى رؤيا طالعتنى فى ضوء هذى العيون
زمر من ملائك العالم الاعلى يغنون فى حنو حنون
وصبايا روافص يتراشقن بزهر التفاح والياسمين
فى فضاء مورد حالم أطافت به عذارى الفنون
اى خمر رشفت ؟ بل اى نار فى شفاه بديعة التكوين
وردتها الحياة فى لهب السحر ونور الهوى وظل الشجون
وسكتنا وغرد الحب فى الغاب فاصغى حتى حفيف الغصون
وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر والرؤى والسكون
معبدا للجمال والحب شعريا مشيدا على فجاج السنين
ونجوم السماء فيه شموع اوقدتها للحب روح القرون

وهكذا تنفس الشوق ، والحنين فى صدر الشابى حبا للمرأة دقة تصوير ، وسلاسة تعبير ، وصدق معاناة ، وعمق أحاسيس ‥

هذا هو الشابى روح تفتحت للحياة ، والحب والحرية ‥‥ الشابى الذى ضوأ فى سماء العالم العربى لحظات واختفى ، ومع ذلك فقد ترك ضوءا خالدا قويا سوف يبقى نورا للاجيال من بعده ‥ ●

أدباء معاصرون

مع أديب اليونان ساماراكى

جائزة الدولة فى الرواية

جائزة النقاد فى القصة

● د . نعيم عطية ●

● تجاوزت شهرة الكاتب اليونانى المعاصر اندونى ساماراكى حدود بلاده ، واصبح من الادباء العالميين، فقد ترجمت اعماله الى اثنتين وعشرين لغة ، وعرفت روايته « الخطا » طريقها الى سلسلة كتب الجيب الفرنسية واسعة الانتشار .

ولد اندونى ساماراكى بأثينا عام ١٩١٩ ودرس القانون واشتغل من عام ١٩٣٥ موظفا بوزارة العمل الى ان استقال عام ١٩٦٣ ليعمل فى الامم المتحدة خبيرا فى شئون تهجير العمال وتوطينهم .

وفى اثناء الاحتلال النازى لبلاده انضم الى المقاومة ، فالقى القبض عليه فى يونية ١٩٤٤ وحكم عليه بالاعدام لكنه تمكن من الهرب الى أن وضعت الحرب أوزارها .

وقد صدرت لساماراكى اربع مجموعات قصصية هى « مطلوب امل » عام ١٩٥٤ و « انى ارفض » عام ١٩٦١ و « القابة » عام ١٩٦٦ و « جواز السفر » عام ١٩٧٣ . كما صدرت له روايتان هما « الخطا » و « نذير الخطر » ويكتب الآن روايته الثالثة التى تصدر فى الينا قريبا .

وقد حصل الكاتب اليونانى الكبير فى بلاده على جائزة الدولة فى الرواية، كما حصل على جائزة النقاد فى القصة، وكتب كثير من كبار الادباء والنقاد فى العالم من أمثال جراهام جرين ، وارثر ميلر ، واجنازيو سيلونى ، واندريه مالرو وبير هنرى سيمون — يمتدحون اعماله

ويكتب اندونى ساماراكى باسلوب يتوخى وضوح الفكرة وبساطة التعبير ويتحاشى كل ماهو غير جوهرى وصادق

اما موضوعه فهو « الانسان المعاصر » انسان القرن العشرين . ويحاول ان يكرس فنه للتعبير عن الحاجة الانسانية الملحة الى الالتقاء والتواصل ، وعلى الرغم مما تحتويه قصصه من احتجاج على « الوضع الانسانى » الا انها لا تخلو



د. نعيم عطية فى لقائه مع الاديب اليونانى المعاصر انطونى ساماراكى الذى عبر بشهرته خارج حدود بلاده وترجمت اعماله الى اثنين وعشرين لغة

على الدوام من دعوة الى النضال وعدم الاستسلام .

عالم مجنون ، مجنون ..

فى قصة « شارع الاستاد عشية راس السنة » بين خليط من عناوين الصحف واسماء الافلام التى تعرضها دور السينما ، والبضائع الجذابة التى تزخر بها واجهات المحال التجارية ، حدث شىء غريب فى شارع الاستاد حيث النظام صارم ، والمرور يخضع لترتيب دقيق .. انطلق حصان يجرى ، انفلت من عربة بائع خضار بسبب الامطار الغزيرة التى هطلت منذ قليل واثرت فى اللجام .. الحصان يجرى ، يجرى ، فى شارع الاستاد . والتعليقات تتابع : « حصان فى شارع الاستاد !.. لابد ان شيئا جللا حدث ! . فلنطلب بوليس النجدة ! .. نسمة هبت من ايام طفولتنا البعيدة المغلفة بالتراب والنفتالين. انها فلتة من الحياة اليومية المحكومة بقوانين صارمة ، من تلك الحياة اليومية الغارقة فى المنطق الصارم . كلا ، لا محل لان يوجد حصان فى مثل هذا الشارع الذى تغمره الاضواء وتعمه فرحة السنة الجديدة ، هذا أمر يأباه المنطق .. لابد أن نطلب بوليس النجدة » .

العناوين تترى على صفحات الجرائد « كل عام وانتم بخير » ... « فيتنام تتقدم بشكوى الى مجلس الامن » ... « المشكلة القبرصية تبحث عن حل جديد » .. « ملايين ماتوا من الجوع العام المنصرم » ... « اذا قامت حرب جديدة فان الانسانية سيلحقها الدمار تماما » ... مضى الحصان يجرى .. ولم يكن لديه من الوقت متسع كى يقف ليرى على واجهة سينما « ابولون » الاعلان المضىء بالالوان عن فيلم « انه عالم مجنون ، مجنون ، مجنون » !

ميتة من واقع هذا العصر

واذا اردنا قصة من واقع العصر الذى نعيش فيه فهى ، قصة ساماراكى بعنوان « مكتب الافكار » وهى تحكى عن السيد كافالاباس الذى كتب فى حياته رواية وحيدة ، تقدم بها الى مسابقة ادبية ، وهو متأكد من الفوز بالجائزة الاولى . عندما ظهرت نتيجة المسابقة أصيب بخيبة امل ، فلم تفز روايته باية جائزة ، ولكن لجنة التحكيم علقت على

الرواية بانها « وان كانت مكتوبة على نحو رديء ، الا أن مؤلفها يتمتع بموهبة فائقة فى ابتكار الافكار » . هداه هذا التعليق الى مايجب ان يعمل بعد ان كان قد تخبط من قبل بين اعمال كثيرة لم تسفر عن اى نجاح . قرر ان يفتح مكتبا لابتكار الافكار وتزويد زبائنه بها . . .

افكار عن اقامة حفلات واجتماعات ، عن كتابة مقالات وروايات ومسرحيات، عن خطب للبرلمان ، وللمتقدمين للانتخابات، وغير ذلك من المناسبات .. بعد سبعة اشهر حقق مكتبه هذا نجاحا طيبا . . . اصبح الزبائن يجلبون زبائن آخرين . « فهذا العالم تحكمه النساء والافكار الجديدة » !

ذات يوم مطير دخل المكتب رجل طلب فكرة عن ميتة مبتكرة . . . هذا العالم الذى اعقب الحرب العالمية الثانية — على حد قوله — خيب الامال .. اريقت الدماء الغزيرة كى يتحقق عالم من السكينة والعدالة ، لكن ماذا وصلت اليه البشرية بعد تلك الحرب ؟ حروب محلية هنا وهناك يراق فيها مزيد من الدماء . فقر مدقع ومجاعات ، بينما الملايين من الجنيهات تنفق فى اختراع القنابل الفتاكة .

هذا العالم لا أقل من أن يوصف بأنه عالم غريب ! .. واذا كان بامكان المرء قديما أن يطمع فى ميتة هادئة ،فى فراش دافىء ، محاطا بالاهل والاقارب ، فان هذه الميتة ماعادت تتفق مع طبيعة العالم الان . لابد لمن يموت اليوم ان يموت ميتة عصرية ، والميتة العصرية ، يجب أن تتصف بغرابة من نوع غرابة العالم المعاصر . ومن اجل مثل هذه الميتة العصرية جاء هذا الرجل ذو « البيريه » البنى يطلب من صاحب مكتب الافكار المبتكرة أن يدله على ميتة

تتوافر فيها الصفات التى يطلبها ..

يعتذر صاحب مكتب الافكار المبتكرة، فمكتبه يقدم أفكارا للحياة ، اما افكار للموت فلا يقدم .. يقول له الرجل: « لكن اليس الموت وضعا من اوضاع الحياة ؟ . وهذه الحياة الغريبة بحاجة الى أن تنتهى بميتة غريبة » واذ يعتذر صاحب مكتب الافكار الحية ، يقول الرجل ذو « البيريه » البنى أنه كان ينتظر منه ذلك ، فليس مثل هذه الفكرة التى يطلبها بالامر السهل ، ويمهله الى بعد غد ، كمايعده بأنه سيدفع له ماشاء من اتعاب . بعد غد الساعة الثامنة والثلث مساء . هاهو الوقت يتقدم ولا ياتى الزبون الذى يطلب ميتة غريبة . تنفس صاحب المكتب الصعداء وهم أن يغلق مكتبه مبكرا كى يذهب الى السينما ليشاهد فيلما من افلام رعاة البقر التى يحبها . ولكنه يفاجأ بصوت الزبون ذى « البيريه » البنى فى المكتب ، وهو يعتذر عن تأخره فى المجيء ، ويسأل عما اذا كان قد أعد له فكرة مبتكرة عن الميتة الغريبة التى يطلبها .

يعاود كافاذياس الاعتذار . ولكن الرجل يصوب اليه مسدسا صغيرا ، ويقول له « عملت حسابا أيضا لاعتذار مثل هذا . وقد رسمت لنفسى الطريقة التى سأموت بها .. أغلق الابواب .**هذه الحقيبة الصغيرة هناك بها قنبلة زمنية، ضبطتها على التاسعة مساء .. بعد بضع دقائق سينفجر هذا المكان، وتغادره الى الابد ، ولكننى سأكون معك . لا تحاول المراوغة .. باللعنة ، ان رباط حذائى الايسر محلول . وهذا فال سيء . . . يجب ان اربطه .. اياك ان تتحرك من مكانك . سأمسك المسدس بيدى الاخرى بينما انحنى لاعقد الرباط ! » .**

ثم يترك المسدس على المنضدة برهة

كى يربط الرباط بيديه الاثنتين،يخطف كافاذياس المسدس ، ويصوبه الى الرجل ذى « البيريه » البنى ، الذى يهم بان يتقدم اليه قائلا : « دعك من المزاح واعطنى المسدس »

ولكن ما ان يتقدم خطوة حتى تستقر فى قلبه من المسدس رصاصة وحيدة فيقع على الارض صريعا . وفى لمح البصر، يفتح كافاذياس الباب ، ويخرج الى الشارع صائحا .. يتجمع سكان العمارة وقد اصابهم الذعر . يستجمع احد المتجمهرين شجاعته ، ويدخل الى مكتب الافكار . يفتح الحقيبة ، فلا يجد فيها سوى منبه قديم ، ولا يعثر على اثر لقنبلة زمنية .

وعندما يأتى الجندى وينحنى على الجثة متفحصا مايلبث ان يرفع بصره الى كافاذياس ويقول له « هل قلت انه انحنى ليعقد رباط حذائه الايسر ؟... اننى لا ارى رباطا محلولا لا فى الايسر ، ولا فى الايمن !. »

فيتمسك كافاذياس بروايته التى بدات تبدو غير مقنعة ، ويعلق عليها احد المارة قائلا : « اننى لا استطيع ان اقول الا انها ميتة غريبة ! » عالم اصبح غريبا ، تصرفات غير مبررة تتسم بالعنف والضراوة ، وتنضح باليأس ايضا ...

عبر ساماراكى فى قصته هذه ابلغ تعبير عن القنوط الذى يغرق قلب الانسان المعاصر الذى لا يجد علاقة توازن بينه وبين عالمه الا ان يموت ميتة غريبة ، واذ يلجأ ذلك الانسان القانط الى « مكتب الافكار الحية » فانه يجد لديه مايربو على ثلاثة آلاف فكرة عن توافه الحياة ، لكنه لايجد لديه حلا للمشكلة الاساسية ، مشكلة مصير هذا العالم .



..الاديب اليونانى المعاصر انتونى ساماراكى .

هل المرأة عزاء ؟

ولكن فى هذا العالم الكئيب : الايمكن ان تقدم المرأة للرجل راحة او عزاء ؟ هذا مايجيب عنه ساماراكى فى قصة « السكين » حيث نجد المرأة تثير فى قلب الرجل من المرارة والاحباط مايجعله يفكر فى القتل واراقة الدماء . وفى قصة « الاستحواذ » نجد بطلها رجلا حالما منطويا على نفسه يحيا وحيدا فى شقته الصغيرة . ويتبدل حال هذا الرجل منذ ان جاءت تسكن فى شقة بالعمارة المقابلة فتاة اعتبرها نموذجه الاعلى فى الجمال . انشب وجود هذه المرأة مخالبه فى كيانه ، فمضى يتابعها من وراء ستائر نافذته ، ولا يذهب الى فراشه الا اذا اطفات نور مصباحها . اعتبرها ايضا وعلى الاخص « رمزا » فان حياته التى مضت حتى الان خاملة فاترة دون ادنى انتصار كبير او صغير ، يمكن ان تزهر بانتصار يعوض كل مافات ، وهو الاستحواذ على تلك الحسناء الرقيقة . منذ ان جاءت تسكن بالعمارة المقابلة ، وقد تغيرت حياة الرجل . دب فيها شىء جديد . مضى يتخيل كل خطوة سيخطوها كى يظفر بهذه الحبيبة ، ولكنه عندما يلتقى بها تخيب له آماله، ويكاد يقول لها : « كلا ، كلا ، اتوسل اليك لا تحطمى المثل الاعلى الذى صنعته لنفسى » اذن ، فنحن فى قصة « الاستحواذ » ازاء احباط جديد ، احباط تحققه المرأة للرجل ...

روّح عن نفسك

هذه صفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة وستجد الاجابات على صفحة ١٤٦

١ ـ لغز بالشعر

وذى اوجه لـكنه غير بائح ... بسر وذو الوجهين للسر مظهـر
تناجيك بالاسرار اسرار وجهه ... فتسمعها بالعين ما دمت تنظـر

ـ ماهو ؟

٢ ـ أسماء مختفية فى جمل :

فى كل جملة من الجمل التالية اسم شاعر مشـهور مختبىء بين حروف الجملة ، فهل تستطيع ان تكشف اسماء هؤلاء الشعراء ؟

١ ـ فى حديقتنا شجر يربو طوله على عشرة امتار .
٢ ـ احتشد الجنود حيث استمر الفرز دقائق معدودة .
٣ ـ اشترينا من البقال صابون واسبرتو .

٣ ـ كلمات دخيلة :

فى كل مجموعة من المجموعات التالية كلمة دخيـلة لا تنتمى الى المجموعة ، فهل تستطيع أن تعرف الكلمة الدخيلة ؟

١ ـ هارون الرشيد ـ احمد بن طولون ـ لويس الرابع عشر ـ محمد الفاتح ـ كسرى انو شروان .
٢ ـ فيل ـ اسد ـ ديك ـ كلب ـ جمل .
٣ ـ العباسية ـ القاهرة ـ الاقصر ـ الحلمية الجديدة ـ جاردن ستى
٤ ـ اسيوط ـ طنطا ـ المنصورة ـ المحلة الكبرى ـ قنا .

٤ ـ اختبر معلوماتك

١ ـ ايهما افيد للجسم : اللحم المشوى ام المسلوق ؟
٢ ـ ايهما اكبر مساحة : كندا ام الولايات المتحدة ؟
٣ ـ ايهما اكثر ارتفاعا فى الحرارة : درجة ٩٥ فهرنهيت ام ٣٥ سنتيجراد ؟
٤ ـ ايهما اسرع : الصوت ام الضوء ؟
٥ ـ ايهما اثقل : الذهب ام البلاتين ؟
٦ ـ ايهما اثقل وزنا : طن من الحديد ام طن من ريش النعام ؟
٧ ـ ايهما اكبر : الارض ام المريخ ؟
٨ ـ ايهما اكثر ذكاء : الحصان ام الغزال ؟
٩ ـ ايهما اثقل : الحديد ام الرصاص ؟
١٠ ـ ايهما اشد صلابة : الجرانيت ام المرمر ؟

٥ ـ من هم مؤلفو الكتب الاتية :

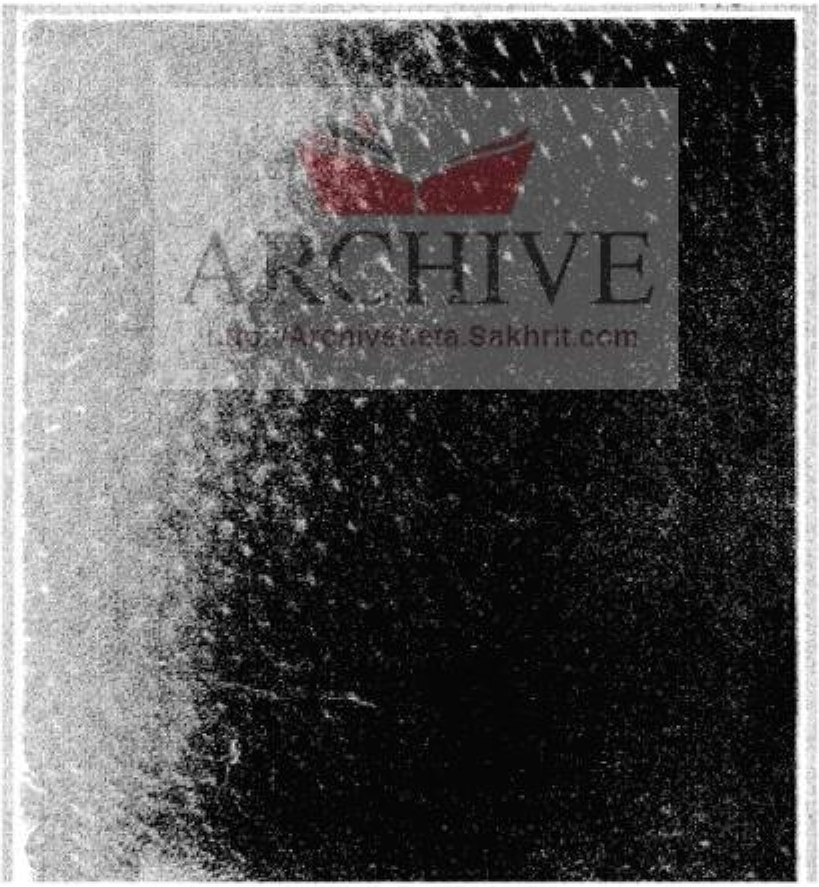
رسالة الغفران ـ الايام ـ جزيرة الكنز ـ فجر الاسلام ، ـ هملت ـ البؤساء ـ حديث عيسى بن هشام ـ مصرع كليوبترة ـ عبقرية عمر ـ الحرب والسلام .

جلدك

ثوب بديع متجدد منحك الله إيـاه ليحميك من أمراض العظام والكلى

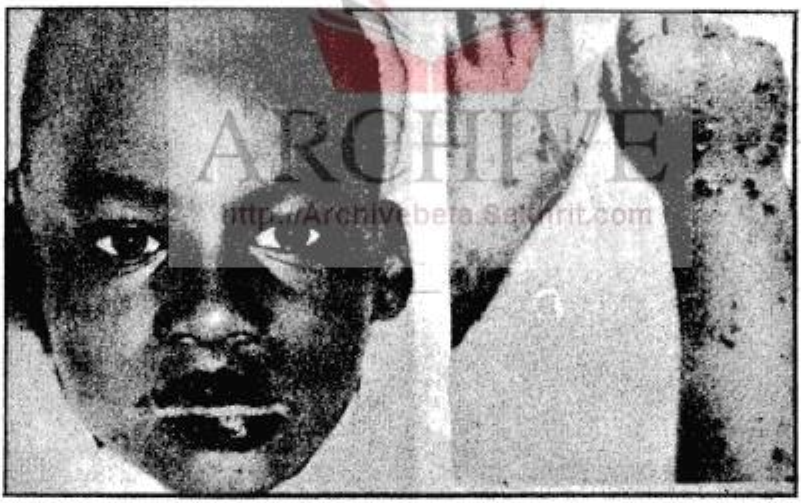
- أصل البشر كلهم سود والبياض ظاهرة طارئة
- لا علاقة للون البشرة بالذكاء والخصائص الإنسانية

● انت لا تعرف حقيقة جلدك ذلك الغطاء الذي منحك الله اياه ليحمي جسدك وهذا الاستطلاع الذي يعرض لك صورة الجلد مكبرة ٦٠٠ مرة يكشف لك عن حقائق لا تخطر لك على بال

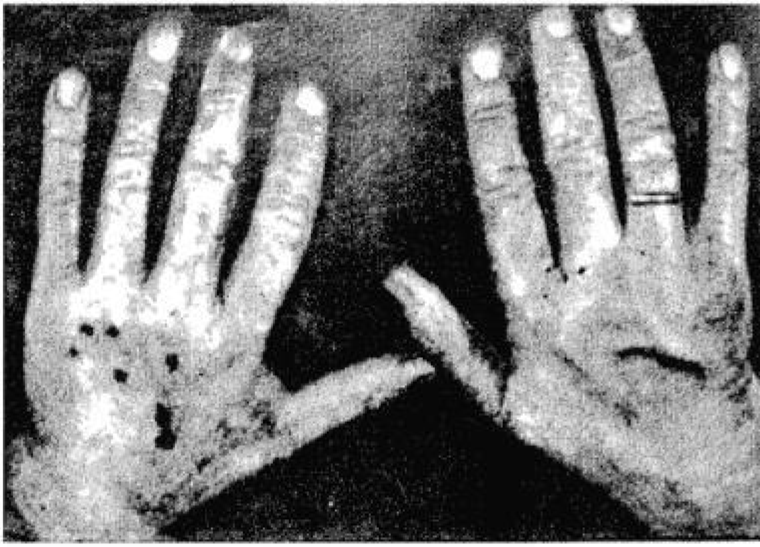


جلدك ثوب بديع

● يغير الانسان جلده كما يغير ثيابه . فان الطبقة الخارجية من الجلد تتبدل كل ثلاثة اسابيع. وخلال هذه الفترة تنقسم الخلايا فى الطبقات السفلى للجلد بصورة مستمرة ، والخلايا الجديدة التى تتولد من الانقسام تنزاح بعملية اوتوماتيكية الى اعلى الجلد فى المنطقة التى تكثر فيها الاوعية الدموية وتتصل بها ، وتصبح جلدا حيا فى حين ان الخلايا التى تموت تنزاح الى اعلى وتكون غلافا واقيا للجلد ولهذا يتغطى سطح جلدك بعشرين طبقة من هذه الخلايا الواقية، وهى تجف شيئا فشيئا وتتساقط دون ان يلاحظ الانسان وتحل محلها خلايا اخرى من نوعها وفى اثناء غسل يديك بالصابون وكذلك اثناء لبس ثيابك واحتكاك الجلد بالثياب تسقط عنك ملايين الملايين من هذه الخلايا .



امراض الجلد تزعج الانسان بمنظرها لان هذا المنظر يكون فى معظم الاحيان مخيفا، اكثر من الحقيقة ، لان اى اصابة فى الجلد يصاحبها التهاب وورم واحمرار ونتيجة لذلك فانها توهم المريض اكثر من حقيقة حجمها.مثال ذلك : الصورتان فوق هذا الكلام . فالاولى، على اليسار لوجه صبى اصيب بحمرة متعددة الاشكال والتى على اليمين بثور على اليد ناشئة من ارتوكارية متحببة .. وكلا المرضين سهل العلاج بواسطة عقاقير معروفة يصاحبها تعليمات من الطبيب .

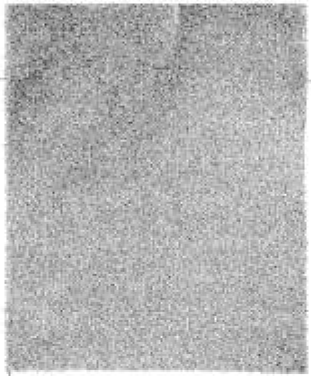


هذا الالتهاب الجلدي الذي ملأ يد المريض بالبثور ينشأ من ممارسة بعض الصناعات التي يضطر فيها العامل الى وضع يده في مواد تسبب التهابات للجلد . وعلاجها يبدأ بالتوقف عن ممارسة العمل واستشارة الطبيب ثم الحرص على تنفيذ تعليماته



هذا الصبي يعاني من مرض يسمى بالالتهاب الجلدي الحاد الناشيء من الميكروب الذي يتكاثر على هيئة السبحة ، ويتبقى علاجه بسرعة ويتوقف الشفاء منه على السرعة التي يبادر بها المريض لرؤية الطبيب





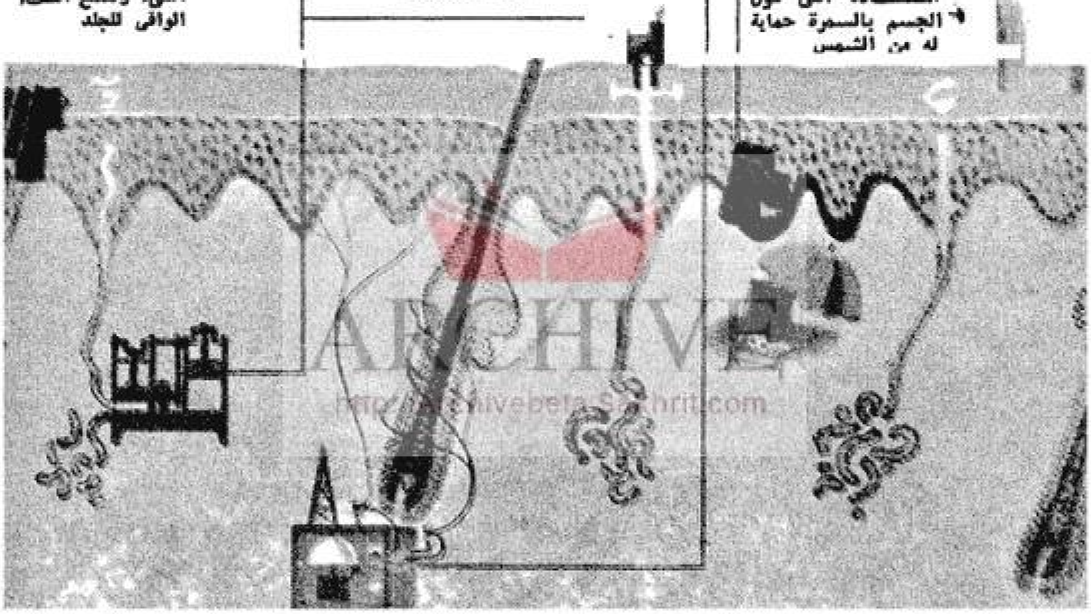
الضغط واللمس يشعر بهما الانسان بفضل نصف مليون عصب خاص وظيفته نقل الاحساس باى شىء يلمس الجلد من الخارج

افراز الميلانين وهى المادة التى تلون الجسم بالسمرة حماية له من الشمس

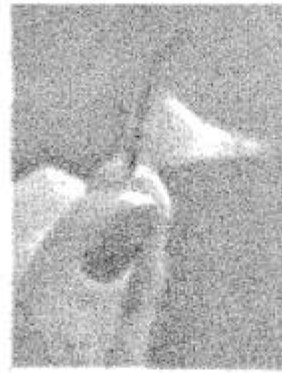
يضم الجلد ٢ مليون غدة عرقية وظيفتها المحافظة على حرارة الجلد معتدلة دائمة .

افراز العرق من غدد تحت الجلد لترطيبه

مركز افراز مادة الكيراتين وهى المادة التى تتصلب بعض الشىء وتصنع الغطاء الواقى للجلد



جلدك
ثوب
بديع



يضم الجلد ثلاثين الفا من
نهايات الاعصـاب وظيفتها
الاحساس بالحرارة وبعد
الجلد عنها وتبليغ ذلك
الى المخ

هل تدرى أن جلد طرف
انفك يضم ملايين الشعيرات
العصـبية التى تجعلك
تحس بشعرة اذا لامسته



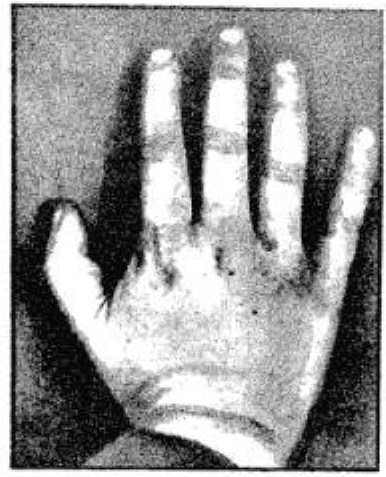
تعمل طبقات الجلد كلهـا
بتناسق تام بفضل مرونتها
وما بين كل طبقة وطبقة
من مادة سائلة

تتم عملية تنظيم حرارة
الجلد عن طريق توسيع
او تضـييق الاوعية
الدموية الدقيقة

هذه الاسهم التى تمثل
تيارات كهربائية تقوم
بالانذار عندما ينشل
من الجلد اى ميكروب
يهدد بالمرض

هذا الإناء الذى تراه
اشارة الى غدة قرب
منابت الشعر وظيفتها
حمايتها من اى مادة
صلبة او غريبة







هذا المرض الجلدي الذي يسمى بالنمو الجلدي الدائري يحتاج الى علاج طويل تحت اشراف الطبيب لأنه اذا لم يعالج في وقته تفاقم امره .

جلدك ثوب بديع

ويقدر العلماء أن جسم الانسان ينشىء ويبلى على طول عمره ما يقدر بعشرين كيلوجراما من الجلد بهذه الصورة .

اما الطبقة العليا من الجلد التي تتم بها هذه العملية فان مساحتها تبلغ على وجه التقريب مائة مرة مساحة كف اليد ـ اي أن مساحتها في انسان طوله ١٧٠ سم تبلغ ١٨٠ سم مربعا .

وفي أسفل القدم يزيد سمكها ملليمترين على سمكها في بقية الجسد وذلك لان كعب الانسان يحمل معظم وزنه .

اما في جلد الشفاه فلا يبلغ سمكها اكثر من ١ على ٢٠ من الملليمتر وذلك حتى تصل الاوعية الدموية الى طبقة



يعتبر مرض الساركويد اى انتشار البثور العميقة الألمة على الجلد من اعسر الامراض علاجا ولكنه قابل للشفاء . والصورة ننشرها لجرد تنبيه من يصاب بمثل ذلك المرض لكى يطمئن أولا ويسرع للطبيب ثانيا .

الجلد الرقيقة وتعطيها لونها المعروف . وحساسيتها التى ذكرناها آنفا .

***

وفيما يتصل بالجلد يوجد خلاف بين الرجل والمراة فطبقة الجلد العليا عند الرجل يبلغ سمكها ٧٧ر من الملليمتر اما عند المراة فيبلغ سمكها ٦٢ر من الملليمتر . وفى الواقع يمكن القول بان الرجال حيوانات ذوات جلد سميك .

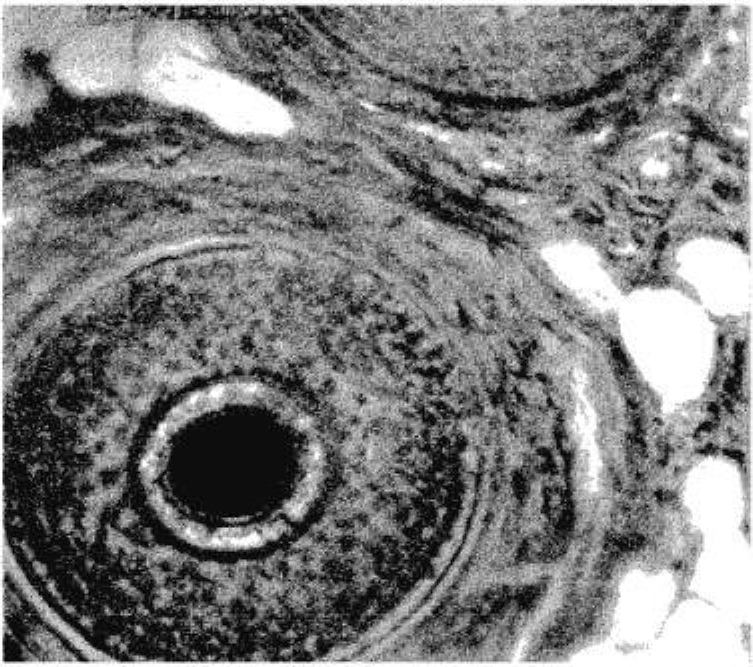
وفى هذه الطبقة الرقيقة من الجلد التى تبلغ جزءا من الملليمتر تتم عملية من اغرب العمليات التى يقوم بها الجسد وهى تلون الجلد بلون داكن بعض الشىء يعتبر فى ذاته حماية للجلد ، وتتجلى لنا اهميته عندما نرى انسانا يخلو جلده من تلك المادة الملونة وهو الذى نسميه عادة بعدو الشمس ، والافراد الذين يعجز جلدهم عن افراز هذه المادة يتميزون بحساسية جلدية شديدة ، تبدو فى اوضح صورها فى غشاء العين الذى يصبح حساساً الى درجة لايتحمل الضوء معها .

والخلايا التى تقوم بهذه العملية

جلدك
ثوب
بديع



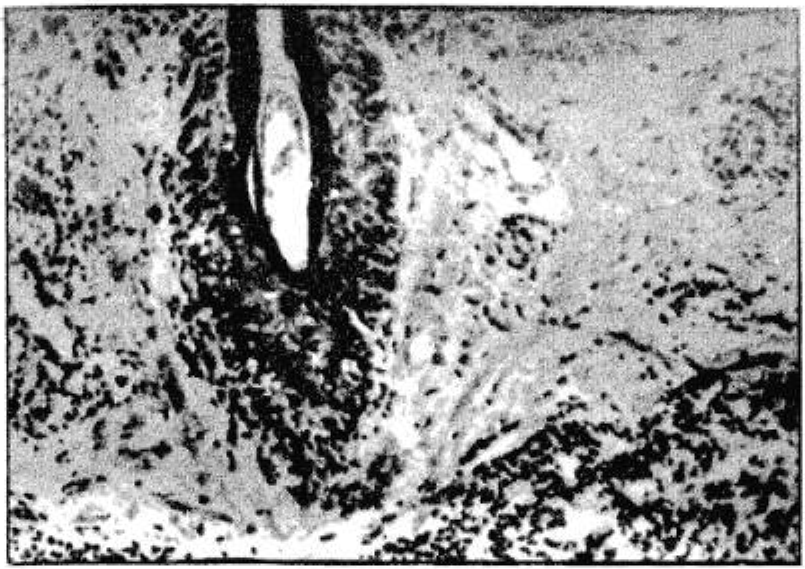
اين توجد مراكز الاحساس في الجلد ؟ نجدها في وسط هذه الصورة متجمعة بين الخلايا الدهنية والاعصاب والاربطة العصبية مختلطة بين طبقة الأنسجة الرابطة



يتوقف على لون الجلد في معظم الاحيان لون العيون والشعر كما ترى في الصــورة اعلاه جلد بياض العين مكبرا مئات المرات

صورة في قطاع جلد الراس ترى فيهــا جذور الشعر في الطبقات السفلى من الجلد





الذئبة الحمراء مرض جلدى معروف عندنا يصاب به الفلاحون كثيرا ويحاولون علاجه بالوصفات البلدية . والصورة لبثرة من بثور هذا المرض الخطير الذى ينشأ عن نقص شديد فى فيتامين « د »

تسمى بالميلانوزيتين ووظيفتها الوحيدة هو انه عندما يتعرض الجلد لضوء الشمس تفرز المادة الملونة للجلد والحامية له المعروفة بالميلانين وكلما تعرض الجلد لاشعة الشمس زاد افراز هذه المادة بكثرة وزادت للسمرة تبعا لذلك .

وهذه المادة تحمى جلد الانسان وجسده بعد ذلك ، وتحميه فى نفس الوقت من زيادة انتاج الفيتامين د الخاص بالجلد ، ولكى نفهم ذلك نقول ان جلد كل انسان يضم سبع مواد مجففة للجلد وهذه المواد تضم نسبة من فيتامين د ، وعندما يتعرض الجلد للاشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس تتحول المواد المجففة للجلد الى فيتامين د وتصبح مادة حيسوية وظيفتها اساسية بالنسبة للعظام واذا قلت نسبتها تعرضت العظام للاصابة بما يسمى بمرض « الراكيدس » اى لين العظام ، واذا كانت فى الجلد نسبة عالية من فيتامين د يؤدى ذلك الى فقدان الوزن والامساك وتكون الحصى فى الكلى واضطراب فى عملية النمو وكان لذلك اثر ايضا على باقى الدم.

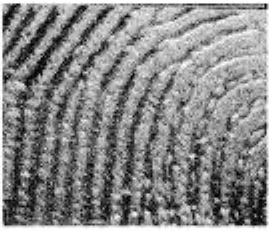
جلدك ثوب بديع

وكلما كان لون الجلد اكثر سمرة اى كلما صنع الجسم مادة ملونة اكثر صعب على الاشعة البنفسجية النفاذ الى داخل الجسم وهذا هو الذى يؤدى الى تلك الامراض التى ذكرناها .

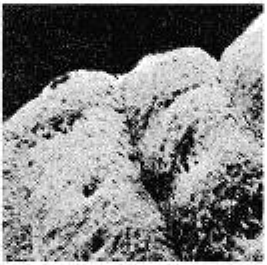
وهذا هو السبب فى ان اجناس البشر ذات السمرة الداكنة أكثر تعرضا للين العظام من غيرهم لان الاشعة فوق البنفسجية لها اثر مباشر فى تكوين عظام الانسان واعطائها الصلابة اللازمة لها. ومن هنا نرى ان كل الاختلاف بين الوان جلد البشر متوقف على اختلاف لايكاد يذكر فى نسبة مادة الميلانيين فى الجلد ومن هنا نرى أن هؤلاء الذين يربطو سواد البشرة بالذكاء والنشاط وما



الصورتان لمرض واحد يسمى التهاب جلدى متحبب . وهو نوعان : نوع يصيب الكبار « الصورة أعلاه » ونوع يصيب الصغار « الصورة اسفل » وهو شديد العدوى ولكنه غير مستعص العلاج .



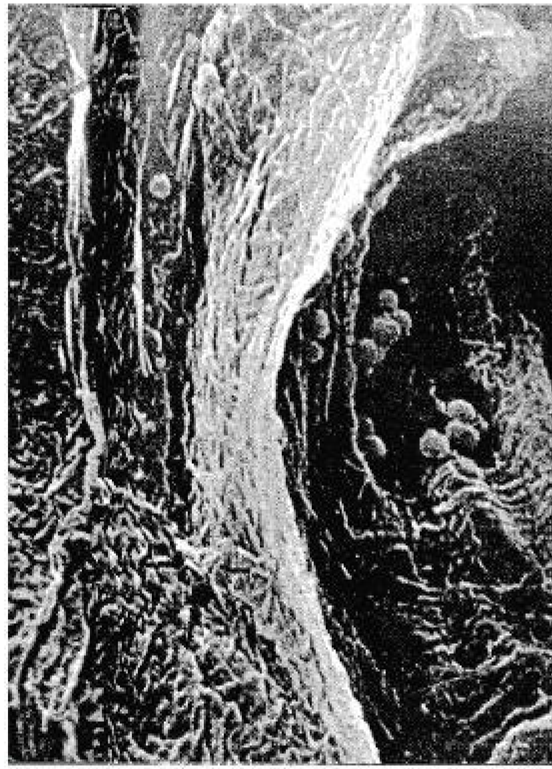
صورة مكبرة لجلد طرف الأصبع من الداخل وفي كل فرد مجموعة تتميز بخصائصه التي في التعرجات الخاصة ثم إنها تختلف من انسان لانسان لتعطي ما يسمى ببصمات الأصابع



سطح الجلد مكبرا ، وادارة .. الغدد المسؤولة عن افراز العرق



قطاع في الطبقة العليا من الجلد « الابيدرميس » ويوجد تحتها طبقة سميكة تتجمع فيها الاعصاب التي تقوم بوظائف الجلد وهذا تتجمع أطراف الاعصاب والكرات الدموية الصفراء والحمراء الكبيرة التي تحتل الطبقة الدنيا الغطاء الجلدي ربما لوقايته من ميكروبات وبكتريا وتحمل الدم .



جلدك ثوب بديع

الى ذلك يقعون فى خطأ جسيم لان الامر كله يتعلق ببضعة جرامات من المادة الملونة .

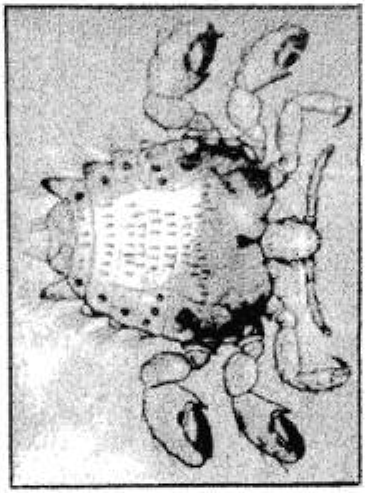
وعلى هذا الاساس وضع استاذ امريكى يسمى فارنز ورث لوميس يعمل فى جامعة ماساتشوستس بالولايات المتحدة نظرية خاصة بلون البشرة تعتبر الان اساسا لكل تفكير علمى فيما يتصل بهذا الموضوع ، هذه النظرية تقول :

ان سواد الجلد ظاهرة نشأت نتيجة لظروف جغرافية مناخية فان سكان البلاد الحارة لابد لجلدهم من أن يفرز للوقاية من الاحتراق نسبة عالية من فيتامين د ومن مادة الميلانيين ، ويقول هذا العالم : ان كل البشر فى الازمنة السحيقة كانت جلودهم سوداء لشدة الحر ووهج الشمس فى الماضى وعندما تغير المناخ واعتدل جو المناطق البعيدة عن خط الاستواء وساد « البرد » المناطق القطبية وبدأ الانسان يتجه الى الشمال



بثور على اليد ناشئة عن حساسية دموية يظن المصاب بها انها مستحيلة على الشفاء وانها توهم المصاب بها لكثرة بثورها ، وعلاجها مع ذلك يسير يستطيعه اى طبيب متخصص فى الجلد .





القمل من الآفات التى تسبب عشرات الامراض الجلدية لانه يتكاثر بسرعة خطيرة ويعيش فى ثنايا الجلد الصغيرة ويسبب التهابات والاما كثيرة ولهذا فلا بد من القضاء عليه بمجرد ظهوره سواء فى الراس او فى اى موضع من مواضع الجسد . ولم يعد من الصعب القضاء على القمل وانما الخطورة تأتى من التهاون والقذارة . فالصورة التى على اليسار لقملة الجسد والتى على اليمين لقملة الشعر .

فى هجرته أخذت الحاجة تقل لافراز قدر كبير من فيتامين « د » ومادة الميلانيين واخذ لون الجلد يفتح ويبيض شيئا فشيئا .

ومعنى ذلك ان السواد هو الاصل فيما يتصل بلون البشر وان بياض اللون ظاهرة جديدة . وكذلك الوان قرنية العين فقد كانت الالوان كلها فى الاصل سوداء ثم اخذت اللون العسلى بالنسبة لمن هاجروا الى المناطق المعتدلة ، واللون الازرق او الاخضر او الرمادى بالنسبة لمن هاجروا الى الاقاليم الشمالية القاسية وكل لون بحسب الجو الذى يسود المنطقة التى يسكنها الناس ويتصل بذلك أيضا لون الشعر فالفروض بناء على نظرية الدكتور لوميس أن الشعر الاسود هو الاصل وان تحول شعر بعض اجناس البشر الى الشقرة جاء نتيجة لقلة افراز الفيتامين د ومادة الميلانيين التى لا يحتاج اليها الانسان فى المناطق المعتدلة أو الباردة .

●







في مثل هذه الجميلة قالوا ..

● أنت ... وأنا ! ●

كانت النظرةُ أُولَى نظرتين ... ثمَّ صارتْ لفظةً ما بيننا
والهوى يَعْجب من مغتربين ... لم يقلْ أنتِ .. ولا قالتْ : أنَا
وسَبَحْنا فوق واد من لُجَيْن ... تحتَ أفق من غَمام وسَنا ..
أتملاّها سِمات عربيّة
وبسَمْعِي همسةً منها شجيّة .

● علي محمود طه ●

● أسائل عينيك ! ●

أصدق عينيك أم أحذر ؟ ... وأخذلها وهي لا تقصر ؟ !
خليين كنا .. فهل مسّنا ... من الحب سهم ولا نشعر ؟!
بنفسي وقلبي عيون المها ... يموج الصفاء بها والبريق
تشع حنانا ؛ فيسبي النفو ... س سحرا فيسكرها ، لا تفيق !
أسائلها كلنا فتّنا ... حديث الرضا أو حديث الشجون
أهل يحسب اللحظ فينا يغر ... ويخدع أفئدة العاشقين ؟ !
أم العين صادقة قولها ... ومرآتها تفضح العابثين ؟ !

● د . أحمد بديع ●
● الاسكندرية ●

● ابتسام العيون ... ○

رأيتُ بعينيك سِرَّ الخلودِ
وسحرَ الوجودِ ونورَ الحياهْ
وإشراقةً كالمنى غضةً
تجلّت فكانت لقلبى مناهْ
فيا فرحةَ الروح كمْ شاعرٍ
على ناظريكِ تغنّى هواهْ
هو الشعر أنتِ ، وأنتِ المنى
إليك انتهى الشوق يا منتهاهْ
وأنتِ الربيعُ أصلى لديكِ
تراتيم شوق ندىً الصلاهْ
وأنت الطفولةُ فى سحرها
وأنتِ الضياءُ وأنت الحياهْ

● رشاد يوسف ●
● القاهرة ●

● كل الرواية ! ●

قالوا عيونك آيه
فى حسنها وحكايه
بحر بدون قرار
مدى بغير نهايه
قالوا جمالك كنز
من فتنة وغوايه !
الناسُ فى الحسن سطرٌ
وأنتِ كل الروايه !

● د . عبد الحميد محمود ●
● الاسكندرية ●

● زهرة .. ! ●

"مويجة" في البحر أنت وبالصبابة تسبحين !!
أم زهرة نامت على ... خد الحياء لتستكين !
قد كنت أبحث عن هواك وعشت آلاف السنين
متشوقا لتجيئي .. بالأفق أو بدر حزين !
وأتيت في ثوب الهوى ... فأفاق كل العاشقين !
وعدوت مثل الطفل تأتلق الزهور وتسرحين !
تتسازحين النهر أو .. تسقى قلوب الظامئين !
وتلوت آية حبنا ... حيرت فيها العالمين
وسألت قلبك في الخفاء وقلت علك تعلمين
أنى بحبك قد غدوت أهيم وسط الخاشعين !

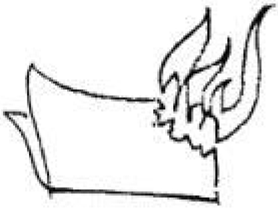
● طارق صلاح الدين بنداري ●
● القاهرة ●

● ما أروعك ! ●

أنت من أهوى ... وكم أهوى ، ولا
مأرب عندي سوى أن أنظرك !
كم يذوب القلب في إطلالة
بل يهون العمر لو لم أسمعك !
يا قرين البدر ما أبهاك ، قد
أبدع الخلاق لما صورك
قد حباك الله حسنا رائعا
يامليك القلب ... ياما أروعك !

● حسني الامين ●

قصة الأوراق



● عاطف سعودى ●

● فوجىء ضابط الاطفاء اثر فراغه من اخماد الحريق الكبير الذى شب فى شقة فاخرة بحى الزمالك - بصوت استغاثة واهنة تصدر من الغرفة الوحيدة التى لم تمسها النيران ... اندفع نحو مصدر الاستغاثة فوجد سيدة عجوزا مقعدة . كانت ممددة على الارض بجوار السرير الوثير الذى ترقد عليه. عرف انها سقطت اثناء محاولاتها النجاة بنفسها . واستغرب كثيرا من ان احدا من قاطنى الشقة وهم بعض اقاربها ، لم يدله على مكانها لينقلها هو اولا ...

حمل الضابط السيدة العجوز واعادها الى فراشها ، فشكرته واستمهلته قليلا لانها تريد ان تتحدث اليه . دعته الى الجلوس بجوارها ، وسالته :

- قل لى أيها الضابط الشجاع .. كيف تشتعل النيران ؟

✽ اذا وصلت الاشياء للدرجة حرارة اشتعالها .. فى وجود الهواء طبعا .

سألها الضابط هذه المرة :

- قولى أنت يا سيدتى .. لماذا لم يدلنى أحد على مكانك رغم حالتك هذه ؟!

تجاهلت السيدة سؤال الضابط وعادت تستفسر منه :

- قل لى انت اولا ، ما هى أسباب الحرائق كما تعلمتها من عملك ؟

✽ الاهمال يا سيدتى ، القضاء والقدر ، العمد ... لكنك لم تجيبى عن سؤالى بعد .

تجاهلت السيدة سؤال الضابط مرة اخرى واردفت تسأله :

- وما هى المواد التى تسهل عملية الاحتراق يا بنى ؟

✽ المواد البترولية ، الكهرباء ، البوتاجاز ، الأوراق ..

قاطعته كمن لدغتها عقرب :

- الأوراق ... تسبب الحرائق ؟

✽ نعم يا سيدتى . الأوراق تسبب الحرائق أحيانا .. ما الغرابة فى ذلك ؟ ولكن قولى الآن بربك ، لماذا لم يدلنى احد على مكانك ؟ .. هل انشغلوا بأنفسهم عن نفسك ؟

لمعت عيناها وسرحت بخاطرها الى بعيد كأنها فى واد ومحدثها الضابط فى واد آخر . كانت تردد بين آن وآخر عبارة « الأوراق تسبب الحرائق .. »

ثم انتفضت فجأة وهى تقول للضابط:

- ارجوك يا ولدى،لو سمحت تحضر لى الصندوق المذهب الموجود فى صوان ملابسى هذا ...

اشارت السيدة بيد مرتعشة الى صوان ملابسها وهى تناول الضابط مفتاحه . قام واحضر لها الصندوق . فتحته واخرجت منه ورقة مطوية ثم مدت يدها أسفل وسادتها واستخرجت ولاعتها الذهبية .. وبيد كانت لا تزال ترتعش ، اشعلت السيدة الورقةالتى استخرجتها من الصندوق ، فالتهمتها النيران فى لحظات ...

كانت تضحك من اعماقها وهى لا تزال تردد :

« الأوراق .. الأوراق تسبب الحرائق !! »

ازدادت حيرة الضابط وتعجبه من تصرف السيدة وسالها :

- ما هذه الورقة التى اشعلتها يا سيدتى ؟!

قالت وكأن هما قد زال عن كاهلها :

✽ أنها وصيتى ايها الضابط .. انها كما ترى من الورق ، الم تقل لى ان الأوراق تسبب الحرائق ... احيانا ؟!

ثم تحولت تبكى فى حرقة بالغة ... ●

مالارميه.. وفكرة اللغة المستحوذة

● ماهر شفيق فريد ●

اتمت مجلة «انكاونتر» الانجليزية عامها الخامس والعشرين فى شهر اكتوبر الماضى : واصدرت بهذه المناسبة عددا خاصا نعرض لاحدى مقالاته هنا : وهى مقالة « مالارميه وفكرة اللغة المستحوذة » بقلم جون وبتمان ..

يقول الكاتب : توفى الشاعر الفرنسى الرمزى ستفن مالارميه عام ١٨٩٨ فى سن السادسة والخمسين ، ولكنه ظل قوة فاعلة فى الشعر الحديث لمدة ثمانين عاما .. ولو اننا ارخنا بداية فاعليته بعام ١٨٧٥ عندما استقر فى باريس فى شقة بشارع روما ظل يقيم بها حتى وفاته ــ لوجدنا انه كان مؤثرا هاما ونشطا لاكثر من قرن من الزمان . وبعد انتقاله الى شارع روما فتح بيته فى أماسى الثلاثاء لعدد من الادباء والفنانين على شكل ندوة اسبوعية صارت تعرف باسم « أماسى الثلاثاء فى شارع روما » وكان من بين من يختلفون اليها شعراء وكتاب غدت شهرتهم فيما بعد لاتقل عن شهرته مثل بول فاليرى، واندريه جيد ، وبول كلودل .

وخلال هذا القرن من الحضور الفعال عانت شهرة مالارميه عددا من التقلبات . ففى حياته كان بعض الادباء راسخو المكانة من قبيل لوكونت دى ليل، واناتول فرانس ، ينظرون اليه على انه رجل غريب الاطوار لطيف محير . ولايحملونه على محمل الجد كثيرا ، بينما كانت اقلية منتقاة من معاصريه خاصة الشبان منهم تعجب به وتحترمه . ولم تكن هذه الاقلية مقصورة على الادباء وانما كانت تشمل رسامين وموسيقيين ايضا . فمن المعلوم بطبيعة الحال ان شعره قد الهم دبوسى وانه كان صديقا لمانيه ، ومنذ عام ١٨٨٤ بعد ان حياه الروائى جوريس كارل وسمانز فى روايته المسماة « ضد الطبيعة » باعتباره واحدا من الشعراء الذين كان يعجب بهم ديسانت بطل الرواية ، ونموذج الغندور « الداندى » الجمالى النزعة ، اصبحت لمالارميه شهرة عامة سيئة من لون ما. حاول البعض محاكاة أسلوبه المستتر محاكاة ساخرة مفترضين ان مؤلفاته الغامضة تخفى معان ملهوبة او حتى فاحشة .

ومع مطلع هذا القرن وجدت قلة من قصائده الاقل صعوبة طريقها تدريجيا الى كتب المنتخبات ، وبدأ يؤثر فى عدة شعراء خارج فرنسا . اما داخل بلاده فان عقيدته الشعرية قد واصلها ، بتعديلات طفيفة ، أبرز حوارييه : بول فاليرى، الذى يلوح مونولوجه الدرامى المسمى « ربة القدر الشابة » « ١٩١٧ » فى بعض الاحيان وكأنه محاكاة لمالارميه تماما

وعلى ذلك يحق لنا ان نقول انه بينما قد ظل مالارميه دائما شاعرا مهما لدى غيره من الشعراء ظلت شهرته العامة بطيئة النمو . لقد كان ثمة قدر معين من الاهتمام به فى ثلاثينات هذا القرن عندما كرس له البير تيبوديه دراسة كاملة كانت اول كتاب عنه ونشر روجر فراى ترجمة انجليزية حرفية لقصائده . بيد انه فقط مع مقدم الاربعينات اصبح يعد شاعرا كبيرا يقف على قدم المساواة مع بودلير وفرلين ورنبو ... وربما كان قد انتفع بشهرة تلميذه فاليرى . ومن المحقق ان احد أصدقاء فاليرى المعجبين به ــ نعنى الدكتور هنرى موندور وهو واحد من سدنة الادب المكرسين الذين يلوح ان فرنسا تنجب منهم اكثر مما ينجبه غيرها من البلاد ــ قد كتب سيرة مالارميه وشرع يطبع رسائله الى معاصريه ثم واصل عمله الاستاذ اوستن من جامعة كمبردج ، وعرضا نلاحظ ان الدارسين الانجليز قد نشطوا خلال الجيل الاخير فى نشر اعمال مالارميه وتفسير قصائده . ●

"لامرتين" شاعر الحب والجمال

● د . سليم الاسيوطى ●

كانت حياة لامرتين حافلة بالصبوات والغراميات فلم تخل فترة من حياته من جولة فى ميدان الحب والغرام الملتهب تتحدث بذكرها الركبان .

ولد الفونس مارى لويز برات دى لامرتين عام ١٧٩٠ فى باريس ، وتوفى عام ١٨٦٩ ، حيث دفن بها فى « مقبرة الخالدين »

وباستثناء فترة دراسته الاولى ، قضى لامرتين السنوات العشرين الاولى من حياته فى الريف ، خاصة فى ضيعة أبيه فى « ميلى » . ولقد كان منذ نشأته يتوثب نشاطا وحيوية ويمتلىء بالقوة والفتوة منذ صباه الغامر الجارف ولقد اغدقت عليه الطبيعة والفطرة ما اثراه روحا وجسدا .

شب لامرتين فى «ميلى» وترعرع حرا طليقا كالفراشة يهب كالهواء هنا وهناك ، لا يقيده قيد ولا يحول دونه حائل أو سد . فاجتلى ببصره الحديد وبصيرته النفاذ : محاسن مقامه البديع. ولكن التقاليد الاسرية والواجبات الاجتماعية التى فرضها العصر عليه انعكست فى حياته ، كأى انسان آخر ، هناك فى ذلك الوقت ، بالاضافة الى الانطباعات والارتسامات التى خلفتها فى نفسه هذه البيئة وتركتها فى مقتبله [illegible] ، كانت قد ترسبت عميقة قويلقى اعماقه ، شعوره ولا شعوره ، وحالت دونه والافكار الجديدة ، التى سبق بها عصره ، ولم يكن قد حان الحين لتؤتى ثمارها جنية ، دانية القطاف .

كان لامرتين اثناء طفولته فى «ميلى» يلعب ويمرح بين مغانى البلدة ومغانيها ، ويرد حدائق الخضرة والماء والبهاء ، فآمن « بان كل من ينشأ فى حجر الطبيعة واحضان الريف لابد وان يستهويه غرامهما ويعشق حسنهما »

وفى صباه وشبابه شغفه حب الكتب والمكتبات ولما لم يشأ ان يتقيد بقيود الوظيفة ابان حكم نابليون الطاغية « كما كان يراه » فقد أخلد الى القراءة فغذى قلبه واثرى عقله بما كتب جان جاك روسو ، وفولتير ، ودانتى ، وبترارك ، وشيكسبير ، وملتون ، والكسندر بوب ، كما درس الايطالية وتعلم الانجليزية فترجم العديد من هذه وتلك الى الفرنسية .

قرا لامارتين روائع الادب ، شعره ونثره ، بل حصل منهما ايضا ثروة لغوية ضخمة ، وثراء علميا عريضا .

ولقد كان شعره النابض بالحياة الجياش بشتى العواطف والمشاعر ، بدء عهد جديد لشعر الوجدان . فطالما قال: « لقد استبدلت بقيثارة آلهة الشعر ذات الاوتار السبعة أوتار قلب الانسان بنبضه ، واهازيج الطبيعة من حوله ».

فقد كان منذ صباه الباكر ، يصوغ ابيات الحانا شجية من نبضات قلبه ، ومفاتن الطبيعة من حوله ، وروعة ايمانه .

فلما حركته دواعي الصبا الى الحب طفق ينهل موارده ، فوقع في حب صبية من « ميلي » اولع بها ولوعا اطاش صوابه واخل توازنه ، واضاع الحكمة والنهى من حياته وشف جسمه وانحله فلما كان الاقتران بها امرا مستحيلا لاعتبارات ارتأتها الاسرة ، لقد بعثت به الى ايطاليا لتحامي هذا الزواج وعله ينسى هناك . ولكن القدر في ايطاليا كان تداعد له غراما جديدا اقوى واعتى ..

اندفع لامرتين في حب الفتاة « جراز يلا » ، وهي ابنة وحيدة لاحد الصيادين الفقراء ، كان يسكن جزيرة في البحر . وتصادف ان دعا والد الفتاة لامرتين وصديقا له « ل ـ لامرتين » الى زيارته في بيته ، وهناك التقى الشاعر بجراز يلا ، واضفت الاسرة عليهما من صنوف المودة والاحترام ماعطف الضيفان على هذه الاسرة وأمال مشاعرهما نحوها .

توطدت الصداقة ، وذات يوم ذهب لامرتين وصديقه الى رحلة صيد في مركب لوالد الفتاة ، وكان يدعى « اندريا » ، وفي اثناء الرحلة هبت عاصفة هوجاء عاتية ، وتعرضت حياة الجميع للخطر ولكنهم جاهدوا وكافحوا ، فكتب الله لهم النجاة ، وعادوا الى الشاطىء سالمين . وقد كادت تنخلع قلوبهم من الرعب وتتقطع ، وتحطم بعض من السارية وتمزق الشراع .

وفي اليوم التالي ، عاد لامرتين وتمكن من رتق الصدع واصلاح التلف اللذين اصابا المركب ، فعادت الى ماكانت عليه في سابق عهدها ، ورأى « اندريا » والد الفتاة في هذا العمل فالا حسنا وبشرى خير ، وفاتحة بركة .

ورحل صديق لامارتين عائدا الى فرنسا فغدا وحيدا في غربته ليس له من يؤانس حياته او يسرى عنه . فماذا عساه ان يصنع ؟!

اكثر من الترداد على ال « اندريا » وتكررت زياراته لهم . ربما تكون الاسرة قد رات فيه صيدا ثمينا ، سهمينا وفرصة دفع بها الحظ السعيد الى دارهم ، « والحظ لايطرق الباب مرتين » كما يقولون في الامثال . وسوف يكون الزوج الامثل لوحيدتهم العزيزة . فدعاه الاب لتناول الغداء في بيته ولبى لامرتين الدعوة شاكرا . وفي غضون النهار ، بينما كانت « جراز يلا » تدبر شئون المنزل وتفي بحاجاته ومطالبه ، كان لامرتين يشارك « اندريا » اصلاح شباكه المعطوبة .

أراد لامرتين ، بعد ذلك ، العودة الى نابلي ، حيث كان يقطن ويقيم في حجرة هناك . ولكن والدة « جراز يلا » رحبت به يقيم بين ظهرانيهم ، وربما كان يتوق الى هذه الدعوة ويشتهيها ويتمناها من السماء ، فما كان منه الا ان نزل عند رغبة الام ، ولكنه اصر على دفع بعض المال ، فلم تمانع الام من جانبها ، حتى لا تبقى له حجة او ذريعة يتذرع بها للرحيل ، فيفلت العصفور من ايديهم .

جعل الوالدان يفكران في مستقبل الفتاة « جراز يلا » ، وحينئذ نزل بالاسرة ضيف ، ابن عم للفتاة ، قدماه الى لامرتين على انه خطيب « جراز يلا » ، فاهتم صاحبنا واغتم ودهمه الحزن والاسى ، فاعتزل صحبة اهل البيت ولاذ بمخدعه لا يبرحه . وحزنت « جراز يلا » ولم تحتمل البقاء بالدار ، فغادرتها بليل .

ولما علم لامرتين بالامر اسرع الى حيث كان يتوقع العثور عليها ، في جزيرة بروكيدا . لقد صدق حدسه . فهناك لجأت الى دير به تمثال شاهق للسيدة مريم العذراء ، وحين رآها كانت تركع امام التمثال وبيدها خصلة من شعرها الطويل الناعم تقدمها قربانا الى العذراء

ولما فرغت من صلاتها ، التي لم يشأ لامرتين ان يقطع عليها حبلها اقترب منها وهمس قائلا : « اني لا اسألك ما اذا كنت تحبينني .. »

قالت : ولكني احبك . كل الحب ، حتى ملك على كل جوارحي وحواسي ، ومشاعري وعواطفي » .

فما كان من لامرتين الا ان امطر

وجيها بالقبلات وهو يصارحها بحبه لاول مرة ، وتوسل اليها أن تعود معه الى نابلى رحمة به وبوالديها اللذين كان يتفطر قلباهما الما وحسرة لفرارها. وعادا معا الى نابلى .

وترامت أخبار مغامرة لامرتين الغرامية ، حتى بلغت أسماع الاسرة فى فرنسا ، على لسان احد أصدقائها فهبت الام التى هالها ان تسمع بان ابنها يعيش فى ايطاليا حياة مريبة وامطرته بوابل من الرسائل تسترحمه وتستحثه على العودة على عجل وأصبح صاحبنا نهبا للحيرة تتجاذبه الطاعة لأمه والوفاء « لجراز يلا » والهيام بها ، فلقد كان يقدس أمه ويعبد فتاته ، ويشق عليه اغضاب هذه ، ويعجز عن فراق تلك .

كان كلما حزم امتعته واعد حقيبته وازمع سفرا شق عليه الرحيل، فيعدل، ولكن ما ان تعاوده رؤيا أمه الوالهة الملهفة ، حتى يرجع عن عزمه على البقاء ويقرر الرحيل .. وهكذا ظل نهبا للتردد والحيرة حتى بعث الله فيه الشجاعة والهمة والقرار الاخير .

فى غضون هذه الفترات الحرجة القاسية كانت والدة « جراز يلا » ووالدها يرددان صباح مساء على مسامع ابنتهما القول :

« غدا سوف تحمله الباخرة ، آخذة طريقها الى فرنسا ، .. غدا سيهجرك، نعم سيهجرك ويعود الى فرنسا حيث يجد الفتاة التى تحبه هناك . »

وكانت الفتاة تعيش تلك الايام خائفة متوجسة يكاد قلبها ينخلع ويطير شعاعا، فماذا عساها أن تفعل ؟

ذهبت الى حائكة ثياب واستعارت منها ثوبا فرنسى الزى وارتدته وشخصت الى حبيبها لامرتين . فلما لقيها هاله امرها واندفع يقول : « ماهذا الذى ترتدين ؟! اين هذا الزى من ثوب الإيطالية الجميلة الحسناء ، التى لاتتكلف ولا تصطنع الاناقة والزينة ؟! »

لحز فى نفسها اللوم وآلمتها السخرية وطفقت تبكى بكاء مرا وراحت تكشف له عن دخيلة نفسها : « انى اعلم انى عاملة بسيطة فقيرة ، وقد ارتديت هذه الملابس حتى لاتخجل من مظهرى ومنى، اذا مارافقتك الى وطنك » .

فما كان منه الا أن قال فى خشونة « ماذا تقولين ؟! اتذهبين معى الى فرنسا ؟! ماكنت احسب انك على هذا القدر من الحماقة ؟! »

لقد كان لامرتين يحب « جراز يلا» حبا صادقا ملك عليه كل حواسه ، وملا حياته ، ولكنه لم يجرؤ على التصريح بهذا الحب او الاعلان عنه ، كما انه لم يفكر وهو النشوان دائما بهذا الحب ، فى أن يبنى بها فقد كانت تفصلهما هوة سحيقة ، عميقة ،من الاوضاع الاجتماعية والتقاليد والعرف والقيود الطبقية ، لايمكن أن يجهلها او يغفلها ولا يدخلها فى الحسبان .

وكانت جراز يلا من جانبها تحمل له الحب كل الحب وتوليه الوفاء والاخلاص ولكن الفتاة العذراء ، لا تدين بمذهب الحب للحب ، وترنو دائما بعين الامل والرجاء الى الزواج . وهذه هى نهاية المطاف لكل حب صادق امين ، فعاشت هذا الامل ترعاه حتى شب وكبر واكتمل . وحان وقت القطاف .

لم تكن الام لترضى بما نمى اليها، فلما خابت رسائلها بعثت برسولها وهو احد الاقرباء ، الى لامرتين ، فى نابلى ، فما ان وصل الى نابلى حتى هرع الى بيت الصياد اندريا ، وانهى الى لامرتين ماآل اليه حال امه من بعده .. **هذه الحال التى تزداد سوءا يوما بعد يوم ، فجمع الشاعر شجاعته وامتعته ورحل الى فرنسا مع قريبه . وصورة «جرازيلا» ماثلة فى خياله لا تفارقه بكل محاسنها ومفاتنها وروعة جمالها تلتف بالطهر وتتشح بالصفاء والنقاء .**

وحين اخلد الى الحياة فى باريس واتاه رسول بحزمة صغيرة ، فلما فتحها قال « كما جاء فى مذكراته » : «نزعت الغلاف ، ومازالت ذكرى هذه اللحظة

تلازمني ، فوجدت بداخلها خصلة من الشعر ، تعرفت فيها على شعر « جراز يلا » ، كما وجدت رسالة قصيرة بخط يدها تقول : « يرى الطبيب اني سالقى ربي في غضون ثلاثة ايام ـ اني اتوق توقا شديدا الى أن القاك ... لقاء الوداع الاخير ، وأنا بكامل قواي ـ آه ، لو كنت بجواري لامتد أجلي ، وطال عمري . ولكن هكذا اراد الله ولا راد لقضائه ، اليك خصلة من شعري من راسي فقدمها قربانا الى خالقي ، في هيكل عندكم لكي يحقق الله لك كل ماتصبو اليه مني »

***

لم يعد لامرتين الى وطنه وموطنه خاوي الوفاض من الحب دون كسب او مغنم . نعم ، لقد خسر « جراز يلا » بالجسد فحسب ولكنه أعاشها في حياته روحا ومعنى ، شعرا وخيالا خصبا ، مجسمة مجسدة ، غامرة بالحياة ، جياشة العواطف ، فياضة المشاعر في ملحمته الرائعة : « جرازيلا » التي سرد فيها مع روايته « رفائيل » تاريخ شبابه وأيام حياته ..

لم يكد لامرتين يفيق من حب « جراز يلا » أو يسلو هواها حتى دعاه داعي هوى جديد ..

ففي ربيع ١٨١٦ ، وهو في فرنسا أصيب بداء الكبد ، فأشار عليه طبيبه المعالج بالسفر الى مدينة اكس والافادة من مياهها المعدنية . فجاءها في أكتوبر من هذا العام . وتصادف ان كان في المصح الذي نزل فيه انه كانت تقيم نزيلة شابة تدعى « جوليا شارل » وهي زوج أمين سر المجمع اللغوي الفرنسي في ذلك الوقت فكان أول مالفته اليها وأعطف قلبه نحوها ، وجهها الشاحب وقوامها الناحل وانطواءها ، وعزلتها ، وهدوءها فهوى في هواها وكأنه على موعد مع حب جديد ..

افتتن بها ، وبما اوتيت من الملامح الشعرية الرائعة والثقافة الواسعة النادرة واللهجة الموسيقية الشجية ونبرات الصوت الرخيمة العذبة ، يجللها فوق كل هذا هالة من الشجي ومسحة من الشجن بجانب ماهي عليه من قوام بارع فاره ، وطلعة بهية تبدو دائما من وجه صبوح سمح . فهام بها وقضى بصحبتها ثلاثة أسابيع على ضفاف بحيرة

بورجيه ، فطعم معها الحياة الصافية ، وخبر حلاوة الغزل العفيف ونشوة الحب النبيل ، ولكن السعادة قصيرة الاجل ، فلم تلبث « جوليا » ان عادت الى باريس

وعاد هو الى « ميلي » ولم يلتق بها ثانية الا في يناير من عام ١٨١٧ في منزل زوجها بباريس فتساقيا كئوس الحب مترعة صافية على مشارف العاصمة وفي رياضها ومعانيها ، شهورا قليلة ، ثم افترقا على موعد في الخريف في « سفوا » ، ولكن القدر ابى عليهما هذا اللقاء فقد شخص لامرتين الى « اكس » ينتظر مقدم حبيبته ولكن كان هناك نبأ مفجع في انتظاره : لقد اشفت جوليا على

الموت فارتد عائدا الى مدينة ماكون وجاءه نعيها الى هناك فهاله الخبر وبرح به الحزن وتفجرت ينابيع الدموع في مآقيه .

ان الحزن والاسى والفجيعة تشحذ خيال الشاعر وترهف حسه وتحلق به في سماء الالهام والشعر ، فجادت عليه ربة الشعر بالدرر الغوالي . ورثاها رثاء سيبقى خالدا على الايام فان شعره في « الغير » ـ وهذا هو اسمها المستعار ـ اروع مااشتمل عليه ديوانه « التاملات » واشد مافيه امتلاكا للحس وسيطرة على الشاعر .

كان لصلة هذه السيدة بلامرتين اعمق الاثر في حياته وفي شعره . ولقد كتب ذكرياته عن هذا الحب في رواية « رفائيل » مستعينا بمذكراته ورسائله واسلوبه الشائق الجميل ، مما كتب لهذا العمل الخلود والبقاء ●

قصــــة العــرائــس الإلـــهــيــة

● اليفه رفعت ●

● انطلقت صرخات حادة تشق سكون الليل اعقبها نشيج مؤلم بكى له قلبي وتمزق كأنما مر عليه سكين حاد .. وضاعف من رنين البكاء الصمت والهدوء الذى يخيم على عمارتنا فى مثل هذه الساعة ..

وازداد هلعي حين ادركت ان الصرخات قد انطلقت من شقة المهندس وائل .... المواجهة لشقتى والتي يسكن فيها مع اسرته .. جريت نحوهم والف خاطر يتنازعنى ويرسم لى ابشع الكوارث والنكبات التى من الجائز ان تحل فجأة بأى اسرة آمنة ..

وضعت يدي على جرس بابهم وانا انتفض من الخوف بينما تجمع باقي السكان امام عتبات الشقق يطلون من الادوار فى انزعاج .. فتح لى وائل بنفسه . كدت انكره لصورته المضطربة وتقاطيع سحنته المقلوبة وعينيه المحمرتين تومضان بالغضب الشديد ..

قلت اداري انزعاجي بابتسامة متوددة .. « ماذا حدث ؟ »

قال : « اسالى صديقتك السيدة المحترمة المصون .. » وتركنى ودخل الى غرفته واغلق بابها عليه بينما تجمع الاولاد حول امهم ينكرون العيون المذهولة المتسائلة .. عرفت لسهير حين رأيتها بينهم متكومة على الارض وكل وجهها كدمات زرقاء شوهت وجهها الجميل والقلت بوسامته الى صورة دميمة شقية زاد من بشاعتها عيناها المقروحتان المتورمتان ..

احتضنتها وشددتها من على الارض حتى تحاملت على نفسها وقامت معى بينما تفرق الاولاد الى غرفهم فى صمت حزين .. انسحبت بها الى غرفة الاستقبال فتهاوت متخاذلة على اقرب مقعد وغطت وجهها وراحت ترتعد وتنشج باكية .. رحت امر على وجهها بفوطة مبللة بماء مثلج وامسح بها على جروحها فى رفق وقد القت براسها للوراء مستسلمة للمسانى وعيناها تدوران فى ذهول .. تنهدت فى يؤس وراحت تتمتم .. « انتهى .. انتهى وجودى كله .. »

قلت فى حيرة : « ماذا حدث ؟ بالله عليك خبريني .. لماذا يضربك زوجك بكل هذه الوحشية ؟.. » قالت والدموع تطفر من عينيها وتتدفق مرة اخرى : « تحطمت كل عوالمى وانتهيت ! .. لن استطيع العيش كما كنت بعد الان ولن استطيع النظر فى وجوه اولادى بعد



ان اذلنى على هذه الصورة امامهم .. فلن اكون الام المحترمة فى تقديرهم .. ولن استطيع تناول لقمة واحدة منه .. وافضل ان اموت جوعا من ان يعولنى هذا الرجل بعد ان حطم كبريائى هكذا .. »

قلت وقد زادت حيرتى : « انت تضخمين الامور وكأن نهاية الدنيا قد حلت .. ولم يحدث بينكمـــا مالم يحدث .. فكثير من الازواج يتشاجرون ثم يعود الوفاق بينهم . »

انطلقت فى ثورة تقول : « الا انا !.. انا لا . انا لم يضربنى احد ابدا حتى ولا ابواى .. بل ربياني على سرعة الفهم والتقدير .. يكفينى نظرة موحية الى بالتصرف الصحيح لاقوم به فى صمت بغير كلمة تأنيب ولا زجر .. وعندما تزوجت بوائل لم يربط بيننا حب ولا عشق بقدر ماربط بيننا التفاهم والاحترام .. وعشنا طوال هذه الاعوام مثالا للزوجين المهذبين الوقورين .. كل منا كان يعرف واجباته وحدوده ويؤدي مهامه .. بيتنا يسير كالساعة فى الانضباط .. احوالنا منسقة ميسرة بغير خلل .. ولكنى كنت اختنق واحترق كما تحترق الشمعة لتنير لمن حولها .. اسير فى طريق الواجب مثل الالة التى يحركها مهندس ماهر .. ووائل كما تعرفين مهندس ماهر تدبير فعلا خطط لنا حياتنا بدقة وبراعة وعمل حسابا لكل مسمار وترس فى جهاز بيتنا ومستقبلنا . ونسى اننا بشر .. لم يدخل ابدا فى تخطيطاته وتقديراته اننا لنا قلوب واهواء وعواطف .. »

راحت تمسح دموعها بباطن كفها وتهز راسها ومازالت فى ثورتها تتكلم : « انا انسانة ياصديقتى .. قلبي ليس من حديد ولا حجر .. انا من دم ولحم واعصاب ، وعاطفة .. قلبي حى ينبض وكلي حيوية متدفقة . وينبض هذه الايام اكثر ويركض محاولا استعادة الزمن الذى جرى بى الى اعتاب الكهولة واقترب بى من نهايتي المحتومة .. قلبي يتمرد على الجمود المنظم الذى عشت فيه آلة ادور وادور .. الا فى اللحظات القليلة التى كنت اختلسها من قيودى .. لاشعر انى مازلت انسانة اعيش واتنفس .. اختلى بجهاز تسجيلى اسمع لصوت حبيبي او اجلس لعزق احاول ان اترنم بموسيقى هذا الحبيب الذى ملك على اسمى مشاعرى .. واودع غائبة عن واقعى سابحة فى العالم الجميل المضىء الذى يصوره بموسيقاه وبنبرات صوته الشجى الرخيم الذى يتسرب الى اعمق اعماق احساسى .. يطوف بى فى سماوات سحرية ويحملنى بلين ورفق كموجة بحر هادئة رطبة فى قيظ صيف ..

كلمسة ليل صـــــــافية وقيقة تطويني نبرته العذبة .. »

قلت في دهشة : « هل تقصدين بقولك ان توحي لي بمشاركة للموسيقار الشهير ســمير وجدي .. وما القدر من حبك له ؟! كنا نحبه في انا دائما انصت بشغف لغنائه الذي ينساب .. اذيا من محطتكم حين تديرين جهــاز تسجيلك واشاركك متعة الاستماع اليه .. واحيــــانا يلحني زوجي ليعدني شاحكا بشراء جهاز مثله لأسجل عليه ما أشاء . ليس في هذا اي عيب . »

ضحكت لحيرتي من خلال دموعها التي انقشعت سحبتها سريعا أمام اشراقة روحها الشفيفة .. حتى بدا وجهها الخمري برىء التقاطيع كوجه طفل .. لولا التكدمات التي تركته لانمحت تماما آثار الزوبعة التي مرت بها ..

وقالت : « نعم ليس في الاســـتماع اليه ذنب : ولكن صدقيني لو احببته كما أحببته وانصلت به لذبحك زوجك حين يعلم ! .. »

تلفت من مكاني والصقت مقعدا بجوانبهـــا وادنيت اذني وانا أهتف بها : « كيف اتصلت به وأحببته ؟ وهل احبك هو الاخر ؟! »

قالت : وهي تتمطى باستمتاع : « تصورى .. سمير وجدى يحبني انا انا سمير السكينة المنطوية .. انا الهامه وعروس احلامه ! »

قلت وللذة اســــتمتاعها بالعواطف الدافئة تجتاحني : « احكي لي بالتفصـــيل ، فلكم يطربني أن استمع لحكايات الحب ، فهي تحييني وتذيب الثلوج المتراكمة على الحياة . وتجري بالدماء في العروق تعيد للأجســــاد الحيوية والشباب .. »

رنت ضحكتها صافية مترقرقة . وهمســت لنفسي بسرها :

« لســت ادرى متى بدأ حبي له : فطول عمري منذ بدء وجودي وانا احبه ؛ وان كنت لم أعرف هذه الحقيقة حتى قابلته .. وانمـا كنت أستمع اليه تنطلق روحه على من بين الانغام فلازمني وتكمل وجودي .. حتى كانت ليلة تدور لي ليها ان اعرف على حبي .. ليلة ناشت لها مشاعري بعد طول كبت وحرمان .. فلبيني لها حنيني فناديته بالتليفون كأى معجبة من الجماهير التي تعشق غناءه .. والقدرة الكتوب ولا شك هو بنفسه في الحال ، وكأنما كان في الانتظار .. ومن أول كلمة شعرنا أننا كنا نحيا معـــا .. وتعرف كل منا على الاخر وكأننا كنا نعيش في مكان آخر وفي حياة اخرى غير حياتنا في هـذه الدنيا .. وراح يشـــكو لي من السأم الذي يعانيه رغم الشهرة والغنى وكثرة العاشقات ، فمازال يبحث عن القلب الحنون الوفي ويبحث عن الروح التي تعانق روحه .. يبحث عن نصفه المفقود . فهو يؤمن مثلي أن الله حين خــلق الانسان ، شطر كل واحد الى نصفين لجعلهما رجلا وامرأة ، وكل من الشطرين تائه ناقص بغير نصفه المفقود والفه الغائب . ولكن متى التقيا وعرف كل منهما الاخـــر اتحدا بالحب وربـط بينهما ؛ وهذا سر الحب وجاذبيته الناسفة . وهكذا ياصديقتي وجدنا انفسنا قبل أن تنتهي المكالمة التليفونية عاشقين غارقين في الحب .. وصدقيني اني حاولت التعقل وتجاهل العاطفة الجارفة التي كانت تدفعني لان القي بنفسي في احضانه وحاول هو الهروب حين علم اني زوجة وام ، ولكن بغير جدوى .. وتقابلنـــــا في « الكازينو » الهادىء تحت سفح الهرم ذات ليلة والتقط لنا مصور ملهم صــــورة تذكارية احتفظت بنسخة منها في علبة مجوهراتي .. ورحنا نتبادل المكالمات التليفونية والخطابات ونحيــا في دنيانا العلوى السحر وأتلف المقطوعـــات الموسيقية الحلابة التي ســــماها « سمير » و « العرائس الالهية » من وحي حبنا والهاما من عاطفتنا الحارة الصادقة ، ولكننا والســم لم نتحدر لجحيم الجسد ولا وقعنا في احبولة رغباته وشهواته .. بل قاومنا في استشهـــاد واستبسال غرائزنا البشرية وسمونا بحبنا الى آفاق الروح الوضاءة .. هو متخم من كثرة الحسان العاشقات اللاتي يترامين في تبذل ممجوج على اعتابه حتى اصابه الملل والسأم ، وأنا زوجة وام امينة لا افرط في اماناتي ، واحافظ باخلاص على بيتي وشرفي وسمعتي . لم تحدث ابدا بيننا ما يشين او يغضب الله ، وانما صورنا لانفسنا باحلامنا عالما مثاليا وامتلكنا ارضـــا جديدة في كوكب بعيد عن نزوات البشر ، ورحنا نشرب الحرمان ليشع فينا نور الحب . . . . حبنا عبادة . كحب الزاهدين .. يجمعنا الشوق الروحي القاسي للجمال .. وحين نلتقي نروح هائمين نتبادل السعادة التي تشع بها ارواحنا من خلال العيون .. نحيا في موطن حبنا السحرى .. وتنساب بيننا الانغام الملائكية تتجاوب مع ايقاع نبضات قلبينا .. حتى اذا عدنا لواقعنـا عدت امرأة متجددة مقبلة على الحياة ممتلئة بالحيوية والامل .. كل حبنا خيال في خيال .. ولكننا نؤمن به وننتظر الرحيل من هذه الدنيـا حتى نزف عروسين في السماء . فنحن لا نقوى على هدم عش وتشتيت اطفالي . فنحن لسنا في حاجة لنحيا معا حياة مادية على هذه الارض . لا نشعر بالفرق الجسدي ؛ وانما حبنا سما على اشواق البشر الترابية .. حبنا نور يشرق لا نار تحرق » ..

قلت لها وقلبي يفيض بشجن عميق : « هل ادرك زوجك هذا وهل يصدق ! »

قالت : « لست ادرى .. وانما اتابعه ثورة عنيفة وغضب شديد جعله يضربني بكل هذه العصبية حين سمعني الكلم سمعي التليفون مناجية وانا احتضن كنز خطاباتنا وأتأمل الصورة التي تجمعنا .. فراح يضربني بجنون وقسوة »

وطفرت دموعها مرة اخرى وقد غامت تقاطيعها بسحب الالم ، ثم نهضت وهي تضغط عــلى راسها في ألم .. وتهتف : « هذا جنون .. ان احب بهذه الصورة وانا في هذا العمر وهذه الظروف ! . جنون ولكن أين المفر ؟ انه قدري! وليس امامي الا ان ابتهل وادعو الله سرعة الرحيل » ..

وقفت وتوجهت تلوذ بابواب السماء .. وراحت بغير ان تشعر به .. وتقدم حتى وقف بجانبها فتح والل الباب في هدوء واشار لي بسبابته على فمه يدعوني للصمت ..

وكان يبتسم في هدوء بعد أن استمع لحديثنا بغير ان تشعر به .. وتقدم حتى وقف بجانبها وامسك بيدها وراح يبتهل معها في ندم واستغفار .. وضعت راسها على كتفيه وهي تتنهد بارتياح بينما كنت انسلل الى شقتي في هدوء مع تسلل اول اشعة الصباح

مع حسين بيكار

الرسام .. الموسيقى .. الكاتب

• الفن الجيد إفراز طبيعي لتفاعل الفنان والبيئة
• تأثرت بالفن الفرعوني لأنه واضح وصريح

● عندما تتأمل لوحاته تحس أنه داخلها بكل جوانب شخصيته، فالخط يجرى على اللوحة بوضوح ونعومة ، وهذه هى ملامح الفنان « حسين بيكار » . انسان صريح ، وواضح ، ورقيق .. داخله صورة واضحة المعالم بلا حدة ، أو غموض .. واعماقه صافية صفاء الحياة كما تصورها ريشته ..

يحمل اسمه شهادة انتماء لأصل تركى ، وتحمل بصماته الفنية شهادة بانه اسكندرانى ـ مصرى ، ابن بلد أصيل .. له عديد من الهوايات الفنية، برع فى كل منها ودرس واحدة فقط، فهو عازف ماهر على عدد من الالات الموسيقية الشرقية ، العود ، والطنبور والبزق .. وله صوت جميل معبر ، فهو مغن لاول فرقة فى مصر للموسيقى الشرقية ..

وهو رسام حساس . عبرت ريشته من الواقع المصرى الشعبى بخطوط رومانسية رقيقة..وكان هو أول الدفعة الاولى لمدرسة الفنون الجميلة العليا فى عام ١٩٣٣ ، ثم عمل كاستاذ ورئيس لقسم التصوير فى كلية الفنون الجميلة فى الفترة من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٥٩ .

ـ أنا مصرى ، من مواليد الاسكندرية فى عام ١٩١٣ ، و « بيكار » اسم جدى وهو تركى الاصل .. أسرتى فقيرة،وليس لاحد أفرادها اتجاه فنى واضح ، الانى منذ طفولتى المبكرة كنت أنظر للمظاهر الفنية بانبهار ودهشة . وكنت دائما أتمنى أن احاكى ما اراه مرسوما وما اسمعه منغما .. كان دكان « البراويز» على ناصية الشارع يستوقفنى فى الذهاب والعودة ، لارى وأتعجب كيف انتقلت الطبيعة والاشخاص الى صفحات الورق ..

كما كنت انبهر من اصوات الموسيقى عندما كانت صديقات أمى يزرنها فى يوم « المقابلة » ، وعندما كان معلم أختى الكفيف يأتى ليعطيها دروس العود .. فتعلمت العزف وأنا فى السابعة . وكنت أعطى دروسا فى العود وسنى عشر سنوات ..

● اذن انت فنان موهوب ..

ـ كلنا يحمل فى داخله طاقة خلاقة ، وهى تتحرك بالدراسة والممارسة ... وعندما كنت فى المدرسة الابتدائية كنت اهوى الرسم ، وارسم اشخاص اساتذتى . ولكنى لم افكر ابدا فى احتراف الرسم ، ولم يكن لدى تصور حول تنمية هذه الهواية .. ولكن الاقدار



الفنان حسين بيكار ـ صاحب اكثر من موهبة يتالق مع عزفه على آلة موسيقية .

هى التى جعلتنى اقابل صديقا لعائلتنا اعرف منه ان هناك مدرسة تسمى مدرسة الفنون الجميلة وان الدراسة ستبدا فيها فى العام التالى .. وهكذا التحقت فى الدفعة الاولى لهذه المدرسة وكنت الاول على الدفعة سنة التخرج .

***

كانت بداية محاولاتى فى الرسم : المحاكاة والتقليد ، كنت اقلد الصور واكبرها .. اما اول محاولة للخلق فكانت فى سن الخامسة عشرة عندما مات ابى وتمنيت ان ارسم له صورة . ولانه كان شديد الشبه بى ، رسمت نفسى ثم وضعت شاربا ولحية .. وقد رسمت الصورة على قطعة من المشمع وبالوان اضفت لها زيت الزيتون لانى سمعت ان الفنان الكبير يرسم « بالوان زيت على ورق مشمع » ـ وكانت النتيجة طبعا مضحكة !..

واحست امى بهوايتى وبحبى للفنون فوافقت على دخولى مدرسة الفنون رغم ان هذا كان مرهقا لها جدا .. وبعد تخرجى حاولت ان اعمل فى مجال العمل الحر ولكنى لم اوفق ، فعملت مدرسا فى وزارة « المعارف » من عام ١٩٣٤ الى عام ١٩٤٢ ، ثم عملت مدرسا للتصوير فى كلية الفنون الجميلة . ثم استاذا لهذا القسم حتى عام ١٩٥٩ .

وبجانب هذا فهناك تجارب عديدة فى الرسم لكتب الاطفال ومجلاتهم ، ورسم اغلفة الكتب والصور التوضيحية لها ، ثم الرسم فى الصحف والمجلات ـ كل هذه التجارب اضافت لخبرتى الفنية آفاقا وأعماقا جديدة .

● **تخرج على يديك وانت استاذ فى كلية الفنون الجميلة عشرات بل مئات .. من هم ابرز تلاميذك واكثرهم تاثرا بشخصيتك ..**

ـ انا لا اسعد اذا رايت احد تلاميذى يقلدنى او يتاثر بشخصيتى .. عندما كنت مدرسا كنت اتخيل نفسى فلاحا عنده بستان كبير ، وقد نمت فيه انواع مختلفة من الثمار ، والفلاح لا يملك ان يغير ثمارا باخرى ، ولكنه يملك ان يروى البذور ويصلح الارض ويقتلع الضار ويقوم المعوج ، ثم تثمر الاشجار ، وتعطى اشجار العنب عنبا ، واشجار الرمان رمانا ، كذلك يعطى غيط البصل بصلا ..

مع حسين بيكار

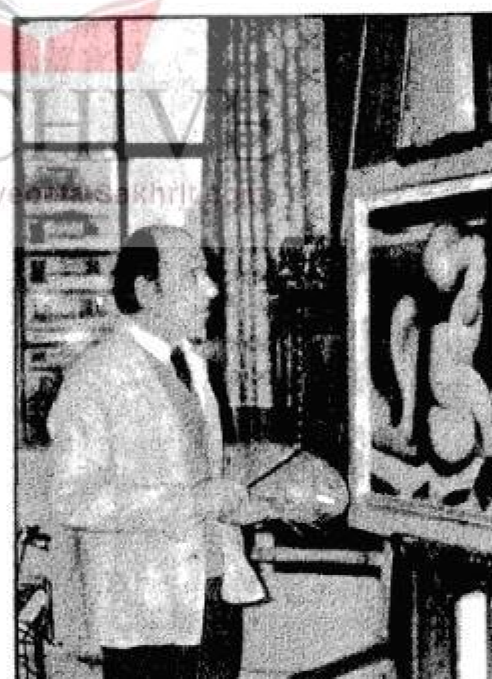
والحياة لا تستغنى عن كل من هذه الثمار اما اذا حاول الفلاح ان يغير من طبيعة هذه الاشجار وان يغرس على كل منها نوعا معينا من الثمار ، فلا هى اعطت مايريد ولا هى تعطى ماتريد .

انا درست لكل فنانى مصر بلااستثناء كل الفنانين المعروفين حاليا تلاميذى وكلهم عندى سواء لهم حظ واحد من الحب والاعجاب .

● واقرب هؤلاء الابناء شبها بك ؟

ــ يوسف فرنسيس .. بيننا تقارب شديد فى المزاج . لكنه فنان صاحب شخصية متميزة .

الفنان حسين بيكار ، يتامل احدى لوحاته



● من هو فى رايك الفنان الحقيقى؟

ــ الفنان الحقيقى هو الذى تعكس مرآة أعماله صورة الواقع . واذا لم تطابق الصورة الاصل ، فلابد أن المرآة غير سليمة . لان الفن الحقيقى هو مرآة المبدع . والفن الجيد هو افراز طبيعى لتفاعل الفنان مع بيئته .

● انت فنان صاحب ريشة متميزة ، وخطوط فريدة .. بأى المدارس تأثرت فى الفن التشكيلى ؟

ــ تأثرت بالفن الفرعونى ، ثم بالرسوم اليابانية . فالخطوط الفرعونية خطوط واضحة صريحة قوية معبرة كذلك الخطوط اليابانية خطوط رقيقة ورومانسية .

● وهل اثرت هذه المدارس الفنية فى نظرتك للمرأة ، المرأة التى ترسمها؟

ــ المرأة فى الرسوم الفرعونية مثال ناطق للانوثة الطاغية المحتشمة الوقور. فرغم انها تبدو عارية تماما الا انها لا تثير الغرائز . كذلك فى تصوير الطبيعة . الرسم الفرعونى صادق ويهتم بالتفاصيل ويؤكد على المظاهر الكونية ..

والمرأة التى ارسمها هى المرأة التى اقابلها كل يوم فى الشارع والسوق والمكتب .. اهتم بتفاصيلها لتنطق بكل ماأريد ان اقوله . ولكنها دائما محتشمة وقور لا تثير اثارة رخيصة .

● والموسيقى ؟

ــ احببت الموسيقى منذ طفولتى المبكرة ثم تعلمت العود وأنا فى السابعة من عمرى ، وظل هذا الحب وهذه الهواية معى حتى يومنا هذا ..

● وماذا عن الفرقة الشرقية الموسيقية ؟

ــ كانت فرقة من الهواة كونها الاستاذ عبد الرحيم محمد ، وكنت انا مطرب الفرقة الاول وعازف العود والطنبور بها .. وكنا نقدم حفلات فى معهد



من احدث اعمال الفنان حسين بيكار .. هنا تبدو ملامح فنه الرائع ...

الموسيقى الشرقية .. وفى بعض محطات الاذاعة الاهلية .

وكان يغنى معنا فريد الاطرش، ومحمد عبد الوهاب وغيرهما من مشاهير المطربين والموسيقيين ، وكنا نسهر كل مساء فى منزل احدنا . وهذه هى هوايتى الثانية التى لم انتظم فى دراسة لها وان كنت لم اهملها .

وقد سالت الفنان بيكار عن السر فى ندرة الفنان الشامل عندنا ـ فقال :

ـ تعود هذه الظاهرة الى الانغلاق الفكرى والفهم الخاطىء لمبدأ التخصص لدى بعض العاملين فى حقل الثقافة والفن ، كما ان التربية التى نتلقاها احيانا تحد من تفكير النشء ولا تعطيه الفرصة لتوسيع أفقه .. وكان مما يؤكد هذا ويساعد عليه النظام الاجتماعى السائد الذى لم يكن يشجع العمل الحر ويؤيد الارتباط بكوادر الوظيفة ، فتضيع الفرص على الكثيرين لاشباع هوايات مختلفة ومتعددة .

والفنان المنغلق فنان محدود الافق ، لان الفنون تكمل بعضها البعض . فالموسيقى تعمق بالرسم ، والرسم يتضح بالشعر . وقلم الشاعر يتجسد بفرشاة الفنان ..

● **لمن ترسم ؟؟**

ـ عندما يطلب منى عمل محدد ارسمه بعد دراسة الموقف الخاص به دراسة متعمقة ، ولكنى كثيرا ما انفرد بنفسى لاضع انطباعا عن الحياة وعن الموجودات حولى على صفحة بيضاء . وتجرى فرشاتى معبرة عن داخلى انا .. حتى عندما ارسم « البورتريه » . فانا اضع فيه جزءا من نفسى .. اليست اعمالى هى ابنائى ؟!

● **سؤال اخير .. ماهى رسالتك فى الحياة ؟؟**

فقال فى بساطة :

ـ انا وظيفتى مثل وظيفة الكرسى الهزاز .. يجلس عليه الشخص بعد عودته من عمله لينال قسطا من الراحة .. وعلى فكرة ، هذه ليست كلمتى ، انها عبارة قالها الفنان الفرنسى المعاصر « ماتيس » ! ●

كاريكاتير جيل جديد جدا!!



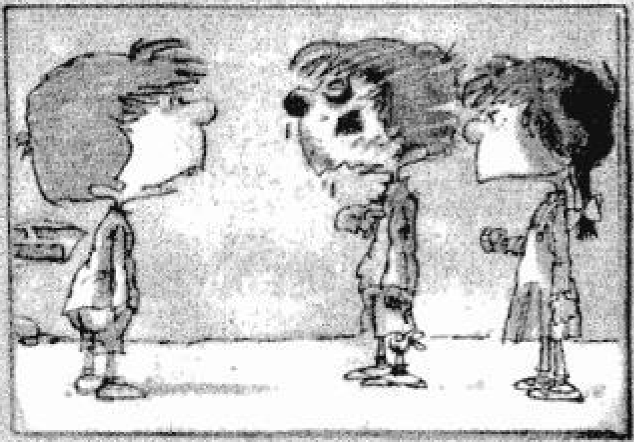
الولد لابيه : يكون في علمك بقي ان مساعدتك لماما في شغل البيت ، ح تضيعني معاك ! .... أصل ده ح يخليها تتشجع وبمكن تطلب منى انا كمان اساعدها في اى حاجة !



الولد لابيه : طبعا يهمنى اسأل عن تضخم العملة وعجز ميزان المدفوعات !.. أصلى حاول أعرف تاني ده كله على مصروفى الخاص !.



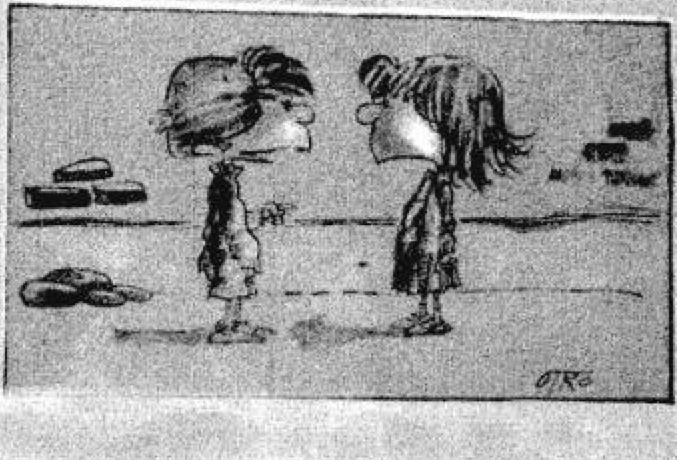
الولد لصاحبه : شايف المقالب العظيمة ! .. بعد ما كتبت نفسى في المذاكرة واجتهدت لغاية ما عرفت أجمع واطرح واضرب كمان تطلع مكافآتى حدية : آلة حاسبة ! .. شيء يجنن!



الولد لصاحبه : ابدا
اصلي رحت لاهلها اقول
لهم أنا جاي اليمن لكم
مستقبل بنتكم ! واسعدها
و ... واديك شـــايف
اللي حصل !



الولد لابيه : مش مهم
اني اتقـدمت للامتحان
واخدت صفر في الحساب
والعربي وفي الجغرافيـا
كمان ! .. المهم بقى لما
اتقدم لجائزة نوبل انشاء
الله !



الولد لصديقته : أنتي
طبعا يا عزيزتي تعرفي ان
حواء كلها على بعضـها
اتخلقت من ضلع آدم ..
بقى لازم تعرفي ان حضرتك
شخصيا عبارة عن قطعة
كوستلته لابسه فستان !

مرآة الفكر

الإنسان ذلك المجهول

● تأليف : الكسيس كاريل ●
● تعريب : شفيق أسعد فريد ●

● بعد رحلة طويلة داخل « الانسان ـ ذلك المجهول » وهو كتاب ضم بين دفتيه موضوعا يتعلق بحياة البشرية وما فرضته عليها حضارة هذا العصر ، وما انتابها من تلك الحضارة ـ نجد ان مؤلف الكتاب ، وهو عالم وباحث كبير قد درس ظواهر الحياة في تعقيدها المخيف .. فلاحظ كل وجه من وجوه النشاط البشري بصفة عملية ، حيث قضى المؤلف الشطر الاكبر من حياته في المعمل يدرس الكائنات الحية ، والشطر الباقي في العالم الفسيح يراقب بني الانسان ويحاول ان يفهمه .

وعندما نحاول عرض هذا الكتاب يبدو أن الغرض الأساسي منه هو أن توضع تحت تصرف كل شخص مجموعة من المعلومات العلمية التي تتعلق بالكائنات الحية في عصرنا بعد أن تخلفت علوم الحياة عن علوم الطبيعة ، وذلك واضح من ان علم الكائنات الحية بصفة عامة والانسان بصفة خاصة مازال في المرحلة الوصفية ، ولم يجتز مرحلة التقدم المفروضة عليه ، لان الانسان كل لا يتجزأ ، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه أو في اجزائه في وقت واحد ، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي . وبذلك فاننا اذا حاولنا ان نحلل انفسنا فلابد من استخدام فنون اخرى مختلفة وعلوم عديدة ، ومن الطبيعي ان تصل كل هذه العلوم الى آراء تختلف في غايتها المشتركة ، فهي تستخلص من الانسان بحسب قدرة علومها . وفي النهاية نجد انفسنا في فراغ ولم نصل الى حقيقة اكيدة وحتمية ...

وعلى هذا نجد أن فكرتنا عن الانسان تختلف تبعا لاحساساتنا ومعتقداتنا .

والحقيقة ان الجنس البشري قد بذل مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ، ولكننا بالرغم مما نمتلكه من الملاحظات التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الازمان ـ فاننا لم نستطع ان نفهم الا جوانب معينة فقط من انفسنا ، ومازلنا في واقع الأمر في حيرة من امر انفسنا ، لانه مازالت هناك مناطق غير محدودة في اغوار نفوسنا غير معروفة ... فمعرفتنا بانفسنا مازالت بدائية وسبب جهلنا بانفسنا يرجع الى طريقة اسلافنا وتركيب عقولنا !

كان على اسلافنا لكي يعيشوا ان يقهروا العالم الخارجي ، فانشغلوا عن دراسة انفسهم بامور اخرى كصناعة ادوات الصيد والاسلحة واكتشاف النار ، وتدريب الماشية والجياد ، واختراع المركبات .. وقد فكروا في الشمس وفي القمر والفصول الاربعة ، ولهذا تقدم علم الفلك في الوقت الذي لم يعرف الانسان فيه أي شيء عن نفسه ، فقد

اثبت جاليليو أن الارض تابع من توابع الشمس فى الوقت الذى لم يعرف فيه الانسان اى معرفة اولية عن الكبد والعقل الخ ...

ومن الموضوعات التى اثيرت فى هذا الكتاب ولها قدر كبير من الاهمية فهى تمس اخطر القضايا فى عصرنا هذا - ان التغيرات التى أحدثها علم التكنولوجيا فى بيئتنا قد اثرت فينا تأثيرا عميقا.. فقد اتخذت تأثيراته صفة لم تكن متوقعة اذ أنها تختلف اختلافا ملحوظا عما كنا نأملها ، والتى كان من الممكن ان نتوقعها من مختلف انواع التحسينات التى ادخلت على العادات المتأصلة . وطريقة الحياة والطعام والثقافة والجو العقلى لبنى الانسان.. فكيف امكن الحصول على هذه النتيجة المتناقضة ؟

يمكن الاجابة هنا ، بان الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لانها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون اى معرفة بطبيعتنا ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس واوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا . ومن الواضح ان العلم بذلك لا يتبع اية خطه ، وانما يتطور اعتباطا، ويتوقف تقدمه على الظروف العرضية، كولادة رجال يتمتعون بالنبوغ وتكوين عقولهم ، والاتجاه الذى يتخذ حب الاستطلاع ، اى انه لايتحرك تبعا للرغبة فى تحسين حالة بنى الانسان .. فيرى مؤلف الكتاب انه لو توجه كل من جاليليو او نيوتن او لافوازييه نحو دراسه جسم الانسان والوجدان ،لكان من المحتمل ان يختلف عالمنا عما هو عليه الان .. لان رجال العلم لا يعرفون الى اين هم ذاهبون ، وانما تقودهم الصدفة والتفكير الحاذق ونوع من

البصر المغناطيسى . وكل منهم يعتبر عالما منفصلا تحكمه قوانينه الخاصة فهنا نجد انجازات العلم عظيمة ، ولكنها لم تضع فى اعتبارها مصالح البشرية مطلقا

فلم يسأل احد نفسه يوما ما كيف نستطيع أن نتحمل السرعة الهائلة فى نظم الحياة التى تنتج من سرعة وسائل النقل والتلغراف والتليفون وطرق الاعمال العصرية ، والالات التى تكتب وتحسب ؛ وتلك التى تؤدى جميع الاعمال المنزلية التى كانت تستلزم عناء شديدا فيما مضى ؟ وقد اهمل تأثير المصنع على الحالة الفسيولوجية والعقلية للعمال اهمالا تاما عند تنظيم الحياة الصناعية .. فلم يفكر احد فى طبيعة البشر الذين يديرون الالات ، ودون اى اعتبارات للتأثيرات التى تحدثها طريقة الحياة الصناعية التى يفرضها المصنع على الافراد واحفادهم ..

ولقد بنيت المدن الكبرى دون اى اهتمام بأمر البشر ومصالحهم ، فناطحات السحاب ومساحاتها تتوقف تماما على الحد الاعلى من الدخل من كل قدم مربع من الارض ، وطريقة الحياة هذه تعجب القوم المصريين ؛ فبينما يستمتعون بالراحة والترف اللذين يتوفران فى مساكنهم ؛ فانهم لا يدركون انهم يحرمون من ضرورات الحياة .. فالمدينة العصرية تتكون من مبان هائلة ؛ بينما تمتلىء شوارعها الضيقة برائحة البترول ، والغازات السامة ؛ كما تمزق اعصابهم ضوضاء السيارات ؛ وبذلك نجد أن من خططوا لهذه الحياة لم يقيموا وزنا لسكانها . فضلا على ذلك وسائل التعليم والاعلام ووسائل المعيشة ؛ كل ذلك محتاج لتطور يساير مصلحة البشر . فهل مثل هذه النظم ملائمة حقا للانسان العصرى الذى يحتاج قبل كل شىء الى التوازن العقلى ، وقوة الاعصاب واصالة الحكم ؛ والشجاعة الادبية والبدنية وقوة الاحتمال ؟

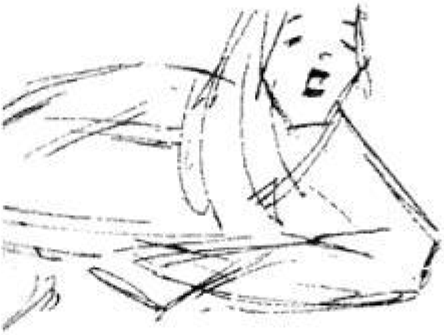
وهكذا فالبيئة التى نجح العلم والتكنولوجيا فى ايجادها للانسان لا تلائمه لانها انشئت اعتباطا .

كل هذا بالاضافة الى ما اشتمل عليه الكتاب من تشريح الجسم البشرى وكيفية تكوين هذا الجسم ودرجة الاعجاز فى خلقه ووجوه النشاط الفسيولوجى والنشاط العقلى والوظائف التنسيقية بين الاعضاء ... علاوة على الافكار الجديدة التى تتبنى كيفية اعادة بناء الانسان طبقا لقواعد طبيعته وعلى اساس مصلحة الانسان والمحافظة على كيانه البشرى .

● **اعداد : عادل عبد الصمد** ●

قصة

هذا ماحدث أولا ...



• رفقي بدوي •

ان اظل اتابع ببلاهة واستكانة تهده ليست عادتي ، لكن الشمس التي كانت قد اشرقت في الصيف الماضي ، أصبحت أكثر شحوبا وكان وجهها ، ذلك الوجه الناري ، فقد الكثير من حرارته واصبح كاي جسم لا يدعوني لمتابعته ، تلك التابعة المستكينة .

لقد اندهشت من نفسي ، وزادت دهشتي تلك عندما وجدتني في الايام الاخيرة اكثر الحاحا من اي وقت مضى في مراقبة الشمس الشاحبة ، وهذه المراقبة قد فقدت الكثير من خصائصها مثل الدهشة او التامل الموضوعي ؛ فاني اراقب مراقبة بلا معنى وبلاجدوى وبلا اي ضرورة تجعلني هكذا مقرفصا على نفسي ، شاخصا الى السماء ، منجذبا نحو الضوء الناري الشاحب ..

كانت الدهشة التي هي ظل البراءة الساذجة ، تاتيني احيانا مفجرة في اشياء كثيرة قد تصبح افعالا .

كان الوجه الذي انطبع بالداخل مجسدا نموذجا قد صبغه الخيال والمشاعر ، فانطبعت صورته بالذاكرة ، وقد أغلقت الذاكرة الباب عليه ، ولم تعد المشاعر او العقل يقبلان دونه شيئا .

حدثتني باديء ذي بدء فالفرط العقد وسمعت صرير الباب ينفتح ، خرج من باب الذاكرة النموذج فتداخلا ، ولم اعد قادرا على التفريق بين النموذج وبينها وارتجف القلب في الصيف الماضي .

حين بحثت في عينيها ، كانت العيون الرمداء التي تخرج من قريتي كل صباح سائلة طبيب الوحدة الصحية الشفاء ، كانت تلك العيون الرمداء والتي احببتها لانها عيون امي وعيون أختي الصغيرة قد انزوت بعيدا وتالقت امامي هاتان العينان ، ففتحت الباب الذي انغلقت منه نموذجي القابع باعماقي ليتجسدا معا ، في الصيف الماضي ، فارتجف القلب ..

القلب الذي كان يوما كعود البرسيم الاخضر هو اصفر ، وكان منزلنا الذي سكنا فيه انا واخي واختي وامي ، قد سقط على رءوسهم ولم تبق من كل هذه الرءوس سوى راسي الذي يستمع الى محاضرة الدكتور .

كنا قد نزحنا من قريتنا لاكمل تعليمي بالقاهرة وليعمل اخي الاكبر « ساعيا » في وظيفة ابي الذي توفي منذ فترة قريبة بالانيميا اللعينة !

كنا قد نزحنا ، وكان على ان اودع



تلك الاجساد الى مثواها الثانى ، بعد ان دفنت اولا تحت الانقاض .

كانت رءوسنا الاربعة تفكر جيدا فى لون الغد الذى سيكون عندما اعود فى اول كل شهر واضع الثلاثين جنيها على المنضدة .

كانت رءوسنا تفكر فى كل ذلك ،وانا لم اتخرج بعد ، وانا مازلت فى السنة الاولى بكلية الطب .

فجاة دون ان تتحرك الطبلية التى وضعت امى عليها بعض اعواد ((السريس)) وقطعة من الجبن القديم، كان الدود الرفيع جدا والذى لونه كلون الجبنة القديمة يتحرك .. كان يتحرك ببطء خارجا وداخلا فى الجبنة التى هرستها امى باصابعها المعروفة ، قائلة عبارتها المشهورة ــ والتى تسارع اختى فى ترديدها معها ــ " كل الدود قبل مايأكلك "

فجاة ودون ان تتحرك الطبلية ،سقط البيت فوق كل الرءوس .

كانت عربات الانقاذ ترسل (صريختها) المميزة ، وكنت اقف بلا حركة مشدوها ، وكانت الشمس الكابية الحزينة قد انحسرت جهة الذهاب، كانت امى واخى واختى وباقى سكان البيت ، ام سليمان وزوجها العجوز ومنتصر وسعيد وجمالات ــ تحت الانقاض .

نزل الضابط من سيارة الانقاذ وبدا عمال الانقاذ يحاولون جاهدين فى رفع الانقاض وانقاذ مايمكن انقاذه .

كانت عيناى قد اتخذت ثلاثة محاور رئيسية تتنقل عليها : كانت الشمس التى فرت جبانة هى محورها الاول . وكانت عيونها التى خرجت من خلاف الشباك لتنظر الى هذه الفرجة ، لتنظر الى هذه الاكف التى توضع على كتفى وهذه الافواه التى تضع فى اذنى كلمات المواساة التافهة ، وقبل ان تغلق الشباك فى وجهى ابتسمت ابتسامة فانجرح القلب .. وكانت الرتبة التى على كتف الضابط محورى الثالث .

تحركت الرءوس والاقدام وانفتح باب السيارة ونزل منها رجل قد رأيت صورته مرة فى الجريدة ، تحركت الرءوس والاجساد والاقدام صانعة حركة كماشة حوله وكاننا سنقتله لو تقدم ناحيتنا .

كانت سيارات الانقاذ قد اقامت اربع خيمات ، وكان الرجل الطويل العريض ذو البطن المتفخ الذى نزل من السيارة توا ، قد سال عن سكان المنزل من الاحياء وتقدم نحوى ، وهو المحاط بالرءوس والاجساد ، نظر الى الارض ووضع فى يدى مظروفا به خمسون جنيها ، ووضع يده على كتفى وقال :

ــ الخيمة لن تسكن فيها لمدة طويلة

سكت ، قال :

ــ نحن لايمكن ان نتركم هكذا فى العراء .

سكت ، قال :

ــ خلال شهر ستنتقلون الى المساكن التى فى منطقة ...

صرخت ، كان جسد امى قد اخرجوه من تحت الانقاض ●

عودة الوجه الغائب

(اهداء : الى مصر التى لم تهزم ابدا)

● حسين علي محمد ●

- ١ -

تجيئين فى الصبح شمسا
تمزق ليل الكآبة
احدق فى ناظريك ،
ارى شرفات بعيدة
وباقة ضوء عليها
ومن فوقها تستقر السحابه
وتنفض عن وجهها المستميت صلابة
غبار السفر !

- ٢ -

اراك مع الظهر واحة ظل
فارحل عبر النجوم حمامة
وانشد فى حبك الأغنيات
واركب مهرك رغم الملامه
واصرخ في الاهل والاصدقاء : تعالوا
فمهرة هذا الصباح
تحب السباق ...
وتركض نحو غدى الأمل
وتكره هذا الفناء المباح

- ٣ -

اراك تجيئين فى الليل شمسا
بلا اقنعة
تذيبين كل الجليد
فتبسم للناظرين الورود
والقى بنفسى فى المعمعة !



● المسافر ●

احن يا امى لقهوة الصباح من يديك
احس اننى غريب
مسافر بلا رفيق
تقطعت من دونه الاسباب
فدق كل باب
ولم يفز بما اراد
وحينما اراد ان يعود ثانيا
لم يبصر الطريق
احن يا امى .. احن لابتسامه
فمنذ ان رحلت من حضنيك
لم اجد سوى القتامه
ومنذ ان خلعت جذرى العميق
من تربتى الطينية
ونمت في العراء
فى القواقع الصدفية
ذبلت فى مستنقع البلاهة الملحية
وجف عودى

لا تخجلى

● سعد عبد الرحمن ●

لا تخجلى ...
لا تخجلى يا حيتى الرقطاء
ومارسى مع الجميع دونما حياء
هواية التغرير والنفاق والرياء
فنحن معشر الرجال كلنا غباء
نصدق الخيال والأحلام
ونعبد المثال والأوهام
لا تخجلى ! ..
ووزعى على اليمين والشمال
وأنت تخطرين كالطاووس فى دلال
تفقدى الجمهور - يا خادعتى - شعوره
وتسمعى هتافه .. وتسمعى صفيره !
لا تخجلى ! ..
فليس فى الرجال من يثير شبهة سواك
وليس فى الرجال من معقد او غامض الاك
لا تخجلى ..
فلن أكون « قاسيا » واكشف القناع
او ارفع الستار عن رواية الخداع
تلك التى مثلتها على
وكان فى ختامها الحزين والشقى
أن مزقت أضالعى عواصف الألم
واحرقت مشاعرى صواعق الندم
ولفنى فى ثوبه الضياع !
لا تخجلى ..
بل وارقصى لحيرتى
ولم أزل بدون وجهة
مبعثر الخطى على طريق عزتى
ما بين سفح الزيف فى الهوى ..
وذروة الحقيقة !
لا تخجلى ..
فعصرنا لا يعرف الخجل
وعصرنا كامرأة بلا رجل ..
تغازل الكبار والصغار فى الطريق
وعندما تعود فى المساء
منهوكة القوى ..
بادية العياء
يكون فى ذراعها رفيق
قد اشترى العشاء
لا تخجلى ...
لا تخجلى يا حيتى الرقطاء



قصة

العلم

• فؤاد قنديل •

● ما كاد يتقدم خطوة واحدة داخل غرفة المصاب ، ويرنو من خلف الستار ، القائم بين الباب والسرير حتى توقف .. لم يعد يرى شيئا ... تجمد للحظة !.

ارتد اليه راسه ، سحب خطوته عائدا ، اغلق الباب وهو يزفر جمرا من انفه .. أستدار للحائط وضربه بقبضته القوية ضربةشديدة، كاديحطم بها الجدار !

هو بالفعل اراد ان يحطم الجدار ، يحطم المستشفى كله ، كيف تفعل اخته هذا ... المجرمه !.. اخته هو من دون كل الزائرات تفعل هذا مستحيل!

زفر زفرات حارة وهو يلتفت يمنة ويسرة فى حيرة ، كانه طفل صغير يبحث عن حجر .. المجرمة تقبله ؟ .. مستحيل !

سار فى الممر ، هبط الدرج ، هربت من شفتيه الكلمات ... التقطها :

ـ لابد أن اعود للكلاب .. ليس هناك اى سبب يدعوها لذلك ...

عاد فصعد الدرج ، تثاقلت خطواته ، هرش راسه ، ضرب بقبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، كعادته حين تغلبه الحيرة .

ـ ماذا افعل لهم ؟.

لم تثب الى راسه اى فكرة عما يجب عمله ، وكيف تثب اليه الافكار وهو على هذه الحال من الاضطراب والقلق ...

هبط الدرج ، واسنانه تقضم شفته العليا ، توقف .. اعاد السؤال على نفسه دهشا :

ـ المجرمة تقبله ؟! لا ، لا ، يجب ان اذهب .. ساعود اليها ، اصفعها أمامه واصفعه .. ابصق فى وجهه ، بل واحطم وجهه بلكمة .

تململ فى حيرة ، ثم هبط الى سيارته لتحملها ، انقض عليها بوحشية .. صرخ المحرك متالما تحت ضغط اقدامه ...

مضت السيارة تولول ، اتجه ناحية الطريق السريع خارج المدينة . يلزمه طريق ممتد واسع ، يندفع فيه بعصبيته وهياجه يتنفس فيه كما يشاء ، كل هواء الدنيا لا يملأ رئتيه المتعطشتين ..

المجرمة تقبله ؟! اريد ان افهم ... على اى أساس تقبله ؟ لم يصبح زوجها بعد .. انه مجرد كلام . صحيح ان الاسرتين اتفقتا على ذلك ولكن لم يتم شيء رسمى ، ومازالت الحدود قائمة بينهما ، حدود يفرضها المجتمع وتحتمها التقاليد ، بل ويقرها المنطق ..

وحتى لو تم شيء .. هل يقبلها فى المستشفى ؟ هذا لا يكون الا فى البيوت ، بين الجدران ، بعيدا عن العيون .. سر من اسرار الزوجين ، قبلتهما لهما وحدهما ، حلاوتها لهما وحدهما ، تأثيرها فى نفسيهما لا فى نفوس الاخرين .

عيب والله كبير .. المجرمة تقبله !

استرسل يبحث عن اجابة شافية تريح صدره من طلسة ما رأى .

كنا تقول عنها انها غاية الخجل ، تذوب حياء اذا رات رجلا ، بل لمجرد سماعها سيرة رجل .. ياللعجب ! ماذا حدث اذن ؟ هل كان قناعا ؟ هل كان ادعاء ؟ اليوم اراها لا تكتفى بالخجل ، بل لا تكتفى بالاحصان ، وانما ايضا ضاعت فى جحيم من القبل .. رائع ! عندما تعودين للبيت سيكون الحساب رادعا !

وانت ايضا ، فى كل مناسبة وبدون مناسبة تقول عنك الاسرة انك مثال الشاب الممتاز .. الطبيب المؤدب ... اين ذهبت كل هذه الصفات الحميدة ، واين ؟ فى المستشفى ؟! الحرب مازالت قائمة ، والجبهة مشتعلة ، وربما شفى وعاد اليها ، ومات فيها .. ما العمل عندئذ ؟ .. الم ترهما زائرة ؟! الم يلمحهما انسان ولو من النافذة أو من بعيد ؟ . وبعد أن انتهيا من قلة أدبهما

هذه ، الم تتجل في وجهيهما الاثار ، آثار انوثاحة .. بعدها يتقول الناس ، وتنتقل الاخبار ، أخبار السيرة باللذات تنتقل كالنار في الهشيم ، تسرى بين العائلات ، تشوه الصورة ويضيع مستقبل البنت .. ما العمل الان ؟.. يقولون انني عصبي .. لقد كظمت غيظي ، وملكت جماح نفسي الغضبي ، وما كان يجب ان افعل ذلك .. ان الجنون او التهور كثيرا ما يكون هو العلاج الشافي ..

في العمل لم اجدها ، غادرت مكتبها قبل حضوري وجاءت اليه وحدها ... جاءت لترتكب جريمتها التي اعدت لها. تذكرت ، لقد حاولت التهرب امس ، مدعية انها لا تضمن ظروفها ، وطلبت ان تذهب وحدها .. فدون ان ادرى صممت على ان اصحبها ، تريد ان تفلت من الرقابة .. قالت امي ان البنت حتى لو بلغت الستين فهي بنت .. تحتاج الى الرقابة والرعاية .. وآه منهن البنات انهن اسوا المخلوقات .

يجب ان يعينوا لكل بنت اخا شديدا يتتبع سيرها وسلوكها . حتى نضمن مستقبلها وسمعة العائلة .

مازلت مندهشا ، لماذا جاءت اختى وحدها ؟ اختى اعرفها ، اكبر من هذه التصرفات الناقصة التافهة .. تراها اسرعت اليه لتعبر له عن شعورها .. اى شعور ، شعور الحب وقلة الادب . طبعا لو سالتها وهى محاصرة في ركن جريمتها الضيق ، ستقول انها فرحة بانتصاره .. سعيدة ككل المصريين بعمله المجيد .

اننا جميعا فرحون بما حققه اخوتنا الجنود الابطال ، لكن .. لكن ليس معنى هذا ان تقبليه يا ست هانم .. لم يكن هذا متوقعا منك ابدا !

اوقف السيارة على النيل ، هبط منها ، وقف على الشاطىء يرنو للماء الهادر ..

على البعد لمح قاربا يتهادى فوق الماء ... الموجة في اثر الموجة ، تدور حولها يتعابثان ، يفتر ثغر الموج عن ضحكات نزقة .. القارب يتراقص فوق صفحة المياه . القارب سعيد ، يعتقد ان المياه تداعبه ـ يهتز في دلال !

علم مصرى صغير فوق القارب ... يصمد لعصف الرياح التى تصارعه . علم مصر يرفرف كما يرفرف الان فوق سيناء ... خطيب اخته اصيب وهو يرفع العلم فوق سيناء الحبيبة ، تلك الطفلة التى سلبت من حضن امها الحنون ، مصر ... غابت عنا ست سنين واربعة اشهر ... العلم المصرى فوق القارب يكبر ويكبر ، يعلو ويعلو ، لا يتحمل القارب اهتزازاته العملاقة .. خطيب اخته يرفع العلم ، العلم ضخم وثقيل ، يميل القارب .. خطيب اخته مازال يرفع العلم . يسقط في الماء .. ومازال يرفع العلم .. العلم يشق السماء ، يصل قارب آخر ، نزل من فيه .. ينقذون رافع العلم .. ويرتفع العلم اكثر ... يعتدل القارب المقلوب ، خطيب اخته يقف عملاقا في القارب .

القارب يضحك ، تحول الى ابتسامة ، تحول القارب الى شفتى حسناء ، تختلج اختلاجة الحب والسعادة .

الماء حوله ازرق ، احمر ، اخضر ، فضي ، ذهبي ، هائل عنيف .. رائق عميق ، ما هذه الدنيا الملونة ؟! الزهور تزين جانبي النيل .. استدار بهدوء ، هرش راسه ، ما هذه الخيالات التى تتراءى له ؟.. حمل النسيم الهفهاف الى وجهه قطرات من الماء ، ارتعشت شفتاه ، سال نفسه :

ـ ماهى اصابته ؟.. رايت ذراعه ملفوفة فقط هى المصابة .. لهفى عليه ،

انا قلق من اجله .. اخشى ان تكون هناك اصابة اخرى ، خسارة الجدع شباب وتعليم وشجاعة وبذل ، وانسان له مواقف كثيرة نبيلة .. خسارة صحيح !

مضى الى محل الزهور .. اشترى باقة كبيرة حملها اليه .. بسمته على وجهه فسيحة كالميدان .. كريمة كالارض الخضراء ، حنون ، كانها تطل من وجه ام .. دخل عليه ..

ـ اهلا بالبطل ..

ارتمى فوقه .. قبله قبلة طويلة ، دس فيها عصارة قلبه ورغبة شبابه في عطاء لم يتسع له .. ●

العاصفة!

محمد خليل

راقبني من الآن يا صديقي .. راقب أحداث ليلة قاسية !

هانذا اغادر القطار .. أعبـر الطريق المرصوف .. هانذا أتوقف للحظات .

تسأل لماذا ؟

— بدأت الكآبة تلوح أمام عيني .ومخاوفي الآن تتفاقم وتتكشف .. مرة أخرى تسأل : لماذا ؟

— الطريق طويل طويل .. والجبل بعيد بعيد .. ورائحة رمال الصحراء تعوق تنفسي، وها هي فلول الظلام بدأت تنتشر، وأحاسيس اليأس والملل تتوالد ..

هانا أبدأ أولى خطواتي نحو الجبل الذي بدا وكأنه يتحدى قوة الانسان والزمن .. يخيل الي يا صديقي انه قريب . المسافة بيني وبينه تستغرق عددا قليلا من الدقائق .

لا تصدق .. تكون قد بلغت الهدف اذا امسكته بيديك .. وحتى الآن لم أبلغه .. مجرد تخمينات ببلوغه .. ولكن انظر :

— الا يبدو وكأنه سحابة كبيرة سوداء تحجب عنا رؤية الأفق البعيد ؟ .. أرجو الا يصيبك الملل واصل الرحلة معي .. أشعر أن هذا الجبل يجثم فوق صدري ، يكتم أنفاسي ، يضغط عليها بكل ثقله ، يريد خنقي .. يبغي أن يتخلص مني .. وهنا سوف أسأل أنا :

— لماذا ؟ .. دعني أجيب عن السؤال أيضا .. لست أدري ..

— آه ياصاحبي .. ما لي هكذا لا أقوى على المسير .. لقد قطعنا شوطا بعيدا ، والهدف لم نبلغه بعد ، الصعود للجبل . .. ألم أقل لك لا تصدق .. ساقاي تعبتا .. لم فقدنا القدرة على الاستمرار ؟ .. ما رأيك في راحة قصيرة ؟

بعدها نواصل المشوار .. ثانية لنحاول قبل ذلك بلوغ هذا الهدف . ولكني حاولت كثيرا أن أصل الى هذه القمة .. مسكين «سيزيف» .. ظل يحاول على الرغم من القيود . وأنا أفضل منه ، لأني بلا قيود .. تسألني عن مشاعري الآن وهذا الظلام الدامس والوحدة القاتلة والصحراء الممتدة ، لا شيء من هذا يشغل تفكيري .. بل أفكر في ذكريات ، العمر الزمني لها ساعات ... قبلات ودعوات أمي ، وكلمات الوداع من أخوتي والأقارب والأصدقاء ، وخطيبتي ودموعها وزهرتها التي في يدي الآن .. والأكف الضارعة بالعودة الظافرة .. ولكن ، هل يقدر لي أن أعود ؟ ... مجرد أمل يداعبني ويداعب الجميع .. تسألني عن مصدر هذه الأصوات الغريبة ..

— انها عواء الذئاب ، فهي هاهنا ترتع وتلعب . وقد تعودنا على أصواتها ووجودها بيننا .. بالطبع ، كثيرون مني يحاولون بلوغ هدف نلمسه ، ولكننا جميعا لا نعرف كيف .. انها كثيرا ما تدخل خيامنا في الليل ونحن نيام . ولكن يبدو انها ألفتنا أيضا ... ويخيل لي انها تتولى حراستنا ليلا . لأننا نترك خلفنا بقايا طعام كثير ..

آه .. مرة أخرى أشعر بالتعب . ولكن جهاز تنفسي يكاد يتوقف ..

مازالت العاصفة تتصاعد ، صفير الريح يزداد ، يصم أذني .. ماهذا ؟ الرعدة تملكتني والقشعريرة دبت في أوصالي ، الرياح تطوحني يمنة ويسرة ، البلوغ أصبح مستحيلا .. فقدت طاقيتي ذات الرفرف الأمامي ، هي شارة الرحلة ... وبدونها أسير مجهولا .. العاصفة تزداد هبوبا ، والزمن يمر ثقيلا ، بطيئا ، كأن قوى خفية تعرقل تقدمه ..

يا رفاق .. أين انتم ؟

هانذا أهوى ياصاحبي ، احبال صوتي تقطعت من كثرة النداء .. أريد أن أبكي !

انني أبكي حقا يا صديقي ، ولكن بلا دموع .. رمال العاصفة جعلتني أغلق عيني رغم أنفي ... صرت لا أرى وجهتي . قدماي تغوصان في الرمال . حذاء الرحلة الثقيل يضايقني — ما هذا ؟ يبدو أنني سقطت في حفرة .. أحاول أن أنهض .. تخلصت من هذه الحفرة اللعينة .. ساقي تؤلمني آه .. العرج أصابها . سأحاول البحث عن مكان آمن ، أحس أنني أصعد فوق أحد التباب أشعر ببلوغي قمة التبة ، أجرجر ساقي الآن فوقها . انني أنحدر ، يبدو أن الطريق ضاع . سأحاول الجلوس ريثما تهدأ العاصفة ، لعل الطريق يكون قريبا مني . هانذا أجلس .. آه ، أف .. عدت للوقوف مرة أخرى ، الرمال عند جلوسي تراكمت وكادت تطمس معالمي ان كانت لي الآن معالم ، حسن .. سأستمر في المسير ، فالاستمرار في المسير أفضل من التوقف . تريد أن أفسر ما يدور ؟ ..

— قيام القيامة .. أو أن التكنولوجيا تمكنت من السيطرة على الأحوال الجوية وبدأت تستخدمها في الحروب .. وتلك بداية معركة في هذه المنطقة .

— تضحك ؟ .. يحق لك أن تسخر وتضحك .. فأنت لا تعرف الا التكييف ، والسامبا ، وكلمات الغزل . عموما دعنا من هذا الآن ... ان قلبي ترتفع دقاته ، أكاد أسمعها ... لا ... يبدو انها توقفت ، التعب أصابني جدا . لا ، يبدو أنني لا شيء .. ريشة تتلاعب بها العاصفة .. لأنها بمفردها وليست في الجناح العاري

يا رفاقي أين انتم ؟

تضحك ؟ علام تضحك ؟ .. علام تسخر ؟

آه .. ما هذا ؟

لقد صدمني شيء ، لا ليست صخرة .. دعني أتحسس هذا الشيء ، ها هو الفرج ، انها شجرة .. هانذا أحيطها بساعدي لأحتمي بها .. ماهذا ؟ ان خلفها جسما غريبا يصدر عنه صوت رفيق من رفاق الرحلة ، الآن أحيطه ويحيطني ونحيط الشجرة ..

وهدأت العاصفة يا صاحبي .. ومع اشراقة اليوم التالي ، كنا قد بلغنا قمة الجبل معا ..

سأبقى أغني ..

● محمد عثمان صالح ●

وكنت اقول اليقين ، اليقين ...
وكان اليقين خيوط الهدى
وكنت اغنى اغانى الهوى
عن الحب فجرا مبين الضياء
وبين الدفوف وصوت النغم

***

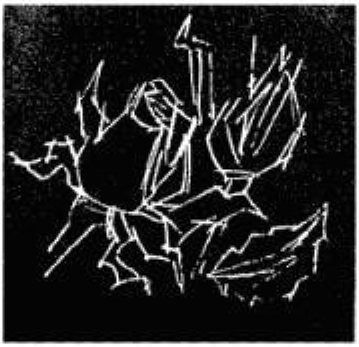
حكايا تمر كيوم قريب
كيوم ندى ، وفير الثمر
حكايا ، حكايا ... يطول القصص
وانت تغنين لحن الألم
وتحكين عنى حكايا الشجن
هلا صححت فى ، وقلت نعم ؟ !

***

ولكن لانك كم تبعدين
وكم تستريحى لفيض الالم
وصوتى لديك كسير يموت
كانك لا ريب لا تسمعين
سابقى على الدهر حيا اغنى
اغنى الحكايا ،
ولن التفت
الى ضوئك اذا ما هجر
ففى القلب نور رقيق نضير
وفى القلب حب منير كبير
بضىء الظلام اذا ما انتشر
ومرت يداه على الاخرين



قصة



لقاء على شاطئ النهر

● حسين عيد مادى ●

● ينظر توفيق باهر التى ساعته يجدها تشير الى السابعة .. يهز راسه ، كانه يقول : لايزال فى الوقت بقية ... يوسع خطواته .. لكنه ايقن انه لا يريد ان يسرع ، بل يريد أن يتمهل ، حتى ينساب فكره فى هدوء اليها ، ليعيش معها بخياله .. عيناه تملا عينيها ، يهمس اليهـــا : انتظرتك طويلا .. تضىء ابتســـامتها الوديعة وجهها الملائكى . تتحـــرك شفتاها : وما بعد الانتظار ؟!

يقترب منها . يسبح فى عينيهـــا : وجدتك ... وجدت جزءا مفقودا من حياتى !

تبتسم . تتسلل حمرة خجـــل الى وجنتيها : انت اكملت حياتك بوجودى ، وانا ايقظت قلبى بوجودك !

يجذب يديها بابتهال او ايمان :لست جانبا من حياتى فقط ، انما انت كلها ـ كل حياتى !..

يتنهد بارتياح ، ينظر الى الطريق . لمسات فرحته الغامرة ، تكاد تطفو على وجهه .. للمرة الاولى ، منـــذ زمـــن

يبتسم للا شىء يضحك من اى حدث..

يحملق فى النهر القـــريب . بعض الاطفال يعبثون على ضفته .. يتعلـــق بصره بطفل صغير ، يقف منزويا ، عن مجموعة من الصبية يلعبون ... عـــاد معه الى طفولته ، الى الطريق الذى قلما كان يراه .. كانت رائعة تجرى هنـــا وهناك ، تثير الهرج فى كل جانب، تبعث الحيوية فى كل ركن .. جذبته من يده: هيا الى اللعب معنا !..

تبعها بعد الحاح ، فهو لا يختلـــط بباقى الاطفال .. وكالعادة ــ ايضا هرب عائدا الى المنزل ، عند عودة ابيـــه من عمله ، خشية بطشه اذا ماراه يلعب فى الطريق ..

يرقب مجموعة من جذوع الاشجار، متكومة على حافة النهر ، كتـــابوت ، تابوت ابيها .. يومها راها تبكى ... جرى اليها . وقف بجوارها . ربت على ظهرها بحنان : سامية .. لم تبكين ؟!

مسحت بعض دموعها بيدها الصغيرة



امى تقول ــ ابى سافر الى بعيد !.

بعد أيام رآها مع امها يهجران منزلهما المجاور . لم يتمكن من توديعها فابوه رابض بالبيت ، لا يتحرك ...

ينتزعه صياح الصبية من تأملاته . يعاود السير .. تجمعت صور اصدقائه فى خياله . قطع فوزى الحديث ، مصطنعا الجد : قابلتها امس ..

همس صوت بداخلى : ليتنى مثلك . تعلقت به العيون . استمر : تمشينا وحدنا قرب النهر .. يدى تنام فى يدها .. حديثنا همس رقيق .

عاد العواء بداخلى يرتفع : حظك حسن ... اين حظى انا منك ؟!

تبادل توفيق معى غمزة سريعة . راقه اندماجى معه . استطرد : قالت لى ..

قاطعه الاصدقاء . انقلبوا عليه ساخرين ، مستهزئين من احاديثه ، التى لا يمل تكرارها .. ليس فوزى وحده ، هو الذى يحكى مغامراته ، بل يفعل معظم الزملاء نفس الشيء .. وتوفيق عاطل عن كل ذلك .

لم يسر ابدا مع فتاة ، كيف يحدثها ، يتفق معها على موعد ، يمشى بجوارها؟!.

خطرت له صورة صغيرته سامية ، مرارا وتكرارا .. كانت اول الامر باهتة غامضة فى مغزاها .. ثم تكشفت له الحقيقة .. بعد حين .. تسكن. هل لا تزال تذكره ، وبداعب احلامها ؟ .. لعلها تذكره .. فمن يستطيع ان ينسى اسعد ايام صباه ؟!

لكن .. كيف يمكن ان يتم لقاؤه معها ؟! وكأن الحظ شاء أن يساعده ، فقد سمع أمه تخبر اباه : انها قابلت سامية ، على شاطىء النيل عند الغروب كعادتها فى التنزه كل يوم .. ثم حكت الكثير عن أحوالها ومعيشتها ، فقر عزمه على لقائها ، اثناء نزهتها المعتادة ..

ينظر الى ساعته .. السابعة والنصف تماما . يراها قادمة من بعيد .. يضطرب . يخفق قلبه بشدة . كيف يبدأ حديثه معها . ماذا يقول لها . انها تقترب منه . اختفت ملامح الطفولة التى طالما حببتها اليه ... لكن ماذا يحدث لو لم تتعرف عليه ، او تجاهلته؟ كلا .. حتما ستعرفه ، لانها مالت اليه فى طفولتها .

يقترب منها . يهمس بصوت متحشرج ــ مساء الخير ! ...

التفتت اليه . رأته فى لمحة خاطفة . ثم مضت فى طريقها .. يناديها باسمها . تتوقف مترددة ، ينطلق اليها ، يتشبث بها كالمتلهف : الا تذكرينى .. الا تعرفينى يا سامية ؟

تتوقف .. تفكر : وجهك ليس غريبا عنى .. بالله ، من .. توفيق ؟!

تمد يدها . نفس البسمة ــ التى طالما تمنى ان يراها ــ ترتسم على وجهها .. يمد يده . تنام يدها ــ الرخوة ، اللينة بين احضان يده للحظة . تتركز نظراته ومن ورائها احاسيسه على اصبعها .

يسمعها تقول فرحة : الا ترى كم غيرك الزمن ، حتى كنت لا اعرفك .. اجابها باسى : انت ايضا كم تغيرت . يتركها ، كالتائه .. وداعها يتردد فى سمعه ، ودبلة ذهبية فى اصبعها ، تابى ان تغادر خياله

زهرات من رياض العرب

● من ذكاء اياس ●

استودع رجل رجلا مالا ثم طلبه فجحده ، فخاصمه الى اياس ، وقال المدعي انى اطالبه بمال اودعته اياه وقدره كذا وكذا .. فقال له اياس : ومن حضرك ؟ قال : كان رب العزة حاضرا .. قال اياس : دفعته اليه في اى مكان ؟ قال الرجل : في موضع كذا .. قال : فاى شيء تعهده من ذلك الموضع ؟ قال: شجرة عظيمة .. قال اياس : فانطلق الى الموضع وانظر الى الشجرة لعل الله يظهر لك علامة يتبين بها حقك ... فمضى الرجل مسرعا ، فقال اياس للرجل المدعى عليه : اقعد حتى يرجع خصمك، فجلس واياس يقضي بين الناس . ونظر اليه بعد ذلك وقال له : يا هذا اترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكرها؟ قال : لا !

فقال اياس : يا عدو الله ، انك لخائن ! ..

ثم احتفظ بالرجل حتى جاء صاحب الحق واخذه .

● من ذكاء ابي حنيفة ●

دخل الامام أبو حنيفة رضي الله عنه الى البادية فاحتاج الى الماء ، فجاءه اعرابي ومعه قربة ملآنة فابى الا يبيعها الا بخمسة دراهم .. فدفعها له ، ثم اخذ القربة . ثم قال له : يا اعرابي ، ما رأيك في السويق ؟ . فقال : هات !. فأعطاه سويقا ملتوتا بزيت ، فجعل يأكل حتى امتلأ ، ثم عطش ، فقال : على بشربة .. فقال : بخمسة دراهم على قدح من ماء ! .

وهكذا إسترد أبو حنيفة دراهمه الخمسة وبقى له الماء ! .

● الشكر لله ●

جاء رجل الى ابي حنيفة وقال له : يا امام : دفنت مالا مدة طويلة ونسيت الموضع الذي دفنته فيه .. فقال الامام : ليس في هذا فقه فافتي لك ، ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فانك ستذكره ان شاء الله تعالى .

ففعل . فلم يمض الا اقل من ربع الليل ، حتى ذكر الموضع الذي دفن فيه فجاء الى أبي حنيفة فاخبره فقال : قد علمت ان الشيطان لايدعك تصلي الليل كله ، فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله

● صلة الرحم ●

جاء رجل الى معاوية رضي الله عنه فقال له : سألتك بالرحم التي بيني وبينك ان تقضي حاجتي ... فقال له معاوية : أمن قريش أنت ؟ قال : لا ... قال : فأى رحم بيني وبينك ؟ قال الرجل : رحم آدم عليه السلام ! فقال معاوية : رحم مجفوة ، والله لاكونن أول من وصلها ، ثم قضى حاجته ..

● والد وولد ●

قيل لعمر بن ذر : كيف كان بر ابنك بك ؟ فاجاب بقوله : ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ، ولا ليلا الا مشى امامي، ولا صعد سطحا وانا تحته ...

● طلب الشكر ●

عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلني شكورا . واجعلني صبورا ، واجعلني في عيني صغيرا وفي أعين الناس كبيرا .

● محسن فهمي ●

تذكرة طبية

نزلات البرد

● د . السيد الجميل ●

نزلات البرد

تسفر العدوى بالفيروسات على الجهاز التنفسى عن نزلة البرد تظهر وتبدو على هيئة رشح سائل مائى من الأنف مع تعطل حاستى الشم والتذوق ، وسرعان ما يتحول رشح الانف من سائل مائى الى سائل غروى أكثر كثافة متغير اللون والرائحة بعد بضعة أيام . وعادة لا ترتفع درجة الحرارة .

وهنا يجتمع التهاب الحلق واحتقان العين مع صداع شديد وآلام فى المفاصل والعظام والعضلات ، وقد ترتفع درجة الحرارة الى حد ما اذا ما حدثت مضاعفات اذ ان رحلة هذا التعب تتراوح ما بين ثلاثة أيام الى اسبوع كامل .

لذا تنصح المريض بالاخلاد للراحة والسكينة الذهنية قبل البدنية فى هدوء تام،وان يتناول بعض المسكنات البسيطة مثل الاسبرين أو النوفالجين مع عصير

حساسية صدرية

يشكو الطفل أو البالغ أحيانا من متاعب تنفسية يضيق بها ولها صدره ثم يأخذ المضادات الحيوية الواسعة المدى دون جدوى ، فنطلب عمل أشعة على الصدر ،فتأتى النتيجة سلبية بالرغم من التقلص الحاد والاختناق الشديد بصدره ، فنأمر بعد ذلك بعمل فيلم للدم لنجد نسبة عالية من خلايا الايوسينوفيل التى تعبر وتشير بأصبع الاتهام الى عنصر **الحساسية** ، والتى لابد لعلاجها من التجرد من الاجواء المشحونة بالاتربة المحملة بدخان المصانع .

وعلى المريض أن يبتعد عن الملابس الصوفية ، وان يتجرد من الملابس الحريرية ايضا وعلاج هذه الحال ميسور تماما بحقن الادرينالين تحت الجلد وعقار الكورتيزون بالجرعة التى يحددها الطبيب المعالج ..

كما يجب على المصاب بهذه الحالة ان يعاف أكل اللحوم الدسمة والكبد ، والكلاوى ، والمخ ، والاسماك ، والبيض

« شيزوفرينيا »

مرض نفسى تتوالى غزواته على الموعود به فى أناة ومهل شديد وتزحف اعراضه شيئا فشيئا وقد تسرع الخطو احيانا فى صورة هروب من الحقيقة فى عدم تناسق بين الافكار او الكلام أو التصرفات الشخصية وبين الواقع والمنطق .

كما تعرو وجه الشخص صحوة بعد حين أشبه **بصحوة الموت** ..

هلوسة حسيه سمعية وخلل الوعى واضطراب الذاكرة وفقدان الاتزان العقلى والحركى - هذه الحال يعالجونها فى المستشفى النفسى ويشرف عليها مباشرة اخصائيو الامراض العقلية ، والعقار الفعال فى هذه الحال هو « الكلوروبرومازين » تحت اشراف الطبيب .

« قلبك »

وجه الى احد مرضى القلب من **قراء** « الهلال » نقدا بناء - فى **نظره - فحواه** ان التذكرة الطبية **توهم المريض بالافاضة فى وصف الصورة المرضية للحالة القلبية** .. ونعقب على ذلك اننا - **مع ايماننا** المطلق بالراحة النفسية **والعلاج النفسى** للمريض - **يجب ان نوضح له كل شىء عن المرض القلبى حتى ننبه الى طرق الوقاية ، وننوه عن مواطن التلف حتى يتلافاها . ولو لم يشعر بخطورة حالته** لما أعطاها الاهتمام اللازم اللائق بها ولداهمته النوبات على حين غفلة دون سابق احتراز أو احتراس منها ، لاسيما وان أمراض القلب جميعها بغير استثناء قائمة على النظام والاتزان فضلا عن أننا حريصون على الامانة العلمية ، ونقدم عصارة التجارب وخلاصة التعليمات الطبية والمكتشفات العصرية من واقع آخر النشرات العلمية الطبية والمجلات الانجليزية والامريكية واخر الطبعات لاحدث المراجع فى أمراض القلب . ●

روّح عن نفسك

الإجابات

١ ـ لغز بالشعر : هو الكتاب
٢ ـ أسماء مختفية في جمل :
١ ـ جرير « شجر يربو »
٢ ـ الفرزدق « استمر الفرز دقائق »
٣ ـ ابو نواس « صابون واسبرتو »

٣ ـ كلمات دخيلة :

١ ـ « لويس الرابع عشر » لانه ملك غربي بينما الباقون ملوك وحكام شرقيون .

٢ ـ « ديك » لانه من الطيور والكلمات الاخرى حيوانات .

٣ ـ « الانفوشي » لانه حي بمدينة الاسكندرية والكلمات الاخرى اسماء لاحياء بالقاهرة .

٤ ـ « المحلة الكبرى » لانه اسم مدينة أما الكلمات الاخرى فاسماء لمواسم محافظات .

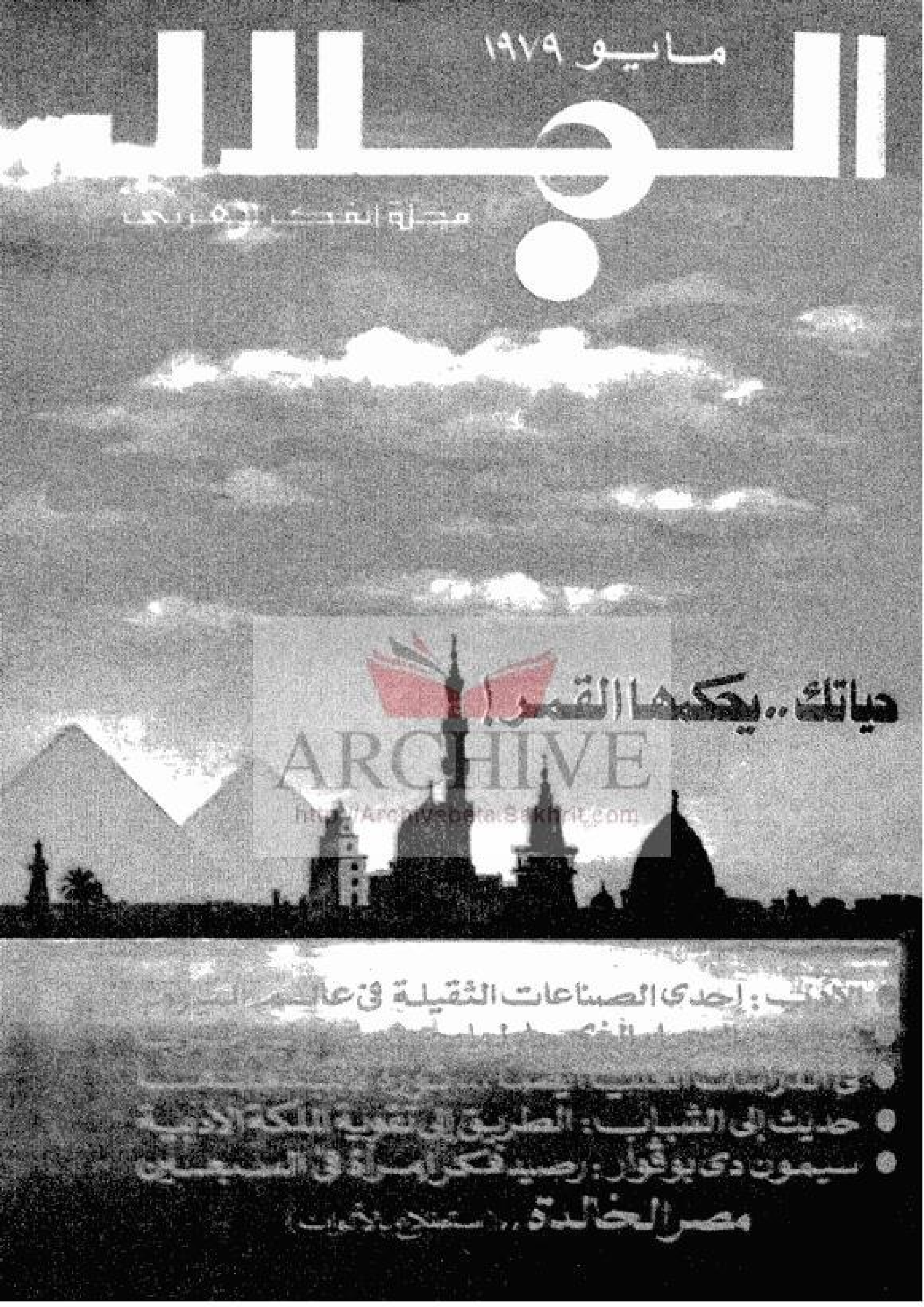
٤ ـ اختبر معلوماتك : ايهما ؟

١ ـ اللحم المشوى لان عصارة اللحم المقلية تبقى فيه ولا تذوب في المرق .

٢ ـ الولايات المتحدة .
٣ ـ متساويان .
٤ ـ الضوء .
٥ ـ البلاتين .
٦ ـ كلاهما متساويان في الوزن وان اختلفا في الحجم .
٧ ـ الارض .
٨ ـ الحصان .
٩ ـ الحديد .
١٠ ـ الجرانيت .

٥ ـ المؤلفون بالترتيب .

ابو العلاء المعرى ـ طه حسين ـ روبرت لويس ستيفنسون ـ احمد امين ـ شيكسبير ـ هوجو ـ محمد المويلحى ـ احمد شوقي ـ العقاد ـ تولستوى .



مايو ١٩٧٩
الهلال
حياتك .. يحكمها القمر!
إحدى الصناعات الثقيلة في
حديث إلى الشباب
سيمون دى بوفوار
مصر الخالدة

في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفي عمر شركات الطيران قليلا ما تجد هذا الرقم

٤٦ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - أسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

ماذا جرى للدنيا ؟!

لم يحدث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ان سالت الدماء فى نواحى العالم كما يحدث اليوم .

حتى فى أيام حرب فيتنام : كانت الحرب دائرة هناك ، وكان ضحاياها كثيرين ولكنها كانت محدودة المدى والمجال ..

ثم انها كانت مفهومة ..

كانت حرب شعب صغير يحارب فى سبيل حريته ، ومعارك التحرير فى العادة باهظة الثمن فى الدماء ، ولكن كل دم يراق فيها قليل ، لأنه يراق فى سبيل هدف نبيل ..

اما القتل فى ايامنا تلك فيجرى فى نواحى الدنيا كلها دون مبرر مفهوم ..

دماء الصوماليين والاريتريين لماذا تسفك ..

وهذه الحرب الدائرة فى اوغندا ..

والذين يتحاربون فى افغانستان ..

والذين يعدمون بالرصاص فى ايران ..

والاكراد ما دفعهم الى القلقلة بعد طول صمت وهدوء ؟ ماذا يريدون ؟ هل كل جماعة فى الدنيا مهما صغرت لابد ان يكون لها وطن ؟

وماذا نعمل بعد ذلك بتلك الأوطان الصغيرة مثل الباسك ، والاسكتلنديين ، والاكراد ؟

اما الاكراد فستبتلعهم روسيا دون شك .

وبعدها سيعرفون فعلا معنى الندم ..

وكذلك الباسك ، لا نظن انهم يعرفون الى اين تمضى بهم سفينة الزمان اذا هم استقلوا عن فرنسا او اسبانيا ..

***

دماء تراق بغير هدف ..

وارواح يضحى بها بلا غاية ..

ودنيا فقدت رشادها واصابها الجنون ..

وكل هذا والوقت ربيع والرياض مثقلة بالزهور ..

اى ربيع ..

انه ربيع الدماء !

المحرر

فى هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر الحر

جمادى الثانى ١٣٩٩هـ
مايو ١٩٧٩م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
— اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
— السنة السابعة والثمانون —
اول مايو ١٩٧٩ — ٤ من جمادى الثانية ١٣٩٩

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها ، ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب . وهى لاترد ، نشرت ام لم تنشر .

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديجي

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .

فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج.ا.د بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج.ا.د . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة .

الادارة : دار الهلال — ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة —
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

نحن وتجارب الأمم..

بقلم رئيس التحرير

ابو على احمد بن محمد بن مسكويه مؤرخ فيلسوف عربى .. ولكن فلسفته ليست فلسفة الرجل المتأمل الواسع الافق الذى يقدم رؤية جديدة للدنيا والناس . انما هى فلسفة الرجل العاقل العادى الذى يرى الدنيا بعين الرجل السلبى الذى يدع الدنيا تجرى امام عينيه وهو يتفرج ويستنتج ويعتبر ...

انها فلسفة رجل الماضى الذى ياخذ الحياة كما هى ويفهمها كما هى ، ويحسب ان كل ما يجرى من احداثها امامه طبيعى ومفهوم وعادى ، لانه تكرر امام نظره الف مرة ..

وكتابه يسمى « تجارب الامم » وهو تاريخ للدولة العباسية فى عصور انحدارها أيام البويهيين ، فقد ولد الرجل سنة ٤٢٠ هجرية ونشأ فى أيام عصيبة ليس فيها ما يسر ، لان أمور بنى العباس ضاعت بين أنانية الجند وقسوة قواد الاتراك ، وحاجة الامراء الى من يستنقذ الخلافة والامة ، فكانت تلك هى الفرصة التى أتاحت لبنى بويه ، وهم أجلاف من الديلم من بلاد طبرستان جنوبى بحر قزوين ، قوى امرهم بما كان لديهم من القوة العسكرية وآل الامر الى أن استنجد بهم الخليفة العباسى فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار ، واقبل بنو بويه ووضعوا أيديهم على الخلافة وحاولوا تصريف الامور فما أفلح منهم أحد ، وتلقبوا بألقاب تبعث على الضحك مثل عضد الدولة وصمصام الدولة ، وعزيز الدولة ، وحاولوا الانتساب الى الخليفة العباسى واهله فلم يكن حالهم أحسن ، وأخذت سفينة الخلافة تغرق معهم رويدا رويدا .

فى تلك الظروف العسيرة نشأ ابن مسكويه ، وكان أصله مجوسيا فأسلم ، واشتغل بالكتابة ليكسب عيشه ، فما أفلح ، فانصرف الى ما يسمى بالسيمياء وهى كيمياء الشعوذة ، فلم يكن نجاحه فيها بأكبر من نجاحه فى عالم الكتابة . فانصرف الى التاريخ واخذ يكتب مواصلا تاريخ الطبرى ، وهنا ادرك شيئا من النجاح فكتب كتاب « تجارب الامم » ، والف كتبا أخرى فيها تاريخ وفيها محاولات فلسفة كما نجد فى كتاب « جاويدان فرد » الذى ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوى عن الفارسية وسماه « الحكمة الخالدة » ..

● هذا ما قاله أبو حيان التوحيدي عن ابن مسكويه الذي أنفق الوقت في تحويل النحاس إلى ذهب: «هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية والعمر قصير، والساعات طائرة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق...»

وانا أنظر اليوم فى كتاب « تجارب الامم » وأجد صاحبنا مسكويه يقص علينا مأساة تدهور الدولة العباسية في أيامه ، ويعرض علينا فى اسلوب مرير افاعيل رجال بنى بويه في أيامه ببني العباس ، وما كان بنو العباس أيضا رغم ضعفهم يدبرونه لبني بويه ، وبين الحين والحين ادع القراءة واسبح مع افكاري واقول : مساكين العرب ، حيرتهم الايام ، وحيروا الايام ، لانهم خرجوا عن الطريق التى رسمها لهم أولئك الذين اقاموا لهم دولتهم الاولى : طريق الايمان والوحدة والصدق والاخلاص ، ومواجهة المشاكل بحزم وبعد نظر كما كان ابوبكر يعمل ، وكما كان عمر يعمل ، وكما كان قتيبة بن مسلم يعمل ، وكل هؤلاء مثل كان العرب حريين لو اتبعوها ان يصلوا مع التاريخ الى حال غير الحال التى وصلوا اليها فى عصر ابن مسكويه وبعد عصر ابن مسكويه .

***

وقد كان ابن مسكويه يكتب وفي قرارة نفسه خوف على مصير امة الاسلام وخلافة بني العباس ، وانا اكتب هذه السطور وفي قرارة نفسي خوف على امة الاسلام والعروبة ، لانني اجد الاخطار من حولنا تتزايد والضغط علينا يشتد ومع ذلك فمعظمنا يفضل ان يظل جامدا مكانه لا يفكر في مخرج من هذه الظروف القاسية التى نجد انفسنا فيها ، كان الجمود في ذاته سبيل من سبل النجاة ، وما نجا قوم قط لانهم جمدوا مكانهم وتركوا الاحداث تجرى من حولهم وتفعل ما تريد .

ذلك ان الدنيا فى حركة دائمة ، واذا نحن وقفنا ودفعنا غيرنا الى الحركة على رغمنا ، سرنا فى الطريق الذى يريده هو لا الطريق الذى نريده نحن ، ومعظم المصائب التى اصابت عالم الاسلام أتت من جمود الذهن والوقوف فى وسط الطريق ، مع انه من المعروف ان أى تحرك خير من أى ركود .

***

ولقد بدأت هذا المقال وحوادث ايران تهدأ شيئا فشيئا بعد ان استقر الامر على الجمهورية الاسلامية هناك ، فاذا أنا فى بعضه أتت الاخبار بأن المحاكمات وحوادث الاعدام عادت من جديد ، ثم تقلقل الامر مرة أخرى فى أفغانستان وهو

نحن.. وتجارب الأمم

ينذر بالانفجار ، وفي جنوب وادى النيل يجرى تغيير حاسم فى أوغندا ، ونظام عيدى أمين تهاوى ولا ندرى ماذا يجىء بعده ، وفى موريتانيا تغييرات جديدة تدل على قلق الاوضاع ، والصمت يسود أنباء الصراع فى الصومال واريتريا ، وفى سماء تركيا سحب تتجمع ، والاكراد يتحركون من جديد ..

وهذه كلها أحداث تجرى فى الاطار الواقى لعالم الاسلام ، أى ان قشرة عالمنا تتكسر ، والاخطار تقترب منا يوما بعد يوم ، والمواطن العربى لا يدرى ماذا يفعل فى مثل هذه الظروف ، وحالته ينطبق عليها ما قاله أبو حيان التوحيدى فى **كلامه عن ابن مسكويه الذى دفعته حيرة زمانه الى انفاق الوقت فى محاولة تحويل النحاس الى ذهب : « هذا مع تقطيع الوقت فى الحاجات الضرورية والشهوية ، والعمر قصير ، والساعات طائرة ، والحركات دائمة ، والفرص بروق تأتلق . والاوطار فى عرضها تجتمع وتفترق ، والنفوس عن قرابتها تذوب وتحترق .»**

***

فى هذه الظروف لا أجد ما أقوله للمواطن العربى الا أن يترك السلبية التى هو فيها والمبادرة الى تحمل مسئولياته أمام وطنه ونفسه ، ولا يترك نفسه لعبة فى أيدى الدعايات التى قد تضلله ولا تنفعه ، وان ينظر بنفسه الى الامور نظرا سليما ليعرف واجبه وما لابد له من عمله ، اذ أنه لا يمكن ان نكون كأهل القرون الماضية : واقفين جامدين والعمر قصير والساعات طائرة والحركات دائمة ..

ان علينا نحن العرب ان نجد حلولا للمشاكل التى تواجهنا وتحيط بنا من كل جانب . ولا يكفى قط ان يقف الانسان ساكنا أمام الاعاصير تاركا غيره يتخذ الحلول . واذا حدث وتحرك مواطن عربى واتخذ خطوة فى سبيل الخروج من الجمود فلا ينبغى ان يملكنا الفزع لمجرد هذه الحركة ، بل لنفكر أولا قبل ان نصدر حكما ، ولنجتهد دائما فى ان يكون الحكم صادرا منا لا رد فعل لما نسمع من كلام من يتصدون لقيادة الامور ، لان الوطن العربى ليس ملك جماعة دون جماعة ، انما هو ملكنا جميعا ومسئوليتنا جميعا ، ولا يجوز لواحد منا يزعم انه صاحب فكر ورأى ان يترك ميدان العمل لغيره مكتفيا بعد ذلك بالنقد والتماس الاخطاء . لان الخطأ الاكبر هو الجمود والسكون ، وأى حركة خير من أى سكون ، والحركة بركة كما يقولون .

***

ولقد تحركت القضية العربية خلال الشهور الماضية بعد طول ركود ، وطرحت حلول واتخذت خطوات ، وبعض القادة سارعوا الى اتخاذ مواقف تتفق مع

● إنها تجارب أمم .. والتجربة تعني التحرك والعمل .. وليست هناك تجربة تتم والإنسان ساكن لا يتحرك .. إن الخطأ الأكبر هو الجمود والسكون وأي حركة خير من أي سكون ...

مصالحهم ووجوه نظرهم ، وليس من مهمة الهـــلال ان يدخل في تفصيل هذه المواقف أو مناقشتها ، وان مهمته هي ان ينبه المواطن العربي الى ان يعمل فكره ويتخذ قراره بنفسه ، فليس كل ما يقولون له صوابا ، ولا يقال معظمه لوجه الله.

ان المفكر العربي مطالب اليوم بأن يقوم بواجبه كمفكر وهو ان يستعمل فكره. لقد بدأت في عالمنا العربي حركة جديدة في اتجاه الحل ، وهذه الحركة كان لابد منها لأن الجمود يخدم العدو وحده ، فان عدونا الصهيوني أفاد الفائدة الكبرى خلال السنوات الثلاثين الماضية من جمودنا وعجزنا عن الحركة واتخاذ القرار ، وليس هناك سبيل الى مواجهته وايقافه عن العربدة في منطقتنا الا بأن نتحـرك نحن ونعمل شيئا ..

لقد أثرنا في الهلال مشاكل تدهور الفـكر والقصور الادبي ، ولكننا نرى الان مشكلة الجمود أوسع مدى من الفكر وحده ، انها تشمل كل نواحي حياتنا ، فقد استرحنا الى الجمود وأرسلنا اذهاننا في اجازة طويلة ، وتركنا غيرنا يقـــرر لنا ما يريد ، ويتصدى لاتخاذ الاحكام من دوننا بالضبط كما كان المفكرون في العصر البويهي يعملون : كانوا يتفرجـــون على الاحداث ويبدون الاسف ويذرفون الدموع كما كان أبو حيـان التوحيـدي وأبو علي الخازن أحمد بن محمـد بن مســكويه وأبو القاسم الكاتب يعملون ، فماذا كانت النتيجة ؟ ضياع دولة بني العبـاس جملة ، وتمزق عالم الاسلام اربا ..

***

انها تجارب أمم ..

والتجربة تعني التحرك والعمل ..

وليست هناك تجربة تتم والانسان ساكن لا يتحرك ..

وليس من حق انسان جامد ساكن ان يصدر حكما على اعمال انسان نشـــيط يجهد نفسه ويعمل ...

ان تجارب امتنا العربية قليلة ، بالذات لان المواطن العربي قرر من زمن طويل ان يقف جامدا لا يتحرك والاحداث تمضي من حوله وتتدافع ..

واذا كان المفكر العربي يحس احيانا انه غير قادر على ان يقوم بنفسه بالتجربة فلا اقل من ان ينظر بنفسه نظرا موضوعيا الى اى تجربة يقوم بها غيره ..

اما الاستنامة الى الجمود ، وترك الاخرين يوجهون المصائر والحـكم على تجارب الاخرين دون اجهاد ذهن او تفكير فلا يســـمى تجارب امم بل مهالك امم ..

إيثار الإسلام
السلام

● د. احمد الحوفى ●

— ١ —

دأب الناس على ان يتحاربوا فى كل عصر وفى كل صقع ، وكلما صعدوا فى سلم الحضارة زاد افتنانهم فى اختراع وسائل الحرب والتخريب والتدمير ، فهدموا بمخترعات العلم والحضارة ما ابدع العلم والحضارة ، وخربوا فى يومهم ماشيدته اجيال من قبلهم .

ومن عجب انهم لا يبتغون من الحرب الا بسط السلطان ، وتوسيع الملك ، واشباع النهم الى الشهرة والمجد ، واستعباد الضعفاء ، والاستئثار بخيرات بلادهم ، وينابيع ثرواتهم .

وطالما تعالت الدعوات الى السلام ، فصمت دونها الآذان ، كأنما كتب على البشر الا ينعموا بسلم دائم .

وليس صراع العالم الذى يهدد البشر بالانقراض ، وينذر الحضارة بالدمار ، ناشئا عن دوافع سامية ، او غايات نبيلة ، بل انه صراع مبعثه الجشع ، والغاية منه التغلب والسيطرة واحتكار الخيرات والاستئثار بالقوة والنفوذ .

وهنا تتجلى عظمة الاسلام ، لانه دين سلام ، يؤثر السلم على الحرب ما وسعه الايثار ، فان لم يكن من الحرب بد لحماية العقيدة ، أو صيانة الحياة ، أو الدفاع عن الوطن ، فالحرب شر وضرورة موقوتة . ذلك ان الاسلام يدعو الى المثل الاعلى فى جميع الصلات والمعاملات ، فاذا لم ينجح المثل الاعلى لجأ الاسلام الى العلاج الذى لا ينجح سواه ، مراعاة للواقع ، ومجاراة للاحداث .

ولقد دعا الاسلام الى السلام ، فابى خصومه الا الحرب ، وصبر المسلمون على الاذهم ، فلم يزدهم الصبر الا طغيانا وعدوانا ، فلم يكن للمسلمين مندوحة عن الحرب ، ليحموا انفسهم وعقيدتهم استجابة لدينهم الذى يأمرهم بالاحتماء بالقوة والاستعداد للدفاع كما يدعوهم الى المسالمة والتسامح .

— ٢ —

ولا غرابة فى أن الاسلام دين سلام ، فان القرآن الكريم يصف المؤمنين بالمسالمة والتسامح ، قال تعالى : ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)) ويسمى القرآن الكريم الجنة دار السلام ، قال تعالى : ((لهم دار السلام عند ربهم)) ويجعل التحية فيها سلاما ، قال عز وجل : ((تحيتهم يوم يلقونه سلام ، واعد لهم اجرا

● **المسلمون لم يحاربوا إلا ليدفعوا العدوان، ولم يستلوا سيوفهم إلا عند اليأس من مسالمة أعدائهم... والمسلمون لم يحاربوا إلا المحاربين وتركوا المسالمين وغير المحاربين آمنين في ديارهم... والمسلمون لم يتجاوزوا في حروبهم حدود الدفاع والإرهاب إلى الإنتقام الحاقد والتنكيل المبيد...!**

كريما » ويبشر الاتقياء بأن تحييهم الملائكة فى الجنة بالسلام ، قال سبحانه وتعالى : « **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** » .

وكيف لايكون الاسلام دين سلام ، وكل مسلم يقول فى تشهده مرات كل يوم : « السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين »ثم يختتم كل صلاة بالسلام ؟ واذا كانت الحرب فى طبائع البشر فان الاسلام ضيق نطاقها وراعى فيها حرمات الانسانية أوفى رعاية .

فالمسلمون لم يحاربوا الا ليدفعوا العدوان ،ولم يستلوا سيوفهم الا عند اليأس من مسالمة اعدائهم .

والمسلمون لم يحاربوا الا المحاربين ، وتركوا المسالمين وغير المحاربين آمنين فى ديارهم .

والمسلمون لم يتجاوزوا فى حروبهم حدود الدفاع والارهاب الى الانتقام الحاقد والتنكيل المبيد .

ولقد جنح المسلمون الى السلام حينما استجاب الاعداء الى السلام

- ٣ -

وكان المسلمون بعد انتصارهم رحماء بالمغلوبين ، لم يمثلوا بالقتلى ، ولم يخربوا العمران ، ولم يجبروا أحدا على اعتناق الاسلام . نعم ان المسلمين لم يستغلوا قوتهم ليضطروا أحدا الى أن يسلم لانهم يعلمون ان للاسلام من القوة الذاتية ما يفتح له القلوب ، ويشرح الصدور ، فقد ذاع الاسلام فى مكة والنبى صلى الله عليه وسلم واتباعه قلة لايملكون من وسائل القوة ما يحمون به انفسهم من الأذى ، ثم ذاع فى المدينة قبل أن يهاجر النبى صلى الله عليه وسلم اليها ، وتعهد الذين اسلموا بحماية النبى ونصرته اذا هاجر اليهم ، ثم استمر الاسلام ينتشر بقوته الذاتية فى كل عصر ، حتى فى العصور التى ضعف فيها المسلمون واضطرب سلطانهم ..

وحسبنا هنا شهادة السير توماس ارنولد فى قوله : تصدعت اركان الامبراطورية العظمى ، وتضعضعت قوة المسلمين السياسية ، ولكن غزواته الروحية بقيت مستمرة دون انقطاع وعندما خربت جموع المغول بغداد سنة ١٢٥٨م واغرقوا فى الدماء مجد

الدولة العباسية ، وعندما طرد فرديناند ملك ليون وقشتاله المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦ م ، ودفعت غرناطة آخر معاقل الاسلام في اسبانيا الجزية للملك المسيحي ، في هذا الوقت كان الاسلام قد استقرت دعائمه ، وتوطدت اركانه في جزيرة سومطرة ، وكان يستعد لان يحرز تقدما ناجحا في الجزائر الواقعة في الملايو .

وفي هذه اللحظات التي تطرق فيها الضعف السياسي الى قوة الاسلام نراه قد حقق بعض غزواته الروحية الرائعة ، اذ تغلب الكفار المتوحشون على المسلمين ، وهم الاتراك السلاجقة في القرن الحادي عشر ، والمغول في القرن الثالث عشر ، ولكن الفاتحين الغالبين اعتنقوا ديانة المغلوبين .

كذلك حمل دعاة الاسلام الذين فقدوا مظهر القوة والسلطان عقيدتهم الى افريقية الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية والروسيا وغيرها ، ثم صار للاسلام في السنوات الاخيرة اتباع في انجلترا وامريكا واستراليا واليابان

- ٤ -

وانه ليتضح لمن يدرس قوانين الحرب في الاسلام انه دين رحمة وسماحة وسلام ، سواء في ذلك دوافع الحرب وبواعثها ، والغرض منها وغايتها ، ونظام المعركة وسيرها ، ونتائج الحرب وآثارها .

وحسبي أن اشير هنا الى امثلة من ذلك :

١ — ليس للحرب باعث الا الدفاع لحماية الوطن وصيانة العقيدة واتقاء الخطر الواقع او الخطر المتوقع

ولهذا نهى الاسلام عن العدوان حتى على الاعداء الذين ظلموا المسلمين من قبل ، قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ، فالحرب هنا لاعلان دين الله الذي ارتضاه ، وليست للسيطرة والاستعمار ولا للغنائم والاسلوب ، ومع هذا فان ختام الاية يحذر من العدوان ، لانه بغيض الى الله .

وقال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب » ففي هذه الاية نهي عن الاعتداء حتى على الاعداء الذين آذوا المسلمين من قبل ، وفيها امر للمسلمين بالاتحاد والتعاون على الخير والسلام وطاعة الله ، لا على الشر والاعتداء ، وفيها تحذير من عذاب الله الشديد ان عصوا امره ونهيه ، فتجاوزوا الحد في حربهم ، واعتدوا على غيرهم .

كذلك نهى القرآن الكريم عن قتال من اعلن مسالمته ، وان اثمرت حربه منافع مادية ، قال تعالى : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا » وقد جرى المسلمون على السماحة في حروبهم وفتوحهم ، فكانوا يبعثون الى البلد الذي يريدون فتحه شروطا للصلح قبل ان يحاربوه ، كما فعل عمرو بن العاص مع اهل غزة حينما حاصرها ، وكما فعل مع اهل مصر اذ عرض عليهم حرية دينية وعدالة شاملة .

٢ — واذ نظر الاسلام الى السلام على انه الاصل ، والى الحرب على انها طارىء موقوت ، شرع من النظم ما يتفق مع سموه ، وسن من القوانين ما يكفل تخفيف ويلات الحرب ، ويحصرها في اضيق نطاق .

فلا يصح ان تتعدى الحرب الى المدنيين الذين لا يحاربون ، كالشيوخ والنساء والاطفال والعجزة والعباد المنقطعين للعبادة .

ولا يجوز أن يجوع المسلمون أعداءهم او يقتلوا سفراءهم ، او يعتدوا على

● يتضح لمن درس قوانين الحرب في الإسلام أنه دين رحمة وسماحة وسلام، سواء في ذلك دوافع الحرب وبواعثها، والغرض منها وغايتها ونظام المعركة وسيرها ونتائج الحرب وآثارها

● في نظرة الإسلام إلى السلام على أنه الأصل، وإلى الحرب على أنها طارىء موقوت - شرع من التنظيم مايتفق مع سموه، وسن من القوانين مايكفل تخفيف ويلات الحرب، ويحصرها في أضيق نطاق

المستامنين في ديارهم من رعايا الدولة المعادية. فاذا جنح العدو الى السلام كان على المسلمين أن يسالموه، واذا ما رغب في الهدنة كان عليهم أن يهادنوه، على شرط الا يكون في هذا اهدار لحق من حقوق الدين، او تعويق للدعوة عن الذيوع، قال تعالى: **«وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله»** وقال سبحانه: **«فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا»**.

٣ - ولم يكن الغرض من الجهاد اجبار احد على ان يسلم، بل ان المسلمين ضربوا اروع الامثال في كفالة الحرية الدينية للناس، ولهذا رحب بهم سكان المستعمرات الرومانية وغيرها، لينقذوهم من عسف الحكام ومن الاضطهاد الديني. وكيف يتصور احد ان الغرض من الجهاد كان الاجبار على الاسلام.

والنبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بقوله تعالى: «لست عليهم بمسيطر» وبقوله سبحانه: «لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي». وبقوله عز وجل «ماعلى الرسول الا البلاغ» وبقوله جل وعلا: «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن»

٤ - اما نظام الاسلام في معاملة المغلوبين بعد أن تضع الحرب أوزارها فانه النظام الذي لم يعرف العالم له مثيلا من قبل ولامن بعد في السمو والرحمة والرفق وتقدير الانسانية فمثلا لايبيح الاسلام التمثيل بالقتلى، ولا تخريب العمران. ولا يجبر المغلوبين على اعتناقه، بل يوجب تخييرهم بين البقاء على دينهم أحرارا ودفع الجزية مقابل الحماية والخدمات العامة التي تقوم بها الدولة وبين أن يسلموا، فالجزية نتيجة للحرب لا باعث اليها ولا هدف من اهدافها.

ولقد شرع الاسلام أعدل النظم وارحمها في معاملة الأسرى والارقاء، كما شرع أسمى نظم في معاملة الشعب المغلوب.

- ٥ -

وكثيرا ماشهد للاسلام بذلك كله كثير من غير المسلمين، مثل الكونت هنري دي كاستري في قوله: ان المسلمين امتازوا بالمسالمة، وبحرية الافكار في المعاملات، ومحاسنة المخالفين، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشهم المظفرة، ولم يتركوا أثرا للعسف في طريقهم الا ما أضطروا اليه في كل حرب وقتال، ولم يقتلوا أمة أبت الاسلام.

كذلك قال جوستاف لوبون: لم تكن القوة عاملا في نشر القرآن، لان العرب تركوا المغلوبين احرارا في اديانهم. واذا كان بعض النصارى قد اسلموا، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم تعرفها الاديان الاخرى، وقد عاملوا اهل سورية ومصر واسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم حقا ان الاسلام دين السلام، والتحية في الاسلام سلام. ●

حديث إلى الشباب:

تقوية الملكة الأدبية بحفظ النماذج الجيدة

● محمد عبد الغنى حسن ●

● رحم الله حفاظ الحديث النبوى من امثال الحافظ الذهبى مؤرخ الاسلام ، والحافظ ابن حجر العسقلانى المصرى المؤرخ وكاتب الطبقات ، والحافظ النووى ، والحافظ السخاوى المؤرخ المصرى وكاتب التراجم المشهور ، والحافظ السيوطى مؤرخ مصر وفقيهها وعالمها اللغوى وموسوعيها الكبير ، والحافظ ابن عساكر مؤرخ الشام وصاحب التاريخ العجيب لمدينة دمشق ، وغيرهم ممن الهمتنا حيواتهم الخاصة المباركة ضروبا من الموضوعات ، وفنونا من المسائل . حتى لقد ساقنا مكانهم العظيم من (الحفظ) لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى موضوع (الحفظ) فى الشعر والادب .

(والحافظ) أولا هو الحافظ لكتاب الله الكريم ، لا يعجزه استحضار آية منه ولا يستعصى عليه الاستشهاد بما يريد من آياته . أما (الحافظ) فى اصطلاح المحدثين – اى المشتغلين بالحديث النبوى – فهو المرادف للفظ (المحدث) عند السلف . كما ذكر امام الشام وعلامته ، المرحوم الشيخ محمد جمال الدين القاسمى ، فى كتابه الثمين : (قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث) . الذى حققه وعلق عليه العالم الجليل المرحوم الاستاذ محمد بهجة البيطار عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

والمحدث ، والحافظ أرفع من (المسند) – بكسر النون – وهو من يروى الحديث باسناده . وللاديب المؤرخ المصرى (الشهاب الخفاجى) . صاحب (ريحانة الالباء) وشارح كتاب (الشفاء) للقاضى عياض راى فى الحافظ لا يختلف كثيرا عن راى الامام جمال الدين القاسمى ، حيث يقول : (انه وصف يطلق على كل من اكثر رواية الحديث واتقنها ..) .

واذا كان اصطلاح (الحافظ) للحديث النبوى قد انقطع فى عصر الشهاب الخفاجى – كما يقول فى شرحه للشفاء – وكان آخر الحفاظ – فى تقديره الحافظ المؤرخ المصرى « السيوطى » ، والحافظ المؤرخ المصرى « السخاوى » من رجال القرن العاشر ، وصاحب تراجم (الضوء اللامع ، فى اعيان القرن التاسع) فقد بقى فى الامة العربية (حفاظ) آخرون ، لا فى مجال الحديث النبوى . ولكن فى مجال الشعر والادب .

ويكاد يجمع الذين كتبوا عن شاعرنا (أحمد شوقى) ومكونات شاعريته ، على انه تأثر باثنين من شعراء العربية تأثرا واضحا ، هما المتنبى ، والبحترى فقد كان يحفظ شعرهما بالاضافة الى شعر غيرهما من الفحول . وبلغ من شدة تأثير المتنبى فى شوقى ان الامير شكيب ارسلان قد لاحظ بين شوقى وابى الطيب شبها جديدا . وهو تشبهه به حتى فى تعقيد كلامه .

وليس تعوزنا فى الشرق والغرب على السواء نماذج على ادباء وشعراء حفظوا كلام من سبقوهم وتأثروا به ، وادخلوا عباراتهم فى تعبيراتهم . حتى كاد التأثر هنا يكون تقليداً لا ابتكارا فيه ، ومحاكاة لا اثر فيها لاستقلال الشخصية .

ففى الادب الانجليزى – مثلا – يلاحظ النقاد ومؤرخو الآداب الاجنبية ان الشاعر (كيتس) كان يحفظ شيكسبير كله عن ظهر قلب ... وكانت تتسلل الى كتاباته ورسائله كثير من عبارات شيكسبير حتى ترصده بعض النقاد لهذه العبارات الشيكسبيرية وردوها الى مصادرها الاصليه فى كتابات شيكسبير ...

واذا كان بعض الكتاب والشعراء فى

الشرق والغرب قد تنبهوا من عند أنفسهم الى أثر الحفظ فى تكوين اساليبهم وتلوينهـا بلون خاص ، فان طائفة غير قليلة من نقاد العرب ومفكريهم قد حاولوا التنبيه فى كتاباتهم ودراساتهم الى قيمة الحفظ للنصوص الرائعة واثره فى امداد (الحافظ) الادبى بما يسيغه دائما عند الصياغة .

فالاصمعى — وهو من هو فى اللغة والرواية — يرى أن الشاعر لا يصير فى قرض الشعر فحلا ، حتى يروى أشعار العرب، ويسمع الاخبار ، ويعرف المعاني، وتدور فى مسامعه الالفاظ ...

وجرى النقاد على ما جرى عليه الاصمعى من ضرورة حفظ الشعر لمن يروم ان يكون فى الشعر ذا فحولة واذا كان بعض الاخلاقيين والمثاليين العرب قد رأوا فى الشعر وروايته وحفظه مصدر المجموعة من الخلال الكريمة فان **نقاد الادب قد نظروا الى الشعر من وجهة نظر فنية — لا اخلاقية . فاشترطوا حفظه وروايته تاسيسا لاتقان صنعته ، وتوكيدا لتاصيل** ملكته . واستعانة به **على تقوية الملكة** ، واسعاف الموهبة ،حتى **لنرى الناقد الشاعر (ابن رشيق القيروانى) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ** ، يرسم فى **كتابه (العمدة فى صناعة الشعر ونقده) آدابا للشاعر . ولا يفوته من ادب النفس ان يكون** الشاعر **حلو الشمائل ، حسن الاخلاق مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطىء الاكتاف . فان ذلك مما يحببه الى الناس ، ويزينه فى عيونهم ، ويقربه من قلوبهم .**

ثم لا يفوت ابن رشيق من آدب الدرس ان يأخذ الشاعر نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب وأيام العرب، ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار ، وضرب الامثال ... (وليعلق نفسه ببعض أنفاسهم ، ويقوى طبعه بقوة طباعهم ...)

وتعليق أنفاس الشاعر والكاتب بأنفاس غيره من المجيدين هو الظاهرة التى كست البلاغة العربية الاسلامية ثوبا انصع واحلى واعلى طبقة من ثوب البلاغة فى العصر الجاهلى .



● أحمد شوقى ●

وكان مؤرخنا ومفكرنا ابن خلدون هو اول من فطن لهذه الظاهرة مع تعليل اسبابها فى خلال حديثه فى مقدمته التاريخية المشهورة عن صناعة النظم والنثر . وقد أدرك ابن خلدون هذا بسلامة طبعه وصحة ذوقه ، ودقة ملكته الناقدة .

ويصرح لنا الناقد الشاعر المجدد (عبد الرحمن شكرى) بأن ادمان الاطلاع أساس فى الشعر ، لانه (هو الذى يهيىء الطبع) . كما يقرر لنا فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه أن (الاطلاع شراب روح الشاعر ، وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ، ويلقح ذهنه ...) وقد كان فى الظن أن تعبير (الاطلاع) بدلا من (الحفظ) هو من مستحدثات العصريين فى عصرنا الحديث ، ولكننا نجد عند البيانى المشهور (ابن الاثير الجزرى) المتوفى سنة ٦٣٧ هـ كلاما فى كتابه : (المثل السائر) عن الاطلاع واثره فى البيان ، يعد فيه فوائد الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور ، لان المطلع يعلم منه أغراض الناس ، ونتائج أفكارهم ، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم ، والى اين ترامت به صنعته فى ذلك ، ويعرف المعانى التى سبقه السابقون اليها . وبالاطلاع قد ينقدح له من بينهما معنى غريب غير مسبوق ...

وهنا يجب ان يلحظ ان (الاطلاع) او (الحفظ) ليس المقصود منهما مجرد النقل ، والا صارت المسالة اخذا وتقليدا وانعدام اصالة ... وانما المقصود هو الاستعانة بالمحفوظ على تقوية الغريزة الطبيعية ... ويحذر ابن الاثير من

الحفظ الذي يجعل الكاتب أو الشاعر مرتبطا فى كتابته ونظمه بما يستخرجه من محفوظه ، سواء أكان قرآنا أم حديثا ام شعرا . ويحدد لنا ابن الاثير غرضه من الحفظ بقوله:(بل اريد انه اذا حفظ القران الكريم ، واكثر من حفظ الاخبار النبويه والاشعار ، ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه ،مفتش عن دقائقه ، وقلبه ظهرا لبطن ، عرف حينئذ من اين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه ، واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية)

وكان أكثر ما يخشاه النقاد ذوو الاصالة من الوصية بالحفظ أن يكون الكاتب أو الشاعر الحافظ محاكيا لغيره ، مقلدا لاسلوبه ،فيكون نسخة من أدب غيره ، لا منتجا أصيلا مبتدعا . ومن هنا اشترط بعض النقاد أن يأخذ الكاتب معنى غيره — لا لفظه — ويكسوه عبارة من عنده . ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة ، وحينئذ يحصل لخاطره — بمباشرة المعانى — لقاح ، فيستنتج منها معاني غير تلك المعانى ... ولا يزال يدمن ذلك ويدأب فيه حتى يصير له ملكة وطبعا ، فاذا كتب كتابا أو خطب خطبة تدفقت المعانى فى اثناء كلامه ، وانثالت عليه انثيالا ، وجاءت ألفاظه معسولة ، لا مغسولة ، وبدت عليها طراوة وجدة كأنها ترقص رقصا ..

وقد بلغ من اعتقاد النقاد والادباء الرواد فى قيمة (الحفظ) للنماذج الجياد وأثره فى جودة الانتاج ، أن بعضهم آمن بأن الشاعر الجيد هو وليد قراءات ورواية لاشعار المجودين فى الجاهلية والاسلام . بل لم يمنع بعضهم حفظ اشعار المولدين المجيدين ، لما فيها من حلاوة اللفظ ، وقرب المأخذ ، واشارات الملح ووجوه البديع ...

فنرى ابن خلدون -فى موضع آخر من المقدمة- يشترط لعمل الشعر واحكام صنعته شروطا ، منها الحفظ للجيد من جنس الشعر العربى . ولكنه يقيد ذلك الشرط بشرط آخر حكيم ،وهو ان ينسى الانسان ما حفظه ، لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ، ثم يأخذ فى النسج على منوال ما اكتنزه فى حافظته ، صارفا النظر عن استعمال الاساليب بعينها ، بل يتصرف فيها بما يوجبه التكيف لا النقل . ويؤكد ابن خلدون أهمية حفظ النماذج الجياد بقوله : (ان من كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردىء . ولا يعطيه الرونق ولا الحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر ، وانما هو نظم ساقط) بل أكد ابن خلدون أن كل من ليس له محفوظ (فأولى به أن يجتنب الشعر . ولا يتعرض لقوله ، لقصور آلته ...)

ويزن ابن خلدون فى موضع آخر من (المقدمة) قيمة الملكة الشعرية عند الشاعر بقيمة ما يحفظه من الشعر . وهنا تتبع الملكة الشعر المحفوظ صنعة وارتفاعا . فعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ ... فبارتقاء المحفوظ من الكلام وجودته ترتقى الملكة الحاصلة . فاذا هبط المحفوظ أو قلت قيمته الفنية الشعرية هبطت الملكة تبعا لذلك . ومن هنا كان الفقهاء ،واهل العلوم كلهم قاصرين فى البلاغة كما لا حظ بحق مؤرخنا البصير ... (وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ، ويمتلىء به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة ، والنازلة عن الطبقة ، لان العبارات عن القوانين والعلوم لا حظ لها فى البلاغة ، فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه فى غاية القصور ، وانحرفت عباراته عن أساليب العرب فى كلامهم ...)

وقد وقع ابن خلدون نفسه فى هذه التجربة ففسدت ملكته الشعرية على الرغم من معاناته نظم الشعر ، وذلك بكثرة ما حفظه فى صغره وشبابه من المتون العلمية والفقهية والمنظومات الجافة التى منها قصيدتا ((الشاطبى)) الكبرى

والصغرى في القراءات ، وكتابا « ابن الحاجب » في الفقه والاصول ، وكتاب « الجمل » للخونجي في المنطق ، وبعض كتاب « التسهيل في النحو لابن مالك » وكثير من قوانين التعليم في المجالس … (فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب) .

ويؤكد لنا هذا التقرير الصريح اثر حفظ النصوص الرديئة وتغلبها على الجيدة . فان النصوص العالية الطبقة التي حفظها مؤرخنا المفكر ابن خلدون قد توارت امام النصوص الوطيئة الطبقة التي شحن بها ابن خلدون حافظته ، فجاء كله على غير الطبقة التي كان يرجوها

واذا كانت النصوص التي يحفظها الاديب تؤثر في انتاجه وتلونه بلون خاص، فان آثار مهنته وصناعته المعيشية تغلب على تعابيره وتبدو واضحة عليها . فقد سمع «ابن شعيب» – كاتب السلطان أبي الحسن المريني – البيت الآتي ينشده الكاتب الاديب أبو القاسم بن رضوان :

لم أدر حين وقفت بالاطلال
ما الفرق بين جديدها والبالي

فاستنتج ابن شعيب أن هذا الشعر لفقيه ، وذلك من قول الناظم :(ما الفرق) فانها من عبارات الفقهاء … وكان الاستنتاج صحيحا لان هذا البيت من شعر ابن النحوي الفقيه .

وبلغ من تاثير « الحفظ » واثره في عبارات الشعراء والمنشئين أن الشيخ « حسين المرصفي » – وهو الرائد الاول بدراسه الادب العربي وتاريخه في العصر الحديث ، واستاذ البارودي الشاعر وصديقه – قد اشترط على من يتصدى لانشاء الكلام نثرا كان أم نظما أن يكون ذا حافظة قوية ، وذاكرة مطيعة ، وفهم ثاقب … واستشهد في كتابه « الوسيلة الادبية » على صدق نظرية الحفظ بصديقه الشاعر محمود سامي البارودي الذي لم يتعلم النحو ولا البيان ولا اللغة على معلم … ولكنه اكتفى بحفظ أجود النصوص العربية القديمة، فاستقامت له في الشعر والبيان ملكة تعرف مواقع الألفاظ في الكلام ، من غير معرفة بالنحو والصرف . ولكنه اشتغل بقراءة دواوين المشهورين من شعراء العرب وغيرهم ، حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من خسيسها ، واقفا على صوابها وخطئها ، مدركا ما كان ينبغي وفق مقامات الكلام وما لا ينبغي .. واذا كان الاستشهاد برجال الطبقة العالية في البيان والبلاغة ضروريا في هذا المقام ، فاننا تحضرنا هنا عبارة للمرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب « الرسالة » ومدرسة « الرسالة » ، تؤكد لنا قيمة الاطلاع والمطالعة في اكتساب الذوق الادبي ، الذي لا يعلم ، وانما يكتسب بمخالطة الصفوة المختارة من رجال الادب ، ومطالعة الروائع .. (واطلاع الكاتب على الامثلة الرفيعة من البيان الخالد ، يرهف ذوقه ، ويوسع افقه ، ويريه كيف تؤدى المعاني الدقيقة وتحيا الكلمات الميتة) .



• شيكسبير •

وعلى الرغم من مهاجمة سلامة موسى لكثير من الالفاظ والعبارات العربيه القديمة ، وعده اياها « احافير لغوية» – على حد تعبيره في كتابه : (البلاغة البصرية) ، ومحاولته اليائسة ليحمل الادباء والكتاب على دفنها بدلا من احيائها بالاستعمال ، فانه – بعد مناقشات كثيرة وعنيفة معه ، وحملات على كتابه هذا – قد عدل في آرائه بعض التعديل، فكتب في كتابه اللاحق الاول : (التثقيف الذاتي) فصلين عن الادب العربي القديم، والكتب العربية القديمة ، فاعطاها بعض حقها وان كنا نرجو لو كان اعطاها حقها الكامل الواجب لها في اعناق الابناء والحفدة من العرب المخلصين … ●

الـرجل الـذى حاولـوا مصـادرتـه:

ابن عربي

● بقلم : د . حسين مؤنس ●

تتمثل اعلى صورة وصل اليها تطور مذهب الافلاطونية الحديثة « عند مسلمى الاندلس المتفرع عن مدرسة ابن مسرة » فى شخص ابى بكر محمد ابن على بن عربى « ٥٦٠ / ١١٦٤ - ٦٣٨ / ١٢٤٠ » وقد عرف ابن عربى « محيى الدين » « بالشيخ الاكبر » وبابن افلاطون ، وقد ولد فى مرسيه فى بيت حسب وتقى وكانت اسرته على ثراء ولابد انه درس علوم الدين والادب دراسة شاملة وذهب به اهله وهو بعد طفل الى اشبيلية عندما استولى الموحدون على مرسيه وفى اشبيلية قضى سنوات طفولته وصباه .

ولم يبد منه فى سنه الباكرة انصراف الى حياة الزهد ، بل كان همه الاداب والصيد . وفى اشبيلية ايضا قرا القرآن والحديث ودرس الفقه على يد احد تلاميذ ابن حزم الظاهرى ، وكتب لبعض الولاة وتزوج بمريم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجى وعند ذلك بدا مجرى حياته يتغير ، وكان سبب ذلك التغير ما كان يسمعه من مواعظ زوجته التى ضربت له المثل الصالح فى الورع ، والحت عليه امه كذلك ان يقلع عما هو فيه ..

ثم اصابه مرض فلزم الفراش مدة تراءت له اثناءها منامات تمثل لعينيها عذاب جهنم . وتوفى ابوه على بن عربى فى اعقاب ذلك ، وكان قد اخبر - اى ابوه - بيوم وفاته قبل حلول اجله بخمسة عشر يوما ، وتجمعت هذه العوامل كلها ودفعت به الى طريق الزهد والتصوف ، فنراه قبل سنة ٥٧٩ / ١١٨٤ - اى قبل وفاة ابيه وقد سلك الطريق ، ومصداق ذلك تشوف ابن رشد الى معرفته ، ولابد انه انصرف انصرافا عقليا الى دراسة كتب التصوف بعد ان اتجه الى هذا الاتجاه

ونذكر من اوائل اساتذته فى التصوف موسى بن عمران الميرتلى الذى علمه كيف يتلقى الالهام الالهى وابا الحجاج يوسف الشبربلى « وشبربل قرية بالشرق على فرسخين من اشبيلية » وكان ممن يمشى على الماء - وأبا عبد الله ابن المجاهد ، وابا عبد الله قوم وكلاهما من اهل اشبيلية ، وقد تعلم منهما محاسبة النفس وكيف تكون .

بيد أن استاذه الحقيقى كان الاعتكاف

فكان ينفرد بنفسه اياما طويلة بين القبور يناجي ارواح الاموات .

ثم وقع بينه وبين شيخه ابى العباس العريانى جدل ، فظهر له الخضر ، وهو — كما يقول آسين « شخصية اسطورية تمثل زهاد المسلمين فيهـا ما الى من الربانيين اليهود وعلماء النصارى من اخبار تدور حول الياس النبى والقديس جرجس مختلطا باسطورة اليهودى التائه » .

وقد مارس ابن عربى حياة التصوف مع شيوخ كثيرين ، واخذ عنهم الكثير من رياضات الصوفية ، واخذ على الاخص عن عجوز تسمى نونه فاطمة بنت ابن القرطبية ، لزمها سنتين خادما ومريدا ، وشاهد بنفسه ما كان يجرى على يدها من ظواهر التنبؤ الغريبة .

وعندما احس انه استكمل عدته خرج يجول فى الارض ، وقضى بقية حياته متجولا ، فكانت بقية ايامه رحلة متصلة فى بلاد المسلمين والنصارى ، جابها كلها يتعلم ويعلم ويجادل ، كما يقول آسين . ولدينا اخبار عن المامه بمورور ، ومرشانة الزيتون ، ومدينة الزهراء ، وقبر فيق ، « قرية صغيرة مقربة من رندة » ، ثم رحل الى المغرب ونزل بجاية (حيث لقى الصوفى شعيب بن الحسن الاشبيلى المعروف بابى مدين ، ويبالغ ابن عربى فى وصف كراماته وفضائله وطريقته) .

ثم الم بتونس حيث درس ماكتبه ابو القاسم بن قسى الزاهد وهو الذى بدأ ثورة المريدين فى غرب الاندلس على المرابطين ، وفى هذا البلد ظهر له الخضر مرة اخرى ، ثم مضى الى تلمسان ، وبعد ان قام بسياحات متعددة فى نواحى المغرب والاندلس استقر فى فاس سنة ٥٩٠ / ١١٩٥ حيث انصرف الى الدراسة والى الرياضة الصوفية فى الجامع الازهر (بعين الخليل من مدينة فاس . وجنة (حديقة) ابن حيون . وهناك وقع له اول ماعرف من حالات الاشراق .. ويبدو ان العلاقات بينه وبين الموحدين لم تكن على مايرام ، وربما كان هذا هو الذى دعاه الى المسير الى المشرق ، ولكنه تلكا بعض الوقت قبل الخروج اليه ، وزار مرسيه والمريه مركز جماعة ابن العريف ، وهناك كتب رسالته الصوفية «مواقع النجوم» وهى مدخل للمبتدئين فى سلوك الطريق يبين فيها كيف يمكنهم السلوك فيه دون حاجة الى مرشد روحى اى شيخ .

ثم قصد مراكش وفيها راى رؤيا جعلته يحزم امره على المسير الى المشرق ، فخرج اليه ، وحل ببجاية (رمضان ٥٩٧ هـ) .

وعندما نزل تونس الف كتابه «انشاء الدوائر الاحاطية » وفيه يشرح تصوره المعقد الملتوى للكون بواسطة اشكال هندسية .

وفى سنة ٥٩٨ / ١٢٠١ توجه الى مكة وجاور فيها ، وهناك توثقت علاقته باسرة ابى خاشعة امام مقام ابراهيم ، وتعلق بابنة له تسمى نظام ، وأوحى اليه تعلقه بها موضوع كتاب من اشهر كتبه وهو « ترجمان الاشواق » وهو من ناحية ظاهرة مجموعة من شعر العشق الذى قاله فى هذه الفتاة ، اما معانيه فصرفية المقصود بها الله والملا الاعلى ، وحلاوة الفناء فى الخالق .. ثم زاد نشاطه فى التاليف ودخل فى سلك طريق اخوان مكة وتواترت عليه المكاشفات ، واخذ يخبر الناس عما سيحل بهم من المصائب ، وكتب كتابه « الدرة الفاخرة » وهو مجموع من سير الصوفية من اهل المغرب من شيوخه واخوانه .

ثم هدا واستقر فى مكانه ردحا من الزمن ، عاد بعده الى التجوال فسار الى الموصل سنة ٦٠١ / ١٢٠٤ وهناك لبس خرقة الخضر للمرة الثالثة على يد الشيخ الصوفى على بن جامع فى حفل احاطت به مظاهر تبين اهميته ..

ونجده بعد ذلك بسنتين (٦٠٣ / ١٢٠٦) فى القاهرة حيث ظهرت على يديه كرامات ومعجزات غريبة فى حلقة من الصوفيين كان مركزها حارة القناديل (وتسرب الى جمهور الناس قوله بوحدة الوجود ، واشتهر امره ، فتالب عليه الفقهاء ، واتهموه بالمروق ، فلم يعرهم اى اهتمام ، وقال ان نبا ذلك كان عنده منذ زمان طويل ، فقد

كشف الله له عنه ..

ولم يصبه اتهام الفقهاء اياه باذى لان السلطان العادل الايوبي كان متسامحا ، فقبل فى ابن عربي شفاعة صديقه ابي الحسن الباجي (نسبة الى بجاية بافريقية) وفسرت اراؤه تفسيرا رمزيا ، ولكن ابن عربي اصر على ما كان يقول به من آراء صوفية ولام صديقه ابا الحسن قائلا : « وكيف يكون مسجونا من حل الله فى جسده ؟ »

***

ثم مضى ابن عربي الى بلاد الروم ونزل قونية وسمع بامره الملك كيقاوس الاول (تولى عرش قونية سنة ٦٠٧ / ١٢١٠) وزاره وقال : « هذا تذل له الاسود .. » أو كلاما هذا معناه ، وامر له مرة بدار تساوى مائة الف درهم ، فلما نزلها واقام بها مر به فى بعض الايام سائل فقال له : شيء لله ، فقال : مالي غير هذه الدار خذها لك ! » فتسلمها السائل وصارت له ! ..

وأجتذب نفرا من الناس فتتلمذوا له بسبب ماظهر عليه من علامات القطبية وهناك الف كتابي مشاهد الاسرار ورسالة الانوار ، ثم ساح بنواحي الاناضول حتى بلغ ابرد نواحي أرمينية حيث يتجمد ماء الفرات ، ثم عاد الى بغداد (٦٠٨ / ١٢١١) حيث لقى شها ب الدين السهروردى قطب الصوفية وتتلمذ له نفر من المريدين فى هذا البلد ومن بغداد كتب الى كيقاوس خطابا يعتبر وثيقة فى السياسة الالهية يطلب اليه فيه أن يشتد مع النصارى . وخطابه هذا يفيض بكراهية شديدة لهم وهى كراهية تتجلى فى كتبه الاخرى ثم قصد مكة سنة ٦١٠ / ١٢١٤ ، وفيها كتب «ذخائر الاعلاق» شرحا على ديوانه ترجمان الاشواق ، وقد رمى من وراء وضع هذا الشرح الى القضاء على الاراجيف التى كان الفقهاء وبعض اهل الدين يذيعونها حوله ، اذ استعظموا معانى العشق الواردة فى الترجمان وما تتحدث عنه من عاطفة حسية مادية ، وقد غابت عنهم المعاني الصوفية التى ارادها .

وتوجه بعد ذلك الى قونية فوجد كيقاوس قد خرج لحصار انطاكية فتوجه ابن عربي الى سيواس حيث راى فى نومه انتصار كيقاوس واستيلاءه على انطاكية ، فذهب الى ملطية ، ومن هناك وجه الى الملك خطابا بالبشرى ، ووصل الخطاب قبل ان تتحقق رؤيا ابن عربي ، وقبل سقوط انطاكية فى يد كيقاوس بعشرين يوما ، ثم قصد حلب حيث لقيه السلطان الظاهر غازى (صاحب حلب حتى سنة ٦١٣ / ١٢١٦) فاعجب به وبلغ من نفسه مكانة جعلته يقدمه على من كان حوله من الحاشية والفقهاء . وكان ابن عربي يبغضهم .

ثم اعتلت صحته ، وزاد ما كان يبدو عليه من مظاهر الجذب واضطراب العقل ، وفى هذه الحالة من الاعتلال الجسمي والعقلي كتب كتابه الحكمة الالهامية ، وهو رد على الفلاسفة ونقض لارائهم على طريقة الغزالي فى التهافت ، ثم مضى باحثا عن مكان معتدل الجو يلائم صحته ، واختار دمشق واستقر فيها من سنة ٦٢٠ / ١٢٢٣ الى وفاته وكان واليها الملك المعظم بن العادل من مريديه وفى دمشق كتب ثلاثة كتب هى «فصوص الحكم » و «الفتوحات المكية» و«الديوان » وفيها كذلك راى رؤيا شهد فيها الخالق سبحانه ، وفيها كذلك قضى اخريات أيامه ضيفا على قاضيها ابن الزكي ، وانصرف الى التاليف حتى ادركته منيته ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الاخر ٦٣٨ / ١٦ نوفمبر ١٢٤٠ ودفن بسفح جبل قاسيون خارج دمشق بالتربة الصالحية .

وقد اخذ اجلال الناس لابن عربي يزداد بعد موته فجعلوه قطبا شبه نبي ، ولم تلبث المأثورات المتداولة عنه بين تلاميذه أن صارت مصدرا لعدد لايحصى من الحكايات الاسطورية نسبت اليه ثم اختلطت بترجمة حياته وقد بنى

السلطان سليم العثماني قبة كبيرة على قبره وانشأ مدرسة رتب لها الاوقاف وقد كانت هذه المدرسة قائمة لاتزال في ايام المقري على أوائل القرن السابع عشر وذكرها في النفح .

***

قيل ان ابن عربي كتب نحو اربعمائة كتاب ورسالة ، وقد ذكر من ترجموا له الكثير من أساميها ونبذا عنهـا ، وسنلم هنـا بذكر مؤلفاته الثلاثة الكبرى :

١ ـ فصوص الحكم : الفه سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ .

الى هذا الكتاب يرجع الفضل فيما تمتع به ابن عربي من شهرة كبرى بين الصوفيين كمؤلف لكتب المكاشفات التي ترفع الحجب عما وراء الغيب ، وفيه يعرض مذهبه الغامض المتناقض في وحدة الوجود على صورة ايحاءات .

٢ ـ الديوان الفه سنة ١٢٣٢/٦٢٩ :

وهو مجموع من شعره معظم مافيه فاتر متكلف تنقصه الحيوية والواقعية اللتان يمتاز بهما شعره في ترجمان الاشواق .

٣ ـ بيد ان أعظم كتب ابن عربي هو الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية والمكية ، ونستطيع ان نقول انه جمع فيه كل ماذكره في مؤلفاته الاخرى ، ونسخته المطبوعة تقع في اربعة الاف صفحة ، وقد اراد من وضع هـذا الكتاب ان يبلغ صديقيه ابا محمد بن عبد العزيز التونسي وعبد الله بن بدر الحبشي ما فتح الله عليه به اثناء مقامه بمكة . وفاتحة الكتاب خطبة القاها بين يدي الخالق سبحانه وتعالى في رؤيا رآها .

والكتاب في مجموعه خمسمائة وستون فصلا ، وقد كانت ضخامته سببا في قلة انتشاره وان كنا نجد له شروحا متعددة ..

ولابن عربي مؤلفات اخرى كثيرة بعضها في الزهد وبعضها الاخر في التصوف ، واهمها محاضرات الابرار وهو اقرب الى نوع كتب المتفرقات الادبية وان كانت مادته كلها زهدية صوفية كبقية كتبه كلها .

كان محيي الدين كغيره من المفكرين المسلمين مكثرا من التواليف ، وكتاباته تتناول كل شيء من علوم وفقه وفلسفة وشرع وفلك وما الى ذلك . ونحن نلمح عنده زيادة على ما نجده عند غيره الاثر الذي خلفه في مؤلفاته اختلاط المذاهب المتشعبة التي سمع بها اثناء سياحاته الطويلة او تحصلت له نتيجة لاتصاله باقوام ذوي عقائد شتى يختلف بعضها عن بعض اختلافا عظيمـا . وهو يقول في ذلك انه لا يعرف طريقة من طرق الصوفية او فرقة من الفرق او عقيدة من العقائد لم يلق واحدا من السالكين فيها او ممن يعتنقونها ويمارسون طقوسها قولا وعملا ، وان كل ماسطره في كتبه فمنه ماشاهده ومنه مانقله من كتب مشهورة رواها سماعا او قراءة او مداولة او كتابة .

ويقول آسين ان الاسلام في عصر ابن عربي كان قد تمثل علوم اليونان جميعا ، وذلك بفضل الدراسات الفلسفية اللاهوتية التي قام بها ابن سينا والغزالي ، وابن حزم ، وابن رشد . واعقبت مذاهب الصوفية البسيطة الاولى مذاهب ذات طابع نظري غالب وهي في اساسها تتجه نحو القول بوحدة الوجود وتقوم كلها على محاولة التوفيق بين شتى المذاهب والاراء وهي محاولة متشعبة محيرة .

هذا ، وشيوخ ابن عربي في علوم اهل الباطن يعدون بالمئات ، والكتب التي يبدو انه قراها وعرف مافيها في التصوف وغيره لا تحصى ، وهذه الاراء كلها التي تجمعت لديه من مصادر مختلفة اشد الاختلاف كان لابد ان تختمر اختمارا صاخبا في رأسه ، وكان ذهنه مستثارا مضطربا بسبب ماركب في طبعه من مزاج صوفي بالغ القوة وبسبب ماكان يعانيه من جلب غير عادي ، ذلك كله ، في رأي آسين ، يجعل عرض مذهبه عرضا علميا امرا عسيرا جدا . .

شخصيات ومواقف في

دنيا الفكر والأدب

● فتحي رضوان ●

● بين اساطين الادب في بلادنا ، والبلاد العربية كلها – اثنان – غمطنا حقهما ، ونحسسنا مقدارهما ، فماتا في وحشة قاسية ، ووحدة باردة ، كانما الما في حق الوطن وارتكبا جرما عظيما . والعجيب انهما يجتمعان في الكثير . فقد بكرا في الظهور على المسرح الادبي ، فكانا علمين من اعلام الادب والشعر ، وهما في اوائل سنى الشباب ..

وقد ارتبطا في هذه السن الصغيرة ، باكبر الادباء والشعراء ، ثم ما زالا يمتحنان الشعر والنثر ، وفنونا اخرى من القول والفكر ، الغالى والثمين من نتاجهما ، وآثارهما حتى اذا نضجت ملكاتهما ، واستوت مواهبهما ، واصبح جنى ثمارها ، شهيا وغنيا وناضجا – ادارت لهما دنيا الفكر ظهرها ، واصمت عن صوتهما اذنها .. وما زالت تنأى عنهما ، وتنسى وجودهما ، حتى اصابت كلا منهما مصيبة الوهم ، فشعرا بأن الدنيا امتلات بالاعداء ، تطاردهما وتتوعدهما بالويل والثبور ، والشر المستطير ..

وطالت المحنة ، وعلت اسوار العزلة ، وتردد الموت طويلا في ان يمد لهما يد المعونة ، لينتشلهما مما هبطا اليه .

أولهما عبد الرحمن شكرى الذى ولد في بور سعيد سنة ١٨٨٦ في الثاني عشر من اكتوبر منها ، والذى توفى في الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٥٨ بالاسكندرية ، بعد اثنين وسبعين عاما .

وثانيهما محمد صبرى الذى عرف بين الادباء باسم « السربوني » الذى توفى في ١٨ من يناير سنة ١٩٧٨ وهو في الرابعة والثمانين لانه ولد في سنة ١٨٩٤ بعزبة المرج .

لحق عبد الرحمن شكرى – بمدرسة الحقوق – بعد ان أتم دراسته الثانوية في سنة ١٩٠٤ ، وبقى بها عامين ، ولكن حينما احتدمت الاحداث بفعل دعوة مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطنى وزعيمه ، وقف عبد الرحمن شكرى في صف المواطنين ، واعلن دعوتهم ، وفي احدى المظاهرات ، القى زميله عبد الحميد بدوى « الذى أصبح فيما بعد الدكتور عبد الحميد بدوى باشا القاضى الدولى » قصيدة لعبد الرحمن مطلعها :

ثباتا فان العار اصعب محملا
من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

نعرفت السلطات أن عبد الرحمن شكرى ، هو ثائر وأن بقاءه بين صفوف طلبة مدرسة الحقوق سيجعل استتباب الدراسة مستحيلا فصلته ، فذهب الى الزعيم مصطفى كامل ، ليلحقه بجريدة اللواء محررا ، ومترجما ، ولكن الزعيم نصحه بأن يتم تعليمه في مدرسة عليا اخرى ، واطاع الشاعر الشاب فلحق بمدرسة المعلمين العليا ، واصدر وهو



عبد الرحمن شكرى



عبد القادر المازنى

بعد فى السنة الاولى من سنيها ديوانه الاول المعنون « ضوء الفجر » وكان فى الثالثة والعشرين من عمره فاستقبله حافظ ابراهيم بالترحاب والحفاوة ونظم فيه شعرا جاء فيه :

افى العشرين تعجز كل طوق
وترتصلن باحكام القوافى
شهدت بان شعرك لا يجارى
وزكيت الشهادة باعترافى
لقد بايعت قبل الناس شكرى
فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

ومن اثر شكرى فى زملائه وفى مقدمتهم الكاتب العظيم ابراهيم عبد القادر المازنى قال المازنى فى مقال له بجريدة السياسة فى ٥ من ابريل سنة ١٩٣٠ :

من اللؤم الذى اتجافى بنفسى عنه ان انكر ان « شكرى » اول من اخذ بيدى وسدد خطاى ، ودلنى على الحجة الواضحة ، واننى لولا عونه المستمر لكان من الارجح ان اظل اتخبط اعواما اخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن اضل طريق الهدى ..

وقال عن ديوان شكرى الاول :

وقد أخرج « شكرى » اول جزء من ديوان شعره ، وهو فى السنة الاولى « من مدرسة المعلمين » فكانت له ضجة ، وكان هذا الديوان بداية اقتحام المذاهب الجديدة فى الادب للميدان وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقي وحافظ ، واضرابهما ، وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار استاذى وهو زميل »

وبعد ان تخرج شكرى فى مدرسة المعلمين سنة ١٩٠٩ ؛ ارسل الى انجلترا ، ليطلب مزيدا من العلم فى التاريخ القديم والحديث ، والتاريخ الدستورى ، والعلوم السياسية والاقتصادية ، والجغرافيا ، والادب الانجليزى فى جامعة شيفلد ، فبقى هناك ثلاثة أعوام ، وعاد فى ٣١ من اكتوبر سنة ١٩١٢ ..

ولما عاد عين مدرسا **للتاريخ واللغة الانجليزية** بمدرسة راس **التين وفى سنة ١٩١٣ ظهر** الجزء الثانى **من ديوانه وفى سنة ١٩١٥** طبع الجزء **الثالث ، وفى** سنة ١٩١٦ ظهر الجزء **الرابع والخامس ، كما نشرت له ثلاثة كتب هى « الثمرات وحديث ابليس والاعترافات » ، وفى** سنة ١٩١٨ **ظهر كل من الجزء السادس من الديوان وكتاب « الصحائف » وفى** سنة ١٩١٩ ظهر الجزء **السابع ، وقصة الحلاق المجنون .**

ولقد عاش عبد الرحمن شكرى الشاعر الاديب الناقد ، الفترة ما بين سنة ١٩١٢ و سنة ١٩٢٨ مدرسا بمدارس الحكومة الثانوية ثم ناظرا لبعضها ، واخيرا مفتشا ، ولم يكن يعجبه اسلوب التعليم ولا مناهج الدراسة ولم يكن قادرا على تغيير شىء مما يضيق به صدره ، ويرى فيه الضرر لابناء وطنه الناشئين ، ولم يكن قادرا فى الوقت نفسه ، أن يهيىء نفسه للعيش فى الجو الحكومى الرتيب البارد ، الخالى

من حرارة الايمان بشيء أو الجهاد في سبيل شيء ، فنفد آخر الامر صبره ، والقى باستقالته في وجه الحكومة ، وقنع بمعاش قليل ، ومضى الى بلده بورسعيد، دون أن تحدث هذه الاستقالة عند أحد شعورا بالاسف او الاحتجاج ، ودون أن يتحرك احد ممن يعرفون قدر شكرى الشاعر والكاتب والناقد ، ليفسح له مكانا في دنيا الصحافة الادبية منوها بتحرره من قيود الوظيفة ، فاخلد الى العزلة .

وكان قد طوى النفس على جرح عميق ، أصابه من يد صديقه وزميله وتلميذه وشريك جهاده ابراهيم المازنى، الذى ضاق بنقد شكرى لشيء من شعره واتهامه اياه بسرقة افكاره من شعراء الغرب فهاجمه في قسوة وضراوة، غير مبق على الود القديم ، ولا مقيما وزنا لوحدة الفكر بينه وبين شكرى فقال فيما قال ضد شكرى في كتاب « الديوان » ـ الذى اصدره مع زميله العقاد :

« شكرى صنم ولا كالاصنام ، ألقت به يد القدر العابثة في ركن خرب على ساحل اليم .

« صنم تتمثل فيه سخرية الله مبدع الكائنات المضحكة ، وارادتها القدرة « على جعل مجنابها لفكاهة الناس ، وسلواهم » ..

وقد مر بنا راى المازنى نفسه في هذا « الصنم » الذى نعته بهذه النعوت ، وقد يحسن ان نذكر راى العقاد نفسه في مقال له نشر بمجلة الهلال في اول فبراير سنة ١٩٥٥ فقال :

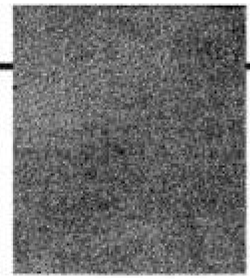
« عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس واربعين سنة ، فلم اعرف قبله ولا بعده احدا من شعرائنا وكتابنا اوسع منه اطلاعا ، على أدب اللغة العربية وادب اللغة الانجليزية . ولا اذكر انني حدثته عن كتاب قرأته الا وجدت منه علما به واحاطة بخير ما فيه وكان يحدثنا احيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت اليها ، وقد كان على سعة اطلاعه صادق الملاحظة نافذ الفطنة حسن التخيل » ..

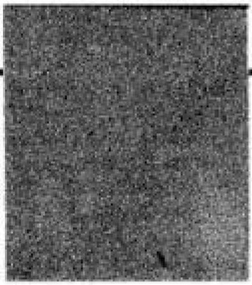
وقال العقاد في مقال آخر :

« ان ما قاله شكرى لصحبه وتلاميذه في توضيح رايه لاضعاف ما كتبه ونشره في دعوته ، لانه كان مطبوعا على التعقيب الجامع الناقد على مطالعاته ومطالعات غيره » .

ولكن ماذا تجدى هذه الموهبة العظيمة ، وتلك القدرة الفريدة ، وهذا الاطلاع الواسع ، وشكرى قد ضاق ذرعا بالمجتمع الرسمى ، ولم يحفل به المجتمع الشعبى ، فاوى الى ركن كالحيوان الجريح ، يخشى ان يطارده صبية الطريق بالاحجار والعصى .. عاش شكرى في بيته ببور سعيد ، وكان قد ورثه عن ابيه مع اخوته ، حتى دكت قنابل الاستعمار في حرب السويس سنة ١٩٥٦ هذا المنزل فاحالته انقاضا ، ثم لجا الى بيت في سيدى بشر بالاسكندرية بعد ان اصيب بالفالج ، ومعاشه لايزيد، واخوانه عارفو فضله لا يذكرونه ، وهو يوالى بعض الصحف بمقالات نقدية موقعا عليها بحرفى ع . ش . ولا احد يسال من هو صاحب هذه المقالات التى لايمكن ان يجرى بها الا قلم متمرس ، قرا صاحبه آلاف الصحائف في شتى فنون الشعر والنثر ، وكتب التاريخ والقصة ..

ثم مضى عبد الرحمن شكرى ، بعد ان وافاه الاجل في شقته المطلة على البحر ، في الساعة الثانية من يوم شتاء تلبدت سماؤه بالغيوم ، تاركا وراءه ما يمكن ان يؤلف كتبا لا نظير لهاولا





حافظ ابراهيم

شبيه فيما يقرؤه تلاميذ الادب ومحبوه، دون أن تنشر على الناس ، فيجدون فيها زادا عظيما لنفوسهم وعقولهم ..

***

ولا يختلف الامر مع محمد صبرى ، عنه مع عبد الرحمن شكرى ..

فقد تفتحت عبقريته ، وهو فى السادسة عشرة من عمره ، اذ اخرج فى سنة ١٩١٠ الجزء الاول من كتابه « شعراء المصر » ، وقد قدم مصطفى لطفى المنفلوطى لهذا الجزء . فاعجب لصبى فى الرابعة عشرة ينجح فى اقناع امير الكتاب وسيدهم فى ذلك العهد ، بان يقدم لباكورة اعماله ، ولما اصدر الجزء الثانى من هذا الكتاب ذاته قدم له شاعر العراق جميل صدقى الزهاوى، ونثر فى المقدمة نظريات فى الشعر ، بقيت مرجعا لشعراء العراق .

وقد حدثت مفارقة طريفة لمحمد صبرى فى مطلع حياته الادبية حققت له شهرة عظيمة من حيث لا يحتسب ، فقد وقعت الحرب الطرابلسية « حرب طرابلس فى سنة ١٩١٢ » عندما غزت ايطاليا ليبيا ، فأثارت جزع المسلمين والعرب ، فتواصوا بجمع التبرعات لارسالها الى الجيش العثمانى ليرد عادية الطليان على بلد من بلاد العروبة والاسلام ، والهمت هذه الواقعة (محمد صبرى) بشعر ارسل به الى جريدة الاهرام ، وامهره باسمه ، ولكن يبدو ان محرر الجريدة خلط بين اسمى محمد صبرى ، واسماعيل صبرى ، فنشر القصيدة بامضاء اسماعيل صبرى باشا الذى كان آنذاك من كبار شعراء مصر ، وكبار موظفيها اذ كان مستشارا لمحكمة الاستئناف ثم وكيلا لوزارة العدل ...

وفوجىء الشاعر الكبير ، بنسبة هذه الابيات له ، وفى نفس يوم نشرها تلقى برقية تهنئة من احمد شوقى امير الشعراء ، وكان فى الاسكندرية بمصطاف ، ومضى بعد ذلك « محمد صبرى » الشاب الصغير الى اسماعيل صبرى باشا فلقيه فى حديقة قصره ، فلما اهل عليه ، وقف فاتحا ذراعيه ليتلقى بينهما هذا الشاعر الموهوب ، الذى ارتقى شعره الى مرتبة الشعراء الفحول .. وضمه اليه وهو يصيح ترحيبا وابتهاجا : «ان مستقبلك واسع! واسع ... »

ولست ادرى ماذا كان يمكن أن يقوله الشاعر الكبير ، لو امتد به العمر ، ورأى (صبرى) مغمورا منسيا ، ولو علم ان الذين شيعوا جثمانه الى قبره لم يزد عددهم على اصابع اليدين ، ليس فيهم من يمثل هيئة او جهة رسمية من جهات الفكر والتعليم والصحافة التى يعمل فيها كلها .

اتم محمد صبرى تعليمه فى مصر ثم سافر الى فرنسا ، ليحصل على ليسانس السوربون ثم ليحصل على (دكتوراه) الدولة من الجامعة الشهيرة ذاتها برسالة

شخصيات ومواقف في دنيا الأدب

عن ميلاد القومية المصرية ، فكان اول عربي يحصل على هذه الشهادة المنيعة

وانفجرت ثورة سنة ١٩١٩ ، وسافر وفد برياسة سعد زغلول ليعرض ظلامة مصر على مؤتمر السلام بفرساى بجوار باريس فسدت السبل في وجه الوفد وردت امانته كل ما أرسله الوفد المصرى من مذكرات وعرائض ، ردت اليه دون ان يفض مظروفها .. واتجه الوفد الى الرأى العام ممثلا في الاحزاب والصحف واحتاج الى كاتب يعرف الفرنسية ، ويعلم تاريخ مصر الحديث ، فكان ذلك هو محمد صبرى الذى الف كتابا من جزءين عنوانهما الثورة المصرية .صدر اولهما في سنة ١٩١٩ والثانى في سنة ١٩٢١ ، كما نشر في سنة ١٩٢٠ كتابا اخر بعنوان « المسألة المصرية » ، وقد اثنت الصحف الاجنبية على هذه الدراسات العلمية السياسية التاريخية الاصيلةبالوثائق ، المعززة باكبر المراجع، المسوقة في اسلوب علمى حار وامين .

ثم توالت كتبه الوطنية التاريخية بعد رسالة الدكتوراة التى قدمها للجامعة سنة ١٩٢٤

ولما كلف الملك فؤاد المؤرخ الفرنسى « هانوتو » أن يضع كتابا في موضوع تاريخ مصر في القرن التاسع عشر ،حفزه ذلك لان يتجه هو الى تأليف كتابين عن الامبراطورية المصرية في عهد محمد على واسماعيل في الجانب الشرقى من افريقيا ، وطاف عواصم أوروبا،على نفقته الخاصة ، باحثا عن الوثائق ، بعد أن قرأ وثائق قصر عابدين التى كانت باللغة التركية مستعينا بصديقه سامى السراج الصحفى السورى الذى كان يتقن التركية . وقد تلقت المحافل الجامعية في اوروبا هذين المجلدين بأعظم عبارات التقدير والترحيب

ولما عرضت قضية مصر على مجلس الامن سنة ١٩٤٧، كلف النقراشى باشا الدكتور صبرى بوضع كتاب عن « السودان المصرى » فخرج الكتاب آية من آيات العمل العلمى واثرا من آثار الوطنية المستنيرة وليس في الوسع أن نتعقب جميع آثار « الدكتور محمد صبرى» التاريخية والادبية ، والتى بلغت أمهاتها ٣٢ مجلدا ضخما في كل فرع ودرب من دروب التأليف ، وقد أراد أن يتفوق على نفسه ، في سنيه الاخيرة بعد أن ضاقت عليه حلقات عزلته ، وشعوره بالاضطهاد ، وخوفه من المستقبل ، وتوقعه لكل شر ، بعد أن ضعفت اعصابه ، وساء رأيه في الناس اجمعين . . . فألف في هذه الفترة وما قبلها بقليل ثلاثة اجزاء من الشوامخ تناول فيها في سنة ١٩٤٤ « امرأ القيس » ، وفي الجزء الثانى : «الشعر الجاهلى خصائصه وأعلامه » ،وفي الجزء الثالث سنة ١٩٤٦ « ذو الرمة » وفي الجزء الرابع سنة ١٩٤٦ « ابو عبادة البحترى » فكانت هى الشوامخ ، وكان اسلوبه في النقد الادبى ، ومنهجه الذى التزمه في هذه الموسوعات الادبية ، تجديدا جديرا بأن يقام له من اجله النصب والتماثيل على أبواب كليات الاداب ، وفي دور العلم ، والبحث ...

ثم اضاف الى هذا الجبل الشامخ ، كتابه الفريد « الشوقيات المجهولة » في جزءين صدر اولهما سنة ١٩٦٠ والثانى في سنة ١٩٦١ ، فكانا معا ابتكارا يدل على ما في قلب محمد صبرى ، من حب متقدم لبلاده وادبه وشعرائها وتاريخها، وما الهمه هذا الحب من صبر على البحث ، وسهر في الدرس ، ثم قدرة على التعبير تبلغ حدا يأخذ بالالباب ، ويثير أعظم الاعجاب .

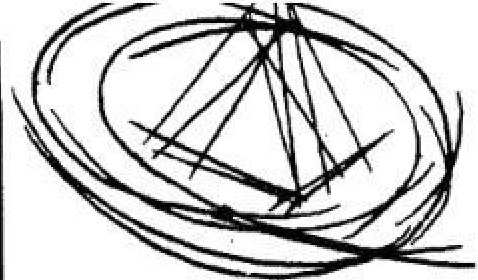
ولكن كل هذا الذى عمله محمد صبرى ، مضى مجهولا من اكثر الناس، ومن الصحف ، ودوائر العلم ،ولكنه لن ينسى قط ، فالاذهان والقلوب ستتلفت اليه ، وتقف أمامه ، وتطيل التأمل فيه والاعجاب به .

مرافئ الأهداب

● فوزى عطوى ●

لِمَنْ حُبِّى ، وشَــوقِى ، وانعطافِى
إذا لم تُوحِ عيناكِ القوافِى ؟
وأنتِ أرَقّ مَن لثَمَتْ جفُــونٌ ،
وأتفَرّ مَن تَدَثّر بانعطــافِ ؟!
ولِى قلب ــ حَنانَكِ الله ــ غِرٌ :
ولكنْ رائقُ الأحلامِ ، صَــافِى
تَشَــع بالأزاهرِ ، لا تَراعِى ،
وأولعَ بالأطايبِ ، لا تَخَــافِى !
تلفّتَ ، والجمالُ له مُبَــاح ،
فلَمْلِم الالتفــاتاتِ الدّوافِى
زلّا أن رددْتِ إليــهِ رشــدا ،
فأضحَى فيه سحركِ غيرَ خافٍ
سألتُ ، مُداعبا : يا قلبُ مَــالِى
أراكَ تميلُ فى غيرِ انحــرافِ ؟
عَهِدتُكَ لا تَقَرّ على ضَــفَافٍ ؛
فمالَكَ تَستريحُ على الضّفاف ؟!
تلفّتْ .. فالربيعُ المُشمِسُ تَقَى
فؤادى ، فاطمأنّ إلى الــكَفافِ !
وبســامةٌ : لولا شَــذاها ،
لأنكرتُ اشتياقى وارتشــافى
إذا ما رقرقَتْ صوتا ، تَــراءَى
شذَى الشوقِ فى ثغرِ السلافِ
تُرفرِفُ ، فالجنائنُ مونِقَــات ،
وتبسِمُ ، فالخمائلُ فى انعطــافِ !
حبستُ الطّيِّــبَ إلّا عن رفيف
تُتمنمه بأهــداب لِطَــافِ
فلولاها ، لمــا سلسلْتُ لَحنى ،
ولا أصغَيتُ بَوْحِى واعــترافى
لقد حطّمتُ أوثانى ، فأضحَتْ
تَنَزّلُ من فؤادى فى الشغافِ ؛

● فوزى عطوى ● ● بيروت ●



سر الحياة

● محمد الحديدى ●

● الاطباق الطائرة ليست سوى ظواهر جوية .. والاجسام المضيئة التى تظهر فى الليل ، او «يوفو» كما يسمونها ، ليست سوى اسراب من الحشرات تنعكس عليها اضواء الليل وتعطينا هذه التهيؤات . وليس هناك ادنى احتمال لوجود زوار من الفضاء الخارجى ، لان الانتقال من نجم لآخر (وليس من كوكب لآخر فالكواكب المعروفة لنا لا تصلح للحياة) يستغرق آلاف السنين .. الخ ، الخ ..

فهل هذه هى نهاية الاحلام ، فى الوقت الحاضر على الاقل ؟

لا يبدو أن الامر بهذه السهولة ، فهناك قائمة لا نهاية لها من هذه « النظريات » التى لم نعد نستطيع أن نرفضها أو نقبلها ، والبعض منها يدرس فى أرقى جامعات الغرب ، بل والشرق أيضا .. وفى ذات الوقت هناك الكثير مما ثبت انه مجرد خيالات يفرح بها الناس فى لهفتهم منذ آلاف السنين الى اكتشاف المجهول والاتصال باحبائهم الذين سبقوهم الى عالم آخر ، او الاحساس بأنهم ليسوا وحدهم فى هذا الكون الهائل المخيف والله اعلم اى الحالين افضل ، الى آخر هذه الامنيات العزيزة القديمة ..

لنأخذ «مجال الحياة» مثلا، أصحاب هذه الفكرة يبنون اعتقاداتهم على أن بعض الكائنات تستطيع أن « تحس » بوجود كائنات حية اخرى بالقرب منها دون أن تكون قادرة على تمييز ظواهر الحياة المعروفة : الحركة ، والتنفس .. الخ ، هناك مثلا نوع من الاسماك يعيش فى أنهار افريقيا الوسطى ، يسمى « جيمناركوس » ، هذه السمكة ضعيفة الابصار ضامرة العينين الى حد انها لا تميز بين الضوء والظلام ، وهى تتغذى على الاسماك الدقيقة والديدان المائية وتتعقبها فى عتمة المياه الحمراء بقدرة عظيمة على الاحساس بوجود هذه الفرائس المتناهية الصغر ، هذه الاسماك « ترى » بالكهرباء ، فعلى الرغم من انها عمياء ، فهى مزودة بمجموعة من العضلات التى تعمل على توليد شحنة كهربائية تسرى الى القطبين يرسلان دفعات كهربائية بمعدل ثلاثمائة نبضة فى الثانية ، فى كل نبضة منها يكون ذيل السمكة قطبا سالبا بالنسبة لراسها وتعمل كأنها قضيب مغناطيسى مكونة مجالا له خطوط

● هل صحيح أن كل كائن حي تحيط به هالة كالمجال المغناطيسي - هي مجال الحياة ؟!

● هل صحيح أنك إذا قطعت جزءا من ورقة شجرة فإنه توجد طريقة لتصويرها فوتوغرافيا بحيث يظهر فيها طيف الجزء المقطوع ؟!

● هل صحيح أنك إذا صنعت أنموذجا دقيقا لهرم خوفو ووضعت فيه شفرة حلاقة صدئة ، فإنك في الصباح تستطيع أن تحلق ذقنك بها ؟!

● هل صحيح أن في الفضاء ثقوبا سوداء تلتقط أي شيء يقترب منها فتختفي إلى الأبد لأنه من خلالها ينتقل إلى عالم آخر ؟!

قوى تنبعج حولها كخطوط الشمامة او كوز انعسل ، فاذا كان الفراغ المحيط بها كله ماء ظلت خطوط القوى متماثلة، اما اذا اقترب منها اى جسم - حيا كان أم ميتا - فان هذا يؤدى الى تحريف خطوط القوى ثم الى تفاعل عصبى سريع يمكنها من أن تتجنب الاصطدام بالاجسام الصلبة ..

الى هنا والأمر عادى فالخفاش « يرى » باذنيه ، يرسل موجات لا نسمعها نحن ويلتقطها كالرادار ،وبذلك يستطيع أن يطير بسرعة عظيمة قريبا جدا من الحوائط والسقوف ، ولكن السمكة الافريقية لا تكتفى بذلك ، فهى تعرف فريستها بالتفاعل المغناطيسى بينها وبين مجال الحياة لهذه الديدان أو الاسماك الصغيرة ،وهى تهملها اذا كانت ميتة وتتعقبها اذا كانت حية ، مع انها فى كلتا الحالتين لا تتحرك ، واذا تحركت فانها تكون أبعد من أن «يحس» بها المجال المغناطيسى المحيط بالسمكة ... التفسير الوحيد يبدو انها تلتقط الاشعاع الكهربائى من مجال الحياة ..

● الحياة والكهرباء ●

وبينما تتفاوت الكائنات الحية فى درجة « الكهرباء » ، فانه من المعروف أن الأحياء المائية اكثر اعتمادا على الكهرباء العصبية والعضلية من كائنات البر لأن الماء اجود توصيلا من الهواء مما يستلزم جهدا كهربائيا عاليا خارج حياة البحر ، ولكن لا يمنع أن كل صورة من صور الحياة تنشىء حولها مجالا كهربائيا ضعيفا يختفى بمجرد « موت » هذا الكائن .

وقد جرب باحث فى جامعة «ييل» ان يستمد طاقة كهربائية من مجال الحياة الذى يحيط بحيوان السالامانلر، وهو حيوان بر مائى صغير ،جعله يسبح فى حوض من الماء المالح وادار حوله طبقا معدنيا بطريقة تشبه دوران الموصل الكهربائى فى المجال المغناطيسى وسرعان ما تولد تيار ضعيف ، لا يتولد عند اخراج السالاماندر من الحوض ..

بل ان المرض بداء يهدد الحياة - قد وجد انه يؤثر على مجال الحياة ، حتى فى مراحله الاولى ، ولكن العالم المذكور - واسمه هارولد بير - لم يستطع ان يثبت ان التأثير على هذا المجال يؤدى الى تغيير فى الحياة الفيزيائية او الباثولوجية للكائن ، وبذلك انهارت دعواه القائلة بان مجال الحياة هو الروح وان هذا المجال يبقى بعد الوفاة الجسدية ولكن هارولد بير مضى فى تجاربه ليثبت ان مجال الحياة شىء له وجود مستقل عن عالم الفيزياء المادية ، وان يكن كهربائيا فى طبيعته ، وامكنه ان يثبت ان مؤثرات هذا المجال بيولوجية فى المقام الاول ، واشترك مع احد اطباء التوليد فى تجربة على مائة سيدة اثبت بها العلاقة بين مبادىء سرطان الرحم - وهو مرض يهدد الحياة وقياسات مجال الحياة ، حتى قبل ان تصبح اعراض المرض واضحة .

ويقاس المجال بالفولتميتر « مقياس الجهد الكهربائى) ولكنه لا علاقة له بالموجات المخية او النبضات التى تستخدم فى رسم القلب الكهربائى ،وان كان لا يزال ممكنا ان يكون مجموع كل

الظواهر الجسدية ذات التأثير الكهربائي أو الكيميائي ، ويمكن الاحساس به دون الحاجة الى التلامس مع الجسم الحي ، واذا كان الانسان – مثلا ؟ – في صحة جيدة تماما ، فان الارتفاع والانخفاض في الجهد الكهربائي لمجال الحياة يكونان على درجة من الانتظام تمكن من التنبؤ المبكر بأي اختلال في المستقبل ، وبالتالي بامكان ادلال هذا الشخص على الاوقات المناسبة أو غير المناسبة لأي عمل يقوم به ، بعبارة اخرى « بخت » هذا الشخص ..

وبينما يصعب أن نربط مقياس الفولت الكهربائي على جسم انسان لعدة شهور ، فان كائنا حيا كالشجرة لن يعترض كثيرا على مثل هذا الاجراء ، وقد اجريت هذه التجربة على شجرة سنديان واستمرت ثلاثين سنة ، واظهرت مدى تأثر الكائن الحي بكهرباء العواصف الرعدية ، وانه حتى الشجرة تتأثر بدورات الشمس والقمر سواء اليومية منها أو الشهرية ، ومن المعروف ان طلوع الشمس والقمر والكواكب يحدث تغيرات في مغناطيسية الكون المحيط بنا ، مما يؤثر على المجال المغناطيسي للارض ، وبالتالي فان مجال الحياة المحيط بالكائنات الارضية يتأثر بكل هذه الظواهر ، مما يوجب القليل من التروي قبل ان نرفض نصائح الفلكيين وتنبؤاتهم ! .

وقد كان يمكن أن نصبر قليلا على العلماء الذين يقولون بأن مجال الحياة هو الروح لو انه – هذا المجال – كان يبقى بعد موت الجسد ، ولكن الذى استطاعوا أن يثبتوه لا يعدو وجود المجال مع وجود الحياة الجسدية ، ولكن الحقيقة تبقى وهي ان سمكة « جيمنار كوس » التي سبق ذكرها لا تستطيع أن تميز بين فريسة ميتة وانموذج شمعي يشبهها ، كلاهما خال من الحياة .

والعلاقة وثيقة بين الحياة والكهرباء ، وهي تفسر تأثر الحياة على الارض بالاحداث التي تقع خارج المجموعة الشمسية . فالى جانب الضوء الذي يأتينا من النجوم ، هنالك قدر من الطاقة يأتي على هيئة اشعة كونية ذات ذبذبة عالية جدا وموجات قصيرة جدا ، اغلب هذه الاشعاعات يمتص في الغلاف الجوي وتستهلك بعض طاقته في تحويل ثاني اكسيد الكربون الى كربون ١٤ ذي النظائر المشعة التي تخترق كل الاجسام الحية والتي يمكن بها تقدير اعمار الحفريات . اما بقية الطاقة التي تأتي مع هذه الاشعاعات الكونية فتعمل على « تأيين » الهواء ، او تقسيم غازاته الى ذرات تحمل شحنات كهربائية ، وهذا هو الغلاف الذي يحيط بالارض على ارتفاع حوالي مائة كيلومتر ويسمى الغلاف الايوني ، وهو الذى يعكس الموجات اللاسلكية ويمكننا من استقبال الاذاعات ذات الموجة القصيرة من أماكن بعيدة ، فهي تصطدم بهذا الغلاف غير المرئي راجعة الينا بدلا من ان تعوقها كروية الارض .

جزء من هذا الهواء « المتأين » ينساب الى الهواء المحيط بنا ويأتي على هيئة « أوزون » وهذا اكسوجين تتكون جزيئاته من ثلاث ذرات بدلا من اثنتين ، احداها سهلة الانفصال ، ومن هنا يأتي تأثيره القاتل على البكتريا التي لا تحتمل الذرة المنفصلة التواقة الى الاتحاد الكيمائي الفوري ، ويمكننا أن نشعر بوجود « الاوزون » في الجو عندما يتوفر ، فله رائحة منعشة تشبه رائحة البحر ، ولكن المهم هو ان الهواء « المتأين » قد تحمل ذراته شحنات كهربائية موجبة او سالبة ، كثرة الموجب تشعر الانسان بالانقباض ، والعكس بالعكس ..

مثل هذا التغير يدل على ان مجال الحياة لكل انسان يتأثر بنوع الشحنات الغالبة على الهواء « المتأين » ، ويقول العلماء الذين يحبون هذا « الموضوع » ان مجال الحياة يتأثر بالقمر – كما

سبق – وبما يحدثه من تغيير في المجال المغناطيسي للأرض ، هذا التغيير يحول شحنات مجال الحياة عند اكتمال القمر وارتفاعه الى شحنات موجبة ، يؤدى هذا الى اجتذاب المزيد من الشحنات السالبة الى اجسامنا وبالتالي الى حالة « اغتباط » فجائية قد تكون هي السبب في الاعتقاد القديم بان النوم في ضوء القمر يسبب الجنون ، وفي اتخاذ كلمة « ليوناتيك » وهي انجليزية للدلالة على نفس الشيء ، ومعناها « قمري » – كما قد يكون في هذا ايضا تفسير لظاهرة تزايد الاستعداد للنزف عند ارتفاع القمر ، ويذهبون الى حد ايجاد العلاقة بين ظواهر الحيض عند الاناث وكون هذه الدورة قمرية ايضا، كائنا ماكان الامر، فنحن جزء من هذا الكون الكبير وكل شيء فيه ، مهما كان الفاصل الزمني او المكاني بيننا وبينه ، له علينا تاثير اشد واوثق مما نعرف .

● الاستجابة الذبذبية ●

اذا اتينا بشوكة رنانة من النوع الذى يستخدم في معامل الفيزياء لاجراء تجارب الصوت ، وطرقناها فانها تهتز بذبذبة معينة ، فاذا قربناها من شوكة اخرى مماثلة لها فانها ستهتز استجابة للذبذبة الاولى وبتاثير انتقال طاقة الذبذبة عن طريق الهواء ، وهكذا فان حشرة دقيقة تقف على الشوكة الثانية وتكون صماء او غير قادرة على الاحساس بالصوت المنبعث من الشوكة الاولى ، سوف « تحس » بما يحدث في عالم اخر يخرج عن طاقتها وقدرتها على الادراك .

اذا كان هذا يحدث لنا فهذا هو ما نسميه « الخوارق » او « الميتافيزيقا » وهو التفسير العلمي للكثير مما نظن انه خرافة ، وهو ليس الا نتائج لمسببات بعيدة عنا ولا يمكننا ان نعرفها او نوحد العلاقة بينها وبين النتائج المترتبة عليها. وهناك اشعاعات وذبذبات تاتى من بعيد لا يمكننا ادراكها ولكنها تحدث فينا آثارا هائلة، كل هذه الامور: السحر وغير ذلك من الخزعبلات قد يكون لها تاثير علمي لا نعرفه ، ناهيك بالارواح والاشباح والعفاريت . . . الى آخر هذه القائمة الطويلة .

● الهرم ، ما هو ؟ ●

كلنا نعرف الهرم على انه هو هذا الاثر الهائل القديم الذى يقع في نهاية هذا الشارع الطويل المعروف اسمه والملىء الان بالملاهي والكباريهات

وقد زار الهرم الوف الملايين من الناس ، منهم فرنسي يدعى «بوفيس» صعد الى غرفة الملك خوفو في عز النهار والحر، وهي تقع على مسافة من قاعدة الهرم تساوى ثلث ارتفاعه بالضبط ، ولاحظ ارتفاع نسبة الرطوبة داخلها، وانه برغم الرطوبة فانه حتى آثار الفسيخ وغيرها من الزبالة ، وقطا او فارميت تصادف وجوده اذ ذاك – كل هذه الاشياء لم تتلف بالسرعة المعتادة، بل تحنطت كالمومياء ، خلاصة القول ان هذا السائح بدأ يحاول ايجاد العلاقة بين الشكل الهرمي وقدرة المصريين القدماء على التحنيط . وبالتالي بين الهرم والتاثيرات الكونية ...

يقولون ان العالم الفرنسي صنع انموذجا للهرم ، ووضع بداخله قطا ميتا ، في ثلث ارتفاعه اى في موضع غرفة الملك في هذا النموذج نجحت التجربة ، اذ تحنط القط بفعل التاثير السريع لجفاف الجثة والذى ياتى من تفاعل الشكل الهرمي مع الاشعاع الكوني .

وسرعان ما تلقف النظرية عالم تشيكي يدعى «كاريل دربال »، واعلن ان «هناك علاقة بين شكل الهرم والتاثيرات الفيزيائية والكيمائية والبيولوجية التى تجرى فيه ، وانه باستخدام الاشكال الهندسية المناسبة يتسنى اسراع أو ابطاء هذه التاثيرات » .

ولما كانت هناك خرافة تقول ان وضع شفرة حادة في ضوء القمر يجعلها تفقد

حدتها ، فقد جرب « دربال » هذا في هرمه ، ولكنه لم يحدث ، فجرب العكس ، اخذ يحلق بها الى ان «تلمت» (والامواس في بلاد الكتلة الشرقية لا تحتاج الى جهد كبير للوصول الى هذه النتيجة على اية حال ، فهي « تلمة » من نفسها) ثم تركها لفترة داخل الهرم فاذا بها تصبح حادة . ولما كان الحصول على شفرة حادة في بلد اشتراكي بالصعوبة التي اشرنا اليها فان سعادة السيد « دربال » لم تكن مقصورة على الكشف العلمي ، ولكنه عمد على اية حال الى تسجيل اختراعه العظيم ، وللذين لا يصدقون ، فهو مسجل تحت رقم ٩١٣٠٤ لسنة ١٩٥٩ جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية .

يقال في تفسير هذه الظاهرة ان حافة الشفرة لها تركيب معدني بللورى ، الى هنا والامر معقول ، والبللورات تشبه الكائنات الحية من حيث انها « تنمو باعادة التكون » . وبينما تنتشر اشعة الشمس في كل اتجاه ، فانها عندما تنعكس على وجه القمر تاتى «مستقطبة» اى تتذبذب في اتجاه واحد ، هذا قد يفسر اتلافها للشفرة الحادة ، اما اصلاح الشفرة التالفة فقد يكون نتيجة لان الشكل الهرمي يستقبل اشعة القمر ويركزها على حافة الموسى ، مما يؤدى الى اعادة شحذ الموسى ! ..

اذا أردت أن تجرب ، فما عليك الا أن تصنع انموذجا من ورق مقوى ، اقطع أربعة مثلثات متساوية الساقين بحيث تكون نسبة القاعدة الى الضلع ١٫٥٧ الى ١٫٤٩٤ باى مقياس تريده ، الصقها لتكون الهرم وستجد ان ارتفاعه يصبح ١٫٠ بالضبط بنفس المقياس الذى استخدمته . ضع الهرم بحيث تتجه خطوط القاعدة الى الشمال والجنوب المغناطيسيين ، والى الشرق والغرب بالنسبة لضلعي القاعدة المتعامدين ، ضع الشفرة على قاعدة بداخله على ارتفاع ٣٫٣٣ وحدة من سطح الارتكاز ، وبحيث يكون الحدان المرهفان في ناحيتي الشرق والغرب .

ابعد التجربة عن المؤثرات الكهربائية ، ستجد في الصباح انك وفرت ثمن موسى جديدة .. انا شخصيا لم استطع اجراء هذه التجربة رغم قراءتي عنها في مصادر عديدة ، لانى لا استخدم نوع الامواس الذى يصلح لذلك .

● الأطياف ... ●

العين الآدمية تحس بالضوء في مدى ذبذبة تتراوح بين ٣٨٠ و ٧٦٠ ميلليميكرون « وهو واحد على الف مليون من المتر » ولكن بمساعدة وسائل اصطناعية شديدة الحساسية يمكننا توسيع مجال الرؤية ليمتد خارج مجال الطيف المعروف ويشمل الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، وهناك طريقة في التصوير « الترموغرافي » ، تلتقط الاشعاع الحرارى على هيئة الوان رائعة ، فاذا صورت انسانا ، فان الشعر والاظافر تاتي سوداء او زرقاء بينما تجد الاذنين خضراوين والانف أصفر لانه دافىء قليلا ، اما الخدان والرقبة فحمراء او برتقالية ، هذا النوع من التصوير يستخدم في بعض انواع الاورام والالتهابات المفصلية ولكنه أيضا يستخدم في تصوير « الهالة » .

ويرجع القول بوجود « هالة » حول الاجسام الحية الى سنة ١٩١١ عندما اعلن عالم انجليزى يدعى والتر كلنر انه استطاع بمساعدة وسائل مشابهة أن يرى الهالة الدالة على الحياة وانها تتخذ شكل « اشعاع » سمكه ١٫٥ سم ، وانها ـ هي أيضا ـ تتأثر بالحالة الصحية ، لأن الحالة الصحية تدل على درجة الحياة . ويقال أن الحيوانات التى تجيد الرؤية في الليل تستطيع أن ترى هذه الهالة ، هذا هو الذى يجعل البومة مثلا تكتشف الجرذ الصغير باسهل مما تعثر على قطعة لحم اكبر منه ، رغم حبها لها ، وهذا أيضا هو

السر في ان اهل السحر مغرمون بالبوم والقطط .

ويقولون ايضا انهم اخترعوا نظارة يستطيع من يلبسها أن يرى الهالة ، والاستاذ الامريكى الشهير « كارلوس كاستانيدا » صاحب المؤلفات الاكاديمية العديدة في موضوع السحر ، يقول ان « دون جوان » ، وهو استاذه المكسيكى الغامض ، يرى الناس على هيئة اجسام بيضاوية بيضاء ، وهو قد يجلس في محطة اوتوبيس ويرقب هذا البيض الابيض الكبير يروح ويجيء ، وعندما يرى شخصا عاديا ، يعنى على الصورة التى نرى نحن بعضنا البعض عليها ، فانه يعرف انه يرى شخصا غير عادى اطلاقا .!

وفي الاتحاد السوفييتى ، وبرغم المادية الجدلية واعتبار انه حتى قصيدة الشعر ليست الا انتاجا لتفاعل بيوكيمائى في قطعة من المادة هي مخ الشاعر .. تجرى ابحاث لا تكل للكشف عن شيء هنا او هناك ، في عالم الميتافيزيقا الساحر .. والمصور الشهير سيميون كيرليان ، سوفييتى من اصل ارمنى ، اخترع طريقة في التصوير سنة ١٩٣٩ تفرق بين المادة الحية والمادة الصماء ، يقول الرفيق كيرليان : « ان الاجسام الحية تبعث اشارات تدل على الحياة ، نحن نبعث هذه الاشارات ولكننا لا نستطيع ان نتلقاها الا بمساعدة الاجهزة ، واجهزته عندما تلتقط صورة لورقة شجرة خضراء ، فانها تأتى نابضة بالحياة ، فاذا اقتطع منها جزء ثم اعيد تصويرها فان « طيف » الجزء المقطوع يظهر في الصورة الجديدة !.

اما ثقوب الفضاء ، فهى المنفذ الى عالم آخر ، لعله هو الذي تأتى منه كل هذه الالغاز .

● ثقوب سوداء في اعماق الفضاء ●

اذا كانت هناك اكوان اخرى ، فقد تتحد معنا في المكان ، وتظل خالية هنا بحكم اختلاف الذبذبة التى تمكن احدا ! – أو كلينا – من ادراك الآخر ، وقد لا تتحد ، وربما تعيش زمنا آخر .. الى آخر هذه الافتراضات القديمة ، فقط ان وجدت وسيلة للانتقال الى احد هذه الاكوان فانها قد تكون هذه الثقوب السوداء .

وهذا موضوع طويل في الحقيقة ولكننا نلمسه لمسا ، وهو يرجع الى النظرية العامة للنسبية ، عندما تندثر النجوم ، وتخبو حرارتها ، فان الغازات المحيطة بها تندفع مسرعة الى مركزها بحكم التقلص الهائل الناتج من البرودة . هناك في قلب النجم ، تتحطم كل هذه المادة ، كما يمسك الواحد منا بكيس من الورق في قبضته ثم يسحقه ويظل قابضا عليه الى أن يتحول الى كرة صغيرة في حجم البندقة بعد أن كان يسع عدة كيلو جرامات من الفاكهة ، هذا التقلص الذى يجعل نجما يصل حجمه الى ملايين او بلايين حجم الشمس «ينحصر في منديل» كما تقول «الفزورة» والواقع انه يصل الى ما يعادل جزيرة الروضة مثلا ، يؤدى الى زيادة عظمى في الكثافة نتيجة لان وزنا هائلا قد اودع في حجم صغير جدا ، **هذه الزيادة تعطى بقايا النجم هذه جاذبية تجعلها تمتص اي شيء يقتربمنها بحيث تنشق السماء وتبتلعه ولا يظهر منه أثر بعد ذلك ، حتى شعاع الضوء ، ينحرف الى ناحية هذه الهوة مختفيا الى الابد ..**

اين تذهب هذه الاجسام والاشعة ؟ نظرية النسبية تقول لنا ان هذا قد يكون هو الطريق الى زمن ومكان آخرين ، بعبارة اخرى ، الى عالم آخر ، ولما كان الفضاء مليئا بهذه « الثقوب » ، نتيجة لعملية « وفاة » النجوم وولادتها ، وهى عملية دائمة متتالية .. فكل شيء « ينقطع خبره » ربما يغوص في اعماق هذا المجهول . ولكن هذه قصة اخرى طويلة .. ●

هل للقمر تأثير خفي على الإنسان؟

● في سنة ١٩٧٥ وقعت الجريمة التالية :

كانت الساعة الثامنة مساء، وفي شقة هادئة كل ما فيها يدل على الرخاء والسعادة العائلية ، وقف رجل في الخامسة والثلاثين من عمره وكأنه ذاهل ينظر الى النافذة ، ثم يتقدم ويزيح الستار فيبدو قرص القمر في تمامه أمام عينيه .. وتتسع عيناه ويرتعد جسده ثم يرتد الى الوراء ويفتح درجا من ادراج مكتبه ويستخرج منه سكينا ، ويقف ...

بعد لحظات تدخل زوجته وتدهش لمنظره وتتقدم نحوه ...

ويمسك بالسكين ويسير نحوها وهو ينظر اليها بعينين جامدتين كأنهما قطعتان من زجاج أو كأنهما عينا ثعبان . ويسرى الخوف في كيانها وتتراجع والرعب في عينيها حتى يصبح ظهرها للحائط وزوجها يتقدم نحوها في خطوات رهيبة وقبل أن تصرخ ترتفع يده بالسكين ويضربها احدى عشرة ضربة .. وتسقط الي الارض دون أن تنطلق من فمها صرخة واحدة !

وبعد أن تتم الجريمة يقف ذلك الرجل واسمه جرهارد تسايف وتسقط السكين من يده ، ثم ينهار على اقرب مقعد اليه ، ثم يأخذ في البكاء ، ثم يأخذ في الصراخ والاستغاثة ! ....

ويدخل الناس ويرون هذا المنظر فيسرع هو ويأخذ السكين مرة أخرى ويضرب نفسه في صدره مرتين ، وثلاث! .. وينقض عليه الناس ويمسكون به ، ويأتي رجال البوليس ويأخذونه وهو في حالة اغماء ، وتحمله عربة الاسعاف الى المستشفى ... لسوء حظه لم يمت، كانت جراحه سطحية ، وعلى فراشه في المستشفى أخذ يدلي بأقواله ...

***

وبعد جهد ، قال جرهارد تسايف : انني آسف جدا .. لا أدري لماذا فعلت ما فعلت ... ان القمر هو المسئول ، انه القمر ..

وأكد الشهود الذي استدعاهم البوليس ان جرهارد رجل طيب هادىء المزاج ، لطيف العشرة ، ولكن احواله تتغير ويصبح صعب التعامل عندما يحل وقت اكتمال القمر ...

هنا أجمع الشهود جميعا على أن ذلك الرجل يتأثر بصورة ما بضوء القمر في ذلك الوقت فيكثر من التشاجر مع اخوانه ويسيء الى زوجته .



خلال عصور طويلة كان الناس يعتقدون ان تأثير القمر على الانسان خرافة من الخرافات .. ولكن تبين من بحوث العلماء ان ذلك ليس مجرد خرافة وانما هو حقيقة ، فان للقمر تأثيرا مباشرا على اجسامنا وعقولنا ، ويبلغ هذا التأثير الضاره عندما يكون القمر فى حالة البدر او وليدا .. هنا يحس بعض الناس ذوى المزاج الخاص بأحساسات قريبة من الجنون او الجنون نفسه !

وعنـــــدما فحص رجال البوليس « الاجندة » التى يدون فيها ملاحظاته ومواعيده ، لاحظوا أنه يعين أيام وصول القمر الى التمام بعلامة حمراء كبيرة .

ومن باب الاحتياط وحتى تتجلى حقيقة الموقف ، امر رجال البوليس بان يوضع هــذا الرجل تحت التحقيق والمراقبة فى مستشفى من مستشفيات الامراض العصبية ..

***

وحالة هذا الرجـل كانت غير عادية ولكنها لم تكن فريدة فى ذلك ، فـــان علماء الاجرام تبينوا انه فى الحـــالات التى يكون فيها القمر فى حالة البـدر او عندما يكون القمر هــلالا وليــدا ، يكون لذلك اثر مباشر على كثـير من الناس وخاصة ذوى الميول الاجرامية منهم ، فيلاحظ ان تلك الميول تنشط ويتحول رجل هادىء فى العـــادة الى شيطان غاضب غير متمـــــــالك نفسه ،لايدرى ماذا يفعل . والكثيرون من هؤلاء لا يتجهون بالذات الى القتل او العدوان على الاشـخاص ، وانمـا يتجهون الى ارتكاب اعمـال اجرامية مختلفة ، مثل اشعال النيران فى البيوت او تحطيم زجاج النوافذ وارتكاب أعمال السرقة ... بل لوحظ ان واحدا من هؤلاء فى ايام وصول القمر الى حالة البدر ،يقضى وقته بالليل فى تتبــع النساء والاطفال ومن لا يخشى خطره من الرجال ، حتى اذا انفرد بواحد منهم فى مكان منعزل انقض عليــه واذاه ، وكثيرا ما كان يكتفى بارهاب النــاس بالسير وراءهم متلصصا ! وعلى وجهه ابتسامة تدل على انه يستمتع بهذا النوع من الاعمال الاجرامية .

بل حدث كثيرا ان بعض الرجال ممن يجيدون قيادة السيارات تخطر فى بالهم فى ذلك الوقت افكار جنونية مثل توجيه السيارة فجاة نحو اناس ابرياء وقتلهم فى كثير من الاحيـــان . وعندما يقبض عليهم ويجرى التحقيق معهم يتبين انهم ارتكبوا هذه الافعال دون وعى ، ويبدو عليهم الاسف الشــديد لما فعلوا ، ثم يعودون الى الحالة الطبيعية تماما بعـد مرور فترة اكتمال القمر .

القتل فى ليالى القمر !

وقـد كتب مفتش بوليس امـريكى

يسمى ويلفرد فاوس المفتش في بوليس فيلادلفيا بالولايات المتحدة تقريرا عن هذه الظاهرة جاء فيه : « ان القوة العاملة في فرقة البوليس في النقطة التي أعمل فيها تبلغ سبعين موظفا ، مابين شرطي ومفتش ومحقق ، وهؤلاء جميعا يؤكدون انه عندما يكون القمر في حالة البدر تكثر حوادث الاجرام بالليل . فتتوالى علينا البلاغات الخاصة بعدوان بعض الرجال على النساء واختطاف الاطفال والبنات وقتلهم في الغابات . وحوادث اشعال الحرائق والسرقات من المحلات التجارية والافراط في السكر وما يؤدي ذلك اليه من أعمال العربدة والاخلال بالامن » .

ويذكر الناس السفاح الانجليزي المعروف جون كريستي الذي قتل سبع نساء وطفلا ووضع جثث ضحاياه في دولاب حديدي أعده خاصة في بيته ، وقد تبين أن هذا الرجل قام بجرائمه دائما ، في الاوقات التي كان القمر فيها في حالة البدر ، وكانت نتيجة ذلك انه لمدة سنوات حذرت نساء لندن من الخروج في الليل والسير في الشوارع المقفرة .

وجدير بالذكر أن معظم شوارع لندن في الاحياء السكنية تكاد تخلو من المارة في الليل ، وهذه الظاهرة تعتبر من الظواهر التي تشجع هذا النوع من الناس على اقتراف جرائمهم ، لان خلو الشوارع والاطمئنان الى ان الواحد منهم يستطيع ان يفلت من العقاب اذا اقترف جنايته في شارع مقفر ، فيضرب ضربته سريعا ثم يسرع بالفرار ، وقد تبين من التحقيقات أن امثال هؤلاء الاشخاص يكونون في ذلك الوقت غير مسيطرين على افعالهم اي انهم يقدمون على مايقدمون عليه تدفعهم الى ذلك قوة غلابة لا يستطيعون مقاومتها .

وتسجل دفاتر اسكتلنديارد أن شخصا آخر من ذلك النوع يسمى وليام بارلت قبض عليه وهو مختبيء خلف سور حديقة عامة في ناحية كرديون يترقب مرور أي شابة منفردة لكي ينقض عليها ، وقد تمكن من فعل ذلك عدة مرات في نفس الموضع حتى كمن له البوليس وقبض عليه بعد أن اعد له كمينا ، وقد تحرى رجال البوليس ان يكون الكمين وقت اكتمال القمر .

وتسجل دفاتر قسم بوليس سنترال بارك في نيويورك بأن رتشارد فايس قتل زوجته في ليلة من ليالي القمر ، وعندما سئل في التحقيق تبين انه لايعرف السبب الذي دفعه الى ارتكاب هذه الجناية وقتل زوجته التي قال انه كان يحبها حبا حقيقيا وقد ثبت ذلك بالفعل من أقوال الشهود ، ولم يحدث بينهما ما يؤدي الى وقوع مثل هذه الجريمة المروعة .

القمر والجريمة !

وقد اتفقت أقوال علماء الاجرام وعلماء النفس على أن هناك علاقة وثيقة بين أوجه القمر والجريمة ، وقالوا ان بعض الناس يتأثرون تأثرا واضحا بالقمر وما يمر به من حالات ووجوه .

وقد تبين من دراسة قام بها قسم بحوث الجرائم في لندن انه من بين ٦٢ جناية اقترفت في الليل وقعت ٣٧ منها في الوقت الذي كان فيه القمر بدرا ، و ١٨ عندما كان القمر وليدا ، ولم يستطع الباحثون والعلماء معرفة السر الذي يربط بين القمر وهذا التغير النفسي الذي يصيب بعض الناس. فمن بين ١٩٤٩ جريمة قتل وقعت في ١٤ سنة في ناحية من نواحي فلوريدا ، تبين أن معظمها وقع والقمر في حالة البدر ، وقد حاول عالم النفس الامريكي الدكتور ليبر وصاحبه الدكتور س . ر شيرين كشف النقاب عن السر الذي يربط بين القمر والجريمة ــ فلم يصلا الى نتيجة .

القمر والانتحار

وفي احصاء أجري في المانيا الاتحادية تبين أن نحو مائة الف انسان يحاولون في كل عام قتل أنفسهم في ذلك الوقت وقد نجح منهم ١٢ الفا في قتل انفسهم أما الباقون فلم يوفقوا .



السفاح المشهور جون كريستى عندما قبض عليه بوليس لندن سنة ١٩٥٠ بعد ان اقترف ثماني جرائم قتل سبعة منها قتل فيها نساء والثامنة قتل صبيا، وكان يخفى جثث ضحاياه فى دولاب حديدى أعده خاصة فى بيته ،وكل هذه الجرائم وقعت بتأثير القمر ! ..



هذه السيدة تسمى السيدة داويش ،وهى تمسك بصورة زوجها ولم يبق لها منه الا هذه الصورة ، لان ذلك الرجل اختفى اثناء زواجه منها سبع مرات لمدد تتراوح بين اسبوع واسبوعين متأثرا بالقمر ؟ وفى المرة الثامنة اختفى ولم يعد ، ووجد بعد ذلك مقتولا !

وعند بحث حالاتهم تبين انهم هم أنفسهم لا يدرون ما الذى يحدث لهم فى ذلك الوقت ، وكل ما استطاع الباحثون الوصول اليه هو أن القمر يؤثر تأثيرا واضحا على كثير من الناس فى الوقت الذى يكون فيه القمر بدرا أو وليدا .

فبعض هؤلاء الناس يفقدون السيطرة على أنفسهم ، وبعضهم يتحول الى شخصيات تختلف تمام الاختلاف عن طباعهم المعهودة فيهم ، وفى كثير من الحالات لا يصل الامر الى حد الجريمة او اقتراف السرقة أو محاولة الانتحار ، بل يقتصر على أن يحس الانسان المتأثر بالقمر بأن حالته غير طبيعية وانه لا يسيطر على نفسه السيطرة الكاملة ، بل هناك نفر من اولئك الناس تعودوا اذا جاء وقت البدر واحسوا تغيرا فى احوالهم أن يذهبوا الى المستشفيات النفسية ويطلبوا قضاء بضعة أيام فيها حتى تزول عنهم هذه الحالة ..

***

وقد ذهب العالم البيولوجى الانجليزى دزموند موريس الى أن هذا الجنون القمرى بقية من بقايا عهد التوحش القديم عندما كان الانسان يعيش فى الغابات أو يسكن الكهوف ، وكان هناك رجال لا يملكون الشجاعة للحصول على النساء بقوة الرجال كما كان الانسان الوحشى يفعل، وكانت فرصتهم الوحيدة هى أن يكمنوا للنساء بالليل ، فى الليالى المقمرة حتى تكون لديهم الشجاعة على الانقضاض عليهن لانه عندما يكون القمر غائبا تماما يصاب هذا الطراز من الرجال بالخوف فلا يجرؤون على الخروج من الكهوف والسير وحدهم .

***

ولا يقتصر هذا الاثر على الرجال بل يمتد الى النساء ايضا فقد لوحظ أن الكثيرات من النساء تتغير احوالهن النفسية وينقلب مزاجهن عندما يكون القمر وليدا أو بدرا .

واذا كان النساء لا يلجأن الى الجريمة العنيفة فانهن يعانين فى ذلك الوقت تغييرا فى المزاج وميلا الى العدوان وسرعة الى الغضب ، وبعضهن يكثرن البكاء أو الضحك وتصاب حالاتهن بتغيرات عنيفة

وكل ذلك من تأثير القمر ، بل لوحظ ان بعض الازواج تأكدوا من أن زوجاتهم تصبحن عصبيات العشرة فى ذلك الوقت فيجتهدون فى تحاشيهن .

ح . م .

العلاقات الثقافية بين مصر والسودان

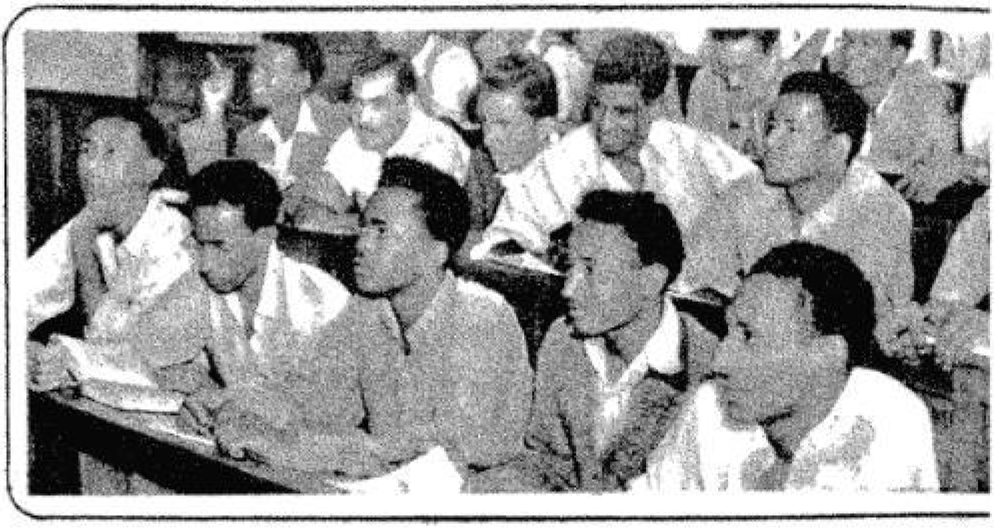
● يوسف الشاروني ●

● بحكم الموقع الجغرافي اشتركت مصر والسودان في أسباب الخصب وأسباب الجدب : النيل والصحراء ، هذا قدرنا بها ، وترتبت على هذه الاسباب الطبيعية أسباب مكتسبة على مر التاريخ ، أسباب تتصل بالوجدان وأخرى تتصل باللسان ، هما الدين واللغة ، وهكذا أصبح المعلول علة ، فصارت العوامل المكتسبة تؤكد ما سبق أن مهدت له عوامل الطبيعة .

ولقد كانت العوامل الثقافية هي التي مهدت لتلك العوامل المكتسبة ، فالسودان في ماضيه القديم - كما يقول محمد أحمد محجوب في كتابه « الحركة الفكرية في السودان » - قد تأثر بالثقافة الفرعونية وثقافة البطالمة - وهي في جملتها ثقافة يونانية - وبثقافة الرومان ، كما تأثر بالثقافة العربية أولا عن طريق الهجرة ، وأخيرا عن طريق الغزو والفتح (محمد أحمد محجوب ، الحركة الفكرية في السودان ، ط ١ ، المطبعة التجارية الجديدة ، الخرطوم ، ١٩٤١ ، ص ١٠١) .

كما يقول ان الجيل الجديد من أبناء هذه البلاد وخاصة من تمخضت عنها ثورة عام ١٩٢٤ رأوا حاجتهم الملحة الى زيادة معلوماتهم ، فكان أول خطوة خطوها أن اقبلوا على قراءة ما تخرجه المطابع المصرية (المرجع السابق ص ١٠) .. لقد تأثرت هذه البلاد بالثقافة الغربية والانجليزية منها بوجه خاص ، كما تأثرت بالثقافة العربية والمصرية منها بوجه خاص (المرجع السابق ص ٢٣) . وكان للأساتذة المصريين والسوريين الذين أتوا هذه البلاد بعد الفتح في المعاهد الحكومية أكبر الفضل - ونحن نقول أكبر الدور ، فلا فضل هنا - في انتشار آداب اللغة العربية وتعميم أسلوب النشر الحديث (المرجع السابق ص ٣٠) . وكما تأثر النثر بالنهضة التى ظهرت في الشام ومصر كذلك فقد تأثر الشعر وظهر جيل جديد من الشعراء .

كما أعلن الشاعر محمد محمد على (١٩٢٢ - ١٩٧٠) في كتابه « محاولات في النقد » ان العلاقات الثقافية بين السودان ومصر - بل بين العالم العربى



– امر طبيعى لاكثر من سبب وذلك « لاعتقادنا جميعا اننا نرجع الى امة واحدة ، واننا اصحاب تاريخ مشترك ، فيه ما يسرنا ويبهجنا ، وفيه ما يسوؤنا ويخجلنا . وقد عشنا جميعـا تحت ظروف متشابهة ، عشنا فترة من الزمن تحت نير الاتراك وحكمهم الذى قضى على جميع مقوماتنا المادية والمعنوية ، وكنا جميعا نستقى من معين الثقـافة العتيقة ، التى احتضنها الازهـر ، ثم حركنا الاستعمار الاوربى وافسد حياتنا ، وخلق لنا مشاكل اقتصادية واجتماعية جعلت من اوطاننا مسرحا للرذيلة والخيانة والجهل والمرض والزعامات الفاسدة .

ثم مسنا طائف من اليقظة ، فاخـذنا نجمع شتات انفسنا ونذود عن اوطاننا ونفك قبضة الاستعمار من رقابنـا . فدخلنا جميعا فى صراع مع الاستعمار والاوضاع الفاسدة ، واخذنا نحـلم بالحرية والانطلاق من القيود ، ونحلم بالحياة السعيدة الخصبة ، وبدانا ننقى ثقافتنا من اوضار المـاضى ، ونستقبل التيارات الثقافية التى ترد علينا مـن العالم المتحضر المثقف ، ونحاول جهدنا ان نوفق بينها وبين ثقافتنا الموروثة ، واوضاعنا المحلية .. كل هذا يجعل من الطبيعى ان يكون بين ادبنا وادب هؤلاء القوم ، بل سيكون ادبنا كاذبا اذا لم تكن بينه وبين هؤلاء القوم مشابهة ، ومشاكلة »" (محمد محمد على ، محاولات فى النقد ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٠ – ١٣١) .

***

ولقد بدات الاتصـالات الثقافيـة الحديثة بين مصر والسودان حين ارسلت بعثة سودانية فى عهد محمد على الى مصر مكونة من ستة من الطلبة للدراسة فى مدرسة الالسن ، واخذت بعـدها وفود السودانيين تتوالى حتى انه كان يوجد عام ١٢٨٥ هـ ، مائة تلميذ سودانى كما ارسـل ممتاز باشا مائة سودانى لدراسة العمليات الميكانيكية والزراعية .

كذلك اقبل السودانيون على الازهر بعد ان امدت لهم الاروقة ، ونظمت الجراية ، وصار الطريق آمنا .

وقد اسهم كل هؤلاء اسهاما فعـالا فى نشر الثقافة فى السودان . فبعضهم تولوا مناصب دينية ، بينما فتح آخرون الخلوات ، او الفوا الكتب (عبده بدوى ، الشعر الحديث فى السودان ، المجلس

الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٢٠٩ — عن كتاب تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير ، مطبعة المعارف ١٩٢٠ ، جـ ١ ص ١٤١) .

كذلك كان لدخول الطباعة لاول مرة في السودان اثره ، ففي عهد محمد على انشىء فرع للمطبعة الاميرية بالسودان، فعرفت لاول مرة مطبعة الحجر ، وظلت تقوم بدورها في عهدى الفتح التركى والمهدية ، والى جوارها اقيم مصنع للورق ليمد فرع المطبعة (المرجع السابق ، ص ٢٤٠ — عن كتاب السودان بين عهدين لسعد ميخائيل ، المطبعة الخيرية بالمنيا ، ١٩٤٠ ، ص ٢٨٦) .

ثم افتتحت في عهد عباس اول مدرسة مصرية في الخرطوم لتدريس العلوم الحديثة من حساب ولغة ، افتتحها رفاعه رافع الطهطاوى . ثم افتتح في عهد اسماعيل خمس مدارس موزعة في المدن الكبرى في السودان ، في الخرطوم وبربر وكردفان ودنقلة وكسلا « د. ابراهيم الحاردلو ، الرباط الثقافي بين مصر والسودان ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٧٧ ، ص ١٤) . كذلك كان الطلبة السودانيون على صلة حميمة باساتذتهم المصريين في كلية غوردون التي افتتحت في بداية هذا القرن بعد الاحتلال الانجليزى للسودان عام ١٨٩٩ .

***

وفي عام ١٩٢٠ — ١٩٢١ تشكلت الجمعيات السرية في السودان لمحاربة الاستعمار من بينها جمعية الاتحاد السوداني التي تكونت من بعض الموظفين وطلبة كلية غوردون والشباب من التجار ، وكان من اوجه نشاطها مراسلة الصحف في مصر للكتابة عن قضية السودان ومدى ارتباطها بقضية مصر، وكانت تجلب بعض تلك الصحف الصادرة في مصر الى السودان سرا . ومن شعاراتهم «السودان للسودانيين ، والمصريون اولى بالمعروف » . ويعلق الدكتور ابراهيم الحاردلو على هذا الشعار قائلا : هذا يؤكد ان السودانيين لم يفكروا يوما في التبعية الضعيفة لمصر ، ولم ينادوا بضم اقليم السودان الى مصر باعتبارها محافظة تخضع لها يوما من الايام ، بل كانوا ينظرون الى المصريين نظرة الاخوة والاهل ، وانما كان ذلك منذ القرن الثامن قبل الميلاد ايام بعنخى « المرجع السابق ص٣٦» .

اما فكرة الكيان السوداني المنفصل عن مصر التي شجعها الانجليز فهي جزء من سياسة اشمل لتحقيق اهداف كبرى في العالم العربي كله . فبريطانيا كانت تسعى وتشد الى تجزئة العالم العربي وتقسيمه الى دويلات صغيرة متنافرة ... ذلك ان الاتحاد بين دولتين عربيتين — وفي تلك الحالة بين مصر والسودان — يجعلهما قوة في وجه الاستعمار . (المرجع السابق ص ٥٣) .

ولقد انقسم الرأى حول علاقة الثقافتين المصرية والسودانية ، فظهر فريق يدعو الى وحدة الثقافة بين مصر والسودان على اساس ان وحدة الثقافة تسبق وتمهد للوحدة السياسية ، وفريق يدعو الى ثقافة سودانية مستقلة عن الثقافة المصرية يكون لها خصائها المستقلة وتفردها وتنوعها دون ان يعنى ذلك قطع الصلة بمصر أو ادبها ، وكان زعيم هذا الاتجاه المرحوم محمد أحمد محجوب ، ثم كان هناك آخرون يدعون الى مزج الثقافتين وزواجهما ان صح التعبير .

وقد عبر صاحب مجلة الفجر عن قوة الرباط الادبي بين البلدين قائلا ان التفاهم الادبي ـ ان ادت هـــذه العبارة المعنى الذى أقصد اليه ـ ان وجد وسار بين البلدين لهو اقوى وابقى على حوادث الايام والليالى من كل ما يقول السياسيون من حقوق بالفتح وحقوق بالمعاهدات . وقد ثبت فى كل زمان ومكان ان الاولى لا وجود لها الا قائمة على أسنة الرماح ، وان الثانية قصاصات من ورق تعصف بها أقل الاعاصير السياسية عنفا . (الفجر ، مجلد ١ ، عدد ١٢ نوفمبر ١٩٣٤ ، ص ٥٥٨) .

اما محمد أحمد محجوب فقد علل سبب انصراف المصريين من الاقبال على الادب السوداني بانهم لا يجدون فيه الا صورة فاترة وناقصة من الادب المصرى ، أما « اذا نحن شرعنا فى كتابة ادبنا القومى فسوف تجد كتاباتنا مكانتها فى مصر ، وسوف يقبل عليها اخواننا بالدرس والنقد والتعقيب وستزحب مجلاتهم وجرائدهم بكل ما نكتب » (محمد أحمد محجوب ، نحو الغد ، قسم التاليف والنشر ، جامعة الخرطوم ط ١ ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٦ – ١٧٧) .

ويقول الدكتــــور ابراهيم الحردلو الاستاذ بجامعة الخرطوم « ان مصر الآن غير مصر التى حكمها الباشوات والاستعمار ، والسودان غير السودان تحت الاستعمار . تغيرت الافكار عن الصلة التى كان يمكن ان تنشأ بين البلدين . التقى جانب سيطرة اقليم على اخر ووعت الجماهير والحكومات التى تعاقبت على الحكم فى كل من مصر والسودان طبيعة المرحلة ورأوا مــا حدث من تلهف ليس فى منطقتنا وحدها بل فى العالم اجمع » (د. ابراهيم الحردلو ، العلائق الثقافيه بين مصر والسودان ، بحث على الاستنسل فى مهرجان الثقافة الثانى ، فبراير ١٩٧٩ ، ص ١٢) .



● رفاعة الطهطاوى ●

اما التقاء الثقافة السودانية بالثقافة الغربية فقد تم عن طريقين : طــريق مباشر كان فى بدايته قدوم الرواد والرحالة والمكتشفين والتجار والقناصل الذين تدفقوا على البلاد ، ثم قدوم بعثات التعليم الاجنبية واخيرا ارسال البعوث السودانية للتعلم فى اوربـــا لا سيما انجلترا ، اما الطريق غــير المباشر فهو الذى قامت به الحكومة المصرية اولا بتوســـعها فى التعليم بالسودان .. ومحاولتها اســتخدام الوسائل العلمية الحديثة فى استغلال ثروة البـــلاد والافادة منها ، ثم ما احتفظت به بعض الجمعيات الاهليـــة المصرية من مدارسها بعد رحيل قوات الجيش المصرى بعد ثورة ١٩٢٤ .

دور الشعر

ونتيجة لهذا الالتقاء الثقافى نجد ان كثيرا من ابرز الشعراء السودانيين

هم ممن درسوا بالازهر مثل الشيخ الحسين الزهراء « المولود عام ١٢٤٨ هـ - ١٨٣٣ م .) والشيخ يحيى السلاوى (المولود عام ١٢٦٢ هـ - ١٨٤٦ م .) الذى طالب - بعد عودته الى السودان وعند قيام الثورة العرابية بمصر - بترحيله الى مصر ليكون بجانب هذه الثورة . وما كاد يصل الى القاهرة ، حتى اتصل بأحمد عرابى فأحبه وقربه اليه ، فنظم الشيخ السلاوى قصيدته البائية التى تقع فى ٩٩ بيتا ، وكان من اهميتها ان طبعت بماء الذهب وبيعت فى شوارع القاهرة ، كل نسخة منها بجنيه ذهبا (الشعر الحديث فى السودان ، ص ٢٣٨ - عن كتاب نفثات اليراع فى الادب والاجتماع للاستاذ محمد عبد الرحيم ، شركة الطبع والنشر بالخرطوم ، ١٩٣٦ ، ص ٨٢) .

كذلك من شعراء تلك الفترة الذين درسوا بالازهر الشيخ عمر الازهرى « المولود عام ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م » . الذى اندمج فى الحياة المصرية وتعرف على الكثيرين من ذوى الرأى بها حتى انه لما تزوج وانجب فيما بعد سمى ابنه شفيق على اسم شفيق باشا اعز اصدقائه المصريين وقت طلبه العلم بالقاهرة .

كذلك كان من هؤلاء الشعراء محمد سعيد العباسى (المولود عام ١٢٩٨ هـ) ولم يلتحق بالازهر كزملائه السابقين انما التحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة التى دخلها عام ١٨٩٩ من بين ثمانية واربعين سودانيا ، لكنه لم يواصل تعليمه مع انه كان أول الناجحين لان نظام ترقية الطلبة السودانيين كان بالاقدمية فقط (المرجع السابق ، ص ٤٦٦ - عن ديوان العباسى للشيخ محمد سعيد العباسى ، دار الفكر ، عام ١٩٤٨ ، ص ١١ - ١٢) . وقد ظلت هذه الفترة التى امضاها فى مصر حية فى نفسه وشعره .

ومن الشعراء المحدثين الذين تخرجوا فى دار العلوم الدكتور محيى الدين صابر ، ومحمد محمد على ، وادريس جماع .

والواقع انه قلما تقع العين على ديوان لشاعر سودانى الا وفيه على الاقل قصيدة تشيد باخوة الشعبين الشقيقين او بالنيل الذى يربط بينهما او ينفعل الشاعر بحدث مر به القطر الشقيق كالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ . فهذا هو التيجانى يوسف بشير « ١٩١٢ - ١٩٣٧ » فى ديوانه « اشراقة » يحيى فى احدى قصائده شباب مصر ، ويشيد فى اخرى بثقافة مصر معلنا :

انما مصر والشقيق الاخ السو
دان كانا لخافق النيل صدرا
حفظا مجده القديم وشادا
منه صيتا ورفعا منه ذكرا
كيف يا قومنا نباعد من فكـ
ـرين شدا وساندا البعض ازرا
كيف قولوا يجانب النيل شطيه
ويجرى على شواطيه اخرى ؟ .

(التيجانى يوسف بشير ، اشراقة ، المطبعة الوطنية بالخرطوم ، ط ٢ ، ١٩٤٩ ، ص ٨٦ - ٨٧) .

وقد اقامت لجنة التاليف والترجمة بمصر فى شهر مايو عام ١٩٤٦ حفلا بنادى نقابة الصحفيين بالقاهرة لاحياء

ذكرى الشاعر السوداني ، وكان من المتحدثين المرحوم الدكتور مظهر سعيد الذي ربط بين التيجاني شاعرالسودان والهمشري شاعر مصر وأبي القاسم الشابي شاعر تونس .

اما المرحوم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي فقد اعلن انه اذا كانت الصلة الجغرافية بين القطرين كاملة ، والصلة السياسية لا ريب فيها ، فما أجدر من الصلة الادبية باحكام ذلك الوثاق وتمكين تلك العرى . لقد مجد التيجاني النيل ، وشاد بحب مصر ، ونوه بجمال الخرطوم ، فعلى النيل أن يذكره ، وعلى مصر ان ترد له شيئا من الجميل، وعلى الخرطوم أن تفخر بالتيجاني .
(المرجع السابق ، ص ٩٩) .

وفي ديوان « ظلال وعيون » للشاعر مختار محمد مختار نقرأ قصيدة مصر المجاهدة التي نظمت ابان الاعتداء الثلاثي على مصر .وفي ديوان«لحن وقلب»للشاعر مصطفى طيب الاسماء (١٩٢٤ —) نقرأ قصيدتيه « مصر الباسلة » و «الى اخي العربي » اللتين نظمهما في المناسبة نفسها . ومما جاء في القصيدة الاخيرة قوله :

ارض الكنانة مهد العرب اجمعهم
ومهد عزتهم ان حادث دهما
مجد الكنانة مجد العرب اجمعهم
فان ابيحت رتعنا الذل والرغما
واليوم صارت امانينا موحدة
هي العروبة تسري فيالعروق دما
ومصر قلب ومن ينبوعها انفجرت
قوى الحياة فهب الشرق ملتئما

(مصطفى طيب الاسماء ، لحن وقلب ، المجلس القومي للآداب والفنون ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٩ — ١١٠) .

وفي ديوان الناصريات للشاعر قريب الله (١٩١٨ — ١٩٥٢) نقرأ قصيدة بعنوان : وفد الكنانة ومما جاء فيها :

وبمصر لنا قلوب اقامت
انحسونها بانحاء مصر
ولمصر السودان صنو شقيق
وبذا النيل شاهد حيث يجري
غير ان السودان عاش ربيبا
في حماها فنال اطيب ذخر
فاقمعوا السن المكائد انا
اخوة في الهنا ومس الضر

(الناصر قريب الله ، الناصريات ، وزارة الارشاد القومي ، الخرطوم ، ١٩٦٩ ، ص ١١) .

وفي ديوان « الحانواشجان» للشاعر محمد محمد علي نقرأ قصيدته « مصر الباسلة » التي نظمت ايضا ابان العدوان الثلاثي على مصر . وقصيدة اخرى عنوانها « عميد الادب » انشدت في تكريم الدكتور طه حسين عندما اصبح وزيرا للمعارف عام ١٩٥٠ .

وفي ديوان « نار المجاذيب » للشاعر محمد المهدي المجذوب نقرأ مشاركته فرحة مصر بخلع فاروق عام ١٩٥٢ . « محمد مهدي المجذوب ، نار المجاذيب، لجنة التاليف والنشر بوزارة الاعلام والشئون الاجتماعية ، الخرطوم،١٩٦٩، ص ١٢٦ — ١٢٧ » . كما نقرأ قصيدته الحماسية « نموت وتحيا مصر » التي اوحى بها العدوان الثلاثي على مصر ايضا ، والتي جاء في مطلعها :

قتال ولسنا نبالي القتال
فيا مرحباً بالوغى والنضال
عباب يجيش هنا في الجنوب
له موعد في عباب القنال
« المرجع السابق ، ص ٦٥ » .

والقصة

ذلك قليل من كثير يبرهن على ان معظم شعراء السودان يفصحون عن مشاعرهم نحو مصر باعتبارها وطناً ثانياً لهم . ولم يكن الشعر وحده في هذا الميدان ، وان كان سباقاً اليه باعتبار ان الفنون النثرية الحديثة وعلى رأسها القصة قصيرها وطويلها لم تعرف الا في مرحلة أخيرة .

لقد بدأت القصة في السودان في العشرينات ، وهي الفترة التي كان الادب المصري فيها قد اخذ يقف على قدميه ويستقل بمادته . ولئن تمكن الكثير من الادباء السودانيين من الاطلاع على الادب الانجليزي وقراءة نماذج قصصية فيه ، اما مؤلفة بالانجليزية اساساً وامامترجمة من الفرنسية او الروسية ، الا ان الاتجاه الغالب ــ كما يقول الاستاذ مختار عجوبه في مؤلفه القيم « القصة الحديثة في السودان » ــ كان هو التأثر بالادب المصري والاخذ عنه « مختار عجوبه ، القصة الحديثة في السودان ، دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٢ ، ص ١٥ » . فقد قرأ لمحمد ومحمود تيمور ومحمودطاهر لاشين وللمازني وغيرهم .

ويقول الاستاد مختار عجوبه في موضع آخر انه في الوقت الذي كان يتلقى فيه السودان الثقافة الانجليزية اختياراً او جبراً ، كان يتعرض الى التأثر بالثقافة المصرية . وحركة الثقافة السودانية تجاه الثقافة المصرية كانت حركة ذاتية تنبع من واقع البلدين المشترك وتاريخهما وثقافتهما المشتركة وقد حاول الانجليز الوقوف ضد التفاعل الثقافي بين السودان ومصر ولكنهم فشلوا امام الحركة الوطنية التي اجتازت جميع الحواجز والعقبات التي وضعها الانجليز « المرجع السابق ص ٩٩ » .

فمثلا في انتاج ابي بكر خالد والطيب زروق تتضح المؤثرات الثقافية والفنية التي اتاح لهما تطبيعهما في مصر الحصول عليها . وقد انعكست على انتاجهما بشكل او بآخر . ويتتبع الاستاذ مختار عجوبه تطور القصة السودانية فيقول ان قارىء كل من الزبير علي وخوجلي شكر الله قارىء **محدد هو القارىء السوداني ، ولعله القارىء** السوداني العاصمي . **اما ابو بكر** خالد والطيب زروق **فقد كانا يحاولان مخاطبة القارىء العربي عموماً ــ كما يفعل** صلاح **أحمد ابراهيم** وعلي المك ــ **من منبرهما في القاهرة خلال الصحف المصرية والعربية الاخرى** كما يرى ان قصة « **ليلة العيد** » لابي **بكر خالد ماخوذة عن قصة صفارة العيد للمرحوم محمد تيمور (المرجع السابق ص ١٥٤ ــ ١٥٥) . كما انه نشر روايته « النبع المر » و « القفز فوق حائط قصير » في مصر ، وكذلك** نشر بعض قصصه القصيرة في مجلة صباح الخير بالقاهرة . وفي قصته « مولد انسان » يشارك الشعب المصري نضاله ضد العدوان الثلاثي . وتأثره باللهجة المصرية واضح في قصص المرحلة الأولى ، حتى حين كان يتناول تجارب سودانية صميمة . « المرجع السابق ص ٦٥ » . وان رواية ابي بكر

خالد « بداية الربيع » كان اسمها — كما جاء في مقدمتها — « أم درمان الجديدة » ، مما يدلنا على تأثر القاص المباشر برواية نجيب محفوظ « القاهرة الجديدة » . فقد اخذ ابو بكر الشكل من نجيب محفوظ وصب فيه مضمونا سودانيا . ونحن نجد في شخصيات الرواية النماذج الفكرية الثلاثة التي كانت تمثل التيارات الفكرية المتصارعة في المجتمع السوداني . وهي صورة مقابلة للتيارات المتصارعة في مصر عند نجيب محفوظ . فنجد صديق يمثل الاخوان المسلمين ومحمد كامل شيوعيا وسعد لا منتميا ، وهم شخصيات مامون رضوان وعلي طه ومحجوب عبد الدايم على التوالي عند نجيب محفوظ « المرجع السابق ، ص ١٦٧ » . وما كان يمكن وجود هذه المشابهة بين الروائيين لولا وجود مشابهة سابقة بين المجتمعين .

***

كما يرى الاستاذ عجوبه ان قصة « دومة ود حامد » للطيب صالح لها نقاط تشابه كثيرة مع قصة « سره الباتع » ليوسف ادريس ، وهو وان كان يرجع تأثر الطيب صالح بيوسف ادريس لان قصته الفت بعد قصة يوسف ادريس ، الا انه يعود فيكون أكثر حذرا اذ يعلن أن مصدر التشابه قد يكون ايضا توارد خواطر أفرزته حضارة النيل المشتركة — « المرجع السابق ، ص ٢٢١ » .

والواقع ان لمعظم القصصيين في السودان شأنهم في ذلك شأن معظم الشعراء — نصا تتصل بمصر من بعيد أو قريب كان تدور حوادثها في مصر ، او يكتبها وقد تمثل القاص وجدان مصر ، فهو مهموم بهمومها ، يغوص الى ما وراء القشرة الاجتماعية الواعية حتى لقد ينطق شخصياته اللهجة المصرية العامية ، فهو ابن من ابناء هذا الوطن الكبير لا يحس فيه بغربة أو اغتراب . فعلى سبيل المثال وانا اقلب بعض اعداد مجلة القصة السودانية التي صدرت في الخرطوم في أوائل الستينات اقرأ قصة « درهم من الحزن » لا بن خلدون « مجلة القصة عدد ٣ ، السنة الاولي ، مارس ١٩٦٠ » وقصة « محمد افندي ياخد اجازه » للكاتب نفسه في عدد تال « مجلة القصة عدد ١٠ ، السنة الاولي ، أكتوبر ١٩٦٠ » وقصة للدكتور محمد ابراهيم الشوش عنوانها « زيارة المرحوم : قصة مصرية فكاهية » « مجلة القصة عدد ٩ ، السنة الاولي ، سبتمبر ١٩٦٠ » . وقصة « النار المقدسة » بقلم عثمان على نور « مجلة



● محمد أحمد محجوب ●

القصة عدد ١١ ، السنة الاولى، نوفمبر ١٩٦٠ » .

نصيب الدراسات الادبية

كذلك فان نصيب مصر فى الدراسات النقدية والادبية السودانية لا يقل من نصيبها فى كل من الشعر والقصة . فهذا الشاعر المجدد حمزة الملك طنبل يذكر فى كتابه « الادب السوداني وما يجب أن يكون عليه » الذى نشره عام ١٩٢٧ واعيد نشره عام ١٩٧٢ ، يذكر ادباء مصر فلا نحس الا انه يذكر ادباء بلده ، فيتحدث عن العقاد وطه حسين والمازني وشوقى وحافظ ابراهيم ، ويستشهد بآرائهم حينا ويناقشها حينا آخر . ويشكو فى ذلك الحين - ولعل شكواه لا تزال على شيء من الصحة حتى اليوم - مما يراه فى مصر من جهل الناس بأحوال السودان وارتسام صورة مشوهة فى أذهانهم عنه . (حمزة الملك طنبل « الادب السوداني وما يجب أن يكون عليه ، المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون ١٩٧٢ ، ص ٥٥) . وهو يتحدث عما يجب ان يكون عليه الأدب السوداني ونصب عينيه مصر دائما ، فمجال الطبيعة فى السودان أوسع من مجالها بمصر ويتسنى للأدباء هنا ان يكونوا اكثر اتصالا بها من الادباء هناك ، اى فى مصر . (المرجع السابق ، ص ٩١) . وهو يذكر صيحات بعض أدباء مصر حول الأدب العالمي وطنطنتهم باسمه فيتولد فى نفسه شعور الاستخفاف بكل من يترك الماء ويجرى وراء السراب وذلك لان أدبهم القومى « بقصد المصريين » لم ينضج بعد . (المرجع السابق ، ص ١٠٧) .

ولئن كان حمزة الملك طنبل قد اشار فى كتابه الى السياسة الاسبوعية، وهى المجلة الأدبية التى كانت تصدر فى مصر فى العشرينات من هذا القرن ، فان معاوية محمد نور كان ينشر قصصه وخواطره فى السياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعى وجريدة مصر وذلك فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات من هذا القرن . فى الخواطر يناقش ادباء مصر فى ذلك الوقت مثل الدكتور زكى مبارك وابراهيم المصرى، كما كان يناقش ما يكتب فى الصحف المصرية مثل البلاغ ، ويتحدث بضمير المتكلم الجمع (نحن) حين يتحدث عن السودانين والمصريين معا فيعلن اننا لم نترجم الى العربية حتى الآن (اكتوبر ١٩٣١) شيئا من مخلفات الامم التى ترجمت الى جميع اللغات واعتبرها العالم كله تراثا انسانيا (معاوية محمد نور ، قصص وخواطر ، جامعة الخرطوم ، د. ت ، ص ١٦٤) . وهو يستخدم هذا الضمير بطريقة عفوية لا افتعال فيها لانها نابعة من احساس طبيعى . أسمع قوله وهو يعلق على منح جائزة نوبل للسلام لغاندى قائلا « لماذا تحرز الهند وغير الهند جوائز نوبل ولا نحرز نحن شيئا منها ؟ لماذا ؟ هذا هو ما يجب أن يتساءله المصرى ويتعرف اسبابه ، لان حرماننا من هذه الجائزة ظاهرة تدل على نقص فى اجتماعنا وادبنا ولغتنا وعلومنا .. فحرماننا منها حكم سىء علينا » . (المرجع السابق ، ص ١٥٢) . كما يشارك فى التعليق على مسرحيات يمثلها مصريون مثل طلبة معهد التمثيل برئاسة جورج ابيض (المرجع السابق ، ص ١٧٩) . ولاعجب

فان معاوية محمد نور قد نشر معظم كتاباته فى الصحف المصرية لأن الانجليز طاردوه وحرموه الاستقرار فى السودان، ولم يتح له فرصة النمو داخل بلاده (القصة الحديثة فى السودان ، ص٨١ - ٩٢) . وعندما احتفل ادباء السودان بتابين اديبه النابغة أرسل الاستاذ العقاد قصيدة بعنوان «الشهيد معاوية» القيت فى حفل التابين كما نشرها فيما بعد في ديوانه « اعاصير مغرب » كذلك نعاه فى مجلة الرسالة الأديب المرحوم محمد امين حسونة .

وفى كتاب « موت دنيا » لمحمد احمد محجوب واخيه الدكتور عبد الحليم محمد - وهو اقرب الى السيرة الذاتية - نجد انهما يذكران من شعراء مصر وكتابها البارودى وحافظ ابراهيم والعقاد وابراهيم المازنى والدكتور طه حسين ومحمد حسين هيكل ، ومن صحافتها السياسة الاسبوعية والبلاغ الاسبوعى ، وينفعلان بالثورة المصرية عام ١٩١٩ ، ويتحدثان من سعد زغلول ثم عن معاهدة ١٩٣٦ .

وكتب محمد عبد الله عرفات صاحب مجلة الفجر السودانية فى بداية الثلاثينات من اقبال السودانيين على الصحف والمجلات والكتب التى تصدر فى مصر فلا تستقر الا فى السودان مهما كانت الحواجز التى اريد لها ان تحول بينها وبين المثقفين السودانيين « فى هذه الايام لا يلتفت الانسان فى الترام يمنة أو يسرة الا يرى عن يمينه او يساره احد الشبان يحمل مجلة الرسالة او ملحق السياسة الادبى والاجتماعى او كتابا ظهر جديدا فى مصر ، والكل يقراون باهتمام » .

ويعلق على هذه الظاهرة فيرى انها تدعو للتفاؤل والاعجاب حتى لتدفعه الى الحلم بنهضة ادبية صحيحة بل يتنبأ اننا بين عام أوعامين سنرى انتاجا أدبيا ناضجا ونرى افكارا طريفة من جماعات المتعلمين والشباب منهم بوجه خاص . (مجلة الفجر ، المجلد الاول ، ص ٣٣ - نقلا عن كتاب الدكتور ابراهيم الحردلو ، الرباط الثقافى بين مصر والسودان ، ص ١٢٧) .

***

وهذا يقودنا اخيرا الى البيات التجاوب لما يقع من جليل الاحداث فى البلدين ، فعلى اثر ما وقع فى السودان من احداث عام ١٨٨٩ نجد يعقوب صنوع ، شيخ الصحافة الشعبية فى مصر يكتب بلهجته الساخرة: لابد تلفكم يا خلان ، ما فعلته القساة الانكابشان، بمدينة أم درمان ، بجثة محمد أحمد بطل السودان .. الى متى تحلم على الانجليز يارحمن .. ياماهم وحوش ، يا سلام عليهم متى قدروا ما يعفوش .. نراهم اليوم يقتحموا مقابر الابطال ، ويخرجو الميت ويفعلوا به اشنع الافعال .... الى ان يتحدث عن غوردون الجنرال الخسيس ، الى فى عهد المهدى مات فى ام درمان فطيس.

وليس ابلغ فى الدلالة على تفاعل الشعبين السودانى والمصرى مما جاء فى رسالة المجاهد عبيد حاج الأمين : ارسلت الكلمة لتنشر فى الاهرام ولا ادرى لماذا لم تنشر حتى الان ، وقد شكا الى بعض الاخوان من ان الجرائد

لا تنشر لهم الا قليلا . وقد نشرت اللواء ما بعثت به اليها أخيرا ، عقد لى مجلس تأديب لأنى أرسلت تلغرافا للصحف المصرية دون أن أعرضه للمخابرات ، وقد قرر مجلس التأديب رفتى (مجلة الحياة ١٩٥٧) .

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ فى مصر صودرت الصحف المصرية فى السودان، وحوكم البكباشى خلف الله خالد فى كوستى عام ١٩٢٢ بتهمة توزيع صحف مصرية ممنوعة .

وقد عبر أكثر من شاعر مصرى عن حبه للسودان لعل فى مقدمتهم المرحوم الشاعر عزيز اباظة الذى عبر عن حبه للسودان بأكثر من قصيدة منهـا قصيدته « سمراء الخرطوم » :

ابصرتها فى فندق الخرطوم فى احدى الليالى
فوقفت مشدوها أجيل الطرف فى ذاك الجمال

سمراء مذهبة تقول الخال موصول بخال
أو أعين سود رفعن خلال أهداب ثقال
ان اقبلت او ادبرت خطرت على ساقى غزال

ويقول صالح جودت فى مقدمته لديوان « عاشق النيل » للاستاذ مبارك المغربى :

مصر والسودان هل كانا سوى
جنة يجتلب الدنيا شذاها
كلما الغيد تملت حسنها
اعلنت من سموا النيل الها

غفر الله لهم ، هل عرفوا
منعما فى عصرهم الا المياها

وعلى الجانب الآخر نجد الاستاذ مبارك المغربى يقول بطريقته الغزلة الرقيقة فى قصيدة له بعنوان « مصر الشقيقة » :

اتيت الى مصر وقلبى موزع
يهش الى دار ويبكى على دار
تركت غرامى بالجنوب لألتقى
هنا بغرام عند حلوان غدار
فكيف اداري الحب منى وما الذى
اقول اذ ذاعت لدى القوم اخبارى
ايصبح مفتونا أسير صبابة
رمته .. فلم ترحمه الا بمقدار
لقد كنت أرجو أن أعود اليهم
بقلب على صرف المقادير صبار
ولكن سقتنى الحب حواء لم ترد
سوى الى ـ فيما اخال ـ واضرار
ومالى سوى الاذعان ، هل يملك امرؤ
اذا وقع المحذور تصريف اقدار ؟

وقد اطلق الاستاذ مبارك المغربى اسم عزيز اباظة على ابنه وفاء له ، وعندما القى قصيدته عام ١٩٧٤ بمناسبة مرور عام على وفاة عزيز اباظة قال يخاطبه :

ايهذا الذى تولى كريما
مسرعا خطاه دون زحام
اين القاك كى ابثك ما عندى
واشكو اليك حر هيامى
سوف القاك فى محيا عزيز
صورة منك فى الشباب النامى

ويقول الشاعر السودانى عبد الله عبد الرحمن فى ديوانه الفجر الصادق :
بلغ النيل ان بالنيل شعبا
همه فى العلا هم بعيد



● محمد محمد على ●



● محمد المهدى المجذوب ●

ربط النيل والعروبة منه
وهداه بثورة التوحيد
كما يقول :

من قال قطر وقطر فهو فى نظرى
كمن يقول بأن الواحد اثنان

ومن المؤسف ان التدفق الثقافى لا يزال حتى اليوم فى اتجاه واحد هو عكس اتجاه تدفق مياه النيل اى من مصر الى السودان . واذا كان المرحوم محمد احمد محجوب قد سبق ان عزا ذلك منذ اكثر من ثلث قرن الى عدم وجود أدب سودانى قوى العناصر له مميزاته وطابعه الخاص ، فان الشكوى لا تزال قائمة الى اليوم بعد ان نضج الادب السودانى واستطاع ان يقف على قدميه واصبح له ادباؤه البارزون مثل الطيب صالح وابراهيم اسحق وأبو بكر خالد وعلى الملك فى مجال الرواية ومثل محمد مهدى المجذوب ومبارك المغربى ومصطفى سند ومحيى الدين فارس والنور عثمان ابكر فى مجال الشعر بنوعيه التقليدى والحديث ، بل له اديباته مثل المرحومة ملكة الدار محمد (١٩٢٠ ــ ١٩٦٩) صاحبة رواية « الفراغ العريض » وكذلك له نقاده مثل الدكتور محمد ابراهيم الشوش ومختار عجوبه وغيرهم ، كما ان هناك بدايات مسرحية لا بأس بها ، وبرغم ان البعض قد نشر اعماله الادبية فى القاهرة مثل روايات موسم الهجرة للشمال وبندر شاه للطيب صالح والقفز فوق حائط قصير والنبع المر لابى بكر خالد ومجموعة قصص الصعود الى اسفل المدينة للاستاذ على الملك وكثير من دواوين اخواننا الشعراء السودانيين ، وبرغم تبادل معارض الكتب بين العاصمتين ، فقد جدد التعبير عن هذه الشكوى ــ ان الادب السودانى مجهول اوشبه مجهول فى مصر الشقيقة ــ اكثر من أديب سودانى ، لعل الاستاذ عبد القدوس خاتم كان اكثرهم لباقة حين عرض فى نهاية كتابه ((مقالات نقدية)) لهذه القضية قائلا فى ختام كلماته ((اخشى ان يكون الذنب ذنبنا قبل ان يكون ذنبهم)) (ادارة النشر الثقافى ، الخرطوم ، ١٩٧٧) .. ولعل الذنب متبادل ، ولعل محوه يتم بجهد ايضا متبادل .

ناس وصور وحكايات

● لحظات الموت بالكاميرا ●

لا حدود لما يصنعه اليوم المصورون بالات التصوير من الغرائب التى لا تصدق ، فمن شهور تمكن مصور من التقاط صورة طائرة قبل ان تصطدم ببيت ، اى انه تنبه الى الكارثة القادمة ووجه آلة تصويره وصور فى لقية من الزمان . .





هنا مثال آخر لتلك اليقظة التى لا تصدق ؛ فقد كان الجنود يتدربون فى المانيا ـ على الهبوط بالمظلات ،وكان مصـــور هاو ينظر اليهم • فلاحظ ان المظلة الواقية لاثنين منهم لم تفتح ،وتوقع الكارثة ، فاخرج آلة التصـــوير والتقط صورا يمكن ان تسميها: القفز الى الموت .. وفى الصور الاربع ترى المسكينين وهما فى طريقهما الى الموت ،ثم لحظه دخولهما فى الموت !









● المصنع ينتقل الى مكان الحادث ●

بينما كانت احدى الطائرات اليابانية تقوم برحلتها فوق القطب الشمالى اختل توازنها واضطرت الى الهبوط فوق الثلج ، وغاصت فيه ، ولم ينج الركاب الا بمعجزة .





وكان لابد من نقلها الى مصانع او «ورش الاصلاح» .. ولكن ذلك كان مستحيلا نظرا لنشوب الطائرة فى الثلوج ...

وهنا تفتقت العقلية اليابانية التى لا يعجزها شىء . عن فكرة ارسال الورشة الى الطائرة المنكوبة فهيأوا طائرة فى صورة مصنع يضم كل ما تحتاجه العملية وطيروه الى القطب الشمالى . وانقذوا طائرتهم :







ناس و صور

وحكايات

● المراه وحيرتها في عصرنا ●

المراه في كل نواحي العالم في حيرة من امرها ، ماذا تعمل لكي تصل الى حقوقها التي تعطونهـا! اياها بالكلام ، ثم تنكرونهـا في الواقع ...

والصـــــورتان على هاتين الصـــفحتين تعتبران موضـــوعا كاملا انهما تصوران حيرة نســاء ايران ...

وقبل الثورة والانقلاب في ايران كان النساء يتظاهـــرن مطالبات بعودة الخميـــني ويرفضن لبس النقاب ..

وبعد الثورة وبعــد ان ارادت الثورة ان تفرض عليهن النقاب خرجن يحتججن على ذلك .. خرجن هذه المرة ســـافرات احتجاجا على ذلك الاجراء ...

مسكينة المراة في عصرنا هذا! .

الأدب احدى الصناعات الثقيلة

فى عالم اليوم

● د. عبد الفتاح الديدى ●

● من المسلم به أن الادب مجال يمكن أن يطرقه أى انسان، وكذلك الفن والموسيقى والرقص والتمثيل.. ولكن من المسلم به ايضا ان مستويات الانتاج فى هذه المجالات قد تتراوح فى قيمتها بين درجة الصفر او اللاشىء ودرجة النهاية الكبرى، اى الامتياز والعبقرية

ولا شك أن الاستعداد الذاتى لمواجهة مطالب «الصناعة الفنية» من أهم العناصر التى تؤدى الى نجاح الاديب او العالم او الفنان. غير أن «الصناعة الفنية» لا يمكن ان تتوفر للمرء الا بعد جهاد شاق وطويل. فقد اصبحت الآداب والفنون اليوم من «الصناعات الثقيلة» التى تستلزم ممارسة عنيفة ومعرفة كبيرة وخبرة نادرة...

والادب والفن ليسا أكثر من تقديم خبرة معينة ومميزة من خلال العمل، ولكن اى خبرة ؟.. أهى خبرة صياغة العبارة ـ وفى هذه الحالة ينبغى ان يلم الكاتب والشاعر والفنان بكل صور التعبير وادواته واسلوب الاتصال والتوصيل وطرق الاداء فى البحث والتنقيب عن النظم الدفين والشكل الصريح والقالب أو الاطار اللائق بنجاح المضمون ؟..

ام هى خبرة البوح والجرأة على القول.. وعندئذ يحتاج الشخص الى روح التجربة والاقتحام واسلوب التعامل مع العقليات واسلوب التحرك امام المواقف ؟...

ام هى تقديم نوع معين من الخبرة.. وهذه ليست موحدة كما أنها ليست مجرد خبرة عادية وانما هى خبرة من صميم الواقع ممزوجة بخبرات شتى من خبرات الآخرين فى الماضى والحاضر ؟

وهذه الخبرة محوطة بغير قليل من الصعوبات بعد أن اصبحت وسائل الاتصال بالعالم قريبة من متناول كل انسان. وبدون أن يضع الأديب او الفنان فى اعتباره ان الانتاج فى مجال تخصصه صار اليوم محوطا بصور شتى من المعارف والثقافات، سيظل عمله قاصرا عن المستوى اللائق، وسيظل انتاجه مليئا بعيوب التخلف وضيق الافق وسوء الرؤية...

ولا يزال المجال فسيحا أمام الكثيرين لتقديم الخبرة على مستوى الفنون الشعبية أو صور التراث التقليدى... أما التطلع الى الأعمال الجادة فيتطلب رصيدا قويا عريضا تبدو لمحاته فى كل نبرة وتظهر معالمه مع كل خطوة.

وهذا فى الواقع ماتسميه عادة بمعدن

الخبرة او طبقات الشعور الكامن وراء العمل او الابنية النسقية الضاربة فى اعماق التعبير .. ومن اللحظة الاولى عند الاطلاع على العمل تفاجئنا هذه الدلالة النابعة من قاع الخبرة ... وليست هذه الخبرة جملة من التعقيدات وليست ايضا دفعة معرفية . ونضيف انها ايضا ليست مجموعة من الاحداث الشخصية .. الخبرة باختصار هى القدرة على اغتصاب آلاف التجارب الاخرى والتهامها وضمها الى الكيان الشخصى بحيث تستحيل فى النهاية الى منظور خاص .. والكارثة هنا انها لاتنشأ مع التعليم وحده وانها لاتكتمل بالصناعة والممارسة ، وانما تتولد من القدرة على الاستيعاب الطويل والممارسة المستمرة غير المعلنة الى ان تكتمل وتصبح شيئا جديرا بالالتفات ...

ولذلك فالامر يتطلب مواجهة حقيقة للمشكلة . واذا استعرضنا حياة اى اديب او فنان نجح فى اثبات قدراته مع مرور الايام ، سنجد أن معظمهم استفاد من الفشل والانهزام .. وقد قال احد الشعراء الفرنسيين سنة ١٩٤٢ وهو بيير جان جوف فى مقدمة ديوانه « فى العناء والفقاعة نستطيع الوصول الى الفهم ، ونستطيع أن نستوضح فى هذه الظروف الشعر « رامبو » بقراءتها اكثر مما ندركها خلال عشرات الشروح والتعليقات » والازمات الادبية المتوالية كفيلة بان تفتح لنا آفاقا جديدة ..

***

وعندما هبت ثورة الرومانتيكية مع مطلع القرن التاسع عشر عمدت الى تغيير جوهر الشعر والفن ، والى تحديد رسالتهما على نحو مختلف .. وصرحت الرومانتيكية بان الشعر الغنائى الفرنسى كان ضحلا ابتداء من القرن السابع عشر . واذا كان على الشعر ان يقدم المشاعر الذاتية والانفعالات ، فعليه ايضا أن يعبر عن أرفع الافكار . ولابد للشعر فى نظرهم ان يستوحى العصر الذى يعيش فيه الشاعر بكل صوره وانماطه وتجاربه مع استخدام القول المباشر . ولم ينجح الرومانتيكيون فى مواجهة اقوى تيارات الفن والادب الا على اساس خبرة جديدة تستوعب القديم وتتجاوزه وتتخطاه من اجل استلهام الموقف العصرى الطارىء على حياتهم ..

***

وجاء العصر الحاضر وفى عشرينات هذا القرن صرح بول بولان بانه يحتقر كل الشعر الفرنسى من شاتوبريان حتى موريس باريس الذى عاش حتى أوائل هذا القرن .. ولكن بول بولان لم يزعم ذلك عرضا وانما على اساس دراسة جديدة للغة اقامت صرحا شامخا فى معرفة اسرار التعبير أو اسرار الابداع . فالاعمال الادبية والفنية تتغير دلالاتها ولكن يبقى لها دائما تلك الخبرة الثابتة التى يستمتع بها الانسان كصورة صادقة لحياة العصر باكمله ...

وادباء الشباب هذه الايام او من يسمون انفسهم بالنماء الساخنة محتاجون الى معاودة النظر فى موقفهم . انهم يطالبون بان تتاح لهم فرص النشر ولست ممن يملكون شبر ورق والحمد لله . ويقول الكثيرون منهم انه قضى ليلة كاملة يعد فيها قصيدته او انه قضى عاما كاملا فى اعداد الرواية ، او انه عاش تجربة خصبة تستحق التنويه والتعريف فى فن بيانى ، او انه يقدم لونا لم يعرفه الناس من قبل ... فاذا حاول بعض النقاد تعريفهم بابعاد العمل الذى يقدمونه ، غضبوا وزمجروا ... واول مايقولونه : ولكن ياسيدى مابال فلان او فلان من الكبار الذين يملاون بكتاباتهم صفحات المجلات الادبية عندنا .. انهم يكتبون شيئا غثا يبعث على القرف والاشمئزاز !

وكنت اسمع احيانا من يقول لهم :

وانتم ... هل تريدون ان تكونوا مثلهم ؟.. لقد اخطأ من عودهم النشر صغارا فاصبحوا على نحو ما تقولون كبارا .. وما بالكم تريدون ان تكونوا مثلهم اذن وقد مضى على بعضهم عشرون سنة على الاقل فى مزاولة الكتابة ، .. الا ترون أن رايكم هذا وحده كفيل بأن يردكم الى الصواب فلا تتعجلوا النشر الا وقد اكتمل لكم موقف واضح ؟ ..

والكثيرون من شبابنا لا يعلم اننا نعيش فى عصر قاس لا يصير فيه الاديب او الفنان ما يتمناه لنفسه الا بشق النفس فعلا لا مجازا .. ولا اخفى على شباب هذه الايام أن مستقبلهم ملىء بالصعوبات لأن لمسة الوعى بكافة التغيرات التى طرات على جوهر الفكر فى العالم بعد منتصف هذا القرن لابد ان تتجسم فى ثنايا انتاجهم . ولم تعد تكفى الثقافات العادية لاظهار الخبرات الفنية المختلفة المطلوبة لمواجهة حاجة الذوق الحديث لدى جمهور العارفين .. والجهد المبذول وحده مهما كان ليس معادلا لقيمة الانتاج .

ان النقلة الفكرية التى حدثت فى نصف هذا القرن قد هزت العالم اجمع .. ويمكنك ان تنظم الشعر او ان تكتب الروايات . ولكن شبابنا القارىء اليوم يقرأ الشعر المترجم ويتأسى على مايكتبه لنا شعراؤنا . ويشاهد السينما الاجنبية ويسخط على مؤلفى الروايات عندنا . ويسمع طول النهار موسيقى الغرب ويأنف من سماع اغانينا . ويطرب من قراءة المسرحيات المترجمة ويدير ظهره لمؤلفينا المسرحيين. نصف او ثلاثة ارباع الجمهور المستهلك للانتاج المصرى فى الادب والفن لا يود ان يسمع او يقرأ شيئا ممايصدر عن ادبائنا وفنانينا ... اليس لنا فى هذه الظاهرة ما نعتبر به ؟

انى اعرف اديبا روائيا من دارسى الفلسفة المصريين قضى نصف عمره واكثر يعد نفسه لكتابة مؤلف واحد عن محمد عليه الصلاة والسلام ، ذاك هو الدكتور نظمى لوقا الذى كنت اراه صغيرا فى الابتدائية يجلس لسماع دروس الدين الاسلامى فى المدرسة بمدينة السويس . وعندما كبر لازم العقاد فى حياته سنوات طوال الى ان اظهر فى الستينات كتابه « محمد » الرسالة والرسول » ـ وهو عمل باق على مر الايام .

واذا نظرت الى كاتب روائى مثل البير كامو ستجد انه لم يخرج كتابه «الغريب» سوى سنة ١٩٤٢ وقد بلغ الثلاثين من عمره ، مع انه كان معروفا فى الاوساط الادبية قبل ذلك التاريخ . ولكن « الغريب » ادهشت الجميع كرواية لانه وضع تعبيرا جديدا عن الصدق الانسانى ، هذا الصدق الذى يمنعه ان يبوح بحب امه الدفين ويسخر من مظاهر المبالغة فى اظهار عواطف انسانية كاذبة او غير محددة .. ولم تكن رواية الغريب مجرد رواية ،لقد كانت اولى دعامات الموقف الفلسفى الاخلاقى الذى عاش كامو ليحققه طول حياته بعد ذلك فى كل مؤلفاته حتى وضع روايته الخالدة عن « السقوط » . وفى سنة ١٩٤٢ نفسها اخرج كامو كتابه « اسطورة زيزيف » جنبا الى جنب مع « الغريب » ليقدم نواة فلسفة جديدة تدعو الى الحياة بلا انخداع . واعتبر الابداع الادبى حياة ثانية الى جانب حياة الانسان الطبيعية ..

والروائى الفرنسى « سانت اكزوبيرى » كان طيارا ولم يتلهف على اخراج رواياته من طيران الليل او بريد الجنوب الا بعد ان اكتملت اداته فى التعبير وتصوره للحياة .. ولم تكن الطائرة بالنسبة اليه آلة تحقق الوصول الى المكان المطلوب بقدر ماكانت وسيلة للتحليل والتأمل الاخلاقى والميتافيزيقى وهو يصور الناس كأنهم عالم جديد من قراء ثقافة المعلبات المحفوظة . وقد

● الكثير من شبابنا لا يعلم أننا نعيش في عصر قاسٍ لا يصير فيه الأديب أو الفنان ما يتمناه لنفسه إلا بشق النفس فعلاً .. لا مجازاً .. ولا أخفى على شباب الأدباء وقادة الأيام أن الوعي بكافة التغيرات التي طرأت على جوهر الفكر في العالم بعد منتصف هذا القرن ، لابد أن تتجسم في ثنايا إنتاجهم ..

● الكتابة الأدبية تصدر عن طاقة ذاتية بلا شك .. ولكنها اليوم أصبحت مهنة خطرة لها درجات مختلفة من الارتفاع والهبوط .. ولها أيضاً درجات مختلفة من العظمة والإنحطاط ..

هاجم الزيف في رواياته بأبسط الحكايات ووصف حياة الجماعة بانهار في خصائص الانسان وارفع صورة لعلاقاته الانسانية . وكتب روايته للاطفال عن الامير الصغير التي اصبحت اروع الاعمال التي قدمها المؤلفون للصغار والكبار معا . وقراها الممثل الراحل جيرار فيليب في اسطوانات فكانت احدوثة العصر والخيال الادبي البسيط الجميل في وقت واحد .. ومات سانت اكزوبيرى سنة ١٩٤٤ فاصبح مقروءا من نسبة عالية من القراء خاصة عندما ظهرت روايته عن القلعة بعد وفاته بقليل .

***

وعندما ظهرت بشائر الرواية الجديدة عند ناتالى ساروت وآلان روب جرييه وميشيل بيتور — في الخمسينات « وان كانت ناتالى ساروت قد اخرجت بعض اعمالها في الاربعينات » قال المحللون ان الرواية الجديدة تريد ان تحل ازمة الرواية القائمة ... وتعمدت ناتالى ساروت النظرة المجهرية الى الحياة حتى تجعل من انماط الوجود الانسانى تعبيرا عن الكينونة . وترفض الرواية الجديدة ان تكون عملا فنيا وتتحلل من خاصية الجمال بالمفهوم التقليدى ولا تنافق الذوق . انها تنقل القارىء نقلة جديدة الى عصر الشكوك والهواجس كما تقول ناتالى ساروت ولا تصف الموجودات بقدر ماتتساءل عن الوجود .

وبطبيعة الحال تشكلت الرواية الجديدة باشكال عديدة وان بقيت مندرجة تحت هذا الاسم . وتقدمت الرواية الجديدة للظهور وهى تحمل ارصدة ضخمة من افكار الفلسفة الظاهرية وخاصة عند ميشيل بيتور . وهذا المؤلف الروائى لم يصبح مشهورا في منتصف الخمسينات الا بعد ان زاول اعمالا مختلفة وكان معلما للغة الفرنسية بمدرسة المنيا الثانوية في مصر سنتى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ . ثم استغل فرصة وجوده بمصر واعد كتابا رائعا عن عبقرية الزمان من الآثار المصرية طبعه بفرنسا بعد وصوله اليها سنة ١٩٥٣ . وكان قد سافر للعمل بالتدريس قبل ذلك بكندا سنة ١٩٥٢ . واخرج رواياته المرور بميلانو والتعديل والجدول الزمنى بين سنتى ١٩٥٤ ، ١٩٥٧ . وكانت هذه الروايات حدثا فذا فقال عنها سارتر انها تنبىء في طياتها عن كاتب كبير .

والكتابة الادبية تصدر عن طاقة ذاتية بلا شك ولكنها اليوم أصبحت مهنة خطيرة لها درجات مختلفة من الارتفاع والهبوط ولها ايضا درجات مختلفة من العظمة والانحطاط . واصبحت تحوط الكاتب هالة كبيرة تتخللها ثغرات من التدخل والتنغيص . وعندما الف سيلين قصته الاولى بعنوان عند حافة الليل انهالت عليه الجوائز سنة ١٩٣٢ بصورة عجيبة جعلته يفكر طويلا في مصيره كمؤلف روائى ؛ وكأنما تتخاطفه الجماعات والاتجاهات .

ولكنه ثابر وجاهد وعانى معاناة الابطال الحقيقيين ليقول كلمته حرة

● الأديب المبدع هو الذي يخلق ضمائر الناس ويعمر قلوبهم بالصدق ويجمع بين أطراف المشاعر الإنسانية .. ويلزمه لذلك كله موقف أخلاقي ومعرفة علمية وفلسفية واتجاه تاريخي والتزام بالمسئولية ...

مستقلة ومنها عبارات كثيرة لصالح العرب في رواياته من مثل : من قهر لاخر وموت بالتقسيط . واصبح سيلين اكبر روائي تقرؤه الجماهير بفرنسا .

وكذلك رفض جان بول سارتر جائزة نوبل ، واحتقر جوليان جراك جائزة جونكور ، وانكر هنري ميشوه قيمة جائزة الاداب الكبرى القومية . ولم يعد الكاتب او الاديب أو الشاعر يلتمس دليلا على أصالته من احد . ومثل هذا الموقف يتطلب من الكاتب الفنان موهبة وقوة ذاتية ورصيدا كبيرا من الاصالة والابتكار يجعله في موقف يتناسب مع هذه الحقائق الجديدة . فالاديب المبدع هو الذي يخلق ضمائر الناس ويعمر قلوبهم بالصدق ويجمع بين اطراف المشاعر الانسانية . ويلزمه لذلك كله موقف اخلاقي ومعرفة علمية وفلسفية واتجاه تاريخي والتزام بالمسئولية . فمن اين للشاب بهذا كله مالم يكن قد استوعب علوما يظهر معدنها في سطوره ومعرفة تضمن استمراره ورصيدا من الالمام بالمسائل الفكرية والمذاهب الفنية تجعله يعكس ذلك كله في انتاج واضح الابعاد والاعماق . وكيف تتالف مواقفه النفسية والاخلاقية في اطار المهمة التي يقوم بها ...

لقد اصبح اليوم عنصر الشهرة وعنصر الظهور الاجتماعي مختلطين بعملية الانتاج الثقافي الى جانب عنصر الكسب المادي الضروري . وهذا من شانه أن يجعل احتراف الكتابة والشعر والفنون ذا بريق ولمعان وذا اهمية ايضا من ناحية الارتباط بخط سير واضح في الحياة . فهو اما ان ينزوي عن الناس استعدادا لرسالته الفكرية او يخالط الناس مخالطة العاملين في مختلف المجالات العملية . ويتحدد هذا الجانب عادة في حياة الفنان او الاديب او العالم وفقا لطباعه في تصور الحياة والمدنية والتاريخ ولمدى فهمه لطبيعة الفرع الذي يتخصص فيه ولمدى قدرته على اتقان صناعته الفنية . فمنهم من تجذبه الشهرة والسمعة مهما كان تقديره الشخصي لكفاءته الشخصية بالنسبة للاخرين . ومنهم من تغريه طبيعة الوضع البراق والمكانة المرموقة بكل ما فيهما من استعراض وتعالم واستشثار بالتقدير والاهتمام بالامجاد . ومنهم من يبذل قصارى جهده في التحايل من أجل كسب الثروة باية وسيلة .

وليس أوضح الان من طريق العمل الادبي . فبعد هذه المقدمات نستطيع ان نعرف اي الطرق نختار . والناقد امره سهل اما جوهر العمل الادبي فما من سبيل اليه الا باتخاذ خطوات جادة نحو التثقيف الذاتي والارتباط بمناهج في العمل والدراسة والشروع في ممارسة الانتاج .

والناقد مسئول بلا شك في هذه الفترة القاسية . وقد غلبت المجاملة على لغة الجميع . وهم يخلطون بين التشجيع والتوجيه وبين المجاملة اللا ابالية التي لا تهدف الا الى استرضاء العواطف واستقطاب الاشخاص واتخاذ الوسائل الكافية لضمان خطوط سيرهم الشخصية . وازاء الشعور العام بالاحباط يحاول كل ان يستقل ذاته . واذا لم تكن صناعة الادب تضمن الكسب الوفير فلا اقل من الا تغضب الناس والا تسيء الى العلاقات والاصحاب . وحتى الامتياز قد يبعث على الحسد واثارة الكراهية في نفوس الاقران . فلنستبعد اذن هذا الامتياز ولنكن كما يكون الاخرون ولنخرس اذا لزم الامر فلم يعد لجوهر رسالة الاديب والكاتب والفنان شان . ولنا الله من قبل ومن بعد في هذه الصناعة التي لا تقل فداحة عن الصناعات الثقيلة . ●●

من فكر القدماء

الله والوحدانية والإيمان

أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني

يعتبر ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني « ٣١٠ ـ ٣٨٥ هـ /٩٢٢ ـ ٩٩٦ م» ، من اجل الفقهاء في تاريخ المذهب المالكي · ولد في بليدة نفزه في جنوبي الاندلس ثم انتقل به اهله الى القيروان ، وهناك نشأ وتربى وتعلم ، وظهر نبوغه في الفقه المالكي ، ولهذا يلقب بابي زيد القيرواني وقد بلغ من مكانته بين المالكية ان سمي بمالك الصغير · وترجع شهرته الى انه اختصر الفقه المالكي كله في كتاب صغير يسمى بالرسالة ، يعتبر من نوادر الاعمال الفقهية لانه اختصر الفقه المالكي كله في صفحات قليلة ، ولهذا كرهه الكثير من الفقهاء لانه يسر الفقه للناس جميعا ولم يجعله قصرا على كبار الشيوخ· والفقرة التالية اخذناها من خطبة « الرسالة » وهي تتناول الله سبحانه وتعالى والوحدانية والايمان بابلغ ما كتبه الكاتبون الى اليوم ، ولهذا نقدم هذه السطور البديعة من الفكر الفقهي الاسلامي فيما يلي :

باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الافئدة

من واجب امور الديانات

من ذلك الايمان بالقلب ، والنطق باللسان ان الله اله واحد لا اله غيره ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا شريك له .. ليس لاوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ؛ ولا يحيط بأمره المتفكرون ... يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والارض ؛ ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ، العالم ، الخبير ، المدبر القدير السميع ، البصير ، العلي ، الكبير ، وانه فوق عرشه المجيد بذاته · وهو في كل مكان بعلمه ، خلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد . وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ..

على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وله الاسماء الحسنى ، والصفات العلا ... لم يزل بجميع صفاته واسمائه تعالى ان تكون صفاته مخلوقة واسماؤه محدثة ... كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه ، وتجلى للجبل فصار دكا من جلاله ،وان القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد .

والايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره ، وكل ذلك قد قدره الله ربنا ، ومقادير الامور بيده ، ومصدرها عن قضائه . علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره لا يكون من عبارة قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه به ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ··· يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله ، فكل ميسر بتيسيره الى ماسبق من علمه وقدره من شقي او سعيد ، تعالى ان يكون في ملكه مالايريد او يكون لأحد عنه غني . او يكون خالق لشيء الا هو رب العباد ورب أعمالهم ، والمقدر لحركاتهم ، وآجالهم ، الباعث الرسل اليهم لاقامة الحجة عليهم .

ثم ختم الرسالة والنذارة والنبوة بمحمد نبيه ((صلى الله عليه وسلم)) فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

الدراسات العليا أيضا..

في حاجة إلى ثورة جديدة

● د . محمد عبد المنعم خفاجة ●

● والقصر الحديث هنا على جانب من الدراسات الإنسانية ، وهو الدراسات اللغوية والادبية فحسب . ومن البديهي ان هذا الجانب كثر الخريجون منه كثرة مذهلة ، لدرجة تجعل من الحتم تاجيل القبول فيه اربع سنوات، على أن يقصر القبول فيه على الحاصلين على « جيد جدا » في الليسانس .

وعلى أن تكون مرحلة الماجستير اربع سنوات على الأقل : اثنتان دراسيتان، واثنتان لاعداد الرسالة ، وتقتصر الدراسة فيها على الاساتذة وحدهم .

أما الاشراف على البحوث وتوجيه الطلاب فيها ومراجعة كتاباتهم العلمية فيوكل الى الاساتذة المساعدين ، على ان يقدموا تقارير كاملة عن أعمال الطلاب كل نصف سنة .

اما في مرحلة الدكتوراه فيبقى الاشراف والتوجيه للاساتذة وحدهم على الا يزيد نصاب الاستاذ في الاشراف على رسائل الدكتوراه على عشر رسائل ولا تقدم رسالة دكتوراه للمناقشة قبل مضي أربع سنوات على الاقل من بدء تسجيلها .

ولابد من أن يقر موضوع البحث لجنة مؤلفة من المشرف ، ورئيس القسم ووكيل الكلية للدراسات العليا .

***

وفي رسائل الماجستير تؤلف لجان الحكم ثلاثية : اما في رسائل الدكتوراه فيجب ان تكون لجنة الحكم خماسية .

وتخصص بحوث الماجستير للاعمال التي تحتاج الى جمع نصوص مادة الرسالة المتفرقة من مختلف المصادر :

اما بحوث الدكتوراه فيجب ان تكون حول النظريات والمذاهب والتيارات المختلفة ، والكشف عن كل ماغمض من الافكار .. وتنشأ في كل كلية مجلة للبحوث العلمية ، ويشترط لمناقشة اية رسالة ان يقدم بحث كامل عنها يتضمن خلاصة وافية للرسالة والجديد فيها وأهم مصادر البحث المخطوطة ، ويقر الاستاذ المشرف هذا البحث وتقوم الكلية بطبعه مع ترجمة له بالانجليزية، ويوزع هذا البحث المطبوع على مختلف دوائر البحث العلمي .

على أنه لابد من طبع فهرست شامل للرسائل في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في جميع الكليات الجامعية في جمهورية مصر العربية ، ووضع هذا الفهرست في أيدي المشتغلين بالدراسات العليا ، حتى يمكن الافادة منه في كل ماتصل بشئون البحث العلمي في مختلف أقسام الدراسات العليا .

ان من العجيب اليوم ان نسمع ان استاذا جامعيا أوكل اليه الاشراف على اربعين او خمسين رسالة ، اويكلف باعمال علمية في الدراسات العليا تفوق قدرة البشر !!

والمتبع اليوم ان يقر المشرف على الرسالة وحده صلاحيتها للمناقشة .. ويجب الا ينفرد المشرف بذلك العبء وحده ، بل يجب ان يمر البحث بمرحلة اولى من التقويم والميزان العلمي على يدي استاذ مساعد ، ثم يجيء دور المشرف بعد تلك الخطوة الاولى فيعيد الوزن والتقويم مرة ثانية ، حتى يكون البحث على درجة علمية عالية ، وتلافيا

لان تخرج البحوث خفيفة الوزن، قليلة الفائدة العلمية ، ضحلة المادة ، لا جديد فيها ، كما نلحظ ذلك اليوم .

لقد قرأت مقدمة كتاب الخصائص لابن جنى التى كتبها الباحث العلامة محمد على النجار رحمه الله وهو يقدم الكتاب ، فهالنى روعة البحث ، وعظمة الكتابة . وقرأت كتابا لكراتشوفسكى عن « محمد عياد الطنطاوى » فذهلت لهذا التمكن العلمى من المادة ، عن الازهر فى عصر محمد على ومناهجه العلمية وحلقات الدراسة فيه .

ولدينا طبقة جليلة من الاصلاء فى العلم ، من امثال عبد الوهاب عزام واحمد أمين ، والشيخ محمد ابوزهرة، وامين الخولى ، واحمد الشايب ، و د . شوقى ضيف ، و د . حسين مؤنس وغيرهم ، وهم الذين تزدهى بهم نهضتنا العلمية الحاضرة .. ومن المطلوب تكوين طبقات علمية مماثلة لهذه الطبقة ، تثرى بهم حركة البحث العلمى .. ومصر الحرية ، مصر السلام ، مصر النهضة والمعرفة والعلم . والدءوب على تلقى الثقافة ، وحمل رسالتها ، واداء امانتها ، جديرة بأن يكون فيها طبقات متلاحقة من أجيال العلماء الاصلاء .

ومن العجيب اننا اذا ماقرأنا فى كتب التراث نجد منهجا علميا رفيعا اصيلا ، فى جمع المادة العلمية وتخيرها والكشف عن جوهرها ، والاناة منها فى البحث والمعرفة ، قل ان يوجد له نظير فى دراستنا العلمية اليوم .

لماذا هذا التأخر العلمى ؟ ولماذا ذلك الجمود والوقوف والنكوص على الأعقاب؟ انى لافهم أن يأخذ كل جيل من سابقه، ويفيد منه ، ويتلقى عنه فيحسن التلقى .. ويضاهيه فى الامانة العلمية ، وفى الجد فى حمل مسئولية البحث. ولكن الامر صار بعكس ماكنا نرجوه ، مع تقدم وسائل البحث العلمى ، وثراء المصادر والمراجع ، ووضوح المناهج

واذا ما اصبحت الجامعات بيئات علمية حقا فانها سوف تحمل المشعل ، وتضىء الطريق للاجيال وعندئذ تنعدم وسائل الزلفى والنفاق والملق فى جونا الجامعى ، حيث تصبح الجامعات للعلم وحده ، وتكشف عن اصالتها النادرة .

ان الدراسات العليا فى جامعاتنا فى حاجة شديدة الى الانقاذ ، الى المعاودة والمراجعة والبحث عن المنهج ، الى ثورة علمية جديدة ، تعود بها الى عظمة الطريق ، وجلال الهدف ، وسمو الغاية ، والى كل مقومات البحث الخالص .

لقد ملكت مصر بجامعة الفسطاط الاولى ، وبجامعة الازهر ، وبجامعاتها الحديثة اليوم . وبجامعاتها الفرعونية القديمة من قبل : كجامعة عين شمس وجامعة الاسكندرية وجامعة منف . كل مقومات الحضارة والاصالة والشخصية العلمية المتميزة ..

واليوم نريد ان نعود الى هذه الشمائل الكريمة فى البحث وتخرج العلماء الباحثين .

ان جيل محمد عبده ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم من علمائنا ، وممن اكسبوا مصر مكانة علمية عالية ، لجدير بنا اليوم ان ناخذ عنه الاعتداد بالشخصية ، والكفاح من اجل حمل رسالة العلم ، واداء أمانة العلماء .

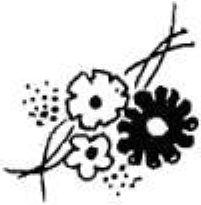
ومصر العلم والعلماء ابدا قادرة على الاخذ والعطاء ، انها حلقات مضيئة دائما فى سبيل الثقافة وطريق الحضارة والعقل المصرى دائما يبدع ويبتكر ، وقد يعتريه يوما الوهن والضعف ، ولكنه لا يكل ولا ينام ولا يستكين .

واذا كانت الدراسات العليا فى جامعاتنا اليوم لا تخرج لنا طبقات كثيرة من الموهوبين فانها جديرة بان تكون المنبع الاول لصقل المواهب ، وشحذ الذهن، وتأجيج شعلة الذكاء فى العالم والباحث

لم تعد الجامعات نفسها فى مراحلها العالية اداة كبيرة لكل ماتريده منها الشعوب ، ولكن حلقات الدراسات العليا فى مختلف الجامعات اليوم هى التى تضىء الطريق امام الاجيال ، **وتنير السبيل امام جماهير الدارسين ، وهى التى نعتمد عليها فى الاخذ بيد البحث العلمى ، من اجل نهضة شاملة، وحركة تقدم كاملة ،والله من وراء الجهد ، وهو العون للمجدين فى سبيل المعرفة والثقافة** ●

الربيع والحب

● مصطفى عبد الرحمن ●



الربيع هو النور !
والربيع هو الحب ...
والربيع هو الحياة ...

ما اشد أن نظلم الربيع حين لا نراه غير وردة حمراء ، او قبة زرقاء ، او ثمرة ناضجة حلوة الرواء ! ..

ان لغة الزهور هي نفسها لغة الحب ، عطر الشوق ، وعبير الحنين ، وشذى اللهفة ، ولون الدموع والخدود ..

قالوا : ان الوردة الحمراء تقول لك (بدأت أحبك) وان زهرة القرنفل تهمس (لماذا تحبيني) وان الوردة الصفراء تناجي بقولها (ثق بحبي) بينما تتوسل زهرة البنفسيه (أفكر فيك دائما) ، أما الوردة البيضاء فتتأسف في صمت معناه (أما زلت لا تعبأ بحبي) ؟

يقول (لامرتين) شاعر فرنسا الكبير :

الحب وردة ذات شوك ، وكلما كانت
الوردة جميلة كثرت من حولها الاشواك

والمثل الهندي يقول :
(ولد الحب في احدى ليالي الربيع المقمرة !)

اما العقاد فيقول :

(يقترب الربيع فتسري الحركة في عالم الاحياء كانهم يتاهبون ليوم عرس او يتجملون لعيد مهرجان

طائر يرفرف ولا يستقر ، واذا استقر اخذ في التغريد ، وشجر يخرج جواهره من خزنتها المهجورة كما تتزين الحسناء

وأنغام ترقص ،ومروج تتألق ،وأحلام تتجاوب بأشتات من الانغام والاصداء .. اشتات تتفرق ما شاءت أن تتفرق ، ثم تجتمع في كلمة واحدة تقال بكل لغة ، وتفهم بكل وجدان

هي كلمة الحب ..)

***

الناس كلهم يحيون مع الربيع من جديد ، فتجري في عروقهم دماء الحياة ، وتسري فيهم نبضات الغرام ، وتشتعل العواطف ، وترتل القلوب أحلى أناشيد الهوى والحنين ... فالربيع موسم التلاقي في ظل الطيب والورد ، واللقاء مع الحبيب بلا وعد ..

يقول عمر ابو ريشه :

هنـــا في موسم الورد تلاقينـــا بلا وعـــد
وسرنا في جلال الصمت فوق مناكب الخلد
وفي الحاظنا جـــوع على الحرمان يستجدي
واهوى جيدك الريان متكئا على زندي ...
فكنا غفـــوة خرساء بين الخـــد والخـــد

والمرأة بما فيها من سحر ، واشراق ، وفتنة وجمال تمثل بانوثتها روح الربيع التي تختال في الدنيا فتهب الحيـــاة ، ويخفق القلب وتنتعش الروح ، وترتل احلى اغاني الهوى والحنين ..

يقول الشابي شاعر تونس الخضراء في خالدته (صلوات في هيكل الحب) :

انت روح الربيع تختـال في الد نيا فتهتز رائعـات الـــورود
وتهب الحيـاة سكرى من العـــ ـطر ويدوى الوجود بالتغريد
كلما ابصرتك عينـــاى تمشـــ ـين بخطو موقع كالنشـــيد
خفق القلب للحيـــاة ورف الزهـر في حقل عمري المجرود
وانتشت روحى الكئيبة بالحب وغنت كالبلبـــل الغـــريد

ان الربيع يعود فتعود الحياة في كل شيء ويسيطر الحب على كل الخلائق من حي يحيا ولا يتحرك وذلك النبات . ومن حي يحيا ويتحرك وذاك الحيوان ، ومن حي يحيا ويتحرك وله فهم وله لسان وذلك هو الانسان ...

يقول امين نخلة وقد عاد الربيع :

عاد الربيع وحـرك الغصـــنا اين الربيـــع واين ماكنـــا
عودى فقد عاد الربيع وقـــد عاد الحمام وقد تعـــاتبنا
عـودى فقـد عاد الربيع لنـا همس الربيع وغمزه عنـــا
انفاســـه منـا ورقتـــه منـا ، وجـر ذيوله منـــا
يا غصن يا مضـــنى بلا سبب مل حولنا يا غصن يا مضـــنى
يا ورد يا ابن الرقة اختبـات في ظلك العشـاق خبئنـــا

وفي الفاظ تسيل عذوبة ، ومعان تشف عن رقة .. رقة كأنها صفاء في صفاء او كأنك تتأمل فيها الى زرقة السماء وهي بعد تحمل في بساطتها عمق التـاريخ ووهج الحريق ..

يقول صالح جودت :

يا حلوة العشرين لا تفـــزعي من همسة الخمسين في مسمعي
انا شـــباب سرمدى المـــدى انا ربيـــع دائم المطـــلع
لا يكبر الشـــاعر يا طفلتي فعمـــره في حســـه الطيـــع
قلبى على العشرين قيـــدته فعمـــر قلبي ليس يجرى معي !

ويمزج العقاد بين الربيع في مشاعره ، والحبيب في احاسيسه فاذا نضرته سبب لنضرة الطبيعة واذا غضبه غضبها في الشتاء ، والطير لا يغنى الا بصـوته وخرير الجدول همسات ثغره :

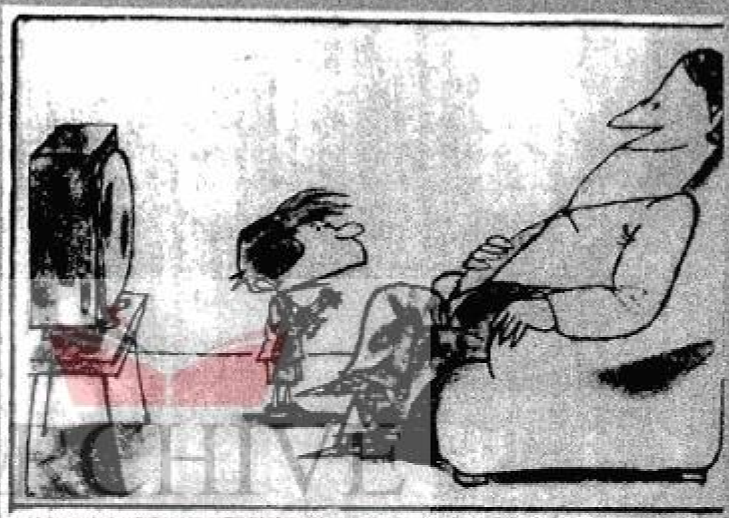
فيـك من كل ربيـــع طلعـــة تنبت النضرة عاما بعـــد عام
والشـــتاء الجهم لا يعدوك من عهـده العاصف برق وغمـــام
ما تغنى الطــــير الا بعض ما انت راويه ولا نوح الحمـــام
واذا الجدول ناغى نفســـه فهى اصـــداؤك من غير كلام
مرحبا بك يا ربيع الحب
يا ربيع النور والحياة والسلام ..

كاريكاتير..

جيل.. جديد جداً!



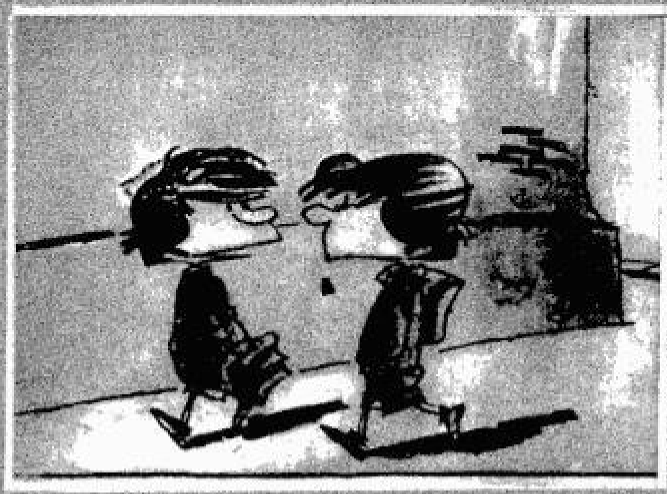
الولد للضيفة : لا ، لا يا تانت ... لازم تيجى عندنا بكره وبعده وكل يوم ! .. انا سمعت بابا يقول عنك كلام بحرارة ، وبمنتهى الاعجاب !.



الولد لابيه بيتهيألى تقوم انت بقى تنام بدرى ، احسن ح يعرضوا دلوقت برنامج مثير شويه !.



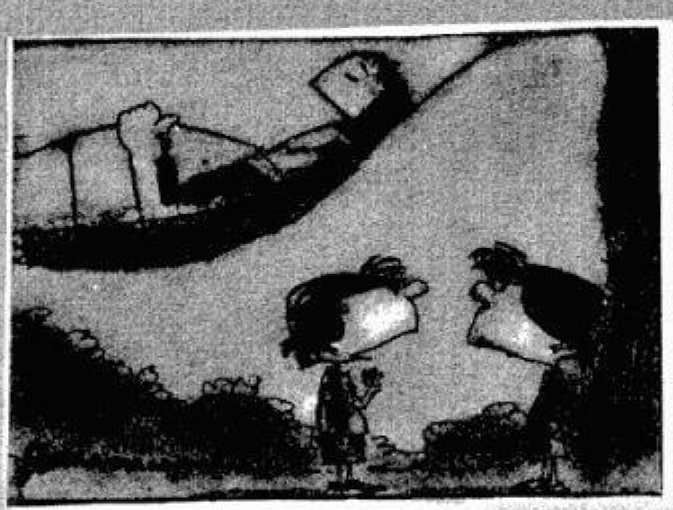
البائع للوالد : اطمن .. هو اختار الاسطوانة دى ، وصحيح هى ح تعمل دوشه فظيعه .. لكن كلها لغتين وح تتكسر !.



الولد لصاحبه : مفيش فايده ! . . كل يوم بابا يصمم يعمل لى الواجب بنفسه ، والنتيجة يطلع غلط ، والمدرس يعاقبنى ، وأضطر أعمل الواجب بنفسي تانى ! . .



الولد لصاحبته : شوقى بقى . . . أنا ما أجيش مرالى تخرج ، لا تتعلم ولا تشتغل ! . . أنتي لروحي تتعدى لى بيتكم كام سنه لغاية ما أكبر وأتخرج وأجي أتجوزك !.



الولد لصاحبه : خلى بابا نايم كده مستريح لغاية ما تقطع بيه الحبل ، وانت تشوف اللى ح يحصل بقى هيصه وفرجه لها العجب ! .

فى ذكرى مرور ٥٠ سنة على إزاحة الستار عن "نهضة مصر"

مختار [redacted]

ملحمة من الأصالة المصرية بلغة عالمية

• جمال قطب •

● قال د. طه حسين يوما عن مختار « انه من العسير على شباب اليوم ان يتصور ما استولى علينا من دهشة ومن عجب عندما بدأ الحديث عن مختار، فنحن وان كنا قد اخذنا الآن نتحدث عن الفن وندرسه ، وننظم له المعارض ، ونناقش ونصدر الاحكام ، الا ان امور الفن كانت غريبة من قبل عن الشباب، لقد كان مختار معجزة أدهشتنا حتى سميناه « النابغة » » .

وفى عام ١٩٢٠ كتب أكبر نقاد الفن فى أوروبا ، اندريه سالمون : « لا أعرف نحاتا معاصرا عنى أكثر من مختار بالعنصر البنائى ، وباحترام الكتلة لذاتها فى فن النحت وفقا لما تمليه تقاليد هذا الفن العريقة ، وليس هناك فن أجدر من فنه أن يكون فن ابيمات، وفوق هذا وذاك فان مختار دفعنا الآن للمس اعماق ضمير بلاده مصر .. حين عبر عن عاطفة كبرى وهى تمجيد الجنس »

وفى نوفمبر ١٩٢٥ كتب جورج ريمون المراقب العام للفنون الجميلة فى مصر وقتذاك مخاطبا رئيس الوزراء آنذاك : « ان فن مختار منفرد النظير .. فقد ظل هذا المصرى الاصيل مصغيا الى صوت تقاليد اجداده منذ آلاف السنين ، ثم اعاد الحياة الى فن النحت والفنون كلها . وان اعماله التى نحتها بيد تحركها العاطفة ويهزها المرض ، لتدل على فنان متمكن من اسلوبه ،قدير على التعبير بلغته الخاصة دون الالتجاء الى التقليد ! »

فمن هذا الفتى الريفى الاسمر الذى اصبح فى الثلث الاول من هذا القرن حديث العالم وملء سمعه وبصره، ونجم محافله الفنية ؟

المنبع

عندما ولد الطفل محمود مختار فى عام ١٨٩١ ، لم يدر بخلد أهالى قرية « طنباره » أنهم يقدمون للعالم فنانا أصيلا سيحمل رسالة أجداده الفراعنة الذين انقطعت مسيرتهم الفنية منذ آلاف السنين !

وينمو الوليد .. حتى يبلغ الرابعة من عمره ، وينفصل ابواه ، وترحل الام بولدها الى بلدتها الصغيرة « نشا » وهى احدى قرى محافظة الغربية ، لتقيم بين أهلها ، ولينشأ الطفل فى بيت أخواله ، وهناك وجد فى البيت جارية عجوزا ، لا تكف عن رواية الحكايات والأساطير . تشغف بها ، وكان يطلب منها دائما ان تقص له من حكاياتها الممتعة . حتى اذا جاء الليل ، تسلل مختار الى المقهى القائم بمدخل القرية ليستمع الى شاعر الربابة وهو ينشد سيرة « ابى زيد الهلالى » ، وعنترة، ودياب، وسيف بن ذى يزن. وكان لهذه البطولات مفعول السحر فى نفسه المتفتحة ، وملأت هذه البطولات الاسطورية فكره وخياله زهوا وتطلعا نحو التفوق والانتصار ! وزادت من حماسه قصص امجاد عائلته فى عزهم القديم ، فقد كان اخواله يتغنون بهذه الامجاد الغابرة فى مجالسهم على مسمع من مختار الصغير : سمع أن الاسرة قد فقدت جاهها ورجالها ..

فالجاه ذهبت به الديون والاسراف، والرجال قضى عليهم وباء الكوليرا الذى



«نهضة مصر» .. ملأ الارجاء بالوطنية المتدفقة ..



مختار .. فنان مصر الذى تميزت تماثيله بكل خصائص الفن العظيم ..

داهم البلاد مرتين ! كما يروون أن احد اجداد الاسرة كان فارسا عربيا قدم الى شمال الدلتا حيث توزع نسله، فاستوطن السيد « زغلول » بلدة « ابيانه » واسس اسرته التى أنجبت الزعيم سعد زغلول ، كما استوطن آخر بلدة «نشا» وانحدر من اسرته محمود مختار .

فى هذا الجو المفعم بعبق الريف وجو الاساطير والبطولات والامجاد ، ترعرع الطفل ورسخت فى وجدانه معانى البطولة !

وسارت عجلة الايام ، ولجات الام الى العبادة ، وامعانا فى التقرب الى الله نذرت أبنها مختار للازهر لينشأ فى خدمة الدين . وسافرت ام مختار لتادية فريضة الحج ، وبعد عودتها استأجرت بيتا فى القاهرة لتقيم به للعلاج . ولم يحتمل الطفل البعد عن امه ، وبعد مشاجرة مع بعض الصبية فى القرية ، صمم على السفر ليقيم مع والدته بالقاهرة ، فصحبه أحد شيوخ البلدة واوصله اليها ، وهكذا بدأت صفحة جديدة من حياة الفنان ..

فى القاهرة ، وفى احد احيائها الشعبية ، تعلم الصبى القراءة والكتابة .. واخذ يقضى وقته فى التجول بين الاحياء القربية .. وبهرته المظاهر والعادات والتقاليد الشعبية .. واختزن عقله الباطن منها ما سوف نراه متجسدا فى اعماله بعد ذلك . واضاف الانطباعات الجديدة على ذكريات الطفولة فى القرية . واخذ يعبر عن ذلك بالرسم والتشكيل باى مادة وعلى اى شىء فى متناول انامله الرقيقة .

وتمرد مختار على رغبة والدته فى الالتحاق بالازهر الشريف ، وقاوم الفكرة بعناد .. والتظم فى المدرسة ، كما تمرد على كل وصاية او سيطرة من اهله ! وجابه حياته بمفرده ، وقاسى فى سبيل ذلك من الحرمان والمعاناة .. وقسم وقته بين المدرسة وعمل التماثيل واللوحات وكسب قوته بالعمل فى المصانع الصغيرة . واخذ يواصل الليل بالنهار ، فخورا بمجابهته للحياة وتحمل اعبائها وهو فى هذه السن المبكرة . وظل كذلك .. حتى كان الحدث العظيم ..

مدرسة الفنون الجميلة

فى عام ١٩٠٧ تبلورت فكرة انشاء مدرسة للفنون بالقاهرة . واحتضن الامير يوسف كمال هذه الفكرة . وكان شغوفا بالفن واقتناء التحف ، مشجعا للحركات والجمعيات الفنية التى ظهرت فى مصر فى مطلع هـذا القرن . . وافتتحت المدرسة ابوابها عام ١٩٠٨ فى بيته الخاص بحى درب الجماميز بالقاهرة .

وفى عصر احد ايام الخريف من ذلك العام ، وبعد بدء الدراسة باسابيع قليلة ، مر الفتى مختار بهذه المدرسة ، فكانت نقطة تحول فى مجرى حياته . .

وعندما تقدم مختار لتأدية امتحان الدخول ، كان نجاحه باهـرا ، بل ان « مسيو لابلان » مدير المدرسة ، وجمعا من الاساتذة الاجانب ـ قد التفـوا حول مختار يتاملون هذه الموهبة الفذة التى وفدت الى مدرستهم الناشئة ، ويعقدون الامال الكبار على ما ستكون عليه هذه الموهبة الجديدة بعد صقلها وتوجيهها !

واحاط « لابلان » مختار بعناية خاصة فلم تمض أسابيع قليلة حتى خصص له مرسما مستقلا فى تسلم النحت بالمدرسة . واطلق فناننا العنان لشعره ولحيته تشبها بكبار الفنانين ، واخذ ينهل من خبرة وعلم اساتذته الفرنسيين والايطاليين . واخلصـوا له العطاء والتشجيع ، ثم ما لبث أن نضجت مكامن نفسه التى اختزنت انطبـاعات الريف والحياة الشعبية ، وتحركت عوامـل الاصالة والمجد والوطنية التى طالمـا راودته احلامها . فشارك أقـرانه المظاهرات والتجمعات الثورية . . وتصدر الندوات السياسية الطلابية ، وتعرض للاعتقال والسجن من جراء ذلك . ولكنه لم يكف عن الكفاح ضد المستعمـرين وأعوان السراى ، وكان يلجا الى الشعر فيقرض القصائد الملتهبة ويلقيهـا فى جموع المتظاهرين ليزيد من روح الوطنية التى أشعلها مصطفى كامل ! وكان لموت الزعيم مصطفى كامل اثره البالغ فى نفس مختار ، فصنع له تمثالا يفيض بالمحبة وقوة التعبير .

وظهرت لمختار تماثيل تعبر عن احلامه فى البطولة القومية ، متاثرا بامجـاد العروبة من خلال روايات جرجى زيدان ، ومسرح سلامة حجازى وثورة البعث الوطنى التى فجرها مصطفى كامل ومحمد فريد . . فابدع تماثيل خالد بن الوليد وطارق بن زياد وخولة بنت الازور التى حررت نساء العـرب من اسر الروم . وغيرهم من ابطال العروبة على مر التاريخ !

واصبح مدير المدرسة « مسيو لابلان » واساتذتها الاجانب فى موقف حرج . . ورغم اعزازهم لتلميذهم النابغة ورفاقه ، فان السلطة قد استخـدمت نفوذها واوعزت بفصل مختار وخمسة عشر آخرين من المدرسـة ! وقابل الزملاء الوطنيون القرار باسـتخفاف مزهوين بحركتهم ووطنيتهم . . ولكنـهم لم يطيقوا الابتعاد عن مراسـمهم ، فاستاجروا دكانا قريبا من المدرسـة نقلوا فيه اعمالهم لجلب انظـار الجمهور ، وافتتحوا فيه اول معرض وطنى فى مصر . . ويمكننا القـول بان اول المعارض الفنيـة فى تاريخ الفن الحديث . . افتتح فى دكان بحى درب الجماميز بالقاهرة !

ولم يطل بهم الحال ، فقد اشـفق « مسيو لابلان » عليهم وهم صـفوة تلاميذه الذين اخـلص فى تكوينهم ـ ـ فاعادهم الى المدرسة . .

وعكف مختار على عمله وابداعه ، ومرت الايام ثقيلة متباطئة . . وعانى الفنان من الحرمان وقلة المورد . وتمنى لو تغيرت به هذه الحياة الناعسة الراكدة الى حياة جديدة كلها حـركة واحداث وآمال . . وشهرة !



احدى روائع مختار..
تمثال القروية الجميلة
تملا جرتها من النيل..

يقول مختار عن تلك الأيام :
« كلما خلوت الى نفسى ، وانفردت بعجينة الطين ، وأنا جائع ساخط ، أو شبعان سعيد ، تخيلت لو ان شيئا، اى شيء ، يختاره الله لى ، فيسلطه على حياتى الراكدة الخالية من كل طعم ولون ، ليحولها الى حياة تملؤها الشهرة والتماثيل .. التماثيل .. التماثيل ! »

وفى عام ۱۹۱۰ أقامت ادارة المدرسة معرضا كبيرا فى نادى محمد على الذى كان قائما بشارع المدابغ ، وعرضت فيه أول انتاج لطلبتها ، وعلى رأسهم محمود مختار . وافتتح الأمير يوسف كمال هذا المهرجان الفنى بصحبة مدير المدرسة وأساتذتها الأجانب وجمع كبير من قادة الفكر فى مصر .. واستعرض الأمير اللوحات والتماثيل قطعة قطعة ، وأمام أعمال مختار توقف طويلا وهو لايكاد يصدق ما يرى أمامه .. وأخذ « مسيو لابلان » يحكى للأمير عن النابغة الذى تفخر مدرسة الفنون به وبفنه الاصيل ! وما أن انتهى حفل الافتتاح ، حتى اعلن عن قرار يوسف كمال بارسال محمود مختار الى باريس لاتمام دراسته الفنية . وهز الخبر مشاعر الفنان ، فنظم قصيدة بثها شجونه وأحلامه وأخذ يترنم بأبياتها:

اعلل نفسى بالمعالى تخيلا
فياليت آمال الخيال تكون
سارفع يوما للفنون لواءها
ويبقى تذكراها بمصر رنين

فى مدينة النور والفنون

فى باريس ، وضع الشاب الريفى الخجول قدمه على أولى درجات المجد الفنى ، ولكنه كان مجدا غالى الثمن . سلك مختار طريقه شاقا وعرا مليئا بالعقبات والأشواك .. ولذا ، نرى مختار وقد أثر هذا الكفاح المرير على نفسيته وسلوكه مما جعله متجلدا لايهاب شيئا ولا يخشى أحدا ، وكان يقول : « هذى يدى ، وهذى صحتى ، فرزقى على الله ، وليس لأحد سلطان على . »

ولنر معا كيف استقبلت باريس فناننا الذى رحل اليها بفطرته

وتقاليده القروية المحافظة !

فى مدرسة الفنون الجميلة فى الحى اللاتينى بباريس ، وجد مختار وهو يشق طريقه الى المدرسة فى اول يوم ، نفسه وحيدا بلا أصدقاء أو معارف . وليس عليه الا ان يزداد انطواء على نفسه وانهماكا فى عمله ..

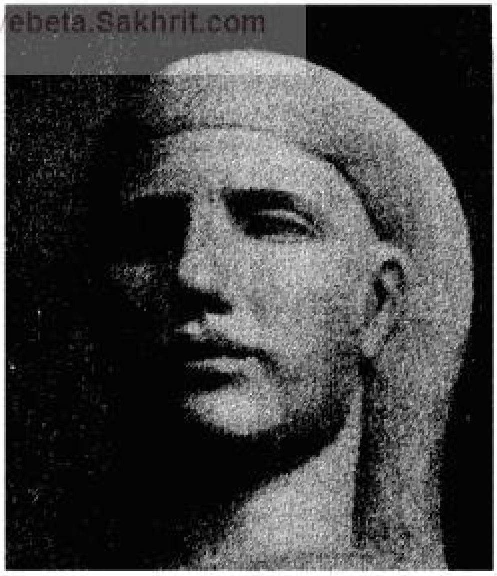
وسارت أيام باريس خاوية متثاقلة، خالية من دفء العائلة والاصدقاء، بعيدة عن الوطن وأحداثه الملتهبة المتوالية ! ولكن مختار كان يتابع الحركات الثورية فى مصر ويستلهم من أحداثها موضوعات لاعماله.. واضطره بعد ثلاث سنوات الى العودة الى مصر فعرض عليه أن يكون ناظرا لمدرسة الفنون الجميلة ، ولكنه رفض وعاد الى باريس ، ليبدأ الكفاح مرة أخرى . وقابل الايام العصيبة وجابه الجوع والحرمان ، وتقلب فى أعمال صغيرة سعيا وراء لقمة العيش ،وكان من بينها أن عمل فى مصنع للذخيرة أيام الحرب العالمية الاولى .

ولم يثنه الجرى وراء رزقه وقوت يومه عن فنه ، وكانت اخبار الثورة المصرية ايام سعد زغلول تتوالى محملة بالامل فى التحرر ، فعبر عن مشاعره بتمثال لمصر الثائرة وهى تتاهب لاستلال السيف من غمده ، وتتهيأ لقتال أعداء الوطن .. ثم مالبث مختار ان وجد ان الثورة المصرية اعم واشمل من ذلك ، فهى يقظة الشعور العام وعودة الروح الى ارض الوادى متمثلة فى النهضة التى تعم كل انواع الحياة.

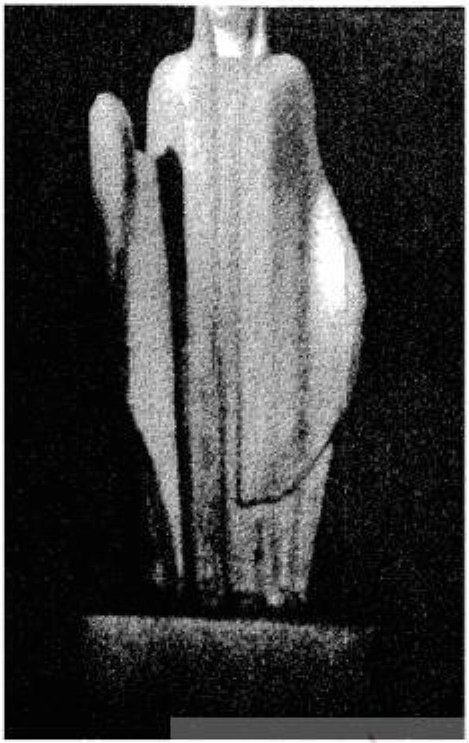
ولهذا صمم على ابداع رائعته الفنية الخالدة : تمثال نهضة مصر .وقد رمز لمصر بالفلاحة التى هى امنا جميعا نهضت قائمة ورفعت عنها الحجاب فى تحفز وتطلعت الى الافق بكبرياء وأمل، وقد استندت الى ابى الهول الناهض الذى يرمز الى انبعاث الماضى فى الحاضر وعودة الروح الى الشعب .

وفى أكبر معارض باريس عرض مشروع التمثال عام ١٩٢٠ ونال عليه جائزة تقدير ، وانطلقت الصحافة العالمية تشيد بفن مختار وتصفه بأنه حلقة الوصل بين الفن الفرعونى الخالد، وبين الفن المعاصر ذى المستوى الرفيع .

ولم يكد أعضاء الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول يرون التمثال فى باريس حين كانوا يدعون القضية



راس فتاة مصرية .... خطوط تنساب فى رشاقة وتتالم كالموسيقى الحالمة



الفلاحة المصرية .. الهمت « مختار » كثيرا من موضوعات تماثيله وروائع فنه .

المصرية هناك في طريق عودتهم من لندن، حتى استقر رأيهم على اقامة التمثال في مدخل القاهرة .

وكتب سعد زغلول الى مختار يقول :

« شاهدت التمثال الذى رمزت به لنهضة مصر ، فوجدته ابلغ رمز للحقيقة ، وانهض حجة على صحتها ، فاهنئك على هذا الخيال الواسع وهذا الذوق السليم وهذا الفن الساحر ، واهنئ مصر بانك من ابنائها العاملين على اعادة مجدها ، فارجو من الله أن يمين هذه النهضة حتى تبلغ كمالها ، فتشفع تمثال النهضة بتمثال الاستقلال »

وعندما عاد رجال الوفد الى مصر دعوا الى اكتتاب قومى لاقامة التمثال، فتحمس المصريون بكل طوائفهم ، وتوالت قوائم الاكتتاب في تسابق رائع، واصبحت اقامة التمثال مطلبا وطنيا يأمل الجميع في تحقيقه وعم مصر شعور بالوطنية الدافقة .. فهذا أمير الشعراء احمد شوقى يناجى « أبا الهول » ويستنهضه ، ومصطفى صادق الرافعى يقول في النشيد الوطنى الذى صاغه ١٩٢٠ :

رسا ابو الهول ركينا وربض
ربضة جبار على الارض قبض
فالفزع الأكبر يوما لو نبض

وهذا سيد درويش وهو يفاخر الدنيا بعز اجدادنا وكرم عنصرنا ، ويبدع توفيق الحكيم قصته « عودة الروح » .

رغم المؤامرات

عندما استقر الرأى على ان يقام تمثال « نهضة مصر » بالقاهرة ، بدأ مختار قصة كفاح من نوع آخر ، كفاح ضد الروتين والرجعية والتآمر ! وكان عليه أن ينحت التمثال ، وفي نفس الوقت يحفظ للفن قداسته وللفنان كرامته .

وتوالت المؤامرات ، ويكفى ان هذا التمثال قد اقتطع من عمر الفنان ثمانى سنوات ضاع معظمها بين مقاومة الحكومات والسراى وتخطى العراقيل والعقبات . .

ويجابه الفنان الذى لايملك مالا ولا جاها تعنت المعوقين فيخاطب وزير الاشغال ــ وكانت وزارته تشرف على اقامة التمثال ــ قائلا :

« ليست وعودا ما اريد ، وانما قرارا حاسما صريحا : نعم أو لا ، على أن يكون ذلك عاجلا ، فلقد بدأت اشعر باليأس من الاستمرار على هذا النحو » .

وما كان غير مختار يستطيع ان يخاطب رئيس الحكومة بمثل هذه الرسالة : « انى أرى ان تدخل الحكومة



الفقراء الثلاثة .. عمل فني عامر بالحيوية والصدق وهما من ملامح فن مختار

في شئون الفن بالوضع القائم ليس فقط عديم الفائدة، ولكنه بالغ الضرر. أليس من المضحك والمؤلم في الوقت نفسه وصاية وزارة الاشغال على الفنون الجميلة ؟ انني أفكر لو كان كل الفنانين يلقون مثل هذه المعاملة من حكوماتهم لهجر معظمهم الفن واشتغل بالبقالة ! » وهكذا كان مختار .. الصرامة والصراحة والشجاعة تغلفها روح الفكاهة والسخرية !

واستمرت مضايقات السلطة التي تحركها قوى الاستعمار والرجعية..

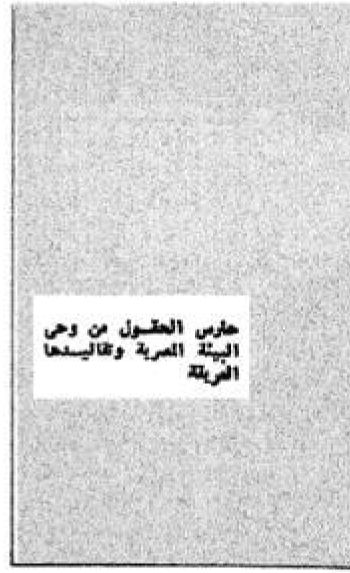
.. واخيرا ، وبعد ثماني سنوات اتم مختار تمثال « نهضة مصر »، واحتفل بازاحة الستار عن التمثال في مايو ١٩٢٨ ، وحظى باعجاب المفكرين وتقدير كافة طوائف الشعب . أما السلطات الرسمية ، فقد قابلت التمثال بفتور واعراض ، فلم تعط مختار أي تعويض مادي ، ولم تمنحه رتبة أو وساما حين كانت الرتب والأوسمة تمنح للكثيرين بغير حساب !

وبهذا الانجاز الرائع قدم مختار الدليل على قدرة الفنان المصري في ان يثبت ارادته وان يفرض فنه المبدع على الجميع دون اعتماد على ثروة أو منصب !

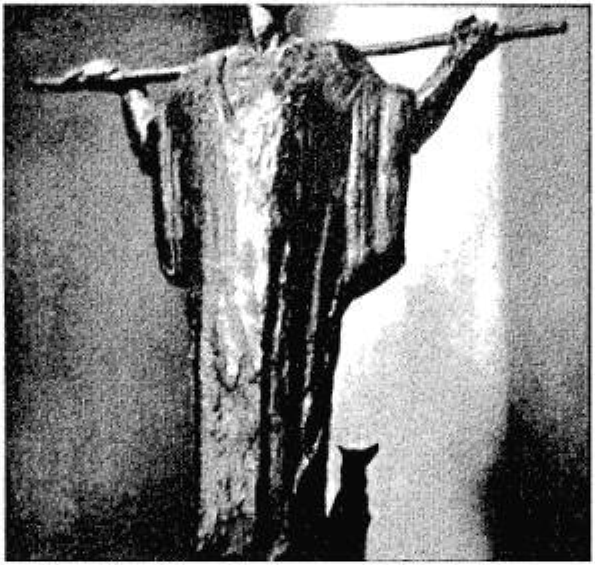
جماعة « الخيال »

عندما كانت اقامة المعارض الفنية واعداد القاعات والمراسم أمرا عسيرا، أنشأ مختار جماعة « الخيال » وجعلها مركزا للثقافة والفن ، وزودها بقاعة عرض رائعة . ولم تكتف الجمعية بالنشاط المحلي ، بل كانت تستقبل الكثيرين من فناني العالم البارزين ، فيلقون في الجمعية التشجيع والمناخ الحر الذي عهدوه في بلادهم . ومن هؤلاء الفنانين العالميين « فان دونجن » وكان من زعماء « المدرسة الوحشية » السائدة آنذاك في أوروبا . واقام في مصر شهورا طويلة بصحبة مختار ، وقد أذهله — وهو في قمة الثراء والشهرة — ان يرى فنان مصر الشهير يعيش في القاهرة تلك الحياة البسيطة المتواضعة .. وفي نفس الوقت ينتج روائعه التي بهرت العالم !

وكان من اعضاء جمعية « الخيال» معظم جيل الرواد من امثال : راغب عياد — ناجي — محمود سعيد — محمد حسن — يوسف كامل — شفيق شاروبيم — انطون حجار . كما ضمت اصدقاء لها من الادباء والمفكرين مثل العقاد ومحمود عزمي والآنسة مي، ومن رجال



حارس الحقول من وحي البيئة المصرية وتقاليدها العريقة



الدولة : واصف غالي ـ ويصا واصف ـ بكن ـ عدلي ـ ثروت وحسين رشدي ..

وقد استطاع مختار من خلال نشاط الجمعية أن يقيم رابطة قوية بين الفنانين والمفكرين ، وقد أثمرت هذه الرابطة انشاء جهاز للفنون الجميلة ترصد له الاعتمادات في ميزانية الدولة ، كما يقوم بايفاد البعثات وتنظيم المناهج وانشاء مدرسة حكومية عليا للفنون الجميلة ، وفي نفس الوقت كان غيره من المخلصين يسهمون في انشاء الجامعة الحكومية .

المعاناة والتأمل

ما أن انتهى مختار عام ١٩٢٨ من تمثال « نهضة مصر » حتى دعته الهيئات الوطنية الى اقامة تمثالي سعد زغلول ،ليكون احدهما بالقاهرة والاخر بالاسكندرية، واستقبل الفكرة بحماس بالغ لانه كان يرى في سعد رمزا لكفاح الشعب بأسره .. واخذ يعد اجزاء المشروع التي تمثل الحرية والعدالة والدستور ، ولكن مقاومة رجال السراي والرجعيين من عملاء الاستعمار، بلغت حدا من العنف جعل اليأس يتسرب الى نفس الفنان ، بل دفعه الى التفكير في السفر الى فرنسا ليتنفس عبير الحرية .

واشتدت ضراوة الدسائس ، فقبع الفنان يطالع حياة مايكل انجلو وصراعه ، ويجد عنده العزاء .

ويقول مختار في رسالة كتبها الى صديق له :

« ان كثيرين يقفون في سبيلي ويعملون ضدي .. وبدلا من أن انفى من هنا نتيجة دسيسة أو مؤامرة ، فسأنفي نفسي باختياري ! انني أكاد أعيش في قفص من زجاج ، ولكن رأسي يحتاج الى الهواء النقي فهو غذاء الفن وحياته ! »

.. وصبر مختار .. وكان يجد السلوى في تشجيع الهيئات الوطنية ، ومن بعض رجالات مصر المخلصين .. وتحقق له حلمه في انجاز تمثالي سعد زغلول .. وزودهما برموز الحرية والعدالة والدستور و « ١٣ نوفمبر » وهتاف الجماهير . . . وغيرها من

الرموز التى تعبر عن القيم والمناسبات التى كافح سعد من أجلها . واصبح هذان الصرحان مع تمثال نهضة مصر من شوامخ مختار الخالدة .

اعجاز الفنان

ان عظمة مختار الفنية ـ وقد صارت معلما اساسيا من معالم الفن المصرى المعاصر ، قد زادها عمقـــا ورسوخا وجمالا شكليا ، هذا التوافق المنطقى بين الشكل والموضوع ، وبين التجريد والواقع . وكما يقول «هنرى مور » : «لست ارى مايمنع ان يعيش الفن الواقعى مع الفن التجريدى فى العالم ، بل فى نفس فنان واحد . »

واذا كان التجريد بمفهومه البسيط هو التعبير متحررا من قيود المقاييس التقليدية ، الا ان مختار استطاع ان يسخر التجريد فى التأكيد والتركيز لنطق الاشياء،دون الاعتماد على الرؤى التقليدية ، وفى نفس الوقت دون ان يكون على حساب الجمال الشكلى او الخروج بعمن نطاق التذوق والاحساس بالانسجام ، كل هذا فى رقة متناهية ميزت أسلوب مختار ،وكأنها الشفافية بعينها . فنرى تماثيل مختار ، وقد اكتست رسوخا ووقارا بكتلتهـــا الفرعونية المتماسكة ، وخطوطها التى تنساب فى رشاقة وتناغم كالنغـــام الموسيقى الحالمة !

وكما يقول « انطون بوردبل » : « ان خصائص الفن العظيم هو أن يردهر دون كلام ، وأن يعطى دون صخب»

.... وهكذا كان فن مختار !

***

احب مختار الريف واهله بحـــكم نشأته الاولى ، وفتنته الفـــلاحة المصرية، فالهمته كثيرا من موضوعات تماثيله . واذا تاملنا رائعته « نهضـة مصر»وتماثيله الاخرى : نحو ماء النيل «١٩٢٧» ـ الى النهر « ١٩٢٧ » ـ اعتداد « ١٩٢٦ » ـ العودة من السوق «١٩٢٨» ـ على شاطىء النهر «١٩٢٦» ـ الفــــلاحة « ١٩٢٦ » ـ ايزيس « ١٩٢٩ » ـ عروس النيــل «١٩٢٩ » ـ الراحة «١٩٢٦ » ـ والوجه القبلى « ١٩٣١ » ، نجد ان مختار لم ينظر الى المراة المصرية نظرة مقصورة على الجنس ، بل جعلها اعم واشـمل من ذلك ، جعلها النبع الذى يتدفق اصالة وحيـــوية واملا . والرمز الذى يشكله بحكم النشاة والتاثر والبيئة فى شتى الموضوعات .

الا أن حياة الفنان ذات المستوى المتفاوت والمزاج المتقلب، لم تخل من ملهمات حسان ساهمن القدر فى طريقه ليخفق لهن قلبه ، وليلعبن أدوارا هامة فى حياته الفنية .

النهـــاية

فى شقته الصغيرة المتواضعة التى تطل على صحراء هليوبوليس ، نظر مختار حوله فلم يجد سوى مقعدين من طراز فرعونى ، وسرير ضخم من طراز قديم ، وبعض الابسطة الصغيرة المتناثرة فى ارضية الحجرات ، وبضع عشرات من التماثيل الصغيرة التى عبرت عن خواطره وأفكاره السريعة قبل تنفيذها النهائى .. ثم اطال النظر الى مكتبته الزاخرة بمئات الكتب من شتى العلوم والفنـــون والاداب ، وشعر باعتزاز خاص ، فكل كتاب منها قد آنســه وحدته فى الليالى القاسية الموحشة ، او صاحبه فى رحلة وراء البحار أوعبر



استطاع فنان مصر محمود مختار ان يبتدع اسلوبا متميزا لتماثيله تشكل معلما اساسيا من معالم الفن المصرى المعاصر

الخيال .. وبين ساعة واخرى ، يفد لزيارته اصدقاؤه المخلصون واحدا تلو الاخر : عزيز المصرى يحدثه عن اسفاره ومغامراته ، ومصطفى عبد الرازق يستعيد معه ذكرياتهما فى باريس ، ومحمود سعيد ومحمد حسن وغيرهما من الرعيل الاول للفنانين العظام يناقشونه فى مدارس الفن واتجاهاته الحديثة التى كانت تجتاح اوروبا حينذاك كفرشاة هوجاء تطلخ القيم الفنية بالوانها العابثة دون أن يحكمها منطق او مقياس جمالى .. !

وكان الجميع يبالغون فى ملاطفته ويكثرون من زيارته لعلمهم انه يقضى آخر أيامه ... حتى حل يوم النهاية فى ٢٧ من مارس ١٩٣٤ !

وفى ساعته الاخيرة ، وبين جمع من اصدقائه ، ادار مختار عينيه المتثاقلتين ، وكان يبحث بين الحضور عن صديق عمره عزيز المصرى ، وطلب ورقة وقلما ليخط له بضع كلمات . ولكن الاصابع التى حملت الازميل ونحتت الصخور ، لم تقو هذه المرة على حمل القلم .. وسكنت متهاوية على الفراش ، كما سكنت انفاسه الى الابد .

واراد اصدقاؤه ان يحتفظوا بآخر ملامحه ، فكلفوا زميلهم انطون حجار بصنع قناع من الجبس على وجهه ويده ..

وهكذا ، مات الفنان فقيرا من متاع الدنيا ، بعد ان اثرى حياتنا الفنية بتراث لا يقدر بثمن !

وتمضى الايام .. وفى ربيع كل عام تتفتح الازهار على ارض مصر الطيبة ، وتمر ذكراه ، دون أن نجد من يجمع باقة من زهور الربيع ليضعها على قبر أعظم فنان مصرى التقط الازميل من آخر فنان فرعونى من جيل العمالقة !

● جمال قطب ●

سيمون دى بوفوار

سيمون دي بوفوار هي اشهر نساء عصرنا في ميدان الفكر والادب والفلسفة وكل مايتصل بالدفاع عن حقوق النساء وهي لا تاخذ ذلك الموضوع الاخير من الناحية العادية التي تاخذها منها زعيمات تحرير المراة ، اى انها لا تقول ان المراة ضعيفة او مهملة او ان الرجل يظلمها وهي في حاجة الى الانصاف ... بل تقول ان المراة موهوبة وقادرة على القيام بمعظم المسؤليات التي يزعم الرجال انها من اختصاصهم وحدهم ولكنها ،اى المراة ،تقصر في حق نفسها وتدع الرجال يستولون على حقوقها ويظلمونها والذنب ذنبكم ..

ثم ان سيمون دى بوفوار تعتقد أن عامل الزمن مهم هنا ، أى أن مئات السنين التى مرت على المراة وهى فى حالة الخنوع عودت فيها المراة نفسها على النظر الى نفسها على انها مخلوق أقل فى المستوى وفي القدرات من الرجل .

أى انها تعتبر الزمن عنصرا اساسيا فى موضوع استكمال تحرير المراة ، وكل الذى تطلبه من النساء هو الصبر والثبات والعمل ، وهنا تحل معظم المشاكل التي تقف فى سبيل المرأة ـ نفسها بنفسها .

وفي هذا الحديث الذى ننشره سنلمس بأنفسنا نواحي تفكير هذه السيدة التي تكافح في سبيل المرأة دفاعا عن الحضارة والفكر والحرية ..

هذا الحديث أجرته مع سيمون دى بوفوار سيدة من أكبر كاتبات هذا العصر والمكافحات في سبيل العدالة الاجتماعية وهي السيدة اليس شفارتز . ونشر الحديث في مجلة ماريكير ، وكان له صدى بعيد في عالم الفكر في الغرب .

وسنقدم فيما يلي أهم فقرات ذلك الحديث الحافل بالافكار والاراء .

سؤال : سيمون ... انك بالنسبة لنا نحن نساء هذا العصر رمز كبير على ما يمكن ان تصل اليه المراة من سمو الفكر والقدرة على معالجة اكبر المشاكل ، وقد استطعت في كتابك الكبير « الجنس الثاني » ان تشرحي بكل وضوح موقف النساء في هذا العصر بصورة اقنعتنا جميعا بأن قضية المراة انما هي قضية تاريخ وحضارة ، وانت الان في السبعين من عمرك ، وتصفين نفسك في الكثير من كتاباتك بانك امراة مسنة ... فهل حقا تشعرين انك امراة عجوز ؟

جواب : اليوم يقولون انني احتفل باكمال سبعين سنة من حياتي ، وهذا رقم خطير ، ولكنه لا يختلف في تقديري عن ٦٩ ، ٦٨ بالنسبة لي على الاقل ، لانني منذ زمن طويل أصبحت أعد نفسي في عداد صاحبات السن .

عندما كنت في الخمسين كان يضايقني أن أسمع بعض زميلاتي من النساء يهمسن أن سيمون دى بوفوار أصبحت عجوزا وكثيرا ما كنت أقرأ في الصحف كتابات لنساء يقلن فيها : انني لم أعد امرأة شابة وانني أفكر تفكير امرأة عجوز ... وكان هذا يؤلمني اذ ذاك ... أما الان فانني في



السبعين من عمـــري ، وقد تعودت من عشرين سنة على ان احسب نفسي في عداد كبيرات السن ، ولا أجد في ذلك اى الم لانني كما تعلمين ، نذرت نفسي من زمن طويل لقضايا الفكر ومشاكل المجتمع وتناسيت نفسي وحقوقي كامرأة ، فانا لم اتزوج كما تعلمين ، بل لم افكر في الزواج ولا انا حرصت على ان احتفظ لنفسي بصور تمثلني في مراحل شبابي . لانني فيمـا اظن قد أكون طرازا مختلفا من النساء ، فليس معنى ذلك انني مجردة من مشاعر الحب والعاطفة ، فقد كان في حياتي حب ولم تخل حياتي قط من العاطفة ، ولكن لامر ما الهتني قضايا الدنيا عن قضيـة نفسي ، ومن ثم فانني لا اشعر بما تسمونه انتم العجز او الشيخوخة او كبر السن.

سؤال : هذا ما فهمته من قـــراءتي لمذكراتك ومن رؤيتي لصورك ، فهل افهم من كلامك أن ما نسميه بصدمة الشيخوخة بالنسبة للمرأة كانت موجودة عندك وانت في سن الخمسين ، وانك الان تعـودت عليها ، ولم تعودي تفكرين فيها ؟

جواب : بالضبط ، لانني عندما كنت في سن الخمسين اى في السن التي تبدأ النساء فيها في الشعور بالفــزع لانهن يرين أنفسهن تخطين الخمسين ولا رجعة الى الشباب بعد ذلك .. في هذه الســن كانت فرنسا تمر بأزمات عسيرة جدا ، وكنت مشغولة بفرنسا أكثر من انشغالي بامر نفسي . كنا اذ ذاك نمر في سنوات أزمة الجزائر والمتاعب التي كانت تعانيها فرنسا ، وكان شعوري اذ ذاك انني بالفعل تخطيت الخمسين . وكان ينتابني خـوف النساء من الشيخوخة ولكن كان يغلبني خوف اكبر هو الخوف على مصير بلادي . وتستطيعين أن تقــولي انني نسيت نفسي في ذلك الحين فلم أشعر تمام الشعــور بصدمة سن الخمسين !

سؤال : في كتابك المسمى «الشيخوخة» تحدثت عما سميته بالوقار الذى يتطلبه

الناس جميعا من المسنين وقلت ان ذلك الوقار او التوقر مظهر من مظاهر الظلم الذي يتحمله الانسان بسبب سنه واعتقد ان ذلك يصدق بصورة أكبر على النساء اللاتى يفرض المجتمع عليهن بعد سن الخمسين أن يلتزمن وقارا قاسيا ويتخلين عن انوثتهن وكثيرات من البنات اذا راين امهاتهن يتزين بعض الشيء بعد سن الخمسين يرين فى ذلك تجاوزا للحدود من جانب الامهات فما رايك ؟

جواب : رايي ان ذلك كله ظلم للمراة فان من حق المرأة فى أى سن كانت أن تتزين وتظهر بأجمل صورها ، فاذا كانت تحس بأنها ما زالت انثى جديرة بأن تجتذب أنظار الناس فلماذا تحرم نفسها من التزين والظهور بمظهر جميل ولست اقصد بذلك أن اقول انه يليق بالمرأة فى ذلك السن أن تتبذل او تتصرف تصرف شابة فى العشرين او امراة فى الثلاثين فهذا فى رايى غير مناسب،وانما لماذا نصر على أن نلزم امرأة بعد الخمسين بأن تمتنع تماما عن ارتداء ملابس أنيقة أو صباغة شعرها باللون الذى تحب او تزين وجهها لتبدو فى أجمل صورة ٠٠٠ ان ذلك لا يمس الوقار بأى صورة من الصور وكل الناس يعرفون انني أكره التبذل بالنسبة للمرأة كما أكرهه بالنسبة للرجل ٠

سؤال : هل هناك اشياء اخفيتها فى مذكراتك وتريدين اليوم ان تكتبيها اذا اتيح لك ان تعيدى كتابة هذه المذكرات ؟

جواب : أجل ، هناك مسائل كثيرة اتمنى ان أكتبها ، لاننى تخطيتها فى مذكراتى ، وخاصة فيما يتصل بعواطفى وعلاقاتي الخاصة ٠٠ كنت احسب عندما كتبت المذكرات أن الافضل أن اسكت عن هذه الناحية أما الان فاننى أعتقد انه من واجبى نحو نفسي أولا ونحو بنات جنسي من ناحية أخرى لو قلت كل شيء بالطريقة التى اريد ٠ ولست اقصد اننى أفكر فى ان أكتب اعترافات او أزيح النقاب عن أسرار ، فلست أعتقد أن لدى شيئا كثيرا من هذا الطراز ٠

سؤال : يعتقد كل الناس ان الانسان ـ والمرأة خاصة ـ اذا دخل فى دور الشيخوخة فعليه ان يوقف كل ما يتعلق بحياته العاطفية ويكبت كل شعوريتصل بالجنس ويلتزم ما يسمونه بالوقار ولقد حللت فى كتابك عن الشيخوخة ذلك بطريقة لا اظن انها ترضيك ، فهل مازلت تؤمنين بذلك ؟

جواب : نعم الى حد ما ٠٠٠ فقد ظللت الى حين قريب ألزم نفسى بالخضوع لضغط المجتمع ولست ارى فى ذلك بأسا لان المجتمع أيضا له حقوقه ، ومع اننى اعتقد ان الفكر بالنسبة لى كان دائما أهم من الحب فاننى أعتقد اننى ظلمت نفسى من هذه الناحية فبالغت فى الانصراف عن الانوثة الى الفكر ٠

وعندما أعود بالذاكرة الى الوراء ، أذكر اننى تكلفت خطا جامدا من التصرف والسلوك عندما تخطيت الثلاثين فاهملت موضوع الحب ، وكان ينبغى الا اهمله ولست آسفة لاننى لم أتزوج ، فان الزواج شيء والحب شيء اخر ، وعندما افكر الان أحس انني ظلمت نفسى وظلمت الكثيرات معى لان الكثيرات من النساء مع الاسف الشديد الزمن أنفسهن بتقليدى ٠ فكان هذا خطا منهن ولكن انا المسئولة ٠

اما الان فاحب ان اصارحك بأن كل ما يتصل بالحب او العاطفة النسائية قد انتهى بالنسبة لى ٠ شيء ما مات فى حياتى وذلك من حسن حظى لاننى عندما أفكر فى نساء فى الستينات ما زلن يحببن أو يشعرن بميل جنسى أو عاطفى اشعر بالاسف نحوهن لانهن يتخلين عن وقارهن

اما بالنسبة لى فقد كانت مسألة الجنس مرتبطة دائما عندى بالحب الا ربما عندما كنت صغيرة السن جدا ٠

سؤال : لقد كنت دائما امراة جميلة وذلك امر تنكرينه ، ولكن الناس جميعا يقررونه ٠٠ فهل ساءك أن تفقدى ذلك الجمال ؟

جواب : لم يكن لى قط اهتمام بموضوع الجمال ، ولقد سمعت كثيرا من الناس يمدحون هيئتي ، ومن حين لحين عندما كنت انظر فى المرآة فى سن الثلاثين أو الخامسة والثلاثين حتى الاربعين ـ كنت أقول لنفسى : انك أجمل مما تتصورين

بكثير . ولـــكن حتى ذلك لم يكن له اى تأثير فى نفسى ، كان لا يهمنى كثيرا ما يقوله الناس عن هيئتى ونفسى .

ولكننى ينبغى أن أعترف بأنه كان لى دائما اهتمام بطلعتى ومـــلامحى وذلك طبيعى لاننى امرأة أولا وانســـانة ثانيا ، وعندما بلغت الخمسين وتخطيتها بقليل جعلت اقارن بين ملامحى فى تلك الســن وملامحى عندما كنت فى الثـــلاثين أو الاربعين فكان ذلك يؤلمنى بطبيعة الحال ، ولكنى تعودت على ذلك وأظن انك تفهمين عنى عندما اقول لك .. ان ذلك الموضوع كله انتهى تماما بالنسبة لى .

سؤال : لقد تحـــدثت فى كتـــابك « الشيخوخة » أن هنـــاك تعارضا بين ايجابية الانسان والشـــيخوخة ، وقلت حرفيا ان الانسان قد يحس انه شـــاب وهو فى جســد مسن فكيف توفقين بين ذلك ؟

جواب : لقد أشار الى ذلك سارتر عندما تحدث عن الشيخوخة بالنسبة له عن انها ما يسميه « بامـــر لا يمكن أن يكون » . فهناك ناس لا يشعرون بالشيخوخة لان أذهانهم وقلوبهم تظل شابة عفية . واعتقد اننى من هذا النوع ، فانا عندما استيقظ من النوم ، وعندما أسير ، وعندما اقرا كتابا ــ لا يخطر ببالى اننى امرأة مسنة ، بل لا اشعر بمسالة السن ابدا ، ولقـــد تحدثت عـــن ذلك فى كتابى المســـمى « المتميزون » ، وانت تذكرين أن هناك عبارة أقول فيها اننى ذات سن وقررت ذلك فى كتابى « قوة الاشياء » .

ولكنى الان لا أقول لنفسى شيئا من ذلك كل هذه انتهت لى ، تعودت على أن انسى موضوع سنى واسمحى لى أن أقول لك ان أسوأ ما فى الشيخوخة أن يظل الانسان شاب الروح شيخ الجسد .

سؤال : ولكن هل غيرت الشـــيخوخة من نظام حياتك اليومى ؟

جواب : نعم ، وهذا امر صعب عـــلى التوضيح ، ولكن الذى أستطيع أن اقوله هو اننى أشعر الان اننى أضعف مما كنت عليه قبلا ، فعندما كنت فى الثلاثين كنت ما آكاد افتح عينى حتى أكون فى الشارع واجرى هنـــا وهنـــاك ، واعمل وانجز أشياء . وأنا الان أميل الى الراحة بعض

هـــكذا كانت سيمون دى بوفوار فى سن الاربعين امرأة جميلة ذات شخصية يعرفها كل المجتمع الاوربى



الوقت ، وأحب أثناء النهار أن اتمدد على كرسى طويل وأقرأ ، وأكون فى هدوء • ثم ان هناك أشياء كثيرة لم تعد لها أى أهمية بالنسبة لى ، بينما كنت احبها حبا شديدا عندما كنت فى الاربعينات • ومثال ذلك الخروج وحضور السهرات والاستمتاع بقضاء الامسيات ومناقشات مع الاصحاب •

انني أتحدث الان عن سنوات ما بعد الحرب عندما كنا لا نزال صغارا بعض الشيء ، كان ذلك فى وقت التحرير ، وكنا اذ ذاك نضع مشروعات كثيرة ونحاول تحقيقها معا ، وكان ذلك شيئا جميلا وممتعا حقا ولكن الان تغيرت الظروف ولم تعد هناك دوافع الحماس وحتى لو كانت لى القوة على الجرى كما كنت افعل فيما مضى ، فلماذا أجرى الان وما هو الشيء الذى أريد أن أحققه ؟•• واذكر انني فى تلك السنوات التى أحدثك عنها كان فى ذهنى من الافكار ما يجعلنى ابتلع فنجان القهوة وأنا أكتب دون أن احس به ، والان كما ترينى أشرب قهوتى وليس فى ذهنى أى فكرة •

واصارحك القول انني لا اشكو من ذلك ولا يضايقنى بل أنا ارتاح اليه ، فأنا أستمتع بوقتى وبنوع من الحرية ما كنت أتمتع به فيما مضى ، وفى نفس الوقت يحزننى ذلك لانه يجعلنى اشعر بانه لم تعد بالناس حاجة الى لاننى قمت بالمطلوب منى اى أن الحياة أصبحت ورائى ، وكانت قبل ذلك أمامى والفرق كبير بين الحالتين • والشيخوخة كما تعرفين هى الانتقال من اللا نهائى الى المنتهى ، أقصد أن الانسان فى شبابه يكون الطريق أمامه بغير نهاية أما فى الشيخوخة فهو فى نهاية فعلا •

سؤال : ألا تشعرين وانت الان فى هذه السن بشيء من الرضا عن نفسك بانك فعلت شيئا وتركت اسما واحدثت تغييرا؟

جواب : مؤكد • وهذا يسهل على حمل عبء الشيخوخة ولكنه يزيد ذلك العبء فى بعض الاحيان ، لاننى فى بعض الاحيان اشعر ان على أن أكتب كتابا اخر أو كتابين ولكن مهما كان فان أهم ما أستطيع عمله قد تم بالفعل •

سؤال : وما هى مشروعاتك الان ؟

جواب : ان أهم ما يهمنى الان هو أن أتسلى أو قولى استمتع ، وهو أمر لم اعرفه قبل ذلك •

استمتع بتحويل الكثير من كتبى الى افلام واشترك فى ذلك التحويل ، حقا انها متعة قليلة لان الخلق فيها قليل ، فليس فى ذلك جديد ، ولكن السينما اسلوب اخر للاتصال بالجمهور مما يشجعنى على العمل ويفتح أمامى افاقا من التجديد فى التفكير ، وربما يرى الناس أن ذلك لا اهمية له بالنسبة لى ، وقد يكونون على حق ولكن هذا هو شعورى •

وهناك شيء اخر كنت أحب أن أعمله لو اننى كنت فى الثلاثين من عمرى ، كنت اريد أن أكتب عن علم النفس من بداية أخرى غير بداية فرويد ، كنت اريد أن أكتب على أساس الطريق الذى قطعته المرأة فى سبيل التحرر وانت تعرفين ان فرويد جعل المرأة مجرد مخلوق جنسى • وهذا فى رأيي خطأ ومهين للمرأة والرجل معا ولا أدرى ان كنت استطيع عمل ذلك أم لا •

سؤال : هناك سؤال ترددت كثيرا فى قوله ، وارجو الا يضايقك وهو اننا نعرف ان المسنين جميعا يعانون من الوحدة فهل تشعرين انت بها ايضا وكيف تتخلصين منها ؟

جواب : ولماذا يكون هناك حرج فى هذا السؤال •• هذا حقيقى اننى مثل كل المسنات اشعر بمشكلة الوحدة وباننى احس حولى فراغا ولكن لحسن الحظ لى أصدقاء تربطنى بهم علاقات وثيقة تسمح لى بان القاهم كلما شعرت بفراغ حولى أو فى نفسى وهناك نتجاذب أطراف الحديث ونسرى عن أنفسنا • والحقيقة أن الوحدة يمكن أن نسميها مرضا من أمراض الشيخوخة ، لان الانسان المسن يفقد اصدقاءه مع مرور السنوات ، وتأتى أجيال أخرى لاتحتاج اليه ولا تجد متعة فى الجلوس معه ، ثم ان الانسان فى هذه السن يكون قد فرغ من الجانب الاكبر من عمله ، وفى العادة يكون فى المعاش ، فاذا كانت فيه فضلة من قوة أو نشاط فانه

يعاني من هذا النشاط بالذات لانه يريد أن ينفقه في شيء ولا أحد يعطيه عملا ، فاذا كان مريضا تضاعفت المشكلة وأخذت حدودا محزنة لانه يكون في هذه الحالة عبئا على غيره، ولهذا نجد الشيوخ والعجائز دائما ، وكأنهم مخلوقات لا لزوم لها حتى بالنسبة لاولادهم وبناتهم ، عندما يستقل هؤلاء ويدخل كل منهم في حياة جديدة . ولا يعودون بحاجة الى أن يضيعوا وقتهم مع العجوز أبا أو أما ، وكلاهما في الغالب ليس لديهما شيء يقدمانه للشباب أو لغير الشباب .

واذا جاز لي أن انتهز هذه الفرصة لكي أوجه كلاما الى المسنات والمسنين ، ففي هذه السن العالية تتلاشى الفوارق بين الجنسين ويصبحان سواء ، فانني أقول أن علينا نحن الشيوخ أن نواجه هذه الحقيقة وهي أن الانسان اذا انتهى من عمله وقابل مسئولياته حيال بيته وعمله ولم يعد في النهاية الا شيخا على المعاش ، فلا ينبغي أن نيأس لذلك ، فهذه طبيعة الحياة ، وسواء أكان موسرا أو غير موسر فمشكلة الوحدة قائمة حتى لو كان المسن انسانا مثلي ، لديه مشاغل ومسئوليات لانني بطبيعة الحال لم أعد قادرة على العمل بنفس النشاط الماضي ولا أستطيع أن أشغل كل وقتي، فتحول فراغ واسع وربما كان مؤلما ولكن لا مفر لي من أن أتقبله وأتحمله والشيء الذي يعرض الكثيرين من الشيوخ للمتاعب هو الوقوع في خطأ التصرف على اعتبار انهم ما زالوا شبابا أو على انهم لا يستطيعون أن يقوموا بمغامرات أو يبدأوا حياة جديدة مع انسان أصغر أو انسانة أصغر . فكل هذه أوهام وخدع ، وهي تنتهي في النهاية بمآس كلنا نعرفها والنصيحة الآن هي هذه :

أيها الشيوخ ، لقد أديتم ما عليكم سواء أكان كبيرا أو صغيرا ولابد أن تتحملوا الوحدة وتخففوا عبئكم عن الناس ولابد لكم من أن تخلقوا مشاغل خاصة بكم تملأ وقتكم ، وإياكم من الشكوى من الآخرين والملل من الوحدة أو ارتكاب الحماقات .

سؤال : وهل تعتقدين ان الشيخوخة بالنسبة للنساء اقسى منها على الرجال ؟

جواب : لا أظن ذلك ، ولقد قلته في كتابي عن الشيخوخة بل أرى العكس ان عبء الشيخوخة على الرجال أكثر من عبئها على النساء ، لاننا نحن النساء متعودات على الوحدة ، وعلى أن ينظر الينا على اننا مخلوقات زائدة على العدد وعلى سوء المعاملة بخلاف الرجال ، وأنا هنا لا أتحدث عن نفسي فمن حسن حظي أن لي ظروفا أخرى

أما الرجال الذين تعودوا على أن يعتبروا أنفسهم مخلوقات أعلى مستوى ويحسبون انهم يحملون مسئوليات أكثر ، فهؤلاء عندما يصلون الى الشيخوخة ولا تعود بأحد اليهم حاجة ، وتنتهي بالنسبة لهم المسئوليات يشعرون وكأنهم سقطوا من حالق أو كأنهم أهينوا ، ولقد تحدثت مع الكثيرين منهم فعرفت أن معظم الحال عند الشيوخ هو الشعور بالكرامة المهينة أو بفقدان الاهمية ، وأعتقد انهم ينبغي أن يتخلوا عن ذلك الشعور لان الانسان طالما أدى واجبه وقطع مشوار حياته فلا يبقى له الا أن يخلد الى الراحة .

وليس معنى ذلك انني أقبل ظروف الحياة الحالية كما هي أي انني عندما أتحدث بهذه القسوة الى الشيوخ والشيخات لا أشعر بالسرور ولا بالرضا عن نفسي وربما كنت أفكر في تغيير ظروف هذا العالم وادخال عقلية أخرى على المجتمع ولكن حتى هذا لم ينفع الشيوخ لان العالم يسير ، وهناك أجيال تتوالى وهذه الاجيال يأخذ بعضها مكان بعض ولا سبيل الى الشيوخ الا أن يتركوا مكانهم ، راضين ولا داعي للغضب .

انني أعتبر نفسي عجوزا الآن رغم أن لدي من الاعمال ما يملأ فراغ عشرات الناس ، ولكن لامر ما لابد أن استسلم لظروف السن .. لابد أن استريح .. لابد أن أخلو لنفسي .. لابد أن أعترف أن هناك قليلات جدا من النساء وقليلين جدا من الرجال يسعدهم أن يجلسوا معي .

انني أتلقى مئات الخطابات ، ولكن الخطابات لا تحل أزمة الوحدة كما تعلمين ثم انني لا أستطيع أن أرد على كل الخطابات التي تصلني ، فهناك كثيرات ينتظرن مني ردودا ، وسأكتب لهن ، ولكن قليلا من الصبر فانني بعد كل شيء تخطيت السبعين ..

● ترجمة : د. حسين مؤنس ●

مع الأدباء

والشعراء والظرفاء

* نظر المأمون الى بعض أولاده وفي يده كتاب فقال : « ماهذا ؟ » قال : «بعض مايشحذ الفطنة ويؤنس الوحشة» فقال : « الحمد لله الذي جعل في اولادي من ينظر اليه بأدبه أكثر مما ينظر اليه بحسبه ! »

* من أقوال الأديب الامريكي الساخر مارك توين عن التدخين :

« لقد قررت الا ادخن اثناء النوم !. وقررت الا أتوقف عن التدخين اثناء اليقظة !.. وقررت الا ادخن اكثر من سيجارة واحدة في وقت واحد » !

* قيل لابن الزبعري الشاعر : لم تقصر اشعارك ؟ فقال : لأنها اعلق بالمسامع واجول في المحافل !

* اشتهر الشاعر الإيطالي «دانتزيو» بحظوته الكبيرة لدى النساء ، وسأله صديق يوما عن سر توفيقه في غزو قلوب الجنس اللطيف رغم ان حسن الطلعة لم يكن من خصائصه .. فأجاب الشاعر : لقد وفقت في عالم المرأة لاني اكتشفت سرها : أن كانت اميرة عاملتها كما لو كانت خادمة ، وان كانت خادمة عاملتها كما لو كانت اميرة !

* قالت زوجة الاديب والفيلسوف الروسي الكبير ليوتولستوي : كان لطفه ينبع من «مبادئه» لا من قلبه.. وسوف تقرأ في تراجمه كيف كان يبذل العون للعمال فيحمل عنهم صفائح الماء ، ولكن احدا من القراء لن يعلم انه لم يتح لزوجته فرصة للراحة خلال ٣٢ سنة ، او انه لم يعط ابنه شربة ماء ، أو انه لم يلازم سرير ابنه خمس دقائق ليهون على أنا ان أنال قسطا من الراحة »

* عرضت جائزة في روسيا ، في عهد ستالين لمن يصنع أحسن تمثال لتكريم ذكرى الشاعر بوشكين ، فعرضت على



لجنة التحكيم مئات من الرسوم والامثلة المصنوعة من الطين تمثل بوشكين ، مفكرا ، أو متكئا، او مستلهما شياطين الشعر ، أو جالسا وسبابته على جبهته ..

وقد وقع الاختيار في آخر الامر على تمثال يمثل ستالين جالسا وهو يقرأ كتابا – هو ديوان بوشكين ، فنصب في الميدان العام !

* ذاع اسم برناردشو أول ما ذاع ، يوم شنت عليه حملة شعواء في صحف لندن في مقالات لا تحمل امضاء احد . وكان الصحفي كاتب هذه المقالات يكتب انه يتجهم شقة برناردشو الوضيعة ، وليس له غرض سوى أن ينهال عليه بالقدح والسب

وقد ذهب الظن بكثيرين من الناس الى ان شو هذا رجل متخيل ، وشق على الكثيرين يومئذ أن يصدقوا أن هناك رجلا كمثل شو المسكين ، يبلغ منه التسامح حتى يتجاوز عن الذين يسيئون اليه ..

والحقيقة ان كاتب هذه المقالات كان – برناردشو نفسه !

* تعهد استاذ في جامعة هارفرد بأن « يأكل قميصه » اذا ثبت انه اخطأ ، وفعل .. لقد اخذ قميصه واذابه في حمض ، ثم عدل الحمض بمادة قلوية ، ثم صفى السائل ، وأخذ المادة المترسبة فبسطها على كسرة خبز وأكلها !

● امين سلامة ●

من كوارث الطيران

الموت بين السماء والأرض

" انت تاخذ مكانك فى الطائرة الفخمة على كرسى وثير ، وموسيقى رقيقة تتهدهد فى اذنيك ،والمضيفات رائحات غاديات .. وبعد قليل يصدر اليك الامر بربط الحزام ، وتحلق الطائرة فى السماء .. ولكنك لا تعلم كم من العمليات الفنية لابد أن تتم بغاية الدقة حتى تحلق بك الطائرة ، وكم من الاخطار تحيط بك فى كل لحظة من لحظات الرحلة ، وكم من محطات المراقبة والانذار مسلطة عليك حتى تصل بسلام ، واقل خطا فى ابسط الاجراءات قد يؤدى الى اسوا العواقب وهذا هو الذى يحدث عندما تقع كارثة الطيارات .. !

انها تقع فى ثوان معدودة ، تتحول فيها الطائرة الفاخرة الى جحيم ،وتنتهى فيها حياة المئات بسبب خطأ لا يكاد يذكر !

وفى القصة التالية عن حوادث الطيارات ، ستقرأ ما يجعلك تفكر الف مرة قبل ان تجلس فى راحة واسترخاء على كرسيك فى طائرة هى انبوبة مغلقة ستحلق بك على ارتفاع عشرة الاف متر وبسرعة الف كيلو متر فى الساعة ،نحو غايتك .. او نحو مصير نرجو الله ان يحميك منه !

الجحيم فى سماء صافية

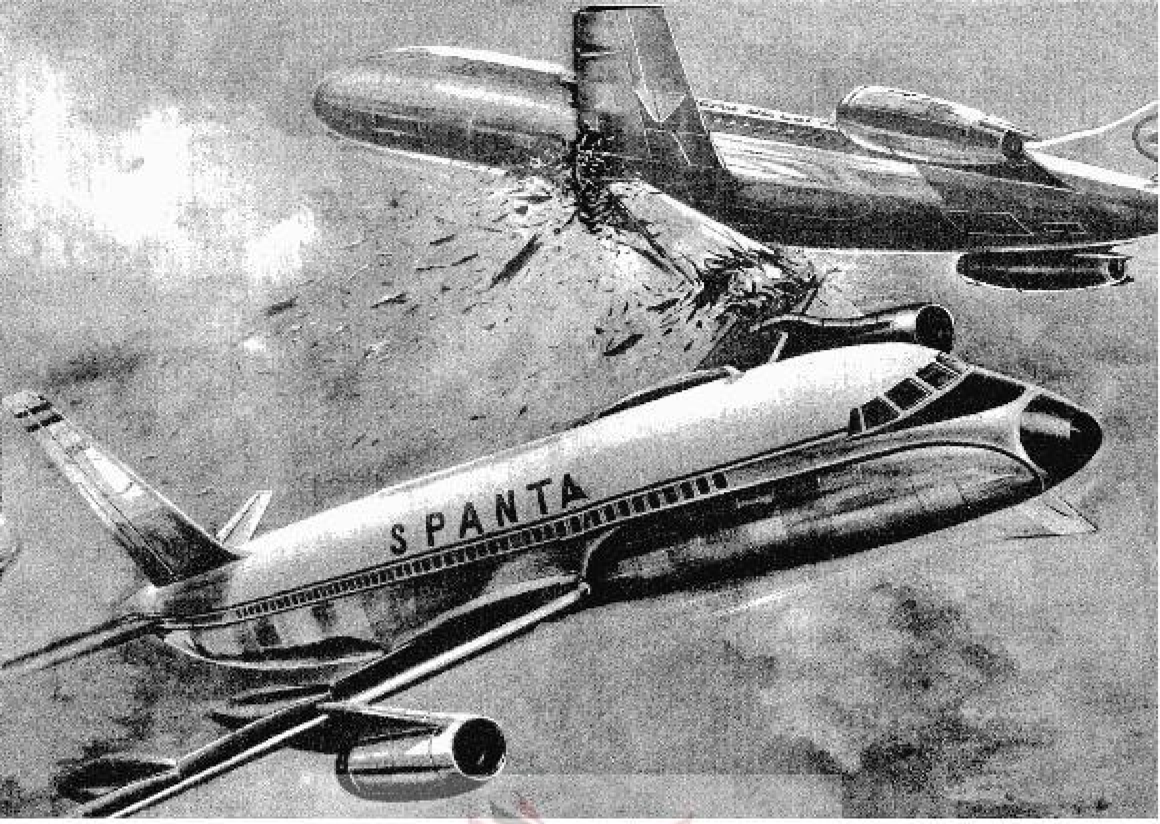
السماء فوق فرنسا حافلة بالاخطار . هناك ست عشرة شركة طيران تجرى طائراتها فى الممرات الهوائية فوق فرنسا . فيما بين مجرى نهر الراين والمحيط الاطلسى ما يزيد على ٣٠٠ ممر هوائى محددة باتجاهاتها وارتفاعاتها . لابد أن تسلك كل طائرة واحدا منها محددا بالضبط .

حوالى ٢٨٠ طائرة تنطلق فى هذه الممرات بسرعة تفوق سرعة الصوت ، اى خطا فى التقدير او الحساب يؤدى الى تصادم . هناك ستمائة محطة مراقبة مسلطة على تلك المساحة من الهواء فوق الارض لانها ثانية ميادين الطائرات زحاما بعد الميدان الواقع بين واشنطن ونيويورك .. كل شركات الطيران يتملكها الخوف عندما تجتاز طائراتها تلك المنطقة المخيفة . شركات طائرات قليلة درست هذه المنطقة دراسة وافية واصبحت تأمن على طائراتها تماما وهى هنالك .. من هذه الشركات ((سويس اير)) و ((لوفتهانزا)) ، شركة ((ايبيريا الاسبانية)) وكذلك شركة «اسبانتاكس» وهى اسبانية دولية .

ومن غرائب المقادير أن تقع الحادثة التى سنرويها فيما يلى بالذات بين طائرتين احداهما تتبع اسبانتاكس والثانية ايبيريا .

●●●

.. كان ذلك فى الخامس من مارس سنة ١٩٧٣ م . الكابتن الطونيو اريناس ، ورجال طاقم الطائرة يأخذون


SPANTA

اماكنهم من طائرة اسبانتاكس الذاهبة الى لندن من جزيرة مايورقة مارة بمدريد حيث تتوقف بضع دقائق . الساعة الثانية عشرة ظهرا وصلت الطائرة الى قرب مطار براخاس قرب مطار مدريد كانت اذ ذاك على ارتفاع تسعة الاف وسبعمائة متر وتمكنت من الهبوط وانطلقت في مدرج المطار الطويل والكابتن انطونيو ارنياس يداعب زملاءه ويبتسم .. انه من أمهر طيارى الدنيا وهو من المستوى الذى يقولون عنه بلغة الطيارين الذى يستطيع أن يسير بالطائرة الى الخلف ..

وقد تخصص في قيادة الطائرات من طراز كونورادو واشتهر بذلك حتى قيل انه أمهر من يقود هذه الطائرات فى الدنيا . لذلك كان ينظر الى ارض المدرج بغير مبالاة عندما لامسته عجلات طائرته فهذه ربما كانت المرة الاولى بعد العشرة آلاف التى يهبط بها بمثل هذه الطائرة .. وجلس الكابتن انطونيو فى مطار براخاس ينتظر حتى تعد الطائرة لمعاودة الطيران الى لندن ، وقال له واحد ممن حوله : كان الله فى عونك فان المرور بفرنسا مخاطرة .. فابتسم وقال : أى مخاطرة تعنى ؟ اننى استطيع عبور فرنسا دون توجيه واحد من أى نقطة مراقبة . فانا اعرف هذه البقعة كما اعرف حجرة نومي ، والحظ دائما معى فى الجو ! .. » ثم ضحك .

***

ولكن الحظ هذه المرة لم يكن معه ! ربما يكون الحظ قد شعر بالمهانة من استهتار هذا الطيار به فأراد ان يتخلى عنه مرة ..

وانتهوا من اعداد الطائرة وجلس تسعة وتسعون راكبا فى اماكنهم وسار الكابتن انطونيو فى زهو نحو طائرته ، وعلى وجهه من علائم الثقة بالنفس ما يجعل كل واحد من هؤلاء الركاب التسعة والتسعين يثق بأنه واصل بالسلامة الى لندن بعد ساعات ..

دارت المحركات الأربعة، ومضى الكابتن انطونيو ينظر فى الساعات الكثيرة التى أمامه وكل منها تدله على حالة جزء معين من اجهزة الطائرة ، وجعل يختبر المفاتيح التى تحيط به وهو يحدث زملاءه والابتسامة لا تغادر شفتيه .

كان الى جانبه مساعد الطيار وهو أيضا كابتن واسمه استيبان ساندرا ووقف خلفه مهندس الطائرة خوسيه ماريا ثاراوس ، بينما كانت المضيفات يرحن ويجئن لتنبيه الركاب الى ضرورة ربط المقاعد واطفاء السجائر استعدادا للصعود فى الجو .

وتلقت الطائرة اشارة من برج المطار بأنها تستطيع التحرك، ودارت ٦٠ الف حصان هى قوة المحركات ــ واهتزت الارض تحت الطائرة ، وبعد دقائق كانت المحركات الأربعة تدور بأقصى قوتها وتستعد لحمل مائة وعشرين طنا من الحديد والألمنيوم والبلاستيك والناس والاطعمة والبضائع ــ فى الهواء .

واعطى مساعد الطيار الاشارة « فى ـ ١ » وبمصطلح الطيران معناها ان الطائرة ستتحرك الآن بسرعتها الاولى ١٢٠ عقدة ، وتحركت الطائرة الضخمة على مدرج المطار بعد أن رفع العمال القطع المعدنية التى توقف العجلات ..

سارت الطائرة فى بطء، وشيئا فشيئا اخذت الكونورادو تلتهم الكيلو مترات ، وقفزت السرعة الى ثمانين كيلو مترا فى الساعة ثم الى مائة ، وفى نهاية المدرج



وقفت تنتظر الاشارةللصعود أو للتحليق ـ كان اسم هذه الطـــائرة « جـــول شابل » ..

واخذ الطيار ومساعدوه يختبرون الاجزاء واحدا واحدا ،وتبادلوا فيما بينهم السماعات لاستماع صوت المحرك قبل ان تنطلق الطائرة فى أول مرحلة من مراحل الصعود وتسمى فى مصطلح الطيارين الأزرق العلوى واتجاهها الآن نحو مدينة بلباو فى شمال اسبانيا ، لان الحارة الجوية المحددة للطائرة تمر فوقها .

فى ذلك الوقت كانت كبيرة المضيفات الآنسة بيلار ساراجوثاراموس تعد المشروبات للمسافرين وتناولها المضيفات: مشروبات كحولية لركاب الدرجة الاولى، ومشروبات غير كحولية لركاب الدرجة الثانية .

وفى الساعة الثانية عشرة وخمسة وعشرين دقيقة طلب استيبان سافدرا مساعد الطيار الاتصال بنقطة المراقبة الأرضية على الحـــدود الفرنسية وهى نقطة مون دى مارسان .

وجاء الرد بالايجاب .

نحن الآن على لحظات من الاقلاع ... ونحن ايضا على دقائق من الكارثة : بالضبط ٢٨ دقيقة !

الطائرة « جول شابل » من طراز الكونورادو تطير الآن بسرعة ٩٥٠ كيلو مترا فى الساعة وارتفاعها هو الارتفاع رقم ٢٦٠ لان ارتفاعات الطائـــرات لها مصطلح خاص ٢٦٠ هو ارتفـــاع معين يعرفه الطيارون وهو نحو ٢٦ الف قدم أى ٨ آلاف متر .

واعاد سافدرا مساعد الطيار الاتصال بمركز المراقبةولكنه لم يتلق ردا فالتفت الى رئيسه الكابتن ارتياس . وسأل : لماذا لا يردون ؟

وضحك هذا وقال : لانك لم تحول ذبذبة جهاز الارســال على السرعة المضبوطة !

وخجل مساعد الطيار وضبط جهاز الارسال !

الطائرة الاخرى من طراز د . س ٩ تسير على ارتفاع ١٨٠ مترا : لا خطر .

وأرسل مساعد الطيار برقية تقول : هنا طائرة « اسبانتاكس ٤٠٠ » وردت نقطة المراقبة تقول :الطائرة اسبانتاكس ٤٠٠ تقديراتنا انكم ينبغى ان تطيروا على مستوى أعلى ، نقترح ان ترتفعوا على مستوى ٢٩٠ ،ضعوا طائرتكم فى الحارة ٢٩٠ .

وفعل الكابتن ارتياس ذلك . الطائرة

الآن تسير على ارتفاع ٢٩٠ والرقم الفني لذلك الارتفاع « ب ـ اكس ـ ٤٠٠ » الآن يشعر الطيار انه في أمان ٠

ولكنه يفاجأ بكتلة من السحاب امامه لونها ازرق اسود ويندفع فيها ليخترقها

***

امر من مركز المراقبة : عــودوا الى ارتفاع ٢٦٠

تلقى الطيار هذه الاشارة بهدوء ٠ أدرك أن هناك طائرة اخرى تطير على ذلك الارتفـــاع أو قريبة منه ٠ انهـــا الطائرة ايبيريا د ـ س ـ ٩ ، كان يظن انها تطير على ارتفاع ٣١٠ ٠

ولكن الكابتن روجي قائد هذه الطائرة يحاول الاتصال بطائرة اسبانتاكس لانه يخشى ان يكون الارتفاع الذى تطير عليه قريبا جدا من الارتفـــاع الذى يطير هو عليه ، ولكنه لا يستطيع الاتصـــال لان الاسبانتاكس الآن وسط كتلة السحاب وتدخل المضــيفة في كابينة الطيارين وتقول : أن احد الركاب في حالة سيئة واخشى ان يكون هنـــاك تسرب غازي من ناحيته ٠٠٠

وهز الطيـــار راسه وتحدث مع مساعده : ان مثل هذا الامر مستحيل بحسب ما يعلم ، لانه اختبر كل اجزاء الطائرة قبل ان يرتفـــع في الجو ٠٠٠ ودار حديث طويل بين الاثنين سجل على الشريط الموجود داخل « الصــندوق الاسود »الذى تحمله كل طائرة ويسجل عليه كل ما يدور بين طاقم الطائرة ونقط المراقبة وما يدور بينهم من حــديث ٠ الساعة الآن الثانية عشرة واثنتان وثلاثون دقيقة ، ومركز مراقبة مارينا يبلغهــم رســالة تقول : ايبيريا ٥٠٤ اتركــوا مستواكم واهبطوا الى مستوى ٢٩٠ ٠ وهنا كانت الكارثة لان نفس نقطـــه المراقبة اصـــدرت قبل دقيقتين نفس التعليمــــات الى الطائرة اســبانتاكس الذاهبة الى لندن طلبت اليها ان ترتفع الى مســـتوى ٢٩٠ ومعنى ذلك ان الطـــائرتين الاســـبانيتين ، ايبيريا واســـبانتاكس تطيران الآن في نفس الاتجاه وهو لندن ، وعلى نفس المستوى! ٠٠ لابد أن يحدث التصادم بعد دقائق وكانت الرؤية سيئة ٠ لم يكن الطيارون في هذه الطائرة أو تلــك يرون الأرض ولا أى معلم يدل على مكان الطيران ٠

وقال الكابتن ارينياس : عجيب ٠٠٠ لم يحدث لى هذا قبل ذلك !

انه يتكلم في هدوء ولكن الخوف يملأ قلبه ربما للمرة الاولى في حياته !

في هذه اللحظة كانت نقطة المراقبة المسماة منهير والتى كانت تتابع طائـــرة الاسبانتاكس منذ الساعة ١٢ر٣٧ ترسل رسالة رادار الى الطائرة التى كانت قد خرجت في ذلك الوقت من كتلة السحاب وعندها اصبحت الطائرة اســـبانتاكس في السماء الصافية وجدت نفسها على لحظات من الكارثة ! ٠٠ انها والطائرة الاخرى تسيران في نفس المستوى !

وجاءت رسالة من نقطة مراقبة منهير تنادى : « اسبانتاكس ٤٠٠ » ويأتي الرد : « هنا اسبانتاكس ٤٠٠ ، أبلغونا الرسالة » ويجيء الرد : « ٠٠ حولـــوا اتجاهكم الى مركز نانت ، افعلوا ذلــك قبل الساعة الواحدة » وصـــاح الكابتن ارينياس : هذا مستحيل ٠ اننا نطير الآن بسرعة ٢٣٠ عقدة ، ومن المستحيل أن أغير اتجاهي بهذه السرعة ٠ ان طائـــرة كونورادو لا تستطيع عمل أى تحـــويل على هذه السرعة !

وعادت نقطة المراقبة تقول : لابد من ذلك والا فأنت المسئول !

وصاح الكابتن : لعنة اللــه عليكم ، ألا تفهمون ما هو الطيران !

وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة التاسعة والاربعون عادت الطائرة اسبانتاكس تنادي نقطة المراقبة منهرة : سنحاول أن ننحرف ٣٦٠ درجة لكي نتفادى الكارثة .. أريد أن ارتفع في نفس الوقت الى مستوى ٣٦٠ .

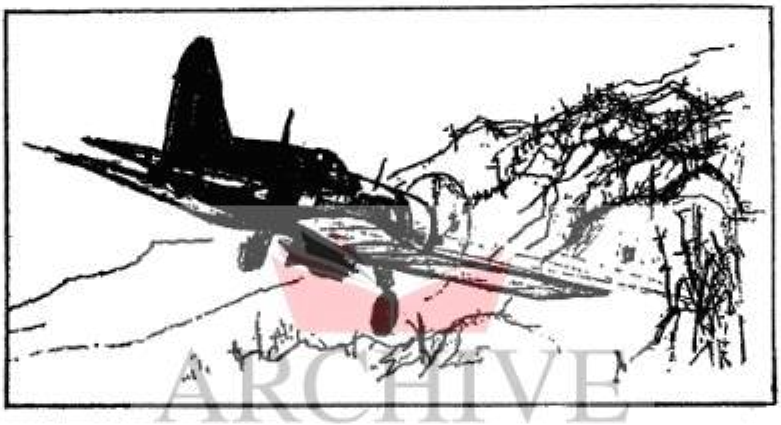
وترد نقطة المراقبة : هذا مستحيل !

وأدرك الكابتن اريناس انه يواجه

نتحاشى التصادم ، سنحاول الهبوط اضطراريا في بردوا ..

كان الكابتن اريناس يعرف انه لكي يغير اتجاهه فلابد له من مسافة طويلة. والمسافة تحتاج الى وقت ولا وقت عنده.

ونظر الكابتن اريناس ومساعده سافدرا ومهندس الطائرة بعضهم الى بعض ، انهم لا يدرون ما يفعلون لكن الكابتن اريناس بدأ بالفعل يستعد



كارثة لا مفر منها ، ولكنه بنفسه للهبوط اضطراريا في مطار بردوا ..

قرر أن يحاول ..

وارسل اشارة رادار : سأحاول أن اصل الى ارتفاع ٣٦٠ والمسئولية عليكم!

وأدار موجه عجلة الطائرة بسرعة جعلت كل ما في الطائرة يهتز اهتزازا عنيفا .. الساعة الآن الثانية عشر واحدى وخمسون دقيقة .

وفي الطائرة تسعة وتسعون راكبا رءوسهم تدور وقلوبهم تخفق .. كلهم يعرفون الآن انهم في مأزق خطر ...

محاولة اخيرة للنجاة

وأرسل الكابتن اريناس قائد الطائرة اسبانتاكس الرسالة التالية : لكي

الساعة الآن الثانية عشرة والثنتان وخمسون دقيقة . انه يحاول الهبوط ، ولكن مطار بردوا لا يرد لأن جهاز الرادار لا يستطيع الوصول الى الاتصال بنقطة المراقبة في بردوا .

واخيرا جاء الرد بالموافقة ، وعندما ابتسم الكابتن سافدرا واخذ يحرك اجهزة الهبوط ، ماتت الابتسامة على شفتيه لأن طائرة ايبيريا كانت قد اصطدمت بطائرته واشتعلت الطائرتان ومات كل من فيهما . . . . وهبطتا في الجو وهما كتلتان من نار . !

● م . ح ●

فلسفة الحكم من خلال المادة التاريخية بين شوقي وعزيز أباظة

● د. سعد ظلام ●

● تناول كل من الشاعرين الكبيرين شوقي وعزيز الحكم واصوله وابدى كل منهما رايه ووجهة نظره فيه من خلال معالجتهما للمادة التاريخية المتنوعة في مسرحيهما

وقد استطاع كل من الشاعرين أن يطوع المادة التاريخية لمتطلبات فنه المسرحي ، وان يطبعها بطابعه الذاتي ، وان يتصرف فيها تصرفا ينسجم مع ميوله ومشاعره وهواه ومزاجه ومع طبيعة كل منهما وظروفه ومناخه السياسي .

وانطلاقا من هذا وجدنا الشاعرين الحبيبين القريبين يختلفان ، ولابد لهما ان يختلفا ، فشوقي املت عليه طبيعة الشاعر أمير الشعراء المتسيد ان يعالج النزعة الفردية في اكثر مسرحياته . ولم يشأ ان ينزع نزوعا جماعيا يهتم بمشكلات الجماعة اهتماما أصيلا يدرس من خلاله العصر والبيئة والمجتمع والناس وادواء الحكم وعلله وعيوب الحاكم . وهو يدرس الشخصية التي يستعرضها ، فعالج قصص كليوباترة ، وعنترة ، وعلي بك الكبير ، وقمبيز من خلال هذا النزوع الفردي حسبما املته عليه الظروف السياسية وظروف العصر ومقتضياته .

فهو في معالجته لشخصية كليوباترة يحاول أن يرد على «بلوتارك اليوناني» في قصة انطونيو و « شيكسبير » في مأساة أنطونيو وكليوباترة و « درايدن » في « كل ما نملك في سبيل الحب » . فكل هؤلاء الكتاب قد صوروا كليوباترة بغيا تبيع البلاد من أجل نزواتها ومتعها ، وقد نجح شوقي في ذلك ، فصورها ملكة ذكية تلعب بالعروش والتيجان لعبها بالاهواء والقلوب ، وأنها استطاعت بدهاء سياسي ولباقة وحصافة أن تجعل سيفي روما الطامعين في مصر يقتتلان ، وأنها لم تعد من معركة « اكتيوم » ولم تفر خائنة غادرة بأنطونيو وانما سياسة رسمتها لتترك روما يحارب بعضها بعضا .

فشوقي في رده على الكتاب الغربيين يدافع عن شخصية الملكة . وهو تمجيد لها وللملك والملوك عموما : صحيح أنها مصرية وانه تطوع للدفاع عنها كمصرية قبل أي شيء آخر . ولكنه دافع عنها كملكة قبلا وبعدا ، وهذا لا يمنع ماقلناه بل يؤكده ، وشوقي لم يتمسك بالحقائق التاريخية حين كتبها وانما حورها بما يناسب النزوع القومي في عصره ومايتفق مع ميوله وطبيعة العلاقة التقديرية والتقليدية المتبادلة بينه وبين الحكام . ولم يبحث امور الشعب ولا مشكلاته ولا سبب الغزو ومبرراته .



أحمد شوقي



عزيز اباظة

ويمجد البطولة او النزعة الفردية فى شخصية « عنترة » الذى رد غارة الاعداء عن قبيلة « عبس » وحقق ببطـولته الاسطورية امنيته ، فاستلحقه أبوه وربح عبلة زوجا له ٠

ومسرحية على بك الكبير ٠٠

الرواية فى جوهرها تقوم على المؤامرات السياسية ٠ وتصـور النزعة الفـردية تصـويرا قـويا ، فعـلى بك الكبير يستقل بحكم مصر عن العثمانيين ٠ ويتحد مع والى عكا ، ويفتح « اليمن » و « جدة » و « مكة » و « شبه الجزيرة العربية » ٠ ويفكر فى غزو « سوريا » فيرسل أحب أتباعه اليه ، وهو محمد بك أبو الذهب، ولكن الاتراك يستميلونه ويمطونه بحكم مصر ، فيخون سيده ، ويدس من يأسره ويتولى أبو الذهب حكم مصر ٠

وكل هذا تمجيد للنزعة الفردية التى تجلت فى طموح على بك والمطامع الشخصية لدى أبى الذهب ولم يشأ ان يبرز العلل الكامنة فى الدولة آنذاك ، وانما صـور سياسة الدولة العثمانية فى استمالتهـا أبا الذهب وذكاءها الحصيف فى هذا ، وكأنه يعنى ان الذكاء والاستمالة يغنيان عن كل شئ ٠

ومسرحية قمبيز ٠٠

تتناول فترة قضى فيها على استقلال مصر وسيادتها ووقوعها فى يد الفـرس الذين اغاروا عليها ، وهى فترة ضعف وانحلال سيطر فيها الجنود اليونانيـون على جيش الوطن ٠

ولم يهتم شوقى بالاسباب الاساسية للغزو من اقتصادية وعسـكرية تتعلق بالصراع بين الفـرس واليـونان ، وتطلع كل منهما الى حكم مصر ٠ ولم يرد شوقى ان يعزو سبب الغزو الى الاسباب الحقيقية له ، وانما آثر ان يستخدم لفنه المسرحى اسطورة رواها « هيرودوت » ونقلها عنه بعض المؤرخين ـ ومؤداها « ان قمبيزا » غزا مصر لانه طلب الى فرعونها«امازيس» ان يزوجه ابنتـه ـ ولكن « امازيس » غشه ٠ فبدلا من ان يزوجه من ابنته « نفريت » زوجة « نتيتاس » ابنة ابرياس الفرعون الذى قتله « امازيس » واستولى على عرشه وقد اكتشف « قمبيز » هـذا الغش فثارت خليقته ٠ وانتقم من فرعون بغزو مصر وسفك دماء اهلهـا ، ونهب خيرات اهلها ، وتدمير معابدها ، وقتـل عجل ابيس المقدس عند المصريين القدماء وان تكن نوبات الجنون التى انتابت هذا الطاغية قد اطاحت بعقله فقتـل اخاه وقتل اخته فى ساعة جنونه ولقى حتفه ٠

ولو ان « شوقى » اهتم بالاسـباب الحقيقية للغزو واكد عليها وعالج القصة من خلالها لكان قد ادى عبرة تاريخيـة يسديها الى الجماعة الانسانية ٠ ولكنـه عدل عنها الى هذه الاسـطورة ميلا الى النزوع الفردى ، صـحيح أنه صـور شخصيته نتيتاس لتكون « جان دارك » مصرية تصور الشعور القومى ولكنـه لم ينجح فى تصويرها على هذه الصورة التى أراد ٠

وتلاحظ بعد هذا كله أن « شوقي » تعرض في مسرحه للتاريخ المصرى القديم والوسيط في « مصرع كليوباترة » و « قمبيز » و « علي بك الكبير » وتعرض للتاريخ العربي والشعبي في « عنترة » ولم يعطنا فلسفة خاصة في الحكم ولا تفسيرا لاسباب الانحلال والضعف في الدولة ، وانما أكد على النزوع الفردى فى اتجاهاته وأعماله المسرحية كلها ٠

اما عزيز فقد كتب ست مسرحيات تاريخية اعتمدت على الواقع التاريخى هى « العباسة » و « الناصر » و « شجرة الدر » و « غروب الاندلس » و «شهريار» و « قيصر » ما عدا « شهريار » فانها اعتمدت على الواقع الاسطورى ٠

وقد الم عزيز بالتاريخ المصرى والعربى والاسلامى فى كل عصوره عدا العصر الحديث ، فالعباسة تستعرض التاريخ العباسى فى عصر ازدهاره ، والناصر تستعرض تاريخ الاندلس فى عصر ازدهاره و « غروب الاندلس » تستعرض فترة افوله وزواله و « شجرة الدر » تتناول التاريخ المصرى الوسيط ،وكان ازمع ان يكتب فى العصر الاموى مسرحية « معاوية ملكا » وتناول الجانب الاسطورى لشخصية أحد ملوك الفرس فى شهريار وتناول التاريخ الرومانى القديم فى « قيصر » ، فعزيز أكثر تنوعا فى مادته التاريخية وأكثر سخاء فى تناوله ، وأسخى فى اسقاطاته الضوئية على التاريخ وكيفية التناول والعرض ٠

ومسرحية « العباسة »

تتعرض للوضع العام فى الدولة العباسية ٠ فصور الدولة ضاربة فى برج الحضارة الاسنى والبذخ والترف ، غارقة الى أذقانها فى اللهو والمتع ٠ وصور بوادر الصراع بين العنصرين العربى والفارسى ٠ وكان العنصر العربى مقهورا منزويا ٠ ولكنه لا يرى غيره من الاجناس كفؤا له فى النسب والمصاهرة ، وكان العنصر الفارسى قويا مسيطرا ، لان الدولة قامت على أكتافهم ٠ واعتمدت عليهم فى تصريف شئونها ٠ ولم تركن الى العرب خشية أن تحدث لها متاعب سياسية ، ولكن هذا أوجد تحسبا غير قليل من جانب الخليفة ، جعله يخاف أن يميل الميزان ٠ أو يجمح الحصان الفارسى فيضيع كل شىء ٠ فتوجس واحتاط وحاسب على أقل القليل وتحفز للبطش والانتقام ٠

ولقد اتجه عزيز الى جعل الصراع الناشب فى نفسية الخليفة بين حبه لجعفر وثقته به وبين نزوعه العربى وخوفه على الحكم أساسا لنكبة البرامكة ، وكانت مشكلة الزواج غير المتكافىء بين جعفر والعباسة وانجابها منه سببا كافيا لنكبتهم ٠

وفى مسرحية « الناصر » ٠٠

صور الشاعر قرطبة عاصمة الاندلس المزدهرة باعثة النهضة فى العالم كله بجامعاتها ومعاهدها وثقافتها وأساتذتها فى أيام « الناصر » ٠ وقد حاول الشاعر ان يبين لنا كيف قضى على هذه الحضارة بسرعة ٠ وبوضيح العلة فى انهيار هذه الدولة السامقة ، وقد جعل من أسباب انهيارها جعل الخلافة وراثية فى أبناء الخلفاء والحكام دون المبايعة العامة ٠ والاكثار من الغلمان الذين كانوا يشترون أو يسترقون أو يهدون الى الخلفاء وأولياء العهد من الدول الاجنبية ٠ وحياة البذخ واللهو التى كان يحياها الخلفاء ٠ وجعل ولاية العهد فى أكثر من واحد ٠

وفى « شجرة الدر » ٠٠

احس عزيز أنه بدأ يكتب فى التاريخ المصرى الذى سبقه اليه شوقى فأهداها اليه أثرا من هديه ونفحة من وحيه،هدية تقدير واكبار ، وتصور المسرحية فترة تاريخية غالية من تاريخ مصر ، وهى الفترة التى بدأ انتقال السلطة فيها من

الايوبيين الى المماليك البحرية ، وتبدأ بمقتل توران شاه ، وتولى شجرة الدر الحكم يؤيدها زعماء المماليك فى مصر وعلى رأسهم «أيبك» وبيبرس واقطاى وقلاوون وقد طمع كل واحد منهم فى الزواج منها ليستأثر هو بالملك ، ولكن أمراء الشام يرفضون أن تتولى عليهم امرأة ، فيتصلون بالفرنسيين لغزو مصر ، ويطلبون من الخليفة عزلها ، فلم يسبق أن تولت امرأة حكم المسلمين . وهى فترة مليئة بالاحداث والصراعات والمؤامرات ، وبالاخص الصراع الداخلى فى القصور حيث تتحكم الاماء وتغلى الشهوات ، وتنطلق الاهواء بلا رادع ، وهناك صراعات هائلة كان القصر مركزا لها ، قائمة بين أيبك وشجرة الدر . وبين « أيبك » وزملائه وبين «شجرة الدر» وزوج أيبك ، وبينها وبين المماليك ، وصراعات تتعلق بالمماليك انفسهم من أجل الوصول الى الحكم . وصراعات الشعب المغلوب على أمره الضائع بين أطماع المماليك ، وصراعات خارجية تتعلق بغزو فرنسا لمصر ، والكفاح المشرق المشرف الذى قام به الشعب من أجل كسر شوكة الجيوش الزاحفة والانتصار الكبير عليها واسر مليكها فى دار ابن لقمان وبالحروب الصليبية عموما .

اختار عزيز هذه الحقبة لانها غنية بالصراع . مليئة بالفتن والدسائس مائجة بالاحداث والمؤامرات ، وعدم الامن الفردى والجماعى . وهو لا يختارها لانها مما يتلاءم ومتقضيات العمل المسرحى ، ولكنه يختارها لانها تجسم الادواء المخامرة للمجتمع والدولة عموما ، والتى كانت سببا مباشرا فى مفاجأة « هولاكو » زعيم التتار للبلاد مستغلا ما هى فيه ليقضى عليها وعلى الاسلام والمسلمين ولولا كتاب « هولاكو » الذى أنقذ الموقف وجعل السيوف كلها تتجه الى العدو لكان ما لا تحمد عقباه .

واذا كانت مسرحية « الناصر » صورت مجد العرب والمسلمين الباذخ ، وصورت فى الوقت نفسه **عوامل انهيار هذا المجد فان مسرحية « غروب الاندلس »** تمثل قمة المأساة وأفول نجم العرب والاسلام فى الاندلس الحبيبة أى انها تمثل قمة الكارثة . وتصور دقائقها تصويرا دقيقا .

وتتناول المسرحية فترة صعبة من تاريخ المسلمين فى أندلسهم الغاربة ، وتبدأ هذه الفترة قبل نهاية دولة الاندلس سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) وفى ظروف تولى السلطان أبى الحسن الغالب بالله وأخيه أبى عبدالله محمد المعروف « بالزغل » أمر « غرناطة » و « مالقة » حتى انهيار دولة الاسلام فى الاندلس .

وقد كانت الادواء والعلل التى بدات مع الدولة . ولكنها لم تظهر بصورة مخيفة نظرا الى قوة الدولة وشبابها ، ولكن مع تقدم السن بدات تلح عليها تلك الادواء والعلل وتنال منها ، وكان عزيزا اراد ان يتابع الادواء وما تجره على جسم الدولة وهيكلها حتى شيعته ، ويضع الاسباب والعلل والنتائج والنهايات . والعبر والعظات للحكام والجماعة الانسانية كلها . ويصور النموذج الباذخ وكيف الحت عليه الاحداث والعلل حتى انهكته واهلكته .

ولقد بدات مطامع العدو تتجه الى الاندلس منذ وطئتها اقدام العرب . ولكنه كان يتحين الفرصة السانحة للانقضاض ، وراح يبث عيونه ويشعل العلل ويدبر الفتن . ويبارك الفساد وينميه .

وقد شهد تناقص الاطراف ، والتهام الاجزاء . وراح يترقب هوى الجسد المتهالك المنهوك والمتهاوى وكانت « غرناطة » و « مالقة » آخر معاقل الاسلام ، وكان « فرديناند » ملك أسبانيا المجاورة يرقب بعين الصقر ما يدور ويباركه .

وكان الصراع على أشده بين الاخوين

●●

أبى الحسن وأبى عبدالله ، وقد اتفقا على اقتسام المملكة ، فكان لأبى الحسن غرناطة وما حولها ، ولأبى عبدالله « مالقة » وما حولها ، وكان هذا الصراع والزواج بالاجنبيات والخلود للمتعة واللهو وتدبير الدسائس فى القصر ضد الدولة . وجعل ولاية العهد لاكثر من واحد ، والجوارى الاجنبيات فى القصر . والانقسام بين الاخوة وتخاذل المسلمين عن نصرة اخوانهم لانشغالهم بصراعات داخلية وخارجية واصطدامات أخرى . كل هذا جعل من الاندلس أو من البقية الباقية منها لقمة سائغة فى يد « فرديناند » .

وتشخيص عزيز للعلل والادواء التى تنخر فى جسد الامة تشخيص دقيق ، وتصوير واقعى ، وهما لا يقفان عند حدود الاندلس ولكنهما يصدقان على كل دولة بدت عليها اعراض هذه الادواء .

بدأ عزيز بتصوير الجو النفسى الذى تدور فيه المسرحية . ومنذ بدايتها يجعلك تحس بالتمزق والتفكك والانحلال الذى يشمل الامة من اقصاها الى اقصاها ويسرى فيها سريان النار فى الهشيم ، فما فيها من احد الا وله مارب خاص يسعى اليه ويعمل من اجل تحقيقه .

اما شهريار ..

فمادتها اسطورية : وهى اتجاه لاستلهام التراث الشعبى باساطيره ، الفنى بمادته وعلاميته ورمزيته ، والمسرحية تصور حياة الملوك الخاصة ونزواتهم وتصرفاتهم : وجو الخداع والنفاق والملق الذى يسود بطانة الملك التى تحقق له نزواته وتساعده على تحقيقها وتهيىء له جو السعادة التى ينشدها على حساب الشعب وقيمه وأعرافه ، وهى خطوة للتعرف على المرأة وما ركب فيها من خداع ، او ما ركب فى طبيعتها من فتنة وخيانة حسب ما تصوره المسرحية او مادتها الاسطورية .

وموضوعها الازمة النفسية او العقدة النفسية التى تعرض لها شهريار بطل المسرحية نتيجة لخيانة زوجته فقتل كل ما لديه من نساء وجوار . وقرر أن يتشفى من جنس المرأة بأن يتزوج كل ليلة بكرا يقضى معها ليلة سعيدة ، ثم يقتلها عند الصباح . وقد تكفل له وزيره بأن يحضر له كل ليلة عروسا ، وضج الناس بالشكوى وتعلم ابنة الوزير ، فتزمع على تخليص بنات جنسها من عقدة الملك . وتطهيره منها ، وتثأر لهن او تموت ، وراحت تقص على الملك الطفل جزءا من قصة كل ليلة فيمهلها الى مساء اليوم التالى لتتم له الحكاية . وظلت على ذلك حتى طهرته ونجت بنات جنسها .

وقد صورت القصة رغبة الملك الجامحة فى الانتقام ، والتسلط والاستبداد بالشعب من اجل لهوه ومزاجه . والبطانة المنافقة التى نفذت رغبات الملك دون مناقشة ونزلت على رايه دون مبالاة بالقيم والخلق والاعراق .

اما قيصر ..

فتمثل اهتمامات عزيز بالتاريخ العالمى والانسانى ، ورغبته فى تتبع السلطة الحاكمة ومعاناة الشعب من هذا الحكم المطلق .

وزمنها الفترة من التاريخ الرومانى فى عصر قريب من عصر كليوباترة فى مصر فقد تزوجها قيصر وانجب منها قيصرون . وتدور حول الثورة على النظرة الاستبدادية . وتسلط الفرد . والحكم المطلق . والرغبة فى الحكم الذى يشارك الشعب بجميع فئاته فيه .

فقيصر كما تقول الروايات حبته الطبيعة قدرا كبيرا من الذكاء والحصافة، فكان قائدا عظيما . واخلص لروما واحبها . وقاد معاركها الناجحة . وخلصها من يد الطاغوت «بومبى» وقد كان له ولع شديد بالنساء وميل الى تاكيد حكم الفرد.

ونظرته الى الحكم المطلق هى التى جعلت الثائرين بقيادة ابنه غير الشرعي «بروتس» يثورون للتخلص منه ومن سلطته الفردية المستبدة .

ومن هذا يتضح لنا أن عزيزا فى تناوله للمادة التاريخية المتنوعة فى مسرحه ينطلق عن فلسفة معينة اصطفاها وعالج من خلالها فلسفة الحكم وأصوله ، فهاجم الديكتاتورية والاستبداد السياسى وحكم الفرد هجوما عنيفا فى « قيصر » وعالج الشخصية المعقدة والمتسلطة على الشعب دون رادع ، ونفاق البطانة والحاشية ، وتعرض للاخلاق والفساد فى « شهريار » وعرض الادواء والعلل المخامرة للدولة والبلاط والشعب فى «غروب الاندلس» وأكد على الانغماس فى الشر واللهو وفساد القصور والصراعات الدائرة فيها والتزوج بالاجنبيات اللاتى كن عيونا على الدولة من قبل الاجنبى الطامع فيها . وتعرض للفتن والمكايد والصراعات وعدم الامن والامان وعدم الانضباط السياسى ومراعاة أصول الحكم فى « شجرة الدر » وتلك كانت صفة أساسية وطابعا أصيلا فى حكم المماليك . فكان لا يوصل المملوك الى كرسى الحكم كفاءته ومقدرته السياسية وبراعته فى تصريف شئون الرعية والبلاد ولكن كان يوصله تملكه عددا أكبر من المماليك فكان كرسى الحكم للأقوى لا للأكفا وللبارع فى تدبير المؤامرات والانقلابات والمراوغة وكانت الوشاية والترقب والحرص والحذر والشك قدرا مشتركا فى جميع الحكام . فى « العباسة » و « غروب الاندلس » و « شجرة الدر » .

والنزعة العنصرية والحرص على الحكم كانتا السبب فى موقف الرشيد من جعفر ، فلم يكن ما أطاح بجعفر حبه للعباسة فقط ولا انجابه منها فقط ولا طمعه فى الخلافة فحسب ، ولكن كان كل ذلك مضافا اليه الوشاية والحقد والشك والوقيعة .

ولا نجد ذلك عند شوقى ، فلم يكن مسرحه مصورا أدواء الحكم وعيوبه ولا علل الدولة وأعراضها ، ولا فساد الحاكم وتسلطه ، ولا باحثا عن مشكلات الجماعة وأسباب أرقها وعلتها ولا عن الحياة التى يتفياها الشعب ، ولا عن الصفات التى ينشدها فى الحاكم . ولا يبرز كل ذلك ولا يهتم به ، ولم يلتفت الى فلسفة خاصة به فى الحكم وأصوله ، فكان يتحاشى تصوير الواقع السياسى والاجتماعى والعسكرى الذى يفضى الى الهزيمة والاحتلال كما فعل فى قمبيز ، واذا كان شوقى قد أكد على النزعة الفردية . فان عزيزا اهتم بالنزعة الجماعية وكشف النزعة الفردية وحاربها وحمل عليها حملة ثورية صادقة كما رأينا فى قيصر ، ووجدنا عزيزا يقف مع الاحداث يرصدها من أولها ، ويرقب ما أفضت اليه كما فى « الناصر » و « غروب الاندلس » ويصور نهايات الدول والحكم ليبين موطن العبرة والعظة للجماعة الانسانية .

ولا عجب فللعزيز قصائد كثيرة فى الشعر القتالى تصور فلسفته فى الحكم مثل « وقفة على الباستيل » ينعى فيها على الحكم المطلق ويثور عليه ، ومثل « صحوة الشعوب » بينما لا نجد لشوقى الا كلمته البارعة التى تنعى على حكم الفرد:

زمان الفرد يا فرعون ولى
ودالت دولة المتجبرينا
واصبحت الرعاة بكل ارض
على حكم الرعية نازلينا

وليس معنى ذلك أن نرد الفضل لاحدهما دون الآخر ، وانما نود أن نقول ان كلا منهما مثل عصره أصدق تمثيل ، وأبدى وجهة نظره فى الحكم من خلال نظرته العصرية ، ووائم بين هذا كله وبين متطلبات العصر وطبيعته الفردية أو الجماعية .

مصر الخالدة

يقول المؤرخون ان عمر مصر التاريخى خمسة آلاف سنة ، ولكن حقيقة عمرها اطول من ذلك بكثير .. انهـا عشرات الالوف من السنين قبل عصر الاسر وبداية التاريخ .. هذه القـرون كلهـا تجارب ...

بعضها حلو وبعضها مر ...

بعضها انتصارات فى ميدان السياسة والحرب وبعضها كشوف فى عالم العلم والفن ..

انها قصة حضارة الدنيا .. قصة مصر الخالدة ..

مصر بلد العلم والفكر والفنون .

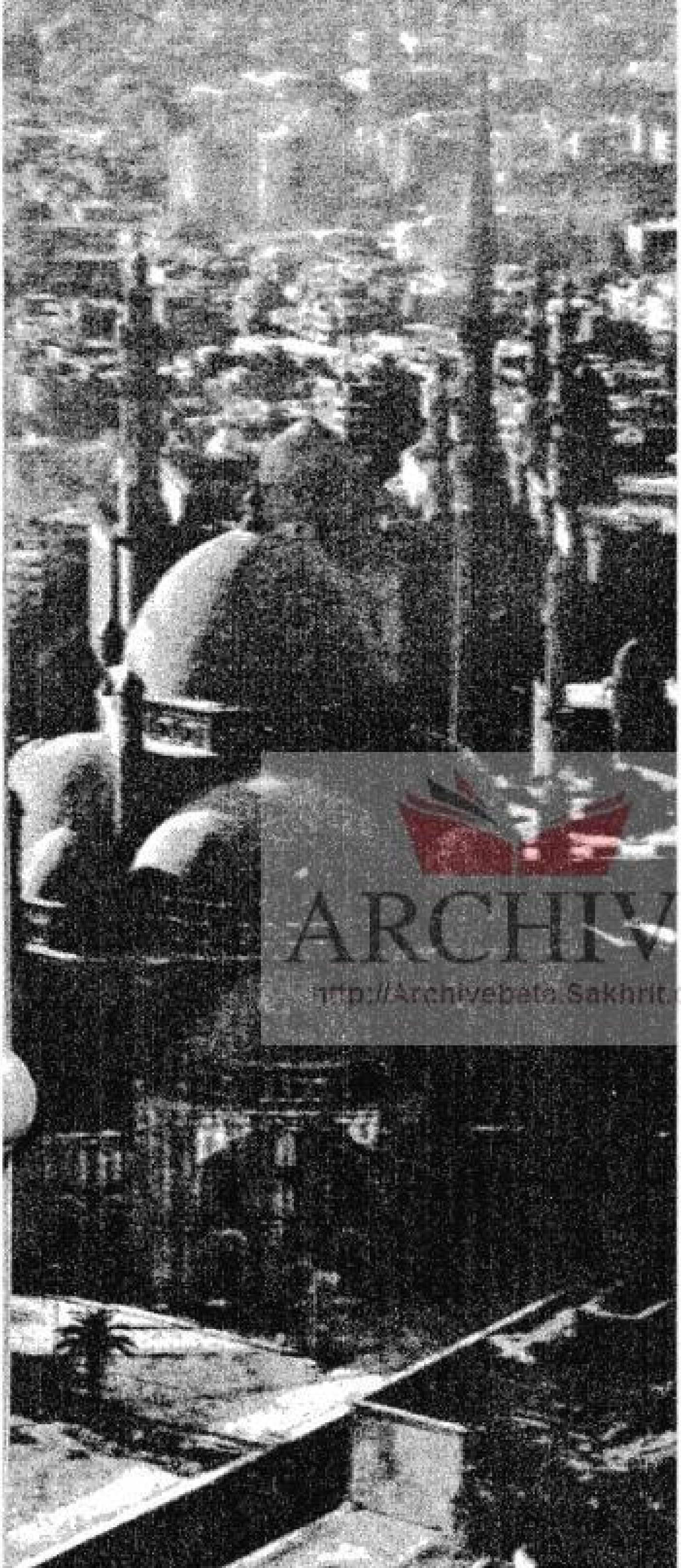
مصر التاريخ ...

انها بنت كل العصور ...

وام كل العصور ..

فى هذه الصفحات سترى صورا من جمال مصر وستقرا سطورا من حكمتها ..

وستعرف لماذا يجمع العالم كله على انها عميدة الامم وصـانعة الحضارات .



على هذه الصفحات صور تمثل جوانب شتى من حيـاة مصر وجمالها . وفى افتتاحية هـذا العدد من الهلال مقال عن مصر العربية ومكانها فى اسرة العرب فيما مضى من القرون ، وفى عصرنا الراهن ، وفيمـا يقبل من الايام .

وقارىء الهلال يهمه دائما ان يكون على صـلة بمصر ، ايا كان مكانه على خريطة العالم العربى ، لان مصر منـذ دخلت عالم الاسلام والعروبة اعطت قلبها وروحها لكل ما هو عربى، وفتحت ابوابها لكل عربى ، ولـكل من يحب العرب ... واذا نحن قلنا انها قلب العروبة النابض فلسنا نقـول هـذا الكلام على سبيل المدح بقدر ما نقوله على سبيل الحقيقة التى يعرفها كـل عربى ويسعد بها كل مصرى ..

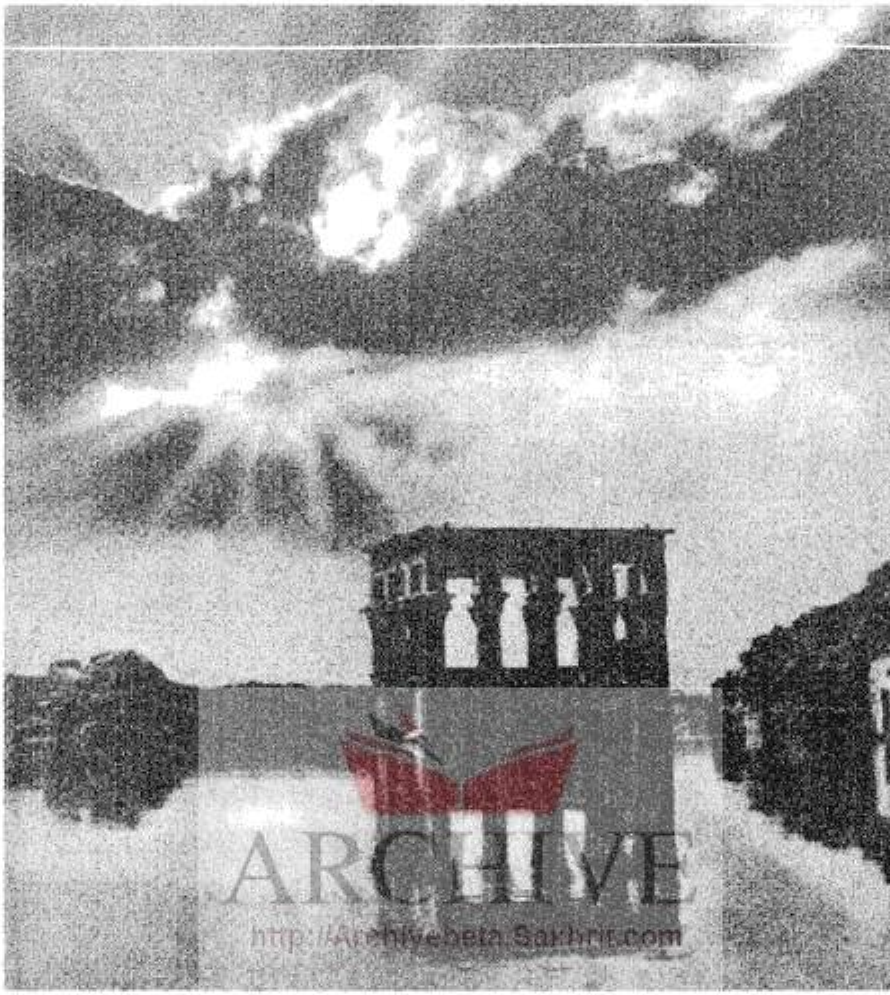
وفى المـاضى كان الرحالة العرب وطلاب العلم العرب يقصدون شتى بلاد العروبة والاسلام للرحلة او التجـارة او طلب العلم ، فاذا جاءوا الى مصر وجدوا العلم ومتعة الرحلة ومكاسب التجارة ، ووجـدوا الى جانب ذلك شيئا لا يجدونه فى غيرها من البـلاد ، وهو الراحة والامن والمتعة والاحساس بأن الواحد منهم لم يفارق وطنه ، وانه نزل بلدا هو بلد لكل عربى وموئل لكل مسلم ، ومحجة لكل طالب حياة ..

وهكذا كانت مصر منذ خلقهـا الله الى ان يطوى الله الارض ومن عليها ..
والصور التى تعرضها عليك هـذه الصفحات مختارة على نحو يعطيك فكرة عن جمال مصر وعما يحب الناس فيها ، وما تنفـرد به من دون غيرها من البلاد
فانت ترى صورا تمثل جمال ريف مصر وطبيعتها الضاحية . وقد يختلف الناس فى رأيهم فى ذلك الريف ،وبعضهم يشكو اليوم من ازدحامه بالناس ومن روح التغيير التى اقتحمت القـرية المصرية وغيرت الكثير من ملامحهـا وطبيعة الحياة فيها كالمجالس الـكثيرة والجمعيات والمخازن ومراكز اصلاح الماكينات الزراعية وكثرة المدارس وما الى ذلك مما لا مفر منه فى بلد يمر الآن فى دور التطور الشامل حتى يستطيع مسايرة العصر وملاحقة الزمن .

ومع ذلك فان هذا كله لم يغير من طبيعة القرية المصرية فما زالت الحياة فيها كما كانت فى كل زمان ، مازال بيت الفلاح على صغر حجمه وغرابة هيئته ماوى آمنا ودافئا لأسرة كبيرة العـدد يعيش فيه ناس كثيرون ، والى جانبهم البقرة او الجاموسة والحمـار وبعض الكلاب ، وفى رحبة البيت وامامه دجاج واوز ، وربما كانت هناك ارانب .

ومازلت اذا مررت بهذا البيت وجدت رب الاسرة جالسـا على العتبة وامامه راكية النار فوقها براد الشاى وهـو يصنع ذلك المشروب الذى غزا بـلاد الشرق اجمعين . وكلما مر انسان دعاه الى الجلوس معه لتناول اقداح الشاى وتجـاذب اطراف الحديث فيما يهم القرية واهلها ، وربما تطرق الحـديث الى السياسة ومشاكل العصر .

واذا كانت مثل هذه الجلسات تطيب لك فانك واجد دون شك متعة فى هذه الجلسات الفلاحية وما يدور فيها من حديث وما يقطعها بين الحين والحين من اسراع لتلبيـة دعوة الداعى الى الصلاة ، وخاصة عندما يرفـع المؤذن صوته لاذان صلاة العشاء ، فتلك هى الصلاة التى يهرع اليها معظم الفلاحين



بنى هذا المعبد فى العصر البطلمى على جزيرة فيله التى كانت منتجعا للكثير من ملوك اسرة البطالمة التى تحولت من اسرة مقدونية الى اسرة مصرية وهذا المعبد الذى اعتبر معبدا خاصا ابتناه البطالمة ليصل فيه الملك وحده او مع اسرته ، يعتبر من اجمل معابد الدنيا وقد تم انقاذه اخيرا لان مياه السد العالى غمرته ونقل الى مكان آخر بعيدا عن مياه النيل .

لانهم فى ذلك الوقت ، يكونون قد فرغوا من مشاكل اليوم واعمال الحقل ويتسع وقتهم للصلاة فى الجامع والتجمع فى جوانبه بعد ذلك .

ولا يخلو الامر من بعض الطعام يقدم على قدر ما تسمح به الحالة والطعام فى ذاته لابد ان يكون متواضعا لهذه حياة القرية وذلك هو طعامها ،





الفلاح المصرى ، رمز الصبر والعمل والإخلاص ، هذا هو يعمل في حقله والابتسامة على وجهه .. ان عمله من أشق أعمال الدنيا ومن أكثرها خطورة فهو يعرضه للأخطار والأمراض ، ولكنه يحتمل ذلك كله ويعانى شظف العيش ويشعر بالسعادة لأنه مجاهد مؤمن محب لمصر .

الريف المصرى الجميل بخضرته وزروعه المتنوعة ، وفلاحيه الذين يعملون ليل نهار ليخرجوا من الأرض أحسن ما فيها .. ومواشيه التي تعتبر جزءا من الثروة القومية ، وأشجاره وجوه الصحو الجميل .

ومهما كان رأيك فيه فأحب ان أقول لك انه على تواضعه طعام جيد ولذيذ وهو نفس الطعام الذى كان يأكله المصريون منذ قرون طويلة .

هذا الى جانب ما تشهده فى القرية المصرية من مشاهد اخرى من الحياة لابد أن تعجبك لانها تصور لك حضارة الوف السنين وقد احتفظت بطابعها وشخصيتها رغم كل شيء .

***

وعلى هذه الصفحات صور اخرى تمثل لك مشاهد من الحياة فى المدينة ، والمدينة المصرية اليوم تجتاز هى الاخرى مرحلة عسيرة من مراحل تطورها فهى مدينة مختنقة بسكانها وقد ضاقت طرقها بمن يسلكونها ، وما يزحمها من سيارات كبيرة وصغيرة ومن ناقلات ضخمة تنقل أدوات ومواد بناء وخضروات وفواكه وما الى ذلك مما تحتاج اليه المدن ، وكل ذلك يختلط بعضه ببعض ويختنق بعضه مع بعض ، ولكنك رغم ذلك تجد لهذه المدينة المصرية .. التى تنتقل من حال الى حال دفئا لا تجده فى مثيلاتها من مدن البلاد الاخرى ، لأن المصرى رغم كل شيء يعرف كيف يحتفظ بهدوء مزاجه وبنكتته الحلوة وتفاؤله وتقبله للحياة بكل ما تأتى به .. وسترى فى جوانب المدن تلك المقاهى البلدية المعروفة والناس فيها جالسون فى اطمئنان يدخنون الشيشة ويتبادلون النكات والمذياع يصرخ بأعلى صوته بأغان أذيعت ألف مرة ، ولكن رواد المقهى يحبون هذه الضجة ولا يضايقهم فى شيء ان يكون فى الشارع امامهم مئات من الاطفال يلعبون ويثيرون ضجة تقلق الشيطان ،لان هذه هى طبيعتهم وتلك هى حياتهم ، ومهما كان رأيك فيها فصدقنى أنها حياة ممتعة فياضة بجوانب الجمال ، لأن المصرى رغم كل شيء لن يتغير فى طبعه الا القليل .

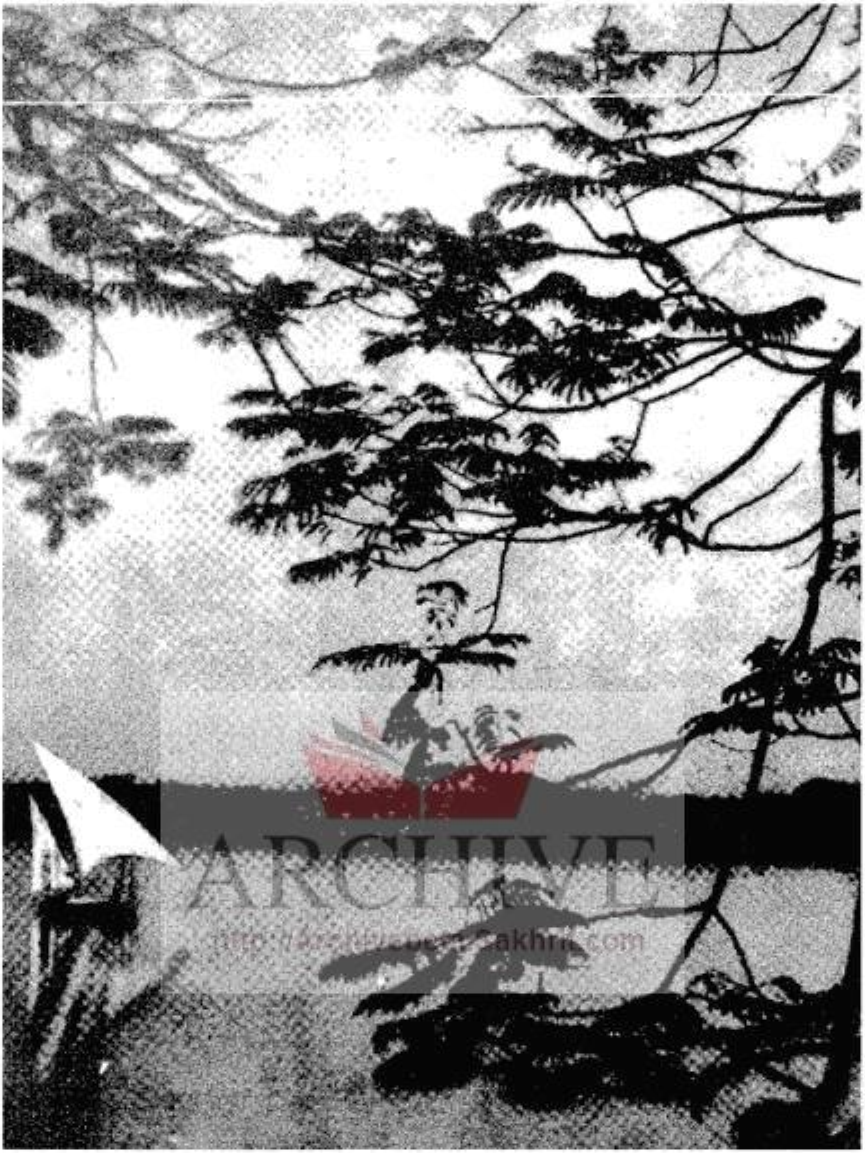
***

وترى من بين هذه الصور صورة لنهر النيل الخالد والقوارب ذات الشراع تمضى فيه على مهل وليس فى الدنيا اجمل من منظر قوارب النيل وهى تمضى على مهل يحركها « فرد جناح » كما قال شوقى .. وصفحة النيل ساكنة صافية وان كان الماء يجرى فيها بهدوء من هضاب الحبشة وبحيرات خط الاستواء الى البحر الابيض قاطعا نحو عشرة الاف كيلو متر فى رحلة متعبة بين صخور وجنادل ومنحنيات وخلال ارض صحراوية والوف القرى تصطف على الجانبين ، والنيل الخالد يجرى امامك غير حافل بالزمن وغير عابىء برياح التغير ، لان النيل ما زال هو هو ،ابا الانهار ،ورمز الحياة وصورة الجمال ، ومياهه الزرقاء لا تشبهها مياه نهر آخر فى الدنيا ...

***

ومن بين هذه الصور صورة لقناة السويس . وانت لا ترى فيها القناة وانما ترى رمالا ووسط الرمال ترى سفنا ضخمة كانها تمخر بحر الرمال، والحق انها تسير فى قناة السويس ذلك النهير الضيق الذى شقته يد الانسان لتصل بحرا ببحر ، ولتحول قارة هى افريقيا الى جزيرة ولكى تصل الشرق بالغرب عن طريق أرض مصر الطيبة التى ما زالت ملتقى الشرق والغرب .

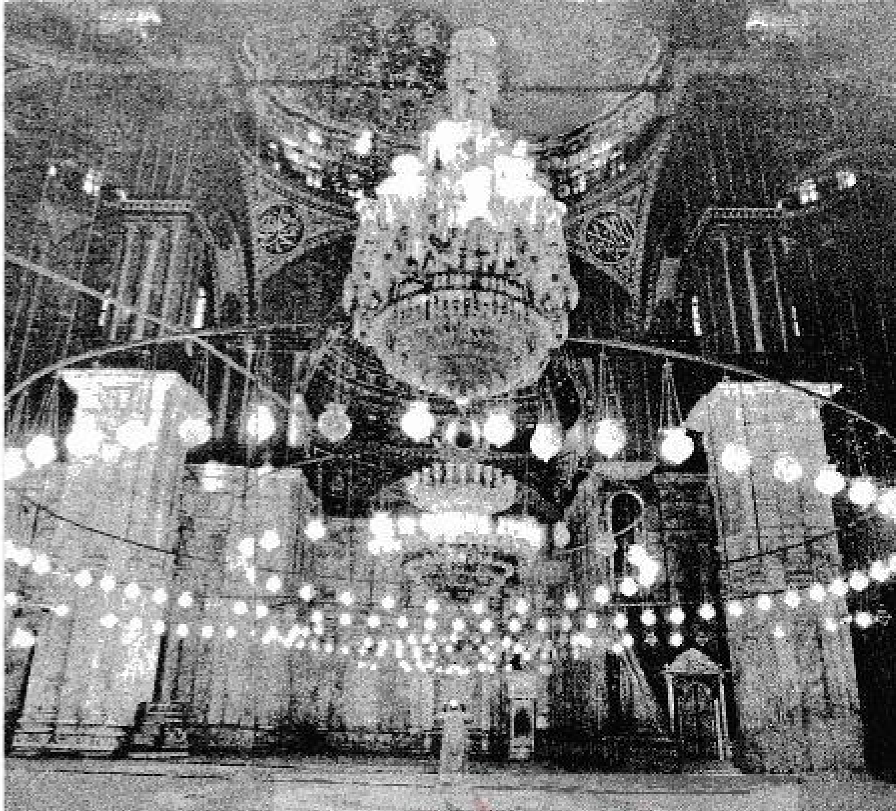
وقد اخترنا هذه الصورة لقناة السويس لانها فى الحقيقة تقص علينا مأساة القناة وما أثارته من حروب وما جلبته على مصر من ويلات الى جانب ما جلبته لها من خيرات ، ونحن نحب القناة لاننا نفهم ان هذه هى حال الدنيا



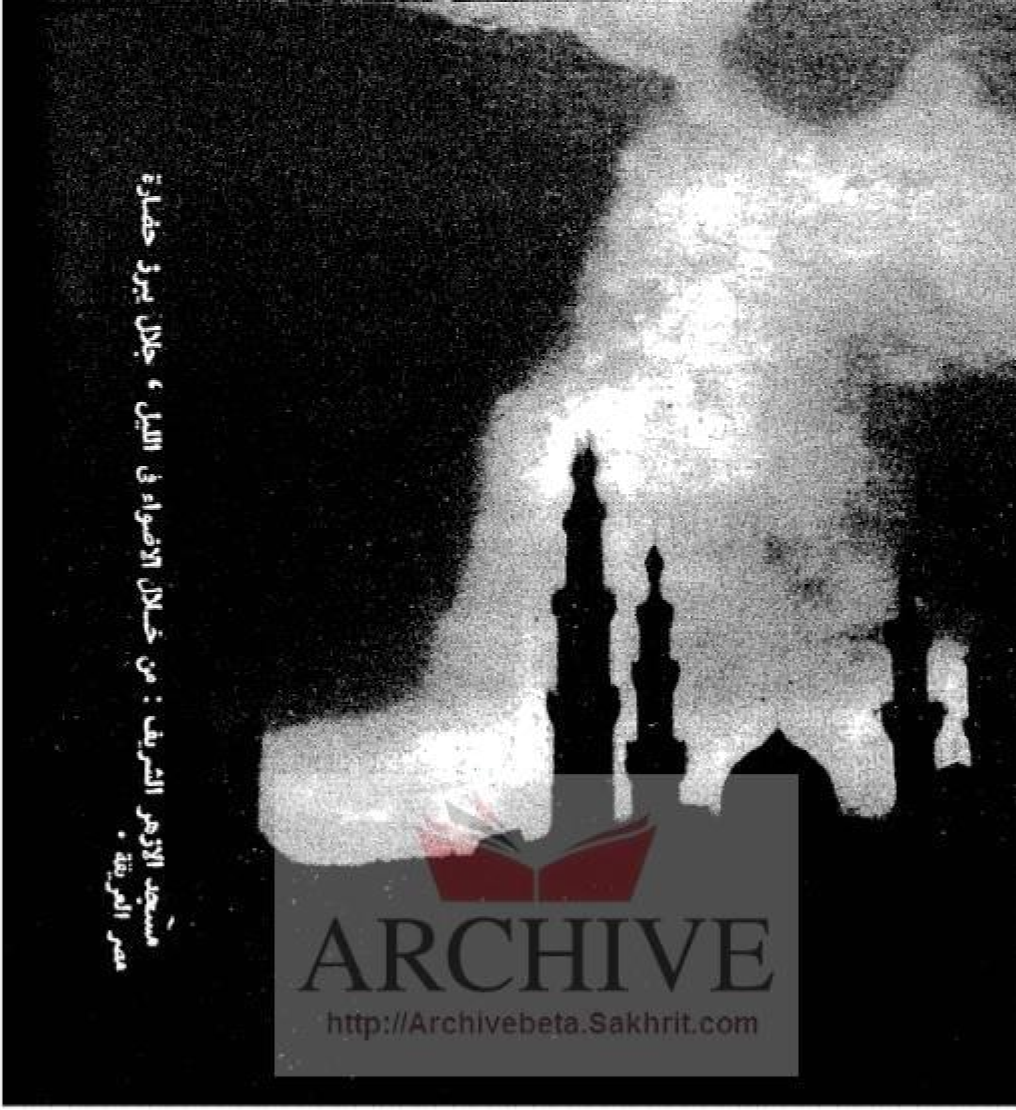
صورة رائعة لنهر النيل الخالد حيث يجرى امامك غير حافل بالزمن والقوارب ذات الشراع تمضى فيه على مهل .

فليست هناك نعمة خالصة ولا نقمة خالصة ، وانما الله سبحانه وتعالى جعل النقمة فى ثوب النعمة ، وجعل ذلك جزءا من جمال الحياة .

ومن بين هذه الصور صورة لداخل مسجد القلعة بهيئته الجميلة التى تحمل طابعا من طوابع المساجد التركية بعد ان اخذت روح المساجد المصرية



داخل مسجد محمد على بالقلعة المسمى بمسجد الرخام .. انه آية من آيات الفن المصرى فى شيء من اطواره وعهد الطراز العثمانى . بنى هذا المسجد فى القرن التاسع عشر فى موقع من القلعة لا نظير له فى الجمال . وقد انشىء على طراز عثمانى ومن المسلمين تقلده معماريون مصريون ومن هنا اكتسب هذا الجمال البديع الذى تحدثت عنه هذه الصورة .



مسجد الازهر الشريف : من خلال الاضواء فى الليل ، جلال يبرز حضارة مصر العريقة .

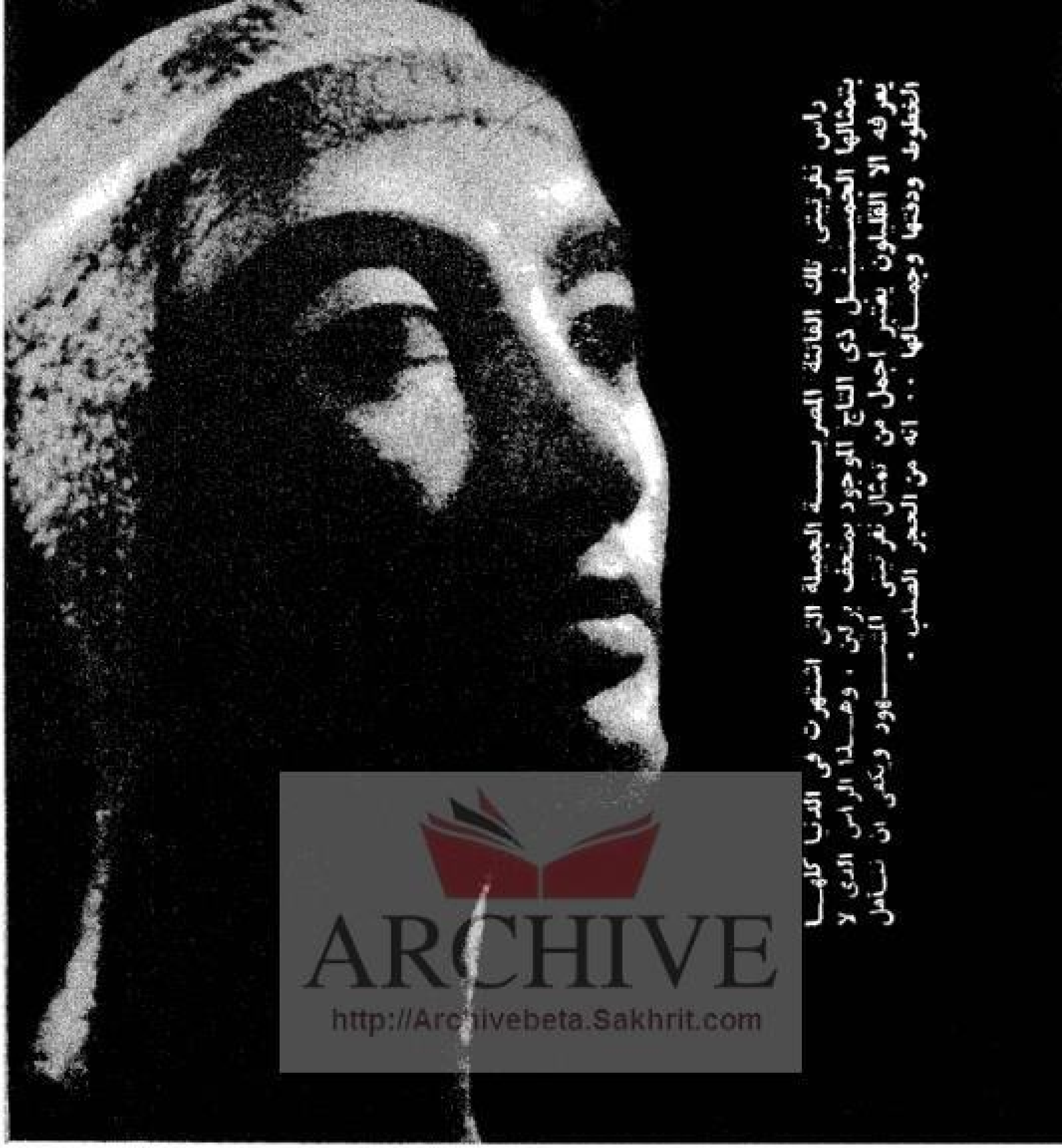
فانت ترى فى ذلك المسجد الجميل الذى يطل على القاهرة مدينة الألف مئذنة ، ترى صحنه الواسع تضيئه ثريات من اجمل ما ابدعه القرن التاسع عشر هدية من ملك فرنسا الى محمد على منشىء المسجد .

وترى كذلك اعمدة المسجد الرخامية وقبلته ومنبره وكلها من اصناف من الرخام ذات الوان شتى مما جعل الاوربيين يسمون ذلك المسجد مسجد الرخام .

وهذا المسجد ما هو الا رمز لالوف المساجد فى مصر ذات الطرز المختلفة والاشكال المتباينة والهندسات التى تصور لنا تطور الفن الاسلامى فى مصر خلال اربعة عشر قرنا .

***

وصور آثار مصر القديمة من تمثال نفرتيتى الى قصر انس الوجود تعبر تعبيرا شاعريا وواقعيا فى نفس الوقت عن ناحية اخرى من جمال مصر وهى ناحية الجمال الحضارى الذى لا يزال



راس نفرتيتى تلك الفاتنة المصريـــة الجميلة التى اشتهرت فى الدنيا كلهـا بتمثالها الجميــل ذى التاج الموجود بمتحف برلين . وهـذا الراس الذى لا يعرفه الا القليلون يعتبر اجمل من تمثال نفرتيتى المشـهود ويكفى ان نتامل الخطوط ودقتها وجمـالها .. انه من الحجر الصلب .

يبهر العقول والقلوب فى العـــالم أجمع .

ويكفى ان تتامل راس نفرتيتى التى ترى صورتها هنا فهـذه الراس التى تعتبر من أجمل التماثيل فى تاريخ فن الثالة العالمى واحدة من المحاولات التى حاولها الفنان المصرى القـديم قبل أن يصنع تمثال راس نفرتيتى المشهود فى العالم كله وانت اذ تتامل هذه المحاولة وترى ما فيها من التناسق والابـداع تضـع يدك على سر من اسرار الفن القديم وهو انه فن أصيل يقوم عـلى احساس بالجمال عميق .

وصورة معبـد فيلة المسمى بأنس الوجود الذى ظل مغمورا بمياه النيل نحو ستين سنة حتى استطاع العلم ان ينقذه اخيرا وينقله الى شـاطىء النيل ، هذا المعبـد نموذج من الفن المصرى القديم فى العصر البطلمى عندما امتزج ذلك الفن بفن اليونان ونشأ فن مصرى قديم جديد ما زال يبهر العيون



يخيل اليك عندما تنظر من بعيد ان هذه الباخرة تخترق الرمال ، والحقيقة انها تسير في قناة السويس ، ذلك الشريان المائي الدقيق الذي يخترق الصحراء ويفتح الطريق ما بين البحرين الابيض والاحمر ويعتبر اهم مجرى مائي في الدنيا كلها .





مصر الخالدة ، حيث يتوسطها نهر النيل الخالد بجماله وعظمته لتبدو عليه ملامح عشرة آلاف سنة من الحضارة والازدهار .

ليس في الدنيا منظر يقرب جماله من منظر النيل عند اسوان فانت اذا نظرت هناك رايت ضفتي النيل من البازلت الاحمر وزرقة مياه النيل تترقرق بين الضفتين ، والمراكب ذات الاشرعة المثلثة ، ومن وراء ذلك كله صحراء مصر الغربية التي تترامى الى ما لا نهاية تقطعها بين الحين والحين تلال من البازلت الاسود

الى اليوم .

وبعد فهذه صور شتى من جمال مصر وفتنتها نعرضها عليك هذه الصفحات التي تعبر لك في خطوط والوان عن حضارة بلد عريق ولد قبل أن تولد الامم وعاصر الدهر اربعين قرنا متوالية ما بين مد وجزر ، ما بين صعود وهبوط في كل عصر منتشا من منشئي الحضارات وصانعا من صناع التاريخ.

تلك هي مصر في صور وسطور : صفحات من المجد والتجارب والتاريخ وحاضرها اليوم بما تجتازه من ازمات وما تتعرض له من خطوب وما تكسبه من انتصارات ، انها لمحات من صورة ذلك البلد الامين الذى شرفه الله فذكره في القرآن الكريم ولم يذكر في القرآن بلدا غيره . بوركت مصر وعاشت لاهلها وللعرب . وللحضارة الانسانية كلها .

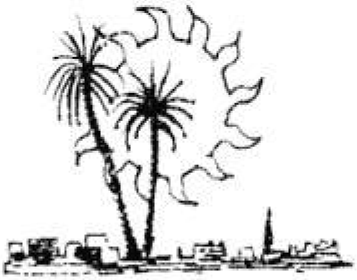
•• للشعراء والكُتّاب



هذه الحسناء توقفت بها سيارتها في الطريق فحاولت ان تصلحها وتعيدها الى السير على قدر ما استطاعت ولكنها عجزت عن ذلك وعادت الى سيارتها وجلست تنتظر ما تأتي به الاقدار ..

وهذه فيما بدا لنا بداية قصة او لمحة توحي بشيء من الشعر، فهل عندما تقول.؟ أكتب لنا بما عندك في حدود القصاها عشرة أبيات من الشعر او صفحة من النثر .. وهذا هو موضوع المسابقة ..

العودة الى .. بلاد الشمس !



● سالم حقى ●

أهلا ... بلادَ الشمس جئتك عاشقًا ... يحدو خطاىَ إليك شوق غامر
أستاف عِطرَكِ من بعيد .. ينتشى ... روحى وتخفق فى الضلوع مشاعرُ
فى كلِّ ركن منكِ .. ذكر شيِّق ... وقصائدٌ وحدائقٌ وسوامرُ
تهفو لها نفسى إذا طال النوى ... ويجيش تحنانا .. فؤادى الشاعرُ
أسوان ! .. يا أرض العراقة والسَّنا ... يا درةً يجلو ضياها الحاضرُ
المجدُ أنت تليدهُ ، وجديده .. ... يقظانُ .. جبّار الارادة .. قاهرُ
أهلا .. وشمسك فى السماء صبية ... لما يزل بِكرا سناها الزاخرُ !
غنّى لها فرعون .. فى عليائهِ ... متعبّدا ، وهو المهيبُ الـكابرُ !
« آتون » ... لحنُ الوجد فى محرابه ... أسطورة وطلاسِم وشعائر !
والنيلُ .. يسرى فى ربوعك شاعرا ... يروى حكايا المجد ، وهو مسافر
أبدا .. سخى الراح .. معطاء الخطى ... يمشى .. فيخضل الربيع الناضرُ
والفلك .. راقصةُ الشراع .. يهزها ... نغم .. يوقّعه بنان ساحرُ !
وكأنهنّ .. عرائس مجلوّة ... ... بيض .. يناديهن حب آسرُ !
والنخلةُ السمراء .. فاتنة الصّبا ... أسرى .. يوشوشها النسيمُ العاطرُ
هيفاء .. شماء الذرا .. معشوقة ... يرنو لها النجمُ المشوق الزاهرُ !

***

أسوان ! .. جئتكِ والجراح عميقة ... هل لى بكأسكِ .. بلسم وبشائر ؟!
يا طالما باركتِ فيكِ .. لقاءنا ... والشمل مجتمع ، وبركِ وافر ..
نغدو الى السدِّ المنيف مع الضحى ... ونعود .. والقمر المنوّر ساهر !
واها !! لايام يعشن بخاطرى ... أودى بهن .. وبى .. زمان جائر !
يا نائيا .. ما زال يَحنيَا فى دمى ! ... حتّامَ هجرُكَ .. والحياة تهاجر ؟!
كابدتُ فيكَ الشوق مؤتلق الرؤى ... ما بال قلبك .. لا يَمَل يُكابر ؟!
قد كنت أحسَبُ أن أراك مؤازرى ... فإذا لصرفِ الدهرِ .. أنتَ مؤازرُ !

***

ياطائرِى النائى ! .. يناديكَ الهوى ... ياليتَ أنك .. عائد .. يا طائر !

الصالونات الأدبية النسائية

في مصر

● أماني فريد ●

بدأت المرأة المصرية دورها الايجابى فى بناء المجتمع المصرى بعد ثورة ١٩١٩ ، عندما خرجت مناضلة ثائرة الى جانب الرجل تطالب بجلاء المستعمر الاجنبى عن البلاد ..

وبعدها فتحت المدارس العليا والجامعة المصرية ابوابها امامها ،وخلعت الحجاب وتحررت من كثير مما كان يعوق تقدمها ونهضتها ، وكان من الطبيعى بعد ذلك أن يكون للمرأة نشاط ادبى واجتماعى فى شتى المحافل والندور الادبية ، فقامت بعض السيدات الفضليات والبارزات فى المجتمع ممن لهن اتصال بالحياة الادبية والثقافية فى مصر ـ بافتتاح صالونات أدبية فى دورهن ، يؤمها ادباء ومفكرون بل وساسة ـ من الرجال والنساء على حد سواء .

والمتتبع لحركة هذه الصالونات الادبية يجد أن أول صالون أدبى نسائى كان له نشاطه الواضح فى الحياة الادبية والفكرية وقتذاك هو صالون الاميرة نازلى فاضل . والذى بدأ فى أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٩٠ واستمر حتى أوائل القرن العشرين ، وعلى امتداد نحو ربع قرن من الزمان .

ويعتبر هذا الصالون أول صالون نسائى أدبى فى الشرق الاوسط ، وكانت صاحبته على خلاف مع الاسرة المالكة ، وكانت تستقبل فيه كبار المفكرين والادباء من بينهم الامام الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم امين .

والمعروف أن الاميرة نازلى فاضل هى التى توسطت فى زواج سعد زغلول من قرينته « صفية هانم » ، كما أن كتابى قاسم امين « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » نوقشت أفكارهما فى صالون هذه الاميرة ، التى كانت أول سيدة تتنازل عن جزء من اطيانها وتوقفها على مشروع الجامعة المصرية ، والتى تنازلت أيضا بعد ذلك عن جزء كبير من مجوهراتها لاستكمال انشاء الجامعة بعد أن خرجت الى حيز الوجود ..

***

يأتى بعد ذلك صالون السيدة « لبيبة هاشم » صاحبة مجلة « الفتاة » ـ عام « ١٩٠٦ » ـ وكان من رواد صالونها « لطفى السيد » صاحب جريدة « الجريدة » فى ذلك الوقت ، والشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد .

ولقد نشأت فى صالون هذه السيدة فكرة التعليم الاهلى العام ، ترسما لخطى الاميرة نازلى فاضل فى موضوع الجامعة المصرية ، ولقد بدأ تنفيذ الفكرة مواطن يدعى « سيد أفندى محمد » وانشأ مدرسة باسم المدرسة الكلية ، وتضم قسمى التعليم



● الآنسة مي زيادة ●

الابتدائي والثانوي ، ونجحت المدرسة ووجدت اقبالا كبيرا لانها كانت تضيف الى التعليم الروتيني القائم اذ ذاك المعلومات العامة والمحاضرات ، وقد حوكم « سيد افندي محمد » صاحب هذه المدرسة على يد الانجليز لنشاطه السياسي ، ولكنه استطاع ان يفر الى دمشق ، وينشيء مدرسة التعليم الاهلي هناك .

***

اما اشهر صالونات الادب النسائية في القرن العشرين فهو صالون الآنسة « مي » زيادة .. بدأ في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، في عهد ثورة ١٩١٩ ، واستمر حتى عام ١٩٢٤ . كان صالونا أدبيا متكاملا ، لعرواد دالعون ومواعيد لقاء منتظمة كل يوم اربعاء حيث تعرض آراء وافكار للمناقشة ..

كيف نشأ « صالون مي » ؟

يجيب من هذا السؤال الكاتب الصحفي حافظ محمود الذي حضر آخر لقاءات الصالون برفقة المفكر الدكتور منصور فهمي استاذه في الفلسفة - فيقول :

كانت «مي» واسمها الحقيقي ماري زيادة ، وقد اطلق عليها داود بركات رئيس تحرير الاهرام في ذلك الوقت اسم «مي» ، واضاف اليه كلمة « النابغة » فذهبت مثلا ..

كانت «مي» ابنة الياس زيادة صاحب جريدة المحروسة ، وقد انتقل من بيروت الى القاهرة ، فلما توفي عام ١٩١٨ حلت ابنته مكانه في المسئولية عن الجريدة ، وكانت بعد صبية لم تبلغ العشرين عاما ، فقامت اسرة جريدة الاهرام برعايتها ، وقد اشفقوا عليها من مسئولية الجريدة فقاموا بتصفيتها وكلفوها بالكتابة في الاهرام الى جانب توفير سكن لها ايضا في مبنى الجريدة ...

لذلك تطلبت «مي» هذا الصالون الذي تردد عليه كتاب الاهرام والادباء ومعظم مفكري ذلك العصر ومنهم : لطفي السيد ، والشاعر اسماعيل صبري ، والشاعر ولي الدين يكن ، وعباس العقاد ، وانطون الجميل ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومنصور فهمي ، وطه حسين وغيرهم .

وكانت «مي» معجبة بعباس العقاد ، فاغضب هذا مصطفى صادق الرافعي الذي كان متيما بها ، ووضع كتابا في هجاء العقاد بعنوان « على السفود »

ومن الطريف ان الشاعر ولي الدين يكن وكان ايضا من المعجبين بها ، ارسل لها ابياتا عندما خاصمته قال فيها . عجبا اشاعرة تهاجر شاعرا ؟ . فردت عليه قائلة :

زمانك قبلي انتهى
وهل يرجع المنتهى ؟
فحسبي ان اشتهي
وحسبك ان تشتهي !

ويبدو أن «مي» لم تحب أحـدا رغم كثرة المتفين حولها ، ولكن حبهـا الأكبر كان لجبران خليل جبـران شاعر المهجر الذى لم تره على الاطلاق وعاشت حياتها على أمل لقائه ، وفعلا اتفقا على أنه حينما تضـع الحرب العظمى عام ١٩٣٩ أوزارها ، يجىء هو الى مصر ويعيش فيها معها ، خاصة وأنه بدأ يتبرم بحياة المهجر .

لقد كان حبهما يتمثل فى رسـائل متبادلة بينهما ، ثم مرضت « مى » ، وأدخلها أهلها مستشفى للأمـراض العقلية بلبنان حيث وافاها الاجـل عام ١٩٤٦ .

وكانت « مى » تقـدم محاضرة أسبوعية فى قاعة ايوارت بالجامعـة الامريكية ، وكانت تجيد الانجليـزية مع الفرنسية ، وترتجل معظـم محاضراتها فى أسلوب عربى فصيح ، وكان نثرها أقرب الى الشعر وصوتها الرخيم يستولى على الألباب .

ومن صالونها خرج ديوان ولى الدين يكن ، وخرج من هذا الصـالون ، اليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى قامت «مى» بتنظيمه وأقامت له حفلا كبيرا دعت له كتاب وعلماء العربيـة من شتى أقطارها ، وفى هـذا اليوبيل ألقى حافظ ابراهيم قصيدته المشهورة عن العلم :

العلم شرقى تغافل أهله
عنه فعاقبهم بطول غياب !
وتنبهوا لمصابهم فتفرعوا
فعفا وعاودهم بغير عتاب !

ولقد جاء هذا المهرجان بعـد عام من المهرجان الذى دعت لـه جريدة السياسة الاسبوعية ونصب فيه أحمد شوقى أميرا للشعراء عـام ١٩٢٧ ، وحضره جميع أدباء وشعراء العربية .

***

وبعيدا عن القاهرة كانت المنصورة مرتعا لكثير من شعرائنا المعروفين ابان صباهم وطفولتهم وشبابهم ، فى أحضانها نشأ ابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، وصالح جودت ، فليس بعجيب اذن أن تظهر فيها أيضا صـالونات أدبية ، نسائية ، كان أشهرها صالون الشاعرة جميلة العلايلى فى الثلاثينات فى أواخرها .

ولقد جاءت جميلة العلايلى الـى القاهرة فى منتصف الاربعينـات ، وتزوجت ، وأنشأت فيها « المجمـع الادبى » وهو صالون يلتقى فيه الادباء والشعراء ، وأسست مجلتها «الأهداف» لتنشر الانتاج الفكرى والادبى لاعضاء صالونها ، وقد انتقل هـذا الصالون الى دارها فى ضاحية عين شـمس ، وأصبح مركز اشعاع فكرى فى هـذه الضاحية بعد صالون الامام الشـيخ محمد عبده الذى سبقها فى هذا المكان .

***

وأشهر الصالونات النسائيـة



● جميلة العلايلى ●



● هدى شعراوى ●

الادبية أيضا صالون الزعيمة هـــدى شعراوى الذى كان صالونا نسائيـــا فريدا ، أدبيا وسياسيا وفنيا ، وكان يعقد كل ثلاثاء فى دارها فى قصر النيل ويؤمه جمـــع من رجال السياســـة والعلماء والادباء ورجال الصحافة ، ورجال الفن التشكيلى الى جانب عظماء العـــالم الذين يزورون مصر من كل مكان ، ثم فضليات السيدات المصريات المشتغلات بالحركة النسائية والاجتماعية والضيفات الأجنبيات الزائرات لمصر ممن يشتغلن بالسياسة فى بلادهـــن والقضايا النسوية ، وكانت معظـــم الزائرات ينزلن ضيفات على صاحبة الصالون فى بيتها وخاصـــة رئيســـات وعضوات مكتب الاتحاد النســـائى الدولى .

تقول حواء ادريس ابنة خال هدى شعراوى ، والتى لازمتها فى حياتهـــا وكفاحها :

كان يختلف الى صالون هـــدى شعراوى ويؤمه كبار الشخصيات والزعماء ، والادباء والمفكرون ومنهم لطفى السيد والدكتور حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، وجبرائيـــل تقلا صاحب الاهرام ، وانطون الجميل رئيس تحريرها ، وشاعر القطـــرين خليل مطران كان ضـــيفا دائما على الصالون .

وقد اخبرتنى هدى هانم ان امير الشعراء احمد شوقى كان من اخلص المترددين على الصالون ، وقد اشتركت هدى شعراوى فى حفل تنصيبه أميرا للشعراء عام ١٩٢٧ .

وقد كان لهذا الصالون فضـــل كبير فى تشجيع وابراز كثير من الادباء والفنانين ، لقد كانت البعثات ترسل منه الى أوروبا من الادباء والـــكتاب الشباب الذين كانوا يؤمون الصالون وكانت صاحبة الصالون تتولى الانفاق على هذه البعثات ، ومن نتائـــج المناقشات فى هذا الصالون ، رصـــدت هدى شعراوى جائزة باسمها للانتاج الأدبى من قصة وشـــعر كل عام ، وتكونت لجنة فى المجمع اللغوى لاختيار الانتاج الفائز ..

وتختم حواء ادريس حديثها : كان صالون هدى شعراوى ، وكانت دارها بمثابة جامعة دول عربية نسائية ..

والواقع ان الحياة المصرية الادبيـــة والاجتماعية والعلمية قد اثرت مصر بثراء كبير فى النصف الاول من القرن العشرين - من هذه الصالونات الادبية والمنتديات والمجامع العلمية الادبية ، والتى اسهمت فيها - فضليات ســـيداتنا المصريات بالنصيب الاوفى والجهد الموفور . ●

مجالس العلماء

● ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ●

● تقديم : د. انس داود ●

كانت « مجالس العلماء » في ايام العرب الزاهرة ، مصدر خير كثير للمعرفة ، ومثابة لطلاب العلم ، اليها يحجون ، وبها يشغفون ، وكان كثير من الولاة والقادة يسعى الى هذه المجالس ، ويجمع اليها العلماء ، تحقيقا للفائدة ، وتمحيصا لمسائل العلوم العويصة ، واستخراجا لما تكتنزه العقول ، وتجنه الافئدة . وبخاصة اذا كان هؤلاء العلماء على تلك الدرجة الرفيعة من معرفة المعقول والمنقول التي كان عليها امثال الاصمعي ، وابي عمرو الشيباني ، والكسائي ، والفراء ، والزجاجي ، وغيرهم من ائمة اللغة العربية والبصر بنحوها وصرفهما وغريبها ..

وقد بقي لنا فيما بقي من تراثنا العربي مجموعة من الوثائق الهامة تحكي لنا بعض ما حدث في هذه المجالس ، وما ثار من مسائل ومشكلات ، وماتعرضت له العقول بالحجج البالغة ، والنقول الامينة والبصر النافذ والذكاء اللماح ..

ومن هذه الوثائق الهامة كتاب « مجالس العلماء » لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٤٠ هجرية « والزجاجي منسوب الى شيخه ابراهيم بن السري الزجاج « ٢٤١ - ٣١١ » ، وكان اصل الزجاجي من الصيمرة وهي بلد بين ديار الجبل وخوزستان ، وانتقل الى بغداد ، ولزم الزجاج وقرا عليه النحو ، وكان رفيقا فيها لابي علي الفارسي ، ثم انتقل الى الشام فاقام بحلب مدة ، ثم انتقل الى دمشق واقام بها وصنف ، وحدث بها عن الزجاج ، ونفطويه ، وابن دريد ، وابي بكر بن الانباري ، والاخفش الصغير ..

ثم خرج مع ابن الحارث عامل الضياع الاخشيدية فمات بطبرية في شهر رمضان عام اربعين وثلاثمائة من الهجرة المحمدية ، ومن اشهر كتبه كتاب « الجمل » في النحو ، وقد انتفع الناس به دهرا طويلا .

وقد حقق الكتاب العلامة المحقق الاستاذ عبد السلام محمد هارون بعد ان بذل جهودا طائلة لارجاعه الى مؤلفه الحقيقي ، ليضاف الى جهوده الضخمة في تحقيق التراث والعمل على نشره .

ومع ان مجالس العلماء تتصل بمسائل في اللغة والنحو الا ان هذا النحو الذي اثيرت مسائله في هذا الكتاب ، لم يكن - على حد قول الاستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد في تصديره للكتاب - لم يكن جافا ، ثقيل الظل ، بل ان الحكاية التي وردت مسائله بها جعلته خفيفا على النفس قريبا منها . والكتاب الى ذلك يفيد في فهم النحو ويؤرخ لمدارسه وعلمائه وتطوره ، والزجاجي مؤلفه واحد من كبار علماء النحو في القرن الرابع الهجري ، بل كان يعتبر حجة في مسائل النحو واللغة معا ..

ومن مجالسه الطريفة مجلس النضر ابن شميل مع المأمون :

يقول الزجاجي : حدثني ابو الحسن علي بن سليمان قال : حدثنا احمد بن يحيى قال : حدثني ابراهيم بن المنذر الحزامي والزبير بن بكار ، قال النضر بن شميل : دخلت على المأمون وعلى ازار مرقوع ، فقال لي : يا نضر ،

ما هذا التقشف ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين، حرمرو كما علمت، وأناشيخ واحب التروح بهذه الخلقان ..

قال : فأخذ بنا في الحديث في ذكر النساء ، فقال المأمون : حدثني هشيم ابن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايما رجل تزوج امراة لدينها وجمالها كان ذلك سدادا من عوز » ..

قلت : يا امير المؤمنين ، صدق هشيم ، حدثنا عوف بن ابي جميلة قال : قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايما رجل تزوج امراة لدينها وجمالها كان ذلك سدادا من عوز » قال : فاستوى جالسا ثم قال : يا نضر ، كيف تحلت سدادا بالكسر ولم تقل سدادا ، بالفرق بينهما ؟ قلت : يا امير المؤمنين ، السداد القصد في الدين والسبيل والطريق والسداد للثلمة . وكل ما سددت فهو سداد بالكسر . قال : وفي العرب من يقول ذلك ؟ قلت : نعم ، هذا العرجي يقول :

اضاعوني واي فتى اضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال : قبح الله اللحن !.

قلت : يا أمير المؤمنين ، انما لحن هشيم ، وكان هشيم لحانا ، فاتبع امير المؤمنين لفظه ، وقد تتبع الفاظ العلماء .

ثم قال لي : يانضر ، هل تروي من الشعر شيئا ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فانشدني أخلب بيت قالته العرب .

قلت : قول حمزة بن بيض في الحكم بن أبي العاص :

تقول لي والعيون هاجعة
اقم علينا يوما فلم اقم
اى الوجوه انتجعت قلت لها
وأي وجه الا الى الحكم
قد كنت السمت فيك مقتبلا
فهات وادخل واعطني سلمي

فقال : احسن والله ما شاء !

فانشدني امتع بيت قالته العرب

قلت : قول عروة حيث يقول :

اطلب ما يطلب الكريم من الرزق
بنفسي واجمل الطلبا
واحلب اللرة الصفي ولا
اجهد اخلاف غيرها حلبا
اني رأيت الفتى الكريم اذا
رغبته في صنيعه رغبا
والنذل لا يطلب العلاء ولا
يعطيك شيئا الا اذا رهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا
يحسن مشيا الا اذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم وما
شد لعنس رحلا ولاقتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والرحل
ومن لا يزال مغتربا

فقال : أحسن والله ماشاء !

فانشدني انصف بيت قالته العرب ..

قال : قول الرامي حيث يقول :

اني وان كان ابن عمي عاتبا
لمزاحم من خلفه وورائه
ومعده نصري وان كان امرءا
متباعدا في ارضه وسمائه،
واكون والي سره فاصونه
حتى يكون على وقت ادائه
واذا الحوادث اجحفت بسوامه
قربت مجحفها الى جربائه
واذا دعا باسمي ليركب مركبا
صعبا ركبت له على مسيائه
واذا رايت عليه بردا ناضرا
لم تلفني متوسما لردائه

فقال : احسن والله ما شاء .

ثم قال : يا نضر كيف تقول من التراب اذا امرت ان تترب كتابا ؟

قلت : اتربه . قال : هو ماذا ؟.

قلت : مترب ... قال : فمن الطين؟

قلت : طنه ! .

قال : هو ماذا ؟ قلت : مطين !

قال: فمن السحاة؟ قلت : اسحه.

قال : هو ماذا ؟

قلت : مسحي ومسحو !

قال : يا غلام اترب واسح وطن ..

ثم قام فصلى العشاء الآخرة ، ثم قال لغلام فوق راسه : تبلغ معه الى الفضل بن سهل بهذا الكتاب . فلما دخلنا عليه قال : يا نضر .. ان امير المؤمنين قد امر لك بخمسين الف درهم !

● ●

قصة

قصيرة ورفيعة وناعمة

● سعد رضوان ●

قال ابني : « لا يا ابى ... انها قصيرة ! » .

وابتسمت وانا انظر الى الولد ثم الى زوجتي قائلا :

ــ وامك ايضا قصيرة و ...

وقالت زوجتي : « يارجل .. لاتخلط الجد بالهزل ، فهذا ليس وقته ! »

فضحكت وانا انظر اليها : « انا اقرر الحقيقة ، وانت تعرفين . »

فردت : « يا للرجل .. وستعيد الآن قصة الجاحظ ؟ »

فاجبتها وانا مستمر فى ضحكى : « لا .. لن اعيدها فانت تحفظينها جيدا ! ! »

وتذكرت تلك القصة ... فمنذ سنوات حين طلبت من والدى ان يخطب لى زوجتى ، وجدت منه اعتراضا بانها قصيرة ، وبانى قصير ، واولادنا سيكونون قصارا .. ولكنه سحب اعتراضه حين علم انى احبها ..

ثم حدث بعد الزواج ، وفى لحظة من لحظات التسيب الكلامى ، ان افلت لسانى بالقصة لزوجتى التى غضبت ..

المهم انى وقتها قد اقنعت زوجتى بحبى لها ، وانى مغرم بقصرها ، واخبرتها بما قد قراته يوما فى كتاب المحاسن والاضداد لكاتبنا العربى الساخر الجاحظ من ان احدهم ــ واظن ان ذلك كان فى ذكر محاسن القصر ــ قد اعترض على الزواج من فتاة قصيرة امام الحجاج الثقفى ، فرد عليه الحجاج طالبا منه أن يعلن بين الناس أن من تزوج بقصيرة ولم تعجبه فانه ــ اى الحجاج ــ كفيل بدفع مهرها للزوج .. ويومها ، وبعد أن انتهيت من القصة الجاحظية ، لاحظت ان خيلاء واعجابا بالنفس قد ظهر على وجه زوجتى وهى تقول لى :

ــ وطبعا لم يدفع الحجاج مهر اى فتاة !

وساعتها تملكتنى روح السخرية فقلت لزوجتى :

ــ لا اذكر بقية القصة ، وان كنت اظن انها انتهت بافلاس الحجاج !

ولا احتاج لشرح ماحدث نتيجة سخريتى من غضب زوجتى ، فقد كلفنى ذلك جهدا وغرما ...

ولكن هذا ليس موضوعنا . فالموضوع اليوم هو موضوع ابنى الذى



يقول الآن انها قصيرة .. ومهما يكن فقد امكن اقناع الولد بان القصر لا الطول هو المطلوب هذه الايام .. وزال اعتراضه من هذه الناحية .. ثم ظهر اعتراض آخر حين قال ابني :

ـ حسنا ... ولكنها رفيعة !

فقالت امه : « هذا أحسن ، فانت سمين ، واظن انها تناسبك . »

وقلت : « طبعا .. السمين يأخذ الرفيعة .. والرفيعة تليق بالسمين . »

والتفتت زوجتي الى بسائلة :

ـ ولماذا لم تتزوج بامرأة رفيعة، وانت فى حجمك هذا بدلا من الزواج بامرأة سمينة مثلى ؟..

والحق اننا كنا نحن الثلاثة ، انا وزوجتى وابنى ، من ذوى الاحجام المليئة ، فلا يمكن وصف أحد من أسرتى بالرفع ، او حتى بالنحافة العود ، هذا رغم ماتحاوله من تحديد للأطعمة وتنظيم لانواعها وكمياتها ، فقد ثبت ان كل هذا لا ينفع فى غير اشعارنا بالجوع وعدم الشبع ...

واجبت زوجتي : « الحق انني حين تزوجتك كنت ارشق منك اليوم بكثير »

ـ ولماذا تبقى معى ، مادمت لم أعد اعجبك !

ـ أنا لم أقل انك لم تعودى تعجبيني ، فقط انا اقرر الواقع ..

ـ على العموم انتظر حتى نعود الى بيتنا .

ـ باويلنا .. باويلنا !

والتفتت زوجتى الى ابنى مقررة :

لا تهتم بكلام ابيك فهو يهزل ... المهم انى ارى انها جميلة ولا يعيبها رفعها ، فما رايك فيها .. توكل على الله يابنى وخذها ..

وابنى كما اعرفه من النوع الذى يهوى الاعتراض ، ولهذا فقد قدم هذه المرة اعتراضا بدا غير معقول ، فقد قال :

ـ ولكن جلدها ناعم !

وكانت الفتاة قد اقتربت منا ، وادركت اننا مازلنا نتناقش ، فابتسمت ثم اتجهت الى الرجل تحادثه تاركة لنا الفرصة لنقرر ...

قصيرة ورفيعة وناعمـــة

وسألت ابنى : « انا لا افهم .. فانا اعتقد ان النعومة شيء جميل ! »

فقرر ابنى بعصبية : « رفيعـــة وقصيرة وجلدها ناعم .. انهـــا لن تدفئنى . »

وقالت أمه : « ماذا تقول ! ... انا ارى انها جميلة ، ولا يعيبها شيء . »

فكرر : « انها لن تدفئنى . »

وقلت : « اسمع ياولد .. يجب ان تقرر رايك فورا فنحن لا يمكن أن نترك الناس تنتظر هكذا . » فقد كان الرجل والفتاة ينظران الينا صابرين ..

فقال الولد : « انا لا اقول ان منظرها قبيح ، فهى تبدو جميلة . »

ـ اذن ماذا تريد ؟ هل نستمر هكذا ام نمشى ...

واوضح الولد اعتراضا آخر :
ـ انظر يا ابى .. انها حتى ليس لها صدر .

ـ اى صدر تريد ان يكون لها ؟!.. انك سمين وتريد أن يكون لها صـــدر بارز .. هذا لا يتناسق ..

ـ لا ادرى .. انها ينقصـها اشياء كثيرة .. ولكن الا توجد غيرها ؟!

ـ لا اعتقد .. وانت تعـرف اننـــا قد بحثنا كثيرا فلم نعثر على غــيرها تلائمك ، خصوصا وان الرجل غير طماع فهو لم يطلب مبلغا كبيرا .

ـ آه .. ان كل ما يهمكم هو النقود!
ـ ما الذى يمنع ان تكون جميـلة ، ولا تكلف كثيرا .

ـ طبعا .. انت تتمنى ان آخـذها مجانا !

وشخطت زوجتى بصوت مكتوم :

ـ ولد .. احترم اباك .. انه يريد اسعادك ، ويرغب فى أحسن واحلى شيء لك ، وهو لايبخل عليك بمال ..

ـ ولكن يا أمى ..

ـ لا تعترض .. عليك الآن ان تقرر فورا هل تأخذها ام لا، فاننا لانستطيع ان نقضى الليل فى التـداول والـــكلام هكذا ... ثم انظر .. ان الرجـــل والفتاة قد أصابهما القلق ..

وكان الرجل قد اقترب منا ووقف ينظر الى ابنى مبتسما وهـــو يقول : « جميلة .. جميلة جدا ! »

وكم كانت دهشتى حين قال ابنى :
ـ فعلا .. انها جميلة جـــدا ... سآخذها !

وتنهدت قائلا : « الحمد لله» والتفت الى الرجل وطلبت منه كتابة الورقة ..

وكتب الرجل الورقة وسلمها لى ، وتوجهت الفتاة الى مجلســـها خلف الخزانة ، وذهبت ودفعت الثمن المحدد وانا اتحسر على ما اصاب حافظتى ... ثم سلمت الورقة لابنى الذى توجه الى الرجل فقدمها له واستلم الجـــاكت الجلدى الجديد بعد ان تكسرت ارجلنا فى اللف والبحث عن طلبه فى كثير من المحلات ...

نعم كان « الجاكت » قصيرا ، وجلده رفيعا وناعما ، وليس له صدر .. ولكن الحق يقال انه كان رائعا على جسد ابنى حتى ان جميع من راوه لم يتمالكوا انفسهم من السؤال عن المحل الذى اشـــتراه منـــه وعـــن ثمنـه ! ..



أنت غال

● كريمة زكى مبارك ●

لا عتاب ، او سلام ياحبيبى ... بل سؤال حير القلب ، بدا لى
اللعنى ، لا تسلْ عنى ؟ وتمض ... لا تبالى ! . لا تبالى ماجرى لى؟
يوم قالوا قد مضى ، حسرقروحى ... يومها طالت شجونى . انت غال
دمع عينى ما طفى نيران قلبى ... انت تلهو وفؤادى فى وبال ؟!
اوتنسى يوم سافرت تحيى ؟ ... تسال الاشواق عنى . والليالى؟
امس ولى لا تسلنى كيف ولى ... كبريائى راح يهذى . فسل حالى

***

بعد ما عدت .. اتدرى يامناى ... كم تشاغلت كانى لا ابالى
رغم ما بى من حنين ضم عمرى ... لم اسل عنك . ترى هزك حالى
حزن روحى هل تراه ياحبيبى؟ ... ام تناسيت عذابى ؟ ما جرى لى
لا عتاب بل سؤال ياحبيبى ... اترانى عشت عمرى فى ضلال
لا عتاب فالوفاء الان يشكو ... بين ياس بت حيرى فى خبال
فى انتظار الرد باقى ياحبيبى ... سيظل القلب يهلو انت غالْ

عالم الطفل

هل يجد صداه فى الأعمال الأدبية والفنيـة

● مارى غضبان ●

●● والعام العالمي للطفل يوشك ان ينهي ربعه الاول ـ يثور سؤال : ماذا قدمت الاعمال الأدبية والفنية للطفل ؟ هل كان الاعلان العالمي لحقوق الطفل في عامه العشرين مناسبة لكي يوقظ كل من يهمهم امر المستقبل كي يعطوا الاعمال التعبيرية والتشكيلية اهميتها في عام الاطفال ؟ ان التأمل المحايد لهذه المجالات عالميا ومحليا يدرك ان الطفل في عالمنا الثالث يحتاج الى المزيد من الرعاية والعناية بأموره من خلال التناول الواعي لمشاكله وتطلعاته حتى نضمن لكل المستقبل الاطار الملائم لخلق اجيال قادرة وواعية .

● ومراجعة أدب الاطفال في العالم ، يضع ايدينا على نتيجة هامة ، وهي أن القليل من الاعمال الادبية تصلح لكي تحول الى أعمال فنية في السينما والتليفزيون والمسرح وباستثناء أعمال « والت ديزني » في السينما الامريكية فان القليل من مخرجي السينما الاوربية ، وبعض مخرجي السينما في بلاد أوربا الاشتراكية يهتمون بسينما الطفل ومسرح الطفل .

وحتى في المنطقة العربية قلما نجد اعمالا روائية مكتوبة للاطفال ، وباستثناء بعض الاعمال التي من اهمها ماقدمه كامل كيلاني ومحمد سعيد العريان ، وغيرهما وبعض مغامرات الصغار والاعمال البوليسية المبسطة التي قد لا تبلغ مستوى الاعمال الادبية المعدة خصيصا للاطفال .

وفي محاولة للاجابة عن سؤال لماذا لم تهتم السينما والتليفزيون بالاعمال الفنية الخاصة بالاطفال ـ كانت اجابة معظم المخرجين والمنتجين كما جاء في تقرير لمنظمة « اليونيسيف » ، ان الفيلم الجيد لابد أن يقوم على أدب جيد،والأدب الجيد لا يتوفر جيدا وكافيا بالنسبة للصغار ، وهذه مشكلة الموضوع والمعالجة الفنية .

وهذه الظاهرة واضحة في كل العالم وليس في منطقة وحدها ..

وقد يكون هناك شخصيات اطفال في بعض الاعمال الروائية ولكن هذا لا يعني ان وجود طفل معناه ان يصبح العمل من اجل الاطفال .

هذا الى جانب انكماش كم الانتاج



• مشهد من فيلم (يد فى يد) الذى يصور حياة الطفل فى بودابست ...

بحجة ان افلام الاطفال لا تحقق ايرادات ، بل انها لا تغطى مصاريفها ، وهذه الحقيقة غير مؤكدة بدليل نجاح افلام « والت ديزنى » فى معظم بلاد العالم ونجاح الافلام التى تنتجها اوربا الاشتراكية وخاصة المجر التى يتخصص عدد كبير من مخرجيها فى افلام الصغار ، مثل المخرجة ماركا ميزاروس . وقد وضع هذا فى فيلمها (العناية والعاطفة) . والمخرج شاندور سيمو فى فيلمه (يد فى يد) بجانب عشرات الافلام التى تعتمد على «الكارتون» والرسوم المتحركة ..

ويقول المنتجون ان لافلام الاطفال مواصفات خاصة تجعلها غير صالحة للعرض فى دور السينما التى تعرض افلام الكبار ، فالطفل لا يستطيع ان يبقى على مقعد ساعة كاملة او اكثر ، ولهذا فمن الافضل ان تكون مدة الافلام قصيرة . وفى هذه الحالة فان الشاشة الصغيرة هى الانسب لعرضها .

وكثيرا ما يحدث الخلط بين الافلام العائلية التى تصلح لكى يشاهدها الكبار والصغار مثل بعض افلام ديزنى مثل العربة الطائشة والهروب الى الجبل المسحور ، وهى افلام تصلح لان يشاهدها الكبار والصغار فى وقت واحد ، بينما هناك افلام تخص الصغار ومصنوعة من «الكارتون» والرسوم المتحركة مثل فيلم الاميرة والاقزام السبعة وغيرها .

وللاطفال خيالهم الفنى الخصب فهم يحبون ان يكون بطل الفيلم طفلا . ويفضلون مشاهدة الحيوانات فى اغلب الاحيان ، ويحبون متابعة الموضوعات الغامضة والمغامرات .. وايضا يعشقون الكوميديا والمواقف الضاحكة .. وتعجبهم متابعة الجمال الطبيعى من خلال الموسيقى والابهار الخيالى ـ مثلا التعاطف بين الصغار والحيوانات والتعاطف بين الاطفال وبين الكبار .

فالاطفال يحبون من يجعلهم يعرفون الصواب من الخطا .. ويكره الاطفال الكثير من الشخصيات المتناقضة وغير الواضحة خاصة من الكبار ، وخاصة فى المواقف التراجيدية وحالات الموت والمرض والفراق والوحشية ، حتى الموضوعات الرومانسية لا يميل الاطفال الى متابعتها



● مشهد من فيلم " بوبى والعرائس "

ولهذا فمن المنطقى ان نحدد اولا ماذا يحب الاطفال وماذا يكرهون ؟

ويخشى علماء التربية وعلم النفس من تأثير الاعمال الفنية على الاطفال الذين يحترفون العمل فى السينما والمسرح والتليفزيون من خلال توجيه والديهم تحت حجة الكسب من ورائهم . فهذه الاعمال تضر بالكثير من سلوكيات الاطفال وتجهدهم وقد يفقدون الكثير من براءتهم ويصبحون اطفالا غير طبيعيين ، فهم يدخلون عالما غير عالمهم ويرهقون بالعمل من خلال الاضواء والكاميرات وصراعات العمل فى الوسط الفنى ، وما الى ذلك من متغيرات يصعب على الاطفال التواؤم معها، ولذلك تترك آثاراعلى معنوياتهم وسلوكهم حتى ان الكثير منهم يترك دراسته ويتفرغ للفن من اجل المزيد من المكسب والشهرة ..

وهذه الحقائق اوضحها الفيلم الالمانى (الممثل الاول) الذى عرض فى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث وحصل على الجائزة الاولى ، فموضوعه يدور حول تأثر صبى صغير بهذه الاجواء الغريبة . والفيلم من اخراج رينارد هوف .

وفى بحث ميدانى عن التليفزيون والطفل قامت به وحدة البحوث الميدانية بالتليفزيون العربى فى مصر . توصلوا الى ان السبب الذى يدفع الطفل فى سنوات عمره الاولى لمشاهدة برامج التليفزيون هو السرور والبهجة اللذان يشعر بهما ، والاستغراق فى البرامج الخيالية والتعرف على ما يدور فى المجتمع المحلى والمجتمع العالمى والتعليم واكتساب الخبرات وقضاء أوقات الفراغ .

وحول السؤال : ما هو مدى تجاوب الاطفال مع البرامج المخصصة لهم ؟ كانت نتيجة البحث الميدانى أن أكثر من ثلاثة أرباع عينة البحث لا يشاهدون هذه البرامج .. كما لوحظ وجود اختلاف بين عدد من يشاهدون هذه البرامج بين الذكور والاناث فى كل السنوات الدراسية .



● مشهد من فيلم العناية والتعاطف
.. اخـــراج مارتا مازاروس ...

واهتم البحث الميداني بالرسوم المتحركة وخرج بعدة نتائج منها ان ثلاثة ارباع عينة البحث يحبون مشـــــاهدة الرسوم المتحركة وقد يرجع ذلك الى أن البرنامج يعتمد على الخيـــــال والى مادته المرحة الهادفة الى الترويح عن الاطفال .

عموما اتضح للباحثين أن الاطفـــــال يفضلون البرامج الجذابةالخاصة بهم مثل سينما الاطفال ، وجنة الاطفـــال ، وأنهم يفضلونها عن البرامج الاخـــرى التي يحبونها أيضا مثل سوبرمان وأفـــلام هيتشكوك والساحرة وأفلام الخـوارق ، ويدل هذا على أن الاطفال يفضلون مشاهدة البرامج الخيالية أكثر من غيرها .

●● ولان التليفزيون أصـــبح أكثر الاجهزة الفنية قربا من الاطفـــــال ولانه يؤثر فيهم أكثر من الراديو والســـينما والمسرح ، كان من الضروري بحث الاسباب التي تجعلنا نفرض بعض القيود على الاطفال من أجل مشاهدة برامج التليفزيون . وقد اتضح أن القيود تفـــرض على الاطفال بقصد تفرغهم لاستذكار دروسهم وحتى لا يكـــون التليفزيون عائقا يعطلهم عن متابعة دروسهم بنجاح . أما القيـــود الاخرى التي تفرضها الأسرة على الاطفال في مشاهدة التليفزيون فتعود الى نوعية البرامج ، من مثل مسلسلات الجريمـــة والرعب والاثارة . وهي ما تثير في الاطفال نـوازع وآثارا غير مرغوبة وغير مستحبة . ●●

قصــــة

الإنكسار

● محمد كمال محمد ●

● تحت ستار من بقايا شمس الشــتاء كان غافيا على كرسيه القديم .. رأســه غاطس بين كتفيه ، مفتوح الفم عن فجوة معتمة لا يضيئها بياض أسنان ..

فتح عينا واحدة عندما حطت ذبابة زرقاء على أصبع قدمه عند حافة ظفره المخضر ، تفرس جلده المجعد .. هشها بيد متراخية من مسافة بعيدة ، ونظر الى الخادمة يرقب تحريمها بمقشة اليد التي كستها زوجته بجورب قديم ، لتحميها من التآكل ..

كانت تزحف حوله على مؤخــرتها ، لا تنتهي من كنسها .. عاد الى اغماضته . لكنه لم ينداف الى جوف النوم ...

أحس فجاة ببرودة أطرافه ، نادى دون أن يفتح عينيه :

ـ مهيدة ..

ظل وقتا ينتظر : الصمت لا ترد !

فتح عينيه ، يحث أمامه وحــوله . أين ذهبت بشبشبه ؟ ــ تريد ، تلك الحــارة ، أن يصيبه الروماتزم بالكساح مثلها ؟! لم تعد نهايه في كهولته مال برأسه باحثا تحت الكرسي ..

دخل الى سريره ، تربع فوقه مســتندا ظهره الى الحائط . اضطربت الاشياء في رأسه ، الهمت أذناه فاحس بالعالم ينحسر من حوله ..

صاح في مكانه !

ـ مهيدة ! .. تتاخرين على بالطعام كل مرة ..

سمع زمجرتها قرب الباب !

ـ لم يحن بعد وقت الغداء !

شوح بيده متعبا وحيدا :

ـ لكني جوعان !

زامت : أتعبتني معك !

تجترىء عليه بعد ذهاب زوجته .

كانت زوجته تخاف عليها منه ، تغلق عليها في الليل باب حجرتها ، وتدس في صدرها المفتاح .

« ـ يا حمقاء ! .. هذه المصبوغة بالقار ، انظر اليها انا ! »

« ـ كلام تخزى به العين ! يجب أن نحــذر الفضائح ! »

« ـ تغارين علي من الاخريات ، حتى هذه أيضا ؟! »

دخلت مهيدة زاحفة بطبق الطعام مغروســة في وسطه الملعقة .

حملق فيها ، لكن نظرته حومت مثل كل يوم في العالم الذي يجذبه الى اعماقه ، ينتصب في أحشائه ، ظل يحوم تحت ماله يطفو ويغوص ، سحب نفسه بجهد بعد أن تعب . حطت نظرته على الطبق ...

صاح :

ـ أيكفيني هذا يا مهيدة ؟!

هدرت من بجوار السرير :

ـ ساحضر لك غيره بعد ما تأكله !

انزلق من السرير نازلا ، حمل الطبق وخرج به !

ـ اتبعيني !

ردت من مكانها :

ـ ماذا سأفعل لك أيضا !

وضع الطبق على منضدة الطعام ، التفت اليها وهي تزحف عند عتبة الحجرة :

ـ هكذا يجب أن أجلس ، أليس افضل !

زمت فمها واشاحت ...

ـ كوب الماء يجب أن يكون هنا ، بجوار الطعام ، أليس عندنا ماء ؟!

ردت متذمرة :

ـ في الشتاء لا تحب أن تشرب ..

ـ لكني أحب الآن !

تضاعفت زمتها واستدارت صامتة تزحف لتحضر الماء ..

التفت بالطعام في فمه منزعجا على صوت كطقطقة النار .. كان ثمة قط يخمش الحصير في ركــن حجرتها المفتوحة .. صاح :

ـ اطرديه ! .. أليس له مكان في هذا العــالم غير حجرتك !

هدر خلفها وهي تزحف الى حجرتها :

اسرعي قبل أن يمزق المرتبة !

ناديها وهي عائدة : القهوة !

من رأسه .. الاولاد لم يعد يراهم .. السنوات تكر عندهم كأيام .. لانشغالهم نسوا طريق البيت !

ـ أريدها ساخنة جدا يامهيدة !

كان يلم البيض في حضنه حتى فقس الكتاكيت .. فتفرقت من حوله ، وتوزعت تجني الثمــار ، وتركته !

فرغ من رشف القهوة في تلذذ ، استرخى عــلى الكرسي في جوار السرير ناظرا الى السقف ، انسلت أنفاسه هينة لا تكلف قفصه الصدري جهدا .. ظلت عيناه مركزة على السقف .

دخلت مهيدة ، نظرت الى الفنجان المقلوب على طبقه عبست ومدت يدها لتأخذه ..

أرخى نحوها نظرة آمرة :

ـ دعيه !

زامت ساخطة :

ـ لا أطيق هذا العبث !

شوح بيده بلا معنى تفهمه .. جر الفنجان بقربه وغطاه بكفه ، ابتسم كطفل

خرجت مهيدة تدمدم بكلمات السخط

قلب الفنجان ورنا الى قاعه ، قام فاغلق الباب ، تكور على الكرسي ومال برأســه للفنجان ، توقفت حركة عينيه كأنما انقلبتا الى زجاج غائم ... أعطى أذنيه للصوت ، عادت عيناه الى الحركة ، رقت نظرتهما وصفت .. أنصت وهز رأسه ، تقاطرت في داخله الاشياء ، أطرق ، رفع وجهه ، انبسطت ملامحه ..

انكمشت ، أطلق زفرة ارتعشت لها ضلوعه ، وضع الفنجان محملقا أمامه ، استرخى ثانية على الكرسى وطرح ساقه على الاخرى ، اشتهى سيجارة يدخنها ، وتعجب أن يعاوده الحنين بعد السنوات .

كان يرى أمامه فى أكثر ساعات النهار التى تطول عليه . خيوط دخان كالحبال ، تتشابك وتتداخل ، تمتد بجوار بعضها وتتلاصق لتصنع بعرض الحجرة لوحا من الرصاص البارد يتماوج لعينيه .

ارتعش قلبه لسنوات الشباب : السيجارة المشرعة بين الاصابع المتسجمة الخلقة ، المعلقة فى تأنق فى زاوية الفم المتبسم .. طاردته زوجته لتقتلع العادة ، كانت تلقمه أقراص النعناع والروبسوس ، كلما حن الى انفاس الدخان .. القطعة الفضية التى خبأها تحت جلدة الطربوش ليقتنص بها علبـــة « البحارى » واكتشاف أصابع زوجته لها ، بينما تنظف الطربوش كالمغناطيس !

زحفت العتمة على البيت الساكن ، نهض وخرج الى الصالة مسرعا :

ـ مهيدة ..

تتصامم البنت كعادتها !

تعثرت قدمه فى البساط القديم وسقط

نهض ومد يده الى مفتاح النور ، فاحس أن كتفه تتخلع .. ترجع :

ـ كتفى يا مهيدة !

سمعها خلفه تزمجر :

ـ ماذا اقول لك !

استدارت زاحفة الى حجرتها :

ـ سانام .

خطا خلفها متخبطا :

ـ لا نزال فى أول الليل .. تنامين ؟!

وقف عند حجرتها يحملق فى هلع .. تراجع داخلا حجرته يغمغم بالشكوى ..

انحط فى وسط السرير ، مد ساقيه أمامه ، لمهما وتربع ، استلقى على جنبه ، جر اللحاف مغطيا جسده، حتى وسطه ، سكنت أعضاؤه وخمدت انفاسه حتى لم تعد تتردد من داخله .

طرقته اللحظة ضيقة ضاغطة ، اعتصرته ، وكان يحس بالشيء يتصاعد من أعماقه ، ويتسلق داخــل بنيان جسده ، أحس بقلبه خفيفا كقلب طائر صغير ، وكانت اصابعه الطويلة المترهلة تمتـــد الى عينيه مرتعشة .. وكانت تعود دون أن تلمس شيئا ..

انفرجت عنه اللحظة ، تباعدت ..

تقلب فى فراشــــه وكان يحس انه يريد أن يتثاءب .

سمع حفيف مهيدة على وبر البساط .

ـ لماذا تنادى ..

ـ متى ؟!

ـ أريد شيئا قبل أن أنام . لن أعود اذا ناديت ثانية !

ـ انتظرى !

طرح اللحاف عن نفسه ، انقلب على جنبه ناحيتها :

ـ ابقى بجانبى .. بعض الوقت !

ظل ساكنا صامتا .

كانت احدى عينيه مدفونة فى الوسادة اللينة ، والاخرى مفتوحة ، لتحها ناظرا الى مهيدة :

ـ اقتربى !

نظرت اليه فى غير دهشة .. وزحفت دانية من السرير .

ـاقتربى أكثر !

بدت الحيرة فى عينيها ، زحفت المسافة الباقية حتى لامس كتفها حافة السرير ، تأمل بشرتها الابنوسية ، مد يده وتحسس وجههـــا فى رفق ، انكمشت فى نفسها ، نظرت اليه بدهشة وخوف ، رفـــع شفتها الغليظة باصابعه من أسنانها ..



ـ بيضاء قوية وجذابة ..

حدقت فى وجهه دون أن تفهم ..

سحب يده وألقاها على صدره .

ـ كنت طفلة عنـــدما جئت بك من الصعيد .. يا للسنوات !

تثاقلت أنفاسه .. انغلقت عيناه ، بدا كأنما غفا . فتح عينيه :

ـ كنت مرتعشا أعزب هناك فى مدينتك الصغيرة ، جئت بك الى هنا . وتزوجت .. تركتك مع زوجتى بعدت الى هناك ، كنت أسرع بلهفة لاحضر .. عندما جاء الاولاد كانت اللهفة ترهقنى أكثر ، كنت أصل الى هنا منهكا بالوحدة .. مهيدة ! ..

أظنك تعرفين الان معنى أن تكونى وحيدة !

لمس كتفه متوجعا ..

ـ وبعدك زوجتى على يديها ، مشت حياتك بجنب حياتنا .. تجاوز عمرك وعمرنا ..

ـ ادخرنا لك نقودك ، حتى كبرت ..

تحولت نظرته الى عينيها المتكسرتين :

ـ جاء العلمى ليتزوجك .. انت لا تنسين !

ارتمت نظرتها الى الارض :

ـ كان طامعا فى نقودك !

امتدت يده ترفع ذقنها نحوه :

ـ منذ دخلت هذا البيت ، لم تخرجى منه أبدا .

ارتدت يده ليدفنها تحت جنبه ، أغمض عينيه ، فتحهما ، نظر الى خيط الدمع على وجهها ـ ارتعشت شفتاه لحظة ، أدار وجهه الى الحائط .

تكاثف الصمت .. غمغم وحيدا ، متعبا :

ـ اصعدى الى جوارى ، هل تقدرين أن تصعدى .

توقفت اللحظة ثقيلة غريبة ، ســـمع ما يشبه الحفيف مبتعدا ..

حومت عند رأسه الطيـــور السوداء مندفعة من أوكارها فى البيت ، رفت أجنحتها فى فحيح مخيف ، اقتربت بأظافرها متهيئة .. نادى :

ـ مهيدة ..

حط السكون ..

ـ هل ذهبت ؟

هدأ لحظات ..

ظل مديرا وجهه للحائط ..

شعر بالبرد يغز عظامه اليابسة ، يوجعها ، لم ساقيه الى صدره حتى لامست ذقنه ركبته ..

ظل ساكنا محاصرا ..

تكور تحت اللحاف ولفه حول وجهه .

كان خائفا أن يسقط فى الوعاء ..

قراءات

● مصطفى الشهابي ●

حكم الزهر

في المتحف الحربي لمدينة براغ بتشيكوسلوفاكيا ، وضعت بين المعروضات فردتا زهر نرد ، شطرت احداهما نصفين . وكل زائر لهذا المتحف يضع نصب عينيه ان يراهما وان يستمع الى القصة الرائعة التي احتفظ بهما بسببها منذ ثلاثة قرون، واليك القصة :

اغتنم جنديان شقيقان فرصة توقف فرقتهما للراحة ذات مساء على مقربة من قريتهما ، وتسللا من المعسكر تحت جنح الظلام ، واتجها الى القرية لزيارة امهما العجوز .

ولسوء حظهما ، اكتشف امر الغياب في منتصف الليل . فلما عادا قبل شروق الشمس القي القبض عليهما ووضعا في السجن في انتظار عرض امرهما على القائد .

ولما كانا نموذجا طيبا لحسن السلوك، وتلك أول مخالفة يرتكبانها ، فضلا عن حاجة الفرقة لهما ، فقد حاول ضابطهما جهده ان ينقذهما من العقوبة الشديدة المنتظرة ، الا وهي الاعدام .

وابى القائد ان يلبي رجاء الضابط وتوسلاته ، وبعد الحاح شديد ، وافق على أن يعدم احد الشقيقين وان يترك لهما وحدهما تقرير ايهما يعدم !

وابلغ القرار الى الجنديين الشقيقين ، ونظرا للحب الشديد بينهما فقد قضيا وقتا طويلا وكل منهما يحاول اقناع الآخر بأن يسمح له بأن يعدم بدلا منه ! .. ولم يصلا الى قرار ، اذ اصر كل منهما على ان يكون فداء لشقيقه .

ولما علم القائد بتلك النتيجة امر باستدعائهما ، وان يحكم الزهر بينهما وجيء بزهر النرد ووضع امام الشقيقين ، على ان يكون حظ الحياة لمن يصيب رقما أكبر من الآخر .

وبدأ الاكبر بجرب حظه ، فتناول الزهر ورمى به على المنضدة فسجلت كل فردة رقم ٦ ، أي ان مجموع ارقام الفردتين ١٢ ، وهو أكبر رقم يمكن ان يأتي به الزهر ، واصبح من المستحيل أن يأتي الزهر برقم اكبر، ومن ثم طالب بتنفيذ حكم الاعدام فيه، اكتفاء بتلك النتيجة ، ولكن الأخ الثاني عارض والتمس ان يجرب حظه فقد يحصل على مثل ما حصل عليه اخوه ، فيعاد رمي الزهر من جديد .

واستجاب القائد لتلك الرغبة ، وتناول الأخ الثاني الزهر وقذف به في حماس شديد فسجلت احدى الفردتين رقم ٦ ولكن الثانية انقسمت الى شطرين : احدهما رقم ٦ والآخر رقم ١ وبذلك اصبح المجموع ١٣ .

وذهل القائد لتلك الظاهرة الخارقة، ولم يجد ما يعبر به عن شعوره سوى العفو عن الشقيقين .

اجابات عملية

جاء احد الزنادقة الى جماعة من المسلمين وسأل عن امامهم ليسأله ، فجاءوا به الى الامام الغزالي رضي الله عنه ، وكان أعلم أهل عصره ، وهو جالس في بستان لاحد اصدقائه بين اتباعه ومريديه .

قال الرجل :

– اني سائلك ثلاث مسائل فان اجبتني عنها اسلمت واعتنقت مذهبك

قال الامام : – سل ما بدا لك .

قال الرجل :

– لم لا نرى الله ؟

واجاب الغزالي :

– حسن ! والثانية ؟

ـ كيف يعذب الله ابليس بالنار وقد خلقه منها ؟
ـ نعم ، والثالثة ؟
ـ لم يؤاخذنا الله بما كتب علينا ؟
ـ حسن ! ونريد الجواب ؟
ـ نعم ...

فما كان من الغزالي الا ان مد يده وقبض قبضة من طين وضرب بهـا وجه الرجل . وخطر لبعض الحاضرين ان الامام لم يستطع الجواب ...

وصرخ الرجل واسرع يشكو الى الوالي الذى استدعى الغزالي وجرى بينهما الحديث التالي :

ـ هل اجبته حين سالك ؟
ـ لقد اجبته !
ـ وكيف ؟
ـ كان سؤاله الاول : لم لا نرى الله ؟ انه يحس الما من قطعة الطين، فهل راى الألم ؟!

وكان سؤاله الثاني : كيف يعذب الله ابليس بالنار وهو مخلوق منها ؟ فلم تألم من الطين وهو مخلوق منه؟.

وكان سؤاله الثالث : لم يؤاخذنا الله بما كتب علينا ؟ فلم رفع أمرى اليكم وقد كتب الله على أن أضربه بالطين ؟!

شؤم الغراب ؟

تذهب الأساطير القديمة الى ان الغراب كان ابيض اللون ، له مكانة سامية بين البشر وانه كان يتردد على مجالس الالهة في السماء ، ومن ثم كان مطلعا على اسرارها .

ولكنه لم يرع الامانة فراح يفضى بما يسمع الى بنى الانسان .

واغضب فعله هذا الآلهة ، فسخطت عليه وقذف به احدها من السماء فاخذ يهوى خلال طبقاتها ، مصحوبا باللعنة التي حولت لونه الى اسود قاتم كالفحم ...

ومنذ ذلك اليوم أصبح الناس يتشاءمون من رؤيته ، لدرجة ان اليونانيين في قديم الزمان كانوا يحذرون من ظهوره في حفلات الزواج ويهرعون الى طرده وابعاده والا حل الطلاق سريعا وفرق بين الزوجين .

وربما يذكر المسنون ، أن الكثيرين كانوا عندما يسمعون نعيق الغراب ، يبادرون الى القول « اللهم اجعلـه خيرا ! » .

تيمورلنك وخالد بن الوليد

بعد أن استولى المغول على بغداد ودمروها ومثلوا بخليفتها العباسى وباهلها عام ١٢٥٨ م ارادوا الاستيلاء على مصر ولكن مصر استطاعت أن تهزمهم في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م.

ومنذ ذلك التاريخ لم يقم المغول بغارات تذكر على بلاد الشام حتى ظهر تيمورلنك الذى ادعى انه من احفاد جنكيزخان ، وقاد جيوشه لفتح سوريا عام ١٤٠٠ .

وبعد ان تمكن من دخول حلب ونهبها ، سار جنوبا قاصدا دمشق، وفى طريقه مر بمدينة حمص ولكنه لم يدخلها وامر جنوده بعدم مسها بسوء احتراما لوجود ضريح البطل العظيم خالد بن الوليد بها ، ثم واصل سيره حتى دمشق التي فتحها ومثل بها وباهلها .

يارب !

كان شيخ الشعراء اسماعيل صبرى باشا يحس الموت في كل وقت ، ويتوقعه بين لحظة واخرى ، ولذا اكثر في شعره من التصوف .

وكان مما قاله قبل وفاته بأيام :

يارب اهلنى لفضلك واكفنى
شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك لكى أرى
غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الأسرار حسبى محنة
علمى بأنك عالم الأسرار

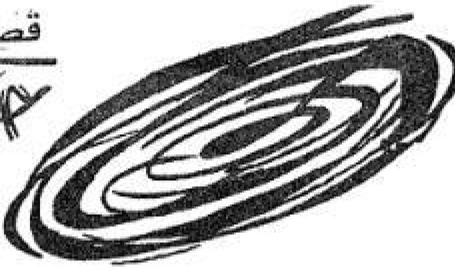
حرية الوطن
في ظل الله

من الكلمات الباقية لاسماعيل صبرى باشا :

احب الحرية في ثلاثة :
حرية الوطن في ظل الله ، وحرية المرأة في ظل زوجها ، وحرية الرجل تحت راية الوطن . ●●

قصة

حلم ليلة سفر



• عزت محمد ابراهيم •

عاش طيلة حياته في فزع دائم وخوف متصل ، كأنما يطارده شيء مجهول ، فهو لا يعبر الشارع قبل أن يلتفت مرات عديدة يمنة ويسرة ، يتوقع في كل لحظة أن تدهمه سيارة فتقضي عليه ! ..

وهو يسير ببطء متمهلا ، لا في جانب الطريق ولا في وسطه ، فعلى جانبيه بيوت ومساكن ربما سقط من احدها شيء يقع على رأسه فيهشمه ، وفي وسطه السيارات على اختلاف انواعها واشكالها واحجامها تنطلق كأنها السهام التي لا تعرف غير هدفها المتجهة اليه في سرعة وجنون .

ولم لا يحاذر وهو يسمع كل يوم عن حوادث تقع وبلايا تقضي على حياة الناس .. هذا سقطت عليه حجارة من أعلى بيت فهشمت رأسه ! .. وذاك وقع تحت عجلات سيارة فقضت عليه ! .. وثالث داس على سلك كهربي فما هي الا غمضة عين وانتباهتها وفارق الحياة ! .. ورابع قد سقط في حفرة قد تفرت فاها فكأنها الشرك المنصوب لاصطياد الفرائس والضحايا .

لم لا يحاذر وهو يرى ويسمع كل ذلك في كل يوم ، والصحف ملأى بأنبائها ، وألسنة الناس لا تكف عن ترديدها .. وحياته غالية عليه لا يريد أن يفرط في شيء منها ، وسيظل حريصا عليها باذلا قصاراه في الاحتفاظ بها ، والمسألة عنده مسألة عقل وتفكير وحسن تدبير ، فما دام يعمل لكل شيء حسابه فهو في أمن واطمئنان .

ولا عليه من هزء الناس به وسخريتهم منه ، فهي حياته لا حياتهم ، والبلاء المرصد لما نزل به لن ينال منهم مقدار شعرة ولا قلامة ظفر !

وكان كل ذلك مقبولا معقولا طالما انه يسير فوق أديم الارض الثابتة الآمنة المطمئنة ، أما أن يركب طائرة تطير به على متن الهواء ، فتميد به ميدا ، وتترنح به ترنحا ، فتلك هي الطامة الكبرى ، وذلك هو البلاء العظيم ، وهو ما لم يكن ليخطر له على بال ، أو يقع له في حسبان .. وكيف يتسنى له الحرص على حياته وهو في هذا المأزق ؟ وزمام أمره في يد سواه ، وأي منجاة له من هذا الخطر وهو معلق بين الارض والسماء ، وهو الذي يقرأ عن حوادثها فتكاد نفسه تطير شعاعا وتذهب حسرات ، ولكنها بلية قد وقعت ولا حيلة له في الخلاص منها .

ومنذ ذلك اليوم الذي تقرر فيه ركوبه الطائرة ، ولا حديث له الا عنها ، ولا سؤال له الا عن مدى اطمئنانه لها كوسيلة لسفره ، فأما ليلة السفر فقد كان من العبث ماحاولته زوجه من اسباغ الطمأنينة عليه ، فهي تذكر له الالوف الذين يسافرون على الطائرات ويعودون سالمين ، وهو يذكر لها العشرات الذين ماتوا في الجو محترقين .

ولم يجد – آخر الامر – مندوحة ومناصا من الاستسلام الى قضاء الله فيه ، فأغمض عينيه منقادا لسلطان الكرى ، تاركا الامور لتقديرها المرسوم .

***

ويرى في ليلة حلما عجيبا ما كان ليخطر على باله أن يلم به في ليلة من لياليه :

ها هو ذا يخرج من باب مسكنه ، فلا يجد المصعد الكهربي الذي اعتاد الصعود فيه والهبوط ، ولا يجد درجات السلم التي تقوم مقام المصعد اذا تعطل أو أصابه تلف ، وانما يجد مساحة واسعة قد امتدت أمام المسكن فيها دوائر قد خطت على ارضها ، وعلى كل منها أرقام وعلامات ورموز لا يدري من أمرها شيئا ، ولكنه يقف على واحدة منها فلا يحس بنفسه الا وقد هبط الى أسفل قبل أن يرتد اليه بصره !

وبهت وأصابه ذعر ، وهو لا يدري كيف هبط ولا كيف انتقل ، ويخرج حائرا مضطربا ، فلا يجد الشارع على شيء مما عرفه وخبره ...

ما هذا ؟! أين البيوت والمساكن التي ألف رؤيتها؟ وما هذه المساكن الجديدة الغريبة التي يقع عليها بصره ولا عهد له بها ؟ متى بنيت ؟ ومتى أقيمت ؟

ولم يجد لذلك كله جوابا وانما وجد نظرات شزراء تتجه اليه ، فكأنما هو شيء غريب لم يسبق للناس رؤيته ، أو كأنما قد هبط عليهم من كوكب مجهول ، وتحسس نفسه يريد أن يجد فيها شيئا من الغرابة فلم يجد الا ما عرفه وألفه ، فثيابه هي التي اعتاد لبسها ، وحقيبته التي في يده هي التي يحملها الآن كان على سفر ، وما في رجله هو ما اعتاد أن ينتعله ، وما فوق رأسه هو ما اعتاد أن يضعه ، ولا شيء غير ذلك .

وراعه أن لم يجد سيارات في الشارع تسير على عجل فكأنما قد أقفرت الطرقات مما كان فيها من مركبات ، وتطلع الى السماء قليلا فهاله وأطار لبه ما رأى :

ما هذا أيضا ؟! ان السيارات أو ما يشبه السيارات من مركبات ، لا تسير على الارض ، ولكنها تحلق في الفضاء يزحم بعضها بعضا ، فكأنها أسراب من جوارح الطير تملأ الجو بضجيجها وعجيجها ! ..

ووقف حائرا لا يدري كيف يصير الى واحدة منها بالهبوط ، وقد أزف موعد الطائرة ، وحان ميقات رحيلها أو هو قد اقترب ، وسأل احد الناس عن طريقة يذهب بها الى المطار فلم يفهم عنه ، وانتقل الى ثان وثالث ورابع فلم يواته معهم حظ ، ولم يصل معهم الى غاية ، حتى التقى بواحد منهم بدا عليه أن قد فهم منه ما يريد وتطوع لمعونته وارشاده ، فاتجه به الى موضع في الشارع على جانبه لوحة قد ملئت بالازرار ، ووضع اصبعه على واحد منها فهبطت أمامهما فجأة احدى مركبات الفضاء ، فكأنما هي حجارة قد ألقي بها من حالق ، واستقرا بداخلها فعادت الى الارتفاع منطلقة بهما الى ما ظنه مطارا .



وتطلع الى هذا المنبسط الممتد أمامه ، فلم يجد طائرات ، ولا سمع أزيزا ، ولا جلبة محركات ، أو ضجيج فلاشات ، وسأل صاحبه عنها فضحك وهو يقول :

ــ تلك وسيلة للسفر قد عفى عليها الزمان ، وانقرضت منذ مئات السنين !

صاح في هلع :

ــ ما هذا الذي تهرف به ، أتحسبني مجنونا ، لقد رأيتها البارحة فقط ، فأي عقل يمكن أن يصدق هذا الهراء الذي تهذي به .

ولم يزد صاحبه على أن قال :

ــ اصبر قليلا ، وسترى بنفسك كل شيء

وأخذ بيده الى مكان قد استقرت فيه غرف من زجاج فسيحة الارجاء ، تتسع الواحدة منها لعشرات من الناس يجلسون فيها على مقاعد وثيرة ، وتطلع اليهم مستغربا لا يدري سر جلوسهم هذا ولا سر الغرف الزجاجية تلك ، وما هي الا لحظة حتى خلت من بعضهم واحدة منها ، فكأن لم يكونوا ، أو كأنما قد كانوا وهما من الاوهام ، أو سرابا من السراب ، وقد كانوا من قبل ذلك يتضاحكون ويتحادثون وقد انبسطت أساريرهم ، وانشرحت صدورهم ، وانفرجت منهم الشفاه عن ابتسامات الامل والبهجة .

وتسمر في مكانه ، والتفت الى صاحبه يسأله تفسيرا لما رأى :

ــ ما هذا ؟ وأين هؤلاء الذين كانت تمتليء بهم الغرفة منذ هنيهة ؟

أجابه في هدوء العارف المتمكن :

ــ لقد ذهبوا . . .

قال في سخط يمازجه خوف وفزع :

ــ ذهبوا ! أين ذهبوا ؟ ومن يصدق هذا ؟ إنك ساحر تريد أن تخدعني بالاعيبك ، لقد عرفت أمثال هذه الخدع في لعب الحواة وعبث الدجالين ، فهل هذا نمط آخر من الألاعيب والاحابيل ؟

وتناول صاحبه يده في هدوء ، وأجلسه على مقعد قريب وهو يقول :

ــ هديء من روعك قليلا ، وستعرف كل شيء ، ليس ما رأيت سحرا ، وما هي بالاعيب حواة أو شعوذة مشعوذين ، ومن رأيت من الناس جلوسا فوق مقاعدهم لم يختطفهم الموت ، ولم تعجل بهم عاجلة ، وانما هم قد استقروا في الجهات التي يريدون التوجه اليها ، وهم الآن على بعد مئات الأميال في مثل هذه الغرف الزجاجية ، أرسلتهم هذه واستقبلتهم تلك ، ولا يلبثون أن يغادروها ليتجه كل واحد منهم الى وجهته التي يتجه اليها ، وهذا هو كل ما في الامر .

قال ساخرا مستهزئا :

ــ هذا كل ما في الامر !! شيء بسيط طبعا ، وتريدني أن أصدق هذا الكلام ، فأنا اذن قد فقدت عقلي ، وأصبحت واحدا من المجانين !

وأجابه صاحبه رابط الجاش ، ثابت الجنان :

ــ هون على نفسك ، فلاموجب لكل هذا الانزعاج ، والمسألة مسألة علم قبل كل شيء ، ألم تكن تعرف من ذي قبل أن الصورة تنتقل من مكان الى آخر في الثو واللحظة ، يرسلها جهاز ويستقبلها آخر ، تماما في نفس الفكرة ، لم يزد عليها الا انتقال المادة بدلا من الصورة ، وهذه الأجسام تسلط عليها اشعاعات تحولها الى ذرات وتنقلها من مكان الى آخر فتستقبلها أجهزة خاصة فتعود كما كانت أجساما حية تتحرك وتضطرب ، ولا يشعر الناس بشيء من كل ذلك ، وهم ينتقلون كل يوم ، وليس فيهم من يتصور انه يتحلل أو يتلاشى ، وانما هو يدخل غرفة ويخرج من غرفة ثم يمضي الى حال سبيله ، هذا هو كل ما في الامر ، ألا ترى أنه شيء بسيط ؟

قال هازئا :

ــ لا شك أنك تخدعني ، ولا بد أن أكون في ملعب للالعاب السحرية .

وثاب الى شيء من الهدوء وهو مطرق ، وكأنما قد تذكر أمرا كان قد نسيه ، فالتفت الى صاحبه متسائلا :

ــ هل معنى ذلك أن الناس قد أمنوا شر الحوادث التي كانت تصيب الطائرات فتقضي على العشرات منهم والمئات ؟

ورد عليه صاحبه قائلا :

ــ ليس تماما فالحوادث هي الحوادث في كل زمان ومكان ، وقد تهب أحيانا عاصفة هوجاء فتعصف بذرات الناس ، وتجعلها هباء منثورا ، فلا يتسنى لاجهزة الاستقبال استقبالهم ، وبذلك يقضى عليهم ، ولكنها على أية حال حالات نادرة ، وتقدم العلم كفيل بالقضاء عليها ، وحماية الناس من شرها .

صاح في هياج :

ــ تقدم العلم ! وهل تريد من العلم أن يتقدم أكثر من ذلك ، ماذا تريد منه بعد ذلك ياصاح ، لقد كنت أتخيل أشياء كثيرة ، ولكن مثل هذه الامور لم تكن لتخطر على بالي ولا على بال أكثر الناس خيالا ، وأشدهم امعانا فيه !

وفجأة صمت سمعا خلاله رنين جرس فأشار اليه صاحبه بالاتجاه الى احدى الغرف الزجاجية .

وهنا هب مستيقظا على صوت رنين جرس باب مسكنه ، والعرق يتصبب من جبينه ، وصاح في هياج وفزع :

ــ لن أسافر ، لن أسافر ، ولو انطبقت الزرقاء على الغبراء !

مرآة الفكر العربي

شخصية مصر

● د . نعمات احمد فؤاد ●

هذا كتاب يحمل فى طياته ما يثير فى خلجات نفس كل مصرى اصيل الاحساس بالعزة والبطولة والتضحية من اجل الحق وباصالة هذا الوطن الحبيب سواء فى السلم ام فى الحرب ...

والمؤلفة الدكتورة نعمات احمد فؤاد اخذت على عاتقها حب مصر الذى ملأ كل احساساتها وفكرها وكان شاغلها الاول ، فاحست بوطنها العزيز بكل ظروفه التى مرت به ، وتفاعلت مع هذا الوطن فكتبت كتاب «شخصية مصر» ليكون صرخة مدوية امام كل من يريد ان ينال من مصر واصالتها لان مصر عظيمة مهما مر عليها من المحن فهى التى قالت للهزيمة : لا ... قالتها من منطلق عطاء مصر للانسان والاديان والقيم على مسار تاريخها كله .

وبذلك تناول الكتاب شخصية مصر وعطاءها الحضارى الباقى على مر العصور عصور القوة ، وعصور الضعف السياسى بما لا يترك مجالا للشك فى ان مصر اكدت شخصيتها من خلال الفن والعلم والروح والطابع ، مثلما اكدتها من خلال المقاومة ، حيث انه من اللمحات التى تثير الاعجاب فى أمر الشعب المصرى ، ان شخصيته القادرة عملت عملها فى ازماته ونكباته ما لم تعمله شخصية اخرى لأمة من الامم ، ذلك ان المحنة قد تضيف الى الامة العريقة ما لا تضيفه الانتصارات من تماسك وصلابة واصرار وقوة شعور ، وقدرة على العمل ، ونفاذ الى مواطن القوة ... وعلى ذلك قد فطن الشعب المصرى الى وجوب استبطان ذاته من حين لآخر .

وبذلك يعتبر هذا الكتاب من امتع الكتب التى تناولت الشخصية المصرية من حيث الدراسة والتحليل ليكشف الستار عن اصالة هذا الشعب وحضارته الاصيلة التى لم تقم كغيرها من الحضارات على اكتاف الآخرين

ان تكوينات هذا الوطن تزيد من عظمته فهذا هو نيلها العظيم البديع الذى هو حبها الكبير ... كما ان جغرافية هذا الوطن التى جعلت من مصر قلب العالم جغرافيا وقبلته تاريخيا وحضاريا ، حيث ان قوة الانسان المصرى وعظمته انما تكمن فى تجاوبه مع الزمان والمكان من حيث بدأت رحلته الطويلة قبل بناة الاهرام بالوف السنين .. وكان ذلك له التشكيل الواضح على الشخصية المصرية من حيث الحب والتعاون والعمل والكفاح والمثابرة ، يتعايش مع طبيعة هذه الارض ونيلها وصحرائها ومع احداث هذا الوطن الجسام التى ان دلت على شىء فانما تدل على طمع الطامعين وحقد المستغلين ودسائسهم .

وان المتتبع لتاريخ هذا الشعب المصرى يجد انه يقظ الضمير دائما منذ وجد على هذه الارض ، فهو دائما يعمل ويضع بين عينيه الضمير اليقظ فى كل اعماله ، وبذلك كان الايمان من الصفات الاولى لهذا الشعب

ورغم كل ما يواجه هذا الشعب الاصيل من محن وصعاب فهو قادر على تخطى هذه الصعاب ، يحول كل هزيمة الى نصر . وقد تشقى مصر ولكن لتشفى وقد تمرض ولكن لا تموت ... هذه هى مصر صاحبة اعظم منجزات حضارية على مر التاريخ .

الضـرورة الشعـريـة في النحـو العـربي

● د. محمد حماسة عبد اللطيف ●

مصطلح « الضرورة الشعرية » اطلقه النحاة والنقاد العرب القدماء على الكثير من الظواهر اللغوية العديدة التي كثيرا ما توجد في ابواب النحو والصرف معا ثم نجدها ايضـــا في كتب النقد الادبي القديم ، حيث ظن النحاة والنقـــاد ان الوزن والقافية في الشعر مبرران لارتكاز الشاعر الى ما هو غير مألوف في النظام اللغوي ، وعلى هذا كان كتاب «الضرورة الشعرية» في النحو العربي الذي استطاع فيه الاستاذ محمد حماسه ان يجمع كل ما يخص تلك الظاهرة التي اطلق عليهـــا النحاة « ضرورة شعرية » وتناولها من جميع الزوايا ، فناقش المنهج والاسس التي انتجت تلك الظـــاهرة في الدرس اللغوي وبحثها من حيث هي خروج على القاعدة ، فدرس مراحل القاعدة المختلفة وما يثير كل منها من قضايا ، وبحثها من حيث مفهوم النحاة لها ، واختلاف هذا المفهوم ونتائجه وعالج انواعها .

وفصول هذا الكتاب الخمسة تهدف الى وجوب الفصل بين مستويي الشعر والنثر في التقعيد النحوي ، وقد اتخذ المؤلف من «الضرورة الشعرية » ركيزة اساسية في طرق هذه المشكلة ومحاولة الاسهام في حلها .

وأهم ما يطالعنا به المؤلف في كتابه هو ان مصطلح الضرورة الشعرية لايمثل واقعا لغويا حقيقيا ، وقد اضـــطر اليه النحاة اضـــطرارا نتيجة للمنهج الذي اتخذوه في جمع اللغة والتقعيد لها .

فمن حيث جمع اللغة كان مجـــالهم مقصورا على بعض القبائل دون الاخرى طلبـــا للفصـــاحة . ويرفض المؤلف تخصيص النحاة قبائل معينة دون الاخرى للاستشهاد بها ، وذلك لان الســـليقة اللغوية ما هي الا اكتساب ينتج من تلقي المرء لغة بيئته عن طريق المطابقة والمحاكاة ولان هناك فروقا بين كل مستوى لغوى وآخر ، فيجب الفصـــل بين هـــذه المستويات المختلفة في اللهجة الواحدة وهي الفصل بين الشعر والنثر ، حيث نظر المؤلف للغـــة على انها متطورة غير ثابتة ، فعالج بعض انواع الضرورة على انها بقايا تاريخية لمراحل سابقة ودلل على ذلك ، وما يقال عنه ضرورة انما هو أصول تاريخية للهجات معاصرة ، وبذلك رفض المؤلف فكرة عصور الاستشـــهاد باللغة ورأى انه لا خوف على القرآن من هذا المبدأ فان للغته مستوى خاصـــا ينبغي ان يدرس وحده .

اما من حيث التقعيـــد فبين المؤلف سبب النحاة في الاعتماد على القياس في الوصـــول الى القاعدة حيث خلطوا بين عملية الصوغ والقياس التي يقوم بهـــا المتكلم ، والقياس المنطقي الذي فرضوا نتائجه على اللغة فنشأت عن ذلك امور حددها المؤلف في كتابه ، منها القياس على اشياء غير لغوية والخلاف بين النحاة ومعيارية القاعدة التي اتضحت في هـــذا الخلاف اسبابها ومظاهرها . واثبت المؤلف هنـــا ان الحكم بالضرورة مظهر من مظاهر هذه المعيارية .

وقد اقترح المؤلف في كتـــابه بان يدرس الشعر دراسة منفصلة عن النثر لانفراده بنظام خاص يختلف عن النثر ، كما لا يصح فرض النثر عليه ، وبذلك استطاع الكتاب ان يبين لنا خصائص لغة الشعر وهدفه من ذلك نفي وصمة الضرورة عن الشـــعر .

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

قصة

المحط الأخير

● الحماقى المنشاوى ●

● الوقت بعد الظهر ، على محطة الاتوبيس فى انتظار قدومه .. الملل اطال الزمن .. الدقائق تزحف فى المضى كسلحفاة تتحدى عصر السرعة ، تختال كما فعلت فى القرون الاولى !.. شاب لا تفارق عيناه العقارب ، يود لو لم يرهما تمضى ، يرجو من الوقت ان يقف !.. وآخر يزفر فى الهواء ظنا ان الزفرات سلوى الانتظار ! .. سيدة شابة تنقر على حقيبتها السوداء دقات رتيبة كانها ترقب الثوانى فى مرورها ... واخرى فى العقد الرابع تحمل بعض اكياس الفاكهة ، تعض الانامل لقرب فوات موعد الزيارة لمريضها ... وآخرون يذرعون مكان الوقوف ليقطعوا الملل ، ويختلى كل واحد بافكاره ... والاقدام تصطدم بالارض كانهـا تلعن نفسها لرضاها بالوقوف ، وتوعز لاربابها بالسير ... طالبان يتحدثان فى سخرية :

— « كانت العربة السابقة مزدحمة ... تركتها رغبة منى فى جلسة مريحة بالقادمة ، وتمشيت من المحطة الأولى حتى هنا ، كى انفق بعض الوقت ، فمكان نزولى المحط الأخير » .

وساد حديثهما فترة صمت قطعها الآخر يود رد الجميل :

— « اليوم موعد تدريبى الرياضى بعد الدراسة ، ولذلك تخلفت عن العربة التى مضت ، فانا أركب الاتوبيس مهما كان مزدحما ... المهم عندى أن أصل مهما أتكلف من مشقة، فلو أن كل شخص فكر فى الزحام ماركب أحد ، ولرجعت دواب العهود الأولى ، ولاصبح كل الناس كفريق جوالة المدرسة ! » .

ضحكا بصوت عال .

رجل واحد يثرثر طول الوقت ، ولا يعلق على كلامه أحد ... يلعن نظام الاتوبيسات ، واوقاتها وعددها ، بيد أنه لا يفتأ يكرر عناده وصلابة رايه بانه لن يبرح المكان حتى يأتى الاتوبيس ، ولو قضى عمره انتظارا ... يشعر بلذة العناد والتحدى ، فتهون لحظات الانتظار الممض ، ويلوك لسانه هذا العناد مرارا حتى ابتسم القوم عند تكراره هذا التحدى آليا بحركة تجعل اصراره مادة الابتسام عندمايثبت نظارته على عينيه بسبابته المرتعشة !

ويمضى الوقت بطيئا ، وفى لحظة مباغتة يمرق فى الشارع اتوبيس مزدحم بالركاب ، ولا يقف امامهم ، فيصيحون وتنطلق السنتهم باللعن والسخط على السائق الذى تركهم نهبا للانتظار من جديد ، وكان طوق النجاة لهم ، فخلفهم غارقين كل فى دوامته الخاصة ، يفكر فيما بعد النزول فى محطه الاخير ! .



وتمضى لحظة ، يأتى رجل الى المكان، ويسأل « العنيد » الذى ارغد وازبد ، وتوعد حتى خيم السكون على الجميع لكثرة شتائمه ، ونقمته على سائق الاتوبيس لعدم الوقوف اعتقادا منهم انه سيقول مافيه الكفاية وعما يجيش بكل صدر :

ـ هــل الاتوبيس رقـم ثلاثة يقف هنا ؟

نهره صاحب العناد : امامك هـذه اللافتة التى لا لزوم لها ، ما دام لم يقف عندها الاتوبيس .. اقراها الآن لتعرف!

قال الرجل فى هـدوء : لا اعرف القراءة يا سيدى !

اطفأ الرد سورة الغضب فى نفسه ، طأطأ رأسه خجلا ثم رفعه فجأة متوهما انه انتظــر أكثر من اللازم فى اجابة الرجل ، واطبقت شــفاه الواقفين ، واعترتهم الدهشة ... نظراتهم تجول بين الاثنين فى حيرة لتأثرهم البــالغ بأمية الرجل ، وزاد من دهشتهم طـول صمت الثرثار ! .. خفض بصره الى أسفل اللافتة واخذ ينظرها حتى وصلت عيناه الى الكلمات المكتوبة ، وفى هـذه اللحظة أفاق من ذهوله ، وصاح ممسكا باللافتة يريد تحطيمها :

ـ تبا لهم .. تركونا هكذا بلا شىء ... نستظل بلافتة حمقاء ، تسخر بنا فى بلاهة وجمود .

تشبثت انظارهم بحروف اللافتة .. بدت كأفواه سحيقة يهبطون اليها ، وانصرفوا بعد أن لامتهم اقدامهم كيلا يضيعوا من الوقت أكثر من ذلك ... كانت اللافتة مهينة لعقولهم ، واكتشفت سذاجتهم ، وجهالتهم امام رجل يجهل القراءة ، لم يقف معهم مدة انتظارهم الطــويل ... جاء يستفسر عن رقم العربة التى تقله حيث يريد، ثم مالبث سؤاله ان جعل عديدين ينصرفون عن الخط يلعنون انفسهم فى سرية تامة ، ويلعنونه ايضا ، ومع ذلك يشكرونه ، فقد كان كمن يشحن علمهم ومعرفتهم الجوفاء ... نهربوا منه ومن اللافتة !

ووقف الرجل حائرا ينظر الى اللافتة المائلة من اضطراب اعصاب العنيد الذى نهره ، ويحدث نفسه .. يهز كتفيه عجبا لهذه اللافتــة التى جعلت هؤلاء الناس يتفرقون ، ولم يطق صبرا على صبى يسير على الطوار يحمل كتابا فى يده :

ـ اقرأ لى يابنى المكتوب على هــذه اللافتة العجيبة ! ..

نطق الصبى مختالا بقـــدرته على القراءة ، وانه اهل لحمل كتاب بيده :

ـ « ممنوع وقوف العربات»

وتغيرت المحطــة الى نهــاية الشارع ... » !



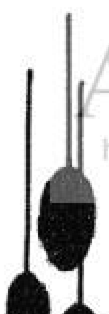
الذى .. لايذوب أبدًا !!

● فولاذ عبد الله الانور ●

وتجيئين الى الآن ماذا تبتغين
بعد أن سممت قلبى !
بعد ان غيرت تاريخى ودربى
لم اعد املك للحب ولو بعض الشجون
لم اعد ابصر فى المرأة الا جسدا
فاذهبى عنى بعيدا واعشقى
لم اعد اصلح للحب وللاحلام ابدا !

***

كان عمرا لن يعود
عندما كنت بريئا اتغنى باسى حبك قدام الجموع
.. وانا وحدى احبتك حتى الموت وحدى .. ،
.. كنت راجيك بما فيك وراعيك طوال العام والعام صقيع
انت قد علمتنى كيف اضيع
انت قد علمتنى ان اقطع الليل بلا نوم .. ،



الى ان تطلع الشمس فاغفو واضيع !
انت قد علمتنى ان افتح الشباك فى البرد .. ،
على الافق وابكى ، ثم ابكى .. واضيع !
انت قد علمتنى ان اعبر الشارع اهذى بكلام غير مفهوم ..
.. واذوى واضيع !
وتجيئين الى الآن ماذا تبتغين ؟
كان عمرا وانقضى ...
كان امسا ومضى !
فاديرى وجهك الان سريعا عن طريقى
بين كفيك وقلبى الف سور من جليد
تحت نار الشمس اعتى من جرانيت السدود ..
فافيقى !



أحتج على عينيك

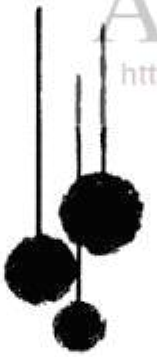
● مصطفى رجب ●

(١)

قالت زينب :
عيناى اشتكتا الغزل الفاضح ..
شعرى مل الشعر ....
القى الشعراء جمالى فى البئر ،
وطرحونى أرضا ...
ولذلك .... :
حكمت عيناى باعدام جميع الشعراء بميدان عام
رميا بالنظر الشزر ..
ـ بشهادة كل عباقرة شهود الاثبات .. ـ

(٢)

ارفض حكم الاعدام ..
احتج على عينيك بأنى عاشق
استأنف حكم الاعدام أمام جميع محاكم الاستئناف ..
اطلب عدل المحكمة وعدل القانون التام



(٣)

عينا زينب تخترقان القاضى والقانون
ينظر قاضى المحكمة الدعوى ..
.. ينظر فى عينيك ..
ويرفض حكم الاعدام !

(٤)

تحيا عيناك ..
ويحيا الشعراء ..

(٥)

يحيا العدل ..
ويرفض يوسف ان يأكله الذئب !

قصـــة

الحب تحت الأرض..

● فؤاد بركات ●

●●●● ورق الحائط لونه لا يناسب لون السجاد !

– انها مجرد جرأة في الالوان ، كل قطع الاثاث الوانها هادئة ، عدا الارضية الزرقاء – ترى هل لتحاكي لون البحر ؟!

الهدوء ، والنظافة ، والجدة ، وهواء ساكن مخزون في الشقة الفسيحة التي يشملها الاثاث الحديث في كل اركان الحجرات الخمس ، وبمجرد انفتاح الباب الخارجي تطل صالة شاسعة ، عبر مدخل ضيق ، والارض متوارية اسفل سجادة قرمزية ..

في حفيف ساكت تقدمت خادم عجوز اليهما بكوبي شاي على صينية فضية ، ثم خطوات نشطة لخادم كهل ، بصينية اخرى عليها بعض الحلوى – ومن كثب من المكتبة المكتظة بالكتب ، استقر كلاهما ... الصمت التام ساد ، ثم تقطع :

– متى يعقد القران وتقبل عروسك الحسناء ؟!

– لم يعد هناك مشكلة سوى عودة أبيها من اوربا

اثر رشفات الشاي ، قال الصديق انه في حاجة الى أنفاس من الهواء الخارجي ... انسلا الى الشرفة المطلة على الشارع الساكن العريض – عرض عشرة شوارع من المنطقة الشعبية المتاخمة ... الشـــارع تجلله الاشجار ، وتتوسطه شرائط الحدائق ، وهناك عمارات زاهية ، ولان المنطقة كانت مخصصة لاسكان الاساتذة الجامعيين في منطقة « المجوزة » – فقد كانت السمة البارزة هي أن معظم مبانيها تتمثل في فيلات رائعة ..

مع حديثهما ، عن الجامعة ، و « الكادرات » ، ومتى يكونان استاذين ، وكيف ... ومن الخارج ، والحياة هناك وهنا ، والاهل الاثرياء ، والهواء الشتوي يحيط ببرودة خفيفة ..

صراخ وضجيج ، وكلمات حـــادة مجلجلة مزقت صمت العاشرة من المساء الشتوي ، بدا على الفور أن في مدخل « الفيلا » حادثا جللا ... اكتشاف لص ، العثور على جثة .. شيء من هذا القبيل !

وفي لحظات تبعثر الحديث ، والهدوء ، وأسرع الخادمان الى الدور الارضي أما هما فاطلا ، ثم تركا الشاي والحلوى ، والحديث الشجي ، وأسرعا يهبطان الطابقين ... في المدخـــل ، تجمع رهط من الناس محدقين بشاب صغير وبنت شابة قصيرة القامة ، سنها دون الثامنة عشرة .. ناهدة الصدر ، مليئة الجسد ، ممتقعة الوجه ، زائغة العينين ، وقد ارتسم عليها من القدم حتى شعرها الطويل رعب قاتل .. ارتعاش ، انتفاض ، والشاب الصغير ، في سنها تقريبا ، وقف لصقها ، وقد غلفه السكوت وسط الصراخ الذي يهاجمه هجـــوما داميا ، الكلام يرجم كالاحجار ، سيوف مسنونة مجلجلة الصليـــل ، طواحين تسحق ، اقدام تركل ، أفواه مليئة تبصق ... الكلام ، الكلام ، ولم تمتد يد واحدة ، الدماء دماؤهما تنزف ، وتفيض ..

العجوز مقدم الحلوى ، وفمه مفتوح على المصراعين ، وعيناه مغروزتان في جسديهما ، ويداه تلوح في الهواء :

– أيها الداعران .. تمارسان الحب تحت السلالم ، الا تخجلان ؟!

العجوز امرأته بصوت متهدم :

– يفعلان ما يشاءان فقط بعيدا عن هنا ... هنا طهر ونظافة ! أيتها الفاجرة الا تحسين بالعار ؟!

الفتاة تبحث قدماها عن مكان في الارض يهبط بها الى كهوف القباصب الارضية ، تنظر في وجوم يائس مستسلم باحثة عن الكلمات خـــلال الانفاس اللاهثة ، عن ثقب خلال الاجساد التي اغلقت مدخل البيت بنيانا جسديا مرصوصا ، متلهفة الى كلمـــة تنتصر لان يفرج عنهما ..

هو وصديقه ، والترقب ، والحكم ، والصمت ..

هو الدكتور الجامعي – حديث العودة من الخارج – يبغض كل ما هو خطيئة ، صديقه دائما يصارحه انه أحيانا يبدو متزمتا ،

امتلأ بعواصف الغضب ، الفجر ، تطاير من فمه رذاذ اللعاب الساخط :

– كيف أيها الضالع تنتهك القيم والفضـــائل ، وأين .. أسفل داري ؟!

وكيف يا داعرة تقبلين أن يلمسك ، على الارض الملوثة في الظلام ، تسرقان الاخرين .. تسرقان الطهارة !

وقد تزايد الضجيج ، أطلت من السلم – ناهد ، ناهد ابنة صاحب « الفيلا » ، يقال ان بعض زائريها مجرد عشاق ، وان زوجها قد طـــلقها حيث تعدد عشاقها ، فقدمت له برغبتها في الطلاق ، وبأولادها الثلاثة الصغار .

ناهد لاحت مرتكزة على حافة الشرفـــة ، الكأس بيديها ، لذراعيها وتدلت بصدرها العاري ، وتدلت نظراتها المسترخاة اليهم .

النظرات راحت تصعد اليها مختلسة ، ثم مرتدة هابطة ... وجهـــها مليء ، أهــدابها تحيط عينين خضراوين ثابتتين ، شعرها ينسدل ناعما ، بياض الوجه والذراعين العاريتين ، رغم البرودة التي اخترقت بالانفاس المتوفزة ، وكان من يدقق صاعدا – النظر ، يخترق رداء شفافا :

– ايه الحكاية يا حسنين ؟!

– ... ... تصوري ؟!

بسرعة كظمت ضحكة رنانة كانت ستطير مزغردة ، وقالت كالمغتاظة :

– انها التربية الفاسدة ... لم تجد أما تربيها أقفلت عائدة ، وقد تهاوى فضولها .

الصديق الذي حاول أن يرى بحياد ، انتقل اليه ارتعاش التوالي ، يرده النظر الى ناهد ، الى الايدي الكثيرة المتأهبة للامتداد ، وهي تطلق النظرات النارية الجاحظة ... الى الشاب ! .

الولد وقد امتصت أعصابه المتينة عنف المفاجأة ، مد صدره القوي اثر انفاس الصعداء ، وقال منكرا ،

ان شيئا مما يقال لم يحدث ، انهما كانا يبحثان عن عنوان ما ـ تصدى له سؤال زاعق :

ـ ومن تكون لك هذه ـ يا شاطر ·· هه ؟!

ـ أختي ، خطيبتي ، صديقتي ، ماذا يهمك ؟!

الدكتور ، اثر المشاهد المحتدمة ، والموقف المتصاعد ، فقد السيطرة على نفسه ، بسرعة خاطفة ، مد يده في صفعة قوية على وجه الغلام ، الذي شرع يتماسك ، ويستعيد لون الوجه ، ويسرى من ثيابه ، ويحتمل في قوامه متوسط الطول والامتلاء ·

اهتز للصفعة ، ليردها في حركة آليه ، وجـد الجمع يحيطه ، حاول مقاومة ··· الدرع قابضـة ، وكلام ينهمر مع الامساك الشديد لجسده كله ·· عبثا يحاول الافلات مرددا عبارات السباب الهذبة المتحشرجة ضد العبارات النابية الموجهة الى شرفه وشرف الفتاة

ـ نستدعي الشرطة !

ـ يجب أن تقدمهما الشرطة للمحاكمة بالفعـل الفاضح !

ذعر الشاب ، ماتت الفتاة في جلدها ـ ملابسها اكفان انيقة ، نظراتها وداع اخير للحياة ··· سال الغلام :

ـ أين وما هو الفعل الفاضح ؟!

ثم أردف مرتعدا : من رأى فعلا فاضحا ؟!

ـ رأيته أنا عندما مددت رأسي الى بئر السلم ، كان يقبلها ، يحتضنها ، ويداه ··· بالنسوه !

الصديق ، وهو يرى الخوف ، والغم المصـوب كالخنجر ، « تذكر باريس » ، من الضروري أن يتدخل أحد ما ليقول وجهة نظر مختلفة ، حتى ولو أغضب صديقه !

ـ دعوهما ، وكفاهما ذلك ، ولن يعودا !

ـ بل العقاب بالقانون ··· الضائع التائه يأبى أن أصفعه !

ـ الستر لاجل الفتاة ··

ـ والغلام اللعين ، أود لو أخنق الفتاة وأرجم الغلام !

ـ الشرع يجلد العازب · « فطم الصديق ·· »

الشاب ·· وقد استرخت الاذرع في راحة الصبيرة ، تربص بثغرة في الحوائط البشرية ، فمد الساقين الى الرياح ، عبر نصف متر ، ثم الى المدخـل والباب مفتوح ، وبه أياد قليلة ، اخترقها كالسهم ، ثم الى الفضاء الخارجي المنتد البارد ، الى حيث صار عند نهاية الشارع لينحرف الى أول شارع عرضي ـ بعدها غاب عن الانظار ! ··

··· والفتاة ! ··

الفتاة كانت لا تزال في نفس البقعة رغم الدقائق الهائلة الصاخبة المروعة ، قدماها تستندان جسدها اليابس بصعوبة ، والى ابتعاد بعض الضجيج في اثر الشاب ، ارتكزت بظهـــرها الى الحائط الرخامي ، متدلية بنظراتها الى الارض الرخامية ·

نصف المزدحم ، قد أسرع في ذيل الهارب الذي افلت باعجوبة ، أحدهم ليحرض المارة ، ويحث على القبض عليه ، صائح ! « حرامي ·· »

وترك المارة في أثره ، وان بدا من فارق السرعة ، والاصرار ·· انهم لن يمسكوا به ! ··

اثر انلات نصف الجناة ، فان الموضوع قد تغيرت ابعاده ـ الكلمات توقفت ـ وقد تدخل رغما وقسرا دافع جديد من الاشفاق ·

الصديق المحايد ـ استبشر خيرا ·

الفتاة ، والصمت الذي شاع لدقيقة ، الولد القوي المشاغب سليط اللســـان ، قد أفلت ـ ظلت هي مستكينة ضعيفة صامتة ، حتى لا تبحث عن كلمـة واحدة تقولها ·

الدكتور في نبرات حادة تداري عطفا وليدا راهنا :

ـ لماذا يا بنيتي تقبلين ذلك ؟! خدعك ·· ؟!

غير أن البنت ، رغم الفائدة الهائلة التي ستعود

من موافقتها ، لم توميء بالموافقة وظــــلت عيناها متدليتين في شكل أخرس ·

ـ طيش يا شاطرة ، تجربة سيئة قاسية !

الكلمات باعثة غير مترابطة ، خجول مع وجـود الفتاة وحدها ، قرار الصغير الغلام أعطى الامـور معاني جديدة ، وقد ساد هدوء ·· وضاعت لحظات الهياج والتوتر

الصديق قال ـ الفتاة ابنة احدهم ـ وشـقيقة والريبة ···

ثم في صرامة :

ـ أمر يجب حلوله ـ الستر !

هي ، تماسكت طويلا كي لا تسقط ممدودة متهاوية طويلا أصرت ان تستمر في الوقوف ، ولكن مـع الكلمات الاخيرة المتعاطفة المشفقة احست بالموقف كله في صورة واحدة عريضة ، بانورامية مجسمة من الماضي وحتى الدقائق الدامية ـ البقاء تسيل ، تنزف ، اجهاض ·· جراح هتك الامال !

ـ القبلة الرائعة الدافئة ـ الاحتضانة ، والجسدان يلتصقان ، وقد شعرت بسعادة حسية فائضة ، وهو يتحسس شعرها ·· و ·· يداه · قبلها كانت لقاءات عديدة ـ وخلال السينما ، كلمات حب طويلة ، الولد وبنات الحي الشعبي في مؤخرة « بولاق الدكرور » كلهن يتحدثن عنه ، حلاوته وجـــرأته ، لكنه لم يخدعها ، قال لها ، ووثقت بكلامه ـ انه لو استطاع الزواج لتزوجها ـ بل عاهدها على تخرجه في الجامعة ، قال لها وبصراحة ـ وكلامه كله صريح ، ان رقبانه تؤرقه حتى انه قد توجه الى طبيب قال له ضاحكا :

ـ عليك بالرياضة ، الساحات الشعبية متوفرة !

قال لها انه يحبها ، من يوم عرفها لا يحادث فتاة عداها ـ وهذا حقيقي ، ولكن كيف ، أين ؟! انه يحلم ، كيف على مائدة الحياة لا يتذوق رحيق وجبات الاحلام ·· التليفزيون ، المجلات ، كلام الزملاء ، حتى الاذاعة · حتى كل الاغنيات ·· ·

الطريق عندما أمسك يدها ، كان مظلما ، وبرودة تشمل الليل ، كلماته تتزلق ·· لا يستطيع في الطريق ذلك البعيد عن بولاق الدكرور سوى أن يمسك يدها ··

كان ناعما ، حارقا ، يتسلل الى كل كيانها ، وباب مفتوح ، والمدخل مظلم ، وهو يرتشي الصوت ، حالم جميل النظرات ··

ـ احلم بقبلة الآن ·· وأموت !

كيف يموت من أجل قبلة ·· الباب مفتوح ، ولا أحد ، وهناك ·· الصيحات ، الصرخات ، الضماء ·· هتك الامال ، والاحلام ·

الصيحات ، العـــار ··· الصيحات ، الصرخات تستحيل الى زغاريد ، عروس الليلة ـ فستان الزفاف ، عبارات التهاني ، مبروك يا عروسة ، ويا عريس ·· قبلة الام وفرحة الاب ، وضحكات الاطفال ، والبنات يحسدن ، والنساء يزغردن ·

والعريس هو ، اليدان متشابكتان ، كوشة الزفاف والراقصة والاغنيات ، والحجرة ـ حجرة النوم ـ نومهما ·· الرائعة الجديدة في كل شيء ، والامتداد حتى غاية الزمان ، والكلام ، وقد خمدت كل الاشياء عدا كلماته ·· الكلام بمهد ، ناعما قويا ·· يقدم سريان الغد ، والاطفال ، ومكان من خريطة الانسان ·

نظر الجمع اليها ، وقد شحب لونها · وفجأة هوت ··· امتدت كل الايدي تجلسها على عتبة البواب ، مع الكولونيا ، والعبارات المواسية المشفقة التي تصنع كل المحاولات ، كي تفيق ··

أخيرا تفيق ، وفي هدوء يشيعانها ، وقد جثم الصمت والسكون الوحشي ـ والغلام ···

عدا عربات فارهة تمرق وهي في خطوات واهنة ، لعدها ·· مغادرة دائرة الاحلام

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمي ●

● الفضل لمن سبق ●

وقعت جلوة بين الحسن بن علي واخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما ، فانصرفا متغاضبين . فلما وصل محمد الى بيته كتب الى اخيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن علي بن ابي طالب الى اخيه الحسن بن علي بن ابي طالب ، اما بعد ، فان ابي واباك علي بن ابي طالب ، لا تفضلني فيه ولا افضلك ، ولكن لك شرفا لا ابلغه ، وفضلا لا ادركه ، فامك فاطمة الزهراء ، وامي امراة من بني حنيفة ، فو الله لو ان ملء الارض مثل امي ما عدلن امك ، فاذا بلغك كتابي هذا ، فالبس رداءك ونعليك ، وسر الى فترضني ، واياك أن أكون سابقك الى الفضل الذي انت اولى به مني .. والسلام » .

فما ان قرا الحسن الرقعة حتى بادر الى اخيه فترضاه .

● الامير الزاهد ●

قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام ، وأبو عبيدة بن الجراح أمير عليها فتلقاه بالترحاب فقال له عمر : اذهب بنا الى منزلك . فقال أبو عبيدة : وما تصنع عندى ؟ ما تريد الا أن تعصر عينيك علي « اى تبكى » .

ودخل عمر منزل أمير الشام ، فلم ير اثاثا ولا رياشا ، فقال : اين متاعك ؟ لا أرى الا بساطا من الصوف وقربة صغيرة وانت أمير ! ... اعندك طعام ؟

فقام أبو عبيدة الى سلة صغيرة، فاخذ منها كسيرات ..

فبكى عمر .. فقال أبو عبيدة : قد قلت لك انك ستعصر عينيك علي يا أمير المؤمنين .

● جواب الامام ●

سئل الامام علي كرم الله وجهه : كم بين السماء والارض ؟

فأجاب : دعوة مستجابة !

قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟

قال : مسيرة يوم « يعنى مطلع الشمس ومغربها » !

● مستجاب الدعوة ●

كان سعد بن ابي وقاص - رضي الله عنه - مستجاب الدعوة وقد سمع يوما رجلا يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه، فلم يسكت .

فقال له : اذن أدعو عليك .

قال الرجل : تهددني كأنك نبي ؟!

فتوضأ سعد وصلى ركعتين . ورفع يديه وقال : اللهم ان كنت تعلم أنه سب أقواما تحبهم ، فاجعله آية وعبرة .

فلم تمض ساعة حتى خرجت من احدى الدور ناقة لا يردها شيء حتى دخلت في زحام الناس ، كأنها تبحث عن شيء ، ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها تتخبطه حتى أشرف علي الموت !

● السبع الموبقات ●

عن ابي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

رفـــة العبـير!

● محمـــــد محمود غديه ●



الصمت والليل المديد
وسفائن الحزن الوليد ..
والجرح الغائر فى الأعماق،
ينضح بالصديد
وشواطىء النهار ...
بعيدة لاتبين
ومدائن الأحلام ..
تغتال شوقنا الدفين !

***

يا رفة العبير ..
رغم أفول النجم ..
وتنبؤ العرافة
يا أجهاض حبنا الكبير
وخطى التوقع المرير
والكهولة رغم شبابنا النضير
وقلبنا مبعثر المصير
وعالمنا الفقير

***

سأظل اسافر فى عينيك
فوق جناحى الأشواق
محفور أسمك .. فى الاعماق
اعانق كفيك ..
والوعد الصادق
بلا انتهاء ..

● محمد محمود غديه ●
المحلة الكبرى

نجـم بعـيـد!

● مصطفى عبد الرءوف ●

والليل يغشى ايكتى وظلامه يطوى الحدود
وطوارق الأوهام تهمس فى فؤادى بالوعيد!
احذر .. فللحب شباك ، وشراك ، وقيود !
الحب نار ، ولظى ، ورماده مثل الجليد !

***

عيناك لؤلؤتان من بحر على نجـــم بعيـــد
وعليهما من وارف الأهداب والظل المـديد
وحياء خديك الذى سكب الضياء على الوجود! •
وشفاهك الشهد - التى بخلت بمكذوب الوعود
عزت على نفسى المنى فلثمت أطراف الورود!

***

فسهرت مثل العاشقين وانجم الليل شهود
حتى اتى الصبح فيممت الى الحقل النشيد ..
قد صرت فى سجن الهوى، لله ما احلى القيود

روح عن نفسك

هذه صفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة والاجابات أسفل الصفحة ..

اولا : لغز بالشعر

بصير بما يوحى اليه وماله
لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره
اليه اذا ما حركته الاصابع
ـ ما هو ؟

ثانيا اختبر ذكاءك

١ ـ وصف لك الطبيب ثلاثة اقراص لتناولها كل نصف ساعة ، فكم ساعة تمضى بين تناول القرص الاول والاخير
٢ ـ أيهما أوفر ؟ ان تدعو صديقين الى السينما ، كلا منهما على حدة ام تدعوهما معا مرة واحدة ؟
٣ ـ ما الاعداد الثلاثة التى حاصل ضربها يساوى حاصل جمعها ؟
٤ ـ اى سؤال لا يمكن الاجابة عنه بكلمة « نعم » ؟
٥ ـ ما اكبر جزيرة كانت موجودة فى العالم قبل اكتشاف استراليا ؟

ثالثا : القواد المختفون

فى كل جملة من الجمل التالية اسم قائد مشهور من قواد التاريخ ولكن كل اسم من هذه الاسماء مختبىء بين كلمات الجملة ، فهل يمكنك ان تستخرج اسماء هؤلاء القواد ؟

١ ـ هذا الرجل ليس من بلدنا بل هو يونانى .
٢ ـ هذا الرجل ليس بخياط ولا طاه ولا كواء .
٣ ـ قل له انى بالدار .

رابعا : اختبر معلوماتك فى الادب الغربى

١ ـ من هم الاربعون الخالدون ؟
٢ ـ من القائل :الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ؟
٣ ـ ما أعظم مؤلفات جيته ؟
٤ ـ من مؤلف كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » ؟
٥ ـ من الكاتب القصصى الذى ابتكر شخصية « شرلوك هولمز » ؟
٦ ـ ما جنسية « عايدة » بطلة اوبرا عايدة لفيردى ؟
٧ ـ اى قصص ديكنز تتناول الثورة الفرنسية ؟
٨ ـ من اشتهر باسم «ابو التاريخ»؟
٩ ـ ما الاجر الذى حصل عليه الشاعر الانجليزى ملتون من قصيدته « الفردوس المفقود » ؟
١٠ ـ فى اى قرن عاش موليير الكاتب الفرنسى المعروف ؟

الاجابات

اولا : لغز بالشعر : هو القلم

ثانيا : اختبر ذكاءك :

١ ـ ساعة .
٢ ـ ان تدعوهما معا حتى لا تدفع اجر دخولك مرتين .
٣ ـ الاعداد ١ ، ٢ ، ٣
٤ ـ هل انت نائم ؟
٥ ـ استراليا لان عدم اكتشافها لا يعنى عدم وجودها .

ثالثا :

١ ـ نابليون (.. بلدنا بل يونانى)
٢ ـ هولاكو « .. ولا طاه ولا كواء»
٣ـ هانيبال « .. له انى بالدار»

رابعا اختبر معلوماتك فى الادب الغربى

١ ـ هم اعضاء الاكاديمية الفرنسية
٢ ـ الشاعر البريطانى رديارد كبلنج
٣ ـ فاوست .
٤ ـ لورنس .
٥ ـ ألبير آرثر كونان دويل .
٦ ـ حبشية .
٧ـ قصة مدينتين .
٨ ـ هيرودوت .
٩ ـ خمسة جنيهات !
١٠ ـ فى القرن السابع عشر .

ورد وحب..

حين أهديتها على الغصن ورداً
مستعيراً من خدها الأرجوانا
جزعت أن تمسه ـ وهو عطر ـ
ومن الورد ما يروع الحسانا
قالت : النار فيه .. أم فيه قلب
يبعث النار ؟ .. ثم مالت حنانا
قبلته .. فقلت : كان زمانا
ذلك الورد . ثم صار مكانا
سألت : ان حملته .. كيف يلقى
حامل الأحمر المثير أمانا ؟
أين يحيا بين العذارى .. أليست
تهمة أن أضمه وامتهانا ؟
قلت : يحيا ما بين خديك زادا
هذه الأرض في الهوى دورانا
كيف تنسين أن خديك أشهى
من ورود الدنيا وأحلى افتتانا ؟
فاقبلي الورد .. انه مستمد
منك روحاً ـ أو ـ ملهم خفقانا
واقبلي القلب .. انه حقل حب
أي حب لا ينبت الايمانا ؟

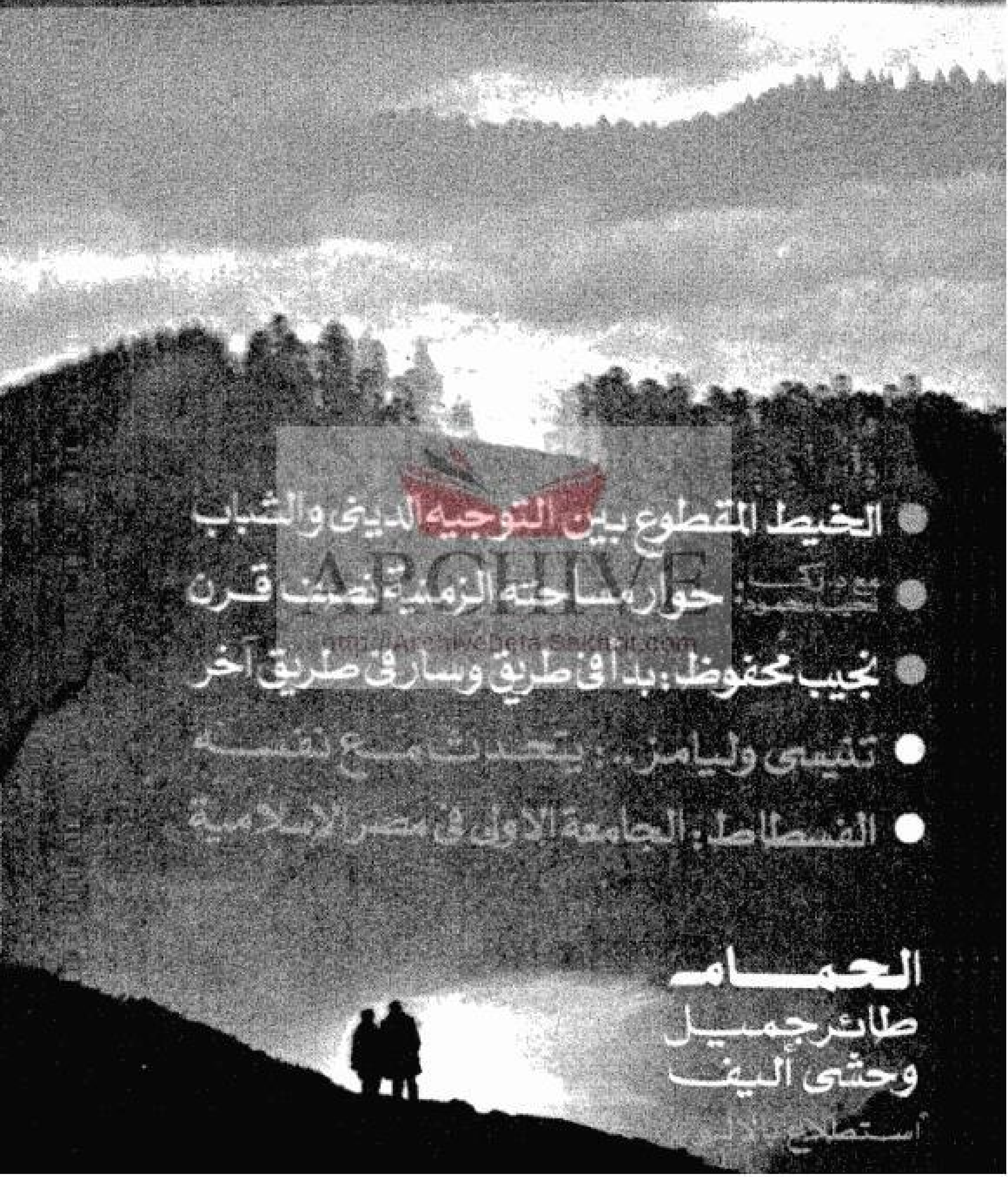
طرابلس ـ لبنان ● سليم الرافعي ●


الهلال
مجلة الفكر العربي
حظوظ وأقدار
عدد خاص
نجاحك .. ذكاء أم حظ؟
صاحب الجلالة الحظ مظلوم
هل تعرف توأمك الزمني؟
قاموس مصطلحات الكواكب والأبراج
الهلال
مجلة الفكر العربي
ثروة من العلم والفن والفكر
بقروش قليلة
الهلال
خير هدية لك ولاسرتك .. تفيد الشباب بقدر ما تفيدهم المدرسة والجامعة لأن الثقافة سلاح العصر لضمان مستقبل زاهر
الهلال
مقالات بأقلام كبار الكتاب .. ودراسات في العلم والفن والأدب - استطلاعات مصورة بالألوان
الهلال
كبرى المجلات الثقافية العربية
قيمة الاشتراك السنوي:
بالبريد العادي:
في مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عددا - في الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات انجليزية
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
في البلاد العربية:

الهلال

يونيه ١٩٧٩

مجلة الفكر العربى



كلمة الهلال

مسئولية أهل الفكر

لم تكن امة العرب احوج الى مفكريها فى اى وقت مضى مما هى اليوم ، لانها تجتاز اليوم امتحانا عسيرا وعليها ان تخرج منه اقوى بنيانا ..

وليست تلك اول ازمة عنيفة تتعرض لها امة العرب ، فقد سبقتها ازمات وازمات ، وخرجت منها بحمد الله ظافرة موحدة الكلمة والصفوف .. ولم تستطع النجاة فى المرات الماضية الا بفضل رجال العلم والفكر الذين وقفوا دائما صفا واحدا متمسكين بوحدة الامة عاملين على توحيد تلك الخيوط التى يتكون منها نسيج الفكر العربى .. وهل ننسى مافعله المفكرون فى القرن السابع الهجرى وما بعده للمحافظة على وحدة الامة بعد ان اجتاحتها اخطار الصليبيين واخطار المغول ..

لقد انصرف جهد اهل العلم والفكر فى تلك العصور الى المحافظة على تراث الامة الفكرى وهو رمز وحدتها ، فألفوا المعاجم وكتب التراجم واعادوا كتابة العلم كله حتى لا يضيع . ذلك ما فعله ياقوت وابن خلدون والمقريزى والسيوطى وابن عساكر وابن منظور ومرتضى الزبيدى وغيرهم كثيرون .

وعندما انجلت الازمة وطلعت الشمس من جديد وجدت الامة تراثها سالما غير منقوص ، فبنت عليه ..

ان واجب رجال الفكر فى هذه الظروف كبير ..

ان عليهم ان يدركوا انهم المسئولون اولا وآخرا عن ربط الاجيال والمحافظة على تراث هذه الامة وشعلة الفكر ..

عليهم ان يؤكدوا لهذه الامة انها خالدة بوحدتها وبفكرها وبحضارتها وبايمانها بنفسها ..

لان الازمات تجىء وتروح ..
ولكن الامة باقية خالدة ..

المحرر

فى هلال هذا الشهر

● موضوعات عامة ●

● دراسات ●

● علوم وطب ●

● استطلاع بالالوان ●

● الناس والعصر ●

● أدب ●

● سينما ●

الهلال
مجلة الفكر العربى

رجب ١٣٩٩ هـ
يونية ١٩٧٩ م

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون ـ
أول يونيه ١٩٧٩ ـ ٦ من رجب سنة ١٣٩٩

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل الجهد ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير (الهلال) غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد
أحمد فاضل وأحمد الوريدى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحـــوالة بريدية او حكومية .
فى الخارج بالبريد العــادى ٧ دولارات او ٤ ج . ا. بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج . ا. . تسدد بشيك مصرفى لقســم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .
الادارة دار الهلال ــ ١٦ شارع محمد عز العرب ــ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

الخيط المقطوع بين التوجيه الديني والشباب

بقلم: رئيس التحرير

● **ليس في الاسلام اساسا رجال دين .**
هناك علماء في شئون الدين وهناك فقهاء اجلاء ،ولكننا لا نستطيع ان نتحدث في عالم الاسلام عن وجود جماعة رسمية تسمي رجال الدين كما نجد في الاديان الأخرى .

ولكن العرف جرى من سنوات على ان يسمى علماء الدين وفقهاؤه والمتخصصون في الدراسات الاسلامية المتخرجون في الازهر وكلياته برجال الدين . ويدخل في زمرة هؤلاء أهل الدراية بشئون الدين من رجال وزارة الاوقاف ويتبعهم ائمة المساجد والوعاظ ومن يقومون بخدمة الجانب العلمى من شئون المساجد .

تسمية خاطئة ، ولكن العرف جرى بها ، ولا باس من استعمالها في مثل هذا الحديث حتى يعرف الناس عمن نتحدث وماذا نريد أن نقول ..

***

وقبل آن ادخل في حديثي أحب ان أضيف أنني من المشتغلين بعلوم الاسلام ، وعمرى كله أنفقته في خدمة تاريخ الاسلام وأحوال المسلمين وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وأنا اذ اكتب هذا الحديث اكتب لقوم هم مني وأنا منهم وان اختلفت سبل التكوين والتعبير ، فليأخذوا كلامي على أنه كلام عضو من الاسرة الكبيرة التي تخدم الدين وعلوم الدين والجماعة الاسلامية بصورة عامة .

والله سبحانه نسأل أن يجعل كلامنا بردا وسلاما على قلوب الاخوة أجمعين .

***

والذى دفعنى الى كتابة هذه السطور هو ادراكي لحيرة شباب العصر وضيعة أمرهم فيما يتعلق بشئون الدين خاصة واحساسهم الكامل بأن الخيط مقطوع بينهم وبين رجال الدين ، واحساسنا نحن بأن معظم الانحرافات التى نراها في صفوف الشباب ، ما بين منحرفين الى أقصى اليمين ومنحرفين الى أقصى اليسار ، كل هذه راجعة الى هذه القطيعة بينهم وبين رجال الدين ، من هيئة كبار العلماء الى ائمة المساجد والواعظين .

وأحب أن أقول ان الشباب غير مسئول عن هذه القطيعة بل يسأل عنها سادتنا الذين يجمعهم قولنا رجال الدين فموقفهم أو موقف أكثرهم من الشباب لا يوصف بأنه موقف صديق أو أب أو مرشد أو موجه وانما هو موقف سلبي وأحيانا غير ودى بصورة تدعو الى العجب .

وقد كانت لي صلة وثيقة بالمغفور له الشيخ عبد الحليم محمود ويتفر من وزارة الاوقاف السابقين ، وكانت الاحاديث تجرى بيننا في ذلك الموضوع وفي ذات مرة طلب الى وزير من وزراء الاوقاف أن اكتب مذكرة برأيي في هذا

الألوف الذين تخرجوا في الكليات والمعاهد الأزهرية وما يجري مجراها، ماذا يفعلون لخدمة الشباب وتوجيهه التوجيه الديني الصحيح..؟!

الموضوع واقترح فيها ما أرى من الوسائل التي تجعل جيش رجال الدين على صلة أوثق بالشباب ، مما يمكن لهم من أن يقوموا بخدمة أبناء الجيل الصاعد ويحميهم من الانحرافات ويمكنهم من أن يسيروا في طريقهم على ود موصول بالعلماء والفقهاء ..

وكتبت المذكرة وقدمتها له ، ولا أدرى الى يومي هذا ماذا فعل الله بها ، ولكني سألت الوزير بعد أن غادر الوزارة فقال لي وهو يبتسم : أصحابنا لم يرضوا عنها ولا عما ذكرت فيها ، لأنهم لا يحبون أن يتدخل في شئونهم رجل ليس منهم ، انهم يعتبرون مثلي ومثلك غرباء أو دخلاء ..

***

ولكن المسألة تعود الى ذهني بين الحين والحين ، وكلما ذهبت الى المسجد للصلاة رأيت شبابا مؤمنا يصلي ،ولكني لم أجد قط شابا راضيا عما يقول معظم رجال الدين في الخطب . وفي ذات مرة في الصيف الماضي وفي أحد مساجد الاسكندرية أحب شاب أن يناقش الفقيه فيما قال بعد الخطبة والصلاة وكنت في المسجد عندما تقدم الشاب يسأل الشيخ فوجدت الشيخ يتكلم ويطيل ، ولكنه لا يجيب قط عما سأله فيه الشاب . انه يلقى عليه حديثا مكرورا محفوظا لا يخرج الشاب عن الحيرة التي هو فيها ، ولا هو يعطيه جوابا عن السؤال الذى ألقاه .

وأغرب ما حدث أن الشيخ فرغ من الكلام مع الشاب ثم قال له : والآن دعنا الى ما هو أهم ، ثم التفت الى رجل كان جالسا في انتظار الشيخ وقال له : والآن قل لي يا فلان : هل تم التراضي بينكما بما اقترحته عليك ؟

ـ لا يا سيدى الشيخ ..

وأخذت بيد الشاب الذى أراد أن يستفتي الشيخ ، وجلست معه جلسة طويلة حاولت أن أجيبه فيها عما يحيره وانصرف عني راضيا فيما أظن .

وقلت لنفسي : الى من يتوجه هذا الشاب يلتمس التوجيه الديني الصحيح؟ من أبيه وهو بقال لا علم له بشئون الدين .. أم من أمه وهي لا تقرأ ولا تكتب .. أم من امام المسجد وهذا هو موقفه منه وتلك هي حاله معه !.

وليست حالة هذا الشاب فريدة في بابها ، بل هذه هي حال جميع الشباب فيما يحزبهم من أمور الدين والدنيا ، لا يجدون قط من يوجههم ويرشدهم أو يعطيهم جوابا نافعا عن أى مشكلة من المشاكل التي تحتاج الى رأى رجل عارف بشئون الدين وأحوال العصر ومشاكله ومتاعب الشباب فيه ...

الخيط المقطوع بين التوجيه الديني والشباب

لان الحقيقة ان الحبل مقطوع بالفعل بين الشباب ورجال الدين ..

***

وقد رايت ان من واجبي ـ كرجل من رجال الفكر وواحد من العاملين في ميدان الدراسات الاسلامية ان اثير هذا الموضوع ..

ان لدينا آلافا من الشيوخ الذين تخرجوا ويتخرجون في الكليات والمعاهد الازهرية ، وما يجري مجراها ، وهؤلاء جميعا يحتلون وظائف تستطيع ان تسميها دينية ، ما بين اعضاء في هيئات التدريس ، او في معاهد البحوث الدينية أو في المساجد ووزارة الاوقاف.

فماذا يفعل هؤلاء الالوف لخدمة الشباب وتوجيهه التوجيه الديني الصحيح ؟

واذا كانت قد نشأت جماعات من الشباب شديدة التعصب منحرفة عن النهج الاسلامي القويم ، حتى أن بعض افرادها مالوا الى الاجرام وروعوا الناس بما فعلوا وبعضهم الآخر يندرج في جمعيات دينية أشبه بالسرية ، وهذه الجمعيات تقوم باعمال تضر بمصالح البلاد ، ولا أريد أن أذكر وقائع فالامر معروف .

فهل عنيت مشيخة الازهر مثلا بعمل دراسة حول العلاقات بين الشباب ورجال الدين ...

أو هل عنيت بعقد الندوات وعمل الدراسات الميدانية والاستبيانات عن مشاكل الشباب واتجاهات الشباب ، حتى يعاونوا الشباب الحائر على العثور على الطريق القويم ..

الذي اعلمه ان ما يفعلونه الى الآن ، هو الاستنكار وصب اللعنات على المنحرفين وما أيسر صب اللعنات على من لاترضى عنهم القلوب .

كان ينبغي على الازهر ووزارة الاوقاف ومجمع البحوث الاسلامية ، أن يقوموا بدراسات ميدانية يستطلعون بها موقف الشباب من الدين ، ويتعرفون على المصادر والأصول التي يأخذون منها علمهم الذي يؤدي بهم الى الانضمام الى تلك الجمعيات وما الذي يجعل الكثيرين منهم ضحايا المشعوذين ..

وكنت أرجو أن يقوم الازهر ومجمع البحوث بتكليف رجالهما المنتشرين في كل مكان بالاتصال بالشبان على كافة المستويات واستطلاع آرائهم وكسبهم الى جانبهم حتى لا تتكرر مآسي الانحرافات ..

اما ان يقف شيخ أزهري جليل بين يدي السيد الرئيس ويقول ان المنحرفين قلة لا تذكر ولا يؤبه لها ولا داعي للقلق من ناحيتها ـ فامر يدل على بعد عن فهم طبائع الحركات الخطرة الهدامة .

فهي دائما تقوم على أعداد قليلة جدا من الافراد ..

ولكن هذه الاعداد مهما قلت ، شديدة الخطورة نظرا لنشاط افرادها ، فهم في الغالب اما من المتهوسين أو من المأجورين والفريقان في الضرر والشر سواء ...

واذا كانت هذه القلة تضرب على وتر الدين في بلد شديد الحساسية لشئون الدين ، فالأمر يدخل في دور الخطورة دون أدنى ريب .

***

ولماذا لا يدرب نفر من أولئك الشيوخ للتخصص في شئون الشباب وطرق الحديث الى الشباب ..

ولماذا لا تنظم الامور من هذه الناحية بحيث تكون هناك ساعات للشباب في المساجد ، ويجلس الشيوخ ويستمعون

الى ما يقول الشبان ويوجهونهم التوجيه الصحيح ...

ولماذا لا ينشر مجمع البحوث دراسات عن الشباب وعلاقاتهم بالدين ورجال الدين ومشاكل المجتمع حتى نعرف أين نحن والى اين نسير ..

لا شيء من هذا على الاطلاق ..

وانما الذى نسمعه ان الشيوخ يطالبون بزيادة حصص الدين فى المدارس ، وبانشاء وظائف تدريس لشئون الدين فى الجامعات ، اى ان الامر ينتهى الى طلب وظائف .

ومن المعروف لدينا جميعا ان التلاميذ فى المدارس لا تجتذبهم دروس الدين ، لا نفورا من الدين بل نفورا من الطريقة التى تدرس بها مادة الدين ..

وقد اشتغلت بالتدريس زمانا طويلا، فما عرفت من مدرسى مادة الدين الا القليلين الذين يستطيعون اجتذاب انتباه الصغار والحديث اليهم فى هدوء .

ولم أر فى حياتى من الشيوخ من يستطيع القاء درس فى الدين يجتذب القلوب ويؤثر فى الافئدة ، الا نفرا قليلا جدا .. اذكر منهم المغفور له الشيخ عبد الحليم محمود ، والشيخ متولى الشعراوى ، والشيخ عبد المنعم النمر وزير الاوقاف ، والشيخ عبد الرحمن بيصار شيخ الازهر .. وكل من هؤلاء محسن اذا تكلم ومحسن اذا كتب ، وكلامهم يجد مدخلا سهلا الى نفوس الشباب وغير الشباب ، ومن هنا فعليهم واجب ربط الخيط الذى انقطع مع الشباب .

ولم اقرأ من الكتب التى الفت فى العقيدة فى ايامنا هذه الا كتابا واحدا استطيع أن اقول ان كلامه سهل المدخل قريب من القلوب الا وهو كتاب المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت .

وما عدا هذا من الكتب التى الفها الشيوخ فى موضوع تقريب العقيدة والشريعة من نفوس القراء فلا يكاد يحظى على قراءته أحدا ، لا شابا أو غير شاب ، ثم هو بعد ذلك جد قليل ..

***

وبهذه المناسبة اذكر أننى قرأت من سنوات كتابا قيما جدا يسمى المدينة غير المقدسة ، أى المدينة التى خرجت عن نطاق الدين تاليف هارفى كوكس ، يتحدث فيه عن ازمة رجال الدين فى الغرب ، ويقول ــ وهذا واقع ــ « انهم فقدوا دورهم هناك ، وأن الشباب والكهول قد انصرفوا عنهم ، وأنهم لذلك ينبغى أن يوجدوا لانفسهم دورا جديدا فى حياة المجتمعات المسيحية المتطورة »..

لقد اثار هذا الكتاب عاصفة من الخوف فى قلوب رجال الكنائس فى الغرب ، لأنه صور فى صراحة بالغة ازمة رجال الدين والكنائس فى الغرب حيال عالم يخرج من ايديهم (لا من ايدى الدين) يوما بعد يوم ..

اخشى أن تكون هذه الازمة قائمة هنا ونحن لا ندرى .. لان الخيط بين رجال الدين والشباب لا يكاد يرى اليوم ...

والموقف الذى يقفه معظم الشيوخ هو موقف قريب من عدم المبالاة ، لأنهم مطمئنون الى وظائفهم بل ان هذه الوظائف كل يوم فى زيادة .

ولكن هناك فرقا جسيما بين .. « الوظيفة » و « الدور » فالوظيفة درجة مالية لا تعنى الا صاحبها ..

اما الدور فهو المهم ، لان رجال الدين مثلهم فى ذلك مثل أساتذة الجامعات .. موظفون ينبغى ان يكون لهم دور فى الحياة ..

وبدون هذا الدور لا يصبح للوظيفة فى ذاتها اى معنى الا الراتب الذى يتقاضاه صاحبه من الدرجة وهذا فيما اعتقد لا يرضى الشيوخ

إلى شبابنا الباحث

رحمك الله يا جيل الحفاظ

● محمد عبد الغنى حسن ●

اذا كنا قررنا فى مقال سابق ان حفظ الجيد من نصوص الشعر والنثر يقوى الملكة الادبية ، ويقيم اللسان على اصح الوجوه وابلغها ، افلا يحق لنا ان نتساءل اليوم : كيف صار الأمر إلى ان قلت الرواية الأدبية او كادت تندثر ؟ وكيف انتهى بنا الحال اليوم الى ان حفظ بيت من الشعر لشاعر او مقطوعة شعرية له كاد يكون امرا معدوما بين ادبائنا وباحثينا الناشئين ؟

ورحم الله زمانا كنا نتسابق فيه ـ فى الكتاتيب والمدارس والمعاهد العالية ـ فى حفظ نصوص جيدة كثيرة من الشعر والنثر ! وكان كتاب مثل « مجموعة من النظم والنثر للحفظ والتسميع » ـ الذى احسن رجال من وزارة المعارف وقتئذاك اختياره ـ يوزع علينا فى المدارس ويكاد يحفظ كل طالب منا ما اشتمل عليه من شعر ونثر .

وكذلك كانت كتب : « مجانى الادب » للاب لويس شيخو اليسوعى، و « جواهر الادب » للشيخ احمد الهاشمى ، و « معراج البيان » للشيخ علام سلامة ، وغيرها من كتب المختارات والنصوص الادبية

أما الكتب الامهات فى الأدب ، كالعقد الفريد ، والكامل ، والأغانى، والأمالى ، ونهج البلاغة ، والمقامات: حريرية او همذانية ، فقد كنا نقتنيها ـ للحفظ لا للزينة ـ وكانت قوانا الحافظة والذاكرة لا تعيا بالقرآن الكريم كله محفوظا ـ ومجودا فى بعض الاحيان ـ وبطائفة كبيرة من الحديث النبوى تطبعها « وزارة المعارف » وتوزعها علينا ، ويختبرنا المعلمون ـ رحمهم الله ـ فى استظهارها .

ومن هنا كان جيلنا سمينا غير هزيل ، وإن كنا أقل من أجيال من سبقونا فى القرن التاسع عشر الميلادى والعقد الأول من القرن العشرين ..

والحمد لله الذى أعاننا بحفظ القرآن الكريم فى « المكاتب » او « الكتاتيب » على حفظ كثير من الحديث النبوى ، ونصوص الأدب . فما أرهق كتاب الله حوافظنا ـ كما كان يظن ـ ولكنه شحذها وفتح شهوتها للحفظ الجيد من رياض الأدب شعره ونثره .

ولقد كان حافظ القرآن الكريم من ظهر قلب ـ ولا يزال على ندرته ـ يسمى « حافظا » كما كان ذلك شأن الحافظ للحديث النبوى .

***

ورحم الله زمانا كان يسمع فيه لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ضجة بتلاوة القرآن .. وكان الرسول يأمرهم بخفض أصواتهم لئلا يتغالطوا ...

واجمع كثير من المحققين وعلى رأسهم ابن الجزرى على أن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على خط المصاحف والكتب . استنادا الى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم ان النبى عليه

من أعجب الحفاظ الإمام الفقيه الوجيه "تقي الدين السبكي" والد "تاج الدين السبكي" صاحب طبقات الشافعية - العظيم.. فقد روى عنه ولده التاج أنه كان يستحضر بالحفظ كتب الحديث الستة غير ما يستحضره من غيرها من المسانيد والمعاجم والأجزاء

الصلاة والسلام قال عن ربه: «اني مبتليك، ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان » .. وما أكثر ما كان « حفاظ » القرآن الكريم في حياة الرسول ! فقد كانوا جما غفيرا ، ما بين مهاجرين وانصار .

ويسوقنا الحديث عن « حفاظ القرآن الكريم الى الحديث عن «حفاظ» الحديث النبوى ، وهو موضوع كلامنا اليوم . واذا كان كلام الله يحفظ متنا خالصا بغير سند ، فان الحديث النبوى يحفظ بمتنه وسنده محدثا عن محدث ، وراويا عن راو . وفى ذلك ما فيه من الجهد الذى لا يقوى عليه الا الاشداء .

ولحفاظ الحديث النبوى طرائق مختلفة فى حفظ الحديث ، فقد كان الحافظ المفيد « ابن الشرايحى » - من رجال القرن الثامن - لا يدانى فى معرفة الاجزاء والعوالى ، كما كان آية فى حفظ الرواة المتأخرين ، يذاكر فيهم مذاكرة دالة على حافظة باهرة ، مع حظ من معرفة الرجال المتقدمين ، وغريب الحديث ، وكان يعتمد فى ذلك كله على حفظه ، مع الاستعانة بمن يقرا له ... فقد كان - رضى الله عنه - اميا لا يقرا ولا يكتب . وقد شهد له الحافظ المؤرخ المشهور « ابن فهد المكى » بانه كان « بهذه المثابة اعجوبة زمانه فى المحاضرة اللطيفة ، والنوادر الطريفة » .

ويحدثنا « الصفدى » عن «الحافظ السروجى » فيقول : ما رأيت بعد «ابن سيد الناس » مثله : ما سألته عن شيء من تراجم الناس ووفياتهم واعصارهم وتصانيفهم الا وجدته فيه حفظة ، لا يغيب عنه شيء ..

اما الحافظ التركى « مغلطاى » - صاحب سيرة الرسول المعروفة بالزهر الباسم ، فى سيرة ابى القاسم - فكان عارفا بالانساب معرفة جيدة .. فهو لا يكتفى بحفظ متن الحديث وسنده وسلسلة رواته ، بل كان يحفظ انساب الرواة والحفاظ والمحدثين حفظا لفت اليه انظار المؤرخين .

اما الحافظ المؤرخ العسقلانى المصرى « ابن حجر » فكان يحفظ الصحيفة من « الحاوى الصغير » من مرتين : الاولى تصحيحا ، والثانية قراءة فى نفسه ، ثم يعرضها حفظا فى الثالثة .. ويذكر عن الحافظ «المزى» انه كان يفوق الحافظ المؤرخ الذهبى ، والحافظ تقى الدين السبكى فى اسماء رجال كتب الحديث الستة. اما الذهبى فكان متفوقا فى حفظ اسماء رجال الحديث من بعد الستة ، والتواريخ والوفيات .. اما الحافظ تقى الدين السبكى فكان متفوقا فى حفظ العلل والمتون ، والجرح والتعديل .

***

واذا كان بعض باحثينا ومؤلفينا اليوم يضيق بحفظ الآية او السورة القصيرة من القرآن ، ويعجز عن رواية حديث واحد من احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وربما بحفظ بيت او بيتين من الشعر - هذا مع اهمال نسبة الشعر الى اصحابه كما كان يفعل رواة الادب ، وكما تفعل بقية الرواة من ادبائنا اليوم ! - فان عالما « كابن المرحل » - او ابن الوكيل - المتوفى سنة ٧١٦ هـ كان - كما يذكر النعيمى - صاحب الدارس فى تاريخ المدارس - يحفظ

متونا كثيرة ، نحفظ « المفصل » للزمخشري في مائة يوم ، وحفظ مقامات الحريري في خمسين يوما ، وديوان المتنبي في جمعة واحدة ..

وذكروا عن الامام الفقيه «ابن تيمية» انه كان يورد من حفظه في المجلس نحو كراسين أو اكثر ، لا يقرأ من كتاب ، بل يملي من صدره .. ومن عجائب الحفظ بين رجال الحديث والفقه ان « بدر الدين بن الشريشي » المتوفى سنة ٧٧٠ هـ كان ـ كما يقول النعيمي ـ يستحضر كتاب الفائق للزمخشري ، والصحاح للجوهري ، وكتب الجمهرة ، والنهاية في غريب الحديث ، وغريب ابي عبيد ، والمنتهى في اللغة للبرمكي ـ وهو أكثر من ثلاثين مجلدا .. ولم يصدق معاصروه ذلك فامتحنوه في مجلس حضره أعيان دمشق ـ اعني اعيان الادب لا اعيان الذهب ـ فنجح في الامتحان سنة ٧٦٣ هـ .

ومالنا نذهب بعيدا عن اصحاب الحديث ، فقد ذكر المستشرق « جولد تسيهر » ، ونقلها عنه المستشرق « آدم ميتز » في «الحضارة الاسلامية في القرن الرابع » ان قاضي الموصل كان يحفظ مائتي الف حديث عن ظهر قلب ! .

على أن من اعجب الحفاظ الامام الفقيه الوجيه « تقي الدين السبكي » ـ والد تاج الدين السبكي صاحب طبقات الشافعية العظيم ـ فقد روي عنه ولده التاج ـ وهو صادق صدوق ـ انه كان يستحضر بالحفظ كتب الحديث الستة ، غير ما يستحضره من غيرها من المسانيد والمعاجم والاجزاء. ويشهد ولده كذلك انه كان يحفظ كتاب « الام » للامام الشافعي ، و « مختصر المزني » وأمثالهما . وكان يحفظ « المحصول » للامام فخر الدين الرازي ، و «الاربعين» له ، و «المحصل» عن ظهر قلب .

وما أصدق ولده تاج الدين وهو يقول عنه بنص عبارته في « الطبقات »: (واما استحضاره لأبيات العرب وأمثالها ولغتها فأمر غريب . لقد كانوا يقرأون عليه « الكشاف » ـ للزمخشري ـ فاذا مر بهم بيت من الشعر سرد القصيدة ، غالبها او عامتها ، من حفظه، وعزاها الى قائلها ، وربما أخذ في ذكر نظائرها ، بحيث يتعجب من يحضر) ..

وكان يستحضر «الكتاب »لسيبويه، و « المقرب » لابن عصفور استحضارا عجيبا . ونعود الى ولده التاج مرة اخرى ليقول عن أبيه : (**واما حفظه لشوارد اللغة فأمر مشهور . وكنت انا اقرأ عليه في كتاب «التلخيص» للقاضي جلال الدين ، في المعاني والبيان ، انا وآخر معي ، ولم يكن فيما أظن وقف على التلخيص قبل ذلك ، وانما اقرأه لأجلي ، وكنا نحكم المطالعة قبل القراءة عليه ، فيجيء فيستحضر من « مفتاح السكاكي » وغيره من كلام اهل المعاني والبيان ما لم نطلع عليه نحن ، مع مبالغتنا في النظر قبل المجيء ، ثم يوشح ذلك بتحقيقاته التي تطرب العقول**) ..

ولا يستكثرن قارىء على قاضي الموصل ـ الذي ذكره «ميتز »نقلا عن « جولد تسيهر » ـ أن يحفظ مائتي الف حديث نبوي ـ اي ربع مليون بلغة اليوم ـ فان الامام الفقيه الحافظ المحدث (احمد بن حنبل) كان يحفظ ـ كما يذكر جرجي زيدان ـ نحو مليون حديث ، دون منها في مسنده المشهور نحو نصفها ..

***

ولا يسبقن الى الظن أن « حافظ » الحديث او الأئمة المشهورين «بالحفاظ» كانوا يقفون بالحفظ عند حد الحديث النبوي ، فقد امتد مجال حفظهم الى فنون أخرى من العلم غير الحديث . كما انبسط مدى ملكاتهم الى اللغة والشعر والادب. فالامام الحافظ « ابن سيد الناس » المتوفى سنة ٧٣٤ هـ كان ـ كما يذكر السيوطي في ذيله على «طبقات الحفاظ» ـ اماما في الحديث ، ناقدا في الفن خبيرا بالرجال والعلل والاسانيد ، عالما بالصحيح والسقيم ، أديبا ،

وشاعرا ، بارعا متفننا فى البلاغة ، ناظما ناثرا مترسلا ..

وكذلك كان الحافظ المصرى « تقى الدين السبكى » كما راينا من قبل ، اما الحافظ « ابن رشيد السبتى » فكان — كما قال لسان الدين بن الخطيب — اماما مضطلعا بالعربية واللغة والعروض ، فريد دهره عدالة وجلالة وحفظا وادبا ، فقيها ذاكرا للتفسير ، ريان من الادب ، حافظا للاخبار والتواريخ ..

وكان المؤرخ الحافظ « ابن كثير » صاحب (البداية والنهاية) اعرف الحفاظ لمتون الاحاديث ، واحفظهم لتخريجها ورجالها ، وصحيحها وسقيمها ، وقد نظم الشعر ، وشارك فى العربية مشاركة جيدة — كما يذكر عنه النعيمى فى « دارسه » ، وكذلك كان الحافظ المؤرخ « الذهبى » صاحب « تاريخ الاسلام » المشهور ، فقد كان حافظا مؤرخا ، فقيها ، لغويا ، قارئا ، مصنفا .

وما اكثر حفاظ الحديث الذين كانوا يحفظون الشعر ويروونه ويعزونه الى اصحابه فى غير خلط ولا تلبيس ، وينظمون الشعر سواء اكان جيدا ام وسطا ! فقد كان الحافظ ابن كثير يحفظ الشعر وينظمه ، وكذلك كان الحافظ زين الدين النابلسى ، شيخ دار الحديث النورية بدمشق والمتوفى سنة ٦٦٣ هـ ، ومن شعره فى الشوق الى صديق بغدادى :

ايا حسرتا انى اليك — وان نات
ركابى الى بغداد ما عشت تائق
ولو عنت الاقدار قبلى لماشة
لما عاقنى عن حسن وجهك عائق

وكذلك كان الحافظ « تقى الدين السبكى » ، ولو ان شعره كان عليه مسحة من اشعار الفقهاء ! وهو فى هذا على الضد من ولده الحافظ المؤرخ تاج الدين — صاحب طبقات الشافعية — الذى كان ناقدا بصيرا بالشعر ، وكان صديقا حميما للشاعر المصرى : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدى — صاحب الوافى بالوفيات — وكانت بينهما مطارحات ، ومفاكهات طيبة ..

ولعل الحفاظ — وخاصة الشافعية منهم — كانوا يصدرون فى رواياتهم الشعر ونظمهم له عن شيخهم واستاذهم الامام الحافظ « الشافعى » — رضى الله عنه — فقد روى له الرازى فى « المناقب » شعرا غير قليل ، الى حد ان التاج السبكى قال عنه : (ولا معنى للاكثار من ذكر شعر الشافعى رضى الله عنه ، وهو شىء قد طبق طبق الارض ، وخلق رداء ليلها المسود ، ونهارها المبيض) ..

وليس بغريب أن يكون بعض حفاظ الحديث النبوى غير شعراء ولا لهم بالشعر بصر .. فان الشعر موهبة يهبها الله لمن يشاء ، وقد يخلى منها حافظا مهما كان حفظه ، لقد كان الحافظ « ابن الغرابيلى » — من رجال المائة التاسعة بمصر — ماهرا فى الفنون الا الشعر ، كما يقول عنه الامام السيوطى فى ذيله على طبقات الحفاظ .

ولم يخل قطر عربى أو اسلامى حتى القرن الحادى عشر الهجرى من حفاظ الحديث فيه ، لكل قطر حافظه الحجة الموثق فى كل عصر .

ولم يختلف فى ذلك مغرب عن مشرق ، ولا تخلفت الاندلس عن مصر والشام والعراق والجزيرة العربية ، فهناك « ابن ظهيرة القرشى » حافظ الحجاز ، وهناك حافظ الشام : ابن حجى ، وهناك « نجم الدين النحلى » حافظ الشام بعد الحافظ المؤرخ الامام الذهبى ، وهناك « ابن عساكر » المؤرخ المحدث حافظ الشام . وهناك الحافظ العراقى : « عبد الرحيم بن الحسين » المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وقد احتضنته مصر الى أن توفى فيها .

وهناك « ابن حجر » المؤرخ حافظ الديار المصرية ، كما كان قبله الحافظان السبكيان المصريان : تقى الدين وولده تاج الدين . وهناك « ابن الخياط » حافظ البلاد اليمنية المتوفى سنة

٨٣٩ هـ . وهناك حافظ المغرب « ابن سيد الناس » ، وهناك حافظ الاندلس « أبو حيان » صاحب « البحر المحيط » و « شرح التسهيل » وغيرهما ، وقد احتضنته مصر الواسعة الصدر زمانا طويلا الى ان لقى فيها وجه ربه سنة ٧٤٥ هـ ..

وقد اضاف المؤرخون ورجال الطبقات الى حفاظ الحديث النبوى اوصافا تدل على شمول « حافظيتهم » وامتدادها الى العصر كله بغض النظر عن القطر العربى الذى ينتمون اليه ؛ فهناك « حافظ الوقت » الذى اطلق على « زين الدين المصرى » ، و « حافظ زمانه » الذى اطلق على الحافظ « صلاح الدين ابن كيكلدى » المشهور بالعلائى — وقد اطلق عليه ايضا : (حافظ المشرق والمغرب) .

وهناك « حافظ العصر » الذى كان يطلق على الحافظ « زين الدين العراقى » ...

***

واذا كانت كتب رجال الحديث وطبقات الحفاظ لم تسجل لنا اسم « حافظة » من النساء ، فان هناك كثيرا من النساء « الراويات » و « المسندات » ، من امثال المسندة (رقية ابنة يحيى بن مزروع) المتوفاة بالمدينة المنورة سنة ٨١٥ هـ ، والمسندة (سكينة بنت على السبكى) المتوفاة بالقاهرة سنة ٧٧٦ هـ ، والمحدثة الراوية (امة العزيز بنت الحافظ اليونينى) المتوفاة ببعلبك سنة ٧٤٥ هـ .

واذا كان آخر العهد بحفاظ الحديث النبوى قد انتهى — عند المؤرخ الحافظ المصرى (الامام السيوطى) صاحب « حسن المحاضرة » وغيره من الكتب الكثيرة ، والمتوفى سنة ٩١١ هـ ، وعند الامام الحافظ المؤرخ صاحب « الضوء اللامع » فى اعيان القرن التاسع » والمتوفى سنة ٩٠٢ هـ — كما يقول الشهاب الخفاجى فى شرحه للشفاء ، فانا لنرجو الا يكون « الحفظ » — جملة — قد انتهى بانتهاء تلك العهود الزواهر .

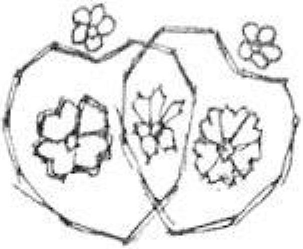
واذا كانت « المطبعة » مسئولة الى حد كبير عن زوال الحفظ وعهوده النواضر ، فانا لنرجو ان يبصر الله علماءنا وباحثينا ، والشداة من ادبائنا وشعرائنا بقيمة « الحفظ » واثره فى تكوين الشخصية العلمية ، حتى لا نجد من يعجز عن رواية حديث لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، او رواية بيت شعر ، مما يعد ذخيرة غاليةمن ذخائر تراثنا العظيم

موعد !

حدثتها عما الاقى فى الهوى
من لوعة وطلبت منها موعدا
قالت : غدا ونتبعثر فسامحر
حتىمتى قول الليحالى:غدا»

البحترى الصغير
« عمر شاهين »

في مجلس الأحباب..



• مصطفى عوض الله بشارة •

زالَ الجفـــاءُ وعادت الأفراحُ

والقلبُ مفتونُ الرؤى خفّـــاقُ

وتعانقتْ في القربِ أحلامُ الهوى

وتزاحمتْ من فيضـها الأشـواقُ

وتمازجتْ مهـجٌ تحنُّ وأنفسٌ

في مجلسٍ يغمرهم اسـتغراقُ

واذا الهوى زادَ اللهيب تأججـاً

وتسـامرَ الأحبابُ والعشّاقُ

سُعداءُ قد نعموا بساعة وصلهم

أنسـاً ونجوى ، حفّهم اشراقُ

الـشكلُ مبتهجٌ وصبٌّ هائمٌ

متـأملٌ كم هـدّه الارهاقُ

وهـواهُ في وجـدانه متدافعٌ

جمُّ المشـاعرِ ، صادقٌ دفّاقُ

وبنظرةٍ .. خفقَ الفؤادُ محييـاً

بسـماتهِ .. وتمايلتْ أعنـاقُ

قد عاد عهدُ الحبِّ وارتحل النوى

بلقائهم .. وتضـوعتْ آفاقُ

وكأنَّ صادحة الطيورِ اذا شـدتْ

طربتْ لها الأغصـانُ والأوراقُ !

مع الدكتور زكى نجيب محمود:

حوار مساحته الزمنية نصف قرن

● محمد سعيد ●

●● صدر فى الفترة الاخيرة احدث كتاب للمفكر المشتغل بالفلسفة الدكتور زكى نجيب محمود «مجتمع جديد او الكارثة» . والمسافة الزمنية بين تاريخ صدور هذا الكتاب ، وأول مقال منشور للدكتور زكى نجيب محمود تمتد الى نحو نصف قرن من الزمان .. تحفل سنواتها بالكثير من الافكار والآراء والمواقف لمفكرنا الكبير ، نحاول فى هذا الحوار ان نستوضحها ولن نقف امام ابرز العلامات منها وقفة مناقشة وتأمل مع صاحب «الوضعية المنطقية» اكثر كتب مفكرينا اثارة للجدل والحوار والرفض والقبول ..

● قلت له فى البداية : قبل أن تبدأ معرفة الناس بك كاتبا للمقال الفلسفى والادبى على النحو الذى ظهر فى مجموعة مقالاتك «جنة العبيط او فن المقال» الذى ظهرت بشائره منذ نحو خمسين عاما . . كيف اسهمت الظروف الخاصة والعامة فى تكوين فكر زكى نجيب محمود ؟

ويرد فى حضور ذهن يدهش من يتابعه رغم استدعائه لخواطر قديمة :

لأن الانسان كما يقال إجتماعى بطبيعته لا يعيش مفردا ، ولهذا فهو يعيش مؤثرا متأثرا .. والتحديد يرجع بنا الى من اثروا فى تكوينى وأولهم الوالد والوالدة .. من الوالد اخذت طموح الدراسة لأنه لم يكن يرضى بأقل من التفوق الشديد ، ومن الوالدة اخذت الأخلاق اى المعنى الواسع الذى يعنى رد الفعل للمواقف ، فقد تعلمت منها اخلاقية التواضع والابتعاد عن الأضواء والاكتفاء الذاتى الى حد مختلف عن الآخرين ، اى بمعنى الرضا بالقليل .

وفى محيط الدراسة يؤسفنى أن اقول اننى لم أتأثر بالقدر الكافى من اساتذتى الذين درسوا لى ، بقدر ما تأثرت بالمفكرين ممن قرأت لهم ، فلم يصادفنى مدرس يشحننى بالعدوى العلمية ، بعكس من قرأت لهم مثل المفكرين المعاصرين وعلى رأسهم برتراند راسل الذى اخذت عنه بعض



الدكتور زكى نجيب محمود

افكاره كجراة الهجوم على الاخطار وتغتبتها ؛ والافكار تكون وراء هذه الأخطار ، فالحروب مثلا فكرة تحتاج الى تحليل فكرتها قبل الاقتناع بها . وهذا يعنى أننى تأثرت بمدرسة التحليل الانجليزية .

وعلى المستوى العربى للانتاج الثقافى العريض فى العشرينات ، تأثرت بالدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، والدكتور محمدحسين هيكل ، وكان طه حسين فى خيالى النموذج الذى تصورته ، وهذا لايعنى اننى اقترب منه او اشبهه ، ولكنه النموذج الذى شغل حياتنا الثقافية طويلا ومنذ العشرينات .

●● بدا الدكتور زكى نجيب محمود حياته العملية قبل اقتحام مجال البحث الفلسفى فى التدريس وله راى معروف عن بنية التعليم ومنهاجه عندنا .. وقد ذكرته به لاعرف مدى تمسكه بهذا الراى بعد السنوات الطويلة ، ورايه فى التعليم يقول : « أدركت القصور الشديد فى طريقة تربية اولادنا لاننا نخرجهم حفظة مادة علمية وليسوا مفكرين او قادرين على الابتكار من خلال التفكير » ..

●● ويقاطعنى الدكتور زكى نجيب محمود : « اننى إزددت إيمانا بهذا الراى ، واستطيع ان اقول ان الفترة التعليمية الماضية كانت افضل ، فكان الكثير من الحفظ والقليل من التفكير والابتكار الى حد ما . وفى الفترة الاخيرة كثر الطلاب كثرة هائلة ووجدوا عناية اقل من مدرسيهم ، ولذلك أصبح التلميذ يواجه المادة مباشرة فى بيته ، فلم يعد امامه سوى أن يحفظ المكتوب على الورق .

والجامعة لا تتميز عن المراحل الدراسية السابقة عليها إلا فى ضرورة تغيير البنية العلمية ، فالجامعة لاتكون جامعة إلا إذا إنتقل الطالب من مادته إلى باحث .. فالعلوم الانسانية عملها الاساسى البحث فى المكتبة ... وفى العلوم الطبيعية العمل الأساسى المكتب والمعمل . وبغير هذا يصبح التعليم العالى إمتدادا للمدرسة الثانوية وليس تعليما جامعيا !

●● وكيف ترك الدكتور زكى نجيب محمود التدريس الى مجالات البحث الفلسفى ؟

يجيب صاحب الوضعية المنطقية :

« إنها ميول خاصة وجدت عندى منذ الشباب المبكر ، وانا أذكر اننى فى سن السابعة عشرة وقعت على كتاب انجليزى فى « **سلسلة بن** » وكان عن **سقراط وارسطو وافلاطون** . ولما قرأت

هذا الكتاب احسست ان مثل هذا التفكير هو الذى خلقنى الله له ؛ لان القراءة الفلسفية وتتبع المعاني الفلسفية يحتاج الى عقل قريب من العقل الرياضي ، لانه يبحث فى مجردات مشتقة من الجزئيات التفصيلية ، فهناك ثلاث درجات من التفكير ، درجة تتعامل مع الاشياء كما هى على ارض الواقع ، ثم درجة التعميمات لما يشاهد من جزئيات على ارض الواقع ، ثم درجة تعميم القوانين العلمية فى مبادىء فلسفية ، ويكون بعد العلاقة بين التعميم من المجرد الكبير الى الجزئيات .. والصبر على هذا التجريد يتطلب نوعاً خاصاً من الاستعداد ، وقد كان عندى .

●● قلت للفيلسوف صاحب مئات المقالات الادبية القيمة .. لكنك جمعت بين الاشتغال بالفلسفة والكتابة الأدبية .. هل وجدت فوارق بين الادب والفلسفة ؟

ـ يقول الدكتور زكى نجيب محمود : الأدب والفلسفة يختلفان إختلاف النقيض عن النقيض فى صفة عامة اذا كنا ننظر للفلسفة بالمعنى اليونانى ، وهو المعنى الذى اخذه فلاسفة العرب ، علما بانها تجريدات مستقاة من وقائع الحياة .. نعلى حين ان الفلسفة تمعن فى التجريد ، يمعن الأدب فى التخصيص فمقياس مدى النجاح فى العمل الأدبى هو فى السؤال : إلى أى حد خلق شخصيات متفردة ومتميزة ؟

ومن الغريب ان الادب عندما يصور لنا شخصيات يصورها بحيث تتفرد ، ولكن تصبح نموذجا ، مثل « هاملت » فلا يوجد رجل يطابق هاملت ، فهو فريد ، ولكن فى ذات الوقت هو نموذج استطيع معه أن اقول ان كل مثقف هاملتى الى درجة كبيرة او صغيرة ، لأنه يميزه التردد والنظر الى المسألة من وجهيها ؛ فالأدب يمعن فى تخير الجزئيات المميزة والتى لا تكرار لها .. .

ان الفلسفة استمرار للعلم ، اى استقرار القوانين والمبادىء العامة ، ولكن هناك ضربا آخر من الفلسفة شاع عند **كونفوشيوس وبوذا** ، وشاع عند الحكماء مثل **ابى العلاء المعرى** . امثال هؤلاء الناس لا يلجأون الى الفلسفة بالمعنى المجرد عند **افلاطون وابن رشد** ، إنما يضعون خبراتهم مكثفة فى كلام ، فتصبح فلسفة من حيث هى تعميم ، لكنها قريبة الى الادب من حيث هى خبرة بشرية مكثفة

فالاجابة عن السؤال أن الادب والفلسفة يتقاربان اذا كانت الفلسفة من حيث الخبرة عند الحكماء ويتباعدان اذا كانت من حيث فلسفة التجريد .

●● هل تعتبر كتابك او مجموعة مقالاتك « جنة العبيط » مجموعة ادبية ام دراسات تقترب من الفلسفة والأدب على النحو الذى اوضحته فى التقارب والتباعد بين الفلسفة والأدب؟

ـ جاء كتابي متأخرا لصدوره عام ١٩٤٧ ، والحقيقة أن المقاله الأدبية بالمعنى الحديث لم تكن معروفة فى الأدب العربى إلا إذا رجعنا للمقامات او رسائل الجاحظ مثلا ، لكننى تأثرت فى فن المقال بالاديبين الانجليزيين «اديسون» و « ستيل » وكانا معا يشتركان فى نشر مجلة خاصة للمقالات الأدبية ، وكانت النموذج عندى للمقالة اذا أريد لها أن تكون أدبية .

●● قلت للدكتور زكى نجيب محمود : اصبحت معروفا فى مجال الفلسفة والأدب منذ نهاية الثلاثينات ، من تعتبرهم اشهر زملائك ممن ينتمون معك الى نفس جيلك ؟

ـ كثيرا ما أتحير فى نفسى : فى اى جيل اضع نفسي .. فلا يمكننى ان اكون فى جيل **العقاد وطه حسين والمازنى والحكيم** وغيرهم ، وكذلك لا يمكننى ان اضع نفسى فى جيل **يوسف ادريس وصلاح عبد الصبور** .. لكننى استطيع ان اضع نفسى فى



الدكتور طه حسين



برتراند راسل



عباس محمود العقاد

● الأخلاق تساوى رد الفعل للمواقف المختلفة

● معظم طلابنا حفظة مادة علمية لا يقدرون على الإبتكار والتجديد

● كل مثقف "هاملتى" بدرجة تردده ونظرته للمسألة

● أحترم الكاتب الذى يعرف الجديد فى العالم والقديم من التراث

جيل الروائى الكبير نجيب محفوظ برغم أننى أكبره فى السن ببضع سنوات ، والكاتب الكبير نجيب محفوظ درس الفلسفة وتخرج فى قسم الفلسفة بجامعة القاهرة .

●● بين جيلك وجيل أساتذتك وجيل تلامذتك .. هل تجد فروقا .. ولماذا تبدو الفجوة واضحة بين هذه الأجيال ؟.

ـ قطعا هناك فجوة بين الجيل الماضى والجيل الحاضر والجيل التالى .. فالجيل الماضى أساتذتى الذين قادوا الحركة الفكرية فى العشرينات والثلاثينات وعلى رأسهم طه حسين والعقاد والمازنى والدكتور هيكل ولطفى السيد وسلامة موسى ، ومن الشعراء شوقى وحافظ وأستاذنا توفيق الحكيم ..

هذا الجيل بنى لنا ما نسميه بالثقافة العربية المعاصرة ، لأنهم إنطلقوا وكان كل منهم يبحث عن حرية جديدة وضرب جديد من التحرر يصفه فى كتبه فى الشعر والتعليم والسياسة والفكر والادب ، وكان السبيل الى هذا اجادة التعامل مع التراث والتزود بلغة أجنبية ، بمعنى وجود خطين .. ماذا يقول العرب المسلمون ؟.. وماذا تقول أوربا ؟

وحدثت الفجوة الآن لأن الشباب اليوم لا يستطيع أن يقرأ التراث قراءة واعية ، ولا يستطيع أن يتابع الفكر الأجنبى بلغة عالية ، مما أدى الى الفقر الشديد فى الخبرات برغم وجود المواهب ، مما يوضح البعد الواضح بين جيل الرواد والأجيال الشابة برغم ايمانى بأن كل حلقة من التاريخ الفكرى تستند على الحلقة السابقة ، ولا بد للأديب والفيلسوف والفنان أن يستند على القديم قبل أن يقدم جديدا ، ولهذا احترم من الأجيال التى جاءت بعد جيلنا الشاعر صلاح عبد الصبور ، والروائى يوسف ادريس لهما يعرفان الجديد فى العالم بقدر معرفتهما بالقديم من تراثنا ..

●● بعد كتابك الشهير « تجديد الفكر العربى » هل لا يزال الدكتور زكى نجيب محمود متمسكا بدعوته الى تجديد الفكر العربى اليوم ؟

ـ ما زلت أعتقد أن هذا الفكر يريد تجديدا جذريا كما يقولون ، والفكرة فى غاية البساطة أننى أريد أن أكون عربيا يعيش عصره ، كيف يكون ذلك .. ؟ بالتشبع بتراث الأقدمين حتى يعكس

هذا الحس الخاص بالتذوق العربي واصب هذه القدرة المكتسبة على مشكلات عصري لا على مشكلات الاقدمين !

وهنا اتذكر المأساة التي وقعت لكتاب « الفتوحات المكية » لابن عربي وانا لا الزم اى انسان ان يكون متصوفا كما كان ابن عربي ، ولكن كيف يمكن ان نستمد من روح الآباء الاقدمين دون ان نقرأ لهم .. إن نهضتنا الحديثة تحتاج الى الواقع ، وتحتاج أيضا الى معرفة روح الاسلاف ، حتى نستمد منها الوحى لروح جديدة .

●● وهل ترى ان حركة النقد الأدبي مسئولة عن تلك النظرة الى التراث مثل مسئوليتها عن مستوى الاعمال الادبية التى تظهر فى الوقت الحاضر ؟ ..

وما هي العلاقة بين كل هذه الجوانب ؟

ـ بصفة عامة ، هناك علاقة واضحة .. لكن ما هو موقف الناقد الأدبي ، إنه يشبه دور عالم الطبيعة، مثلا هناك ظاهرة ضوء يدرسها ليرى كيف ركبت والناقد امامه عمل أوكتاب أو انتاج أدبي يجب ان يدرس مكوناته فاذا كان الانتاج عاليا إرتفع الناقد معه فى نقده، ولكن يحدث ان تخلو الساحة من الانتاج الأدبى مع وجود انسان موهوب فى النقد .. ففى هذه الحالة نراه يرتد إلى انتاج الآخرين فيغترسهم وينبه اليهم .

وفى بريطانيا هناك عمالقة ليس لهم الا نقد فنى بمعنى تصوير وتعبير وتقييم وتقديم رؤية جديدة ، ومن هؤلاء أذكر هربرت ريد ، وراسكين فى أواخر القرن الماضى .

●● كنت رئيسا لتحرير مجلة الفكر المعاصر ، ما رايك اليوم فى قيمة الجهد الذى تقدمه المجلات الثقافية والأدبية العربية المعاصرة ؟

ـ هناك الثقافة ، والكاتب ، والعربي ، والدوحه ، والفيصل ، وهناك مجلات مصورة ثقافية . وقبلهم ودون ادنى مجاملة هناك « الهلال » وفيها جهود تبذل ، وارى جهود الدكتور حسين مؤنس فى « الهلال» ومحاولة جعله مقروءا مع شيء من غزارة المادة . ولكن كما ارى ان وظيفة المجلة الادبية القوية لا تؤدى الان ، فالمجلة هى التى تنتج الناقد والكاتب الجديد .. اين يظهر الدارس والناقد والكاتب الجديد اذا لم تأخذ بيده المجلة الثقافية ..

إننى استعيد فى ذاكرتى كبار كتابنا مثل العقاد وطه حسين والمازنى وكلهم نبت فى أرض المجلات الثقافية العريقة، ولو لم توجد هذه المجلات ما ظهر هؤلاء المفكرون العمالقة ومن أتوا بعدهم .. وانا أرى أنه اذا انعدمت رسالة المجلات فى هذا المجال ، انعدم ظهور الشاب الموهوب !

●● قلت للدكتور زكي نجيب محمود وانا اتذكر فى ذهنى كتاباته : «فلسفة وفن ـ الوضعية المنطقية ـ قصة الفلسفة المعاصرة ـ قصة الادب فى العالم ـ خرافة الميتافيزيقا ـ تجديد الفكر العربي ـ المجتمع الجديد أو الكارثة » ...

قلت : لعلّ هذه علامات نجاح .. هل هناك مواطن فشل امكنك ان تتغلب عليها ؟!



توفيق الحكيم



سلامه موسى



حافظ ابراهيم

● الفكر العربي أحوج اليوم إلى التجديد الجذري
● موقف الناقد يشبه موقف عالم الضوئيات
● أعيش في شبه عزلة لا أقصدها وانما أرتاح إليها
● لم أعد أرى مبرراً في أن يتخصص الإنسان في الفلسفة

— رد المفكر الدكتور زكي نجيب محمود مبتسما في بساطة فقال : « حياتي لم تكن ميسرة ، وان ماحققته في عشر سنوات يستطيع غيري من المحظوظين ان يحققه في عام او يزيد .. فانا لم اكن حسن الاختلاط بالناس ، فلم يكن عندي فن التقرب من الناس ، والاختلاط بهم ، وجزء واضح من النجاح السريع كيف تتعامل مع الناس ، وان تعرض نفسك ، وكان هذا صعبا ولا يزال بالنسبة لي .. فانا اعيش في شبه عزلة لا أقصدها ولكن استريح اليها .. وصلتي بالناس هي ما اكتبه فقط ، وهذه بطيئة الاثر ، وهذا الصورة نوعا من الفشل لانني اكتب واكتب وأجد الكثيرين حتى كبار من كنت اظن انهم يتابعون — افاجأ بانهم لا يعرفون مما اعتبره اعظم ما كتبت !.

لكني احس صدق المثل الذي يقول ان طول المدة يوصل الى الهدف ، وانا اكتب لانني أريد ان اكتب . اما الاثر فلم يكن يهمني . وانا معك في وصفك لي بأن من يجلس الى يجد انسانا سهل التناول بعكس بعض كتاباتي ، وهذا صحيح لانني لا اتحرج في أن اكون جادا وصارما حينما اكتب ، ولهذا يحس القارىء انني ذو وجه متجهم ، وهذا عكس طبيعتي فانا انسان لا يخاف بأسه ».

إنني أود لو عادت دورة الحياة لتبدأ من جديد لكي اغير من تكويني الشخصي فلم أكن اهتم بلقاء الانسان للانسان وهو من الفرد والفني المصادر للفكر نفسه .. وبودي ان اجعل من نفسي انسانا اجتماعيا يحب الاختلاط واللقاء بالناس .. وبالنسبة لتخصصي، فلم اعد أرى مبررا ان يتخصص الانسان في الفلسفة في الوقت الذي ارى ان يضطلع بالفلسفة من هو موهوب فيها ، لكن لماذا لا يكون هذا بجانب تخصص علمي صرف ، وتغيير وجه الارض يستند الى العلم ، ولا شك ان هناك عقولا خلقها الله لكي تفلسف المادة العلمية ، كما يحدث لكثير من علماء الفلسفة في عصرنا الحاضر ، فهم اصلا علماء في الفيزياء او البيولوجيا او الرياضيات او الاقتصاديات وينظرون الى علومهم نظرة فلسفية ، وما اقدمه اليوم فلسفة العلوم التي يقوم بها كبار في العلوم والفلاسفة ، وكنت اتمنى ان اكون عالما في مجال العلوم الصرف ومفلسفا لعلمي ، لا ونجتني الله من للتة فلسفية ! ●

وحدة الثقافة في مصر

● فتحي رضوان ●

● زارتني منذ سنوات قليلة ، باحثة المانية ، وفدت الى مصر ، لتدرس جانبا غريبا في الادب المصرى الحديث ما اظن انه استوقف احدا من الباحثين المصريين او اثار عنده اهتماما .. ذلك هو الادب المستوحى من الحضارة المصرية القديمة وتاريخها ، او ادبها ، او فلسفتها ، او دينها . قصصا كان ، او شعرا ، او اناشيد وادعية .

وكنت قد كتبت وانا بعد طالب بكلية الحقوق حوارا تخيلته بين شاب مصرى ، وشاب فرعونى ، يتم بآلة ، لا تصل بين الناس الذين تفصلهم المسافات ، وانما الذين تفصلهم الازمنة .. وقد اردت بهذا الحديث ، ان اعقد مقارنة بين حياة المصريين فى ظل ما تواضعنا على تسميته بالحضارة الفرعونية ، وحياتهم فى ظل الحضارة الحديثة التى نصنعها الان ، ونطبقها ، ولا ندرى كيف نسميها .

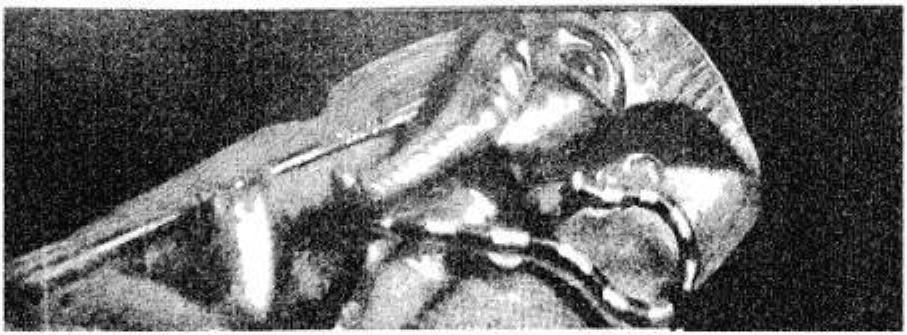
واذكر أن نشر هذا الحوار فى مجلة الرسالة كان له واقعة حال ، فقد رفض صاحب الرسالة يومذاك الاستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله نشر هذا المقال ، باعتباره لونا من السخف ، لا يمكن أن تنشره مجلة تحترم نفسها وتحترم قراءها ، ولكنه نشر .

ومضت سنوات تتلوها سنوات ونسيت كل شيء عنه ، حتى وفدت هذه الشابة الالمانية الى بلادنا ، ومعها شاب مصرى من المشتغلين بنقد الادب فى احدى المجلات الشهرية ..

وتجاذبنا فى مكتبى أطراف الحديث من الادب المصرى ، فاظهرت الباحثة الالمانية دهشتها لانها وجدت ان النصوص العربية الحديثة التى استلهمت حضارة الفراعنة وأدبهم وتاريخهم ونصوص مقابرهم الدينية والادبية ، قليلة الى ابعد حد ، حتى خيل اليها أن القطيعة بين الاحفاد والاجداد ، لم تأت عرضا ، وانما جاءت نتيجة عزم مصمم عليه .. اذ أن الامر الطبيعى ان يكون تاريخ مصر كله ، من بدايته، الى نهايته ، بحلقاته المتماسكة ، وآثاره الباهرة الفنية والادبية ، وتضوع عطره فى القديم والحديث ، وضخامة أعماله ، والهامه العميق لكل مفكرى العالم فى مجالات الدين ، والقانون ، والحكم ، والفن التشكيلى بناء ونحتا ورسما وحفرا ، فى دنيا العلوم من رياضة وفلك وطب وزينة وصناعة وملاحة — الامر الطبيعى أن يكون هذا التاريخ كله ، مصدر الهام ووحى ، لا ينضب للقصاص والروائى والشاعر والمفكر وان يكون احساس الكاتب والشاعر والفنان المصرى ، بوحدة الزمن ، وبوحدة الحضارة على الاقل بوحدة حضارة بلاده ، هو ، قويا لا يضعف ، ولا يفتر.

واذا تصورنا هذا التأثير ، فى فترة ، لسبب ما ، فان الانقطاع الطويل المستمر ، أو قل الدائم ، انقطاع هو الظاهرة التى لا تفسير لها .

والحق ان الجفوة بين المصرى الحديث ، وماضيه الحضارى ، هى مصدر من مصادر ما نشكو منه من قصورنا الثقافى ، الذى ازمن ، واعيا



• تابوت توت عنخ آمون •

علاجه نفس الاطباء !.

وإذا عرفنا سببا لتخلفنا في البحث والحفر والتنقيب عن آثارنا القديمة في الصحراء وحول المدن ، وهو عجزنا الآلي الذي نسميه الان «التكنولوجي»ه الذي يؤدي بدوره الى قلة ما في ايدينا من ادوات الجس والحفر ، والتصوير ورسم الخرائط ، وتحليل المواد ، ولاسيما في الفترة التي عاصرت بدء الاحتلال الغربي لبلادنا وللمنطقة التي تنتمي اليها والتي يمكن ان تسمى بحق «الشرق العربي» ـ فان الذي لا تفسير له ، ان حالنا لم يتغير بعد أن كثرت الكتب المطبوعة عن تاريخنا القديم والمتوسط والحديث ، باكثر من لغة اجنبية ثم بعد أن انتقلت من اولادنا جماعات ضخمة ، هذه اللغات الحديثة ثم بعد ان توافر على دراسة تاريخنا في حقبه المتوالية ، الالوف او قل المئات من الباحثين والدارسين..

حدث هذا التطور العظيم ، وتحققت صلة بيننا وبين عصور تاريخنا وانفعلت نفوس بعضنا بهذا التاريخ ، وبصور حضارته انفعالا عظيما ، ثم خمدت جذوة هذا الانفعال ، وادرنا ظهورنا وعقولنا وقلوبنا الى تاريخ مصر الفسيح المترامي المتنوع المتجدد ، وانحصر مصدر الهامنا في واقع ضيق الحيز ، فقير ، ساذج ، حبسنا انفسنا في نطاقه ، ورحنا ننقل عنه ، ونصفه ، ونسخر منه ، ونرضى به ، ونثور عليه ولا نزيد.

وجاءت الاجيال الجديدة تنقل عن الجيل السابق مباشرة ، تحتذيه وتتأسى به ولا تفعل اكثر من ذلك شيئا .

واسفر هذا كله ، عن اننا أصبحنا اشبه بمن يقع بيته على مقربة من محيط واسع ، لا تهدأ امواجه ، ولا تصل العيون الى بعض مداه فتقنع بجدول ، ماؤه قليل ، وطينه كثير ، تجلس على حافته ، بنظر فيه ، وفيما حوله، ويحسبه الدنيا كلها.. والمحيط، يصطخب ، ويعرض للناس صورا هائلة ومروعة ، وجميلة وساحرة ، وبعيدة وواسعة ، ويهز النفس من الاعماق ، وينفي عنها الكسل والميل الى الراحة ، والقناعة بالقليل ، والرضا بالذي تتناوله اليد ، وتطوله بلا جهد ولا عناء .

ان التأمل في الواقع ، واستلهامه ، هو مذهب صحيح، ولا غبار عليه، ولكن استنشاره الكامل ، بكل طاقاتنا الابداعية، هو بلا شك قصور خطير .

ولقد شغف بعض كبار ادبائنا ، بجوانب من تاريخنا القديم ، وشغف البعض الآخر بجوانب اخرى منه ، واستوحى الفريقان هذا التاريخ فصولا من الادب ، كان يبشر باتصال اهل الفكر من العصور الحديثة ، بهذا العالم الضخم الهائل ، الذي تخرج من احشائه العالم المعاصر ، بافكاره المادية، واتجاهاته الروحية ، وانجازاته العلمية وخوارقه في الصناعة .

ولكن هذا الاتصال لم يلبث ان انقطع. وكانت الخسارة فادحة ..

ولو رجعت الى كتاب الدكتور محمد حسين هيكل « باشا » الذي حمل عنوان « في اوقات الفراغ » لوجدت

فصلا من فصول هذا الكتاب قصره كله ، على ما سماه شئونا مصرية ، ومن هذه الشئون المصرية ، خمس مقالات ، تدور كلها حول خواطر اوحى بها التامل فى حضارة وثقافة العهد الفرعونى . فمنها فصل عنوانه فى بيان الملوك ، يعنى وادى الملوك ، الذى ضم قبور ملوك مصر الاقدمين ، وفصل عنوانه ((قبر توت عنخ آمون)) وثالث عنوانه ((فى حضرة الفراعنة)) ورابع عنوانه ((ابيس)) ، والاخير كان قد نشر فى جريدة السياسة التى كان يراس تحريرها صاحب الكتاب فى الحادى عشر من مارس سنة ١٩٢٥ .

وفى هذا المقال يحدثنا الكاتب عن صديق له يعشق ما خلفته الحضارة المصرية القديمة من آثار مادية وروحية، بقيت على الزمن، تتحدى ارادة الانسان الحديث ، وتعرض عليه من فنون القدرة الانسانية العقلية والمادية ، ما يكاد يعجز العلم المعاصر ، بكل غرائبه وخوارقه ، ان يفسرها ويكشف عن أسرارها فضلا عن محاكاتها ، والاتيان بمثلها !.

وقد ذهب الهيام والحب بهذا العاشق الى حد تقديم الأدعية الى تمثال ((ابيس)) فى المتحف المصرى بالقاهرة وأوثر أن أنقل لك شيئا من هذا المقال كنموذج بشائر أدب مصر الحديث، الذى اتجه الى التاريخ القديم ، والثقافة العتيقة ، ليجدد دم الادب النقى الفتى، فى نفس الأرض التى شهدت جلائل آثار الحضارة الام .

قال الاستاذ محمد حسين هيكل، فى الفصل المعنون ((ابيس)) :

ذهبت مع اصحابى الى المتحف المصرى اشهد للمرة العاشرة نفائس مقبرة توت عنخ آمون ، والقا من الكشف فيها عن دقائق جديدة من آثار الفن القديم ، وفيما نحن متاهبون للخروج لقينا صديقا مغرما بتاريخ اسلافه الاولين فلا يكاد ينقضى اسبوع دون ذهابه الى المتحف ، يتحدث فيما يقول، الى اجيال واجيال حشرت . بعد بعثها فى هذا المقر غير اللائق بها ، ويامل ان يطهرها هذا العذاب من اثم قد يكون لصق بها حين حياتها ، ويرجو الا يطول امد تكفيرها وان تنقل الى اماكن تليق بجلالها . فاستوقفنا برهة ثم دعانا لنصحبه فى تحية اوجب على نفسه اداءها كلما حضر ، الى تمثال المعبود ابيس . فلما كنا فى حضرة التمثال المقدس وقف برهة صامتا ، ودلت حركة شفاهه على انه كان يتلو بعض صلوات لا شك فرعونية . فاثارت حركته دهشة شاب كان معنا فتح عينين واسعتين . ثم أدار نظرة فينا فالفانا فى شغل بما حول العجل من تماثيل . ولاحظ ((المصلى)) دهشة الشاب فالتفت نحونا بعد أن اتم صلواته وقال :

— لعلكم تعجبون لما اصنع ... اما انا فلا أرى محلا لعجب . لقد كان ((ابيس)) رمز الخير والبركة على الناس ، وما أخالكم تذكرون قصة ((ابيس)) وعبادته عند آبائنا ، فقد كانوا يجعلون لهذا الحيوان المخصب خير صفات الآلهة .. وهنا اتجه الى صاحبنا الشاب ومضى قائلا :

— ولا تحسب يا صديقى ان كل عجل كان عندهم ((أبيسا)) ... ولو أنهم فعلوا هذا لطعن فى علمهم الجم ، ومدنيتهم الفاضلة . فالعبادة لا تجوز الا للكامل حيث تجتمع صفات الفضل طرا . ومن اجل خير الحياة وبركتها . لذلك كان لابيس عندهم ما يميزه على العجول جميعا . فهو لم يكن يولد كما يولد كل عجل من كل بقرة اقترب منها



● توت عنخ آمون ●

ثور ، بل كان اجل من ذلك نسبا ، واقدس اصلا . كانت نار علوية تهبط لتنفخ في بقرة عذراء . حتى اذا ولدته وجب الا تلد بعده أبدا . وكان يجب أن تكون له صفات كل ابيس سبقه ، ويجب أن يشتمله السواد ، عدا غرة في جبينه واخرى في صورة الهلال على جنبه الايمن . ويجب ان تكون تحت لسانه عقدة كالجعران شكلا . وأن يكون شعر ذنبه ذا لونين، وأن يجتمع له ، اجمالا وتفصيلا ، ما فرض أن يكون له . .

ثم انتقل هيكل رحمه الله ، الى تعليق شاب كان في الجماعة التي سمعت حديث نجي « ابيس » فقد قال الشاب بعد ان تحدث عن اعجابه الخالص بآثار طيبة : اعجابي الخالص بآثار طيبة، يظهركم على ما اشعر به نحو آبائنا الفراعنة اصحاب المجد الخالد ، ولكني اعجب حتى لا اكاد اصدق ان شعبا ذلك مبلغه من العظمة والرقي يؤمن بأوهام كالتي تروى عن « ابيس » وعن غير « ابيس » من الآلهة ويسلك في عبادته طقوسا يراها اكثر الناس اليوم سذاجة بالغة في السخف حد الهوس .

ويعود نجي (ابيس) الى الدفاع عنه فيقول انت مخطيء يا ايها الشاب ، فان « ابيس » لم يكن عجلا كالمعجول بل كان كما ذكرت نفحة من روح مقدس . لقد حفظ التاريخ ان آباءنا كانوا يقيمون عيدا لميلاده بمنفيس وكانوا يبداون عيدهم بأن يقذفوا في مكان معين من النيل وعاء من ذهب أو من فضة ، فكانت التماسيح تمسك مدى هذه الايام السبعة عن ان تؤذي احدا، فاذا كان اليوم الثامن عادت الى افتراسها . فهل ترى هذه الحيوانات

المائية الضخمة كانت تغير طبعها لولا سلطان ايبس « ...

وقد يرى البعض فى هذا المثل الذى وقع عليه اختيارى ، كان أبعد من ان يكون المثل اللائق ، فانه يغيض وثنية يأباها الاسلام ، والمسيحية والاديان السماوية ، وقد يؤدى النفور منه الى استحسان العزوف عن استلهام الحضارة المصرية .

ولكنى ارى النقيض من هذا الرأى ، فاننى لم اورد هذا المثل ، لكى يكون نموذجا يحتذى ، ولم اضربه لاعجابى به ، ورضائى عنه ، بل لادلل به على ان كتابنا منذ اكثر من نصف قرن ، كانوا أشد احساسا بوحدة الثقافة المصرية وانهم كانوا يجولون فى هذا المجال الفسيح الذى استمر ، حلقة واحدة متصلة نحو سبعة آلاف سنة ، تتغير فيه الانظمة الحاكمة ، واللغات المستعملة ، والعقائد السائدة ، وتعلو مصر ، وتهبط ، ويدبر عنها الزمان ويقبل ، ويبقى جوهر الروح المصرية سليما ونقيا وقويا .

واعنى به روح البقاء والابداع ، والتفكير الهادىء ، والتأمل والثبات واتصال الماضى بالحاضر ، والسماء بالارض ، والمادى بالروحى ، والظاهر بالباطن .. روح التطور الدائم المثابر ، الذى يكره الطفرة ، حتى يبدو جامدا ، وان كان اتصاله الحى بالطبيعة ينفى عنه هذا الجمود ، لان تطور الطبيعة ، هو قانونها الاعلى .

والغاية ان واجب المفكرين المصريين الذين يعبرون عن افكارهم بالقلم واللسان ، ان يوثقوا صلة المصريين بثقافة وحضارة بلادهم ، ككل متماسك ، تتجاور فيه الفرعونية بالاسلامية بالقبطية بالعبرية ، بالمعاصرة ، لان حجب الجزء الاكبر من هذه الثقافة ، وتجاهلها ، هو خفق الثقافة المصرية الحديثة ، لانه يحرمها من موارد ضخمة ، اشبه شىء بالروافد العظيمة التى تكون النيل الخالد .

والثابت ان المحاولات التى استلهمت هذا التاريخ المتصل الحلقات نجحت نجاحا كبيرا فروايات جرجى زيدان التى سردت تاريخ الاسلام منذ البعثة المحمدية حتى القرن العشرين ، كوفئت باقبال عظيم ، منذ بدء المحاولة للآن .

وقد بدا نجيب محفوظ رواياته الكبيرة بروايتين عن التاريخ الفرعونى ، بدت فيهما بشائر قدرته وتمكنه ..

ونجحت رواية (وا اسلاماه) لعلى باكثير ، كما نجحت روايات محمد سعيد العريان (على باب زويلة) و (بنت قسطنطين) و (قطر الندى) .

وليس المقصود هو تاليف روايات تاريخية ، عربية أو اسلامية أو فرعونية وانما المقصود ، هو استلهام الثقافة المصرية فى مختلف عصورها ، واعادة عرضها ، بعيدا عن البحث العلمى ، والدراسات المدرسية ، فهذه الثقافة فى واقع الامر ، كيان واحد ، ولم يجزئه ويحطم وحدته ، التى افقدته روحه الا انه وصل الينا ، مجزءا . فقد بقى المصريون لا يعرفون شيئا عن تاريخهم القديم حتى اوائل القرن العشرين أو اخريات القرن التاسع عشر .

وبهذا التجزؤ ، بدت مصر فى تاريخها الطويل ، دولا تحارب بعضها بعضا ، فأصبح منا من يتعصب لمصر القديمة على حساب مصر الاسلامية ، ومنا من يتعصب لمصر الاسلامية ضد مصر القديمة ولان مصر وصلت الينا ، على ايدى الاجانب ، خيل الينا ان تاريخها غريب علينا ، فلم نحسن الاستماع اليه ، ولم يحسن التحدث الينا ، فهزلت ثقافتنا ، واصبحت فى مهب الريح ، تكاد تنتزع من جذورها .

فمتى نجلو عنها وحدتها ، ونظهرها فى ابهى رواء تكاملها .

أبو العباس المرسي

● عبد العليم القباني ●

ردوا شعاعَ الشمس أن يتأى معَهْ
أخشى الكواكبَ أن تهيمَ فتتبعَهْ
الزائدُ الأخلاقَ وهي جنيدية
ومعيدها من فيض ربك مترعه
طافت « بمرسية»(١) عليه غمامة
للظلم توشك أن تمزّق أضلعه !
فمضى إلى الشرق العتيدِ بحشهُ
قدرٌ أعدّهُ لكل فجر مطلعه !

***

يا نجم هـذا الثغر(٢) يا نور الحمى
وعبير هـدى الجنة المتضوعه ..
في كل ركن في رحابك أنسٌ
هفت إليك وأعين متطلعه ...

***

شيخَ الشيوخ ، وخيرَ من وهب التقى
أتباعَهُ ، وشفعَ القلوبَ الموجَعَه
أنا في رحابك قد طويتُ طفولتي
وعلى ثراك طويتُ عمري أجمعَه
أتأملُ الموجَ المثارَ وأنثني
متدفعا ، كغيوضه المتدفعه !
مستلهما روح الكفاح مثقفة
من روحك القدسية المترفعه !

(١) مرسية ــ ميناء بإسبانيا : الأندلس
(٢) الثغر ــ إسكندرية

زوّار من الفضاء

● محمد الحديدى ●

الـ « يوفولوجيا » ، علم حديث يعنى بالبحث في موضوع « الاجسام الطائرة المجهولة »

والذين حكوا انهم راوا هذه الاجسام يتراوحون بين طوائف المجانين و « الهيبز » ، ورجال عقلاء لهم وزنهم ، منهم على سبيل المثال فقط ، الرئيس جيمى كارتر ، الذى اكد انه رآها ايام ان كان حاكما لاحدى الولايات قبل ان ينتخب رئيسا ، ووعد اذ ذاك ان يستقصى هذا الموضوع اذا اصبح رئيسا ، ولكن يبدو انه اكتشف أن على الارض ما يكفيه من المشاكل لانه لم يرجع الى هذا الموضوع مرة اخرى ..

وهناك كتب كثيرة فى هذا الموضوع بعضها صادر من جهات لها مكانتها العلمية ، ويبدو ان ولاية يوتاه الامريكية كان لها حظ وافر من هذه الظاهرة العجيبة ، لان واحدا من ارفع اساتذتها مكانة الف كتابا أورد فيه وصفا لحوالي ثمانين حادثة من هذا النوع ، مؤيدة بالشهود والتفسير العلمى والمنطقى .. « اجسام مضيئة تجتلب الانظار بالوانها الساحرة ، والاسماع بازيزها او صفيرها الخافت ، وهى مسطحة من أسفل ، تعلوها قبة نصف كروية ، ومن حولها اضواء ملونة ، حمراء أغلب الوقت ، ولكنها تتحول الى اخضر واصفر ، تضىء وتنطفىء ، ثم تضىء .. الخ »

ومن الاخطاء الشائعة فى الحياة الانسانية ان يفترض الناس أن كل شىء لا نعرف تفسيره عن ثقة لابد ان يكون أمرا ليس له تفسير يدخل فى نطاق مفاهيمنا العادية ، لابد ان يكون آتيا من عالم آخر ، ومن فعل كائنات من « الفضاء » .. اما ان نقول ان تفسير الامر مجهول لنا الآن وانه سياتى يوم نعرفه ، فهذا لا يرضى أصحاب العلم الذى لم نؤت منه الا قليلا ! ..

ولكن عالمين امريكيين وجدا ـ فيما يبدو ـ تفسيرا لهذه الظاهرة على الاقل ، واصدرا بحثا يؤكدان فيه ان الامر لا يعدو ان بعض أنواع الحشرات الطائرة تحلق فى الجو على هيئة اسراب يتصادف أن تتعرض لاضواء تنتج من مجال كهربائى قوى ، ينشأ عن ظاهرة معروفة تحدث عندما يتزايد الجهد الكهربائى فى الجو بسبب العواصف الرعدية ، ولذلك فانها ـ هذه الظاهرة ـ تصاحب صوارى السفن واجنحة الطائرات .. أى الاجسام المرتفعة المدببة مع ارتفاع الجهد الكهربائى تنخفض مقاومة الهواء وتتدفق الالكترونات من هذه الاطراف المدببة محدثة ضوءا يتخذ شكلا مستديرا حولها . وفى داخل المجال الكهربائى تعمل قشرة الحشرة كعازل خارجى بينما تتعرض السوائل فى داخلها للتحليل الكهربائى الذى يحدث اللمعان والالوان التى توحى بكل انواع الخيال الذى لم يصل اليه بعد اجتهاد مؤلفى روايات الخيال العلمى ..

وقد ايد خبراء علم الحشرات هذه النظرية ، واكدوا ان هذه الاسراب الطائرة تتخذ شكل جماعات تصل الى عدة كيلو مترات فى طولها وارتفاعها ، وانها تتدافع وتتماوج فى محاولتها أن تتحاشى المجال الكهربائى فى طيرانها الليلى المهجرى .

● أنفق وليم جيمس خمسا وعشرين سنة يقرأ عن الأرواح دون أن يجد دليلاً كافياً على إمكان الاتصال بالعالم الآخر، وقال في ذلك أنه أحياناً يرتاح إلى الاعتقاد بأن الخالق لا يريد لنا أن نعرف شيئاً عن ثقة في هذا الموضوع ..!

وليست الاطباق الطائرة اسعد حظا من زميلتها الـ « يوفو » ، الاجسام الطائرة المجهولة ، وان كنا لا نستطيع حتى الآن أن نجزم بأن التفسير المتاح ينطبق على كل حالة دون استثناء ، فان هذا لا ينفى انه يصلح لذلك ، ففى بعض الاماكن التى « شوهدت » فيها الاطباق ، لم يكن الامر يتعدى تصاعد غازات كثيفة من مصدر ارضى ، تتعرض هى ايضا لمجال كهربائى جوى ويتسبب ذلك فى توهج يعطى شكلا مشابها لاضواء « الفلوريسنت » ..

وفى حالات اخرى لم يكن الامر يتعدى ان طائرة ركاب عادية دخلت منطقة يسودها ضباب كثيف يخفى معالمها ويجعل من يراها يظن انه يرى جسما غريبا يأتى من الفضاء ..

وللمرء ان يتساءل : اذا كان فى هذا الكون سكان على هذا القدر من التقدم ، فلماذا تمضى كل هذه السنوات « الاطباق الطائرة ترجع الى ما يزيد على ثلاثين سنة » دون ان يفعلوا شيئا يزيد على هذه الرحلات الاستكشافية واخذ « العينات » الآدمية كما « فعلوا » مع الطيار الاسترالى ، ان كانوا قد فعلوا شيئا ، ومع غيره من الطيارين والبحارة وركاب السفن الذين يحكى عن اختفائهم فى مثلث برمودا وغيره من مناطق العالم ؟!

للمرء ان يتصور ان قوما على هذا القدر من التقدم العلمى والتكنولوجى لا يلزمهم كل هذا الوقت ليجروا ابحاثهم الاولية قبل « الدخول فى الموضوع » .. ومن المؤكد انه كان يحلو لهم أن يجروا نوعا من « برامج التبادل الثقافى » معنا ، واذا كنا لا نملك الاطباق الطائرة والاعمار الطويلة التى تمكننا من ان نعيش ملايين السنين لننفقها فى هذا النوع من الرحلات السياحية ، فليس معنى هذا اننا بقر لا نستحق منهم اى اهتمام على الاطلاق !

تاريخ طويل ...

وللبشر « على هذا الكوكب » تاريخ طويل جدا حافل بالمعتقدات الخرافية ، أغلبها — وما كان يبدو اكثرها يقينا — قد ثبت بما لا يقبل ادنى درجة من الشك انه لا يزيد شيئا على ان يكون « خفة يد » .. نعم ، لا اكثر ولا اقل ، برغم ان الذين انطلت عليهم هذه الامور او على الاقل اعطوها اهتمامهم كانوا فى بعض الاحيان رجالا على قدر عظيم من المكانة العلمية والفكرية ...

ولعل اكثر مشاهير عالم الفكر والثقافة استعدادا للاقتناع بالخرافة وحكايات الـ « باراسيكولوجيا » ، كما يسمونها هو الكاتب الانجليزى الكبير آرثر كونان دويل ، صاحب شخصية شيرلوك هولمز والعديد من كتابات القصص التاريخى والعلمى ، وحتى فى سلسلة روايات شيرلوك هولمز ، لم يسلم كونان دويل ولا قراؤه من ارجاع الموتى الى الحياة ، فقد بدأ دويل حياته العملية طبيبا ، ولما لم يحقق النجاح المنشود فى هذه المهنة ، بدأ يمارس الهواية

القاسية ، هواية الادب ، وجاء وقت احس فيه بالملل من شخصية هولمز التى ابتدعها ، فأنهى حياة بطله فى قصة سماها « مذكرات شيرلوك هولمز » .. ولكن قراءه كانوا قد اعتادوا هذه الشخصية إلى حد انهم ارغموه على اعادتها الى الحياة استمر هذا « البعث » عدة حلقات جديدة ، ودويل يزداد إغراقا فى عشق المجهول وما وراء الطبيعة ، إلى أن ضم هذا كله فى كتابه المعروف « تاريخ الروحانيات » ...

والكثيرون من الدارسين يعدون آرثر كونان دويل مؤلف شيرلوك هولمز اعظم دليل على ان العلم والذكاء ورجاحة العقل ، كل هذه لا تكفى حائلا واقيا من السذاجة الطبيعية والميل الى تصديق الخرافات عند أغلب بنى الانسان أو ربما كلهم دون استثناء ..

وعندما فقد دويل ابنه فى الحرب العالمية الاولى ، انصرف بكليته الى تحضير الارواح توقا الى الاتصال به ، وهى نزعة عادت فتفشت فى بريطانيا فى أعقاب ما سماه الانجليز « معركة بريطانيا » ، وهى الفترة التى استمر فيها القصف الجوى المركز للجزر البريطانية بواسطة الطيران الالمانى فى الحرب العالمية الثانية ، وخاصة اثناء صيف ١٩٤٠ وقد جمع محترفو تحضير الارواح والوسطاء وما يلحق بهؤلاء من المشعوذين والدجالين ، ثروات طائلة اذ ذاك من الاتجار بعواطف اسر الشبان من الطيارين الانجليز الذين كانوا يسقطون بالعشرات كل ليلة .

مضى دويل فى ابحاثه الى ان طلع بكتابه المعروف « مجىء العفاريت » ، ونشر معه صورا فوتوغرافية لهذه الكائنات الصغيرة ، ذات الاجنحة التى كان يعثر عليها فى الحدائق كأنواع من الجن والاشباح التقط لها صورا بآلة تصوير من النوع الذى يلعب به الاطفال ، ولكن الناس لم يصدقوه .

من بين القلائل الذين صدقوه ، باحث امريكى شاب يدعى ج . ب . راين ، استمع الى محاضرة القاها دويل وخرج منها مقتنعا تماما بوجود هذه الاشباح . وكانت جمعية بريطانية تدعى « جمعية البحوث الروحانية » تصدر نشرات فى هذا الموضوع ، استغرق فيها راين وزوجته لويزا ، ثم التحق راين بهيئة احدى الجامعات هناك ، وهى جامعة ديوك ، وبدأ يكرس حياته وأبحاثه لعلم الارواح وأليه يرجع الفضل فى استحداث بعض المصطلحات التى لا تزال حتى الآن ، وفى ادخال مثل هذا النوع من البحوث الى الجامعات الحديثة . وقد شد راين اهتمام الناس بما اذاعه من بيانات واحصائيات عن تجاربه فى الادراك عن غير طريق الحواس ، وكانت طريقته فى ذلك هى ان يجرب توزيع اوراق اللعب على اشخاص يستطيعون التعرف عليها دون أن يروها .

وتعرض راين للكثير من النقد اذ ذاك ، وكان يلجأ لوسائل تثير الشك فى تبرير مايظهر من مفارقات ، والذين جاءوا بعده كانوا ايضا يحاولون كل انواع الحجج ، فالذى يحدث خطأ « حالة عكسية » ، والذى يذكر رقم الورقة السابقة او التالية « حالة ازاحة » ، وكتب عنه الصحفى الامريكى ه . ل . مينكن : الاستاذ راين يقسم من يجرى عليهم تجاربه الى قسمين ، احدهما أولئك الذين يصيبون ، وما داموا يصيبون ، فهم يتمتعون بقدرة خارقة على الرؤية دون ابصار ..
اضطر راين الى إحكام الرقابة على معمل تجاربه ، وكان هذا بالضبط هو

الطريق الى فشل هذا النوع من التجارب ، وسرعان ما انتهت هذه الحقبة فى تاريخ الباراسيكولوجيا .

وفى الستينات ، جاء « تيد سيريوس » ، وهو شيال من شيكاغو يحترف شيئين : الخمر ، والتقاط الصور الفوتوغرافية فى كاميرا مبسطة وبمجرد ان « يزغر » للعدسة ...

حير العالم فترة طويلة سيريوس هذا ، الى أن شاهده صحفيان وهو يستعرض معجزاته ، وسرعان ما اكتشفا سرها وهو عدسة صغيرة الحجم لا تكاد ترى ، ومعها شفافة من البلاستيك ، « ترانسبيرانسى » كما تسمى الآن ، وهى تستخدم كوسيلة ايضاح فى غرف الدراسة مع فانوس سحرى خاص ! ..

بالاختصار ، مجرد خفة يد لا تعتمد على وسيلة علمية ، والتقدم العلمى دائما يعطى من يملكه القدرة على ان يفحم الذين لا يعرفون السر ! ..

اما الجمعيات العلمية ذات المكانة العالية والتى تضم رجالا اجلاء لا يرقى الشك الى مقدرتهم او اخلاقهم ، فيرجع انخداعها الى سنة ١٨٨٢ عندما انشئت الجمعية البريطانية للبحوث الروحانية ، وكان اول « مطب » يقع فيه العلماء الاجلاء هو انهم ابدوا اقتناعهم التام بان خمس فتيات صغيرات شقيقات لديهن قدرة كاملة على الاتصال بطريقة « التخاطر » إلا انه بعد ست سنوات من ذلك ضبطت الفتيات وهن يمارسن العابهن السحرية واعترفن انهن كن يخدعن العلماء !

تلا ذلك سنة ١٨٩٢ حادث مماثل ، اشترك فيه هذه المرة رجلان ، وقد يوثق احدهما وتعصب عيناه وتسد اذناه ، وتقطع حواسه من الكون ، ولكنه يظل قادرا على تلقى ما يرسله اليه زميله بالاشعاع الفكرى .. ومرة ثانية انخدع العلماء واعلنوا اعترافهم بالقدرة الخارقة ، وكاد الامر هذه المرة ينتهى عند هذا الحد لولا ان احد الرجلين واسمه دوجلاس بلاكبيرن ، اعترف بانه وزميله « ارادا ان يثبتا للعالم ان فى استطاعة شابين مثلهما أن يجعلا رجالا راسخين فى العلم ينخدعون بسهولة لا لشىء إلا انهم يبحثون من ادلة تثبت أشياء يريدون أن يصدقوها » !

وعلى الجانب الاخر من المحيط ، لم يكن حظ الجمعية الامريكية للبحوث الروحانية افضل من حظ زميلتها البريطانية ، برغم انها كانت تحظى باهتمام ومساندة الفيلسوف والعالم النفسى الكبير وليم جيمس . كان ذلك سنة ١٨٨٥ ، وكان جيمس متحمسا اول الامر للوصول الى شىء ، وجاءت كلمته الشهيرة « اذا اردنا ان نثبت خطأ القول بان كل الغربان سوداء ، فاننا لسنا فى حاجة الى ان نثبت انه لا توجد غربان سوداء ، يكفى أن نأتى بغراب ابيض واحد .. اى انه اذا اتينا بعفريت واحد او جنى ، او اذا استحضرنا روح ميت واحد ، فان هذا سيكفى للدلالة على ان هناك عالما آخر ولكن جيمس انفق خمسا وعشرين سنة يقرأ عن الارواح و « خلافه » دون ان يجد دليلا كافيا على امكان الاتصال بالعالم الاخر ، وقال فى ذلك انه احيانا يرتاح الى الاعتقاد بان الخالق لا يريد لنا أن نعرف شيئا عن ذلك فى هذا الموضوع .

ولكن غير وليم جيمس من الباحثين لم يجد اليأس امرا بهذه السهولة . وفى نهاية القرن التاسع عشر جاء امريكى يدعى « هنرى سليد » وبدا

يطوف بلدان امريكا والاوروبا ويجعل الناس يتفرجون عليه وهو يجعل الاشياء تتحرك او تختفي ، والابرة المغناطيسية تنحرف بتأثير ارادته فقط وكان يبدو مقنعا الى حد ان عالما المانيا محترما الف عنه كتابا سماه « الفيزياء العلوية » « بضم اللام وكسر الواو مع تشديدها » .

وبدا لاول وهلة اننا « وصلنا » اخيرا ، ولكن مرة آخرى ، ثبت ان الاعتقاد في هذه الامور يأتي من نزعة لدى الناس تفوق او تطمس او تلغى مؤقتا قدرتهم على وزن الامور ..

وظهر كتاب الفه احد الخبراء ، ويدعى هاري هوديني ، شرح فيه تحت عنوان « ساحر بين الارواح » ، كل الالاعيب التي لجأ اليها المستر سليد ، وكيف أنها خفة يد لا اكثر ولا اقل ، وسرعان ما اعترف الساحر بذلك

ومنذ سنة واحدة فقط ، زار الولايات المتحدة ساحر اسرائيلي يدعى يورى جيلر ، وبصحبته ابا ايبان وزير الخارجية السابق في اسرائيل ، وعقد حلقة في مبنى « تايم لايف » الشهير في مانهاتان ، واخذ يجعل الملاعق تنثني والاشياء تتطاير ، وكان بين الحاضرين جماعة من اعضاء لجنة تتألف من ٤٣ عضوا وتسمى « لجنة التحقيق في ادعاءات الخوارق » ، من بين اعضائها عالم الاحياء الفلكية الشهير كارل ساجان ، والكاتب العلمي ايزاك اسيموف ، وعدد كبير من اساتذة العلوم والفلسفة ، والحواة ايضا ، على راسهم الحاوي الشهير راندى الذي يسمونه « المدهش » .

وسرعان ما قام راندى باعادة جميع هذه الالعاب على الحاضرين مبينا الى أي حد يمكن للحاوي الماهر أن يخدع اكثر الناس حيطة وانتباها !.. ومنذ هذا الحين وراندي يرصد جائزة كبيرة لمن يمكنه ان يأتي بشيء لا يمكنه تفسيره ولم يحصل احد على الجائزة للان !.

وقد استعرض راندى مقدرته عندما صحب الذين حضروا هذا العرض في نزهة بسيارته التي يقودها في شوارع نيويورك وهو معصوب العينين ، وهو ما يسمونه « الجلاء البصري » ..

من اسرار الحياة

برغم هذا كله، برغم راندى المدهش وغيره من الحواة والعلماء ، فان المسألة لاتبدو انها بهذه البساطة ، ما كل هذه الاسرار ؟ ان الذين يقولون ان الوجود للمادة فقط ، وان مخ الانسان وكل ما يأتي منه ليس الا تفاعلات وان « المادة هي التي تفكر » ، ومنهم مثلا الفسيولوجي الالماني كارل فوجت الذي ذاعت شهرته في أواخر القرن التاسع عشر عندما قال : « ان الفكر يرتبط بالمخ كما ترتبط الصفراء بالكبد والبول بالكليتين » أو كابانيس الذي تعالى القول بأن « المخ يهضم الانطباعات ويفرز الافكار » .. كل هؤلاء الان اصبحوا يواجهون الحقائق العلمية الجديدة التي جاءت بها نظريات النسبية والكوانتم والتي لا بد ان تجعلنا نصدق ان المادة حقا شيء لا وجود له الا في مخيلتنا ! إنها لا تعدو ان تكون شبيها لمجال مغناطيسي قوى ، وهذا لا يعفيها من ان تكون فراغا في فراغ.

ومن ناحية اخرى فالذين يقولون ان الوجود للعقل فقط ، وهم المثاليون ، اصبحوا يواجهون حقائق اقسى من هذه تأتي من محاولة الاجابة عن هذا السؤال : أين هو العقل هذا ؟

وكما يقول برتراند راسل ، كلما تقدم العلم والتجربة ، ظهر ان العقل اكثر مادية ، وان المادة اكثر عقلانية مما نتصور ، وهو يحل مشكلته بأن

● من الأخطاء الشائعة في الحياة الإنسانية أن يفترض الناس أن كل شيء ، لا بد أن يكون له تفسير ، لا بد أن يكون أمرا ليس له تفسير يدخل في نطاق مفاهيمنا العادية. لا بد أن يكون آتيا من عالم آخر أو من فعل كائنات من « الفضاء »!

هناك قوانين للمادة واخرى للعقل ، بعض الاحداث تقع طبقا لهذا والبعض طبقا لذاك ، ولكننا نعيش في دنيا « أحداث » ، والذي يوجد في دنيانا هو سلسلة الاحداث هذه ،لاغير ..

ولكن هذا لا ينفي ايضا ان هناك شيئا اسمه الحياة . هناك حياة على الارض ، وهي تشمل كل حيوان ونبات على سطح هذا الكوكب. واذا احصينا نجوم السماء في هذا الجزء من الكون الذي نستطيع ان نراه - وقد يكون ، وقد لا يكون ، كل شيء - وطبقا لقوانين الاحتمالات ، فان تقدير العلماء هو انه بالرغم من اننا لا نعرف كواكب اخرى غير كواكب المجموعة الشمسية ، وبالرغم من اننا لانجد في هذه اي دليل على وجود حياة ، فان القدر هو وجود ملايين الف حضارة تكنولوجية متقدمة في اماكن اخرى من هذا الكون الفسيح .. اذ انه لا يبدو معقولا ان كل هذا مجرد « خلفية » او « تابلوه » لكائنات الارض وحدها !

وقد عمل الزمن على تقسيم الحياة الى عدة ملايين من الاجزاء ، هذا اذا قصرناها على الارض فقط ، ولكن كل جزء منها لا يعدو ان يكون قطعة من الكل ، فالزهرة زهرة ، ولكنها ايضا ارنب وذبابة ، كلنا من نفس الكيان ، ننصهر في نفس البوتقة ، وتتكون من مادة النجوم ..

وهناك اثنان وعشرون عنصرا من عناصر المادة ، ولكن مجموعة صغيرة من ستة عشر منها هي اساس الوجود الكيميائي للحياة .. أحدها وهو الكربون يلعب دورا اساسيا في تكوين الحياة لقدرته المنفردة على تكوين سلاسل وحلقات معقدة تؤدي الى عدد هائل من المركبات الكيمائية العضوية . وبالرغم من ذلك فهناك عشرون حمضا أمينيا فقط هي الوحدات التي تتكون منها البروتينات ، واربعة جزيئات فقط هي التي تحمل الشفرة التي تؤدي بالبروتين الى ان يصبح احد مكونات كبد انسان او فرع شجرة ، هذه هي الشفرة التي تضع البروتين المناسب في المكان المناسب وهكذا فان سر الحياة .. يبدو امرا في غاية البساطة !

والفرق بين المادة الحية والمادة الصماء هو الفرق بين منتهى النظام ومنتهى الفوضى ، والكائنات الحية تتكون من مادة على درجة عظمى من التنظيم ، وهي تخلق النظام البديع من الاختلال التام والرغبة في التحلل والتشوه التي تميز المادة الصماء ، هذا النظام يستمر ، وتمضي المادة الحية في الاخذ والعطاء مع البيئة المحيطة بها ، فالكائن الحي يختلف عن المادة في انه على اتصال دائم بما حوله، وبغيره من الكائنات .

هناك شيء يربطنا جميعا ببعضنا البعض .. والاصل في الوجود هو « البعثرة » أو « الفوضى » ،وتتجه كل شيء الى مزيد من البعثرة ،واي درجة من النظام مهما كانت اولية ،مثل ترتيب الكهارب داخل الذرة ، امر غير معتاد ، ولا يقع الا بالصدفة ،اما ترتيب الجزيئات داخل الخلية الحية فهو مسألة تتنافى مع احصائيات الكون، لان الحياة نفسها ليست صدفة عجيبة جدا ، ونادرة الحدوث والحديث عن أسرارها يطول . ●



وقبل أن تدخل الطائرة العابرة وتصطدم بأقسى أجهزتها مرت بسرعة خاطفة فوق طريق عام .. ومرقت

كالسهم إلى جوار سيارة صغيرة .. كان سائق السيارة يفقد توازنه من هول ما رأى .. !

كان الطيار يشم رائحة بنزين. ليس هذا بالامر المطمئن ولكنه عادى ايضا .. لا ينبغى ان تكون هناك رائحة بنزين فى غرفة القيادة او بقية الطائرة، ولكن ليس من الضرورى ان تكون هذه الرائحة آتية من الطيارة. قد تكون من المطار والمطارات يشم فيها الانسان رائحة البنزين كثيرا ..

ولكنه كان على حق فى خوفه الاول، فقد حدث ان العامل المختص لم يجد ماء كافيا ليملأ خزان الماء فى المحركات. فذهب يطلب المزيد وعندما عاد اخذ خرطوم الكيروسين بدل خرطوم الماء واكمل الخزان، ثم اقفل الخزان غير مدرك انه مهد الطريق بذلك السهو لكارثة كبرى. ولم يتبين الطيارون ذلك اول الامر، لان الكيروسين اخف من الماء، فهبط الماء الى اسفل، وعندما سحبت الآلات خرج الماء ..

وجلس الطيار ومساعدوه يتحققون من ان كل شيء فى الطائرة على ما يرام. اختبروا كل الاجهزة والمحركات والعجلات وكل شيء. كانت الطائرة من طراز بوينج ٧٢٧ » وكانوا يسمونها الفاروميو. كانت تزن بركابها ومقاعدها ٥) طنا فسبحان من يجعل هذا الجبل يرفرف بجناحيه ويطير. وكان رقمها الفنى BAC I - II ورقم الطيران DR 112

جلست المضيفة اليزابيث فريسكا فى غرفة القيادة تنظر الى الطيار ومساعديه وهم يعملون. انها مضيفة مجربة طارت الى الآن ١٠١٧ ساعة طيران. جلست فى هدوء غير بعيد من المساعد الثانى للطيار مانفريد رود

كان يبدو على وجهه الملل وهو يستمع الى ما يدور بين الطيار والمساعد الاول. كانا يتأكدان من كل شيء مرة اخرى ويتكلمان بالفاظ هو يعرفها ويفهمها. انها عبارات تقليدية سمعها مئات المرات، ولم يكن هناك ما يدعو الى الاصغاء، فان كل شيء على ما يرام فى هذه الطائرة، وعن قريب ستقفز الى الهواء كأنها حمامة صغيرة!.

الان اصبحت الطائرة جاهزة. الطيار يعطى الاشارة لاليزابيث فريسكا، فتطلب برج المراقبة وتقول:

ــ DR، : واحد، اثنان، نحن الان مستعدون للطيران

وجاء الرد: DR تستطيعون الطيران

وقال الطيار رايتهولد هيلز « نحن صاعدون

ثم دفع ذراع البنزين فى الطائرة BAC I - II الى اقصاه اماما

واخذت خمسة واربعون طنا ونصف من الحديد والالومنيوم والناس والبضائع والحقائب والبنزين والماء ــ تدرج فى طريق الصعود، ثم وقفت فى نقطة الانطلاق، واجرى الطيار محركاتها على اقصى سرعتها، واهتزت الارض تحتها

واشار مؤشر الصعود فى واحدة من الساحات الكثيرة امام الطيار الى درجة ١٠٠

وقالت اليزابيث فريسكا تخاطب الطيار

ــ السرعة ١٠٠ عقدة

وانطلقت الطائرة بكل قوتها. اشار المؤشر الى ١٢٠، الان ينزل الطيار ذراع الصعود، ويأخذ المارد فى الارتفاع من الارض بزاوية قدرها ١٨ درجة

كان الجو صحوا والشمس ساطعة، وتألقت الطائرة، ذلك الانبوب الهائل من الالومنيوم. وفجأة احس الطيار بهزة عنيفة. خيل اليه انه يسمع انفجارات متوالية داخل المحركات! .. اذهله ذلك » ونظر الى المؤشرات امامه .. كلها تسير سيرا مضبوطا، نظر الى مؤشر السرعة، ١٨٠ عقدة ..

اخذ قلبه يدق مع استمرار المفرقعات الداخلية، ولكن الطائرة تطير بجمال..

ماذا هناك ياترى ؟

الطيار متحير : كيف مازالت الطائرة تطـــير وهى على هـــذه الحالة

ونجاة راى الطيار ما اذهله : لقد سقط مؤشر السرعة من ١٠٠ الى صفر!

واستدعى مساعده وكبيرة المضيفات واخذ ينظر الى المؤشر فى ذهول ...

واخذ يمسك بالمفاتيح واحدا بعد الاخر ويحاول أن يصنع شيئا .ولاشىء ..ان محركات الطائرة مازالت تعمل ، ولكن السرعة اين هى ؟

ثم بدات الطائرة تثقل وتهبط . انها لا تزال مندفعة الى الامام ، ولكنهـــا بدات تهبط . مؤشر الارتفاع يقول ذلك .. ان ٥٥٠٠٠ كيلو جرام من الحديد والالومنيوم والبشر معلقة فى الهواء دون قوة دافعة تحملها .. لابد أن تسقط ، ما من ذلك مفر !

وبعد قليل توقفت المحركات وساد صمت . الطائرة الان تسير بقوة الاندفاع كانها طائرة شراعية !..

وعدل الطيار مؤشر الاتجاه بعض الشىء واخــذ ينظر الى المؤشرات امامه . انه لا يستطيع ان يعمل شيئا لانه لا يفهم ما هناك .. الان اخذ مقدم الطائرة يميل الى اسفل ...

وفى مقعد فى مقدمة الطائرة جلس جورج كولمان تاجر السيارات من فرانكفورت، انه لا يحب الطــائرات ولا يركبها الا للضرورة القصوى .. كان يستطيع ان يذهب الى مالقة فى اسبانيا بالسيارة كما هى عادته، ولكن زوجته وحدها فى مالقة من عشرة ايام وقد ارسلت برقية متعجلة ، فاضطر الى أن ياخذ الطائرة وهو لا يعرف ما عسى أن يحدث له ..

وفتح عينيه فى ذهول وهو ينظر من شباك الطائرة الصغير : ان الاشجـــار قريبة جدا من النافذة .ماذا حدث ..اهل

هبطت الطائرة نجاة ؟

وكانت المضيفة اليزابيث قد خرجت من مقدم الطائرة ولاحظت وجوم الناس. لقد احسوا جميعا أن هناك شيئا ... وعادت لتجد ان الطيار فى حالة ذهول ، وقال لها ساعة دخولها :

ـ لقد توقفت المحركات نجاة !

ـ وما العمل ؟ ..

ـ ليس امامنا الا ان نطلب من الرب برج مراقبة ان يساعدنا فى الهبـــوط بالرادار ...

واتصل مساعد الطيار ببرج المراقبــة فى هامبورج

ـ DR تطلب مساعدة الرادار .. نريد الهبوط بالرادار .. واحد ..اثنان

محاولة الهبوط بالرادار

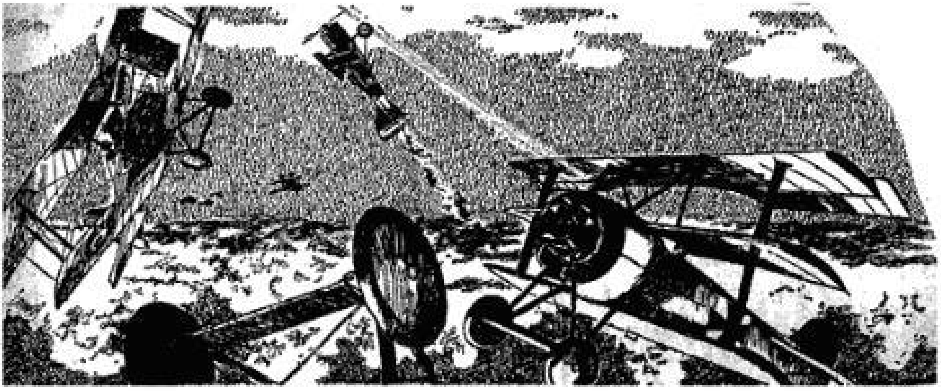
وجاء الرد :

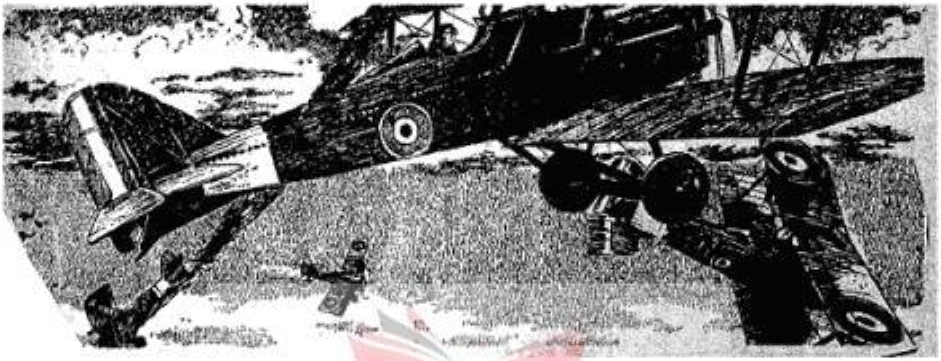
ـ هنا برج المراقبة هامبورج ..تنادى DR سنساعدكم على الهبـــوط ، حولوا تردد جهاز الرادار عندكم الينـا رقم واحد اثنان ثلاثة خمسة ثمانية ..

واخــذ ينظر الى المؤشرات امامــه .. لابد ان يقوم بالتحويل فى ثانية .. العملية تحتاج الى عشر ثوان ولا وقت عنده .. ان الطائرة تحمل ركابا كثيرين .. انها محملة ، حيـــاة فوق المائتى شخص تتوقف على ثوان !

ونظر تحته فراى ان الطائرة متجهـة الى غابة . السقوط فى الغابات ابشـع سقوط .. مثله فى ذلك مثل السقوط على الجبال .. ولكن لم لا ـ ان الاشجار تمتص جانبا كبيرا من قوة الدفع .. الغابة تقترب ، سنرى ...

وبالمنظار راى رجال برج المراقبـــة الطائرة من بعد كانها نقطة ، وقال الواحد منهم لمن حوله DR 112 على وشـك السقوط،ما من ذلك مفر !.. ان طاقمها لا يستطيع ضبط تردد الرادار !





وداخل الطائرة كان كل شيء ساكنا.. الركاب في ذهول .. حدث كل شيء مفاجأة .. كل انسان ينتظر مصيره صامتا . وقبل ان تصطدم الطائرة باشجار الغابة مرت الطائرة فوق طريق عام واقتربت من سيارة صغيرة ، وذهل سائق السيارة ، وكاد يفقد توازنه عندما مرت الطائرة الضخمة الى جواره مثل السهم المارق !

واصطدمت الطائرة باشجار الغابة ، وانقلب كل شيء راسا على عقب . لحسن الحظ ظلت الطائرة في النهاية معلقة بين الاشجار . النار في المحركات ٢ ولكن بدن الطائرة سليم .. وقالت المضيفة :

— ارجو الهدوء .. لابد ان نخرج سالمين .. اقفزوا الى الارض لا مفر من ذلك .. نحن على ثلاثة امتار من الارض .. لا شيء ، اننا على وشك ان نحترق .. اقفزوا واحدا واحدا !

وفتحت ابواب الطوارىء على مصاريعها .. وكان اول من قفز تاجر السيارات من هامبورج .. لم يصب بضرر ، وقف على الارض واخذ يساعد الاخرين .. كلما هبط واحد وقف يساعد الاخرين .. نظام غريب ابتكره الناس في لحظات

وعندما وصلت سيارات الاطفاء والاسعاف كان الطيار رايتهولد هولز ومساعده مانفرد رود ، وكبيرة المضيفات اليزابيث فريسكا مازالوا في اماكنهم في غرفة القيادة .. وقال الطيار :

— افتحوا النوافذ .. آن اوان الخروج !

ونهض دون ان يقوى على الوقوف .. كان شبه مشلول . انزلوه وهو شبه مغمى عليه ونقلوه الى المستشفى هو ومساعده ..

لم يكد يستلقي في سريره حتى غاب عن الوعي .. وعندما فتح عينيه قالوا له : مبروك .. انقذت ٩٩ راكبا !

— والباقي ...

— يرحمهم الله !

ترجمة : ح . م .

قراءات..

• مصطفى الشهابي •

سيف ديموقليس

سيف ديموقليس يضرب به المثل فيقال : « على راسه سيف ديموقليس » والأصل في هذا المثل ان ديموقليس كان نديما للملك ديونيسيوس ملك سيراقوسة بجزيرة صقلية في القرن الرابع قبل الميلاد . وحدث ذات يوم ان ديموقليس كان في مجلس الملك فاخذ يمدح عيشة الملوك الهينة والسعادة التي ينعمون بها وحب الالهة لهم ووجوب طاعتهم طاعة عمياء ، كل ذلك بقصد التزلف للملك .

وسمع الملك ماقاله ديموقليس وفهم ما يرمى اليه ، فاراد أن يلقنه درسا لا ينساه ولذلك دعاه ليتناول العشاء معه ، واحس ديموقليس بغبطة لا حد لها وشكر الملك على دعوته .

ولما حان موعد العشاء حضر ديموقليس فاجلسه الملك على راس المائدة . وبينما ديموقليس يتلفت حوله ، راى الانظار تتطلع الى شيء ما فوق راسه ، فنظر اعلا راسه ليرى ما استرعى الانظار فوجد فوقها سيفا مسلولا متدليا من السقف ومربوطا بشعرة . !

وبدأ تناول الطعام والشراب فكان يتناول ما استطاع ويزدرده بكل صعوبة وقد جف ريقه وملأ الرعب قلبه ، اذ كان يتوقع سقوط السيف على راسه بين لحظة واخرى !

وتركه الملك فترة من الزمن حتى احس انه قد نال كفايته ، ثم وجه اليه الحديث بقوله : « ان سعادة الملوك وهناءهم يتوقف على شعرة ، فاذا حدث خلل ولو قليل ، قد تنقطع هذه الشعرة ويسقط السيف على رءوسهم فيفقدون حياتهم ! »

اقتلوني ومالكا

في موقعة الجمل انبرى عبد الله بن الزبير لمقاتلة مالك بن الاشتر النخعي ، ولما راى عبد الله ما أبداه مالك من التفنن في الدفاع عن نفسه والجلد في صد ضرباته ، رمى بنفسه عليه ليصرعه بيديه ، غير أن مالكا صمد له بل وضربه بيديه على راسه ضربات بقيت آثارها في راس عبد الله حتى مات . واخيرا وقع كلاهما على الارض ، وظلا في صراع عنيف .

فلما شعر عبد الله بتغلب مالك عليه صاح برجاله :

اقتلوني ومالكا
واقتلوا مالكا معي !

واخيرا استطاع مالك ان يدفع بعبدالله بعيدا عنه ، وانتهت المعركة .

ولما هدات الفتنة ، زار مالك السيدة عائشة رضي الله عنها ، فاشارت في حديثها معه الى ما حدث في تلك الموقعة من عجز مالك عن قتل شاب مثل عبدالله ، فغضب مالك وقال :

أعائش لولا انني كنت طاويا
ثلاثا لالفيت ابن اختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه
بآخر صوت « اقتلوني ومالكا »
فنجاه مني عزمه وشبابه
وخلوة جوف لم يكن متماسكا !

الشطرنج ينقذ حياته

كان ابو الحجاج يوسف من امراء بني نصر بغرناطة الاندلس قد اختلف مع اخيه محمد السابع المعروف بالمستعين الذي ظن او نمى اليه ، انه يتآمر ضده ويحاول اغتصاب عرشه ، ولذلك قبض عليه وسجنه بقصره ثم امر باعدامه .

ولما حلت ساعة تنفيذ الاعدام كان ابو الحجاج يلعب الشطرنج ، مع احد المسجونين معه ، فلما استدعى للتنفيذ طلب ان يمهل حتى يكمل دور الشطرنج الذي يلعبه .

وسمح الملك للامير باكمال الدور ، واثناء اللعب مات الملك ..

اصبح يوسف المحكوم عليه بالاعدام ملكا على غرناطة ولقب « بالناصر » !.

بدأ في طريق .. وسار
في طريق آخر !!

نجيب محفوظ يترجم

"مصر القديمة"

● علاء الدين وحيد ●

لم تكن اول اعمال الروائي الكبير نجيب محفوظ قصة او رواية. فقد بدا روائينا الكبير نشاطه الادبي بالترجمة فنقل عن الانجليزية كتابا فريدا عن مصر ..

هذا الكتاب الذي نقدم ، كان البداية لعشرات من الكتب قدمها نجيب محفوظ للمكتبة العربية .. لم يحو احدها ترجمة عن الانجليزية اوغير الانجليزية فقد اتجه صاحبها الى التاليف لا في الدراسات كما يمكن ان تنتمي اليها ((مصر القديمة)) بل الى القصة القصيرة والرواية . واحتاج فناننا الى ست سنوات بعد عام ١٩٣٢ عندما ظهرت ترجمته الاولى والاخيرة ، ليقدم مجموعته القصصية الاولى ((همس الجنون)) في ١٩٣٨ ، ثم روايته الاولى ((عبث الاقدار)) في العام التالي اى ١٩٣٩ .. وتتابعت بعدها اعماله الروائية وانتاجه الغزير

ولكن ما هو الباعث الذي دفع نجيب محفوظ في شبابه الى ترجمة هذا البحث عن مصر القديمة ؟

اكثر من عامل ، الاول التوكيد على الذات الوطنية في مجابهة العواصف الاجنبية التي تريد ان تقتلع الجذور المصرية بدعوى ان الجذع الذابل فوق السطح ، هو علامة هلاك نهائية . والثاني .. العمل على افساد مفعول حملات التشكيك في النفوس ، التي يقوم بها المستعمر ليثبط الهمم التي تجد في مقاومته والخلاص منه ... والثالث : توثيق الصلات بين الاجيال الجديدة وبين تاريخهم العريق الذي لا يعرفون عنه الا النزر اليسير الذي لا يغني ولا يشبع من جوع .

واذا كان هذا هو موقف المترجم نجيب محفوظ ، فما هو هدف صاحب الاصل ؟ .

يشير جيمس بيكي الى غرضه من وضع مؤلفه هذا في مقدمة الفصل



● نجيب محفوظ ●

الاول « ارض ذات شهرة قديمة » قائلا « قصدت - في هذا الكتاب الصغير - ان اروى لك نتفا من تاريخ هذه الامة العجيبة وابين لك نوع الحياة التى كان يحياها الناس فى تلك الايام الغابرة قبل ان تبدأ الامم الاخرى فى الاستيقاظ وقبل ان يكون لها تاريخ .. »

ومن الواضح ان جيمس بيكى لم يكن يطمع بكتابه « مصر القديمة » ان يضع مرجعا تاريخيا ، بل كان هدفه أن يقدم مؤلفا خفيفا لا يجشم قارئه تعبا ولا يجهد له ذهنا . ولهذا بدا الكتاب منذ سطوره الاولى ، كأنه من كتيبات السياحة والاستعلامات ، موجه أصلا الى القارىء الاجنبى السريع الذى يريد ان يطالع شيئا وهو جالس فى المترو ، عن الفراعنة المصريين . ولذا فهو يقدم المعلومة التاريخية فى برشامة سهلة الهضم .. مما جعله من ناحية اخرى لا يستوعب الجديد فى المضمون او الاسلوب بالنسبة الى القارىء المصرى العادى فى الاجيال الماضية او الجيل الحالى ..

لذلك كانت « الروح الصحفية » هى التى تغلب على تناول التاريخ المصرى تديم .. فالكاتب الانجليزى يأخذ المتلقى فى رحلة « حقيقيه » يعلنه بها على الورق لا مجازية ، ويصور ما يلقى المسافر من وعثاء السفر وما يعرض على العين من مشاهد قبل ان يصل الى طيبة عاصمة البلاد .

وهذا الاسلوب جعل من اليسير تجسيد الحياة المصرية فى ادق تفاصيلها ، كما اتاح لدقائق التعامل اليومى الا تغيب فى خضم الاشياء او القضايا الكبيرة .. مما بلور مراقبة الحضارة الفرعونية بلا خطب منبرية او رفع شعارات او استخدام صيغة افعل التفضيل ، وهكذا عرض الكتاب الكثير من الانظمة التى عرفتها مصر القديمة كنظام الجمارك او ضرائب العمال مثلا .

ومن الطريف ان مؤلفنا مع محاولة بعث الامس البعيد ، فهو يستحضر فى هذا الماضى نفسه الروح الحديثة للشعب المصرى ينفثها فى أيامهم المتقدمة بلا اختلاف يذكر !.. مما اسقط مفهوم التطور والقرون الطوال التى مضت والفارق الحتمى بين ملامح الانسان المصرى قبل الميلاد بمئات السنين وملامحه بعدها بمئات السنين ايضا ! فهو مثلا يجعل شعبنا يتكلم فى صراخ ويساوم دائما ! .

واذا لم يكن من منهج جيمس بيكى رفع شعار أسبقية مصر الفرعونية الى ريادة كل مجالات الابداع الانسانى كما يفعل البعض ، فان سطوره تشارك على الاقل فى توكيد هذا السبق فى اشياء غير تقليدية تكاد تفوت

نجيب محفوظ يترجم «مصر القديمة»

اصحاب التخصص انفسهم · من ذلك التفات المصرى القديم فى مجال الفن ، الى ضرورة الخروج على القاعدة فى بعض الاحيان ليتم له خلق العمل الفنى ·

يقول صاحب « مصر القديمة » عن دقة الفراعنة فى نقش كلماتهم أو بمعنى أدق صورهم على احجار المعابد أو كتابتها على أوراق البردى وصنع خطوطهابالألوان الدقيقة الثابتة التى لم تبهت بعد آلاف السنين : « وكان الكتبة والحفارون عالمين بمكانة فنهم من الجمال والحسن لذلك لم يالوا جهداً فى ابرازه فى شكل جميل جذاب . وبلغ اعتناؤهم بالجمال انهم كانوا اذا وجدوا ان الصور التى تتكون منها الكلمة أو الجمل تظهر قبيحة المنظر بسبب اتصالها وترابطها حذفوا الصور التى تقبح منظر الصفحة وضحوا بصحة هجاء الجمل فى سبيل ابرازها فى نسق جميل » ! ·

وجيمس بيكى حريص على ان يذكر القارىء بطريق مباشر وغير مباشر بما طرأ على الحياة البشرية القديمة التى يصورها وهى تمثل صفحة هامة من الحضارة الانسانية من تغيير كبير فى العلاقات البشرية والتعامل التجارى · ولذلك فهو كثيرا ما يردد فى سطوره صيغ المقارنة والفروق بين الامس واليوم فالنقود مثلا « التى نستعملها الآن كانت مجهولة فى تلك الايام ولهذا كانت المبادلة أساس المعاملة التجارية » ·

وبهذا الشكل خرج الكاتب عن التناول التقليدى للحياة الفرعونية ، الذى كان ينحصر فى جوانب بعينها لا يعدوها مثل الملوك والأديان والحروب ، الى آفاق الرجل العادى فى عمله وخارج عمله وجده ولعبه ولهوه وفى بيته والشارع والحان والسوق . وكذلك فى ساعات صفائه وغضبه وشجاره ·

والتسلية هدف هام فى مثل هذا الكتاب الذى بين ايدينا ، ولذلك فان صاحبه لم يكتف بأسلوبه ومنهجه ونوادره ، بل يعمد أيضا الى تخصيص فصلين كاملين للحكايات يحملان نفس العنوان وهو « بعض الاساطير » · يقص فيهما اكثر من حكاية شعبية فرعونيه مشهورة ·

واذا كان لهذا الاسلوب مزاياه من الرشاقة او خفة الدم بلقطاته الصحفية السريعة ، فان له أيضا عيوبه واهمها انه يجعل مشاعر انسان اليوم هى التى تسير اتجاه العرض ، فينقلنا بطريقة لا شعورية الى الحاضر ·· وهنا يتحول الحديث سواء أكان كلمات معدودة أو اسطر ، الى لقطة من رحلة حديثة يقوم بها أجنبى لهذه البقعة أو تلك من الارض المصرية ! ولا يقتصر استحضار الآن على ذلك ، فان جيمس بيكى لا يجد بأسا فى ان يعقد المقارنات أو المقابلات بين أيام رمسيس الثانى التى اختارها زمنا لعرضه أو لكتابه ، وبين أيامنا هذه وخاصة فى الحياة الانجليزية بالطبع ·· ولذلك يكثر ترديد كلمة لندن وتذكر المستعمرات البريطانية أيضا · ففى الاشارة الى كثرة الجنسيات فى جيش فرعون ، يعقب المؤلف « ·· مثل جيشنا الموجود فىالهند » ! او قوله ان المصريين

اشتهروا بالمهارة فى الرماية مثل الانجليز القدماء ! •

وهذه الروح العصرية ولانقول «روح الخواجة » ، تبدو أكثر وضوحا عندما يستخدم المؤلف مقياس العصر الحديث للحكم به على الزمن القديم ، ويجهر بهذا الاستخدام •• فهو حين يعرض للايمان بالسحر والاستعانة بالوصفات البلدية المدعمة بالقوى الغيبية بدلا من الطب ، يشير الى ما كان يتجرعه المريض المسكين من أشياء مقززة مثل عصير مياه اذن الخنزير أو دماء الضب •• يفعل الكاتب الانجليزى ذلك غير ملق بالا الى ان الاطباء الاوربيين كانوا يقررون انفع من هذا على مرضاهم بعد الفراعنة بالآف السنين •

وهذا الاسلوب الذى يستخدمه جيمس بيكى ، يهدف ايضا الى تقريب المعلومات القديمة عن البلد العريق لمواطنه الاوربى الذى يمكن ان يكون بعيدا عن فهم روح الحضارة الفرعونية، ولذلك فهو يعمد الى الاشياء التى يعرفها هذا المواطن لتكون همزة الوصل التى تفسر ما يقع على شاشة الامس الحضارى العابر •• ومن هنا نصادف مثل هذه الاشارة : وكانت هذه الارض — الامبراطورية المصرية ١٥٠ قبل الميلاد — مثل امريكا على عهد الملكة اليزابيث » .. وبذلك ترسخ الملامح التى تقدمها « مصر القديمة » •

والاعجاب الكبير لكاتبنا بمصر القديمة ، لم يوصد الباب بالطبع امام اعتزازه بجنسيته الانجليزية ..وتذكر ان قومه فى ذلك الحين كانوا يحتلون بلادنا وانهم اتوا تحت زعم مساعدة الحاكم الشرعى ضد المتمردين عليه ، بجانب مسئولية الرجل الابيض الحضارية فى انتشال الهمج الذين هم نحن من وهدة جهلهم • وهذه الدعوى الاخيرة كان لابد لها ان تظهر فى سطور جيمس بيكى سواء اراد او لم يرد .. وهكذا تعددت الاشارات غير القليلة الى بصمات بريطانيا العظمى فى مصر والسودان .. تجىء عرضا بالطبع ولكنها تقوم باستدعاء الوجود الانجليزى على اتم وجه ، كما حدث والمؤلف يلمس بناء المهندسين الانجليز للسد العظيم الذى حجب الشلال الاول « ص ٤٤ » .. او تفرور « الجندى المصرى من الحرب كما خبره الجندى البريطانى فى معاركه معه » «ص ٤٢»!!

ومن الطريف ان نجيب محفوظ فى ترجمته لم يلغ مثل هذه الاشارة الاخيرة المريبة او يعقب عليها مفندا فى هامش !

لقد جعل المؤلف كتابه يتخذ شكل الحديث المباشر الى القلب ، ولذا فهو يخاطب المتلقى ويحاوره ويداعبه ويدعوه منذ البداية الى ان يشاركه مباهج رحلته ومتاعبها ايضا .. كما يحادثه بصراحة فلا يعمد الى تضليله ولا يخفى عنه شيئا ، مما اسقط الحائط الوهمى التقليدى بين المرسل والمستقبل مشيعا جوا من الود جعل الكتاب يبدو كأنه حديث شيق متصل بين صديقين حميمين ! • • •

الفسطاط

الجامعة الأولى فى مصر الإسلامية

١٣

● د. عبد المنعم خفاجى ●

– ١ –

دخلت مصر فى الاسلام، واستظلت بلوائه ، وحملت راية العروبة لاول مرة ، منذ فتحها القائد العربى المسلم عمرو بن العاص عام ٢٠ هـ / ٦٤٠م . وبفضل عبقرية هذا القائد العظيم انتهى حكم الرومان لمصر ، هذا الحكم الاستعمارى المدمر ، ومات هرقل الامبراطور الرومانى وقد شاهد هزيمة جيشه ، وانحسار نفوذ امبراطوريته، وضياع مستعمراتها ، ودانت مصر كلها بالطاعة للحكم الاسلامى ، مرحبة بانتهاء العصر المظلم الذى اورث بنيها الفقر والهوان .

وبنى عمرو عقب الفتح مدينة الفسطاط لتكون العاصمة الاسلامية الاولى لمصر . وبدا فبنى مسجده الجامع عام ٢١ هـ ، واتخذ الاماكن التى نزل بها جيشه معسكرا عاما ، وبنى حوله مدينة الفسطاط ، يتوسطها المسجد الجامع ، واخذ يرفع الظلم عن كاهل المصريين ، ويعاملهم بالعدل والانصاف والرحمة ، واكبر المصريون شريعة عمرو ولغته ودينه ، فدخلوا فى الاسلام افواجا .

ويحدثنا التاريخ أن عمرو بن العاص (٤٧ ق . هـ ــ ٤٣ هـ) بعث الى الخليفة عمر بن الخطاب فى المدينة معاوية بن خديج ، بشيرا بالفتح ، فى المحرم من عام ٢٠ هـ ، فقدم المدينة وقت الظهيرة ، فأناخ راحلته امام المسجد النبوى ، ثم دخله ، فبينما هو جالس فيه ، اذ خرجت طفلة من منزل عمر بن الخطاب ، يقول معاوية : فرأتنى شاحبا ، وعلى ثياب السفر ، فأتتنى، وقالت : من انت ؟. فقلت : انا معاوية رسولُ عمرو بن العاص ..

فانصرفت الطفلة عنى ، ثم اقبلت تعدو ، حتى لأسمع حفيف ازارها على ساقيها ، حتى دنت منى ، ثم قالت : قم فأجب أمير المؤمنين ، فتبعتها ، فلما دخلت المنزل اذا بعمر يتناولُ رداءه باحدى يديه ويشد ازاره باليد الاخرى، فقال : ما عندك ؟.

قلت : خير يا أمير المؤمنين ، فتح الله الاسكندرية ..

فخرج معى الى المسجد ، وقالَ للمؤذن : اذن ، الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس، ثم قالَ لى : قم فأخبر أصحابك، فقمت فخطبت فيهم ، ثم صلى ودخلَ منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعوات، ثم جلس ، وطلب الطعام ، فقدم خبزَ وزيت ، فقال : كل فان المسافر يحب الطعام ، ولو كنت آكلا لأكلت معك ، فأكلت على حياء ، ثم قال : ماذا قلت يا معاوية حين اتيت المسجد ؟ قال ، قلت : أمير المؤمنين نائم ، قال : بئس ما ظننته ، لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يا

ازدهرت الفسطاط بتوالي الأيام، وصارت العاصمة الحضارية والعلمية والأدبية والاقتصادية لمصر خلال أجيال عديدة وصارت من أكثر الأمصار الإسلامية عمرانًا ورخاءً وعظمة ...

معاوية !!

***

وكان عمرو بن العاص مع هذه الدنيا المقبلة، والسعادة الغامرة، والسلطة النافذة، أسبق الناس الى حق، وابعدهم عن باطل، لم يعهد عليه الشاه ولايته على مصر نقض لعهد، ولا خفر لذمة، ولا انتهاك لحرمة. وقد نهض بادارة شئون مصر ادارة حازمة رشيدة، دستورها مبادىء الاسلام، وشعارها الحق والعدل والمساواة والحرية.

واخذت الفسطاط تتسع وتزدهر، وصارت منذ انشائها عام ٢١ هـ: ٦٤١م عاصمة مصر السياسية، ومنارة الدين واللغة العربية والمعرفة والثقافة، ومقر العمران والحضارة والرخاء اجيالا طوالا ..

وكان مسجد الفسطاط (أو مسجد عمرو بن العاص، أو تاج الجوامع، او الجامع العتيق، أو مسجد الراية) هو أول مسجد قام في مصر العربية، وكان هو بعد قليل مقر جامعة الفسطاط الاسلامية الكبرى.

وكانت المساجد الكبرى في العواصم الاسلامية، لا تلبث بعد انشائها بقليل، أن تتحول الى جامعات تغص بالعلماء وحلقات العلم والدراسة والبحث وبالطلاب، وفي المدينة ومسجدها النبوى قامت أول جامعة اسلامية، ثم قامت في مكة وفي المسجد الحرام بعد ذلك جامعة اخرى، وفي دمشق والفسطاط والبصرة والكوفة، قامت جامعات اسلامية مزدهرة.

وكذلك قامت في القيروان وقرطبة وفاس، وغيرها من العواصم الحضارية الجديدة المنتشرة في شرق العالم الاسلامي وغربه جامعات جديدة تقيم صروحا شامخة للثقافة والمعرفة والحضارة، فرأينا بعد القرون الاولى جامعة الازهر والقرويين والجامعة النظامية والمستنصرية في بغداد ..

***

ولقد اشرف على بناء المسجد الجامع والفسطاط اربعة من الصحابة، هم: ابو ذر الغفارى، ونهبة بن صواب البصرى، ومحمشة بن حمزة، وابو بصرة.

ومع ان عبد العزيز بن مروان، الحاكم الأموى على مصر، بعد استردادها من أيدي الزبيريين «٦٥ ـ ٨٦ هـ» قد بنى حلوان، وانتقل من الفسطاط اليها، ومع أن العباسيين انشأوا مدينة العسكر عام ١٣٥ هـ شمالى الفسطاط، ومع انشاء أحمد بن طولون لمدينة القطائع عام ٢٥٤ هـ ـ فان الفسطاط لم تتغير منزلتها السياسية والعلمية والادبية، ولم تهبط مكانتها بحال من الأحوال، وحين دخل الفاطميون مصر نظروا الى الفسطاط على انها العاصمة السنية لمصر، فاداروا لها ظهرهم، وانشأوا القاهرة المعزية لتكون العاصمة السياسية والروحية لهم، ولتكون صورة لعقيدتهم الشيعية وخلافتهم العلوية.

يحدثنا التاريخ ان المعز لما وصل مصر في اوائل رمضان عام ٣٦٢ هـ خرج اعيان الفسطاط واشرافها وعلماؤها لاستقباله في الجيزة، واستعدت

الفسطاط لاستقباله ، وسار موكبه من الجيزة ، ثم جاز النيل الى الشاطىء الشرقي ، وأبى ان يدخل الفسطاط ، وجعلها وراء ظهره ، وامر موكبه بالاتجاه الى عاصمته الجديدة التي سميت « المنصورية » ، ثم صدر امر المعز في ذلك الحين بان تسمى القاهرة المعزية ، وقد جمع المعز أشراف الفسطاط من العلويين ، وفي مقدمتهم ابو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني وابو اسماعيل ابراهيم بن احمد الحسيني الرسي ، وأحد ابناء الشريف ابى محمد بن طباطبا العلوي ، وسل امامهم سيفه ، وقال : هذا نسبي ، ثم نثر عليهم ذهبا كثيرا ، وقال : هذا حسبي ...

***

ولقد ازدهرت الفسطاط بتوالي الايام ، وصارت العاصمة الحضارية والعلمية والادبية والاقتصادية لمصر كلها خلال أجيال عديدة ، وصارت من أكثر الامصار الاسلامية عمرانا ورخاء وعظمة

اقام عبد الله بن عمرو بن العاصي داره في الفسطاط على صورة الكعبة الشريفة ، وكان عبد الله المتوفى عام ٦٨ هـ ، من جلة العلماء والمحدثين ، وكانت دار الأمير الأموى عبد العزيز ابن مروان « وهو والد عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى العادل » في الفسطاط من ستة طبقات او أدوار ، وفيها خمسة مساجد وحمامان

وقد جلس الصحابة والتابعون في مسجد عمرو ، يتصدرون الحلقات العلمية ، ومجالس العلم ، وشجع ولاة مصر العلماء على نشر الثقافة العربية في كل مكان من أرض مصر ، وانتشت المساجد واصبحت حلقاتها دورا للثقافة ، يتصدرها المحدثون والفقهاء والعلماء

واستمرت الفسطاط تؤدى دورها الحضارى في تاريخ مصر والعالم الاسلامى والانسانية كلها ، حتى ليصفها الاصطخرى في القرن الرابع الهجرى بانها مدينة مصر العظمى ، وبانها في غاية العمران والخصب ، وبان مبانيها قد تبلغ الواحدة منها ثمانى طبقات ... وينوه كذلك ابن حوقل باهميتها الحضارية ، ويقول عنها المقدسى ان الفسطاط هى « عاصمة » مصر ، ومفخرة الاسلام ، ومتجر الانام، وهى اجل من مدينة السلام، ويقول ان حلقات مسجدها الجامع ليس في عواصم الاسلام اكبر منها ، ومع ان الفسطاط دمرها حريق مروع في عهد الحاكم الفاطمى ، ثم احرقها شاور الوزير الحاكم في مصر عام ٥٦٤ هـ لئلا تقع في ايدى الصليبيين ، وقد استمر هذا الحريق المدمر اربعة وخمسين يوما، مما جعل المدينة تفقد شيئا فشيئا الكثير من اهميتها الحضارية والفكرية ــ الا انها اخذت تضمد جراحها ، وتستمر في اداء دورها ، حتى نهاية القرن السابع الهجرى ، فلا نجد لها في القرن الثامن صدى او ذكرا ، ومع ان اتخاذ المماليك للروضة مقرا لهم ، قد اضفى على الفسطاط المقابلة للروضة شيئا من الحياة، الا ان هذا لم يجعلها تقف على قدميها كما كانت من قبل .

لقد ترك الفاطميون الفسطاط لشأنها، ولكن صلاح الدين والأيوبيين أقبلوا عليها بكل عطف وتقدير ، ثم جاء المماليك فاهتموا بالروضة واكتفوا بها عن غيرها ، الا ان مواجهة الفسطاط للروضة جعل الحياة تتدفق في شرايينها شيئا قليلا ، حتى اصابتها الشيخوخة وحطمتها . ولقد زارها ابن سعيد الاندلسى عام ٦٣٧ هـ وتحدث عن شهرتها وماضيها العظيم ...

ــ ٢ ــ

لقد قام مسجد الفسطاط بدور الجامعة الاسلامية الأولى في مصر نحو سبعة قرون ، وعاشت هذه الجامعة العلمية الكبرى في ظلال ازدهار الفسطاط وعمرانها ورخائها حتى اذا

مسجد الفسطاط أو مسجد عمرو بن العاص، أو تاج الجوامع أو الجامع العتيق أو مسجد الراية. كان أول مسجد قام في مصر العربية، وكان لهو بعد قليل مقر جامعة الفسطاط الإسلامية الكبرى.

دمرت الفسطاط ، وضاعت مكانتها الحضارية والفكرية والادبية ، واصابها الشلل ، والشيخوخة – انتهى دور هذه الجامعة التى خدمت الاسلام والمسلمين اجيالا طوالا ، بل خدمت العلم والانسانية كافة طيلة سبعة قرون

وكان قيام الحلقات العلمية والادبية فى جامع الفسطاط ، بعد انشائه **بقليل** ، **رمزا** لحركة البناء والتجديد **وطموح العقل** المصرى المتوثب دائبا .

واعتقد ان عبد الله بن عمرو بن **العاص الصحابى** الجليل ، وابن أمير **مصر عمرو بن** العاص ، كان هو المؤسس **الاول لهذا الصرح** الشامخ ، ولهذه **الجامعة الاسلامية** الاولى فى مصر ، وكان عبد الله من ائمة الصحابة والمحدثين ، ولا بد أن يكون قد صارت له حلقة علمية فى جامع الفسطاط ، يتصدرها ليفيد الناس فى دينهم ودنياهم ، من حيث يرى الدكتور على اليمنى درديز فى رسالته المخطوطة للدكتوراه والتى عنوانها « الحياة الادبية والنقدية فى الفسطاط ومسجدها الجامع » أن يزيد بن حبيب الذى بعث به عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى الى الفسطاط هو مؤسس مدرسة الفسطاط العلمية ، وهذه الرسالة القيمة جديرة بأن تتبنى هيئة من هيئاتنا العلمية نشرها لاهميتها .

وعبد الله بن عمرو بن العاص كان بمثابة الروح الباقى للحلقات العلمية الجامعية فى جامعة الفسطاط ؟ وقد اخذت هذه الحلقات تكبر وتنمو شيئا فشيئا ، وتتسع دائرتها ، وتفيد العقل المصرى الاسلامى الجديد فائدة جلى .

ويكون يزيد بن حبيب تاليا لعبد الله ابن عمرو بن العاص فى ذلك المجال ، ويذكر الدكتور درديز نصا للسيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة » « ١/١١٩ » هو أن يزيد بن حبيب كان « أول من اظهر العلم بمصر ، وبين المسائل فى الحرام والحلال وكان الناس قبله يتحدثون فى الترغيب والترهيب والملاحم والفتن » ، وكان الخليفة الاموى عمر بن عبد العزيز قد بعث به الى مصر ، كما بعث كذلك بنافع مولى عبد الله بن عمر « المتوفى عام ١٢٠ هـ » ليعلم أهلها السنن والقراءات وقد صار لنافع مدرسة علمية فى القراءات فى جامعة الفسطاط وكان من اعلامها : مجاهد بن جبير أحد العلماء الثقات فى القراءات ، ثم عثمان بن سعيد « ورش » الذى يذكر ياقوت فى « معجم الادباء » انه كان له مجلس عامر .

ومن مدرسة الحديث عطاء بن دينار الهذلى « المتوفى عام ١٢٦ هـ » وهو بالطبع يعد امتدادا لفكر عبد الله بن عمرو بن العاص . ومن تلاميذ يزيد بن حبيب : ابن لهيعة « ٩٦ – ١٦٠ هـ » والليث بن سعد « ٩٤ – ١٧٥ هـ » ، وعبد الله بن وهب « ١٢٤ – ٢٠٠ هـ » الذى تأثر بآراء استاذه الليث بن سعد بطريق مباشر ، وبآراء ابن حبيب بطريق غير مباشر

وكان الامام أحمد بن حنبل يقول عن « ابن لهيعة » : عنده الأصول وعندنا الفروع » ولابن وهب كتاب « الجامع في الحديث » ، والليث بن سعد هو أحد المجتهدين الاعلام وصاحب مذهب من المذاهب المشهورة. وكتاب تلميذه ابن وهب « الجامع في الحديث» أقدم كتاب مصرى مخطوط بدار الكتب المصرية ، وعليه ما يفيد أن الكتاب قرىء في مدينة اسنا عام ٢٧٦ هـ كما ورد في «حسن المحاضرة» للسيوطى « ١٦٨/١ »

وهكذا ازدهرت حركة جامعة الفسطاط « جامع عمرو » العلمية ، وزادت فيها مجالس العلم ، وحلقات العلماء، زيادة كبيرة، وام هذا المسجد الجامع او الجامعي الكثير من العلماء الاعلام ، والائمة المجتهدين ، ممن افادوا العالم الاسلامى ، وادوا له خدمات صادقة في مجال الثقافة والتعليم ، وفي مختلف علوم الشريعة والدين واللغة والادب والعلوم الاخرى

وقد قصد الكثير من الشعراء مصر، ووفدوا الى الفسطاط وجلسوا في حلقات جامعتها الاسلامية الكبرى ، ابو تمام الطائى « ١٩٠ - ٢٣١ هـ » تعلم في هذه الحلقات ، وابو نواس وفد على الخصيب امير مصر ، وجلس في حلقات المسجد الجامع وافاد منها .

وفي رحاب هذه الجامعة التقى الكثير من الشعراء والادباء والنقاد وحاورهم وحاوروه ، ومن قبل ذلك وفد على مصر وفسطاطها ومسجدها الجامع : جميل ، وكثير ونصيب ، وايمن بن خريم الاسدى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، وكان الفرزدق قد عزم على زيارة مصر وواليها عبد العزيز بن مروان ، لولا ان جاءه نعى الامير عام ٨٦ هـ .

ولما وفد الامام الشافعى الى مصر عام ١٩٨ هـ وأملى فيها مذهبه الجديد ، كان مسجد عمرو أو جامعة الفسطاط ، مركز نشاطه العلمى الديني ، حيث صارت له حلقة فيه ، وفي زاوية منه كان يدرس فيها مذهبه ، ويدون آراءه ، وعلى يديه تخرج كثير من العلماء الذين دونوا المذهب ، ونشروا علم أستاذهم ، كالربيع بن سليمان المرادى « ١٧٤ - ٢٧٠ هـ » ، والبويطى « ٢٣١ هـ » والربيع الجيزى الذى ينسب اليه جمع كتاب الام وترتيبه بعد البويطى وسعيد بن عفير « ١٤٦ - ٢٢٦ هـ » والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل الاكبر « ١٧٠ - ٢٥٨ هـ »

وكان عبد الله بن طاهر أمير مصر يجعل سعيد بن عفير ثالث عجائب مصر بعد الهرمين والنيل :

ومن جامعة الفسطاط انتشر مذهب الشافعى على أيدى تلاميذه ، ومن قبل كانت السيادة للمذهب المالكى الذى كان أول من أعلنه في مصر ونشره فيها عثمان بن الحكم الجذامي ومن شيوخ المالكية فيها أصبغ بن الفرج ، كما كان أول محاولة لنشر المذهب الحنفى فيها على يدى القاضى اسماعيل بن سميع الكندى ، الذى ولاه العباسيون عام ١٦٤ هـ قضاء مصر ، تعمل على نشر مذهب ابى حنيفة فيها . أما الحنابلة فكانوا قليلين، ومن علماء مسجد عمرو كذلك اسحاق بن الفرات تلميذ الليث ابن سعد « توفى عام ٢٠٤ هـ » ،وقال منه الشافعى : ما رأيت بمصر أعلم منه باختلاف الناس ، وكذلك اسحاق بن بكر « - ٢١٨ هـ » ، وكان يجلس في حلقة الليث ويفتى بقوله ، والطحاوى واليه انتهت رياسة الاحناف في مصر « ٢٣٩ - ٣٢١ هـ » ، وبكار بن قتيبة من قضاة مصر الأحناف « ٢١٠ - ٢٧٠ هـ »

وقامت في جامع عمرو حلقة تاريخية تصدرها محمد بن اسحاق صاحب السيرة « - ١٥١ هـ » ، ثم عبد الملك ابن هشام راويته ، ومحمد بن ابى

الليث ، كمــا وفــد عليها ابن جرير الطبرى ، وكذلك المسعودى ، وتصدر هذه الحلقة المؤرخون المصريون ، مثل ابن عبد الحكم المصرى مؤلف كتــاب « فتوح مصر » « ١٦٥ ـ ٢٥٦ هـ » ، ووالده عبد الله بن عبد الحكم «١٥٥ ـ ٢١٤ هـ » ، والكندى ، وابن يونس « ٢٨١ ـ ٣٤٧ هـ » وعمار بن وسيمة المصرى « ـ ٢٨٩هـ » ، وابن الداية صاحب كتاب« المكافأة» ، وابن زولاق المصرى « ٣٠٦ ـ ٣٨٧ هـ » الذى ولد بالفسطاط .

وكان للمعتزلة كذلك حلقة فى مسجد عمرو زعيمها ابن صبيح ، ومنهم ابو عمران موسى بن رباح الفارسى المتكلم، وسيبويه المصرى « ٢٨٤ ـ ٣٥٨هـ» وابو على بن محمد العاصى الواسطى الذى كان من زعماء المتكلمين المعتزلين فى مصر

ومن مدرسة اللغويين النحــويين الادباء فى جامعة الفسطاط : ابن ولاد « ـ ٢٣٢ هـ » شيخ العربية فى مصر كما يقول السيوطى فى كتابة حسن المحاضرة « ١ / ٢٢٨ » ، واحمد بن يوسف بن الداية صاحب كتــاب «المكافأة » وقد توفى بعد عام ٣٣٠هـ» والحسن بن داود بن بابشاذ المصرى النحوى المشهور « ـ ٣٣٩ هـ » وابو جعفر النحــاس « ـ ٣٣٨ هـ » ، والادفوى النحوى المفسر « ـ ٣٨٨هـ» .. ويروى ياقوت فى كتابه « معجم الادباء » أن الطلاب المصريين فى جامع عمرو سالوا ابن جرير الطبرى « ـ ٣١٠ هـ » ان يملى عليهم شعر الطرماح، وكانوا لا يعرفون شيئا منه» وكان ممن ساله فى ذلك على بن سراج المصرى ، فاجابهم الى طلبهم ، واخذ يمليــه عليهم ويفسر غريبه « ٣٣/٦؛ معجم الادباء »

ومن العلماء الاجلاء ابوبكر بن الحداد « ٢٦٥ ـ ٣٤٥ هـ » وكان كما يقول السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة « ١٢٦/١ » يلقب بفقيه مصر وفصيحها وعابدها ، وكان يدرس فى جامع عمرو

وقد وفد على مصر ابوالعباس الناشىء الاكبر « ـ ٢٩٣ هـ » والقى آراءه فى الشعر والنقد فى مسجد عمرو

وقد تصدر حلقات العلم فى هــذه الجامعة الكبيرة بعض الوزراء ، مــن مثل احمد بن يحيى الوزير : ابن سليمان التجيبى « ١٧١ ـ ٢٥٠ هـ » ، وكان له مجلس عام بجامع عمرو ، وقــد صحب الشافعى حين وفد الى مصر ولازم حلقته العلمية فى هذه الجامعة « جامعة الفسطاط »، ولازمه ، واخذ الكثير عنه ، كما يقول السيوطى فى كتابه « بغية الوعاة » ـ ص ١٧٤ ، متخذا فى ذلك سنن أستاذه الخالد ، الامام الشــافعى الذى كان يجلس فى جامع عمرو يلقى فيه دروسه العلمية الحافلة حتى استأثرت به رحمة الله، وكان اعرابى يتردد على حلقه الشافعى فى مسجد عمرو ، فجاء بعــد موت الشافعى ، فلم يجد قمر هذه الحلقة، فقال للطلاب الذين يجلسون فيها : اين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقالوا : توفى الى رحمة الله ، فامتلأت عيناه بالدموع، وقال : رحمه الله وغفر له ، لقــد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويوســع بالرأى أبوابا مسدودة .

●●●

وكما كان ابو نواس من قبل « ١٤٥ ـ ١٩٨ هـ » يجلس فى حلقة خاصة فى جامعة الفسطاط ، ويتخــذ له مجلسا ادبيا فى المسجد الجامع ، ويلتف حوله الشعراء والادباء والنقاد ، اثناء اقامته فى مصر ، كان كذلك يفعل ابو الطيب المتنبى اثناء اقامتــه فى الفســطاط « ٣٤٦ ـ ٣٥٠ هـ » ، يجلس فى حلقة خاصة فى جامعــة الفسطاط وحوله الشعراء والنقــاد والادباء يملى وينشد شــعره لهم ، ويستمع لنقــدهم ، ويحاججهم ويحاجونه ، وكان ممن اخذوا ينقدون

شعره : الوزير ابن حنزابة وزير كافور الاخشيدى « ــ ٣٥٧ هـ » لان المتنبى ابى أن يمدحه، وكذلك سيبويه المصرى ابو بكر محمد بن موسى الصيرفى ، وسواهما .

وكان هناك فى حلقة مسجد الفسطاط لفيف من الشعراء يبدون اعجابهم الشديد بالمتنبى وشاعريته ، ومنهم : عبد الله بن محمد بن ابى الجوع ، وصالح بن رشدين الكاتب، وابن طباطبا العلوى المصرى وسواهم.

وهكذا تعددت الحلقات وتنوعت فى جامعة الفسطاط وتصدرها كبار العلماء والادباء والمفكرين والنقاد ، وخرجت هذه الحلقات اجيالا عظيمة من الباحثين والمتخصصين عاما بعد عام ، مما أمد مصر بهالة من الجلال، وجعلها تتصدر امم العالم الاسلامى فى حمل رسالة الدين والثقافة والحضارة، حتى لقد سبقت بغداد فى هذا المضمار

ــ ٣ ــ

استمرت جامعة الفسطاط تؤدى دورها الحضارى فى بناء الانسان المصرى العربى طيلة ايام الولاة الامويين والعباسيين . وبفضل هذه الجامعة اصدر أمير مصر الاموى عبد الله بن عبد الملك بن مروان امرا رسميا عام ٨٧ هـ بأن تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للدولة .

وازدهرت الحلقات العلمية فى هذه الجامعة فى عهد الطولونيين (٢٥٤ ــ ٢٩٢ هـ) ، والاخشيديين (٣٢١ ــ ٣٥٨ هـ) .

وانتقلت الدولة الى الفاطميين من عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م واستمرت فى ايديهم قرنين كاملين او يزيد ، حتى عام ٥٦٧ هـ ١١٧١ م .

وشيد الفاطميون الازهر ، وافتتح فى رمضان من عام ٣٦١ هـ ، ولم يلبث ان اقيمت الحلقات العلمية فيه ، وصار جامعة اسلامية ثانية فى مصر ، ثم اقام الحاكم الفاطمى دار الحكمة او دار العلم الشهيرة ، عام ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، التى نافست الازهر ايضا فى رسالته العلمية الجامعة ، ومع ذلك كله فقد كانت مكانة الفسطاط وجامعة الفسطاط قوية ضخمة، لم تتاثر بالعواصف السياسية الهوج فاستمرت جامعة الفسطاط فى مسارها العلمى ، فالحلقات العلمية والعلماء والطلاب ، ظلت كما هى ، وظل التدريس فى مسجد عمرو طويلا .

وكما كان ابن حنبل يقول لطلابه فى بغداد : « ان بمصر اى الفسطاط صحيفة فى التفسير رواها على بن طلحة الهاشمى عن ابن عباس ، لو رحل رجل منكم الى مصر ليطلع عليها ما كان هذا كثيرا » ، كان الشريف الرضى (٣٥٩ ــ ٤٠٦ هـ) فى بغداد يقول :

ما مقامى على الهوان وعندى
مقول صارم وانف حمى
احمل الضيم فى بلاد الاعادى
وبمصر الخليفة العلوى ؟.

وكان الشعراء فى العالم **الاسلامى يهتفون لمصر** وحلقاتها العلمية **، وجامعاتها الفسطاط** ، والازهر ، **ودار العلم ، وهم يقولون :**

اسكان مصر جاور النيل ارضكم
فاكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر

وظل مسجد الفسطاط الجامعى منتدى لاهل الفضل والادب ، وحمل لواء الثقافة الاسلامية العربية خافقا عاليا ، كما كانت الفسطاط مدينة حضارية ذات منزلة علمية وفكرية وادبية واقتصادية رفيعة .

واذا كان الجامع الازهر قد اخذ ينافس المسجد الجامع الجامعى فى الفسطاط فى حلقاته العلمية ومجالسه الادبية، كما اخذت دار الحكمة تنافسهما معا ، حيث صارت مثوى للمجالس العلمية الكلامية والفلسفية ، فان الفسطاط وقد فقد رعاية الدولة لم تضعف قوته، ولم تلن قناته، واحتفظت جامعة الفسطاط باهميتها وبطابعها الدينى والادبى معا ، وفى فترات ضعف الخلافة الفاطمية كانت الفسطاط وحلقاتها العلمية تتفوق على القاهرة .

مما تحدث عنه الكثير ممن زاروا مصر من العلماء والرحالة المسلمين ، من مثل أمية بن عبد العزيز بن ابى الصلت « ٥٢٩هـ » الذى وفد على مصر ودرس الحركة الادبية والفكرية فيها ، وكتب عنها رسالة بقى منها صفحات قليلة هى التى وصلتنا ، تحدث فيها ابن ابى الصلت عن بعض ادباء مصر وعلمائها ، ومجالسهم الفكرية والادبية . وكانت الفسطاط آنذاك ايضا من اغنى الامصار الاسلامية ، واكثرها رخاء .. وقد وصفها القاضى محمد بن سلامة القضاعى (٤٥٤ هـ) فى القرن الخامس فقال ان فيها من المساجد ستة وثلاثين الف مسجد ، ومن الحمامات الفا ومائة وسبعين حماما ، ومن الشوارع المسلوكة ثمانية آلاف شارع ، وأسواقها عامرة وهى عامرة بالمنازل الشاهقة ، وفيها دار عبد العزيز ابن مروان ، وفى داخل هذه الدار خمسة مساجد وحمامان ، اما بضاعة العلم فى الفسطاط فكانت اغلى البضائع وانفسها

وفضلا عن الاسواق التى كانت للكتب فقد كانت صناعة النسخ واسعة النطاق يعيش منها آلاف من المشتغلين بالعلم ، وحلقات العلم تعقد فى المساجد ، وكان جامع عمرو الذى يسمى تاج الجوامع مكان التحديث والتدريس من عهد الصحابة الى زمن الائمة ، وفيه كانت حلقات الامام الليث بن سعد والامام محمد بن ادريس الشافعى .

واستمرت هذه الحلقات العلمية كل يوم بلا انقطاع فى جامع عمرو ، وكانت لا تقل عن بضع واربعين حلقة فى عام ٧٤٩ هـ . كما يقول السيوطى فى « حسن المحاضرة » (١٣٦/٢) .

واحرقت الفسطاط فى عهد الحاكم ثم فى عهد شاور عام ٥٦٤ هـ ، وفى الحريق الثانى محيت هذه المدينة الاسلامية بما فيها من ذكريات ومكتبات ومدارس ومعاهد علمية ومع ذلك اخذ الناس يعمرون الفسطاط فى عهد صلاح الدين الايوبى والدولة الايوبية ، ويسكنونها ، ويقيمون فيها ، وينظمون الحلقات العلمية والادبية من جديد فى مسجدها الجامع .

وفى القرن السابع وفد ابن سعيد الاندلسى الى الفسطاط عام ٦٣٧ هـ ، ووصفها فى كتاب (المغرب فى حلى المغرب) الذى افرد منه فصلا كبيرا عن الفسطاط بعنوان « الاغتباط فى حلى الفسطاط » وقد نشر فى مصر ، تحدث فيه عن المدينة وادبائها ، وشاعرها ابى الحسن الجزار (ـ ٦٧٩ هـ) ، وكانت الفسطاط قد استردت الكثير من بهائها السالف ، واهميتها الاجتماعية القديمة بسبب قيام المدينة الجديدة التى انشاها الملك الصالح فى جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط سنة ٦٣٨ هـ ، واتخذها عاصمة له . فسكن كثير من الامراء والكبراء بالفسطاط فى الضفة المقابلة للروضة . وظل مسجد عمرو برغم عفائه وقدمه ونسيان أمره عامرا بحلقات العلم والدرس ، وإن كان لم يعد الى شموخه القديم

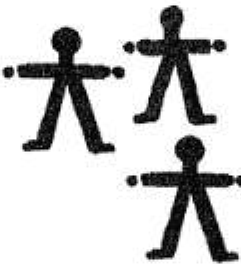
ولم يتخل المسجد الجامع ـ جامعة الفسطاط ـ عن دوره الحضارى والفكرى والادبى حتى نهايات القرن السابع الهجرى .. ثم سكت الصوت ، وخفت الضوء ، وحمل الأزهر وحده عبء الثقافة الاسلامية فى مصر العربية ، وهكذا انتهى دور جامعة الفسطاط الاسلامية .

ـ ٤ ـ

انها لرحلة شاقة . لا يستطيع فرد ان يعيش وحده معها ، وهى محتاجة الى جهد طويل للكشف عن طبيعة المهمة العلمية ومناهج الدراسة التى اضطلعت بها جامعة الفسطاط نحو سبعة قرون كاملة ، والكشف عن العلماء الذين تصدروا حلقاتها عاما بعد عام .

ياليت هذا المسجد الجامع العتيق ، ياخذ دورا حضاريا جديدا فى ظلال الثورة العلمية التى ننشدها .. وما ذلك على الله بعزيز .

التمرد الاجتماعي في : الشعر العربي المعاصر



● د. محمد احمد العزب ●

● كان التمرد الاجتمــاعي في الشعر المعاصر وليد احساس عارم بفداحة العلاقات الاجتماعية الجائرة في كل منحى من مناحي الحياة العربية : سياسيا، واجتماعيا ،وحضاريا .. بمعنى ان قلة قليلة من جماهير الأمة كانت تحتكر النفوذ في كل مظهر من هذه المظاهر ، وتتداول هذا النفوذ جيلا بعد جيل .. وكانت الكثرة الساحقة من جماهير هذه الأمة مطحونة بواقعها الطبقي الأدنى ومحكومة بالبقاء فاقدة ، ومحــرومة حتى من التطلع الى عدل اجتماعي يمكن ان يقرب تقريبا حقيقيا بين طبقات هذا المجتمع .

وكانت تثور بين الحين والحين ثورات اجتمــاعية ربما تكون قد افلحت في تكوين احساس مشـــترك بين الجماهير بضرورة المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، ولكنها لم تنجح كثيرا في تطبيق النظرية على الواقع ، والمثال على حركة الوجود الحي ،فبقيت العلاقات الاجتماعية تئن باستمرار من ظهور طبقة اقطاعية جديدة ، بوجه جديد ،وباسلوب جديد .

ولكن الطبقـــة المثقفة في مختلف جوانب العالم العربي لم تستسلم لهذا الواقع الباهظ ، وانما اخذت تهزه من قواعده هزا عنيفـــا ، وكانت ترى أن طريقها الى تغيير مثل هذا الواقـــع لا يكمن في الثورة المادية عليه فحسب — فكم من انتفاضات حدثت ولكنها لــم تغير سوى السطح الخارجي للنظـــام الطبقي — وانما يكمن في الثورة الفكرية على ما فيه من وضعية عشوائية تضع قانون التفاوت بمنأى حتى عن مجرد المناقشة والحوار مستعينة في دعـــم هذه الوضعية الشاذة بالظلام الفكرى الذى كان يسود المرحلـــــة ، ويغلف المضمون الثقافى الذى يقـــدم الى جماهيرها .

وقد قاد هذا التحول الهـــائل في السياسة والدين والفكر والاجتمـــاع رجال من امثال: محمد عبده، والكواكبي، ومصطفى كامل ، وقاسم امين ، وسعد زغلول ولطفي السيد ، وغيرهم ، على تفاوت في الحضور الزمني والفــكرى بين هؤلاء جميعا ..

ان الحقيقة الموضوعية تنطق بعمق التحول الهائل الذى احدثه او مهـــد له هؤلاء فاخذت الجماهير العريضـــة تضيق ضيقا واعيا بحقائق التفـــاوت الطبقي ، واخذت كذلك تنفـــض عن كاهلهـــا عبء كثير من المســـلمات الاجتماعيـــة والدينية والفـــكرية .. وكان الشعر من وراء ذلك ومن امامه يحدو الى ضرورة الثورة ، ويعمل على اشعال جذوة الغضـــــب ، ويؤهب لمحاولات التغيير .. مما يؤكد ان نهضة شعرية حقيقية كانت تدق على الابواب في اصرار هناك .

وكانت هناك نهضة لاحياء الثقافة العربية القديمة وتحقيق التراث الذى

تركه اعلام الفكر والادب فى الحضارة الاسلامية ، وقد تولى اذكاء تلك النهضة وحمايتها من ان تقضى عليها الدعوات التجديدية المتطرفة طائفة من اعلام البحث والتحقيق امثال : « احمد تيمور » و « شكيب ارسلان » و « محمد كرد على » ..

وكانت هنالك ايضا نهضة علمية تحاول الخروج بالتعليم من نطاق اعداد موظفين محدودى المعرفة الى آفاق البحث الحر والمشاركة فى العلم فى ميادينه الرحبة التى جاءت بها الحضارة الحديثة .

وقد تجلى مظهر هذه النهضة فى انشاء الجامعة الاهلية التى اصبحت فيما بعد « الجامعة المصرية » الرسمية

وكانت هنالك ايضا نهضة تثقيفية عامة تجلت فى التصانيف المختلفة وفى المجلات والصحف اليومية المتعددة ، فرأينا مثلا « شبلى شميل » يبشر بنظرية التطور ، و « يعقوب صروف » يغذى القارىء العربى بمادة علمية مبسطة ، و « لطفى السيد » يوجه الافكار الى الاسس التى تتوافر بها تربية الفرد والجماعة (١)

وكان من نتائج الاحساس الحاد بخطأ التركيب الاجتماعى الذى اشاعته روح التحول فى كل شىء ، أن اخذ الشعر العربى يقود معركته بلا توقف ضد مظاهر التفاوت الطبقى من جهة .. وضد مظاهر الجمود على اشتات من القيم العتيقة من جهة اخرى .. حتى ان هذا الشعر قد أخذ يعكس وضعية المعارضة كأنها غاية فى ذاتها ، وتلك سمة من سمات الجموح نلمحها فى كل طور من اطوار التحول والانقلاب فى الفن والحياة ، الا ان الظاهرة العامة اخذت بعد ذلك تتسق مع منطقها الطبيعى ، فأناط شعر التمرد بكاهله عبء معارضة الفادح والمتهرىء فى العلاقات الاجتماعية والقيم التراثية على السواء ...

واذا سلمنا بان هناك تعارضا حتميا بين الفنان والمجتمع ينشأ من جمود المجتمع على انماطه وتقاليده ، فى مواجهة ضيق الفنان بوضعية الجمود على كل الانماط والتقاليد ، فان هذا التعارض ينشأ اساسا ليس من شعور الفنان بالاستياء على العالم القائم فحسب كما يقول « توماس مان » (٢) وانما من شعوره الطاغى بان وضعية التركيب الاجتماعى فى شكلها المتخلف تقضى اساسا على عناصر التفوق الذاتى والجمعى ، وايضا على عناصر النبوغ الشخصى والموضوعى .. اى أن تشوه العلاقات الاجتماعية بسبب الفرد المتفوق بالاحباط والسقوط ، وبسبب البيئة الفكرية بالتمزق ، والانهيار ، فلا يبقى هناك امل فى ان ينبغ الفرد أو تنبغ الجماعة ، كذلك لا يبقى هناك أمل فى أن تمتاز البيئة

(١) محمود تيمور ــ اتجاهات الأدب العربى فى السنين المائة الاخيرة ص٣٢
(٢) انظر : الرؤية الابداعية (جمع هاسكل بلوك ، هيرمان سالنجر) مقال الفنان والمجتمع ، لتوماس مان ــ ص ١٣٥

الفكرية بلون من الوان الامتياز ..

فاذا عارض الفنان او تمرد فانما ينبع هذا الفعل المصادم من التزامه المطلق بقضية التمهيد للتفوق الذاتي والغيري ، وايضا بقضية التمهيد للنبوغ الشخصي والموضوعي ، وليس من مجرد احساسه المتضخم بالامتياز على العالم كما يقال .

من هنا كان شعر التمرد الاجتماعي يبدأ من نقطة الالتزام بقضية التغيير لصالح التطور ، لانه يعرف جيدا أن الثبات تحجر عند وضعية واحدة بينما تنتقل الحياة في كل لحظة من النقيض الى النقيض .. ان بعض قيم اليوم كانت بعض جرائم الأمس ، وكذلك فان العلاقات الرابضة خلف كل تركيب اجتماعي تتشكل بشكل هذا التركيب المستحدث والصائر بلا جمود .

قد نتساءل :

اذا كان شعر التمرد هكذا صائرا ابدا ، فمن اين يتاتى له ان يكون ظاهرة من الظواهر ، وهذه بطبيعتها تحتاج الى مساحة زمنية تتخلق داخلها وتتحور لتصير قضية او ظاهرة ؟

ان هذا التساؤل مشروع من جهة ، وغير ذي موضوع من جهة اخرى .. لان مشروعيته تنبثق من ملاحظة الحركة في سرعتها وجريانها بحيث يصعب على الفكر الناقد ان يسلم بامكان تشكل ظاهرة من الظواهر وسط هذا الدوار السريع ... ولان عدم مشروعيته ينبثق من ضرورة الوعي بان التمرد الذي يقفنا امامه كحقيقة نقدية كاملة هو تمرد فرض نفسه على الفن والتاريخ معا بما هو ظاهرة فنية تخلقت داخل اطارها التاريخي ، واتيح لها من خلال الفعل ورد الفعل جميعا ان تصارع تيارات معها وضدها وتفرض حلولها من خلال هذا الصراع الرهيب ، والا لما اتيح لنا ان نقف حيالها دارسين او متاملين .

هذا جانب .. والجانب الاخر ، ان اي ظاهرة فنية لا تولد هكذا كاملة ، وانما تحتاج الى ممارسات صعبة ومتكررة تثبت من خلالها جدارتها بالبقاء ، وشعر التمرد الاجتماعي واحد من هذه الظواهر الفنية ، اخفق ووفق ، حاول وكبا ، ثم حاول ونهض .. صادم كثيرا من قيم التفاوت وكثيرا من قيم التخلف ، ولكنه لم يجهز على كل هذه القيم في جولة واحدة ، لقد قطع اشواطا فنية وتاريخية حتى اتيح له ان يظفر ببعضها وان يظفر بعضها ببعضه ، ثم تخلفت في النهاية صورة هذا الصراع الهائل كما نراها الآن ...

واذن فالقيم التي يصاولها شعر التمرد لا تستسلم طفرة واحدة ، ولا تلقي سلاحها في لحظة ثم تخلد الى البوار ... على النقيض ، انها تظل تقاوم بلا هوادة ، وتقاوم الى آخر ارماقها ، مما ينتفي معه ان تكون حركة شعر التمرد حركة صائرة ابدا على المستوى التاريخي الذي تنمحي معه اللحظات ..

ان الاصح هنا ان يقال : ان شعر التمرد صائر نعم ، ولكن على المستوى التاريخي الذي تمتد فيه اللحظة الى جيل او بعض جيل ، لان القيم التي يصاولها تستمد عناصر وجودها من ازمات متواصلة ، وعسير ان تعلن عن بوارها هكذا من اول جولة ، إن هزيمتها تحتاج الى مساحة زمنية موائمة لرسوخ جذورها في التاريخ .. فاذا تم للتمرد الاجهاز عليها ، صار الى مواجهة غيرها ، وهكذا ينبغي ان نفهم صيرورة شعر التمرد ، وهو فهم ضمني في هذه الدراسة ، وربما كان محورا من محاورها الاساسية .

ويمتاز شعر التمرد الاجتماعي من غيره من شعر التمردات الاخرى بكونه شعرا عاملا في نقض بناء التقاليد التي تحكم حركة الاجتماع البشري ، اي بكونه شعرا متحركا على ارض الواقع بكل ثقله الوجودي ، يناجز على جنباته قيم التخلف ، والظلم ، والسيطرة ، والابتزاز ، وفرض الارادات .. اي انه يصير حركة عضوية من حركة الواقع في سعيها الى الافضل والامثل ، بكل

ما يعني ذلك من مكابدة ، ومعاناة ، واحتكاك ... وليس مجرد تمرد سالب منسحب الى عوالم الذات المادية أو الشعرية ، مسترسل في دوامة البكاء الرومانسي على ضياع الجنة الموعودة، أو الحلم الاسطوري المنشود على أرض الواقع .

ان في هذا التمرد السالب ـ كما يرى البيركامي ـ خيانة لاصول التمرد، لان التمرد الراشد « يسعى الى العمل في المجتمع ليحقق نفسه تحقيقا افضل ، بدلا من ان يرفضه » (٣) .

وهو راشد ليس لانه « يعمل» في المجتمع فحسب ، ولكن لانه يعمل من « معرفة » ووعي بما يعمل ، « وانما يقترن التمرد بالقدرة حين يتمرد الانسان ليهدم من معرفة ويبنى من معرفة ، ولو كان كل هدم تمردا محمودا لكانت الغازات في جوف الارض سيدة المتمردين والتقدميين . لانها تنطلق مع الزلزال فتهدم عن الشمال وعن اليمين» كما يقول العقاد . (٤)

التمرد الاجتماعي الذي تعبير عن ضيق الفنان بفداحة التفاوت الطبقي، ورفضه لغلظ القيم المتخلفة ، وممارسته للجمود في كل شيء، وثورته في وجه الانسحاب والسلب ، وقد برزت هذه الظواهر الاساسية كلها في الشعر العربي المعاصر ، وجسدها شعراء المرحلة تجسيدا حقيقيا يعبرعن إيمانهم بقضية الرفض لمواصفات الاجتماع والفن التي كانت تسود هنا وهناك ..

ففي قصائد التمرد على التفاوت الطبقي لم تعد هناك قداسة مخلوعة على طبقة بذاتها ، وانما على النقيض بدت هذه القصائد كانما تريد ان تجرم هذه الطبقات وتخلع شيئا من القداسة على مذابات الطبقة الكادحة ، ربما لانها تريد ان تنتقم لتاريخ الحرمان من تواريخ البشم ، وللجماهير السابقين النخبة المتخمة ، وهكذا يأخذ رد الفعل شكلا من اشكال الجموع الذى يعكس الأشياء من النقيض الى النقيض ...

كذلك نجد في شعر التمرد على التقاليد والقيم ليس ثورة على شيوعها وتأصلها فحسب ، وانما محاولة لتجميل اضدادها حتى ولو كان القبح هو هذا الضد النقيض .. وفي هذا الاتجاه بالذات نستطيع ان نزعم ان كسب الفن كان كبيرا ، لان المجاهيل التى ارتادها ـ بعد أن كانت محرمة عليه بقانون غير مرئي ـ وسعت من رقعة الأرض التي يتحرك عليها ، واتاحت له ان يغني للالم والقبح غناء الفنان المتعاطف مع ما في هذه المعاني من ماساوية شفيفة صادرة اولا واخيرا من الذات الانسانية بما هي عالم مائج بضروب شتى من الالوان والأطياف والظلال ، لان الشعر يحيط بالوجود وينطلق في كل الاتجاهات ، لترسم ريشته المليح والقبيح ، وتتناول الترف والمبتذل ، والرفيع والوضيع

ومثل هذا نستطيع تطبيقه في معارضة شعر التمرد للجمود ـ وثورته في وجه الانسحاب والسلب ... انه ينشب اظافره في لحم اضداده بلا هوادة .

هكذا ينظر شعر التمرد الى الموضوعات والقيم السائدة للعرف الاجتماعي والعرف الفني ، انه ينزع من كل شيء قداسته الموروثة، ويقتحم بالشعر أبهاء كل شيء ، فاذا هو خاضع بالضرورة لمنطق الفن لا منطق الاخلاق .. انه يحاكم الظاهرة الموضوعية من خلال خضوعها او تابيها على منطق الفن ، وليس يهم بعدذلك ان تكون مهادنة او مصاولة ، مرفا او اتفاقا .. وبهذا كسب الشعر للفن ارضا واسعة ومحاور اساسية استطاع من

(٣) روبير دولوبيه ـ كامو والتمرد ـ ص ٤٥ ـ ٤٦
(٤) عباس محمود العقاد ـ بين الكتب والناس ـ ص ٦٠٩

خلالها أن يعطى قيما جمالية فى الوقت الذى كان يعكس فيه قيما غير جمالية، وأن يكتشف على خارطة الذات بعض مناطقها المجهولة الملأى بأسرار المظلمة والهبوط !

وربما ــ حين نخلص الى الشعر ــ نستبين من هذه المحاور انماطا تؤكد كلها أو بعضها ان اقتحام شعر التمرد لهذه المجاهيل كان فاتحة تألق وازدهار لهذا اللون من ألوان التعبير الفني .. وتدفع الحركة النقدية لاعطاء هــذا اللون من التقييم ما يستحقه أو قل ما يضعه فى مناطه الحقيقى من حركة الابداع .

ونحن لا نغامر حين نزعم بان مجالات شعر التمرد الاجتماعي قد تراحبت فى بعض الاطوار التاريخية وقد تضمر فى بعضها الآخر ، وان مدى تراحبها فى طورنا التاريخي ــ منذ أوائل القرن العشرين حتى الآن ــ كان من الاتساع والاندفاع بحيث شمل مناطق التعبير عن غباء التفاوت الطبقى ، وضرورة الثورة على كثير من القيم الاجتماعية، وحتمية انعتاق المرأة من أسر العبودية الاجتماعية ، ثم محاولة تجاوز التحرير الى ألوان من التعرية الهائلة للمشاعر الانسانية والمواقف الأنثوية المتسمة بكثير من الجراة وعرامة التعبير ..

وقد يتخطى هذه التخوم الخطرة الى مناطق اكثر خطورة وتفجرا ، اى ان التمرد الاجتماعي فى الشعر العربى المعاصر سلط غضبه وانقضاضه على طبيعة العلاقات الاجتماعية فى شكلها الطبقى من جهة، وعلى طبيعة العلاقات الاجتماعية فى شكلها النوعى من جهة اخرى ، فزلزل كثيرا من القواعد المستقرة الهادئة وغير كثيرا من المفاهيم المسلمة السائدة ، واتاح لكثير من قيم التحرر القاسط والمنحرف ان تفرض حلولها على واقع الحياة الاجتماعية ..

أجرت مجموعة من كبرى دور النشر فى أوروبا دراسة للكتب التى يقبل عليها أغلب القراء ، وقد ظهر من احصاءات التوزيع أن الكتب التى تتناول موضوع « الحظ » والمستقبل هى أكثر الكتب انتشارا وشهرة ، بل ان بعضها يباع منه أضعاف مايباع من الكتب الثقافية، وأحيانا يحقق مكاسب خيالية ،لايحلم بها مؤلفو الكتب العلمية الجادة! .

وقد وصل الشغف والتلهف على معرفة الحظ الى حد أن اخترع اليابانيون أخيرا جهاز « كمبيوتر » ، يمكن اعتباره أغرب جهاز قد يتصوره انسان، وذلك هو الكمبيوتر الفلكي الذى يتنبأ بحظ اى شخص اذا ما غذى ببعض المعلومات الشخصية عنه ، كالاسم الثلاثى ويوم الميلاد وتاريخه وساعة الميلاد .. الى غير ذلك من البيانات .

وقد انتشر هذا الجهاز هناك لصغره وأصبح أغلب السيدات يحملنه فى حقائبهن ، بل ويضعه رجال الاعمال على مكاتبهم لاستشارته فى أية لحظة !

ناس وصور وحكايات

الناس مقامات

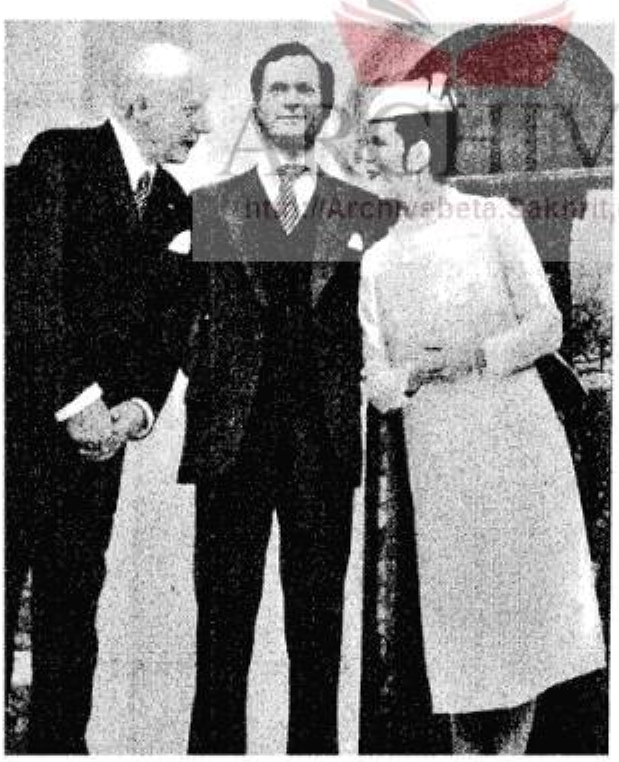
سيلفيا سومرلات كانت فتاة المانية عادية جدا . تجد مثلها عشرات فى اى شارع فى كل مدينة بالمانيا . وكانت فى الثلاثين من عمرها عندما اختاروها سنة ١٩٦٢ لتكون احدى مضيفات الالعاب الاولمبية فى ميونيخ .

وفى المدينة الاوليمبية تعرفت عل شاب خجول لا يكاد يتكلم ، هو كارل جوستاف ولى عهد النرويج اذ ذاك . اختاروها لتكون مرشدة ودليلا له ..

وتعلق قلبهُ بها وتعلقّ قلبها به . وتكررت ربما للمرة الالف حكاية سندريلا واصبحت سيلفيا حضرة صاحبة الجلالة ملكة النرويج

وفى احدى زيارات زوجها الرسمية زارت بلدها المانيا ، واستقبلها الهر فالتر شيل رئيس الجمهورية .

وبين يدى البنت الالمانية العادية التى اصبحت ملكة وقف رئيس الجمهورية يتحدث بكل ادب ويداه متشابكتان ليسمع كل كلمة تقولها « ماجيستيك » .. اى صاحبة الجلالة وزوجها الملك واقف بينهما يصغى ..





.. وطار سقف البيت

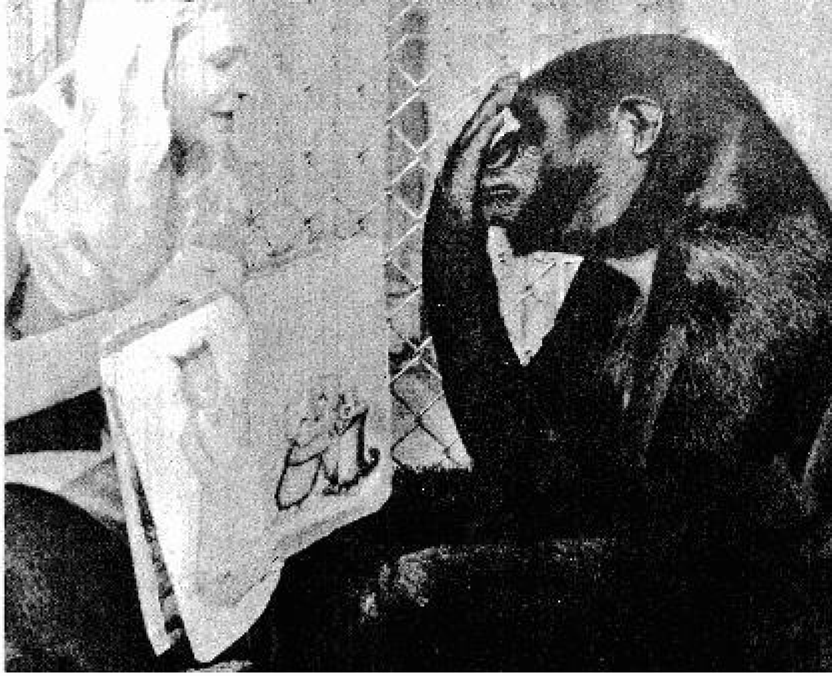
فى بعض نواحى اوروبا وامريكا يبنون البيوت بقطع جاهزة يركب بعضها الى بعض ويربط بالمسامير ويتم ذلك فى أيام ، وفى العادة بعد ان يتم تركيب البيت يوضع السقف قطعة واحدة مصبوبة قبلا ، ويربط بالمسامير .

وفى ذات يوم هبت عاصفة عاتية على بلدة صغيرة فى ولاية كانساس بالولايات المتحدة ، اقتلعت الاشجار والبيوت .

وكانت احدى عائلات البلدة وهى عائلة (كون) قد خرجت للزيارة ، وعندما عادت وجدت ان الرياح قد اقتلعت سقف البيت والقت به على مسافة كبيرة بعيدا عن البيت ، ولم تجد الاسرة مفرا من ان تدخل بيتها وتعيش فيه مؤقتا بدون سقف كما ترى ..



قرد يقرأ ويكذب ويشتم أيضا!



هـذا القرد اسمه كوكو وهو من نوع الشمبانزي وقد اصرت صاحبته الآنسة بيني بترسن على ان تعلمه وتهذبه اي تجعله بني آدم .
وابتكرت طريقة جديدة لتعليمه هي نفس الطريقة التي يلجأ اليها في تعليم الاطفال ، اي بالصور والاشارات وبالفعل نجحت في تعليم القرد كوكو حروف الابجدية ونحو عشرين كلمة ، واغرب مالاحظته الآنسة تعليمها اياه انه يكذب عليها فيدعي انه نائم وهو لم ينم !!
وعندما تشتد عليه يسب ويلعن .. بلغة القرود ايضا !.



ـ يصارع الموت لاخر لحظة

جون واين الممثل الامريكى المعروف يعتبر نموذجا من نمـاذج الصراع فى سبيل الحياة الى اخر مدى .. فهو اليوم فى الخامسة والسبعين من عمـره وقد اصيب بالسرطان واستؤصلت معدته واحدى رئتيه واصيب بالجلطة اربع مرات ، ولكنه رغم ذلك يخرج كل مرة من المستشفى الى العمل فى الاستديو ويقول انه لن يستسلم للموت ابدا ولكن يبدو انه يخوض اليوم معركته الاخيرة لان رئته الباقية اصيبت هى الاخرى بالسرطان ، وقرر الاطباء انه لن يعيش الا اذا استؤصلت او اكبر جزء منها على الاقل وقد دخل المستشفى ووضع الاطباء بذلك فى مازق لا يدرى احد كيف سيتم التخلص منه.



اطول لسان رايناه

مهما تظن انك تعرف ناسا طوال الالسنة فما تظن انك رايت لسانا هو اطول من هذا ..

انه لسان دب صغير فى حديقة حيوان فرانكفورت فى المانيا ، وقد اشتد عليه الحر فجلس يلهث ، واخرج لسانه الطويل وارسله يتدلى كانه حبل غسيل .

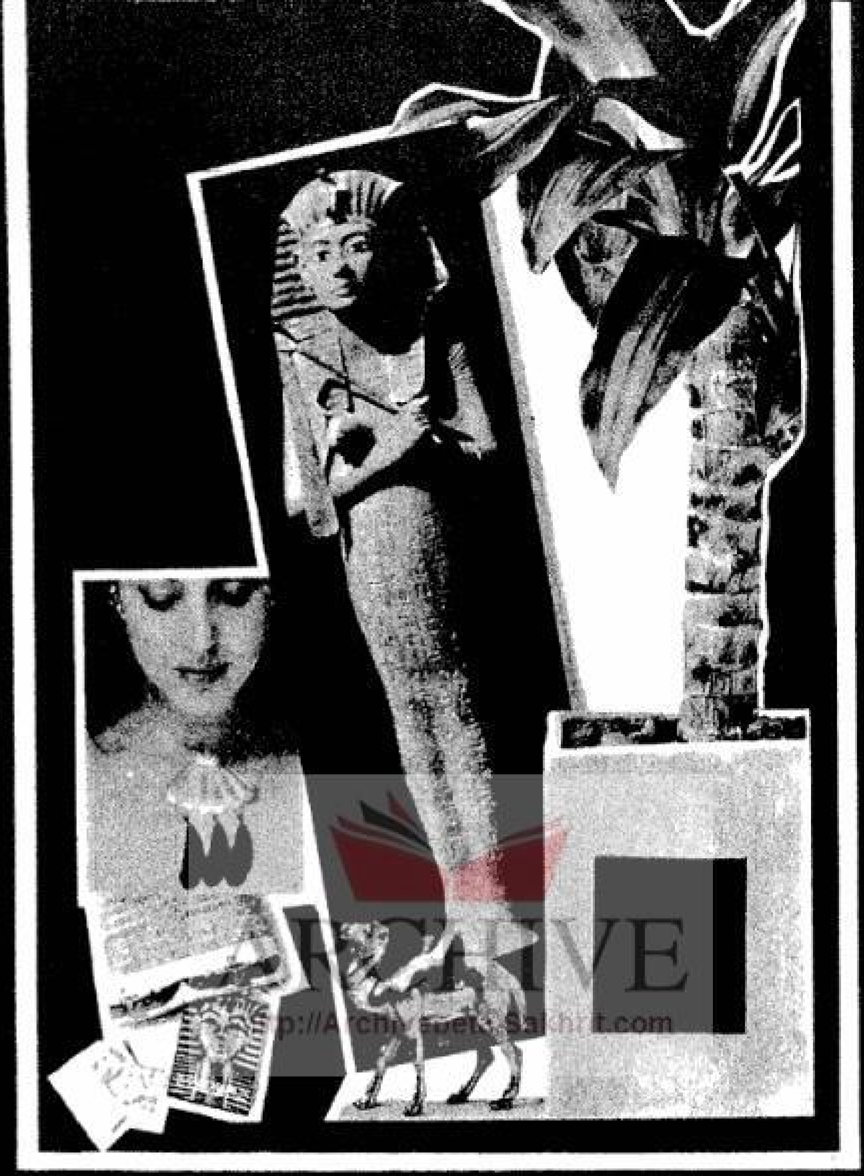
لا تشك من الحر ، فهناك من يقاسون منه اكثر منك ..
ولا تشك من طول الالسنة فهناك من اعطاهم الله السنة اطول .. ومن حسن الحظ انهم لا يتكلمون ..
ولو انهم يتكلمون لكانت ماساة ..



لاخطابات لك .. ياعزيزى بوبى

● الكلب بوبى وهو من الطراز الدانمركى الضخم هو الذى يقابل عامل البريد كل يوم عندما ياتى بالخطابات ، وقد لاحظ الكلب ان كل الناس تاتيهم خطابات الا هو ، ولهذا فهو يسرع كلما راى عامل البريد مقبلا يسال اذا كانت له خطابات .

ولكن عامل البريد لا يفهم المسالة على هذا النحو فهو يخاف من بوبى واسنانه كما ترى فى الصورة !●



توت عنخ آمون وتأثيره على الازياء وادوات الزينة فى اوروبا وامريكا

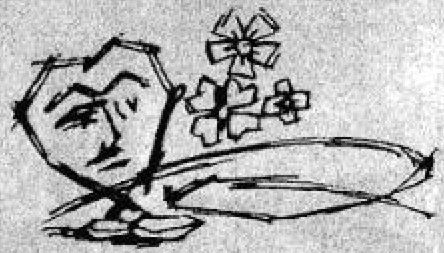
كان لمعرض توت عنخ آمون المتنقل أثر بعيدفى ازياء السيدات واشكال ادوات الزينة فى البيوت مثل التماثيل الصغيرة والاكواب وما الى ذلك وفى هذه الصفحة ترى نماذج من ذلك التأثير فهناك نخلة اقتبسوا شكلها « من الديكور » الذى يعمل لمعارض توت عنخ آمون وهناك قلادة على صدر سيدةمن طراز مصرى وهناك تمثال جمل وتمثال صغيرلتوت عنخ امون وما الى ذلك ..

وهذه الاشكال تملأ الاسواق والبيوت فى الغرب الان ..

لهفة للحياة

● ابراهيم عيسى ●

أتيتُ إليكِ وبين ضـــلوعي
حنينٌ يثير الهوى في خيــالكْ
ولستُ ملاكا أرشُّ الضـــياءَ
على بسمةٍ تنتشي من جمالكْ
ولا في ثيابيَ شيطانُ جنٍّ
يعربدُ في ليلةٍ من نوالكْ
ولكنني لهفــةٌ للحيــاةِ
تغنَّتْ وحنَّتْ وسرتْ ببالِكْ
وكم عشتُ بعدكِ أطلالَ قلبٍ
يتيمَ الحنينِ شكى من دلالكْ
وكم كان فجري وخيطُ الشعاع
ككليلٍ ضريرِ السَّنا والمسالكْ
وكان طريقي بغيــرِ طـريقٍ
يهدهدُ خطوي ويحنو هنالكْ
ورغمَ الحريقِ .. بكأس الرحيق
ورغمَ الليالي وكِبْرِ اختيالِكْ
فمـــا زال قلبيَ طيرا يغنِّي
ويوقظ أفراحهُ في وصـــالكْ



ويَتهْدِلُ والقيدُ فى كلِّ تَبْنفرِ

له وَخزَةٌ من جفاءِ اشتِمالك:

فان عـدتِ غنّتْ جراحُ الفراقِ

وعانقتُ بَوْحَ الشذا منخِلالك

ويعبرُ بالنُّور سـاقى الصَّباح

يلثّمُ زهرَ المنا من تِلالِك

وبين يديه أباريقُ شـــدوٍ

تصبُّ الغنـاءَ بكأسِ امتِثالك

وأهتف : انى قطفتُ النجـومَ

عصرتُ الغيومَ لدنيا جمـالك:

فعودى ليَخضرَّ قلبُ الحيـاةِ

وتنمو غصـونُ المُنَى فى ظلالك

فانى أنا النهـرُ والشـاطئان

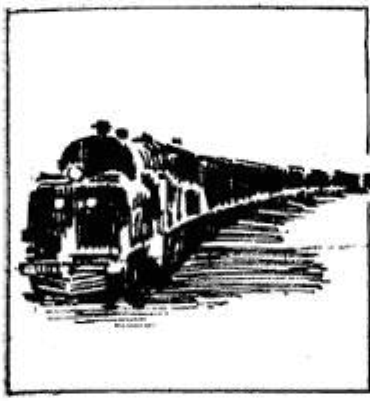
وقد بَحَّ صوتُ الظما فى رمالك

تعالَىْ . ففى لهْفتى جنَّـــةٌ

وكونى جحيمَ الهوى بعد ذلك !

قصة

القطار



● د. يوسف عز الدين عيسى ●

ينساب القطار داخل نفـــق طويل يبـــدو وكـــأنه بلا بداية وبلا نهـاية .. جميع مصــــابيح القطار مطفـــأة ، وقد يكون بلا مصـــابيح ، ولذا فالركاب الذين يشغلون جميع مقاعد عـــرباته لا يميزون بعضهم بعضا عن طـــريق العين : بل عن طريق الأذن . الاصوات مختلطة لايكاد الانسان يميز منها سوى بعض كلمات .

سمع الركاب وقع اقدام تسير فى ممر احدى العربات . قال احدهم فى صوت رفيع يكاد يشبه صوت صـــياح الديك :

ـ هل انت رئيس القطار ؟

رد عليه صوت يقول :

ـ اجل .

قال ذو الصوت الرفيع :

ـ من أى محطة قام هذا القطار ؟

قال رئيس القطار :

ـ لست ادرى !.

صوت آخر قوى :

ـ كيف لا تعلم محطة قيام القطـــار وانت رئيسه ؟ !

قال رئيس القطار :

ـ انا مشغول باشياء اخرى !

قال الصوت الرفيع :

ـ مثل ماذا ؟

قال رئيس القطار :

ـ التأكد من ان جميع الركـــاب قد دفعوا ثمن تذاكر الركوب !

قال الصوت القوى :

ـ وهل تأكدت من ذلك ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا . لم أتأكد بعد !

قال صوت فتاة :

ـ ومتى ستتأكد ؟.

قال رئيس القطار :

ـ عندما يقف القطـــار فى محطة الوصول .

قال ذو الصوت القوى :

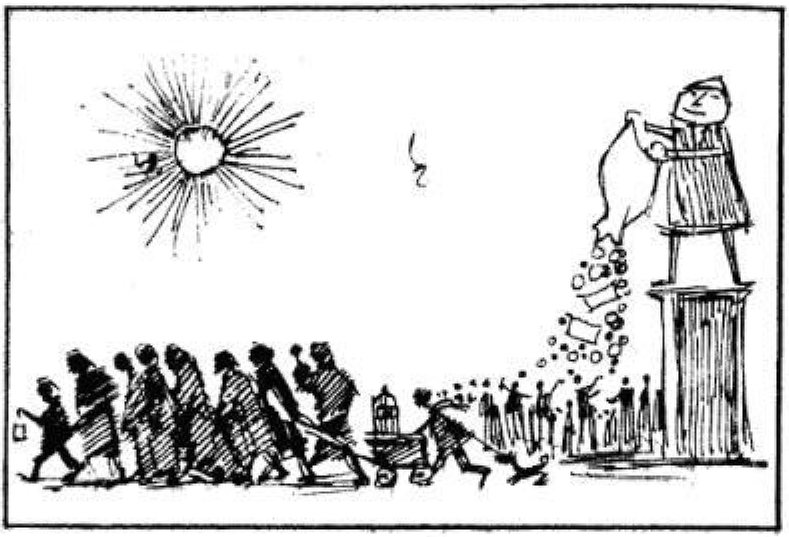
ـ وماهى محطة الوصول ؟ الى أين نحن سائرون ؟

قال رئيس القطار :

ـ لا أحد يدرى . سنعـرف ذلك عندما نصل الى المدينة .

قالت الفتاة :

ـ عجيب أن تكون رئيس القطـــار



● بريشة أحمد الوردجي ●

ولا نعرف المكان الذى سنصل اليه !.
قال رئيس القطار :

ـ هذه ليست مهمتى ، انها مهمة الذين وضعوكم فى القطار !.
قال ذو الصوت الرفيع :

ـ ومن الذى وضعنا فى هذا القطار ؟
قال رئيس القطار :

ـ لا شأن لى بذلك ، انا لا اعلم من ابن اليتم !.
قالت الفتاة :

ـ ولكن لنا الحق فى معرفة المكان الذى نحن ذاهبون اليه !
وسمعوا وقع اقدام تبتعد . قال ذو الصوت الرفيع :

ـ لا اذكر اننى قطعت تذكرة او دفعت اجر ركوبى فى هذا القطار ، ولا اذكر متى ركبته !

لم يسمعوا ردا فاستنتجوا انرئيس القطار غادر تلك العربة . ساد صمت . ازدادت سرعة القطار فأخذ يهتز اهتزازا عنيفا . صرخ بعض الركاب . هدأ القطار من سرعته فساد الصمت من جديد . وفجأة خرج القطار من النفق . ركز جميع الركاب انظارهم نحو النوافذ .. رأوا انوارا ساطعة لم تحتملها عيونهم التى اعتادت الظلام طوال الطريق فأغمضوا عيونهم . توقف القطار . اضطروا لفتح عيونهم . وجدوا الاضواء قد خفتت عن ذى قبل ثم اخذت تزداد تدريجيا فظلت عيونهم مفتوحة تتأمل مبانى المحطة ومساكن المدينة التى وقف عندها القطار .

اشرأبت الأعناق وبرزت الرءوس من نوافذ القطار لقراءة اسم المدينة . وجدوا لافتة المحطة بيضاء خالية من الكتابة . رأوا رجلا فارع الطول يسير بين صفوف الركاب مرتديا بدلة صفراء . صاح الرجل قائلا :

ـ ماذا تنتظرون ! لقد توقف القطار فى محطة الوصول ! .
ادركوا من صوته انه رئيس القطار الذى سبق أن تبادلوا معه الحوار فى الظلام .
قالت الفتاة :

ـ هل من المفروض ان نهبط فى هذه المدينة ؟

قال رئيس القطار :

— لقد وصلتم الى المدينة فماذا بقاؤكم فى القطار ؟ لن يتحرك القطار بعد هذه المحطة . انتم الان فى بداية الطريق . هيا اخرجوا من القطار .

قال ذو الصوت القوى :

— تقصد اننا فى نهاية الطريق ؟

قال رئيس القطار :

— نهاية الطريق هى البداية .

لم يفهم احد شيئا وبداوا يغادرون القطار . قال احد الركاب لرئيس القطار :

— ما اسم هذه المدينة ؟ اننا نهبط الى مدينة لا نعرف عنها شيئا حتى اسمها لا نعرفه !

قال رئيس القطار بلا اكتراث :

— وكيف أعرف اسمها ولافتة المحطة لا توجد عليها اية كتابة ؟

شعر الجميع ببرد شديد ، وسرت فى اجسادهم قشعريرة جعلتهم يرتجفون . اكتشفوا انهم شبه عرايا لا يرتدون سوى ملابس العوم . اين كانوا ؟ هل جاءوا من احدى مدن الشواطىء وخرجوا من البحر مسرعين ليلحقوا بالقطار ؟ لا احد يدرى !

عندما لاحظ رئيس القطار انهم يرتعدون من البرد أشار نحو أحد مبانى المحطة وصاح قائلا :

— اسرعوا الى هذا المخزن وارتدوا اية ملابس تجدونها .

انطلقوا يعدون نحو المخزن الذى وجدوه مليئا بالملابس من كل شكل ونوع . بعض الملابس كانت لضباط وعساكر شرطة وضباط جيش ، الى جانب ملابس عادية للرجال والنساء ، بعضها انيق وبعضها عادى والبعض مهلهل .. اسرع كل منهم بارتداء ما وقعت عليه يده من ملابس ، فبدا البعض انيقا والبعض فى ملابس تنبو عنها الابصار . وفى غمار لهفتهم على ارتداء اى شىء يرد عنهم غائلة البرد ، اضطر بعض الرجال الى ارتداء ملابس نساء كما اضطر بعض النساء الى ارتداء ملابس رجال ...

***

وقفوا عند باب المحطة المؤدى الى المدينة . راوا فى ميدان المحطة فرقة موسيقية بدات تعزف الحانا جميلة احتفالا بقدومهم . اصطف على جانبى باب المحطة عدد من الجنود . فتح الحارس باب المحطة وسمح لركاب القطار بدخول المدينة . كان الجنود يؤدون التحية لكل من يرتدى ملابس انيقة ولا يعباون بذوى الملابس القديمة او المهلهلة !

وقف ركاب القطار حائرين لا يدرون الى اين يذهبون فى مسارب هذه المدينة التى لا يعرفون عنها شيئا . تقدم نحوهم رجل طويل نحيل يرتدى حلة زرقاء ذات أزرار ذهبية وفى يده عصا قصيرة وقال مشيرا نحو احد الشوارع الفسيحة التى تصطف على جانبيها الاشجار : — كل من يرتدى ملابس انيقة يتجه نحو هذا الشارع ويعدو باقصى سرعته ويحتل اية فيلا او اية شقة يجدها خالية ، ويزاول المهنة التى تؤهله لها الملابس التى يرتديها ...

اسرع ذوو الملابس الانيقة يعدون . حاول احد ذوى الملابس القديمة العدو معهم فجذبه احد الجنود واوقفه قائلا :

— لست منهم .. الا ترى ملابسك المهلهلة ؟

ثم التفت نحو ذوى الملابس القديمة واشار نحو زقاق قذر على جانبيه مساكن آيلة للسقوط وصاح قائلا :

— اسرعوا نحو هذا الزقاق واحتلوا



الاماكن الخالية فيه ، وليمارس كل منكم المهنة التي تؤهله لها ملابسه !.

اندفعوا نحو الزقاق . نجح بعضهم في العثور على بعض الشقق المتواضعة الخالية ، وبقي عدد كبير منهم بلا مأوى .. ظل الذين لم يوفقوا في العثور على مأوى حائرين لا يدرون ماذا يفعلون . اتجهوا نحو الرجل ذي الحلة الزرقاء وسأله احدهم :

– لم لا نجد لنا مأوى ؟

قال الرجل :

– كانت الاماكن الخالية امامكم ، فلماذا لم تسرعوا باحتلالها ؟

قالت فتاة ترتدي ثوبا باليا يكشف عن بعض اجزاء جسمها :

– أسرعنا على قدر طاقتنا ولكنهم ازاحونا عن طريقهم بقوة وعنف واستولوا على كل شيء ، ولا ندري كيف سنعيش في هذه المدينة ..

قال الرجل :

– ليس هذا من شأني ... تصرفوا !

***

كان الرجل ذو الصوت القوي يرتدي حلة فاخرة فعثر في الشارع الواسع على فيللا أنيقة ذات حديقة رائعة .. بعد نحو شهر ، عندما دخل غرفة نومه وجد فتاة جميلة جالسة على طرف السرير ترتدي قميص نوم شفافا .. سألها :

– ماذا تفعلين هنا ؟ ان هذا منزلي . لقد عثرت عليه بعد مجهود عنيف .

قالت مبتسمة :

– هو منزلي أنا ايضا .

عرف من صوتها انها الفتاة التي تحدثت مع رئيس القطار في اثناء الظلام . قال لها :

– من أين حصلت على هذا القميص ؟ لقد رأيتك عقب خروجك من المخزن ترتدين معطفا انيقا .

– لقد اشتريته . المعطف الذي كنت ارتديه أهلني للحصول على وظيفة مرموقة حصلت منها على مرتب كبير !

قال الرجل :

– والبذلة الانيقة التي عثرت عليها في المخزن أهلتني للحصول على وظيفة كبيرة ذات مرتب محترم !

قالت الفتاة وقد اضطجعت على السرير :

– ألديك اعتراض على ان نعيش معا ؟ ان منزلك جميل ، واعجبني .

اقترب الرجل منها وقبلها ثم قال :

– المنزل بدونك لا يساوي شيئا !.

قالت الفتاة :

– سنكون أسعد زوجين .

قال الرجل ذو الصوت القوي وهو يحتضنها :

– لن يكون في المدينة أسعد منا ، وجودك في منزلي سيشيع السعادة والبهجة في كل ركن من اركانه .

ما كاد ينتهي من حديثه حتى سمعا جرس الباب . قام غاضبا يرغي ويزبد ويغمغم بكلام غير مفهوم . عندما فتح الباب اطل منه رجل ذو ثياب قذرة مهلهلة . قال له صاحب البيت :

– ماذا تريد ؟

قال الرجل ذو الثياب المهلهلة :

– لم تؤهلني ملابسي للحصول على اي عمل ارتزق منه . اعطني بعض المال او كسرة من الخبز .

تذكر صاحب البيت ذو الصوت القوي ان ذلك الرجل ذا الصوت

الرفيع هو الذى كان معه فى القطار . أعطاه بعض النقود واقفل الباب ورجع الى سريره .

●●●

تمكن الرجل ذو الصوت القوى من جمع اموال طائلة لم يكن يعرف كيف ينفقها . كان يشترى كل ما تشتهيه نفسه او نفس زوجته ولا يشعر أن نقوده قد نقص منها شيء ، بل كان كلما أسرف فى الشراء ازدادت امواله .

بعد فترة أصبح لذلك الرجل ولدان . اكتشف أن عددا كبيرا من ركاب القطار تمكنوا من جمع ثروات هائلة بينما ظل البعض الآخر يتضور جوعا ويتسول فى الشوارع والأزقة .

ذات يوم بينما كان يهم بالانطلاق بسيارته الفاخرة اعترض طريقه رجل رقيق الحال ممزق الثياب . اتضح انه أحد مرافقيه فى رحلة القطار . طلب الرجل منه صدقة . قال له ذو الصوت القوى انه فى حاجة الى خادم . قبل الرجل على الفور أن يصبح خادما فى منزل ذى الصوت القوى .

بعد فترة قصيرة اختفت جميع البضائع والمجوهرات الثمينة من حوانيت المدينة . لقد اشتراها سكان الشارع الأنيق ..

ورزق الرجل ذو الصوت القوى بابنة ولدت كفيفة البصر . أصبحت تلك الابنة سوط عذاب يلهب جسده وجسد زوجته . تحولت الحياة فى الفيللا الانيقة الى جحيم لا يطاق . ثم ظهرت أعراض الاختلال العقلى على أحد ولديه ، ومرض الابن الثانى بشلل الاطفال ..

ذات ليلة دق جرس الباب . فتح الخادم باب البيت فوجد أمامه الرجل ذا الصوت الرفيع وقد أصبح شبه عار . اقبل صاحب البيت ذو الصوت القوى . ولما راى ذلك المتسول طرده واغلق البـاب فى وجهه مشيعا اياه باللعنات ..

اصيبت الزوجة بالسل الرئوى . حزن زوجها حزنا شديدا وعرضها على اعظم اطباء المدينة . ذات يوم اعلن الراديو أن ركاب القطار مطلوبون للاجتماع فى قاعة المدينة . ذهب الجميع الى الاجتماع يرتدى بعضهم الملابس الانيقة والبعض الاخر يرتدى الملابس البالية . انخرط الجميع فى بكاء عنيف . وقف رجل على المنصة يرتدى حلة زرقاء . سألهم عن سبب بكائهم . قالوا انهم منذ حضورهم الى هذه المدينة وهم فى شقاء وعذاب متواصل . ارتفع صوت احد الرجال قائلا :

– لا اريد البقاء فى هذه المدينة .. اننى اتعذب عذابا فوق احتمالى . اريد الذهاب الى القطار ! .

قال الرجل الواقف على المنصة :

– لك مطلق الحرية فى ركوب القطار .. انه الآن فى المحطة .

انطلق الرجل نحو المحطة ليلحق بالقطار . قال الرجل الواقف على المنصة متفرسا فى وجوه الجماهير التى مازالت تبكى من فرط الحزن والشقاء :

– القطار لا يزال فى انتظار من يريد مغادرة هذه المدينة .

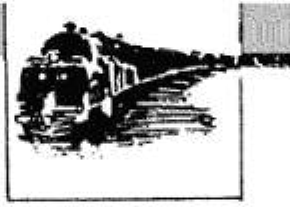
اسرع عدد آخر من النساء والرجال نحو المحطة . ظل الباقون يئنون ويبكون . قال الرجل ذو الحلة الزرقاء :

– وانتم ، هل ترغبون فى البقاء ام فى السفر ؟

صاحوا وهم يجهشون بالبكاء :

– نريد البقاء .

– رغم العذاب الذى تقولون انكم ترزحون تحت وطأته ؟.



ـ أجل نريد البقاء فى المدينة رغم العذاب والشقاء الذى نعانيه .

انفض الاجتماع وذهب كل واحد الى منزله أو مقر عمله أو الى عرض الطريق . حمل البريد ذات يوم الى الرجل ذى الصوت القوى خطابا يامره بالتوجه الى المحطة هو وزوجته لركوب القطار ، وسوف تمر عليهم سيارة لتوصلهم الى المحطة . قال الرجل لزوجته :

ـ لقد ورد أمر بذهابنا انا وانت لركوب القطار .

قالت الزوجة فى دهشة وفزع :

ـ والاولاد؟ هل سنتركهم وحدهم؟

قال الزوج :

ـ لا بد لنا فى ذلك . لم يصدر الامر بركوب الاطفال معنا .

قالت الزوجة :

ـ لا يمكننا تركهم بمفردهم . كيف يعيشون بدوننا ؟ من الذى يرعاهم ؟ وكيف تعيش ابنتنا الكفيفة المسكينة بلا مساعدة أو رعاية منى ؟

قال الزوج :

ـ لابد من تنفيذ الامر ... لا بد لنا فى ذلك !

جمع الزوج والزوجة كل ما لديهما من اموال وتحف ومجوهرات فى عدة صناديق . وطلبا من الخادم ان يرعى الاطفال . اعتذر الخادم قائلا انه هو ايضا ورد اليه امر بركوب القطار .

تركوا الاطفال بالمنزل وانزلوا الصناديق المليئة بالاموال ووقفوا امام منزلهم فى انتظار السيارة التى ستنقلهم الى المحطة .

اقبل سرب ضخم من سيارات النقل وقد حشر فيه عدد هائل من المسافرين ومعهم أمتعتهم . وصلوا الى ميدان المحطة فهبطوا من السيارات . عندما هموا بدخول الباب المؤدى الى المحطة استوقفهم بعض الحرس وطلبوا منهم ان يخلعوا جميع الملابس ولا يبقوا على اجسادهم سوى ملابس الاستحمام التى كانوا يرتدونها عند قدومهم الى المدينة ..

خلعوا ملابسهم وهموا بدخول المحطة . بعضهم لا يحمل فى يديه شيئا والبعض يحمل حقائب تضم الاموال التى حصلوا عليها طوال مدة اقامتهم بالمدينة والتحف والبضائع التى اشتروها . اعترض طريقهم حارس البوابة قائلا :

ـ لن يسمح لاحد باخذ اى شىء لم يكن معه عند قدومه للمدينة .

تركت جميع الحقائب خارج اسوار المحطة .دخل جميع من كانوا فى سيارات النقل وركبوا القطار. اكتشف الرجل ذو الصوت القوى ان الجالس بجواره هو الرجل ذو الصوت الرفيع الذى كان متسولا فى المدينة . كانت ملابس جميع الركاب متشابهة . انها ملابس العوم التى كانوا يرتدونها عند قدومهم للمدينة . بحث الرجل ذو الصوت القوى عن زوجته فوجدها جالسة بجوار الرجل الذى كان خادما فى منزلهم . حانت منه التفاتة من شباك القطار فرأى ابنته الكفيفة وولديه يبكون ويلوحون للقطار بايديهم الصغيرة . كان فى ميدان المحطة حشد هائل يشترك فى وداع ركاب القطار وقد ارتفع صراخهم وعويلهم .

انطلقت فى المدينة زمارة الانذار فكان هذا ايذانا بتحرك القطار. تحرك القطار وبعد بضعة امتار انساب داخل نفق مظلم .. وغاب عن الانظار ..

"أُبَىّ بن كعب" .. الرجل والمصحف

● تأليف : د. الشحات زغلول ●
● تقديم : د. حسين نصار ●

كان ابى بن كعب بن قيس الخزرجي — المتوفى سنة ٣٠ هـ اى ٦٥١ م — رجلا من بنى النجار فى يثرب ، شغف بالعلم ، فتعلم القراءة وادام الاطلاع على الكتب الدينية ، وخاصة كتب اليهود لتوفرها بالمدينة .

ولما عرف ان جماعة من مدينته اعتنقوا دينا جديدا هو الاسلام ، اتصل بهم وحاورهم ثم اعتنق دينهم ، وعندما خرج سبعون رجلا من المدينة فى موسم الحج للقاء رسول هذا الدين ، خرج معهم ، وشهد الحلف الهام الذى عرف بالعقبة الثانية ، والذى اتاح للرسول — صلى الله عليه وسلم — الهجرة الى المدينة .

وبعد الهجرة اشترك ابى فى لونين من الوان النشاط : اللون الاول شارك فيه كل القادرين من المسلمين ، وهو النشاط الحربى ضد كفار مكة خاصة وبقية العرب عامة . واللون الثانى تميز فيه أبى بين جماعة من المسلمين ، وهو النشاط العلمى ، وخاصة ما اتصل منه بالقرآن .

فقد أكب عليه ابى كما كان يكب على كتب الدين قبل اسلامه ، يتابع آياته ، فكان احد الذين حفظوه ، لأنه جمع آياته فور نزولها ، وحفظها فى ذاكرته ، ودونها فى مصحف خاص به . وكان احد الذين صانوه ، لأنه ادام الاستماع الى الرسول لمعرفة أدائه : كيف ينطق ، واين يقف ، ومتى يمد أو يصعد .. حتى بلغ به الامر الى ان قرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم عددا من الآيات . وروى فيه حديث صحيح الاسناد غير أنه مرسل يقول : « أرحم امتى بها أبو بكر ، واقواهم فى دين الله عمر ، واقرؤهم لكتاب الله عز وجل أبى ابن كعب . » وكان احد المفسرين ، لأنه احسن معرفة مناسبات الآيات من مواضع نزولها واوقاته وأسبابه واحوال الذين نزلت فيهم ، ودلالاتها . وما زالت أقواله محفوظة فى كتب التفسير المطبوعة .

وعندما كلف عثمان بن عفان زيد بن ثابت بجمع القرآن وتدوينه فيما سمى المصحف الامام ، كان ابى احد الذين رجع زيد اليهم واستشارهم واطلع على ما عندهم . ولكن مصحف ابى لم يكن متفقا كل الاتفاق مع المصحف الامام ، بسبب انه كان يكتبه لنفسه ، ويضيف اليه أشياء رأى انها تنفعه فى تفسيره او غير ذلك .

مثل هذه الشخصية ، فى الوان نشاطها المتعدد ، وفى عصرها المبكر ، لا شك تجذب انظار الباحثين . وقد انتدب الدكتور الشحات السيد زغلول المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية نفسه لهذا العمل .

وعندما ينظر القارىء فى فهرس محتويات الكتاب يتبين منذ النظرة الأولى أن المؤلف استغرقه نشاط أبى القرآنى ، فأعطاه القسط الاكبر من جهده .

فقد عنى بابانة الظروف التى يسرت لأبى هذا النشاط . فتحدث عن ثقافته الدينية القديمة ، وذاكرته القوية التى اتاحت له حفظ القرآن ، ومداومته القراءة فيه بحيث يختمه كل ثمانى ليال ، وقراءته على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقراءة النبى عليه ، وتعليمه الناس القراءة ، والمكانة العالية التى بلغها فى القراءة ، واتخاذ النبى اياه واحدا من كتاب الوحى ، وجهوده البارزة فى جمع القرآن وتدوينه ، مما

جعله على معرفة حسنة به . ووضح ذلك في الفصل الثاني من الباب الأول.

وعني في الأبواب الرابع والخامس والسادس بنشاطه في مجال القراءة . تكشف عن موقفه من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، الذى كان أحد رواته ، وعن صلة ستة من قراء الأمصار الاسلامية السبعة المشهودين به . ووضح ذلك في الباب الرابع الذى خصصه لمصاحف الصحابة والأمصار .

وجعل الباب الخامس الباب الأساسي لانه اعطاه نصف الكتاب في الحجم ، وقصره أو كاد على الحديث عن مصحف أبي . وقد قسمه الى سبعة فصول . درس فيها ترتيب السور في مصحف أبي ، تبعا لما يرويه الرواة عنه ، ومواضع الاختلاف بينه وبين المصحف الامام . ودرس النصوص التي يقال انها كانت في مصحف أبي ولا توجد في المصحف الامام ، ورفضها رفضا باتا ، او ذكر انها من المنسوخ ، وعلل موقفه في الحالين . وصنف ما كان في مصحف أبي من زيادات وفق طبيعتها الى زيادات فقهية وبيانية ولهجية وآلية عن ترادف الالفاظ . والقى الضوء على ما يندرج تحت كل صنف منها . وختم الباب بالكشف عن موقف النحاة من قراءات أبي ، واعتمادهم عليها فيما وضعوه من قواعد . وهذا الباب أعظم الأبواب قيمة ، واشملها مادة علمية ، وأدقها دراسة ، واكثرها توضيحا لامكانات المؤلف التي لا تظهر في كثير من الأبواب الأخرى .

وأورد في الباب السادس قائمة بقراءات ابي ، التزم فيها الاستقصاء والترتيب على السور والآيات . وهي قائمة مفيدة كل الفائدة .

وتناول الكاتب نشاط أبي في مجال التفسير في الباب الثالث . وأبان فيه مكانة أبي في التفسير ، والعوامل التي اتاحت له أن يشغلها ، ومنهجه في التفسير ، وأورد بعض النماذج منه ثم ترجم في اختصار لثلاثة من تلاميذه هم زيد بن اسلم ، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي ومحمد بن كعب القرظي ، واتبع معهم نفس النهج .

وبقي لون آخر من النشاط ، هو كتابته الرسائل والعهود للرسول صلى الله عليه وسلم وروايته الحديث عنه . فتحدث المؤلف عما كتبه ابي له ، واورد نماذج من كتاباته . كما تحدث عن روايته الحديث ، ومن روى عنه . ووقف وقفة طويلة عند الحديث المنسوب اليه في فضائل سور القرآن وآياته وتفنيد صحته .

ويمكن القول ان الكاتب احسن دراسة النشاط القرآني بجميع مجاليه عند ابي بن كعب ، واجاد عرضه . فوضحت صورة مصحفه وقراءاته الى جانب المصحف الامام . وقد كان ذلك هدفه الخاص ، حتى الحديث النبوى الذى اطال درسه كان على صلة وثيقة بالنشاط القرآني . ولذلك لا تتضح صورة ابي في الوان نشاطه الأخرى بل لا تتضح حياته وضوحا كافيا بسبب تفريق عناصرها وعدم اعطائها ما تستحق من دراسة .

وجعل المؤلف من نفسه محاميا يدافع عن ابي في كل موضع ، ويهاجم مخالفيه وخاصة من المستشرقين . فزلت به قدمه في مواضع متعددة ، كما نرى في دفع اتصاف أبي بالشراسة ، وحديثه عن تدوين القرآن في عهد الرسول ، وعن أحرف القرآن السبعة . وزلت به قدمه في مواضع اعتمد فيها على احاديث نبوية وافق فيها هو نفسه على غرابتها بل ضعفها .

وفرضت من الكتاب تقاليده . فاحيانا نرى الأبواب تنقسم الى فصول كالاول والخامس واحيانا الى اقسام ذات ارقام وعناوين كالرابع ، واحيانا الى عناوين دون ارقام كالثاني والثالث .

ونجد المادة العلمية احيانا تحت عناوين غير ملائمة لها كالفصل الثاني من الباب الاول ، كما نجد الفصول غير متناسقة الاسس في الباب الخامس ، والمادة العلمية الواحدة موزعة احيانا في اكثر من مكان .

وختام القول في كتاب « ابي بن كعب » للدكتور الشحات زغلول انه جدير بالقراءة لما يقدمه من مادة علمية عن موضوع هام في عصر عظيم ..

الرومانتيكيون في محراب الطبيعة

● د . محمد عبد المنعم خاطر ●

نظرا لرهافة الحس ، وشبوب العاطفة ، والميل الى التأمل ، والانطواء على الذات ــ هاموا بالطبيعة في جميع مظاهرها ، فكانت لهم الامل والملجا والعزاء

يقول « بيرون » : « لو امكن ان تكون الصحراء موطن اقامتي مع نفس واحدة تسيطر بجمالها على ! .. لو امكن ان انسى كل النسيان الجنس الانساني ، ودون أن ابغض احدا لا احب الا هي ! .. ايتها العناصر الكونية ، يامن في صوتها القدسي ، وبين احضانها اشعر بنشوة الهيام ، اتستطيعين ان تهبيني مثل هذا المخلوق ؟ في الغابة العذراء متعة ، وفي الضفاف المنعزلة جذبة سحر ، فهنا انس حيث لا دخيل من الناس ، بجانب البحار العميقة وموسيقا امواجها .. ليس حبي للانسان قليلا ، ولكن حبي للطبيعة اكثر » !

ــ أحدى روايات فريد ابو حديد الادبية التي كتبت في سنة ١٩٢٤ ــ

ويهرب المرحوم « محمــــد » في صحائف من حياة ، من واقعه المر الى حيث يجد الراحة في رحاب الطبيعة والخيال ، يهرب الى النيل ، والى الفضاء الواسع ويشكو الى النجوم ، ولضيق نفسه بالارض التي استاجرها ابوه ، لانه ليس بها جهات شعثاء وحشية مختلفة المنظر مابين مفلوح وطبعي ، وليس فيها ريح الطرفة ، ولا لون نوار العاقول ، وليس فيها ذلك النسيم الجاف **ولا الزرزور الاغن فوق عود الرمان ، ولا الساقية التي تحيط بها اشجار لبخ وجميز فتظلل عليها ظلا جميلا تتخلله الريح وقت الاصيل ، وتنزع نفسه الى الصحراء ، والبعد عن كل ما لوثته يد الحضارة .**

ويعيش بخياله في بيئات صحراوية في ازمنة بعيدة يعبر عنها بقوله : اني اهيم احيانا في الخيال ، فاذا انا في حلم يقظة ارى نفسي فيه بين اعراب تلك الصحراء البعيدة الاطراف وانا واحد منهم ، واذا بي كاني ارى سواما انتقل بها في بطاحها بين نفح الهواء ، ولفح الشمس ، وكاني وانا كذلك اسمع صريخا ينذر بمجيء قوم يريدون الاستلاب ، فاتنكب بندقيتي ، وارجع الى نجعي فاجد قومي قد شمروا عن سواعدهم كرجل واحد ليذودوا المغيرين على ارضهم وليحموا مالديهم من عيال ومال ، فاسرع معهم قائلا :

وهل انا الا من غزية ان غوت غويت ، وان ترشد غزية ارشد

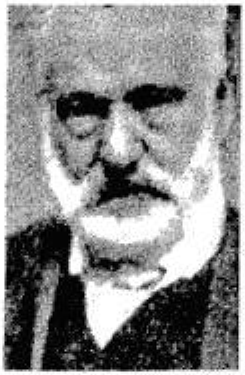
وعند ذلك لا يذكر احد مالا ، ولا حياة ، بل نذكر جميعا عرضا نحميه ، وشرفا نحوطه من القذى ضنا بشوكة ان تستلان ، وبرجولة أن يطمع فيها طامع .

ويحاول « فيكتور هوجو » أن يتشد عزاءه في الطبيعة بعد أن فقد ابنتيه فيترك باريس ، شوارعها ، وقصورها ، وضبابها وسطوحها ويقف في محراب

* النصوص الاجنبية معتمدة على كتاب الرومانتيكية للدكتور محمد غنيمى هلال ، وشعر على محمود طه من ديواني : الملاح التائه وليالي الملاح .



علی محمود طه



فیکتور هوجو



بیرون

الطبیعة مناجیا لها قائلا فی شبه ابتهال :

الآن وانا جالس علی الشط ذی الامواج ، مروعا بهدوء الافق وجلاله ، استطیع ان اثیر فی نفسی الحقائق العمیقة ، واتامل الزهور بین الاعشاب .

الان . وقد رق احساسی بهذه المناظر الالهیة من السهول والغابات والصخور والاودیة ، والنهر الفضی .. اری صغری امام عجائبك ؛ ویثوب عقلی امام رحیب ملکوتك ، الوذ بك یا الهی یا من اباه اعبد ؛ حاملا الیك فی خشوع بقایا قلب ملیء بعظمتك قد حطمته .. واجثو امامك مؤمنا ؛ یاذا العظمة بانك الحـــق ازلا وابدا .

ویذکر الشاعر المصری علی محمود طه انه تتلمذ علی ید الطبیعة قالیهـا کان معهده ، وفیها کان استاذه .

وانا الشاعر الذی افتن بالحسـ ـن واذکت ید الحیـــاة افتتانه
معهدی هـــذه المروج واستا ذی ربیع الطبیـــــــة الفینانه
وازاهیر حانیـــات علی النهـــ ـر ، یقبلن فی الضحی شطآنه

ویقول : انه کان یسری الیهـــا فی المساء ، ویسیر الیها فی الصـــــباح :

ولقد حیر الطبیعـــة اسرا ری لها کل لیلة وطـــروقی
والتحامی الضحی علیها کراع آسیوی او صائد افـــریقی
او اله مجنـــــــح یتراءی فی اساطیر شـــاعر اغریقی

وانه کان یبدع امام مناظرها ، وبخاصة اذا سکن اللیل ، واطل البدر واخذ جندوله مع محبوبته فوق ضـــــفاف النیل ، او امواه « فینیسیا » ونهـــر « الراین » وبحیرة « زیوریخ » وهـــام فی فضاء اللانهایة حیث تسبح الروح وتهیم فی اودیة شفیفة من الخیال .

ویتمنی ان یرکن الی شاطیء بحیرة « کومو » ذی الطبیعة الخـــلابة فی « اللمباردی » الایطـــالی ، یحرســـه بعینیه ، ویطربه بموسیقاه ، لولا وفاءه لبنی وطنه :

آه لولا احبـــــــــة نزلوا شـــاطیء النهر
ورفـــات مطهـــــر وکـــریم من السیر ...
لتمنیت شـــــــرفة لی فی هـــذه الجحر
اقطع العمـــر عنـــدها غیر وان عـــن النظـــر
فلقـــــد فاز من رای ولقد عاش من ظفـــر

وهکذا عاش الرومانتیکیون بخیالاتهم فی رحاب الطبیعة ، یغدقون علیهـــا فیض احاسیسهم ، ویستلهمون اروع اغانیهم ، یتاثرون بهـــــا ، ویؤثرون فیها .

غزل الحب

● للشاعر الانجليزى شيلى ●

● تقديم : د. سليم الاسيوطى ●

● من وجهة النظر الاوروبية ، كان القرن الثامن عشر فجر عصر ازدهار ادبى فى بريطانيا . فلقد اخذت انجلترا مذهب الكلاسيكية الجديدة عن فرنسا ، بادىء ذى بدء ، وآثرتها بما كانت تملك من عبقريات وما خلعته عليها اعوام التاريخ من مواهب .. (لاسباب سياسية) سرعان ما اعرضت عنها وشخصت ببصرها الى المانيا التى كانت قد انجبت للعالم كله وللبشرية جميعا عددا عديدا من اعاظم المفكرين والشعراء الذين لم يعجبوا بماضى انجلترا الادبى المجيد فحسب ، بل كانوا ، ايضا ، يعجبون بمبادراتها فى عالم الفكر والادب ، ويترسمون خطاها فى هذا الميدان وذاك ، ممثلا فى شيكسبير وملتون ، وطلائع الحركة الرومانسية الوليدة التى بزغ فجرها مؤخرا ، وكانت فى المكان الاول ، حركة ادبية ومدرسة شعرية . وحدت بين جيلين ، جيل خاتمة القرن الثامن عشر وجيل فجر القرن التاسع عشر على امتداده .

تقول الرومانسية بأن أسمى ملكة يتمتع بها الشاعر هي الخيال الذى يجب ان يتبوأ عرش العقل ليقترب بالمعرفة من لغز الحياة والطبيعة . فان وظيفةالشاعر أصيلة ورسالته أساسية .

وهكذا بات الشاعر ، كالعهد به فى عصر النهضة ، يحتل مركز الصدارة فى المجتمع ويتولى زعامته والقيادة فيه .

ولكن الشاعر تبوأ هذه المكانة العالية بعد أزمة شديدة ، تمخضت عن تجربة جديدة ، أماطت اللثام عن عجز الفلسفة المجردة وقصورها فى حل مشاكل الجماهير والشعوب . وكان وردزورث وشيلى ، وهما المختلفان كل الاختلاف من وجهة النظر السياسية ، يتفقان كل الاتفاق من حيث المفهوم فى وجهة النظر الى الشاعر بوصفه مرشدا وهاديا ، بعيد النظر ، ثاقب الفكر ذا رؤية متعددة الابعاد

والاعماق ، تحلق في كل الاجواء والافاق، ويسبق عصره بالاهتمامات والتطلعات ..

ومن ثم كانت الرومانسية أصلا ومضمونا حركة شعرية .

تناولت الرومانسية دراسة الانسان وتوسلت في تلك الدراسة بالوسائل الخليقة بالشاعر الجديرة به ، وطبقت نفسها على ذلك الجانب من « الظل والضوء » في النفس البشرية . هذا الجانب الذي طالما اهمله الفلاسفة . فكانت الموضوعات التي اختارتها الرومانسية للدراسة والبحث والاستقصاء هي مناطق الغريزة الخفية الغامضة المجهولة ومكامن الشعور والاحساس والعواطف والعلاقة القوية العميقة الدقيقة بين الانسان والطبيعة .

ولقد رأى شيلي ان الفلسفة هي جوهر الشعر وتكمن فيه حيث تبلغ اسمى قممها وارفع ذراها واقصى مداها ، وابعد اعماقها واغوارها .

كانت الشعلة المضيئة ، والقوة الدافعة المحركة عند بيرون هي الزهو والاعتداد بالنفس ، بينما كانت عند شيلي هي « الحب » .

شيلي ، بيرسي بيسشي (١٧٩٢ - ١٨٢٢) ..

ابن لاحدى الاسر الارستقراطية في مقاطعة سسكس في انجلترا ، ذهب الى جامعة اكسفورد ولكنه لم يتخرج فيها وتركها . وفي عام ١٨١٦ تزوج من هاربت وستبروك ، ولكنه تركها ولم يبقى على زواجه منها سوى اعوام ثلاثه ، الى أخرى تدعى ماري غوردون ، وعلى الرغم من زواجه فقد كانت له صلات اصطبغت بالمثالية مع كثير من النساء اللاتي خلدهن في قصائده . ثم رحل الى ايطاليا حيث أصبح واسطة العقد لجماعة من الكتاب الانجليز عاشوا هناك فيما بين ١٨١٨ - ١٨٢٢ . وفيما هو يسبح ذات يوم ،خارت قواه وابتلعه اليم في ظروف غامضة غريبة ، لم يبذل فيها اية محاولة للنجاة فكان من المغرقين .

على الرغم من أن شاعرنا ولد في أسرة نبيلةثرية الا انهلم يتح نحو أبناء طبقته فقد كرس حياته ونضرة شبابه وفتوته للكفاح ضد كل ما كان يشعر بأنه مصدر شقاء الانسان وسبب بؤسه وتعاسته .

كان يشطح بخياله الى عالم جديد سوف يتحقق عندما تختفي كل الوان الخطا وتزول صور الحقد والكراهية من الوجود . وكان جوهر نبوءته هو مولد عصر جديد يتمتع فيه افراد البشر ، بكل الوان الحب والتعاطف ، ويتمتعوا فيه بخيرات السماء والارض . لم يكن يقصر حبه على قومه بل كان يؤثر به الخلق جميعا الى اقصى الحدود والابعاد حتى شمل الحيوان والزهر وعناصر الطبيعة جميعا . لقد كان شاعرا يتعاطف مع الكون كله والبشرية جميعا .

كتب شيلي الكثير والكثير جدا من القصائد الطويلة مما لا يحصره العد ولا يحصيه من مثل « انتصار الحياة » كما ابدع العديد من قصائد سعر الوجدان من مثل « القبرة » و « السحابه » و « فرار الحب » وهي خير ما يوضح الحب عنده .

عندما يتهشم المصباح ،
يرقد النور بلا روح ولا حياة ، على الثرى
وعندما تتبدد السحابة ،
تتلاشى هالة قوس السماء •
وعندما تتحطم القيثارة
لا نعود نذكر نغماتها الشجية ،
واذا ما باحت الشفاه بسرها ،
سرعان ما ننسى الفاظها المحبوبة •

***

وكما تصمت الموسيقى والضياء
يتوارى بعد القيثارة والمصباح
كذا اصداء القلب
لا تردد الاغاني عندما تصمت الروح
لا تردد اغان ، ولكن رجع ترانيم حزينة ،
كرياح تعصف فى بيت خرب ،
أو هى الامواج العارمة الحزينة
تقرع اجراس موت البحار •

***

اذا تمازجت القلوب مرة
هجر الحب بداءة عشه الجيد التكوين
وغدا الضعيف وحيدا
ليبكى من كان يوما ملك يديه
أيها الحب ! يا من تتفجع
على ضعف كل الكائنات فى الحياة
لماذا تختار اضعف جارحة (١)
ليكون لك منها المهد والمقام واللحد ؟

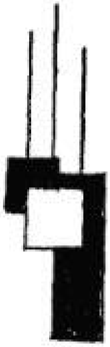
***

سوف تتقاذفك الالام
كما تتقاذف العواصف الغربان السود فى الهواء ،
واصحاب العقول الراجحة سوف يهزاون بك
كالشمس تطل من سماء شاتية
من عشك كل نسيلة
سوف تبلى ، ووكر عقابك
يتركك عرضة للسخرية ،
عندما تتساقط الاوراق وتهب الرياح الباردة

بيرسى بيسشى شيلى

(١) الاشارة هنا الى القلب

THE FLIGHT OF LOVE



When the lamp is shattered,
The light in the dust lies dead —

When the cloud is scattered,
The rainbow's glory is shed.

When the lute is broken,
Sweet tones are remembered not;

When the lips have spoken,
Loved accents are soon forgot.

As music and splendour
Survive not the lamp and the lute,

The heart's echoes render
No song when the spirit is mute

No song but sad dirges,
Like the wind through a ruined cell,

Or the mournful surges
That ring the dead seaman's knell.

When hearts have once mingled,
Love first leaves the well-built nest;

The weak one is singled
To endure what it once possest.

O Love ! who bewailest
The frailty of all things here,

Why choose you the frailest
For your cradle, your home and your bier ?

Its passions will rock thee
As the storms rock the ravens on high ;

Bright reason will mock thee
Like the sun from a wintry sky.

From thy nest every rafter
Will rot, and thine eagle home

Leave thee naked to laughter,
When leaves fall and cold winds come.

P. B. SHELLEY

اعتراف

• ابراهيم صبرى •

أحب .. وكم أتوب .. وكم أعودُ
وهل للقلب عن قدرٍ محيدُ ؟!
وكمْ أشفقتُ منْ قدَرى .. ولكن
لعلّى بالذى أخشى سعيدُ !
وإن يكُ فى الغرامِ لنا حياة
فحيثُ أحب لى عمر جديد !
أعيشُ مع الهوى .. عمرا فعمرا
ويحيا الناس عمرا لا يزيدُ !
وقد جعل الهوى قلبى أميرا
على عرش يقالُ له الخلودُ !
وبين يدىّ مملكة الأمانى
مفاتنها ربيع لا يبيدُ !
وأنى أبصرت عينى .. أراها
بها من كل حسن ما أريدُ
ودون إشارة منى بطرف
تقدمُ ما أريد .. وتستزيد !
وقد أوتيتُ بالحب اقتدارا
له الأفلاك والدنيا جنود !
فيحسدنى سليمان لملكى
ويغبطنى على الخلدِ الشهيد !
وقالوا تلكَ أخيلةُ القوافى
وأحلام يصورها القصيد !

وإن هم أبصروا .. رأوا بقلبي
نعيما لا تحدُّ له حدودُ !
وفي شفتيَّ بالابداع لحن
يردِّده الورى حضر وبيدُ !
ويحدو كلُّ بازغة بحسن
فتقفو شدوه أنى يقود !
وهل خلِقَ الجمالُ لغير صبٍّ
له في كلِّ رونقة نشيدُ !
إذا شهِد الجمالَ .. فذاك عُرْس
وإن لقِي الجمال فذاك عيدُ !
وقالوا .. يدّعي رشداً ويهوى
وما عرَف الهوى رجل رشيد ..
ترى في سمْتِه هارون موسى
وفي أعماقه يحيا « الرشيدُ » !
وقد يخفي ـ كما يبدو ـ حياء
وفي إغضائه فكر مَريدُ !
يعربد بالخيال .. أشدُّ منّا
يعربدُ ناظرٌ كلِفٌ عميدُ !
وبين ضلوعه يخفي اشتياقا
تميدُ به الجبال .. ولا يميدُ !
وإني بالذي زعموا .. مُقِرٌّ
ولكن .. ليسَ عن قدر محيدُ !
ولو فطنوا لما ظلموا فؤادا
بهجر الحب يهجره الوجودُ !
وكيف تكونُ دون هوى حياة
هو الشريانُ فيها والوريدُ !
وكل الناس موجود .. ولكن
بقدر الحبِّ .. يحيا أو يبيدُ !

عالمهم بأقلامهم:

الكاتب المسرحي الأمريكي تنيسي وليامز يحــاور نفســـــه !!

● ترجمة : نصرى عطا الله ●

سؤال : ـ هل نستطيع ان نتحدث بصراحة ؟.

جواب : ـ ليس هناك من سبيل آخر للحديث !

س : ـ لعلك تعلم انه عندما اعيد عرض اولى مسرحياتك الناجحة ، في بداية هذا الموسم ، شعر غالبية نقاد الصحافة انها مازالت احسن مسرحية كتبتها ، ولو انه قد مضى عليها الآن اثنا عشر عاما !.

ج : ـ نعم ، انني اقرا كل ما يكتب عن مسرحياتي من تعليقات ونقد .

س : ـ وحيث يكون دخان كثير ..

ج : ـ ان النار ترسل اكبر قــدر من الدخان عندما تبدا في صب الماء عليها !.

س : ـ ولكنك سوف تسلم بالتأكيد ان هناك نغمة مقلقة من الخشـــونة والفتور والعنف والغضب ، تسرى في مسرحياتك الأحدث عهداً .

ج : ـ أعتقد ذلك ، ودون قصــد منى أفعل ذلك ، لقد تتبعت التــوتر والغضب والعنف المتزايدين في الدنيا والعصر اللذين أعيش فيهما وذلك من خلال التوتر المتزايد بانتظام الــذى أعانيه ككاتب وانسان !.

س : ـ انك تسلم اذن ان التوتر المتزايد ، كما تسميه ، انعكاس لحالة تعانيها أنت ؟

ج : ـ نعم !

س : ـ وقــد تقــارب المرض النفسى ؟

ج : ـ أظن أن أعمالي كانت دائما نوعا من العلاج النفسى لذاتى .

س : ـ ولكن كيف تتوقع أن تتأثر جماهير المسرح بمسرحيات وكتـــابات أخرى وضعت أساسا للتنفيس عــن توترات مبعثها رجل يحتمل أن يكون مخبولا او هو في الطريق الى أن يكون كذلك ؟.

ج : ـ انها تنفس عما بأنفسهم ..

س : ـ ما الذى بأنفسهم ؟

ج : ـ توتراتهم المتزايدة .. التى تقترب من المرض النفسى !

س : ـ هل تعتقد أن الدنيا تتجه نحو الجنون ؟

ج : ـ تتجه ؟ انهــا كادت تصبح كذلك فعلا ! وكما تقول الطــرفة فى « الطريق الرئيسى » إن الدنيا صحيفة فكاهية تقرأ قراءة عكسية وبهــذا لا تكون فكاهية تماما !.

س : ـ والى اى مدى تعتقد انك تستطيع ان تعيش على هــذا الــراى المتقلب للدنيا ؟

ج : ـ بقدر ما تستطيع الدنيا ان تعيش في هذه الحالة المعذبة .. ربمــا كان ذلك في امكاني ولكنى لا استطيع ما هو ابعد مدى من ذلك

س : ـ انت لا تتوقع ان تســير الجماهير والنقاد معك في ذلك الطريق ، هل تتوقع ذلك ؟

ج : ـ لا ..

س : ـ اذن لماذا تدفعهم وتجرهم الى ذلك الطريق ؟

ج : ـ انني اسير في ذلك الطريق ، انني لا ادفع ولا اجر احدا معى ..

س : ـ نعم ، ولكنك تامل ان يظل الناس يستمعون اليك . اليس كذلك ؟

ج : ـ امر طبيعي ان آمل ذلك .

س : ـ حتى أذا نفرتهم منك بما في اعمالك من عنف وفظاعة ؟.

ج : ـ الم تر الناس يتساقطون من حولك مثل الفراشات في غير اوانها نتيجة لوباء العنف والرعب في هذا العالم وهذا العصر اللذين نعيش فيهما ..

س : ـ ولكنك مسامر ذو دعاوى فنية ، والناس لم تعد تجد المسامرة في القطط التي تمشي على سطح من الصفيح الساخن او الدمى للاطفال او ركاب عربات الترام المجنونة ..

ج : ـ دعهم اذن يذهبون الى العروض الموسيقية والتمثيليات الفكاهية ، انني لن ابدل من اساليبي، انني لأجد صعوبة في ان اكتب ماأريد ان اكتب ، دون ان احاول كتابة ماتقول إنهم يريدونني ان اكتبه ، ولا ارغب في ان اكتبه ..

س : ـ هل لك ـ في رايك ـ اية رسالة ايجابية ؟

ج : ـ من المؤكد انني اعتقد تماما انه لدى رسالة ايجابية .

س : ـ مثل ماذا ؟

ج : ـ الحاجة الملحة بل الصارخة الى مجهود ـ على مستوى عالمي ـ لأن نعرف انفسنا ويعرف كل منا الآخر على مستوى أفضل بكثير جدا ، الى القدر الذى تسلم فيه بانه ليس هناك انسان يمتلك حق احتكار الحق أو الفضيلة أكثر من انسان آخر قدر عليه النفاق والشر وهكذا .

اذا بدأ الناس والاجناس والشعوب يعملون بهذه الحقيقة الواضحة ،اعتقد ان الدنيا تستطيع أن تتقى ذلك النوع من النساء الذى اخترته مضطرا كموضوع اساسي رمزي لتمثيلياتي ككل .

س : ـ ولكنك تتهم المجتمع ككل بالاستسلام للرياء منفعدا ، ويبدو انك تجد نفسك منفصلا عنه ككاتب .

ج : ـ ككاتب نعم، اما كانسان فلا.

س : ـ وهل تعتقد ان هذه مزية خاصة لديك ككاتب ؟.

ج : ـ لست مسرفا في عواطفي تجاه الكتاب . ولكنني اميل الى الاعتقاد ان غالبية الكتاب وغالبية الفنانين الآخرين ايضا ، أنما تحركهم اساسا ، في مجال مهنتهم ، الرغبة اليائسة في العثور على الحقيقةوفصلها عن مركب الاكاذيب والمغالطات التى يعيشون فيها ، واعتقد ان هذا الدافع هو الذى يجعل عملهم مهنة اكثر منه شيئا حقيقيا .

س : ـ لماذا لا تكتب عن الناس اللطفاء ؟ الم تعرف اناسا لطفاء ابدا في حياتك ؟

ج : ـ ان نظريتي عن الناس اللطفاء بسيطة الى حد يشعرني بالحاح قوى أن اقولها .

س : ـ ارجو ان تقولها ..

ج : ـ حسنا .. انني لم اقابل شخصا لا استطيع ان احبه اذا ما عرفته وفهمته تماما . ولقد حاولت في مسرحياتي ان اصل على الاقل الى المعرفة والفهم ، انني لا اومن بالخطيئة الاولى ولا اومن بالاثم ، لا اومن بالاشرار او الابطال . انما اومن فقط بالاساليب السليمة او الخاطئة التي يتبعها الافراد لا عن اختيار بل بالضرورة او تحت تاثيرات معينة نابعة من ذواتهم ومازال يساء فهمها او نابعة من ظروفهم او عوامل موروثة . ان هذا بسيط الى حد يخجلني ان اقوله ، ولكنى واثق انه صادق واراهن صادقا بحياتي على صوابه ولهذا لا افهم لماذا تحاول دائما اجهزة الدعاية لدينا ان تعلمنا وان تقنعنا ان نكره وان نخاف الآخرين في نفس هذه الدنيا الصغيرة التى نعيش فيها .

انني لا اود ان انهى كلامي بمثل هذه النغمة ، ماذا سوف اقول اذن ؟ انني اعرف انني فنان صغير تصادف ان كتب عملا او عملين كبيرين ـ انني لا استطيع ان اقول ما هي .. ان هذا ليس بذى بال . لقد قلت كلمتي وقد اقولها ثانية وقد اكف عن الكلام هذه اللحظة .. ان ذلك لا يعتمد عليك ، إنه يعتمد تماما على انا ، وعلى فعل الصدفة او العناية الالهية في حياتي . ●



الخيال العلمي بين الكتاب وشاشة السينما

● ماري غضبان ●

●● هنـــاك عشرات من الكتب صنفها النقاد تحت اسم الخيــــــال العلمي المثير، كانت تخلق شخصيات وهمية تكسبها بعض صفات وسلوكيـــات البشر، وتضيف اليها ابعادا وهمية وخيالية مثيرة، مثل مؤلفات برام ســــتوكر « دراكيولا » فى عام ١٨٩٧، وآخرها « سوبرمان » من مؤلفات جيرى سيجل فى اواخر الثلاثينات، و «جيمس بوند» الشخصية التى ابتكرها ايان فيلمنج فى الستينات .. وقد وجدت السينما فى هذه المؤلفات مادة خصـــبة تعطى تنوعا للخيال السينمائى الواسع .

● ولقد بدأ هذا اللون من الكتابات يظهر فى المانيــا عام ١٩٢١ فى رواية قريبة من شخصية « دراكيولا» حينما قدم فريدرك ميرنو شخصية مصـــاص الدماء، وقد ظهر بعدها الفيلم الالمانى الذى اتخـذ كنموذج لهـذا اللون من الافلام الكلاسيكية المثيرة . . . وكان هذا اللون من الافلام يرمز الى نقص التوازن فى العقلية الالمانية التى خرجت لتوها من الحرب العالمية الاولى .

وفى عام ١٩٣٠ قام المخرج الامريكى تودبراونتج والمخرج البريطانى تيرنس فيشر بتقديم فيلم امريكى ماخوذ من أصل قصة برام ستوكر ــ « دراكيولا» التى نشرت عام ١٨٧٩ وموضوع هذا الفيلم المأخوذ من هذا النص هو نفسه الذى اعتمد عليه فرينار هيردسوك فى فيلمه « نوسفراتو أو شبح الليــــل » ... والشبح فى الرواية شخص تعيس، وجهه يشبه مهرج السيرك . عينـــاه غريبتان تشبهان ما يتخيله الناس من عيون الشيطان .. وشـــفتاه غليظتان وأسنانه تشبه الانيـــــاب المتعطشـــة للدماء !

وبالفعل يسعى الشبح المجســـد فى شخص مصاص الدماء الى قتل ضحاياه وامتصاص دمائهم متصورا انه يخلص العالم من الانماط البشرية المحرومة



من الابتكار ومن التطلع الى المستقبل.. الأنماط العادية التى تضر ولا تفيد ..

وينشر « نوسفراتو » أو الاسم الآخر « لدراكيولا » الموت والخراب فى كل مكان ، ينشر الدمار والطاعون ويحطم العائلات والعلاقات الاسرية .

ويحتار النقاد والمفكرون فى تفسير رموز هذه الشخصية ، هل هى تنبيه لنهاية العالم .. وهل هى ايحاء بالدمار الذى ينتشر ويهدد الحضارة ؟ .

وتكثر التفسيرات والرموز ، ولكن مؤلف « نوسفراتو » أو «دراكيولا » يضع لها حدا حينما يموت الشبح مصدر الموت والخراب ، حينما يتعلق بحب امرأة فتتركه فى البحر فيموت وحيدا ! .

هذا اللون من المؤلفات الخرافية يسميه بعض النقاد الرواية الخيالية الكلاسيكية التى خلقت بعدها الرواية الخيالية الاجتماعية ، وتعبر عنها رواية جوتة ـ « فاوست » الذى صور شخصا باع نفسه للشيطان ، ومن هذه الشخصية خرجت عشرات الموضوعات والمؤلفات التى تحولت الى أعمال مسرحية وموسيقية وسينمائية .

وقد تكون المعالجة المكتوبة لمثل هذه الاعمال مقبولة من ناحية وصف الكلمات ومحتوى هذا الوصف والخيال الذى يتركه هذا الوصف عند القارىء لكن السينما بتجسيد هذا الخيال الروائى تقدم صورة بشعة لا يتحملها الحس المرهف . وهنا يبدو الفارق بين المكتوب والمشاهد ، فالاعمال المكتوبة تعطى معقولية فى التصور ، لكن السينما تقدم نماذج مشوهة وبشعة تعبر عن تزايد ما فعلته السينما بمثل هذه الاعمال .

وقد حاولت السينما أن تعالج هذا الوضع ، وبرز هذا فى معالجة موضوع « سوبرمان » الذى يناسب القيم الموجهة خاصة للاطفال حينما ينتصر



الخير فى النهاية على الشر .. وهذا اللون من الروايات كسب كثيرا من تعاطف القراء ، وهكذا أيضا نجح مع المشاهدين ، وكسبت الشاشة شخصية خيالية مقبولة بعيدة عن التشويه والبشاعة .

وقد وضح هذا الاهتمام فى آخر فيلم صورته السينما عن هذه الانماط خاصة وأن تكاليف فيلم « سوبرمان » وصلت الى ٥٠ مليون دولار ، حصل منها المؤلف جيرى سيجال على ثلاثة ملايين دولار ، وهذا يعنى انه حصل عن كل دقيقة فى الكتاب على ٤٥٠ دولارا لمدة عرض الفيلم ١٥٠ دقيقة .

وفى الفيلم استعانوا باكبر النجوم مثل مارلون براندو الذى مثل عشر دقائق فقط حصل فيها على مليونين من الدولارات ، وجين هاكمان ظهر على الشاشة لمدة ثوان ، تقاضى عنها ربع مليون دولار !.

ورغم التكاليف الضخمة فقد حقق الفيلم ١٢ مليون دولار فى اسبوعه الاول لعرضه الاول ، بزيادة ثلاثة ملايين على الفيلم الضخم « حرب الكواكب » الذى يعتمد على الخيال العلمى ايضا ..

ويقول ناقد النيويورك هيرالدتريبيون : ان هذا الفيلم يعتمد على منهاج سيكلوجى يجعل المشاهد الكبير والمشاهد الصغير يتصور نفسه يتخلص من ازماته ومشاكله فى تقمص شخصية السوبرمان حتى ولو على سبيل الراحة الذهنية والهروب النفسى فى اطار شخصية مريحة يقتنع الاباء ابناءهم بانها شخصية خيالية يصعب عليهم أن ياتوا بحركاتها . ولكن يمكنهم فقط ان يتخيلوا انفسهم فى مكانها ...

وهذا الفهم جاء من ملاحظات النقاد على سلوك الاطفال بعد استمتاعهم بمثل هذه العروض التى تمزج قيم الواقع وسلوكياته ببعض تصرفات وسلوكيات الخوارق والانماط الخيالية . ●

سجن الظماء

• احمد السمرة •

أيا أحداق آفاقي دعينا تتنشد الماء
فلا ظمأى يفارقني وهذا الورد قد ساء
وستمحي قمة المجهول سلمني لجلادي
فغللني بأعوادي واعوزني كما شاء
وشقق شمس أيامي ليذر جبة الليل
وعلل بالجنى زمنا بحبل كهالة نأى
أريد الماء تجاجا لأمحو لعنة الأمس
فقد مسخت أصابعها ربا الاصباح إمساء
أريد الماء دفاقا على كفين من كرم
لأبذله على حب لثغر الهيم أنداء
ألا مطر ألا مطر ؟ وجاء من الصدى صوت
(أغاضته الرمال السود ثارت فيه أهواء)
ضياع كل ما أملت يا أرجوحة الخرس
صرير القيد في نفسي يثير الحرب هوجاء
وبا أصداء قافلتي وتجري في مدى التيه
متى الأقدار ترجع لي خرير الحلم إرضاء
وأين من الدجى خيط ينير دخائل الغيب
فأبصر بين لجته سقاة البعث أحياء ؟
شفاه النهر بائسة تحاور لبتهب الذاوي
وتنزل من سرايب الوهم حول الماء أشباء
وتسأل عن جراحاتي وما يأسو لها الشاء
فأهتف أنه بعث إذا حادي المنى شاء
فقطر الماء يطلبه مساء أعجف الخبز
تعثر في الدروب الصفر بالأحزان مشاء
أريد الماء مأكولا . أريد الماء مشروبا
أريد الماء نبراسا أريد الماء إحياء
متى أجري به عمري على موج الضحى ألقا
إلى أرض مخضبة تملى الماء أفياء
فيامزن الهدى أملا يداعب شاحب الأمل
تنزل فالمدى عدم إذا مارست إرجاء



الأديبة الأمريكية

بيرل بك

التي جسدت روح الصين

• د. نبيل راغب •

بيرل بك روائية امريكية كرست فنها لبلورة الحياة فى الصين التى عاشت فيها معظم سنى طفولتها وشبابها : والتى شهدتها وهى تمر باحرج مراحل ثورتها التى انتصرت اخيرا فى عام ١٩٤٩ وغيرت وجه الحياة تماما على ارضها ..

ولعل القيمة الفكرية التى تكمن فى روايات بيرل بك انها كتبت من خلال نظرة كاتبة قادمة من امريكا التى تمثل احدث الحضارات الانسانية ، الى الصين التى تعد احدى الحضارات العريقة الموغلة فى القدم . وقد لاقت روايات بيرل بك تقديرا من كل الاوساط الادبية العالمية نظرا للروح الموضوعية التى تميزت بها . فقد عاشت بيرل بك وسط الصينيين وتعاطفت مع آمالهم وآلامهم ، بل وتنبأت بحتمية الثورة الجذرية ، وان كانت لم تذكرها مباشرة ، فان تفسخ الحياة الذى صورته فى رواياتها بلغ حدا ينذر بالانفجار الذى لا يبقى ولا يذر ..

ولدت بيرل بك فى فيرجينيا الغربية لابوين يشتغلان بالتبشير ، وأدى ذلك الى انتقالها الى الصين منذ طفولتها ، كما تلقت تعليمها فى شنغهاى ثم فيرجينيا . ولكنها عادت مرة اخرى الى الصين لكى تتزوج من مبشر يدعى الدكتور ج . ل . بك لم تتأثر به كثيرا فى حياتها الادبية مثلما تأثرت بامها التى طالما علمتها منذ سنى حداثتها ان تسجل على الورق كل ما تراه وتحس به.

ولعل النجاح الذى أحرزته بيرل بك فى عالم الادب يعود اساسا الى تلك التدريبات شبه اليومية التى تلقتها بيرل على يدى أمها . وكانت فكرتها الصحيحة عن الانسان الصينى قد بدات فى التبلور عندما ارسلت فى سن الخامسة عشرة الى مدرسة داخلية فى شنغهاى ، واختلطت بالصينيين الذين وجدتهم مختلفين تماما عن الصورة التقليدية لهم فى ذهن العالم الغربى .

وكانت بيرل دائمة المقارنة العملية بين المجتمع الصينى والمجتمع الامريكى بسبب تنقلها الفعلى بينهما . فعندما بلغت السابعة عشرة من عمرها غادرت الصين الى اوروبا ومنها الى امريكا حيث اكملت تعليمها فى كلية راندولف – ميكون فى فيرجينيا . وبانتهاء دراستها الجامعية التى لم تكن مستريحة لها



● بيرل بك ●

تماما ، عادت مرة أخرى الى الصين حيث وجدت أمها مريضة فظلت تمرضها لمدة عامين متصلين . وعندما استردت الام صحتها رحلت الاسرة الى شمال الصين حيث قضت هناك حوالى خمس سنوات . بعدها ذهبت الاسرة الى مدينة نانكنج حيث بدت الحياة مختلفة تماما .

وعلى مدى عشر سنوات راقبت بيرل الصين وهى تغلى بالثورة ، وعلى حد قولها رأت « الايام القديمة وهى تنسحب مهزومة ، بينما الأيام الجديدة تنطلق من رحم الزمن ، ضعيفة وواهنة ولكنها تضج بالحياة القادمة مع الميلاد الجديد»

●●●

قضت بيرل بك فترة من حياتها فى العمل بالتدريس فى جامعة نانكنج ثم فى جامعة الجنوب الشرقى واخيرا فى جامعة تشنتال التى كانت معهدا حكوميا حيث قامت بيرل بتدريس الادب الانجليزى . ولم تكن بيرل مغرمة بالتدريس كمهنة فى حد ذاتها ، ولكنها وجدت فيه طريقة مثيرة ومفيدة وعملية للحصول على اكبر قدر ممكن من المعرفة بالشعب الصينى من خلال قطاعاته المختلفة التى تتمثل فى الطلبة الذين تلقوا محاضراتهم على يديها . ودارت بينهم وبينها مناقشات مثيرة ومفيدة للغاية اثرت فيما بعد على المضمون الفكرى الذى احتوت عليه اعمالها الروائية والقصصية .

وعلى الرغم من انغماس بيرل بك تماما فى الحياة الصينية ، الا انها ترفض ان تحيل اعمالها الى مجرد وصف لصور الحياة المحلية هناك . فهى ترى ان اهم وظيفة للفن تكمن فى اختراق حدود الزمان والمكان ، حتى يتمكن الفنان من رؤية الانسان على حقيقته بعيدا عن الضغوط والظروف المؤقتة . وعلى الاديب ان يخترق الظاهر دائما بحثا عن الجوهر .

انجازاتها الروائية

بدات بيرل بك حياتها الادبية مبكرة وحصلت على عدة جوائز كانت تنظمها بعض الصحف الامريكية . ثم كتبت اول رواية لها عام ١٩٢٩ بعنوان « ريح الشرق وريح الغرب » وفيها عالجت موضوعها الاثير من الحياة فى الصين محاولة تقديمها الى العالم الغربى فى ثوب موضوعى بعيد عن الاسلوب السطحى التافه الذى تميزت به روايات الغرب التى اتخذت من شعوب الشرق الاقصى مادة لها .

ولكن رواية « ريح الشرق وريح الغرب » لم تحرز على شهرة واسعة بل ظلت بيرل بك اديبة مغمورة حتى كتبت رواية « الارض الطيبة » عام ١٩٣١ وهى الرواية التى اخرجتها الى المجال العالمى والانتشار العريض بما تحمله من تجسيد رائع لمعاناة الفلاح الصينى وكفاحه لكى تخرج الارض أطيب ماعندها ، ولكن ظلت حياته رمزا للشقاء والبؤس .

ففى رواية «الارض الطيبة» نرى مثلا ان شخصية البطل وانج لانج لا تمثل الفلاح الصينى المكافح بقدر ماتجسد صراع الانسان وتمسكه بالارض التى يشعر ان جذوره تمتد لتتشعب فى باطنها ، ولذلك فالبطولة معقودة للارض كما هى معقودة للانسان تماما . ومن العلاقة العضوية بين الانسان والارض تبعث رواية « الارض الطيبة » . فليست هناك ثمة مغامرات من ذلك النوع الذى تميزت به روايات الشرق الحافل بالغموض

والأدوار والقرابة . فرواية « الارض الطيبة » تحكى ببساطة متناهية قصة حياة فلاح من الصين والاحداث التقليدية التى تقع فيها من زواج وانجاب للاطفال ومجاعة ووفاة ... الخ .

وعلى الرغم من ان الاحداث والمواقف تبدو تقليدية ، اذ ليس فيها من الاثارة الروائية المعتادة شىء ، الا أن المعالجة الفنية للمواقف والشخصيات ليست تقليدية بالمرة . فالرواية عبارة عن لوحات متتابعة من الحياة فى الصين ، ولكنها لا تعتمد فقط على التسجيل الوصفى . بل تكمن فى الصراع الدرامى علاقة عضوية بين الشخصيات الرئيسية وبين الخلفيات الوصفية بحيث لا يمكن الفصل بين الفلاح والأرض ، او بين الإنسان والصين .

وتعاطف بيرل بك مع شخصياتها لا يؤدى بها الى الحماسة الجوفاء ، أو الوعظ المباشر لانها تترك المواقف تتطور من تلقاء نفسها لكى تشكل فى النهاية البناء العام للرواية .

●●●

وما ينطبق على رواية « الارض الطيبة » ينطبق على روايات بيرل بك الاخرى التى تأخذ من الحياة فى الصين مضمونا لها مثل رواية « الفلاح الشاب » التى كتبتها فى نفس عام « الارض الطيبة » ١٩٣١ ، ثم رواية « ابناء » ١٩٣٢ ، ورواية « الام » ١٩٣٤ .

وقد كتبت بيرل بك روايات اخرى بعد عودتها النهائية الى امريكا ولكن تاريخ الرواية العالمية سيذكر لها رواياتها الصينية وخاصة « الارض الطيبة » التى تذكر كلما ذكرت مؤلفتها . ويبدو أن الخصائص الفنية والفكرية الكامنة فى المضمون المعالج هى التى تحدد المدى الذى يمكن ان ينطلق اليه الفنان فى انجازه الادبى . واذا كانت بيرل بك قد اكدت مرارا انها لا تهتم بالصينيين بصفة خاصة ، لان اهتمامها يتركز فى الانسان بصرف النظر عن الزمان أو المكان ، الا أنه من الواضح ان انفعالها بالحياة التى عاشتها فى الصين هى التى جعلت منها الروائية بيرل بك التى يعرفها الجميع .

وبلغ بها الحماس بالحياة فى الصين لدرجة انها انشقت عن ابناء جلدتها الذين يشكلون بعثات التبشير هناك ، ودخلت معهم فى جدل علنى حول الاهداف الحقيقية المقصودة بها عمليات التبشير التى تتخذ من الدين ستارا تخفى به اطماعها السياسية .

وقد خاضت بيرل بك هذه المعركة الفكرية على الرغم من ان زوجها كان يعمل بالتبشير . وانتهت هذه المعركة بان قررت العودة النهائية الى امريكا حيث عملت فى نشر الكتب لفترة وجيزة ، وكانت تخرج من حين لآخر لقرائها برواية جديدة ، كما اتجهت ايضا الى كتابة السيرة الذاتية كما فعلت بالنسبة لابيها فى كتاب «المنفى» ولامها فى كتاب « الملاك المحارب » اللذين صدرا معا عام ١٩٣٦ .

وكانت بيرل بك من الشجاعة بحيث تبنت الدفاع عن الملونين بعد عودتها الى امريكا ، وذلك فى وقت كانت التفرقة العنصرية على اشدها فى الولايات المتحدة مما عرضها لهجوم كاسح ونقد لا يرحم . ولكنها لم تعبأ وظلت فى كفاحها الذى أثمر اخيرا بانشاء دار الترحيب والرعاية فى بنسيلفانيا التى تستقبل الاطفال الذين من أصل أمريكى آسيوى حيث يتلقون كل عناية تكفل لهم الاستقرار المعيشى والتعليم الذى يؤهلهم لشق طريقهم فى المجتمع عندما يشبون عن الطوق .

ولكن هذا النشاط الاجتماعى فى امريكا جعل من بيرل بك مصلحة اجتماعية اكثر منها روائية فنانة ، لان الروايات التى كتبتها فى تلك الفترة لم ترتفع فنيا الى مستوى رواياتها الصينية . ويبدو ان الشحنة الفنية

التى انتجت هذه الروايات قد وجدت لها متنفسا عمليا فى انجازاتها الاجتماعية من اجل الملونين الامريكيين .

الرواية الصينية

وقد منحت بيرل بك جائزة نوبل للأدب فى ١٠ من ديسمبر ١٩٣٨ . وكان قرار منحها الجائزة مبنيا على «لوحاتها الملحمية الخصبة والأصيلة عن حياة الفلاحين الصينيين ، وتحفها الادبية فى مجال السيرة الذاتية . » وفى خطاب بيرهالستروم رئيس اكاديمية نوبل فى حفل تسلم بيرل بك للجائزة قال :

« انه عندما قررت الاكاديمية السويدية منح جائزة هذا العام الى بيرل بك لاعمالها الادبية المرموقة التى تمهد الطريق من اجل التعاطف الانسانى بين مختلف فئات البشر بصرف النظر من الحدود الفاصلة بين العناصر والاجناس المختلفة ، وكذلك لدراسات بيرل بك فى عالم المثل الانسانية التى تشكل المضمون الاساسى لاعمالها ، فان الاكاديمية تشعر بأن انجاز بيرل بك كان متمشيا تماما مع اهداف الفريد نوبل واحلامه من اجل المستقبل . »

وقد طلبت الاكاديمية من بيرل بك ان تختار موضوعا ادبيا لكى تحاضرها فيه ، فلم تجد بيرل سوى موضوع « الرواية الصينية » كما نشأت بالفعل فى الصين بعيدا عن اية تأثيرات غربية ، وخاصة انها اكدت من قبل ان الشكل الفنى والمضمون الفكرى فى رواياتها قد تأثرا بالرواية الصينية اكثر من تأثرهما بفن الرواية كما عرفه الغرب أو امريكا بصفة خاصة .

وتعتقد بيرل ان اى اتصال بين الرواية الصينية والرواية الغربية سيعود على الاخيرة بالفائدة الجمة لان تقاليدها الادبية وجذورها الفكرية والاجتماعية تختلف تماما . فالرواية الصينية لم تكن ابدا فنا قائما بذاته كالشعر مثلا ، بل كانت نشاطا اجتماعيا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان . ولذلك لم ترتبط بطبقة الكتاب أو الادباء أو المثقفين الاكاديميين فالشعب — بجميع طبقاته — كان يمارس هذا النشاط كنوع من التسلية المفيدة التى تتيح له الاطلاع على اكبر قدر ممكن من حكمة الاجيال السابقة .

ولعل ابتعاد الرواية الصينية عن القوالب والمعايير التى اغرم بها المثقفون والدارسون ، قد ساعدها على الانطلاق الحر الخلاق ، والارتباط بحركة المجتمع وتطور الفكر فيه . ولذلك كانت الرواية الصينية نتاجا للوجدان العام الذى يشترك فيه عامة الناس . وترتب على ذلك ان أصبحت لغة الرواية هى اللغة الدارجة التى يستخدمها الصينيون فى حياتهم اليومية مما اكسبها حيوية وقدرة على تجسيد أحلام الناس .

وعندما جاء البوذيون الى الصين وجدوا ان الانماط الادبية الرسمية مثل الشعر والخطب والحكم والامثال والمستندات التسجيلية والاسطورة الدينية قد انفصلت تماما عن وجدان الشعب واصبحت مجرد قوالب صماء فقدت كل المعانى والدلالات التى كتبت من اجلها . ولذلك نادوا بأن الحياة تأتى قبل الادب فى الاهمية ، وليس من الحكمة فى شىء ان يشكل الناس فكرهم حتى يتمشى مع القوالب التى صبها المثقفون من قبل . فالمفروض ان يحدث العكس بحيث يستمد الادب كل اصوله من الحياة المستمرة التجدد ! .

واتجهت الرواية — على يد البوذيين — الى المنهج التعليمى الذى يعمل على تحويل التعاليم الدينية الى سلوك يومى حتى لا تكون مجرد نصوص محفوظة . فقد استغلوا حب الناس للرواية ووضعوا فى طياتها التعاليم التى يريدون بثها بين الناس . ونظرا لان الامية كانت متفشية الى حد كبير بين عامة الشعب ، فقد اصبح السرد الروائى وسيلة شائعة فى التجمعات التى تنعقد فى وقت الفراغ وخاصة فى المساء . من هنا بدأت الرواية الصينية تأخذ شكلها المتعارف عليه منذ عشرات القرون الماضية .

كانت رواية شفاهية تتناقلها الالسن جيلا بعد جيل . وتحولت الشخصيات النمطية الجافة الى بشر احياء يدبون على الارض ويقنعون كل من يستمع منهم اثناء السرد الروائي . وكانت الشخصيات العنصر الرئيسي بل وربما الوحيد الذي يجذب انتباه المستمعين . كيف تتحرك وتسلك وتفكر وتعيش ؟! اما تسلسل الاحداث والحبكة فلم تكن مثار اهتمام حقيقي . ولذلك كانت الرواية تستمر الى ما لا نهاية أو تتوقف فجأة لان الامر مرهون كله بمدى ارتباط المستمعين بالشخصية .

وكان مضمون الروايات يدور حول الموضوعات المفضلة عند جمهور المستمعين مثل الاساطير والمغامرات والمؤامرات والحروب واللصوص وقصص الغرام . وهناك ظاهرة واضحة في الصين هي ان الرواية كانت دائما أهم من الروائي الذي توارى تماما في الظل لدرجة ان الروايات التي تناقلتها الاجيال حتى الان مجهولة المؤلف أو مشكوك في نسبها الى مؤلف محدد . فقد حرص الروائيون على تقديم كل مايمت للرواية بصلة مع الامتناع تماما عن التحدث عن آرائهم وامزجتهم الشخصية . ولعلنا نلاحظ ان هذه الموضوعية الفنية المبكرة التي حققها الروائي الصيني منذ عشرات القرون ، هي نفسها التي يحاول النقد الحديث تحقيقها في القرن العشرين .

وبصرف النظر عن القيمة الفنية للرواية ، فان القيمة التسجيلية كانت تطغى في كثير من الاحيان على كل عناصر الرواية التي تضمنت كل مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في كل عصر على حدة فلم يكن الروائي واعيا بشكل محدد لروايته بل كان السرد يستمر طالما ان في المضمون مايسمح باستمراره . ولم يكن هناك اسلوب خاص ومميز للرواية ، ولكنها كانت محتشدة بالعديد من الشخصيات المستمدة من التراث الشعبي والفولكلور القديم . وبالاضافة الى قوى ما وراء الطبيعة التي تتحكم في سير الاحداث وحركة الشخصيات عن طريق المعجزات واعمال السحر ، فهناك روح الدعابة والتهكم التي تغلف الموقف حتى لو كان المضمون جادا .

وتعد الرواية الصينية مرآة حقيقية للعصور التي مرت بها ، ولذلك تتراوح بين الرومانسية والمثالية والاسراف في العاطفة ، وبين الواقعية والتسجيلية التي تنتقل من نطاق الفرد واحاسيسه الى مجال المجتمع وتياراته . وكانت الرواية تحتوى على الاغاني الشعبية التي يتغنى بها الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية ، وكثيرا ما اتخذوا من مضمون الرواية مادة لمسرحية يقومون بتمثيلها . وعندما بدأت الشيوعية في الانتشار بزعامة ماوتسي تونج في الثلاثينات من هذا القرن استخدم الشيوعيون هذا التراث الخصب من الرواية لترويج مبادئهم عن طريق تلوينه وتفسيره في ضوء العقيدة السياسية الجديدة . فقد ادركوا ان جهاز الاعلام الشعبي الوحيد الذي استطاع ان يعيش في الصين عشرات القرون المتتالية كان الرواية .

وبالطبع لم يهتم الشيوعيون بالجانب الفني للرواية ، بل اتخذوا منها مجرد وسيلة اعلامية لترسيخ المبادىء الجديدة في وجدان الجماهير . وطبقوا هذا على الروايات الشعبية المحبوبة والمنتشرة مثل « شيوهو » و « سان كيو » و « هانج لومنج » .

ولكن بيرل بك تقول ان تأثرها كان بالرواية الصينية كما عرفها التراث الشعبي القديم بصرف النظر عن التيارات السياسية الحديثة . ولعل الانجاز الحقيقي لبيرل بك يتمثل في ان رواياتها كانت بمثابة تطعيم للرواية الغربية الحديثة بتقاليد واساليب روائية استطاعت ان تقهر الزمن بطول تاريخ الصين الطويل . ●

تذكرة طبية

الالتهاب الشعبي المُزمِن

• د. السيد الجميلي •

لهذا المرض ـ الالتهاب الشعبي المزمن ـ صلة مودة مع تلوث الهواء ، والتدخين باسراف ولا سيما عند التعرض للالتهابات الفيروسية التى تغزو الممرات التنفسية، وفيه تتضخم الغدد المخاطية المبطنة للشعب الهوائية ثم يعقب هذا التضخم التهاب حاد او تحت حاد مع خراجات صغيرة متباينة الحجوم : مع قروح منتشرة كثيرة هنا وهناك فى تلك الشعب وهذه الشعيبات تمتد الى الحويصلات الهوائية ، ومن هنا يصبح البصاق كريه الرائحة

تبدأ الاعراض بالسعال الحاد الذى يسميه العوام « سعال المدخنين » وهو عادة يزداد فى الصباح الباكر ،وبه كميات من البلغم الغروى ..

فى هذا الطور البدائى من المرض يرى المريض نفسه غير محتاج الى استشارة طبية ويتناساها ، بالرغم من استمرار ضيق التنفس وصعوبته طول الشتاء ، وقد يمتد به الى فصل الصيف ـ الا ان كمية البلغم والبصاق لا تزال على نفس المعدل المتوسط .

بعد بضع سنوات ،وباستمرارالحال بدون علاج شاف ، تزداد « كرشة » النفس شيئا فشيئا ، وتتفاقم حدتها نتيجة اضطراب مجرى التنفس اذ يشعر المريض بصعوبة اخراج النفس او ادخاله اى صعوبة الشهيق والزفير . ويزداد هذا التعب مع أقل مجهود يقوم به ،وقد يصل الحد الى درجة بالغة الخطورة ، الا وهى شدة التعب التنفسى مندالراحة التامة فى الفراش

التشخيص : ـ

لابد من العرض على طبيب الامراض الصدرية والالتزام بتعليماته وارشاداته واتباع تعليماته بكل دقة ، وعلى العموم فانه يطلب اشعة عادية او ملونة على الصدر وقد يطلب بعض التحاليل الدموية الضرورية .

العلاج : ـ

من الممكن ـ على خطورة هذا المرض ـ التحكم فيه وعرقلة سيره ، وذلك بان نملك زمام المبادرة لانه كلما كان التشخيص مبكرا ، كانت فرصة الشفاء ادنى واقرب ..

ولابد مبدئيا من الاقلاع عن التدخين، والاقلال من الحركة ، والعمل فى جو هادىء ، والابتعاد عن العمل الشاق المضنى المحفوف بالتوتر ، ومن اماكن الدخان والاتربة ، والنوم فى غرف دافئة ، وغلق النوافذ فى الشتاء .

وعلى المريض ان يثوى فى بيته فى اليوم المضطرب الطقس ، وعليه ان يعامل اية نزلة برد بحسم وشدة على اساس انها حالة لها خطورتها ، وان يتعاطى المضاد الحيوى السريع وقائيا تحت اشراف طبيبه المعالج ..

موسعات القصبة الهوائية والشعب الهوائية لها دور فعال مشهود .

وتحت اشراف الطبيب ، فان عقار الكورتيزون لاسيما مشتقاته المعملية تفيد كثيرا فى هذه الحالة ومزيج صدرى طارد للبلغم منفث مع استعمال المضاد الحيوى المناسب بجرعات مناسبة تتفق ودرجة الاصابة وعمر المريض وبهذا يشفى الصدر وينجلى ويشف صدور قوم مؤمنين .

قصة

الوصية

● غبريال وهبه ●

● ماتت خالتي فتقاطرت نساء القرية من كل صوب وحدب للقيام بواجب العزاء .. كن يفدن الى منزلنا الريفي زرافات ووحدانا في صمت وهن متشحات بالسواد ، مطاطئات الرءوس ، وقد بدا عليهن الذهول والحزن العميق ... من كان يتصور ان السيدة زهيرة قد فارقت هذا العالم ؟! لم يحدث قط ان ردت طفلا محتاجا أو سيدة سالتها المعونة ... كانت تفتح صدرها لتستمع لشكاوى الناس ومشكلاتهم ، ولكنها كانت كتومة على اسرارها ، لا يعرف احد عنها شيئا سوى انها تربيني مع اختي الصغيرتين منذ وفاة ابي وامي في حادث « الترولي باس » الذي شاء حظي العاثر ان يغرق بركابه في النيل هكذا صرت يتيمة الابوين ، واوصد الاقربي الابواب دوني .

كان يوما أسود قاتما ذلك الذي طرقت فيه باب عمي مع اخواتي ، فصاح فينا غاضبا :

ـ ما الذي اتي بكن الى هنا ! . ليس لكن مكان في منزلي ... اغربن عن وجهي ! .

همت في الطرقات وقد تشبثت ايدي شقيقتي الصغيرتين بيدي . ركبنا القطار المتجه الى القناطر الخيرية . امسك الكمساري بتلابيبنا ، فلم يكن معنا تذاكر ، وهددنا بتسليمنا للشرطة . بكيت وانا اتوسل اليه ان يخلى سبيلنا ، واضطررت أن اقص عليه ما اصابنا من الزمان ، بيد انه كان فظا غليظ القلب ، اصم اذنيه عن سماعي ..

واشفق علينا أحد الركاب فدفع لنا اجر السفر .. وهاهي ذي خالتي تعود الى ذاكرتي ، وهي تلقانا بالاحضان وتكفكف دموعنا ، وقد هدنا التعب ونحن نلهث بعد مسيرة طويلة من محطة القناطر الى قرية المناشي ..

ولكن واحسرتاه ! .. لقد ماتت خالتي ، ففقدنا بموتها الدفء والحنان اللذين عوضتنا بهما عما ذقناه من مذلة وبؤس . لن تتلقى شقيقتي الصغرى قطعة الشيكولاته غدا ، كما اعتادت أن تتناولها من خالتي كل صباح !

***

تفرقت السيدات جماعات صغيرة داخل المنزل ، وارتفع لغطهن وثرثرتهن

ـ ترى هل كانت ثرية ؟! من يدري !!

ولكن كيف استطاعت أن تبني هذا المنزل ؟!

رددت بعضهن انها تخفي ثروة كبيرة ومجوهرات ثمينة في صندوق احكمت اغلاقه بقفل حديدي ضخم ... راحت السيدة فاطمة تؤكد انها شاهدت مثل هذا الصندوق ، كما جاء ذكره على لسان الحاجة مسعدة ، القابلة التي كانت تتردد على خالتي لاعطائها الحقن في اثناء مرضها . ولقد ضايقني ان سمعت



احداهن تقول :

ـ حقا ان البخيل حارس نعمته !

وفجاة ظهرت قريبة لخالتي ... جلست وسط نساء القرية ، وقدمت نفسها على انها ابنة زوجها الراحل . طفقت تتناول منديلها من جيبها كل هنيهة تمسح به عينيها دون أن يكون هناك أثر للدموع فيهما .. كانت جامدة الوجه تناهز الاربعين من عمرها .

وتساءلت النساء عما اذا كانت ستستولي على الثروة الضخمة داخل الصندوق !!

وعندما اوغل الليل قامت تفتش كل ركن في المنزل الى ان عثرت على ضالتها فراحت تحتضن الصندوق في جنون .. وهمت بفتحه فمنعتها جارتنا السيدة فتحية ، واسرت الى أبنها الصغير ببضع كلمات . اسرع الصبي الى ابيه الذي توجه الى دار العمدة ، واستصحبه على عجل ومعهما شيخ الخفراء .

فتح العمدة الصندوق واخرج محتوياته بين دهشة الجميع .. آلة حياكة ومعها ورقة صغيرة بسطها امامه وتلا ما فيها .

((الى ابنة شقيقتي العزيزة وديدة .. انني ارد اليك هذه الامانة التي تركتها امك عندي منذ عشر سنوات عندما اقسم لها والله بانها لن ترى وجهه الى الأبد ان مست يدها هذه الماكينة بعد ان ضاق ذرعا من طول انهماكها في حياكة الملابس للاقارب والجيران ... خالتك

زهيرة عبد القدوس

كان هذا كل ماعثر عليه العمدة ، فاقفل المحضر الذى أثبت فيه ماوجده ، واستأذن منصرفا بعد ان قدم عزاءه لمن بقى من الحاضرات اللاتى طفرت الدموع من عيونهن ورحن يترحمن على والدتى وخالتى ...

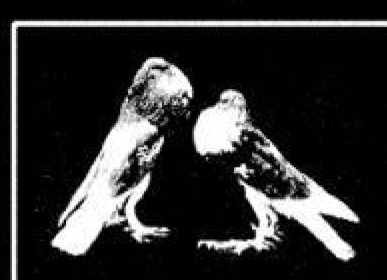
●●●

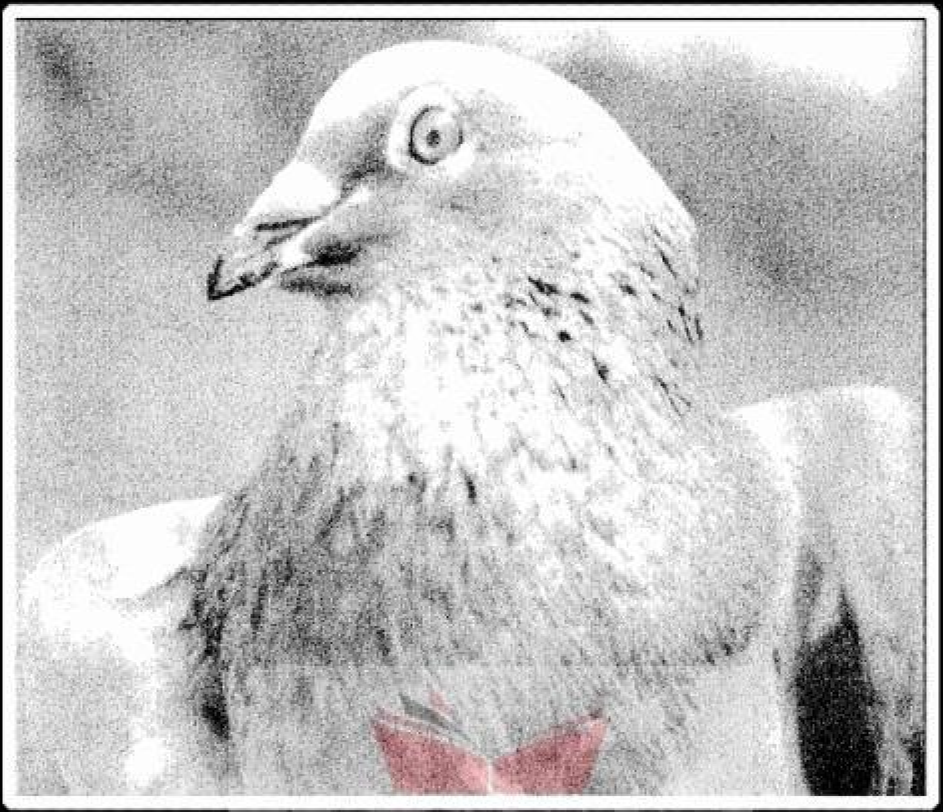
توالت الايام ... واذا بنساء القرية يزحمن منزلنا الريفى احيك لهن ملابسهن وجلابيب اطفالهن . وواصلت الليل بالنهار من اجل تربية شقيقتى الصغيرتين . يالها من مسئولية القاها القدر على عاتقى .. وسرعان مانفضت على الحزن لاقوم بواجبى نحو الامانة التى اودعها الله فى عنقى .

ما احلى ان يكلل جهاد المرء وكفاحه بالنجاح . لقد مشيت على الاشواك حافية القدمين ، وذوى عودى وفاتنى قطار الزواج، ولكن فرحتي الآن لا تعدلها فرحة .. فها هى ذى منيرة قد اصبحت معلمة فى مدرسة القرية الابتدائية تؤدى واجبها نحو الاجيال القادمة .. اما بهيرة فتقف الآن بردائها الابيض داخل المستشفى الاميرى تمسح بيدها الام المرضى .. ●



الهلال





طائر جميل الهيئة، متناسق الشكل، أصله بري، أعتبر رمزاً للسلام منذ أرسله سيدنا نوح من الفلك فعاد بغصن زيتون، بشرى بانحسار الطوفان، وعودة الحياة. وعلى مدى قرون طويلة.. كان الحمام يقوم بمهمة عامل البريد..!

رمز السلام والمحبة والالفة منذ الوف السنين . أرسلها النبي نوح عليه السلام من الفلك فطارت وعادت وفي منقارها غصن زيتون ، فكان ذلك بشرى بانحسار الماء وعودة الحياة .. من ذلك الحين أصبح الحمام رمز الخير والسلام .. وخلال قرون طويلة كان الحمام الزاجل يقوم بعمل البريد بين الناس ، وفي سلطنة مصر كان هناك ديوان الحمام . وفي الدنيا ٤٠٠ نوع من الحمام نصفه استنبطه الانسان عن طريق التهجين ..

الحمامة البيضاء ، رمز السلام والمحبة التي نراها بالمئات حيثما وجهنا نظرنا في الافق ، ماهي الانوع واحد من ٤٠٠ نوع من الحمام تعيش على وجه الارض .

ولعل القارئ لا يعرف ان وجود اسراب الحمام البيضاء بالكثرة التي نراها اليوم في المدن خاصة ظاهرة حديثة لا ترجع الى اكثر من مائة سنة . انما كان المعروف الشائع من الحمام هو النوع الرمادي الازرق البنفسجي المنتشر في الدنيا كلها ايضا ، ولكن ليس بدرجة انتشار الحمامة البيضاء التي تسمى عادة بالحمامة التركية ، وهي معروفة في مصر والبلاد العربية جميعا منذ الزمن القديم ، ولكنها كانت في الاصل طيرا مهاجرا ، يقضي الشتاء في بلادنا فاذا حان الصيف هاجر جماعات الى تركيا والبلقان وبعض بلاد أوروبا الوسطى ، وهناك تبيض الاناث وتفقس ، وفي الربيع تعود الاسراب مضاعفة الى بلادنا .

واصل هذه الحمامة من جنوبي آسيا ، ثم هاجرت جماعات منها الى مصر وعرفها البابليون والمصريون القدماء ، وكانت هجرتها الصيفية اذ ذاك الى تركيا وبلاد البلقان ووسط آسيا . ومن الغريب أنها ظلت طيرا مهاجرا الى أوروبا حتى أوائل هذا القرن ، فأخذت الحمامة البيضاء تستقر وتنتشر في أوروبا حتى وصلت الى شمال المانيا واسكتلندا ، وأصبحت طائرا محليا يعيش هناك طول العام وتكاثرت جماعاتها بشكل غير مألوف ، لان الناس هناك لا يأكلون الحمام ، وفي بعض البلاد الاوروبية يحرم صيده وفي بعضها الاخر لا يحرم ، ولكن الحمام لا يؤكل في اوروبا على اى حال ...

والسبب في ذلك الامتناع عن أكل الحمام في الغرب هو ما ورد في الكتاب المقدس من أن الحمامة البيضاء هي التي حملت الى سيدنا نوح نبأ وقوف الطوفان وبدء انحسار مائه ، فقد طارت من الفلك وعادت وفي فمها قطعة من غصن زيتون ، فكانت هذه هي البشرى .. والحكاية واردة في تفاسير القرآن الكريم . ولكن أهل الغرب يتأثمون من أكل الحمامة لانها رمز للسلامة والسلام .

***

والحمامة البرية المستأنسة ذات اللون الرمادي الازرق البنفسجي وكذلك الحمامة البيضاء تتميز كل منهما بقوة بدنية هائلة بالنسبة لحجمها ، وهي قادرة على التكاثر بصورة لا حدود لها ، فهي تبيض بيضتين في الشهر لفترة طويلة من حياتها ، وهاتان البيضتان تفقسان وتخرجان فراخا في الغالب ، ومن هنا كان ذلك التكاثر ، وفي العادة يموت ثلث الفراخ الجديدة ما بين الحوادث والصيد وافتراس القطط والكلاب وغيرها من الكواسر ، اما الباقي فيعيش ويتكاثر .

والحمامة المنزلية بلونيها اللذين ذكرناهما مازالت الى الان نصف وحشية ، فهي دائما تحوم حولك ولكنها لا تطمئن الى الانسان الا في النادر ... والذين يربون الحمام يعرفون ان الحمامة لا تعرف صاحبها الا في النادر ، ولكنها تعرف



● صورة لمجموعة من الحمام الزاجل التى يربيها الهواة ويتراسلونها فيما بينهم ، وفى أوروبا تقام مسابقات بين الحمام الزاجل على غرار سباق الخيل.



● الحمام الهزاز ، يمتاز بهذه الهيئة الجميلة وكبريائه وذيله واهتزازه عجبا بنفسه !.

وكرها أو برجها جيدا ...

وهى فى الغالب تعيش فى جماعات كبيرة ، وتطير الى مسافات بعيدة ، ولكنها لا تهاجر من موطنها الا فى النادر . وفى العادة تقوم جماعات صغيرة من حمام الابراج بالهجرة الى ابراج اخرى او مواطن جديدة اذا تكاثرت جدا ولم تعد تستطيع العيش فى منطقتها ، ولهذا يحرص أصحاب الابراج على الا « تهج » من ابراجهم جماعات وتلتحق بابراج أخرى او تنشىء لنفسها مواطن جديدة .

***

ومعظم الحمام لايتجمع بعضه الى بعض الا فى النهار ، أما فى الليل فان كل حمامة لها اليف تطمئن اليه وتنشىء معه عشا أو مبيتا لهما ، وقد تبيت الجماعة من الازواج فى مكان واحد ، ولكنها تظل أزواجا ، فاذا بقيت حمامات دون أزواج كان هناك الصراع العنيف على الاليف بين الاناث . ولكن هذا الصراع لا يكون الا عند هبوط الشمس وبدء الظلام . فتطمئن جماعات الحمام بعضها الى بعض فى شجرة او مئذنة او سطح بيت مهجور ، أو برج كنيسة ، او اعلى شباك بعيدا عن خطر القطط خاصة . فاذا طلعت الشمس طارت الحمامات وتفرقت اما أزواجا او جماعات.

والحمام طير أكول ، فهو يأكل طول اليوم ، وعينه العسلية او الصفراء ترى الحبة من بعيد وتلتقطها فى سرعة خاطفة ...

ووزن الحمامة فى العادة حوالى رطل ، ولكنها تأكل فى اليوم ثلاثة ارطال من الحب والطعام اذا أتيح لها ذلك ، ولهذا يعمل الفلاحون فى أوروبا والولايات المتحدة الى تقليل عددها بالرصاص والسم حماية للمحاصيل ...

وفى الولايات المتحدة حيث وجدت الحمامة المجال متسعا للنمو والتكاثر ، تكاثرت جماعات الحمام خلال القرن الماضى حتى اصبحت وباء ، وخاصة فى وسط البلاد . وقد قرر عالم من علماء الحيوان فى جامعة أوهايو ان جماعات الحمام تصل



الحمام الأبيض .. في الصورة نرى منظرا من غزل الحمام ، فإن الذكر يتودد الى الأنثى ، ولابد أن يمسح على رقبتها بمنقاره ، ويقدم لها بعض الحب أن ترضى عنه ...



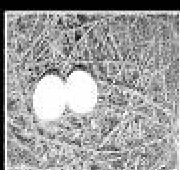
فرخ الحمام بعد ثلاثة اسابيع ، تكسـو نهاية ريشه عوده وتتضح عيناه ويشتغل بزغب وربما يأكل الحب ..



فرخ الحمام الوليد بعد دقائق من خروجه من البيضة ... انه لا ريش تماما لمدة ايام ، وهو في غاية الضعف ولهذا يعيش تحت جناح الأم ..



هذه هي الحمامة الكامنة التي تنمو داخل البيضة ، انها تنمو وتكبر على هذه الصورة في مدة ١٨ يوما قبل أن تفقس ، أي تكسر البيضة وتخرج .



بيضتان من بيض الحمام الزاجل العش ، البيضة تزن في المتوسط عشرين جراما ، ونادرا ما تضع الأنثى أكثر من بيضتين في المرة الواحدة ، ولكنها تبيض كل شهر ..

هناك احيانا الى بضعة ملايين . فاذا طارت حجبت ضوء الشمس ، واذا نزلت على حقل قمح او ذرة او فول او اى حبوب اخرى أتت على ما فيه !.

***

والى جانب تلك الحمائم التى ربطت نفسها بحياة الانسان وأصبحت نصف مستأنسة ، فما زالت هناك الحمامة المهاجرة ومعظم الحمام المهاجر ذو لون سنجابى ، وهو أقوى وأكبر حجما من الحمامة الاليفة ، وهو كذلك أقرب الى الوحشية ، والذكر منها له منقار من حديد ، وهو فى الغالب يحكم قطيعا من الاناث ، وهو شديد الغيرة لا يأذن لاى ذكر غريب بالاقتراب من اناثه ، ولا يسمح لاى واحدة منها بالخروج على النظام ... ومنقاره لهذا يضرب ضرباته الحديدية التى تخرج الدم ، وهو جرىء لا يخشى القطط وصغار الكلاب ...

وقد استلفتت الحمامة نظر داروين ، فاشار فى « اصل الانواع » الى حيويتها وقدرتها على التكاثر واستعدادها للتكيف بظروف البيئة والطعام ، اى استعدادها للتطوير ، مثلها فى ذلك مثل الكلاب ، ولهذا فقد نشأت فى اوروبا وامريكا عقب ذيوع آراء داروين جماعات من الهواة تخصصت فى انشاء انواع جديدة من الحمام عن طريق التهجين والتصرف فى الطعام ، وقد استطاع هؤلاء الهواة ان ينشئوا الى الآن نحو ١٤٠ نوعا جديدا اشكالها فى الغاية من الطرافة .

والاوروبيون يدخلون اليمام تحت الحمام ، واليمامة أصغر وأعصى على الاستئناس فهى فى العادة برية ، ولكنها لصغر حجمها وضعف بنيتها لا تتكاثر تكاثر الحمام ، وهى فريسة سهلة للقطط والصقور وما شاكلها .

ولليمامة فى عالم الاسلام مكانة خاصة نظرا لما تذكره السيرة النبوية من تعشيش اليمامة على الغار الذى لجأ اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى أول الهجرة الى المدينة . ولهذا فأمتنا لا تأكل اليمام ولا تصيده بعكس الحمام .

***

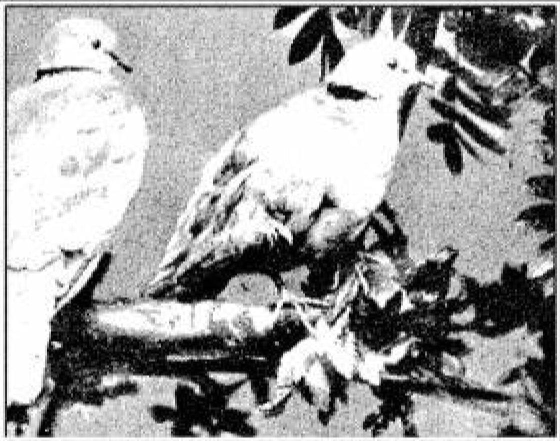
ويعرف هواة الحمام عندنا من أصناف الحمام أنواعا كثيرة مثل القمرى والحمام الهزاز والحمام ذى التاج . وكل نوع من هذه له خصائصه ونواحى جماله ، فالقمرى يمتاز بعذوبة صوته وألفته . والهزاز له ذيل عريض ينشره فيصبح وكأنه طاووس صغير ، وهو يلوى عنقه الى ظهره ، ويروح ويجىء ليعرض جماله على أنثاه ، وهو شديد الغيرة عنيف المنقار .

وهناك حمام الهوا وهو صنف من الحمام لا يطير الا عاليا جدا حتى لا تصل اليه الصقور .

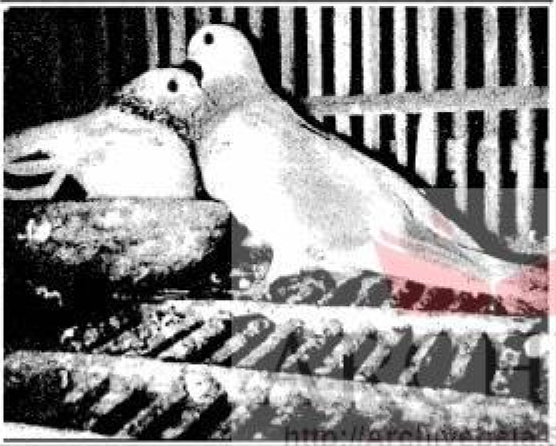
ونحن نعرف هواية تربية الحمام من زمن طويل ، وتسمى عندنا « الغية » بكسر الغين وتشديد الياء وفتحها ومعناها الهواية ، ولكنها تطلق على مجموعة الحمام التى يملكها هاوى الحمام ، وهى هواية جميلة تستنفد الوقت وتسلى . ويقال ان أكبر كسب يسعى اليه صاحب « الغية » هو ان يجتذب حمام الاخرين الى غيته .

***

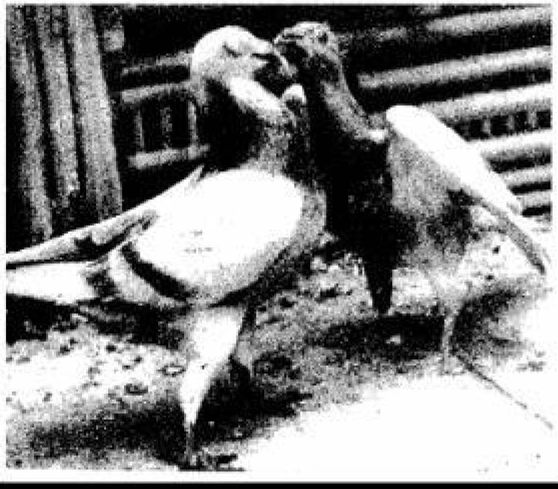
ولكن الاوروبيين اخذوا هذه الهواية مأخذ الجد على عادتهم فى كل شىء ، وساروا فيها سيرا علميا ، فان صاحب « الغية » هناك لا يكتفى بتطيير حمامه واجتذاب حمام الاخرين ، بل انه يعمد الى استنباط اجناس جديدة من الحمام عن طريق اختيار الاقوى والاكبر او الاكثر فراخا ، او اختيار الحمام ذى الالوان الغريبة او الاشكال غير المألوفة ، وتهجينه



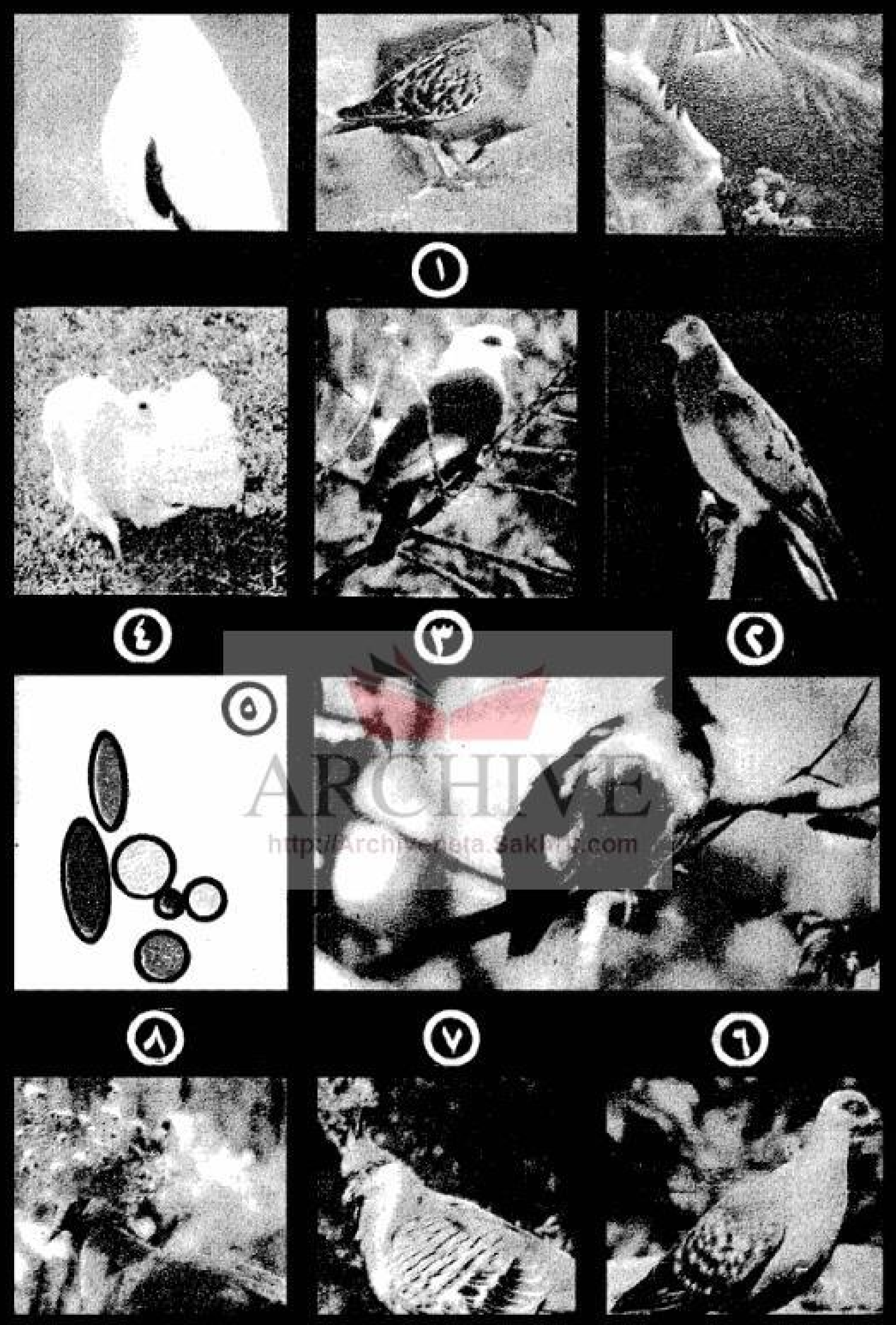
الحمام القمرى الذى يمتاز بصوته الجميل وهو يغنى دائمـا فى الفجر عنـد استيقاظك ، وقبل ان يطير فى فضاء الله . والهـواة يحرصون جيداً على تربيته.



الحمام الهزاز معروف فى مصر والبلاد العربية وهو مشهور بألفته ..



الحمام الزاجل فى مصر .. هناك هواة كثيرون لهـذا الحمام الذى اشتهر فى التاريخ بنقل الرسـائل والطيران لمسافات بعيـدة والعودة الى بيته ..


١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨



٩ أنظر شرح الارقام فى الصفحة التالية ◀

١ حمامة ابراج الكنائس العالية ، انهـا تطير على مسـتوى عال جـدا ولا تستانس ، ولكنها توجد في كل مكان في الغرب ، اصلها من استراليــــا وغينيا الجديدة

٢ حمامة موطنها امريكا تمتاز بجمال الوانها واستقامة هيئاتها .. انهـا الآن في دور الانقراض .

٣ حمامة القمري الزرقاء ، حمـــامة بديعة الشكل زرقاء الظهر والجناحين بيضاء الرقبة والراس ، وعينـــاها غاية في الجمال ..

٤ صنف نادر من اليمـام وهو فرع من الحمام يتميز بلونه الابيض وراسـه الذي ينحني ، وذيله الجميــل ... اصله من آسيا .

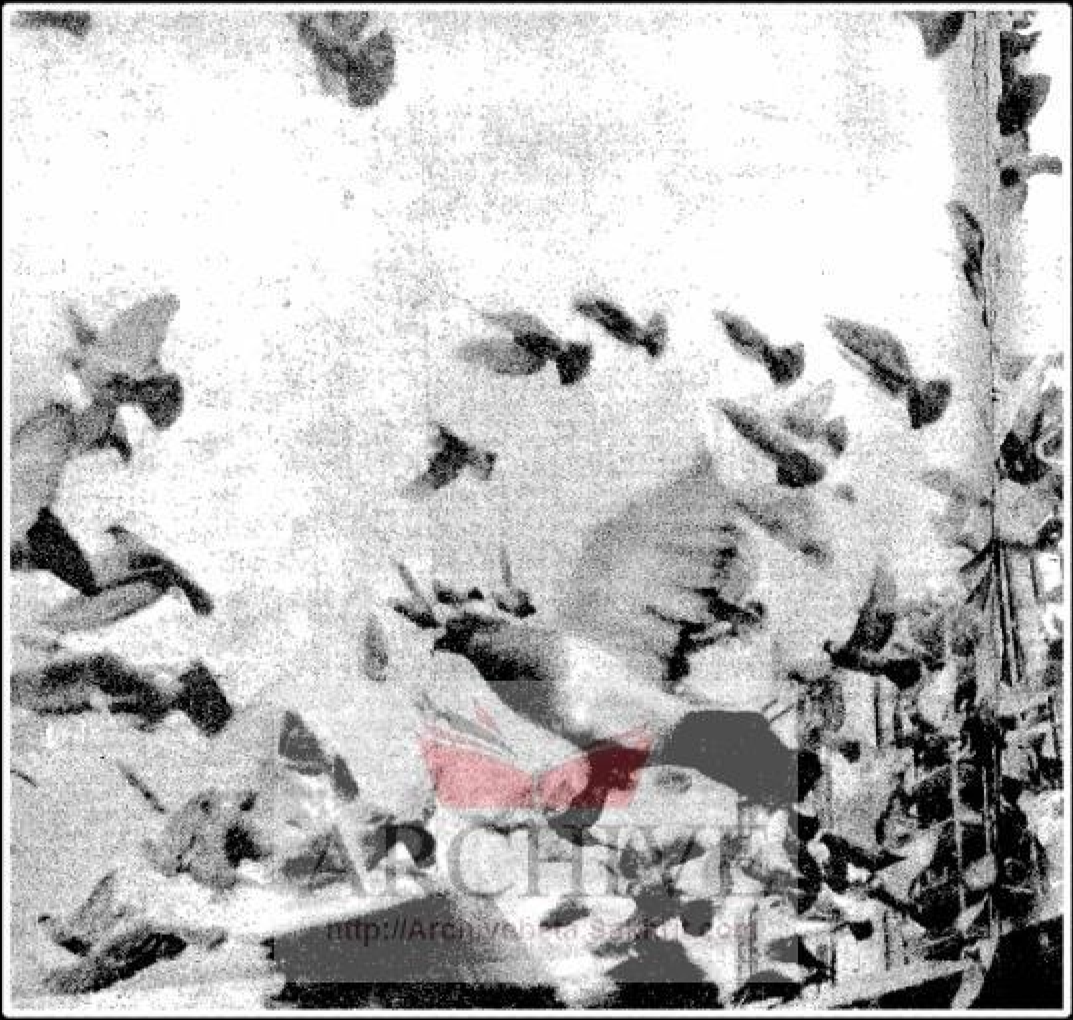
٥ الحمامة الاسترالية الملونة من اجمل اصناف الحمام في الدنيــا ، وتشبه الببغاوات في بديع تلون ريشها ، وهي لا تعيش الا في نصف الكرة الجنوبي وحدائق الحيوان .

٦ الحمامة ذات القناع .. نوع آخـر بديع من الحمام اصله من آسيا ، ويمتاز بشكل عينيه اللتين تبـدوان كانهما قناع .

٧ الحمامة ذات الجناح البرونزي ، توجد في كل نواحي الارض ولكنها لا تستانس ابدا . ويعثر عليهـا الهـواة في قمم الاشجار العالية وهي صعبة الصيد .

٨ الحمامة ذات التاج التي تســمى ايضا حمامة تاج فيكتوريا ، اصلها من غينيا الجديدة ، وتمتاز بشكلها الفريد وتاجهـــا البــديع .

٩ الاطفال يلعبون مع الحمام في ميدان ترافالجار في لندن ، وهـذه لعبة يتسلى بها الاطفال مع حمام المدن امام الكنائس خاصة ، ولكنها لعبـة خطرة لان الحمام ينقل بعض الامراض .

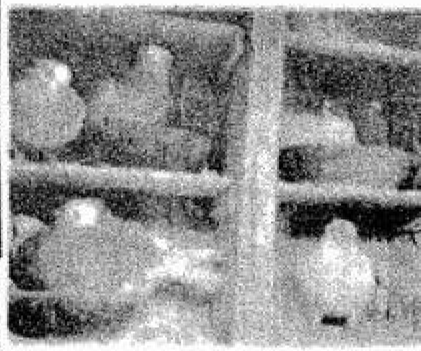


١٠

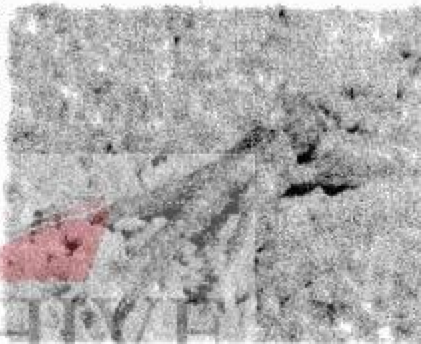
● قطيع من الحمام الزاجل يستريح قبل أن ينهض لرحلة طولها ١٠٠٠ كيلومتر ، ثم يعود.. ثلثا هذا القطيع سيموت فى الطريق .. ، ولن يعود والثلث الباقى فقط هو الذى يعود الى بيته ..



فى المانيا يوجد اول مستشفى للحمام الزاجل، وهو يتسع لـ ١٥٠ طائرا ، مريضا اومصابا. فى الصورة ترى الطبيب ومساعده يفحصان الحمامات المريضة ..



الحمام من أكثر الطيور خصوبة وتكاثرا،ونادرا ما تفقد الحمامة بيضة من بيضاتها ، وفى الصورة ترى العيون التى تخصص للحمامات فى وقت الفقس ..



يضع الهواة فى رجل كل حمامة دبلة من الالمنيوم تحمل اسمها ورقمها ومكان تربيتها. وفى الصورة ترى رجل الحمامة وفى اعلاها الدبلة ..



فى اوروبا يقيمون مسابقات بين الحمام الزاجل .. وفى الصورة ترى نفرا من المتراهنين وفى ايديهم الساعات الكرونومترية فى انتظار وصول الحمام ..



يفخر هواة الحمام بالحمام الذى يكسب السباق .. وفى الصورة ترى واحدا من اولئك الهواة ينظر الى اثنتين من حمامه فازتا بجوائز دولية ..



فى أوروبا يقيمون هذه البيوت الأنيقة للحمام فى أعلى المنـــــازل ، وترى الحمامة على باب بيتها . فخــــورا بعشها .

ومراقبة الاجيال وتسجيل صفاتها فى دفاتر وصور .

ومن الغريب ان صاحب « الغية » سواء فى بلادنا أو فى أوروبا يقاسى من أذى الحمام ، فهو يحط على رأسه وينقره وينشب اظافره فى يديه ووجهه ، ولكنه مع ذلك يستمر لانها هواية مثيرة .

***

وفى المانيا جمعية لهواة الحمام يصل عدد أعضائها الى حوالى ١٥٠٠٠ ولهم مجلة علمية ، ومركز الاتحاد فى كولونيا . وتبلغ النفقة على الحمام فوق المائةمليون مارك فى العام ، لان الحمام هناك يربى فى اقفاص واسعة ، ويقدم له الغذاء المدروس علميا ، وأكثر اهتمام هؤلاء المربين يتجه الى الحمام الزاجل أى حمام المراسلة ، ونحن نعرفه جيدا ، وله فى تاريخنا دور كبير ، وكانوا يسمونه بحمام البطائق نسبة الى البطاقات التى كانوا يضعونها فى لفات صغيرة يعلقونها فى رجل الحمامة ثم يطلقونها لتعود من حيث أتت وعبارة : « بطق السلطان الى الامراء » كثيرة الورود فى كتب مؤرخينا ...

وأعضاء هذه الجمعية يتراسلون فيما بينهم بالحمام وهم يقيمون مسابقات بين الحمام ، فيقام السباق من كولونيا الى هامبورج مثلا ، فيطلق الحمام الزاجل من أماكن متقاربة فى البلد الى أماكن متقاربة فى البلد الاخر ، ثم يراقب الوصول ثم العودة .

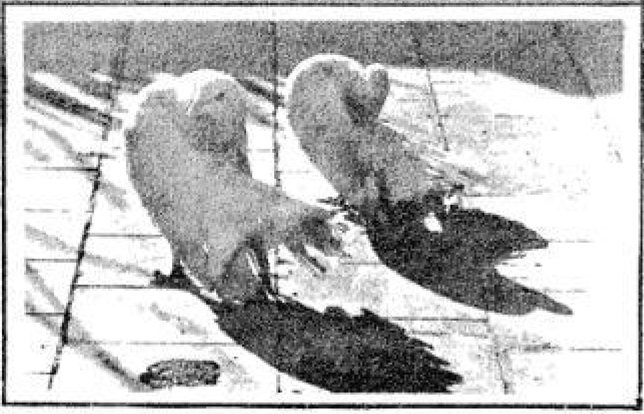
وكل واحد من المتسابقين له زميل فى البلد الآخر ، فاذا وصلت عنده الحمامة الزاجلة أخذ رسالتها ووضع لها رسالة أخرى متفق عليها ثم قام بتغذيتها واراحتها قليلا ثم يطلقها لتعود ، وهناك تنتظر لجان التحكيم ومعها الساعات الكرونومترية . وفى العادة يفقد ثلث الحمام فى كل رحلة . اما بسبب أعاصير الجو أو شدة العطش فى الصيف أو عدوان الصقور أو رصاص الصيادين ، ولكن الباقى يصل .

وهناك اعمال غش وتصرفات غير مشروعة فى هذا النوع من السباق ، فيعمد الخصوم الى تضليل الحمامة الزاجلة باعداد عش على هيئة عشها الاصلى فى موضع ما من الطريق . ويوضع فى هذا العش طعام يجتذب الطيور كالفستق المحلى بالعسل أو حبات القمح الكبيرة المحلاة بالسكر ، والحمامة فى طيرانها لا تقاوم هذا الاغراء اذا بصرت به ، فتحط لتاكل وقد تعود الى الطيران ، وفى هذه الحالة تصل متاخرة ، وقد لا تعود الى الطيران ، تانس الى وكرها الجديد وتنسى وكرها القديم . ومن الحمام ما يتعب فى الطريق فيحط على شجرة فى غابة ويستوحش هناك .

وهناك من يعمدون الى اطعام الحمامة شيئا يثير أعصابها فتطير باقصى سرعتها وفى هذه الحالة تستعمل مركبات الاستركنين وأنواع كيمائية أخرى ، مثل الانابوليكا أى الشيطانية او خلطة الساحرات ، فاذا أعطيت الحمامة شيئا من هذا انطلقت كالسهم لا تلوى على شىء فتقطع فى الساعة خمسة عشر كيلومترا او أكثر ، وفى العادة تموت الحمامة بعد رحلة أو اثنتين منهذه ، ولكن ذلك لايهم ، اذ ان المهم هو كسب السباق !...

ويبلغ عدد المتسابقين فى بلدة مثل كولونيا فى المانيا نحو خمسة آلاف يطيرون فى السنة حوالى ٣٠٠٠٠ حمامة يصل منها ١٠٠٠٠ الى الهدف والباقى يضيع فى الطريق كما قلنا .

وتطير هذه الحمامة مسافة لاتصدق ، فقد اطلق المتسابقون فى انجلترا سنة



صورة اخرى للحمام الهزاز يتجلى فيها شكله الجميل عندما يبلغ اعجابه بنفسه اقصاه !.



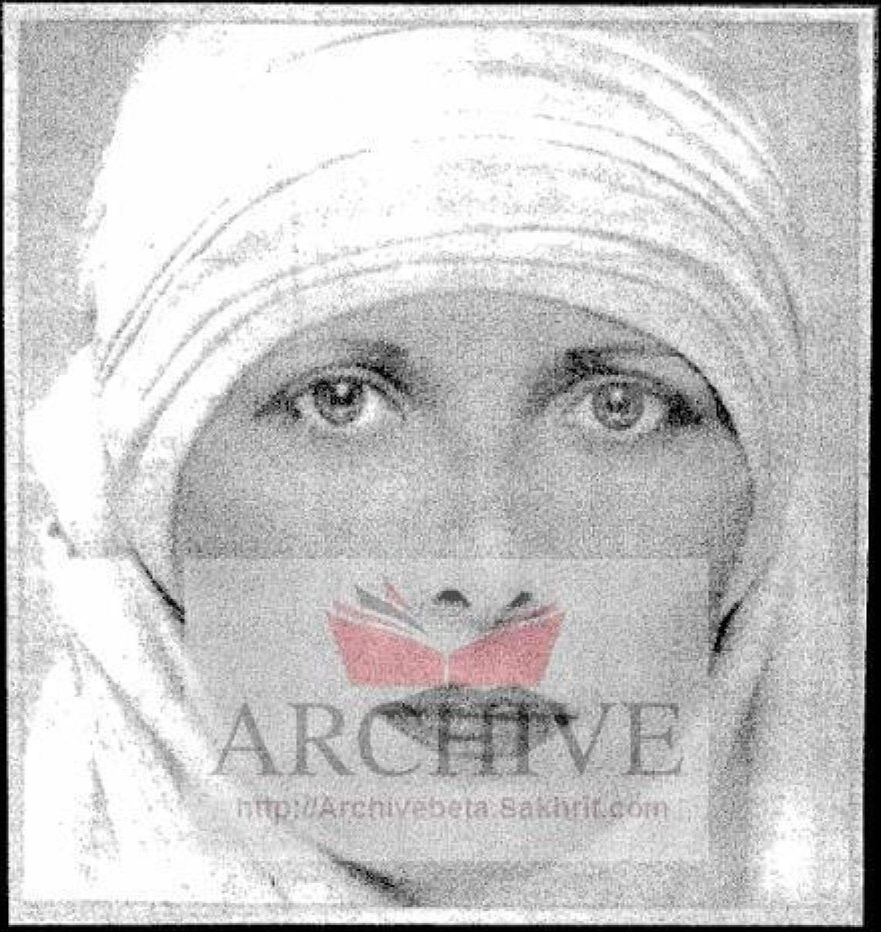
يموت فى العادة ثلث الحمام اما برصاص الصائدين او بالمرض ، او الاجهاد ، او العطش .. والحمامة فى هذه الحالات تقع ميتة دون تمهيد ..

١٩٧١ نحو ٦٠٠٠ حمامة زاجلة لكى تصل الى درسدن وهامبورج وفرانكفورت فى المانيا . وقد وصلت نحو الفى حمامة الى هدفها وعادت ، ولكن بعضها ضل الطريق ، فوجد فى استراليا . وفى ذات مرة عادت حمامة الى مكانها بعد عشر سنوات من رحلة طويلة لا يعلم الا الله كم كيلومترا قطعت فيها !

ومن الغريب ان الحمامة الزاجلة تطير بالليل والنهار اذا كانت الليالى مقمرة ، وفى بعض الاحيان تطير مستدلة بتكوينات النجوم ، وخاصة اذا عبرت البحر ، ولكن الغالب ان الحمامة تطير مغلقة العينين ، وهى تستدل على هدفها واتجاهها بغريزة ركبها الله فى طبعها . وقد حار العلماء فى دراسة هذه الغريزة ولكن النتائج العلمية قليلة .

حقا ان الحمام الزاجل عجيبة من عجائب الخلق . لقد طارت احدى هذه الحمامات أكثر من ١٠٠٠٠٠ كيلومتر فى رحلة واحدة ، وقد استدل العلماء من مسيرتها بما وجدوا فى مخالبها من الطين واوراق الشجر ، فدلهم ذلك على الطريق الذى سارت فيه ..

فهل يا ترى تنمو هذه الهواية عندنا ، فيكثر هواة الحمام الزاجل الذين يستغنون عن البريد ويتراسلون بالحمام كما يفعل الكثيرون فى اوروبا ؟ ستكون تلك هواية جميلة ولا شك ، وستريح رجال البريد من بعض العناء .



في مثل هذه الجميلة قالوا !

● عناق الاحلام ●

رآها على النبع بعضُ الرعاة
مصوّرةً في إطار الغصون:
فقالوا: أحلمٌ تراه العيون
أفي الغاب حوريةٌ؟ من تكون؟
ومسّ مزاهيرَهم روحها
فرفت بها خالداتُ اللحون
وباتت تعانقُ أحلامَهم
وقد كاد يرقص حتى السكون

● علي محمود طه ●

● امواج .. ●

حسناء لاحتْ في ثيابٍ فاخره
تيّاهةً بجمالها متفاخره!
أهدابها تصمي الفؤادَ سهامها..
بقوامها المشوق تخطرُ آسرهْ!
والشعرُ في لون النضار كأنه
ـ متمردا ـ أمواجُ بحرٍ دائره!
سبحانَ واهبِ الجمال تحكما
فتدوتِ تاهيةً به أو آمرهْ!

● مصطفى محمود مصطفى ●
القاهرة

● نجيمات الجبل ●

لنا اليوم .. لا موعدٌ لا أمَلْ ... لنا قبَلٌ في اذّكارِ القُبَلْ
ونحن، هوى الليلِ نحن .. ونحن ... ارتماءُ النجيْماتِ فوق الجبَلْ
فان فاحَ زهرٌ فنحن الشذا ... وان طاب شُرْبٌ فنحن الثمَلْ
أنا اشتقْتُ حتى لألقى محيّاكِ ... في نقْرة العود .. أو في الغزلْ
وألمحُ حُسْنكِ في شهقةٍ ... تلوّى المغنّي بها واعتدَلْ

● سعيد عقل ●

تأثير المتنبي على الشعر الفارسي

● د. انس داود ●

كثيرة هي الدراسات التي تحدثت عن تأثير الادب الفارسي في الادب العربي ، ورصدت جوانب الالتقاء بين هذين الادبين اللذين امتزجا في مرحلة هامة من مراحل تاريخ الحضارة الاسلامية ، ولكن مكتبتنا العربية مازالت في حاجة ماسة الى دراسات تربنا الوجه الآخر من القضية ، فقد كان الادب العربي بدوره عظيم التأثير في الآداب الفارسية، حتى كانت العربية ذات يوم هي اللغة الثقافية الأولى عند كبار ادباء الفرس وشعرائهم ومفكريهم، فقد كانت هي اولا وعاء الاسلام ، ولغة القرآن ، ومستودع الفكر الديني في اصوله وفروعه، وسيرة رسوله ، وتاريخ امته ، كما كانت ثانيا جسرا تعبر عليه كل الثقافات العالمية ، فقد كانت الشعوب الاسلامية في كل من قارتي اسيا وافريقيا تجد فيها المنبع الثر لتاريخ الانسان ، وحضارة العالم.

ومن كل ذلك كانت آدابنا العربية عظيمة التأثير على الآداب الفارسية التركية والاردية ، مما يتيح فرصة كبرى امام المتخصصين في الادب المقارن ليرصدوا العلاقات المتشابكة بين هذه الآداب المختلفة ، ومناحي التأثير والتأثر ...

ولقد بدأت بالفعل في اللغة العربية مثل هذه الدراسات، وان كانت لاتزال حبية الخطى غير عميقة المسار ، ومن هذه البدايات دراسات الاستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال عن الحياة العاطفية في الادبين العربي والفارسي ، ومن تأثير قصة مجنون ليلى في أدب المتصوفة الفرس، وبين ايدينا الآن كتاب «المتنبي وسعدي» للدكتور حسين علي محفوظ الاستاذ بجامعة بغداد ... وهو كتاب هام يرصد تأثير المتنبي شاعر العربية الاكبر ، في شاعر ايران الملهم ، وامام الادب الفارسي في كل العصور « سعدي الشيرازي » ...

منهل رجالات الادب ...

لقد ملأ صيت المتنبي الدنيا، وشغل الناس ، وعكف على ديوانه في العربية كل رجالات اللغة والأدب ، وشغف بفنه الشعراء والمتأدبون ، ولكن المتنبي كان عظيم التأثير ايضا على الادب الفارسي.

اما سعدي الشيرازي فشانه شان الكثيرين من كبار المثقفين الفرس في عهده ، حيث كانت « بغداد » في نظرهم مثابة العلم ، وموئل الأفذاذ من العلماء.

وقد شد سعدي الشيرازي رحاله وهو في ريعان شبابه الى بغداد، ونهل من علومها الدينية ، ومن فنونها الادبية ، وهناك تيم بشعر المتنبي ، وعكف على ديوانه ، ونهل من روائع عبقريته ...

وقد ولد السعدي بشيراز في اوائل العشر الاول من القرن السابع للهجرة ، في اسرة معظم رجالها من العلماء ، فسار على درب أسلافه ، وابتغى العلم والعلماء في كل محلة ودار ، فطاف انحاء المملكة الإسلامية بعدان استحصد عوده في دار العلم (بغداد) وزار الشام، وارض الروم ، وكثيرا من البقاع الاسلامية ، والتقى بالعلماء ، والصوفية وذوي الفضل من كبار الرجال، واصبح في اخريات حياته داعية لله على هدى وبصيرة من منهاج الاسلام ، وطرق الصوفية ...

وقد توفي عام ٦٩٤ هـ ودفن بشيراز .. وقد احاطت بهذا الشاعر الصوفي الكبير بعد موته قدسية عريضة ، وظل قبره في بلدة شيراز مزار الناس كافة، وما برحت تربته رباط الصوفية ، ومثابة العرفاء ، ولا تزال آدابه مرتاد ارباب الفكر ، ومنهل رجالات الادب..

وقد اطلعتنا هذه الدراسة التي نحن بصددها على جوانب من تاثير المتنبي في شعر هذا الشاعر الفارسي الكبير، وعلى جوانب اخرى من تاثير المتنبي في كثيرين من ادباء وشعراء ايران .

يقول المؤلف: «وليس بدعا ان يروي سعدي ديوان المتنبي ، ويعجب نفسه به ، فان للمتنبي في الفكر الفارسي مكانا مرموقا ، والعناية به ، ومدارسته سنة موصولة ، ونهج متبع ، فانك اذا استقصيت تصانيف المؤلفين ، وتتبعت رسائل الكتاب ، واستقريت دواوين الشعر ، رايت اثر افكار المتنبي ظاهرا في الآداب الفارسية ، واستبنت تاثرها الواضح الشديد بمعانيه ، فلا يكاد يخلو كتاب فارسي في التاريخ ، والادب والتصوف ، والسير ، والقصص ، والاخبار ، والحكمة . والترسل والشعر من تناقل ابياته ، والتمثل بشعره وحل نظمه ، والاقتداء به ، والاقتباس والانتزاع منه . »

اعتزاز اكابر الفضلاء ...

وتعرض المؤلف الى اسماء الادباء والشعراء الفارسيين الذين تاثروا بديوان المتنبي ، واقتبسوا من معانيه، وعكفوا على دراسته وشرحه، واشادوا بعبقرية المتنبي ، والفوا الكتب للذود عنه ، والموازنة بينه وبين غيره من الشعراء ، فاما الشيخ سعدي الشيرازي ، فكان ينظر في ديوان المتنبي معجبا به ويقول :

«كنت انظر في جزء من شعر المتنبي، سفينة بحر المعاني ، الحافل بالدر النفيس ، فاحتقرت متاعي ، وليس للسهى رونق عند الشمس »

وقال الرشيد الوطواط : « كل الشعراء الاسلاميين عيال على المتنبي في اقتباس المعارف ، والدقائق ، والمتانة، وديوانه مشهور بين العرب والعجم ، يعتز به اكابر الفضلاء ، ولا يقصرون في مطالعته ، وكان المتادبون في الممالك الاسلامية يروون شعره ، ويسمعونه

على الشيوخ ، وياخذونه بالإجازة والاسناد » .

وقد ذكر المؤلف بعد ذلك عدداً من اقتباسات الشعراء الفرس من شعر المتنبي ، فاقتبس ـ مثلا ـ الامير ابو الحسن علي بن الياس الاغاجي قول المتنبي :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني
والحرب والضرب والقرطاس والقلم

واقتبس ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٢ هـ قوله :

وانك منهم وكذلك ايضا

من الماء الفرائد واللآلي

وتسكن دارهم وكذاك سكنى
الحجارة والزمرد في الجبال

كما اقتبس ايضا قول المتنبي :

فان تفق الانام وانت منهم

فان المسك بعض دم الغزال

وكذلك قوله :

لو كان سكناي فيه منقصة

لم يكن الدر ساكن الصدف

على مدى التاريخ ...

وانتقل من المعاني الكثيرة التي اقتبسها الشعراء الآخرون من شعر المتنبي الى دراسة دقيقة عما استفاده شعر سعدي الشيرازي من القرآن والحديث النبوي ، ومن حكم العرب وامثالهم ، ومن كافة الشعراء العرب ذوي النباهة والفضل كأبي تمام والبستي وابي العتاهية وابن سكرة وغيرهم ، ثم افرد المؤلف بابا معللا لما اخذه سعدي الشيرازي من شعر المتنبي ذلك الشاعر الذي كان اثره عظيما على كل الآداب الاسلامية ومنها الادب العربي والادب الفارسي .

وبعد . فهذا الكتاب « المتنبي وسعدي » او أثر الثقافة العربية في سعدي الشيرازي الذي الفه الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ الاستاذ بجامعة بغداد ... مثال طيب وجاد للدراسات المتانية الجادة التي لاتضن بوقت ولا بجهد في سبيل البحث العلمي المخلص ، الذي يخدم الحقيقة ، ويكشف عن جانب من جوانب تأثير هذه الأمة في آداب وعقول الامم الاخرى ... والذي نامله ان يكون خطوة على طريق طويل ، يكشف عن الجهد الحضاري الكبير الذي قدمته الامة العربية للفكر الانساني على مدى التاريخ .

شاعر كورسيكي معاصر

چوزيف شياري

● ماهر شفيق فريد ●

كتبت آن ستفنسون مقالة من مجموعة قصائد الشاعر والناقد جوزيف شياري.

ان شياري الكورسيكي مولداً ظل يحتل مكانة بارزة في الادب الاسكتلندي منذ عام ١٩٤٤ عندما عين – وكان من مؤيدي الجنرال ديجول – قنصلا لفرنسا في مدينة ادنبرة ، وقد أسهم في تحقيق التفاهم بين فرنسا واسكتلندا بعد الحرب العالمية الثانية بانشائه « المعهد الفرنسي » في اسكتلندا واعانته على اقامة احتفالات ادنبره السنوية التي تقدم فيها المسرحيات .

كان شياري صديقا لـ ت . س . اليوت وادوين ميور ، وهيو ماكديارمد (٣) وديلان توماس (٣) ولكنه كان ، في شعره ، اقرب الى الموروث الاسكتلندي الكلتي منه الى الموروث الانجليزي . ولان لغته الاصلية هي لغة القارة الاوربية ، فان قصائده – وقد جمعت هنا لاول مرة – توحي بانها ترجمات من موروث اكثر رومانتيكية حتى من الموروث الاسكتلندي . ان لهجة قصائده فرنسية تذكرنا بشعر « نهاية القرن » الماضي ..

ان عدداً كبيراً من قصائد شياري موضوعها الحب ، وهي ايضا قصائد رجل احب اسكتلندا وعرف مناظرها الطبيعية وحدودها . بيد ان قصائده لا تنم عن توزع للولاءات ، فهو في سلام مع نفسه . ان قصائده تلوح مخلصة ولكنها تفتقر الى الاصالة .. وفي كثير من الاحيان تفسدها كثرة التنقيح .. وفي الوقت ذاته تحفل باصداء تعوزها الجدة من ديلان توماس ، واليوت (٣) وادوين ميور ، كما في قوله :

ليكن ثمة سلام بيننا في نهاية المطاف

الا انظر : ان الواحات ترقد نائية ضائعة

في ضباب الايام البعيدة

عندما كانت ترتفع في عروقنا القوة

التي تنمو بيضاء في اشجار التفاح

وهو صدى من احدى قصائد توماس (٣) أو قارن قول اليوت « ابريل اقسى الشهور » بقول شياري :

الربيع هو زمن الالام
الزمن الذي تبدي فيه الشمس المشرقة شقوقا في الحائط

على ان قصائد شياري تمتاز بضرب من البساطة وعدم فطنة الى ان صورها مشتقة وان تلك القصائد تعوزها الاصالة . اما في خير احوالها فهي تتدفق ببراءة تكاد تكون طفولية .. انظر الى قوله :

اني على حين من الزمان كنت ارى فيه من ازهار الخشخاش

اكثر مما ارى من ازهار البنفسج ، كان الطريق فيه يجري الى اعلى ،

وكنت في عجلة من امري لكي ابلغ قمة التل ، توّاقا الى اكتشاف عوالم جديدة اما الان فان الطريق يرتد الى اسفل ، على منحدر

لا يعرف ربوات ولا مدنا عجيبة

ولا سهولا مرتاحة ولا اكتشافات مغرية

سوى لغز النهاية واليوم الاخير .

ثمة شيء مؤثر في هذه القصائد التي كتبها رجل عجوز ولكنها تلوح كما لو كانت من كتابة شاب حساس . ولو كان شياري قد وثق ببراءته واختصر كثيرا من قصائده لتوصل الى جاذبية قصائد و . هـ . ديفيز . ولكن قصائده بوضعها الراهن تربك قارئها بانغماسها في الادب والميتافيزيقا والاشارات الادبية . لقصائده في رثاء اليوت على سبيل المثال لا تفعل شيئا الا ان توضح عمق الهوة بين موهبة الشاعر الذي يمدح وعبقرية الشاعر الممدوح :

ان في بدايتي نهايتي : ذلك يقيني
ان في نهايتي بدايتي : ذلك مشكوك فيه

ومع ذلك فمن المحقق ان قصائد شياري سوف تجتذب القراء الذين يجدون انفسهم ضائعين في متاهات الشعر المعاصر ويرغبون في العودة الى عصر كان فيه الشعر اكثر غنائية واقل افتقارا للفكر . ●

مرآة الفكر العربي

الغزالي والتصوف الإسلامي

● تأليف : الدكتور احمد الشرباصي ●

ان حصيد هذا الكتاب انما هو سجل حافل عظيم لامام جليل، من ائمة الدين الاسلامي او علم من اعلام الفكر الانساني ، وباحث روحي عميق الفكرة ، ثاقب النظر ، اصيل الحكمة ، فهو حجة الاسلام ابو حامد الغزالي ، العالم الذي احب الحقيقة وحرص على طلبها ، كما حرص على بثها بين الناس ، والفقيه الذي اخلص نفسه للعلم باحثا ومدرسا ومؤلفا وداعية ، وهو الحكيم الديني والفيلسوف الواقعي والمفكر الوضعي ، والمعلم الاجتماعي ، والمهذب الصوفي

ومن خلال رحلتنا في هذا الكتاب ، نلاحظ ان الدكتور احمد الشرباصي قد فتح ملفا لشخصية لها ظروف عصرية تستحق الدراسة والبحث والتامل ، لنرى كيف كان ائمة الفكر الاسلامي يواجهون صعابا واحداثا جساما تكون حائلا بينهم وبين الحق .

وهنا نجد ان الغزالي نشأ في عصر جمع بين الترف المادي والترف العلمي، مع ظهور كثير من الفرق والمذاهب الدينية والفلسفة الكلامية ، وبذلك رأى الغزالي الطعنات تلو الطعنات موجهة للاسلام والمسلمين ممثلة في المجادلات العقلية والخلافات الفقهية والمناظرات الكلامية ، والمحاورات الفلسفية ، والعصبيات المذهبية والنزعات الالحادية، والاهواء السياسية .. وبذلك كان همه ان يستخلص الاسلام من هذه الاضطرابات والتيارات .

وهذا ما جعل هناك شبه اجماع بين المسلمين على ان الغزالي هو مجدد القرن الخامس لان المجدد يبعث في الامة المؤمنة بهذا الدين روحا جديدة تستيقظ بها وتقوى من ضعفها وتعاود الالتزام والاحتكام الى دين الله .

وقد روى أبو داود والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » ..

وبذلك رأى الدكتور احمد الشرباصي ان الغزالي خير من يستحق ان يكون مجددا اسلاميا في القرن الخامس ، لانه توافر فيه كل ما يجعله اهلا لذلك .

ومن أهم أعماله في خدمة الدين مايلي :

- كافح المادية الطاغية التي حجبت روحانية الدين .
- أبطل المذاهب الفكرية الخارجة على الاسلام .
- جدد الحياة في الفقه الاسلامي .
- مزج العقائد بالعبادات ووثق بين الشريعة والتصوف .
- قاوم النزعات الالحادية التي نبتت في المجتمع الاسلامي الكبير
- جدد الدعوة الى العودة للاخذ من القرآن والحديث .

وهناك كثير من المستشرقين يشبهون الغزالي في تجديده الديني بمن عدوه اكبر مجدد في الدين المسيحي خلال القرون الوسطى ، وهو القديس « اوغسطين » ... ومنهم من يشبه الغزالي المجدد بالثائر الديني « مارتن لوثر » الالماني .

ولا يستطيع احد ان ينكر ان الغزالي استطاع ان يفرض اسمه على تاريخ الاصلاح الديني في المجتمع الاسلامي

واخيرا فان الكتاب الذي بين ايدينا يقدم الكثير عن حياة رائد من رواد الفكر الديني والاصلاح الاجتماعي كرس حياته من اجل خدمة الاسلام والمسلمين .

السرقات الأدبية

● تاليف : الدكتور بدوى طبانة ●

تعتبر « السرقات الادبية » من اهم الموضوعات التى شغلت نقاد الادب واعتنوا بهاحتى اصبحت من ابرز مشاغل النقد العربى فى قديمه وحديثه، واصبح من اهم الاهداف النقدية الوقوف على مدى اصالة الاعمال الادبية ، ومقدار ما حوت من الجدة والابتكار .

ونلاحظ ان النقاد يعمدون فى اكثر نقدهم الى الموازنة بين اديب وأديب ، باعتبار ان ما يهتمون به فى هذا المجال هو دراسة وفحص نواحى الاتفاق بين اديبين ، ثم الكشف عما ينفرد به احدهما عن غيره ، سواء كان الاتفاق او الاختلاف يرجع الى التفكير او الى التصوير والتعبير ... وقد بذلوا فى هذا السبيل كثيرا من الجهود ، يدل اكثرها على الذوق السليم ، كما يدل على تعمق فى فهم الادب وتحليله .

والواقع ان الاهتداء الى نواحى الاتباع او الابتداع ، يحتاج الى كثير من الفطنة والذكاء ، ولا يمكن ان يكون الحكم بذلك مبنيا على راى مبتور او نظرة سطحية ..

وعلى ذلك فان كتاب « السرقات الادبية » ذو اهمية فى هذا المجال ، خاصة وان مؤلفه استاذ متخصص ، وقد عالج موضوع السرقات بدقة الباحث العليم ببواطن الامور اذ ان الحكم بالسرقة او الابتكار يحتاج الى سعة فى المعرفة بالادب وفنونه ، واطلاع واسع على التراث الادبى فى سائر عصوره ومواطنه، وحفظ طائفة كبيرة للمشهورين والمغمورين من الادباء على السواء، حتى يسهل ربط المتقدم بالمتأخر ، ويعرف السابق من اللاحق ، ويمكن حينئذ الحكم بالتقليد أو التجديد .

ولذلك فان هذه الدراسة التى قدمها الدكتور بدوى طبانة فى كتابه « السرقات الادبية » هى فى حقيقة امرها دراسة تطبيقية عملية ، اكثر منها دراسة نظرية ، وهذا الاتجاه يجعل للبحث فى السرقات الادبية قيمة كبيرة، لان الدراسة العملية او التطبيقية فى مسائل النقد الادبى مجدية .. اذ انها دراسة موضوعية تنتج احكامها من الموازنات الدقيقة بين الاعمال الادبية ، واستخلاص ما حوت من فنون الجمال ، وما يكون فيها من الابتكار او الاحتذاء .

وكان من اثر تلك العناية بموضوع السرقات وضع حدود تستطيع ان تكون حكما عادلا فى ذلك حيث وصفوا نسبة الادب لغير قائله ، وافادة اديب من اديب - باوصاف كثيرة تحط من شان فاعله، وتحطم كيانه بين الادباء .

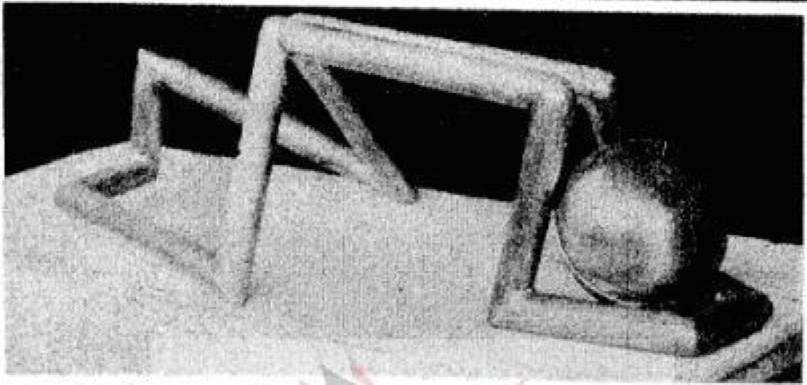
فهم يسمون هذا العمل سرقة ، وانتهابا واغارة الى كثير من تلك الالقاب او الاوصاف التى تشين صاحبها .

وبذلك فان كتاب السرقات الادبية دراسة ذات اهمية قصوى فى الحقل الادبى عموما ، واضافة جديدة للمكتبة العربية . . .

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

مطرقة الفنان

● د. عبدالفتاح الديدى ●



تكوينات فنية جميلة من النحاس المطروق، يقدمها الفنان محمد رزق في معرضه الفريد من نوعه ، والذى لا يتكرر في القاهرة الا نادرا وعلى المدى الطويل .

لم يعد عندنا من المثالين من يجرؤ على طرق هذا المجال الذى يكلف شططا من القدرة الشخصية ومن سعة الوقت ومن المال اللازم لمداومة استخدام النحاس كمادة للعمل الفنى .

ذهب السجينى ، واطال الله عمر الاستاذ الكبير صلاح عبد الكريم ، والفنان المبدع محمد رزق ..

وصلاح عبد الكريم يتعامل مع الحديد ويدخل فى زمرة المثالين العالميين فى مجال فنه ويلاحق بأعماله مدارس التركيبية الفرنسية التى ملأت ارجاء فرنسا منذ مطلع هذا القرن بالعديد من الأعمال الخالدة . وكابد صلاح عبد الكريم الكثير من المشقة للاستمرار في عمله ذاك ليتحف فنوننا بتماثيله الدقيقة العظيمة فى آن معا، وزملاؤه من الفنون التطبيقية يجاهدون من أجل الابقاء على هذا الفن

ومحمد رزق معروف بما نشرت الصحف والمجلات من صور اعماله النحاسية . ولكن حقيقة هذا الفن الشاق الذى يقدمه لنا مثالنا المشتغل بالنحاس وبالنحاس فقط ، لا يزال غير معروف فى تفصيلاته الجزئية . فمادة النحاس الصلبة قد اصبحت تمثل مادة يعشقها محمد رزق . وترك من اجل حبه لها وظيفته ، واعتزل فى ورشته او مركز ابداعه الفنى للتفرغ نهائيا لهذه الصناعة .. وهو نشيط منتج لا يفرغ من قطعة الا ليقدم على ابداع قطعة اخرى . ولا يكف عن دراسة الانماط القديمة





والمعاصرة لمسايرة الذوق الجديد كما لا يكف عن البحث والتنقيب فى الصوانى والمصابيح والنقود ليكشف أسرار التعامل مع النحاس .

والنحاس مادة طيعة فى يد محمد رزق ، تلين لأهوائه ونزواته ، وتتمايل مع ضرباته ودقاته . ويكفى ان تنظر الى لوحاته النحاسية لترى الى أى حد نجح فى السيطرة على كل خدشة بسيطة فى أطراف عمله . ومتعة التمثل فى النحاس المطروق الذى يقدمه محمد رزق نابعة من احساسك التلقائى بمدى ليونة النحاس بين يديه . فهو يتمكن من تنفيذ خطراته وكأنه يتعامل مع احدى العجائن .

ولوحاته النحاسية تكوينات استكملت كل شروط الحرية فى نقل الاحساس . فأنت لا تحس بأن النحاس يعوقه عن امتلاك ناصية الفن . تكوين حر متكامل لا تعوقه انطلاقة الاحساس بالشكل ولو كانت مادته نحاسية . ويستخفك الاحساس بلوحاته حتى تكاد تتصور انها احدى المواد الطرية التى شكلها الفنان بأنامله . وسبق ان رأينا خفة تناوله وجمال حركته التى لم ينقلها النحاس فى لوحته الجدارية الضخمة فى مدخل مبنى الاهرام .

وهو يلاحق العصر ويسابقه وينقل على لوحاته فنا مطروقا يمثل تكوينات ظاهرة الجمال . وفضلا عما يروعنا من النحاس فى حد ذاته فاننا نشعر بنفس الروعة مع خفة وانطلاق تكويناته . ويحرص على الا يقصر دون ما ينتجه الغربيون ، ويشعرك فى الوقت نفسه بالطاقة المصرية النابعة من كل تراثنا وبيئتنا . ويتحايل برغم ذلك من اجل ادهاشك ورسم الابتسامة على شفتيك وأنت تتأمل لوحاته امام قدرته على تحريك المواسير وايجاد نماذج عجيبة وطريفة من صور الانسان .

واعجب ما فى اعمال محمد رزق النحاسية المطروقة انك لا تلبث ان تشعر برغبة قوية فى ان ترتسم انت نفسك بين ارتفاعات وانخفاضات النحاس لتصبح وجها من وجوهه النحاسية القوية النابضة بالحركة والنماء .

ومن يحس بالجهاد الحقيقى وراء اعماله سيفطن ايضا بلاشك الى هذا الفن الاصيل الذى يتطلع الى منافسة الاعمال الابداعية الفريدة التى تتمثل فى ارفع مطارق هذا العصر وفى مطرقة الفنان محمد رزق .

روح عن نفسك

اولا ــ لغز شعرى :

رب حمراء أتتنـــــــا — وهى فى احســــن حله
حلوة الريق حـــــلال — دمهــا فى كل مـــله
نصـــــفها بدر ، وان — قسمتها ، صــارت اهلة

***

ثانيا ــ فى كل جملة من الجمـــل التالية أسم نهر من الانهــــــار المشهورة ، فهل فى وســــعك أن تكتشف هذه الانهار ، مع العلم بانه مختبىء بين حروف كلمات كل جملة :

ا ــ انا واثق ان صديقنا لن يلحظ ذلك .
ب ــ تروى اسطورة انه قد هاجم الكون غول كبير .
جـ ــ هؤلاء الاربعة هم ولـدان وبنتان .
د ــ كان الجالس ينصت للحديث باهتمام .
و ــ غضـــــب الحارس وقال لو أراك مرة اخرى لقتلتك !

***

ثالثا ــ فى كل مجموعة من الكلمات التالية كلمة دخيلة لا تتفق مع باقى كلمات المجموعة ، حاول ان تهتدى الى هذه الكلمات الدخيلة :

ا ــ المتنبى ــ ابو نواس ــ ابن سينا ــ جرير ــ امرؤ القيس .
ب ــ روميو وجوليت ، هنرى الثامن ، يوليوس قيصر ، البؤساء ، هملت ، تاجر البندقية .
جـ ــ البحر المتوسط ، البـــحر الاحمر ، البحر الاســـــود ، البحر الميت ؟

***

رابعا ــ اختبر معلوماتك فى الادب

١ ــ من القائل ؟

تعب كلها الحياة فما اعجب — الا من راغب فى ازدياد

٢ ــ من شاعر القطرين ؟

الإجابات

اولا : ــ البطيخة

ثانيا : ا ــ النيل ، ب ــ الكونغو جـ ــ الدانوب ، د ــ السين ، و اللوار

ثالثا : ــ ابن سينا لان المجموعة هى اسماء شعراء .

ب ــ البؤساء لان المجموعة أسماء تمثيليات لشيكسبير والبؤساء ليست من تاليفه .

جـ ــ البحر الميت لانه بحيرة

رابعا :

١ ــ ابو العلاء المعرى
٢ ــ خليل مطران
٣ ــ المنفلوطى ، ياقوت الحموى ، المسعودى ، شوقى .
٤ ــ كان العرب فى مســـــابقاتهم ينصبون قصبة فمن اقتلعها وهـــو يجرى على ظهر جواده كان هـــــو السابق .
٥ ــ توفيق الحكيم ، عــلى الجارم ، احمد شوقى ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، سهير القلماوى
٦ ــ الليل والنهـــــار ، القلب واللسان ، الغول والعنقاء والخـــل الوفى .

٣ ــ من هم مؤلفو الكتب الآتية : العبرات ، معجم البلدان ، مروج الذهب ، أميرة الاندلس ؟
٤ ــ ما اصل عبارة : « احرز قصب السبق » ؟ ..
٥ ــ اذكر الاسماء الكاملة للادباء الآتية القابهم : الحكيم ، الجارم ، شوقى ، المازنى ، القلماوى
٦ ــ ماهما الجديدان ؟ وما الاصغران ؟ وما هى المستحيلات الثلاثة ؟
٧ ــ كاتبة عربية مشهورة يتكون اسمها من حرفين ، فمن هى ؟
٨ ــ لحافظ ابراهيم كتاب الفه على اسلوب وطريقة المقامات فما هو ؟
٩ ــ من مؤلف أول موسوعة عربية ، وما اسمها ؟
١٠ ــ ما اسم الجاحظ كاملا ، ولماذا سمى بالجاحظ ؟

خامسا : اختبر ذكاءك :

١ ــ هل يمكنك وضع اصبعك فى كوب شاى دون ان يبتل ؟
٢ ــ ما الحيوان الذى يشبه الاسد وليس اسدا ؟
٣ ــ ما السبب الرئيسى للطلاق؟
٤ ــ سار سائق التاكسى على الرصيف ولكن شرطى المرور لم يحرر له مخالفة رغم رؤيته له ، فلماذا ؟
٥ ــ ما الشىء الذى لا يستعمل الا اذا رماه مستعمله ؟
٦ ــ ماالجريمة التى يصبح فيها القاتل مجنيا عليه ؟
٧ ــ هل تلد البغلة فى الشهر السابع ام فى التاسع ؟
٨ ــ متى تكون أنهار العالم وبحاره بدون ماء ؟
٩ ــ هل يمكن لشخص ان يتزوج شقيقة ارملته ؟
١٠ ــ اذا كان سلق بيضة يتم فى دقيقة ، فكم دقيقة تكفى لسلق خمس بيضات ؟

---

٧ ــ مى
٨ ــ ليالى سطيح
٩ ــ بطرس البستانى مؤلف دائرة المعارف .
١٠ ــ أبو عثمان عمرو بن بحر الكنانى البصرى وسمى بالجاحظ لجحوظ عينيه .

خامسا :

١ ــ ضع اصبعك فى شاى جاف
٢ ــ اللبؤة
٣ ــ الزواج
٤ ــ لانه كان يسير على قدميه !
٥ ــ شبكة الصياد .
٦ ــ الانتحار !
٧ ــ البغلة لا تلد
٨ ــ اذا كانت على الخرائط
٩ ــ طبعا لا يمكن لانه مات !
١٠ ــ نفس مدة سلق بيضة واحدة !

قصة

حجم إنسان بسيط

● نبيل عبد الحميد ●

ليتني اعرف كيف افكر !

يقولون ، اذهب الى شاطىء النهر واجلس بمفردك وانظر الى الماء ، وبعد ذلك ستجد الامر هينا ، سيعمل راسك في هدوء حتى تصل الى القرار ، وبعدها تتوقف عن التفكير وترتاح ..

يمكن أن اجلس هنا ، بعضهم يجلس غير بعيد عني وينظر الى الماء ويفكر . انا اخاف زحف المياه ليلا .. يقولون ، ليس التفكير بالعملية المجهدة ، فقط تحاول أن تنتبه وتركز وتستغرق.حسن.. انظر الى الماء وأركز واستغرق .

ولكن كيف ابدأ ؟

ماذا اقول بالضبط ؟

تقول أنا جئت الى هنا لكي أفكر واتخذ القرار.. أنا جئت الى هنا لكي أفكر واتخذ القرار . والآن هيا فكر جيدا ، حاول أن تبذل كل ما يمكنك من جهد لكي ...

يبدو انني لا أعرف . لا اريد .. لا شك أنه سيكون مرهقا للغاية أن اجلس هكذا بمفردي وانظر الى الماء وأفكر ... ولم كل هذا ؟

أتتراجع هذه المرة أيضا ؟ اتريد أن تعود . ؟

أعود .. ؟ لا .. اذن لاحاول ان افكر . وماذا اقول ؟ اقول يبدو انهم يريدون أن أترك لهم البيت واذهب ... ولماذا لا يريدونني معهم ؟ يقولون انني رجل بسيط ، ويقولون انني أعطل الاعمال واقطع الارزاق واخرب البيوت وافسد تربية الاولاد ، و .. أأنتل أنا كل هذا ؟ أنا أحبهم ، أحاول أن اجعلهم يضحكون ، لا أعرف لماذا يصرخون دائما ؟

***

القطة تغمض عينيها وتضم ارجلها وتنكس رأسها وترتعد ، تنقض عليها اليدان وتقذفانها الى أعلى ليرتطم ظهرها بالسقف وتتسع عيناها وتتخبل ارجلها وينقبض في جوفها مواء مبتور وهي ترتطم بالارض . وتتلفت وتحاول أن تزحف على بطنها ، وتنقض اليدان وتعيدانها الى نفس المكان ...

– ياسر ، انك تعذب القطة يابني ، لماذا لا تتركها ؟

– من أجل خاطري يا ياسر ، دع القطة يابني ، انظر ، لقد أحضرت لك لعبة طريفة ، خذها والعب انت والقطة .

ويضع القطة على الارض ويدوس على بطنها بقدمه وترتعد أرجلها ويحاول فمها المفتوح ان يصل الى أصابعه

وادفعه في رفق فيصرخ ويجري .

وتهرول رجلاها ناحيتي ، وتتعارك ملامح وجهها وهي تصيح :

– أهكذا تجعله يبكي دائما ؟ اتخاف على القطة ولا تخاف على ولدك ؟ أتريد أن يتمزق صدره من كثرة البكاء ؟ لماذا لا تتركه يلعب ؟ أنا أعرفك جيدا ، لا تكف الا اذا أشعلتها نارا ! ..

واحاول ان أقول شيئا . ويرتطم صياحها بالجدران ويتساقط حول راسي .

ويخطف ياسر اللعبة من يدي ويقذفها ناحية الاشياء فتقع جميعا على الارض . ويضرب الارض بقدميه ويتشنج صوت بكائه . وترتمي على المقعد وتتخبل يداها وهي تولول !

– أهكذا اتلفت أعصاب الولد ؟ اتلفت أعصابنا جميعا .. أين تذهب بعيدا عنك ؟

واذهب الى مكاني البعيد واجلس . وتهرول قدماها ناحيتي ، ويظل الولد يبكي ، وتظل هي تصرخ :

– أهكذا تشعلها وتأتي الى هنا لتجلس ؟ انت تريد أن تقتلني ، ولكنني لن أترك لك هذه الفرصة ابدا . قلت لك مرارا دع البيت وابحث لك عن مكان آخر !

وتتقلص ملامح وجهها وتتعقد . واذهب واقول لعادل :

– اهذا كلام ياعادل ؟ ياسر يريد أن يقتل القطة ، وماما تقول لي ابحث لك عن مكان آخر ..

ويقرأ عادل بصوت مرتفع . واقترب منه أكثر

– عادل الا تسمعني ؟ اقول لك ...

ويلقي عادل بالكتاب ويصيح :

– حسن ، لا داعي للعمل ، قل ما تريد عن القطة وعن ماما ... هيا تكلم

واهمس قريبا من أذنه واضع يدي على ظهره :

– انا أحكم ياعادل ولا اريد ان ابحث لي عن مكان آخر !

واسمع صوت القطة وهي ترتطم بالارض ، وصوت ياسر وهو يقهقه ... وصوت عادل وهو يتشنج :

– بل أنا الذي سأترك لكم البيت !

ويأتي صوتها من بعيد ويقتحم الغرفة ويقع على رأسي :

– الا تترك الولد يذاكر ؟

***

واقوم واذهب الى سهير وانظر اليها . تلقى بالاشياء وتضع يديها على وجهها وتبكي

– لقد ذهب ولم يعد . أهذا يرضيك ؟ ماذا قلت له ؟

واقترب واحاول أن أضع يدي على رأسها :

– لم أقل له شيئا ياسهير .. الا تصدقيني يابنيتي ؟

وتلوح بيديها وتصيح :

– اذن لماذا لم يعد ؟

وأحاول أن أجفف دموعها وأنا أبكي

– كنت اريده أن يأتي لأراك عروسة . قالت والدتك لا تتكلم معه كثيرا لكي لا تفسد الموضوع . انا أحبك كثيرا ياسهير ، وكنت اتمنى ان لا أفسد الموضوع ، ولذلك لم أتكلم معه على الاطلاق . دخلت وجلست هنا على الارض الى جوار الباب . انا أمارس تمارين اليوجا كما تعلمين . فكرت في



الامر جيدا ، فهــو رجل مثقف ولابد أنه يعلم ما اليوجا من فوائد . لاشك أنه يعلم ، بل لقد سره كثيرا أن يراني أمارس اليوجا ، والا ، فما الذى جعله يخرج ضاحكا ؟

وتصيح ســهير وهى تضرب الارض بقدميها :
ـ أهذا كلام ؟ تمارس اليوجا مع خطيبى ؟ لقد أفسدت كل شيء ، ويأتى صوتها من بعيد على رأسى : الا تريد أن تكف ؟ الا تتركنا وتذهب ؟

يبدو أننى أخطأت هذه المرة أيضا ، ألم يكن من الافضل أن أتكلم معه قليلا ؟

حسنا ، فى المرة القادمة أفعل ذلك ، أجلس الى جواره وأتكلم معه بدون أن أفسد الموضوع .

أيعنى ذلك انك تريد ان تعود ؟

ولم لا ، انه بيتى ولن يمنعنى أحد من الدخول .. أشترى لهم أولا بعض الاشياء ، انهم يحبون ان أعود اليهم بالاشياء وأوزعها عليهم ...

ولكنك جئت الى هنا لكى تفكر وتتخذ القرار .

والآن لم اعد أريد ... غدا آتى وافكر

أتؤجل الامر الان كعادتك ؟

لا بل أدبر شئونى .. أنا أحب دائما ان أدبر شئونى بنفسى .

***

يدفع الباب بعصاه ويدخل ، يقف فى وسط الصالة ويتلفت ، عيناه بارزتان وحاجباه منهدلان . ينظر الى كل الاشياء ويزومِ ، يضع أصبعه على زجاج المنضدة ثم يقربه من عينيه وينظر اليه ويقربه من أنفه ويتشممه . ويلوح بعصاه ويصيح بصوت خشن . وتهرول قدماها من خلف الستارة وتقترب والماء يتقاطر من يديها وتنظر الى الاشياء بعينين لا ذهنيتين ...

وتهتز مقدمة العصا ويعلو الصــوت الخشن ، الكراسى والمنضــدة والزجاج والتراب والرائحة والفارش والسجادة والاحذية والطين والكسالى والبهائم . ويستطيل وجه أمى وتتقوس عيناها وتلتوى شفتها داخل فمها .. يبدو ظهره طــويلا وعريضا وهو يصفق الباب من خلفــه . ويقترب الوجه المستطيل ودموعه تجرى فى طريقها المعتاد ... أقول ، أمى ... ويتشرب الوجه المستطيل دموعه وتتصعب ابتسامة متعبــة ، لا شيء ياولدى ... وترتفع اليد الى كتفى ، كبرت يامنصور وصرت رجلا . وانظر ناحية الباب المغلق ، ولكنى اريد ان أفعل شيئا ياأمى . وتأخذنى خلف الستارة وتهمس بصوت مبحوح ، أبوك رجل طيب ياولدى انا اعرفه جيدا ولذلك لا اغضب منه ، يفعل ذلك لكى يحمى البيت ويصونه ، انه يعرف كل شيء ويدبر كل شيء ، وانا كما تعلم لا اعرف شيئا سوى انه يحبنا ويحب بيته ...

وأشعر بجلد وجهها يرتخى محصورا بين يدى ، ولكنك يا أمى ... وتبتعد بصوتها المضطرب ، هيا قبل أن يبرد الطعام ...

وأظل واقفا منكس الرأس .

وتتصلب ملامحه وهو يضغط على يدى ، لتفهم جيدا ما أقول ، كن رجلا فى بيتك . لقد اخترتهالك بنفسى وعليك أن تروضها جيدا ، اياك أن تتكاسل أو تتهاون حتى فى أبسط الامور فينهار البيت فوق رأسيكما .

ويكرر وهو يزيد الضــغط على يدى ، أفهمت ما أقول ؟ وتتمدد قامته ويتسع فمه وهو يتثاءب وتدق قدماه الكبيرتان الارض وهو يمشى . ويتنادى بصوت خشن فتهرول قدماها . ويلقيها مبتورة من خلف ظهره قبل ان يدخل حجرة النوم . « هيا » . وينخفض رأسها وتتخـــاذل قدماها وهى تدخل

وتغلق الباب .. وانظر الى مقعده واقول ، ولكنى لا اريد هذه ... واقف وأدور حول المقعد واقول ، ستكون امرأتى أنا ، ومن المفروض ان اختــارها بنفسى ...

وأتطلع الى صـــــورتها ، لا بأس بها على أى الاحوال ، تشبه أمى الى حد كبير ، لا داعى للقلق فهى تبدو طيبة ومطيعة ولطيفــة ... وحتى اذا أصبح عكس ذلك فيما بعد فلست مسئولا عما قد يحدث ، أليس هو الذى اختارها ؟ ..

ولماذا حدث ؟ انه من الطبيعى جدا أن تحدث مثل هذه الامور فى كل بيت ؟ ..

اذن فانت تعتبر طردك من البيت أمرا طبيعيا .. طردى أنا من البيت ، أهذا كلام ؟ انه شجار بسيط ، مجرد اختلاف فى وجهات النظر أدى الى انهم قالوا ما لا يقصدون .. وهل يحاسب الانسان على ما يقوله وهو فى ثورة غضب ؟ انهم يحبوننى .. يطردوننى من البيت ؟ أهذا معقــول ؟ وأين اذهب ان كان هذا ؟ لا ... هم لا يعنون ماقالوا ، انهم طيبون ، أنقياء القلوب ولا يصح أبدا أن أسيء الظن بهم .. لابد أنهم يلومون أنفسهم الآن على ما قالوا ... ولابد انهم ينتظرون عودتى ليعتذروا لى عما حدث . لاشــك أن ذلك يؤلمهم ويجعلهم يبــكون ، ومن اجل انا ... انا دائما اظلمهم وأسبب لهم الالم . أليس من الافضل أن أبادر بالعودة اليهم ؟ اطلب منهم المغفرة وأجلسهم حولى وأتكلم معهم . أنا أحب أن أتكلم معهم وأحكى لهم كل ما يحدث . وعلى الرغم من أنهم يتركونى ويقومون الا أننى اذهب لاســـمعهم بقية حديثى . انهم يتركوننى لكى يقوموا ببعض الاعمال ، هم دائمــا مشغولون بالاعمال ، ولكنى اعــرف انهم يريدون أيضا الاستماع الى حديثى . كل المواضـــيع التى أحكيها لهم تكون بالغة الاهمية .

أعود الآن وأحكى لهم كل الاشياء ... هــل اتحرك الآن ؟

رأسى تؤلمنى ، يبدو انى فكرت اكثر مما ينبغى .. اريد أن أضع قدمى فى الماء الدافىء . واريد ايضا أن اجلس فى مقعدى المريح .. لأسرع الآن بالعودة ...



الحقيقة

● محمد برهام ●

سألتها ما تفعلـــين — اجفلت من الســؤال
قلت اهدئى وجـاوبى — ان الســؤال لايزال

***

قالت انا اجلو المــرا — يا ، كى تكون صافية
وانفض التراب عنها ، — والغيــــوم البادية

***

فحينما ترنو لهـــا — ترى بها حقيقتــك
لا شىء فوق وجههـــا — يحجب عنك صــورتك

***

فلاحفلت لونى لـــا — اوضحت قد امتقــع
وكنت فوق صدرهـــا — او فى جوارها الــع

***

تمتمت يا بريشـــة — عند المرايا مســالة
وفى يديهـــا حلهـــا — ولا تحـــل المشكلة

***

بكذبة لا غيرهــــا — تبـدى غـداة انظــر
تعيد لى ماء الصبــا — أرى محيــا يقطــر

***

احيا مع الدنيـــا على — صداقة ، وفى امــل
ولا امــــل عشرة — لحين ينتهى الاجـــل

***

قالت انا من رايهـــا — ارفض ان تموهـــا
اجد عنهـــا باحثـــا — اذ اختفت لتــــوها

***

ولم يجد ســعيى الى — طمس حقيقة ، صــدى
بين الجهاد والـــورى — اكذوبتى ضاعت سدى !

تفتح ورد الحياة

● محمود علي عبدالعال ●

... وياكم سهرت الليالى الطوال
وجاء الربيع ولم تقدمى !
تفتح ورد الحياة ومال
ورق النسيم بفرع الشجر ...
وداعب غصن شفاه الزهر
يقبل فيه رحيق القمر !
وانت الحبيبة لم تقدمى !

وجاء الربيع بوجه طليق
سقته الطبيعة صفو الرحيق
يرش الضياء بنثير الطريق
فيملأ كل العيون البريق
... وابحث ، ابحث بين البشر
فحظى بين الجموع السفر !
اجوب الحياة ولا استقر !
وانت الحبيبة لم تقدمى !

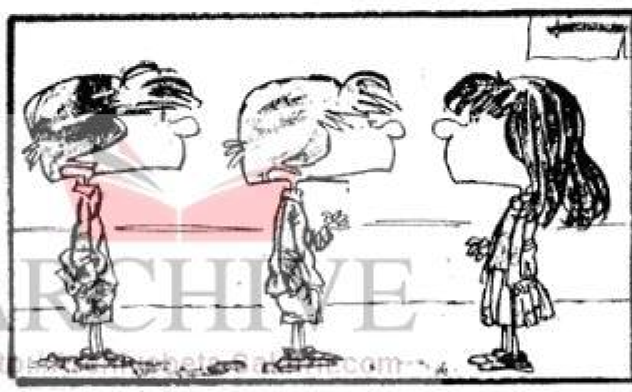
تمنيت يوما اذوق الحياه
وبسم ثغر ينثير الدجى ...
يزيل الربيع خطوط الجباه
يداعب همسا خوته الشفاه !
فظل حبيس قيود الأمان
وياكم سهرت الليالى الطوال
جاء الربيع سخى الظلال
يناديك : يامنيتى ... اقدمى

كاريكاتير ..

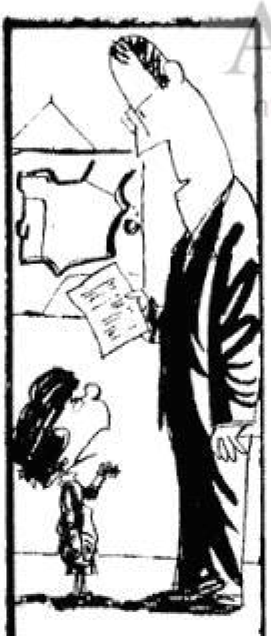
جيل .. جديد جداً !



الولد لوالده : هــو انت كل ما توبخنى تستعمل نفس الالفاظ ونفس الطريقة ؟ ! طب على الاقل نوع شويه فى الاسلوب وقول حاجة جديدة !



الولد للبنت : خلصينا بقى وقولى رح تختارى مين فينا ... على الاقل اللى مش ح تختاريه يستريح ويحمد ربنا !



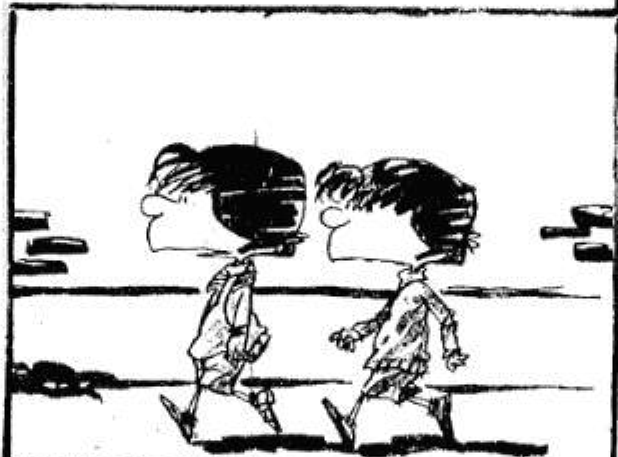
الولد للمدرس : انا معـــاك ان الواجب معمول وحش جدا النهارده ... لكن اعمل ايه ، اصل بابا كان راجع من الشــــغل امبارح تعبان قوى !

الولد لوالده : المدرسة بتقول فى الجواب ده انهم عاوزينى امتحن تانى فى شهر سبتمبر ! .. لازم اجاباتى عجبتهم قوى ، وعلشان كده عاوزين يشوفونى تانى ! !





الولد لصاحبه : الكبار دول فى الحقيقة مشكلة ! .. طيب احنا صغيرين وح نكبر ... لكن هم بعدما كبروا وخلاص، حيعملوا ايه ؟



الولد لوالده : سيب الحصالة بتاعتى فى حالها وما تتعبش نفسك ! .. ماما عملت اللازم قبلك واخدت كل اللى فيها !

في أعمال الكتاب والشعراء

● د. احمد متولي مسلم ●

● عوامل كثيرة ، ودوافع غير محددة ، تدفع الكتاب والشعراء الى الخلق والابداع .

ويصف المؤرخ ((هاوزر)) الفن بانه دواء لطبيعة الحياة الناقصة الشوهاء ..

وقد يعاني الشخص من تشوه او نقص في أحد أعضاء جسمه ، فيستكمله بالفن . فالفنان يهرب الى الجمال ، بعيدا عن قبح الحقيقة وبؤسها .

وقد يصدم الطفل بموت احد والديه او كليهما ، فتطارد فكرة الموت اعماله الأدبية ، بما تشمل من حزن ورثاء وتشاؤم وشعور بالذنب ويظل الشخص متلهفا الى استعادة الراحل العزيز وينفث لهفته من خلال اعماله الفنية ..

يقول ((هـ . ج . ويلز)) في مذكراته انه مدين في اتجاهه الأدبي لساقين مكسورتين ،حولتا مجرى حياته . الأولى ساقه التي كسرت وهو في الثامنة من عمره . والثانية : ساق والده التي ترتب على كسرها أن فقد والده عمله . وساءت أحوال الأسرة ، وانغمس «ويلز» في عالم الكتب والأدب . يضاف الى ذلك ما عاناه ((ويلز)) من السل الرئوي ، ومرض الكلى،فلا عجب أن يبدو ((ويلز)) في أعماله كمهندس مقتدر يحاول أن يعيد بناء الكون .

وتبدو العلاقة واضحة بين النقص الجسماني والاتجاه الى الفكر الخلاق ، في حالة ((سومرست موم)) ، كان يكره قوامه القصير ، وكان يرفع كتفيه ليبدو أطول من حقيقته .. وكان يعاني طول عمره من لجلجة كانت تشتد عليه حتى يضيق بها أشد الضيق . وفي اعظم رواياته ((من عبودية الانسان)) نجد أن البطل يعاني من قدم مكورة ((تشوه خلقي)) وقد يكون ذلك اسقاطا لشعور الكاتب بنقصه الجسماني .

وقد ماتت أم ((سومرست موم)) وهو في الثامنة من عمره ، ولحق بها والده بعد سنتين ، وفي أواخر حياته كان يتناول طعامه مع ابن أخيه ، وكان يعاني من المرض والألم ، وفجأة تمتم في حسرة :

ـ لا يمكنني ان أعيش من بعدها أبدا . لن استطيع تحمل موتها !

واتضح لابن أخيه أنه كان يعني موت أمه ، التي رحلت عن الدنيا منذ أكثر من ثمانين عاما !

***

أما ((ادجار الن بو)) فقد هجر والده أسرته عندما كان في الثانية من عمره ، وماتت أمه في شبابها بالسل الرئوي . قبل أن يبلغ الثالثة . وقد قضت أمه بضعة شهور في أواخر حياتها في صحبة طفليها ، ادجار وأخته التي تكبره بسنة ، في حجرة فقيرة في ريتشموند بولاية فيرجينيا . وشهد ادجار صراع

امه مع الموت ، ومكث بجوار جثتها فى الغرفة الصغيرة المظلمة ، ليلة بأكملها ، حتى دخل الجيران فى الصباح وأبعدوه عنها • ويبدو تركيز ادجار على هذا المشهد الدرامى ، وعلى صورة الأم التى تموت ، خلال كثير من قصائده ، فنرى الحزن يغمر المحب اذ تموت حبيبته ويتكرر موضوع الجميلة الراحلة ، واختلاج الجثث فى «الدفن قبل الأوان» والرعب فى قصة « قناع الموت الاحمر » (عانت والدته من نزيف الرئة عدة مرات فى مرضها) • وتعبر الشطرة الاخيرة من قصيدة « أنا بيل لى » أبلغ تعبير عن فجيعة ادجار :

وهكذا قضيت ليلا كاملا بصحبة العزيزة
عزيزتى •• حبيبتى •• والدتى •• حياتى
فى جثث هناك قرب البحر
فى قبرها على المحيط الهادر

تتكرر فى قصصه صورة المحبوبة ، النصف حية والنصف ميتة ، وبسبب تواتر هذه الصورة فى أعماله ، يتهمه بعض النقاد بنوع وحشى من الشذوذ ، وحنين الى المرأة الجميلة الميتة ! وقد عمم « ادجار » هذا السلوك على كل نواحى حياته ، كالزواج والعلاقات الشخصية كأنه كان يلف على عنقه حبل الصدق الى نهايته ، ولو دمر بذلك حياته ••

❋❋❋

ومثل صدمة الموت يقع انفصال الطفل عن امه صدمة كبيرة لنفسه • تظهر آثارها فى أعماله الأدبية فيما بعد • فقد ولد « روديارد كبلنج » فى الهند ، وفى سن السادسة أودع مع اخته لدى أسرة بديلة فى انجلترا ، لمدة خمس سنوات • وقد سمى بيته هذا فيما بعد بالبيت الموحش • وفى السادسة عشرة من عمره التام شمل اسرته ، وبدأ « كبلنج » فى الكتابة والاسفار • كان ولعه بالرحلات نوعا من العشق • وفى الطب النفسى نجد أن التجوال من أعراض الاكتئاب الشديد ، كأنما يرتحل الانسان من مكان الى مكان ، ومن موقف الى موقف ، بحثا عن حضن أمه الذى حرم منه • وقد عبر « كبلنج » عن ولعه الغريب بالتجوال فى قصيدته « جواب الآفاق » :

هنالك شئ مختبئ • •
اذهب وابحث عنه •
اذهب فتش عنه وراء المرتفعات ••
شئ ضاع وراء جبال • ضاع ،
ينتظرك أنت فيها اذهب !

❋❋❋

ومحاولة التعويض عن النقص الجسمانى ، من خلال العمل الادبى ، تتجل فى « نيكولاى جوجول » الكاتب الروسى العبقرى • كان جوجول قزما ضخم الأنف ، وكان يجد لذة فى تحريك أنفه حتى يلامس شفته السفل ونلاحظ فى قصص جوجول كثرة تكرار عبارات العطس والشم ، والتمخط والشخير وفى احدى قصصه (قصة الأنف) اختفى انف احد البيروقراطيين المتغطرسين بطريقة غامضة ؛انسحب من وجهه وتجول فى الشوارع • ويصيح صاحبه :

ـ بدون أنف ، يفقد الانسان صفته كمواطن !

وفى قصة اخرى له يقول ان سكان القمر ليسوا الا مجموعة من الأنوف !

لقد استطاع جوجول ـ من خلال قصصه الكوميدية ان يكشف عن شقائه بانفه الضخم ،ونقصه الجسمى ،مباشرة وبصراحة غير مألوفة •

هذه بعض الدوافع النفسية اللاشعورية وراء عملية الخلق الفنى ، نسوقها على سبيل المثال لا الحصر • وهى ـ على قلتها ـ تلقى ضوءا كشافا على الضغوط الداخلية التى تميز الفنانين والمبدعين ، وتمور فى نفوسهم كأبخرة محبوسة ، وتكشف عن نفسها فى حياتهم الخاصة . وفى أعمالهم الفنية •• ●●

قصة وجدت حلاً

● احمد على رجب ●

جلست خالتى بجوارى ، كانت تحمل فوق ساقيها حفيدتها الصغيرة . وكانت الطفلة قد كفت عن الصراخ والبكاء اللذين انخرطت فيهما قبل أن تقلنا السيارة . وكأنما ادركت الصغيرة أننا جادون — هذه المرة — فى الحاقها بأمها ؟! فهدأت وراحت ترقب المناظر المارقة من خلال زجاج السيارة ..

ومنذ حوالى ساعة كنت جالسا امام مكتبى اسطر رسالة أرد فيها على شقيقى الاكبر ، كان يطلب قرضا لشراء الكتب الجامعيـــة لاولاده . وفى نفس الوقت تقريبا كان بيت ابن خالتى — مأمور الضرائب — يشتعل شجارا على اثره جمعت هدى — زوجته — حليهـا وملابسها وأودعتها حقيبة كبيــرة ، ونادت البواب ليحملها ، ثم انطلقت فى اعقابه تاركة ابنتها الصغيرة تشيعها بالصراخ والبكاء . ولما لم يفلح ابن خالتى فى تهدئة الطفلة فقد حملها الى امه التى راحت تسأله :

— هل تشاجرتما ثانية ؟

— لم أعد احتملها يا امى .. الا مصر على الطلاق هذه المرة ؟!

— اهذا يابنى ؟

— الذى يتزوج من هدى لا يعرف الهدوء!

واخذت الجدة تهدىء من روع الصغيرة ، فتارة تلهيها بالمسبحة ؟! واخرى بأساورها الذهبية ، ومرة ثالثة تجيئها بقطعة من الشيكولاتة ؟ حتى داعب النوم جفنى الصغيرة ... وعادت خالتى تسائل الجوار :

— ما سبب الشجار هذه المرة ؟

— تطرفها يا امى ، شموخها وتعاليهـا على ؟ تتحدث الى من اطراف انفها وكأنهـا بنت اللورد شعلان !

— وانت ... ماذا قلت لها ؟

— لم ادع احدا فى عائلتها الا وكلت لــه السباب والشتم .

— باى وجه اقابل الآن عائلة هدى ؟

***

وجاءت خالتى الى بيتى ، وكنت بصدد تحديد المبلغ الـذى ارسله الى شقيقى .. يظن اننى قد جئت من الخـارج حاملا معى بعض عائد البترول هناك ... وكانت الصغيرة قد استيقظت ، ولما لم تجد امها فقد عادت الى الصراخ والبكاء . ولـم تفلح المسبحة او الأساور او الشيكولاته فى اسكاتها .

وسألتنى خالتى عما اذا كنت أعرف بيت المعلم شعلان . قلت :

— اليس كما هو ؟ أعنى فى المساكن المجاورة لسوق المدينة القديم ..؟

— لا ، انه فى العمارة الجديدة التى اقامها .

— تتحدثين عن المعلم شعلان فضل الله.. اليس كذلك ؟

— وهل أتحدث عن غيره ؟

كنت لا اعرف له عمــلا ســوى بيـــع الصحف والمجلات ، فهل كان يبيعها فى السوق السوداء ؟

— اقصد ان اولاده هم الذين اقامــوا العمارة .

***

والمعلم شعلان هذا هو جد الصغيرة لامهـا .. وهو ايضا ابن خال والدتى . واذكــر انه منذ عشرين عاما كانت اقصى امنية لديه ان يحصل على مسكن شعبى من غرفتين . ومن اجل هذا ظل يطارد المحافظ . واوعز اليــه — وقتئذ — ابن الحلال او ابن الحــرام ؟ بان يستحلف السيد المحافظ بحياة ابنته الوحيـدة كى يحقق له امنيته . وضحك المحـافظ ، وضحك من كانوا فى رفقته . فالكل يعلم ان المحافظ قد رزق بثلاث بنات وولد واحد . وتذكرت ان المعلم شعلان قد وهبه الله ذرية عكس الذرية التى اعطاه الله بها على المحافظ

وفى تلك الايام ، كان ينتشر بين الطبقات الكادحة : الاقبال على التعليم . فما كادت الحكومة تعلن المجانية حتى انطلقت جحافل الفقراء تدفع بأولادها دفعا الى المدارس .وكل اسرة تمنى نفسها بطبيب ومهندس وصيدلى .. و .. و .. وكم يفكر واحد فى مدى استعداد التلميذ ، أو حتى فى التعرف على ميوله كيلا يصبح الحرث فى الماء .

أما المعلم شعلان فقد وقاه الله شر ذلــك المرض . فما كاد ابنه الاكبر ينهى دراسته الابتدائية حتى خيره بين الاستمرار فى التعليم وبين اختيار احدى الحرف . واختــار الولد العمل فى ميكانيكا السيارات . يومها صعقت ام الولد ، ولطمت خديها وشــقت ثوبها ، وصاحت فى وجه زوجها مستعرضـة أسماء كل من تعرفهم ، ففلان الشحاذ يعلم ابنه ليكون طبيبا ، وفلانة الخادمة التى استهلكــت اصابعها فى غسل الملابس .. تدفع بابنهـــا ليصبح مهندسا .. وفلانة .. وفلان .. . اما نحن .. ؟!

فقاطعها المعلم بحزم :

— نحن نربى ولدنا ونعده ليكون ؟ اسطى ميكانيكا ؟

— لكن الولد لا يعرف مصلحته فى هــذه الســـن . !



ـ انه يعرفها اكثر منك ومني .. !

وراحت امرأة المعلم تسترحم زوجها ، وتسوق عليه « طوب الارض » كي تجعله يعدل عن رأيه لكنه ازداد اصرارا ، ثم عاد الامل يراود المرأة في أن تحقق ما تصبو اليه على يد الولد الاوسط ، لكنه أصر على اللحاق بشقيقه ، وتلاه الولد الاصغر . أما هدى فقد استمرت في سلك التعليم حتى نهاية المرحلة الاعدادية ، ثم اختارت أن تتعلم الحياكة .

●●●

كانت السيارة قد توقفت بنا امام احدى العمارات الشاهقة . واستقبلتني خالتي من سرحتي الطويلة ، واعتذرت عن عدم مرافقتها اياي بخجلها من سلوك ابنها . ورأيتني احمل الطفلة وعيناي معلقتان باللافتة التي احتلت اعلى الطابق الاول كله من العمارة . كانت تعلن في شموخ ـ بالاضواء الملونة ـ عن ذكي شعلان واخوته اصحاب الورشة الهندسية الكبرى لاصلاح السيارات .

ما شاء الله . نجح الاولاد .

قلت ذلك وانا انقل بصري الى عشرات السيارات التي احتلت جانبي الطريق ، بلا شك هي في انتظار دورها للتصليح . ثم اتجهت الى المدخل .

حملني المصعد الى الطابق الثامن ، وضغطت جرس الباب ، فانسابت الموسيقى داخل الشقة . وما ان وقع نظر الطفلة على جدتها لامها حتى القت بنفسها نحوها ، وأخذت السيدة تحدق في وجهي مدهوشة ثم اضاءت الابتسامة وجهها وصاحت في مرح :

ـ اهلا وسهلا . اهلا بريح الاحبة . ظننا اننا سنموت دون ان نراك .

وهممت بالجلوس على اريكة في الصالة ذات الرياش الفاخر ، لكن قريبتي اعترضت واقسمت على أن اشرف الصالون ، واضاءت الثريا اللؤلؤية فبعثت الشمس من مرقدها .

« يا الهي .. مالك هذا الاثاث والتحف والطنافس ..! لن هذا الذوق الرفيع .؟ »

وتراءى الى مسامعي عبارات ترحيب المعلم شعلان اتية عبر الصالة . ثم جمعنا عناق حار . وراح الرجل يبكي تأثرا . ثم اخذ يستعيد ذكرى الايام الخالية ، ايام كنت طالبا امر عليه وهو جالس امام كشكه الخشبي اشاركه مقعده ، واخذ في التهام وجبة ثقافية عبر الجرائد والمجلات . وكنت لا اجد ادنى حرج في ان اعرف زملائي الطلبة بالمعلم شعلان واقول لهم انه خالي . وربما كان الدافع الى هذا هو بشاشة الرجل وترحيبه الحار الدائم بي ، يضاف الى ذلك حرمان أبي من الاشتاء وكان شقيقي الاكبر ينهاني عن سوء استعمال لقب الخال واطلاقه على من يستحق ومن لا يستحق ، لكني كنت منساقا وراء حب الرجل ، ولم استطع ابدا أن اقتلع تلك العادة من نفسي .

●●●

قص المعلم شعلان على قصة زواج ابن خالتي من كريمته هدى ، وكيف ان اشقاءها اثثوا لهما بيتا لا يقل فخامة عن بيوت الامراء . من التليفزيون الملون الى السخان الكهربائي الى البط المستوردة الى .. الى .. بل وخصصوا لهما شقة في العمارة ، لكن ابن خالتي لم يشأ ان ينتقل اليها . يضاف الى هذا المصروف الشهري لهدى وهو مبلغ كبير ناهيك عن الملابس الخاصة بها وبزوجها .

وتختلط العبرات بحديث المعلم شعلان :

« الم يكون رد الجميل أن يتخذ ابن خالتك من عملي القديم مثار سخرية !! دائما يذكر هدى بأن اباها ـ مهما علا قدره ـ فلن يخرج من كونه بائع صحف ! حقا انني بائع صحف ، وما زال كشكي الخشبي قائما في موقعه ، واسمي يعلو جبهته ، لكن ان يتخذ ابن خالتك من هذا سببا للتهكم علي والتقليل من شأن هدى ؟ فهذا ما لا يرضى به انسان ذو ضمير . خذ مثلا ، انت .. ايام كانت الدنيا توليني ظهرها ، كنت تثلج صدري بندائك لي : « يا خال » ؟ وكان الذوق هذا يحلق بي في فراديس السعادة . واسمح لي ـ يا ابن اختي ـ ان اقول ان هذا هو الادب الذي لم تستطع المدرسة او الاسرة ان تلقنه زوج هدى . انت الذي تستحق هدى ، وتستحق النعمة . ليتني ما تسرعت في زواج ابنتي ، وليت حمى الارض بحثا عنك ! »

●●●

ثارت من بكاء الرجل ؟ ومن حديثه ، ورحت اهمس اليه بكلمات عزاء وتسرية ، ومازلت به حتى هدأت نفسه .

وفي طريق عودتي ، كنت افكر في شقيقي الاكبر ، وفي المبلغ الذي ارسل في طلبه . فعلى الرغم من انه يشغل منصبا حكوميا كبيرا الا انه كثيرا ما يستدين ليغطي نفقات الاولاد ، ورحت اتساءل :

« ترى بعد أن يتم تخرجهم ، أيكون في مقدورهم ان يشيدوا عمارة كالتي اقامها الاخوة شعلان ؟ اما شقيقي .. فلو انه رأى ما رأيت ، وسمع ما سمعت .. تراه ـ بعد هذا ـ يجد في نفسه ادنى حرج كي ينادي المعلم شعلان « بالخال » ؟!

معزوفة للشاعر

● ابراهيم صالح ●

كان حلما ان ارى فنى واوتارى وعودى
تسمع الآفاق الحانى وتزهو بنشيدى
ارقصى يا ربة الشعر وغنى واعيـــــدى
فعكاظ الشعر قد عاد الينا من جديد !

●

كم شدونا وحلا الشدو واغرانا الغنـــاء
ومضينا نسكر الانغام من فيض السماء
من دنانا كم عصرناها رحيقا من ضياء
ثم ولى ما عزفناه مع الريح هبـــاء !

●

ايها الشادى بما يحلو وما يشجى الحياه
وحواليك يضج الهول من كل اتجـــاه
وعواء الريح فى سمعيك لحن ، وصـلاه
واغاريد الامانى ، لم تعد غير شـــكاه !

●

كم تحملت مع الايام آلام البشر
وركبت الوهم والاحلام للصـــبح الاغر
ظامىء العود ـ شقى اللحن ـ مجنون الوتر
ساقيا خطوك من كل لهيب يستعر !

●

قم مع النور اذا فتح اجفـان الصباح
واسبق الشمس الى الروض على عزف الرياح

ومـــع الاطيار غرد ، وترنم ، للجراح
ومع الزهر انشر البسمة فى كل البطاح !

●

حطم الوهم ورفرف بجناح من ضـــياء
فى سراديب الوجوه الرحب فى كل سماء
اسمع الايام من عزفك قدسى النـــداء
ويح هذا الكون ان لم يستمع للشـــعراء



قصة

لقاء.. الصباح المبكر

● حسين عيد ماضي ●



« سيأتى اليوم الذى تجد نفسك فيه فجرا من الوحدة ، حين ينكمش فخرك وكبرياؤك ، وتعض شجاعتك على اسنانها .. اذ ذاك ستصرخ : انا وحيد! نيتشه : « هكذا تكلم زرادشت » ..

قرار :

اذهب الى عملى بوسط القاهرة ، كل صباح .. اليوم قررت — ونادرا ما اتخذ قرارا — ان اغادر منزلى مبكرا ، هربا من ازمة المواصلات الخانقة ..

مشهد اول :

وصلت مبكرا عن موعد العمل بحوالى ساعة .. قررت ان اتناول قهوة الصباح فى «كافتيريا» راقية المستوى . اجلس هادئا على مائدة منعزلة .. استمتع بنسيم الصباح النقى . اتصفح جريدة الصباح ارقب العابرين : اكاد اتساءل .. ما امتع ان يستيقظ الانسان مبكرا ؟ فى مولد يوم جديد !

يحضر « الجرسون » قهوتى . افكر .. مازالت «الكافتيريا» خالية ، او تكاد .. ارتشف قهوتى متلذذا . سيكون جهدى بالعمل مركزا منتجا .. وسيدهش رئيسى ، فهو لا ينتظر منى اى جديد فى العمل ..

يقطع انسياب تفكيرى جلوس شاب على المائدة المجاورة . يطلب شايا .كان نحيفا،يلبس بنطلونا ضيقا كالحا ، وقميصا مزركشا . يحمل حقيبة يد مغلقة ، وجريدة الصباح .

فجأة ينهض . ينتقل الى مائدتى بيطء . يجلس على الكرسى المقابل لى .. يضع حقيبته اسفل مائدتى . وجريدته عليها ..

دون نظرة الى ؟ او مجرد كلمة ، يفتح جريدته ، يبدأ القراءة ..

« عندما تجلس فى ذات المكان وحيدا .. هل تذكرنى ؟؟ »

كتابة باهتة على حائط « الكافتيريا »

مشهد اخير :

لمة شرخ يخترق عالمى الخاص ، يحدثه هذا المقتحم لمائدتى ، دون سابق معرفة ؟ او استئذان .. من هو ؟؟ فقط لو قال: صباح الخير .. لان لهان الأمر . لكنه يتصرف متجاهلا وجودى تماما كأن لا يشعر بى ، او لا يرانى!.

اتطلع الى وجهه .. قناع غامض ، لا يكشف شيئا . يقفز سؤال : لماذا اختار مائدتى دون كل الموائد الاخرى ؟ الخالية !! !!!

يمد يده الى داخل قميصه . يخرج علبة سجائر مستوردة . يتناول . يشعل سيجارة .. يضايقنى دخانها .. احملق فى النافذة ضجرا . لعل نظرته الآن تتلصص على .. احاول ان افاجئه متلبسا بالنظر الى .. يخيب مسعاى ، انه لا يحس بى ..

اعاود تصفح الجريدة .. لا رغبة فى شىء اللهم الا ان افهم ، ما يحدث على مائدتى .. هل اسأله ؟؟ .. لكنه لم يحدثنى ، فكيف اكون انا البادىء ؟؟

يحدث — احيانا — فى وسائل المواصلات العامة ، ان يقف او يجلس الى جوارك شخص لا ترتاح اليه .. تتجد انك — فى هذه الحالة — مجبر على الاحتمال ، فانت لا تملك حرية اختيار من يجاورك . لكن الوضع هنا مختلف . حريتى فى الاختيار هى الجوهر ..

فى اختيار « الكافتيريا » والمائدة والمشروب .. فلماذا يحطم هذا الزائر الغريب ، قواعد لم اتعارف عليها منذ زمن !! ..

احملق ثانية لوهلة فى المكان المنتصب امامى .. تخنقنى لا مبالاته .. تـرى هل اسقط بسهولة ضحية ازعاج عابر ، يهدد معنوياتى ، فى الدقائق الباقية ، التى انصرف بعدها الى عملى ؟ .. أبدا هذا لن يكون .. الآن لأركز تفكيرى — بحرية — فى مشاكل العمل والبيت ، فهى تحتاج كل اهتمامى ..

بدأت اخرج ورقة بيضاء من حافظة اوراقى لاسطر عليها مشاكلى، تمهيدا لحلها . متناسياكل ماعداها..

قصة

قطرتان فى المحيط الأسفل

● سعيد سالم ●

جلس على المقعد المواجه لها قبل ان يتحرك الترام من محطة الرمل . لم تكن نظراته القلقة قد استقرت بعد على شىء محدد ... بدأ التدافع من أجل اللحاق بمقاعد خالية او اماكن مناسبة للوقوف ... التقت النظرات .

***

النظرة الاولى :

جمالها هادىء وديع . العينان ساحرتان . الخصلة الناعمة على طرف الجبين حلوة ، وكانت الوجنتان تكادان تتفجران دما ورديا دافئا .. والشفتان تكتمان حديث حب ناعم هامس تود كلماته لو تناثرت كقطرات الندى على خدود الزهر ..

ماذا استطيع ان افعل حين أتمنى ان انال شيئا ؟.. مساكين نحن أبناء آدم ، لنتمايز المخلوقات الاخرى عنا لى اشياء كثيرة ... حسنا ! .. انى اريد تلك الفتنة الجالسة امامى الآن . اريدها بكل ما تستطيع ارادتى ان تريد .. أدفع عمرى ثمنا لعناق حار اعتصر فيه جسدها البركانى بكل قواى فانفجر هذا البركان فى محيط الأرض بأكملها !.

يقول ابى بعد ان صار صديقى : ليس من المستحيل أن تصل الى قلب امرأة متى صممت على ذلك .. يا امى التى لم اعرف غير صورتها الجميلة الوديعة المعلقة على الحائط وبعضا من خطاباتها الرقيقة الى ابى قبل ان يتزوجها .. لم اكن انتظر من أبى أن يواجه الزائف بهذه القوة .. طرد زوجته من أجلى .. صفعتنى زوجة أبى اذ أمرتها بارتداء ثوب ملائم يستر جسدها أمام بائع اللبن .. لم اتمالك نفسى الا بعد أن حطمت مقعدا على جسدها . بعد ذلك عاهدنى ابى الا يتزوج مرة اخرى قال لى منذ عام : بعد عام واحد ستحمل بطاقة النقابة ، مثلى تماما . ستصير زميلا ... لم تطورت الزمالة !.. صداقة .. الزحام يشتد والمحصل البائس يصارع الركاب ، ضحكات هنا وهناك .. قال المحصل للمعول يجلس بجوارى وقد أعطاه ثمن التذكرة وبصره شاخص فى اتجاه وعقله شارد فى اتجاه آخر :

– سيادتك ، رايح فين ؟ !

– رايح البيت ؟

ضحك الناس . ابتسمت الارض امامى .. يضع سره فى اضعف خلقه . هذا الانسان الشارد المضحك كشف لى عن اعذب ابتسامة رأيتها فى حياتى : انوثة رقيقة . هدوء ساحر . واجمل ما فى الارض ان هذه الابتسامة موجهة الى .. تود لو اشاركها ، وعاجز أنا لانى مأخوذ بالجمال !.. فارق السن لا يهم فلست ابحث عن زوجة .. ما زالت بعد تبادلنى النظرة بنظرة ... لماذا لا يحتمل ان تكون هى الاخرى تفكر فيما افكر الآن ؟! يخيل الى اننى اعرفها واننى عشت معها سنين من عمرى . ما هذا التآلف العجيب الذى يشد حنانى اليها ؟

– من فضلك افتح الشباك

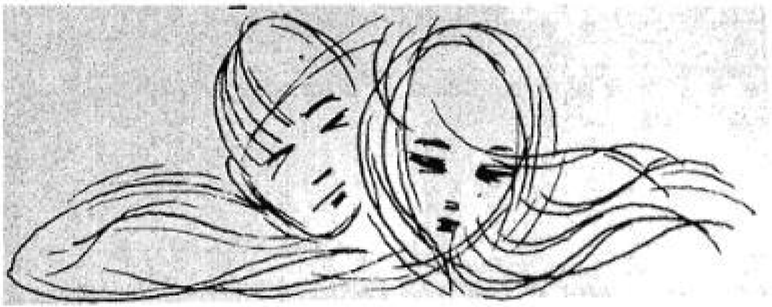
ليت طرفا من اللين يتلقفه من جديد حتى اسمع هذا الصوت – بل هذا النغم – مرة اخرى يقول لى :

– أرجوك .. افتح الشباك . دخان السجائر يكاد يخنقنى !!

معاذ الله يا جميلتى .. ولماذا لا أختنق انا واموت من الدخان بدلا منك ؟.. بل لماذا أختنق او تختنقين قبل ان ينعم كل منا بالآخر ؟.

... نظرة حزن عميقة تطل من العيون المتسلطة فى جبروت لا يقاوم . لست ارتاح لتلك النظرة فالحزن عدوى الوحيد ... مشيت فى جنازة أحد الاصدقاء . كان لدى متسع من الوقت . وماذا يمنع من دخول المقابر ؟.. لم ازر قبر امى لانى لست اعرف مكانه . لم اسأل ابى عنه ولم يخبرنى هو الآخر .

الابراهيمية ... النازل اولا يا حضرات ... متى تتعلمون النظام !! زحام شديد على المحطة ... يمسكه من رقبته وينطحه برأسه كالثور . يبدو أنه كان يعاكس زوجته اثناء نزاله



السجاير من « الكشك » القائم على الرصيف ، مجاور صاحبنا .. عندما اقترب حاملو النعش من منطقة الدفن ألقوا على اليسار لحدثت همهمات واحتجاجات منهمة تمر على اثرها اتجاه اللف فصار بعينا اجد لم اتمالك نفسي من الضحك .. ضحكت كثيرا مع ابي ليلة ان طرد زوجته بسببي .. فلقد صار بعدها صديقي .. لم اصبحنا صديقين ..

هذه المرأة الجميلة تكاد تفقدني صوابي .. انني اعرفها .. حتما اعرفها ، لست أنا التي افتقد حنان الام – ذلك الذي يتحدثون عنه كثيرا !

●●●

اللفظة الثانية :

يذكرني هذا الرجل بعم « جرجس » الذي يقضي يومه غالبا من الوعي لترد ما يتعاطى من مخدر وهو جالس على مقعده بالمقهى لا يفارقه الا لماما !

احلى ما في الحياة تناقضاتها .. ابن هذا التائه المذهول من ذلك الشاب النضر المتفجر حيوية وفتوة ، الجالس بجواره !!.. هكذا نحن ، من مواليد الى اموات .. وقد تنقطع السلسلة احيانا في الطريق فلا تكتمل حلقاتها ... جميل ، قوي ، ورقة البحر سائلة في عينيه ، ونضارة الصبا تتهادى على عضلاته البنية المنهدلة لرق جبينه المشرق ، لا بأس بها العمل والتي يهضمان من غريزة المرأة !

هي لحظة ضعف من حقي ان استشعر كل تفاصيلها . ليته لا يرفع عينيه عني ، كم احبه الان ، لتسقط كل المؤلفات والثقافات والفنون بعيدا حتى الحرق واستغرق في تلك اللحظة .. لم يحرمني زوجي من اشباع اية رغبة – تلهت او عظمت – من رغباتي . لن استبدل ثوبي الاسود مهما توالت السنون .. هناك شيء يسمونه الوفاء ، ما زالت عيناه تلتهماني .. فارق السن لا يهم ، قلت انها لحظة ضعف .. ليته يلقي براسه على صدري فالثم جبينه في حنان وتنساب دموعي غزيرة تبلل شعره الناعم ... لم تجري الخيانة دائما في عروقنا !.. اين راح الحب والوفاء !.. ولماذا ضاعت احلى ايام عمري !... الايام العاطفية المدعة ، والمشاعر الحالمة الشفافة والاماني الحلوة المحلقة ... يمكن للانسان ان يفقد كل شيء في لحظة واحدة ...

هكذا علمتني الحياة .. اني حتما اعرف هذا الشاب ، فيض من الحنان يجرفني اليه ، لابد ان اجد وسيلة لسماع صوته .. احب ان استمع الى مخارج الحروف من فم معبودي الـ... !

– من تلك التي الشبابة

شام الشباب وولى في غمضة عين ما بين الشجار تنبلة لعينة ، وتناثر بقاياها المحقرة في كل مكان .. لماذا يحارب الناس بعضهم البعض ! لكي يقتلوا عادل ! ولدي الحبيب الذي خرجت به من الدنيا !!.. لم اقو على السير في جنازة والده لانني كنت ابكيهما معا ، وابكي وحدتي المدمرة من بعدهما .. انهي حياتي المنتهية وأود لو ادفن نفسي بجوارهما وأنا على قيد الحياة .

– سيادتك « رايح فين » ؟

– « رايح » البيت !

اضحك يا حبيبي .. تلك ضحكة زوجي ولهفته عادل لا لم تذهبا !.. ذهبا بعيدا ، استحلفك بكل عزيز لديك ان تضحك وتضحك ... انك تشبهه تماما لا عادل ... اريد ان انفجر في البكاء .. ومع ذلك فيانا ابتسم .. الا يدرك هذا «المسطول» ان المحصل يسأله عن المحطة التي يريد ان ينزل فيها لا عن المكان الذي يقصده !!

الابراهيمية..... دقائق قليلة وانعم بجوار قبر الحنان الذي حال دون جفاف حياتي بعد ما كان .. انعم بجوار امي .. لا تشد انتباهي تلك الحركة التلقائية التي تدور بين رجلين على رصيف المحطة بقدر ما يشده ذلك التناسق العجيب بين رجل وكلب !.. الرجل يتمدد في استرخاء داخل « بالبو » مربوط بالحبال الى جانب عربة « كارو » تسير بمحاذاة الترام وهو ممسك بلجام الحصان في هدوء .. شاخصا ببصره الى السماء في شبه غيبوبة هائمة .. وكلب اسود يتمدد هو الآخر على الجانب المقابل من العربة .. يفتح عينيه ويغمضهما ... والاذناه تهتزان بين الحين والحين وسعادة تغمره ، شعرت بتشابه عجيب بين وجهي الكلب والحوذي ولا أقول اني حسدتهما على ... سعادة سيورثنح ... سيورثنح النازل اولا !..

●●●

المحيط الاسفل :

نهضت تمهد لنفسها طريقا للنزول ، فقام هو الآخر تاركا مقعده وعيناه مشدودتان على وجهها تعثرت في خطوتها فاصطدمت بقدمه ، احمر وجهها خجلا .. وبابتسامة تعبر عن اعتذار رقيق قالت له :

– انا متأسفة يا بني !

اراد ان يعاود الجلوس فوجد مقعده قد احتل على الفور .. ظل واقفا مكانه بلا حراك ولم تبعد عينه .. تبادلت نفسه بقية النساء نظرة أخيرة .. تحرك الترام ولم تلمحها عيناه ، فوجيء بالعجوز ينظر اليه في سخرية مستترة، ثم يطلق ضحكة غريبة.

مقاطع من
أغنية لم تكتمل

● درويش الاسيوطى ●

طريقى يبدو غريبا ، غريبا ...
غرابة خط تعرج فى كف طفل صغير
وتعرق فيه طيور العلامات .
« الزم يمينك .. »
« حاذر هناك التواء »
« تمهل فان التعجل سر الندامه »

. . . .

طريقى اليك توحش .
يبتلع الخطو
يلتهم الاتجاه
فلا الشرق شرق .
ولا الغرب غرب .
واصبح خطا تعرج فى كف طفل .
واصبح فيه وحيدا وحيدا ..
ويبرق وجهك عبر الاخاديد .
امرق نحوك ، اركب مهر البروق اطير .
واكسر كل الاشارات .
القى بكل التعاليم .. عند التقاء الطرق
واصرخ فى الكون .. ازعج سرب الطيور
المغرد والمنطلق ..
اغنى لعينيك .. لليل لحن القلق :
اعرنى جناحيك ياطائرا يحلق بين سماء
وماء ..
اطير وانظر محبوبتى .. واعطيك يا
صاحبى ما تشاء !



زهرات من رياض العرب

● سخاء .. ●

كان عبد الله بن جعفر — رضى الله عنه — من اسخى الناس : وقد خرج عبد يحرسه ، ومع العبد ثلاثة ارغفة ، فدخل كلب ودنا من العبد ، فرمى اليه رغيفا فاكله ثم الثانى فالثالث وعبد الله ينظر اليه ، فاقترب منه وساله : ياغلام ، كم قوتك كل يوم؟ قال : ثلاثة ارغفة قال : فلم آثرت الكلب ؟ قال لان ارضنا ليست بارض كلاب ، وهذا الكلب جاء من بعيد جائعا، فكرهت رده . قال عبد الله : فما كنت صائما اليوم ؟ قال : اطوى يومى هذا!

فقال عبد الله فى نفسه : والله ان هذا العبد لاسخى منى وأجود . ثم اشترى الارض والعبد واعتقه ، ووهب له الارض وما عليها من زرع وضرع ..

● شقاوة البخيل ●

قال الحسن البصرى :

« لم ار اشقى من البخيل بماله ، لانه فى الدنيا مهتم بجمعه ، وفى الاخرة محاسب على منعه ، غير آمن فى الدنيا من همه ، ولا ناج فى الآخرة من اثمه »!

● اسطورة ومغزى ... ●

من أساطير العرب ان رجلا صادق ملك الموت ، فكان اذا جاءه يساله الرجل : أزائرا جئت ام قابضا؟ فيقول له الملك : جئت زائرا .

وفى يوم قال الرجل للملك : اسالك بحق الصداقة ان ترسل لى رسولا حين يحين أجلى يخبرنى بقدومك لقبض روحى ... فقال الملك : لك ذلك ...

؟

ثم هبط الملك يوما على الرجل ، فقال له : لعلك جئت زائرا ؟ ... فقال ملك الموت : بل قابضا .. فقال الرجل : اما سالتك ان ترسل لى رسولا يخبرنى بذلك ؟ قال : لقد فعلت .. قال : لم ياتنى رسولك ، قال : بل أتاك تقوس ظهرك بعد استقامته . وابيضاض شعرك بعد سواده ، وارتعاش صوتك بعد ثباته ... وضعفك بعد قوتك .. طلبت رسولا واحدا ، فارسلت اليك عدة رسل ، فما بالك تلومنى .

● الراحة ●

مما يؤثر عن احد حكماء العرب قوله :

راحة الجسم فى قلة الطعام !
وراحة اللسان فى قلة الكلام !
وراحة القلب فى قلة الاهتمام !
وراحة النفس فى قلة الآثام !

● كلمة مفرحة ●

مر عمر بن الخطاب بطلحة بن عبيد الله — رضى الله عنهما — فرآه حزينا فساله عن ذلك ، فقال طلحة : سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول: انى لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت الا نفس الله عنه ، واشرق وجهه ورأى ما يسره ، فلم أساله عنها ...

فقال عمر : هى الكلمة التى دعا اليها عمه أبا طالب عند موته : « لا اله الا الله » فقال طلحة : فرحك الله كما فرحتنى ...

● محسن فهمى ●

...ومن مفردات الصدق لحظة ثناء!

• نصر الدين عبد اللطيف •

... ولكن ، ما الذى يثير فى عينيها الرماديتين كل هذه الدهشة المتوهجة فضولا وعجبا ؟!

الى هذا الحد يبدو منظرى مثيرا مدهشا ـ وانا لا ادرى ؟!

ما وجه الغرابة فى اننى اقف وحيدا وسط غرفة عمليات طبيب الاسنان ، جوار الكرسى اللولبى الـــكبير اتحرك ، اتحــدث ، واحاول .. ؟!

هل اتجاوز حد المنقول والمعقول فى مجتمع نام ، لو اننى تركت نفسى ابدو مندهشا جدا ، ممن تبدو مندهشة جدا منى ؟!..

... ومع ذلك .. :

قالت : ماذا تفعل هنا ؟ ..

قلت : كما ترين !

● اراك تتخذ لنفسك دور طبيب الاسنان !

ـ صدقت الرؤية !

● وتبدو كانك تعالج جراحة او حالة صعبة !

ـ فعلا .. عملية خلع !

● هاها .. ومع ذلك فاين هو المريض الذى تخلع اسنانه ؟!

ـ اسنانه ؟! لا ، لا !..

● الم تقل انها عملية خلع ؟!

ـ كل من فى الناس والعصر عنده ، غير الاسنان ، مايخلع !

● هاها ! .. ومع ذلك فالمهم ان مريضك لايشكو من اسنانه ؟!

ـ نعم ، وانما الذى يشكو انا !

● من اسنانك ؟

ـ لا !.. منه هو !

● اه .. وهو ، بماذا هو مريض ؟

ـ عنده الكتمه !

● الكت ... ؟

ـ بكسر الكاف ، وسكون التاء ...

● هاها ! .. ومع ذلك ، فما هي هذه الكتـ ... ؟
ـ الكتمه ، لغة ، هي : اخفاء الشيء !
والكتمه ـ مرضا ، هي : اخفاء الكلمة !
● اي كلمة ؟
ـ الكلمةالطيبة ، كزهرة طيبة،طلعها شيق ، وعطرها كالحنان !
● أهذا شيء من الشعر ؟
ـلا ! .. شيء للشاعر .. للموهوب ، مغمورا ، على السفح أو في الظل ... ومن يسبح بنا في المدارات العلا .. نشرب على غنائه النور .. ونقطف النجوم ! ..
● آه ، هو الشاعر !..
ـ وهو كلُ من في الظل ، كاتبا وفنـــانا ، يبدع مايعجبون له ويطربون ... ولكن اكثرهم يتكتم الاعجاب ، ويشق عليه ان يعطى من مفردات الصدق لحظة ثناء !
● ... تلك اذن هي « الكتمه » !
ـ تخنق المواهب ، وتطفيء حماس المبدعين !
● وانت منهم ؟
ـ انا .. انا الآن «زامر حي»..وان شئت ايضا كاتب في الظل !
● آه ، ولذلك تجرب العلاج وتحاولُ ..
ـ كما ترين ...
● ... تأتي بالمريض ، تفتح فمه ، و ... ـ كما تقولُ ـ عملية خلع !
ـ اطلع من حلقومه كل ما يمنع طلوع كلمة طيبة تعلن اعجابه بمـا اعجبه !
● الا ترى انك تحرمه بعض حريته ؟
ـ الا ترين انه يكتمني بعض حقي ؟!
● هاها !.. ومع ذلك فالمهم الان انه ، اعني مريضك ...
ـ المهم الان انه ليس مريضا واحدا !..
● ولكني لا ارى ...
ـ الان سترين ...
● كيف ؟...
ـ هل تقرئين حلقات « الناس والعصر » ؟
● في « الهلال » ، آه ... الحق اني ، انها ، لا باس ، اعني ، ولكن ....
ـ لكن ، لم يعد الان بد ، مما ليس منه بد !
● وما هو هذا الذي لابد ...
ـ ان تتفضلى الان هنا ، وتدخلي ، و ... !
● هاها !... ومع ذلك فلماذا لابد ان اتفضل ، وادخل و .. ؟!
ـ آه ، طبعا ... عملية خلع !!

حجاب !

... ولقدْ كان كُتبْ
ما حُجبَ وما احتُجبْ ...
و ... حجابُ الشمس : ضوؤها !

. . . . . .

لتكُن الكثرةُ ، والمكثارُ ، والكَيْثَرُ ملهــاة عَصْرِ التكاثرْ !
لو أنك الآن قلْتَ : الكثرة تغلبُ الأصالة ...
فكأنما قلت : العُملةَ الرَديئةُ تطردُ العُملةَ الجيِّدَه !
مَرْحَلة ...
والحمدُ لله على القلِّ والكثْرِ ! ...

جنون !

. ملامحُ وَجنهها الرقيق ، والمُستوى الأنيق ، والشَّـــعْرُ الذهبُ - لمْ تخفِ عنهُ أنها تابَسُ للناسِ والعَصر جلدَ النمِره !
وعندما استوقَفَتْهُما يوماً مصادفةُ لقاءٍ واعدٍ ، وتَطلعَتْ تجرِبُ السماحةَ في عَيْنيهِ ، لم تَخلع جِلْدها ... ولم تَلتَفِتْ الى جرْحِهِ من أثرِ القَيدِ ينزفُ داخِلَه ...
فتراجَعَتْ مَصْدومَةً .
وابتســـم هَزيماً ...
وانتهتْ قصةٌ كان موعدها للناس والعصر حبا ، و جنونا ، وخصبا !
انتهتْ قصةٌ لمْ تَبْدأْ ..

.. والسؤال الذى يطرح نفسه .. أيضًا !

ليلى الملتقى ، عند المفترق ، فى الغابه - : مدينة الناس والعصر ..!
الاضواء ، شاعرة ..!
الموائد تفترش أنحاء المكان ، كصفحة الكلمات المتقاطعة !..
.. الطاعمون الشاربون قيام حولها وقعود ..!
والمضيفة البديعة تسبح رشيقة ، يقظى ، بين الموائد .. وفى عينيها للناس والاشياء بريق ياخذ ولا يؤخذ ...!



قواعد اللعبة هنا تتيح لعينيك الاشتباكَ بعينيها في جولات ثلاث ..
فهي في البدء تجيئك تستطلع منك رغائبك
ثم وهي تعود اليك بما رغبت بين يديك ...
و ... عندما توافيك في الختام لتجمعكما لحظة مكثفة في محاورات الحساب ..!

***

لكل فعل ، رد فعل مضاد ...
ثلاث طلقات ، مثلا ، في فضاء الفضاء ، لابد لها دوى ، وصدى ، ودخان ...
ولكن ، ليست كذلك ثلاث جولات اشتباك بعينيها ...
الاهداب هنا طوال مشرعات ، رفيفها يمتص تطلعات الفضول والاكتشاف !
والحيوية في البحيرتين الزيتونتين ، والصفاء حتى العمق البعيد شعاعهما حضور ناضر ، و ... حياد !
حياد ؟!
كيف الحياد ـ وهل يمكن ـ لعينيها هنا ، وهنا الليل ، والغابة ، وجنون العصر ؟!
ان الحياد عادة ، وغالبا ، هو الاقوى !..
هو فوق ان يحتمى او ينتمى ...
هو هدف على المدى في صراع العيش ، بعيد النوال ...!
كيف لها اذن ، ومن اين لعينيها هذا الحياد ، صافيا كوجه النبع ،
ليس هو التمرد ، ولا هو الرفض ، ولا هو اثر جرح قديم او قريب ؟!

***

... عندما اقبلت اخيرا ، واحتوتنا لحظة مكثفة في حساب كالعتاب ترددرفيف اهدابها الطوال كانما تشفق ان تكشف عن سحر عينين بلون ثمار الشجر الطويل البقاء في الارض ـ (الزيتون!) ـ يتالق في بريقهما حياد لا يحيد ..!

وانقضت ، كلمحة من حلم ، آخر الجولات مع عينيها ، اسبلت اهدابها كما تسدل الستار فجاة قبل النهاية السعيدة !

***

وعدت الى عالمى ، اجرر اذيال
... ها انا الذى انفق بنفق العمر عاشق معرفة ، قد لقيتة اليوم فى عينين حساوين سرا يغرى بالمعرفة ...
ولكنى لم اعرف كيف اعرف !...
لو سالنى اليوم احد او احدة عن معنى الحياد فى العيون الجميلة فماذا اقول ؟.. هل ينفع او يقنع ان اقول عندى موصوفه لا صفاته ؟!
ليتنى قاومت اغراء المساء ولم اجىء هنا ...
او ، ليت انى التقيت الليلة بعينى ذات الحياد ... فى منطقة محايدة !
لعلى اذن كنت اعرف !..
المعرفة طريق الحقيقة ...
والحقيقة ... صديقة ، نتوافق معا ، ونتخاصم احيانا ، واحيانا اواجهها ، اشد شعرها ، اهزها ،واحدق فى عينيها !
والان .. ليس لى الان الا ان اتراجع عن اسوار طرواده !...
ليكن الحياد فى عينى هذه الجميلة مجرد شعاع ، او انعكاس شعاع ، من عمق نفس مطمئنة !..
ليكن مجرد صدفة ، او موهبة ، او خلقة فى العيون ، بعض العيون، بلون الزيتون !..
وليكن لمجرد انها هى مجرد امراة سوية شبعى !

آه ... امراة شبعى !!
هنا الحصن القوى المكين ...
لا تنال منه المحاولات .. وتتحطم على عتباته الاطماع والغزوات !..
الكون اذن معادلة صحيحة ان : فى عينيها حضور محايد = هى سوية شبعى !
ويبقى الآن سؤال يطرح نفسه ..
يطرح نفسه .. ارضا !
آه . ولكنى لن انحنى الى الأرض لألتقط سؤالا لم يسأله احد بعد .. ولم تبق لى هنا مساحة تتيح لى ان اقتله ـ بالجواب ـ درسا وتحليلا !! ..

بتسامات شاعرة

صانعة الفطير



أصانعة « الفطيرِ » ، أتيت أسعى　　على شــوقى لصــانعة الفطيرِ ؛
فهيا ، شــمرى ، وارعى أكولاً　　وسُوطى السّمن بـ العسل الغزير !
وهاتى « الحشو » موفورا ، فانى　　أحب الحشــو بالقدر الوفير !
ودُقّى باليمــين ، فان تخلت　　فدقى بالشمال على « الحرير » ..
بايقــاع ، لذيذ ، مســتحبٍ　　يراقصنى ، ويكشف عن حبورى ..
ولُفيه بحــذق ، وادفعيــه　　إلى نارٍ مؤرجة العبــيرِ ! ..
وهزى ما قدرت عليــه ، وارمى　　« شباكك » ، والعبى لعب الخبير
ولا تدعى حديثا مســتفيضا　　عن « الأحوال » و « الهم الكبير » !
فانى مغــرم بســماع كثر　　من الأقوال عن صعب الأمور ! ..
وهمك ــ يالهمك ! ــ قد سبانى　　وأمسكَ مستميتا بالشــعور !
فزيدينى ، وزيدينى ، وحــطى　　همومك، فوقَ همى المستطير !
ولــكن ، عجلى ، إذ أن بطنى　　« يزقزق » فى صراخ مســتجير !
وبطنى ليس يحزن .. يا لبطنى !　　أنامُ ــ ولا ينامُ ــ عن الشرور !
ينــادينى إليــك ، فــلا أرانى　　ســوى مضغٍ لعملاق خطــير !!

• رمضان ابو غالية •

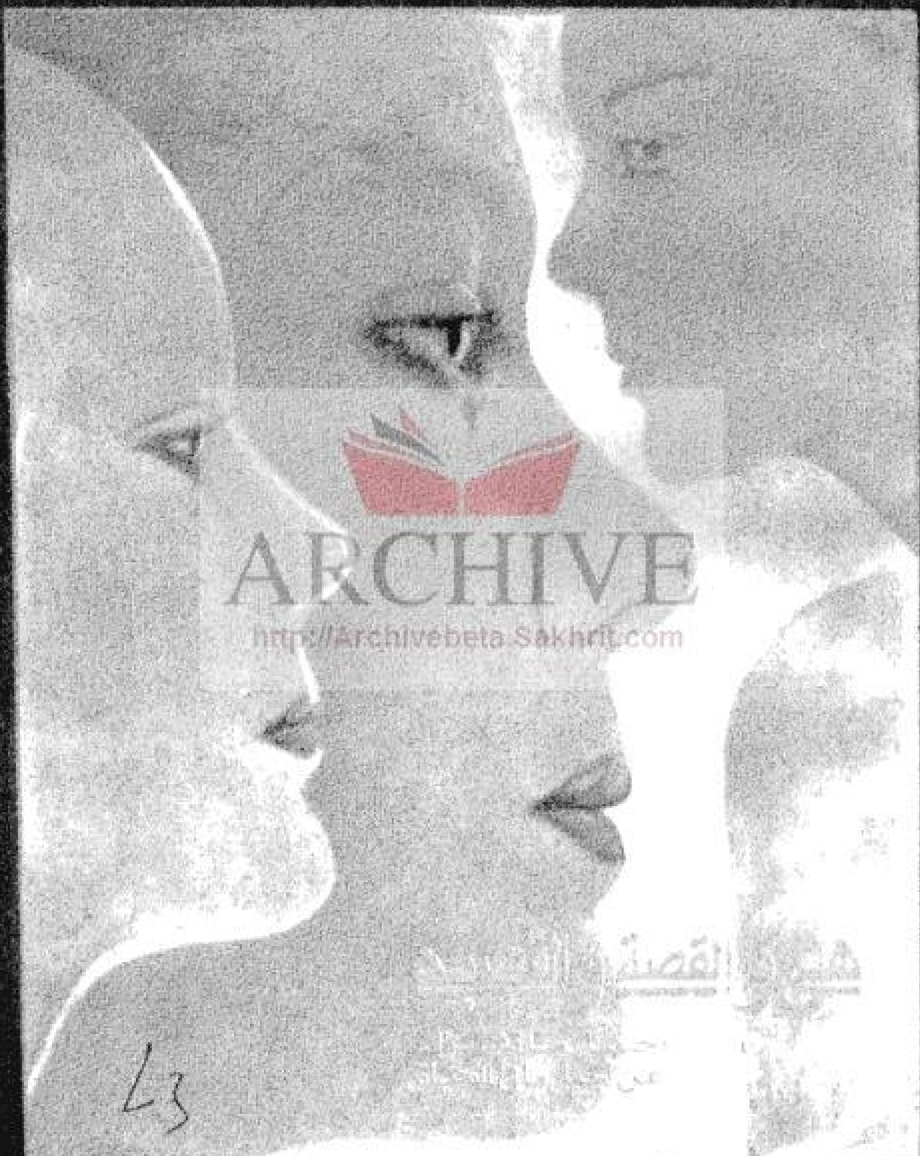


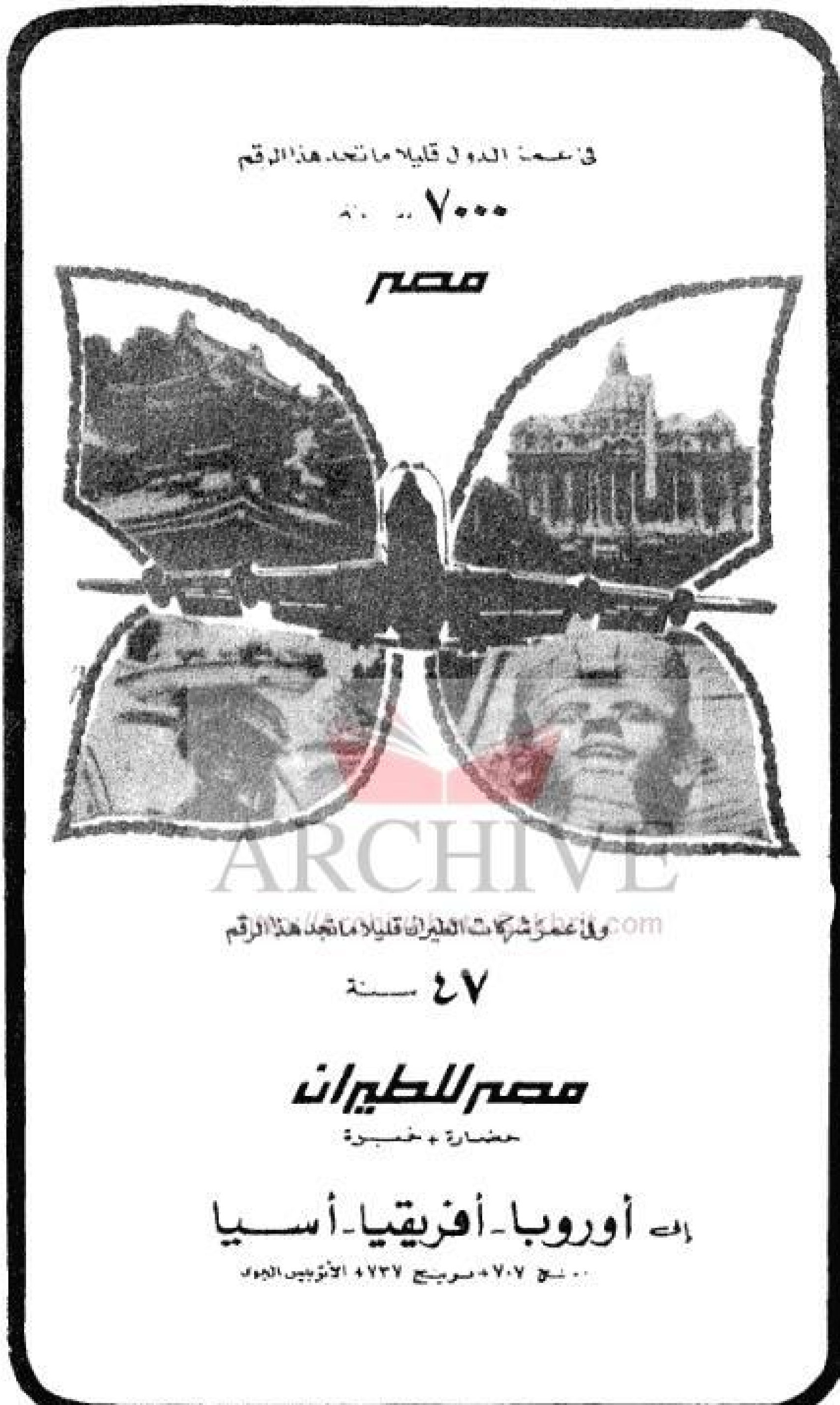
الهلال
مجلة الفكر العربي
حظوظ وأقدار
نجاحك.. ذكاء أم حظ؟
صاحب الجلالة الحظ مظلوم
هل تعرف توأمك الزمني؟
قاموس مصطلحات الكواكب والأبراج

العربي

يوليه ١٩٧٩

مجلة الفكر العربي




في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم
٧٠٠٠
مصر
وفي عمر شركات الطيران قليلا ما تجد هذا الرقم
٤٧ سنة
مصر للطيران
حضارة + خبرة
إلى أوروبا - أفريقيا - أسيا
٧٠٧ + بوينج ٧٣٧ + الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

نحن العرب

● لم يولد العرب بالامس ، فهم من اقدم شعوب الارض هنالك نقوش على الاحجار تدل على وجودهم فى صحرائهم قبل الميلاد بعشرين الف سنة .

ولكن العربى يبدو لنا دائما وكانه يبدأ اليوم فقط تجربته مع الحياة انه يقع فى نفس الاخطاء التى وقع فيها فى عصور الرومان والساسانيين ، وطوال تاريخه تتكون نفس الاخطاء ، نفس المآسى ..

اسباب سقوط الدولة الاموية هى نفس اسباب تدهور الدولة العباسية .. واسباب ضياع الاندلس هى نفس اسباب ضياع صقليه .. وهى ايضا نفس اسباب مأساة فلسطين .

لماذا لا يتعلم العرب من التاريخ شيئا ؟

لماذا لا يفيد العربى من تجاربه قط ..

ولماذا لا يتبين العربى خطاه الا بعد فوات الاوان .. لماذا يندم بعد ان تقع الواقعة وينتهى كل شىء ؟

فى الخطاب الاليم الذى كتبه السلطان ابو عبدالله اخر سلاطين غرناطة بعد ضياع غرناطة يعترف باخطائه .

ويعتذر باعذار هى اقبح من الذنوب ، لم يلقى اخر الامر المسئولية على القدر ويقال ان ضياع الاندلس كان قضاء لا مفر منه ..

لماذا لم يقل عبد الرحمن الناصر ذلك ، وقد تولى امر الاندلس وهى ممزقة اشتاتا فلم شملها وجعل منها اقوى دولة اوروبية ؟ ..

السبب ان العربى ما زال لا يعرف نفسه ..

انه الانسان « ذلك المجهول » بالنسبة لنفسه ، ولكنه مع الاسف معروف جدا للاخرين ومدروس جدا عند خصومه ..

هل يعرف العرب ذلك ..

وهل يعرفون ان احفل ما كتب عن العرب بالفائدة هو ما كتبه عنهم خصومهم .. وان اقل ما كتب عنهم فائده هو ما كتبوه هم عن انفسهم

عجيب جدا ان هذا العربى ، هذا المجهول المعروف ، هذا المستور المكشوف ، هذا العجوز الذى يتصرف دائما وكانه ولد بالامس ، بالامس فقط ..

المحرر ●

في هلال هذا الشهر

الهلال

مجلة الفكر العربي

شعبان ١٣٩٩ هـ

يوليه ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال – أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة السابعة والثمانون – أول يولية ١٩٧٩ – ٦ من شعبان ١٣٩٩ .

من «الهلال الأول»

[illegible] جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج إليها [illegible] : وهو مع ذلك يحتفل بما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر .. ويقبل [illegible] يستطيع النشر [illegible] الصالح منها : وكان تحرير «الهلال» غير مسئول عن رد ما يرد [illegible] مقالات ويحرون والقصص والشعر دون طلب . وهي [illegible] لم تنشر ..

الاشراف الفني على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية في حكومية .

في الخارج بالبريد العـــادي ٧ دولارات أو ٢ ج.ك بالبريد الجوي ١٥ دولارا او ٩ ج.ك. تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العـــرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمـــد عز العرب ـ القاهرة ـ

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

أزمة الفكر السياسي المعاصر

بقلم : رئيس التحرير

فى بحثنا الدائب عن كل ما ينفع الفكر العربى ويزيد ثقافة المواطن العربى ، وقفنا على كتاب صغير يتضمن حوارا بين قطب من اقطاب الراسمالية وهو هربرت ماركيوز ومفكر يسارى معروف هو جان اليتشتاين حول موضوع ازمة الفكر السياسى المعاصر والمشاكل التى يواجهها المواطن فى كل بلاد الدنيا المتطلعة الى حياة افضل ومستقبل احسن . وفى هذا المقال خلاصة لهذا الحديث وتشخيص للعلل التى تشكو منها النظم القائمة اليوم فى الغرب ايا كان لونها

● فى بلاد الغرب يسيدون النظر دائما فى كل شىء .

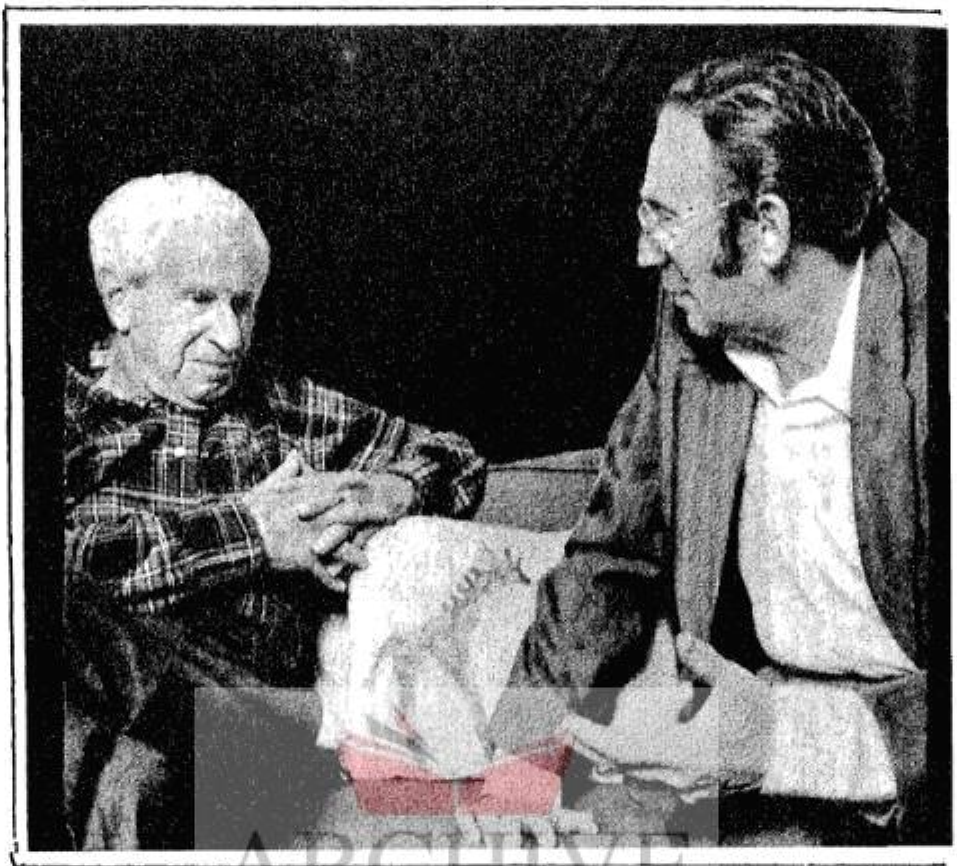
انهم يعيشون بعيون مفتوحة وقلوب واعية . وعيونهم المفتوحة وقلوبهم الواعية تقول لهم ان كل شىء فى الدنيا يتغير . لا شىء قط يبقى على حاله .

ونحن جزء من الكون ، فلا يمكن ان نبقى على حالنا ، وما نراه اليوم قد نرى غيره غدا . ومن اختلاف الرؤية وتعاقب الايام يكون التغيير ، ثم يكون التقدم ، لان التقدم هو التغيير الذى يصنعه الانسان بنفسه واعيا الى ما يصنع . فاذا لم يصنع الانسان التغيير بنفسه واعيا الى ما يصنع حدث التغيير على رغمه وتأخر . لأن القطار اذا فاتك ، فان ذلك لن يضر القطار شيئا ، ولكنه يضرك أنت . .

لهذا يحرص اولئك الواعون على الا يفوتهم قطار التفكير . لابد ان يكونوا فى القطار دائما ، بل لابد ان يكونوا هم القطار . هم الذين يقودون الاخرين . لهذا يسبقوننا ونظل مكاننا وبمرور السنين نجد أنفسنا فى نهاية الطابور .

وعندما كنت طالبا فى المدرسة الثانوية اعطونى كتابا فى الأدب العربى يقول ان أبا نواس شاعر المجون . وفى مطالعاتى بعد ذلك عرفت ان أبا نواس لم يكن شاعر المجون . كان رجلا حكيما وفنانا مبدعا فى صنعة القصيدة ، وكل ذنبه انه كان رجلا صريحا شجاعا يقول ما فى نفسه دون نفاق فى حين كان الاخرون ينافقون

ومن اسابيع وقع فى يدى الكتاب الذى الفوه لتلاميذ المدارس الثانوية فى الادب العربى . فتحته عند ابى نواس فوجدت الكتاب يقول انه شاعر المجون . خمسون سنة مضت والراى



هربرت مركيوت مفكر الرأسمالية على اليسار
يتحدث مع جان ألين مشتاين مفكر اليسار

لا يتغير والحكم لا يتغير . هؤلاء هم القوم الذين يفوتهم القطار دائما . هؤلاء هم المتأخرون . هذه الجملة وأمثالها هي المحطة التي نزلوا فيها وتركهم القطار ومضى !..

***

انهم ليسوا وحدهم في هذه الحال . فنحن نفكر في الامر مرة واحدة ثم نضع عليه لافتة تقرر ماهو ، ولا نعود الى التفكير فيه مرة أخرى .. اننا نعمل كما يعملون في حدائق الحيوان . يضعون لافتة على كل قفص تقول مثلا « غزال افريقي طويل القرن . موطنه شمال نيجيريا » . وتظل هذه اللافتة مكانها سنوات بعد سنوات . تضربها الشمس وينزل عليها المطر حتى تزول الكتابة ، ولكنها تظل في مكانها .. وقد يتغير ساكن المكان فيحل الطائر أبو مركوب محل الغزال طويل القرن . ولكن اللافتة تظل مكانها . يظل أبو مركوب غزال نيجيريا طويل القرن رضي أم لم يرض ..

هكذا نفعل بالآراء والافكار . لانعيد النظر فيها ابدا . قلنا مرة ان كارل كافر وملحد وانتهى الامر . حقا ان كارل

ماركس كافر ملحد، ولكنه اشياء اخرى كثيرة الى جانب ذلك ، وهذه الدنيا لا يسيرها المؤمنون وحدهم بل يسيرها الكفرة والملحدون ايضا . بالذات لانها «دنيا» اى وضيعة ، ومادامت وضيعة فلماذا لايكون للص والمجرم والكافر والملحد والمفسد مكان واثر فيها ؟

وابو نصر السراج الصوفى يقول :

«ان تصرف اهل الفساد فى الارض ووصولهم الى السلطان الدنيوى دليل على هوان قدر الدنيا على الله » ..

***

هذا على وجه التقريب هو الذى يجعل لكارل ماركس وامثاله مكانا وأهمية فى هذه الدنيا . ومادمنا نعيش فيها فينبغى الا ننسى قط ان كارل ماركس ولد فى ٥ مايو سنة ١٨١٨ فى مدينة تريف فى المانيا ، وتوفى فى لندن فى ١٤ مايو ١٨٨٣ . وخلال السنوات الخمس والستين التى عاشها ، قلب الدنيا راسا على عقب ، ونشر من الكتب والمقالات وانشا من التنظيمات ما دفع الدنيا فى مسار جديد : مسار الشيوعية ومحاولة نقل القوة المحركة للسياسة والتاريخ من ايدى الملوك والقادة والسياسيين والمفكرين الى جماهير العمال ، وانه ادخل العمل قوة موجهة للتاريخ . وهو الذى انزل رأس المال من عرشه . وقال ان رأس المال نفسه ثمرة عمل متراكم . لان العمل سلعة تباع وتشترى . وكارل ماركس حرض العمال فى البيان الشيوعى المشهور ، او « المانيفستو » الذى نشره ماركس مع فريدريش انجلز فى لندن ١٨٤٧ ودعا فيه عمال العالم ليتحدوا لكى يواجهوا الراسمالية .

واغلب الظن ان الكثيرين ممن يحسبون انفسهم يحاربون الشيوعية لم يقرأوا « المانيفستو » فى حياتهم . دون ان يقراوه علقوا عليه لافتة تقول : بيان ضال محرم القراءة .

ولكن الكثيرين من شباب العرب قراوه ولاننا لم نناقشه امامهم منذ قراوه فى السر وفهموه كما اراد ماركس ان يفهموه ثم قراوا كتاباته الاخرى ، واصبحوا شيوعيين ، لاننا نحن ــ الذين ينبغى ان نقرأ ونفسر ونرشد ــ اتبعنا اسلوب رجال حدائق الحيوان . علقنا لافتة الغزال النيجيرى على القفص الذى يعيش فيه أبو مركوب ..

***

فى بلاد الغرب لا يفعلون ذلك قط . انهم لا يكتفون بقراءة واحدة للشىء ، انهم يعيدون النظر فى اللافتات بصورة مستمرة . لهذا اثبتوا انهم اقدر على مواجهة افكار الشيوعية منا . لقد ناقشوا كل كلمة قالها ماركس واصحابه من امثال فريدريش انجلز وفرومينان لاسال وكشفوا عن مواضع الخطا فيها، والشباب الاوروبى الذى تجتذبه الشيوعية وتعجبه آراء كارل ماركس يقرأ الى جانبها ما يقوله الذين يناقشون ماركس ويثبتون خطا آرائه . لهذا نجد فى اوروبا شيوعيات كثيرة . هناك شيوعية فرنسية ، واخرى ايطالية ، وهما تختلفان كل الاختلاف عن الشيوعية اللينينية . فالشيوعى الفرنسى اليوم اقرب الى الراسمالى : يعيش فى مسكن فاخر ويركب السيارة ويستمتع بكل مظاهر الترف . انه لم يعد خطرا على المجتمع . قد يكون خطرا ولكنه لا يريد الثورة ولا يفكر فى قلب الاوضاع لانه مستفيد من العالم الراسمالى الذى يعيش فيه وهو لهذا يحرص على المحافظة عليه والمشكلة عنده مسالة صراع احزاب لقد فهم اخيرا ان الانقلابات العنيفة وحمامات الدم لا تؤدى الا الى الخراب والدمار ، انه اقل شيوعية من الشاب العربى الذى قرأ كتابات الشيوعيين فى الظلام ، ولم يجد من يناقشها معه ويبين له اخطاءها واخطارها ، فضل الطريق وحده وتحول الى عدو للمجتمع، بالذات لاننا اكتفينا بتعليق لافتة «كافر ملحد » واغلقنا الملف وحسبنا ان القضية حفظت . نسينا انه لا يمكن ان يحفظ ملف قضية كبرى كهذه ، فان روسيا شيوعية ، والصين شيوعية . وبلاد اوروبا التابعة للاتحاد السوفييتى

شيوعية ، وفيتنام شيوعية وكذلك كمبوديا ، وكل هذه البلاد تحاول ان تفتح لشيوعيتها طريقا ، واسوار مجتمعنا هي الاسوار التي يريدون ان يهدموها ليدخلوا دارنا ، فكيف نتصور اننا نفرغ من المشكلة بحفظ المغفات

ولعلنا لا نعرف بعد ان الشيوعية الآن في مازق خطر، فانها بالفعل لم تحقق اى خير يذكر للعمال على الرغم من الضجيج الذي احدثته . فالعامل في البلاد الشيوعية اليوم في حال سيئة ، واحواله في البلاد الراسمالية احسن بكثير .

ذلك ان الطريق التي سار فيها قادة الشيوعية لاقامة ما سموه بدولة البروليتاريا ، اى دولة الطبقة العاملة كان طريقا استبداديا دكتاتوريا ، لكي يقيموا مجتمع الحرية كما زعموا بدأوا **بقتل الحرية ، واقاموا نظام الحزب الواحد يحكمه ويوجهه مجلس مستبد يسمى السوفييت الاعلى او المجلس الاشتراكي الاعلى . هذا المجلس يتكون من عدد قليل من الناس بيدهم كل شيء ، ولكي يحموا انفسهم الغوا الديموقراطية وانشاوا اجهزة المخابرات ونظم السجون والمعتقلات والتشريد بل القتل دون محاكمة . وفي روسيا نفسها لا يوجد انسان آمن على نفسه وماله من ليونيد بريجنيف الى العامل الصغير ...**

والعامل العادي في المجتمعات الشيوعية رجل مضطهد محروم من كل ما يجعل الحياة مقبولة ، لقد الغت الدولة الشيوعية سيادة راس المال ولكنها اقامت مكانها سيادة الحزب . وقد دعا كارل ماركس العمال للاتحاد لكي يساوموا جماعة ويبيعوا عملهم باغلى الاسعار فلم يطبق هذا الا في البلاد الراسمالية . هناك قامت النقابات القوية التي تتحدث باسم العمال وتطالب بحقوقهم وتساوم اصحاب المصانع وتحصل للعمال على احسن الشروط ، وهناك تجد التامينات الاجتماعية والتامين ضد البطالة وضد المرض والشيخوخة والمدارس والحضانات التي تنشئها المصانع خدمة لعمالها وتحسينا لاحوالهم .

كل هذا موجود في البلاد الشيوعية ولكن بالاسم فقط ، واقرا حكايات سولسنيتسن لتفهم من روسيا الكثير في البلاد والشيوعية لا توجد نقابات ولا مساومات ، والدولة هي الراسمالي الأعلى الذي يشتري عمل العمال بالسعر الذي يقرره ، بل انه يحدد لكل عامل ما يعمل ويقرر له اسلوب حياته .

والعمال في الولايات المتحدة وفي انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا يعملون ويكسبون ، وبمكاسبهم يسكنون في شقق فيها كل وسائل الراحة ، وهم يشترون السيارات ويتمتعون بالحياة . فاين من هذا تعب العامل في البلاد الشيوعية وحرمانه من كل ما يعين على العمل ؟

والعمل في البلاد الراسمالية متنوع : هناك الصناعات الحربية وصناعات المرافق الكبرى « مصانع السيارات والقطارات والطائرات والنسيج والملابس والادوية والاطعمة المصنعة .. وما اليها وهناك ايضا صناعات الترف والرفاهية مثل اجهزة الراديو والتليفزيون وادوات التجميل واثاث البيت الرفيع او الفاخر . وهذا الاتساع الرحب في ميدان الانتاج هو الذي يجعل العامل في البلاد الراسمالية اسعد بكثير من العامل في بلاد الشيوعية ، المفروض انها جنة العمل والعمال . حقا ان البلاد الراسمالية تعاني من مشكلة البطالة ، ولكن قوانينها تجبرها على ان تدفع للعامل المتعطل لاسباب خارجة عن سلطانه تعويضا شهريا له لكي يامن على رزقه هو وآله .

ان البلاد الشيوعية تقول انها لا تعاني مشكلة بطالة . الحقيقة انها تعانيها ، ولكنها بطالة مقنعة . لكي يعمل العمال الذين لا يجدون عملا توضع مشروعات ضخمة وغير ذات فائدة في احيان كثيرة لمجرد تشغيل العمال واعطائهم حدا ادنى من الاجور او مواد الحياة .

كوبا بلغ بها الامر انها تبيع اولادها . فكل عامل عاطل ، وما اكثرهم فى كوبا اليوم ، يرغمونه على الاندراج فى الجيش ويدربونه ثم يرسلونه للقتال فى الحبشة والصومال وانجولا وموزمبيق . هذا هو العامل المتعطل فى كوبا ، وهذا هو مصيره . تلك هى الازمة التى تعانيها الشيوعية .

***

لقد اعلن كارل ماركس مبادىء تبهر الفكر ، وفتح للناس ابواب آمال واحلام واسعة . ولكن التطبيق هو الذى اثبت ان معظمها كان مجرد نظريات منطقية لا يمكن ان تحقق الاحلام والامال التى علقت عليها ...

وازمة الشيوعية اليوم تتلخص فى انها حتى فى بلادها اصبحت نظاما مفروضا بالقوة ، ولا يخدم الا مصالح رجال الحزب . وهم بالفعل مستفيدون منه ، لانهم الراسماليون الجدد الذين يتمتعون بكل شىء فى حين لا يتمتع الاخرون بشىء .. وليونيد بريجنيف لديه ثمانى سيارات ، وهو يسكن قصورا حتى ان الناس يسمون امثاله اليوم باسم شيوعيى الكافيار والشمبانيا .

ولو انك اطلقت الحريات فى روسيا وغيرها من بلاد الشيوعية لما بقيت الشيوعية يوما واحدا ، لانها نظام مخالف لطبيعة البشر والحياة ، نظام استبدادى يحكم الناس بالدم والحديد ويوجههم الوجهة التى تخدم مصالح الطبقة الحاكمة دون سواها .

حقا ان التكنولوجيين فى روسيا يعاملون معاملة خاصة ، والعلماء واهل الصناعات العسكرية الكبرى يعيشون فى رفاهية ورخاء ، ولكن امثالهم فى المجتمعات الراسمالية يعيشون احسن ويتمتعون اكثر ، الا انهم ينعمون بالحرية ، لهم آمنون على انفسهم واموالهم ، ولهم الحرية فى ان يقولوا ويفعلوا ما يريدون فى حدود القانون .

وهذا الكلام لا ناتى به من عندنا ، انه خلاصة حديث طويل نشر فى اوروبا وامريكا بين رجل يمثل الفكر الراسمالى ، وهو المفكر الامريكى هربرت ماركيوز وكاتب فرنسى كبير يمثل الفكر الشيوعى وهو جان البنشتاين .

***

وفى هذا الحديث يتكلم ماركيوز عن ازمة الراسمالية ، ويقول ان اسبابها ترجع الى تراخى القواعد الاخلاقية التى لابد منها لنجاح النظام الراسمالى . فهو فى نظره ينبغى ان يقوم اليوم على ثلاثة اسس : جودة الانتاج ووفرته ، وحساب سعر البيع حسابا دقيقا يعطى المشترى حقه ، ثم تقديم رعاية حقيقية وخدمات للعمال الى جانب اعطائهم الاجور والتامينات والاجازات الضرورية ماداموا ينتجون انتاجا طيبا قابلا للتصريف باسعار مجزية للمصنع ومن اسف ان بعض العمال هناك لا يلتزمون بهذه القواعد فيلجأون الى الاضراب او استخدام الحقوق النقابية استغلالا انانيا سيئا ، ثم ان بعض الراسماليين لا ينظرون الا الى الكسب والاستغلال وخاصة فى الاعمال التى لا تحتاج الى عمال كثيرين مما يجعل تطبيق قواعد العمل عليهم عسيرة ومثال ذلك شركات المضاربة فى الاوراق المالية ووكالات المتاجرة فى العقارات ووكالات البيع والتوزيع والنقل وما الى ذلك . وكل هذه الشركات تضعف النظام الراسمالى لانها تتخلى عن اخلاقياته ، ونحن بطبيعة الحال نستطيع ان نسن القوانين ولكننا لا نستطيع تقنين الاخلاقيات ، وتلك هى المشكلة التى تعانيها النظم الراسمالية كلها . وهى مشكلة لا تنبع من النظام نفسه بل من سوء استخدامه .

واذا كان النظام الراسمالى يعانى ازمة فهذه هى اسبابها ، ومن الاسف ان كل وجوه النقص هذه تدفع خصوم الراسمالية الى مهاجمتها وتاييد النظم المعارضة لها .

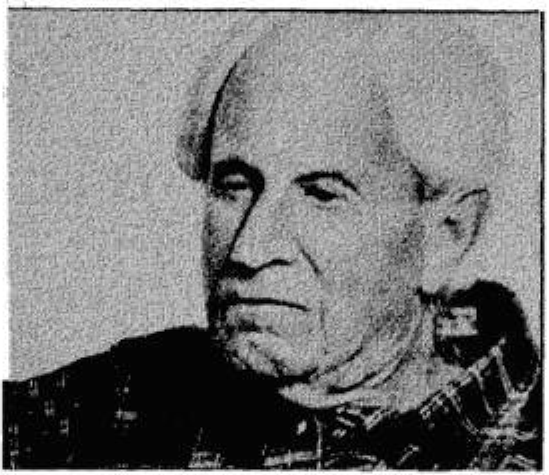
وفى هذا الحديث قال البنشتاين ايضا : ان نظريات كارل ماركس كما هى لا يمكن تطبيقها اليوم ، لان الدنيا تغيرت وعالم سنة ١٩٧٩ غير عالم سنة ١٨٥٠ ، فنحن



اليشتاين : اننا لم نقل فقط بالغاء الدولة ، لقد كان كارل ماركس يفكر فى ذلك ، ولكننا الآن تخطينا كارل ماركس وهو بالنسبة لنا مفكر قديم ، اننا نريد الدولة ولكننا نريدها دولة العاملين ، فان العمل فى حسابنا هو كل شىء



اذن فانا لا ادرى موضوع الخلاف بيننا وبينكم ، اننا ايضا نقدس العمل ، ولكننا نقول ان ثمرة العمل ينبغى ان تعود على صاحبه ، اما ان يعمل انسان لكى يعول انسانا متبطلا او عضوا فى الحزب الشيوعى فهذا هو الذى نرفضـــــه .



ماركيوز : لابد من المحافظة عـلى الدولة ، لا غنى للانسانية عن نظام يحكم النـاس ، ولكن لابد من تخفيف عبء البيروقراطية الى اقصى حد ، لان الدولة نفسها لا غبار عليها ، ولكن الاوراق والدفاتر والسجلات كل ذلك يجعل الدولة عبئا ثقيلا على اكتاف المواطنين .



الينشتاين : انكم تخطئون اذ تظنون اننا نفكر في اتجاه ماركس ، لقد تغير كل شيء ، ماركس اصبح من مخلفات الماضي ، نحن نبحث الان عن طريق وسط ، لا هو راسمالي ولا هو شيوعي وربما تكون النهاية هي البرجوازية المعدلة المهذبة

في عالم جديد لا يحب الثورة الدموية ولا يقبل قلب الاوضاع بين يوم وليلة ، ويفضل ان يتم التغيير بصورة طبيعية وعلى مراحل ، وروسيا نفسها لا تطبق اليوم مبادىء كارل ماركس وان كانت تستخدم اساليب لينين وستالين في العنف والسعي لاحداث الثورات والانقلابات وهو اسلوب نرفضه لانه يؤدي الى مزيد من المتاعب والاحقاد .

ويضيف ماركيوز ان اتجاه الجماعات اليوم سواء في البلاد الشيوعية او الراسمالية تفكر الان تفكير المياسير اي تفكير من تسميهم بالبورجوازيين اي الذين يجعلون هدفهم في الحياة العمل للتمتع بحياة مريحة بل مترفة بعيدة عن الايديولوجيات ، قريبة من تحقيق حلم الحياة الهادئة الرخية للانسان واولاده دون مراعاة لتقاليد او قيم . وهنا تكمن ازمة الانسان الاوروبي المعاصر .

وقد كان كارل ماركس يقول ، ان هدف الدولة هو الغاء نفسها ، اي ان مهمتها هي ان ترتقي باخلاقيات الناس وتنمي شعورهم بالمسئولية حتى يقوم كل انسان بواجبه دون الحاجة الى دولة ، ولكن الذي حدث هو العكس ، لقد جعلت النظم الشيوعية كل شيء في يد الدولة والغت وجود الفرد واحساسه بواجبه وضاعفت اثقال البيروقراطية على كتفيه . ففي روسيا لا توجد الا الدولة ، اما الفرد فقد انمحى تماما ، فهل هذا يرضي كارل ماركس ؟

الجواب : نعم ، يرضيه ، لانه في صميمه كان رجلا مستبدا طاغيا ، كان يريد ان يلغي وجود الاخرين ليبقى هو ، هو وحده ...

ومازال هذا هو هدف النظم الشيوعية في كل مكان : الغاء كل الاخرين ليبقوا هم ، هم وحدهم ...

مع الدكتور حسين فوزى في عيده الثمانين



د . حسين فوزى

حركة دائمة نحو مرافئ الفكر

● محمد سعيد ●

●● هذا الانســـان لا يعرف سوى الحركة ، يتحرك فى فروع المعرفة من موقع الى آخر .. يتجول فى المكان من ارض الى اخرى . ويرحل فى الزمان من حقبة الى حقبة .. يعشق الترحال ، ليس بمعناه القريب ، لكن حياته كلها رحلة سندبادية لا تستقر فى زمان او مكان ... فهو طبيب العيون ، المتخصص فى عالم البحار ، الذى تجول مع الفكر والحضارة فكان السندباد العصرى ..

عشق الموسيقى فأثرى النقد الموسيقى ، واحب الادب فكانت له كتابات مرموقة ناجحة . شغل ارفع المناصب العلمية والثقافية فكان صاحب الراى العالم المفكر ! وفى اغسطس من هذا العام يكمل رحالة الفكر الاستاذ الدكتور حسين فوزى اعوام الحلقة السابعة من العمر ليبدأ باذن الله مرحلة جديدة مع الفكر والراى والبحث .

●● وعندما حدد لى الدكتور حسين فوزى موعد اللقاء اختار مساء يوم حار فى مسكنه بالجيزة ، وفى حجرة المكتب المزدحمة بالمجلدات والدوريات والكتب وجدت وجودا لكائنات اخرى .. القطط لها مكان خاص فى لوحات معلقة على الجدران ، ومن خلال حركة القطط الحية فى المكان الذى لم يبق فيه مكان لكائن بشرى سوى مقعد المكتب واريكة فى مواجهته عليها آلته الموسيقية المفضلة « **الكمان** » وقط وديع يشاركك ايضا متعة الجلوس على هذه الاريكة .

قلت للدكتور حسين فوزى : ملامح شخصيتك هل اسهمت فى تكوينها عوامل معينة مما نطلق عليها علاقات التأثير والتأثر ؟

اجابنى ونبرات صوته تعلو وكأنها تنويعات آلة موسيقية وترية : « اعتقد ان للاسرة ومؤثراتها الطبيعية وطبيعة المكان الذى تربيت فيه فى باب الشعرية ثم الحسين ، وحفظى وتعلمى للقرآن ، وتأملى لملامح آثار المماليك من حولى — كلها مجموعة مؤثرات وضح فيها توجيهى نحو ان اعرف وان اتعلم ..

والدى المهندس المعمارى بحشر المنزل بالمؤلفات المعمارية وبعض الكتب الادبية .. مدرستى الثانوية واحدة من ثلاث مدارس فقط .. النشاط المدرسى فى السعيدية الثانوية افادنى ، التحقت بجمعية الآثار ، وبدأ احساسى بالقراءة الادبية بعدما تقويت فى اللغة الانجليزية، وبدأت اقرأ الادب الانجليزى، وتدعمت لغتى العربية ، فبدأت اقرأ فى التراث والادب العربى ، وادركت ان اهتماماتى اكبر بالادب رغم التحاقى بقسم العلوم ... وفى البكالوريا كنت الرابع ، وكان الاول **المرحوم الدكتور محمد كامل حسين** صاحب رواية « **قرية ظالمة** » ...

والتحقت معه بكلية الطب، واكتشفت اننى احب العلم فى ذاته بالمعنى الاكاديمى دون ان ارجع حبى لتفسيرات نظرية وفضلت علوم الحيوان ووظائف الاعضاء وعلم الامراض بينما لم يكن لدى احساس بالميل لان امارس الطب او ان اصبح طبيبا لم يكن هذا اتجاهى !!

●● **ولماذا تحول اهتمامك من الطب الى علوم البحار مما غير حجم ونوعية اهتماماتك من مرحلة التكوين حتى الآن ؟**

— ويسرح الدكتور حسين فوزى ببصره وادرك من طول انتظارى لاجابته انه تقطع مسافة طويلة ويفاجئنى بقوله: « تعرف اننى من **القاهرة** ، وحينما سافرت الى **الاسكندرية لاول مرة بهرنى شاطئها .. كنت احلم مع امواج بحر الاسكندرية ، وكنت اغيب فى اعماقه وانا لا ازال على الشاطىء وحينما قرأت لافتة الاحياء المائية تقدمت لبعثة خاصة بالاحياء المائية وانا لا اعرف عنها شيئا سوى اننى اعشق البحر** ...

وفى **باريس** تعمق اهتمامى بالبحر وتوقف انتاجى الادبى ففى مصر بدأت وضع قصائد الشعر ومحاولات كتابة الرواية والاوبريت وزادت معلوماتى الموسيقية التى بدأت فى مصر مع ولعى بالموسيقى وتعلمى العزف على البيانو والكمان .

وحينما توطدت علاقتى بباريس ادركت اننى سافرت من مصر اليها وفى ذهنى معلومات حقيقية عن الحضارة الاوروبية من خلال قراءاتى التى اشعرتنى بقربى من طبيعة العصر الذى عايشته بعد سفرى .

بدأت اهتماماتى الادبية وقمت بمحاولات قصصية تأثر ابجى دى موباسان الفرنسى وتشيكوف الروسى ومحمود طاهر لاشين ومحمود تيمور باللغة العربية .

وتطور حبى للموسيقى العالمية وتخطى اهتماماتى بالموسيقى العربية التى بدأت بها لانها موسيقى بلدى ولكننى لا اريد التوقف وموسيقانا لا تتحرك راكدة ، واقفة ، لحن راصد او بيانى وكلمات لكن ماهى الموسيقى ؟ قشور !

●● **لكنك كتبت نص اوبرا او اوبريت**

● منذ النشأة ، أحب العلم بالمعنى الأكاديمي

● بحر الإسكندرية حول اهتماماتي من قاع العين إلى أعماق البحار !

● "سندباد" هو معلمي الأول ، وثروتي الحقيقية "المعرفة"


توفيق الحكيم


د . زكي نجيب محمود

على هيئة رواية شعرية لحنها داود حسني .. هل نضع هذا العمل في دائرة الضوء من خلال حديثنا عنه ؟

— يرد في هدوء : « هو أوبرا بالمعنى العالمي .. هذا الرجل الشرقي **داود حسني** اخذ مني اوبرا شعرية هي « ليلة كليوباطرا » من خلال فهمي لشكل الاوبرا المقدم في تلك الفترة ... قبل ان يلحنها داود حسني عرضتها على الفنان العملاق سيد درويش وكانت سعادتي كبيرة لان نابغة عصره سيلحنها، ولكن سيد درويش طلب اجرا خياليا باسعار تلك الفترة (بل وبالمقارنة باسعار اليوم ايضا) ، ووقتها تعرفت بالصديق **توفيق الحكيم** الذي كتب عدة مسرحيات لحنها **كامل الخلعي** ، وتوسط لي الحكيم عند كامل الخلعي الذي لم يعجبه انتقالي من بحر الى آخر من بحور واوزان الشعر فاستقرت الاوبرا عند داود حسني الذي وضع لها لحنا شرقيا له كل المواصفات العالمية ؛ وصور فيها تصوير كهنة ايزيس في الصلاه وكذلك مواقف الصراع واقتحام حمام كليوباطرا وغيرها من المواقف الدرامية التي لحنها مغناة من بدايتها الى نهايتها .

●● اهتمامك الموسيقي الكبير هل جاء بمعاونة دراسة موسيقية متخصصة

من قراءة وكتابة « النوتة » والتوزيع الموسيقى والتاليف وما الى ذلك ؟

– حدث بالفعل ولكننى انكر حتى لا يعتبروننى موسيقيا كما حدث مؤخرا فى المجالس القومية المتخصصة حينما خيرونى بين شعبة الموسيقى وشعبة الثقافة .. والمسالة مسألة فكروليست ممارسة ثم اننى اجيد العزف على الكمان واختيارى لها لم يكن موفقا لانها آلة صعبة رغم ان اولادى فى الكونسرفتوار افضل منى ، لكنى لم استفد من الكمان فى التاليف لانها آلة ميلودية لا تزيد عن الرباعيات الوترية ، وفى اوروبا وجدت تنمية لاهتمامى بهذه الالة لكننى هنا لم اجد الاهتمام فتراخيت لكننى اخترت مؤخرا التحليل الموسيقى من خلال القراءة الموسيقية والكتابة رغم ان كتابتى الموسيقية متوقفة عند مرحلة متخلفة من العمر ، ورغم ان تعليمى اكبر منها فتوقفت عند التحليل الموسيقى .

●● كنت اول عميد لكلية العلوم بجامعة الاسكندرية .. كيف ترى هموم التعليم العالى والبحث العلمى اليوم وانت تلاحظ النواة التى كونتها تنمو لتصبح كيانا علميا كبيرا ؟

– .. مسالة الكم من الدارسين امر محير لا يعطى النتيجة المرجوة ، وهذا ماكنت اناقشه مؤخرا مع الدكتور ابو العزم وهى مسالة يجب ان يوضع لها حد حتى تحقق العملية العلمية غايتها وهدفها .

●● دكتور حسين فوزى .. انت عضو فى شعبة الثقافة بالمجالس القومية المتخصصة ، ماهى النظرة المستقبلية التى تتصورون الثقافة من خلالها ؟

– حقيقة نعالج مسائل فى غاية الدقة .. فالثقافة التى نعالجها ليست امور التعليم والوعى ، لكنها الثقافة على اساس فكرى جدير بالمناقشة فهى الثقافة بمعنى التخطيط لمستقبل الفكر وتحديد ابعاد هذا المستقبل .

●● لاحظت فى حديثى مع الدكتور حسين فوزى انه دائم الابحار من فكرة الى اخرى ولا يطيل البقاء فى موقع اكثر من لحظات يتركه الى موقع آخر فى المناقشة .. قلت له : اشتهر عنك « سندباد عصرى » هل يرجع هذا الى حب الترحال ام يعود هذا الى روابط اخرى تربطك بالسندباد ؟

– انا اعترف بأن السندباد هو معلمى الاول فى كتابى « حديث السندباد القديم » قلت هذا وانا اتصور ان رحلات السندباد مؤلفة فى الارض بعيدا عن البحر ولكننى ومع هذا احينما تجولت بسفينة البحث فى البحار وجدت العوالم التى كتب عنها السندباد القديم فكتبت « سندباد عصرى » وتنوعت اهتماماتى بالرحلات وبرحلات السندباد وتحقيقها فظهر لى أكثر من مؤلف عن السندباد آخرها « سندباد يعود الى الهند » واصبحت كلمة السندباد علم على رجل حياته هى الرحلة وما الحياة الا رحلة !!

●● هناك عدد من الكتب يحمل اسم د . حسين فوزى .. هل تناولت كتبك كل نواحى اهتماماتك المتعددة غير المتخصصة فى بعض الاحيان برغم عمق تجربتك فى كل مجال اقتحمته ؟

– معظم كتبى فى السندباديات ولم يخرج عن مجال اهتمامى الاساسى سوى كتابان هما «الموسيقى العالمية» و« مع بتهوفن » وكان فى مرور ٢٠٠ عام على ميلاده وكل السلاسل التى اصدرتها مسائل فكرية او رحلات وكلها تدور حول الحضارة ، فانا اهوى الانسان الذى اقام الحضارات واشعل الحروب ومهد للسلام ، ولهذا اهتم بالحضارات من واقع اهتمامى بالانسان .. اهتمامى هذه الايام بحضارة عصر النهضة .

●● هل يسمى الدكتور حسين فوزى علاقته بالادب علاقة ناقد متذوق ام علاقة كاتب ؟

– لا استطيع ان اقول اننى اديب صنعتى الادب ولست كاتبا حرفته الكتابة .. لكننى افضل ان اكون مفكرا وكل تفكيرى متجه الى الانسان .

●● ومن هم ابرز ابناء الجيل الذى

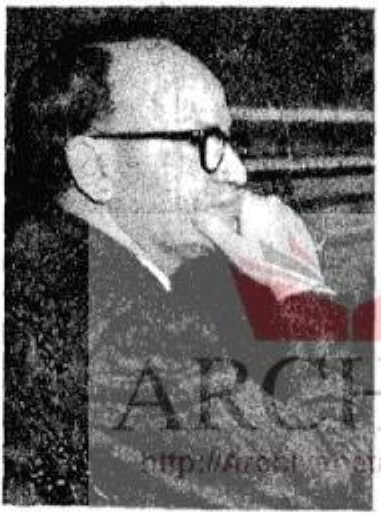
● كتبت الرواية الشعرية (ليلة كليوباترا) وتحولت إلى " أوبرا "

● الكم للدارسين مشكلة لا تحقق الغاية من التعليم الجامعى!

● الثقافة هى التخطيط لمستقبل الفكر الانسانى



محمود تيمور



د . حسين مؤنس



الدكتور محمد كامل حسين



نجيب محفوظ


سيد درويش


د. يوسف ادريس

نتتهى اليه فى المجالات التى امكن لك ان تؤثر فيها .. فى مجال الدراسات الاكاديمية .. فى مجال الفكر .. فى مجال الفن ؟

ــ زملائى من نفس جيلى حولنا الآن ومنذ تعارفنا وحتى الآن ونحن فى استمرار معا .. **توفيق الحكيم** منذ عرفته فى العشرينات حتى الآن ونحن معا .. **الدكتور زكى نجيب محمود .. الدكتور حسين مؤنس .. بعدنا نجيب محفوظ . جيلنا يميزه الرجوع الى** الاصول .. نجيب محفوظ قارىء عظيم رجع للتراث وللاصول الادبية بلغاتها الاصلية .. معرفة توفيق الحكيم بالمسرح ليس لها ما يساويها ... حتى الجيل التالى يوسف **ادريس** يقرأ باللغات الاخرى غير العربية التى مكنته من القراءات الاساسية دون حاجة الى وسيط كما يفعل ابناء الجيل الحالى ممن لا يقرأون باللغات ويكتفون بالقراءة عن اساتذة سبقوهم .. واستمرارا للمناقشة القائمة بعدنا وحولنا بالنسبة للاصالة والابتكار ارى ان الحاجة تستدعى اهتمام الاجيال الحالية للتعرف على معارف الغير وتراث الاصول .

●● وهل يتعارض تنوع اهتماماتك مع مايقول به المتحدثون بلسان العصر من ناحية التخصص وتقسيم العمل ؟

ــ **ليست مسألة تخصص أو تعدد ..** لكن اهتماماتى كانت على خطوات .. الموسيقى فى مرحلة .. الادب فى مرحلة اخرى وهكذا .. **اذا اجبت لك عن سؤال : ماهى الثقافة ؟** ان يؤدى الانسان مهمته فى مهنته على اكمل وجه ولا يعنى هذا ان يكون منغلقا بل ان يتفتح ذهنه على المعارف الاخرى .. الثقافة شاغل اصيل واتساع افق فى المجالات الاخرى .. الموسيقى لا تتعارض مع تخصصى

● إخترت التحليل الموسيقى بدلاً من التأليف والكتابة الموسيقية

● أهتم بالحضارات لأننى أهوى الإنسان صانع هذه الحضارات

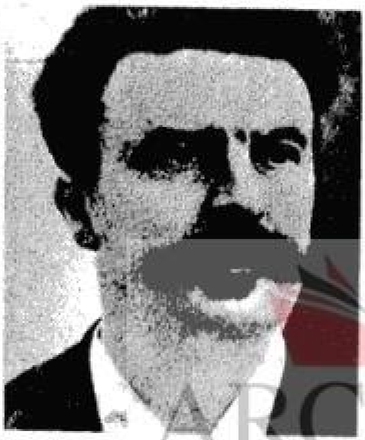
● أنتمى إلى جيل غزير القراءات، يقرأ بأكثر من لسان وأكثر من لغة

● القدر أقوى وأكبر من إرادة الإنسان

العلمى مثلا د . على ابراهيم مؤسس كلية الطب كان يهتم بفن السجاد ونسيج السجاد ورسومه ، وانا أتصور أن هذا اهتمام ثقافى بجانب تفوقه فى مهنة الطب .. الثقافة نزهة لاتتعارض مع تخصص الانسان فى فرع يشغل اهتمامه .

●● **تذكرت تشبيها اطلقه بعض الكتاب على الدكتور حسين فوزى بأنه رحلة دائمة فى الزمان والمكان وتوقفت معه لحظة فى علاقته بالمكان فقال :** « لو قرأت كتابى « سندباد مصرى » لادركت صلتى بهذا الوطن وارتباطى بالانسان فيه .. المكان عندى هو الوطن .. وكتبى هى انفعالى تجاه الزمان والمكان .. فأنا أعشق مصر المكان ومصر الزمان .. مصر الواقع والماضى والحاضر والمستقبل . وليس أعز على من أرض مصر » .

●● **وقبل ان تتوقف رحلتى الحوارية مع السندباد المصرى صاحب الجولات الشهيرة فى الزمان والمكان قلت لسؤالا يحلو لى ان اكرره باحثا عن اجابة عند صاحب التجربة الطويلة والاستاذ الدكتور حسين فوزى يقترب من عامه الثمانين ولهذا قلت له قبل أن ارحل عنه** لو افترضنا جدلا أن دورة الحياة عادت لتبدأ من جديد ـ هل تختار نفس الطريق الذى سلكته لتصل الى موقعك اليوم ؟ أم أن هناك سؤالا جديدا تبحث منه عن اختيار جديد تستفيد به من تجارب



موباسان

السنين وتقييم النتائج !

وقاطعنى الدكتور حسين فوزى قبل ان اكمل سؤالى قائلا : « اذا مر انسان بتجاربى واراد أن يرسم حياته من جديد فى حالة عودة دورة الحياة ـ اتصور أن **القدر سيكون أكبر واقوى من ارادة الانسان .. ولو ارحتك واجبت عن سؤالك .. فاننى لو اخترت أن ابدأ من** جديد ماغيرت من حياتى شيئا ... لم اكن اريد مالا او جاها ... ثروتى الحقيقية هى المعرفة .. ولو قدر لى أن أعيد حياتى سأعيدها كما هى ، مع اعتبار أكرره أن القدر أكبر من الارادة » ●



الفراعنة و القانون

● فتحي رضوان ●

رسم حديث يصور الوادي الذي عثرت فيه ابنة فرعون عندما عثر اليها سيدنا موسى من مياه النيل التي ألقته أمه فيها بأمر الله

● ان ما جاء في القرآن الكريم ، عن فرعون مصر ، وما جرى بينه وبين موسى عليه السلام ، الذي في يقين المسلمين ، ان كل من حكم مصر ، في العهد القديم الذي تواضعنا على تسميته بالعهد الفرعوني ــ كان على شاكلة هذا الملك ، الذي أبى ان يستمع لما جاء به رسول الله موسى وأخوه هارون ، من هداية السماء ، والايمان بوحدانية الاله الصمد ، وبأن الناس بعد الموت سيبعثون ويحاسبون ، وأن الأوثان التي تصنع ، والهياكل التي تشاد لها ، وضروب التقديس والتبجيل التي تحاط بها ، ليست الا لونا من الطيش والجهل ، عاقبته وخيمة .

ولكن الناس ادركت شيئا فشيئا ان الملك الذي روى القرآن الكريم حكايته مع موسى عليه السلام ، لم يكن اسمه (فرعون) ، وان (فرعون) هذه ليست اسما لشخص الحاكم الأعلى في مصر القديمة ، ليست من قبيل (كسرى) لقب ملوك الفرس ، ولا (قيصر) لقب ملوك الرومان ، ولا النجاشي لقب حكام الحبشة ، وانما هي لفظ باللغة المصرية القديمة معناها (البيت الكبير) ، وهيا رمز على مقر السلطة التي كان يمارسها ملك مصر العظيم ، كان أجدادنا يقولونها كما كنا نقول على بيت الملك المصري في العهد الحديث (السراي) وكما كان الأتراك يقولون على مقر سلطانهم (الباب العالي) .

ومن ثم فان القرآن الكريم لم يحكم على كل ملوك مصر ، الا وصف فرعون موسى بما وصف من الغرور والضلال والانانية . مع ذلك الذي يجب ان يسطر هنا في كلام الله المقدس ، انه ذكر لفرعون موسى وزوجته ، واهل بطانته وحاشيته من المواقف ، ما دل في جلاء ، على صفات شعب المصريين ، وعطف مشاعرهم ، واخذهم الأمور بالرفق ، وكرههم للعنف ، وايثارهم للاستماع الى النصيحة ، وحبهم للحق ، واكبارهم العدل ، وتقديسهم للعدالة ، واحترامهم المرأة ، وحدبهم على الطفل ، واحترامهم المساواة بين الناس ..

وسأضرب لك من آيات القرآن الكريم الأمثلة على بعض هذا ، ليكون مدخلا لحديثنا عن فرعون والقانون ، وأعني هنا بفرعون مصر ، ما جرت به الألسن من تسمية ملوك مصر قاطبة بهذا اللفظ .

ولنستطلع حكاية موسى عليه السلام مع فرعون مقدمة ، لنستدل منها في الاشارة لخلق المصريين وخلالهم ، ومقام الزوجة عندهم .

فالتوراة ، وما جاء في التوراة ان فرعون مصر ، لما كان ابنه العقيقي ، رأى حلما أزعجه ، رأى فيه طفلا من بني اسرائيل ، يجلس على حجره ، ثم يمد يده ، الى رأس فرعون والأخرى بذقنه ، فيسقط عن هذا الرأس تاج الملك ، فيتدحرج على الأرض ، ويتناثر منه فصوص الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة .. ويصحو الملك من نومه فزعا لا يكاد يستطيع أن يجمع شتات نفسه ، ويبقى مقبوض الصدر مكتئب النفس ، حتى تعرف منه زوجته ، سر ضيقه وتجهمه ، فتنصحه بأن يستدعي اليه مفسري الأحلام ليفعل ، ليفسر له الحلم بأن طفلا ذكرا من بني اسرائيل ، سيحاول خلع الملك عن عرشه ، واسقاط تاجه ، وحرمانه من سلطانه ، فيأمر بذبح كل طفل ذكر يولد من ذلك العام .

فأم موسى ، احتالت على أمر الملك بأن استخدمت من خدمة القابلات المحترفات اللواتي كن يتولين توليد بنات اسرائيل ، حتى يبقى سر ابنها المولود ، الذكر ، محفوظا لا يشاع .. ثم ان الله

تعالى أوحى الى ام موسى ، ان تلقيه فى النيل ، بعد ان تهيىء له سفطا ، تفرش أرضه بأوراق الشجر على النحو الذى جاء فى كتـــاب الله العظيم :
« وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه ، فألقيه فى اليم ،ولا تخافى، ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون »
« وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى ان ينفعنـــا أو نتخذه ولدا »
فامرأة فرعون هنـــا ما كادت تلمح الطفل يســـبح على وجه الماء ، هادئا مستسلما فى ســـفط ، ليس معه من يحميه ، حتى فاضت فى نفسها ينابيع الرحمة ، وهتفت : لا تقتلوه !
ولم تقنع بهذا الامر بل اضـافـت «عسى أن ينفعنا او نتخذه ولدا» ..
والنفع هنا ، لا يعود الى استخدامه حينما يشب عن الطوق ، ويشتد عوده ، فى شئون الدنيا ، بل انما المقصود بهذا اللفظ فى هذا الموضع ، وبهذه الصيحة التلقائية ، ان يؤنس الملكة كما يؤنس الابن امه ، فيدخل على قلبها البهجة ، ويشعرها بالراحة والطمانينة ..

***

ولنقل فى تفســــير هـذه الواقعة الانسانية الكبرى ، ماشاء ، فهى من اية جهة جئتها شهادة للخلق المصرى ، وللانسانية المصرية ، ترفع من قدرهما الى اعلى عليين .. فان قلت ان هـــذه الواقعة تدل على أن الملك ، لايقوى على رد طلب لزوجته ، وانه يطيعها ،ويحب رضاها ـ وجب ان نذكر انه ملك طاغية ، وانه على مانقلن ، يستبد برأيه ، ولا يشرك فى حكمه احدا . فاذا كان حبه لزوجته ، وسروره برضاها ، هو الذى جعله ، يستجيب لصرختهـــا ، التى انطلقت من قلبها ، وهى تسبح فى ماء النيل ، الذ رات الطفل الجميل الصبوح، يتهادى على صفحة الماء ، وقد أمن عوادى الدهر ، وراح يعلو ويهبط ، مع امواج هذا النهر الكريم السمح ـ فان هذا عنوان العائلة المتحدة المتماسكة :
وان كانت هذه الاجابة حبا للطفولة فى ذاتها ، انسته الخطــر الكامن وراء مولد طفل من بنى اسرائيل ، وجعلته يؤمل الا يكون هذا الطفل ، هو المعنى بالحلم ، او الا يكون من اطفـــال بنى اسرائيل ، فهذه شهادة لخلق اسـمى واعظم .

ولا يزال كتاب الله الكريم ، يقص علينا من أنباء حضارة المصريين الجديد والعظيم معا ، قال الله تعالى وهو يروى ماجرى لموسى وأمه واخته ، بعد أن وضع الطفل فى التابوت واستودعته امه مياه النيل الجـــارى فى رفق ويسر :
« وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . فقالت هـل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى امه كى تقر عينها ولاتحزن » .
وهذا الجانب من القصة كلنا نعرفه ، لموسى الطفل التقطته زوجة فرعون ، وفرحت به فرحا شـديدا ، ولكنه لم يلبث حتى اصبحا مصدر فزع وألم شديدين لها ، لانه رفض المراضع كلها ، وراح فى صراخ يهز نفس هــذه المرأة الرقيقة الحنون ، فكادت تجن فاذا باخت موسى ، التى كانت تســير على الشـاطىء ، وهى تراقب كل ما يجرى له ، حتى دخـــلت الى قصر الملك ، ووقفت على باب القصر ، فعلمت ممـا رأته من اضطراب اهل هـــذا البيت الضخم ، وذهاب الرسل منه الى كل اتجاه بحثا من المراضـع ـ ان أخاها رفض أن يطعـــم من غير ثدى أمه ، فراحت تعدو الى بيتهـــا ، وعادت مع امهـــا ، ثم دخلت الى مخدع الملك ، لتعلن انها احضرت معها امرأة ترضعه ، وتكفله ..
ولنا ان نتساءل كيف استطاعت اخت

موسى أن تصل الى اعماق قصر الملك ، حيث تعيش الملكة ، ومعها الطفل الذى التقطته منـــذ حين ، دون ان يردها الحرس ، وهى فتاة فقيرة ، لا تلبس الا ما رث ورخص من الثيــاب ، وهى تنتمى الى طائفة مضــطهدة ، أو على الاقل طائفة لا تتمتع بشىء من السلطة ولا الجاه .. ولك أن تعجب ، فى الوقت نفسه ان هذا الطفل الذى لايعرف له اب ولا أم ، قد أصبح شــغل الملك وزوجته وبطانته الشــاغل .. وانه ماكادت تظهر امه ، وتعلن أخته أنهــا مرضع قد يقبل لديها ، حتى يفسح لها الطريق ، ويسلم اليها الطفــل ، فاذا اطمأن على صدرها ، وسكت ، هدأت الملكة ، ورضى الملك ، وانقطع القلق ، وبقى الطفل فى قصر الملك ، بعد ذلك ، ليشب ويكبر ، مشــمولا برعاية الملكة وحبها ، وحب الملك وعطفــه ، وهو مصداق لقول الله تعالى ، على لســان فرعون وهو يحاور موسى بعد ان بعثه الله نبيا ورسولا الى فرعون وملئه: **« الم نربك وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين »** .

ولا احسب ان اذنا يمكن ان تخطىء تبين النغمة الابوية فى هذا العتــاب الرقيق ، وهو العتاب الذى توجه به فرعون مصر الى رسول الله موسى ، حينما دعاه الى الدين الجديد ، واشتد فى حديثه معه نوعا ما ، فانهـا تفيض بالرغبة فى أن يذكر الابن يد أبيه عليه ، والايام التى قضاها فى حجره ، ثم ينمو ويكبر ، ويلعب ويرتع ، فى رحاب ملكه، الامر الذى حدثنا عنـــه بعض مفسرى القرآن فقالوا ان فرعون لم يكن ليتوى على مفارقة الطفل موسى ،اذ كان يصحب الملك فى رحلاته وتنقــلاته ، بل كان يجلســه الى جوار عرشـه ، يتئنس بقربه، ويبتهج بصحبته .

ولقد نصح الله موسى ، حينما بعث به الى فرعون ، ومع موسى هارون ، أن يترفق فى الحديث مع الملك ، فقال لهما : فقولا له (قولا لينا) . عمــلا بالقاعدة الاساسية فى الدعوة الى الله ، وهى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » من جهة، والقاعدة التربوية الموجهة الى الابناء بينما يقوم بينهم وبين الاباء خلف فى العقيدة : « وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا »

ولكن الامور لم تلبث أن دب فيهــا عنف ، وذلك بعد أن قتل موسى مصريا ، انتصارا منه لواحد من بنى عشيرته ، أى لاسرائيلى يقال انه كان يعمل بقصر الملك ، وبهذه النقلة ، خرجت العلاقة بين موسى وفرعون من نطــاق عائلة والقصر الملكى ، الى نطاق القــانون والدولة . وهنا نرى من آيات حرص المصريين على القانون أعلى صور ، واسمى مراتبه ..

فموسى معـــروف لدى الكافة به ربيب الملك ، وحبيبه ، وانه مقرب أ الملكة ، وانه نشأ فى بيت السلطان ، وا مقامه علا ، ونفوذه اتسع ، وهو يتقلب فى نعمة حاكم البلاد الأعلى الذى كا يعبد من دون الله ، الامر الذى جعــل هذا الملك يقول لحاشيته وموسى يدعو الى الدين الجديد ، بانه لايرى حاشيتا الا مايرى ، وهو لايعرف للمصريين اله سواه . ومع ذلك فلما قتــل موسى مصريا ، طلبه القانون ، وتعقبته السلطة ليساق الى المحاكمة ، ولينزل به العقاب

وقد روى لنا القرآن الكريم هـــذه الحقيقة العظيمة فى ســورة القصص ، قال الله تعالى : **« وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى . قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب »**

***

ولقد أسعدنى الحظ ، اذ اطلعت على جانب من مذكرات الدكتور محمد بدر استاذ تاريخ القانون بجامعة عين شمس،

فقد تفضل فأهدى الى ملازم لم يضمها كتاب بعد ، فاذا بها تزخر بالنصوص العديدة ، التى استنبطها عدد ضخم من علماء أوروبا ، انجليز وفرنسيين وطليان وغيرهم ، وكلها تخلص الى نتيجة واضحة جلية ، وهى أن فرعون مصر ، كان خاضعا للقانون ، مقيدا به ، وخادما له ، وراعيا لاحكامه ، وليس صانعا له ، متحررا منه ، وخارجا عن نطاقه ..

فمن هذه النصوص فى صفحة ٢٥ من هذه المذكرات :

« رغم الطبيعة الالهية لفرعون بجعله مصدرا سماويا للتشريع ، فهو يقول القانون ، وينهض بين الناس باقامة العدل من حيث هو أمين الهه «معات»

« غير أن سلطة فرعون هذه ـ المطلقة فى الظاهر ـ فى التشريع والقضاء بين الناس ، لم تكن فى الواقع كذلك اذ كان يقيدها قيد من فكرة الآلهة الفرعونية عند المصريين وضرورة انضباطها على المعايير الموضوعية للحق والعدل »

وقد أورد الدكتور محمد بدر فى هامش هذه الصفحة اقوالا للمؤرخين والاثريين دريثون ، وفانوييه ، واندريه ايمار ، مايؤكد ان عمل الملك الاسمى والاول ، هو اقامة العدل ..

ثم قال ان سلطة فرعون كان يقيدها كذلك واجب التزام التشريع القائم حتى يلغى أو يعدل بتشريع قانون ، بل ان قيدا أكبر أهمية من كل ذلك فى دقة تنظيم اجهزة الادارة حتى ليقول الشراح ان فرعون قد صار ، وهو رأس الادارة ، لا يسهل عليه ، واذ القضاء نوع من الحكم يلتزم الحاكم الوفاء بمسئوليته فى القيام على حسن ادائه . واذ كان على فرعون أن يقيم حكمه على العدل وأن يقيمه بين الناس فى منازعاتهم ، فقد كان الاصل أن يقوم هو نفسه بين الناس فى أقضيتهم ، ولكن هذا الاصل لا يمكن اطلاقه فى مجتمع يكثر فيه الناس ، وتكثر فيه من ثم مشكلاتهم ومنازعاتهم . واذن كان يقتصر فرعون ، كسائر الحاكمين للشعوب على التوجيه والاشراف »

وليس فى تولى الملك اى الحاكم الاعلى مهمة القضاء ، مايعيب ، او ما يخالف مقتضيات العدل ، ما دام الملك حتما يجلس كقاض ، يتحلى بصفات القاضى ، من الحيدة ، واحترام الخصوم ، مهما قل شانهم ، وضعف مركزهم ، وفى التلطف لهم ، حتى يأنسوا به ، ويطمئنوا الى شخصه ، ومن الطبيعى أن يكون الوالى او الامام فى المجتمع الانسانى الصغير ، هو قاضى القضاة ، وقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بين الناس ، وكان الخلفاء من بعده ، يجلسون فى مجلس القضاء ، حتى اذا اتسعت الدولة الاسلامية ، تخصص القضاة ، وانصرفوا الى أقضية الناس ، يحيطون بدقائقها ، ويبحثون عن النص القانونى الذى ينزلونه عليها . ولكن بعض الناس ظنوا ـ وهم يرون فيما سجلته نقوش المعابد الفرعونية ـ فرعون يقضى بين الناس ، ويجلس فى المحاكم العليا ، كقاضى القضاة ، ان ذلك من قبيل هيمنة فرعون على كل ضرب من ضروب السلطة ، وأنه قد يكون داعيا لايقاع الظلم بالمتقاضين ، لان الملك يحكم بهواه ، ولانه لا يجد من يرده عن خطئه .

ولقد اناب الملك ، من نفسه بعض وزرائه ليفصلوا فى المنازعات الكبرى ، ومن أشهر وزراء الدولة القديمة (نباح حوتب) وقد عثر على وثيقة تتضمن ما ينصح به هذا الوزير الحكيم من قواعد الحكم التى تدل على سيادة القانون فى هذه الدولة الموغلة فى القدم . قال :

اذا كنت الذى يتلقى الدعوى فكن لطيفا عندما تستمع كلام رافعها . لا تعامله بغلظة بل دعه يتكلم حتى يفرغ قلبه ويستطيع ان يقول لماذا جاء . ان الشاكى يحب الذى يستمع الى شكاته ، حتى ينتهى . وجلسة ملاطفة تريح القلب .

ثم يقول الدكتور بدر : ومن المسلم به — حتى من الذين يشكون فى المكانة الدينية للنظم القانونية الفرعونيه — ان المصريين جميعا رجالا ونساء كانوا امام سيادة القانون على سواء ، فالمحاكم تقضى بينهم ، فى المواد المدنية والمواد الجنائية ، وفى الاجراءات ، على نحو واحد ، لا محاباة فيه ولاتمييز» .

وقد جاء فى الوثيقة نفسها كما ترجمها الى الفرنسية العالم جاك بيرن : ان أحد الوزراء ينهى احد القضاة ان يقاطع الشاكى قائلا : لقد حكيت هذا من قبل ..

وهذا النص يدل — كما يقول جاك بيرن — تعليقا على هذه الوثيقة ان المصريين حتى فى عهد دولتهم القديمة كانوا قد تجاوزوا بكثير ، المرحلة التى كان فيها القضاء ، مجرد اداة لاقامة النظام ، واصبحت الغاية من القضاء توفير احترام الشخصية الانسانية ، وتحقيق اسباب طمانينتها .

ومن النصوص الاخرى ما نقله العالم « ديفرانششى »وهو :«الذى يجرى انه اذا تهرب الملك من المراعاة الدقيقة لما هو مفروض عليه من مبادىء فقد اعتباره كاله ، فلا الالهة يعترفون به ولا الناس يطيعونه »

ويقول فلندرز تيرى فى كتابه «الحياة الاجتماعية فى مصر » الذى ترجمه للعربية حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم :« ان الملك خاضع للقانون والنظام . وكانت سلطات الملك مقيدة كل التقييد . واذن فقد كانت نظرية الحق الالهى مقيدة تقييدا كبيرا بالنسبة لملوك مصر »

ويقول اوستين تيودوريدس : ان الملك — ابتداء من الاسرة الرابعة اصبح راس حكومة مركزية غاية فى القوة ، ولكن كان مجرد قيام جهازها ونظامها ، حائلا دون اى ميل عند الملك لان يحكم كما يبدو له ان الملك ذاته بلغ اعلى مراتب توجيه التشريع ، ولكن القوانين كانت يتلقاها الشعب على انها التعبير عن العدالة فى اعلى مثلها .

والقانون الذى يصدر تبعا للاجراءات الشرعية الصحيحة ، يبقى نافذا ما دام لم يعدل او يلغى بقانون اخر

ونحن نرى حالات يلغى فيها الملك اوامر صادرة من الادارة التابعة له اذا كانت مخالفة للقانون .

وقد ذكر جاك بيرن حالات تقدمت فيها ثلاث عرائض من معابد تشكو من اوامر صادرة من الملك مخالفة للقانون ، وقد استجاب الملك للالتماسات المقدمة والغى الاوامر الصادرة منه شخصيا

جملة القول ان فرعون مصر — دع عنك فرعون موسى — لم يكن عدوا للقانون بل كان حاميه ، ولم يكن يستطيع الخروج عليه ، او الهزء به ، اذ كان الدين والتقاليد والمنظمات المكونة للدولة تتعاون بعضها مع بعض ، لتؤكد أن ملك مصر ، هو سيد البلاد ، بفضل القانون ، وباسمه . فالملك ينشأ منذ طفولته على حب القانون ، واحترامه ، والعمل به ، وتثبيت شعور الخضوع له والاذعان لاحكامه ، ولا يرى فى ذلك انتقاصا لمقامه ، ولا حطا من قدره ، ولا تقييدا من سلطته ، لانه والقانون ، يندمجان حتى يصبحا شيئا واحدا ويصبح الاقرار بهيبة القانون ومكانته ، وسمو سلطانه ، اقرارا بهيبة الملك ، والاذعان له . ولم يكن الحب الذى يملأ قلب الملك للقانون ، مرده ان القانون طيع فى يده ، وانه يصوغه ويشكله كيفما يشاء ، بل لانه يؤمن تماما بأن القانون العادل ، هو بركة الالهة ، وسرهم الذى يصون الملك من الشر والضعف .

على ان اهم من ذلك كله ان الشعب المصرى كله من كهنته وامراء جيشه وحكام اقاليمه وفلاحيه وعماله ، كان يؤمن بالقانون ويقدسه ويعلى من مقامه، ومن ثم كان الملك ، رمزا للشعب فى حب القانون وبسط لوائه ونشر كلمته .

الإمام الشافعي في مصر

« كان الشافعي كالشمس للدنيا .. وكالعافية للناس ... »
« احمد بن حنبل »

● د. محمد عبدالمنعم خفاجي ●

● في يوم الخميس اول ربيع الثاني عام ١٩٩ هـ ـ التاسع عشر من نوفمبر عام ٨١٤ م ، اى منذ اثنى عشر قرنا هجريا ، او١١٦٥ عاما ميلاديا ـ وفد على مصر الفسطاط من مكة المكرمة عالم قريش وامامها ، محمد بن ادريس الشافعي ، ومعه ابنه ابو عثمان محمد (ـ ٢٣٢ هـ) ، ومعه كذلك زوجته حميدة حفيدة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ،ثم بنتاه زينب وفاطمة ، وذلك للاقامة الدائمة فيها ، وكان في ركبه تلميذه ابو بكر الحميدى (ـ ٢١٩ هـ) .

وكانت شهرة محمد بن ادريس العلمية ملء الاسماع والبقاع ، فالعالم الاسلامى كله يذكره بالخير والتقدير والاكبار ...

وصادف دخوله الفسطاط دخول نائب والى مصر الجديد ، الامير العباسى ، عبدالله ابن العباس بن موسى . وكان الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) قد ولى العباس بن موسى على مصر ، فبعث ابنه عبدالله الى الفسطاط نائبا عنه في حكم البلاد . فدخلها في اليوم الذى دخل فيه الشافعى مدينة مصر وعاصمتها ، وقبلة الاسلام فيها ، الفسطاط ...

ونزل ابن ادريس فيها على أخواله من الأزد ، ثم كان في ضيافة عبدالله بن عبد الحكم القرشي (١٥٥ ـ ٢١٤ هـ) ، وهو صديقه وزميله في طلب العلم في حلقة الامام مالك ، رضى الله عنه ، في المدينة المنورة ...

وأخذ ابن ادريس يتردد على جامعة ، أو جامع الفسطاط للصلاة ، ولحضور حلقات العلم فيها . وكان أبو رجب الخولاني العلاء بن عاصم يتولى امامة الجامع العتيق ، جامع عمرو ، أو تاج الجوامع ، ويلقى قصص السيرة والفتوح، في احدى حلقاته ، وكان الشافعي يصلى خلفه ، ويقول فيه : ما صليت خلف أحد اتم صلاة من أبي رجب (١٣٥ و ٢/١٣٦

حسن المحاضرة للسيوطي) .

وها هو ذا ابن ادريس عالم قريش، «الذى ملأطباق الارض علما» كما وصفه الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، يجلس فى جامعة الفسطاط ، فى حلقة علمية خاصة به ، ومن حوله ابنه أبو عثمان ، وتلميذه الحميدى ، ومحمد (١٨٢ - ٢٦٨ هـ) ابن صديقه القرشى عبدالله بن عبد الحكم ، وكان محمد كابيه مالكيا ، ولكنه أنس بالشافعى ، ووثق بعلمه ، ورغب فى الافادة منه ، فاخذ يتردد على حلقة صديق أبيه ، وخاف المالكيون ذلك وأنكروه لما فيه من وضوح الانصراف عن المذهب الى مذهب هذا القادم الجديد ، وشكوا الى أبيه ، فاخذ يخفف من حدتهم ، ويهدىء من ثورتهم ويقول لهم : ان ابنى محمدا شاب صغير، يحب أن يستمع الى الآراء وأن يناقشها .

ثم كان اذا انفرد بابنه يقول له : يا بنى ، الزم ابن ادريس . وكان عبدالله اماما جليلا ، تصدر زعامة المذهب المالكى وتدريسه فى جامعة الفسطاط ، والف كتبا فيه ، وأبناؤه الثلاثة : عبدالحكم (- ٢٣٧ هـ) ، ومحمد (- ٢٦٨ هـ) وعبدالرحمن المؤرخ ، كانوا نجوم الفسطاط ، ملأوا آفاقه علما وفضلا ، وقد جلسوا فى حلقة ابن ادريس ، وافادوا من علمه ، وكان عبدالرحمن من احرصهم على التردد عليها . وكانت أسرة عبدالحكم فى الفسطاط أسرة جاه ومجد وعلم ، يأوى اليها العلماء والادباء والشعراء . ويستظلون بظلها ، ويلقون الكثير من برهم وكرمهم .

وتعهدت ابن ادريس بالبر والرعاية كذلك السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور، حفيدة زيد بن الحسن بن على (١٤٥ - ٢٠٨ هـ) ، وكانت قد هاجرت الى الفسطاط عام ١٩٣ هـ ، وأقامت فيه ، فرارا من اضطهاد العباسيين للبيت العلوى، وظلت فى مصر هى وزوجها اسحاق بن الامام جعفر الصادق رضى الله عنهم، وعاشت فى الفسطاط خمسة عشر عاما الى أن وافاها الاجل عام ٢٠٨ هـ ، وكانت حفاوتها بابن ادريس لا تعادلها حفاوة .

ورأى الناس عالما من قريش ، يجلس فى جامعتهم للتعليم ، يصلى فلا يرون أحسن صلاة من صلاته ، ويتحدث فلا يسمعون اعذب حديثا من حديثه ، مع صباحة وجهه ، وواسع كرمه ، وعلو كعبه فى العلم ، فافتتنوا به ، وواظبوا على الجلوس فى حلقته .

وخف الى مجلس ابن ادريس العلمى فى جامعة أو جامع الفسطاط : البويطى - ٢٣١ هـ والربيع الجيزى (- ٢٥٦ هـ)، والمزنى (- ٢٦٤ هـ) ،والربيع بن سليمان المرادى (- ٢٧٠ هـ) ، ويونس بن عبد الاعلى (١٧٠ - ٢٦٤ هـ) وغيرهم .

واتسعت حلقته اتساعا كبيرا ، حيث أخذ الشافعى يلقى محاضراته فى الفقه واصوله ، وفى التفسير والحديث ، وفى اللغة والادب ، على الطلاب ، ويملى عليهم رسالته وكتبه .

ومع ان حلقات العلم فى جامعة الفسطاط كانت كثيرة وكبيرة ، الا أن حلقة ابن ادريس كثر طلابها ومريدوها كثرة مذهلة ، وصارت بكثرة المترددين عليها أكبر الحلقات العلمية فى الجامع العتيق ، واعظمها اثرا فى خدمة الدين واللغة والادب .

وكان ابن هرم يكتب للاستاذ الجليل ابن ادريس ، والبويطى يقرأ له الدرس ، والطلاب يسمعون ثم يكتبون، وفى زاوية الخشابية بالمسجد الكبير - الجامعة الاسلامية الاولى فى مصر - التى عرفت بابن ادريس كان نسكه وعبادته ، وكان يجلس فيها ليكتب ، ومن حوله تلاميذه ومريدوه .

وكان يبدأ دروسه بالقرآن وتفسيره ، ثم بالحديث وعلومه ، ثم بالفقه واصوله، ثم بالعربية وعلومها .

وكان يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن نظر فى اللغة رق طبعه ، ومن نظر فى الحساب

جزل رايه . وكان يناظر سرج الغـــول الشاعر الاديب فى الادب والشعر والنقد ، وكان لسرج حلقة ادبية كبيرة فى الجامع العتيق .

وكان لابد ان يغضب المالكيون خوفا على مكانتهم الروحية التى زعزعها ابن ادريس ، اذ لـم يصـبحوا فى الصدارة كما كانوا من قبل ، حتى ان « فتيان بن ابى السمح » المالكى الفقيه ناظـر الشـافعى ، واسرف فى اللـدد والخصومة فى مناظرته ، ووجـه الى ابن ادريس كلاما لا يصح ان يقال له ، فعلم امير مصر بالامر ، فعاقب ابن ابى السمح عقابا شديدا زاجرا . واخذ تلاميذ « فتيان بن ابى الســمح » يطاردون كل من يذهب الى محاضرات الشافعى ، غضبا لاستاذهم ، وجـاء عيسى بن المنكدر قاضى مصر فيمابعد على مدى عامين « ٢١٢ ـ ٢١٤هـ » الى الاستاذ العظيم ابن ادريس يلقى عليه اللوم لانه احدث مذهبا جديدا. ولكن الجماهير كانت بالرصاد لكـل من حاول ان يمس مكانة الاستاذ الجليل ، كما كان والى مصر «السرى» « المتوفى عام ٢٠٥هـ» بالمرصـــاد لابن ابى الســمح حيث عاقبه عقابا رادعا .

***

وكان الامام ابن ادريس يذكر مكة المطهرة فى شوق كبير اليها ، ويذكـر امام بغداد احمد بن حنبل « ١٦٤ ـ ٢٤١ هـ » بالشوق والحب ، ويقـول : « لقد وعدنى احمد ان يقدم الى مصر» ويقول لتلميذه يونس بن عبد الاعلى « ـ ٢٧٠ هـ » : يا يونس . ادخلت بغداد ؟ فرد عليه يونس : لا . قال : ما رايت الدنيا ولا رايت الناس .

وكان ابن ادريس يقول عــن ابن عبد الاعلى هذا : مارايت احدا اعقل من يونس بن عبد الاعلى .. وكان احمد ابن حنبل يقول فى الشافعى : « كان الشافعى كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس » ويقول عنه : ما علمت احدا اعظم منه على الاسلام فى زمن الشافعى من الشـــافعى . ويقول : ما رايت احدا افقه فى كتاب الله تعالى من هذا القرشى .

***

وكان ابن ادريس قد ولد فى غـزة عام ١٥٠ هـ ، وبين غزة وعسـقلان عاش مع امه يتيمـا عامين ، ثم ذهبت به الام الى بلده مكة البلد الحرام ، فلما جاوز الرابعة من عمره اقبـل على القرآن الكريم يحفظـه ، وما اتم السابعة الا وقد اتم حفظه وتجريده.

ويقص عن نفسـه قصة حيـاته الاولى فيقول :

« خرجت الى البادية ، فلزمـت هذيلا ، اتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت افصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، ارحل برحيلهم ، وانزل بنزولهـم . فلمـا رجعت الى مكة ، جعلت انشد الاشعار ، واذكر الآداب والاخبار وايام العرب ، فمر بى رجل من الزبيريين ، فقال : لقـد عز على ان لا يكون مع هذه اللغــة ، وهذه الفصاحة والذكاء ، فقه ، فلو حصلت الفقه .. فتكون قد سدت اهل زمانك ..

فقال الشافعى : ومن بقى يقصـد ؟ فقال : هذا مالك سيد المســلمين فى المدينة . فوقع كلامه فى قلبى، فاستعرت « الموطا » وحفظته فى تسع ليال، وعزمت على الرحلة الى مالك » ..

ويقول محمد بن بنت الشافعى : اقام الشافعى على تعلم العربيـــة وايام النـــاس عشرين سنة ، وقال : ما اردت منه الا الاستعانة على الفقه .

اصبح لابن ادريس شان فى حلقـات المسجد الحرام ، لما عرف به من حـدة الذكاء ، وجودة الطبع ، وجمـــال البيان ، وفصاحة اللهجة ، وحسبك به حفظه لكتاب الله وهو فى السـابعة ، وللموطا وهو فى العاشرة ، وتصدره لحلقة فى المسجد الحرام وهـــو فى الخامسة عشرة من عمره ، ثم الاذن له

بالافتاء وهو في العشرين ..

وكان يحفظ من شعر الهذليين وحدهم عشرة آلاف بيت، هذا ماحفظه من شعر العرب وخطبهم وبلاغاتهم .

اخذ في المسجد الحرام العلم والفقه عن أئمة الفقه والتفسير والحديث واللغة ، وجلس في حلقة مسلم بن خالد الزنجي ، مفتي مكة وفقيهها « ـ ١٨٠ هـ » ، وسفيان بن عيينة « ـ ١٩٨ هـ » شيخ المحدثين ،وكان سفيان يقول فيه : هذا افضل فتيان اهل زمانه .

ثم غادر مكة الى مدينة رسول الله، ليأخذ الحديث على مالك شيخ المحدثين « ٩٤ـ ١٧٩ هـ » .وفي حلقته تعرف بالكثير من اترابه الشداة الناهجين نهجه في التعلم والتعليم ..

ولم يلبث ان ولي قضاء اليمن ، بمساعدة مصعب بن عبد الله القرشي وتوصيته عليه عند والي اليمن ،وفي اليمن لقى جماعة من العلماء والمحدثين اخذ عنهم ، وافاد منهم ، كمطرف بن مازن الصنعاني ، وعمرو بن ابي مسلمة صاحب الاوزاعي ، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد امام مصر ، وهشام بن يوسف قاضي صنعاء ، وغيرهم . واتهمه حساده والحاقدون عليه بالعلوية ، ورفع امره الى الرشيد فاستدعاه وساءله ، وكان ذلك عام ١٨٤ هـ فنفى الشافعي ذلك عن نفسه ، وشهد له محمد بن الحسن « ١٣٢ ـ ١٨٩هـ » لدى الرشيد ، وكان محمد زميلا للشافعي في حلقة الامام مالك ، في المسجد النبوي في المدينة المنورة ، فعفا الرشيد عنه ، واخذ يتردد على حلقات العلم في بغداد ، ولم يلبث ان عاد الى مكة، حيث عاود تصدر حلقته في المسجد الحرام .

وزار الامام احمد بن حنبل مكة عامي ١٨٧ ، و ١٩١ هـ وجلس الى الشافعي ، وملأ قلبه وعقله جميعا. وكان احمد يقول فيه لبعض اصحابه تعال حتى اريك اليوم رجلا لم تر عيناك مثله ، ان فاتك عقله فاني اخاف الا تجده الى يوم القيامة . ويقول : مارأيت احدا افقه في كتاب الله تعالى من هذا القرشي . وجاء الاصمعي « ـ ٢١٦هـ » الى مكة ، ولقى الشافعي ، واخذ عنه اشعار هذيل كما اخذ عنه شعر الشنفرى ، ومع جلالة قدر الاصمعي وعظمة تحصيله للغة والادب والشعر ، ولكن ليس ذلك بعجيب على الشافعي ،وقد كان الجاحظ «ـ٢٥٥هـ » يقول فيه: كان لسانه ينفث الدر .

وبعد احد عشر عاما من رحلته الاولى الى بغداد ، عاد عام ١٩٥ هـ اليها ثانية ، في خلافه الامين ،فقضى في العراق عامين ، جلس فيهما الى علماء بغداد ، وجلسوا اليه ،الحسن ابن زياد اللؤلؤى «٢٠٤ هـ» ، والكرابيسى «٢٤٥هـ » ، وابو ثور « ـ٢٤٠هـ» ، والزعفراني «ـ٢٦٠هـ» وقرأ كتب ابي حنيفة « ـ ١٥٠ هـ»، واصحابه : ابي يوسف «١١٣ـ١٨٣هـ» ومحمد بن الحسن « ١٣٢ ـ ١٨٩هـ»: واملى مذهبه القديم في بغداد .

وعاد الى مكة عام ١٩٧ هـ ، ولم يلبث ان تركها الى بغداد ، فدخلها للمرة الثالثة عام ١٩٨ هـ ، ليقيم فيها عدة اشهر ، يرحل بعدها الى مصر الفسطاط ، والى جامعة الفسطاط،في رحلته الخالدة ، التى جاءت في نهايات حياته . .

***

وفي مصر الفسطاط كانت قد نشأت مدارس فقهية كثيرة ، ففيها نبغ عبد الله بن وهب « ١٢٤ ـ ٢٠٠ هـ» احد الائمة المجتهدين ، والليث بن سعد « ٩٤ـ ١٧٥ هـ »، فقيه مصر وامامها ومحدثها . ومن تلامذة الليث : اسحاق بن الفرات «ـ ٢٠٤هـ» ، واسحاق بن بكر «ـ٢١٨ هـ»

وحل الشافعي بالفسطاط ، فتاد

حركة فقهية جديدة ، كان لها صداها العميق في العالم الاسلامي
كان أهل مصر يعتمدون على فتاوى عبدالله بن عمرو بن العاص «ـ٦٨هـ» من الصحابة ، ويزيد بن أبي حبيب « ـ ١٢٨هـ» من التابعين .
كما كان أهل المدينة يتبعون فتاوى عبدالله بن عمر «ـ٧٣هـ» وزيد بن ثابت « ـ٤٥هـ» من الصحابة ، وسعيد بن المسيب «ـ٩٤هـ» من التابعين . وأهل مكة يتبعون فتاوى عبد الله بن مسعود «ـ٣٦هـ» ، وتلاميذه من التابعين . وأهل البصرة يعتمدون على فتاوى أبي موسى الأشعري وأنس بن مالك من الصحابة ، والحسن البصري ، وابن سيرين « ـ ١١٠ هـ» من التابعين . وأهل الشام يتبعون فتاوى معاذ بن جبل «ـ ١٨هـ » ، وعبادة بن الصامت « ـ ٣٤هـ» من الصحابة ، وعمر بن عبد العزيز «ـ ١١١ هـ» وأضرابه من التابعين .
وظهر أعلام من الفقهاء المشرعين ، الذين كانت لهم آراء ومذاهب أثرت التشريع الاسلامي اثراء واسعا .. وفي مقدمتهم :
ـ سعيد بن المسيب بالمدينة « ـ٩٤ هـ »
ـ عروة بن الزبير بالمدينة « ـ٩٤ هـ »
ـ سفيان بن عيينة بمكة « ـ ١٩٨ هـ »
ـ ابن أبي ذئب
ـ ابن جريج « ـ ١٥٠ هـ »
ـ عكرمة مولى ابن عباس «١٠٧ هـ»
ـ الامام الزهري « ٥١ـ١٢٥هـ »
ـ ربيعة الرأي « ـ ١٣٦ هـ »
ـ عبد الرحمن بن مهدي « ١٣٥ ـ ١٩٨ هـ »
ـ ابراهيم النخعي بالكوفة « ـ ٩٦ هـ »
ـ الحسن البصري بالبصرة « ـ ١١٠ هـ »
ـ سفيان الثوري بالكوفة « ـ ١٦١ هـ »
ـ الليث بن سعد بمصر « ٩٣ ـ ١٧٥ هـ »
ـ الامام الاوزاعي بالشام
وتجمعت المذاهب التشريعية في تيارين أو مدرستين كبيرتين .

***

وفي عام ١٩٥ هـ رحل الشافعي الى بغداد ، رحلته الثانية ، في خلافة الامين ، وصارت له حلقة علمية في دار السلام ، تتلمذ عليه فيها الكثيرون ممن أخذوا عنه ، وطرحوا مذهبهم مذهب أصحاب الرأي . وألف الشافعي في هذه الرحلة التي دامت عامين كتابه المشهور « الحجة » ، الذي رواه عنه أربعة من البغداديين ، الكرابيسي ، والزعفراني ، وأبو ثور والامام أحمد بن حنبل .
ولما وفد على مصر أملى فيها ، في جامع الفسطاط، على تلاميذه ، كتبه الجديدة ، التي يجمعها كتابه الخالد « الأم » الذي حمل مذهبه الجديد، وهو المذهب الذي وصل اليه باجتهاده في مصر .
وأساس مذهبه أن الأصل هو القرآن والسنة ، ثم القياس فالاجماع . يقول الكرابيسي « ـ ٢٠٤ هـ » : ماكنا ندري ما الكتاب ولا السنة ولا الاجماع ، حتى سمعنا الشافعي يقول ذلك .. والسنة الصحيحة عند الشافعي تلي القرآن الكريم ، وقد كان يقول : « اذا صح الحديث فهو مذهبي » . وقد دافع دفاعا قويا عن العمل بخبر الواحد الصحيح ، مما نال عليه حظا كبيرا عند أهل الحديث ، ولذا سماه أهل بغداد « ناصر السنة » . وقال محمد بن الحسن فيه : « ان تكلم أصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعي » ، وقال الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا » .
وقد ترك الشافعي الاستحسان الذي قالت به الاحناف والمالكية ،

بل لقد أنكره ، ولم يقل بالقياس الا اذا كانت علته منضبطة ، وردالمصالح المرسلة ، وانكر الاحتجاج بعمل اهل المدينة ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه واسعا . وهو بذلك يجمع بين فقه مدرسة أهل الرأى وفقه مدرسة أصحاب الحديث .

وكتابه «الرسالة» تحمل أبوابه أصول دفاعه عن السنة وحديث الواحد ، وشروط صحة الحديث والخبر المرسل ، ويقول تلميذه المزنى « ١٧٥ — ٢٦٤ هـ » « قرات كتاب الرسالة للشافعي خمسمائة مرة ، وما من مرة منها الا واستفدت فائدة جديدة لم استفدها فى الاخرى . وبالرسالة وضع الشافعي علما كاملا، هو علم أصول الفقه ، وقد عاصر الشافعي الامام احمد «١٦٤— ٢٤١هـ » الذى عرف بشدة اعتماده على الرواية ولقد اذهلت « الرسالة » للشافعي الامام احمد وغيره من جلة العلماء كابن مهدى الذى قال فيها بعد ان قراها : لما نظرت الرسالة للشافعي اذهلتنى .

***

وفى مصر الفسطاط دون كتب الامام ابن ادريس الشافعي تلاميذه المصريون المزنى ، البويطى ، يونس بن عبد الاعلى ، الربيع الجيزى ، الربيع بن سليمان المرادى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم «—٢٥٧هـ» .. وفى مقدمتها : « الرسالة » و « الام » .. وكان الشافعي قداملاهما على تلاميذه فى حلقته بجامعة الفسطاط .

ولم يزل الشافعي مقيما بالفسطاط ناشرا للعلم ، ملازما للتدريس بجامع عمرو ، « او جامعة الفسطاط » ،كما يقول السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة « ١٢٢/١— طبعة الشرقية»

وفى جامع عمرو ، جامعة الفسطاط، كان ابن ادريس الجليل يجالس العلماء والادباء والنقاد والشعراء ورجال البلاغة والبيان ، ويجالس جماهير الناس ، مع مرضه المزمن الذى عذبه طويلا ، « وهو دك البواسير » . وكان فى حلقته : عالم اللغة العميق الاطلاع على كنوزها ، وراوية الشعر الجيد المختار ، ومؤرخ الاحداث الموهوب الذكى ..

وفى آخر عمره تزوج الشافعي أم ولده « دنانير » ، بعد وفاة زوجته حميدة حفيدة الخليفة عثمان بن عفان ، وانجب من دنانيرابنه « أبا الحسن» عام ٢٠٢ هـ . وقد خصص له مرضعة اندلسية اسمها « فوز » . وبذلك كان له ولدان : ابو عثمان محمد ، وأبو الحسن ، وبنتان ، هما زينب وفاطمة .. وهؤلاء هم الذين مات منهم هذا الامام الجليل .

وفضلا عن « الرسالة » التى وضع بها علم اصول الفقه ، والتى كتبها واملاها على تلاميذه فى جامعةالفسطاط فقد الف فى الفسطاط كتاب «احكام القرآن» ، وكتاب « اختلاف الاحاديث » ، وكتاب « ابطال الاستحسان » ، وكتاب « جماع العلم » ، وكتاب « القياس » ،وكتاب «الرد على محمد بن الحسن » ، وكتاب « اختلاف مالك والشافعي » ،وكتاب « اختلاف على وعبد الله بن مسعود»، وكتاب « ما اختلف فيه ابو حنيفة وابن ابى ليلى عن ابى يوسف» ، و «خلاف ابن عباس » ، و « سير الاوزاعى » ، وكتاب « مسند الامام الشافعي » .. اما كتابه «الحجة » فقد الفه فى بغداد .. وهكذا افاد الشافعي الناس والمتعلمين والمثقفين فوائد جليلة ، وقد ظل يكتب ويقرا ويدرس ، والمرض يحاصره ، حتى سقط القلم من يده ، واستاثرت به رحمة الله ، تعالى ، يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من رجب عام ٢٠٤ هـ ، التاسع والعشرين من يناير عام ٨١٥ م ، رحمه الله تعالى

نحو فكر أصيل معاصر

● د . محمد كمال جعفر ●

لا تستغنى اية امة عن الافادة من حصيلة تراثها فى مجال الفكر او السلوك مهما تناءى عنها زمن التراث او تطاول العهد . حتى فى المواقف الفكرية التى قد يبدو فيها ان الامة لم تستثمر رصيدها الفكرى من التراث نجد عند التحليل الدقيق لهذه المواقف ، انها استفسارات عفويا وتلقائيا بما تغلغل فى اعماق هذه الامة من روح المعطيات الفكرية فى هذا التراث ، ان طوعا . وان كرها ، لان زبدة هذه الروح لصقت ولازمت اعمق اعماق هذه الامة عبر تاريخ طويل زاد فى التعميق والترسيخ .

وتتفوق الامم بمقدار نجاحها فى وصل الماضى بالحاضر وصلا منطقيا وفكريا ووجدانيا فى صورة متسقة منسجمة لاتخرجها عن لحظة الحاضر ولاتميعها فى زحمة الفكر القاصر . فالامة التى يحمل فكرها طابع الاصالة والعراقة بامتداد جذوره الحقيقية الى الماضى البعيد ، كما يحمل نبض الحياة المعاصرة المعبرة عن هذه الاجيال فى نسق منسجم ، وتلازم مثمر ، ـ الامة التى يحمل فكرها هذا الطابع ـ جديرة بان تتفوق فى المجالات المختلفة ، لانها أمة لم تفقد امسها ، ولم تخسر يومها ، ولم تجهل غدها .

ولا جدال فى ان الاسلام بما رسم من منهج ، وما قدم من حوافز وما بسط من قضايا ، وما ضرب من امثال ، وما قص من قصص وما ناقش من مسائل قد هيأ المناخ الطيب الذى يهيىء للقرائح والعواطف وانماط السلوك ان تؤتى أكلها وأن تبرز ثمارها الطيبة التى تبدو فى استجلاء أسرار الكون ، واستطلاع آثار وصفات المكون جل جلاله . وبغير أن ندخل فى تفصيل يخرج هذا المقال عن حده نشير اشارة عابرة الى أن استكناه أسرار الكون يشمل كافة العلوم الطبيعية والانسانية على النحو الذى عرضه علماء المناهج وارباب التصانيف فى الشرق والغرب كما أن استطلاع آثار وصفات المكون سبحانه يغطى الجانب الميتافيزيقى

الغيبى الذى يبدأ من هذا العالم الشاهد المحسوس .

وبالفعل رأينا أثر الاسلام فى هذا الثراء العلمى الشامل الذى ضمه تراثنا فى المجالين الكونى والغيبى ، ونحن وإن كنا قد شغلنا فى الآونة الأخيرة بابراز الجانب التجريبى او العلمى بالمعنى الحديث فى تراثنا ، لا نغفل الجانب الميتافيزيقى اوالغيبى مادامت اصوله ومصادره تمد بسبب وثيق بهذا العالم الشاهد المحسوس.

غير اننا وجدنا – نحن المعاصرين – جانبا ضخما من فكرنا وتراثنا يعروه الهمود والجمود والخمود ويكاد يمحوه البلى ويأتيه الموت من كل مكان ، وليس ذلك الا لانه انحرف عن المسار الملتزم بتحرى الحقيقة لوجه الحق سبحانه فى كثير من الاحيان..

لقد عصفت بمساره الاهواء والميول والاغراض الذاتية المحدودة ، سواء أكان الحد فى نطاق الفرد او فى نطاق النظام السياسى لعصر معين اولفترة معلومة .

وبلا استرسال فى الكنايات والرموز نقول : إن جل التراث الكلامى فى الفكر الاسلامى قد اضرت به روح التعصب واللجج والعناد وتاريث الخصومة بين الآراء والفرق المختلفة.

وما كان ينتظر الاسلام من مثل هذا التراث الا أن يكون عونا على القاء الضوء على قضايا العقيدة ، وعلى مايناقضها بنفس الروح القرآنية التى توخت الدقة والامانة واعلاء الحقيقة

فوق كل اعتبار ، ولكنه سرعان ما انقلب الى سلاح فتاك يهدد وحدة الامة ، ويذكى نار العداوة بين افرادها ، ويفتت هذا الكيان المتماسك لغير غاية حضارية . ولايعنى هذا اننا نطالب بان تكون الامة نسخة واحدة مصبوبة فى قالب متحجر من الفكر ، ولكننا **نقول ان التراث علماء** **الكلام سادته روح التعصب والنعرة الانانية المفرطة لدى كثير من المتكلمين الذين كانوا يزهون بافحام الخصم والقامه الحجر – كما يقولون – ان بالحق وان بالباطل اى ان النزعة السوفسطائية غلبت كثيرين من هؤلاء فى جدالهم مع خصومهم .**

واذا تصفحنا الفرق الاسلامية فى ميدان علم الكلام او علم العقائد اوعلم التوحيد ، وهو الصق ميدان فكرى بالمسلم – هالنا هذا العدد الهائل من الفرق ، وهذا الهدير الزاخر من اختلاف الآراء وتناقضها لدرجة يظن فيها الغافل عن حقيقة الصراع ان هذه الفرق لايمكن أن تصدر عن دين واحد.

فاذا اضفنا الى هذا ما تصف به كل فرقة خصومها من الكفر أو الالحاد او الزندقة او الضلال تأكد للملاحظ أن الملاحظة السابقة حقيقة يؤيدها الواقع .

مع أن الواقع ان هناك اسبابا سياسية ومنهجية واجتماعية لتأجيج الصراع وتوسيع الخلاف الذى اذكاه العناد وروح الغطرسة والاستعلاء والاصرار فى بعض الاحيان .

ولن نخص فرقة معينة بالوسم بهذه الصفات ، وانما سنقف الموقف الاسلامى الخالص النزيه الذى يقدر الحكمة والحقيقة من أى وجه جاءت . ولذا نعبر عن هذه الروح فى السطور التالية :

انا نؤمن بأن كل فرقة لديها من الفكر الغث والثمين والحق والباطل ، والطيب والخبيث ، والعقيم والمثمر ، على اختلاف فى معدلات او نسب هذه الافكار بهذه الطوابع .

ونؤمن كذلك بان الفكر الاسلامى لا يمكن أن يحصره علم الكلام او علم العقيدة او علم التوحيد . لأن الفكر الاسلامى يشمل فى الحقيقة ميادين

نحو فكر أصيل معاصر

اربعة ، يشكل علم الكلام واحدا منها. فهناك الفلسفة المدرسية الاسلامية ، وهناك اصول الفقه كما ان هناك ميدان التصوف في مجاله الفكري ، ولا ريب ان كل هذه الميادين اظلها الاسلام واسهم في تشكيلها تياره الدافق، ولا جدال في ان لجوء افراد هذه الميادين الاربعة دون استثناء الى القرآن شاهد يتحدى هؤلاء الذين اولعوا باللمز والطعن والسب والوسم بالكفر والزندقة والخروج من الله لمجرد المخالفة لارائهم .

انا نقول لهؤلاء الطاعنين : انكم تجاوزون الروح الاسلامية السمحة والصدر الاسلامي الرحب ، والافق الاسلامي الواسع ، والمنهج الاسلامي الدقيق الذي يزن الاقوال والاراء بالموضوعية والنزاهة والثقة والغاية النبيلة التي تنشد هداية الحيران وارشاد الضال . وليس اقرب الى ارشاد الضال الذي يحسب نفسه محقا من أن نطبق منهج الرسول الكريم الذي علمه الله أن يخاطب مخالفيه بقوله « وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين » حيث لم يحكم على مخالفه بالضلال من أول الامر فيوصد عليه باب الهدى والرحمة – وهو صلوات الله عليه رحمة الله العامة – وانما شد المخالف الى حكم لا يمارى فيه وهو ان احد الفريقين اما ضال واما محق وذلك يجذب المخالف الى ساحة هادئة فيها تناقش الحقائق بالاخلاص والتزام وهذا هو المناخ الصحيح للنقاش والحوار . من اجل ذلك ثارت تاملاتي فيما درسناه من جوانب عديدة في الفكر الاسلامي وبخاصة ما درسناه وما اشرفنا على دراسته في ميدان علم الكلام والتصوف وما عالجناه من موضوعات في الفلسفة المدرسية ، ووجهت الى نفسي هذا السؤال ؟

هب انك شاب معاصر لم يمر بنفس المراحل التي مررت بها في دراساتنا في الفكر الاسلامي . فهل يمكنك ان تعثر على زاد فكري اسلامي يحمل طابع المعاصرة ؟ هل يمكن للشاب المسلم الآن ان يفهم الاصول الفكرية لعقيدته وان يربط معرفته بقضايا الحضارة المعاصرة ؟ هل يمكن للشاب المعاصر ان يحسم تصوره للحرية او الخير والشر او الصفات الالهية ، او حقائق الآخرة ، او رسالته في الحياة او غير ذلك من القضايا ؟

بعبارة اخرى اقول هل تمكن الجيل السابق وهذا الجيل من توظيف الفكر الاسلامي وتحديثه بحيث يصنع عدة لهذا الشباب في سعة ورحابة افق ، ومحبة للانتفاع بمحصلات التقدم البشري ؟

هل استطعنا الافادة من جهود الاجداد لنبني عليها جهودنا وفق ما تمليه ظروفنا ومواقفنا واوضاعنا الراهنة ؟

والجواب للاسف الشديد بالنفي قطعا ولكنه نفي لايتوخى التيئيس كما تتوخاه اقلام كثيرة .

إننا في الحقيقة اقتصرنا في دراساتنا الاسلامية على ابقاء ما كان على ما كان فالدراسات الاكاديمية والجامعية لا تزال تدرس موضوعات ميادين الفكر الاسلامي متناثرة منفصلة ، مبتورة ويتجلى ذلك بصورة صارخة ومقززة في ميدان علم الكلام حيث يتباهى بابراز تفاصيل الخلاف لكل علم في كل فرقة ، ثم في كل فرقة بالنسبة للفرق الاخرى . والنتيجة ، بلبلة من فوقها بلبلة ، وحيرة تتلوها حيرة .

انى بكل الاخلاص الذى يمليه القلب ادعو الاقلام النزيهة والعقول الناضجة الى تدبر هذه الدعوة : وهى أن ننحو فى دراساتنا الاسلامية الى تلمس أوجه الاتفاق بين المفكرين ورجال الفرق لنركز عليها ونغمرها بالضوء والابراز ، ونترك نقاط الخلاف لنعالج فى حكمة واناة ، فقد نكتشف أن الخلاف ليس حقيقيا فى الواقع وانما هو راجع الى اختلاف المفهوم فى المصطلحات او العبارات ، وقد نكتشف ان مبررات الخلاف كانت مؤقتة وقد زالت الان دواعيه ، وقد نكتشف أن هناك عاملا خارجيا الغاية لا يتصل بحقيقة الرأى او الفكرة التى نعالجها هذا العامل الخارجى هو المسئول عن مثل هذا الخلاف ، ومادام هذا العامل خارجيا ولم يعد ذا وجود الان فلا داعى لاعتبار هذا الخلاف .

ان هذه الفروض السابقة ليست فى الواقع فروضا ، بل هى ملاحظات مستنبطة من كثير من الدراسات التى مكننا الله من القيام بها او الاشراف عليها . ولقد ذكرت فى هذه المجلة الغراء فى عدد سابق انى سعيد بتنفيذ جزء من هذه الخطة الموحدة فى قسم الفلسفة الاسلامية بكلية دار العلوم عن طريق اختيار الدراسة حول الاعلام الموسوعيين ، غير المتعصبين من جهة ، واختيار الجوانب الاسلامية للاتفاق بين الفرق التى يظن انها متباعدة للغاية .

ولقد زادت سعادتى حقا حين وجدت صدق كثير من الفروض التى وضعتها فبالنسبة للاختيار الاول كانت شخصية ابن الوزير من الشخصيات التى قدمت حقا ما يشجع على تنفيذ الخطة ، وبالنسبة للاختيار الثانى تولد امامنا فى القريب دراسة تبرز اتفاق المعتزلة واهل السنة من اشاعرة وما تريدية فى غير حيف او تجن على الحقيقة والتاريخ

انى بكل الحب والاعزاز لكل ذى قلم فى ميدان الفكر الاسلامى بل الفكر الانسانى ادعو الى المعالجة الشمولية لكل قضية فى الميادين الاربعة التى اشرنا اليها بشرط ان تبرز الحصيلة موحدة متقنة الصياغة واضحة المعالم . فلا يكفى مثلا ان نعالج مشكلة كمشكلة الجبر والاختيار ، او الحرية الانسانية فنقول : قال المعتزلة وقال الجبرية وقال الخوارج وقال الفلاسفة وقال علماء الكلام وقال الصوفية وقال الاصوليون ثم نترك القارىء يضرب اخماسا فى اسداس .

بل يجب ان تعطى انت القراءة لجميع هؤلاء وتهضم وتستوعب وتستفيء بالقرآن وبروح الاسلام العامة ، ثم تصوغ ما هضمت وما استوعبت بحيث يظهر فى الملك نصيبك انت من الفهم والبصر والتبصيرة والمعاصرة .

وقد يساعدنا فى هذا جهود المتخصصين فى كل ميدان على حدة ، اذ نحن نطلب منهم عرضا مهضوما مستوعبا لحصيلة وزبدة الاراء فى اهم القضايا المثارة ، وتلك مرحلة توحيد ضرورية ، تتلوها المرحلة الاخرى التى يتم فيها توحيد وتنسيق مافى الميادين الاخرى .

انى ادرك صعوبة وضخامة ما ادعو اليه ، لكن الهدف المتوخى والثمرة المرجوة من هذا العمل تغريان بتحمل الصعاب ، وبذلك الجهد المضنى للوصول الى ما نريد . ولكى يذلل لنا الطريق علينا من الان ان نتخلص من

نحو فكر أصيل معاصر

التعصب لارائنا أو تخصصاتنا أحسب بل يجب ان نعتقد دائما أن بامكاننا اثراء أفكارنا ، وذلك اعتراف بحاجتنا الى هذا الاثراء ، واعتراف بقلة بضاعتنا ، وقديما قال سلفنا : لا يزال الرجل عالما ماظن نفسه جاهلا ، فاذا رأى انه عالم فقد جهل . وواضح أن المراد عدم التوقف عن طلب الحقيقة ومبدأتها العلم .

علينا الا نبخس الناس اشياءهم فنعترف بالفضل لذويه وعلينا الا نحبس انفسنا فى قوقعة الذات على اى مقياس فأرض الله واسعة ، وخلقه كثيرون ، وعطاؤه غير محظور ، وغير محصور فقد يكون عطاؤه ملكة او اداة يوجد بها التميز ، وقد يكون عطاؤه بسطة فى العلم والجسم ، او بسطا فى الروح والشعور ، أو حزما فى السلوك وقوة فى التطبيق .

وباختصار كما اختلفت الاطعمة والروائح التى دبجتها صنعته فى عالم الطبيعة ، تختلف الالوان والمشارب والافكار والعواطف التى دبجتها صنعته فى عالم الانسان .

واذا كان سيرى آياته فى الآفاق وفى الانفس ، فما أحرانا نحن المسلمين بأن نكون أكثر الناس تحضرا لادراك الحقيقة واثراء الفكر واثارة الوجدان وترقية السلوك .

ان الوفاء بتحقيق هذا التطلع رهن بهذه النظرة الموسوعية المستوعبة التى توحى بالايجابية وتغذية جوانب الفال والامن والسلام .

وقد يتاح لنا فى فرصة أخرى عرض مثال مفصل لما امكن انجازه فى هذا المضمار على يد هذه الزمرة الطيبة من ابنائى فى الله والعلم ، هذه الزمرة التى احتسبها دائما كتبا حية نابضة بالحب والود والرغبة فى العلم .

وفى ضوء ما سبق أحب ان انبه هؤلاء الذين يدعون الى ضرورة انطلاق الفكر المعاصر من هذه الفرقة أو تلك الى انهم يلعبون بالنار التى ستحصد اقلامهم اول ما تحصد ، لا لان هناك تيارا يعادى هذه الفرقة أو تلك ، ولكن لان جلال الفكر الاسلامى يسمو على أفكارهم ، ويتجاوز حدود تطلعاتهم السطحية .

كما ننبه هؤلاء الذين تسيل اقلامهم باليأس ، وتنضح بالاسى لانهم لا يجدون فى زعمهم فكرا اسلاميا ، أو لايجدون فلاسفة بالمعنى الصحيح . وقد يكون لبعض هؤلاء العذر لاختفاء الصورة الموسوعية للفكر الاسلامى من اذهانهم وعدم تمرسهم بالتراث او مصاحبة القرآن الكريم .

ان من اعجب العجب ان نجد من لايكاد يقيم آية واحدة من القرآن يطلق الاحكام فى الفكر الاسلامى !! ! ان عددا غير قليل ممن يكتبون فى قضايا الفكر الاسلامى يلجأون الى المعاجم فى استخراج الآيات القرآنية — شأنهم فى ذلك شأن المستشرقين . والمعاجم مفيدة ولاشك بالنسبة لتحديد الآيات ، وتفسير بعض الكلمات ، لكنها لايمكن ان تفى بجوانب المراد فى الآيات القرآنية ، أنها اذا صلحت فى بعض الكتب فانها لا تصح فى القرآن حتى بعد استشارة كتب التفسير .

ان للقرآن ذوقا خاصا ، وروحا ذاتية تجعل من يطيل عشرته ومصاحبته ذا بصر يفوق من يتلقف آياته فى لحظات عابرة ليقيم رأيا او يحتج لفكرة . وهمه كله مصروف الى تأييد الفكرة — وفى بعض الاحيان تسديد الخانة .

لقد ورد كثير من العلماء على اختلاف تخصصهم معين القرآن فكان

منهم النحوى الذى اراد ان يستشهد لقواعده ، ومنهم البلاغى الذى تلمس أوجه الحسن والبلاغة فيه، وكان منهم اللغوى الذى تلمس دلالة المفردات وقراءاتها واصواتها ، وكان منهم المفسر الذى تصد الدلالات والمعانى وتوخى أسباب النزول وما الى ذلك ، وكان منهم الفقيه الذى اراد استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها القرآنية وكثير غيرهم انتجع القرآن ليحقق غرضا محددا . ولكن هؤلاء جميعا وبلا استثناء ـ وقعوا واوقعونا معهم فى خطأ فادح مازلنا نعانى آثاره حتى اليوم .

هؤلاء جميعا بداوا بالتخصص فى وسيلة معينة لتحقيق غاية معينة ، واطالوا صحبة الوسيلة وتفننوا فيها حتى انقلبت هذه الوسيلة على أيديهم غاية كبرى .

ولناخذ مثالا على ذلك من النحو : لقد اريد من النحو ان يرشد طلاب العربية الى ابسط القواعد التى يجب مراعاتها لصحة الاداء فى المفردات والجمل ، ولصحة الفهم لكتاب الله وسنة رسوله، ولصحة الفهم والانتفاع بالحصاد الحضارى فى اللغة العربية . اذن كانت الغاية العون على صحة الاداء وفهم الاداء . لكن النحاةتوسعوا وتفننوا فى تضابا النحو وابوابه ومشاكله وفرعوا مسائله الى حد جعل احدهم يقول : أموت وفى نفسى شىءمن حتى . وهكذا انقلبت الوسيلة الى غاية ، وتنوسيت الغاية الاصلية وقد تنبه كثير من الادباء والخلفاء الى هذه المشكلة ، ولكن جميع الظروف كانت تسير فى غير صالح اللغة العربية حيث يصرف الناس من اللب ، وتستقصى جهودهم فى المظهر .

والغريب المريب حقا ان تعلم أن قواعد النحو لم تتخذ القرآنمصدرها مع انه من النظرة العلمية الخالصة لم يكن امام رجال النحو نص عربى موثق يبلغ فى الوثاقة ما بلغه القرآن، ومع ذلك صيغت قواعد النحو من التراث العربى ثم لجىء الى القرآن فما وافق هذه القواعد كانبها، وان لميوافقها اعتبر شاذا !. وضع معكوس كما ترى . ولو تعاون رجال البلاغة مع رجال النحو لاخرجوا لنا عدداًاقل من القواعد ، واخصب من جهة النفع والفائدة . وكذلك جميع الفروع العلمية ، انقلبت فيها الوسائل الى غايات .

واخشى الآن ان اقول ان هذه العادة قد استشرت حتى فى حياتنا اليومية وفى حياتنا الثقافية ، بل وفى الحياة السياسية لكثير من الدول العربية .

هذا الداء يمكن ان نسميه بمرض الوسائل التى تنقلب غايات ولا يعوز القارىء اللبيب تشخيص موقف الرفض الحالى فى ضوء هذا المرض.

اننا نريد ان نسمى الاشياء باسمائها الحقيقية ، وان نفرق بين الغاية والوسيلة لا للتقليل من شان الوسيلة ، بل لاعطاء كل ذى حق حقه فلا يطغى طرف على طرف .

ان تحديد الوسيلة وقدرها ،والغاية وقيمتها منهج علمى يلح الآن سواء اكان فى التعليم ، او فى الادارة ، او فى السياسة ، وهو الاتجاه الحضارى الذى يوفر علينا كثيرا من عناء السنين ●



من حوادث الطيران

مفتاح صغير تحركه مليمترا.. انتهى كل شيء!!

● كانت القصة رحلة يقوم بها طيار من أكبر طياري شركة أوروبية كبرى من مطار نيروبي الى مطار جوهانزبرج مدة الطيران ساعة ونصف ، ولكن الطيار الذي خلف وراءه عشرة آلاف ساعة من الطيران ووصل الى درجة طيار أول وقع في خطأ يسير جدا كلف الشركة: الطائرة وتسعة وخمسين ضحية ... والخطأ كله تعلق بها ببساطة نامقتضية لقد بنفسه ..

● جلس الكابتن كريستيان كرازاه ٥٣ سنة ، في مكانه أمام لوحة القيادة في الطائرة الجامبو في مطار نيروبي .. جلس مسترخيا واثقا بنفســـــه لأنه يعتبر أبرز الطيــــارين الأول في شركته التي تعتبر من أكبـــر شركات الطيران في العالم ، وقد خلف وراءه أكثر من عشرة آلاف ساعة من الطيران قطع فيها مسافات الطيران العالمية

عشرات المرات ، حتى الدوران حول الارض عن طريق القطب كان من اوائل من قاموا به ، وجربه عشرات المرات بعد ذلك وهو مغمض العينين .لهذا جلس الآن متراخيا لأن الرحلة التى امامه رحلة قصيرة ، أو لا شيء كما كان يقول ، وان المسافة من نيروبي الى يوهانزبرج ، تقطع في أقل من ساعة ونصف ساعة ..

كان رجلا طويل القامة نحيف الوجه، ملامحه تتحدث عن عزيمة وثقة بالنفس .. الساعة الآن السابعة والدقيقة ٣٢ والطائرة تأخذ وقودها من الكيروسين قبل ان تأخذ البنزين .

انها تأخذ ٢٧٠٠٠ من الكيروسين وحوالي ٧٢ الف لتر من البنزين .. الطائرة تسمى هسين ووزنها بحمولتها ووقودها ٧٠ طنا ، وبهذا الوقود يرتفع هذا الطائر العملاق في الهواء .. والتفت الكابتن كرالك الى مساعده وقال :

سنبدأ بقوة مخففة للموتورات .. اضبطها على ناقص ٣ لمواعد إشارة البدء ..

ونقل مساعد الطيار الكابتن شاك أمر رئيسه ، وابلغ بذلك مهندس الطائرة هان ، ونادى كرالك برج المطار : برج نيروبى : هنا طائرة رقم ٥٤٠ نرجو الأذن لنا في تشغيل الموتورات .

ورد برج المطار – طائرة رقم ٥٤٠ شغلوا محركاتكم ..

كلمة خاطئة ثمنها ٥٩ ضحية !

وادار مهندس الطائرة هان ، محركات الطائرة الجامبو الاربعة ،بادئا بالمحرك رقم ١ ثم رقم ٤ ثم رقم ٣ على هذا الترتيب ، ولاحظ أن جهاز تسخين المحركات لا يعمل بالضبط كما يريد ، ولكن لا بأس ، فتلك هي البداية وذلك أمر عادي، لأن الموتورات لن تلبث ان تصل الى حرارة عالية، وهنا يعمل الجهاز بصورة طبيعية .

وكانت الشركة التى يعمل فيها أولئك الطيارون وهي من اعظم شركات الدنيا قد طلبت بصفة خاصة من الشركة الصانعة للطائرات بان تصمم جهاز رفع حرارة الموتور بصورة خاصة ، لأن الفنيين في الشركة لا تعجبهم اجهزة التسخين التى تعملها الشركة ، وبالفعل عدلت كل أجهزة التسخين بحسب ما اشار المهندسون والطيارون الالمان .

ونظر الكابتن كريستيان كرالك الى اللوحة امامه ووجد أن المحركات الاربعة تعمل عملا عاديا ، وقال مساعد الطيار الكابتن جاك ، الآن نحن في حاجة الى تشغيل محرك الكهرباء لاننا سننفصل الطيارة عن مورد الكهرباء من الارض . فالطائرات عندما تكون على الأرض تستخدم التيار من المطار وقبل الصعود تشغل المحرك الخاص بها قبل أن تنفصل تماما من تيار المطار .

والتفت مساعد الطيار وقال للكابتن: الآن انفصلنا عن التيار الارضي والمحرك يعمل على مايرام ..

الساعة الآن السابعة وسبعة واربعون دقيقة ، وقال الكابتن كرالك مخاطبا برج المطار : الطائرة ٥٤٠ .. أسمحوا لنا بالتحرك نحو نقطة الصعود .

وجاء الرد : طائرة ٥٤٠ تستطيعون التحرك فى المدرج رقم ٢٤.

ونظر الكابتن كرالك من مجلسه في غرفة القيادة التى ترتفع عشرة امتار عن الارض ، وكان يقف على الارض قرب الطائرة المهندس كارل هاينس بركلس وهو المهندس الفنى التابع لشركة الطيران فى مطار نيروبى ، ولكن



شركة من شركات الطيران الكبرى مهندس طيران فنى خاص فى كل مطار تنزل فيه طائرات الشركة، ووظيفته الأشراف على كل العمليات الفنية الخاصة بطائرات شركته ، وفى حالتنا هذه هو الذى قام بفصل تيار الكهرباء فى الطائرة عن التيار الأرضى حتى تستطيع طائرة الجامبو الهائلة الانفصال عن الأرض .

وبالفعل اشار بيده للكابتن بان كل **شىء قد تم** حسب الاصول ، وانزل **الكابتن** العصا التى تسمح للطائرة بالتحرك للامام نحو المدرج ..

اسراب الطيور التى تحوم حول المطارات .

خطأ جسيم يهدد كل الطائرات الثقالة .

واخذت الطائرة الضخمة التى يبلغ طولها ٦٠ مترا وعرضها ١٩ مترا **تتحرك نحو المدرج رقم ٢٤ لكى تقف فى النهاية عند النقطة التى توضع فيها كل محركاتها فى اقصى قوتها لتحلق فى الهواء ...**

وقال الكابتن جاك هل افحص الفرامل . . . فقال له كرارك ؟ فحصتها انا .

وقال مساعد الطيار : واجزاء اجنحة الطيارة ؟

وقال الطيار : لقد فحصتها وعليك ان تتاكد بنفسك .

وفعلا تاكد بنفسه وقال : عشرة على عشرة .

ومعنى ذلك ان كل اجزاء اجنحة الطائرة التى تتحرك وتقوم بعملية الفرامل تعمل بانتظام وانها الآن موضوعة بزاوية عشر درجات .

ثم قال الكابتن كرارك :

« جرين » .. ومعنى ذلك : الضوء الاخضر ، وهو الدلالة على ان جزء جناح الطائرة الامامى وضع فى وضعه الضرورى للحظة قيام الطائرة .

وكان هذا هو الخطأ الذى وقع فيه الطيار الكبير والذى كان سببا فى **الكارثة !**

وسجل جهاز التسجيل الموضوع فى « الصندوق الاسود » فى الطائرة هذه الكلمة ، وبعد الكارثة وبعد أن عثروا على الصندوق الاسود ، عرفوا

السبب الذى ادى الى الكارثة وهى كارثة بالنسبة للركاب والطائرة وبالنسبة للطيار ايضا ، فانه على الرغم من انه لم يصب فى الحادثة بضرر كبير الا ان حياته كطيار انتهت لان خطأ جسيما كهذا يعنى ان الشركة تستغنى عنه ، ومعنى ذلك انه لا يستطيع ان يعمل لشركة اخرى .

وقال مساعد الطيار : الانستطيع ان نطلب الاذن بالطيران ...

وسكت بما يفيد موافقته وجاء الرد من برج المطار تستطيعون الطيران ـ الرياح ساكنة .

وكانت الطائرة قد وصلت الى نقطة الانطلاق فى الجو وشغل الكابتن كرارك محركات الطائرة الى اقصى قوتها ونسى ان وضع اجزاء الاجنحة التى تحكم سرعة الطائرة غير مضبوط.

وقال الكابتن مخاطبا برج المطار : كل شىء على مايرام !

وجاء الرد : نعم ، تستطيعون الطيران .

واخذ كل من الكابتن كريستيان كرارك ومساعده هانز يواكيم شالك ، مكانه امام اجهزته وثبتت انظارهم فى اللوحات والساعات ذات الارقام والمؤشرات ذات الالوان امامهما ..

وقال الكابتن كرارك لمساعده :نحن الان على ف ١ـ ١٢٠ عقده، ومعنى ذلك ان الطائرة ستبدأ بسرعة ٢٢٠ كيلو مترا فى الساعة ، وهذه السرعة ستزيد عندما تجرى الطائرة على المدرج فى طريقها فى ارتفاعها عن الارض .

فى تلك اللحظات كان ركاب الطائرة يثرثرون ويتحدثون وقد ربطوا الاحزمة غير عارفين بانهم على دقائق من كارثة كبرى !

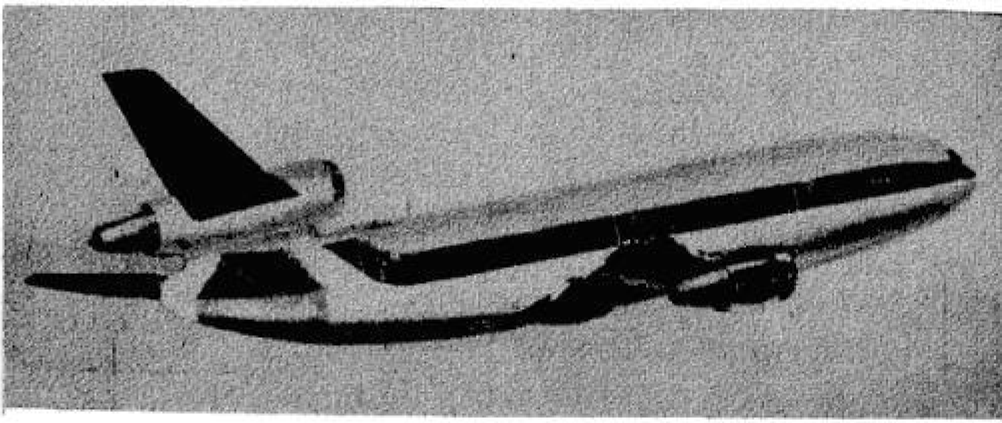
ونظر الكابتن كرارك الى الساعات والمؤشرات امامه فلم يجد فيها شيئا غير عادى ، ولكن لامر ما كان يحس ان صوت المحركات فيه شىءلايعجبه، واعاد النظر مرة بعد اخرى الى ما امامه ، ثم التفت الى صاحبه وقال : ولكن شيئا ما لا يعجبنى هنا .. لنراجع معا كل شىء قبل ان نتحرك .

وبالفعل راجع كل الاجهزة وكل المؤشرات حتى العجل ، فحصا معا الاجهزة التى ترفعه وتهبط به ،ولكن لسوء الحظ فاتهما معا انيتنبها الىان المفتاح الذى يحرك اجزاء الاجنحة ليس موضوعا فى وضعه تماما ، انه يعين حركةلجزء من الاجنحة وارتفاعه بدرجة ١٠٪ ، وهذا امر لا يجوزعند شروع الطائرة فى الطيران وقد نسى الكابتن انه حرك هذا الجزء من الجناح باصبعه .

ولم يطمئن قلبه ولكن لم يكن من الطيران مفر فقد انقضت عليهم الان سبعدقائق وهم فى نقطة الانطلاق ومحركات الطائرة كلها تعمل ، والطريق امام الطائرة مفتوح وبرج المراقبة قد اعطى الاذن من ثمانى دقائق ..

وقال كرارك : اننى غير مستريح، ولكن لا بد ان نطير ساحرك عصا الطيران الى اسفل ، وليكن ما يكون .. ولكن قبل ان يفعل هذا قال مساعد الطيار : انتظر لحظة حتى اتأكد من جهاز العجلات ، ربما كان هو السبب فى هذا الصوت الذى لا يعجبك .

وانتظر دقيقة اخرى ثم انزل الكابتن كرارك العصى الى اسفل ايذانا بالشروع فى الطيران وبدات الطائرة ٥٤٠ فى التحرك الى الامام والكابتن ينظر الى كل الساعات والمؤشرات امامه فى حالة عصبية وقلبه يخفق ربما للمرة الاولى .



وانطلقت الطائرة بأقصى سرعتها ولكنها لم تصعد فى الجو فى الوقت المحدد لذلك . ونظر الكابتن الى مؤشر السرعة فوجده لا يشير الى السرعة المطلوبة للانطلاق .

لم ينتبه لسوء الحظ الى النظر الى محرك الاجنحة ، وكان لابد من ان تهبط قطعة الجناح المرتفعة الى مستوى الجناح كله لكى تأخذ الطائرة سرعتها المطلوبة ، وبدأت الطائرة تهتز وتصبب العرق على جبين الكابتن ، والتفت الى مساعده وقال : يا الهى! الا تلاحظ شيئا .. لماذا لا تصعد هذه الملعونة ؟ .. ما الذى فعلته ؟!

وكانت الطائرة قد ارتفعت ثلاثين مترا عن سطح الارض ، ولكنها لا تريد أن ترتفع اكثر من ذلك فما الذى حدث ؟

من الممكن جدا أن تصطدم الطائرة الآن بأى شىء ارتفاعه حوالى ثلاثين مترا ، ثم هاهى تهبط .. وفى اللحظة الاخيرة تنبه مساعد الطيار الى المفتاح المحرك للأجنحة ، ومد يده لكى ينزله ، ولكن فى هذه اللحظة كانت الطائرة قد اصطدمت ببيت ، وانقلبت الدنيا واشتعلت الطائرة نارا ، لقد وقعت الكارثة !

ولم يعش مساعد الطيار الكابتن شالا لكى يقول ماشاهده ، ويكشف عن سر هذه الكارثة وربما كان هو المسئول عنها ولكن الطيار الكابتن كريستيان كرارلا نجا من الموت .. وعندما افاق فى المستشفى تذكر كل ما حدث وعرف أن ٥٢ من ركاب الطائرة لقوا مصرعهم ، من بينهم مساعده الكابتن شالا واثنان من المضيفات ومهندس الطائرة وهو صديقه العزيز .

وهز رأسه فى اسف وتأمل جسمه المحطم ومرت على شفتيه ابتسامة مريرة .

وقال : ليتنى انا الآخر قد مت ، لأن الشركة ستفصلنى ، ولن تأخذنى شركة اخرى .. لقد اصبحت كالعضو المصاب بالسرطان لابد من استئصاله .. لقد انتهى كل شىء ، الخبرة والعمل والمستقبل .. ترى ما سبب هذه الكارثة . ؟

قصـــة نجـاح أدبـــــــى ..
هى فى ذاتهـا أسطـــــورة



عندما كتب فولفجانج جيته قصة آلام الفتى فيرتر ، كان يتحدث عن نفسه، فقد تعرف عندما التحق بخدمة كارل اوجوست امير ساكس سنة ١٧٧٦ بالقـاضي الشاب يوهان كريستيان كيستنلز وزوجته شارلوت بوف ، واحب شـارلوت ، ولكنه تبين ان هذا حب مستحيل فانصرف عنه ، ثم وقـع في غرام فتاة بارعة الحسن هي التي وصفها في القصة باسم شارلوت وهي مكسمليان برتفانو ابنـة الشاعرة المعروفة صوفي فـون لاروش وعشقها عشقا ملك عليه نفسه كلهـا حتى استقال من عمله لكي يغادر فايمار ويبعد عن مكسمليان ... ثم بلغه نبـأ انتحار شاب مسكين وقع في شراك حب ميئوس منه ، فاكتمل في ذهنه اطار قصة آلام فيرتر وكتبها في شهر واحد ، ولم تكد تخرج للسوق حتى بيعت الطبعـات العشر الاولى في عام واصبح جيته في طليعة ادباء عصره وشعرائه وهـو بعد في الرابعة والعشرين من عمره .

آلام فيرتر

هي والقصة والقصيد

هذه قصة تجمع المرأة والقصة والقصيد على اجمل بساطة واقربه الى الروح ...

انها قصة الشاب الفنان الطيب القلب «فيرتر» الذي احب « شارلوت » زوجة صديقه « كيستنر » حبا ملك عليه نفسه كلها وملأ حياته حتى لم تعد له حياة خارجه .. وقد نشأت مأساته من ان « شارلوت » كانت امرأة كاملة : كانت اجمل بنات زمانها فى نظر « فيرتر » وكانت اشرفهن ايضا ، فلم ينل منها ((فيرتر)) شيئا،ولاهو طلب شيئا،لانه كان انسانا مهذبا شريف النفس ، طوى نفسه على حبها وقنع من حبه بالاحلام ، والنظر من بعيد ..

واحست « شارلوت » بحبه وعطفت عليه . فلا هي صدمته ولاجرحت احساسه بكلمة ، واحس بذلك الحب زوجها ، وعرف ان زوجته تستطيع ان تسوس امرها سياسة حسنة ، فكان رفيقا كل الرفق مع «فيرتر» ، وكل ذلك كان يزيد آلامه ويملأ نفسه حسرات ، فان هواه يحرق قلبه ، والمحبوبة امامه وبيتها مفتوح له ، فهو العطشان الذي يجرى الماء تحت قدميه ولا يستطيع ان يشرب !

ثم ان نفسه النبيلة تأبى ان تطوف بها أبسط فكرة سيئة ... ولم يستطع ان يتعزى عن حبه بحب آخر ، ولم يجد سبيلا آخر فى الحياة يسلكه ، ولم يبق أمامه الا ان يضع حدا لحياته بيده ! ..

وبعد ظهر يوم من الايام وبعد ان كتب آخر خطاباته يصف فيها مشاعره ، ويؤكد انه يغادر الدنيا غير آسف على شيء فيها ، يستلقى على فراشه ويفرغ فى راسه رصاصة ، وتنتهى بذلك اجمل قصة حب عرفها الادب الاوروبى ! ...

انها امرأة بديعة كل ما فيها جميل هى « شارلوت » ، وهى قصة كاحسن ما يكون القصص .

وهي قصيدة تروع النفس موسيقاها ..

انها هي والقصة والقصيد فى عمل ادبى فنى واحد ، يعد من روائع الاعمال الفنية فى التاريخ وصاحبها واحد من اربعة يعدون اقطاب الادب العالمى كله على مر العصور ، وهم وليام شيكسبير ، ودانتى اليجييرى ، وميجيل دثرفانتس ، وولفجانج جيته ، مؤلف « آلام فيرتر » هذه ..

وتوجز القصة فى سطور حتى تعرف عم تتحدث « فيرتر » ، وهو فى الحقيقة « جيته » ــ شاب المانى متخرج فى كلية الحقوق ، انه من أسرة كريمة ميسورة الحال ، فالحقه « كارل ارجست » أمير ساكس فايمار فى خدمته واعجب به اعجابا شديدا ، فقد كان الامير فى الثامنة عشرة من عمره وكانت سن « فيرتر » ثلاثا وعشرين سنة ، وكانت الحياة فى بلاطات أمراء المانيا قبل توحيدها على يد « بسمارك » جميلة رخية قليلة التكاليف والمسئوليات ، وكان القائمون بالعمل فيها دائما من أبناء أسر النبلاء ، وكان « فيرتر » أو « جيته » من بينهم .

هناك دعي « فيرتر » الى حفل راقص ، فمضى بعربته التى يجرها حصانان الى

بيت جارة وأمها ليأخذهما معه ، وكان عليه بعد ذلك ان يمر الى دار القاضي « يوهان كريستيان كيستنر » ليأخذ زوجته « شارلوت » الى نفس الحفل ، وكان « كيستنر » قاضيا شابا موسرا جدا وعلى مستوى رفيع من الخلق والثقافة ، ولكنه كان مسافرا تلك الايام ليصفي مسائل تتعلق بتركته من ابيه ، وكان على « شارلوت » زوجته ان تذهب الى الحفل في رفقة بعض الاصدقاء ، وأرادت الصدفة ان يكون « فيرتر » هو صاحب الحظ .

ووصل بعربته وجارته وأمها الى دار « شارلوت » ، وهنا وقع نظره عليها للمرة الاولى ، وكانت النظرة القاضية ، فقد استقرت « شارلوت » في أعماق نفسه ، ولم تخرج بعد ذلك أبدا ! ..

اول ما رآها حسد نفسه على حسن حظه ان كتب له ان يتعرف على هذه الانسانة الملائكية في نظره واحساسه ، ولكن القدر كان يخبىء له ما لم يكن يحتسب ، فهذه المرأة « شارلوت » كانت القدر الذي كتب له ، فقد أحبها حبا عجز قلبه الضعيف عن حمله مع الزمن ، فقد كانت مخطوبة للقاضي الشاب « يوهان كيستنر » ، وكانت تحب خطيبها وتعجب به ، ولا تلبث ان تتزوجه ، ويوم الزفاف يحضر « فيرتر » مأتم نفسه وحبه ، ولكنه كان لابد ان يحضر لكي يرى «شارلوت» في ثوب الزفاف ، ولكي يسعد بابتسامتها ويهنىء « يوهان كيستنر » بزواجه ويتمنى له السعادة ...

***

وقد وصف «فيرتر» مشاعره يوما بعد يوم في خطابات بالغة الرقة والعمق والجمال كان يبعث بها أول الامر الى صديقة له تسمى « ليونور » ثم الى صديق يسمى « فلهلم » . وهذه الخطابات تحمل القصة كلها وتعبر عن مأساتها في بلاغة لم نعد نحن نستريح اليها اليوم ، فهي بلاغة الرومانسيين ، بلاغة اللفظ الانيق والشاعرية المرهفة والتحليق مع الخيال الشاعري الى مداه . ونحن اليوم لا نستريح لهذا الطراز من التعبير الادبي ، فان «فيرتر» ينفق احيانا الصفحات بعد الصفحات في وصف الطبيعة وجمالها ، أو في الحديث عن جمال « شارلوت » ورقة صوتها وابداع مشيتها . ثم انه يؤله صاحبته ولا يرى فيها أدنى عيب ، فهي عنده صفوة الجمال وبدعة الخلق .

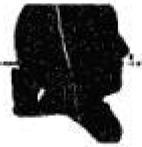
ولكن هذه كانت روح العصر ، «وجيته »في صدر شبابه» وعندما كتب آلام « فيرتر » كان رومانتيكيا بل كان من طلائع أهل هذا المذهب ، بل هو الذي أعطاه الدفعة الكبرى بروايته البديعة تلك : آلام الشاب فيرتر .

***

وعندما نتأمل شخصية شارلوت كما يصورها « جيته » نجد أن صورتها شعر خالص ، فهي امرأة قصيدة ولقد تحدث عنها « جيته » صفحات بعد صفحات ، فاذا أردنا ان نتصورها في هيئة آدمية لم نستطع ، لان « جيته » لم يعط محبوبته صورة آدمية ، انها جميلة جدا ولكننا لا ندري أكانت شقراء أم سمراء ، أكانت طويلة أم قصيرة ، ولا ندري ما لون عينيها لان الرجل لم يرد ان يعنى امرأة بذاتها ، وانما أراد ان يقدم لنا المرأة في هيئة روح جميل ساحر ، بل انه يذكر ان مرآها يشفي العليل .

قال في رسالته بتاريخ أول مايو :

« في وسعي ان اعرف من تجربة قلبي مدى العزاء الذي تستطيع « شارلوت » ان تمنحه لمريض ، فقلبي يعاني من بعادها او غيبتها أكثر مما يعانيه كثير من المساكين الذين يلزمهم المرض الفراش ، فقد رحلت « شارلوت » لقضاء بضعة أيام في البلد مع امرأة فاضلة جدا نفض الاطباء أيديهم



منها ، فتمنت هذه السيدة ان تكون « شارلوت » بجوارها في لحظاتها الاخيرة، وقد صحبتها في الاسبوع الماضي في زيارة قس قرية س ، وهي قرية صغيرة على الجبل على مسافة مرحلة من هنا ، وقد وصلنا الى هناك في الساعة الرابعة ، وقد صحبت « شارلوت » اختها الصغيرة ·

ولما دخلنا فناء بيت القس وجدنا الرجل المسن الطيب جالسا على مقعد امام الباب في ظل شجرتي لوز كبيرتين ، وما ان ابصر « شارلوت » قادمة حتى بدا وكانما دبت فيه حياة جديدة ، فنهض ونسي عصاه ، وغامر بالسير اليها»

والظن ان مثل هذا التسامي بالمحبوبة لم يخطر قط على بال كاتب قبله أو بعده· ونحن عندما نقرأ هذا الوصف «لشارلوت» الذي يجري به قلم «فيرتر» ندرك لماذا استحال عليه الزواج منها حتى لو لم تكن مخطوبة ، فهذه امرأة لم تخلق للزواج وانما للفرجة من بعيد ، فهي على الحقيقة ـ وكما يصفها « فيرتر » ـ لم تكن امرأة بل نموذج امرأة ، وهنا كانت مأساة « فيرتر » ، فهو يحب امرأة هي الجمال كله والطهر كله والعفاف كله ، امرأة شفافة كانها بلا جسد ، ثم انها كانت محرمة عليه فقد كانت مخطوبة لصديق له هو الاخر غاية في النبل والكمال ، فهو يفتح له قلبه وبيته ، ولا يكاد يعبس في وجهه مرة مع علمه بتعلقه بزوجته . فكان هذا الموقف من الزوج أقسى على « فيرتر » من موقف العداء والكراهية ، ولو ان الزوج القاضي كيستنر ـ حرم على « فيرتر » دخول بيته أو ناله بكلمة لكانت تلك فرصة « لفيرتر » ليدخل في صراع كرامة وعناد ، أما هذا الاكرام نفيه من بعض الوجوه احتقار او عدم اكتراث ، كان « فيرتر » رجل لا يخشى باسه ولا تخاف صولته ، وكان ذلك في نهاية الامر سببا من أسباب يأس «فيرتر» ودافعا له الى الخلاص من حياته ، اذ انه أحس انها تافهة وبلا هدف ولهذا فقد سهل عليه ان يضع نهاية لها ··

***

وشيئا فشيئا يختل شعور هذا المسكين ، لان تفكيره كله اصبح يدور حول هذه المرأة ولا شيء سواها ، وزاد في آلامه انها في الحقيقة لم تكن بالسمو الذي كان يتصوره فقد كانت تلجأ الى استثارته سخرية منه واستصغارا لشأنه، ولكن المسكين لم يكن يلاحظ شيئا · لقد اصبح مثله في ذلك مثل مجنون ليلى · تحول الحب في نفسه الى عبادة ، ومن المؤكد ان قيس بن الملوح لو قد أتيح له ان يتزوج ليلى لما تزوجها ، لانه كان عاجزا عن ان ينظر اليها على انها امرأة من لحم ودم ، وانما هي في احساسه مخلوق من سحر ونور ، وكيف يتزوج رجل من سحر ونور ··· وكما فارق قيس الحياة وهام في الوديان ،كذلك «فيرتر» استقال من عمله في القصر وحطم بذلك مستقبلا زاهرا ، لان شيطان الحب سيطر عليه وقطع الصلة بينه وبين الحياة ·

واقرأ معي هذا الخطاب الحزين الذي كتبه في اخريات ايامه الى صديقه فلهلم :

« لقد انتهى أمري ، ولم اعد **اطيق هذه الحال اكثر من هذا ·· لقد كنت جالسا اليوم مع شارلوت وهي تعزف على البيانو مقطوعات بديعة بتعبير عميق جدا ، وكانت اختها الصغيرة تلبس دميتها ثوبها وهي جالسة في حجري وطفرت من عيني الدموع ، وانحنيت الى الامام ونظرت الى خاتم زواجها · فتساقطت عبراتي ··**

وعلى الفور شرعت تعزف تلك المقطوعة الاثيرة على قلبي التي كثيرا ما سحرتني · وشعرت بالراحة لتذكر الماضي ، في تلك الايام الخوالي عندما كانت هذه المقطوعة مألوفة لي ، وعندئذ تذكرت كل الاحزان وضربات القدر التي نزلت بي من ذلك

الحين ، ورحت اذرع الحجرة بخطوات سريعة ، وغص قلبي بمشاعر اليمة ، واخيرا ذهبت اليها ، وهتفت بها في لهفة :

ـ سألتك بالله ، لا تعزفي هذه المقطوعة بعد الآن !

فتوقفت ونظرت الى في اشفاق وقالت بابتسامة غابت في اعماق نفسي :

ـ امريض انت يافيرتر؟ اني ارى احب طعامك اليك قد صار بغيضا ، أرجو ان تذهب حتى تهدأ نفسك ..

فانتزعت نفسي من مجلسها انتزاعا وانصرفت ..

يا الهي ، انت مطلع على عذابي ، فاجعل له نهاية » .

***

وتلك كانت رسالته قبل الاخيرة الى صاحبه «فلهلم» . بعد ذلك كتب خطابا اخيرا قال فيه : « لكم يراودني طيفها !.. انها ملء روحي كلها يقظان ونائما ، فما ان اغلق عيني حتى اجد عينيها السوداوين مطبوعتين ها هنا في مخي ، حيث تتركز اعصاب البصر ، ها هنا ! ولا ادري كيف اصفهما، وكل ما اعرفه انني متى اغمضت عيني وجدتهما مرتسمتين امامي داكنتين كالهاوية ، مفتوحتين تبتلعان كل حواسي ! .

***

بعد ذلك لم يكتب « فيرتر » شيئا ، اصبح عاجزا عن التفكير المنظم ، وبقية اخباره اتتنا عن طريق الناشر الذي تولى طبع رسائله التي تتضمن مأساة حياته ..

ويقول هذا الناشر ان جذور الاسى والسخط ضربت في مسارب عميقة من نفس « فيرتر » ، واختل نقاش تفكيره . وادت الاثارة المتواصلة والاهتياج المقلق اللذان اضعفا قواه العقلية الى أسوأ النتائج على نفسيته ، فاصبح في نهاية المطاف فريسة اعياء شامل كان يحاول مكافحته بمجهود ضخم كان يهد ما بقي في كيانه من قوة هدا . وكان في نفس الوقت يناضل تكبانه الاخرى ، واضعف قلقه النفسي ملكاته المتعددة الصافية ، وسرعان ما انتهى الى الكآبة والانقباض عن الناس ، فهو دائما حائر غير موفق في افكاره . مع تزايد تعاسته وشقائه ، وهذا على الاقل كان راى اصدقائه ومنهم زوج «شارلوت» وهو سبب شقائه كله .

***

واروع ما في هذه القصة او القصيدة هو نهايتها .لقد قرر «فيرتر» ان يضع حدا لحياته . ودون حزن او أسف اخذ يعد العدة للرحيل عن هذه الدنيا ، وقال لبعض اصحابه انه سيقوم برحلة الى بلد بعيد ، واستعار مسدسين من « ألبرت ». قال له انه ذاهب للصيد . ولم يخطر ببال « ألبرت » ان « فيرتر » استعارهما ليضع بواحدمنهما حدا لحياته ، فارسلهما اليه . وعلمت « شارلوت » بذلك فريعت للخبر ، لقد كانت تحس وتدرك بحسها الدقيق ما اراده « فيرتر » برحلته الى مكان بعيد ، وارادت ان تستعيد المسدسين ، ولكنها لم تستطع ...

واليك نهاية القصة كما رواها «جيته» باسلوبه المبدع وكان آخر مافعله «فيرتر» خطابا اخيرا كتبه الى شارل وألبرت واغلقه وقال فيه :

« انظري يا شارلوت ...

.. وأريد ياشارلوت ان ادفن في الثوب الذي ارتديه الآن ، فقد اكتسب قداسة من لمسك اياه .. وقد طلبت تلك الحظوة ايضا من ابيك .. ان روحي تحلق فوق لحدي .. ولا أريد ان يفتش احد جيوبي .. وهناك تلك الانشوطة من الشريط الوردي الذي كنت ترتدينه فوق صدرك اول مرة رايتك فيها ، والاطفال من حولك ــ قبليهم الف مرة نيابة عني

وابلغيهم مصير صديقهم المنكود .. يخيل الى انى اراهم يلعبون من حولى .

يا للاطفال الاعزاء ... لكم تعلقت بك بكل حرارة ياشارلوت ، منذ الساعة الاولى التى رأيتك فيها . وكم استحال على أن افارقك .. تلك الانشوطة يجب ان تدفن معى ، فقد كانت هديتك الى فى يوم عيد ميلادى . لكم يبدو كل شيء مختلطا ، وما كان يخطر ببالى انى سأسلك هذا الطريق ، ولكن ليحل عليك السلام ياشارلوت

« الغدارتان محشوتان والساعة تدق الثانية عشرة وأنا أقول ان شارلوت .. شارلوت وداعا . وداعا » .

ورأى أحد الجيران الومضة ، وسمع دوى الغدارة ، ولكن لم يلبث السكون ان ساد ، فطرد ما رأى وما سمع من ذهنه ..

وفى الصباح فى الساعة السادسة دخل الخادم حجرة « فيرتر » وفى يده شمعة فالفى سيده ممدودا على الارض، غارقا فى دمه ، والغدارتان الى جانبه . وناداه واحتواه بين ذراعيه ، ولكنه لم يفه بجواب . ولم تكن الحياة قد فارقته بعد ... فأسرع الخادم الى جراح ، ثم ذهب لاحضار « البرت » ، وسمعت «شارلوت» صوت الجرس فاستولت عليها قشعريرة باردة وأيقظت زوجها ، ونهض الاثنان وافضى الخادم الغارق فى دموعه اليهما بالنبأ فوقعت « شارلوت » مغشيا عليها

ولما أتى الجراح الى «فيرتر» العاثر الحظ وجده لم يزل راقدا على الارض وقلبه ينبض . بيد ان أطرافه كانت باردة وكانت الرصاصة قد دخلت من الجبهة فوق العين اليمنى واخترقت الجمجمة ، وكان شريان فى ذراعه اليسرى مفتوحا والدم يسيل منه ، ولم تزل أنفاسه تتردد ...

لما كان هناك دم يتساقط من فوق الكرسى ، فلا بد انه أقدم على فعلته الطائشة وهو جالس الى مكتبه ، ثم سقط بعد ذلك على الارض .. حيث وجد ممددا على ظهره قرب النافذة بملابسه الكاملة .

وعلى الفور ساد الاضطراب الدار والجيرة والمدينة كلها ، ووصل « البرت» وكانوا قد سجوا «فيرتر» فى فراشه وربطوا دماغه بالضمادات ، وعلت وجهه صفرة الموت . وأطرافه لم يكن بها حراك ،ولكنه لم يزل يتنفس بقوة أحيانا وفى وهن أحيانا أخرى .. وصار موته متوقعا فى أى لحظة .

وكان قد شرب كوبا واحدا من النبيذ وزجاجته المفتوحة فوق المكتبة .

ولن أقول شيئا عن نكد « البرت » أو عن حزن « شارلوت » ...

وأسرع ناظر الزراعة الشيخ الى الدار فور سماعه بالنبأ ، وعانق صديقه المحتضر وسط فيض من الدموع ، وسرعان ماحضر الكبار من أولاده راجلين ، وفى حزن لا يوصف جثوا على ركبهم بجوار سريره وقبلوا يديه ووجهه . وكان أكبرهم وآثرهم عنده ، فتعلق به الى ان فاضت روحه ،ولم يبعدوه عنه بعد ذلك الا قسرا .

وفى الساعة الثانية عشرة لفظ «فيرتر» أنفاسه الاخيرة وكان لحضور ناظر الزراعة وللاحتياطات التى اتخذها أثرهما فى منع الازعاج . وتحت جنح الليل فى الساعة الحادية عشرة تمت مواراة الجثمان فى المكان الذى اختاره فيرتر لنفسه .

وتبع ناظر الزراعة وأولاده الجثمان الى القبر . ولم يتمكن « البرت » من مرافقتهم فقد كانت حياة « شارلوت » ميئوسا منها .. وقد حمل بعض الفلاحين الجثة، ولم يحضر الدفن قسيس ...

المرأة والشعر



● د . محمود علي مكي ●

● حديث المرأة ، والحديث الى المرأة ، ومن المرأة — لابد ان يكون قريبا الى كل نفس سوية ، محببا اليها .. وقد تزايد هذا الحديث في الآونة الاخيرة ، لاسيما منذ أن عدت السنة الماضية هي سنة المرأة الدولية . ثم كان تولي احدى السيدات رياسة الحكومة البريطانية بعد ان انتخبت زعيمة لحزب المحافظين مناسبة اخرى للحديث عن مسيرة المرأة في التاريخ البشري وحصولها على مزيد من الحقوق ، حتى لم يعد هناك من فرق بينها وبين الرجل . والواقع ان ماوصلت اليه السيدة البريطانية لم يكن شيئا جديدا ، فقد سبقتها الى رياسة الوزارة سيدات في بلاد اخرى من العالم لم تبلغ من النمو والرقي مابلغته بريطانيا ، ولكنه كان شيئا جديدا بالنسبة لبلد مثل انجلترا تعد من اكثر بلاد العالم حفاظا على التقاليد ونفورا من البدع المستحدثة ، مما اعتبر ذلك معه انتصارا جديدا تسجله المرأة في رحلة كفاحها الطويلة .

على ان حديثنا اليوم لن يكون عن كفاح المرأة السياسي او الاجتماعي ، وانما عن الدور الذي باشرته في الفن الادبي ، وهو دور كان دائما يساير مكانة المرأة بصفتها قسيمة الرجل وشريكته في مسيرة الحياة . وان كانت هذه المكانة تتفاوت من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة . وقد كان لهذا الدور دائما شقان : واحد بصفتها ملهمة للفنان موحية له بابدع ماتتفتق عنه قريحته ، والآخر اكثر ايجابية بصفتها هي فنانة مبدعة .

وقد جسم الاغريق معنى قوة المرأة الموحية بكل الوان النتاج الفني في صورة جميلة في اطار ماتصوره الميثولوجيا الاغريقية الوثنية من تنظيم للقوى المدبرة للكون وتوزيعها على عدد من الالهة وانصاف الالهة والالهات . فقد تخيلوا للفنون والعلوم تسع آلهات ملهمات ، يقول هزيود انهن كن بنات زيوس كبير الالهة . وقد اطلق على كلٍّ منهن اسم musa وعلى مكان اجتماعهن اسم « Museion » وهذا هو أصل اسم museum . الذي يعني الآن « متحف الآثار الفنية » . فهناك ملهمة للشعر الملحمي « Caliope » : وأخرى للشعر الغنائي Euterpe ، وثالثة لشعر الغزل والحب Erato ورابعة للرقص والجوقات الدرامية Terplacore ، وخامسة للمسرح الكوميدي Talia وهكذا .

كذلك عرف الادب الافريقي القديم نساء كانت لهن مشاركة مباشرة في الفن الادبي بصفتهن اديبات منشئات ، ولعل أشهرهن سافو Saffo التي عاشت في القرن السادس قبل الميلاد وكانت شاعرة عاطفية عشقت فتى لم يبادلها الحب ، فانتهى الامر بها الى الانتحار . وقد بقي من نتاجها الشعري نشيد في التعبد بافروديت « فينوس » الهة الحب والجمال . ولكن عدد من اشتغلن بالفنون عامة من النساء في الثقافات القديمة لايكاد يذكر بالنسبة لعدد من زاولوا العمل الفني من الرجال .

***

فاذا انتقلنا الى الادب العربي وجدنا أن المرأة باشرت فيه منذ القدم دورا ملحوظا بشقيه : ملهمة ومنشئة . والادب العربي الجاهلي حافل بما يثبت ذلك . ويدفعنا هذا الى الحديث عن مكانة المرأة في المجتمع العربي القديم . ونلاحظ أن الباحثين القدماء والمحدثين كثيرا ما الحوا على هوان شان المرأة العربية في الجاهلية ، مستندين في ذلك الى ماورد في القرآن الكريم من اشارات عديدة تندد ببعض العادات الجاهلية المقوتة مثل واد البنات واساءة معاملتهن وماكان يتملك الرجال من الغيظ والحزن اذا اخبر احدهم بميلاد بنت له . وهذا حق بغير شك ، ولكن القرآن الكريم نفسه حينما شدد في النهي عن هذه العادة الوحشية اشار الى اسبابها واهمها الفقر او خشية الفقر ، فهي اذن عادة كانت مقصورة على الفقراءالمملقين وان كان لها قدر من الفشو في جميع قبائل العرب . ويقدر بعض الباحثين المحدثين ان نسبة من كانوا يئدون بناتهم في الجاهلية ربما بلغت نحو العشر من مجموع عدد الرجال ، ونظنها اقل من ذلك . ولكن التشريع القرآني الحكيم بشموله واحاطته ماكان ليهمل الدعوة الى القضاء على هذه العادة الهمجية الفظيعة حتى وان كانت نسبة مزاوليها ضئيلة لا تتجاوز القلة صغيرة .

وانما نقول ذلك لان هناك شواهد كثيرة تدل على ان مكانة المرأة الجاهلية لم تكن على العموم بهذا القدر الذي تصوره الناس من الهوان والانحطاط ، بل كان هناك تفاوت بين احوال النساء بحسب شرفهن واحسابهن ومكانة اسرهن وقد ساق ابن حبيب في كتابه « المحبر » أسماء عدد كبير من النساء كان لهن من علو المكانة ومن احترام المجتمع لهن نصيب عظيم اما لشرف او لثروة او لمجموعة متنوعة من الفضائل .

بل ان بعض من درسوا أحوال المجتمع العربي القديم قد توقفوا امام ظاهرة الاسماء المؤنثة التي حملتها بعض القبائل مثل خندف وجديلة وسلول وباهلة . وكان من هؤلاء روبرتسون سميث Robertson Smith » في كتابه عن الانساب والزواج في بلاد العرب القديمة » ، اذ راى في هذه الظاهرة دليلا على وجود ما اصطلح على تسميته بـ « دور الامومة » في تاريخ المجتمع العربي القديم . ويقصد به تلك المرحلة التاريخية التي لم يكن فيها الزواج منظما حينما كان الرجل يتصل بالمرأة ثم يتركها الى غيرها من النساء ، والمرأة يتعاقب عليها عدد من الرجال فيكون النسب الصحيح هو العزو الى الام لا الى الاب . وهي مرحلة تاريخية اجتازتها غالبية الشعوب القديمة ، ثم بمرور الزمن ارتقت الحياة الاجتماعية وتنظمت علاقات الزواج واصبحت له اعرافه وتقاليده المرعية ، وازداد الترابط بين افراد الاسرة . وبهذا انتقل العرب الى مايمكن ان يسمى بالدور الابوي الذي اصبحت القبائل فيه تحمل اسماء آبائها لا أمهاتها . وقد اخذ بهذه النظرية ايضا العالم الالماني السويسري باخوفن

Bachofen الذى رأى ان هذه الظاهرة قد تكررت من قبل فى حياة الشعوب السامية القديمة ، وان هذا الانتقال من دور الامومة الى دور الابوة لم يكن بدعا عند العرب .

ومهما يكن من امر وسواء اصحت هذه النظرية ام لم تصح فعلينا ان نسجل انه على الرغم من هذا التطور فان وضع المرأة عند عرب الجاهلية خلال العصر السابق مباشرة على الاسلام لم يكن بالغ السوء كما اعتقد الكثيرون . صحيح انه فى مثل هذا المجتمع البدوى الجاهلى الذى كانت الحروب « المعروفة باسم أيام العرب » تشكل أهم مظاهر نشاطه الحيوى — لابد ان يكون للرجل فيه مركز الصدارة وأن يكون دور المرأة ثانويا بالقياس الى الرجل .

ونعود الى الادب الجاهلى ، فنرى أن المرأة تحتل فيه نصيبا ليس بالقليل، وان اسهامها فيه قد شمل النواحي الثلاث بصفتها ملهمة ومنشئة وناقدة .

أما كونها مصدر وحى للشعراء فان ذلك واضح من تأمل أجمل ما وصل الى ايدينا من نماذج الشعر الجاهلى ، فنحن لا نكاد نجد قصيدة تخلو من الافتتاح بالحديث عن المرأة والتعبير عن احساس الشاعر نحوها واسترجاع ذكرياته مع الحبيبة وبكاء مابقى من آثار ديارها . وهذه المقدمة هى التى اصطلح على تسميتها بالنسيب ، وتتفرع منها موضوعات كثيرة ، الا أن محورها الرئيسى هو المرأة .

هذا النسيب او الغزل يشغل من تراث الشعر الجاهلى مكانا واسعا ، وهو يكاد يكون مدخلا لا غنى للشاعر عنه للتحدث عن الاغراض الاخرى التى تهمه من فخر او حماسة او مديح . ثم هو غنى متنوع يفترق الى شعب كثيرة نجد من بينها الوقوف على الاطلال ، ووصف مشاهد الرحلة فى الصحراء وغير ذلك من الموضوعات الفرعية . اما شعر الغزل المباشر فانه ايضا يتفاوت ويتنوع حسب طبيعة الشاعر نفسه وذاتيته وحالته النفسية وسنه ، فمنه غزل عفيف محتشم ، ومنه غزل صريح جرىء ، وقد يكون حزينا متشائما وقد يبدو فيه التفاؤل والبهجة والاقبال على الحياة ، والشاعر قد يتغزل فيه بعربية حرة شريفة ، وقد تكون صاحبته جارية او قينة او ساقية فى مجلس شراب ، وهو غزل قد تدور مشاهده فى بيئة صحراوية خشنة ، وقد توجد فى بيئة حضرية او آخذة بنصيب من الحضارة .

ولكن الغالب على وصف الشاعر للمرأة هو الجانب الحسى ، فهو يتأمل مفاتن المرأة الجسدية ويستعرضها ويشبه أعضاءها بما يراه محققا للجمال بينه وبينها ، ويظهر ذلك بصفة خاصة عند الشعراء الفرسان والصعاليك . مثل امرىء القيس وطرفة بن العبد والاعشى ، ومنهم من يقتصد فى ذلك فيجتزىء باللمحة السريعة والاشارة الموحية مثل عنترة . ولكنهم يتفقون فى الاهتمام بالمظهر الخارجى لجمال المرأة ، وهذا أمر طبيعى فى تلك البيئة العربية الجاهلية التى كانت تتخذ المرأة لونا من الوان المتاع الحسى .

ومع ذلك فلم يخل الشعر الجاهلى من سمو روحى يتوقف فيه الشاعر عند الحديث عن محاسن صاحبته ، بل تبدو لنا فيه العلاقة الروحية النبيلة بينه وبينها ، ويظهر ذلك بصفة خاصة عند الشعراء والصعاليك .

فالشاعر الفارس عنترة بن شداد الذى لا يكاد يصور لنا من جمال حبيبته عبلة الا سحر ابتسامتها وطيب ريحها لا يلبث ان ينتقل الى مخاطبتها فى اجلال

نبيل وان لم يكن فيه شيء من الخنوع والذل ، حريصا على ان يؤكد لها ان فروسيته وشجاعته ومآثره في الحرب انما هي من اجل مرضاتها :

ولقـــد نزلت فلا تظنى غيره ... منى بمنزلة المحب المـكرم
يا عبل لو ابصـــرتنى لرايتنى ... فى الحرب اقدم كالهزبر الضيغم
ان تغدفى دونى القنـاع فاننى ... طب باخذ الفـارس المستلئم
اثنى على بمـــا علمت فاننى ... سمح مخالقتى اذا لم اظـلم !

وفى قصيدة اخرى يصور لنا عنترة سلوكه مع النساء ، فنرى فيه سموا وعفة لا نعهدهما كثيرا فى الشعر الجاهلى :

ما استمت انثى نفسها فى موطن ... حتى اوفى مهـرها مـــولاها
اغشى فتاة الحى عند حليلهـــا ... واذا غزا فى الحرب لا اغشـاها
واغض طرفى مابدت لى جـارتى ... حتى يوارى جـارتى ماواهــا
انى امرؤ سمح الخليقـــة ماجـد ... لا اتبع النفس اللجوج هـــواها

ويحدثنا الشاعر الصعلوك الشنفرى الازدى عن زوجته اميمة ، فيرســم لها لوحة رائعة تثير الاعجاب لا بمحاسنها الجسدية ، وانما بصفاتها الروحية والخلقية ، ويدهشنا أن تصدر هذه الصورة عن رجل كانت حياته كفاحا من اجل لقمة العيش ينتزعها بصعوبة فى تلك البيئة الصحراوية القاسية بالاغارة وقطع الطريق ، وهو مع ذلك يصفى زوجه مودة رقيقة وحبا روحيا ساميا ، وانها لجديرة بذلك ، فهى امراة محتشمة تمضى لشانها فلا تتلفت ولا تتبرج ، وهى كريمة ترعى جاراتها وتهاديهن ، وهى حفيلة على بيتها وشرف زوجها ، حيية قليلة الكلام ، عفيفة طيبة حنون تضفى على زوجها حنانها وحبها حينما يعود الى داره بعد كفاحه اليومى المضنى ، فيجد عندها الراحة والسكينة ، وهو واثق بحسن سيرتها فلا يحتاج حتى الى سؤالها كيف قضت يومها وهو بعيد عنها :

لقد اعجبتنى لا سقوطا قناعها ... اذا ما مشت ولا بذات تلفــت
تبيت بعيد النوم تهدى غبوقهـا ... لجاراتها اذا الهـدية قلــت
تحل بمنجـــاة من اللـــوم بيتها ... اذا ما بيوت باللامـة حلت
كان لهـــا فى الارض نسيا تقصه ... على امها وان تـكلمك تبلــت
اميمة لا يخـــزى ثناها حليلها ... اذا ذكر النسوان عفت وجلــت
اذا هو امسى آب قسرة عينـــه ... مآب السعيد لم يسل اين ظلــت

غير ان كل الزوجات لم يكن على نحو ما وصف لنا الشنفرى من حســن السمت وجمال الخلق ، فقد كان من بينهن أيضا ـ كما هو الامر فى كل زمان ومكان ـ من تستحيل الحياة معهن الى جحيم مستعر . فهذا هو علباء بن ارقم اليشكرى يصف لنا زوجة من طراز آخر : امراة شديدة المراس ، تستقبله بوجه عابس ، ولا تكف عن شكواه الى جاراتها دون أن ترعى له حرمة كبر سنه وشيبه ، وهى متقلبة غريبة الاطوار ، فهى تارة وديعة طيعة ، واحيانا اخرى شرسة جشعة تلح عليه فى المطالب ، فاذا لم يستجب لها شرعت فى الشجار والصياح ، فلا تنام ولا تدعه يخلد الى شيء من راحة ، ويظلان على هذا النحو والجارات يتسمعن مايدور فى بيته من عراك . وينفد صبر الزوج المسكين فيتهددها بما لن ينجم عنه الا الندم فى سوء المصير :

الا تلكما عرسى تصد بوجههـــا ... وتزعم فى جاراتهـا ان من ظـلم
ابونا ، ولم اظـــلم بشيء عملتـه ... سوى ما ترين فى القذال من القدم
فيوما توافينا بوجه مقســـــم ... كان ظبية تعطو الى ناضر السلم

المرأة والشعر

ويوما تريد مالنا مع مالها ... فان لم ننلها لم تنمنا ولم تنم
نبيت كأنا في خصوم عرامة ... وتسمع جاراتي التالي والقسم
فقلت لها إن لا تناهي فانني ... اخو النكر حتى تقرعي السن من ندم

وقد يضيق الشاعر بالنساء عامة ، فيصطنع الحكمة ويلقى علينا بخلاصة تجاربه مع النساء كما فعل علقمة بن عبدة الفحل اذ يقول :

فان تسالوني بالنساء فانني ... بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب راس المرء او قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ شباب عندهن عجيب

ولكن المرأة التي تحدث عنها الشاعر الجاهلي لم تكن الحبيبة او الزوجة فقط ، بل نحن نجد ايضا صورة الام التي اعتز بها الشاعر اعتزازا كبيرا . فهذا هو المتلمس الضبعي يبلغه أن بعض الناس قد عرض بأمه ، فيغضب لذلك وتثور حميته ، فيلقى بهذه الكلمة :

يعيرني امي رجال ولن ترى ... اخا كرم الا بان يتكرما
ومن يك ذا عرض كريم فلم يصن ... له حسبا كان اللئيم المذمما
وهل لي ام غيرها ان تركتها ... ابى الله الا ان اكون لها ابنا

وقد يحدث في حياة بعض الشعراء ما يوجب عليه أن يعقد مقارنة بين الزوجة والام . ويكون السبق في هذه المفاضلة للام بطبيعة الحال . تذكر الاخبار أن صخر بن عمرو بن لشريد « وهو اخو الخنساء ومرثيها » جرح في احدى المعارك جرحا خطيرا ، فمرض وطال مرضه ، وكان قومه يعودونه فاذا سالوا عنه امرأته سلمى ابت الضجر وقالت : لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى ، وصخر يسمع كلامها ، ويسألون امه فتقول : اصبح سالما بنعمة الله . فشق ذلك عليه وقال

ارى ام صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
فاى امرىء ساوى بام حليلة ... فلا عاش الا في شقا وهوان
اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد ايقظت من كان نائما ... واسمعت من كانت له اذنان

❀❀❀

واما المرأة الشاعرة فاننا نرى لها امثلة كثيرة في الجاهلية ، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب المختارات الادبية القديمة من أسماء العديد من النساء ، بل ان بعض المؤلفين قد اختص موضوع شاعرات العرب بالكتابة ، واورد ابن النديم في كتابه « الفهرست » أسماء كثير من هذه الكتب ، نذكر من بينها كتاب « اشعار النساء » للمرباني الذى عاش في القرن الرابع الهجرى ، وهو كتاب ضخم بقيت منه قطعة مخطوطة نشرت مؤخرا في العراق .

وربما كانت اعظم شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الاسلام الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد لسلمية ، وقد اشتهرت بمراثيها لاخيها صخر ، وتستغرق هذه المراثي ديوانا كاملا نشر منذ سنوات طويلة في بيروت ، والحقت به مراثى ستين شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية والاسلام .

وشعر الخنساء يفيض بهذه اللوعة الانثوية المحرقة ونحس فيه بالصدق والاخلاص وعفوية التعبير ويكفينا ان نعرض نموذجا من نماذج من رثائها لصخر :

الا ما لعينك ام ما لها ... لقد اخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من ال الشريـ ... ـد حلت به الارض اثقالها

فاليت آسى على مــالك | واســال باكيــة ما لها
لعمر ابيــك لنعــم الفتى | تحش به الحــرب اجذالهــا
حديد السنان ذليق اللسان | يجازى المقارض امثالهــا
ساحمل نفسى على آلــة | فاما عليهــا واما لهــا
فان تصبر النفس تلق السرور | وان تجزع النفس اشقى لها
نهين النفوس وهــون النفو | س يوم الكريهة اشــقى لها
ونعلم ان منــايا الرجــا | ل بالفــة حيث يخلى لهــا
فان تك مــرة اودت به | فقد كان يــكثر تقتالهــا
فخر الشوامخ من قتـــله | وزلزلت الارض زلزالهــا
وزال الكواكب من فقــده | وجللت الشمس اجلالهــا

***

ونصل الى الناحية الثالثة من نشاط المراة الادبى وهو دورها بصفتها متذوقة للفن الادبى مسهمة فى تقويمه ونقده . ولعل اول من نعرف لها آراء فى نقد الشعر من نساء الجاهلية هى أم جندب زوجة امرىء القيس . فرواة الاخبار يزعمون أن علقمة بن عبدة الفحل كان ينازع امرأ القيس الشعر ، فقال علقمة : قد حكمت امراتك ام جندب بينى وبينك . وقبل امرؤ القيس ذلك وتحاكما اليها فقالت ام جندب : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة . فقال امرؤ القيس قصيدته التى اولها :

خليلى مرا بى على ام جندب | نقض لبانات الفــؤاد المعذب

وقال علقمة قصيدته التى أولها :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب | ولم يك حقا كل هذا التجنـــب

ثم أنشداها جميعا فقالت ام جندب : علقمة أشعر منك . وذكرت سبب تفضيلها لشعره ، فغضب امرؤالقيس ولم يرض حكومتها وطلقهــا فى إثر ذلك .

والمثل الثانى نجده لدى الخنساء حينما تلاقت هى وحســـان بن ثابت فى سوق عكاظ فى محضر النابغة الذبيانى ، فطلبت الخنساء الى حسان ان يسمعها اجود شعره ، فلما لعل اقبلت على ابياته بالتحليل والنقد لفظا لفظا حتى افحمته ولم يحر جوابا .

***

ويعم الاسلام بنوره جزيرة العرب ، وتتحقق بفضله للمراة ووضعها فى المجتمع مكاسب كثيرة ، ويعين ذلك على أن يصبح للمراة فى الحياة دور اكبر بكثير مما كان عليه فى الجاهلية .

أما شعر الغزل فقد تعددت اتجاهاته فى العصر الاسلامى والاموى ، واصبح اغنى واكثر تنوعا بكثير مما كان عليه فى الجاهلية ، واعان على ذلك ما اصابته مدن الحجاز من ثراء ونعيم بفضل ماصب فيها من اموال الفتوح ومن الرقيق الاجنبى وما ترتب على ذلك من نهضة فنى الغناء والموسيقى وكثرة عدد المغنين والمغنيات . وقد كان من آثار ذلك ان تطور الغزل تطورا واسعا فى شــكله وموضوعه كما أوضح ذلك استاذنا الدكتور شوقى ضيف فى كتابين له جليلين « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » و « الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية » ، فقد اتجه الغزل الى الاوزان الخفيفة واصبح تصـــــويرا لاحاسيس الحب فى مجتمع تمتعت فيه المراة بقدر كبير من الحرية ، والمتسع

الشاعر ايضا بمباهج هذه الحياة الحضرية ، فعبر عن نفسه تعبيرا صريحا رقيقا .

وكان من ممثلي هذا الغزل الصريح عمر بن ابي ربيعة المكي الذي صور نفسه بصورة يمكن أن نرى فيها سابقة لشخصية « دون خوان » بالادب الاسباني ، فهو يعرف كيف يستهوي قلوب النساء ويتخذ من شعره حبالة يوقع بها القرشيات الجميلات أو النساء النبيلات ، ولا نكاد نجد في شعره حديثا عما يعانيه المحبون من آلام الهجر اذ ان المحبوبات هي اللاتي يتصدين له ويتهافتن عليه . ويوافق اتجاه عمر شاعران معاصران له ، اولهما العرجي المكي ، والآخر الاحوص الانصاري المدني ، وكلاهما كان ايضا من الاشراف الموسرين المترفين .

ويقابل هذا الاتجاه الحضري اتجاه آخر هو المعروف بالغزل العذري وهو من نتاج البادية العربية ، وهو غزل يصل الى ذروة النقاء والطهر والتجرد ، ويبدو فيه تأثير الاسلام وما اضفاه على العاطفية من مثالية وعفة . والشاعر هنا لا يكاد يلتفت الى محاسن محبوبته وانما همه هو تصوير وجده وعذابه وألمه وحرمانه ، فالحب العذري حب لا ينتهي أبدا الى نهاية سعيدة ، بل هو سعي وراء سراب خادع ومصير فاجع . ولا نطيل بذكر امثلة لهذا الغزل ، فهي كثيرة في الكتب التي تناولت قصص هؤلاء العشاق من امثال جميل ابن معمر وبثينة ، وقيس بن ذريح ولبنى الخزاعية ، وعروة بن حزام وعفراء ، والصمة بن عبد الله القشيري وريا . ونلاحظ ان للنساء في قصص هذا الحب العذري مشاركة فعالة ، فكثيرا ماكانت المحبوبة شاعرة أيضا . ونضرب لذلك مثلا بقصة توبة بن الحمير وليلى الاخيلية ، وكانت ليلى شاعرة مجيدة تقرن دائما بالخنساء لكثرة مارثت به صاحبها حينما قتل في احدى الغارات .

وقد كان للحياة الاسرية ايضا صداها في الشعر الاسلامي ، وينعكس على هذا الشعر مانالته المرأة من حقوق بفضل الاسلام ، بل يبدو أن المرأة قد تجاوزت الحدود في نظر بعض الشعراء ، مما جعلهم يضيقون بها ويتحسرون على ماضي من الزمان حينما كانت المرأة طيعة سهلة الانقياد . فهذا الرخيم العبدي يقول في امرأة ابي طاهر :

كنا ولا تعصي الحليلة بعلها ... فاليوم تضربه اذا ما هو عصى
ويقلن بعدا للشيوخ سفاهة ... والشيخ أجدر أن يهاب ويتقى

ولعل من اطرف صور المنازعات بين الرجال وازواجهم ما نجده عند احد الشعراء الامويين المغمورين ، وهو عامر بن الحارث النميري المعروف بلقبه « جران العود » ، وهو يشكو من زوجتيه وكانتا قد اجتمعتا عليه فضربتاه وخنقتاه .

ويبدأ جران العود بوصف تجربة زواجه المريرة وتحذير مجانسيه من الرجال من مغبة الاغترار بزينة النساء ، ثم يصف ليلة الزفاف وكيف بدت منذ أولها منذرة بالشر ، فقد اتفق فيها طيران عقاب وغراب وكلاهما مما كان يتطير به البدو . ويشبه زوجتيه بالغول والسعلاة ويقول ان احداهما بدائه بالعراك والضرب والطيب لم يجف بعد من ثياب زفافها . ويبدي الزوج المسكين استعداده لكي يقتسم معهما كل ماله لقاء أن تردا له حريته :

الا لا يغرن امرءا نوفلية ... على الرأس بعدي او ترائب وضح
ولا فاحم يسقى الدهان كأنه ... اساود يزهاها لعينيك ابطح

واذناب خيل علقت في عقيصة ... ترى قرطها من تحتها يتطوح
جرت يوم جئنا بالركاب نزفها ... عقاب وشحاج من الطير متيح
فاما العقاب فهو منها عقوبة ... واما الغراب فالغريب المطوح
هما الغول والسعلاة حلقي منهما ... مخدش مابين التراقي مجرح
لقد عاجلتني بالنصاه وبيتها ... جديد ومن أثوابها المسك ينفح
خذا نصف مالي واتركا لي نصفه ... وبينا بذم فالتعزب أروح

ويرى الشاعر نفسه مضطرا الى مرافقة هاتين الزوجتين الشرستين ، فيعمد الى عود « وهو الجمل العجوز » فينحره ويسلخ جرانه « وهوجلدظاهر العنق » ثم يمرنه ويتخذ منه سوطا يتهدد به المراتين :

عمدت لعود فالتحيت جرانه ... وللكيس امضى في الامور وانجح
خذا حذرا يا خلتي فانني ... رايت جران العود قد كاد يصلح

وبهذا البيت استحق الشاعر ذلك اللقب الذي عرف به من بعد .

وكان لجران العود صديق يدعى عروة الرحال اتخذ لنفسه ايضا مثله زوجة جديدة ، فلقي منها مالقي صاحبه ، وكان ان وصف زنافه بها على نحو ما صور جران العود :

وما غرني الا خضاب بكفها ... وكحل بعينيها واثوابها الصفر
وجهزتها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقا كله ذلك الشهر

***

ومن مظاهر مشاركة المراة للرجل مانراه خلال العصر الاموي من انخراط عدد من النساء في الدعوات السياسية والدينية ، وهذا يدل على ما ادركته المراة من تقدم اجتماعي ورقي فكري ، ومن وعي عميق بأنها قسيمة الرجل وشريكته في كل مايهمه من امور دينه وسياسة امته . فنجد بين الشيعة نساء ينافحن عن قضية حزبهن ويبكين شهداءه . وقد كانت محنة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي « رضي الله عنهما » من الاحداث الهائلة التي ارتجت لها نفوس المسلمين وكان من الطبيعي ان تستجيب لها النساء بما فطرن عليه من رهافة الحس ورقة العاطفة ، وقد حفظ لنا الزمن عددا كبيرا من مراثي النساء لمن سقط من الشهداء في تلك الفاجعة ، نذكر منها قطعة من ابيات لام لقمان بنت عقيل بن ابي طالب :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي ... منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم
ماكان هذا جزائي اذ نصحت لكم ... ان تخلفوني بسوء في بني رحمي

وكما شاركت المراة في قضية آل البيت رايناها ايضا تنخرط في سلك الاحزاب الدينية الاخرى المعارضة لدولة بني امية . وكان اشد هذه الاحزاب مراسا واضراها في قتال بني امية حزب الخوارج . ونحن نرى المراة تشترك في ثورته العنيفة مع الرجال لا بلسانها فحسب ، بل هي تحمل السلاح وتخوض المعارك وتبدي من ضروب الشجاعة مايكاد الرجال يعجزون عنه . وقد كان من هؤلاء النساء المقاتلات غزالة الحرورية التي هاجمت الحجاج الثقفي والي العراق في مقر حكومته بالكوفة هي وزوجها شبيب الصغري ، وكادت الدائرة تدور على الحجاج لولا تحصنه في قصره ، فقال في ذلك عمران ابن حطان يسخر من والي العراق المخيف ويعيب عليه جبنه وتخاذله :

اسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة في الضحى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

وقد عقد هذا الايمان بقضية الخوارج بين رجالهم ونسائهم علاقة من المودة والحب تمتزج فيها العاطفة الانسانية بمثالية الدفاع عن قضية سامية والاستعداد للاستشهاد فى سبيلها . فهذا هو قطرى بن الفجاءة يتحدث عن صاحبته ام حكيم حديثا فيه رنة المحب وشجاعة الفارس :

لعمرك انى فى الحياة لزاهـــد وفى العيش مالم الق ام حـكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها شفاء لذى بث ولا لسـقيم
ولو شهدتنى يوم دولاب ابصرت طعان فتى فى الحرب غـير ذميم

وام حكيم هذه هى القائلة فى احد معتركات الخوارج :

احمل راسا قد مللت حمـله وقد سئمت دهنـه وغسـله
الا فتى يحمل عنى ثقله

وهكذا نرى كيف ادركت المراة فى ظل الاسلام من المكانة فى كل ضروب النشاط الانسانى والفكرى والفنى‌ما لا نظن له مثيلا فى اى مجتمع آخر من مجتمعات العصور القديمة والوسيطة .

***

ونمضى بعد ذلك الى العصر العباسى ، فنرى الحضارة الاسلامية تسير بخطوات واسعة نحو التقدم ، فقد ورث العرب حضارات الامم السابقة ، واخذوا بكثير من اسباب الترف والبذخ ، ونهضت الثقافة نهضة هائلة ، وكان لذلك اثره بغير شك على وضع المراة . غير اننا نلاحظ ان الرقيق قد كثر فى هذا العصر كثرة مفرطة ، فامتلات القصور والدور بالجوارى المستجلبات من جميع انحاء الدولة ، بل ومن خارج حدودها ايضا . وكان كثير من هـؤلاء الجوارى يتلقين ثقافة عالية ، حتى كان من بينهن من يحسن نظم الشعر ، الى جانب مامهرن به من اجادة الغناء ، والجراة على اقتحام مجالس الرجال والخوض معهم فى كل امورهم .

وعلى الرغم مما تشهد به كتب العصر وعلى راسها كتب الجاحظ ودواوين الشعراء من بلوغ بعض النساء مستوى رفيعا من الثقافة فانه لايسعنا الا الاشارة الى ظاهرة سلبية خطيرة ، وهى ان معظم هؤلاء النساء كن من الجوارى اللاتى اصبحن فتنة للمجتمع ، فقد رغب فيهن الناس جميعا ، لاسيما وانهن كن فى الوقت نفسه على قدر كبير من التهتك وعدم المبالاة ، فنشرن فى المجتمع الاسلامى من عوامل الفساد الشىء الكثير ، وكان فى ذلك الفساد جناية على النساء الحرائر فقد توارين فى الظل ، ولم تعد المراة الحرة قادرة على مجاراة القيان لافيما ياخذن به من السلوك الاجتماعى ولا فيما يؤخذن به من اسباب الثقافة والتعليم . وقد صور الجاحظ لنا هذه المفارقةحينما تحدث عن اذواق الناس فى ايامه كيف تغيرت وكيف اصبحوا يعجبون من القينة بما يعدونه من نقائص الحرة ، ويضرب على ذلك عدة امثلة يختمها بالتساؤل فى دهشة : « فمن حسن هذا فى الاماء وقبحه فى الحرائر ؟ » . وهكذا نرى ان ارتفاع المستوى الثقافى والفكرى لدى الجوارى كان يصحبه فى الغالب كثير من الانحطاط الخلقى والسلوكى . ومن هؤلاء الجوارى المشهورات عنان جارية الناطفى وصاحبه ابى نواس وسكن جارية محمود الوراق وخنساء جارية هشام المكفوف وعريب جارية المامون وفضل صاحبة سعيد بن حميد وغيرهن كثيرات تحفل باسمائهن واخبارهن كتب العصر مثل الاغانى والوشى وغيرهما .

وقد اصبحت الجارية المثقفة المحيطة بكل نتاج العصر من علوم وفنـون

شخصية نمطية محبوبة مألوفة فى الادب العربى ، ولعل خير ما يجسمها « قصة الجارية تودد » التى دخلت فى مجموعة حكايات « الف ليلة وليلة » ، وهى جارية كانت قادرة على مجادلة كبار العلماء فى مجالات تخصصهم والتفوق عليهم . وهى صورة نجد لها نواة واقعية فى بعض الاخبار المروية عن الاصمعى حول جارية حملت الى هارون الرشيد من مدينة الرقة ، ثم نراها بعد ذلك فى احدى مقامات الحريرى « المقامة السنجارية » . ومما يستحق التنويه ان هذه الصورة قد كان لها من السحر والجاذبية ماجعلها تتجاوز حدود الادب العربى وتؤثر فى بعض الاداب الاجنبية ، فنحن نجد الشاعر والكاتب المسرحى الاسبانى لوبى دى فيجا Lope de Vega ت ـ ١٦٣٥ يدير احدى مسرحياته على شخصية فتاة عالمة من هذا الطراز ، وقد اختار لها اسما حرفه عن اسم الجارية تودد وهو La docella Teodor

على ان هذا الاعجاب الكبير بالجوارى المثقفات كان يصحبه كما نقول اهمال فى تعليم الحرائر مما أدى الى ان مستواهن الاجتماعى والثقافى اخذ فى تدهور مطرد خلال العصور التالية على نحو يطول تتبعه .

***

وكما كانت للمرأة بوجه عام مكانة عالية فى عالم الثقافة والادب فى المشرق فكذلك كانت فى طرف قصى من أطراف العالم الاسلامى : فى المغرب والاندلس بل اننا لا نسرف اذا قلنا ان المرأة الاندلسية كانت اكثر اسهاما فى كل ميادين النشاط من رسيلتها المشرقية . ولعل ذلك يرجع فى المقام الاول الى اهتمام الاندلسيين بتعليم البنات . وتحدثنا المصادر الاندلسية عن كثير من المكاتب المخصصة لتعليم الفتيات ، وكان بعضها فى قرطبة ـ على مايذكر الزبيدى الاشبيلى ـ مقسوما الى قسمين : قسم يدرس فيه المؤدب الصبيان على حين تدرس اخته فى القسم الآخر من يتردد عليه من الفتيات . ونحن لا نرى كتابا من كتب التراجم الاندلسية مثل « جذوة المقتبس » للحميدى او « صلة » ابن بشكوال او « تكملة » ابن الابار الا وجدنا قسما فى آخره مخصصا لتراجم النساء . وقد بلغ بعضهن من الثقافة والعلم مبلغا عظيما . وكان لكثير منهن مشاركة فى الوان الادب من شعر وكتابة .

واذا كانت الاندلس قد عرفت ـ كما عرف الشرق فى ظل العباسيين ـ عددا من الجوارى الشاعرات والاديبات فاننا نسجل ايضا ان معظم من نعرف من هؤلاء النساء كن من الحرائر ، بل كان بعضهن من بيت الخلافة . نذكر منهن ولادة بنت الخليفة المستكفى بالله صاحبة ابن زيدون وملهمته أرق مافى ديوانه من شعر عاطفى ، وكانت هى بدورها شاعرة متحررة ولكن فى غير تهتك ولا ابتذال كما يشهد بذلك ابن بسام . وكان لولادة منتدى يتردد عليه أدباء مصرها وشعراؤه مثل « الصالونات الادبية » التى عرفت بعد ذلك فى فرنسا القرن التاسع عشر .

وجدير بالذكر ان هؤلاء النساء الشواعر كن احيانا من قوة العزم والجرأة فى الحق بحيث لا يرين بأسا فى الوفود على الخلفاء والملوك اذا وقعت عليهن ظلامة أو اذا رأين من بعض ولاة الامور تقصيرا . فهذه حسانة بنت ابى المخشى التميمى الشاعر يلحقها بعض الضيم من جابر بن لبيد والى مدينة البيرة ، فتشد رحالها الى قرطبة وافدة على الامير عبد الرحمن بن الحكم الاوسط ، ومادحة اياه بشعر تطرح فيه ظلامتها وتقول :

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خير جابر ويمنعنى من ذى الظلامة جاير
فانى وايتامى بقبضة كفه كذى الريش اضحى فى مخالب كاسر

ويحدثنا ابن الابار عن اديبة من مدينة شلب « فى البرتغال اليوم » رات من والى بلدها وصاحب الخراج فيه ظلما للرعية واجحافا بها ، فكتبت هذه الابيات الموجهة الى الخليفة الموحدى يعقوب المنصور :

قد آن ان تبكى العيون الآبية ولقد ارى ان الحجارة باكيه
ياقاصد المصر الذى يرجى به ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه : ياراعيا ان الرعية فانيه
ارسلتها هملا ولا مرعى لها وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة فاعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا وما خافوا عقوبة ربهم والله لا تخفى عليه خافيه

والقت برقعتها يوم جمعة على مصلى المنصور ، فلما قضى الصلاة وتصفح الرقعة استدعاها وعرف منها تفصيل الظلامة ، وأمر بانصاف المدينة من جور عاملها وصاحب خراجها . وهكذا نرى تلك المراة الشجاعة تنصب نفسها ممثلة لاهل بلدها ساعية لرفع الظلم عنهم .

ومن اديبات الاندلس حمدونة بنت زياد المؤدب الوادى آشية ، ويلقبها من ترجموا لها بخنساء المغرب . ومن عجيب شعرها ماتعبر به عن حبها فى غير تستر ولا مواربة :

ولما أبى الواشون الا فراقنا وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة وقل حماتى عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وادمعى ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وتقول فى وصف متنزه من نواحى بلدها وادى آش ، وهو شعر ينم عن حساسيتها الانثوية :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ويروى المقرى ان بعض قضاة لوشة « مدينة صغيرة من اعمال غرناطة » كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الاحكام ، وكانت تشير عليه بما يحكم به ، فكتب اليه بعض اصحابه مداعبا :

بلوشة قاض له زوجة واحكامها فى الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا ويا ليتها كانت القاضيه

فاطلع القاضى زوجه على الرقعة فتناولتها وكتبت على ظهرها مجاوبة على البديهة :

ان الامام ابن الخطيب ذو شيوب عاصيه
«كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصيه »

ويبدو من هذين البيتين مدى علم هذه المراة وقدرتها لا على الارتجال فحسب ، بل وعلى تضمين آية من القرآن الكريم انتظمت لها فى بيتها الثانى .

وفى كتاب فقيه الاندلس وعالمها العظيم ابن حزم القرطبى « طوق الحمامة فى الالفة والالاف » مايشهد بهذه المكانة العظيمة التى بلغتها المراة الاندلسية فى ميادين الادب ، وكذلك بتلك الحرية التى تمتعت بها النساء الحرائر

والتي لم تصل الى حد تهتك جوارى الشرق وقيانه .
بل نحن نرى ظاهرة جديدة فى شعر القرن السادس الهجرى فى ظل دولة المرابطين ، وهى توجه الشعراء بالمديح الى الاميرات ونساء الاسرة الحاكمة . وفى ديوان الاعمى التطيلى وهو من كبار الوشاحين والشعراء فى هـذا العصر قصائد عديدة يرفعها الشاعر لبعض الاميرات المرابطيات .

***

ويطول بنا الحديث لو اردنا تتبع اسهام الاندلسيات فى ميدان الشـعر ملهمات وناظمات ، فيكفينا هذا القدر ، وان كنا لا نريد ان نترك القلم الا بعد ان نشير الى مسالة كثر فيها الجدل وهى مرتبطة بموضوعنا وان كانت تبدو فى الظاهر بعيدة عنه ، ونعنى بها مسالة احتمال تاثير الشعر الغنائى العربى فى مولد اول شعر غنائى اوروبى وهوشعر « التروبادور » ، فقد كـان جل انكار من رفضوا هذا الاحتمال من الباحثين الاوروبيين قائما على اساس فكرة عبر عنها الشاعر والمفكر الالمانى كارل فيلهلم شليجل Karl Wilhelm Shlegel « ت ١٨٢٩ » : « لست افهم كيف يمكن لشعر مثل شعر التروبادور يقـوم على التعبد بالمراة وعلى الحرية المطلقة التى كانت تمارسها المراة المتزوجة ان يكون متاثرا بشعر – يعنى الشعر العربى – كان نتاج مجتمع مغلق تعيش فيه النساء جوارى حبيسات مقاصير الحرية » . وكرر هذا الراى وان كان على نحو اكثر اعتدالا آخر من بحث هذه المسالة وهو الباحث الفرنسى هنـرى ايرينيه مارو – Henri Irénée Marrou فى كتابه Les Troubadours « باريس ١٩٧١ » اذ كرر ان الشاعرات الاندلسيات انما كن جوارى متعة ويبعد أن يكون ما يعالجنه من شعر هو الذى تاثر به شعراء التروبادور فى اجلالهم للمراة . فنحن نرى ان ماردده هؤلاء الباحثون من كون الشعر الغنائى فى المشرق والاندلس على حد سواء انما هو نتاج الجوارى والقيان امر بعيـد عن الصحة . اما من ناحية الشعر النسائى العربى وما يمثله من ناحية الكم – على كثرة ماضاع منه – فانه يمكن لنا ان نؤكد اننا لانعرف له فى تراث امة من الامم فى العصور القديمة والوسيطة مايماثل هذا التراث العربى كثرة وخصوبة .

ونود فى النهاية ان نشـير الى ان المراة الاوروبية لم تبدأ فى نيل حريتها والتمتع ببعض حقوق الرجل الا فى ظل النظام الاقطاعى منذ بداية القـرن السادس الهجرى « الثانى عشر الميلادى » حينما اصبحت المراة ملهمة لهذا الشعر الغنائى الذى اشرنا اليه وهو شعر التروبادور . اما مشاركتها فى نظم الشعر او الاشتغال بالفنون الادبية فقد كانت بالغة الضآلة والندرة . ولعـل اول امراة اوروبية كان لها اسـهام حقيقى فى فن الكتابة هى المركيزة الفرنسية دى سيفينييه De sevigné « ١٦٢٦ – ١٦٩٦ » وتعـاصرها فى انجلترا افرابن Aphra Behn « ١٦٤٠ – ١٦٨٩ » ولا تظهر أولى التشريعات الخاصة بتحرير المراة الا منذ اوائل القرن التاسع عشر وخلال هذا القرن تبرز الكاتبتان الفرنسيتان مدام ستايل Mme Stael وجورج صاند George Sand اللتان يبدأ الادب النسائى بعدهما فى الازدهار فى مختلف بلاد القارتين الاوروبية والامريكية ، بينما نرى ان اشتغال المراة بفنون الادب فى العالم العربى لم يكد ينقطع منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر .

ناس وصور وحكايات

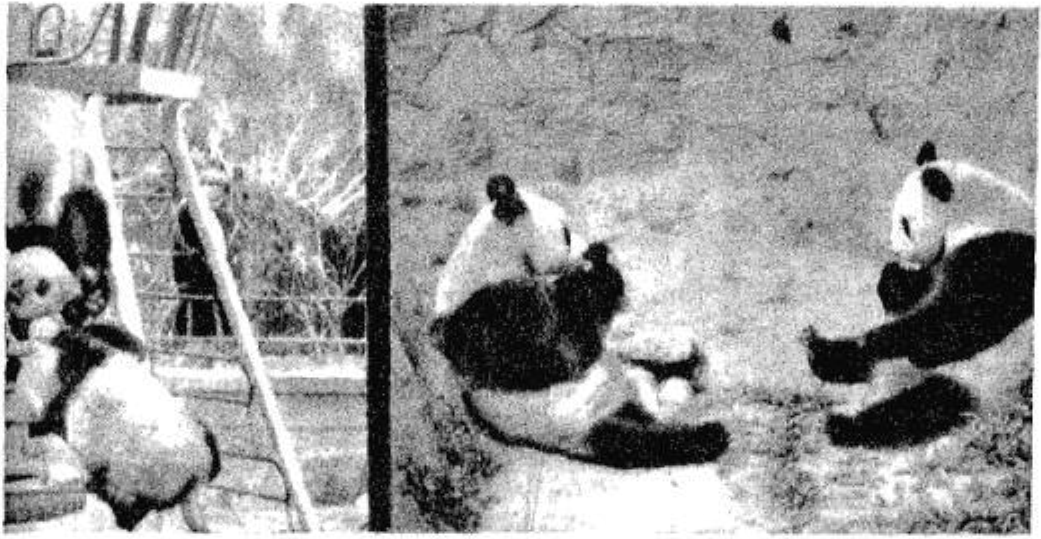
ابنتها أعادتها للحياة

كانت كريستينا اوبل ،وارثة ملايين آدم اوبل صاحب شركة السيارات المشهورة قد هبطت الى الحضيض . كانت قد جرت مع الشباب العابث الى مداه ، وجرفها تيار الحب لشاب غادر غير اصيل، فضبطوا فى فيللتها فى سان تروبيز فى جنوب فرنسا ١٩٦٠ كيلو من الحشيش وادخلت السجن ثم المستشفى .



ومن حسن حظها انه كانت لها طفلة ، لم ترها ايام الطيش ، فلما استقرت فى السجن والمستشفى طلبت ابنتها وأتوها بها، وتحركت فيها عاطفة الامومة ، ومع الامومة دب الاحساس الانسانى كله فى نفس كريستينا فعادت الى الحياة ، وتركت المستشفى وتركت سان تروبيز وعادت الى المانيا ماحنونا وسيدة بيت ، بل بدات تمارس عملها فى شركة اوبل عضوا فى مجلس الادارة .



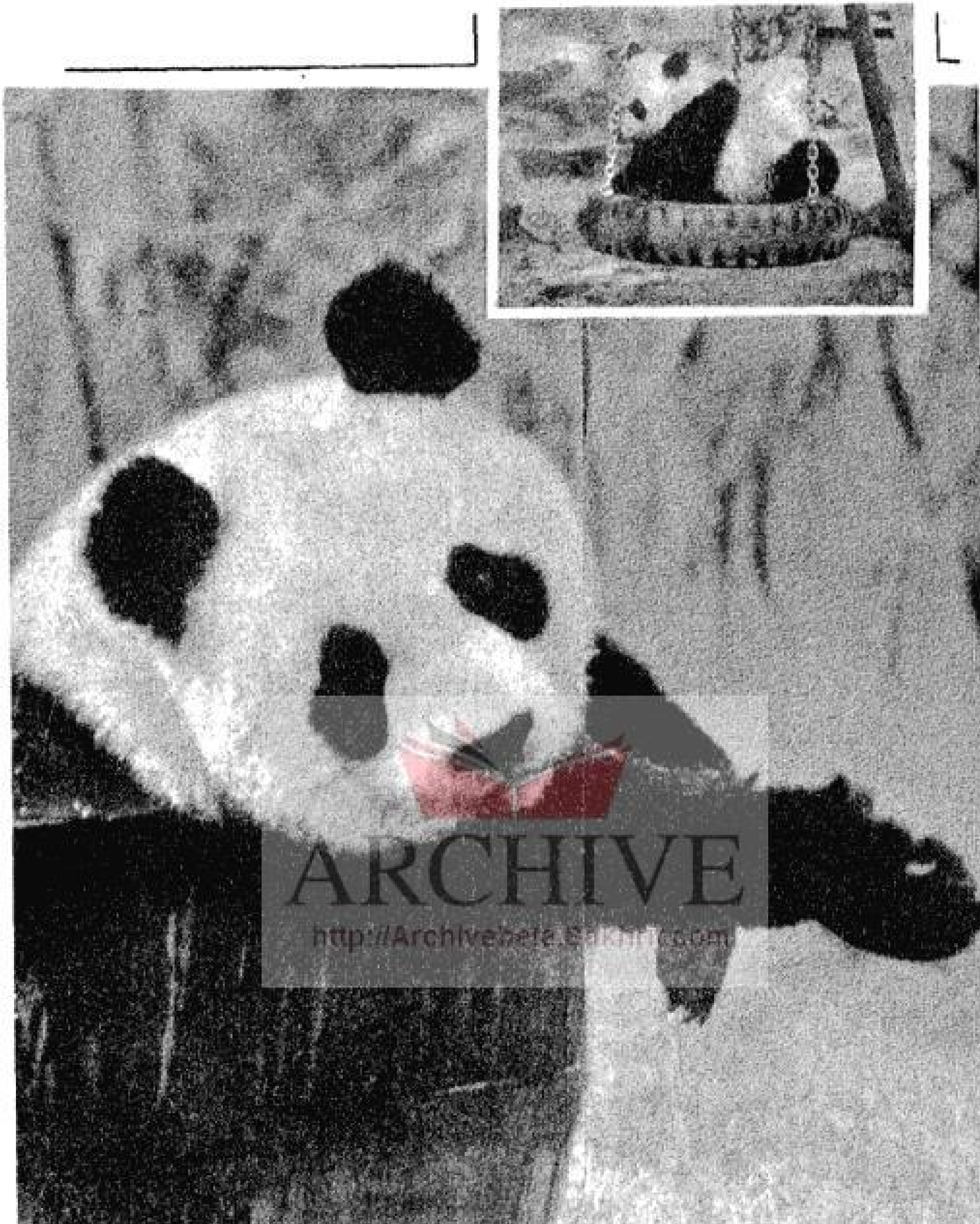


حيوان أو بهلوان؟

الباندا نوع من صغار الدببة موطنه الاصلي في جزيرة بورنيو ولكنه ينتشر في نواحي الدنيا كلها وخاصة في البرازيل والولايات المتحدة ..

والباندا حيوان لا يوصف الا بانه مضحك ، فشكله وتوزيع لون شعره يدعو الى الضحك ، وحركاته كلها بهلوانية ، وهو كسول جدا فلا يتحرك الا بعناء شديد ولكنه اذا تحرك اتى بكل طريف فهو يمشي على ظهره مثلا ! ولا يزال يتلوى وهو مستلق على ظهره حتى يصل الى ما يريد ..

لهذا تحرص حدائق الحيوان في الدنيا على ان يكون لديها قفص كبير للباندا لان له جاذبية كبرى للكبار والصغار .





الكوبيون في خدمة الشعوب

لا يفهم احد لماذا يعمل الكوبيون في خدمة الروس في كل مكان في افريقيا . ان حكومتهم تجندهم وترسلهم ليقاتلوا فيما تزعم لتحرير الشعوب او ليخدموا قضايا الحرية ، ولكنهم قد ينزلون بمن يحاربونهم من الافريقيين اشد التعذيب والقتل ، وقد اشتركوا في الحرب في الصومال وحاربوا ضد اريتريا وفي الجابون ..

والصور التي ننشرها هنا تعتبر وثيقة تدين اولئك الكوبيين ومن يرسلونهم ، ففي الحرب على الحدود بين الجابون وزائير اشترك الكوبيون ضد زائير ، وكان مع الزائيريين عدد من المقاتلين الانجوليين منهم واحد يسمى انخل هيريديا (تراه ملقى على الارض في الصورة الكبيرة اعلاه امام السيارة) اسره الكوبيون مع اثنين من زملائه ، وترى اثنين من الكوبيين يضربون الاسرى الافريقيين حتى يغمى عليهم وفي الصور الثلاث الصغيرة ترى الكوبيين وقد ربطوا اثنين من الاسرى الزائيريين بالحبال وساقوهم الى الموت ، فربطوهما الى شجرتين تمهيدا لاعدامهما رميا بالرصاص وفي الصورة الثالثة ترى واحدا من الاسيرين بعد ان ربط في الشجرة وقبل رميه بالرصاص .





حوار حول مضمونها النقدى

● د . محمد احمد العزب ●

– ١ –

● تتداخل فى تكوين التجربة الشعرية عناصر الذات ، والموضوع ، والخيال ، والعاطفة ، والاحساس ، والفكر ، والموسيقى ، والصورة ، واللغة ، وتقنية البناء ... ولكنها فى النهاية تصبح كلا متدامجا لا ينفصل فيه عنصر عن عنصر اى ان مانسميه بالفكر او الخيال او العاطفة لا يعيش داخل التجربة الشعرية مستقلا بخصائصه الاولية التى كانت له قبل أن يصبح جزءا من كل التجربة ولكنه يعيش حياة التجربة بكاملها ، بمعنى ان كل العناصر التى تشترك فى تكوين الشكل النهائى للتجربة الشعرية تصير عناصر التجربة والتجربة ذاتها ، اى أنها تفقد وجوداتها المستقلة فيماهى صائرة الى وجود واحد آخر ، فجميع العناصر التى جرت العادة على تمييزها فى الشعر « الايقاع ، موسيقى الحروف المتحركة ، الصور ، المعنى ، الانفعال ، وما اليها » ـ تشارك ، او بعبارة ادق يشارك تلوقها ، فى ايجاد التجربة الشعرية كما يقول هاملتون .

– ٢ –

والتجربة الشعرية تعنى فى النهاية معايشة كاملة لاحساس معين ، من بدء ملاحظته ، الى تخلقه فنيا ، الى تشكله النهائى عالما له وهجه واقتداره على الحلول فينا بشكل معين يدفعنا دئما الى خلقه فى اطار فنى ، كما خلقنا هو على مستوى عاطفى وفكرى ..

وبديهى أن معايشتنا لاحساس معين لا تعد « تجربة شعرية» الا اذاتحققت بالفعل فى عمل شعرى يحمل بوحها ومخاضها جميعا، فاذا استطاع العمل الشعرى أن يقتنص ايقاع هذه التجربة فى تناغم واتساق ، فقد اعطى تجربة شعرية ناجحة ، أما اذا أفلت الخيط من يده ، وتخبط فى رحلة التعبير من بدء الى ختام ، ومن ختام الى بدء ، ومن توهج الى انطفاء ، ومن انطفاء الى توهج دون وعى بنائى بما يفعل ـ فقد احبط تماما فى اعطائنا تجربة شعرية حقيقية ...

قد يقصد الشاعر الى عبثية الترتيب المنطقى ، او الى احداث نوع من الفوضى الذهنية والعاطفية فى القصيدة ، ليثير احساسا معينا ، او يخلق حالة معادلة تشى بتشوش الأشياء ، وهنا تكون تجربته الشعرية تجربة ناجحة اما اذا حدثت الفوضى وعبث الترتيب على الرغم من ارادته الفنية . أو تحت ضغط قصور معين من وعيه البنائى ، فان التجربة الشعرية تصبح تجربة جهيضة وتصبح القصيدة خالية من حس التجربة بلا حدود .

وليس معنى التناغم فى معايشة التجربة أن يحبس الشاعر نفسه فى « موضوع » معين لا يتعداه من خلال القصيدة ، الى ماسواه ، كما يحاول بعض الباحثين ان يفهم من مصطلح التجربة .. « فالموضوع » أساسا لم يعد هما من هموم القصيدة الحديثة ، وربما اعطى تزاحم الاضداد فى مضمون القصيدة شعرا أروع بكثير مما يعطيه

الخاطر الواحد المستقصى ... المهم هو ان يظل الشاعر قادرا - من خلال وعيه البنائي - على حبسنا بين قوسين من عالم القصيدة فلا نفلت منه لا الى الملل ولا الى المراقبة من خارج القوسين، ولا الى الصحو الكامل الذى ينفينا خارج الحالة الشعرية ..

- ٢ -

ان الفرق الحقيقى بين شعر « التجربة » وشعر « الذاكرة » : ان شعر التجربة غائص فى قراءة الاشياء، بينما يكتفى شعر الذاكرة بالطواف من حولها.. وان شعر التجربة «يكتشف» فى كل مرحلة اصقاعا جديدة بينما « يتذكر » شعر الذاكرة معالم اكتشفها له سابقوه ..وان شعر التجربة « يخلق » عالما لم يكن مخلوقا . بينما يكتفى شعر الذاكرة « بوصف » عالم مخلوق بالفعل . وان شعر التجربة يسير فى استقصاء الخاطر سيرا « عمقيا » بينما يكتفى شعر الذاكرة فى استقصائه للخاطر بالسير على مستوى « افقى » . وان شعر التجربة يحاول الوصول من خلال الجزء الى الكل ، بينما يكتفى شعر الذاكرة بالتلكؤ على هوامش الاجزاء .. وان شعر التجربة يمثل مغامرة فى الكون بالفن، وفى الكون والفن، وفى الكون الفن، بينما يكتفى شعر الذاكرة بايلاف المكرور الذى يحتذى قامات من سبقوه ، ويكب على آثار اقدامهم تاملا وتقليدا .. وان شعر التجربة يعطينا وجه شاعره المتفرد الواضح ، بينما يكتفى شعر الذاكرة بارتداء كل اقنعة الاخرين ...

وينبغى ان نعى حقيقة اولية ، وهى ان هذه الملامح الفارقة بين شعر التجربة وشعر الذاكرة هى هى الملامح الفارقة بين شعر « الصدق الفنى » وشعر « الصنعة الكلامية » لان الصدق فى النهاية هو الفيصل بين حقيقة التجربة وقشريتها، فالمعاناة الحقيقية الخالقة فى الفن هى المدخل الى الفن الحقيقى الخالق . ولكن من الضرورى أن نلاحظ ان الشاعر لا يعانى هنا - بالضرورة - معاناة مباشرة ، فالشاعر ليس الهـا ليعانى كل مفردات الظاهرة الكونية على نحو مباشر ، ولكنه قد يعانيها بالمعايشة العاطفية وديمومة التفكير فى ايقاعها كما هى ، أو كما هى عند الاغيار ، وهو حين يستدعى فكره وذاكرته وخياله وعاطفته ليعيش التجربة الغيرية ، فانما يؤهل نفسه بالضرورة لمعانقة « الصدق الفنى » فاذا استطاع أن يحتفظ للتجربة الغيرية فى ابداعه بوهجها اللاهب ، وبكارتها الناضرة ، فقد استطاع أن يمارس فعلا فنيا على مستوى ايجابى .. واذا كان الشعر يتولد من «الرغبة الجائعة» لا من الرغبة المشبعة التى لا يتولد منها شىء ما - كما يقولون (١) - فان عطش الشاعر الى ممارسة الفعل الكلى ، فى نفس الوقت الذى هو فيه محاصر بمحدودية البشرية ، يمكن أن يشعل فيه هذا العطش الاسطورى الكونى بلا ملال .

الا اننا هنا مضطرون الى التنبيه على ان « الصدق الفنى » ليس هو الصدق التاريخى الذى يطالب بالمطابقة بين الواقع الشعرى والواقع التاريخى. وليس هو الصدق الاخلاقى الذى يطالب بهذه المطابقة من منظور الالتزام بالوجهة الاخلاقية المفارقة للكذب الاخلاقى . ولكنه الصدق الفنى الذى يطالب بما وراء المطابقة او المفارقة ، من الالتحام العاطفى والفكرى والخيالى بموضوع التجربة ومفرداتها جميعا. وتجسيد هذا

١ - انظر النقد الادبى الحديث - للدكتور محمد غنيمى هلال .

الالتحام في واقع شعري يتجاوز حتى موضوع التجربة ومفرداتها ، الى خلق عالم آخر معادل ، فيما هو مستقل لعالم التجربة الحقيقي ، من خلال أصالة ذاتية تمنح الشاعر جواز مروره الدائم الى ذاته وليس الى محفوظه عن الغابرين .

— ٤ —

وليست عظمة التجارب في عظمة موضوعها الجليل او الجميل ، ولكن التجربة قد تنحني على الموضوع العادى او حتى الرديء ، ولا تزال تنفذ في اقطاره من عمق الى عمق ، حتى يصبح عالما غنيا جليل الجمال أو جميل الجلال اذا شئنا ان نقول .

وهذا يؤكد ان الكون بكامله موضوع للقصيدة الشعرية ، وانه ليست هنالك موضوعات غير شعرية ، مادامت هذه الموضوعات تصادف شاعرها الحقيقي القادر على تفجير الخلود في حصى الوادى ، وبائعة الخبز ، وواجهة الحانات ...

ان الشاعر الرديء لا يستطيع ان يعطي تجربة شعرية ممتازة حتى ولو كان موضوعه الكون بأسره ، ولكن الشاعر الممتاز يستطيع ان يعطي تجارب شعرية ممتازة حتى ولو كان موضوعه تذكرة ترام، اوحشرة من هوام الطريق كل ماهنالك هو ان يكون الشاعر على قدر من الوعي البنائي يتيح له ان يعكس تجاربه في اشكال شعرية تتسم بالمهارة الفائقة ، والتنظيم السليم ، فليست عظمة الموضوع ، حتى ولا حدة التجربة هي التي تهب التجربة قيمتها الحقيقية « وانما الذي يضفي قيمة على التجربة هو تنظيم الدوافع فيها تنظيما تنتج عنه الحرية والحياة الفنية » (٢)

وإذن فسر قدرة الشاعر غير العادية كما يقول رتشاردز « هو الى حد ما في ان هذه التجارب اثناء معاناته لها تتسم بقدر من النظام اكثر من العادي . ويرجع ذلك الى كون الشاعر يتميز بقسط غير عادي من اليقظة ، فتنشأ في ذهنه علاقات لا تظهر في ذهن الرجل العادى الذي يتصف بالجمود ، والذى لاتتداخل دوافعه بحرية » (٣) .

وإذن ، فليست قيمة التجربة في كون موضوعها يكون جليلا أو ضئيلا ، ولكن قيمتها الحقيقية في كون شاعرها يكون شاعرا او غير شاعر ، كونه يكون قد احس هذه التجربة الى حد المعاناة او يكون قد لفقها هكذا بلا حس وبلا معاناة .

— ٥ —

ويبدو تحليل التجربة الشعرية « نقديا » عملا باهظا بلا حدود ، يقول هاملتون : « ان ناقد الشعر يبدو في موقف صعب ، فالتجربة الشعرية شيء متماسك ، وهي موضوع محير للاستبطان ، فهي عضوية فردية لايمكن تقسيمها ، كما انها تتعدل اثناء نموها . فكيف اذن يستطيع الناقد ان يحللها تحليلا مفيدا ؟ ماالذى يصنعه حينما يتحدث عن هذا العنصر من القصيدة أو ذاك ، من الشكل أو المضمون ، الصوت أو الصور ، الفكر أو الانفعال ، كما لو كان في الامكان تقسيم القصيدة الى هذه الاجزاء ؟ » .

يجب علينا في المقام الاول ان نوضح هذه النقطة ، وهي انه مامن ناقد يستطيع ان يفسر القصيدة تفسيرا كاملا ، لأنه مامن ناقد يستطيع ان يفسر تجربته تفسيرا كاملا حتى لنفسه ، فقد

٢ — رتشاردز — مبادىء النقد الادبي — ص ١٨٦ — ١٨٧
٣ — رتشاردز — مبادىء النقد الادبي — ص ٢٤٢

يجد عدة اسباب لاعجابه ، ولكن مجموع هذه الاسباب مهما كانت صحتها – وقد يكون الناقد مخدوعا فيها بلا شك – لا يوازى تجربته كلية ، تلك التجربة الفريدة المنسقة تنسيقا كاملا ، وفضلا عن ذلك فان تجربة القصيدة يكتمل نموها فى نهاية عملية حيوية ، وتاخذ الصورة التى هى عليها بسبب هذه العملية .

وقد يقترب الناقد من الفهم الكامل لنفسه ان حاول ان يحلل لا اعجابه النهائى فحسب ، وانما ان حاول ايضا ان يتذكر كيفية نمو اعجابه ، غير ان الخطوات التى مر بها اثناء تطور اعجابه ، والاسباب التى يظهر انها دعته الى هذا الاعجاب ، هى حلقات منفصلة ، ومهما كانت جودة السلسلة فانها لا تعادل العملية الحيوية التى كانت متصلة ..

وهكذا ، فالاسباب التى هى مجردات لا يمكنها تفسير التجربة المحسوسة تفسيرا كاملا ، وان كان بمقدورها ان تلقى ضوءا عليها ، ان واجب الناقد ان يحلل ولكن متى ضاعت كلية التجربة وتفككت عراها عن طريق التحليل ، اصبح من المستحيل اعادة تركيبها بنفس الصورة التى كانت عليها من قبل «٤» .

ولعل مما يسهل على الناقد تتبع مراحل النمو فى التجربة الشعرية احتفاظه بالانطباع الاول الذى يتلقاه عن هذه التجربة ، ثم مقارنته بين مرحلتها النهائية ومرحلتها السابقة ، ليس بمعنى انه يكتشف فى المراحل النهائية عناصر جديدة اضيفت الى المراحل الاولى ، ولكن بمعنى انه يلاحظ ان تيار الابداع وايقاع الخلق قد تغير كله ، بحيث يولف فى كل مرحلة كلا متكاملا وليس مرحلة ، وعلى هذا الاساس فان التجربة النهائية التى قد تتعدى اى تجربة سابقة لها « ليست كلا اكبر نصل اليه من طريق الجمع بين اكثر من كل اصغر يحتويه هذا الكل الاكبر ، كما لو كانت المسالة مكانية صرفا ، ولكنها كل متماسك بشدة ، واكثر تعقيدا فى تركيبه وادق نظاما »(٥)

ومن هنا يصبح على الناقد ان ينظر الى التجربة الشعرية على انها كل متدامج يفقد فيه كل عنصر خصائصه الاولى ليستحيل حجرا فى بناء خصائص كلية تتسم بها التجربة على نحو من العموم والشمول ، فان « كل عنصر من عناصر تجربتنا لقصيدة من القصائد ملون بلون جميع العناصر الاخرى ، فلولا معنى الابيات وايقاعها وتاثيراتها الحسية والعصبية وما اليها لما كان لهذه الابيات صوتها الذى يميزها . كذلك لولا صوتها وايقاعها وغير ذلك من الصفات الاخرى لما كان لها معناها الذى نجده فيها » (٦) .

واذن ، فلكى يصل الناقد الى فهم وتقييم التجربة الشعرية ، فان عليه ان يتلبس حالة الشاعر لحظة الخلق ، وان يسلح نفسه بالاقتدار المميز الذى يفصل بين نوعية من التجارب ونوعية اخرى ، وان يمتلك امكان الحكم السليم على القيم الفنية التى تنحنى عليها التجربة (٧) .

---

٤ – هاملتون – الشعر والتامل – ص ٨٤ – ٨٥
٥ – هاملتون – الشعر والتامل – ص ٦٨
٦ – هاملتون الشعر والتامل – ص ٥٣ – ٥٤
٧ – انظر : مبادىء النقد الادبى – لرتشاردز – ص ١٦٦

ثقوب في الفضاء تؤدي إلى عالم آخر

● محمد الحديدي ●

● الى جنوب جزيرة برمودا في المحيط الاطلسي ، توجد المنطقة التي تسمى ((مثلث برمودا)) .. وقعت في هذه المنطقة احداث غامضة كثيرة ، السفن ، تختفي ، انها لا تغرق ويبقى حطامها في قاع المحيط ، حيث يمكن العثور عليه ، لا ، انها تختفي تماما ، لا يبقى لها اثر ، ووقع هذا ايضا لطائرات ، وعندما اقلعت طائرات اخرى للبحث عنها ، اختفت هذه ايضا .. بلا اثر لحطام ولا لشيء ..

هذه السفن والطائرات ، هل انتقلت الى عالم آخر ؟ وهل يوجد عالم آخر ؟ الله أعلم .

ولكن « العالم الآخر » ليس ضروريا ان يكون مكانا آخر ، ولا زمانا آخر ، ولا « توليفة » أخرى من الزمن والمكان .. ونحن ، طبقا لنظرية النسبية ، نعيش في « مكان زمن » لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ، نعيش في فراغ يتكون من ثلاثة ابعاد للمسافة وبعد رابع هو الزمن ، عالم آخر قد يكون مجرد عالم لا نحس نحن به ، وبالطبع قد يكون ايضا عالما يعيش زمنا يمضي في اتجاه مخالف لاتجاه الزمن الذي نعيشه ، فماضينا عندهم مستقبل والعكس ايضا صحيح .

كائنا ما كان الامر ، هل يمكن الانتقال من عالم لآخر ؟ .

دعونا من مثلث برمودا ، وللاغراض العملية ، كما يقولون ، يمكننا ان نفترض أن شيئا ما قد حدث لهذه السفن والطائرات ، ولنرفض الخرافة ونلجأ الى العلم .. وسوف نجد ان العلم نفسه ، النسبية نفسها ، تحدثنا ان الفضاء مليء بالفتحات التي يمكن من خلالها الانتقال إلى عالم آخر .. أشياء كالمكانس الكهربائية ، « تشفط » اي شيء تجده في الفضاء ويدخل في جوفها الى غير رجعة .

لا يحتمل ان سفن الارض وطائراتها المختفية « واحيانا البحارة فقط يختفون ويبقى كل شيء في السفينة كما هو ، الأنوار مضاءة والطعام على النار » لا يحتمل ان تكون هذه قد « انشفطت » هكذا هي الاخرى ، لأن المنافذ التي تؤدي الى الاكوان الاخرى بعيدة جدا عنا ..

النجوم في عز الظهر !

العلاقة بين هذه المكونات الثلاثة أوثق مما كنا نتصور بناء على المفهوم القديم لمطلقية كل واحد منها ، ولكننا نعرف الآن «انظر الهلال عدد ١/٤/٧٩» ان وجود المادة يؤدي الى التواء الفضاء والزمن حولها ، ويصبح مستحيلا على أي شيء أن يسير في خط مستقيم ، وتصبح المسافات التي يقطعها جسم يتحرك بسرعة ثابتة ، في ازمنة متساوية،



هذه المسافات لا تصبح متساوية ، نتيجة « لالتواء » الزمن .

وفى سنة ١٩١٩ حدث كسوف للشمس مكن العلماء من رصد النجوم من ورائها « اى رؤية النجوم فى عز الظهر ! » وبالتالى امكنهم التحقق من حدوث « الالتواء » فى الزمن والمكان برصد اشعة الضوء الآتية من النجوم وهى تتخذ مسارا منحرفا بسبب مرورها بجانب كتلة المادة الكبيرة التى تتكون منها الشمس ، والمعنى المجرد لذلك هو ان اقرب مسافة بين نقطتين لا تصبح خطا مستقيما ، بل ملتويا ، تماما كاقرب مسافة بين نقطتين على سطح كرة ، اذا كان الخط الواصل بينهما « حقيقيا » ـ اى ليس وهميا يتصور اختراقه للكرة ـ هذا الخط لا يمكن ان يكون مستقيما مهما بدا كذلك لكائن دقيق يعيش على سطح الكرة .

وكلما عظمت « كمية المادة » زاد اثرها على طبيعة الفضاء والزمن ، والمعتاد هو ان كمية المادة عندما تكون كبيرة فانها ايضا تشغل حجما كبيرا ، وحتى عندما يتكثف الغاز ويتحول الى سائل ، وعندما يتجمد السائل ويتحول الى ثلج ، فان المادة تظل تشغل حجما محسوسا وان كانت كثافتها تزداد بالطبع مع التقلص بفعل الضغط او البرودة او اى مؤثر آخر . والذى ينتج عن ذلك هو انه لا يمكن لجسم ان تكون له قوة جذب كبيرة الا اذا كان له حجم كبير ، وبالمثل فانه لا يستطيع ان يلوى الفضاء والزمن من حوله الا اذا كان كبيرا ايضا . ولكى يكون صغيرا ويمكنه هذا وذاك ، لابد ان تكون له كثافة تفوق التصور ، ولا توجد فى الدنيا كلها وسيلة يمكننا بها ان نضغط قدرا من المادة بحيث يصبح حجمه ـ مثلا ـ سنتيمترا مكعبا ، ولكنه يزن حوالى طن !! نحن لا يمكننا ذلك، ولكن هذا لا يمنع انه يحدث ، بعيدا فى اعماق الفضاء ..

ويقدر العلماء ـ باستخدام معادلات رياضية تعتمد على النظرية العامة للنسبية ـ ان هذا « البلى » الثقيل ينتشر فى الفضاء وقد يكون هناك ما لا يقل عن مليون جسم بهذا الشكل: ثقل عظيم جدا ، وحجم لا شىء.. وقوة جذب هائلة تنتج عن انبعاج الفضاء والزمن ، وكل شىء يدنو من هذا العفريت الكونى ـ حتى شعاع الضوء ـ ينجذب ويدخل فى قلب شىء اسود لا يرى ، ثم لا يظهر له اثر بعد ذلك ، «ينقطع خبره» ، بعبارة اخرى، ينتقل الى كون آخر !؟

احتضار النجوم

نجوم السماء ، كنجوم السينما ، لها اعمار ، فهى فى حركة ولادة وموت دائمة ، وعندما تخبو حرارة النجم فان الغازات المتخلفة عن الاشتعال النووى

ثقوب فى الفضاء ... تؤدى إلى عالم آخر

الذى يكون قد استمر ملايين او بلايين السنين ، تتقلص بسرعة بفعل البرودة، مطبقة على نفسها نحو مركز النجم ، تتحطم الذرات ثم تنسحق المادة ولا يبقى منها سوى هذه الكرة الصغيرة المظلمة ، التى لا تمكن رؤيتها باقوى انواع التليسكوب ..

ادراك وجود هذه الثقوب التى تعبر عن انعدام الكون الفيزيائى ، هذا الادراك لا يأتى الا عن طريق المعادلات الرياضية، والملاحظة من بعيد ، ملاحظة اشعة الضوء وهى تنحرف وتسقط فى الهوة السحيقة ، بل ونجم كبير يتصادف مروره ، فتنزلق أضواؤه فوق خطوط الفضاء الذى لم تعد به خطوط مستقيمة مندفعة فى النهاية الى هذا « الثقب » الذى تنعدم عنده قوانين المادة والزمن والمكان ..

وقد درج العلماء خلال القرون الماضية على أن يعدوا الفضاء مكانا هادئا صافيا، والنجوم التى « ترصع السماء » ... الخ ، مصابيح تضىء كون الشعراء :

نظرت اليها والنجوم كأنها
مصابيح رهبان تشب لقفال

هكذا يقول امرؤ القيس وهو يحدثنا عن لقائه الليلى بحبيبته ، ولكن الصورة الآن تصف فضاء ملئا بالانفجارات والمصادمات واحداث العنف ، والضجة المرعبة ، صورة مكبرة لشوارع القاهرة فى ساعات الزحام ، وهى ـ فيما يتصورون ـ استمرار لبداية الخليقة والتى يظن انها كانت هى ذاتها حدثا هائلا من أحداث العنف المتفجر .

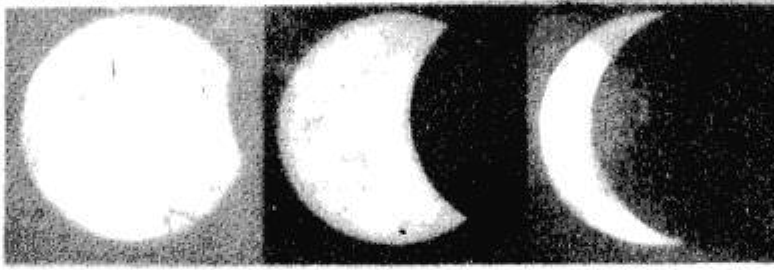
ويعتقد البعض ان «الثقوب السوداء» هذه ، باخلالها بالنظام العام ، هى التى تسبب هذه الفوضى وتفسد الجو بافعالها الغامضة .

وكان اينشتاين هو الذى «اكتشف» وجود هذه الاشياء بمعادلات النظرية **العامة للنسبية ، ويعتقد علماء اليوم انهم قد تحققوا من وجود خمسة منها** على الاقل فى المجرى اللبنى الذى تنتمى اليه مجموعة الشمس ؛ فى هذه المجرة توجد عشرات الالوف من النجوم التى تسبح منفردة ؛ بعضها يتخذ مسارات منبعجة وملتوية بشكل لا تشفى تفسيره قوانين الحركة الفلكية ، وقد تكون الثقوب السوداء التى لا ترى ، منتشرة حولها، تدفعها وتجذبها بتأثيرها الهائل، والذى قد يأتى من كثافة تجعل الكرة الصغيرة اثقل من ملايين الشموس .

الدين والعلم ..

ويلقى موضوع الثقوب السوداء اهتماما عظيما حتى من عامة الناس فى الغرب ، تماما كما حدث لموضوع الـ « يوفو » (اجسام مجهولة طائرة فى الفضاء) وتجد عبارة «الثقوب السوداء» الآن على النوافذ الخلفية للسيارات وعلى قمصان الشباب . ولعل السبب فى هذا الاهتمام هو رغبة الانسان فى المثول على موضع يلتقى فيه العلم بالايمان .. اذا كان يحدث للنجم ان ينطوى على نفسه وينتهى الى لا شىء ، فلعل هذا هو المصير المحتوم لكل هذا الكون .. ما الذى يحدث بعد ان يتحول الفضاء الى هوة سحيقة مظلمة لا شىء فيها ؟ خلق جديد ؟. « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » ، هكذا يقول لنا الكتاب الكريم ..

ولكن الحقيقة تبقى ، وهى ان تعريف هذا الشىء « الثقب الاسود » بوصفه بالكلام العادى واللغة العاديه ـ شىء لا سبيل اليه ، لقد ذهبت المادة التى كان النجم يتكون منها ، اختفت من الوجود ، كما نعرف ، تاركة خلفها جاذبية تتناسب مع ما كانت عليه اثناء « الحياة » ، تماما كما يفنى الجسد ويخلف وراءه روحا ليست مصنوعة من المادة ولكن فيها خصائص الكائن الذى



القمر يتحرك ليحجب الشمس تدريجيا

كانت تتلبس جسمه الفانى ، ومن بعيد ، يظل تأثير الجذب كما هو ، فاذا اقتربنا ، فان هذه القوة تتزايد وتبتلع حتى اشعة الضوء ، فاذا اقتربنا ، هذه ، لها حدود تحيط بمركز الجذب ، هذه الحدود تتخذ شكل سطح كروى وهمى ، قطر هذه الكرة يتوقف ايضا على حجم النجم فى حياته . والاشياء عندما تبتلعها هذه الهوة ، « تمط » على هيئة خيوط رفيعة ، كخيوط المكرونة ، ولكن الشاهد من بعد ، رائد فضاء مثلا ، يهجر مركبته وتركها لتغوص فى اعماق الثقب الاسود ، ولاسباب تتعلق بالنسبية ، لن يرى ما يحدث على حقيقته ، سوى أن يخيل اليه ان المركبة تقترب متثاقلة من الكرة الوهمية ، بسرعة متناقصة ، دون ان تدركها ابدا .

عفاريت كونية صغيرة !

اذا صح هذا كله ، فليس هناك ما يحدد نهايات صغرى او كبرى لهذه الثقوب السوداء ، وقد خرج فيزيائى بريطانى بنظرية — مؤيدة بالمعادلات الرياضية كما هى العادة — مؤداها ان هناك ثقوبا سوداء متناهية الصغر نشأت عن الانفجار الكونى العظيم الذى يقدر انه حدث مثلا خمسة عشر مليون أو عشرين مليون سنة وادى الى وجود النجوم ، ليس هناك بالطبع ما يمنع من تأثر قطع صغيرة ما تلبث ان تتقلص الى جسيمات دقيقة ذات جاذبية غير مألوفة فى مثيلاتها ، مثل هذا العفريت الكونى الدقيق قد يطير فى اى مكان محدثا خللا عظيما بقدرته على الجذب واستعصائه على الاستشعار ، وهكذا تجد ان الدنيا تتراقص وتتواثب دون ان يدرى احد او حتى يستطيع ان يخمن ما حدث .

وقد وقع مثل هذا فى سيبيريا سنة ١٩٠٨ ، زوبعة غير متوقعة وغير مفهومة اجتاحت منطقة تدعى « تونجوسكا » الاشجار طارت فى الهواء وانمسح وجه الارض بتأثير عفريتى ، ويظنون ان قطعة دقيقة جدا اقتربت من الارض بالصدفة ، وعاثت فيها فسادا .. ومما يثير المزيد من التحير ، ان « شيئا » من هذا النوع ، عندما يكون متناهيا فى الصغر ، لن يستطيع ، بخلاف نظيره الاكبر حجما ، ان يظل فى حالة توازن او ثبات او ان يحتمل الحرارة الناشئة عن انبعاث الجسيمات النووية المختزنة فيه والتى نشأت عن السحق النووى القديم الذى ادى الى تكونه اصلا ، وانه قد ينفجر محدثا ضغطا وحرارة لا يأتيان من ملايين القنابل الهيدروجينية .

ومن ناحية اخرى ، فان مثل هذه الثقوب الصغيرة ، عندما تتهيأ الوسائل العلمية لاكتشاف مواضعها ، يمكن ان تجتذب بالقاء قطع من المادة فى الفضاء لـ « استدراجها » بفعل الجاذبية ،

ثقوب في الفضاء ...

تؤدى إلى عالم آخر

تماما كما يلقى طعم في الماء لاجتذاب الاسماك الكبيرة ، عندما يتحرك هذا الشيء في الفضاء بسرعة كبيرة فانه يحدث حوله طاقة حرارية عظمى يمكن ارسالها الى الارض على هيئة موجات كهرمغناطيسية تحقق الحلم القديم الجديد وهو استمداد الطاقة من هذه الينابيع الهائلة التى يموج بها الفضاء ونحن نتضور على الأرض من أزمة الطاقة .

... وكبيرة ايضا

اما العفاريت الكونية الكبيرة فقد امكن – كما سبق – اكتشاف اعداد منها فى الفضاء البعيد ، الواحد منها تحيط به « منطقة نفوذ » تمتد ملايين الكيلو مترات ويصل وزنه الى الوف الملايين قدر الشمس ، وهناك مجرة يسمونها « م ٨٧ » ، رصد بها مركز مضيء يلمع عشر مرات قدر بقية اعضائها ، تحيط به نجوم كأنها حفنة من راقصى « روك اندرول » ، مما « يدل » على وجود ثقب اسود يبلغ وزنه (او على الاصح : كتلته) خمسة آلاف مليون مرة قدر الشمس .

مثل هذا الوحش الهائل يبتلع النجوم فى جوفه ولايظهر لها اثر بعد ذلك ، ولاستحالة تصور هذا (العدم) غير المفهوم ، يقدر العلماء ان مادة النجوم التى تنسحب الى هذه « البالوعة الكونية » تتدافع من خلال المكان والزمن الى ان تظهر فى موضع آخر من الكون ، أو فى كون آخر ، وانه قد تكون هناك (ثقوب بيضاء) تتلقى هذه المادة لتعيدها الى الوجود ، هذه الثقوب البيضاء توجد فى فضاء وزمن آخرين أيضا ، وأن المناطق البراقة التى نراها على بعد آلاف الملايين من السنين الضوئية قد تكون « مآخذ » لكوننا نحن ، تأتينا بالنجوم من حياة اخرى .

مم تتكون العفاريت الكونية ؟

كما ان الانسان الذى يعيش على الارض يتعرض لقوتين متضادتين : جاذبية الارض التي تشده اليها ، وقوة الطرد المركزية الناشئة عن الدوران ، وهذه تدفعه بعيدا عنها ، « ولو زادت الأرض سرعتها لانحلت مشكلة البدانة والرجيم .. الخ ! » ، فان النجم يجتذب الى مركزه الغازات والسنة اللهب ، بينما تعمل الحرارة الهائلة فى قلب النجم على دفعها بعيدا ، وعندما تخبو هذه الحرارة فان التقلص ينشأ عن اختفاء قوة الدفع الى الخارج مع بقاء قوة الجذب لان الكتلة الناشئة عن وجود المادة لا تزال كما هى ، التدافع الى الداخل يحدث ضغوطا تصل الى حد سحق الالكترونات المحيطة بالنواة وادماجها فى بروتونات النواة وتحويل المادة الى عجينة من النيوترونات ، الشيء الذى ينتج عن ذلك ليس هو المادة كما نعرفها .. والتخلص من قوة الجذب التى يحدثها شيء كهذا لابد له من التحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء ، وهذا – طبقا للنسبية – هو المستحيل بعينه .

ماذا لو استمر هذا فى الحدوث؟ هل يمتلىء نسيج الفضاء بالثقوب الى ان يصبح رداء باليا ، يتسع الى ان يبتلع كل شيء فى جوفه ، ويتحول الكون الذى نعرفه الى .. كمايقول شوقى « سكون ، ووحشة ، وظلمة ، وليل مالوش آخر .. ونجمة مالت ، ونجمة حلفت ما تتأخر .. ؟ » ويأتى كون جديد ..

لا شأن لنا بهذا ، الآن ، ولكن .. تبقى تساؤلاتنا ، مع فلاسفة العصر وعلمائه : المادة والفضاء .. الخ هل هى اشياء موجودة فعلا ، ام انها « تهيؤات » هى ايضا ؟ .. ●

كهف الذكريات



● د . سعد ظلام ●

هاهنا الحبّ ... وأفراحي أنا   وعذاري ذكرياتي ـ هاهنا
عشنا المسحورَ رقراق المنى   وخطانا فوقَ رأس المنحنى
لم تزل سكرى بنشوى كأسنا   والمُنى .. آهٍ على سحر المُنى!

***

هاهنا عمري كالكهفِ العريقِ   يعبرُ الناسُ عليهِ للطريقِ
كلُّ ما يغريه بالصمتِ العتيق   بعض ذكرى وارتعاشاتٌ بريقِ
وابتهالات فؤادٍ ... في حريق   كلُّ خفقٍ ، كل نبض في عروقي
كل إطلالة نور في شروقي   كل همس . كل إحساس الوريق
كل شيء فيكَ يغري بالرحيق ....

***

هاهي الكأسُ . فأين الندماء   كل أحبابي والسمّار .. جاءوا
غيرَ قلب منعته الكبرياء   آهِ ، لو يدنو .. ويدنيهِ الوفاء

***

غير أنَّ الفجر لما عاد ، كنا قد مضينا   ونسينا فرحة العمر التي كنا قضينا
وحرقنا في بخور الصمت أحلى مالدينا   وأضعنا كلَّ شيء .. بيدينا .. بيدينا!
وقضينا العمر أشواقا ، وإشفاقا ، وأيْنا   وانتهى آخر فصل في هوانا .. وانتهينا!

***

وبقينا غرباءُ   ومضى العمر هباءُ
وقضيناهُ غباءُ   وانتهينا كبرياءُ

رسالة من هولندا

● أحمد أبو كف ●

كنوز عربية هامة في جامعة لايدن كيف حصلت عليها؟

في يناير الماضي ، وداخل المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية ، التقيت بشخصيتين هامتين في هولندا هما : كورنيليس ى · كات ، رئيس مجلس ادارة جامعة لايدن الشهيرة ، والدكتور يان بروخمان أستاذ اللغة العربية بالجامعة ·

والمناسبة ، التي جاءا فيها الى مصر ، هي مناسبة الاحتفال بمرور أربعة قرون على تدريس اللغة العربية في جامعة لايدن ، وعلى انشاء كرسي بها للدراسات العربية هناك · وهذه المناسبة احتفلت بها جامعة لايدن بطريقتها الخاصة · فالجامعة تمتلك مكتبة عربية ووثائقية هامة تحتوى على نوادر المخطوطات والكتب العربية ·· وقد جاء كل من كورنيليس وبروخمان على طائرة هولندية خاصة ، تحمل نماذج من المخطوطات والكتب العربية القيمة ، بل النفيسة حقا · بالاضافة الى مجموعة من المطبوعات العربية ، التي طبعت في مطبعة هولندية خاصة · وهي مطبعة « بريل » ، التي يعود انشاؤها الى أكثر من ثلاثة قرون من الزمان ·

كان من بين المخطوطات ، مجموعة من الكنوز الأصلية والاصيلة ، منها المجلد التاسع من « غريب الحديث » ·· وهو أقدم مخطوط نسخ في أوروبا عام ٢٥٢ الهجرى (٨٦٦ الميلادى) ، والمجلد الثالث من تاريخ الطبرى (القرن السادس الهجرى) ، ومخطوط « المسالك والممالك » لابن حوقل · ونسخة تعود الى القرن السادس الهجرى من « مقامات الحريرى » ، ومخطوطة ابن شداد عن تاريخ « صلاح الدين الايوبى » ، و « كتاب الاضواء » لابن الانبارى ، ومخطوطة « طوق الحمامة » لابن حزم القرطبى ، و « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر ، و « البلدان » للهمذانى ، وشعر امرىء القيس مع الشرح المنسوب للسكرى ·· بالاضافة الى مجموعة نادرة من المصاحف المخطوطة ، فضلا عن عدة معاجم وقواميس ألفها مستشرقون هولنديون ، وأغلبهم شغل كرسى اللغة



العربية فى جامعة لايدن ، ومنهم دافلنخيوس ، وخوليوس ، وفرلاندوس .. والاخير أول من شغل كرسى اللغة العربية عام ١٥٩٩ الميلادى ، بالاضافة الى تحقيق ونشر نصوص كثيرة .

***

والسؤال الذى طرح نفسه وأنا أتنقل مبهورا بين هذه المخطوطات والكنوز هو .. كيف أتيح لهم فى هولندا أن يحصلوا عليها ؟ .. ولماذا تهتم هذه الدولة البعيدة على شاطىء بحر الشمال بالعربية ، وجمع ذخيرتها وتراثها ؟ ..

كان هذا السؤال يلح على قبل أن أزور جامعة لايدن ، وأرى قسم اللغة العربية بها .. وأتجول فى مطبعة « بريل » وأرى الحروف العربية التى صبوها واستخدموها فى الطباعة على أحدث نظم الطباعة .. وألح على كذلك حينما ذهبت الى مكتبة الجامعة والتى تحوى هذه الكنوز من المخطوطات النادرة والتى أخبرنى المستشرق بروخمان أن المعروض منها هو أقل القليل .

والاجابة عن التساؤل وجدتها فى جامعة لايدن ..

فالهولنديون فى جامعة لايدن بدأوا الاهتمام بالدراسات الشرقية . بصفة عامة . ثم خصوا العربية بالاهتمام . لقد عرفوا مبكرا أن العرب المسلمين لم يكونوا ناقلين لثقافة اليونان وعلمهم وحضارتهم ، وانما العرب المسلمون أيضا كانوا مبدعين . أضافوا الى ما ترجموه الكثير الكثير فى كل فروع العلم والمعرفة .

وكما قال المستشرق أربينيوس أستاذ كرسى العربية فى جامعة لايدن عام ١٦١٠ :

« اننا نجد حتى فى العلوم الرياضية ، أن كثيرا من العرب قد تناولوا هذه العلوم وجلوها على نحو وفقوا فيه أكثر من الاغريق . ذلك أن الذى تيسر للاغريق فى الجغرافيا بطليموس واحد . ولم يتيسر للرومان فى هذا العلم أحد على الاطلاق ، وقد قاس بطليموس عروض الاماكن ووصفها .. أما العرب فلديهم

زمرة كبيرة من الجغرافيين كانوا أدق من بطليموس نفسه .. أما ان فن الطب مدين بالكثير للعرب ، فأمر يعرفه كل من سمع بأسماء ابن سينا ، والرازى . وللفلسفة درة تمثلت فى المعلم الثانى ابن رشد ، ثم فى ابن سينا وكثير غيرهما ... »

ايضا فان الاهتمام قد نتج عن دوافع كثيرة ، منها فائدة اللغة العربية العملية ، ثم الغيرة والحماسة التبشيرية ، واشياء اخرى كثيرة .

لقد هزني الموقف وانا أتجول فى جامعة لايدن ، وداخل مطبعة « بريل »

وهزنى أكثر ما عرفته من ان العلاقات بين مصر وهولندا قد بدأت أول ما بدأت فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وفى عام ١٢١٥ الميلادى .. اذ أن بعض الامراء الاقطاعيين والنبلاء الهولنديين شاركوا فى الحروب الصليبية المتأخرة . شاركوا فى الحملة الصليبية على دمياط ، التى انتهت بفشلها ، وهى الحملة التاسعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا . حيث أسر لويس التاسع بدار ابن لقمان الشهيرة

لكن وكما قيل فى تاريخ العلاقات الهولندية العربية ، فان علاقتهم بالعالم العربى ـ أو منطقة الشرق الاوسط الحالية ـ بدأت قبل ذلك من خلال الحجاج الهولنديين الى أورشليم . بمعنى انه لم يكن يعنيهم فى المنطقة الا أداء الحج الى بيت المقدس . حتى ليقال ان أحد أوائل الكتاب الهولنديين وهو « فان مارلانت » نظم قصيدة سنة ١٢٩٢ ، يرثى بها سقوط عكا فى يد المسلمين . وهذا يعنى أن العرب لم يستهووه فى قليل أو كثير .

ولا شك أن انشاء جامعة لايدن ، بعد سنوات قليلة من الثورة على التبعية الهولندية لاسبانيا ، كانت فتحا كبيرا فى الاهتمام بالعربية بصفة خاصة واللغات الشرقية بصفة عامة . وهذه الجامعة بدأت مشروعا قدمه الامير وليم أوف أورانج لمدينة لايدن التى عانت من الاحتلال الاسبانى ، ومن الحصار الاسبانى الطويل لها . فكانت المكافأة لاهلها أن افتتحت الجامعة رسميا فى ٨ من فبراير عام ١٥٧٥ الميلادى، حتى لايحتاج الهولنديون الى أن يلتحقوا بجامعات خارج بلادهم ..

على أنه سرعان ما بلغت دراسة العربية فى لايدن خلال القرن السابع عشر آفاقا حملت المستشرق الالمانى « فيك » على القول : « فى السباق بين الامم الاوروبية تصدرت الاراضى المنخفضة الصفوف فى الدراسات العربية قرنين من الزمان »

ومن أوائل المستشرقين الهولنديين ، الذين اهتموا بالدراسات العربية فى هولندا ، وأسس مطبعة، رسم لها الحروف العربية ، المستشرق رافلنخيوس عام ١٥٩٥ .. والذى يعتبر بحق رائدا للدراسات العربية . وقد قام بتدريس العربية فى الجامعة . ثم قام بعده المستشرق فردينانديوس وواصل رسالته. وكرسى اللغة العربية أنشىء فى جامعة لايدن عام ١٥٩٣ . وشغله المستشرق يوسف سكاليجر ، الذى عرف بأمير المستعربين . وألف كتابا يحتوى على أكثر من ٢٠٠ مثل عربى . وبعده المستشرق اربينيوس ، الذى الف كتابا فى النحو العربى ، ثم خوليوس ، الذى الف معجما عربيا لاتينيا .. كما كتب الكثير من الدراسات ..

وقد قال المستشرق اربينيوس فى محاضرة له حول الاهتمام بالدراسات العربية :

« ان كل من يعرف هذه اللغة العربية، يستطيع أن يجوب كل أرجاء آسيا وأفريقيا تقريبا . ذلك أن جميع أهالى موريتانيا ونوميديا ومصر ، وجزيرة العرب ، ـ أميين ومتعلمين ـ يستعملون



نماذج من خطوط المخطوطات المحفوظة في مكتبة جامعة لايدن ويرى بينها غلاف كتاب مفتاح كنوز السنة الذي ألفه الاستاذ فؤاد عبد الباقي على اساس فهرس للاحاديث النبوية عمله عالم هولندا

هذه اللغة دون سواها ... ان هذه اللغة هي الاكثر شيوعا في تركيا ، وبلاد فارس ، والهند وغيرها من ارجاء آسيا الاخرى » .

***

ولكن يبقى التساؤل ايضا : كيف بدأ جمع ونشر المخطوطات العربية النادرة ؟

الواقع ان جامعة لايدن بدأت في جمع المخطوطات العربية من مراكش .. حيث سعى المستشرق خوليوس الى البحث عن هذه المخطوطات ، واشترى عدة متون هامة ، مثل « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، ومقدمة ابن خلدون . ولم يكتف خوليوس بذلك بل سافر الى حلب واستطاع ايضا شراء الكثير منها

ومنذ هذا الوقت كثرت وفود الشراء من بلاد العالم العربي ، ومن الاستانة التي اشترى منها أول ما اشترى قصيدة كعب ابن زهير المشهورة « بانت سعاد » ، والترجمة اليونانية لقصيدة امرىء القيس ...

والحقيقة ان الدراسات العربية في هولندا قد ازدهرت في القرن الثامن عشر . فالنشاط لم يقتصر على جمع المخطوطات ، انما شمل نشرها والتعليق عليها . فالترجمة الهولندية الاولى للقرآن الكريم صدرت عام ١٦٤١ . كما اصدر المستشرق ريلاند كتابه « في الديانة المحمدية » عام ١٧٠٥ تحدث فيه عن مزايا القرآن الكريم ، وانكر الاحكام التقليدية المسبقة عليه وعلى الاسلام .. وهذا الكتاب في الواقع يعتبر مؤشرا هاما بالنسبة لموقف اوروبا المسيحية من الاسلام . وهو تطور كبير في الفكر الاوروبي ..

وفي القرن الثامن عشر لم تقتصر الدراسات العربية على جامعة لايدن فقط .. وانما تعدتها الى ما لا يقل عن خمس جامعات هولندية تشتمل على كراسي استاذية اللغة العربية واللغات الشرقية بصفة عامة ، بالاضافة الى الكثير من المعاهد العليا ...

والواقع ان ادريان ريلاند المتوفى عام ١٧١٨ كان فيلسوفا ولغويا وعالما اثريا وجغرافيا وشاعرا . وهو الذي نشر كتاب « تعليم المتعلم » للزرنوجي ، وراجع الترجمة الهولندية لكتاب « حي بن يقظان » لابن طفيل الاندلسي

ومن المستشرقين الذين جاءوا بعده المستشرق سخولتنس ، المتوفى عام ١٧٥٠ والذي حقق عدة نصوص عربية منها : المقامات الست الاولى للحريري ، وتاريخ الامبراطورية اليقطانية في بلاد العرب السعيدة ، ومختارات من « ابو الفدا » ، وحمزة الاصفهاني ، والنويري ، والطبري ، والمسعودي ، وديوان من الشعر الجاهلي ، و « سيرة صلاح الدين » لابن شداد .. كما اختار قصائد من ديوان « الحماسة » لابي تمام ، حيث ضمنها الطبعة الثانية لنحو المستشرق اربينيوس .

***

في مكتبة جامعة لايدن ، اسال المستشرق الهولندي يان بروخمان عن العلاقة مع مصر ، وعن المؤرخ الشهير رينهارت دوزي ، فيقول لي :

— ان رينهارت دوزي كان استاذا للتاريخ بجامعة لايدن ، وهو الذي ادرك الاهتمام بتاريخ مصر وشمال افريقيا ، لانه يتصل بحملة نابليون وغزو الجزائر .

والواقع ان رينهارت دوزي من الذين اهتموا بتاريخ مصر ، ونقل هذا الاهتمام الى جامعة لايدن . كما ان دوزي هو الذي وصفه الامير شكيب ارسلان في كتابه « الحلل السندسية » بانه « مؤرخ

اسبانيا الجليل ، العلامة شيخ المستشرقين ، «ولا شك أن كتابه الشهير عن « العرب في اسبانيا » يعتبر من أمهات الكتب عن العرب . وقد ربى جيلا من المستشرقين الذين اهتموا بتاريخ مصر والعرب ، ومنهم دى خويه ، وفان فلوتن .

ودوزى هو الذى كتب رسالة جامعية تضم منتخبات من كتابى الفتح بن خاقان « مطمح الانفس » و « قلائد العقيان » يتناولان الدولة العبادية فى اشبيليه . كما صنف «المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » وله ايضا « ملحق وتكملة القواميس العربية ، الذى وصفه ابراهيم اليازجى بانه جدير ان يدخل فى عداد اشرف كنوز الادب . وان صاحبه ـ دوزى ـ جدير بالثناء ، مابقى عربى ينطق بالضاد .

ومن كتب دوزى ايضا « شرقيات » . كما نشر بالتعاون مع بعض المستشرقين القسم الاول من كتاب « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » للمقرى . وقد كان من المفروض ان يراس دوزى المؤتمر الدولى للمستشرقين فى عام ١٨٨٣ ، لكنه توفى قبل ان يبدأ المؤتمر .

على أن هناك بعض المستشرقين المهتمين ، مثل هاماكر ، الذى نشر وصف المقريزى لحصار دمياط . ثم كتاب « فتوح مصر والاسكندرية » الذى نسب خطأ للواقدى . وبدأ باشراف دوزى ، وده يونبج ، وده خويه وهاوتسما وصف مجموعة المخطوطات المحفوظة فى مكتبة جامعة لايدن ، فاصدر منها ستة مجلدات . ثم ده خويه الذى حقق كتاب «ابن حوقل» ويونبول الذى حقق المتنبى ، ونشر مختصر معجم ياقوت « مراصد الاطلاع » و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى ...

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا مستشرقى جامعة لايدن .. لكن يبقى الحديث عن المستشرق الهولندى جولدزيهر ، الذى درس فى الازهر وكتب مقالات فى جريدة « البرهان » . ثم المستشرق سنوك ـ الذى عاش فى مكة وحمل اسم عبدالغفار ، ونشر « الامثال المكية » ، ودراسة عن المهدى ، والف كتابا عن «مكة» بالالمانية . وفان آرندونك الذى كتب دراسة عن ظهور الامامية الزيدية فى اليمن . ودوبور صاحب كتاب « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » . وقد ترجمه محمد عبدالهادى ابو ريده . ثم ونسنك صاحب كتاب «العقيدة الاسلامية» ، وأيضا صاحب كتاب « فكر الغزالى » و « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » ، وكتاب « مفتاح كنوز السنة » ...

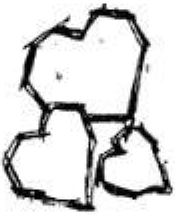
قال لى كورنيلس كات ، رئيس مجلس ادارة جامعة لايدن :

ـ ان الاهتمام بالدراسات العربية كبير عندنا .. وان الاهتمام بدأ يزيد أكثر من خلال اهتمام هولندا الحديث بالعالم العربى وخاصة من داخل مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة .

وقال أيضا : ان التعاون الثقافى بين مصر وهولندا يشمل مجالات كثيرة تجرى دراستها الان . فبرغم اهتمامنا بالدراسات العربية ، فنحن لنا اهتمامات أخرى . وخاصة فى المجالات الاثرية . وهذه الاهتمامات بدأت منذ القرن الماضى ، وتنامت ، حتى اننا اشتركنا فى انقاذ آثار بلاد النوبة ، قبل اقامة السد العالى . وقامت الحكومة المصرية باهدائنا معبد « طافا » الذى اقمناه فى فناء متحف الآثار بمدينة لايدن . كما ان لنا بعثات للتنقيب عن الآثار ، وقد اكتشفنا مقبرة حور محب ، ونقوم الان بترميم « وكالة بازرعة » فى حى الامام الحسن . ●

قصة

السلوى



● محمد عبد الحليم عبد الله ●

● كان جو الليلة مائلا الى البرودة ، وعلى الارض بلل من مطر يعكس الاضواء الزاهية بالوانها كلها على اسفلت الشارع .. والجمهور الخارج من السينما يتطلع الى السماء متعجلا عودته الى البيت . فقد كان الجو ينذر بمطر جديد ، والعشاق والازواج يلوذ بعضهم ببعض كأنهم يطلبون الدفء ..

ولم تكن سيارات الاجرة الواقفة على مقربة من السينما قليلة هذه الليلة ، ولذلك كان سائقوها يتعجلون كل نداء .. واول سيارة تحركت من المكان كانت قاصدة الى مصر الجديدة يقودها شاب على رأسه قلنسوة من الصوف نزلت حتى اذنيه لتمنع عنه البرد .

أما الراكبان فقد كانا رجلا وامرأة كل منهما في متوسط عمره ، عليهما طابع الاناقة ويبدو انهما غير متزوجين . وبعد ان اقفل باب السيارة ملأ العطر انحاء المكان ، وتنهدت المرأة وهي تضطجع في الركن ، وجلس صديقها على مقربة منها متلامسين واحدى كفيها مسترخية بين كفيه .

اما السائق فقد كان مرهف السمع . الاذنان متأهبة لان تسمع كل همسة لانه كان يعيش في مأساة شخصية منذ ثلاثة اسابيع . وكان يسمع في ثرثرة بعض الركاب من خلفه ما ينسيه آلمه احيانا . لم يفق الى الطريق حيث توقفه الانوار الحمراء او تسمح له الانوار الخضراء بمواصلة السير .

وحتى ميدان باب الحديد لم تصدر كلمة من احدهما . ولما وقعت الانوار البنفسجية من المصابيح الساهرة في الميدان على وجه المرأة خيل لصديقها أنه يراها مسبلة الاجفان وكأنها تحلم فسألها بصوت سمعه السائق :

– لماذا انت ساكتة ؟

فأجابت وكأنها استيقظت من النوم :

– آه .. يمكن .. ربما .. لانني لا اريد ان اهوش الصورة العالقة في ذهني من بعض مناظر الفيلم !

وعندئذ تذكر السائق العنوان الكبير المكتوب تحت الاضواء على واجهة السينما وتذكر صورة رجل قد وضع كفه تحت ذقنه وهو جالس يفكر وعلى مقربة منه وجه حسناء . والفيلم نفسه اسمه « خيال حسناء » لكن السائق لا يعرف تفاصيله . غير انه أحس أن علاقة مبهمة وان كانت مجهولة تربطه بكل قصة حب . خصوصا في هذه الايام التي يعيشها وكأنه في دوامة فتنهد السائق في الوقت الذى سمع فيه تنهيدة اعلى درجة قد صدرت من الخلف ، من الرجل الاخر ..

وبدأت السماء تسكب مطرها ، واخذت المساحة على الزجاج الامامي للعربة تعمل في رتابة متئدة والشارع ممتد طويل يلمع كأنه نهير ساكن . وانطلقت من خلال هذا الصمت ضحكة عالية من الراكب قال بعدها لصديقته :

– وهل تذكرين منظر الوداع الذى كان بينهما ؟



وتنهد وعاد يمصمص شفتيه ..
وقالت السيدة الجالسة فى المقعدالخلفى هامسة فى اذن صديقها :
- يظهر ان النعناعة التى فى فمه لم تلب حتى الان ..
وضحكت فى خفوت واراد صديقها انيغطى على ما قالته خوفا من ان يكون الرجل قد سمع ما قالت فتنحنح وعاديتكلم بصوت مرتفع عن حوادث الفيلم:

- آه .. هذا ما لا أستطيع ان انساه!
- هاها .. انه كان متناقضا بحيث ضحكت وانا ابكى . فعندما قابلته فى الكازينو والمكان خال حولهما اخرج كل منهما لفافة وقدمها الى صديقه فى صمت .. هاها .. هل تذكرين هذا المنظر .. كفانا الله شر ذلك .

ثم ضغط على كفها التى احس منها بالبرودة تسرى فى اطرافها ،ولم يستأنف الحديث مباشرة . وفى هذه اللحظات التى ساد فيهـا الصمت الا من ازيز محـرك السيارة ، رجع السائق بذهنـه الى ايام يتذكر الخلاف الذى دب بينه وبين اهل خطيبته ، وكيف انه ذهب اليهم ذات مساء فدخلت عليه حماة المستقبل وقدمت اليه لفافة .. تركها السائق موضـوعة حيث كانت وظل يحملق فى وجه المرأة بعينين تقيضان بالاتهام ..

ثم صدرت من الراكب سعلة خفيفـة اعقبتها ضحكة صغيرة من السيدة قالت له بعدها بصـوت هامس لا يخلو من الدعابة :

- الم اقل لك انــه يجب ان تترك التدخين .
- وانا ، الم اقل لك انه يجبان تتركى .. (وهمس بصوت خافت) الحب !
- نعم قلت ..
- لا التدخين ولا هو .. استطيع ان اتركهما !

وكان السائق فى هذه اللحظـة على الرغم من سماعه ما قيل لا يزال واقفـا بافكاره عند اللفافتين .. اللفـافة التى قدمت اليه واللفافة التى تبادلها البطلان فى الفيلم .. واطفا شوقه سماعه للرجل يكمل الحكاية .

- ولما تبادلا الرسائل فاخذت ما سبق ان كتبته اليه ، واخذ ما سبق ان كتبه اليها ، واوشك الموقف على الانتهاء تقدم اليها برجاء ما لبثت ان نفذته بسرعـة وصمت واهتمام . هو أن ينسخ صورة بخطه هو من اول رسالة حب كتبتها له وفعلت هى مثل فعله . وقد أثار منظرهما الغاضب وهما منكبان على الكتابة ضحكى ودموعى ! ..

فتبسمت السيدة وهي تضحك في اشفاق . وعاد الصمت فخيم على المركبة. وتذكر السائق ليلة أخذ اللفافة التي قدمتها اليه المرأة وفتحها فاذا هي تحتوي على القرط والدبلة اللذين قدمهما شبكة لفوزية ، ذات العينين السوداوين والقوام اللين . وكان على يقين وهو يضع الاشياء في جيبه بحماسة الرجل المطرود الذي يدافع عن كرامته ، كان على يقين من ان فوزية تبكي في الحجرة الاخرى .. ومنذ ذلك اليوم وهو يحس باحساس من يبحث عن شيء ضائع فهو يحملق في كل الوجوه كأنه سيراها في خيال كل امرأة .. وهو يستمع الى كل قصة ليلتمس فيها الملهاة والسلوى ، وحدث نفسه :

ـ « لو كانت فوزية تعرف الكتابة لأرسل اليها خطابا بطريقة ما وتلقى منها الرد . انه لا يشك في انها تحبه لكن امها تصرفت بالنيابة عنها . وابوها رجل كسير الجناح ضعيف لا كلمة له ، فلو كان ذا شخصية في بيته فربما تغير الموقف . »

وتنهد وعاد يمصمص شفتيه .
وقالت السيدة الجالسة في المقعد الخلفي هامسة في اذن صديقتها :
ـ يظهر ان النعناعة التي في فمه لم تذب حتى الآن .

وضحكت في خفوت ،وأراد صديقها ان يغطي على ما قالته خوفا من ان يكون الرجل قد سمع ما قالت فتنحنح وعاد يتكلم بصوت مرتفع عن حوادث الفيلم :

ـ « لقد رحل الى امريكا الجنوبية بعد ذلك ليغير الجو والناس .. مسكين .. تصوري انني رثيت لحاله كأنني كنت اعرفه حين رأيته يحمل متاعه كئيبا ليهاجر الى بلد آخر .. و .. »
فقاطعته السيدة قائلة باعتزاز وثقة :
ـ ولكن ان الذكريات ترحل مع كثير من الناس . ألم ترحل معه فعلا . بالعكس .. كان انكبابه على اعمال الزراعة هناك واغراق نفسه في العمل دليلا على انه عاجز عن المقاومة !
فتمتم الرجل قائلا :
ـ آه .. يعني .. ماذا اذن تظنين ان يفعل الناس !
وساد الصمت مرة اخرى . وكانت السيارة قد اجتازت ميدان العباسية واخذت في الاتجاه الى طريق مصر الجديدة وانخرط السائق في الافكار :

ـ « هل من الممكن ان اهاجر من القاهرة .. لأنسى .. مادام البعد عن اماكن الحوادث يساعد على النسيان . لكن .. انها هي ذي امامي .. انني اراها تهتز في هذه (العروسة) المعلقة أمام الزجاج في العربة .. كأنها تنظر الى بعينيها . فقط لو انهم صارحوني بالسبب الذي من اجله عملت امها معي هذا العمل القبيح .. »
وعاد يمصمص بشفتيه فغلبت السيدة ضحكة غالبتها وقالت تهمس :
ـ يظهر انه وضع في فمه نعناعة اخرى . !
فما كان من صديقها الا ان رفع صوته ليداري حماقتها قائلا :
ـ هل تذكرين السبب الذي حملها على الخلاف ؟
فاجابت بدلع :
ـ نعم .. لقد عذبها بغيرته عليها في كل مناسبة . وكان آخرها قصة غيرته من معلم الموسيقى العجوز الذي كان يتردد عليها في بيتها ، ثم قدم اليها هدية بمناسبة عيد ميلادها . وحاولت ان تقنعه ان الفنانين فيهم رقة فطرية بالنسبة لكل الناس .. لكن ، عبثا حاولت معه .. واتسعت شقة الخلاف حتى ادت الى الفراق .
ـ على أن اجمل شعور انساني اعجبني هو شعورنا نحوه بعد غيابه فكما كان هو يحرق نفسه في اعمال الزراعة لينسى كانت هي تحرق نفسها بطريقة اخرى .

وسكت واخرج علبة سجائره واشعل سيجارة وخيل للسائق انه نسي الموضوع وكاد يتدخل ليسأله عن المسألة لكن لطف الله به جعل الراكب يقول :



ـ كانت المسكينة تسهر كل ليلة لتكتب له رسالة طويلة تقول فيها كل ما تشتهي .. ثم تمزقها !

عندئذ خيم السكون مرة اخرى فعاد السائق يفكر :

ـ « آه .. لو كانت فوزية تعرف الكتابة . مسكينة انها لا تملك ان تكتب حرفا ولا تملك ان تنطق حرفا .. في وجه امها ولا ابيها حتي ولو كان مرتبطا بمستقبلها » .

ومصمص بشفتيه واخذ يسترجع سلسلة الحوادث بينه وبين اسرة خطيبته منذ عام مضى حتي الليلة المعهودة فتذكر شيئا اثار شكوكه . سعد الدين افندي ناظر الزراعة الذى كان يتردد عليهم والذى قالت عنه فوزية ذات يوم انزوجته قد ماتت ثم اخذ يحمل الهدايا الكبيرة من مال غيره لام فوزية من بواكير العنب والمانجو والبطيخ بصرف النظر عن انه من سن ابيها . وقد رأت الام ان الفرق بينه وبين سائق تاكسي فرق كبير . نعم لقد رأى ذلك فى عينيها ذات ليلة والضيف عندهم لكنه لم يكد يصدق ظنونه ..

ثم قال فى نفسه : لكن .. اليس من الجائز ان تهب الرياح فى اتجاه آخر . ان تموت ام فوزية .. أو ان يموت سعد الدين هذا .. أو أن تهدد فوزية امها بالانتحار ان زوجتها منه فترجع الى .. لكن .. هناك حل اسهل من كل هذا هو .. ـ كاد ينطق بافكاره ـ هو .. أن أموت أنا .

واحس بغصة فى حلقه وبحاجة الى الدموع . وجاءه صوت السيدة من الخلف تقول : يالها من رواية .. لعن الله الحب .. لقد عذب الاثنين .

فخرج الى القصة الاخرى وقال بينه وبين نفسه :

ـ سأجعلها نالا لقصتي فاذا عاد الحبيبان فى الفيلم كل الى الاخر عادت الى فوزية .. والا .. لا ..

وعندئذ جاءه صوت من الخلف يقول :

ـ البيت الثاني على اليمين بعد الناصية .. من فضلك !

وهناك نزلت السيدة . وواصلت السيارة شوطها . فقال السائق فى نفسه لماذا لا اسأله الان عن ختام القصة عسى ان يكون فيها امل ، فضلا عن انها شيء مشوق .

واخذ يجمع شتات شجاعته ليسأله عن نهاية الفيلم .. وتردد .. وعاد يمصمص بشفتيه .. واخيرا استجمع قواه وهتف :

ـ يا سعادة البيه

فرد عليه صوت مرح يقول ضاحكا :

ـ كأنك تعرف البيت .. نعم . نعم . هو التالي الى اليمين .. لعلك جئت معي مرة قبل ذلك .. قف !

فوقف ، ونزل الراكب ببقية القصة ، وتحرك السائق بأثقال قصته ، وقبل ان يفيق من غمرة الاحداث التى بخلت عليه بالسلوى سمع صوت رجل مخمور ينادي بصوت متلعثم ويشير بحركات مضطربة قائلا :

ـ تاكـ .. سي .. تاكـ .. سي !

فذهب اليه وهو يلقي نظرة على العروسة المعلقة فى مقدمة العربة التى تتارجح امام عينيه كأنها طيف من الذكرى .

تصحيح التاريخ

● د. احمد شلبي ●

عندما دخلت غمار البحث في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، سرعان ما وجدت مجموعة كبيرة من الاخطاء شاعت وتقبلها الناس دون تمحيص ، ومن هنا اخذت نفسي بمبادىء صارمة هي أن أحقق الاحداث التي أواجهها والا أتقبل ما كتبه الأقدمون على انه حقائق لا تحتمل الشك ... وقد نتجت هذه الاخطاء عن الاسباب التالية :

١ ــ سوء تفسير النصوص التاريخية .

٢ ــ عدم التعرف على العوامل التي سيطرت على المؤرخين الاوائل ووجهت كتاباتهم وجهة معينة في بعض المسائل

٣ ــ عدم بذل الجهد بالنقد والمقارنة للوصول الى الحقيقة

٤ ــ التأثر في تدوين التاريخ بمؤثرات النسب او مكانة الأماكن المقدسة

٥ ــ الوقوع في الشرك الذي ينصبه من يعملون على تشويه الفكر الاسلامي من غير المسلمين .

٦ ــ وجوانب كثيرة من تاريخ مصر مسها التحريف لسبب او لآخر ــ كما سنرى .

ومن أجل هذا عقدت هذه الدراسة لافتح الباب الى تصحيح قضايا التاريخ وقضايا الحضارة الاسلامية ، ولكن ينبغي لمن يطرق هذا الباب ان يكون هادئا يحاول البناء واحقاق الحق للحق ، لا رغبة في تظاهر أو سخرية مما فعله السابقون ، فالمؤرخ يتخذ من اقوال السابقين دعامته ، وليس له أن يدمر هذه الدعامة ، ولكن له أن يصححها كلما قابل انحرافا فيها أو بعدا عن الجادة .

وأول ما نبرزه هنا أن النصوص التاريخية كثيرا ما أسيء تفسيرها فحدث الخطأ ، ومن ذلك أن ارنست ديز يقول في دائرة المعارف الاسلامية عند الحديث عن مناهج الكتاتيب ما يلي :

كان الأدب الموضوع الرئيسي الذي يعلم للأطفال ، مما دعا الى أن تسمى الكتاتيب « مجالس الادب »

وقد ذكر ديز أن مرجعه في هذا الاقتباس هو « الاغاني ١٨ : ١٠١ »

ولكن الأغاني لا يعني هذا من قريب أو من بعيد ، فكل ما ورد فيه هو حديث الحسين بن عبد الله بن جبلة الذي يقول فيه : كان لجدي أولاد ، وكان على أصغرهم ، وكان الشيخ يرق عليه فجدر ، فذهبت احدى عينيه في الجدري ، فأسلم في الكتاب ، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان ، فحمل على دابة ، ونثر عليه اللوز ، فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت ... فقال الشيخ لولده ، أنتم لكم أرزاق من السلطان ، فان اعنتموني على هذا الصبي ، والا صرفت بعض أرزاقكم اليه ، فقلنا : وما تريد؟ قال : تختلفون به الى مجالس الأدب »

فمجالس الأدب انضم اليها على بن جبلة بعد أن اتم دراسته بالكتاب بتفوق ، فهى مرحلة اخرى غير مرحلة الكتاب ...

ومثل ذلك ما يقوله الدكتور خليل طوطح فى كتابه « التربية والتعليم عند العرب » فقد ذكر تحت عنوان «البنت والمكتب» ما يلى : ومما يذكر فى كتاب الاغانى تردد البنات الى المكتب فى القرن الثانى للهجرة» ثم أورد الدكتور طوطح اقتباسات غير كاملة من الاغانى يرى أنها تؤيد رأيه « وسنوردها فيما بعد » ويعلق على هذه الاقتباسات بقوله : فمن هذا يظهر ان الفتيات ذهبن للتعلم فى المكتب ، وفى بعض الاحيان تعلمن مع الفتيان كما هو معروف اليوم فى بعض الاماكن .

ومرجع الدكتور طوطح هو الاغانى ١٤ : ٤٩ ، ٢١ : ٤٨ فاذا ذهبنا الى الاغانى فى الموضعين المذكورين ، وجدنا النص الاول كالآتى : كان بالكوفة رجل يقال له على بن آدم ، وكان يهوى جارية لبعض اهلها « أهل الكوفة » ، وانه علقها وهى صبية تختلف الى الكتاب ، فكان يجىء الى المؤدب ليجلس عنده لينظر اليها ، فما أن بلغت حتى باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعا عليها .

اما النص الثانى فهو كما يلى :

حدثنى القطرانى المغنى عن محمد ابن حسن قال : « كان خليل المعلم يلقب « خليلان » وكان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد ، فحدثنى من حضره قال : كنت يوما عنده وهو يردد على صبى يقرأ بين يديه قوله تعالى : « **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم** »

ثم يلتفت الى صبية يردد عليها :

اعتاد هذا القلب بلباله .

ان قربت للبين اجماله

وانا ، اذ انظر الى هذين النصين لا اوافق الدكتور طوطح على الاستنباط الذى استخرجه منهما ، لان البنت التى نقول انها تعلمت فى عصور الاسلام الاولى ونالت قسطا ملحوظا من الثقافة ، هى البنت الحرة قبل كل شىء .

وهذان الاقتباسان يتعلقان بالجوارى ، فلا يمكن ان ناخذ منهما حكما عاما على ان البنت تعلمت بالمكتب مع الاولاد ، لان تعليم الجوارى بالمكتب لا يدل بحال من الاحوال على تعليم الحرائر به ، اذ ان كراهية اختلاط الجنسين ما كانت تنطبق على الجوارى ، فقد كن مبتذلات منحن كثيرا من التسهيلات التى لم تستمتع بها الحرائر .

ولم يكن المراد بتعليم الجوارى هو الثقافة بقدر ما كان يراد به رفع اثمانهن بتعليمهن الكتابة ، كما فى الاقتباس الأول ، او الغناء كما فى الاقتباس الثانى ، على أن الاقتباس الثانى أبعد جدا عن الموضوع لتعلقه بالغناء الذى هو صنعة أخرى صادف أن المؤدب كان يجيدها ، وكان يزاولها مع عمله البعيد عنها كل البعد ، كما يزاول بعض معلمى مكاتب الريف المصرى فى هذه الأيام بعض الصناعات اليدوية السهلة ، وهم يشرفون على

اطفال المكتب ، فلم تكن هذه البنت في الحقيقة ملتحقة بالكتاب .

***

وعندنا من النصوص الصريحة ما يؤكد لنا أن البنت لم تلتحق بالكتاب صبية ، ولم تجلس في حلقة الرجال شابة ، وكان الغالب أن تتعلم في المنزل عن طريق احد اقاربها او بمؤدب يعين لها :

يروى البخارى « ١ : ٢٨ » ان النساء قلن للنبى صلى الله عليه وسلم « غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك » — فعين لهن يوما يلقاهن فيه ويعلمهن .

وقد ثقف الأعشى ابنته وعلمها حتى اصبحت اديبة ناقدة ، ويروى أن الأعشى كان اذا قال القصيدة عرضها عليها ثم يقول لها : عدى لي الخرزات فتعدها له .

وكان عيسى بن مسكين يجلس للطلبة الى العصر فاذا كان بعد العصر دعا بنتيه وبنات اخيه وحفيداته ليعلمهن القرآن والعلم ، وكذلك علم اسد بن الفرات ابنته اسماء ، والامام سحنون ابنته خديجة ، كما كان يعين مؤدبون خاصون لتعليم البنات في بيوت أهل الثراء وقصور الامراء .

وننتقل الى حدث رائع عظيم في الفكر الاسلامى هو حدث الاسراء والمعراج ولكن الروايات اتجهت بهذا الحدث اتجاها ماديا يقلل من روعته وجلاله وقد عدت لهذا الحدث بدراسة عميقة مسترشدا بكتاب الله وسنة الرسول وما كتبه كبار المسلمين .

واول موضوع نناقشه فيه هو ذلك الموضوع الذى يثار دائما في هذه المناقشة هو : هل كان الاسراء والمعراج بالروح والجسد او بالروح وحدها ؟

والذى أراه ان المسلم الذى تلقى القرآن وآمن به لا يجوز ان يتردد في ان الاسراء والمعراج حدثا بالروح والجسد جميعا ، ففى القرآن الكريم آيات تصور حدثا قريب الشبه بالاسراء من ناحية الانتقال المادى من مكان الى مكان ، قال تعالى :

« أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ... قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين . قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ... » — « سورة النمل الآيات ٣٨ — ٤٠ »

فهذه الآيات تقرر ان عرش بلقيس نقل هذه المسافة الطويلة من اليمن الى فلسطين في لمح البصر ، وقبل ارتداد الطرف ، فاذا كنا قد آمنا بذلك فماذا يمنعنا من الايمان بنقل سيدنا رسول الله الى حيث شاء الله دون اعتبار للعادة او مقياس الزمان والمكان ...

ونقطة ثالثة نشير اليها هنا هى ما يروى عن قصة صعود سيدنا رسول الله مع جبريل الى السموات العلى ، فالرواية تصور هذا الحادث الجليل تصويرا ماديا محضا وتصور السماء سقفا كسقف البيت ، وترى ان جبريل استفتح الباب فسئل من الذى يستفتح الباب ؟ فاجاب : جبريل . فسئل مرة اخرى : ومن معك ؟ فاجاب : محمد ... فسئل ثالثا : هل اذن له ؟ فاجاب : نعم ..

وهكذا يقف عند كل سماء على هذا النمط حتى يصل الى مكان لا يستطيع جبريل ان يتقدم اليه ، فيقول جبريل لمحمد : تقدم انت ، اما انا فليس لى ان اتقدم خطوة واحدة بعد ذلك ..

وهذا التصوير مادى محض ، وعندما يطلب سيدنا رسول الله لهذا اللقاء **السامى فلابد ان تكون الاوامر قد صدرت لكل من بالطريق ليهيىء السبيل**

لهذا اللقاء، ولا يقف محمد بهذا النمط الذي تصوره الرواية ، ثم أن الرواية تصور الله جل وعلا كأنه هنالك فى مكان يسعى له محمد مع ان القرآن الكريم يقول : « وسع كرسيه السموات والأرض » ويقول علماء التوحيد انالله فى كل مكان او ينزهونه جل وعلا على المكان ، فيقولون انالله ليس لهمكان. وعلى هذا فالصورة السابقة مردودة تماما بنص القرآن وبحكم الفكر الاسلامى ، ثم الا تعرف الملائكةجبريل وهو يروح ويغدو بالوحى من مطلع البشرية ؟ وهل يوقفه الملك حارس الباب فى كل مرة ؟

والقرآن الكريم يوضح أن القمر فى السموات . قال تعالى. « ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ،وجعل القمر فيهن نورا »

وقال : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا »

وقد استطاع العلماء الأمريكيون أن يصلوا الى القمر وان يهبطوا عليه ، واننا لنتساءل هل وتقروا يستفتحون أبواب السماء وموسى الذى تخطاهم؟

ونقطة أخرى جديرة بالذكر هى فرض الصلوات الخمس ، والرواية فى هذا الموضوع مادية للغاية فى تقديرى، فهى تصور موسى فى السماء السادسة أو السابعة ، وتصوره يسأل محمدا: ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك ؟ فيقول: خمسون ركعة فى اليوم والليلة. فيقول له موسى : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، ويستجيب محمد ويعود فيجعلها الله أربعين أوخمسا وأربعين . ولكن موسى يعيد محمدا مرة أخرى وثالثة ورابعة. فلما صارت الصلوات خمسا لم يقتنع موسى بذلك، وطلب من محمد أن يراجع ربه مرة أخرى ، وعاد محمد فعلا ولكنه تلقى من الله قوله : ما يبدل القول لدى ، جعلتها خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر .

واعتقادى أن هذه القصة من الاسرائيليات التى ترمى الى وضع موسى فى موضع المعلم لمحمد وصاحب الفضل على المسلمين ، وكأنه اعرف بأمة محمد من محمد ، وقد تسربت رائحة الاسرائيليات من الروايات المتصلة بهذا الموضوع ، فقد جعلت بعض الروايات موسى فى السماء السابعة وجعلته يقول عندما رأى محمدا يتخطى السماء السابعة الى ما فوقها: رب لم اكن اظن ان ترفع على احدا ، ثم ان الروايات تقسو فى تصوير اعتراض موسى لمحمد ليعود الى ربه وعبارتها هى : عندما عاد محمد احتبسه موسى وهو تعبير لا يليق بسيدنا رسول الله، وكم عانى المفكرون المسلمون من اشياء وضعها الوضاع، وتقبلها بعض المسلمين ، وراحوا يدافعون عنها بحماسة متصورين أن الشك فى حديث واحد من أحاديث البخارى او مسلم يسقط كل احاديث البخارى أو أحاديث مسلم ، ولست أريد هنا أن أخوض فى دراسة عن الحديث ، ولكنى وأنا اعرف أن حديث الغرانيق والسحر وغيرهما وردت فى هذه الكتب المهمة - أقرر أن هناك احاديثا موضوعة وجدت طريقها الى البخارى أو مسلم ولكنها قليلة جدا ، والحكم بوضعها لا يمس من قريب او بعيد باقى الأحاديث ، فوجود خطأ او اخطاء محدودة فى اى كتاب من الكتب لايضيع من قيمته ،وكل كتاب يحتمل فيه الخطأ والصواب الا كتاب الله وليس من المعقول ان نرتفع بالبخارى ليصبح من العصمة فى درجة تساوى القرآن .

ومن العجيب اننا عندما نحاول ان نفند الاسرائيليات وننقى منها الفكر الاسلامى ، يتصدى لنا بعض المسلمين

الذين وضعوا انفسهم حماة للاسرائيليات دون ان يشعروا ، واعتراضنا على القصة السابقة من عدة **وجوه :**

اولا ــ انها تصور الله سبحانه وتعالى كموسى في وضع مادي يمشي له محمد ويعود لموسى ثم يرجع اليه ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثانيا ــ تصور الله تعالى على غير ماهو معروف عنه من وفرة المنح ومن الكرم العظيم ، فهي تصوره ينقص الخمسين الى خمس واربعين ثم ينقصها في جولة اخرى الى اربعين ثم الى خمس وثلاثين ... ونحن نصرخ في وجه من يقول هذا القول بان كرم الله تصوره آياته « **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** » و « **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة** » ولا يمكن ــ الا في خيال مادي ــ أن تتم هذه الصورة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثالثا : انها تومي الى وضع موسى في موضع المعلم لمحمد ، ومحمد خاتم الانبياء وافضلهم وامامهم .

رابعا : كيف يتصور العقل محمدا ذاهبا وعائدا عدة مرات ، بناء على طلب موسى ، والابن لايطيع اباه الى هذا المدى مهما كان في ذلك خير له .

واعتقادي ان الصلوات فرضها الله من اول الامر خمسا في العمل وخمسين في الاجر ، او فرضها خمسين فاستعطفه سيدنا رسول الله فاستجاب الله اليه وجعلها خمسا في العمل وخمسين في الأجر .

ونقطة خامسة واخيرة هي ان حدث الاسراء والمعراج لم يتخذ معجزة من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم، لان دين الاسلام لا يتخذ الخوارق معجزات ، لانه دين لا ينبني على المعجزات التي تشده العقول وتفحم ، انما معجزات هادئة باقية كما وضحناها في كتابنا « الاسلام » والدليل على اتجاه معجزات الاسلام هو قوله تعالى « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون »

ويقول الاستاذ العقاد في ذلك : والنبي في الاسلام ليس بصاحب الخوارق والاعاجيب التي تشل العقول ، وتهول الضمائر ، وتخاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون .

وقد كتب فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى يؤيد هذه الاتجاهات ويرى ما سواها شطحات وخيالا ، ويؤكد ان الحديث الذي رواه البخاري قد ورد بسبع روايات مختلفة في تحديد عام الاسراء وفي شهره **وفي يومه ، وفي كيفيته** ، وفي المكان الذي جاء الملك الى النبي فيه، وفي ربط البراق بالصخرة ومن الذي ربطه وكيف ربطه ، وفي مراجعة الرسول لربه في تخفيف الصلاة .

واختلاف الروايات في حديث ما على هذا النمط ينفي عنه ــ عند علماء الحديث ــ صفة الحديث الصحيح والحسن . لقد حدث الاسراء والمعراج بالتأكيد ، فاسري بالرسول الى بيت المقدس ثم عرج به الى مكان اختاره الله ، وهناك تجلى الله عليه وفرض عليه الصلاة خمسا في العمل وخمسين في الثواب .

وقد نتابع عرض القضايا التاريخية التي تحتاج لتصحيح ، ونضع معها الصورة الصحيحة لهذه القضايا .

ماتغير



● روحية القليني ●

لا الوجه منك ولا الفؤاد تغير … مازلت ترعى لى الهوى وتقدر
الحب فى عينيك شوق لاهف … والشوق كم يبدى الهوى ويصور
ويخامر الشك المعربد خاطرى … فإذا لقيتك ذاب كل محير … !
وتحن فى لهف بهمسة هاتفى … وأنا أحن لجرسه المتكرر
تنغم يداعب وحدتى بحنينه … أستاف منه مع الخيال فأسكر !
مازلت تذكر لون ثوبى زاهيا … فجر اللقاء .. وكم تعد وتذكر !
مازلت تذكر رغم قسوة دهرنا … إنى أنا الماضى الذى لا ينكر !
إنى أنا الماضى الحبيب بعمقه … مر الزمان عليه لم يتأثر !
وتقول : إنى ما نسيتك لحظة … والصدق فى عينيك نور يبهر ..
من كنت حولى دائما أو مضى حبا … مازلت وحدك لى الضياء ينور !
كن السراب وأنت حلو حقيقتى … قد كنت قبلك فى الحياة محير !
قدرى استبد ولم يهادن يا ترى … عاد الزمان يعيد ما قد دمر !

***

رجعت لى الماضى وأحلام الهوى … رجعته حلوا كذوب السكر !
فى كبرياء قد مددت يد الهوى … وتركتها فى كفه لتفسر ...
وتذيع ما أخفيت فى صمت الهوى … فالصمت للقلبين خير معبر
لا وقت للأيام بعد نضيعها … فكفى من الأيام ما قد أدبر
أنا مانسيت ، وتلك أوراقى بها … ذوب الفؤاد مع الأريج معطر !
إذ كيف أنسى ، وهو عمرى فى الهوى … أو كيف ينسى .. لا .. ولن أتصورا

مع الشعراء

● تأليف: الدكتور زكي نجيب محمود ●

مما لا شك فيه ان حضارة العرب لها جذور عميقة في شتى العلوم والمعارف ، وان علماءها ومفكريها لهم بصمات مضيئة على حضارة الغرب التي تخلفنا عنها اليوم لظروف عديدة احاطت بامتنا العربية ، وهذا مما شغل استاذنا الدكتور زكي نجيب محمود بقضايا الفكر تنويرا للعقل حتى يهدى ويهتدى ، فكانت ثلاثيته الشهيرة التي ترسم طريقا يجمع فيه بين تراثنا القديم وحضارة الغرب الحديثة في مركب كيميائي تختلط فيه العناصر حتى لا تكاد تميز فيها بين القديم والجديد وبذلك جاء الكتاب الاول «تجديد الفكر العربي» ، ثم «المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري» ، وثالثهما «ثقافتنا في مواجهة العصر» ، وهي كتب تعالج قضية التراث والمعاصرة بعلمية من حيث التوفيق بين قضايا الفكر وقضايا الواقع .

وقد وقف الدكتور زكي نجيب محمود في ساحة الفكر مشهرا سيفه يهوى على الخرافات والخزعبلات التي تكبل الفكر العربي المعاصر ، فيمسك بميزان العقل يريد له أن يتصدر كل الموازين وان ترتد اليه كل الامور ..

وعلى هذا النمط كان كتاب « مع الشعراء» الذي تناول فيه اعلاما كبارا لهم بصمات مضيئة على الفكر والادب ، لم تعرض لقضايا الشعر بنظرة موضوعية ومحايدة .

ومن الشعراء الذين تعرض لهم الكاتب بالدراسة والتمحيص عملاق الفكر والادب الاستاذ عباس محمود العقاد حيث يرى الدكتور زكي نجيب محمود أن شعر العقاد رؤية صادقة قد تكشف من كل ما هو غامض لتزيل عنه ستار غموضه : فهو بذلك شعر يثير احساسات وخيالات كل من يتذوق الشعر وله دراية به ، وكان شعر العقاد الذي يصدر من بحر واسع عميق يحمل في طياته كل مفيد مبتكر وكل مضمون ذي نفع وقيمة فلسفية وعلمية لها اثرها في الشعر والادب .

ويتضح هنا أن مهمة الشاعر مهمة نفاذة تظهر لنا كل ما هو معنوي في صورة مادية جميلة لها معنى ومغزى في هذا الكون حيث يقول العقاد :

والشعر من نفس الرحمن مقتبس
والشاعر الفذ بين الناس رحمن

وبهذا المقياس كانت النظرة الى شعر العقاد . وقد وضح لنا المؤلف عمق نظرة العقاد لما يراه من الوجود حيث يوجد له مضامين في نفسه . وقد ربط المؤلف تلك الظاهرة بما للعقاد من قوة فكر وابداع لما يراه في الخارج وذلك واضح في ديوان العقاد ومن اول قصيدة فيه ، وهي « ترجمة البحر » حيث

نجد أن القصيدة عند العقاد بناء من الصوان ، والقلم في يده ازميل النحات ، وهنا نجد شعر العقاد اقرب شيء الى فن العمارة والنحت .

ومن آراء العقاد ان الوجود كأنه روح تفرعت منها مادة تجسدت في الكائنات التي تراها من حولك ، وان المتتبع لشعر العقاد يحس بأنه مؤمن بأن الاصل الروحاني الاول قوامه وجدان وعاطفة لان جوهره الحب ، ومن الحب تنشأ الحياة وأن هذه الحياة تظل في كائناتها الاحياء برغم جمالها ـ كالخرساء التي لا تنطق لتفصح عن سرها حتى يتاح لها الشاعر الذي يحسها عميقة غزيرة في نفسه :

الحب والشعر ديني والحياة معا

دين لعمرك لا تنفيه اديان
هي الحياة جنين بث من قدم
لولا التجاذب ما ضمتك أكوان !.

فالاصل عنده هي الحياة الشاعرة لا الحياة العاقلة .

وهذا جزء من ملامح العقاد الشاعرية والفلسفية كما رسمها المؤلف في كتابه « مع الشعراء » ..

ثم ننتقل الى شاعر آخر الا وهو امين الريحاني ، الفيلسوف الانساني الذي اتخذ من رحمة الانسان بالانسان معيارا للسلوك ، وقد قال عنه المؤلف هنا : انه بالنسبة للأمة العربية ما كان طاغور لأبناء الهند ، فكلاهما صوفي يتحرك باحساسات مرهفة ما لا يحركه غيرهما من الناس ، ووجد امين الريحاني في الطبيعة ملاذا كما يلوذ الوليد بحضن امه فيخاطب الطبيعة بقوله : ايتها الام الازلية ... عانقيني واهمسي في اذني بعض اسرارك ، املئي حواسي وكياني من نفحاتك ونسماتك ، افتحي امامي اعماق روحك المخيفة الهائلة اطرحيني على صدر عواطفك ..

وبذلك نجد ان خير موضع لشاعرنا امين الريحاني الصوفي الوجداني هو أن يكون بين جماعة الانسانيين . وهو بذلك كغيره من الفلاسفة الانسانيين ، يريد لعقله الحرية ولنفسه الانطلاق .

ثم قدم لنا المؤلف دراسة وافية عن الشعر الحديث وشعرائه الذين استطاعوا بحساسيتهم المفرطة وحبهم المتزايد لوطنهم ان يشعروا بكل ما اصاب مجتمعهم ودنياهم المعاصرة من احداث وكوارث وضغوط ثم ما اصاب الانسان من حيرة واضطراب وشد وجذب ، وبذلك نجد ان المؤلف اعطانا صورة حية نابضة عن الشعر الحديث من حيث ما له وما عليه بنظرة محايدة وموضوعية تامة .

ثم انتقل الكاتب ليتحدث عن الشاعر علي أحمد سعيد وديوانه : « أغاني مهيار الدمشقي » ، وهو من أصحاب الشعر الحديث ايضا فتناوله بالدراسة والتحليل ليقدم لنا نموذجا وافيا من هذا الشاعر وديوانه ممحصا كل افكار الشاعر من حيث المضمون والشكل فأعطانا صورة كاملة عن شعر علي أحمد سعيد .

ولم يفت الكاتب هنا ان يبين لنا مسيرة جيل من الشباب الذين ضحوا بحياتهم ألما وولعا لما أصاب أوطانهم من حزن ومصائب وتخلف ، وهو الجيل الذي حمل بين جناحيه آمال امة أصابتها الكوارث والمحن مما جعله ينشد على قيثارته شعرا هو بصيص من نور وهاج لأمة لها ماض عريق مجيد .

والشعر عند هؤلاء الشبان رسالة تتلقى من السماء وحيها وتنشر للناس نورها .. تهدف رسالتهم السمحى لازاحة ستار الجهالة والرق بنور الحرية وهؤلاء الشعراء هم الشابي في تونس ، والتيجاني في السودان ، والهمشري في مصر .. **وهم نماذج من الاحساس الملتهب الذي تأثر بما حوله وظلوا بين يأس وأمل عازفين على قيثارة الشعر الحانا ، وشعراؤنا الثلاثة من اصحاب الشعر الجديد ايضا .**

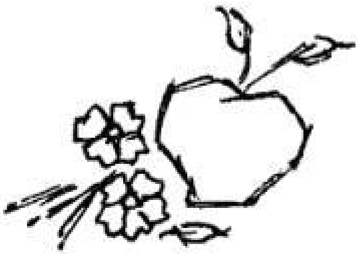
وبذلك كان شعراؤنا في الجيل الماضي : نفوسا ثائرة ملتهبة بوجدانها الملتهب ووطنية صادقة تهتدي بمثالية انسانية رفيعة وروح مشبوبة بالايمان وبذلك انطلقت احزانهم حزينة شاكية .

وعلى هذا نجد الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه « مع الشعراء » قد قدم لنا دراسة منصفة للحق واظهار عظمة هؤلاء الذين لهم آثار خالدة لا يستطيع انكارها الا كل جاحد ..

● **اعداد عادل عبد الصمد** ●

قصـــة

سألت عنك أهل الهوى



● فتحي سلامة ●

● ١ ـ الصورة الأولى : العين تشتق : ينط ، يقفز ، يرفع يده بالتحية ، لا تكاد العين تلاحقه فهو سريع الخطو ، خفيف الحركة ، أعرف بالسرعة التي جاء بها . وحيدا أعود لأضع مبسم الشيشة في فمي ، أتذكر أيامي الخوالي ، أتلصص على ذكرياتي ، أبتسم وأنا أتذكرها ، امرأة لدنة الجسد ، حارة الأنفاس ، فائحة الرائحة ، يختلط العنبر برائحة العــــرق ... أجفف وجهي ، أعرف عائدا . فارس أنهكه الصراع ، أتهد ، أقعد على مقهى الحلمية ...

مضت الأيام ، لم يبق لي إلا الجلوس على المقهى ، لا عمل إلا متابعة المارة ، هذا ، موهوم مهموم ، رسمت الأحزان على وجهه حسابات الزمن . وذلك مسرع نضر الوجه ، يشيل رشاقة .. وتلك تخب في ثيابها حبا ، أتابع في رتابة ، فحم الشيشة خمد ، نام ، تركني صـــديقي وحيدا ، أتابع المارة ، مسراه تمضي في ارتباك ، وهلة ... ولكن من تكون تلك التي تبتسم لي ؟! سعدية ؟! أتكون هي ؟

تذهب بي السنوات إلى قاع العمر وأطل سعدية كما هي ! نضرة ، عطرة ، فواحة الشباب ، .. إنها أوهام المقهى ، أليس للمقهى أوهام تجليها استطالة الجلسة وطول القعاد ؟

●●●

... مازالت تبسم لي ، مالي وقد انحبس لساني الثرثار ، وانتشب حلقي وتاهت من عقلي عبارات الإعجاب ؟ ، .. الطلق خلفها ، المتعة تناديك والجنة بين يديك ، والهوى غـــلاب ، الطلق خلفها ، .. الأرداف هي ، اســـتدارة الخصر ، انـدلاق الشعر على الظهر ، بياض الكعبين ، دقيق ورشيق هــــذا المخلوق ... الإنسان . قل شيئا يا مرزوق ! خيبك الله ، أين السالك اللوب ؟ وعباراتك الهيمانة ، قل فربما تمر بك وبها الطريق ...

●●●

اندلاق العرق على قفاي ، ارتفع السعــــم في الأذن لسعتني صهد احمرار وجهها حينـــــما استدارت ، وقالت :

ـ ألك عندي حاجة ؟

الحاجات مبعثرة في الدماغ ، والصبر جميل ، ولا أحب كلمة الوداع .

ـ لم لا تذهب إذا لم يكن بك شغف ؟!

بي ماهو أعظم ، الطلق يا مرزوق ، ضحكت ، الطلق الصبيح ، بان المستور ، انكشف الحنك الرطب ، حبات العنب ، هز الطلب ، سعدية في كمال بدرها ، يوم أن سعدت معهــــا بأول قبلة ...

ـ سوف أغضب !

بغضب معك الغضب ، تنطرح الكتف اليسرى ، تنطرح الذراع ، سمرة الشمس وحمرة الصحة ، لا تغضبين سوف أطوف بأشعار ابن الملوح ، ولكن الحب عذاب ، لسعة عقرب لا ينجو منهـا الإنسان ، لا تسرعي فإني مشتاق .

ـ الأهبل يا [illegible]

مرزوق ، أنا مرزوق الولهان ، أنا وأنت على ميعاد ، ليس الأمر كما يظهر للعيان ، فالمستور في الكتمان ، ولا تتسرعي في الحكم قبل الأوان ، لأن عيب هذا الزمان سرعة الدوران .

وجلسنا ، الحاجب كث الشعر اسـوده ، والجبهة مغروزة في نحمة الشعر ، والأنف دقيق ، والفم رشيق والعنق به استطالة ، ورموش العين حراب ، وأنا قلب لا يتحمل ، ..

ـ نتزوج .

هذا أمل المتفرد ، أن يضم صدره شريكا ،



يكون له أكثر من صديق ، يرتشف حلال الحب ويعطى المزيد ، ولكن ... وهن العزم ودق العظم ، وانحسرت الهمة .

ـ لا تخف فلا يزال الدهن فى العتاقى .

هذا لب الحكمة ، وعين العقل ، ورجاحة فى التفكير ، وكان المصير .. ؟

٢ ـ الصورة الثانية : والقلب يدق :

الشعر الابيض تاج ، وعلامة الفراق ، ولحم وثريد يوم زواجى عيد ، اين انت يا صديق؟ منذ زمن لم ترك ،جمر الشيشة يترجح ، يجذب نفسا عميقا ، ينفخ فى قوة ، يتصاعد الدخان ، حلقات حول الرأس تطوف ، رأسى مطرق ، وصدرى مختنق ، والخوف من العودة الى البيت يطرقنى ، ينشلنى ، يشدنى الى المقعد ، انظر اليه ، انتظر ان ينطق ، ان يترك جسم الشيشة ويقول :

ـ وجدت الحل .

الحلول موجودة ، ولكل سؤال جواب ، والقلب يدق فى خفقان ، تتصاعد حلقات الدخان وهو لا يكف ، انطلق بارجل ، انامرزوق الزوج الموضوع على خازوق ، ولا اعرف كيف اقى بحاجات البيت ، ولا بحاجات امرأة شابة تنتظر العودة ، وكيف اعود ؟ واحساسى بالفشل .. وهن العظم ، وانقطع النفس . انظر اليه ، وضع ساقا على ساق ، اهتزت يده التى طوحها خلف الكرسى ، قال :

ـ انت غلطان !

وانت ايضا ؟ ! ، الامر لا يحتاج الى برهان ولكنه يحتاج الى دواء

والحل يامرزوق ؟ اشعر بالهمدان ، والقلب يدق ، اسمع دقاته فى اذنى ،وضحكات الانثى تلسعنى ، احاول النهوض ، كساح فى السيقان ، غيوم فى الدماغ ، رعد وبرق يدوى فى رأسى ، اشعر بالرغبة فى القىء ، احس بالغثيان ، رائحة العنبر تخنقنى ، قل شيئا يا رفيق .

ـ الطريق له نهاية .

وصل . هذه هى النهاية ؟؟ ايمكن ان تكون بهذه السرعة ، عربة اسماك ، رائحة الخبز الريفى الطازج ، رسن مبثوث ، وفراء مثلوج ، والقشة احملها ملوحا بخيوط متشابكة من معجون الكنافة .. آه يا امى ، العربة تسرع نحو الدار ، ورفيقى يرلو لحسوى فى اسى .

ـ ها قد وصلنا .

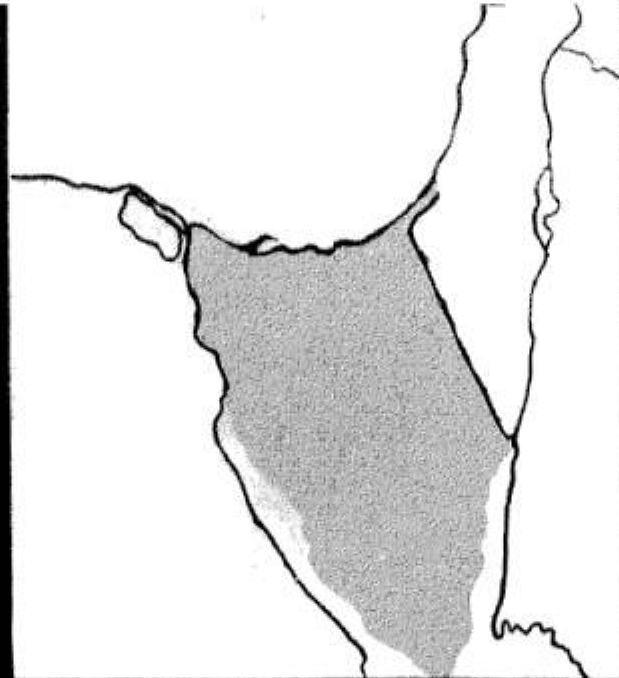
الى القبر ! سحابة تحلق فى قسوة ! تشير اليهم .

ـ دعوه .

الشباب قناة ، ونحن الكهول لا نملك الا العيون ، عيون بنية مفتوحة تلمع كزجاج ، سعدية تطرقع اللبان فى نشوة ، لم تعد تنظر الى ، لم اعد موجودا ، كم من الطعام تنتظر اللحاد ، استدار اليها ، لا يزال فى فمه دخان الشيشة ، اقترب منها ، ضحكت فى خلاعة ، استدارت نحوى ، اغمضت عينى ، قال :

ـ بالطيف .

تمايلت فى دلال ، مشت بدلع ، استدارت ، ضحكت ، فغر فمه ، تدلى لسانه ، مشى خلفها ، اغلق الباب ، ران الصمت ، عمت الظلمة ، ساد السكون ، اسمع دقات قلبى ، دقات طبول لها رنين فى غاية ، أعد الدقات ، اشعر بالراحة ، اغمض عينى استسلم ، القلب يدق .. يدق .. يدق .



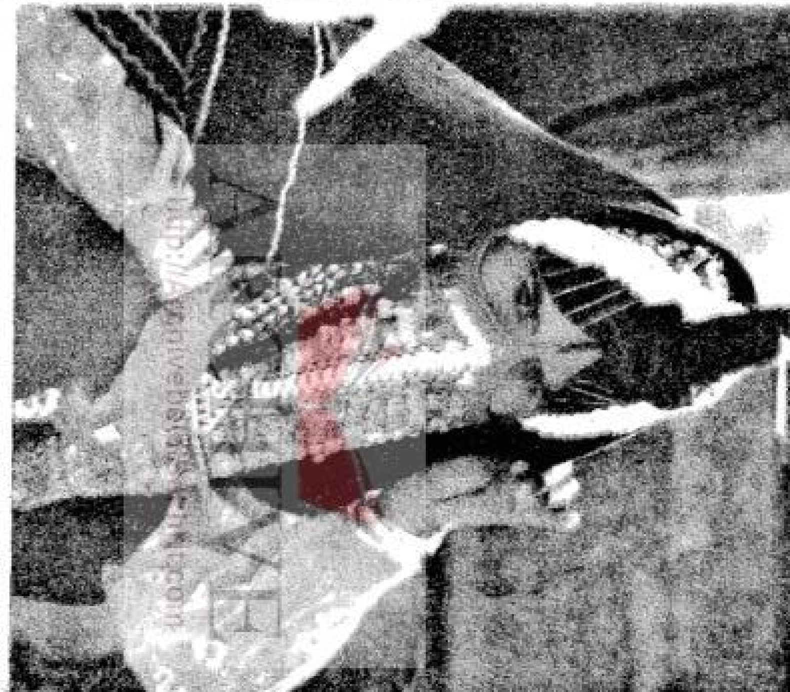
سيناء

أرض الأديان والتاريخ والمعارك

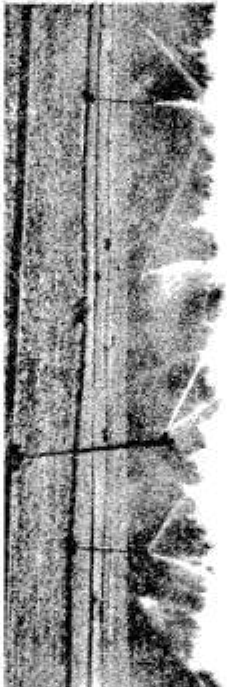
ليس فى الدنيا احد لم يسمع بسيناء، فان شهرتها التاريخية والدينية جعلتها من اقرب معالم الدنيا الى قلوب الناس • انها جزء من الوطن العربى المصرى ولكنها كذلك قطعة من تاريخ البشر • وعلى طول تاريخ مصر كانت عنايتها بسيناء عظيمة لا لاهميتها الاستراتيجية فحسب بل لان لها مكانة روحية فى قلوب البشر اجمعين وستتحول سيناء باذن الله الى مركز من اكبر مراكز العمران والصناعة فى العالم العربى وستظل تحتفظ بمكانتها الروحية والتاريخية •



حزان صغير من حزانات المياه التى تنتشر فى سيناء ويجلب الماء الى هذه الخزانات من الابار المجاورة لكى يستطيع الجمال ان يحصل على حاجاتها منه .



امرأة من سيناء فى كامل زينتها التى تخرج بها فى الطريق وهذه الهيئة عامة بين جميع البدو سواء فى سيناء او فى الجزيرة العربية



تروى المزارع آليا عن طريق شبكة انابيب تتصل بخزانات يجلب اليها الماء من اماكن بعيدة .

● لا يتصور القارىء العربي مقدار الخطر الذي كانت تتعرض له سيناء ، والذي تتعرض له الاراضي المحتلة كلها اذا ترك الامر على ما هو عليه سنوات اخرى ..

ذلك ان سيناء ارضنا ما في ذلك شك ، وكذلك الضفة الغربية والقدس - ارض الفلسطينيين والجولان ارض السوريين .

نحن نتمسك بارضنا ولا نفرط في شبر منها . ذلك حق .

ولكن هذه الارض المحتلة بعيدة عنا طالما ظل الاحتلال قائما . انها محرمة علينا . كل ما نستطيعه هو ان نحلم بها ونفكر في الوقت الذي تعود فيه الينا ..

ولكن ، الى أن تعود الينا ، اذا مضينا على أسلوب العمل الذي سرنا عليه منذ ١٩٦٧ بل منذ ١٩٤٨ ، فماذا يحدث على أرضنا السليبة منا ؟ ..

اننا نتصور أنها هناك في انتظارنا ، واننا سنجدها كما هي حتى لو غبنا عنها مائة سنة ...

ولكن الامر على خلاف ذلك ...

لاننا اذا كنا لا نستطيع اليوم الا الحلم بالارض ، فان غيرنا عنده هذه الارض ، وهو يتصرف فيها ويعمل ويرسم ويخطط ، ثم يبني وينشىء ...

والعالم الذي حولنا عالم حقائق لا عالم احلام ، أو قل هو عالم الاحلام التي تتحول الى حقائق ، لان الاحلام لا تساوي اكثر مما هي ! أحلام . تسعد صاحبها . ولكنها لا شيء عند الاخرين .

***

والاسرائيليون قوم خطرون . انهم اقوياء من نواح شتى ، فلهم رصيد قوى من التأييد في الغرب ، ولديهم علم وقدرة على العمل العلمي المنظم وملكات في التخطيط المنظم . ثم ان لديهم المال . لديهم كل ما يحتاجون اليه من مال ليقيموا أي مشروع ..

وهم عندما وقعت في أيديهم أراضينا المحتلة فريسة سهلة في حرب يونيو ١٩٦٧ ظنوا - بل أيقنوا - ان العرب لن تقوم لهم قوة يحسب لها حساب خلال الخمسين سنة التالية ..

وفي غمرة النصر الذي كسبوه في يونيو ١٩٦٧ وفدت على اسرائيل الوف من اليهود من شتى البلاد وفي اذهانهم ان أرض اسرائيل قد تضاعفت وانهم يستطيعون ان يعيدوا على الارض المحتلة كل الاسطورة التي حققها المهاجرون الامريكيون . وبالفعل قالوها بصراحة : هذه الاراضي هي الحدود المفتوحة لاسرائيل لكي تمتد وتتوسع ، والامر متوقف على شجاعة الاسرائيليين وروح المغامرة ، هنا يستطيعون أن يمتدوا وينشئوا ويعمروا ...



منظر عادى يراه السائح فى سيناء قرب واحاتها والنخلة هى الشجرة الاساسية التى تنبت فى شبه الجزيرة الواسعة وعليها اعتماد الناس فى الحياة

وكان بن غوريون قد رسم لهم الطريق لذلك ، وقال بالفعل ان أراضى العرب هى الحدود المفتوحة لاسرائيل ...

ومن الجزائر وحدها وفد على اسرائيل خلال ما بقى من سنة ١٩٦٧ وما تلاها من سنوات حوالى ٦٠٠ر٠٠٠ يهودى فرنسى ومغربى هاجروا من هناك بعد الاستقلال ...

هؤلاء اقبلوا وفى نفوسهم آمال وفى رءوسهم مشروعات ومن ورائهم دولة تشجع وتدفع ، ورءوس أموال كثيرة تعينهم على البدء فى تحقيق المشروعات ..

وبدأت قصة المستوطنات ...

والمستوطنات هى الاسلوب الذى لجأت اليه اسرائيل لكى تأكل الاراضى المحتلة قطعة قطعة ، ونحن بعيدون . ثم انستارا



سيناء

هذا المنظر المألوف في كل نواحي الصحاري العربية يبني العرب هذه الخيام الصغيرة المصنوعة من وبر الجمل وبخاصة [illegible] في [illegible] عن الصعود ويوضع بعضها طول يعلى يحيط بالخيش تحميها من الرياح والرمال

كثيفا هبط بيننا وبين أراضينا ، ولم نعد نعرف ماذا يجرى هناك ..

ويتصور البعض ان المستوطنة مجرد مجموعة من البيوت والمرافق تنشأ في مكان ما من الارض المحتلة يعيش فيها وعليها بضع مئات من الاسرائيليين . ولكن الحقيقة ان المستوطنة اخطر من ذلك . انها جزء من مخطط عام رسمته الصهيونية للاستيلاء على اراضى العرب تحت ستار قرى تنشأ في ارض فراغ او الى جانب مدينة عربية ، لان لكل مستوطنة مساحة ارضية تتبعها لا تقل مساحتها عن ثلاثة الاف دونم مربع . هذه الارض تعتبر ملك الدولة الاسرائيلية ، وان كان المستوطنون يزرعونها ، وينشئون فيها مصانع او مشروعات . فمستعمرة ياميت التى انشئت غربى العريش تتبعها فى الاوراق الرسمية الاسرائيلية مساحة عشرين الف كيلومتر مربع . وهذه المساحة محددة عندهم على الخرائط ، فاذا انتظرنا عشرين سنة مثلا وجدنا ان منشآت هذه المستعمرة ومزارعها قد غطت هذه المساحة ، واصبحت من وجهة النظر الاسرائيلية ملكا للوطن الصهيونى ...

ثم ينشئون بعد ذلك مستعمرة أخرى وهكذا ، ومعنى ذلك ان اسرائيل كانت ماضية فى اكل الارض تحت ستار هذه العملية البريئة المظهر . والزمن كما تعلم عامل رئيسى فى موضوع الملكية ، فاذا استقر ناس فى أرض لمدة خمسين سنة وزرعوها وفلحوها دون ان يطالبهم أحد بالجلاء أو ينازعهم فيها ، أصبحت ملكهم . لهذا يعتبر استخلاص سيناء من أيدى الاسرائيليين عملا حاسما بالنسبة لمصر وأرضها ، ولو تأخرنا عن ذلك عشرين سنة أخرى لكانت استعادتها مستحيلة الا بالحرب ، وقد يحدث أن ننتصر ونستعيدها ولكن فى سبيل ذلك ينبغى ان نفترض أن مدن القناة وكثيرا من مدن مصر كانت ستتخرب بفعل القنابل ، ومعنى ذلك اننا سنحتاج الى سنوات وسنوات وألوف الملايين من الجنيهات لكى نستعيد سيناء ونعمر أراضيها ثم نعمر ماتخرب من أراضينا الاخرى . وهذه مسالة لا يفكر فيها الكثيرون ممن ما زالوا يحسبون ان الحرب مسالة بسالة وجرأة ، وانك تستطيع ان تشن الحرب اليوم كما كان يشنها صلاح الدين فلا يزيد الامر على مبارزات فرسان ومواقع رجال ولا زيادة ...

***

لنضف الى ذلك ان الاسرائيليين يصورون موضوع المستوطنات هذا عند الرأى العام العالمى على انه موضوع لنشر حضارة وعمران ، ويضربون على الوتر الحساس فى قلوب الغربيين فيزعموا أن الاسرائيليين مكافحون مساكين لا يبحثون الا عن الارض والتعمير لكسب القوت ، وهم ماهرون جدا فى هذا النوع من الدعاية ، والصحفيون الغربيون يضعون أقلامهم فى خدمتهم ، وينشرون الاساطير الكاذبة التى ينشئونها حول أنفسهم وما يزعمون من تضحياتهم فى سبيل



الجمال هي اهم وسائل النقل في سيناء لانها لا تحتاج الى طرق معبدة وفي الصورة نرى جمالا محملة بالبضائع وقد وقفت في استراحة قصيرة وسط الرمال



صورة لجانب من دير سانت كاترين الذي يرجع الى القرن السادس الميلادي فقد انشيء في عهد الامبراطور جوستنيان وما زال عامرا الى اليوم



صورة بالفسيفساء على احد جدران كنيسة سانت كاترين . انها تمثل سيدنا موسى عليه السلام امام الشراب الملتهب الوارد ذكره في الكتب المقدسة النصرانية واليهوديه .



سيناء

هذه هي مجموعة منشآت دير سانت كاترين على سفح جبل موسى في سيناء. إنها تتكون من كنيسة بيزنطية الطراز ودير وصوامع للرهبان، ومساكن ومخازن للأطعمة وفي الدير كذلك مكتبة حافلة بالمؤلفات

التعمير . بل انهم يزعمون أنهم يخدمون العرب بهذه المستوطنات ، فهم يعلمونهم كيف يزرعون على أحدث الاساليب ، ويفتحون أمامهم أبواب الرزق والحياة الحرة الكريمة ، في حين ان حكوماتهم نفسها لاتقدم اليهم أى معاونة ، ثم يزعمون انهم اذ يعمرون هذه الاراضي انما يقومون بعمل شرعي وقانوني أيضا ، ويجدون من يصدقهم في ذلك ...

ثم ان لهم قدرة كبيرة على الكذب وتزييف الحقائق . واليك مثلا فقرة من مقال نشرته مجلة « البارى ماتش » وسمته « وثيقة » عن قطاع غزة : « في هذا الشريط الضيق من الارض كانوا يكدسون ٤٠٠,٠٠٠ فلسطيني مساكين ، فطموهم عن الحياة وارغموهم على العيش في خيام وبيوت من الطين ، وحالوا بينهم وبين ان يتمتعوا بالمزايا التي تعرضها عليهم اسرائيل . ومنذ سنة ١٩٤٨ والعرب يستعملون هؤلاء المساكين مادة للدعاية لما يسمونه بقضية فلسطين ، ويتقاضون من وكالة الغوث معونات غذائية لهم بما قيمته فرنك ونصف في اليوم لكل نفس ، ومن المشكوك فيه جدا ان هذه المعونة تصل الى اصحابها ..

« أما الآن فمنذ تولت اسرائيل أمر القطاع فقد اختفت الخيام وبيوت الطين ، وقامت البيوت والشوارع الواسعة وارتفعت فوق أسطح البيوت ساريات التليفزيون ... أما مستوى حياتهم فمهما قيل فيه فهو أعلى بكثير من مستوى الحياة في البلاد العربية المجاورة ... وقد نجح الاسرائيليون فيما فشل فيه العرب، وهو عقد الصلح بين أهل غزة واللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون حول البلد ، فأصبحوا الان شعبا واحدا يعيش في سلام ورخاء ... »

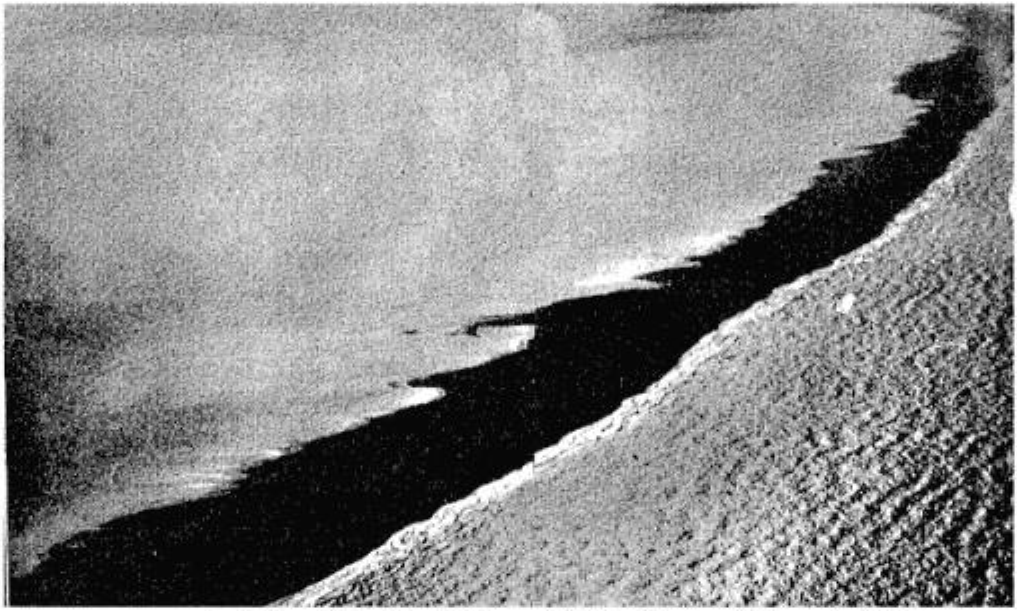
هذا طراز من كلامهم !

ثم يتحدث المقال عما يسميه « المعجزة » معجزة « تحويل الرمال الممتدة من غزة الى الموضع الذى أنشأوا فيه مستوطنة ياميت على مبدأ بحيرة البردويل الى جنة خضراء تخرج كل الثمرات ، وكل ذلك بالجهد والعرق والاموال اليهودية . ان البدو في هذه المنطقة يستقرون ويتحولون الى زراع منتجين بعد ان ظلوا ألوف السنين همجا لايعرفون استقرارا ولا حضارة » .

ويزعم الاسرائيليون انهم ابتكروا وسائل علمية جديدة لم يسبقهم اليها أحد لاستزراع الرمال والاستفادة من المياه الى أقصى حد ، ويقولون ان مؤسسات أوروبية وأمريكية تستفيد اليوم من « العبقرية » الاسرائيلية ! وتعمر أراضيها بالاساليب الاسرائيلية ، وتقدم المعونات المالية السخية للباحثين الزراعيين الاسرائيليين ، في الصحراء ، لانهم في الحقيقة ينشئون حياة من العدم ، ويجددون في عالم الزراعة والرى على نحو لم يسبقوا اليه » !

***

ثم يضربون على الوتر الديني عند



هذا هو جزء من شاطىء بحيرة البردويل في سيناء وهي بحيرة مثل البرلس والمنزلة متفرعة من ماء البحر ، وهي تقدم امكانات سياحية واسعة

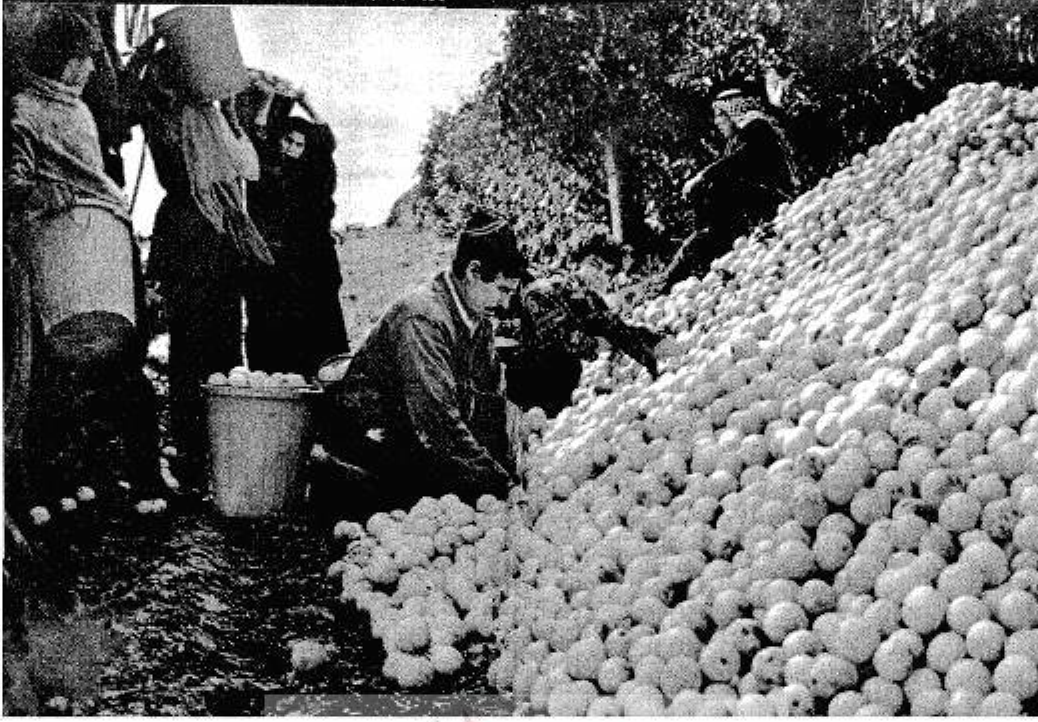
يهود العالم ، فيزعموا انهم اكتشفوا على الحدود بين النقب وسيناء في موضع يسمى « نيريم » معبدا يهوديا تاريخيا يرجع الى القرن السادس الميلادى ، اكتشفوه ورمموه وازالوا عنه الرمل واعادوه الى اصله . وزعم الكاتب انه رأى هناك جماعة من اليهوديات اليمنيات اللاتى طردن من ديارهن التى عشن فيها فى اليمن من أجيال «!» يأتى بعضهن الى هذا الموضع ليعشن الى جانب المعبد القديم ، وانشأن لهن مستوطنة صغيرة وزرعن قطعة من الارض وانشأن منازل لكي يتمكن من العناية بأمر ذلك المعبد .. والآن يستطيع كل يهود الدنيا ان يفدوا على ذلك الموضع حيث يقضون فترة من الصلاة والاعتكاف والعبادة في معبد الاجداد وارض الاجداد «!» . وكلهن يشكرن الله على ان « وهبهن » هذه الارض ليزرعن فيها من كل الثمرات ويربين شتى أصناف الحيوان حتى ان بعض المستوطنات يربين الطواويس لانهن سمعن ان أجدادهن كان لهم الى جانب البئر الذى حفرنه حدائق غناء فيها طيور وطواويس ! ..

***

ولكي يثبت اليهود دعواهم في ان لهم حقا تاريخيا في سيناء ، أثاروا ضجة في العالم حول جبل موسى الواقع في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة في مدخل المثلث الاخير الذى ينتهى برأس محمد ، ومن المعروف ان الاسرائيليين عندما وضعوا أيديهم على شرم الشيخ ، أنشأوا هناك ما سموه بمدينة سياحية حديثة ،

سيناء

تشتهر غزة ببرتقالها الذي ينبت في بياراتها المشهورة والصورة لمزرعة عربية ونرى أكوام البرتقال الجميل والفلاحات يجلبنه من المزرعة لعرض للبيع



وأنفقوا عليها أموالا طائلة ونشروا حولها دعاية كبرى ، وسنتحدث عنها بعد قليل ٠٠٠

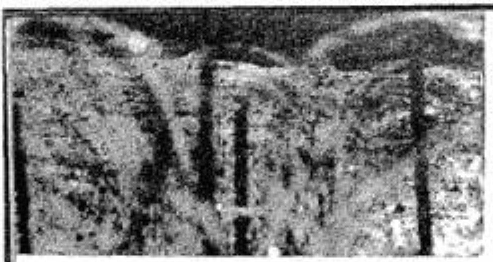
والذى يعنينا هنا هو أن نعرض على القارىء العربى كيف يزيف الاسرائيليون الحقائق لكى يوقعوا فى أذهان الناس ، ان لهم حقوقا تاريخية مشروعة على ذلك الجزء من سيناء ، فيزعموا أن منطقة جبل موسى لاتزال تسمى الى اليوم باسم حورب ، وان حورب هذا هو اسم حصن أقامه سيدنا موسى لكى يحمى الجبل من اللصوص ٠٠٠ ويقولون ان سيدنا موسى عندما مر بقومه بهذه المنطقة ، وجد فيها معبدا لاله مصرى قديم يسمى « سن » كان البدو يقدسونه ، وقد ازال موسى عليه السلام ذلك المعبد بامر من الله ، ثم بدأ فى تعمير منطقة جبل موسى الذى يبدأ فى سفحه الشمال بمثلث من حجر البازلت يقوم عليه الجبل بعد ذلك ، وكانت هذه المنطقة فيما يقولون رمالا مقفرة لا يسكنها احد ولا يعرف مكانها الا البدو ٠٠٠ فاقبل المستوطنون اليهود وانشأوا عددا من الكيبوتس اى مستعمرات الصحراء تمتد من الجبل الى الساحل الجنوبي لسيناء ثم اكتشفوا مناجم للنحاس ومعادن اخرى فى وسط هضبة من الحجر الجيرى ٠٠

واقبل علماء اليهود يحفرون ويبحثون حتى تبينوا ان ما سمى فى الكتاب المقدس بجبل سيناء ، هو جبل موسى أو جبل حورب وهو جبل يرتفع ٢٢٨٥ مترا فوق سطح البحر ويصعد الانسان الى قمته عن طريق سلم من ثلاثة آلاف درجة ٠

ويقول بعضهم ٣٧٥٠ درجة ٠ ويزعمون ان اليهود القدامى هم الذين أنشأوا ذلك السلم ، لكى يصعدوا الى قمة الجبل ، ويشهدوا الموضع الذى كلم الله فيه نبيه موسى تكليما ٠

وعندما يتكلمون عن جبل موسى وما قاموا به من أعمال التعمير واحياء القديم عنده يقولون ، ان هنا ـ وعلى أيدى الاسرائيليين ـ ولدت الحضارة الغربية ٠

وهكذا ترى كيف ان وجود سيناء فى أيدى أولئك الاسرائيليين كان فرصة لهم لكى ينشئوا أساطير ومزاعم يثبتونها فى أذهان الناس ، ترمى كلها الى القول بأن الاسرائيليين الجدد يتابعون تقاليد أجدادهم فى العمل الحضارى الاخلاقى ! فمن والله يقرأ مثل ذلك الكلام من أهل الغرب ولا يصدقه ؟! ٠٠ اذا نحن تركنا الاسرائيليين على هذا الحال عشرين أو ثلاثين سنة أخرى فهل هناك شك فى أننا لن نستطيع بعد ذلك المطالبة بسيناء ، لان العقلية العالمية تكون قد اقتنعت حين ذاك بأن سيناء كانت على طول التاريخ أرضا اسرائيلية وأن المصريين العرب كانوا فيها غازين معتدين ؟! ومن ناحية أخرى قام اليهود بدراسات كثيرة حول خروج موسى عليه السلام من مصر والطريق الذى يمكن ان يكون قد سلكه ٠ وهنا نجد الباحثين اليهود يجعلون الطرق المفترضة تخترق سيناء كلها من غرب الى شرق على كل مستوى ، وهم يريدون بذلك أن يقولوا ان سيناء كلها كانت مقاما لموسى وقومه أربعين سنة ٠٠ فاذا ربطنا هذه



صورة نادرة التقطت بمحطة من محطات الانذار المبكر عند مدخل ممر الجدى



مدرسة انشأها الاسرائيليون على طرف مستعمرة ياميت في شمال سيناء وستسلم هذه المدرسة بما فيها للسلطات المصرية قريبا



طفلة عربية مصرية في سيناء

الفكرة بفكرة المستوطنات الحالية تبينا ان الاسرائيليين في الحقيقة كانوا يرمون الى تحويل سيناء الى ارض اسرائيلية في الواقع الحاضر وفي التاريخ .

***

كل ذلك يلفت النظر الى اهمية مافعلته مصر الان من استرداد سيناء .. ان هذا العمل يعتبر انقاذا للوطن العربي كله . لان سيناء لا تمثل جزءا من مصر فقط بل هي جزء رئيسي من الوطن العربي كله ، فان سيناء هي التي تربط مصر بالعالم العربي ، وهي التي تربط البحر الابيض بالبحر الاحمر ، وهي ارض غنية بالبترول والغاز والمعادن ، وهي ارض معارك وتاريخ طويل .. ولو اننا تركناها عشر سنوات اخرى لما كان من الممكن قط ان نستردها الا بعد حروب طاحنة ، لا مع اسرائيل فحسب بل مع حليفتها الولايات المتحدة ايضا .

في مثل هذه الجميلة

قالوا



● لوحة .. ●

لوحةَ السّحر استباحت شَغَفِى
فانثنى قلْبى وغنّى طربا
أذكرَتْنى شالِفا من عهْدنا
وزمانا ـ ويح قلبى ـ ذهَبا
«همسة الحب» ـ وقد همت بِها ـ
قد أمدّت للتلاقى سَبَبا
من رآهـا وهى فى رَوْعتِها
قدْ رأى ذوقا وفنّـا عجبًا !

● مبارك المغربى ●
● السودان ●

● عندما نادتنى عيناك ●

أى سِحْرٍ كامِنٍ فى عُمْقِ عينيك ؟ أجيبى
يا ربيعا مزهرا ، فى قَفْرِ أيامى الجديب
أنتِ إشراقةُ شمسى بعدَ إظلامِ المغيبِ
أنتِ أنشودة عُمْرى ، أنتِ فى الدنيا نصيبى !

أي صوت نابع من سحر عينيك ، يُنادي
همسة كالحلم نادتني ، فلبّاها فؤادي
أرجعتني لوجودي .. أيقظتني من رقادي
هذه النظرة كانت جرعة الماء لصاد !
إنها كل مرامي ، إنها أقصى مرادي
فاذا بي سابح كالنور ، من واد لواد
وإذا بي منفلت من قبضة الصمت الرهيب
فمضى قلبي يغني ، كغناء العندليب
أي سحر كامن في عمق عينيك ؟ أجيبي
أنت يافرحة عمري ، أنت ياكل نصيبي !

● عبد المنعم عواد يوسف ●
● دولة الامارات العربية ●

● زهرتان ●

متى تطفئين اللظى في دمي
ويسخو صبابك على موسمي
بصدرك قد صرخت جمرتان
فسكنت على نارها أرتمي
لقد ولدت فوقه زهرتان
وأخشى مراهقة البرعم !

● ابراهيم عيسى ●

● موعد ... ●

يا خطرة الأنسام في لطفه
ورنّة العيدان في نبره
رحماك بالصب الذى أضرمت
عيناك نار الوجد في صدره

ففرّ عن عينيـــه طـــيرُ الكرى
وحطّ طـيرُ الهمّ في فـــكره !
ولا يرى للصبح من موعــــــد
إلاّ مع الزلزال في حَشْـــره !

● سعد عبد الرحمن ●
● الحمراء ـ اسيوط ●

● في انتظار كلمة ●

بكلّ الصــدق قوليهــا
ولا تخفي ... أجيبيني
بلفظ ســاحرٍ غــرِد
يقرّبني ويُدنيني ....
من الجنّــاتِ مــورقة
وينعشني ... ويحييني !
إلامَ تفــرّق الإلفيـــن
بين بَيْن الصدّ واللين
وهـــذا حبـــك المو
ريهـــدرُ في شراييني :
فابقى ، ليس بي وهـــن
ولا الأفــكارُ تُرديني !
حبيبي عادَ بينَ يــدي
أغنيـة ... تنـــاجيني
فتقولي لفظـــة خُضرا
ءَ ساحـــرة ، فترويني !

● حسين على محمد ●

قصة

المستندات

● سعد رضوان ●

حياني الرجل بترحاب وود ، ولم ادر كيف أبدأ الحديث معه ، فهي قد اخبرتني انه دقيق ، وانه يجب أن اعد كل الأوراق والمستندات اللازمة ، فلا اترك ورقة تنفع في موضوعي دون احضارها ..

وكنت قد اعددت العدة ، وحملت حقيبة صغيرة بها ما يحتاجه الامر من اوراق .. وحسب مفهومي لأهمية الأوراق فقد رتبتها ووضعتها في جيوب الحقيبة المختلفة بطريقة تمكنني من اخراجها واحدة واحدة حسب الحاجة اليها .

وقال الرجل : « لقد شرفتني بهذه الزيارة » .

فقلت مجاملا :

ـ انا الذي تشرفت وتجرأت ، ولكني فهمت انه يمكنني أن أحضر اليوم فهو اليوم الوحيد الذي تسمح ظروفكم بمقابلتي فيه و .. واني آسف ..

فقاطعني : « يا رجل لا داعي للمجاملة . لندخل في الموضوع » ..

فقلت : « آه .. » وسكت .. وفكرت في أن الرجل ما دام يهوى الاوراق والمستندات فيحسن أن اقدم له نفس بالمستندات ... وهكذا وضعت يدي في جيبي الخلفي المتضخم وأخرجت الاوراق التي اضعها به دائما ، ولا استطيع السير بدونها ..

ووضعت كومة الاوراق على المائدة أمامي ثم بحثت حتى أخرجت بطاقتي الشخصية وقدمتها له :

ـ هذه بطاقة هويتي ..

وامسكها ، ونظر اليها ، وقلبها وفتحها ، ثم وضعها جانبا قائلا :

ـ حسنا .. انها توضح اسمك ، ومهنتك ، وعنوانك ، ومكان وتاريخ ميلادك .. ولكنها ليست مستندا كافيا ، فكل الناس تحمل هذا المستند !

وفتحت الحقيبة ، وقدمت له جواز سفري ، فقلبه ببطء وتدقيق ، ثم وضعه جانبا قائلا :

ـ لا يوجد أي اختلاف بين بيانات الجواز والبطاقة .

ـ اختلاف !

ـ لا تؤاخذني ، فأحيانا يحمل الناس اوراقا مزورة ، لذا فانا اعتدت أن ادقق .

ـ معك حق ، ولكن .. هذا ترخيص سيارتي ..

واطلع عليه ثم وضعه جانبا بعد ان راجع بياناته على بيانات البطاقة ، ثم قال :

ـ البيانات واحدة ، ولكن الختم غير واضح فوق صورتك ! ..

ودهشت ، ووقفت أنظر الى الرخصة ، ثم قلت :

ـ يظهر انه لم يكن هناك حبر كاف بالختامة عندما ختمها الموظف .

وذكر الرجل : « آه ... جائز ، على العموم هذا لا يهم ! »

ومضت لحظة صمت قبل أن اقدم له ورقة أخرى قائلا :

ـ وهذه هي رخصة تسيير السيارة .

فامسك بها ، ودقق فيها قليلا ، ثم سألني وهو يضعها جانبا :

ـ هل تسير هذه السيارة ؟ .



ـ اعرف انها قديمة .. ولكني اعتني بها ، وهي تنفعني في اغلب انتقالاتي ، وان كنت لا اذهب بها الى عمل لانى اعانى من مشكلة عدم وجود موقف اتركها فيه ، ولهذا استخرجت لنفسي اشتراكا في الاوتوبيس ـ ها هو ..

فامسك بالاشتراك ووضعه جانبا قائلا:

ـ عظيم .. ولكن ليست هذه مستندات كافية !

ـ آه ... تذكرت ، هذه بطاقة المؤسسة التي اعمل بها ، والتي بدونها لا استطيع الدخول او الخروج من بابها .

ووضعها فوق باقى الأوراق على الطاولة وهو يسأل :

ـ الا توجد معك مستندات ؟

وكانت مازالت بيدى بعض الاوراق التي يحملها جيبي الخلفي ، ونظرت فيها ، بطاقة عضوية نادى الزمالك ، ولكن هذا لا يهم ، فوضعته بيدى فوق باقى الاوراق الاخرى ، ولكنه مد يده وأخذه ونظر اليه وسألني :

ـ هل انت رياضي ؟ .

ـ الحق اني لست رياضيا ولكني أمارس السباحة والعب التنس .

ـ أظن أن هذا يكلفك كثيرا .

ـ ليس بالكثير و ..

ـ مهما يكن فالنادى خير من الجلوس بالمقهى أو الوقوف بالنواصى ، ولكن المهم ، ماذا معك أيضا .. اعطني هذه الاوراق كلها ، وسأفحصها مرة واحدة ..

ومددت يدى بباقى الاوراق التي كانت بجيبي وسلمتها له ..

وقال: «آه » دفتر توفير بالبريد .. ولكنك لا تدخر كثيرا ! »

ـ الحق اني غير منظم في حياتي ومصروفي ، ولكني اعتقد اني سأنظم نفسي من الان ..

ـ هذا هو الواجب ... وهذه مفكرة صغيرة ، هل تسمح لي بالاطلاع عليها ؟

ـ طبعا ، طبعا .. ليس بها غير عناوين أصدقائي ومعارفي وأرقام تليفوناتهم و .

وتوقفت حين وجدته يقلب في المفكرة غير منتبه الى كلامي .. ثم اكتشف اسما بمفكرتي كان يعرفه فعلق على شخصه ، ثم وضع المفكرة وهو يزم شفتيه ويعيد سؤاله :

ـ الا توجد عندك مستندات ؟

وفكرت ثم فتحت حقيبتي ، ومن احد جوانبها أخرجت اوراقا قدمتها له : « هذه شهادة تخرجي في الجامعة .. »ونظر اليها ثم وضعها جانبا : « وهذه شهادة استخرجتها من ادارة شئون العاملين بجهة عملي بقيمة مرتبي » . فنظر اليها ، ثم علق :

ـ لا أظنه يكفي للمعيشة .

ومن جانب آخر من الحقيبة اخرجت عقد تملك شقتي التي اسكنها ، وكان تعليقه بعد الاطلاع عليه :

ـ رغم ان الشقة في حي غير راق ، ولكنها مع مرتبك ربما تمكنك من العيش المتوسط .. هل لديك مستندات اخرى ؟

لست ادرى اية مستندات يريدها هذا الرجل ..

وفتحت الحقيبة مرة اخرى واخرجت اوراقا من احد جيوبها ، واخذت اقلب فيها لاقدم له ما قد ينفع .. ولاحظ الرجل بين



الاوراق التي بيدي دفتر شيكاتي ، فمد يده وامسكه وسأل :

ـ هل لديك رصيد ؟

وكان معي كشف البنك ، وكان الرصيد ليس بذي قيمة ، فلما اطلع عليه القى بالكشف والدفتر جانبا واعاد سؤاله عن المستندات ! ..

وقدمت له شجرة العائلة ، وهي شجرة بتسلسل افراد أسرتي ابا عن جد ، كان قد اعدها ناظر لوقف استحققت فيه حصة ، فلما حل الوقف قدم الناظر الشجرة الى لجنة القسمة لتحديد الاصول والفروع والحصص ، الخ .. وكنت قد حصلت على نسخة من الشجرة احتفظت بها واحضرتها معي ..

وكان تعقيبه : « انت من اسرة قديمة » كان هنالك اناسا من اسر حديثة ، وليست كل الاسر تنتهي بجدنا المرحوم آدم .. ثم وضعها جانبا ..

وقدمت له بعد هذا عقود شراء ثلاجة ، وتليفزيون ، وسخان ، وموقد غاز و .. وبالجملة جميع الادوات الكهربائية بالمنزل ... وكذا عقود شراء أثاث ثلاث حجرات : صالون ونوم وطعام ، والاثاثات أخرى أثثت بها شقتي ، بل وقدمت له مستندات تثبت انى لا أعول أحدا ، فوالداى لهما حياتهما الخاصة ..

ولكنه بعد كل هذا عاد يسأل عن المستندات ! ..

ان هذا الرجل ليس دقيقا كما قالت ، بل هو مجنون ..

واحسست بالرغبة فى أن أنهى الزيارة وان أترك الموضوع باكمله ، فلا يمكن لانسان أن يعد مستندات واوراقا اكثر مما أعددت .. لابد أن ...

وفجأة ، دخلت الفتاة الى الصالون تحمل صينية فوقها زجاجات من المياه الغازية ..

وقمت واقفا بسرعة ، ونظرت الى المنضدة التي امتلأت بالاوراق فلم يعد بها محل لوضع الصينية ... وبدت الحيرة على الفتاة ، ومددت يدى أفسح مكانا تسقطت حقيبتي فوق الارض ولم أكن قد اغلقتها فتناثرت منها رزمة الاوراق التى كنت قد أعددتها بداخلها ولم أطلع الرجل عليها لعلمي انها ليست بمستندات ..

وتبسمت أسارير الرجل وهو ينظر الى الاوراق وينحنى يلتقطها ..

وامسك الرجل برزمة النقود التي سقطت من الحقيبة ، وهش في وجهي وهو يبتسم قائلا :

ـ يا اخي ! .. مادامت معك هذه المستندات .. فلماذا لم تطلعني عليها من قبل ؟! . الان استطيع ان اتفق معك على تزويجك ابنتي !

ثم قال لابنته :

ـ اجلسي يا عروسة حتى اعد المستندات ... !

عيناك

• محمد حليم غالى •

لمسى ومضةَ عينيك ضميها فى الجفونِ
إنها ترشقُ أرواح ظمأَى فى جنـــونٍ !
وأبينى كيفَ قال المبدعُ الخلاق : كونى ..
جزءُ « فستانك » مصبوبا على جسم أليق !
وحنينٍ ضمه أزرارك فى خصـــر رقيـــق
مُخْملُ القدِّ .. فيا مجنونة الثوب أفيقى !
أتراك فيه طيفا صيغَ من نَفْضِ العبير ؟
أتراك فيه أحلاما عذارى فى الصـــدور ؟
ضمه أسرارَ جمال وفنـــون فى سطور ؟
ياكتاب الحبِّ مكنونَ الرؤى من كلِّ فنّ
تكتب الفتنة فيه صبوات من تمنـــى
يوقظ القلبَ .. ويحيى الروحَ فى لحن أغنّ

رسالة غرام

للشاعر : و . هـ . أودن

● د. سليم الاسيوطي ●

ولد الشاعر ويستان هيو اودن في مدينة يورك بانجلترا ولكن والديه حملاه الى برمنجهام عندما بلغ سنه من عمره . كانت المناظر الريفية الطبيعية الرائعة في اواسط البلاد الصناعية ذات تاثير قوي عميق على شعره . كان مولده في عام ١٩٠٧ وتوفى في التاسع والعشرين من سبتمبر لعام ١٩٧٣ ، وهو في السادسة والستين من عمره ، في فندق فيينا اثر نوبة قلبية بعد محاضرة القاها على « الجمعية النمساوية للأدب » .

كان والده طبيبا لامعا وفي الوقت نفسه عالما سيكولوجيا واثريا معا . ذهب الى المدرسة الخاصة، « جريشام سكول ، هولت » ، في « نورفولك » . ثم من بعدها الى كلية « كرايست تشيرس في اكسفورد » بمنحة تعليمية من الجامعة لدراسة البيولوجيا (علم الاحياء او علم الحياة) . وبعد هذه الدراسات ، شعر برغبة ملحة لدراسة اللغة الانجليزية ، وكان له ما اراده ، وفي هذه الاثناء تعرف على شاعرية جياشة يمور بها كيانه . فقبل الاشراف على تحرير « مجلة اكسفورد للشعر » بالاشتراك مع سيسل دياي لويس .

وفي عام ١٩٢٨ سافر الى المانيا أولا ثم ايسلندا فيما بعد . وفي عام ١٩٣٩، ذهب الى اسبانيا وخدم في اللواء الدولي . وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية بتسعة اشهر ذهب الى الولايات المتحدة الامريكية حيث اصبح مواطنا امريكيا في عام ١٩٤٦ .

وفي عام ١٩٥٦ انتخب استاذا للشعر في اكسفورد . كان محاضرا محبوبا من الجميع يأسر القلوب ويأخذ بمجامع الالباب ، تجمع حوله جماهير حاشدة من المعجبين المحبين لفنه .

كان « أودن » يتمتع بموهبتين رفيعتين كشاعر . أحدى هاتين الموهبتين هي علمه الفذ باللغة فلم يترك بحرا من بحور الشعر الا وملك ناصيته ومارسه بقدرة فائقة ونجاح باهر ، فلم يمتنع عليه لفظ ولم تستعص عليه كلمة ، بدا أن كنزه من المفردات لا ينضب . . كما انه أيضا كان يتمتع بموهبة أن يعيش شخصيات الآخرين ، وبذا تمكن من التعبير عن روح كل كاتب آخر . .

كانت الصور البلاغية تنساب في كل عبارة من عباراته فأكسبته هذه البلاغة جمهورا عظيما يعظمه ويتعلم منه طريقة جديدة للشعور والاحساس، مما أضفى على حياتهم معنى واعطاها اهمية لم يالفوها من قبل .

وهكذا بدا حتى عام ١٩٣٩ الداعية الملهم ، الى الحب ، والثورة على الظلم والطغيان وتحطيم الانظمة التي تنطوي على الغش والخداع .

ويقول الناقد فريزر عن أودن : ان أودن تنقصه « الفورية الذاتية » أعني البداهة الشخصية .

والحق أن اودن لم يهتم حتى وفاته بتجربته الذاتية ولا بتجربة الآخرين ، من أجل التجربة للتجربة ، ولكنه كان يهتم لها كمثال لحال عامة .

وحينما كان أودن يحقق ولو القدر الأدنى من وضوح الحجة وصفاء الاسلوب وتبصر الرأى ، فاننا نلمس تأثيره قويا يفرض نفسه علينا . .

وليس هناك قصيدة لاودن تتصف بهذه الصفة ويظهر فيها هذا الاتجاه واضحا جليا مثل قصيدة « رسالة غرام » :

قصيدة رسالة غرام

منذ المجيء الاول الحقيقي
الى واد جديد والوجه عابس
بسبب الشمس والطريق الضليل
تمكثين بالتاكيد . واليوم
حيث انا ، جاثم خلف حظيرة اغنام ،
سمعت صوتا مفاجئا ، لطائرة مسافرة
تزار فى وجه العاصفة ، وابصرت
فى السماء بقوس كهربى لدائرة مغلقة
ودائرة الحب التى خمدت ، يعاودها
تيار رتيب لا يتوقف
سوف نرى ، سوف نعبر ، كما رانا
طائر السنونو فوق القرميـد وخضرة
الربيع
بنسماته العذراء قد مرت
دفيئة وحيدة ، وكانت الاخيرة
التى تغير خط سيرها فى الخـريف ،
ولكن الآن ،
وحتى اواجه جرف التل المألوف
واستشعر التفكير المطمئن ، حتى المساء
تجيء رسالتك تتحدث الى كتسائلك حين
تتحدثين عن كثير ، ولكنها لا تجيء ،
والكلام ليس سرا مكتوما والاصابع غير
خدرة
اذا لم يكن الحب قد تلقى ردا ظالما
او وعدا خادعا
وانا محتشم ، على مدار العام ، اتحرك
كشخص مختلف ، او بحب مختلف ،
ولا اسرف فى الشك فى الايماءة ،
ولا الابتسامة الحجرية لمعبود هذا البلد،
الذى لم يكن قط اكثر كتمانا
يخاف دائما ان يفضى باكثر مما يعنى.



و. هـ. اودن

From the very first coming down
Into a new valley with a frown
Because of the sun and a lost way
You certainly remain. Today
I, crouching behind a sheep-pen, heard
Travel across a sudden bird,
Cry out against the storm, and found
The year's arc a completed round
And love's worn circuit rebegun
Endless with no dissenting turn.
Shall see, shall pass, as we have seen
The swallow on the tiles, Spring's green
Preliminary shiver, passed
A solitary truck, the last
Of shunting in the Autumn; but now,
To interrupt the homely brow,
Thought warmed to evening through and through,
Your letter comes, speaking as you
Speaking of much but not to come.
Nor speech is close, nor fingers numb
If love not seldom has received
An unjust answer, was deceived;
I, decent with the seasons, move
Different or with a different love,
Nor question overmuch the nod,
The stone smile of this country god,
That never was more reticent,
Always afraid to say more than it meant.

تبدو هذه القصيدة من خطابين، عن رسالتين ، لا رسالة واحدة ، الرسالة التي تلقاها صاحبها ، ثم الاجابة عنها وهو نص القصيدة . وأقل ما يقال فى هذا الشأن ان القصيدة ستتعدى هذا النطاق ، فهى رسالة موجهة اليك . فالشاعر يستهلها بتعليق وجيز وتصريح مكبوح عن بداية الحب ودوامه ــ «فانت تمكثين بالتأكيد» تعبر عن الشعور بالحب تعبيرا هادئا .

ويحدث مرتين فى القصيدة : جهل بالماضى حينما كان وحيدا فى العاصمة، يذكر وهو مازال يؤمن بالمستقبل: «دائرة الحب الكهربية التى خمدت ، يعاودها تيار رتيب لا يتوقف» .

واللحظة التى تسلم فيها الخطاب ، الذى يلقى بظله على ذلك الماضى حتى ان « العبوس » ــ « والطريق الضليل» ــ « والدائرة الكهربية الخامدة » ــ « والتيار » تصبح كلها من خصائص الماضى والمستقبل ، كليهما ، وتلائم ملاءمة صادقة ، الماضى ، وبصورة عامة للمستقبل .

أما الكلمات : « العاصفة » ، « وزئير الطائرة » و « الوحدة » فكلها مصادر ضغط وتعبير فى قانون موجز عن الوضع كيف كان وكيف يكون الآن . ان الرسالة (الخطاب) التى تأتى بالاخبار تجىء فى صورة موجزة أيضا . « يتحدث عن كثير ولكنه لا يجىء » .

ان (الرسالة) لا تصف شعور الحب والأمل واليأس وصفا مفصلا . اما الاحساس فلا يظفر بوصف قط ، ولكن تلمح اليه فحسب الصورة واللغة المكتومتان ، اللتان تنقلان ، فى لباقة واحتشام ، الاحساس العظيم ، فى صمت مهذب . ان النص المعقد فى قوله : « والكلام ليس سرا مكتوما » وصيغة المبنى للمجهول « اذا لم يكن الحب قد تلقى ردا قاتلا » وضغط سلسلة الاحداث من « خدع » ، ثم حذف كلمة او اكثر والانتقال المفاجىء من زمن الى زمن الذى يبدو أنه يكشف عن حقيقة هذه الحال الخاصة ، تسهم جميعا فى تأكيد الكتمان .

ان الزمن المزدوج والازدواج العاطفى فيه ، والاسلوب المحكم الموجز ، ورفض التعبير عن الشعور الصريح ، تزن جميعها ، فى هدوء ، الشعور وتقدر قيمته . ومن ثم فان هذه القصيدة ليست مقصورة على احداث توتر بين الصورة المترمتة ، والشعور الكامن القوى ولكنها قصيدة عن « الكتمان » ثم « وانا محتشم ، مع مرور الفصول » هنا يستخدم الشاعر لفظ « الاحتشام » بمعنى الأسبقية ، وهو يعبر مجتازا بثقة واطمئنان ، كما تعبر الايام والفصول . وهذه أيضا توحى بالاحتشام فى أخذ الامور مأخذا سهلا، هادئا ، دونما جلبة او ضوضاء .

ان الخسارة يمكن احتمالها والاسراف فى الحزن غير مجد ولا ملائم وربما يكون خادعا ومضللا . ان القسوة والكبت فى القصيدة يعطيان صورة صادقة لما نبحث عن علاته وأسبابه ، وصورتهما فيها ديناميكية تبعث الحزن فى النفوس وتشيع فيها الأسى والمرارة فى الوقت المناسب ، وتحملنا عبر شعور مثير ، ونحن فى مرحلة من المراحل نظن أن « الكتمان » يعنى « تحمل الشدائد» ولكنه يبدو فى النهاية انه يعنى «الامانة» فان غيبة التاريخ ، والصفة المميزة والعلة تلقى كلها بثقلها كاملا على الشعور غير البارد وغير الغامض ، ولو انه من المحتمل أن وضوح هذا الشعور قد يؤدى الى اساءة فهمه بوصفه تجردا عاطلا من العاطفة ، وأن الغموض الذى يحيط بالعناصر غير الضرورية فى هذا الشعور قد يبدو كذلك للقراء الذين ينشدون وضوحا اكثر واثارة اوفر فيما يقرأون . ●

قالوا

● فتحية النميرى ●

اديرى طرفك الفتــــان رفقا
بعشاق اللحاظ مــن التمنى
سرى منه شعاع فى ضـلوعى
كسهم فر فى الاحشـــاء منى
اديرى غصنك الفينان ، كيلا
تشب النار من وهج التثنى !

***

افيروز على شـط خصـيب
ام الدر النضير سـناه يبهر
اذا ما صافحته الشمس اغضى
حيــاء وانتشى بالعطر يزخر
فانت على المدى للروح انس
واجل ما صـنع الاله وانذر
وما بينى وبينك من هيـــام
يتوجه جمـــال فيـــه ابحر
كعصفور على صدر الغـدير
ويغمـرنا رحيق فاض عنبر

***

وفى جفنيك رغم الصمت سر
فهذا الهدب كم اضنى ودمر
لانت مليكة بالحسن تسـمو
فما لسواك اشعار تســطر

في ذكرى مرور مائة عام على مولده :

آينشتين

● عزت محمد ابراهيم ●

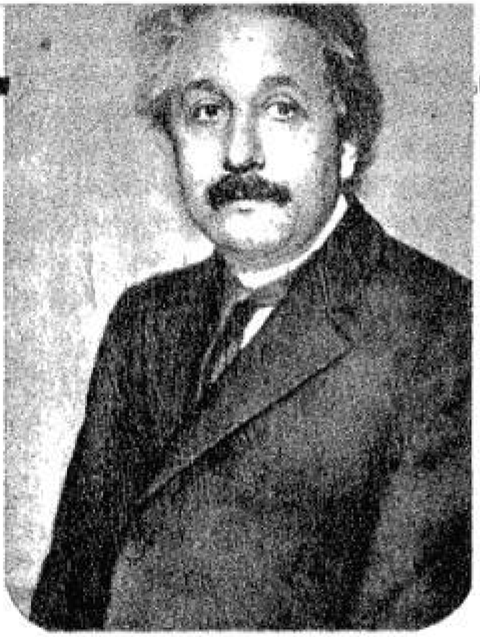
● لم ينحدر « البرت اينشتين » (١٨٧٩ ـ ١٩٥٥) من اصلاب علماء أفذاذ ، ولم ينشأ في بيئة علمية ، وانما عاش في بيئة متوسطة في المانيا من عائلة لا يذكر فيها احد بنبوغ او ذكاء غير مالوف ولا يكاد يستثنى من ذلك غير عمه الذي كان له اهتمام بالرياضيات ، واشراف فني على مصنع للمواد الكيماوية، وغير أمه صاحبة الذوق الرفيع في الموسيقى . وكان لهما اثر كبير في حياته ، جعله يقرن الرياضة بالموسيقى ، ويشيد بالتناسق والترابط بين عالم الارقام وعالم الانغام ، كما كان يرى في أغلب أحواله متأبطا القيثارة ، آلته الموسيقية المحببة الى نفسه ، والتي يؤثرها على سواها ، فهو يعزف عليها ، ويستمتع بأنغامها ..

وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما ينبيء بمستقبل مرموق لـ « اينشتين » ، بل ان بوادر الامور كانت تدل على نقيض ذلك ، فهو يكره الدرس ، ولا يحب من علوم المدرسة غير الرياضة ، ويترك المدرسة الثانوية في « ميونيخ » ، ليذهب الى « سويسرا » ، ويكتسب جنسيتها ، ويضع مصيره في يد القدر يغالب أمواجه وحده، بعد أن نفض أبوه يديه من رعايته والانفاق عليه ، معلنا عجزه وخلو وفاضه .

ويتقلب « اينشتين » بين العديد من الاعمال التي تعينه على تحقيق مآربه ، ويكون من بينها عمله مربيا لطفلين في مدرسة صغيرة .

وقد كان موظفا صغيرا في مكتب لتسجيل الاختراعات حين زلزل الاوساط العلمية بآرائه في الرياضة والفيزياء التي انتهت فيما بعد بنظريته في النسبية والكم .

ويسترعي « اينشتين » انتباه جامعة سويسرا وتعرض عليه مع غيرها من الجامعات مناصب الاستاذية فيها ، وتستيقظ المانيا على الضجة التي أحدثها واحد من بنيها ، فتسعى الى اعادته الى حظيرتها بعد أن كان قد خرج منها يائسا



اينشتين

حزينا ، فيفد اليه فى غربته «ماكس بلانك» و « وولتر نرنست » ، وهما وقتــذاك من أعلام برلين المرموقين : يعرضان عليــه العودة اليها رئيسا لمؤسسة علمية يفكران فى انشائها ، وليصبح عضوا فى « المجمع الملكى للعــلوم الروســية » ، الذى يعد الانضمام اليه شرفا يطمح اليه الكثيرون من الافذاذ ولا يناله غير القليلين منهم .

وتثبت بعثة فلكية بريطانية فى مرصدى « كمبردج و جرينتش » صدق نظريته عن انحراف الضوء ، فتدوى له شهرة فــى أنحاء العالم ، ويصدق على حاله اذ ذاك قوله : « الان وقد صحت نظريتى فــى النسبية ، فان المانيا ستطالب بى كالمانى ، بينما تعلن فرنسا انى مواطن عالمى ، ولو تبين أدنى خلل فى نظريتى لقالت فرنسا انى المانى ، وقالت المانيا انى يهودى » .

***

ويعود « أينشتين » الى « برلين » التى سبق ان تنكرت له صغيرا ، ليصبح استاذا فى جامعتهــا ، وهو ــ بعد ــ لم يتجاوز الثلاثين عاما الا بسنوات قليلة ، ويكون الشباب الوحيد بين جماعة من شيوخ العلم فى المجمع الملكى ، وهو بينهم الذى يلمع كالشهاب الساطع ، يوضع فى كفة وحده ، ويوضعون جميعا فى كفة أخــرى ، وقد ترجح كفته عليهم مجتمعين ، فكان كما قال فيه الفيزيائى الالمانى « ليندنبرج » :

« كان فى برلين نوعان من الفيزيائيين : البرت أينشتين ، وسائر الفيزيائيين » !

وقد كان من الجائز أن يظــــل اسم أينشتين حبيس قاعات العلم والمجامــع العلمية ، شأن سواه من العــلماء أمثال «بلانك» و «مليكان» و «ماكس فون لاو» فلا تطير له شهرة ، ولا يبعد لاسمه صوت ، الا انه كان يمتاز عن هؤلاء ـ غير امتياز العلم والتفوق فيه ـ بمرحه وانطلاقه وحبه للضحك وميله للنادرة ، وهى خصــال ورثها عن أمه ، مع ميل الى الاغراب فــى القول والفعل ، يظهر حين يقف أمام جمع من المقدرين لشأنه العارفين بفضله ليقول:

« اننا جميعا متساوون فى العقــل تساوينا فى الجنون » !

ومن غرائبه وبدواته ما كان منه خلال زيارة لبلجيكا ، وقد هبط وحده حاملا فى يد آلته الموسيقية ، وفى الاخرى حقيبــة ثيابه ، ولعل اللجنة الملكية التى كانت فى انتظاره لم يخطر ببالها أن يكون صاحب هذه الهيئة الزرية هو « اينشتين » الذى

طبقت شهرته الافاق ، فعادت معتذرة الى الملكة ترجع عدوله عن زيارة بلادهم ، وليصل هو بعد ذلك الى القصر الملكي معربا عن ارتياحه لاستمتاعه بهذه النزهة الجميلة سيرا على قدميه ! .. وكان ذلك مادة طيبة للصحافة تتحدث عنه أحاديث طلية غير أحاديث العلم ونظرياته ، ومكانها المجلات العلمية التي لا يقرؤها غير اربابها والمثقفين بثقافتها :

وقد زاد شهرة «اينشتين» مشاركته في السياسة الى حد ما، ودعوته الى السلام ـ على غرار دعوات « برتراند راسل » ـ ووقوفه الى جانب « مكسيم جوركي » و «رومان رولان» في الدعوة للسلام وامتناعه عن مشاركة أعلام الفكر الالماني في التوقيع على بيانهم لتاييد موقف المانيا العسكرية ولم تكن عقيدته في السلم ، والترويج له بالتي ترضي المانيا العسكرية الطامحة وتتذاك الى الفتح والغزو ، وكان العالم على أبواب الحرب العالمية الثانية حين سئل عن موقفه منها اذا نشبت ولم يتردد في اعلان امتناعه عن تادية الخدمة العسكرية، فأثار خصومه عليه ،وأصبح هدفا للسخط والكراهية من خصومه في السياسة وفي العلم معا ..

وكان على « أينشتين » بعد ذلك أن يعد نفسه للرحيل ايثارا للسلامة ، فاتجه الى هولندا ، ولكن لم تطل اقامته بها فان وزير التربية البروسية « فان هانيش » الح عليه في العودة الى برلين ،فعاد واسترد جنسيته الالمانية ، ولكنه لم يهنأ باقامته فيها ، فقد اشتد ساعد النازية ، وكان في سفرة له حين صودرت أملاكه ، واوغر أعداؤه صدر السلطان عليه فاضمرت له الشر ،والصقت به العديد من التهم .

ولكن شهرته كانت لا تزال مطمعا لالمانيا في تأييد موقفها العسكري ، فحاول هتلر كسبه الى صفه في تأييد النازية ، ولما لم يفلح في تحقيق مأربه ، رصد مبلغا كبيرا من المال لمن يقضى على حياته ، وآثر «أينشتين » أن يعيش في أمريكا مكتسبا لجنسيتها لتصبح ثالث جنسية يتمتع بها ..

***

واذا كانت لاينشتين فلسفة فلابد أن تكون مستمدة من تصوره الفيزيائي والعلمي ، ومن العسير أن يكون لعالم مثله فلسفة مجردة ، ولذلك كان ينكر المعرفة اليقينية التي تاتي عن طريق الحواس ، وكان لا يرى للزمان تصورا ووجودا خارج تصور الانسان وفهمه له ، وهي حقيقة ملموسة ، فليس للزمان وجود الا على سبيل فهم الحوادث التي تقاس عليه وتنسب اليه ، وهو رأى مستمد من النسبية ، فالساعة التي تقضيها جالسا في مقهى أو متسليا بقراءة صحيفة ، هي ساعة بدقائقها وثوانيها ، ولكنها تختلف من حيث الفهم والتصور والشعور اختلافا بينا عظيما عن ساعة يقضيها محكوم عليه بالاعدام انتظارا لتنفيذ الحكم ..

وهنا يختلف زمان عن زمان ، ويصبح لكل منهما معنى مغاير تماما لا يمكن أن يحسب معه وجود مستقل خارج الشعور والتصور ، وذلك تفسير قول «اينشتين»: « لكل فرد زمانه الذاتي الخالص ! »

وبالرغم من ان « اينشتين » قد نشأ فى عائلة منكرة للدين فانه قد ارتد الى حظيرة الايمان بعد ان توغل فى معرفة حقيقة العالم الذى لا يمكن الا أن يكون نتيجة تدبير محكم لاله قادر عظيم ، وقد استبعد دور المصادفة في خلق العالم ، وقوى عنده الشعور الدينى فقال بان كل بحث علمى دقيق هو ما قام على شعور دينى يستند الى ان العالم نتيجة عقل مدبر وليس وليد صدفة وخبط عشواء .

والدين فى غنى عن كل ذلك ، وهو فى صفائه ونقائه يخلص الى نفس الانسان وشعوره صافيا نقيا بعيدا عن تفكير العلم وبعيدا عن النظريات التى لا يمكن الجزم بصحتها جزما قاطعا مهما طال الزمان بها ، وقد ظلت نظريات « اقليدس » فى الرياضة حقيقة واقعة لا يجرؤ انسان على مناقشة صحتها حتى جاء اينشتين فنقضها وكان يعد فى نظر العلماء ـ وقد أتى بغيرها ـ مجنونا ، وهى اليوم من القضايا العلمية الرائعة ، ولكن من يدرى ما يأتى به الغد ؟

***

وكان المفكر الامريكى جورج فيرك قد سأل «البرت اينشتين» عن آخر ما اكتشف من قوانين ، فقال انه قانون يعبر عن الجاذبية بعبارات كهربية وان نظريته لا تزال فى حدود الحدس والتخمين ..

وسئل عما يعنى بالكهربية فقال انها قد تكون القوة التى تسيطر على الكواكب بأسرها .

وبديهى أن وجود قوة كهربية تمسك الكواكب وتجعلها تسير فى فلكها المرسوم لا ينفي وجود خالق لها ، بل هو يؤيده ويقويه ، وها نحن نرى الالات الكهربية التى تعمل تلقائيا هى نتيجة لعقل صممها ورسم لها طريقة عملها ، وفى حياتنا العملية الكثير من الالات والمحركات التى تدور بالقوة الكهربية ولا ينفى ذلك وجود العقل الذى صنعها وأشرف على عملها ..

***

وقد كان « جورج فيرك » قد بدأ حديثه مع « اينشتين » عن النسبية قائلا : انه كان احد العشرة الذين فهموها ثم نسيها لنقصوا واحدا .. وابتسم اينشتين وعاد يشرحها له بقوله :

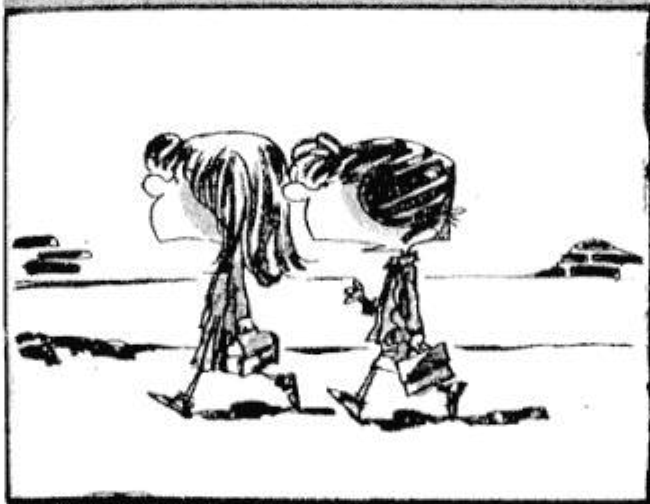
.. **معنى النسبية انه يستحيل على العالم الفيزيائى أن يستعمل مقاييس معينة لقياس الفضاء من غير أن يعين نسبتها الى نقطة محدودة من الزمان ، فالزمان هو البعد الرابع ، والضوء هو البارودة التى يقاس بها الفضاء !**

هل هى من البساطة الى هذه الدرجة ؟ وهل من الميسور فهمها واستيعابها ؟

على كل حال ان كنت قد فهمت هذا الشرح ، فانت الحادى عشر بعد « جورج فيرك » ان كان قد فهمه ، أو العاشر ان لم يكن قد فهمه ، أو كان قد عاد الى نسيانه .

كاريكاتير

جيل جديد جداً



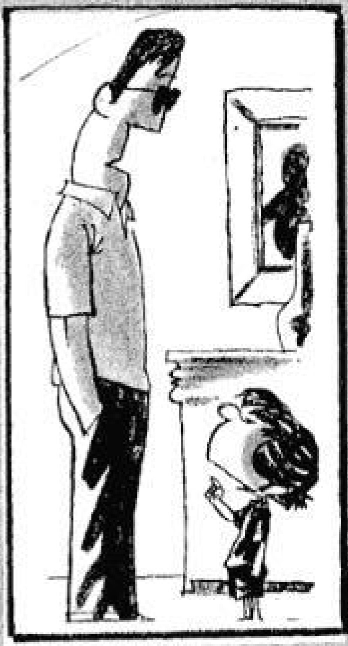
الولد للبنت : طالعه فيها قوى ومش مهتمه بى ليه ! .. علشان استاذ الفصل بيهتم بيكى ؟! انا لازم اوقفه عند حده!



الولد لابيه : والله عال ! .. سيادتك تقرا نص الجورنال فى الشغل ، وتيجى تكمله فى البيت ! .. يعنى اللى بيشتغل فى البيت بس هو انا !

الولد للجاره : ابدا يا تانت .. احنا مش بندبح قطط .. ده انا بس باجرى على الكمانجة !..

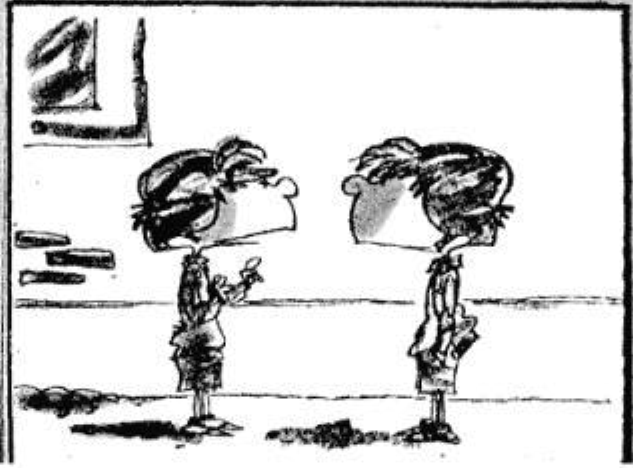




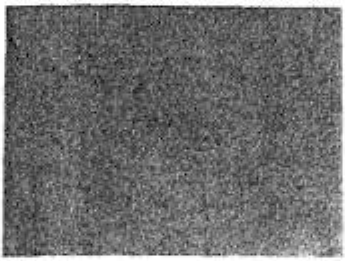
الولد لابيه : ماما راحت المصيف
.. يعني انا وانت دلوقت احنا
الاتنين عزاب !



الولد لابيه : والا كنت انتعش
قادر على ماما ، ببقى بلاش اتانية
وادينى انا فرصة !



الولد لصاحبه : حاجة تغيظ
.. عمالين يقولوا مستقبل
الاولاد ، مستقبل الاولاد،
ومفيش للاولاد ولا حتى
كرسى فى مجلس الامة !



هناك أيضاً يؤمنون بالحسد

كنا نحسب اننا وحدنا نؤمن بالحسد ونخشى العين ، ولكننا نرى الآن الامريكيين والانجليز والالمان وغيرهم من الشعوب التى لا تؤمن الا بالعلم ، تؤمن أيضا بالحسد وتخاف العين .. بل انهم يذهبون الى مدى لا يذهب اليه الا العوام عندنا من عمل مايشبه الاحجبة التى تضم كتابات توصف انها سحرية تحمى الانسان من العين ...

ولا ينتشر هذا الايمان بالحسد فى وسط كما ينتشر هناك بين الذين نسميهم بنجوم السينما أو الكواكب ، لان الكثيرين والكثيرات منهم لعلا تصيبهم العين ، ولا يكاد الواحد منهم يصل الى الشهرة والغنى حتى تبدأ العيون تتجه نحوه ، ومن بين هذه العيون عيون حسود ، فلا يلبث النجم المشهور حتى يصاب بالامراض والكوارث ، وقد ينتهى الى نهاية محزنة .

ويتجلى هذا بصورة خاصة فى حياة النجمات اللاتى يتألقن ويكسبن المال الكثير دون عمل يذكر ، وينتقلن من الفقر الى الغنى ومن الشظف الى الترف .. وهنا تصيبهن العين ، وتبدأ الممثلة الجميلة الشابة تصاب بالامراض أو تبتلى بسوء الحظ فتتحول سعادتها الى شقاء . وقد تنتهى حياتها الى مصير محزن .

وقد أشار الى هذه الظاهرة عالم اجتماعى كبير هو كلود ليفى شتراوس المعروف بدراسته فى علم الاجتماع والنفس .. وقد كتب قبل عصر نجمات السينما — يقول : ان النجاح السريع الذى تحققه النساء الجميلات فى عالم الفن يجلب اليهن النحس ، ربما لان أعداءهن كثيرون ، وهم يتمنون ليل نهار زوال نعمة الشابة الجميلة التى تتمتع بكل شىء وتتقاضى مبالغ لا تخطر على البال لكى تقف أمام الكاميرا وتمثل أدوار الهوى ، وتلبس الملابس الانيقة ، ويترامى الرجال على أقدامها فى حين ان غيرها من النساء يشقين عمرهن كله ولا يبلغن فى العمر الطويل ما تبلغه فى أسبوع واحد من حياتها !

وقد استلفتت هذه الظاهرة أنظار



جنوريا سوانسون ، فاتنة العشرينات والثلاثينات ذات الشعر الاسود والعينين الساحرتين : كسبت مئات الالوف من افلامها ؛ وماتت مفلسة .

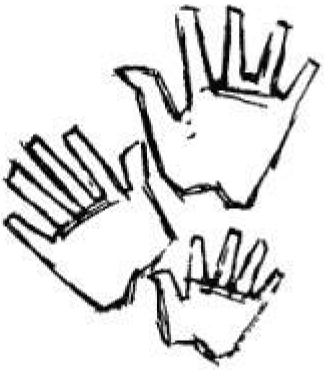
جين هارلو : الحسناء ذات الشعر البلاتيني ، كانت جين هارلو اول امرأة في التاريخ تظهر بشعر في لون البلاتين ، وقد سحرت الدنيا في الثلاثينات ، وماتت محترقة في حادث طائرة ..

الناس في منتصف الثلاثينات عندما ظهرت الممثلة المشهورة جين هارلو ، تلك الشقراء التي يصفونها بأنها فاتنة ، والتي وصلت الى قمة الشهرة في أقل من سنة بفضل المنتج والمخرج هوارد هيوز ، وأصبحت توصف بأنها أجمل وأغنى امرأة في أمريكا ، وخاصة بعد ان مثلت رواية الاجنحة المتكسرة أمام كلارك جيبل ، واستلفتت الانظار بشعرها الذهبي وقوامها البديع .. وقال الناس يومها انها أسعد امرأة في الدنيا !

وهنا اتجهت اليها عيون الحاسدين لفشلت في زواجها بعد ان أجهضت مرتين ، ثم توفيت بعد سنوات من الشقاء محترقة في حادث طائرة ...

وتكررت المأساة مع جريتا جاربو ، المرأة التي كانوا يصفون جمالها بانه جمال رباني ، ولم تشتهر امرأة في تاريخ السينما قدر ما اشتهرت جريتا جاربو ، لقد كانت افلامها تكسب الملايين ، وشهرتها تغطي القارات الخمس ، حتى انها عندما مثلت رواية « الملكة كريستينا » حرم عليها رجال البوليس الخروج الا بحرس نظرا لتزاحم الناس عليها وجريهم وراءها لكي يحصلوا على نظرة او امضاء على صورة ..

هذه المرأة التي كسبت في فيلم واحد ما لا تكسبه اليوم أكبر الممثلات في عشرة افلام ، توقفت فجأة عن العمل في أواخر الثلاثينات ، وأصيبت فيما يقول الذين عرفوها بمرض نفسي ، جعلها لا تستطيع





بولا نيجرى المرأة الساحرة التى اشتهرت برواياتها مع رودلف فالنتينو ، وجمعت ثروة بلا حدود .. ماتت منتحرة بعد موت رودلف فالنتينو

محادثة الناس أو الظهور أمام الكاميرا .. فاختفت من الحياة وأصبحت منذ ذلك التاريخ شبحا يجول فى نواحى الدنيا دون حياة ودون متعة ...

هذا وملايينها فى البنوك ، ثم انها لم تتزوج ولم تنجب ... وفى أخريات أيامها لم يعد لها صديق واحد ، بل بلغ بها الامر انها أصبحت لاتخرج الا محجبة، كأنها تخشى ان تقع عليها عيون الناس.!

بماذا نعلل ذلك ؟ .. اننا لا نتردد فى القول بأن عينا أصابتها فنكبتها وحرمتها من الاستمتاع بالمال الوفير الذى تكدس باسمها فى البنوك ، وبالشهرة الواسعة التى كانت تتيح لها الفرصة لتحيا أسعد أيامها ...

***

شىء شبيه بذلك حدث لممثلة بلغت شهرة واسعة فى أواخر العشرينات ، وهى جلوريا سوانسون ذات العيون الجميلة التى بهرت الدنيا وكسبت الملايين أيضا

وفى يوم من الايام كانت اشهر امرأة فى الدنيا ... ولكنها مع جمالها وغناها لم تسعد فى زواجها ، ولا هى انجبت طفلا . وعاشت بقية عمرها حزينة كئيبة وخاصة بعد ما انصرف عنها كبار المخرجين ، واندرجت فى طى النسيان ، حتى ظهرت مرة أخرى فى الخمسينات ،



مارلين مونرو الشقراء التي احدثت عاصفة في عالم السينما وتصدرت فاتنات الدنيا ، ماتت منتحرة بحبوب منومة ..

ريتا هيوارث في مشهد من مشاهد فيلم «جيلدا» الذي مثلته مع جلين فورد ، انهـا الآن امرأة منتهية ، وقد اهلكها الادمان على الشراب .

جريتا جاربو المرأة ذات الحسن الالهي ، وملكة السينما الى اخر الثلاثينات ، لقد اصيبت بمرض نفسي في اوائل الاربعينات واختفت عن الدنيا والناس

ومثلت رواية ناجحة تصور عودة نجمـة منسية ... وبعد هذا النجاح الاخير لم يسمع احد عنها خبرا ..

***

ويتحدثون كذلك عن بولا نجرى ، وهي ممثـلة اشـتهرت بادوارها امام نجم العشرينات رودلف فالنتينو . وكان يقال انها تملك أجمل عينين في الدنيـا ... هذه المرأة اصيبت وهي في شرخ الشباب واوج الشهرة بمرض معضـل في الكلى وبالتسمم البولي واضطروا لازالة احـدى كليتيها ، وانتهت حياتها بأن انتحـرت عقب موت رودلف فالنتينو ، ويقال انها عشقته عشقا بالغا ، ولكن الحقيقة ان العين اصابتها فذهبت بكل سعادتها وجعلتها من اتعس نساء العالم !

***

ومثل ذلك يقال عن بيتي جريبل وهي ممثلة اشتهرت في الاربعينـات بادوار الرقص والغناء ، وقد كسبت هي الاخرى الملايين ، وقد كانت شركة وارنـر التي تعمل فيها تعتمد على ايرادات افـلامها اثناء الحرب العالمية الثانية ...

هذه المرأة التي كانت على كل لسـان والتي كانت معشـوقة الملايين ، اصيبت

من اليمين الى اليسار مارلين دتريتش، ليليان جيش ، ثم ماري بيكفرد ـ مع شارلي شابلن في شبابها .. كلهن اصابتهن العين ولم يستمتعن من حياتهن الا بالقليل فيما عدا مارلين دتريتش .



هي الاخـــرى بالسرطان ودخـلت المستشفيات مرة بعد اخـرى ، وانتهت حياتها وذهبت دون ان تتمتع بشيء من غناها او جمالها او شهرتها ...

***

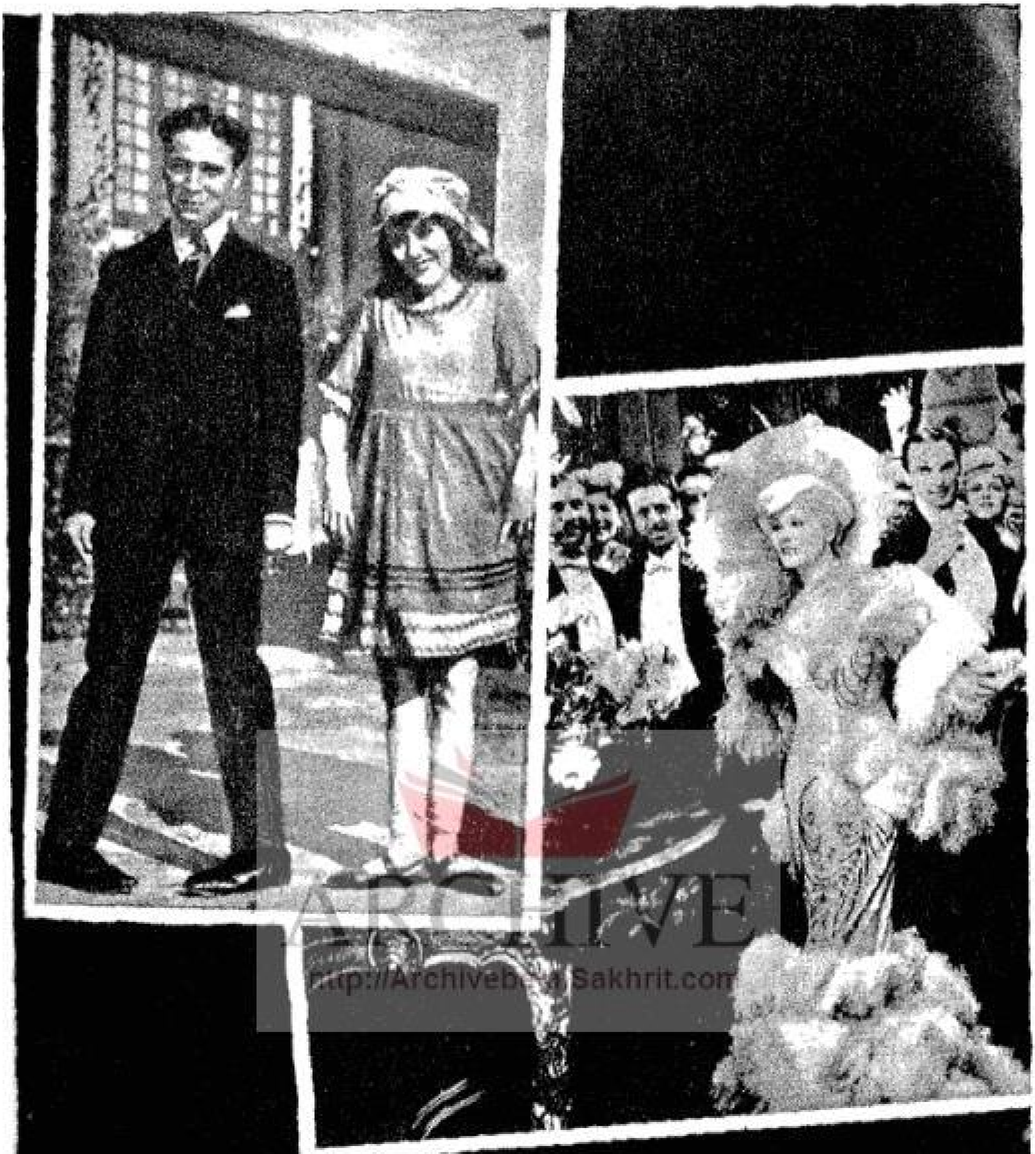
هذه نماذج قليلة من كثير جـدا من مآسي الحسد الذي يصيب هؤلاء الممثلات فيحرمهن من كل سعادة ومتعة ولاتنفرد النساء بذلك ، بل الذين تعذبوا وقاسوا من مشاهير رجال السينما كثيرون جـدا ومثلهم الممثل المشـهور همفري بوجـارد الذي توفي بالسرطان وهو في الاربعينات ... وكذلك الحال مع رودلف فالنتينو الذي مات شابا ومثل ذلك يقال عن عدد لا يحصى من الممثلين المشاهير ..

بل ان العين تصيب أيضا غير الممثلين ... وما رأيك فيما أصاب عائلة كيندي التي قيل في يوم من الايام انها أسعد وأغنى أسرة في الدنيا حتى الفت فيها الكتب وزعم الناس أن جوزيف كيـنـدي مؤسس هذه الاسرة وهـو والد الرئيس جون كيندي ولد في ساعة اجتمع فيهـا حظ الدنيا السعيد كله ، هـذه الاسرة نعرف كلنا ماذا جرى لها ؟ فقد قتل جون كيندي ، وروبرت كيندي ، وارتكب تد كيندي الاخ الثـالث جناية برأه منهـا القضاء ، ولكن الرأي العـام الامريكي لا يغفـرها له ، وتلك هي حادثة موت بنت كانت معـه في السـيارة ووقعت في بحيرة شابا كويدك ـ ونجا هو ... أما الفتاة فقد غالها الموت

وهنـاك ابن لروبرت كيندي اصيب بالسرطان في مساقه ... أي ان الاسرة كلها نكبت نتيجة للحسد الذي اصـابها وهي في أوج الشهرة والقوة ...

***

اننا ما كنا لنتكلم عن الحســد خارج نطاق بلادنا ، لولاأن الموضوع مطروح اليوم على نطاق واسع وتؤلف فيه الكتب ، وقد اتسعت تجارة مضادات الحسـد في كل



بلاد أوروبا وأمريكا ، بل قرأنا مقالا فى مجلة ألمانية تقول : ان الامهات يحذرن أبناءهن من الخروج جماعة حتى لا يصيبهم الحسد !

ومن الطف ما قرأنا فى موضوع الحسد ما يقال ان الازمة التى يعانيها الدولار اليوم ترجع الى انه أصيب بالعين ، نظرا لما كان يتمتع به من القوة والشهرة ، فاصبح « المسكين » اليوم من اضعف عملات الدنيا ، بل انه يوصف بانه الرجل المريض الذى يجرون له بين الحين والحين عمليات نقل دم لكى يستطيع مواصلة الحياة !

رسالة مهرجان كان السينمائي ..

المضمون الجديد
وراء أزمة السينما العالمية

● ماري غضبان ●

●● في مايو من كل عام يقام مهرجان « كان » السينمائي الدولي الذي يجعل فرنسا مركز الاهتمام للمشتغلين بالسينما في العالم ..

زائر المهرجان والقادم الى ((كان)) يحضر لتبادل الافكار ، او بيع وشراء الافلام، او لمجرد الاحتكاك بالتيارات الجديدة في الفن السابع ...

والغريب أن الدولة المضيفة، فرنسا لم تعد تحظى بالتقدير والجوائز في السنوات الاخيرة ، بل لقد ابتعدت الاضواء من نجوم السينما الفرنسية وفنانيها وفنييها ، لتذهب الى أصحاب الجنسيات السينمائية الاخرى فالسنوات الماضية حفلت بأسماء كلود شابرول ، وفرانسوا تريفو ، وكلود ليلوش ، وروجيه فاديم ، وغيرهم من أصحاب الاتجاهات السينمائية المبتكرة وأصحاب الموجة الجديدة ـ لكن الحال اليوم يختلف ...

نقاد وكتاب فرنسا المشتغلين بالسينما يرون أن المشكلة السينمائية في فرنسا نتجت من الثغرة التي تركتها الطفرة التي ظهرت بها أفلام الموجة الجديدة ، ثم ما ترتب عليها من هدوء بعد ذلك ..

كان المضمون الجديد والرؤية الدرامية والفكرة من أسباب كبوة السينما الفرنسية لعدم تجدد هذه الموضوعات فيها ، بجانب العامل الاقتصادي الذي أدى الى انكماش الانتاج السينمائي الفرنسي ، نتيجة الضريبة المرتفعة على الانتاج السينمائي ونتيجة لانكماش الاسواق وضعف توزيع الفيلم الفرنسي في الداخل والخارج .

وحتى وجوه السينما الفرنسية او نجومها أصابها في الشكل العام قدر من الكبر والابتعاد عن بؤرة النشاط وهذا ما أصاب بريجيت باردو وايف مونتان ، وسيمون سينوريه ، وميشيل مورجان ، وجان مورو ، وجان لوي ترنتيان ، وجان بلموندو .

واللغة الفرنسية رغم انتشارها في العالم ، الا ان أسواق السينما العالمية تفضل اللغة الانجليزية ، او عمل دوبلاج للفيلم الى اللغات الوطنية في أسواق التصدير ، مما يصعب من موقف السينما الفرنسية اليوم ...

بل ان الفيلم الذي اشتركت به فرنسا في مهرجان « كان » هذا العام « اخوات برونتي » من اخراج اندريه تشينيه ـ موضوعه مستمد من حياة أسرة بريطانية ، عن الاخوات الثلاث : ايملي .. شارلوت .. آن برونتي : اللاتي صورتهن رواية جين اير : « مرتفعات وذرنج »

ويحكي الفيلم حياتهن وتطورها مع شقيقهن برانويل وكيف اتجهت الشقيقات الى فن كتابة الرواية .



مشهد من الفيلم الالمانى ، « الطبلة » لفولكر شولندورف

والفيلم يدور موضوعه حول بريطانيا فى القرن الماضى فى جو كئيب ومن خلال « تكنيك » ممل بطىء ..

وقد تصورت الاوساط الثقافية الفرنسية ان هذا الفيلم سيحقق قدرا من النجاح والاثارة الاهتمام ، لكن الفيلم فشل ، ولم يحقق اى نجاح ..

وكذلك لقى فيلم « المسلسل الاسود » فى المهرجان نفس الفشل الذى اصاب فيلم « اخوات برونتى » والفيلم من اخراج آلان كورنو وموضوعه مقتبس كذلك من رواية للكاتب الانجليزى جيم سمبسون « امراة الجحيم » واحداث الفيلم تدور حول بائع متجول يبحث عن شخص سرق حاجياته ، وفى رحلته للبحث عن اللص تقابله صعوبات ومغامرات ادت الى اتهامه هو بالسرقة !

واذا كان هذا حال الفيلم الفرنسى فان الحال يكاد يكون متشابها مع الفيلم البلجيكى .. وقد اشتركت بلجيكا بفيلم « امراة بين ذئب وكلب » للمخرج اندريه دلفو وتقوم ببطولته الممثلة الفرنسية مارى كريستين بارو ... وتقع احداث الفيلم فى سنوات الحرب العالمية الثانية حينما احتل الالمان جزءا من بلجيكا وقصته تدور حول امراة تتوزع مشاعرها بين زوجها المتعاون مع الالمان المحتلين ، وصديقها الفدائى الذى يحارب ضد النازيين ...

والموضوع جيد ، وكان من الممكن ان يكون سينمائيا افضل من الشكل



بزيك ديوير في الفيلم الفرنسي ، « المسلسل الاسود »

الذى انتهى به عند العرض ..

اما ايطاليا فقد اشتركت باربعة افلام من اهمها فيلم للمخرج فردريكو فيليني « بروفة الاوركسترا » انتاج التليفزيون الايطالى الرسمى ، وقد رفض مخرجه ان يعرض داخل المسابقة لانه يتصور ان مقارنته بغيره من المخرجين تقلل من قيمته ..

ويتفق معه فى الرأى المخرج انجمار برجمان . وتدور احداث الفيلم حول « مايسترو » المانى يقود «اوركسترا» كل العازفين فيه من الايطاليين ، مما يؤدى الى عدم الانسجام والتجانس .. الفيلم انتقادى يمزج الواقعية بالسخرية الايطالية اللاذعة ..

اما المجر فقد تقدمت بفيلمين هما جزءان لموضوع واحد هو « المقطوعة الموسيقية المجرية » اخراج ميكلوش يانشو ، وتصوير يانوش كيندى وهو من افضل مديرى التصوير فى العالم ...

والفيلم يروى قصة المجر عبر التاريخ ، وعن طريق الرموز والاسقاطات يقدم أهم الاحداث والانفعالات التى مرت بالانسان المجرى .

ورغم ان المجرى ميكلوش يانشو من اعظم مخرجى العالم الا ان هذا الفيلم لم يحصل على جائزة محددة ، لكن لجان التحكيم منحت هذا المخرج جائزة من كل اعماله الفنية ...

●● خلاصة ما خرجت به من متابعة نشاط مهرجان «كان» السينمائى ان « الموضوع » أصبح مشكلة السينما اليوم .. والسينما الفرنسية على سبيل المثال لم تجد الا التباس الأعمال الاجنبية وخاصة من الروايات البريطانية ، بينما وجدت السينما الايطالية والمجرية والبلجيكية اعمالا ادبية تستمد منها موضوعاتها ...

والفيلم الالمانى خرج من هذا المنعطف فهو ماخوذ عن سيناريو جيد « الطبلة » اخراج فولكور شيلندورف ولهذا حصل على جائزة النخلة الذهبية التى اقتسمها مع الفيلم الامريكى « الآن - اليوم الموعود » اخراج فرانسيس فورد كوبولا ، ومضمونه مستمد من البشاعات التى تركتها الحرب الفيتنامية على الانسان المعاصر . ●

الباب

● محمد حلمي حامد ●



انا منكم ...
فهل تأتون في صمت الى داري
وتبتسمون ـ ترتعشون ـ في فرح
وتحتملون احلامي ـ واخباري ...
ساعطيكم مني عيني
ساعطيكم مني قلبي
وافرح مثلكم ـ معكم
واقطع بينكم دربي ...

***

لعلك انت دون الناس
تحتملين اغنيتي الخرافية
ساقفز فوقها حبا
لكي تأتين في حلل اثرية
تعالي .. انهم يقفون خلف الباب
ينتظرون معجزة سماوية !

***

وخلف الباب كان الناس
ينتظرون كالموتى ..
سالت صغيرهم مرحا
فلم يفهم
سالت كبيرهم مرحا
فلم يفهم . وصبوا في محاجرهم
قشور الظل ـ والظلمه

***

انا منكم تعالوا انني معكم
اصب الظل في عيني ـ في اذني
لاني مثلكم انتم ! ..

ذات الـــرّداء الأســـــود

● عبد الجواد طايل ●

وعينيك : ما سر هـــذا الرداء
وذاك التبتل كالانبيـــــاء
وما سر هذى العيـــون اللواتى
تكحلن .. بالطهـــر والـكبرياء
شفافية كانبــــلاج الصباح
وصفو الغدير وصمت المساء
وديباجـــة ليت شـــعرى ونور
غزير .. وقور .. وقار السماء
فاما مشيت حواليـك ، رحـت
اعلل نفسى بنيـــل اللقـــــاء
لعلى احــــدثكم عن هيـــامى
فادنو وارتد خـــوف الجفـاء !

***

وماذا اذا قلت يا صـــب كــلا
وقلبى تهجد شـــوقا وصــلى
اذا لاح طيفـــــــك ، دق ورق
وانـــكر كل الملـــذات ـ الا ..
هياما تمادى ، ونورا تهـــادى
وروحا تسامى ، وفـكرا تجلى !
فذا قلبى الـــكهل بين الندامى
لعمرى .. قد رده الحب طفلا !
وشعرى يلوب كل المــــذراى
ويقتل من يجحد الحب قتلا !
اموت من الشـــــوق لا اراك
وكل الـــدواوين فى الحب تبلى !

***

لما ثغرك الحــلو لا يبتسم ...
فينســـــاب انقى وارقى نغم
كأن الحيـــاة لديك صـــلاة ..
مقدســة كلهـــا ـ كالحـــرم
اذا شــئت اعرضت من كل شيء
بذاك الحياء ، وتلك القيـــــم
فصـــار الجميع ـ كسفح الجبال
واصبحت فى ناظرى كالهـــرم
اطالعها باشـــتياق المســــافـ
ـــر خلف الحيـــاة وكالمنهزم ...
وامضى ومازال بى الف شـــوق
كشوق السفين لشط الخضـــم

قصـــة

الـــدوران فى المتـاهـــة

● عزت معوض مصطفى ●

لم يعد فى داخلى بقايا هـــواء نقى لاتنفسه بالتماش .. ورغـــم هـــذا صـــموت كالعـــادة ارقب الوجود من خـــلال فتحـــة ضيقة فى الجدار تطل على القبور الغارقة فى صمتها ، لاتلمس شيئا يحرك الجمود الذى فشينى فجأة .. لـــكن الكون كساه الضباب ، ولم أر الا عيـــونا مصلوبة تحملق فى .. باحثة من الطريق حتى لا تصدم بجدار اليأس ..

حاولت أن أهرب من النظرات المهزومـــة المنكسرة .. اغلقت الفتحة الضيقة فى الجـــدار .. وقبعت فى ركن الحجرة المظلم حتى لا أسمع تلك الضحكات المثيرة المعطش الصـــادرة من احساس جائع الى احساس أكثر جوعا ، وهذا الصـــوت راودنى كثيرا .. حاولت أن اهـــرب منه لكنه دائما يجذبنى الى أن اعيش فى هالته» التنفس بـــين احضانه اللذة الجـــامحة حـــتى ولو كان حلما .. لكن يأتينى صوت خاشـــع من مئذنة « الرائد المبارك » ، يهدهد فى داخلى الكائن المتوحش ويعيد الى لحظة الســكون .

●●●

رذاذ المطر الذى تناثر خارج الحجرة أوحى الى بأشياء طالما أحببتها فى طفـــولتى قبـــل أن أعرف من أنا وداخلنى طريقة التفـــكير المهلكة - كنت القلق والقلق مع الطبيعة أمم العواصف الصارخة ، لم أكن أعبأ بنـــذير الخوف والعقاب الذى يأتينى مع صدى صوت أمى الهدد المتوعد ..

ياليها من أيام ، ليتها تعـــود حتى اطـــرد الخوف والضياع والتضالل الذى يعتريني دائما ، فأنا ارغب فى أشياء ولكنى الجمـــد عند لحظـــة فعلها .. لماذا !!

ربما لأنى لم استطع ان أبدد قسوة اللـــون الرمادى والقلق فكرى من الاقتراب فى هـــذا المكان المظلل القفر الذى لا ينبت الا شـــجرا محملا بالشوك .. فلأرغب والفكر وأنا جائع عار .. لاتعلم كيف أبحث من قصاصات كتـــاب الرؤاء والتمع فمى لاتنظر قطـــرة تروى جفـــاف حلقى ، تعيد الى النطق ، فالخرس كاد يغلب فصاحتى .. لكن ما تلك الضوضاء ، وما هذه الهمسات بجوار صاحب المقام المبارك .

●●●

انها هى التى فى الحجرة المجاورة صاحبة البنطلون « الجينز » التى تتفجر انوثة ..كم أريد أن أودع عند قلبها سر قلبى .. أن أسرق من شفتيها المكتنزتين لبـــسمة ، أن أضم صدرها الثائر الى صـــدرى ، أن أداعب خصـــلات من شعرها الفاحم المنسدل فوق جبينها ،واطارحها الغرام .. لكن ماهذا العبث !! ما هـــذه الرعشة التى أصابتنى !! ولماذا العرق يتصبب فوق جبينى والقاسى الهيب ..

صوت المؤذن بحشرجته يطن فى اذنى ، فيبحث من خيال اوقعتنى فى لحظة ضعف لكن الظلام والسكون والحـــرمان يقتلنى .. فلأجلس القرفصاء وانظر فى الفتحة الضـــيقة التى فى الجدار .. لا .. لا . لكننى لابد ان انظر ، لأنى أسمع وقع خطوات تقترب ، ربما تـــكون هى .. وما سر هذا الاهتمام !!

سأراى .. انها سوف تفتح البـــاب وتتركه كالعادة « نصف مفتوح » ، وأراها وهى تخلع ثوبها ، وتنثر شعرها فى الهواء ، وتدلك بشرتها عندما تضع العطر فوق عنقها وخلف اذنها .

لكن الصوت اختفى .. أين ذهب ؟ أين ذهب وقع الأقدام ! انى لم أعد أرى الا أشـــباحا هلامية تتداخل ، فلأنتظر حتى أراها .. لـــكن لم يعد عندى قدرة على تحمل هذا المكان قبل أن انفجر .. فلأنتظر مستغرقا فى طفولتى التى ربما خرجت سهوا من بطن صخرية الى جحيم الوجود وهى ممسوسة بنبضة مشحونة بصورة الألم من أجل الآخرين والاحساس بهم وتلك فى حد ذاتها مجاهل قاتلة !

لكن ما كل هذه الارهاصات !! ولماذا لا أحاول الاحتجاب من الآخرين !! كيف ! أقرأ الكتب ، أو أحاول أن أخوض تجربة جديدة للابدية أو مرة أو ...

لا .. لا يمكن . اننى ساظل انظر من خـــلال الفتحة حتى أراها .. أرى كل شىء ، انى أدرك أنها تناجينى ، تبعث الى بلغة صامتة.. تقول لى :

لا يمكن ان تقتل فى النشوة ولا الأحلام ولا الحب الكبير .. رغم انك تعذبنى وتـــلون لى الحياة بالذبول الا انى ادرك انك تعشقنى من أعماق قلبك .. لولا أنك تكابر وتخدع نفسك» لغيتالا لا تكذبان . اريد أن تحس بى .

ولكن لماذا ينقبض قلبى هكذا !! لـــماذا اصبح كل شىء فى الحجرة صامتا الان اكثر !! القابس مكتومة .. اين ذرات النور .. الهواء !! أين الحع وجه شىء مقتول الشارب يغمض عينيه .. يغط فى نوم عميق وهو قابض على الفراغ .

ليتها تعود الآن حتى أستريح من الخوف ، فالزمن قد طال والانتظار مؤلم . يا الهى ماذا اسمع !! ربما تكون هى .. ولكن الهمســـات غريبة ومضطربة وآلمة ! ..

تحسست الظلام .. حدقت فى كل شىء من خلال الفتحة الضيقة لأنفرس فى الحقيقة الخفية للوجود عبر ارجاء الكون المترامى الأطراف .. لماذا خدعتنى عينى البراقة ؟ ان جســـدها التائق يلمع ، فلأنتظر ..

ولكن صوت المؤذن .. آه قلبى ، قلبى !

وعند الآذان تحركت..وقطرات الماء الساكت وتوالت عليها الأيام والليالى .. دون أن تعرف سرالدائر فى دوران المتاهة ●

روّح عن نفسك ..

● مصطفى الشهابي ●

هذه الصفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة والاجابات أسفل الصفحة ..

اولا : لغز بالشعر

يحـــكي اذا قشـــرته
أنياب أفيـــال صغـــار
ذو باطـــن مثـــل الاقـــاح
وظاهر مثـــل البهـــار !

ثانيا : مسالة حسابية

احذف تسعة أرقام من عملية الجمع الاتية ليصبح المجموع صحيحا :

١١١
٣٣٣
٥٥٥
٧٧٧
٩٩٩
———
١١١١

ثالثا : اختبر ذكاءك

قال نبيل لصديقه سعيد : « أمامك ثلاث زجاجات اثنتان منها مليئتان بالكولونيا والثالثة ملأى بالماء ، وهي كما ترى متساوية في الحجم والشكل . فاذا تناولت احدى الزجاجات الثلاث وذكرت لي ما تحتويه وصح قـولك ، اعطيتك زجاجتي الكولونيا ، واذا أخطأت ، كان لك حق الاقتراع على الزجاجتين الباقيتين ، فاذا اصبت أخذت زجاجة كولونيا واحدة .. »
ففكر سعيد قليلا ثم اهتدى الى حل ضمن به احدى زجاجتي الكولونيا على الاقل ، فماذا فعل ؟

رابعا : اختبر معلوماتك

من القائل ؟

١ ـ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن اترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته .

٢ ـ أيها الجنود ، ان أربعين قرنا تنظر اليكم من أعلى هذه الاهرام •
٣ ـ أنا وبعدى الطوفان •
٤ ـ أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا •
٥ ـ الحق فوق القوة ، والامة فوق الحكومة •
٦ ـ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا •
٧ ـ أنا الدولة •••
٨ ـ أنا أفكر ، فأنا اذن موجود •
٩ ـ لقد جئت ورأيت وانتصرت •
١٠ ـ الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا •

الإجابات

اولا : لغز بالشعر : هو الموز •

ثانيا : مسالة حسابية

١٠٠
٠٠٠
٠٠٥
٠٠٧
٩٩٩
―――――
١١١١

ثالثا : اختبر ذكاءك

قرر سعيد أن يأخذ أية زجاجة ويقول ان بداخلها كولونيا •• فاذا صح قوله نال زجاجتى الكولونيا • واذا ظهر أن بها ماء فانه بذلك قد تأكد ان الزجاجتين الباقيتين مليئتان بالكولونيا ، وما عليه الا أن يختار احداهما ويقول ان بها كولونيا •

رابعا : اختبر معلوماتك : من القائل ؟

١ ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
٢ ـ نابليون
٣ ـ لويس الخامس عشر
٤ ـ مصطفى كامل
٥ ـ سعد زغلول
٦ ـ عمر بن الخطاب
٧ ـ لويس الرابع عشر
٨ ـ ديكارت
٩ ـ يوليوس قيصر
١٠ ـ رديارد كبلنج الشاعر الانجليزى

زهرات من رياض العرب

● عزة ●

حج هشام بن عبد الملك ايام خلافته ، فدخل الكعبة ، فوجد فيها سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، فقال له : يا سالم ... سلني حاجتك . فقال سالم: انى لاستحى من الله ان اسال فى بيته غيره ..

فلما خرج سالم من الكعبة خرج هشام فى اثره ، وقال له : الان خرجت من بيت الله فاسالنى حاجة .. فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الاخرة ؟

فقال هشام : من حوائج الدنيا . فقال سالم : انى ما سالت الدنيا ممن يملكها ، فكيف اسالها من لا يملكها ؟! .

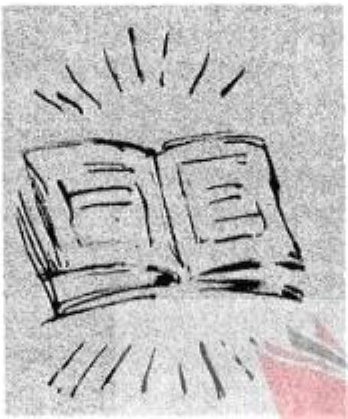


● صيام الليل ●

دخل احد الحمقى على الخليفة هارون الرشيد فى احدى الليالى وهو ياكل ، فقال له الرشيد : « هل لك فى العشاء » فاجابه : « انى صائم يا امير المؤمنين » . فساله الرشيد : « أمواصل انت ؟ » ـ اى انه يصوم يومه وليلته حتى يمسى ، فقال : « لا . ولكنى وجدت صيام الليل أسهل من صيام النهار » .

● قراء القرآن ●

قال الامام على ـ كرم الله وجهه : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ، ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها .



● السماحة ●

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: رحم الله عبدا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا قضى ، واذا اقتضى (طالب بحقه) .

● اخزى الله المال ●

مرض قيس بن سعد بن عبادة ـ رضى الله عنهما ـ فلم يزره أحد من اخوانه ، فسال عنهم ، فقيل له : انهم يستحيون مما لك عليهم من ديون.

فقال : أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة .

ثم أمر مناديا بأن ينادى : من كان لقيس عنده مال ، فهو منه فى حل !.

فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد !

● محسن فهمى ●

متابعة لتقليد جرى عليه

الهلال

عدد رمضان من كل سنة

يخصص لدراسات عن:

محمد صلى الله عليه وسلم

خير ما تقرأ

عن خير البشر

الهلال

عدد "رمضان" أول أغسطس ١٩٧٩



الهلال
يونيه ١٩٧٩
١٨٩٢م
١٩٧٩م
من العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٧ عامًا
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
لازالت مجلة الهلال عميدة المجلات
الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
الهلال يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
لاتحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر ..
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي:
بالبريد الجوي:
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة


الهلال
مجلة الفكر العربي
صلى الله عليه وسلم
أربعة عشر قرنا في ظل رسالته
فتحي رضوان
أنيس منصور
يوسف إدريس
نجيب محفوظ
د. محمد الظواهري
محمود شلتوت
د. عبد الحليم محمود
د. عبد الجليل شلبي
د. محمود علي مكي
د. أحمد شلبي
د. كمال جعفر
رشيد رضا
اطلب مع العدد
هدية
قطعة من الكسوة الشريفة في بيتك

كلمة الهلال

عودة إلى نقطة البداية

للمرة الثانية نخصص الجزء الاكبر من عدد اغسطس / رمضان للسيرة النبوية الكريمة ، وسيكون هذا باذن الله تقليدا لهذه المجلة :
تخصيص العدد الموافق لشهر رمضان من كل سنة للسيرة المباركة وما حولها ..

ولنا من وراء ذلك هدفان: الاول تجديد دراسات السيرة ، فان هذه الدراسات مازالت راكدة عند الصورة التى صنعها الدكتور محمد حسين هيكل لسيرة ابن هشام ، وتلك بدورها صورة محرفة لسيرة ابن اسحاق اى اننا واقفون فيما يتصل بالسيرة عند القرن الهجرى الثانى ، الثامن الميلادى ..

والهدف الثانى هو ان نجعل من شهر رمضان شهر تامل فى احوال العرب ما مضى منها وما هو كائن وما سيكون ..
لماذا ؟
هذا هو ما ندعوك ان تفكر فيه .

وهذا ايضا هو مايدعونا الى ان نجعل شهر الصيام هو شهر السيرة الكريمة ، لأن السيرة هى البداية ، ومن القواعد المقررة أن القافلة اذا ضلت طريقها فان خير ما تفعله هو أن تعود الى نقطة البداية لتبدأ السير من جديد .
وها نحن عند السيرة ، عند البداية .

فلنفكر معا ، لنقرأ ولنفكر ولنبحث على ضوء سيرة المصطفى عن طريق جديد لهؤلاء العرب ـ قومنا ـ الذين عاهدوا الله ـ نحسب ـ على الا يستريحوا قط ولا يسيروا على الطريق السليم قط ..
او أكون مخطئا فى تصورى ؟
ارجو ..

وعلى أى حال فلنفكر ، ولنتامل ، فهذا شهر الصيام والتامل ..

المحرر

في هلال هذا الشهر

● اسلاميات ●

● من التراث المعاصر ●

● ادب ودراسات ●

الهلال
مجلة الفكر العربي

رمضان ١٣٩٩ هـ
أغسطس ١٩٧٩ م

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى حميد

● استطلاع بالالوان ●

● سينما ●

● مرآة الفكر العربي ●

● ابواب ومتنوعات ●

● شعر ●

● قصص ●

الاشراف الفني على هذا العدد
أحمد فاضل وأحمد الورديجي

● صورة هدية العدد تصوير
الفنان خالد خضر ●

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صافا وتسدد مقدما للقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج.ط بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج.ط . تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

حصيلة أربعة عشر قرنا

فى ظل رسالة محمد

بقلم رئيس التحرير

إن ما حققناه خلال الاربعة عشر قرنا الماضية كثير، ولكنه قليل جدا بالنسبة لما كان ينبغى أن نحققه ..

فقد بدأنا من قاعدة الاسلام ، وهى قاعدة حضارية متينة واثقة ، وقد ارتفعنا بها الى مستوى عال جدا من الحضارة والتقدم والقوة خلال القرن الهجرى الأول ، فأقمنا عالما جديدا يقوم على مبادىء الخير والحق والعدل والعلم والقانون ..

ولكننا توقفنا بعد ذلك لم نستطع مواصلة السير فى الطريق الذى رسمه لنا الاسلام ، فلم نكن على مستوى المسئولية .. فخطفنا الزمان ..

معنى هذا الانحراف واهم اسبابه واردة فى المقال ، ولكننا نقول فى كلمات :

– اننا فقدنا الاطار السياسى السليم الذى اعطاه ايانا الاسلام

– ان أهل العلم عندنا قصروا فى حق الأمة وجبنوا عن مواجهة الظالمين ، فضاعت حقوق الأمة وسارت بغير قيادات .

والعلم فى الاسلام لا يقتصر على علوم الدين بل يشمل علوم الدين والدنيا ، ولا فرق اساسا بين علم وعالم ولكننا اقتصرنا فى فهم العلوم على أنها علوم المعاد وانصرفنا الى علوم المعاش .

لو اننا اخلفنا فى ان نسير فى خطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم نفد من المثل الأعلى الذى ضربه فى سياسة الدنيا وصراع الحياة .

بعد قليل تنتهى اربعة عشر قرنا من التاريخ فى ظل الرسالة الاسلامية التى حملها الى البشر خير البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتلك مناسبة طيبة لكى نقوم بعملية حساب نفس لننظر ماذا حققنا وما لم نحقق من مطالب هذه الرسالة ، وهل فهمناها حقا ، وهل التزمنا بها كما ينبغى أن نلتزم ؟ وهل خدمناها بحقها أو هل قمنا بواجبنا نحوها .

وقبل أن نمضى فى الاجابة عن تلك الاسئلة نقول ان تلك الرسالة عظيمة جدا ، وأنها حملت للبشر خيرا بلا حدود ، وفتحت لهم أبواب العمل والاجتهاد والابداع فى الفروض بمستوى البشر الحسم اخلاقيا وحضاريا ، ولم توجههم الى العمل الصالح النافع الذى يعود عليهم وعلى غيرهم بالخير .

والفروض أساسا أننا – أمة الاسلام – مكلفون بنشر الاسلام فى نواحى العالم أجمع ، وأن الجهاد فى سبيل الله ينبغى أن يستمر حتى يصبح الدين كله لله .

واننا كان الجيلان الأولان من أجيال المسلمين قد استطاعا قبل نهاية القرن الهجرى الأول توسيع رقعة الاسلام حتى مدوا رواقه على نصف المعمور فى تلك العصور ، حتى سنة ١٠٠ هجرية ، فى منتصف خلافة عمر بن عبد العزيز تقريبا كان الاسلام قد أظل الناس من فرغانة فى قلب آسيا الى سواحل المحيط الأطلسى ، وصعدنا فى فرنسا حتى اقتربت من باريس ..

على هذا القياس كان ينبغى أن يكون العالم كله قد دخل فى الاسلام فى نهاية القرن الهجرى الثانى أو الثالث على الأكثر ، لأن الاسلام الذى فتح نصف العالم فى أقل من قرن لم يتغير فيما بعد بل الذى غير القلب فيدخوه فى تفسير القرآن وجمع الاحاديث ، وبدأ الناس يحسبون منهم الشخص ، كل ان الاسلام الذى كان الاسلام يجمع بها الدنيا زادت قوة ومتعة وفاعلية ، حسنا كنا نتوقع منه أن تزداد سرعة انتشار الاسلام ، وأن يزداد فهم الناس له بفضل مؤلفات التفسير والحديث والفقه ،

ولكن الذى حدث كان خلاف ذلك ، فالحلقة الاسلامية الأولى التى انتهت سنة ١٠٠ للهجرة توقفت ، ودخلنا فى خلافات وحروب أهلية ومشاحنات اساءت الينا والى الاسلام ، والناس الذين كانوا ينظرون الى العرب الأول نظرتهم الى حملة الرسالة العليا ورسل عهد جديد تجتمع فيه الانسانية كلها على شريعة واحدة ومبادىء اخلاقية واسعة تحقق العدالة والمساواة والرشاد للجميع .

والاسلام هو الاسلام ، ما تغير فيه شىء وما تبدل ، بل زادت عقائده وشريعته وضوحا ، ودخلت الشريعة فى بلاد شتى وطبقت فيها ، وقام العلماء والفقهاء بما يمكن أن يسمى توفيقا بين أصول الشريعة وروحها ومطالب البشر مما جعل شريعة الاسلام والقانون الخلق أيسر فى الاتفاق والتطبيق والقصر على

● **يستكثر بعض الناس ماحققناه ، ويقولون إننا أطلعنا في الطب فلانًا ، وفي الصيدلة فلانًا ، وفي الفلك فلانًا .. وهذا حق ، ولكن ذلك كله قليل : كان ينبغي أن يكون عندنا عشرات الأطباء مثل الرازي وابن سينا والزهراوي ، وعشرات علماء الطبيعة مثل الحسن بن الهيثم وعشرات الجغرافيين مثل الإدريسي ..!**

الانتشار والاتساع .

فما الذى حدث اذن ؟

ما الذى اوقف الدعوة عن الانتشار كما كان ينبغى لها أن تنتشر وتظل الناس أجمعين .

الذى أوقفها هم المسلمون أنفسهم .

فالذين نشروها أول الامر وقاموا برسالتها مسلمون على مستوى هذه الرسالة وقادرون على القيام بحقها ..

والذين اوقفوها مسلمون آخرون مستواهم أدنى من مستوى الرسالة وقدراتهم اقل من النهوض بالواجب العظيم .

وقد آن لنا أن نفيق من حلمنا الذى ظللنا نتعلل به قرونا طويلة زاعمين لانفسنا أننا قمنا بما لم يقم به غيرنا . لان الذين قاموا بذلك كانوا أهل جيلين منا، اما بقية الاجيال فما أقل ماعملت وما أكثر ما ضيعت .

وهذا كلام ينبغى أن يقال اليوم .

فقد آن ان نشب عن الطوق .

وآن ان ندرك أن الانسانية كلها تدخل اليوم فى دور حاسم خطر من الصراع لاثبات الوجود على وجه هذا الكوكب .

ذلك ان الناس يزيدون بالملايين ومواد الحياة من غذاء وكساء ومعاش لا تزيد بل هى تنقص ، وعلى قدر المساحة التى سنحوزها نحن المسلمين ستكون قدرتنا على الصراع وفرصتنا للبقاء ، ونحن بعدالجهد الجاهد لانحتل من سطح الارض غير السدس معظمه صحار وبلاد قاحلة ، وسحابة البترول التى تمطر على بعض بلادنا سوف تجف يوما ما وتعود صحارينا الرهيبة صحارى أرهب ، لان اعداد سكانها ستكون قد تضاعفت عشرات المرات ، فاذا نضب الزيت فماذا تفعل الملايين التى ستخرج الى الوجود ..

ثم ان المسلمين اليوم خمس البشر ، وهى نسبة جد ضئيلة بل معيبة ..

وتصور ان الله أمرنا بأن نجاهد فى سبيله حتى يصبح البشر كلهم مسلمين فكيف والله نلقى ربنا وقد قصرنا فى حق دينه هذا التقصير المعيب ؟

بل ليتنا حافظنا على ما فتحه اجدادنا الاولون .

لقد أضعنا منه الاندلس وصقلية وجزائر البحر الابيض ، وتركنا منه بلاد ما وراء النهر يرعاها الشيوعى الكافر بالله ويطارد الاسلام فيها ، وتاخرنا الى الصفوف الخلفية بين الامم، وكان من واجبنا ان نكون فى الطليعة لان لدينا دين طليعة .

كان ينبغي أن نكون دائما وفى كل العصور طلائع العلم والعرفان وطلائع الخير ومبادىء الحريه والعدالة والضبط ، وطلائع العلوم جميعا لان قرآننا يفتح لنا الابواب ويقودنا الى معارج الرقى .

فأين نحن من هذا كله ..

وما اقل ما نتقدم به فى كفة حسناتنا فى نهاية أربعة عشر قرنا من الزمان !

تلك حقائق لا يمكن تجاهلها .

ولقد كذبنا على أنفسنا سنين طويلة، وسكتنا على الكذب على ظن أن فى التحدث بما ادركناه من توفيق ، لا يجارى ، فيه تشجيع وتقوية للروح المعنوية .

ولكننا اقتربنا من نهاية الاربعة عشر قرنا وبدأنا نتأخر بدلا من أن نتقدم .

ولم تعد هناك مندوحة عن ان نواجه انفسنا بالحقيقة وهي اننا لم نوفق في اداء الرسالة التي تطلبها الاسلام منا .

ولم نوفق لاننا قصرنا ولم نقم بواجبنا ، واظهرنا اننا اقل من المسئولية الموكولة الينا ..

ونسأل الآن :

ما السبب ؟ أو ما هى الاسباب ؟

***

السبب الاول اننا تخلينا عن رسالة الاسلام .

وانا هنا لا أتحدث بمنطق رجال الدين وأسلوبهم فى النظر الى هذا الموضوع .

فهم يتهمون المسلمين بأنهم تخلوا عن الاسلام ، بمعنى أنهم لم يقوموا بفرائض الاسلام من عبادات .

وأنا أخالفهم فى الرأى فى هذا الموضوع وأقول :

ـ على العكس ، ان المسلمين قاموا فى كل عصر بفرائض الاسلام ، كلهم صلوا وصاموا وحجوا .

بل ان احدا لم يصل ويصم ويحج كما صلى وصام وحج المخالفون لروح الاسلام والمتسببون فى متاعب المسلمين

وهل صلى انسان أكثر مما صلى الحجاج بن يوسف الثقفى ؟

وهل صلى وصام رجل مثلما صلى أبو العباس السفاح وداود بن على وأبو جعفر المنصور ..

وهل اعتدى على المسلمين أحد كما اعتدى عليه الحجاج وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور ؟

وكلمة صريحة نقولها :هل كل الذين يحجون ويتكلفون مشاق الحج وتكاليفه متخلقون بأخلاق الاسلام ، قائمون بمطالب الاسلام ؟

وهل كل الذين بنوا المساجد واعلوا ذراها وتأنقوا فيها كانوا فعلا مسلمين صالحين ام هم بنوها للزهو والكبرياء والتكفير عن جنايات يرتكبونها واظهر مثالين لذلك نادر شاه قولى شاه ايران من الاسرة الافشارية ، فهذا الرجل اقتحم دلهي عاصمة اسلام الهند وقتل من اهلها عشرين الفا ، ثم اخذ رخام بيوتها ومساجدها ليبنى به مسجدا فى اصفهان ..

وكذلك قنصوه الغورى السلطان المملوكي الذى سرق الناس كما لم يسرقهم احد ، بل سرق كل المواد التى انشأ بها مسجده المشهور فى القاهرة من مساجد اخرى حتى تندر الناس به فقالوا ان هذا هو المسجد الحرام لان كل ما فيه حرام ..

فالمسلمون لم يهملوا فرائض الاسلام وانما اهملوا اشياء لا تقل اهمية بالنسبة للاسلام عن الفرائض والعبادات وهى روح الاسلام واخلاقيات الاسلام .

وقد اهملوها لانهم لم يعرفوها ، لم يعرفهم بها أحد .

وهذا هو الذى قصر فيه رجال الدين فى العصور الماضية .

لم يحدث الا فى القليل النادر أن عدا سلطان على حريات الناس ودماء الناس وأموال الناس ثم نهض رجل دين يعرف قدر الاسلام وقال للظالم فى وجهه : أنت ظلمت وخالفت روح الاسلام ..

وهذا أبو العباس السفاح قتل من قتل فأين رجل الدين الذى وقف ولطمه على وجهه بكلمة الحق ..

وبعد المعتصم توقف الخلفاء عن الجهاد فأين رجال الدين الذين قالوا للخلفاء انهم قصروا فى واجب الجهاد ..

معظمهم احاطوا برجال السلطان

● إن الإسلام قدم لنا قاعدة حضارية عالية جدًا ورسم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم منهاجًا رفيعًا في تنظيم الجماعة، فأخفقنا في الإفادة من القاعدة وعجزنا عن السير على منهاج الرسول الأعظم ..

وأيدوهم وحسنوا لهم أعمالهم ..

والقليلون منهم هم الذين تصونوا وابتعدوا عن السلطان، اى أنهم اتخذوا موقفا سلبيا . نجوا بأنفسهم وتركوا الآخرين يغرقون ..

واخص رجال الدين الماضين باللوم لانهم كانوا وحدهم هم المتعلمين وهم الذين يقراون الكتاب الكريم والحديث الشريف ويفهمون المعاني ويعرفون الاصول، وكان من واجبهم ان يضعوا هذه المعرفة في خدمة الجماعة الاسلامية لا في خدمة السلطان .

حتى كبار الائمة مثل أبي حامد الغزالي وقفوا هذا الموقف السلبي، فقد عاش أبو حامد في عصر العدوان الصليبي على عالم الاسلام، فماذا فعل الغزالي لاستنهاض الهمم وجمع صفوف المسلمين والدعوة الى انقاذ القدس الشريف ..

ان كتاب احياء علوم الدين على العين والراس .

ورسائل « المنقذ من الضلال » و « ايها الولد » و « المضنون به على غير أهله » على العين والراس ..

ولكنها كلها بعيدة عما كانت تتطلبه أحوال العالم الاسلامي من ايجابيات .

والذين انقذوا الاسلام وجمعوا الصفوف وأعادوا وحدة الأمة لم يكونوا رجال دين، بل كانوا رجالا من طراز بناة عالم الاسلام الاول : رجال يفهمون ان قوة الاسلام في اجتماع صفوف أهله وبث الشجاعة في نفوسهم والسير بهم الى ميدان الجهاد ..

ونور الدين محمود نفسه لم يعجبه أسلوب رجال الدين في أيامه، وعندما قرأ له خطيب مسجده في حلب مسودة خطبة الجمعة التي سيلقيها في الغد استهجنها ولام الرجل على الاسراف في المديح وقال له : قل اشياء في معنى التحميس والتشجيع وفضل الجهاد، واذا دعوت لي فقل اللهم ارحم العشار المكاس ..

ومعذرة اذا نحن وضعنا المسئولية كلها على رجال الدين في الماضي، .. والسبب في ذلك انهم هم وحدهم كانوا المتعلمين العارفين، وكانوا قادرين على رد الناس الى جادة الاسلام ..

والا، فمن غيرهم كان يستطيع ذلك؟

وتلك هي القرون التي اضعناها وأفاد منها غيرنا ..

فبينما كان أبو حامد الغزالي معتزلا في جامع دمشق ليكتب احياء علوم الدين كان البابا اربان الثاني يخطب في مجمع كلير مونت ويدعو الناس الى حرب المسلمين والعدوان على بيت المقدس .

وبينما كان امراء المسلمين في الشام يحارب بعضهم بعضا فلا يجد الواحد منهم من يدخل عليه ويلومه كان اساقفة المسيحية يعلنون أن حرب المسيحي مع المسيحي كفران، وان كل القوى ينبغي ان تتجه لحرب المسلمين ..

***

الذي أريد ان اقوله هو أن رجال الدين هؤلاء عرفوا مواقف الاسلام وشريعة الاسلام وحفظوا عن ظهر قلب كتب التفسير والصحاح والمسانيد وكتب السنن بل كتب الاربعينات ..

ولكنهم لم يذكروا بديهية واحدة قالها ابو بكر في حديث له مع صاحبه ابي عبيدة : يا أبا عبيدة هذا الدين عدل وسماحة وبذل للنفس والمال ، وهؤلاء معك اخوانك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضون معك لحرب الروم وقد جادوا بأنفسهم فاكرمهم ووقرهم واحببهم فوالله ما وصلنا الى هذا الا بحبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد قرأت في كتبهم ما شاء الله لي أن أقرأ فما رأيت واحدا منهم يذكر حاكما بما قاله عمر بن الخطاب لخالد ابن الوليد بعد ما فعله بالناس في معركة نهر الدم أو قس الناطف : ماهذا الذي فعلته بالناس من اراقة الدماء . هذا الدين صون للدماء وعز لصاحبه .

وكان ذلك من أسباب عزل خالد بن الوليد .

***

ولقد بلغنا في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ذروة نهوضنا الحضاري فهذا هو قرن العلم والفكر والفن والابداع ..

وفي هذا القرن ايضا بلغنا الحضيض من الضعف السياسي وتفرق القلوب الا في الاندلس .

فما السبب في ذلك ؟

السبب هو ان الذين كان عليهم أن يربوا هذه الأمة تربية سياسية واجتماعية لم يقوموا بواجبهم .

والذين كان عليهم أن ينهضوا بالعلوم والآداب قاموا بواجبهم .

وانت اذا نظرت الى هذا الدين - عقيدة وشريعة - وجدت أن لكل عبادة من عباداته ولكل حكم من احكام شريعته جانبا دينيا وجانبا حضاريا : جماعيا واجتماعيا ..

فاما الجانب الديني فقد فهموه ووضحوه وكتبوا وابدعوا فيه .

واما الجانب الحضاري الجماعي فهو الذي تركوه .

وواجبنا نحن ان نحدث الناس عنه ، فاننا لا نريد أن تكون حصيلة القرن الخامس عشر مثل حصيلة القرن الرابع عشر ..

وواجبنا ان نذكر الناس بما سبق ان قلناه وهو ان القرن القادم قرن صراع مصير ،فان الارض تضيق والناس تزيد ، وخيرات هذه الارض محدودة بينما قدرة الناس على النسل غير محدودة .

فاذا نحن لم نفتح عيوننا ونتنبه الى مطالب العصر القادم فان مستقبلنا مع الأسف الشديد ظلام .

وأول ما ننبه الناس له هو أن أقوى ما يتسلح به الافراد والجماعات في صراع الحياة هي الاخلاق .

والاخلاق في عصرنا هذا قد تغير معناها ، فلم تعد تقتصر على الفضائل المعروفة ، وهي أساسية ولا غنى عنها ولكنها أصبحت تضم كذلك التعاون والتساند والتفكير بروح المجموع لابروح الفرد ، والنظافة ورعاية ممتلكات الأمة ومرافقها .

ومن الواضح أن اخلاقياتنا التعاونية ضعيفة جدا .

فمن مجتمع القرية - وهو مجتمع ناس بسطاء معظمهم لا يفكون الخط الى مجتمع الجماعات ، وهو مجتمع ناس المفروض أنهم قمة العلم والفهم في الأمة لا نجد اثرا لروح التعاون والتساند والتفكير بعقلية المجموع .

واذا كنا نلوم بسطاء القرى على ما ينصرفون اليه من منازعات شخصية وفردية ، فاننا نلوم سادة الجماعات ودكاترتها على تفكيرهم الفردي الاناني، فكل منهم لا يفكر في غير نفسه ، وكل منهم لايقوم الا بالضروري الذي لايصرف راتبه بدونه ، والقليلون جدا منهم هم الذين يفكرون في الجامعة كجامعة ، ككل عضوي متكامل ، كحصن من حصون العلم والمعرفة والتقدم في بلده .

واذهب مثلا الى اي جامعة امريكية أو فرنسية أو انجليزية ترى الاساتذة فيها من الصباح الى المساء في مكاتبهم يعملون ويدرسون ويوجهون ويبحثون ويكتشفون ويخدمون مجتمعهم والمجتمع الانساني ..

وتعال الى جامعاتنا تجد اساتذتنا ينظرون اليها مصدرا للرزق فقط : الواحد منهم يلقي درسه ويطير ، وكيف يلقيه ؟ تلك مسألة أخرى ..

بل هناك من يقصرون حتى في هذا ، فلا يلقون الدروس ويستحلون الرواتب وبمثل هذه النماذج من التصرفات

● إذا كان هذا كله قد فاتنا فى الماضى ، فينبغى ألا يفوتنا فى الغد .. علينا أن ندخل فى القرن الخامس عشر الهجرى بصورة تختلف تماما عما عشنا عليه خلال القرون الماضية

لا يمكن أن نطمئن على مستقبلنا العلمى أبدا .

ولنا عن الجامعات العربية حديث طويل ، بل قضية كبرى ليس هنا موضعها .

***

المهم لدينا أن اخلاقيات التعاون ، هى اخلاقيات اسلامية غير موجودة عندنا ، ولابد من البحث عن طريقة لجعلها جزءا من البرنامج التعليمى التربوى لذلك المجتمع الاسلامى كله .

لابد أن نتعلم كيف ننسى نفوسنا فى سبيل المجموع .

ولابد أن نفهم اننا نكسب اذ ننسى أنفسنا ، لاننا نستفيد بقوة المجموع وهذه فكرة واضحة ، وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، ولكننا نحن لم نطبقها وطبقها الآخرون فصاروا هم جماعيين يفكرون بروح الجماعة ويكسبون بقوة الجماعة ، وصرنا نحن فرديين نفكر بتفكيرالفرد القاصر ونخسر بتضارب مصالح الأفراد .

ومن غريب الامر أن الفكر الدينى عندنا القديم منه والجديد لم يتنبه لهذه الناحية الاساسية فى حياة الجماعات قط ، فلم يؤلف شيخ من الشيوخ الكبار القدامى كتابا او يكتب فصلا طويلا فى فكرة الجماعة وقيمة العمل الجماعى ، مع أن الفكرة فى حاجة الى تثبيت فى الأذهان لأن الانسان بنفسه فردى انانى والأديان والمفكرون والفلاسفة هم الذين يلفتون نظر الانسان الى أهمية العمل الجماعى والى ما يكسبه الانسان اذا عمل مع الجماعة وبالجماعة .

***

والسبب الأخير الذى اقف عنده من أسباب تأخرنا هو قصور تربيتنا السياسية .

لقد اتانا القرآن الكريم باصول سليمة للبناء السياسى ، فنص على العدل والمساواة والحقوق والواجبات ، وتوخى رسول الله صلى الله عليه وسلم تربية جماعية ، فكان لا يقطع امرا فى شأن من شئون الدنيا الا شاور فيه اصحابه واخذ بما يتفق عليه رايهم فيه وفى هذه الناحية جعل قيادة الأمة فى شئونها الدنيوية جماعية ،وفى الصحيفة التى كتبها الرسول بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم وجاهد معهم من اليهود توضيح كاف لذلك ، فقد كانت كل وحدة قبلية مسئولة عن شئونها ومصالح افرادها ومكلفة بتوجيه افرادها فى خدمة الجماعة فيما يخصها حتى تتفرغ القيادة العليا لشئون الصالح العام من أمن وجهاد وانشاء المرافق التى تخدم الجماعة كلها مثل انشاء المسجد الجامع وتهيئة بقيع الغرقد ليكون مدفنا للمسلمين ، وانشاء طريق من المسجد الى الجامع الى جبل سلع وتعمير الارض الغامرة اى غير

المزروعة في سهل المدينة وما الى ذلك ،
وكان الرسـول يوجه الجماعة دائما الى ما فيه خيرها دون نظـر الى صـالح شـخصي ، فما كان له في المدينـة الا حجراته ،وكان وقته كله مكرسا لصالح الأمة وتوجيهها ،ولم يستعمل فى حياته العنف فى أى أمر من أمور الجمـاعة ، انما هو عمل على رفع مستوى الجماعة الى مسـتوى مسئولياتها عن طريق التدريب فى الغزوات والسرايا واقناع النـاس بما يعـود عليهم من الخير اذا خدموا جماعتهم ، ثم تركهم بعد ذلـك يتصرفون ، وتـولى تقـويم مسـارهم وتصـحيح اخطائهم وارشـادهم الى الطريق السوى دون اللجوء الى العنف قط .

وكانت الى جانبه جمـاعة كبـار الصحابة الذين تربوا على يديه وتادبوا بأدبه وكانوا أصحاب شـوراه ، وقد أحسن تأديبهم كما أدبه ربه سـبحانه وتعالى فاحسن تأديبه ،فساروا بطريقته وفهموا عنه ما يريد وفهموا الاسـلام كذلك فهما صحيحا .

وهذا هو الاطار السياسى الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسـلم لجماعة المسلمين ، وقد نجحت الجماعة نجـاحا لا كفـاء له فى حياته صـلى الله عليه وسلم ، وعلى طريقته تلك سار الخلفاء الراشدون فنجحوا وسارت سفينة الأمة رخاء حتى وقعت فتنة عثمـان ، ونزل بالجماعة كلها البلاء ، واستمرت الفتنة حتى العصر الراشدى ، وبنهاية العصر الراشدى قامت الملكيـة الأموية ، وقام بناء سـياسى جديد يخالف طبيـعة الاسلام ، فانحرفت مسيرة الأمة كلها ، ففى أعقاب الأمويين سار العباسيون ، وتوقفت الشـورى وفقـدت الجماعة دورها ، وارتدت الانسـانية من جادة التوجيه السياسى خطوات شاسعة الى الوراء .

هنا أيضا قصر العلماء واهل الفكر وكان الامر يحتاج الى شجاعة ونصيحة ولكنهم ضنوا بانفسـهم ، واكتفـوا بالتوجيه من بعيد أو من وراء سـتار دون مواجهة حقيقية مع أهل الحكم ..

وامامك كتب الفقه كلهـا تجـدها تبدأ بالعبـادات وتنتهي بالبيـوع ، او الجراحات دون ان يكون هنالكاهتمام حقيقى بالناحية الدستورية من شئون الجماعة ، وكان اقصى ما وجهـه اهـل العلم الى الحكام هو النصح الرقيق كما نرى في « التبر المسبوك فى نصـائح الملـوك » للغـزالى او سراج الملـوك للطرطوشى ، بل ان واحدا من المفكرين السـياسيين وهو ابو الحسـن على الماوردى كتب كتابه الاحكام السلطانية لكى يبرر كل اخطاء الحكـام ويثبت الواقع المعوج ويضفيعليه صيغة قانونية فاباح الحجر على الخليفة، واباح ولاية المريض والمجنون والظالم ونصح الأمة بالصبر والامتثال لامر الله .

وجاء الوعاظ فقالوا ان الأمة ينبغى أن تصبر على الحاكم الظالم لانه عقوبة من الله سـبحانه وتعـالى ولا يجـوز الاعتراض على عقاب الله .

فساد الاطار السياسى هذا هو الذى افسد امور المسـلمين جميعـا فى كل عصر ، فلا تقدم ولا حضارة ولا رخاء الا فى اطار سياسى سـليم يلزم الحـاكم بالعدل ، لان العدل لا ينبغى أن تكون منحة من الحكام، ويلزم الأمة بالقيـام على الحـاكم الظـالم وانتزاع الحكم من يده ..

وهذا الذى لم تفعله نحن هو الذى فعله اهـل الغرب بالثورات الدستورية الدائبة على الظلم والانحـراف وأنانية الحكام ليتمكنوا من اصـلاح الاطـار السياسى الذى يعيشون ، ومنحـوا لانفسـهم الحـرية والامان على النفس والمال والسيادة فى بلادهم .

واذا كان هذا كله قد فاتنـا خـلال القرون الماضية فلا ينبغى أن يفوتنـا خلال القرون الآتية ..

اننا ندخـل القرن الخـامس عشر بحصيلة لا بأس بها ولكنها قليلة جدا ، بل هى اقـل مما كان ينبغى أن يكـون لدينا .

والامل فى ان ننتفع بما ضـيعناه فى الماضى لنكسب فى المستقبل ..
وما ضاع من مالك ما علمك .

● د . حسين مؤنس ●

محمد رسول الله ومشكلات القرن العشرين

● فتحى رضوان ●

● تداولت السن المسلمين فترة عبارة نسبت الى الكاتب الارلندى المسرحى العظيم : برنارد شو، مؤداها ان مشكلات القرن العشرين ، لا يقوى على حلها ، الا محمد رسول الاسلام ، واضاف الى هذا قولة اخرى خلاصتها ان الاسلام هو دين المستقبل ، وان فيه من الخصائص والمزايا ما يفوق ما اجتمع فى اى مذهب حديث .

ونسب الى تولستوى الكاتب الروسى ، وزعيم كتاب روسيا ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والعقد الاول من القرن العشرين ، كلاما من هذا القبيل .

والحق اننى على طول مصاحبتى لادب تولستوى وفكره فى القصص القصيرة والروايات الطويلة والكتب والرسائل ، لم اعثر على شئ من قبيل ما نسب اليه ، ولم اقع فيما قراته من ادب برناردشو، على شهادته العظيمة لمحمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

ولكن نبى الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، فى غير حاجة الى هذه الشهادة لتتضح لغير المسلمين ــ دع عنك أتباعه والسائرين على شريعته ــ هذه العظمة غير المتناهية التى حققت فى عالم الفكر ثم عالم الواقع والتنفيذ ، ما لم تستطع شخصية سواها ، الوصول الى عشر معشاره ، فى غير مبالغة ولا تعصب ..

ولقد الف الكاتب الامريكى المعاصر «مايكل هارت» كتابا عن مائة عظيم، ثم انتهى الى القول بأن محمدا هو راس هؤلاء العظماء جميعا ،والمعيار الذى اعتمده هذا الكاتب ليصل الى هذه الشهادة ، صحيح لكنه غير كامل .

فالمتفق عليه بعامة ، أن العظماء الذين صنعوا تاريخ الانسانية ، لا ينتمون الى طائفة واحدة ، بل تتوزعهم ثلاث فرق فرقة المفكرين ، وفرقة المنفذين ، وفرقة أهل البيان .

والاوائل ، يتركون المناهج التى تحلل مشكلات الانسان ، وتردها الى أسبابها ، ثم تخرج عالما جديدا له أسسه وطرائقه ونظرياته ، ووسائله . ثم لا يضيفون الى هذا الخلق النظرى شيئا . فيتركون لواحد من أتباعهم او لعشرات منهم أن يتحمسوا لهذا البناء ،ويبتدعوا من وسائل الدعوة اليه ، والتعصب له ، الجديد والمؤثر والجذاب ..

ثم يتوالى الانحياز لهذا اللون الجديد

من الفكر ، جموع ، حتى يتاح لهم قائد قد يرى فى هذا المذهب الجديد ، الذى استحوذ على اعجاب الجيل الجديد ، أو على رضا الساخطين فى النظام القديم ، وسيلة لتحقيق وصوله هو الى الزعامة فالسلطة فاذا الحياة قد انقلب فى يد هذا الزعيم الجسور ، المقتحم ، المدبر ، الذى يخلب الالباب بلسانه ، ويستثير الحماسة ببيانه ، حقيقة واقعة ، وبناء ضخما ٠

والفريق الثانى ، هو فريق أهل العمل أصحاب الهمة الفائقة ، والارادة النافذة ، ومعرفة أسباب النجاح ، واستجماع الوسائل اليها ودواعى الفشل واتقاء الوقوع فيها ٠ أهل الحساب الدقيق ، وجمع الاحاد ، وجبر الكسور ، وتدبير المال ، واصطناع الانصار ، وتجهيز الجيوش ، وارسال الارصاد والعيون ٠٠ بالجملة فريق بناة الدول ، ومؤسسى الامبراطوريات والامارات ٠

والفريق الثالث ، اهل بيان ، لا يستحوذ عليهم الفكر الذى يفلسف الامور ويبحث عن مصادرها ، ويهتدى الى نتائجها ، ولا يسوق الكلام القائم على الحجة المقنعة ولا البرهان الذى لا يرد ، وانما هم خلقوا ليضعوا فى النفوس اليائسة الامل ، والجموع المغلوبة على امرها العزم ، والذين يخلقون بالفاظهم الجميلة واخيلتهم العذبة ورؤاهم الساحرة ، دنيا غير دنيا الناس ، ترتفع بهم وتعلو ، وتبدو لهم قوى غير منظورة ، تبعث فيهم طاقات ، لم يحسوها فى انفسهم ، ولم يدركوها قط ٠

هؤلاء الذين امسكوا فى ايديهم التاريخ وهو طينة لم تتخلق ، فشكلوها على هواهم ، وصنعوها كما بدا لهم ٠

وقل أن تجتمع المواهب الثلاثة بخصائصها وسماتها ، فى رجل ٠ فاهل الفكر ، لا يحسنون التدبير ، والصبر على مكائد السياسة ، هم افلاطون وجمهوريته ، والفارابى ومدينته الفاضلة ٠

واهل البناء والتشييد ، يبحثون عن الافكار المعدة ، ويتبنونها ، ولا يحملون انفسهم مشقة التأمل ، والاستنباط ، والمقابلة والمراجعة ، وهم ان مالوا الى شىء من الفلسفة ، صرفهم ذلك عن المكائد والدسائس ، فانكشفت للاعداء وجوه الضعف فيهم ٠

واهل البيان ، لا يحبون النزول الى دنيا الواقع ، واقذار السياسة ، وحقائق النفوس الانسانية لا عن جهل بها ، أو تجاهل لها ، ولكن الله لم يمنحهم الجلد على الجزئيات والتفاصيل ٠

وقد بقى مكان الرجل الذى يجمع هذه الفضائل جميعا فى شخصه ، وأن ينتفع بها كلها من أجل مذهب بعينه أو عقيدة بذاتها ، حتى بعث محمد رسول الله نبيا للانسانية كافة ، يخاطب الشعوب كلها ، ويدعو الامم بأسرها ، ويقيم بناء يحفل بالجسم والنفس والمشاعر ، وينظم الحكم ويفكر فى الحرب ، والسلم ، والقضاء والحكم ، ويجيش الجيوش ، ويرسل الدعاة والهداة ، ويحالف ويعاهد ، ويتزوج ، ويعانى فى حياته الخاصة ، ويعرف كل ما عرفته الناس من آلام ٠٠ فقد عرف اليتم ، كما عرف أحزان من فقد الوالد ، بفقد جده وعمه ، وآلام من فقد العائل والراعى ، اذ فقد زوجته خديجة ، وفقد أولاده المرة بعد المرة ، حتى مات على حجره ابنه ابراهيم ، وهو يهتز من الاعماق ٠٠٠ ولكنه يتماسك لكيلا يقول أو يفعل ما يغضب الرب ٠

عرف الفقر ، وآلام الجوع ، والهزيمة فى السياسة والحرب ، ثم عرف النصر الساحق والفوز المبين ، واجتمع له فى أمة

لم تسلم قيادها من قبله لملك ولا لامير ولا لكاهن ، ولا لشيخ من قبله .. اجتمع له من السلطة ما لم يجتمع لملك ، ولا لقيصر ولا لنبي . فغدا أمير العرب ، ونبيهم ، وقاضيهم ، ومربيهم ، وقائد جيوشهم ، وواضع سياستهم ، ومنفذها ، وموفد السفراء ، ومقنن القوانين ، وشارحها ، وخطيب القوم ، ومفتيهم ... اليه المرجع في كل ما يخطر لهم من مشكلات ، وما يعترض حياتهم من أزمات .

ولقد كانت دعوته للاسلام ، ثم احتمال الاذى في سبيله ، ثم التدرج نحو النجاح والعودة الى الفشل ، واليأس من النصر ثم اجتماع العرب ، حوله شيئا فشيئا ـ شيئا لا نظير له في تاريخ الحركات كافة ... ما كان منها في ضخامة الاديان وعمق اثرها ، وبقاء تراثها ، وما كان من قبيل الحركات السياسية المحلية او الدولية ، أو المواهب العقلية والفلسفية ، التي أسست على قواعدها دول ، وقامت امم ..

فصاحب الدعوة ، قد يبذر بذورها ، ويموت وهي ليست سوى دعوى تتناقلها او تتناقل انباءها قلة صغيرة وقد يكتب له النجاح ، فيراها وقد اجتمع حولها المؤمنون ، وكثر لها الدعاة ، ثم يموت وهي دعوة .. وقد يراها قد انتقلت الى نظام قائم ، ولكن الامر فيه الى غيره ، يديره ويغير في أصل الدعوة طبقا لظروف الايام ، وظروف السياسة .

أما صاحب الدعوة الذي بذر بذورها ثم تتحول الى شجيرة فشجرة ، فدوحة تظل بظلها الالوف فالملايين ، فيتحول من داع الى قائد ، ومن قائد الى رأس المجتمع كله ، يوجهه ويعلمه ، ويوسع أطرافه ، ويضع له الانظمة ، ويرسم الخطط ، ويختار الولاة والحكام ، والقادة واعوانهم وينظم المال ، والزرع ، والدواوين ـ فهذا مثل لم يشهده التاريخ الا مرة واحدة ، حينما خرج محمد بن عبدالله في القرن السادس الميلادي (سنة ٥٧٠ ميلادية) ليدعو الناس الى عقيدة بسيطة ولكن شاملة ، تغير المجتمع الانساني من أساسه ولا تدع فيه حجرا على حجر : تلك عقيدة لا اله الا الله ..

***

عقيدة خلقت فلسفات ، وولدت حضارات ، وأنشأت دولا ، وثلت عروشا ، وهزمت جيوشا ، والهمت شعراء ، وأوحت الى مفكرين ، واصطدمت بأقوى القوى في ميادين السياسة والحرب ، والاقتصاد والمال وهزمتها وفرضت عليها الرأي .

فأية قوة تنطوي عليها هذه الحركة التي دعا اليها محمد رسول الله عليه السلام ، بامر ربه ؟ ـ وما الذي جعل الاستجابة لها والتأثر بها ، بهذا الاتساع والعمق ، وبتلك السرعة ؟ ..

ولكي نعرف أسرار هذه القوة الكامنة في حركة الاسلام ، والتي رفعت رسول هذه الحركة الربانية ، الى مكانه الفذ الفريد ، لا بين العظماء ، وقادة الشعوب ، وزعماء حركات الفكر ، ولكن بين الانبياء المرسلين من عندالله ، فقد ختم الله به الرسالات ، وهذا فضل من الله ، عظيم .

لكي نعرف أسرار هذه القوة ـ في غير افاضة ولا تفصيل ـ يجب ان نعرف أمرين :

اولهما ـ الظروف القاسية ، التي لا تبشر بادنى فوز ، التي ولد في ظلها الاسلام .

ثانيهما ـ عناصر نجاح هذه الدعوة ، وعدم اجتماعها لحركة انسانية ، أو دين آخر ..

وبعد تبين هذين الامرين ، ننتقل الى جوهر هذا البحث ، وهو هل تقوى هـذه الحركة التى اوشك أن يتم الدهر عـلى مولدها اربعة عشر دورة كاملة ، كل دورة بلغت قرنا من الزمن – على أن تواجـه مشكلات العصر الحديث ، التى تفـاقمت واستفحلت وأخذت بعضها برقاب بعض ٠ هل تقوى على حل مشكلة الفقر والجـوع الذى يسود نحو نصف الكرة الارضيـة والذى يصيب بآلامه وأوجاعه المذلة المهينة نصف أبناء الانسانية ايضا ؟

هل تقوى على حل مشكلة التسليح الذى يلتهم فى العام الواحد من أقـوات البشر الجياع المهزولين أكثر من خمسمائة مليار اى خمسمائة ألف مليون ؟ ٠٠ هل تقوى على حل مشكلة التضخم الذى يزداد ويهدد الدول الكبرى ، كغول ، لا يقبل التفاهم ، ولا يجد مروضا له ، ولا منجما يستطيع أن يقول متى يقف نموه ، ولا يقـل متى يموت ؟ ٠٠ هل تقوى على حل مشكلات السياسة التى نذكر منها على سبيل المثال: المانيا التى أصبحت قسمين ، وايرلندا التى أصبحت شـطرين ، وقبرص التى باتت جزءين، وفلسطين التى تحولت الى ثلاثة أجزاء ، وكوريا التى هى دولتان ، والصين التى هى اليوم عملاق وقزم ؟ ٠

أما العنصر الاول ، الذى يستحق منا التأمل ، والدهشة فى آن واحـد ٠ ان الاسلام بدأ حياته فى بلد يعانى الفقـر والجدب ، واليأس من اصلاح الحال ، فلا أرض تزرع ، ولا صناعة تمارس ، وتندر الرزق ويعـانى فى الوقت نفسه أقصى درجات الجهل ، فالامية هى سمة المجتمع العربى ، ثم الفرقة الشديدة ، والعصبية المتقدة ، فلا أمة بالمعنى المعروف ، يضمها اطار واحد ، ولا يظلها حكم مستقر ، ولا عقيدة مشتركة والحـروب بين قبائلها لا تنتهى والغارات لا تهدأ ٠ والعمران فيها قليل ، والمسافات بين مجتمعاتها قد باعد الله فى أسـفارها ، ونثرها فى بواد وفياف تنقطع لها أكباد الابل ٠

فكان المطلوب من الدعوة أن تحيل هذا المجتمع المتنائى ، الذى تمزقه الخصومات على مدى القـرون والحقب ، أن يوجد أو يولد اولا ،فان ولد كان فى حاجة الى قرون ليلحق بركب حضارات الدول العظيمة التى تحف به ولا تكاد تحفل بوجوده ٠ الاعاجم بملكهم الباذخ ، والروم بعزهم الشامخ ٠

***

ولكن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حقق معجزة حضارية وعمرانية ، لم يستطع اعظم مؤسسى الدول ، ان يفعل شيئا يشبهها ، فقد استحالت هذه الامة المتحاربة المتدابرة ، الى مجتمع بلغ اقصى الغـاية فى الاتحاد ، والاندماج ، فاصبح يدين بعقيدة واحـدة ، ويخضـع لنظام روحى وسياسى واحد ، واصبح اعضاء هذا المجتمع القبـلى ، اخوة كاصفى ما يكون الاخاء ٠٠

واستطاع محمد عليه السلام وخلفاؤه ان يوجهوا هذا المجتمع الذى يتناثر فى أعطاف الجزيرة المجدبة القاحلة المترامية الافاق واطرافها ، وهم فى مسجد المدينة ، لا يجـدون فى ذلك عناء ، ولا تصادفهم صعوبة ، فى وقت لم تكن وسيلة الانتقال والاتصال اكثر من الناقة ٠ ولم يكن هـذا الاتساق والتطابق فى تسييج هذا المجتمع الجديد ، الحديث العهد بالنظام والحكومة المركزية ، مجرد طاعة للحاكم الاعلى فى عاصمة الدولة ، وانما كان اذعانا روحيا ، قوامه الحب الخالص ، والانقياد الكامل ، تدفع اليه عقيدة يتساوى الجميع امامها، ويتسـاوى الجميـع فى الايمـان بها والتصديق بما تقوم عليه وما تدعو اليه ٠ مهما اختلفت طبقاتهم واصولهم وانسابهم والموطن الذى ينتسبون اليه ، ويعيشون فيه ٠

وحدث بعد هذا التطور الذي لا يكاد يصدقه من يدرس تاريخ هذه الحقبة الباهرة ، تطورات أخرى كلها غريب وعجيب وغير مسبوق • فهؤلاء الاميون استحالت مضارب قبائلهم المتواضعة ، وقراهم المتناثرة ، الى مواطن علم ودرس وثقافة ، وبعد أقل القليل من الزمن خرج منهم الفقهاء والعلماء ، والمفكرون والمحدثون والمشرعون ••

ومع هؤلاء برز قادة الجيوش ، ومنشئو المدن والامصار والعواصم ، ومشيدو العمائر ، ومخططو البلدان ومنسقوها . ثم تدفقت الارزاق على هؤلاء الفقراء حتى لم يعد بينهم من يسأل الناس ، أو يتكففهم ••

في كم من الزمن تم كل هذا ؟ •• أفي قرن أو بعض قرن ؟ ان تغيرا كهذا ، لا يتم ولم يتم في أى عهد من عهود التاريخ ، الا على يد أجيال متطاولة •• ولكن الاسلام حققه في أقل من خمسة وعشرين عاما لا تكفي لاصلاح وحدة ادارية في وزارة ، أو تخطيط قرية أو تحويل ترعة ، أو شق مصرف • وفي بلادنا مشروعات يستمر الحديث عنها أكثر من ربع قرن ثم لا ترى النور ! ••

***

أما العنصر الثاني ، فهو النتيجة لهذا التطور الرائع المذهل ، فقد ولدت أمة كاملة وخلقت خلقا جديدا ، وكانها لا تمت الى الامة التي كانت تعيش بين ظهراني الناس ، قبلها بأدنى صلة ••

وكان لابد أن تفيض هذه الامة ، على كل من حولها ، بما امتلأت به هي من طاقات الروح والفكر والجسم ، في ميادين العلم والفن ، والسياسة والحكم ، وقد حدث هذا الفيض ، ولكن بسرعة ، طويت لها المسافات والازمنة ، حتى شملت حضارة العرب المسلمين او المسلمين العرب العالم المعمور ، فجلس هذا العالم بين يدى العلماء والفقهاء الذين ولدوا وشبوا في مكة والمدينة ، والطائف ، ونجد ، وفي أعماق البادية ـ مجلس التلميذ ، يتلقى العلم ، ويتفهمه ويخلقه بدوره خلقا جديدا فنشأت حضارة جديدة تتوازن فيها الروح والجسد ، والمعنويات والماديات ، ويتلاقى في ظلها البسيط والمركب ، والظاهر والباطن ، ويسود الناس سلام عميق لم يعرفوا مثله ، ولم ينعموا بخيرات تشبه خيراته •

فهل في وسع هذه الحركة الربانية الانسانية بعد أربعة عشر قرنا ، أن تنقذ الانسانية مما تردت فيه •• أم انه كتب على العالم الذى جن ، فأخذ لقمة العيش من فم الجياع وأنفقها على الصواريخ عابرة القارات ، والاسلحة الجديدة التي لا تزال طي الكتمان ، أن يترك لقنبلة ذرية أو نيترونية أو ايدروجينية ، تنطلق من الغرب الى الشرق ، أو تنطلق من الشرق الى الغرب ، فتقابلها في الطريق اخرى تماثلها فتشتعل النار ، وتتهاوى المدن العظمى ، كبيوت من ورق ، ويختفي الانسان من وجه البسيطة ، عقابا له على سوء تدبيره ، وعناده ، واستسلامه لغرائزه الحيوانية . أفي وسع الاسلام ان يمنع الكارثة التي تزداد كل يوم اقترابا ، والتي تتوالى النذر بأنها القضاء الذى لا مفر منه ولا مهرب ؟ ••

وماذا يكون لدى الاسلام من وسائل الانقاذ ، ما لا وجود له ، في الاديان الاخرى والمذاهب الحديثة ؟.

والاجابة ليست عسيرة ، فالاسلام منذ البداية ، هو دين الانسانية ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يرسل لا للعرب ولا للعجم فهو رحمة للعالمين كافة •

واله المسلمين هو رب العالمين والقرآن الكريم يفيض بالايات الدالة على انسانية الاسلام ولكن قد يكفينا ان نذكر الاية الكريمة التى قال فيها الله تعالى (يا ايها

الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

وقد كان لرسول الله دعاء عند القتال وهو موطن تشتد فيه الخصومة ، وتتاجج الكراهية يدل على هذه الروح الانسانية العميقة فقد كان عليه السلام يتوجه الى الله ويقول : « اللهم انا عبادك ، وهم عبادك ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، فاللهم انصرنا عليهم واهزمهم »

فالمسلم وهو يحارب غيره ، لا يزعم انه وحده من عباد الله وينكر على أعدائه أنهم مخلوقات رب العالمين ، ومن حقهم ان يشملهم برحمته ، الا ان المسلم يحارب من أجل حق ، لا من أجل ثار ، ولا من أجل مطمع ، ومن ثم فهو احق بتأييد الله ، ونصره

وقد صاحبته هذه الروح الانسانية ، وهو ضعيف يطارد ، الى أن دانت له الدنيا واتسعت رقعة الوطن الاسلامي ، فقد واظب الخلفاء ومن جاء بعدهم على تحريم التمثيل بالموتى ، ولا الاجهاز على الجرحى ولا قتل الطفل او المرأة أو الشيخ او من انقطع للعبادة ·· بل تحريم قطع الاشجار وحرق المدن ، ولا يستطيع مؤرخ ان يدعى ان المسلمين فى جميع تاريخهم الطويل ، خرجوا على هذا الدستور ، فاستباحوا الحرمات ، أو أفزعوا الآمنين ، أو تعرضوا لمن نأى عن الحرب ولم يشارك فيها ، او يعين الاعداء ·

ولقد بقى شعار **((ولقد كرمنا بنىآدم))** هو شعار الاسلام فى الحرب والسلم ، وعند المهادنة أو القطيعة · فالانسان مقدس ، وهو مصون ، حيا وميتا ، عدوا أو صديقا ، مجرما أو بريئا· وقد استظل مسيحيون ويهود بالحكم الاسلامى ، فلم يلاقوا اضطهادا ولا ارهابا ، ولم ينكر عليهم خليفة ولا وال مسلم حقهم فى أن يمارسوا طقوسهم أو أن يقيموا مقابرهم وهياكلهم ، بل ان اليهود فرحوا بمقدم المسلمين الفاتحين فى اسبانيا والاندلس، ويعتبر العهد الاسلامى فيهما العهد الذهبى لليهود ، وفى كل مكان كان الرقيق يستقبلون جيوش المسلمين ، فرحين ، فقد حررهم وأطلقهم من الاسر ، ورفع قدرهم ، وفتح لهم باب المشاركة فى السعى الانسانى وجنى ثماره ·

فمنذ البداية ، كان الخلفاء الراشدون، لا يطيقون ان يروا مجرد شبهة اضطهاد اهل الكتاب ، ولعل ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مع القيم على أحد المعابد اليهودية ، هو الدستور الذى سار عليه حكام المسلمين بعد ذلك ، فقد مر يوما الخليفةالثانى على «كنيس»يهودى فرأى أن التراب طمسه ، فسأل عن سر هذه الحال فقيل له ان القيم على هذا المعبد اهمله ، لقلة عدد يهود تلك الناحية ، فشمر ثوبه وأمر من معه من المسلمين ان يعاونوه فى ازالة ما اجتمع على المعبد من أتربة ، فلما حضر القيم وبخه الخليفة وهدده بأشد العقاب ان اهمل هذا المعبد، وأتى بشىءمنالمال من بيتالمال كى يتسنى لليهود المقيمين فى **الناحية ان يمارسوا** عبادتهم ·

***

ومما يجب ان يذكر هنا أن تاريخ الاسلام خلا من الصراع الدامى الطويل والعنيف الذى دار بين الدولة والكنيسة فى القسم الغربى من أوروبا · وهو صراع لم يشهده القسم الشرقى ، لان الدولة فى الامبراطورية البيزنطية احتوت الكنيسة وأدخلتهاضمن**المؤسسات المكونة** لها · اما فى الكنيسة الغربية ، فقد بقيت **الكنيسة مستقلة ،وحاول عدد منالاباطرة والملوك ان يخضعوها لسلطانهم ، وان يستولوا على ممتلكات الكنيسة الواسعة ، واموالها الطائلة ، وطال هذا الصراع ،**

وتمزق له المجتمع ، ولشأت بسببه عهود الاضطهاد الديني ،التي نجمت عنهاحروب خربت أوروبا ، وذهب ضحيتها مئسات الالوف من شباب أوروبا المسيحيين . كل هذا ادى الى نزعة العلمانية التي تقصد ان تحرر الدولة من سلطة الكنيسة ، وتقصر نشاط الكنيسة على العبادة وحدها . ومع الزمن اعان ذلك على تفاقم النزعـة غير الدينية التي انتهت بالالحاد ، والسخرية من كل ما هو ديني أو كنسي .

لم يحدث من هذا في ظل الاسلام شيء، لانه لا كهنوت في الاسـلام ، ومن ثم فالخليفة خاضع للقانون الاسمى ، وهـو احكام الاسلام والقرآن ،خضوع أي مسلم وليس في وسع اي مسـلم ، وان علت مكانته واتسع سلطانه ، أن يستثنى نفسه أو من يحب ، من حكم الله ، بل ان الحاكم ان خرج على حكم الله ، وجب عزله ، وجاء الحكم بموته ، ان وقع في معصـية . فالمجتمع الاسلامي ،هو في الواقع ،مجتمع القانون اي الشريعة ، ومن آيات هـذا انك تسمع في اليوم الواحـد في حديث المسلمين العاديين كلمتي الحلال والحرام، وهما مرادفان لكلمتي القـانوني وغير القانوني ، أو المشروع والباطل .

ولما نفض المجتمع الغربي المسيحي عن نفسه نهائيا حكم الكنيسة ، والبابوات ، الامر الذي تقرر كمبدأ من مبـادىء ثورة فرنسا سنة ١٧٨٩ ، عوضت الكنيسـة نفسها عن نفوذها الضائع داخـل دول اوروبا ، في مستعمرات هذه الدول ، ولما انتعشت حركة الاستعمار ، رأت الدول الاستعمارية الكبرى ،ان تتخذ من البعثات التبشيرية وسيلة لنشر نفوذها السياسي، وتجارتها ، وتجارب منافساتها .

فقد لاحظ غاندي ، وهـو الذي كان يؤمن بان موعظة المسيح على الجبل ، هي اسمى ما دعا اليه الانسان ، والذي طبق تعاليم السيد المسيح عليه السلام ـ لاحظ هذا الزعيم ، ان رئيس البعثة التبشيرية في الهند ، يجري في ركاب الحـاكم البريطاني العسكري،فاحزنه ذلك كثيرا، لانه كان يؤمل في أن تعين تعاليم السـيد المسيح على انقاذ الانسانية مما تردت فيه وفي مقدمة الشعوب جميعا ، الهند ، التي هبطت الى الدرك الاسفل فقرا وجهـلا وضعفا .

***

ولما ضيعت أوروبا الغربية على نفسها ما كانت ستمنحها اياه المسيحية ، لو أنهـا جعلتها دستور حيـاتها العمليـة والسياسية، ولم تنفها من حياة كل يوم، تأثرا بحروب الكنيسـة مع الدولة، وبعهد التفتيش ، فقـد رفعت مبـادىء « الديموقراطية » ، ليتساوى الناس امام القانون ، وليخضعوا الحاكم لسـلطان الشعب ، ولكن كان قوام الديمـوقراطية هو نظام الانتخاب ، وقد قصرت أوروبا حق الانتخاب في أول دساتيرها على الذين يملكون وحرمت منه الفقراء والخـدم والمحرومين ، مع ان الديموقـراطية جاءت لتحرر هؤلاء وتعينهم على التمتع بحقـوق الانسان العادي .

وقد بقيت هذه الديموقـراطية قاصرة لان الانتخابات لم تنجح قط من الطعـن فيها بانها كانت مزيفـة وباطلة ، ولان الديموقراطية التي نفت من جنتها أحوج الناس اليها ، بقيت قاصرة ومتحيزة ، فان أوروبا ضنت بها على الدول التي خضعت لسـلطانها ولمستعمراتها ، بل حـاربت الديموقراطية في تلك الدول بلا هوادة .

وقد أريد ان تكون الشـــيوعية هي البديل عن الديمـوقراطية السـياسية ولكن هذه الديموقراطية الاجتماعية اعتبر «العنف» جزءا من انجيلها رغبــة في تحقيق اهدافها وغاياتها من اقرب طريق. فانتهى الامـر لا الى تكامل الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاجتمـاعية بل الى المجابهة بينهما . وهي مجابهة لا يمنع من وقوع آثارها الرهيبة الا توازن الرعب النووى . وكان هذا آخر المطاف .

***

فهل يستطيع النظام الاسلامى ، الذى قدم للعالم تجربة عمليـة طبقت فى اكبر جزءمن العالم المعمور لمدةقرون، فاثمرت ثمارا باهرة ، اقلها الجزء العلمى والثقافى الذى ننعم بآثاره الآن ، والتى لا يعـكر علينا هذا التمتع الا ما أضافته الحضارة التى تجردت من روحانية الدين وسماحته ولطفه وأخوته .

هل يستطيع النظام الذى انشأ الحضارة العربية الاســلامية التى أهـدت الى الانسانية قاطبة مدائن زاهرة، ومكتبات عامرة ،وتحقيقات وكشوفا علمية باقية. فى غير عنف ولا استعلاء ، أن يمد يده الى الانسـانية التى تصبح وتمسى على أنباء القتل والتدمير، والانقلابات، والمخاوف؟

هل يستطيع النظام الذى يؤمن بوحدة الانسانية هذا الايمان الذى عبر عنــه القرآن كثيرا ، كما سلف القول ، والذى لخصه الرسول عليه‌السلام: «كلكم لآدم، وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » .. كما يؤمن بوحدة الرسالات السماوية : « **آمن الرسول بما انزل اليه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله لا نفرق بين أحد من رسله»**

وهو نظام يحرم العنف « **لا اكراه في الدين** » « **افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » « **ادفع بالتي هي أحســن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** »

وهو نظام يحب الحياة ، ويدعـــو الى تجميلها : « **قل من حرم زينــة الله التى اخرج لعباده والطيبـات من الرزق** » .. «**وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا** » .

وهو يقيم للمال وزنه ، ويعـرف حب الناس له ، ولكنه يقيده ويكبله حتى لا يكون سيدا للناس .

وآخر الامر هو نظام اساسه القانون ، ولحمته وسداه القانون ، يخضع الجميع له ولا يستثنى أحدا من احكامه ، حتى خليفة رسول‌الله: «اطيعونى ماأطعت الله‌فيكم»

« **اقواكم عندى الضعيف حتى آخـذ الحق له ، واضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه** » .

لقد خلقت الشريعة التى جاء بها محمد رسول الله ، من اشد الامم ضعفا وفقرا ، وانآها عن مجتمع الدول والشعوب ، قوة خير ، وتعمير ، وتشييد وتعليم فىفترة من عمر الانســان كأنها لمــح البصر ، وعاشت هذه الدولة بعده قرونا طـويلة ، ووصلت الى اقصى الشرق واقصى الغرب ، وحينما ذهبت‌تركت مواخر تموج‌بطنين التلاميذ ، وباصوات العلماء يتناقشــون ويتباحثون فى وقار وحب عميق للحــق والعلم والحرية .

افيعجز هذا النظام كله ، بهذا التراث كله ، أن يكرر التجربة وينقذ الانسانية ؟ لا أظن ؟ ..

مثل في تسامح محمد وعفوه

● د. عبد الجليل شلبي ●

● كان رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) ـ كما هو معروف ـ اطهر الناس قلبا وازكاهم نفسا ، لا يحمل لاحد حقدا ولا يسكن لعدو ضغينة ، بل على العكس ، كان يرثى للذين يصرون على عدائه . ويحزن لاستمرارهم على ماهم فيه من غى وضلال .

وهم حين اغروا به سفهاءهم يسبونه ويرمونه بالحجارة ، لا يزيد على ان يرفع يديه الى السماء فينادى ربه : ((اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون)) .

كاد لايمانه الثابت برسالته ويقينه في وعد ربه يتوقع أن أعداءه سيفيئون الى انفسهم ويرجعون الى الاسلام . لهذا كان يدعو لهم بالهداية ولا يدعو عليهم بالهلاك ومن وقع منهم أسيرا تحت يده آثر العفو عنه على الانتقام منه . وبهذه الاخلاق السامية والقلب الكبير استحق ان يوصف بانه رءوف رحيم وعفت اليه قلوب المنصفين ، ولو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله ، وله ، صلوات الله وسلامه عليه من هذه الاحداث مايطول ذكره ويندر وقوعه من غيره .

***

كان سهيل بن عمرو العامرى خطيب قريش ومتكلمها ، من اشد القرشيين تحريضا على الرسول ، واسوئهم تشنيعا على الاسلام وصدا عنه . وقد وقع أسيرا يوم بدر ، وتوقع المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأمر بقتله ، لكنه لم يفعل ، واقترح عمر عليه ان يخلع ثنيتي عمرو ، وكان عمرو أعلم «مشقوق الشفة العليا » ـ فاذا نزعت ثنيتاه صار عاجزا عن الخطابة .. لكن رسول الله «عليه الصلاة والسلام » ابى ذلك ايضا ، وقال لعمر : لعلك تجده في موقف يسرك وتحمده عليه « أو كما قال » ..

ومع ذلك كان سهيل هو الذى فاوض رسول الله في صلح الحديبية ، وابى ان يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم» او

« من محمد رسول الله » وقال : لو كنت أعلم أنك رسول الله ماحاربتك..

وأسلم سهيل يوم الفتح ، فلما مات رسول الله وارتد من العرب من ارتد ، وقف سهيل يخطب الناس بمثل خطبة ابى بكر قائلا « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، والله لقد علمت أن هذا الدين سيمتد امتداد شروق الشمس ، .. ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ... »

فقال عمر : صدق رسول الله ، هذا موقف احمد سهيلا عليه .

وجاء كبار المسلمين مرة ليقابلوا عمر وهو خليفة . فامر بادخالهم حسب منازلهم فى الاسلام ، فأدخل صهيبا وبلالا ، واخر سهيلا وابا سفيان ، فغضب ابو سفيان واشمأز ، فقال سهيل له ولمن معه : « على انفسكم فاغضبوا ، دعيتم الى الاسلام كما دعوا فأسرعوا وابطأتم . والله لما فاتكم من السبق الى ابواب الجنة لاكبر مما فاتكم من السبق الى باب عمر ... وليس لكم ماتعوضون به الا السبق الى الجهاد »

ثم كان له دور مشكور فى الجهاد وفى لدعوة الى الاسلام ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد قتله يوم بدر ، او نزع ثنيتيه لحرم الاسلام جهاده بسيفه وبخطابته ..

وصدقت فراسة رسول الله ، وكانت عاقبة امره يسرا وخيرا .

***

ويوم فتح مكة عفا النبي الكريم عن اعدائه الذين ناصبوه العداء وعبأوا ضده الجيوش وشنوا عليه الحملات وقتلوا عمه حمزة واصحابه وانصار دينه ، كان عفوا اهتزت له قلوب القوم واذعنت ، ولكن النبى صلوات الله وسلامه عليه استثنى سبعة عشر شخصا كانوا اسرفوا فى ايذاء المسلمين ودعوة الاسلام ، قال اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة ... وكان من هؤلاء من اسلم وارتد وقتل من المسلمين اشخاصا غدرا واخذ مالهم

ومن هؤلاء السبعة عشر ابن خطل الذى اسلم وغدر ونهب ثم ارتد ، وتقلد سيفه يوم الفتح وقال لايدخل المسلمون مكة ، فلما رأى قوتهم رجع يختفى وراء استار الكعبة ، ولم يسلم ، فقال رسول الله عليه افضل صلاة وازكى سلام ان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب ... فقتل قصاصا وكفرا .

اما الذين أسرعوا الى الاسلام واعلنوه فقد عفا عنهم .

ومن هؤلاء هبار بن الاسود . بلغ من عدائه رسول الله ، انه تعرض لزينب بنته ، وقد بعث بها زوجها ابو العاص الى المدينة . وكان معه عدد من سفهاء قريش فنخس هبار بعيرها

فاجفل وسقطت هى على صخرة ،وكانت حاملا فاجهضت وانزفت دماؤها ، وقد ظلت تعانى هذا المرض حتى ماتت ، وتهدده النبى وأمر بقتله ، ولكنه اختفى ثم اسلم واعلن اسلامه ، فلما جاء الى رسول الله اخذ الناس يسبونه بماحدث منه ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فعفا عنه ، وقال له :سبعن سبك .فانتهى الناس عن سبه.وهوحين قدم مسلما اعتذر عما كان منه ، وقال: اصفح عن جهلى وعما كان منى ، فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى ، فقال رسول الله : ياهبار عفوت عنك وقد احسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام، والاسلام يجب ماقبله .

***

ومن هؤلاء عكرمة بن أبي جهل ، كان هو وأبوه من اشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لددا ، ومن أشد الناس على المسلمين ، وقد فر يوم الفتح يريد الهرب الى الحبشة ، ولكن زوجته اسلمت واستأمنت له رسول الله عليه الصلاة والسلام فأمنه فلما جاء الى رسول الله . قال : يامحمد هذه اخبرتنى انك امنتنى قال« صدقت، انك آمن »

ولم يكن عكرمة حتى الآن أسلم . ولكنه دهش لهذا العفو نافضى حياه ،ثم جهر بالشهادتين ، وقال له النبى : ماتسالنى شيئا اقدر عليه الا اعطيتكه، قال: استغفر لى كل ماعاديتك به، فقال: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به. ورمى عليه رداءه تقديرا له وترحيبا به ، وتناسى له سيئاته العديدة . وصار عكرمة بعد من أبطال المسلمين المحاربين .

فانظر الى عظمة النبى وكبر قلبه ، حتى ينسى ضغائن عكرمة وسوء افعاله، ثم يدعو له بالمغفرة ، وفوق ذلك قال لاصحابه لا تسبوا اباه ، فان سب الميت يؤذى الاحياء ولا يلحق بالاموات .

***

وهكذا بدا تسامح رسول الله فترك الحارث بن هشام ، وزهيرا بن امية، وصفوان بن أميه ، وكان يظن ان النبى لا يسامحه ابدا ، فذهب يرمى بنفسه فى البحر فأمر النبى أن يدركوه ، وقال هو آمن .

وهند زوج أبى سفيان التى مثلت بحمزة عم رسول الله ، وكعب بن زهير ووحشى قاتل عمه .. وهكذا ، وهكذا، نفس كبيرة تعيش للمبادىء ولا تعيش للاهواء .

وهذا حديث يطول ويمتد ، فلم تكن حياته صلى الله عليه وسلم الا رحمة ، ولا كانت اعماله الا مثلا للمحسنين . وخليق بالشباب الناهض ان يغترف من هذه السيرة الكريمة ما ينفعه فى شبابه وشيخوخته ، ودنياه وآخرته والله يهدي من يشاء الى الطريق المستقيم ...

من التراث المعاصر

جوانب شخصية محمد

.. والواقع ان ذكرى الرسول لها جانبان :

جانب عام يشمل المؤمنين جميعا ، وهى ذكرى اخلاقه ، وحسن معاملته التى اجملها بقوله « ادبنى ربى فاحسن تاديبى » .. واجملها الله سبحانه وتعالى بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وجانب خاص ، وهذا الجانب له فى شخصية الرسول جهات متعددة قد اجتمعت كلها فى شخصيته عليه السلام ، وهى لا يمكن ان تجتمع فى غيره ، وانما توزع على الناس توزيعا.

فهو قد كان عاملا بالاجر ، يرعى الغنم لغيره ، ويتجر لغيره ، فيحسن رعيه ، ويحسن امانته ، وهو بذلك كان خير قدوة للعمال ..

وهو قد كان داعيا الى دين ، يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتى هى احسن ، وهو بذلك كان خير قدوة للدعاة والمرشدين .

وهو قد كان محببا لاخوانه واتباعه مؤلفا لقلوبهم حريصا على خيرهم ، رءوفا رحيما بهم ، وهو بذلك كان خير قدوة للزعماء الذين يفنون فى خير امتهم .

وهو قد كان قاضيا عادلا وحاكما منصفا لا ترده عن عدالته أبوة أو بنوة ، وهو بذلك كان خير قدوة للقضاة والحكام .

وقد كان محاسبا لعمال المصلحة العامة يأخذ منهم ما اختنوه باسم الوظيفة ، ويترك لهم ما اكتسبوه باسم أشخاصهم ، وكان يدير توزيع المالية على مصارفها دون حيف ولا محاباة ، وهو كان بذلك خير قدوة للمحاسبين والمديرين .

وهو بعد ذلك كله كان يرتب الجيش ، ويعين المواقع ، ويختار اماكن الرده والامان ، وكان يستعرض الجنود ، ويستعرض السلاح ، ويتقدم الصفوف ، ومواقفه فى غزوتى «احد» و « الخندق » لا تخفى على احد ، فقد كان فى «احد» اقرب المجاهدين الى العدو ، وكان اصحابه يتقون به . وكان فى غزوة « الخندق » وهى المعروفة بغزوة الاحزاب يعمل مع اصحابه فى حفر الخندق ، الذى اشار به سلمان الفارسى فى شمال المدينة ، وكان ينقل التراب بنفسه ، متمثلا بشعر ابن رواحه :

اللهم لولا انت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وان ارادوا فتنة ابينا ..

وياحبذا لو ان كل طائفة ذات اختصاص معين من جوانب ذكراه ، اتخذت من ذكراه الجانب الذى يمسها ويتصل بها ، فالعمال يعرفونه كعامل محسن أمين ، والدعاة يعرفونه كداع مؤثر حكيم ، والزعماء يعرفونه كزعيم مؤلف حريص ، والقضاة يعرفونه كقاض عادل منصف ، والمشرعون يعرفونه كمشرع نافذ البصيرة ، والمحاسبون يعرفونه كمحاسب دقيق ، والبلغاء يعرفونه كبليغ يمتلك القلوب ، والمحاربون يعرفونه كمحارب ظافر منتصر .

للامام الراحل
الشيخ محمود شلتوت ـ من كتابه :
من توجيهات الاسلام

● انيس منصور ●

على جبل النور

... ومن الذى لا يحاول ان يسير فى نفس الطريق الذى سار فيه محمد العظيم ...

فى هذا الطريق الى غار حراء سار الرسول اكثر من الفى يوم ، طالعا نازلا ، متفكرا ، متاملا ـ خفيفا بصفاء روحه ، وثقيلا بهموم قومه وكل الناس ..

الناس يسمونه ((جبل النور)) فمنه وفيه ظهر جبريل ، ومنه خرج نور يهدى الناس الى سواء السبيل ، الى كلمة سواء ، الى ماهو انفع وارفع .. الطريق صعب .. وانا لم استعد لهذا الصعود ، ولا خبرة لى به . وكلما عرضت هذه الفكرة لم يفلح احد فى ان يخفى استخفافه ـ او دهشته ... اما الدهشة فلانه طويل صاعد صعب ولانه من الصعب على من اقترب من الخمسين ويزيد وزنه على الثمانين ان يصعد كل هذه الصخور الى ارتفاع شاهق ...

ووجدت الناس على حق . ولكن اريد ان ارى ، ان امشى ، ان المس ، ان استذكر ، ان استرجع ..

ان اكون على مقربة من مكان تغيرت فيه الدنيا .. هناك متنفس رجل عظيم .. هناك ، كان الرسول وحده مع الله وحده .. كانت السماء تعد جسمه لان يكون جهاز استقبال فريدا يستقبل كلمة الله التى هى السماء والارض وما بينهما .. ان جسم الرسول لابد ان يعد اعدادا خاصا ، لابد ان يروض على الصفاء اكثر ، والنقاء اشد ، والاحساس ارهف ... لابد ان يتعرض للضوء الباهر ليعاد ترتيب خلاياه وذرات عقله وقلبه ..وفى هذا الغار ، فى هذه الغرفة الصخرية وعلى هذا الارتفاع ، وفى مواجهة نور السماء ، اعيد تكوين الرسول ليقدر على أن يتحمل الضوء الالهى والصوت الملىء والكلام المنزل .

***

ووقفت عند سفح الجبل من الناحية الاخرى .. لا توجد أية معالم لاحد قد صعد . ولكن من المؤكد ان كثيرين اشد ايمانا واخف وزنا واكثر حيوية قد

صعدوا كالغزلان ... ولكن ما الذي صعدوه .. الصخور متقاربة ، مثل أنياب من الجرانيت مفتوحة .. لا أكاد أتقدم خطوة حتى اقع بين نابين ! .. قدمي على ناب ، ويدي على ناب ... وأمامي وورائي أنياب ! والصخور نظيفة يمسحها الهواء أولا بأول ..

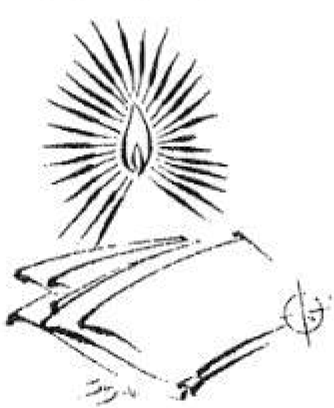
وقد نصحني كثيرون ان اخطو الى الامام والا انظر ورائي . فالطريق امامي طويل صاعد عصبي ، لا يكاد ينحني يمنة حتى ينحني الى اليسار وبحدة وشدة .. وفي اول « الطريق » — وليس هناك طريق — اشجار ..

وفي الطريق الى الغار وجدت الناس يكتبون أسماءهم على الصخور ، ولكن الطريق ليست له معالم ... وكنت انظر الى القمة التي لا اراها بوضوح وامد يدي الى الصخور ، وارفع ساقي واتسلق ولا اعرف ما بعد ذلك . واقول : كان الرسول انسانا آخر .. وكان شابا . وكانت عنده قضية كبرى ، تنتظره نداءات السماء

وطال الطريق . وتوقفت الهث ... واحسست انني ارتكبت مجموعة من الاخطاء . فلم ارتد حذاء يمسك قدمي فلا تنزلق . وكنت ارتدي جلبابا وكنت أذوب عرقا ، والجلباب لا يمتص العرق .. وانما يتركني وحدي في مهب الهواء البارد .. ولو كنت ارتدي قميصا وبنطلونا لالتصق القميص يمتص عرقي ويمتص خوفي من لفحة هواء لصدري وحلقي .. ولم آت بعصا اتوكأ عليها .. ولم اتعلم تسلق الجبال ... بل انني لا اقوم باية رياضة في مصر ، ورياضتي الوحيدة هي هبوط سلالم « اخبار اليوم » بادوارها التسعة !..

وانا الان اصعد الجبل ، واحاول ان اقرأ الاسماء على الصخور — ولم تكن محاولة القراءة الا حيلة لكي اتوقف بعض الوقت لاشم نفسي ، ولتبرد حرارة جسمي — ولكني في نفس الوقت لا استطيع ان اقف طويلا فانا اخشى ان تغرب الشمس فلا اعرف كيف اهبط الجبل .. وهذه غلطة كبرى انني صعدت الجبل قبل الغروب بقليل !..

وبعد دقائق طويلة ، واستراحة بعد اخرى ، وجدت مكانا على شكل حوض ماء .. الحوض الجاف كانت اذا نزلت فيه الامطار بقيت بعض الوقت . ولابد ان الماء يكون باردا على هذا الارتفاع . ولابد ان الناس كانوا يشربون منه . ولكنني لم اجد ماء ، وانما بقايا الماء على الجدران .. ووجدت سلما صغيرا ينزل الى عمق الحوض الذي يبلغ المتر — اما طوله فمتران وعرضه متر ونصف متر ... وبعد ذلك عاودت الصعود ، الاحجار لاتزال حادة باردة ... كانها انياب او اضراس حيوان متوحش كلفته السماء بان يحرس صاحب الغار ، بعيدا حتى عن الهواء



اذا فكر ان يتسلل الى هدوئه الكريم وعند قمة جبل حراء ..

هذا هو الغار ، او الجانب الخلفي من الغار .. له فتحة على شكل شفتين متجمدتين من الحجر الاحمر الجرانيت كان الغار اراد ان يقول شيئا ، ولكن فجاة تحولت صرخاته الى شفاه جامدة فسكت منذ ذلك الوقت .. انما الذى نطق بالحق هو الرسول الكريم .

والغار له فتحة من الناحية الاخرى في مواجهة مكة ، في مواجهة الكعبة ، وكان الرسول عليه السلام يقف في هذا المكان ثم ينزل بساقيه ويتساند على هذه الصخرة بالذات ، ثم يدخل الغار وقد حنى راسه قليلا . ثم يضع طعامه من لبن الماعز وبعض الخبز ، ثم يجلس ، ثم يسند ظهره الى داخل الغار ويتوجه الى السماء — فاذا جاء الليل ، دخل الرسول الى عمق الغار واسند ظهره وراح يفكر في امر الناس ماكان منهم وما سوف يكون .. ولكنه لا يدرى ما الذى يدفعه الى هذا المكان .. انه مدفوع الى هنا ..

وعلى الغار كانت قبة انهدمت ولم يبق من هذه القبة البيضاء الا جداران صغيران طليا بالجير الابيض فيراهما الانسان من مكة ومن عرفات ... اما مدخل الغار فمسدود بالاحجار ايضا ، فقد كان من عادة الناس ان يجيئوا الى هذا المكان ، وهى رحلة شاقة ، وبعضهم كان يسقط ميتا وبعضهم تحطمه الصخور ، وبعض الناس كان يقيم الليالى الطويلة فى الغار ، والغار ضيق . والناس يتزاحمون وبعضهم يتعبد . ولم يأمر الرسول احدا بان يفعل ذلك . ولكن التعبد في هذا المكان بدعة ومشقة . ولذلك سدت فتحة الغار حتى لا يذهب احد اليه ...

***

ولا اخفى شعورى بالفزع والرجفة عندما وقفت فوق الغار ، مع ان الغار احجاره ككل الاحجار . احجار عادية .. ولكن المعنى ، المناسبة ، التاريخ . شىء يخيف ويهز . ولا يجد الانسان مايقوله فما الذى يمكن ان يقوله احد بعد الذى قاله صاحب الغار .. ما الذى يمكن ان يقوله عنه وعن الذى قال .. ان صاحب الغار قد كان له راى فى كل شىء .. وله وقفة عند كل قضية . انني قرات ماكتبه الدكتور هيكل عن محمد . وما كتبه العقاد . وما كتبه طه حسين .. كل واحد حاول ان يجد طريقا مريحا الى المعنى الذى يريده ..

الدكتور هيكل حاول ان يعرض نفسيته وان يدافع عنها . والعقاد حاول ان يعرض نفسيته وعقليته وان يجلوها وان يقتنع بها .. وطه حسين حاول ان يجد قصة . حكاية يسهل عليه روايتها ، ويمتع الناس اذا تحدث عنهم ..

ويبقى الرجل كبيرا عظيما لا تعرف من اين تاتى اليه .. الطرق اليه كثيرة جدا ، متشعبة ومتداخلة ومضيئة حتى لا تقدر ان تطبق عينيك ... والذى قاله لؤلؤ وماس واحجار كريمة اخرى .. ولا تعرف كيف تصنع منها عقدا او قرطا او خاتما .. ولا

تستطيع ان تدع شيئا ، ولا تقوى على أن تأخذ كل شيء .. انه شخصية باهرة . كيف استطاع كل ذلك وحده .. كيف واجه الظلام بالنور ، والضلال بالهدى ، والقوة بالحق ، والعذاب بالرحمة ، والهوان بالايمان ..

كيف هاجر من مكة ، كيف خرج منها ليعود بعد ذلك فاتحا لها محطما أصنامها . منظما فوضاها .. ثم ليعود مرة اخرى الى المدينة يلقى ربه ويدفن فيها ...

ويكون له المكان الطاهر ، قبره ومسجده ، وتكون قبور زوجاته وصحابته وانصاره ...

لقد دخلت قلب الكعبة عشر مرات .. وغمرتني الراحة واحسست كان شراييني من « النيون » الهادىء بلا حرارة ولا صوت وانني في حالة بين الحياة والموت.

فلا انا حي اشعر بجسمي ، ولا انا ميت بلا جسم . وعندما خرجت من الكعبة اخذت اشعر بجسمي قطعة قطعة حتى أصبحت ثقيلا على وجداني وعلى فكري .. واعيدت لي حياتي العادية .

وفي داخل الكعبة كل شيء غسلوه في ماء الورد . ماء زمزم ، مع ماء الورد .. الارض غسلوها والجدران بللوها ، وفي ركن داخل الكعبة ستار ... وينصحك بعض حراس الكعبة ان تختفي وراء الستار وأن تطلب من الله ان يتوب عليك . فهو ركن التوبة . ودعوت الله .. وفي الظلام اصطدمت بالذي يركع والذي يسجد والذي يبكي والذي يبلل ملابسه في ماء زمزم . ولكن احساسي في مسجد الرسول شيء آخر ، من نوع آخر .. فهنا كان يقيم الرسول وهنا كانت زوجاته ، وفي بيت عائشة وعلى صدرها مات .. وفي ملابسه غسلوه وبها دفنوه .. وعند كتفي الرسول دفن ابو بكر .. وعند قدمي الرسول دفن عمر .. وكان المسجد النبوي صغيرا - عشرين مترا في عشرين مترا - فقد كان عدد سكان المدينة بفقراها السبع ثلاثة آلاف نسمة . والناس لا يطوفون حول قبر الرسول .. كما يفعلون حول الكعبة .. من هنا كان يخرج من بيته . وهنا كان يصلي . وهنا كان يتحدث الى الناس . وهنا خرج مريضا ، وهنا مرض ، ولقي ربه .

لابد ان الرسول كان شخصية ساحرة فالذي يقرأ ماقال ، والذي يقرأ مافعله الناس عندما سمعوا ماقال .. ولم يكن له مال ولا سيف . وانما فقط مايقول ، وقدرته على اقناع الناس بصدق شخصيته وامانته والقدوة النادرة التي كان عليها .. ثم انه كان بشرا ينتصر وينهزم ، ويغضب ، ويمرض ، ويموت ..

والقرآن يقول : ((انك ميت وانهم ميتون)) ويقول: ((وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم)) .

ومات الرسول ـ عليه السلام ـ في يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى ولد فيه، والذى هاجر فيه ، وبلغ المدينة فيه ، وفيه نزل الوحى ، وفيه خرج من غار ثور ، وفى هذا اليوم رفع الحجـــر الاسود .

***

وفى المدينة المنورة بحثت عن الشيخ ابراهيم ، وهو اعلم علماء المدينة بآثارها اريد أن اجلس اليه ان اسمع منه . وكان الرجل مريضا ، فأحزنني ذلك ، واسفت له . واعتذرت ، ولكنه اصر . فلم يخرج من بيته وقتا طويلا ووجدها فرصة ليشم هواء منعشا . ـ قـــل ياشيخ ابراهيم : اريد ان اعـــرف بالضبط من اين دخل الرسول المدينة المنورة ؟ وكيف ؟ وماذا فعل يوما بيوم؟ ومن الذين قابلهم ؟ وما الذى اكله وشربه وأين صلى ؟ وما الذى كان يرتديه ؟ وما الذى قاله ؟

وقال الشيخ ابراهيم وهو لا يقوى على أن ينطق أو يحرك عنقه : افعل ان شاء الله ...

وعند اطراف المدينة قال : من هنـــا دخل الرسول . وهنا اقام بعض الوقت واستقبله اقارب امـــه من اسرة بنى النجار ، وغنوا له والطبول فى ايديهم: « طلع البدر علينا » ... وفى هـــذا **المكان وعلى هذه الصخرة وقف رجـــل يهودى يصرخ قائلا : جاء حظكم . جاء الذى كنتم تنتظروه . وهنا انطلقـــت ناقة الرسول ، وهنا بركت . واقيماول مسجد ، وهنا صلى ..**

وظل الشيخ ابراهيم العياشي ينتقل من مكان الى آخر ، ويقول : هنـــا بالضبط كانت معركة ((أحد)) ..هذا هو الجبل .. وهنا كانت معركة الخندق وهنا كانت بيوت اليهود وحدائقهم . وهنا وتحت هذا الشارع المرصـــوف كانت قوات المسلمين . وعند هـــذه البئر كان يقف الرسول ويحثهم عـــلى الجهاد .. وتحت هذه العمارة تمـــاما وقف اليهود يحاولون ان يجدوا وسيلة للتغلب على قوات المسلمين ..

***

جوانب من قصة حياة يتيم عبقرى . بعد شهر من حمل امه فيه مات ابوه..

وبعد ست سنوات من مولده ماتت امه فى مكة .. وبعد ثلاث سنوات ماتجده عبد المطلب .. ثم جاءت سيرته الكريمة واخلاقياته الفريدة فجعلتـــه يتيما مرة رابعة ... الناس على شاكلة ، وهـــو على شاكلة أخرى ..

وترفع عن الناس وارتفع وما زال يعلو « جبل حراء » ويستقر فى غـــاره وينتظر حتى جاءته السماء بكل مافيها من نور وحكمة لهداية كل الناس ..

كأن الارض ارتفعت فأصبحت جبلا .. الجبل لما ارتفع بالرسول ، فـــان الرسول قد ارتفع به . كان الغـــار حضن من حجر ..

كأنه « رحم » الكون كله ، والرسول وليد السماء والارض .

أو هدية السماء الى الارض ..

وسواء بقي الغار مفتوحا أومسدودا في وجه الهواء أو الشمس او الناس..

فالمعنى ابقى والمكان اشرف ، والعناء المتواضع جدا يساوى اضعافه من المعاني الانسانية .. لاشيء يغير من معنى المكان وصاحب المكان ..

وقديما احترقت الكعبة وانهدمت مرتين ، وبقيت الكعبة بمبناها ومعناها ..

وبعد ذلك أحرق المسجد النبوى مرتين ، وتهدم وتحول تحت الامطارالى ركام . ولكن بقي المكان وصاحب المسجد وصاحب القبر : رسول الله والى جواره ابو بكر وعمر . وفي ليلة من سنة ٧٥٧هـ صحا السلطان نور الدين زنكي من نومه في حالة من الفزع فقد راى رسول الله في نومه يشير الى اثنين من الغرباء ويقول له :

انجدني من هذين !

رسول الله يقولها للسلطان ؟!

وروى السلطان على حاشيته ما راى ، وسألهم ما العمل ؟

قالوا : نذهب الى المدينة المنورة .

وسافروا . وطلب السلطان من حاكم المدينة ان يأتيه بأسماء سكانها جميعا. وان يدعوهم لتحية السلطان . ووقف السلطان يتفحص وجوه الناس حتى لم يبق احد . وسأل السلطان : الم يبق في المدينة احد لم اره ؟ قالوا :بل هناك رجلان غريبان من اطيب الناس خلقا واكرمهم وارحمهم ، انهما يتصدقان على الناس . وانهما يصليان الليل والنهار ! وطلب السلطان ان يأتوا بهما، وجاءوا بهما ، ووجد السلطان انهما اللذان رآهما في نومه . وامسك بهما. وفتش بيتهما . فوجد على الارض بساطا ، رفع البساط فوجد تحته سردابا طويلا ..

واعترف الرجلان انهما كافران من المغرب ، وانهما تقاضيا مبلغا كبيرا من المال ليخطفا جثمان الرسول الطاهر وضجع الناس .. وحوكم الرجلان .. واعدما ...

وأمر السلطان بأن يحاط قبر الرسول بجدران من الرصاص حتى لا تمتد اليه يد شريرة ، وشاء الله ان يحمي رسوله حيا وميتا ، وان يبقى المبادىء الرفيعة لتكون كل مدينة منورة وكل سيرة له عطرة ، وكل طريق اليه ومنه الى خير وسلام الناس ..

ــ آمين ..

على جبل النور

من التراث المعاصر

وقفة عند غار حراء

● نحن الان يوم الاحد رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة والف ، ونحن في البلد الامين مكة وقد قضينا مناسك الحج .. قلت لبعض الرفقاء : هلم الى غار حراء .

فاخذنا سمتنا صوب الشمال ضحوة النهار ، منا الراكب ومنا الراحل ، وملء القلوب اشتياق وسرور ، وعلى الوجوه التهلل والبشر

بلغنا جبل النور – جبل حراء – بعد اربعين دقيقة . وملنا مع الدليل ذات الشمال فاذا امرأة تنحدر من السفح مسرعة تصيح بنا ، فقلنا : «ما تبغين ؟» . قالت : «هنا الطريق » . فاتفقنا على ان نهتدي سبيلنا السبيل الى الغار . ونظرنا الى الجبل فاذا السفح ينتهي الى قمة شاهقة ملساء ، قطعة واحدة من الصخر قائمة .

سارت فاطمة امامنا مصعدة خفيفة سريعة لاتبالي الشوك والحصى واطراف الصخور الجديدة كأنها أروى ترتع على السفح ، سارت في الطريق معلمة يبين فيها بين الحين والحين تمهيد الانسان . هنا حجارة مرصوصة يرتقي عليها الصاعد ، وهناك جدار صغير من حجارة مركومة او مبنية تعصم المرتقي ان يزل من الطريق ..

تتابعنا صاعدين جاهدين منحنين على المرتقى الصعب ، وما في النفوس من رفعة الذكرى اجل وارفع ، وما يبهر النفس من رهبة المكان ابهر واروع مما يبهر العين في هذا الطود العظيم . وكانما نرتقي في التاريخ وعبرته ، ونصعد في جلال الحق وعظمته ، ونطمح الى السماء ، لا الى قمة حراء ..

صعدنا ثم صعدنا حتى انتهينا الى صخرة مظلة ، فأوينا اليها قليلا لنستجمع ونمسح العرق . ثم رقينا تتلوى بنا الطريق ذات اليمين وذات الشمال حتى بلغنا مستوى فيه حوض كبير طوله ثمانية امتار وعرضه ستة وعمقه اربعة ، بعض جوانبه الصخور وبعضها جدار من الحجر ، يجتمع فيه مياه المطر .

وقد صادفنا فيه ماء صافيا باردا فشرب من شرب ، وتوضأ من شاء ، وجلسنا هناك جلسة شربنا فيها الشاي واسترحنا وجمعنا قوانا لبلوغ القمة . على ذروة الجبل بقية جدار تحيط بمستوى ضيق في وسطه صدع في الصخر يزعم العامة ان عند هذا الصدع شق صدر الرسول .

وقفنا على الذروة نسرح العيون حولنا بين جبال واودية ، ونرى مكة وجبالها وقلاعها ودورها .

هذه قمة حراء فاين الغار ؟ جنوبي هذه القمة درجات هابطة على السفح منحوتة ومبنية ، هبطنا زهاء ثلاثين درجة .. ثم أسرنا فملنا نحو اليمين .

الى صخرة هائلة مائلة على الجبل ، وتخللنا مسلكا ضيقا قصيرا بينهما وبين السفح الى مستوى صغير ، فاذا امامنا سفح منقطع ينحدر الى ارض سحيقة ، ومن يميننا قمة حراء التى كنا فوقها ، ومن يسارنا الغار : غار حراء العظيم .. فجوة ضيقة تميل على مدخلها صخور تدعم بعضها حجارة مبنية . فأما سعة الغار فمرقد ثلاثة متجاورين ، واما علوه فقامة رجل ، وفى نهايته صدع ترى منه الارض والجبال الى مكة .

***

هنا .. فر محمد بن عبد الله بنفسه ـ فر الى ربه من ضوضاء الحياة واكاذيبها ، من مظالم الناس ، ومفاسدهم ، ومن باطل العقائد وزورها .. آوى الى هذا الجبل ، الى هذا الغار ، الى قلب الخليقة ! هنا طود اشم يطل على اودية الحت عليها الشمس المحرقة ليس بها من معنى الحياة الا نبت ضئيل ، وليس بها من ذكرى الحياة الا اثر السيل بعد المطر .

ووراء الاودية والجبال وتحت هذه السماء الصافية حقائق لا يشوبها تمويه ولا تزوير ، ولا يلحقها تبديل ولا تغيير ، ولا يمسها رياء ولا نفاق ، فسر محمد الى هذه الحقائق لا فرار الراهب يترك الناس لينجو بنفسه ، ولكن كما يلجأ الى الشاطىء من يحاول انقاذ اخوانه الغرقى . هنا جمع محمد نفسه وفتح قلبه وناجى ربه ، وهنا تجلى الله لهذه النفس الزكية ، واضاء على هذا القلب الطاهر ..

هنا جاء الوحى ونزلت الايات : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم » وهى فاتحة القرآن ، وغرة الاسلام ، وبسملة سعادة الانسان ..

لله ما وعى هذا الغار من آيات ! ويا عجبا كيف ثبت على هذه الرجفات ، و « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله »

قلت من قبل فى شعر الصبا :

لعل جبال مكة لا يزال
يجلجل فوقها هذا المقال
ويخفض رأسها ذاك الجلال
وما نسيت بغار حراء ذكرى

والآن اقول :

الا يسمع هنا ذلك الصوت مدويا مرددا ؟ الا يرى هنا هذا النور طائفا بحراء متلألئا ؟ الا يجد الواقف هنا روحا من الايمان ويسمع وحيا من القرآن ؟

***

وخرج محمد صلوات الله عليه من هذا الغار ، من حضن هذه الخليقة وهو اشبه شىء بها ، خرج حقيقة من حقائق الله نقية جلية صريحة ، لا تبديل فيها ولا تزوير ، ولا لبس ولا تغرير ، ولا خفاء ولا اضطراب .

تمثل الرسول هابطا من حراء وقد حمل عبء النبوة واضطلع بامانة الرسالة ، وافضى الله اليه بوحيه وكلفه هداية خلقه .

ليت شعرى ، اهبط ونفسه جائشة مجلجلة كما ينزل الغيث بين الرعد والبرق ؟

لست ادرى .. ولكنه نزل دينا جديدا ، وعصرا وليدا ، وتاريخا مديدا ، واصلاحا شاملا ، وهدى كاملا ، ورحمة للعالمين .

ايها الغار ! ..

يا مولد الحق ومطلع النبوة ومأوى محمد ! لولا ان محمدا الكريم نهانا لقبلت احجارك واكتحلت بترابك ..

ايها الغار ! .. من لى فيك بخلوة ، من لى بخلوة فيك !

نادانى صحبى : هلم فقد حان الرجوع .

فعدنا الى مكة ..

عبد الوهاب عزام
من كتابه « رحلات »

حوار

مساحته الزمنية ربع قرن مع:

يوسف إدريس

● محمد سعيد ●

●● آيات القرآن الكريم نغمات مكتملة تعلمت منها تكنيك الكتابة.

●● أبعاد شخصية النبي واضحة في قراءاته التأثيرية بعيداً عن التقديس

●● الإسلام دين عقلاني يرتبط بالإنسان وله أعماق واقعية

●● كان المتعاملون في الحركة الأدبية مجموعة تعيش على هامش الناس

●● مع بداية الخمسينات ادركت الاوساط الثقافية وجود تيار جديد يهل على فن القصة من خلال وافد جديد من خارج الحركة الادبية ... كانت البدايات قصصا قصيرة منشورة في الصحيفة اليومية ((المصرى)) ثم في المجموعة القصصية ((ارخص ليالى)) ، وبدا اسم يوسف ادريس يلمع في صفحات الفكر العربى من خلال رواياته ومسرحياته ومقالاته التى احتلت مكانتها في الوعى العربى المعاصر ...

وهذا الشهر يمضى ربع قرن على صدور مجموعته القصصية الاولى التى كانت تجميعالسنوات الابداع الخمس الاولى من العمر الادبى ليوسف ادريس منذ نشر اول قصة قصيرة ((نظرة)) قبل صدور اول مجموعة قصصية له ..



والیوم وبعد ثلاثين عاما من نشر اول قصة ، وخمسة وعشرين عاما من صدور اول مجموعة قصصية ـ نجري حوارا طويلا مع الاديب المتميز اللامع الذى استطاع ان يغوص بقلمه فى وجدان وضمير الانسان العربى فى حياتنا المعاصرة .

قلت للدكتور يوسف ادريس : لنبدا بالسؤال عن المكونات الفكرية والثقافية ليوسف ادريس وهو فى عمر مبكر من التجربة والخبرة ... وكيف تعرف يوسف ادريس على مواهبه القصصية والادبية ؟

ويرد بعد انشغال قصير باشعال سيجارة : « كثير من الناس لا يعرفون حقيقتهم ، فقد تجد محاسبا ينشغل بالحسابات وقدراته الحقيقية تؤهله لكى يكون عازفا على آلة القانون !.. وقد تجد رياضيا يصلح لنوعية اخرى من الاهتمامات ... السبب فى هذا وغيره عملية البحث التى تذهب بالبعض الى مكانه الصحيح ، والبعض الاخر على غير مايجيدون .

والشعور بالموهبة وتوجيهها يشبه « قرن الاستشعار الاعمى » يبحث عن الموقع الانسب ، وهذه الطريقة غالبا ماتنجح او قد لا تنجح ، وطريقة رفض عمل والبحث عن عمل افضل من البقاء فى موقع لا يتيح للانسان اظهار قدراته ...

بالنسبة لى كانت اهتماماتى فى البداية علمية ، كان يستهوينى عالم الذرة والانشطار النووى ، وكل تفكيرى يتجه بى الى ان اصبح عالما فى الطبيعة النووية ، ولم يكن فى ذهنى حتى أن اصبح طبيبا ، ومعظم قراءاتى الى الان فى هذا التخصص ، واعتقد اننى لو عملت فى البحوث النووية فانه قد يمكننى ان انتج قدر انتاجى الادبى ، لكننى التحقت بالطب ارضاء لاهلى ولنظرى

حوار مع
يوسف إدريس

•• « مايكل هارت » رد بكتابه « الخالدون مائة » على الكتّاب المتعصبين وأصحاب الأفق الضيق ..
•• يستهويني ما يسمى « إعادة كتابة التاريخ » ..

لقيمة الطبيب الانسانية ، لكن الميل للكتابة بدأ يعمل داخلى حتى خرج فى كتاباتى فى مجلة كلية الطب وايام تظاهرات الطلاب الوطنية فى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات .

•• تذكرت مع يوسف ادريس مجموعته القصصية الاولى « ارخص ليالى » وسألته : بجانب الموهبة المؤكدة كيف عرفت طريق النجاح والاستمرار ... وهل لو لم تنشر « ارخص ليالى » هل كان يوسف ادريس يحقق نفس القدر من التقدم الادبى ؟

– ويقول فى تأكيد : هذا ماكنت أحس به فى تلك السنوات الاولى حتى اننى وأنا احضر جمع الحروف فى مطبعة روزاليوسف قلت للمرحوم عم حسن رئيس المطبعة وقتها : « الا تدرك اهمية ما تجمعه ؟ » وكان مقتنعا بما يقرأ من حروف كتاباتى الاولى ، وكأننى كنت ادرك خطورة هذه الخطوة ورد فعل نشرها .

وفى البداية ايضا وبعد نشر اربع قصص قصيرة فى صحيفة المصرى قرر الاستاذ احمد ابو الفتح تعيينى كاتبا فى الصفحة الادبية برغم اننى كنت طبيب امتياز بقصر العينى ، واحدث هذا التعيين اثرا لم يرض بعض الزملاء العاملين فى اقسام « المصرى » الاخرى مثل الاساتذة عبد الرحمن الشرقاوى، وفتحى غانم ، وعبد الرحمن الخميسى . واعترضوا على تعيينى كاتبا فى الصفحة الاخيرة ، واستجاب لهم احمد ابو الفتح واقترح مكافأتى بما ينشر لى من روايات وقصص قصيرة ، وكان مقابلها فى تلك الفترة اكثر بكثير من مصروفاتى !

•• وماهى قصصك الاولى التى احدثت ردود افعال عند القراء ، لها نفس الصدى الذى احدثته عند النقاد والمشتغلين بالحركة الادبية ؟

– قد تكون قصة « نظرة » او « ارخص ليالى » او « الهاجاناه » او قصة « بصرة » .

•• قلت : حتى تصل الى هذا التمكن كان للقراءة اثر كبير عليك .. ماهى



د . طه حسين



د. محمد حسين هيكل



عباس محمود العقاد

الخطوط الرئيسية لمكونات يوسف ادريس فى القراءات المختلفة ؟

ـ عندما بدأت أكتب توقفت عن القراءة لاننى احسست بأن قراءاتى تؤثر على كتاباتي ، وكان بودى أن أسطر احساسى النقى بالبيئة المصرية لاننى كنت انوى أن اقدم قصة مصرية فى الطريقة والحدوتة والشكل والمضمون ، وتوقفت عن قراءة القصة بالذات ، وذلك حتى عام ١٩٥٦ فى سبيل اكتشاف حقيقة الرواية المصرية ، ولكنى لم أتوقف عن القراءات الاخرى الفكرية والعلمية ومازلت أرى أن مرحلة التجريب مستمرة فى البحث عن الصيغة المصرية .

●● ولكن القراءة كان لها دور هام فى صقل قدرات يوسف ادريس قبل ان يبدأ الكتابة .. ماهى مكونات ثقافتك فى تلك الفترة من سنوات التكوين ؟

ـ **القرآن الكريم هو اهم قراءاتى الاساسية ، وقرأته كله ، وخاصة جزء عم ، وجزء تبارك ،** لانه مركز فى هذين الجزءين **موسيقى اللغة العربية التى يتميز نثرها** بالتنسيق والانغام ، ولا يمكن لانسان ان يكتب **كتابة عربية** صحيحة دون أن يحفظ هذين الجزءين من القرآن الكريم **بموسيقاهما ...** تأمل الآيات القرآنية « قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . **ولم يكن له كفوا احد » هذه الآيات عبارة عن دائرة مغلقة فيها نغمة مكتملة .. ثم « فبأى آلاء ربكما تكذبان » لماذا تعاد وبقية الآيات تتبعها موسيقيا وغير هذا من معان عظيمة وصياغة وتراكيب معجزة .**

والكتاب الثانى من قراءاتى وفى حياتى **« الف ليلة وليلة »** فأنا اذكر أننى تفرغت أسبوعا فى صباى بدون اهتمام بالمأكل والمشرب لكى أنتهى من طبعة عثرت عليها عند جدي لحكايات الف ليلة وليلة .. استهوانى فيها الخيال وخاصة انها كانت مملحة بالجنسيات .

والامر الثالث فى قراءاتى كانت **روايات الجيب** ، ولعب صاحبها **عمر عبد العزيز أمين** الذى ترجم الاعمال البوليسية والروايات العالمية مثل البؤساء **لفيكتور هوجو** ، والفرسان الثلاثة وبائعة الخبز وغيرها دورا فى تعريف جيلى بالاعمال العالمية المبسطة والمترجمة ، وهو ماكانت تفعله سلاسل أخرى مثل **« روايات الهلال »** وغيرها أيضا .

●● «ديستوفيسكي» أعظم من كتب الرواية .. وذروة تفوقه في تجسيد الشخصية

●● من يثيرون موضوع مشكلة الأجيال استراحوا لهذا التصنيف العاجز

●● هل كانت لهذه الخطوط في القراءة بجانب وجود الموهبة مؤثرات على اتجاهك الى فن الرواية ؟

- يسرح محدثي مع ذكرياته لحظات ، واسمع منه الاجابة : « من صغرى أحب سماع القصص والحكاوى ، كنت أسمعها من جدتي ثم من والدى ... والدى كان عنده قدرة غريبة على رواية الحدوتة والحكاية ... اذا شهد في محكمة مثلا وعاد الى البيت لا نجلس لتناول الطعام حتى يحكي لنا كل ماشهده في المحكمة ، وكان عند والدى هذه القدرة على الحكاية التي لا استطيعها رغم كتابتي للقصة .

●● وفي فترة التكوين الفكرى ، هل ربطتك علاقات بكتاب الادب في مصر ؟ ..

- الحركة الادبية لم اكن قريبا منها ، ولكني كنت ارى من يتعاملون في الادب وقتها مجموعة من الناس بعيدة عن الناس والمجتمع بل ويعيشون على هامش هذا المجتمع والشعب بعيد عن هذا الادب .

●● ومتى اكتشفت اعمدة فن كتابة الرواية عالميا وعربيا ؟

- لم اقرأ لاى منهم قبل كتابتي للقصة ، ولكن قرات لهم واكتشفتهم بعد ممارسة الكتابة ، وانا ارى ان دستويفسكي هو اعظم من كتب الرواية ، ولكني ارى ان اعجابي به ليس مطلقا . انه اعجاب بجوانب معينة في اعماله ... فالموهوب قد يكون في الحوار أو في السرد أو في رسم الشخصيات ... دستويفسكي كان في ذروة تفوقه في تجسيد الشخصية من خلال الحوار ... لهذا فانا ارى ان دستويفسكي هو شيكسبير الرواية .. بينما شيكسبير في مسرحياته نجد الحكاية المتطورة التي تصل الى حد الرواية ..

اما تشيكوف فهو في رايي افضل من كتب الحدوتة الصغيرة البسيطة ، ولكنه في الاعمال الطويلة لم يكن على نفس مستواه في الاعمال القصيرة ، ومسرح تشيكوف مسرح مقفول ولم يكن في تطور شيكسبير وموليير ، بينما لتشيكوف وابسن مراحل متشابهة لا تصل الى شيكسبير ..

واذا قارنا اى عمل حديث بأعمال شيكسبير ، فان الاخير يتفوق ، وفي الادب



ابراهيم عبد القادر المازنى



يحيى حقى



د . على الراعى

لايوجد مايسمى بالاجيال ، فبعد اعتزال شيكسبير كان من المفروض ان يظهر من هو افضل منه ، ولكن شيكسبير بقى وحيد مجاله حتى الآن ، لدرجة اننى كنت فى لندن فى الربيع الماضى ووجدت أربعة مسارح تعرض اعمالا لشيكسبير .

●● ومن متابعة هذه الاعمال على المسرح .. هل تقدم باسلوب التناول الموجود فى تراث شيكسبير ام من خلال معالجة جديدة ؟

ـ هناك محاولات لتنويع التقديم ، فهناك فرق تقدمه كما هو وفرق اخرى تقدمه من خلال معالجة روائية بعضها تقدمه فى قالب موسيقى ، وهكذا .

●● معنى هذا ان لك رايا فيما يقال حول ادب كل جيل وتعبير كل جيل عن العصر الذى شب فيه ؟

ـ أريد أن ارد على من يثيرون مشكلة الاجيال لانه يبدو انهم استراحوا لهذا التصنيف .. أعجبهم أن يقال ان هذا أديب شاب وكفى .. المهم عطاء هذا الكاتب .. ماهى قدرته على أن يعطى ، وماهى امكانياته فى العطاء القادم ؟ وهل مايعطيه هذا الشاب يستمر أو قد ينتهى بعد عام أو اثنين ...

ومن الصعب أن تحكم على كاتب فى جيله ، فالكاتب يجب أن يمر بما يسمى **بحساب الزمن** ، هل تعيش الاعمال أم لا ... هل تلبى حاجات مجتمعات قادمة أم لا ... الشباب يتعجلون الاعتراف . قصاص شاب كتب أشياء بسيطة ويسمى نفسه أو يسميه البعض زعيم مدرسة ... أى مدرسة ؟!

●● وفى راى يوسف ادريس من الذى يؤدى الى شعور البعض بتضخيم الذات او الاحساس الوهمى بفورة الموهبة او تصور تقديم عمل دون ردود افعال حقيقية ؟

ـ المسئول عن هذا حركة النقد فى مصر .. فالحركة النقدية محدودة ومشكلة النقد فى مصر تساعد البعض على هذا التصور ... فلو انصف النقاد لعالجوا الاعمال الجديدة بموضوعية تضع كل شخص فى حجمه .. لكن اين النقاد بعد **الدكتور محمد مندور والدكتور على الراعى والدكتور عبد القادر القط وغيرهم** .

●● مشكلة نجيب محفوظ أنه يريد أن يكون مفكراً مع انه فنان قدير !

●● يجب أن يمر الكاتب بحساب الزمن .. لعل تلبي أعماله احتياجاً مجتمعات قادمة؟

●● قلت ليوسف ادريس ...من هو المفكر او الاديب الذى كنت تعتبره النموذج او القدوة قبل اقتحامك مجال الرواية والمسرحية ؟

ـ ماحدث انني كنت من خارج الحركة الادبية ، كتبت دون اتعرف على اى منهم .. بدات أكتب بالسليقة .. طالب طب يدرس فى قصر العينى يرى ماحوله ويعكسه فى كتاباته ، ولما بدات اتعرف على الحياة الادبية حولى وجدت محمود تيمور ، ولكنى لم اجد المحتوى الفنى الذى يهزنى فى التراث لاعمال مثل البخلاء للجاحظ والاغانى للاصفهانى ...

بعدها عرفت نجيب محفوظ ، وكان اول اعماله قربا منى « زقاق المدق » ثم « خان الخليلى » ، وبكيت عندما قرأتها . وانا ارى ان مشكلة نجيب محفوظ انه يريد ان يكون مفكرا لكنه كفنان اعظم من ذلك كثيرا . رغم ان الفن هو الاساس فالقصة لا تفكر لكن القصة تروى ، والناس تفكر .

ولكنى قبل ذلك تعرفت على الدكتور طه حسين اديبا فى كتابه « الايام » ومازلت اتذكر وصفه لصورة المشايخ عند الاكل وتعرفت على عباس محمود العقاد الشاعر وانا اتصوره نقلة فى الشعر العربى ...

وكان يحيى حقى اول كاتب اثارنى وبهرنى عندما قرات « دماء وطين » . ويحيى حقى فيه فحولة سبعة كتاب ، ولكن للاسف انتاجه كان نادرا ..

والمازنى كان يراعى فى كتاباته الحياء العام وما يسمى بالاداب العامة حتى اننى اذكر أننى قرأت له رواية قال فى آخر الصفحة ان البطل تبادل القبلات مع البطلة وفى الصفحة التالية عرفت أن البطلة حامل تنتظر مولودا ولم اكن احس فى كتاباته مايقولون عنه روح السخرية !

والغريب اننى لم اقرا رواية « زينب » للدكتور محمد حسين هيكل لان التخطيط لم يكن اساس قراءاتى ، ولكنى كنت اقرأ بالرغبة ، وكتاب يدفعنى لاخر وهكذا ! وما قرأته فى العلم كان اكثر من قراءاتى فى الادب.

●● واذا تركنا الادب والعلم وهما خطان اساسيان فى فكر يوسف ادريس

ماهو المجال التالي لهما في اهتماماتك وقراءاتك ؟

ـ أحب قراءة معالجة المسائل التاريخية وبستهويني مايسميه المؤرخون اعادة كتابة التاريخ وفى الفترة الاخيرة عثرت على كتاب حول **نابليون** ، فى مناسبة مرور مائتى عام على مولده احتفلوا بهذه المناسبة فى فرنسا وفى بريطانيا ايضا ووجدت فى الكتاب صورة أخرى لنابليون لم أعرفها من قبل ، قدموا فيه جوانب من شخصية نابليون لم يتطرق اليها المؤرخون من قبل ، ومن هنا فانني أود أن أقرأ عن أعلامنا بهذا المفهوم ... **احمد عرابي** مثلا انصفه كتاب الدكتور الخفيف « عرابي المفترى عليه » انصافا تاريخيا ، لكن هل تحدث عنه كانسان فلاح منذ كان متمردا شابا فى الارض التى يعمل بها ؟..

مصطفى كامل تدموه خطابيا وصحفيا وسياسيا ، ولكن لم يقدموه من خلال الابعاد الاخرى التى تفيد فى تحليل شخصيته وجوانب تاثيرها فى المجتمع ..

●● فى اكثر من مجموعة قصصية لك وخاصة فى « لغة الآى .. الآى » وجدت لغة الايمان واضحة فى حوار شخصياتك .. ذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام فى كل مناسبة ... هذه الجوانب لم يفض اليها النقاد وهم يتابعون تحليل اعمالك الروائية ؟

ـ شخصية النبي عليه الصلاة والسلام لها أبعاد هامة فى نفسى ، فانا انظر اليه كرجل وشخص له هذه الطاقات والقدرات العقلية والتاثيرية بعيدا عن حالة التقديس . **تعجبنى جدا شخصية محمد ، رجل لا يقرأ ولا يكتب يعيش فى الجزيرة العربية منذ ١٤ قرنا او اكثر ، ثم يهبط عليه الوحى ويدعو لرسالة سماوية فى** مواجهة رسالتين :المسيحية واليهودية ومعتقدات اخرى سائدة .

انا اتصور ان الشعب المصرى يعشق النبى محمدا من خلال **الفلكلور** ونفس الحب ينعكس على اهل البيت أيضا .

●● هل تساءلت لماذا اختار الكاتب الامريكى مايكل هارت النبى محمدا لكى يضعه فى صدر قائمة « الخالدين المائة » ويقول ان اعظمهم محمد رسول الله ؟..

ـ اعتقد ان النبى يستحق ان يوضع على رأس من الرواد فى تاريخ البشرية فالنبى خلال عشرين عاما من الوحى بالرسالة استطاع أن يحقق مايغير حياة البشر ، واعتقد ان **مايكل هارت استطاع بكتابه ان يرد على الكتاب المتعصبين ممن لم يفهموا شخصية النبى وتاثيره** وبالتالى تجاهلوا عوامل العظمة فى شخصيته وفى رسالته واهتموا بقشور أخرى تشفى غليل تعصبهم غير الموضوعى .

●● وكيف تتصور كاتبا مسيحيا يضع رسول الاسلام فى المكانة الاولى ويفضله على كافة الرسل ــ على اعتبار انه متدين ــ كما يفضله على كافة الفلاسفة والزعماء والمفكرين ــ لو اعتبرناه علمانيا ؟

ـ ميزة الاسلام أنه دين لم ينتظر المعجزات لكى يقربها من العامة .. معجزة النبى القرآن الكريم .. فالأجيال التى لم تعاصر ظهور بعض الأنبياء الآخرين لم يشاهدوا احياء الموتى او ابصار الاعمى . فى مسرحية للكاتب الانجليزى **برناردشو** يقول فى الحوار انه لا علاقة بين قيام معجزة والفكرة

•• عناصر الثقافة مثل جناحي الفراشة والحركة الثقافية في حاجة إلى الحركة النقدية

.. فالاسلام أكثر عقلانية وأكثر ارتباطا بالانسان .. فالاسلام دين واقعي وأكثر اقترابا من الانسان في مسائل الزواج والعلاقات الاجتماعية والاحوال الشخصية حتى في مسائل التحريم ، فأنا أرى ان الخمر طبيا ضارة .. واجتماعيا ضارة ، وكذلك هناك فلسفة وراء المحرمات الأخرى .. وفكرة الوحدانية كانت ضرورية حتى في معالجة مشكلات وقضايا الاجناس والشعوب وحتى في الجزيرة العربية حينما نزل الاسلام كانت القبائل العربية تحتاج الى الوحدانية ، فالجزيرة العربيـة كانت مكونة من أكثر من ٨٢ قبيلة يتحدثون عنها حتى اليوم . فالوحدانية أعطت العرب والعالم معنى لقيمة الاتحاد وتقارب البشر .

●● قلت للدكتور يوسف ادريس: ماهي خصال وصفات النبي محمد التي جعلته « أسوة حسنة »وقدوة للسلوك الانساني .. وماهي أقرب مكونات شخصيته اليك كروائي متفوق في تجسيد الشخصيات ؟

— بعيدا عن النظرة الى النبي محمد الرسول ، لو تناولنا النبي محمدا قائل الاحاديث النبوية ،محمدا الكاتب ،نراه شخصا حكيما ، انسانا بشرا يواجه مشكلات عادية ومتغيرة « انما انا بشر مثلكم » وفي احدى الغزوات سألوه هل هذا منزل من الوحي ام رأيك أنت ؟! قال لهم النبي تعالوا نتناقش ، وهـذا مكمل لرسالته .. ولكن تقديس النبي وافعاله ليس من الاسلام في شيء ، وهناك فارق بين القدوة والتقديس ، فليس هناك مبرر لكي يحلف الناس بالبخاري ، وهو كتاب يجمع الاحاديث النبوية .. والنبي كانسان في مجتمع كان صادقا مخلصا أمينا مبتسما محاربا .. شجاعا يحب الجمال ويقدر الغير .

●● هل فكرت في الكتابة عن النبي .. وهل قرأت ما كتب عن النبي في السيرة النبوية وفي كتابات المعاصرين ؟

— ارجو ان اتمكن من الكتابة عن الانسان محمد بن عبد الله ، ولكنى لم اتجاوب مع كتب السيرة النبوية لأنها لم تكتب بالأسلوب الذى يروقنى .. قليلون كتبوا عن النبي بشكل جيد مثل أحمد أمين في ضحى وفجر الاسلام وكتاب الدكتور هيكل حياة محمد) ولكن كتاباتهم تقترب كثيرا من القداسة بينما كان عباس محمود العقاد قريبا من العقلانية في تناوله لعبقرية محمد







د. عبد القادر القط — محمود تيمور — تشيكوف

●● قلت لصاحب الروايات العديدة التي صورت الشخصية المصرية : حبك لمصر والمصريين يصل الى حد الشفافية والوضوح في معالجة المزايا والعيوب ما هي في رأيك سمات الشخصية المصرية ؟

ـ المصريون لديهم طموحات ولديهم مشكلات ، ولم تصل مشكلاتنا الى حد الامراض التي تصاب بها بعض الشعوب .. **وحبي لمصر والمصريين لايصيبني بالعمى عن رؤية مشكلاتنا ولكن يعطيني القدرة على الادراك والانسجام مع هذه الشخصية** .. وقد تجد في المصريين صفات عند الاكثرية ، وأخرى عند الأقلية .. مثلا الموظف المصري تنتشر عنه صور من الخناعة أو النفاق في مسألة التعامل مع الرؤساء ، أحيانا لا تكون الكفاءة هي مقياس التقدير ، بل يكون التعامل بين الرئيس والمرؤوس ولا يبذل البعض الوقت في العمل بل في اظهار قدرات النفاق لرؤسائهم وهكذا .. والمصري يختلف من مكان لآخر فالمصري في الاسكندرية غيره في القاهرة ، يختلف عنه في الصعيد ، وعن المصري في الشرقية .. الاسكندراني يفضل منطق القوة و « الجدعنة » ويتصوره شهامة ، لكنها عدوانية في بعض الاحيان ، الشرقاوي يمتاز بالطيبة والقاهري يجمع خصالا متنافرة ولا تجمعه سمة مع غيره ، فالقاهرة وعلى مدى التاريخ كانت في طريق القوافل والحركة فهي مقر لتجارة « الترانزيت » ، وكان أصدق من صور القاهرة الحقيقية نجيب محفوظ في الثلاثية ..

فالقاهرة لم تنشأ مدينة مثل الاسكندرية ولكن نشأتها مجموعة من الناس تجمعوا لهدف معين ومن اختلاف ظروف النشأة عن ظروفها كعاصمة اليوم . الا ان القاهرة ليس فيها سمات وخصائص شخصية لسكانها بل والشعب الذي يعيش فيها .

●● اذا قلنا ان يوسف ادريس يعبر عن وضوح وتفوق في مجال الرواية العربية وكذلك نجيب محفوظ الذي يمزج بين الفن والفكر في رواياته .. هل نجد من يماثلك على المستوى العربي ؟

ـ **الطيب صالح** في السودان ، وهو فنان حقيقي .. **حنا مينا** في سوريا . **عبد المجيد الربيعي** في العراق .. **ابراهيم الفقيه** في ليبيا ، وغيرهم كثيرون في لبنان والجزائر وتونس وغيرها من الاقطار العربية .

محمد

بناء الجيل الجديد في عهد الرسول

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

— ١ —

● لست اعنى بالمعجزة هنا المعجزة التى ايد الله بها رسوله الكريم، محمدا صلوات الله عليه ، وهى المعجزة الباقية الخالدة ، معجزة القرآن الكريم ...

ولست كذلك اعنى بها ماظهر على يدى محمد ، صلى الله عليه وسلم من معجزات اخر باهرات كانشقاق القمر ، وكالاسراء والمعراج ، وغير ذلك — انما اقصد هنا نوعا آخر من المعجزة .

ولقد كانت حياة محمد بن عبدالله معجزة كبرى فى حياة الانسانية منذ ان بلغ سن الشباب ، حتى وفاته صلوات الله عليه . كانت حياته فى اخلاقه ، وفى طموحه ، وفى غنى نفسه الكبيرة ، وفى رجولته وبطولته وصموده ونضاله ، ثم فى حمله امانة الرسالة ،واعباء هداية الناس الى التوحيد ، والى السلوك الانسانى الرفيع ، والى كل قيم الحياة النبيلة ، والى الايمان بالله وحده ، والى طاعة الله حق طاعته ، وعبادته حق عبادته . ذلك كله كان معجزة كبيرة صنعت المعجزات ، وبنت للبشرية صرحا شامخا من المبادىء والمثل الرفيعة التى لم يكن الناس يفكرون فيها من قبل ولا كان أحد يحلم بأنهم سيفكرون فيها فيما بعد ..

ومع ذلك فانى لا اقصد أن اتحدث عن المعجزة فى هذه الحياة العظيمة ، بكل مقاييس العظمة ، ولا أن اتحدث عن أثر هذه الحياة فى بناء ودعم الاسس الجديدة لحضارة عالمية جديدة .

وانما اقف هنا متأملا فى جانب من جوانب المعجزة فى حياة محمد ، وهى بناء هذا الرسول الكريم للجيل الذى سوف يحمل امانة الرسالة من بعده ، ليقود بها الانسانية ، وليملك بها زمام العالم ، وليضع أصول البناء الجديد لعصر جديد ، يؤمن بالحق والعدل ،

وبالحرية والمساواة والاخاء ، ويحترم حقوق الانسان ويدافع عنها ، ويعمل على حمايتها بشريعة الله التى نزلت على رسول الله ، محمد بن عبد الله .

ولابد ان يدرك المفكر اهمية بناء الجيل الجديد فى مستقبل الامم والشعوب ، بل وفى مستقبل الحضارة والانسانية قاطبة .

واظن ان الانسان المتأمل فى اعماق دروس التاريخ يدرك تمام الادراك ان جميع قادة الشعوب ، قد فشلوا فشلا ذريعا فى بناء الجيل الذى سوف يخلفهم ، من بعدهم ، وكان لهذا الفشل اثره فى انهيار اعمال كبيرة ، وامم كثيرة ، ومجتمعات راقية ، وفى ضياع كثير من الدعوات والمبادىء التى كان يمكن ان تخدم التقدم الانسانى وهذه الظاهرة نراها فى القديم وفى الحديث .

— ٢ —

ومن البدهى الواضح فى حياة رسول الله ، محمد بن عبد الله انه اتى بمعجزة مابعدها من معجزة ، وانه نجح فى هذا الصدد نجاحا باهرا ، اذ استطاع — بقدرة معجزة باهرة ، وبالهام وتسديد من الله جلت قدرته — ان يبنى جيلا رائدا ، اخذ الراية من بعده ، صلى الله عليه وسلم ، ورفع الراية خفاقة حيث حملها وركزها فى كل ركن من اركان العالم ، دون ان تطيش يده ، او يختل تفكيره ، او تضيع مثله ، او تسقط مبادئه .

وبناء الرسول الاكرم لهذا الجيل الذى خلفه ، هو فى رأيى اعظم المعجزات فى حياته ، صلوات الله عليه .

اما كيف بنى الرسول هذا الجيل . فامره وشرحه يطول .. ولا تسل عن ذلك ، ولكن تتبع تاريخ صحابة رسول الله ، وقل لى : ماذا رأيت ؟ وبماذا نكرت ؟ وانت تقرأ بطولاتهم ، وسير حيواتهم ، ومعجزات الاعمال التى قاموا بها على امتداد الايام ، حتى مع ظهور الخلافات الدينية والسياسية فى مجتمع المسلمين الاولين ...

ونحن نعلم أن اكثر الزعماء والقادة كثيرا مايكرهون ان يوجد معهم جيل قوى رائد يشاركهم الاعباء ، ويحمل معهم المسئولية ، اما اثرة ، واما خوفا ان يسلبهم ماكدحوا فى بنائه من الملك العريض ، او الجاه الواسع . وانهم كثيرا مايطفئون الانوار من حولهم ، ويعملون على اطفاء الشخصيات القوية التى تتحرك معهم وفى محيطهم ، وكثيرا ما يحددون المنطلقات التى يمكن ان يتحرك فيها اعوانهم وانصارهم ، حتى لا يفكر احد منهم فى ان يستحوذ على النفوذ فى يديه .

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مبرأ من ذلك كله ، فقد اوقد الانوار كلها ، وفتح الابواب واسعة أمام طموح القيادات الشابة ، وشجع الكثيرين منهم على حمل مسئولية كاملة ، والقى اليهم باعباء التوجيه والقيادة والتنفيذ كلها ، واوجب عليهم الالتزام الكامل بالمبادىء ، ولم يفرط فى محاسبة الصغير ولا الكبير على مايرتكبه من انتهاك لحرمات الله وحرمات قانون الاسلام ، او من تعد على حقوق الانسان وكرامته فى الحياة .

وعندما سرقت امراة مخزومية وجاءاهلها لرسول الله بشفاعات كثيرة ، حتى لا تنفذ فيها حدود الله ، ابى الرسول الاعظم ، وغضب ، وقال : « والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »

تربية الرجال او الجيل الجديد على المبادىء الشريفة وعلى الالتزام الكامل بامانة المسئولية ، وعلى الشعور العميق بان ذلك كله هو ارادة الله ، وهو الالتزام التام باحكام دين الله وشريعته .. هذه التربية الناجحة القوية ، هى تربية محمد لاصحابه .. لم يكن فى

وسط صحابة رسول الله احزاب ولا شيع ، ولا طائفية ، ولم تفسد المجتمع الاسلامي الجديد مفاسد « السلبية » والانصار والاتباع والاصهار، ولم ينقسم هذا المجتمع الى سادة وعبيد ، والى اباطرة ومقهورين .. بل خضعوا كلهم ودون استثناء لقانون واحد ، شريعة واحدة ، نظام واحد ، عقيدة واحدة .

حين دعا رسول الله بني عامر بن صعصعة الى الاسلام ، قالوا له : ارايت ان نحن تابعناك على امرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، ايكون لنا الامر من بعدك ؟ قال محمد لهم : الامر لله يضعه حيث يشاء .

وحين ذهب عروة بن مسعود الثقفي الى المدينة في الرابع والعشرين من ذي الحجة عام ٨ هـ ، ولقي رسول الله ، واعلن بين يديه اسلامه عاد الى قومه ، فقال لهم : « ياقوم ، اني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في دولته ، والنجاشي في سلطانه ، والله **ما رايت ملكا قط مثل محمد في اصحابه»**

وفي فتح مكة خرج ابو سفيان بن حرب **ليلا ليشهد جيش محمد في الصحراء، وليختبر مدى قوة هذا الجيش ، ومدى صمود مكة امامه ، ولم يلبث ان التقى بعم محمد ، بالعباس بن عبد المطلب ، فامنه العباس على نفسه ، وخرج به الى عرين الجيش ، ليشاهده بعينيه لا يستطيع عقله ان يدركه ، ولما تيقن ابو سفيان ان لا قبل لقريش على ملاقاة جيش محمد ، التفت الى العباس وقال له : لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما ، فقال له العباس : يا ابا سفيان انها النبوة لا الملك .**

سيادة المبادىء ، والمثل الشريفة ، والالتزام الكامل باحكام القرآن، وبتعاليم الشريعة ، واتاحة الفرص المتساوية للافراد المتساوين ، وفتح النافذ والنوافذ امام كل انسان ، واغلاق ابواب الاثرة والمحسوبية والشفاعات والحزبية والطائفية والقبلية والشللية .

ذلك كله هو اساس تربية الجيل الجديد، الذي رباه رسول الله على يديه ، وصنعه باعينه ، ووضعه على طريق المسئولية الكاملة ، والزمه حدود ماشرعه الله ، وجعله مسئولا عن كل عمله صغيرا او كبيرا ، خيرا او شرا ..

— ٣ —

وفي الجيل الذي رباه رسول الله: ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن الوليد ، واضرابهم ، ومئات وآلاف من اشباههم . ومع ذلك كله كان الجيل الجديد موحد العقيدة واللغة والهدف والنزعة والغاية وكانت قلوب هذا الجيل الرائد العظيم مملوءة بحب الخير ، والايثار ، والنصفة ، والعدل والاحسان ، والرحمة ، والمروءة ، والاريحية ، والشهامة ، والبطولة .

كان جيلا فذا ملهما عظيما ، ليس مستعدا لان تسقط الراية من يده ابدا،

وكان جيلا يعرف قيمة **الكلمة والالتزام** بامانة المسئولية ، **ويعرف** الحق والباطل ، ويقف **مع الحق دائما وابدا** ، وكانت الكلمة عنده **هي الحقيقة** الناصعة ، **لا تزيفها الشعارات ، ولا** تناقضها الحقائق ، **ولا تبطلها احكام** الواقع ، **ولا صدق الرؤية ، وكان حب** الدين وحب الرسول عنده **من حب الله .**

ابو سفيان المشرك الذي حارب رسول الله ، ورسول الله هو صهره وزوج ابنته ام حبيبة ، يقدم الى المدينة ، ليفاوض رسول الله في اطالة مدة الهدنة بينه وبين قريش ، ويذهب ابو سفيان الى ابنته ام حبيبة يزورها ، ويدخل حجرتها ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلوات الله عليه طوت ام حبيبة الفراش دونه ، وقالت لابيها : انه فراش رسول الله وانت امرؤ مشرك فلا تجلس عليه ، وكان الى ابي سفيان راية الرؤساء في « قريش مكة» وكانت هذه الراية تسمى « العقاب » فاذا قامت الحرب اجتمعت قريش

فوضعتها في يدي أبي سفيان ، وكان أعظم قريش رأيا في الجاهلية ثلاثة : أبو سفيان ، وأبو جهل ، وعتبة ، وجميعهم تولوا قيادة قريش في معركتها ضد رسول الله . وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام ، والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ، والاسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، يمثلون في مكة وفي قريش جبهة المعارضة لدعوة رسول الله ورسالته ، حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، وهو عبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان أخا للرسول من الرضاعة ، أرضعتهما معا حليمة السعدية ، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله ، كانا من أشد الناس عداوة له ، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة ، قال له ابن عمته عبد الله بن أمية : « والله لا أومن بك أبدا ، حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله ، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك » وكان كذلك من جبهتهم : الأخنس الثقفي وأبي بن خلف الجمحي ، والعاص بن وائل السهمي ، وغيرهم ، ولما قتل أمية بن خلف في بدر خلفه ابنه صفوان في معارضة رسول الله وفي عداوته للدين ، وهزم صفوان وانتصر محمد ، وهزمت المعارضة ، وانتصرت الرسالة والرسول ولا ننسى أن صفوان قد دبر مؤامرة لقتل رسول الله بعد غزوة بدر ، فأرسل لهذه المهمة أفتك شاب في قريش ، وهو ابن عمه عمير بن وهب الجمحي ، وفشلت المؤامرة ، وأسلم المتآمر عمير ، وكان صفوان في مكة يقول : أبشروا بحادثة تأتيكم قريبا في أيام تنسيكم هزيمة بدر ، فلما علم بأن ابن عمه عميرا قد أسلم ، صار مهموما مغموما ، يحلف أن لا يكلم عميرا أبدا ، ولا يؤدي له منفعة

وكان عمير هذا زوج عمة النبي ، وهي أروى بنت عبد المطلب . وبعد فتح مكة هرب صفوان الى جدة ليركب منها سفينة تذهب به الى اليمن فرارا من رسول الله ، فجاء عمير للرسول يسأله أمانا لصفوان ، فأمنه رسول الله وذهب عمير فأدرك صفوان في جدة ، وقال له : يا صفوان ، انه ـ أي محمدا ـ ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك . وأخذ يستعطفه حتى عاد معه الى مكة ، وكان يمكن لمحمد أن يحاكم صفوان ، ولكنه وفى بأمانه له ، وهو الوفي دائما أبدا ، وانتهى الأمر بصفوان الى الاسلام . وفهم صفوان بعد اسلامه أنها النبوة وليست الملك .

ولننظر الى مروءة الرسول الأكرم ، فتحت حائل ودخلت في الاسلام ، وهرب شريفها عدي بن حاتم الطائي الى الشام ، وأسرت أخته ، فذهب بها المسلمون الى المدينة ، وعفا عنها رسول الله ، وأرسلها مكرمة الى أخيها في الشام ، ولم يلبث « عدي » أن رأى ذله وهوانه في المنفى . فذهب الى المدينة ، ولقي رسول الله ، فأكرمه ، لكرم بيته في العرب ، ولم يلبث عدي أن دخل في دين محمد .

أمثلة كريمة من معاملة رسول الله لأعدائه ولأنصاره كذلك معا .

• وكانت هذه الأخلاق النبوية هي الرابط الحقيقي بين محمد وأصحابه . . وهذا هو عثمان بن مظعون القرشي الجمحي يعيش في مكة في أمان الوليد بن المغيرة . وفي ليلة جلس الى نفسه ، يقول لها : أيلقى رسول الله وأصحابه ما يلقون من أذى قريش والمشركين ، وأنا أغدو وأروح في أمان الوليد ، لن يكون ذلك أبدا . وسار مسرعا الى دار الوليد ، يقول له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد كنت كريما في جوارك ، وقد أحببت أن أعيش في جوار الله وحده ، فقال له الوليد : لعلك يا ابن أخي أوذيت أو انتهكت حرمتك ، فرد عليه عثمان : لا ، ولكني

ارضى بجوار الله ، ولا اريد ان اكون فى جوار غيره ، فقال له الوليد : اذن ، فانطلق الى المسجد الحرام فاعلن ذلك فى الناس . فقال له عثمان: نعم ، وكرامة .

وخرج الوليد ومعه عثمان بن مظعون الى المسجد الحرام ، فوقف على الناس يقول لهم : هذا ابن مظعون قد جاء ليرد على جوارى ، ويقول عثمان : صدق ولقد وجدته وفيا ، كريم الجوار ، وقد احببت أن لا استجير بغير الله ، فرددت عليه جواره ..

واستهزأت قريش بابن مظعون ، وقام اليه فتى قرشى فضربه حتى ادمى وجهه ولطم عينه ، فقال له الناس من حوله : والله لقد كنت فى ذمة منيعة ، وكانت عينك غنية عما لقيت ، فرد عليهم عثمان : « بلى جوار الله آمن واعز وامنع ، وعينى الصحيحة فقيرة الى مالقيت اختها ، ولى برسول الله وبمن معه أسوة حسنة » .

وكان كذلك عبد الله بن مسعود اول من جهر بالاسلام وبالقرآن فى مكة بعد رسول الله ، فقامت قريش اليه فجعلوا يضربونه فى وجهه ، حتى أثروا به ، فقيل له : هذا ماكنا نخشى عليك ، فيرد على القائلين : ماكان اعداء الله قط اهون على منهم الان .

ولننظر الى جيل أصحاب رسول الله ، فسنرى عجبا ، عظمة فى الفعل وعظمة فى القول وعظمة فى العقيدة لا تدانيها عظمة ، الرجال والنساء فى ذلك منهم على حد سواء ...

— ٤ —

وهذا الجيل العظيم هو الذى فتح العالم ، وملك الدنيا ، وحكم الشعوب ، وهز الامبراطوريات ، ونشر دين الله فى كل مكان ، واثل الملك ، وبنى الحضارة ، ونشر العلوم والفنون والاداب فى كل مكان .. انه جيل محمد ، ومدرسة محمد ، انه غرس تعاليم القرآن الكريم .

وهذا الخليفة عمر يضرب القدوة للحاكمين ... كان هو وخلفاء رسول الله يحرصون على تربية الجيل الثانى الذى يخلفهم حرصا شديدا ، وكان عمر يولى ذلك عناية كبيرة : يجتمع بالشباب المسلم فى المدينة كثيرا ، ويناقشه ، ويعرض امامه المشكلات ، ويفكر معهم فى الحلول العاجلة لها ، ويقول ابن شهاب الزهرى لتلاميذه : لا تحتقروا انفسكم لحداثة اعماركم واسنانكم ، فان عمر ابن الخطاب كان اذا نزل به الامر المعضل دعا الشباب الفتيان ، فاستشارهم ، يريد أن يختبر قدرتهم فى حل المشكلات ويبتغى كذلك حدة عقولهم .

وكانت تربية الجيل الجديد فى عصر الرسالة تعتمد على تكوين عقائدهم وعقولهم قبل كل شىء ، وترتكز على الحقائق والاعمال دون ماسواها .

كان عمر يرحب بالنقد والناقدين ، لا يضيق بذلك صدره ، ويحرص على العدالة التامة حرصا شديدا ، ولو على حساب نفسه ، جاءته حلل ثمينة من حلل النساء ، فقال احد أصحابه له : لو ارسلت بهذه الحلة — واشار الى انفسها جميعا — الى امرأة ابنك عبدالله ابن عمر ، وهى صفية بنت أبى عبيد ، وكانت حديثة عهد بالزفاف اليه ، فرد عمر فى شدة وصرامة ، وقال له: سابعث بها الى من هى أحق بها منها ، الى أم عمارة ، نسيبة بنت كعب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم احد : « ما التفت يمينا وشمالا الا وانا اراها تقاتل دونى »

هؤلاء هم أصحاب رسول الله الذين تخرجوا على يديه ، وفى مدرسته الكبرى ، فاضاءوا الدنيا ، ونشروا هداية السماء ، وهدوا الانسانية الى كلمة الله ودينه وكتابه الحكيم ، رضى الله عنهم ، وعن سيد الخلق ، محمد بن عبد الله .

من التراث المعاصر

محمد وعلماء الأفرنج

● درس علماء الافرنج تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل، ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فليا، ونقشوها بالمناقيش، وقراوا القرآن بلغته، وقراوا ما ترجمه به اقوامهم، وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد، وتاريخ الاديان، سيما الديانتين اليهودية والنصرانية، وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من الافتراء على الاسلام والنبي والقرآن، مما اشرنا الى بعضه آنفا — فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتيه:

« إن محمدا كان سليم الفطرة، كامل العقل، كريم الاخلاق، صادق الحديث، عفيف النفس قنوعا بالقليل من الرزق غير طموع بالمال، ولا جنوح الى الملك، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر والمباراة في تحبير الخطب ولا قرض الشعر، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية، كالخمر والميسر وأكل اموال الناس بالباطل.

وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد النبوة، جزموا بانه كان صادقا، فيما ادعاه بعد استكمال الاربعين من سنه من رؤية ملك الوحي، واقرائه اياه هذا القرآن، وانبائه بانه رسول من الله لهداية قومه. فسائر الناس ».

وزادهم ثقة بصدقه: ان كان اول الناس ايمانا به واهتداء بنبوته اعلمهم بدخيلة امره، واولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة ومولاه زيد بن حارثة الذى اختار أن يكون عبدا له على ان يلحق بوالده واهل بيته ويكون معهم حرا، ثم ان كان الذين آمنوا به من اعظم العرب حرية واستقلالا في الراى ولا سيما أبي بكر وعمر.

ثالثا المؤمنون بالله وملائكته وبأن للبشر أرواحا خالدة من هؤلاء الافرنج لقد آمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على علم وبرهان.

وهم يزيدون عاما بعد عام، بقدر ما يتاح لهم من العلم بالإسلام.

واما الماديون فلم يكن لهم بد من تفسير لهذه الحادثة او الظاهرة التى لاريب في صحتها وثبوتها، وتصويرها بالصورة العلمية التى يقبلها العقل الذى لا يؤمن صاحبه بما وراء المادة او الطبيعة من عالم الغيب.

فدحوا زناد الفكر، واستوروا به نظريات الفلسفة، فلاح لهم منه سقط ابصروا في ضوئه الضئيل الصورة التى اجملها الاستاذ «مونتيه» في عبارته التى نقلها عنه آنفا، وفصلها « اميل درمنغام » وغيره..

السيد محمد رشيد رضا
من كتابه: « الوحى المحمدى »

محمد بين الأنبياء

● د. محمد كمال جعفر ●

● كان الكلام اذن اول الدروس الالهية لنا فى شخص ابينـــا آدم ، وكانت المعرفة اليقينية مضـــمون هـــذا الكلام ، فكانت الزاد السماوى لآدم وذريته فى الارض .

وكما بدأ الله مع آدم بمعجزة الكلام ختمها مع محمد صلى الله عليه وسـلم بنفس المعجزة ، فكما علم آدم الأسماء ، آتى محمدا القرآن ، جامع الصـــفات والأسماء .

وكما شرف آدم بالادناء والقــرب ، توج شرفه بدعوة محمد الى حضرة القرب فعز البادىء بالخــاتم ، فتاه برفعته آدم .

●

ولكى ندرك القيمة الحقيقية للدعوة المحمدية التى بدأت بالرحمة واختتمت بالرحمة وعمتها الرحمة فيما بين ذلك — لكى ندرك هذه القيمة علينا أن نتـأمل طبيعة الديانات الســـماوية الثلاث الكبرى . لنصل الى ما يقرب الى أذهاننا ما نعنيه .

ان المتأمل فى الديانة اليهـودية فى تطوراتها المختلفـة يدرك على الفـور أن كثرة القوانين وصرامتها فى هذه الديانة تدل على أنها ديانة أعدت لشعب يصعب عليه الالتزام ، ولذا كثرت أخطاؤهم مع الله ، وكثر عتابهم ثم العفو عنهم .

لقد اوغلـوا فى حب المـادة لدرجـة جعلتهم يعبدون العجـل فى حياة النبى موسى عليه الســـلام بينما هو كان على موعد مع ربه . ولما كان اخلاد هؤلاء الى المادة والتشبث بها متمكنا فى أعماقهم ومسيطرا عليهم ، لم يكن لهم ليسمعوا لمن يدعوهم الى الزهد أو احتقـار المادة والتعامل بأسلوب التســامح . ولو استمر الأمر على هـذا النحـو من توغل فى المادية المفرطة والظلم الفاحش ،لهلك الناس وتوقفت الحياة ، فكان لابد من شىء يهز هؤلاء من الأعماق ، لابـد من شىء يذهلهم ويوقظهم الى أن المادة ليست كل شىء ، أن فوق المادة خالقها وميسر الانتفاع بها .

فكان مجىء ســيدنا عيسى عليــه السلام — على النحو الذى جاء به — هو هذا الشىء الذى يهـز من الاعمـــاق ، ويفيق سكارى المادة ، ومخـدرى الجاه والسلطان .

.. وليد من مصون عفيفة لم تتزوج، ينطق مفصـــحا عن برنامج حيــاته والمهمات التى أوكلت اليه حتى النهاية — هذا الوليد يتـول عن والدته موقف

المواجهة الصعبة بمعجزة أصعب .

ان كل ذى بصر وكل ذى عقل لابد وان يتوقف ويدهش ليسال نفسه : ما معنى هذا ؟

ومما لاشك فيه أن الدفق الروحى العيسوى كان غلابا بمقدار تشبث القوم بالجاه والمادة ، حتى ان كثيرا ممن أوقدتهم حياة المسيح وأقواله قرروا الفرار من الدنيا والانقطاع كلية الى حياة العبادة والنسك والرهبنة . وهكذا وجد فى الحياة تطبان متعارضان . أحدهما ينزع الى القسوة والمادة فى صلف وبطش ، والآخر ينزع عن كل أعراض الحياة الا ما لاغنى عنه . وهذان المنزعان بالطبع لم يولدا من نفس الديانتين وانما تطور بهما اهلهما .

***

ووفاء بحق الرحمة التى كتبها سبحانه على نفسه ، كان لابد من بعث نسق من الحياة يجمع بين المادة والروح فى اتزان ينسجم مع حكمة الله فى الارض ، ويتفق مع طبيعة المرحلة التى كانت تمر بها البشرية حين اشرقت الارض بنور ربها المثل فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا يتصور عاقل أن تظل السماء مرسلة رسلا وديانات الى ما لانهاية ، بعد ان تبين الرشد من الغى وبعد ان رشدت الانسانية ، واهتدت الى هذا الكنز الثمين — العقل ووجهته الوجهة الناجحة فى عالم المادة .

ومما لاشك فيه أن الله جل جلاله قد بث فى كونه آيات ودلائل وشواهد تدعو كل عقل نزيه منصف الى التامل والاعتبار والوصول الى الحق الصريح غير المزوق .

ولذلك كان الاسلام خاتم الأديان ، وكان محمد خاتم النبيين لأن الاسلام هو النسخة الالهية الجامعة ، ولأن محمدا هو النسخة النبوية الجامعة . كلاهما جمع من مكارم الله وآدابه وأحكامه ما وعاه سائر النبيين والرسل وهذا واضح من النص القرآنى فى قوله تعالى « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ..** »

***

واذا كان اشتمال الاسلام على خلاصة المكارم والآداب والأحكام والعقائد الالهية المبثوثة فى الأديان السماوية فى صورها النقية أمرا واضحا من القرآن والسنة ومن الدراسات الفقهية والتاريخية ، فان أمر جمع محمد لمكارم الأنبياء قد يحتاج الى ايضاح .

لكن الذى يلفت **الأنظار حقا ما ورد** فى القرآن فى غير **موضع من أمر** الرسول صلى الله **عليه وسلم بأن يتبع** ملة ابراهيم حنيفا ، **ويعرض القرآن** صورة ابراهيم **فاذا هو حقيقة كما يقول** القرآن « كان أمة » **وتعرض مواقفه** الخالدة فاذا هى **المثل الأعلى للحب** والفداء والتضحية **والسخاء وكن الجانب** والرحمة والمروءة **والشهامة وكلها مسجلة بصور تجليها فى القرآن فى مواضع كثيرة** .

وربما غابت عن الكثيرين قيمة مروءة ابراهيم لأنهم فى غمار الاعجاب بمحبته لله وايثاره على ما ومن سواه ، حتى فلذة الكبد — فى غمار الاعجاب بهذا

يتسون الدور الحقيقى الذى كان يؤديه ابراهيم فى شتى المجالات . لقد كان ابراهيم فى كل موقف ، قناة رحمة يرتوى منها الصادر والوارد ، حتى العصاة لم يحرموا رحمة ابراهيم . والالمام بمكارم الشخصية الابراهيمية لا يتسع له المقام ، ولكننا نعرض من هذه الجوانب ما يكشف عن المدى الرحب الذى تتفسح له هذه الشخصية وعن الحكمة فى تسميته عليه السلام بأبى الأنبياء فكرا وفعلا ، فمنه تتابعت حلقات الأنبياء فى هذه السلسلة النوارنية من ولد يعقوب ، وجاء الاوحد والأحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل .

***

وباستقراء الحياة المحمدية والسيرة النبوية نعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان كما قال عن نفسه « دعوة ابراهيم » المتحققة المتجسدة الخالدة التى لا ينتهى اثرها حتى تقوم الساعة .

لقد اخبرنا القرآن بأن الله ما ارسل محمدا الا رحمة للعالمين ، وكما يقول اسلافنا بحق ان الرحمة من صفات الذات ، والغضب من صفات العدل ، والعدل فعل ، وفرق كبير بين صفات الذات وصفات الفعل ، ولهذا نقول : الله الرحمن الرحيم ، ولا نقول « الله الغاضب » أو الغضبان . ولذلك يقال أيضا ان حكم الرحمة لازم ، وحكم الغضب عارض ، وبهذا يعلل تقديم البشارة على الانذار ، والرحمة على الغضب أو العقاب كما قال سبحانه « نبىء عبادى انى انا الغفور الرحيم . وان عذابى هو العذاب الاليم » .

وهذه الرحمة العامة افاضها الله على يد محمد حتى عمت الأحياء من انس وجن وحيوان ونبات وبرزت الرحمة من فمه صلى الله عليه وسلم ومن يده ومن قلبه ومن كيانه كله حتى صاغ مجتمعا كاملا تتخلل الرحمة والمودة قلوب افراده . لم يكن الرسول رحيما فقط ، بل كان مربى الرحماء الذين اصبحوا بدورهم قنوات رحمة تستمد فيضها من حال النبى ومقاله .

ولا غرو أن يقول صلوات الله عليه ((اصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم)) .

فكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم

***

ويسفر الصبح عن مقام محمد حقيقة بليلة الاسراء والمعراج اذ بلغت به البشرية اقصى ما اريد لها — وهل بعد هذا التقريب والتشريف مطمع ؟ وهل بعد حشر النبيين وائتمامهم به صلوات الله عليه مقالة لقائل ؟

لقد فتح الله لنا فى محمد سبيلا اليه ، وخلد هذا التشريف لنبيه بفرض الصلاة التى هى الصلة الدائمة بين العبد وربه مهما غلظت الأرض وقست الحياة . لقد عاد الينا صلوات الله عليه وقد أتاح لنا أن نذوق من بعض نفحات القرب ما يسمح به نقاء قلوبنا وحضور أرواحنا خمس مرات فى اليوم والليلة

وشاءت الارادة الالهية أن تسجل كل حركة فى الصلاة اشارة الى هذا التقريب والتشريف فكأنها معراج لكل انسان ، وهكذا يحمل كل انسان اداة رقيه واتصاله حتى يضمن سلامة الاداء لقواه وملكاته وينعم بالحياة الطيبة .

ولو شاء الله أن تكون حادثة المعراج هى النهاية بغير عودة لقبضت

رحمة الله عنا، ولخيم الظلام على ربوعنا وعدنا الى التيه والحيرة .

لقد قال بعض المفكرين المسلمين على سبيل الاستظراف«لو انني كنت موضع النبي ما عدت الى الارض ثانية بعد ان ذقت حلاوة القرب وعز الجوار » ولكن هؤلاء يغفلون عن الحقيقة التي بدأت بآدم ولابد أن تختم بمحمد. لقد خلق آدم ولم يكن يدري أو يعي شيئا فعلمه الله تعليما مباشرا واهبطه الى الارض ليصارع التراب ويعود الى ربه كما براه سليم القلب نقي الضمير ، ولابد أن يعين ذريته على ذلك . ولابد أن تستمر رسالة هذه الكواكب السيارة بالضياء والهدى . حتى اذا جاء أوان محمد « الخاتم » كان لابد أن يرى موضع القرب الذي نعم به أبوه من قبل ،ليعود الى الأرض كما هبط اليها أبوه . مع هذا الفارق الضخم ، وهو أن تقرب محمد يتم في غمار الحياة ، بينما تقريب آدم بدأت به الحياة ،وان هبوط آدم كان عقوبة،وان أدت الى مثوبة ، وهبوط محمد كان رحمة مجبوبة .

لقد صدق القائل :

ان الكمل جميعا من أمته ، فمن تقدم عنه بالزمان سمي نبيا أو رسولا ومن تاخر عنه بالزمان سمي وليا وكلهم من أتباعه ولم يكن ذلك الا له .

لقد بدت حركية الدفع المحمدي واستمراره لان شريعته أوضحت طبيعة الحياة وحركيتها ، وقد رسم القرآن الكريم لنا الحياة حركة دائبة لا تتوقف .. فالطير صافات ويقبضن ..والرياح مرسلات . والنخل باسقات . والافلاك سائرة .وكل في فلك يسبحون .والمياه تجري .. كل هذه الحركية الهمت الكتاب المسلمين كثيرا من الافكار الجيدة البناءة التي أسهمت في دفع عجلة التقدم الحضاري على مدى العصور .

فالحياة الروحية سير مع الله ، والحياة العلمية سير مع الطبيعة والظواهر . والفكر حركة دائبة مع القضايا والمشكلات والعواطف ،والمشاعر هادرة ، والخواطر والنوازع صاخبة ، وعجلة الحياة تدور بلا توقف .

***

ان الصور الابراهيمية في حياة محمد كثيرة ومتنوعة ، ولكن أبرزها صورة الرحمة المطلقة والرفق الذي لا يعرف الحدود ، وذلك يتجلى في دعوته صلى الله عليه وسلم لقومه اثر اهانتهم له .

ولا يعتقدن انسان انه يمدح الرسول ،فان مدحه يقتضي الالمام الكامل بمكارمه وفضائله والهيمنة الشاملة على مستواه الخلقي ، وهذا ليس في طاقة انسان ، ولابد في المدح أن تكون فيه بعض المبالغات ، فما بالك ونحن لم نستوعب بعض الجوانب الظاهرة لهذه الشخصية المثل .

ونحن لانريد ان نكون من هؤلاء الذين نزل فيشانهم قوله تعالى مخاطبا نبيه « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » ولا نريد أن نلم بحمى يعز على العقول والمدارك أن تطا حرمه الا ان يؤمنها الخالق بقول سديد وخبر معصوم ..

صور من الحياة في بيت النبوة

محمد

أبًا ورب أسرة

د. مصطفى الديواني

● كانت السيدة خديجة رضي الله عنها نعم الزوج والقرين ، عاقلة رصينة ، مصون كريمة، وكانت موضع تقدير الرسول صلى الله عليه وسلم فملكت قلبه ، ولم يتزوج امراة قبلها ولم يتزوج عليها قط الى ان قضت نحبها ، وقد هلع لفقدها ، ولا عجب فلقد كانت نعم القرين ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ان يبشرها ببيت في الجنة .

وقد رزق الرسول منهـــا بذرية صالحة : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وعبد الله ،وشاء الله أن يسترد الوديعتين من الذكور في سن مبكرة أحدهما بعد الآخر ، وله في ذلك حكمة

وفي العام العاشر من الزواج الطاهر استعدا لاستقبال ثمرة جديدة هي موضع حديثي اليوم ، فقد صادف مولدها حدثا جليلا في تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ مكة اجمع ..

ففي هذا اليوم ــ وكانت قريش تقوم بعملية اعادة بناء الكعبة بعد أن تصدعت جدرانها ، وكانت الظروف مهيأة للقيام بهذا المشروع ــ وصلوا بالبناء مكان الحجر الاسود الذي يعرفون له مكانة خاصة تصل حتى التقديس ، اختلفوا فيما بينهم . فعندما أرادوا وضع الحجر الاسود في مكانه في الجانب الشرقي، اختلفت بطون قريش على من يحوز هذا الشرف ، وكاد القتال ينشب بينهم حتى وقف ابو امية بن المغيرة ــ وكان من كبارهم ــ فقال يا معشر قريش : « اجعلوا بينكم اول من يدخل من هذا المسجد ، يقضي بينكم فيما تختلفون فيه »

فكان اول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا : هذا الامين ..هذا محمد . رضينا به ..

فلما انتهى اليهم اخبروه بالخبر ،فقال صلوات الله وسلامه عليه : « هلم الى ثوبا » .. فاتوا به ،فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لتاخذ كل قبيلة بناحية الثوب ، ثم ارفعوه جميعا » .. حتى اذا مابلغوا به موضعه وضعه هو بيده الكريمة ، ثم بنى عليه .. وحل الوفاق محل الشقاق على يد محمد الامين .. في هذا يقول الشاعر هبيرة ابن وهب المخزومي .

فلما راينا الامر قد جد جده
ولم يبق شيء غير سل المهند ..

رضينا وقلنا العدل أول طالع
يجيء من البطحاء من غير موعد
فاجانا هـــــذا الامين محمد
فقلنـا رضينـا بالامين محمـد .

ورجع الرسول صلى الله عليه وسلم الى منزله ليطمئن على سلامة زوجتـه خديجة بنت خويلد وقد تركها تعاني من آلام الوضع ، فاذا به يتلقى طفلته الرابعة فاطمة الزهراء «أى المشرقة الوجه» .

درجت فاطمة الزهراء في بيت النبوة ونشأت نشأة جد ووقار ، وشاهدت خلال السنين الاولى من بعثة ابيها الوانا من العذاب والاضطهاد ، وعاشت مع والديها تحت الحصار الدامي سنين عدة ، ثم عادت الى مكة بعد انهيـار الحصار لتشهد بعينيها موت امها الطاهرة خديجة ، ثم هجرة ابيها الى يثرب ، وعلى اثره هاجر علي بن ابي طالب وكان قد تمهل ثلاثة ايام في مكة ريثما يؤدى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليـه الودائع التى كانت عنده للناس ..

وبقيت فاطمة واختها ام كلثوم ، حتى جاء رسول من ابيها فصحبهمـا الى يثرب ، وعند مشارف أم القرى ـ رآهما الحويرث بن عبد قصي ، وهـو الذى آذى الرسول بمكة ، فلحق بهما وطاردهما حتى نخس بعيرهما فالقى بهما على الارض ..

وكانت فاطمة الزهراء ضعيفة البنية نحيلة القوام لم تسترد قواها بعد من آثار الحصار المنهك ، واضطرت الى السير بقية الطريق الى يثرب .

ومرت الاعوام دون استرخاء ، وبلغت فاطمة الزهراء الثامنة عشرة من عمرها زهرة متفتحة يتمناها كل رجل شريكة لحياته ، ولا عجب فقد تفتحت عيناها في بيت النبوة فتعلمت في دار ابيها مالم تتعلمه طفلة غيرها فيمكة : آيات القرآن الكريم ، وعادات مثالية على اعـلى المستويات ، وادارة لمنزل والديهـا لا يعينها احد من النساء .

ولا عجب اذا تسابق الاشاوس من قومها الى دار ابيها يطلبون يدها ، وكان اول المتقدمين ابو بكر الصديق ، ثم تلاه عمر بن الخطاب يخطبان فاطمة فكـان صـلوات الله وسـلامه عليـه يطـرق قليـلا ثم يقول : « انتظـــر القضاء » فلم يدركا ماذا يقصد الرسول بهذا القضاء .. وبعد ترو فطن ابو بكر وعمر أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قد ادخر الزهراء لعلي بن ابي طالب ، فذهبا اليه يأمرانه ان يخطبها فنبهاه لامر كان عنه غافلا ، فذهب الى الرسول عليه الصلاة والسلام وحياه بتحيـة الاســلام ، ثم جلس على استحياء لا يذكر شيئـــا مما جاء من اجله ، فسأله الرســـول الكريم في رقة : « ماحاجة على بن ابي طالب ؟ » فيجيبه على بصوت خفيض : ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيجيبه الرسول « مرحبا واهلا » ولم يزد وطال الصمت وانصرف على حائرا قلقا قد كان يريد افصاحا اكثر ..

وخرج ليجد في انتظاره اخوانه يترقبون مودته يسألونه ماذا اجاب رسول الله صـلوات الله وسـلامه عليـه فأجاب وهـو لا يزال في حـيرة « عندما تحدثت الى الرسول لم يزد على قوله لي « مرحبا واهلا » . فطمأنوه قائلين : « يكفيك من رسـول الله احداهما »

فعاد اليه الأمل فتوجه الى الرسـول في اليوم التالى ، وقال بصوت يسمعه النبى : اردت ان اخطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته . فتهلل وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام

ثم قال النبي صلى الله عليـه وسـلم لانس بن مالك انطـلق وادع لي ابا بكـر وعمـر وعثمـان وطلحة والزبير وبعض الانصار . فلما اخـذوا مجالســهم التفت عليه الصـــلاة والســلام الى

محمد أباً ورب أسرة

علي بن ابي طالب وقال يا علي : اخطب لنفسك ، فقام وفعل ما طلب منه ، ثم قام الرسول عليه الصلاة والسلام والقى خطبة قال في نهايتها : « **ان الله امرني ان ازوج فاطمة من علي واشهدكم انني زوجتها من علي علي اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك ، على السنة القائمة والفريضة الواجبة . فجمع الله شملهما وبارك لهما واطاب نسلهما** » .

فخر علي ساجدا شكرا لله ولما رفع راسه قال الرسول صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكما وعليكما واخرج منكما الكثير الطيب . ثم أمر لاصحابه بطبق فيه تمر .

وجهزت الزهراء ، وكان جهازها مكونا من سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف واناء يغسل فيه وسقاء ومنخل ومنشفة وقدح ورحاءين وجرتين .

كانت حياة الزهراء في كنف زوجها اقرب الى الخشونة والفقر ، ومن هذه القصة ندرك الكثير من مزايا وصفات سيد المرسلين وهو المعجزة البشرية التي لن تتكرر مهما طال الزمن ، فقد روى عن علي بن ابي طالب انه قال :

« بتنا ليلة بغير عشاء فأصبحت فخرجت ثم رجعت الى فاطمة عليها السلام ، وهي محزونة ، فقلت : مالك ؟ فقالت : لم نتعش البارحة ولم نتغد اليوم ، وليس عندنا عشاء ... فخرجت فالتمست فاصبت ما اشتريت طعاما ولحما بدرهم ، ثم أتيتها به ، فخبزت وطبخت ، فلما فرغت من انضاج القدر قالت : لو أتيت ابي دعوته ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مضطجع في المسجد ويقول « أعوذ بالله من الجوع » ، فقلت : بابي انت وامي يا رسول الله عندنا طعام ، فهلم . فتوكأ علي حتى دخل والقدر تفور . فقال : « اغرفي لعائشة » فغرفت في صحفة ، ثم قال : اغرفي لحفصة ، فغرفت في صحفة ، حتى غرفت لجميع نسائه التسع ، ثم قال « اغرفي لابيك وزوجك » فغرفت فقال : « اغرفي فكلي » فغرفت ثم رفعت القدر وانها لتفيض فأكلنا منها ما شاء الله » .

كانت الزهراء تقاسي من الشظف والفاقة ، حتى أن عليا رضي الله عنه اشفق عليها يوما من اعباء البيت فتمنى لو كانت عنده خادم تحمل شيئا من عبء البيت الثقيل ، فانتهز فرصة مواتية ، اذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عاد من احدى غزواته الظافرة بغنائم وسبايا ، فطلب من فاطمة أن تذهب الى رسول الله تلتمس منه خادما تخدمها ، فوافقت وتوجهت الى أبيها صلى الله عليه وسلم .

ولكن منعها الحياء ان تسأله فيما جاءت من اجله .

عادت فاطمة من حيث أتت لتنبىء زوجها انها استحيت أن تطلب من أبيها شيئا ، فعاد بها علي ، وصحبها الى الرسول ، وعرض عنها سؤالها وهي تستمع مطرقة في حياء .

اجاب رسول الهدى :

– لا والله ، لا اعطيكما وادع اهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما انفق عليهم ، ولكن ابيع وانفق عليهم من الثمن .

وانصرف علي وفاطمة شاكرين . وما يدريان أن شكواهما مست قلب الاب الحنون وشغلته نهاره كله .

وجاء الليل . وكان البرد قارسا ، فرقدا على فراشهما الخشن يحاولان النوم فلا يجدان اليه سبيلا لفرط ما يشعران به من قسوة البرد ، وبينما هما كذلك يحتالان على النوم اذا برسول

الله صلى الله عليه وسلم يقبل عليهما وقد انكمشا في غطائهما مقرورين ، فهبا للقاء الضيف الكريم ، لكنه صلى الله عليه وسلم ابتدرهما قائلا في رفق:

ـ الا اخبركما بخير مما سالتماني ؟

ـ بلى يارسول الله .

ـ كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان الله في دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا . واذا اويتما الى فراشكما تسبحان ثلاثا وثلاثين، وتحمدان ثلاثا وثلاثين ، وتكبران ثلاثا وثلاثين .

وقد سمع على بن ابي طالب ، بعد ثلث قرن ، يذكر القصة لبعض اصحابه ويقول :

ـ فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن .

زار الرسول فاطمة يوما وهي تطحن بالرحى ، وعليها كساء من وبر الابل ، فبكى نبي الرحمة اشفاقا بها وقال لها :

ـ تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة .

وكانت رضي الله عنها تشكو حينا بعد حين ويعودها الرسول يواسيها في مرضها ، وذات يوم زارها فوجدها مريضة فقال لها :

ـ كيف تجدينك يابنية ؟

فاجابت بصوت واهن :

ـ اني لوجعة . وانه ليزيدني اني ما لي طعام آكله .

فاستعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لها مواسيا :

ـ يا بنية ، اما ترضين انك سيدة نساء العالمين .

كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعد ان مات بنوه ولم يبق منهم الا فاطمة يريد ان يرى ابناءها يدبون على الارض من حوله فيملاون قلبه بالسعادة . وكان يسعد برؤية الحسن والحسين وزينب من حوله يمرحون في براءة الطفولة . . وكان حبه لهم مضرب الامثال في تواضع الانبياء وبر الاباء بالابناء . وكان يقدم احدهما اذا سأله سائل عنه بقوله : هذا ابني وابن ابنتي ، اللهم اني احبه فاحببه واحب من يحبهما (أي الحسن والحسين)

ولقد أحب الرسول الحسين كما أحب الحسن سواء بسواء ، وروى عنه أنه قال : الحسن والحسين ريحانتان من الدنيا . . وكان لايطيق اذاهما ، ولايحب أن يستمع الى بكاء احدهما ، ويحكى أنه خرج ذات يوم من بيت عائشة رضي الله عنها فمر على بيت الزهراء فسمع حسينا يبكي . فقال : الم تعلمي ان بكاءه يؤذيني .

هذا الحسين الذي كان يستاثر بحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان المدلل المفضل عند اكرم خلق الله ، قدر له ان يستشهد في كربلاء في العاشر من شهر محرم من عام ٦١ هـ ، ولم يكن قد اتم الستين بعد لانه ولد في النصف من شهر رمضان بالمدينة المنورة سنة ثلاث من الهجرة .

ولقد كان للرسول الكريم بمثابة فلذة الكبد ، وهو الذى سماه باسمه عند مولده . ويروى **على بن ابى طالب انه لما ولد الحسن ثم الحسين ثم محسن على التوالي ، كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: «اروني ابني، ماسميتموه؟»، ثم سماهم بنفسه صلى الله عليه وسلم .**

وولدت زينب في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وكان الرسول في سفرة له فانتظروا مجيئه ، ولما سئل عن اسمها فقال : ماكنت لاسبق ربي تعالى . فنزل عليه جبريل وقال : « سم هذه المولودة زينب فلقد اختار الله لها هذا الاسم » ـ او كما قيل .

سيرة محمد

السيرة في أدوارها المختلفة

● محمد قنديل البقلي ●

● علم التاريخ قديم قدم الانسان، غير أنه كانت له صوره المختلفه على مر الازمان، فما كان الانسان الاول يعنى الا بالتاريخ الخاص، تاريخ الابطال، وتاريخ الرجال البارزين، يتناقلها الناس رواية ويتحدثون بها فى انديتهم ومجالسهم حين لم يكن ثمة تدوين وكانت هذه هى نشأة التاريخ الخاص فى منطق المؤرخين، ثم كانت بعد ذلك عناية الناس بما يحيط بهم، وكانت هذه هى نشأة التاريخ العام

فالتاريخ الخاص الذى عرف بعد بعلم السير، كان اسبق فى الوجود من التاريخ العام، اذ وجود الافراد سابق على وجود الجماعات، وحديث الناس عن افراد بعينهم، اسبق من احاديثهم عن الجماعات وما يحدث بين الجماعات، وهذا التاريخ وذاك سبقا لاشك الاحاديث عن البيئات وما يمت الى البيئات بسبب.

تلك مراحل التاريخ فى نشأتها، كما ذهب اليها المؤرخون، وعلى هذا لم يكن للعرب فى جاهليتهم وقبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من مادة تاريخية الا ما توارثوه رواية اولا عن حياة الافراد، وما فى حياة الافراد من قصص فيها بطولة وفيها الكرم وفيها الوفاء

وحين استقر بهم المقام شيئا وكانت لهم الجماعات، كان حديثهم عن هذه الجماعات فى حروبها ودفاعها وغاراتها

وحين استوت تحت ارجلهم الارض وكانت لهم مقار مذكورة وموصوفة كان حديثهم عما على هذه الارض من مثل البيت وزمزم وما كان من امرهما، وحين تحضروا شيئا وكانت لهم بيوت فيها الامرة وفيها السيادة كان حديثهم العام من تلك البيوتات امرة وسيادة يقوم اللسان مقام القلم يعى الناس عنه شيئا ثم يحفظون ويؤدون، الى ان كان التدوين فى صورته الاولى فدونوا من ذلك شيئا نقشا على الحجارة او نحوها

وكان ظهور الاسلام ومجىء الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك الرسالة السماوية فنشأت احاديث عامة مع الاحاديث الخاصة، ونهض التاريخ الخاص مع التاريخ العام، وكان من هذه

وتلك مادة فى التاريخ العام أولا ثم للتاريخ الخاص وهو السيرة ثانيا

●

وكان تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم الحافل الطويل أخصب مادة للتاريخ الخاص ، أعنى تاريخ السير ، فلم تكن ثمة سيرة بين أيدى المسلمين أغنى من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا احفل ولا اعذب ولا اشهى ولا احلى للمسلم يسمعها ويرويها ويقرؤها . وانسى بها المسلمون أو كادوا ينسون ما كان لهم فى جاهليتهم من سير للابطال والسادة والزعماء

وكان مرتقبا ان ياخذ المسلمون فى كتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مبكرين ، وان تكون لهم محاولات فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام أو بعد وفاته بقليل ، غير انا لو علمنا انه كان ثمة شغل آخر شغل المسلمين به يمس العقيدة ويمس الدين ويمس اللغة، وهو حرصهم على جمع القرآن الكريم وتدوينه وابرازه للمسلمين فى صورته التى نزل بها ، ثم حرصهم الثانى على القرآن الكريم ، وكان هذا الحرص الثانى يتصل باللغة وتدوينها نحوا خوفا من أن تفسد الالسنة فيصيب السنة القارئين للقرآن الكريم من ذلك شىء

وهكذا تاخر تاريخ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا ، وتاخر اخذ المسلمين فى كتابة التاريخ العام شيئا ، فلقد كان للعرب مع الرغبة فى كتابة السيرة رغبة فى كتابة تاريخهم العام الذى اتسع بين ايديهم اتساعا عظيما ، ولكن هذا وذاك اي كتابة السيرة وكتابة التاريخ العام تاخرا وقعد العرب عن الاخذ فيهما للسبب الذى قدمت وهو شغل المسلمين بتدوين القرآن الكريم وتدوين النحو .

فلما ان كانت ايام معاوية ، راينا الميل الى تدوين التاريخ يتمثل فيه ، وكان معاوية كما يقال يحب ان يبدأ بالتاريخ العام لا ايثارا لهذا العام على ذلك الخاص فيما اظن ، بل اكاد اجزم انه كان لسبب آخر وهو ان السيرة على الالسنة جميعها يعيها الناس حفظا ورواية ، فمادتها محفوظة لن تفقد شيئا ان تخلف بها الزمن قليلا . اما التاريخ العام فمادته فى صدور نفر قليل ، ان ذهبوا ذهب معهم ذلك التاريخ العام .

من أجل هذا بدأ معاوية التفكير فى أن يدون كتابا فى التاريخ العام ، ولم يكن فيمن حوله من يحقق له تلك الامنية ، من أجل هذا استقدم من صنعاء عبيدة بن شرية وناط به ما يحب ، فكتب له عبيدة ابن شرية كتاب : الملوك واخبار الماضين .

بدء تدوين السيرة

وحين بدأ المسلمون يظفرون بشىء فى التاريخ العام ، أغناهم شبه غناء ، التفتوا الى التاريخ الخاص وهو سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما خافوا على القرآن حين جمعوه أن يذهب حافظوه ، وعلى النحو حين دونوه أن يغيب لاقنوه ، كذلك اخذ الخوف يساورهم أن يغيب عنهم حفاظ السيرة وروادها ولاقنوها ، حتى اذا كانت ايام عمر بن عبد العزيز رأينا من ينبرى منهم لهذا التاريخ الخاص تاريخ السيرة نذكر منهم : عروة بن الزبير ابن العوام احد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ ، ولقد مكنته نسبه من قبل أبيه الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت أبى بكر ، ان يروى الكثير من الاخبار والاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن تلك الحياة الحافلة فى صدر الاسلام .

●

وحسبك أن تعلم ان ابن اسحاق ، والواقدى ، والطبرى اخذوا عنه الكثير ، ولاسيما فيما يتعلق بهجرة المسلمين الى الحبشة ، ثم بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وكذلك ما يتصل بغزوة بدر .

وكان بعد ابن الزبير ممن كانت لهم مشاركة في التاريخ الاول للسيرة: أبان بن عثمان بن عفان، فألف في السيرة صحفا جمع فيها أحاديث حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت وفاة ابان سنة ١٠٥ للهجرة.

ثم كان بعد ابان مؤرخ في السيرة ايضا هو وهب بن منبه، ولكنه كان في موطن آخر غير موطن ابان، فلقد كان ابان مدنيا، وكان وهب بن منبه يمنيا، وكانت وفاة وهب سنة ١١٠ هجرية - وفي مدينة هيدلبرج بالمانيا قطعة من كتاب له الفه في المغازي

وثمة غير هؤلاء الثلاثة كثيرون منهم من ترك الدنيا مع الربع الاول من القرن الثاني الهجري، مثل: عاصم بن عمرو بن قتادة، وكانت وفاته سنة ١٢٠ من الهجرة

وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ هجرية

وابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هجرية.

كما كان منهم من جاوز الربع الاول من القرن الثاني الهجري بقليل، منهم: عبد الله بن ابي بكر بن حزم، وكانت وفاته سنة ١٣٥ هجرية

وكان هؤلاء الاربعة - اعني عاصما وشرحبيل، وابن شهاب، وابن حزم - ممن عنوا باخبار المغازي وما يتصل بها، والمتصفح لكتب التاريخ والسير يعلم كم ترددت الرواية عنهم

كما كان من هؤلاء المؤرخين من عاش حتى أدرك منتصف القرن الثاني الهجري وجاوزه بقليل منهم:

موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ

ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٠ هـ

ثم شيخ رجال السيرة والواضع الاول لبنائها وهو محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٢ هـ

وتوالى بعد ذلك اي بعد ان اسس ابن اسحاق لعلم السيرة الكامل - رجال نذكر منهم:

زياد البكائي المتوفى سنة ١٨٣ هـ

والواقدي صاحب المغازي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

ومحمدا بن سعد صاحب الطبقات الكبرى، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ

ولكن قبل أن تستأثر المنية بابن سعد عدت على الرجل الثاني في علم السيرة الجامعة وهو ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ.

ولقد كان ابن هشام هو الرجل الذي انتهت اليه سيرة ابن اسحاق فتناولها تهذيبا وشرحا واختصارا واضافة

وما من شك في ان مجهود ابن اسحاق ثم مجهود ابن هشام بعده كانا هما المدد للمشتغلين بعلم السيرة بعد ذلك، يختلف جهد عن جهد، فالجهد الاول الذي كان لابن اسحاق ثم لابن هشام بعده جهد الجمع والتصنيف، اما جهد من جاء بعدهم فهو جهد النقد والتعليق

وهكذا كان هذا التراث بين ايدي من جاء بعد ابن اسحاق وابن هشام شيئا غير قابل لجديد في جوهره، بل كان كل ما يبذل فيه مما يمس الشكل والصورة فحسب.

السيرة نظما وصياغة

ولقد رأينا للمؤلفين في السيرة بعد تلك الجهود الاولى التي كان مبناها الجمع والتبويب، جهودا ميسورة تتناول السيرة اما: شرحا واختصارا، واما نظما ليسهل حفظها - واما صياغة فيها لون من الابداع مستأنسة بما سبق فتبدو وكأنها تأليف جديد وهي في الحقيقة ليست الا لما سبق

وكان من هذا الفريق الثالث ابن فارس اللغوي المتوفى بالري سنة ٣٩٠ هـ وله سيرة تنسب اليه، ولا يزال منها خطيات محفوظة في دور الكتب.

ومحمد بن علي بن يوسف الشافعي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ

وابن ابي طي يحيى بن حمى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

وظهير الدين محمد بن علي الكازروني المتوفى سنة ٦٩٤ هـ

وعلاء الدين على بن محمد الخلاطى الحنفى المتوفى سنة ٧٠٨ هـ

ولهؤلاء مؤلفات فى السيرة ولكن دور الكتب لا تحتفظ بشىء منها

وابن سيد الناس البصرى الشافعى والمولود سنة ٦٦١ هـ والمتوفى سنة ٧٣٤هـ وله كتاب «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» — وبدار الكتب المصرية نسخة خطية منه

وشهاب الدين الرعينى الغرناطى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ، وله رسالة فى السيرة والمولد النبوى، وبدار الكتب المصرية نسخة خطية منها .

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن على ابن جابر الاندلسى المتوفى سنة ٧٨٠هـ وله رسالة فى السيرة والمولد النبوى، وبدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة منها

ثم محمد بن يوسف الصالحى المتوفى سنة ٩٤٢هـ وهو صاحب السيرة الشامية التى سماها : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد، ومنها بدار الكتب المصرية مخطوطة .

ثم على بن برهان الدين المولود بمصر سنة ٩٧٥ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٤٤هـ، وهو صاحب السيرة الحلبية التى سماها : انسان العيون فى سيرة الامين المامون عليه الصلاة والسلام

وثمة غير هؤلاء من رجال هذا الفريق الثالث كثيرون وفيما أوردنا منهم ما يغنى.

اما عن رجال الفريق الاول، وهم من تناولوا السيرة شرحا فنذكر منهم :

السهيل صاحب الروض الانف

وابا ذر صاحب الشرح اللغوى للسيرة.

وقطب الدين عبد الكريم الجماعيلى المتوفى سنة ٧٣٥ هـ وله شرح على سيرة محمد بن على بن يوسف وسمى كتابه : المورد العذب الهنى فى الكلام على سيرة عبد الغنى

وقاسم بن قطلوبغا صاحب سيرة الحافظ علاء الدين مغلطاى المسماة : الاشارة الى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفا، وقد انتهى فيها الى الدولة العباسية، اى الى سنة ٦٥٦ هـ

ثم أبا الحسن على بن عبد الله بن أحمد السمهودى، المتوفى بالمدينة سنة ٩١١هـ

اما عن رجال الفريق الثانى وهم ممن نظموا السيرة وصاغوها شعرا فنذكر منهم :

عبد العزيز بن احمد المعروف بسعد الديرى المتوفى حوالى سنة ٦٠٧ هـ

وابا الحسن فتح بن موسى القصرى المتوفى سنة ٦٦٨ هـ

ثم كانت نشأة الموالد، وهى لاشك فن يتصل بالتاليف فى السيرة اذ هى نوع من التلخيص ولكنه تلخيص خاص يتصل بمولده صلى الله عليه وسلم، وما سبقه من ارهاصات، وعن نشأته صلى الله عليه وسلم فى طفولته وما صحب تلك الطفولة من خوارق

العصر الحديث والسيرة

وكم فى العصر الحديث من مؤلفين فى السيرة النبوية كانوا من نمط الفريق الثالث الذى قدمنا شيئا عنه وعن رجاله، فكانت لهم نظرة جامعة فاحصة ناقدة ملخصة معقبة فى جميع ما الف من قبل ليخلصوا من هذا كله، وبهذا كله الى سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب العصر الحديث، غير أنها لا تمس جوهر ما كان قبل بل تعرضه فى ابداع وابتكار

محمد رسول الله ﷺ طبيبا

● د . محمد الظواهري ●

● تعددت الدراسات وكثرت حول رسولنا الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، في مختلف جوانب حياته ، ودعوته ورسالته .. سواء من الشرق او الغرب ..

ولقد تفرقت الدراسات واختصت كل منها بجانب من الجوانب المتعددة في نبينا الكريم ، فمنها ما ركز على سيرة الحبيب المصطفى ، ومنها ما ركز على جهاده واظهار العبقرية العسكرية التي كان يمتلكها ..

ومن اصحاب الدراسات من افصح عن خبرة محمد صلى الله عليه وسلم بالامم والشعوب وكيفية التعامل معها ، وهي ما نطلق عليها بمصطلح عصرنا الامور السياسية .

وهكذا اكتظت المراجع بالدراسات القيمة عن الرسول الكريم . لكني ، ومن قراءاتي المتعددة ، تنبهت ان هناك جانبا اغفل المختصون في تناوله عن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الرسول طبيبا ..

والحقيقة أن للرسول منهجا في هذا الجانب ، جديرا بالبحث والنظر اليه ، لنعرف ان طبيب الانسانية الاول منذ أربعة عشر قرنا ، كان يعرف بفطرته وذكائه ، المناهج التي يدرسها الآن الطلاب في أقسام الطب المختلفة ..

اليك هذا الحديث الذي يبين لنا منهج الرسول عليه الصلاة والسلام في العلاج .

« قيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر ، فشكوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال « ايها الناس .. ان الحمى رائد الموت ، وسجن الله في الارض ، وقطعة من النار ، فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها بالماء في الشنان ، ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء » ..

ففعلوا ذلك ، فزالت عنهم » ..

***

ومن هذا الحديث نتعرف على منهاج

الرسول الكريم في مداواته للناس :

اولا : اوضح للمسلمين نوع المرض وخطورته ، وهو الحمى ، ثم قام بشرحه للمسلمين حتى يكونوا على بينة من امرهم عن هذا المرض ..

ثانيا : وضع الرسول « الروشتة » او العلاج بالتبريد ، وهو العلاج الامثل في ذلك الوقت ثم حدد الاوقات التي يجب ان يتناول فيها المريض علاجه .. واعتقد ان اى طبيب في العالم اليوم لا يختلف منهجه عن هذا المنهاج الذى وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .. ففي البداية يكتشف الطبيب المرض ، ثم يقوم بشرحه للمريض ، ثم يضع العلاج والخطوات التي يجب على المريض أن يتبعها ، وهكذا ..

ومن تعاليم الرسول الصحية انه امر المسلمين بالتداوى ، واستشارة الاطباء بل والحاذق منهم ، ولا ضير ان يجمع المريض بين أكثر من طبيب على شكل مشاورة ، وهو ما نسميه حاليا « بالكونسلتو » .

والرسول الكريم هو اول من اشار الى عسل النحل والتداوى به بعد أن جاء ذكره في القرآن الكريم ..

ولقد عالج الرسول امراضا كثيرة مختلفة ، فمثلا نصح للعلاج من الامراض الجلدية بلبس الحرير والنظافة والاغتسال ، واتباع اطعمة معينة في الغذاء ، كما امر بالصوم لعلاج بعض الامراض ، واستعمال كئوس الهواء وقد نبه الى خطورة الكى ومضاعفاته ، بل وفي بعض الاحيان دعا الى النهى عنه ، واستخدام المشرط في بعض الجراحات وبعض العلاجات الموضعيه .

ولقد نبه الرسول الكريم كذلك الى خطورة الامراض المعدية الخطيرة كالجذام والطاعون ، ونبه الى ضرورة الحيطة منهما .

أما أكثر الاشياء التي تدعو الباحث ان يقف ويمعن النظر فيها مليا فهو دعوته صلى الله عليه وسلم الى رفع الروح المعنوية والنفسية للمريض ، فلا جدال في ان أكثر العمليات الجراحية التي تجرى تتطلب شجاعة من المريض وروحا معنوية عالية ..

وكلما ارتفعت روحه المعنوية ، تجاوز المريض مرحلة المرض ..

***

والرسول الكريم كان يحرص على عيادة المرضى وزيارتهم للتخفيف عنهم بل ودعا أصحابه ان يفعلوا فعله . واعتقد ان هذا السلوك من اهم واول « الادوية » التي تقدم لعلاج المريض ، وهي رفع حالته النفسية وازالة الوهم الذى يصيبه ..

اخيرا ارجو ان اكون قد كشفت بعض الشيء عن روعة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في جانب واحد هو الجانب الطبي . والذى سبق به الرسول العلم قبل ان يتطور تطوره الحديث . وصدق الله عز وجل اذ يقول :

« لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وفي وصفه صلى الله عليه وسلم قال :

« وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »

فحقا نبينا رسول الله عليه الصلاة والسلام الرحمة المهداة ، وحقا انه نبي المرحمة ، وها هي تعاليمه الكريمة خير نبراس يستنير به البشر كي ينجوا وينعموا في الحياة الدنيا والحياة الاخرة .

شباب فجر الإسلام

حول محمد

● مصطفى الشهابى ●

● الشباب فى كل امة طاقة وذخيرة قومية حية ، له آماله ومثله التى تنبعث من قدراته الانسانية وظروفه الاجتماعية ..

وطاقة الشباب هى مجموعة مهارات مكتسبة يتشبع الشباب بها غالبا فى المراحل الاولى من العمر .. وهى تضفى على المجتمع حيوية بما تحتويه من فكر ووجدان وانفعالات .

وبتفاعل الطاقة مع الخبرات والعلاقات الاجتماعية والظروف الخاصة لكل شاب ، تتشكل صورة الشباب التى تختلف من شباب لآخر بقدر اختلاف هذه الخبرات والعلاقات والظروف .

ومن ثم كان الشباب دائما ، وسيظل ، مصدر كل القوى والساعد الذى يتحمل كل التبعات فلا ينوء بها .

وسيبقى مستقبل الانسانية رهنا بطموح الشباب الى المثل العليا ، لان الشباب هو الذى يستطيع أن يجعل الحياة جديرة بالحب ، واذا صحت عزيمته امكنه ان يستنقذها من العبث والفساد .

وعندما بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اغلب شباب قريش وغيرهم ، ينفقون أيامهم وصحتهم فى شرب الخمر والانغماس فى الشهوات واللهو والاغارة وغير ذلك من ضروب العبث .

وكان من الضرورى أن يتغير ذلك الاسلوب من الحياة .

وما كاد محمد يبدأ رسالته ويدعو لمبادىء الاسلام الكريمة السمحة ، حتى انفعلت بها نفوس بعض الشباب فانساحوا ينشرون رسالته ، رسالة الحب والرحمة والعدل والمساواة ، وكانت القوة الروحية تدفع قوتهم الجسمانية للخير والحق .

وقد ضرب بعض الشباب فى فجر الاسلام اروع الامثلة فى التضحية والفداء ومكارم الاخلاق ، وتحملوا اعباء جسيمة ، سجلها لهم التاريخ ، كفاحا من أجل نشر الاسلام ليعيش الناس أحرارا فى سلام ورخاء .

وكان عدد الشبان الذين اسلموا فى فجر الاسلام نحو أربعين شابا ، أما الشابات فكن نحو احدى عشرة . وفيما يلى صور من بطولة بعض هؤلاء الشباب .

على بن ابى طالب

ابن عم النبى ، وكان يقيم معه فى بيته ليربيه ، أسلم وهو ابن ثمان عندما جمع

النبي بني عبدالمطلب ليدعوهم الى الاسلام، بعد ما نزل عليه قوله تعالى: «وانذر عشيرتك الاقربين ٠ » ولم يستجب لدعوته يومئذ سوى علي ، فحاز بذلك شرف السبق الى الاسلام بعد خديجة .

واول موقف بطولي سجله له تاريخ الاسلام هو نومه في فراش النبي ليخدع قريشا ، فلا تطلب النبي حتى يبعد عن مكة ، فنام على الفراش وهو يعلم أنهم يريدون قتل النائم عليه ، ولكن عليا لم يفكر الا في افتداء النبي، ونجحت الحيلة .

وبعد الهجرة اشترك علي في اغلب الغزوات ، وله في بعضها مواقف مجيدة، منها موقفه في غزوة « احد » عندما انهزم المسلمون ، يومئذ ثبت علي في القتال واصابته ست عشرة ضربة ، كل منها توقعه على الارض ، ولكنه يقوم ثانية ويحمل على المشركين غير مبال بما اصابه .

وموقفه في غزوة الخندق، عندما حاصر المشركون المدينة ،ولما طال الحصار خرج عمرو بن ود ، وكان من أشهر فرسان العرب ونادى طالبا من يبارزه ، ولم يتطوع لمبارزته الا علي ٠ ولكن النبي قال لعلي : « اجلس انه عمرو بن ود ٠ » وكرر عمرو تحديه مرتين اخريين ، وعلي يعيد على مسامع النبي تطوعه لمبارزته ، واخيرا وافق النبي ، وانتهت المبارزة بين الاثنين بقتل عمرو ٠٠٠ ويضيق المقام عن ذكر بطولاته الاخرى ٠

جعفر بن ابي طالب

هو شقيق علي بن ابي طالب ، اسلم وهو ابن ثماني عشرة وقد عذبه اعمامه وآذوه ،ولكنه تحمل وصبر ، وكان ممن هاجروا الى الحبشة من الشبان ٠ فلما أرسلت قريش عمرو بن العاص بهدايا الى النجاشي طلبا لرد هؤلاء المهاجرين ، ابى النجاشي ان يسلم احدا حتى يسألهم عن صحة ما قاله عمرو عنهم، فانبرى جعفر ليفند ما زعمه عمرو ، واقتنع النجاشي بما ذكره جعفر ورفض طلب عمرو ورد اليه هدايا قريش ٠

وعاد جعفر في السنة السابعة من الهجرة الى المدينة ، وكان ذلك بعد فتح خيبر ، فلما رآه النبي قبله بين عينيه وقال : « ما ادري بأيهما أنا اشد فرحا ؟ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ؟ ٠٠ »

وأخذ جعفر بعدئذ يشارك اخوانه في الجهاد ، وعندما ارسل النبي جيشا الى الشام للاقتصاص من أمير بصرى الرومي لقتله رسول النبي ، جعل أمير الجيش زيد بن حارثة وقال : « ان اصيب زيد فالامير جعفر بن ابي طالب فان اصيب فالامير عبد الله بن رواحة ٠ »

ولما وصل الجيش الى مؤتة ، قاتل الاعداء ببسالة على الرغم من كثرتهم ؛ولكن زيدا لم يلبث أن قتل فبادر جعفر وأخذ الراية وقاتل حتى قطعت يده اليمنى حاملة الراية ، وادرك جعفر أن العدو تعمد قطع يده حتى تسقط راية المسلمين تحت اقدامهم ، ولكنه لم يدعها تسقط بل امسكها بيساره فقطعت ، فاحتضنها بعضديه حتى قتل بعد أن اصابه تسعون جرحا ما بين ضربة سيف أو طعنة رمح ٠ وقبل أن يهوي بجثمانه أخذ الراية عبدالله ابن رواحة الذي قتل ايضا .

وتولى قيادة المسلمين خالد بن الوليد الذي استطاع أن يخلص جيش المسلمين بحيلة بارعة من تلك الجموع الهائلة من الروم ٠

الارقم بن ابي الارقم

أسلم الارقم وهو في الثانية عشرة من عمره ، في الوقت الذي كانت فيه دعوة النبي لا تزال سرا ، ولم يتخذ النبي من داره مقرا للدعوة لان اعداءه كانوا يراقبونها ، ولذلك كانت لقاءات المسلمين الذين ربوا على الثلاثين، تتم في فترات متباعدة وفي اماكن متفرقة ٠

وكاشف النبي من احاطوا به بالحاجة الى دار لا يعرفها قومه ليجتمع فيها بمن يؤمنون به ليعلمهم الدين الاسلامي ويمكن

العقيدة في نفوسهم حتى اذا جاهروا بها ، لا يستطيع المشركون ان يثنوهم عنهـا لرسوخها في اعماق قلوبهم ، وحينئذ يفتدونها بالمال والنفس .

وتطوع الارقم بداره لتكون مركـزا للدعوة السرية ، وهـو على يقين من ان قريشا لو علمت بما يجري في تلك الدار لهدمتها وجعلت عاليها سافلها .

ودخل النبي دار الارقم في السـنة الرابعة من بعثته وجعل يدعو فيها قرابة عامين . واصبحت تلك الدار اول مسجد في الاسلام للعبادة واول مدرسة لتعليم اصول الدين واول ندوة للشـورى بين المسلمين .

وقد حقق النبي بفضل تلك الـدار غرضين عظيمين :

اولهما : غرس اصول رسـالته في نفوس اصحابه ، وثانيهما : الدعوة من هذه الدار في جميع آفاق المجتمع المكي .

ولقد كان النبي يتلو على من احاطوا به ما يتنزل عليه من الوحي من تلك السور المكية الاولى بما اشتملت عليه من امر بعبادة الله وحـده وترغيب في ثوابه وتحذير من عقابه ، فيتلقف اصحابه كل كلمة ينطق بها وحيا كانت أو حديثا ، ثم ينقلبون دعاة للاسلام في أرجاء مـكة ، فيستجيب لهم من آمنوا بدعوتهم ويهرعون الى دار الارقم ليعلنوا دخولهم في دين محمد .

وظل رواد تلك الدار يأتون اليها تسللا وخفية حتى السنة السادسة للبعثة عندما طرق بابها عمر بن الخطاب والتقى بالنبي وأعلن إسلامه .

وهاجر الارقم الى المدينة عندما هاجر النبي اليها وشهد معه بدرا وغيرها من غزواته حتى مات سنة خمس وخمسين من الهجرة .

طلحة بن عبيد الله

اسلم طلحة وهو ابن احدى عشرة سنة، ولقي عقب اسلامه من أخيه الاكبر معارضة بلغت حد منعه من اقامة الصلاة وشـد وثاقه وتعذيبه ،ولكن ذلك كله لم يغير من ايمانه ، ولذلك يئس منه أخوه فتركه وغض الطرف عنه .

وقد شهد طلحة كل غزوات النبي ولم يتخلف عن أية غزوة .

ومن مواقفه البطولية يوم « أحد » ، اذ وقف الى جانب النبي يقيه بنفسه ويتقي النبل المسددة اليه بيده حتى شـلت اصابعه .

وحدث أن وقع النبي في احدى الحفر فبادر طلحة الى حمله على ظهره وخرج به منها .

وفي تلك الغزوة اصيب طلحة باكثر من سبعين جرحا ، إما من طعنة برمح او ضربة بحربة او رمية بسهم، ولذلك كثر نزيف دمه فغشي عليه . ولما رآه ابو بكر رش الماء على وجهه حتى افاق .

وما كاد يستجمع حواسه حتى بادر بسؤال ابي بكر عن النبي ، ولما طمأنه ابو بكر قال : « الحمد لله ، كل مصيبة بعده هينة » .

أما جهاده بالمال فقد كان بلا حدود، اذ أنفق في هذا السبيل مبالغ طـائلة وعندما كان المسلمون في عسرة تبوك أنفق

مالم ينفقه غيره ، حتى دعاه النبي « طلحة الفياض » .

الزبير بن العوام

أسلم في صغره فغضب عليه عمه الذي تفنن في تعذيبه حتى كان يعلقه في حصير ويدخن عليه ليكفر بدينه ولكنه كان يقول: « لا أكفر أبدا » .

وأبت نفسه الصبر على هذا العذاب فهاجر فيمن هاجر الى الحبشة ، ولما عاد منها هاجر الى المدينة وحاز بذلك شرف الهجرتين .

وكان الزبير اول من سل سيفه دفاعا عن النبي عندما بلغه أن النبي قد قبض عليه المشركون ، يومئذ سل سيفه وخرج يشق طريقه ، دون مبالاة بكثرة المشركين، حتى وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : «مالك يا زبير ؟ » فأجابه : « أخبرت أنك اخذت » ، فسر به النبي ودعا له .

وقد ابلى الزبير في غزوة بدر اعظم بلاء ، فرغم كثرة جروحه وعمقها لم يتوقف عن القتال حتى انتصر المسلمون .

وفي غزوة احد جعله النبي على ميمنة المسلمين في مواجهة خالد بن الوليد الذي كان على ميسرة المشركين ، فلما تبارز الجيشان خرج رجل من المشركين ،فاحجم عنه المسلمون ، فلما كرر دعوته تصدى له الزبير وقتله ، فسر النبي بذلك .

ولما انضم الزبير الى الثائرين على علي بن ابي طالب المطالبين بدم عثمان، تنحى عن القتال اثناء موقعة الجمل ، وندم على اشتراكه في تلك الحرب التي مزقت شمل المسلمين ، وغادر مكان الموقعة وقصد الى مكان بعيد للصلاة وبينما هو يشرع في تاديتها طعنه أحدهم طعنة قاتلة وحمل سيفه الى علي بن ابي طالب ، فلما رآه عرف أنه سيف الزبير وأدرك أنه قد قتل فقال: « بشر قاتل ابن صفية (بنت عبد المطلب) بالنار » .

البراء بن عازب

أسلم صغيرا ، وأراد هو وفريق من الصبية المسلمين الاشتراك في غزوة أحد، ولكن النبي ردهم لصغرهم اذ كان لكل واحد منهم خمس عشرة سنة .

وقد غزا البراء مع النبي بعد ذلك خمس عشرة غزوة أولها الخندق ، وكانت كل أمانيه أن يقتل شهيدا في احدى معارك الاسلام . وقد ذهب اخوانه يعودونه ذات يوم فقال : « لعلكم ترهبون أن أموت على فراشي ، لا والله ، لن يحرمني رب الشهادة » ، ولذلك كان يلقي بنفسه في المعارك ، يريد الجنة ، حتى قيل عنه «عاشق الموت» ولكن الموت كان يفر وعاش حتى مات سنة ٨٠ هـ .

وبعد ...

فالى شباب اليوم ، شبابنا الذي اعاد للعروبة وجهها المشرق وأكد امجاد اجداده ، والى غيرهم من الشباب، نقدم تلك الباقة من السير العطرة ، حتى تكون نبراسا وحافزا لوضع جهودهم الفتية وطاقاتهم الخلاقة في اطار من الوحدة والتعاون والمحبة ، في سبيل رفعة هذا الوطن ، حتى يحققوا لابنائهم ما لم يحققه — وأكثر مما حققه — شباب الأمس ..

محمد الداعية

● د . أحمد شلبي ●

● عندما نتدارس سيرة الرسول صلوات الله عليه، نجد في هذه السيرة معالم بارزة تصورعين البشر قمة شامخة، ومن الممكن أن نتحدث عن محمد الانسان ، أو محمد القائد ، أو محمد الزوج او الاب ، .. ولكن هنالك صفة في الرسول نحتاج ان نتدارسها في وقتنا الحاضر ، لتنير امامنا طريقا يكتنفه الغموض ، وتزيل سحبا أوشكت ان تتراكم ، وتلك الصفة هي : محمد الداعية ...

ومحمد الداعية جاء انبثاقا من آيات الذكر الحكيم ، ففيه تتمثل الآيات التالية :

ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

ـ فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر .

ـ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .

ـ وعلمك ما لم تكن تعلم .

فالرسول كان داعية الى الهدى يتخذ الحكمة وسيلة للدعوة ، ويقدم الموعظة الحسنة لتجد طريقها الى نفوس الناس ، وكان بدوره يعرض الفكر ولا يرغم أحدا على اتباعه ، فليس مسيطرا على الناس ، وكان جدالا سمحا ، تهفو له القلوب وتحيط به النفوس ، ولا ينفض منه من عرفه ، وكان واسع العلم ، يروي ظمأ من حوله لان الله منحه من علمه ما يحتاج له.

ونجح الرسول أعظم نجاح في تبليغ الدعوة وتثبيتها ، وخطا الرسول خطوة اخرى مهمة هي انه ربى الدعاة واطلقهم فحققوا اعظم درجات النجاح، اطلق ابا بكر بالدعوة فضم لها في مطلع العهد بالاسلام خيرة شباب قريش من سموا «السابقين الأولين » واطلق الى المدينة مصعب بن عمير فلم يمض عام حتى كان الاسلام قد دخل كل بيت في يثرب ... واطلق على بن ابي طالب الى اليمن وابا عبيدة بن الجراح الى نجران ... وترك بمكة عقب فتحها معاذ بن جبل وكان هؤلاء وسواهم خير دعاة للاسلام ، نجحوا أعظم نجاح في تبليغ الدعوة وشرحها ، واتخذوا من الرسول صفاته وسماته ، ومن الاسلام فكره وتعاليمه ، فانتشر بهم الاسلام .

وبعد هؤلاء جاءت جماعات وجماعات حملت الاسلام الى مختلف البقاع بالعالم ، وثبتوا اركانه هنا وهناك .

ونحن في مصر نشطت فيه الدعوة للأديان أوسع نشاط ويمكن القول ان نشاط المسلمين في الدعوة لدينهم خلال القرون السابقة هو الذى دفع سواهم من اتباع الديانات الاخرى ليثيروا سيرهم في الدعوة لاديانهم ، وعلى هذا عندما نستعرض الحركات الدينية بالعالم خلال القرون الماضية نجد أن الاسلام قد انتشر بطريقة رائعة ومتصلة في مختلف البلدان ، فيما يسمى اليوم بالعالم العربي وفي شبه جزيرة الهند « الهند وباكستان فيما بعد » وفي الاندلس ، وفي جنوب الصحراء الافريقية ، وان انتشار الاسلام في تلك النواحي وسواها جاء على حساب اديان ومعتقدات اخرى كانت موجودة في تلك المناطق وآثرت الانكماش والتخلي عن بعض مناطق نفوذها للزحف الاسلامي الذي كان يهدر ولا تستطيع قوة أن تقف أمامه .

ولكن هذا النشاط الاسلامي دفع بعض

الديانات التي تراجعت الى أعداد نفسها للصمود والمقاومة ، وبينما كان هؤلاء يتجهون هذا الاتجاه كان الدعاة المسلمون يرجعون القهقرى، وينكصون عن الاستعداد ، وأصبح أكثر هؤلاء الدعاة لا يتمتعون بالكفاءة والمثابرة التي كان يتمتع بها أسلافهم ممن حملوا الاسلام الى مختلف البقاع .

وهذا الوضع يصور كارثة كبرى ومحاولة لقلب كفتى الميزان لترجح الكفة التي كانت شائلة ، ولتشيل الكفة الاسلامية التي كانت راجحة ، وهذا يدعونا الى سرعة التصرف لنعد للدعوة رجالا أفذاذا يحملون العبء الذى كان يحمله المسلمون في العهود السابقة .

وإعداد هؤلاء الدعاة يحملنا نحتاج الى شباب لهم مواهب عالية ، والى مناهج تنمى هذه المواهب ، وتسكب في هذه العقول صور الفضائل وصور الفكر ليحملوا الشعل ، وليسيروا بالهداية الى كل مكان ، أما الشباب ذوو المواهب فيجب البحث عنهم وتشجيعهم بكل الوسائل ليتجهوا هذا الاتجاه ، ومن عجب أننا نلاحظ قوى هائلة تبحث عن الأصوات الجديدة للغناء ، وتبحث عن الوجوه الجديدة للتمثيل ولا نجد من يبذل أى اهتمام أو أى جهد للبحث عن القدرات التي تحمل الهداية للبشرية ، وتقدم للناس خاتم الأديان .

والداعية الذى نريده انسان له تربية دينية من مطلع حياته ، حفظ القرآن الكريم، كما حفظه الكثيرون من جيلنا مع نعومة الاظفار ، وأجاد تلاوته ، وعرف قدرا من الدراسات الاسلامية من فقه وتفسير وحديث ، وله قدرات خاصة في التعبير والابانة، وسمت طيب، في المنظر ، وخلق كريم، وحب للعمل والعطاء ، مع معرفة باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

ويختار هؤلاء بامتحان مسابقة من بين الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية ، أو الثانوية العامة ، ويكون عددهم كل عام خمسين طالبا فقط ويلتحقون بكلية داخلية تسمى «كلية الدعوة» مدة الدراسة بها أربع سنوات تسبقها سنة تمهيدية تهتم بحفظ القرآن الكريم بالنسبة للحاصلين على الثانوية العامة، وتهتم بمزيد من اللغات الاجنبية بالنسبة للحاصلين على الثانوية الازهرية ، وتدفع لكل طالب مكافأة تشجيعية لا تقل عن عشرة جنيهات شهريا .

ويختار لهذه الكلية الداخلية خيرة الأساتذة المتخصصين في الدراسات الاسلامية وعلوم الدعوة واللغات ، وتشمل خطة الدراسة العلوم الآتية :

١ – علوم القرآن الكريم من مستوى رفيع ، مع العناية بدراسة مناهج المفسرين .

٢ – علوم السنة ، مع حفظ مجموعة كافية من أحاديث الرسول صلوات الله عليه ، ومع دراسة منهج المحدثين في ضبط السنة .

٣ – الفقه المقارن مع ابراز روعة التشريع الاسلامي

٤ – الدراسة العميقة لعلم مقارنة الأديان ، ودراسة مقارنة الأديان ستضع أيدينا على جمال الاسلام ، وعلى النور الذى يحمله ليكمل به محاولات الأديان لهداية البشرية ، وسيستفيد الداعية من « مقارنة الأديان » في مواجهة المبشرين ، فهؤلاء

محمد الداعية

يعرفون الاسلام ويتلمسون مايعتقدونه نقاط ضعف فيه ، ليهاجموه عن طريقها كتعدد الزوجات والطلاق وانتشار الاسلام بالقوة ، ولا يجوز أن يقف الداعية موقف المدافع فقط بل يجب أن يعرف كيف يهاجم احياناً ، ولن يكون ذلك الا اذا تعرف على هذه الاديان ، ودرسها ، وأدرك ما حدث بها من تحريف على مر السنين .

ويشمل علم مقارنة الاديان عدة قضايا دينية مثل قضية الالوهية وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس .. وغيرها من القضايا التى تبرز روعة الاسلام وجلاله ، كما يشمل التعرف على الأديان ، والمعتقدات المنتشرة فى المناطق التى سيرتادها الداعية كالطوطمية والبوذية الخ . . .

٥ ـ الدراسة العميقة للحضارة الإسلامية بنوعيها ، أى دراسة الحضارة الاسلامية الاصيلة ، التى جاء بها الاسلام ، ولم تكن معروفة قبل الاسلام كاتجاهات الاسلام فى السياسة والاقتصاد ، وفى المجال التربوى والاجتماعى والعسكرى ، تلك الجوانب الحضارية التي تعد منحة الاسلام لهداية البشرية ، وتشمل الدراسة مقارنة النهج الاسلامى بالمناهج المعاصرة فى السياسة والاقتصاد وغيرها .

ثم دراسة الحضارة التجريبية التى كانت موجودة قبل الاسلام ، ثم ذبلت واختفت كالطب والرياضة والفلك مع ابراز دور المسلمين فى احياء هذه الحضارة وشرحها والكتابة فى نطاقها بما اضاف اليها من ابتكارات وفكر .

وتختم دراسة الحضارة الاسلامية ببيان انتقال هذه الحضارة من العالم الاسلامى الى الهند والصين ثم الى أوروبا ، ومن أوروبا الى العالم بأسره ، حتى أصبحت الحضارة الاسلامية أساساً للحضارة العالمية ، ويقتبس عن ذلك اعترافات الغربيين أمثال :
جورج سارتون وكيرك وغوستاف لوبون وريتشارد كوك وغيرهم .

٦ ـ دراسة تاريخ العالم الاسلامى من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مع العناية بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، وسيرة السلف الصالح والمصلحين المسلمين ، مع العناية بتصحيح ما حدث فى تدوين التاريخ من اخطاء ، ومع العناية بتاريخ المسلمين من غير العرب ذلك الذى تجاهله السابقون أو أوشكوا .

٧ ـ دراسة خريطة العالم الاسلامى مع بيان انها خريطة مفتوحة ، أى تحتمل مزيداً من الاتساع والامتداد ، وان بها منافذ جغرافية وفكرية لمزيد من العمق والاتساع .

٨ ـ دراسة تاريخ الدعوة الاسلامية وتحركات الدعاة المسلمين ، ووسائلهم التى اتبعوها هنا وهناك لنجاح مهمتهم .

٩ ـ الاستمرار فى تقوية اللغات الاوروبية التى يعرفها الطالب ، وتقديم لغة شرقية تمثل المنطقة التى يتشوق الطالب لارتيادها والدعوة للاسلام بها « مثل الهوسا أو اللغة الاندونيسية . »

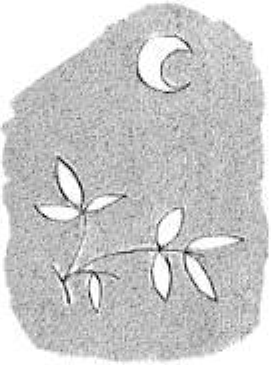
وبعد ، ذلك هو السبيل لتكوين الداعية ، وهو طريق ليس شاقاً ، ولكنه مهمل ، ونحن نطالب ان يبرز ذلك الجهد للوجود فلا يشغل عنه شيخ الأزهر أو وزير الاوقاف أووزير التعليم ، ونرجو الا تشغل عنه جماهير المسلمين .

فليبرز هذا العمل للوجود ولو بجهود ذاتية ، لنخدم بذلك ديننا وعن طريق خدمة الاسلام سنخدم وطننا ونخدم المسلمين ، وارجو أن تنال هذه الصيحة ما تستحقه من اهتمام ..

وبالله التوفيق

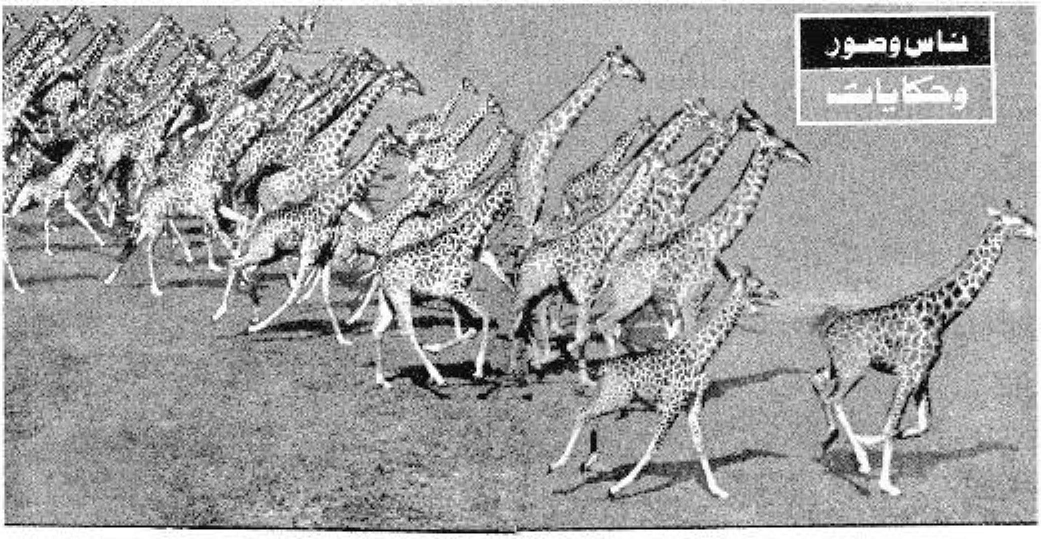
بين يدى سيدى

● ابراهيم عيسى ●



بعد ان ادى الشاعر فريضة الحج ، وقف بين يدى سيدى رسول الله فى المدينة المنورة ، وبينما هو يتمتم بالدعاء اذا بهذه الابيات تنساب من بين شفتيه :

لدَى سيِّدى قد سمعتُ الضياءْ
يُنادى فؤادى فلبَّى النداء
ولبَّتْ دموعى .. وحنَّت ضلوعى
وشعَّت شموعى .. بساحِ الرجاءْ
فرحتُ أهرولُ نحو ثراه
بشوقِ محبٍّ دعاه اللقاءْ
فما أبصرَ القلبُ أرضا ولكن
رأى ما رأى فى انسكابِ السَّناءْ
فيا قدمىَّ احملانى هُوَينا
فما تلك أرض ، ولكن سماءْ



لحظات مع زرافات ظريفات

● الزرافة من ألطف خلق الله شكلاً وهيئة ..

فإن عنقها الطويل مشكلة لها ، ولكنه متعة لنا ، وأقدامها الطويلة كذلك والسؤال الآن : هل طال عنق الزرافة لأن أقدامها طويلة ، أو أن أقدامها طالت لأن عنقها طويل .

ثم إن جلدها الأنيق يلمعه الملونة أشبه برسم لقماش مصنوع في مصنع نسيج ، وهو متعة وزينة ، وسمة من سمات الجمال التي تنفرد بها هذه المخلوقة الظريفة .

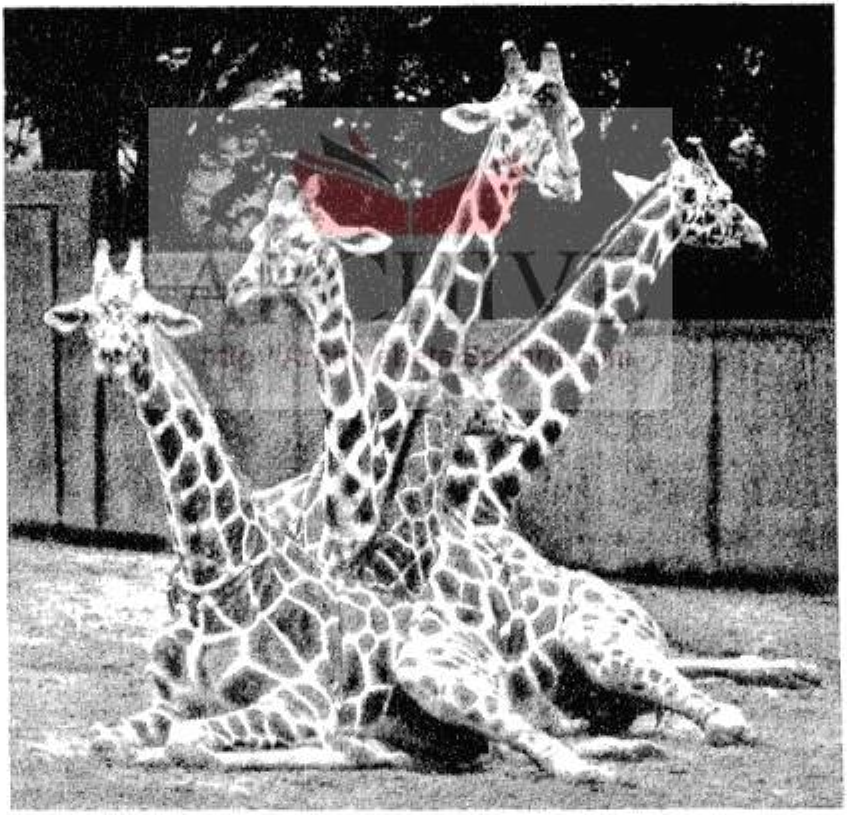
وهي من آنس الحيوانات بعضها مع بعض ، فهي تتجمع وتتآنس وتتحدث بلغتها ، وباستثناء صورة القطيع الزرافات التي تراه في صفحتين معاً ، فإن بقية الصور لاثنات من جنس الزراف يتحدثان فيما بينهن كما تتحدث النساء في مجالسهن .. حديث الزينة والأزياء وآخر الصيحات .. وفي إحدى الصور التي نراها قرينة تقدم إبنها لسعادة القراء .

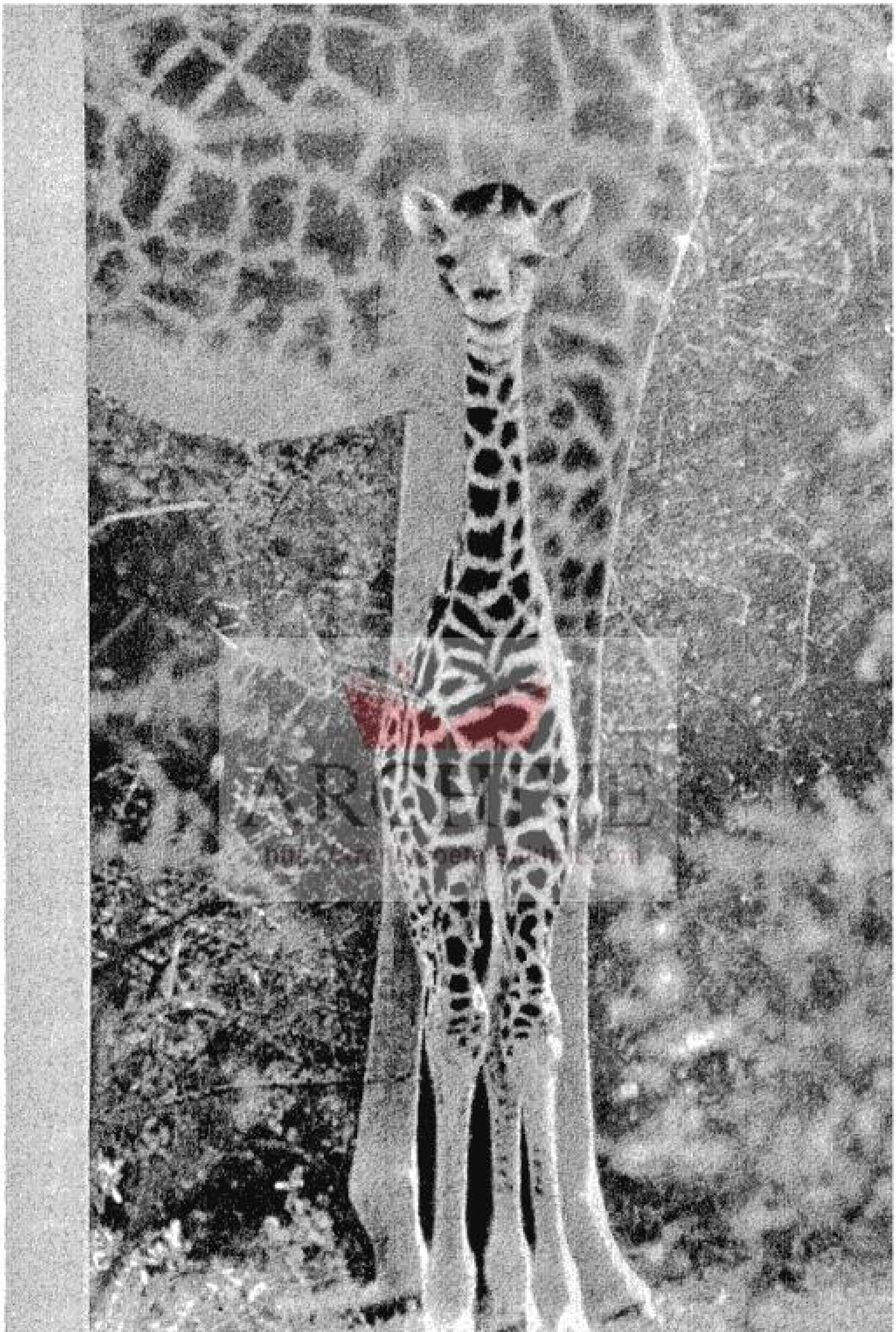
لقد كان الولاة في الماضي يتهادون الزرافات على اعتبار أنها من ألطف الحيوانات وأظرفها هيئة ، ولقد كانت بين السلطان المنصور محمد بن الناصر قلاوون عداوة مع أحد رؤساء النوبة وطمس في أعقاب حملة التأديب ، فأسرع ذلك الرئيس بإرسال زرافة إلى قلاوون فزال غضبه ، ولم يرسل الحملة ... ولكنه طلب إلى ذلك الرئيس أن يرسل

ناس وصور وحكايات

لحظات مع زرافات ظريفات

له زرافة ثانية ، لان زرافة واحدة لابد ان تقتلها الوحدة اذا ظلت تسرح وحدها فى حدائق القصر ، فابدى ذلك الرئيس استعداده ، ولكنه سال اولا عن جنس الزرافة الاولى : هل هى ذكر ام انثى ، فابلغوه بانها انثى ، فارسل لها زوجا شابا سعدت به ، وسعد بهما المنصور محمد بن قلاوون ..







ناس وصور وحكايات

أنقذوا الضحية.. في الوقت المناسب

● في صباح يوم من ايام شهر مايو الماضي دخل شاب طويل القامة شاحب اللون احد البنوك في مدينة سان دييجو في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة . كان يسير خلفه ويكاد يلاصقه شاب زنجي زائغ البصر ويده في جيب بنطلونه

الشاب الاول يسمى ادوارد توتسنت وهو طالب في الجامعة معروف في البنك فله فيه حساب ولكنه في ذلك اليوم كان في حالة غير عادية كانت يده ترتعد ، وعندما طلب من موظف البنك ان يصرف له شيكا بألف دولار اضطر الى التوقيع على الشيك مرتين قبل ان تخرج الامضاء دقيقة. كل ذلك والزنجي خلفه .

وصرف الموظف المبلغ ووضعه الشاب في جيبه ، وخرج والزنجي في اثره وركب الاثنان سيارة المانية الصنع ماركة بورجي وهي من سيارات الشباب الغالية الثمن التي تنطلق بسرعة تصل ٢٥٠ كيلو مترا في الساعة







وشك موظف البنك في الامر ، وقع في ذهنه ان هذا الزنجي اختطف ذلك الشاب وارغمه على صرف الشيك لحسابه فابلغ البوليس وما كاد الشاب ادوارد توتسنت يدخل السيارة ومن خلفه الزنجي واسمه نيومان اوزبيود وهو طالب اصله من افريقيا معروف لدى البوليس بملف لا يشرف ، وتحركت السيارة وخلفها البوليس واطلق الرصاص على العجلات الخلفية فتوقفت

وطلب البوليس بالميكروفون من نيومان اوزبيود ان يسلم نفسه فرفض ، وظل يرفض سبع ساعات ثم تكلم في الميكروفون وطلب الى البوليس ان يسمح له بالخروج والذهاب حيث يشاء وسمحوا له

وفتح باب السيارة ونظر في حذر. كان في يده مسدس . المسالة هنا مسالة سرعة . من يطلق الرصاصة الاولى ...

وكان البوليس صاحب تلك الرصاصة وهو بوليس خاص دقيق التصويب، فلم يكد المجرم يخرج حتى اصابته رصاصة في راسه ووقع على الارض وحاول ان يطلق الرصاص على ضحيته، ولكن البوليس عاجله برصاصة اخرى في رقبته ..

وانتهى الامر

ونجا الشاب ...

وفي غرفة المجرم نيومان اوزبيود وجدوا صاحبة البيت الذى يسكن فيه «٤٣» سنة وابنتها « ٤ سنوات » قتيلتين بالرصاص

والصور على هذه الصفحات فيلم كامل لهذه الماساة لا يحتاج الى تعليق

ليس إلاّ الحب..

● محمد كمال الدين امام ●

اليك يشدنى الالق … ويهتف بى فانطلق
واهجر يا رسول الله … دنيا آدها الارق
والواما بغير الله … واسم الله ـ قد نطقوا
وازمانا بغربتها … تضيق النفس والافق
لعلى فى طريق النور … اعرف فتية سبقوا
اذا ما جاهدوا ثبتوا … واما عاهدوا صدقوا !

***

اتيتك يا حبيب الله … نفسا شفها القلق
لان مسحت يداك على … جبينى تسطع الطرق
وانك ان نظرت الى … لاحزن ولا رهق !

***

وكان الليل كان الليل … تهفو فيه تختنق
وانسانا يباع لكى … تجىء الخمر و « الورق »
وارضا اينما تمتد … يسرع خلفها الفسق
وجندا من اسنتهم … يسيل الحقد والفرق
الى ان جئت ، يا للفجر … يغمر كل من عشقوا
زوارقهم بامر الله … لا ريح ولا غرق
ورحلتهم مع الايمان … نور فيه نعتنق
فتزدهر المنى فى الروح … والاحزان تحترق
فليس لمن طغى فى الارض … حين اتيتها رمق
وليس لنا وقد اقبلت … الا الحب والالق !

حوار مع نجيب محفوظ

● عاطف فرج

●● والحقيقة أن إيمان المصريين، حقيقة جوهرية ولقدمها في نفوسهم فهي متأصلة فيهم .. والحقيقة المصرية لا يمكن فهمها من غير هذا العنصر العام ..

● قلت له : أستاذنا نجيب ... ان الحركة القصصية في العالم العربي تحتاج الآن الى تقييم ، فما هو تقييمك لها ، خلال العشرين سنة الماضية ؟

أجاب ، بعد لحظة صمت ، لم تطل ، ارتشف خلالها من فنجان القهـــوة الذى أمامه ، وأشعل سيجارته ، وتابع بعينيه من خلف زجاج النظارة الطبية ، اتجاه الدخان المتصاعد في فضاء الحجرة :

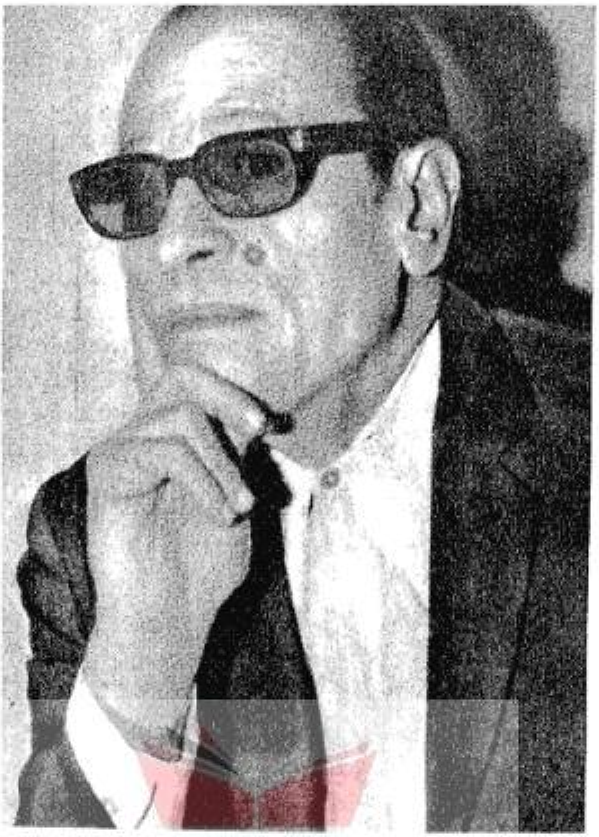
« لقد كانت العشرون سنة الماضية ، في جملتها ، سنوات حروب ، وأزمات ، كانت سنوات عجافا ، وكانت الحرية أول ضحاياها ...

في مثل هذا المناخ ، لا ينتظر الانسان ، ازدهارا حقيقيا للفكر ، والفن . وعليه فاذا ما تابعنا ، ما أنتج من قصص في العالم العربي ، وما ظهر من قصاصين في أجيال مختلفة ، يجب أن نعتبره نهضة تستحق التقدير .. والشكر .

رغم ما اعتراها من عجلة في التاليف أحيانا ، ومن توقف أحيانا أخرى ، ومن عثرات في طريق النشر . مرة ثالثة . فهذه الظروف هي التي يجب أن نحكم على ضوئها بموضوعية .. وأن نقيم بمقتضاها الحركة القصصية في العالم العربي .

قلت : يعتبرونك اول من انشا الرواية العربية ، بمعنى الكلمة ، ويقولون ان رواية « زقاق المدق » تعتبر الرواية العربية المكتملة البناء ـ ما هو تقييمك لهـذه البذرة التي غرستها ـ بعد هذه التجربة الطويلة كلك في عالم القصة .

● أجاب .. واشارات يديه .. تقطع الهواء .. تاكيدا لما يقول :



ـ لا ... لا أعتبر نفسى كذلك ، فقد سبقنا « المويلحى » وكان همزة وصل بين التراث والمعاصرة ... ثم جاء « المنفلوطى » ، فأثر باقتباساته التى جعلها مصرية ، تأثيرا لا يستهان به ، فى خلق الرؤية القصصية ... ثم جاء جيل الرواد ، فقدم ما قدم من نماذج خالدة فى حياة أدبنا .

ثم جاء جيلنا وبه بدأ جيل التخصص ، ومحاولة كتابة القصة ، على أسس سليمة ، مما يعترف به الفن القصصى ، كفن له أجروميته العالمية ، ونحن الآن نتطلع الى أصالة أصيلة تشمل الموضوع والشكل معا .

وقد يكون من الصعب على الانسان أن يحسن تقييم نفسه ، بموضوعية ، ولكن نستطيع أن نقول ، ان عملنا قد تمخض ، بقدر الامكان ، عن انجازات هامة ، نجملها فى ثلاثة عناصر :

اولها : بلورة العناصر فى الرواية .

ثانيها : تقديم أشكال متتابعة فى فترة قصيرة ، مختصرين بذلك تاريخا طويلا لفن الرواية فى الغرب .

ثالثها : تطويع العربية للغة الروائية على قدر الطاقة .

وقبل ان ابتدره بسؤال الثالث .. قال لى ـ « لحظة يا مولاى » .. وهب واقفا يصافح عملاقا اطل بوجهه من فتحة الباب .. انه استاذنا الكبير توفيق الحكيم يحييه تحية الصباح .. رحلة عمر وزمالة قلم فى عالم الادب .. وعندما عاد قال



« توفيق بيه .. قبل ان يدخل مكتبه .. لابد ان يطمئن على نجيب . »

ثم اردف بابتسامة .. « نواصل حديثنا .. »

قلت له : الاستاذ نجيب محفوظ ، لم يكتب ، أدب الاعترافات ، فما هي الرواية التي تمثله أكثر من غيرها ، ولماذا ؟! ..

قال ، وهو يستند بظهره الى المقعد :

« صحيح انني لم أكتب في أدب الاعترافات ، لكن الحقيقة ، أن كل عمل من اعمالي ، يمثلني بطريقة ، أو بأخرى ، والا انقطعت الصلة بيني وبين أصالته ، وقد تكون ملحمة « الحرافيش » هي أقرب الى نفسي ، لانني اعبر فيها عن أشياء كثيرة تهمني .. عن رواية « الحرافيش » قال الناقد رجاء النقاش « ان نجيب محفوظ يريد أن يقدم الينا صورة واضحة من « المدينة الفاضلة » كما يتصورها » .

قال الاستاذ نجيب عن هذه الملاحظة .. « هذا صحيح .. » .

قلت له : على وقع طرقات النحاسين ، وروائح « المبخراتية » وفي مواقع كثيرة تشكلها شخصيات رواياتك .. تتردد كلمة « صل على النبي » ـ فالى أى حد يشكل الايمان جانبا في حياتهم ، والى اى مدى تكون شخصية الرسول الكريم والايمان به جزءا من نفسية وتكوين الانسان المصرى ؟

قال الاستاذ وهو يقترب مني أكثر ، ساحبا مقعده الى الامام :

ـ الحقيقة أن ايمان المصريين ، حقيقة جوهرية ، ولقدمها في نفوسهم فهي متاصلة فيهم . والشخصية المصرية لا يمكن فهمها من غير هذا العنصر الهـــام . ولا يمكن فهمها الا عن سبيل هذا العنصر المتمثـــل في الايمـــان القوى بالدين وبالرسول الكريم ، وهو لنا اسوة حسنة . يجب أن نقتدى بها .

ولم يكن مصادفة أن يتبلور المعنى الديني اول ما يتبلور في مصر ، والتعلق برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ظاهرة ملموسة جدا في نفوس الناس ، لا يمكن للمعين أن تغفلها .. والروائي بطبعه يتغلغل في نفوس شـــخصياته ، ويعلن ما بداخلها ، وينطق ما ينطقون به ، لذا فان شـــخصيات رواياتي كل في صنعته ، وكل في مكانه ، أو في حرفته ، حتى ولو كانت دورا للهـــو يرددون الصلاة على النبي الكريم . وانا ككاتب واقعي أشعر باحساس عميق بالنسبة للواقع الذى أكتب عنه .

واذا كان التعلق بالرسول عليه أفضل الصلاة وأعظم الســـلام .. ظاهـــرة ملموسة جدا كما قلت ، الا أنه عليه السلام حذر من التعلق به الى درجة المبالغة فيه .. ولعله من الغريب أيضا أن المصريين لم يميلوا للمذهب الشيعي رغم تواجده منذ مدة طويلة في مصر ورغم حبهم الشديد للرسول الكريم وآل بيته ، رضوان الله عليهم جميعا .

ونحن نردد على السنتنا كلمات « صل على النبي » حتى ولو كنا نعـــلن عن سلعة نريد بيعها . فهى جزء لا ينفصل من وجدان الشعب الديني ، ومن ثم فانه ينتقل الى شخصيات رواياتي لانها جزء لاينفصل عن الواقع الذى يدورون فيه .

قلت له : أنت كقارىء أولا ، ثم ككاتب ثانيا ، قد تأثرت بغيرك . من هو اذن الكاتب الاجنبى غير العربى الذى تأثرت به وما هى الرواية أو ما هو الكتاب ؟! .

قال : وهو يدق بأنامله على طرف المكتب ، ويدور بعينيه في فضاء الحجرة ـ التي علقت على حوائطها لوحات تجريدية لاناس مثقلين باحمـالهم المعنـــوية من الهموم ..

« ـ لقد تأثرت بكثيرين من الادباء ،أقول على سبيل المثال لا الحصر ،ان أحب الكتاب الى نفسي : « تولستوى » و « بروست » و « كافكا » و « ميلفـــــل » ، و « دستويفسكى » و « موم » و « هيمنجـــــــواى » .. وأحببت من الروايات « البحث عن الزمن المفقود » و « الحرب والسلام » و « الشيخ والبحر » .

قلت له : ومن من الكتاب العرب القدامى ، كان له أثر كبير في تكوين أسلوب نجيب محفوظ ، وطريقة كتابته ؟!

أردف باجابة سريعة :

« اذا اخترنا واحدا فقط ، فانه توفيق الحكيم »

قلت له : ألا يعتبر الاستاذ توفيق الحكيم من جيلك ؟!

قال : لقد تأثرت بالقدامى ـ ان كنت تريد ذلك ـ وخصوصا الشـــعراء أمثال «المتنبى» و « أبى العلاءالمعرى» .. ومن الصعب ان أعرف الاسلوب أو طريقة الكتابة التى أكتب بها ، لاننى لا استطيع ان أحدده ، والذى يقدر على تحديده هو القارىء والناقد أكثر من الكاتب نفســه .

قلت له : ومن من المعاصرين غير الاستاذ توفيق الحــكيم تأثر به نجيب محفوظ ؟!

قال : الاستاذ العقاد ، وطه حسين ، والمنفلوطى ..

قلت : عادة يقدم الادباء الكبار نصيحة للادباء الشـــــبان ، نريدك أن تقدم نصيحة بأن تختار لهم ثلاث روايات من الادب العالمى كى يقرأوها .. فمـــا هى ؟! ..

قال : « أنا ياسيدى لا أملك أن أنصحهم فى هذا المجال .. لان القـــراءة تعتبر رغبة شخصية ، وان كنت ألمس بعض رغباتهم ، فمنهم من يقــــرأ لـ « مكسيم جوركى » وتأثروا به ، ومنهم من تأثر بأسلوب اللا رواية ، أو الرواية الضد . »

قلت له : لقد صورت بقلمك ثورة ١٩١٩ بدقة بالغة ، فى الثلاثية وخاصــة فى الجزء الثانى ، وهو « قصر الشوق » فالى أى شىء ترجع هذه الدقـــة فى الوصف وماهو أثرها فى نفسية الانسان المصرى ؟!

قال وهو يستجمع الذكريات من رحلة الحياة الطويلة ، يرتب فيهـا الصـور مرة كأحداث عاشها وهو صغير فى سن السابعة ، ومرة وهو يدون هذه الاحداث فى الثلاثية :

ـ لقد صورت الاحداث بدقة ، لانها جزء من مجرى الموضوع الذى أكتب عنه وكان بالنســبة لى تجربة حية .. عشتها فى مهدها أى فى قيام الثـــورة العظيمة بقيادة سعد زغلول ، وعايشتها فى نتائجها ، فلقد شاركت فى نتـــائج أحداث الثورة ، بعد أن تطورت ، لقد عاش سعد زغلول فى وجدانى ووجدان غيرى من الناس ، لقد تأكد حب سعد فى نفوسنا ، فى البيت لا حديث الا عـــن سعد ومواقفه ، فى الشارع ليس هناك من أخبار وتعليقات الا عن سعد . فى



المدرسة لا ينتهي اليوم الدراسي الا وتكون قد ازددنا علما بما يحدث بين سعد الذى يمثل الامة فى ذلك الوقت والانجليز المحتلين ..

والثورة بالنسبة للانسان المصرى كانت بمثابة البعث ، من موت السلبية ، الى الحياة الايجابية ، ومن التشتت الى الوحدة الوطنية ، والى الايمان العمل بالحرية ، والاستقلال ، والديمقراطية ، وكان من اهم نتائج هذه الثورة تفجر مواهب الشعب فى كل مناشط الحياة ، من فن وادب وفكر وفلسفة وغيرها ... لقد خرجت انا لنفسى من هذه الثورة وفى داخل حب للوطن شديد وعدم حب للملك والباشوات ، واعتقاد فى الدستور يوازى الايمان بالاستقلال .. هذه العناصر جعلتنى اصور ثورة ١٩ فى الثلاثية بدقة متناهية

سالت الكاتب الكبير : هل يمكن ان تكون هناك الرواية الحوارية الكاملة ، وهل هذا يعتبر شكلا جديدا من اشكال الرواية ؟!

قال نجيب محفوظ بعد ان استعادنى السؤال مرة اخرى :

ـ حقيقة لا استطيع ان اجزم بشىء ، لكن الاستاذ توفيق الحكيم قال لى اثناء مناقشة بيننا ، انه توجد رواية من هذا النوع لكاتب اسبانى من القرن الثامن عشر على ما اعتقد ، وكان ذلك بمناسبة ماكتبت من قصص حوارية قصيرة ، هذه القصة كان قد قرأها الاستاذ توفيق فى قاموس أدبى ، فلربما لم تترجم بعد من الاسبانية الى لغةثانية .. والا لكنا قد قرأناها » .

قلت له : ماذا يقرأ الاستاذ نجيب محفوظ الان سواء من الكتب العربية ، او الاجنبية ؟!

قال : « اقرا الان قراءات متنوعة من التراث العربى ، واحب ان اقرا فى الموضوعات التى تتكلم عن الحضارة ، او الكتب التى تتناول العلوم والتى تكتب خصيصا للجمهور ، واقرا فى الدين أحيانا عن التصوف » .. وضحك وهو يقول : « واقل القليل فى الادب ! »

سالته : هل فى ذهن نجيب محفوظ قصة كبيرة من النوع الذى انشا اتجاها جديدا فى الادب العربى مثل زقاق المدق او الثلاثية ؟!

قال : « انا الان فى حالة تفكير ، ومن المحتمل أن ابدا فى اكتوبر شيئا جديدا ، وعندى الان ثلاث روايات مكتوبة منذ سنة ١٩٧٧ ، وان كنت اعتبر ان ملحمة الحرافيش من هذا الشكل الذى وضع أساسا مثل زقاق المدق ، والثلاثية . »

وعن شباب مصر المعاصر ومشكلاته والازمات التى تصادفه وكيف يمكن مساعدته ـ سالت اديبنا الكبير ، فقال : وهو يعد على اصابعه .. الواحدة تلو الاخرى :

« شبابنا يعانى من الاتى :

اولا : لا يلقى تعليما وتربية يعدانه للعصر كما ينبغى له .

ثانيا : بعد التخرج وبسبب ظروفنا ، لا يجد الاجر المناسب الذى يمكنه من الحياة كما ينبغى له أيضا .

ثالثا : لا يستطيع أن يشبع الجانب الوجدانى من الزواج ، بسبب ضيق ذات اليد . الى مضايقات فى المسكن والمواصلات ـ وهو يشارك بقية الشعب فى ذلك ..

رابعا : لا يجد الفرصة الكافية لتحقيق ذاته ، اجتماعيا ، وسياسيا ..

فاذا ما استطعنا أن نجد حلا لهذه المشكلات أمكننا ان نساعد الشباب بأن نجعله يحقق ذاته في كل شيء ..

قلت له : أستاذ نجيب يدور الحديث عن أزمة الثقافة العربية في الوقت الحاضر ، ماهو رأيك فيها وكيفية علاجها ؟!

قال : الكلام كثير عن أزمةالثقافة ولكنه لا يقوم على احصاء دقيق ، كان يقدم مثلا عن عدد الكتب التي تطبع في البلد فيالعشر سنين الاخيرة، ونوعيتها وعدد مايباع منها ، لكي نعلم اذا يزدهر . وماذا يذبل وماهو تحصيل ذلك كله .

لكن الواقع أن كل انسان شاعر ان الجو الثقافي بصفة عامة ليس على ما يرام ، فلا فكر يتسم بالجراة والاقتحام ، ولا شيء يمكن أن نعتبره من الروائع .

قلت له : هل يعتبر نجيب محفوظ نفسه من المدرسة الطبيعية في الكتابة أو المدرسة الواقعية ، وما الفرق في نظرك بين الاثنين ؟!

قال : الحقيقة لم يشغلني ذلك ، ولا أفكر في أي مدرسة ، وعلى وجه اليقين ، فانا لست من المدرسة الطبيعية ،فلقد كتبت في الواقعية ، والسريالية والرمزية .. فالمدرسة الطبيعية في الكتابة تقوم على تفسير السلوك الانساني بالغريزة والوراثة ، ومما لاشك فيه ، أن ابطالي تدخل عناصر اخرى غير الغريزة والوراثة في تفسير سلوكهم ، مثل تأثير البيئة والارادة الشخصية ، والثقافة الروحية ..

قلت له : هل تعتبر نفسك رائدا للواقعية في مصر ..؟!

قال : ولا ... فرائد الواقعية في مصر هو ، المويلحي ، وحديث « عيسى بن هشام » الذي كتبه خير دليل على ذلك ، ففيه صفحات كثيرة في نقد المجتمع المصري وتبيان أوجه النقص فيه .. »

قلت له : اذا جاز لنا ان نعرج قليلا الى حياتك الشخصية .. وسألتك : هل انت سعيد الآن وراض عن نفسك . وما هي اسباب ذلك ..وكيف يمكن أن تحقق السعادة للآخرين .. بكلمة تقولها لهم ؟!

قال وهو يهز رأسه علامة النفي ، مصحوبة بابتسامة عريضة :

ـ انا في السن التي يحاول فيها الانسان أن يرضى نفسه ، أما السعادة فشيء آخر .. اذ كيف يسعد الانسان نفسه وهو في هذا الزمان وهذا الموقع الجغرافي الممزق ، ولكن يجب أن نذكر هنا أن باب الأمل قد فتح بالسلام أولا، وبالسير في حل القضية الفلسطينية ثانيا وبالتركيز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية ثالثا ..

سألته : هل يعني ذلك انك قلق ؟!

قال : لا يخلو الانسان من القلق ، وخصوصا الكتاب ، ويوم أن يزول القلق تتوقف عند الانسان الرغبة في الكتابة ...

قلت له : هل كتب الاستاذ نجيب محفوظ قصة حبه الحقيقية ؟!

ابتسم الرجل وقال : « لم أكتبها بعد ، ولكنني استفدت منها في كتاباتي ... »

كان هذا سؤالي الاخير عندما اطل علينا ابنة استاذنا الكبير توفيق الحكيم قائلا : « هل انتهيت يا نجيب ..معي كاتبة اجنبية تريد ان تجري معك حديثا»

ودعت العملاقين على امل لقاء جديد ، ودعاء لهما بطول العمر ..

المرأة أمام الطريق الصعب

● منى مؤنس ●

● اول ما سمعت عن موضوع المرأة والقصة والشعر خطرت بسالى الكاتبة الانجليزية فيرجينيا وولف وذلك لاسباب شتى قد يكون اولهـا اعجابى بها ككاتبة روائية ،ثم اعجابى بها ايضـا كامرأة عاشت وكافحت فى سكون وحصلت عـلى مكانة فى الادب الانجليزى بالذات ثم العالمى بعد ذلك يدهش لها كل من يعرف كتاباتها .

ان اعجابى بها ككاتبة روائية يشاركنى فيه الكثيرون من قراء ومحبى الرواية، وذلك لأن لها طريقتهـا الخاصـة فى الكتابة . فمن حيث الأسلوب نجـد اسلوبها اقـرب الى الشـعر منه الى النثر ، أما تناولها للموضوعات فمعظم رواياتها قد يشعر الكثيرون بانها خالية الاحداث كما هو الشان فى معظم الروايات، أو من حيث تركيب الرواية ، فأحيانا يشعر القارىء المسرع أن أعمالها تبدو مجردة من ذلك التركيب الروائى الذى يعتمد على بداية واضحة ونهاية تعرف القارىء بأن المؤلفة اتمت ما تريد قوله، ومن ناحية تكنيك الرواية فنجد أنهـا مع جيمس جويس ـ أدخلت على الادب الروائى الانجليزى ما نسـميه فى مصطلحاتنا « بتيار الشـعور » أو بالحوار الداخلى .

ان فيرجينيا وولف ولو أنها لم تبتكر فكرة « تيار الشـعور » ، وتأثرت فى ذلك بكتاب سبقوها اليه ، مثل الكاتب الروائى الانجليزى لـورنس سـتيرن والفرنسى مارسيل بروست الا انها طورت هذه التقنية لدرجة انه اذا ذكر اسمها فى ايامنا هذه ارتبطت به تلقائيـا فكرة « تيار الشعور » ... ومعنى ذلـك انها لم تطور هذه التقنية ، فقط ، بل



فرچينيا وولف

ضبطتها لحد كبير ..

من خلال كل ما ذكرناه انتشر اسم فيرجينيا وولف فى حياتها ، وتزايدت شهرتها وعظمتها بعد ذلك ، بل انها تعتبر من كبار المجددين فى الرواية الانجليزية فى بداية القرن العشرين ، ثم تركت اعمالها الادبية بصمات عميقة فى الادب الانجليزى اثرت من خلاله على كثير من كتاب العالم .

***

اما اعجابى بها كامراة فيرجع الى ضميرها وشعورها بالالتزام نحو اعمالها ونحو مجتمعها وعشقها الجاد للادب وتطوره ، ثم اهتمامها بوضع المراة الانجليزية فى المجتمع ، واهتمامها بالذات بالراغبات فى دخول ميدان الفن من النساء . فالى جانب ما قدمته فيرجنيا وولف من روايات اصبحت عالمية ، كتبت اعمالا اخرى كثيرة ذات اهمية كبرى ، ولكنها لم تجد الشعبية التى وجدتها رواياتها وذلك لاسباب غير واضحة قد يرجع بعضها الى انها صدرت عنها كافكار خاصة بها كامراة ، **او لانها ملاحظات حول الحياة الدنيا ، او مجرد كلام فى** موضوع ما كان يشد انتباهها ، **فهناك مثلا** كتابها المسمى « **حجرة خاصة** » وهوالذى فكرت فيه عندما سمعت بموضوع المراة والقصة والشعر . ففى هذا الكتاب الذى يعتبره الكثيرون **مجرد** كتيب ، اذ انه لا يتعدى **المائة صفحة** ـ تتناول فيرجينيا وولف موضوع المراة التى تريد أن تشق **لنفسها طريقا فى مجال الادب والصعوبات التى تواجهها حينما تتجه فى هذا الطريق . فترجع بنا فيرجينيا وولف فى كتابها هذا الى القرن السابع عشر أى العصر** الاليزابيثى او عصر شيكسبير فى انجلترا ، وتتساءل عن سبب عدم وجود اى كاتبة ذات شهرة فى ذلك الحين . ثم تحاول أن تبرر هذه الظاهرة وتقول انه يجب أن نأخذ فى الاعتبار مكانة المراة الانجليزية فى مجتمعها فى ذلك الحين ، فنجد مثلا أنها لم يكن لها فى الواقع اى مكانة ذات اعتبار ، فكانت مسلوبة الحقوق ، لا سلطان لها على مالها . فقد كانت

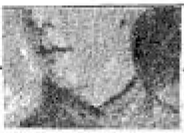
خاضعة لابيها أولا ، ثم لزوجهـــا اذا تزوجت .
والمدهش أن شيكسبير نفسه خلق شخصيات نسائية مذهلة في مسرحياته مثل « ليدي ماكبيث » و « كليوباترا » وغيرهما ممن أثرن على حياة من حولهن داخل احداث المسرحية ذاتها . ولذلك تقول فيرجينيا وولف انه يجب الفصل بين المراة في الادب الانجليزي في عهد شيكسبير ، وبين ما كانت هي عليه في الحقيقة ، فالمقارنة تظهر الاختلاف وتثير الدهشة . فتتصور فيرجينيا وولف مثلا انه لو كانت لشيكسبير اخت تتميز بنفس الموهبة الفنية التي كان يتمتع بها شيكسبير نفسه ، لما وجدت الفرصة لتعريف الناس بعبقريتها .
وبطريقة منطقية تجد فيرجينيا وولف ان مثل هـــذه المراة الموهوبة كانت ستواجه ولابد عقبة هائلة تتمثـــل في المجتمع كله ، اذ ان ذلك المجتمع كان سيقف ضدها لا محالة ، ولم يكن احد ليسلم بان لها اي موهبة ، ويرجع ذلك الى أن المراة كانت تعتبر في ذلك الحين انسانا من الدرجة الثانية من حيث القوة العقلية والبدنيـة والروحيـة ، ولذلك كانت وظيفة المراة في الحياة العامة محدودة ولا تذكر .

***

لم تتجول فيرجينيا وولف عبر تاريخ الادب الانجليزي وتقف عند القـــرن الثامن عشر ، وتجد نفس الظاهرة التي وجدتها في القرن الســابق ، وتبررها بنفس السبب ، وهو وضـــع المـراة الانجليزية في مجتمعها الذي لم يتغير . وتندهش عندما تلاحظ أن المراة في حد ذاتها كانت تلهم كثيرا من الشعراء للكتابة عنها ، ولكنها في حقيقة الواقع التاريخي كان مقدرا لها أن تلـــزم حدودها ، وأن تعلم تمام العلم بانهـا محدودة النبـاهة والذكاء ، وأن كل



ما يتصل بالموهبة الفنية بعيد عنها كل البعد ، فكل النساء اللائي حاولن ان يكتبن او ان يعبرن عن شعورهن كتابة ـ وهؤلاء كن قليلات على اي حال ـ وصفهن المجتمع بالجنون او الشذوذ ، وكان مصيرهن مؤلما للغاية فمعظمهن اضطررن للهرب والاختفاء عن انظار الناس .
وعندما تدخل بنا فيرجينيا وولف القرن التاسع عشر تســتلفت نظرنا بضعة اشياء تؤكد أن الحال بدأ يتغير . فتجد مثلا أنه ظهرت بعض النســاء اللائي حاولن الكتابه ونجحن فيهـــا نجاحا فائقا ، فهناك جين أوســـتين والاخوات برونتي وجورج اليوت وقد الفن عـــددا من أعظم الروايات التي كتبت في الادب الانجليـــزي ، بل في الادب العالمي . وتقف هنا فيرجينيا وولف وقفة طويلة معجبة بهؤلاء النساء ، ثم تتساءل عن الســـبب الذي جعلهن لا يكتبن الا في ميدان الرواية ، ولم



تحاول واحدة منهن ان تجرب حظهـا في الشعر مثلا أو في المسرح ... ثم تعود فيرجينيا وولف فترجع ذلـك الى الخصائص التاريخية للعصر ، فهي ترى انه رغم ان مكانة المرأة لم تتغير في المجتمع الانجليزي حينذاك الا انها ـ وبالذات ما يخص المرأة الموهوبة ـ بدأت تحاول الاعتراض على مكانتها المنخفضة في مجتمعها ، وتعمل على التغلب على نظرته اليها . واستمدت المرأة صاحبة الموهبة شجاعتها ممن سبقتها الى مواجهة قسوة المجتمع .

وتذكر فيرجينيا وولف على سبيل المثال الرائدات التى قدمت اعمالا جديرة بالذكر واخريات غيرها اختفت اسماؤهن بسبب ضعف اعمالهن الفنية. ورغم ان اعمالهن اختفت بمرور الزمن الا انهن ـ على الاقل ـ قمن بشيء هام جدا بالنسبة لمن جئن بعدهن من الفنانات فمهدن بذلك الطريق . اى انهن كسرن الحاجز الذى كان يحول بين اى امرأة تفكر في دخول المجال الفني .

ومن ضمن كاتبات الرواية في انجلترا في القرن التاسع عشر اللائي ظهرت رائدات الرواية الانجليزية اللائى ذكرناهن آنفا ـ اقصد جين اوستين والاخوات برونتى وجورج اليوت . والنوع الوحيد من الكتابة الذى كان من الممكن لهن ممارسته هي الرواية ، ففي ذلك الحين كانت الرواية تعتبر فنـا جديدا اى انه لم يكن له تقليد طويل يمكن الاستناد اليه ولم تكن هنـاك أشكال فنية مقررة لابد من اتباعها ـ ثم انهن كن يكتبـن رواياتهن في نفس الوقت الذى كن يقمن فيه بدورهـن الطبيعي في مجتمعهن ، وبالواجبات التى كانت منتظرة منهن ، وكثيرا ماكن يخفين عن معارفهن ـ وبالذات في بداية فترة كتاباتهن ـ انهن يكتبن حتى لا يثرن الكلام حولهن . ولذلك كان من المؤكد انهن لم يكن يستطعن الكتابة طول الوقت فكانت اعمالهن تتم في أوقات فراغهن . ولذلك كان البناء القصصي يناسبهن لان الرواية كانت فنا جديدا يعطى حرية التصرف لمن يمارسه .

***

وعلاوة على هذا كانت حياتهـن ـ وكلهن من الطبقة الوسطى ـ اجتماعية ولذلك ومن خلال معرفتهن بالنـاس والكلام معهم كن يرسمن بعـد ذلك شخصيات رواياتهن المستمدة من خيالهن الغزير .

وتمتدح فيرجينيا وولف هـؤلاء النساء واعمالهن وهي تذكر القارىء وتلفت نظره الى قوة موهبة هـؤلاء النساء اللائى اضطرتهن الظروف الى التعبير عنها في الاسلوب الفني الوحيد الذى كان متاحا لهن .

***

لم تشر فيرجينيا وولف الى شجاعة وجرأة هؤلاء النساء ـ اى جين اوستين والاخوات برونتى وجورج اليوت ـ لانهن دخلن مجال الفن وهن على علم تام بانه من الصعب عليهن تثبيت اقدامهن فيه . فمن المعروف ان اى انسان ذا موهبة فنية يريد ان يعبر عنها بعمل فني ، فان اول ما يلقاه هو عدم المبالاة من جانب النـاس . وتقول فيرجينيا وولف ان هذا الادراك اى ادراك الفنان لعدم مبالاة الناس لما ينشئه من اعمال فنية يسبب له اقسى الالام ويجعله يعيش في تعاسة مريرة وبالذات عندما يكون في بداية حياته الفنية . وتضرب فيرجينيا وولف المثل بجون كيتس ، وتوماس كارلايل والفريدتينيسون في الادب الانجليزي وبجوستاف فلوبير في فرنسا .

وتعود فيرجينيا وولف الى الاشارة للكاتبات الانجليزيات السابق ذكرهن وتقول وهي تشير الى شجاعتهن بانهن



كن يعلمن انهن سيواجهن عدم اهتمام الناس بهن بالاضافة الى ما قد يصادفهن من عداوة المجتمع لهن وما ينتظرهن – وذلك فى معظم الأحيان – من عدم التشجيع وتثبيط الهمة وبالذات من أولئك الذين كانوا مصممين أن يعتبروا المراة اقل عقلا وذكاء من الرجل، وكان ذلك هو الرأى السائد فى ذلك الوقت. وتتصور فيرجينيا وولف أولئك الروائيات فى مواجهة هذه الصعوبات وكأنهن يصرخن بأعلى صوت وأقصى قوتهن قائلات :

« اغلقوا المكتبات بالترابيس اذا شئتم ولكنه ليس هناك باب ولا قفل ولا ترباس تستطيعون أن تغلقوا به حرية ذهنى وعقلى ؟! »

***

لم تدخل بنا فيرجينيا وولف القرن العشرين وتجد حولها مؤلفات كثيرات من النساء يكتبن فى شتى المجالات ويطمئن قلبها لهذه الظاهرة لحد كبير وبالذات انها رأت ان حقوق المراة اخذت فى الاعتبار مثل حق الملكية وحق التصويت على سبيل المثال ، وترى حينئذ انه فى يد المراة بل من مسئوليتها أن تقدم للعالم أدبا جديرا بها ، وتحذر النساء اللائى تدفعهن موهبتهن الى المجال الفنى الا يحاولن تقليد الرجال بل يجب عليهن التعبير عن مشاعرهن وأفكارهن واهتماماتهن بمنتهى الحرية كما فعلت من قبلهن جين أوستين فهذه هى الطريقة الوحيدة التى تمكن المراة من تثبيت اقدامها فى المجال الادبى .

وفى نهاية كتابها وبعد تشجيع مطول تؤكد فيرجينيا وولف – وتكتب كل ذلك فى أسلوب يشد الانتباه مثل افكارها – انه لو أرادت أى امرأة أن تحصل على نجاح ما فى الميدان الادبى فلابد أن يكون لها دخل مادى تستند اليه وغرفة خاصة بها تنفرد فيها . فهذا الاستقرار علاوة على الشجاعة والجرأة والثقة بالنفس والموهبة الفنية التى لا غنى عنها – هو السبيل الوحيد الذى يقودها الى النجاح .

***

فهذا الكتيب اذن – الذى نشر فى ١٩٢٨ – الى جانب مؤلفاتها العديدة جعلنى أعجب بهذه المراة اكثر واكثر وتصورت من خلال قراءته العقبات التى اضطرت أن تواجهها فيرجينيا وولف حتى وصلت للمكانة الادبية التى حصلت عليها فى الادب العالمى ، وجعلنى اشعر ايضا انها تتكلم عن تجربة ذاتية ، وان كل ما ذكرته عن كفاح النساء فى سبيل اثبات وجودهن فى المجتمع ثم فى المجال الادبى لم يكن تخويفا لهن بل انه كان – بالعكس – تشجيعا ونوعا من الاشارة الى ان الطريق صعب والمجال عسير ولكنه من الواجب على المراة – واشعر انها تكلم المراة بصفة عامة وليس الانجليزيات منهن فقط – بالا تخشى الصعوبات وأن تحاول أن تكمل الطريق الذى مهدته الرائدات السابقات وذلك فيما يخص الادب ومنه المسرح والقصة والشعر .

●●

حسبى !

● عبد المنعم الانصارى ●



تَمَلْمَلْتُ عِطرك فى قوارير المهانةِ وارتحلتُ ..!
وتركتُ ليالى تضىءُ ظلامَ قلبك واحترقتُ ...!
وظننتِ أنّى قد أعودُ إليكِ من حيث انتهيتُ
هيهات أرجعُ بعد أن هدّمت ظنونك ما بنيتُ
فلكم أسأتِ ؟ وكم غفرت لك الإساءة واحتملتُ !
وجعلتُ منك إلهتى .. وإليك بالشعر ابتهلتُ ...
وبكيت فى محرابك الخالى وبالدمع اغتسلت
يامَن جعلتك ربتى وأضأت ليلك ، وانطفأت
ماعُدتُ عبدك – يامعذبتى – فهأنا قد صبأت
ووجدتُ نفسى بعد أن ضاعت ، وحسبى ما وجدتُ !

مواجد الشعراء وأحاسيسهم فى الأعياد

● محمد عبد الغني حسن ●

الأعياد فرص متاحة من الشعراء ، أو من الناس أنفسهم ، يلتقون فيها على الأفراح ، ويستعيدون أقدس الذكريات وأجملها ، ويتطلعون الى تواليها على تتابع الأيام ... ولعل نغمة شاعرنا « أبي الطيب المتنبي » لا تزال ترن في آذاننا وهو يستقبل العيد بعيدا عن أحبابه ، مشغولا بمطامحه نحو العلا وهمومه من أجلها ، ليقول :

عيد بأية حال عدت يا عيد ؟   بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

وقد يمر عيد من الأعياد الدينية او القومية على شاعر وهو في ظـروف غير مواتية ، فيعبر عن ذلك بشعر يصف فيه حالته ، ويصور مشاعره ، على حين يهنأ الناس بأفراحهم فى أعيادهم : كالذى نجده عند الشاعر « أبي فراس الحمداني » حين نزل به العيد وهو أسير فعبر عن مواجده بشعر يقول فيه :

يا عيد ! قد عدت على ناظـر   عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربهـا   أصبح في أثواب مـربوب
قد طلع العيد على أهلـه   بوجه لا حسن ، ولا طيب !

وتذكرنا هذه النغمة الحزينة عند الشاعر الامير « أبى فراس » ، بنغمـة مثلها عند الشاعر الملك « المعتمد بن عباد » الأندلسى حينما نفاه « يوسف بن

تاشفين » الى المغرب وادخله السجن ، فلما جاء يوم العيد دخل عليه بناته السجن ليزرنه ، وكن يغزلن للناس بالاجرة لكسب العيش ، فرآهن والدهن فى اطمار بالية ، فتصدع قلبه ، ونظم « عيدية » حزينة يقول فيها :

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا فساءك العيد فى « اغمات(1) » ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة يغزلن للناس لا يملكن قطميرا ...

واذا كانت الاعياد مناسبات يلتقى فيها الناس على السعادة او على تأميلها ، فان عددا غير قليل من شعراء العربية ينتهز فرصة الاعياد للتطريب بمواجعه وآلامه . ولعلها رواسب من مواريث « الحزن » التى اثقلت بها كواهلنا ... فنرى « محمود غنيم » يوحى اليه « العيد » بقصيدة يقول فيها : ـ

يا عيد عذرا ان نظمت نشيدى لك حافلا بالنوح لا التغريد
عزف الكمان فند عنه مسمعى وبكت مطوقة ، فقلت : اعيدى !
استودع الرحمن عمرا ضاع ، لى فى كل يوم منه اجر شهيد !

ونرى الشاعر الفلسطينى « ابراهيم الدباغ » يدركه اليأس فى عيد الاضحى منذ اكثر من اربعين عاما ، ولكنه يعود ليشيع الامل فى نفوس امته قائلا :

تهلل وابتسم ياعيد يمنا على الثقلين من جن وانس
وقل للغرب : هذا الشرق باق على النورين من قمر وشمس !

وترى الشاعرة الفلسطينية « فدوى طوقان » تشارك اختها « اللاجئة » ضياعها ووجومها فى افراح العيد وبشاشات فجره ، وايامه ، فتقول :

اختاه ! مالك ان نظرت الى جموع العابرين
ولمحت اسراب الصبايا من بنات المترفين
من كل راقصة الخطا كادت بنشوتها تطير
العيد يضحك فى محياها ويلتمع السرور
اطرقت واجمة كانك صورة الالم الدفين .

ولا يختص شعراء المشرق فى القديم والحديث باحزان الاعياد ومواجعها ومباكيها ، فقد كان شعراء الاندلس يبكون فى فرحة العيد ... كما نرى بعض شعراء المهجر الامريكى : الشمالى والجنوبى اليوم يذرفون دموعهم وسط ابتسامات الياسمين . فالشاعر « الياس فرحات » تلذعه مواجع الغربة الطويلة فى البرازيل فيبكى فى العيد قائلا :

يا عيد ! لا تنكر بكاى فانما انا بلبل مسخ الزمان صداحى
يا عيد عدت وادمعى منهلة والقلب بين صوارم ورماح
والنفس يائسة فليس بنافع عذل العذول وغيرة النصاح
مرت ليالى العيد بى وكانما وجه العبوس بوجهها الوضاح

وظل « فرحات » يستقبل الاعياد ـ فى مهاجره البعيد ـ باناشيد الحزن ، من طول مافعلت به الغربة ، فنراه يستقبل احد الاعياد بقوله متحرقا الى وطنه والى امه :

اطل العيد جذلانا يغنى ويضحك للطفولة من بعيد
ولما صار فى بيتى رآنى شقى القلب فى بيت سعيد
انا الباكى على ايام انس ونادب لذة العيش الرغيد
أيفرحنى بعيدا عنك عيد وقربك فرحتى الكبرى وعيدى ؟

وقد الف الناس فى الاعياد ان يتهادوا : كل واحد على قدره ، وان يقدموا الهدايا الى احبابهم وابنائهم . ويصادفنا الشاعر المهجرى « ايليا ابو ماضى » وهو يتحير : اية هدية يقدمها الى حبيبته ؟ وقد استعرض طائفة من الهدايا

(1) اغمات . بسكون الغين ، بلدة بالمغرب قرب مراكش نفى اليها المعتمد بن عباد الاندلسى .

المادية الثمينة ، نوجدها دون قدر المحبوبة ، او عندها منها ماهو اغلى وانفس ... فآثر ان يهدي اليها « روحه » ، وهي اعز مايملك ، قائلا : ـ

اى شيء فى العيد اهــدي اليك   يا ملاكي ؟ وكل شيء لديـــك
اسوارا ام دملجـــا من نضار ؟   لا احب القيـــود فى معصميك !
ام ورودا . والورد اجمـل مافيـ   ـه حيــاء يفيض من وجنتيــك
ام عقيقـــــا كمهجتي يتلظى   والعقيق الثمين في شــفتيك ؟
ليس عندي شيء اعــز من الرو   ح ، وروحي مرهونة فى يديك !!

ولكن شاعرنا ايليا ابا ماضي ـ على عهده في الخطرات الفلسفية ، والنبضات الفكرية العميقة ـ راى ان يقدم فى العيد هدايا الى طوائف من الناس ترضي غرورهم ، وتطامن من كبريائهم . فهي هدايا يقدمها على سبيل الســخرية والتهكم على مطامع الناس وتفاهاتهم . فيقول من قصيدته : « هـــدايا العيد » : ـ

خرج الناس يشــترون هــدايا الـ   ـعيد للاصــدقاء والاحبــاب
فتمنيت لو تســاعفني الدنيــ   ـا فاقضي فى العيد بعض رغابي!
كنت اهدي ـ الى سمن الصبر ارطا   لا الى المتشــئين والــكتاب !
والى كل عاشــق مقــلة تبــ   ـصر كم من ملاحة فى التــراب !
والى الغــادة الجميلة مـــرآة   تريهــا ضـــمائر العـــزاب !
والى الصاحب المــراوغ وجهـــا   اسودا ، حالكا كوجه الغراب !..

وما اشق ان يحل العيد فى بيت فلا يجد الاب من المال مايعينه على ان يقدم هدية مناسبة لابنه الحبيب ، وقد عبر « الشاعر المغني » المهجرى : « قيصر سليم الخورى » ـ شقيق الشاعر القروي ـ عن هذه القاهرة المؤســفة بقوله :

راى بني صــغار الحي قد غنموا   فى ليلة العيد اشياء ، وما غنمــا
فجاء يسال مالا لســت مالكه   ولو انى طالبا روحي لمــا حــرما
وعدته .. وجفوني حشوها ارق   وعدا تعلق فى اجفـــانه حلمـــا
لمــا رات امه حـــالي ، وحالتــه   مالت لناحية تذرى الدموع دما!..

ولا يليق فى شرع الانسانية والمشاركة الوجدانية ان تشغلنا افراح العيد عندنا عن الاحزان عند غيرنا . كما لا يجوز أن تنسينا ابتساماتنا فى العيــد تجهمات العابسين فيه .. ففرحة العيد لا تتم لدينا الا اذا اضفينا منها قدرا على الآخرين المحزونين ... وما اصدق الشاعر الاديب الباحث السعودي : « أحمد محمد جمال » حين عبر عن هذه اللفتة بقصيدته : « سيازف العيد » التى نشرت فى « طلائعه » ، والتى يقول فيها :

سياتي العيد .. يابشراى بالعيــد   يقولها مرح الاعطـــاف والجيــد
ابوه يلقمه حلوى ، ويلبســـه   استبرقا بين تدليـل ، وتمجيــد
وامه تتلقـــاه بإذرعهـــا ...   بسامة بين ترقيص ، وتغـــريد
وبيته معــرض الالعــاب مختلفا   الوانها ، من هدايا او تقاليـــد
فاين منــه يتيم غــير مــكتفل   واين منــه عجي غــير مــودود ؟
واين منــه وليـــد بين عـــارية   ومفلس ،يالسين العمر من عيد ؟

واذا كانت مناسبات الاعياد تختلف مابين مشرق ومغرب ، وتتنوع من قديم الى حديث ، وتتعدد مابين عيد الفطر ، وعيد الاضحى ، وعيد النيروز ، وعيد شم النسيم ، وعيد الغطاس ، وعيد الام ، وعيد الربيع ، وعيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعيد ميلاد المسيح ، وعيد الاستقلال ، وعيد الجلاء ، وعيد العلم وغيرها مما ليس هنا مجال حصره ـ فان بعض شعرائنا المحدثين قد جعل يوم التقاء الاحباب « عيدا » يجب أن يضم الى قائمة الاعياد .. كما جعل يوم اللقاء هو سر الوجود ، ومعنى العيد . وقد أحسن شاعر الحب والوجدان : « الدكتور ابراهيم نجي » ، التعبير عن هذا المعنى بقوله :

اليوم منـــك عرفت سر وجودى — وعـــرفت من معنـــاك معنى العيد
ماكنت بالفانى ، وسرك حافظى — وبمقلتيــك ضمنت كل خـــلودى
الآن أعرف ما الحيـــاة وطيبهـــا — واقول للأيام طبت ! فعـــودى !
عاد الربيع على يديك ، واشرقت — روحى ،واورقفى ربيعك عودى!

ولعل شاعرنا « ناجى » لم ينفرد بهذه الفكرة التى تناولها الشاعر « خليل مطران » من زاوية اخرى : فقد ناجا فى ليلة سربا من الغيد يصنعن حلوى العيد .. وهن يخرجن من كتل العجين اشكالا بديعة صنعنها بانامل بيض رقيقة موردة ، تكاد تظنها مخضوبة بالدم .. وأوحى المشهد الى شـــاعر الاقطار العربية : « خليل مطران » بقصيدة يقول فيها : ـ

ولعل غــاية كل طــالب رفعة — ارضــه ذات ســلاسل وعقـــود
فيكون عيد العمر ساعة ملتقـــى — واعز مانرجوه حلوى العيد ... !

***

وبمناسبة الحديث عن عيد مولد النبى صلى الله عليه وسلم يسرنا أن نشير هنا الى مشاركة كثير من اخواننا المسيحيين فى الاحتفال به ، والاحتفاء بمقدمه ويستوى فى ذلك شعراء الوطن العربى ، وشعراء المهجر الامريكى بشـــماله وجنوبه .. وهل ننسى هنا اســـماء الشعراءخليل مطران ،ووديعالبستانى، واسكندر الخورى البيتجالى ،وعبدالله يوركى حلاق ، وامين نخلة ، والشاعر القروى ، والـيـــاس فرحـــات ، وجورج صيدح ، والياس قنصـــل وزكى قنصـــل ، وميشـــيل مغربى ، ونبيه سلامة وغيرهم ممــن انطق الله السنتهم بالصدق ، واقلامهم بالحق؟!

لماذا نتوقع المخاوف فى الأعياد ؟ ولماذا يخاف بعض شعرائنا الجوى فى ليالى العيد ، كانهم يتوقعون البلاء قبل وقوعه ؟ الا ما اشد حاجتنا جميعـــا الى الفرح والأمل فى الاعياد ، فننشد مع الشاعر اللبنانى المتفائل : « رشدى معلوف » ، قوله :

صلى معى : اصغى ضمير العيــد — فى مطـــلع الأمـــل الجــديد
وعادت الارض ـ على غصتها ـ — تحـلم بالأنداء والــــــورود
وفى غد نحن صباح كـــورت — الوانه من امـــل الوجــود ...

مرآة الفكر العربي

الدعوة الإسلامية والإعلام الديني

● تاليف : د . عبد الله شحاته ●

● ان الله تعالى إختار بلاد العرب لتكون مقر الرسالة الاخيرة التي جاءت للبشرية كلها ، والتي تفسح عالميتها منذ أيامها الاولى ، حيث جاء الأسلام لينقذ البشرية جمعاء من الجاهلية العمياء والظلام الفادح ، والجهل المطبق على العقــول في ذلك الوقت ، فامتد نور الاســلام خارج الجزيرة العربية ، وكان الــذين حملوا مشعل الاسلام هم اصــلح خــلق الله لحملها حيث خرجوا بها من اصــلح مكان في الارض لميلادها .

الدكتور عبد الله شــحاتة من الاساتذة المتخصصين في الدراســات الاسلامية وقد جاء كتابه ((الدعــوة الاسلامية والاعلام الديني)) من خيــرة الكتب التي تعرضت لكثير من القضايا التي تخص الاسلام وايقــاظ الوعي الاسلامي في قلب كل مسلم ومسلمة .

تناول الكتاب فصولا عن الدعــوة الاسلامية وأطوارها وثقافة الداعيــة وعن الخطابة الدينية وكيفية النهوض بها ، وعن الاعلام الديني ، والحــديث الديني بالاذاعة والتليفــزيون .. ثم قدم بعض البحوث في العقيدة ونظــام الاسر .. ثم تعرض الدكتور عبد الله شحاته بعد ذلك لعدد من الاحــاديث في فنون متعددة شــملت العبادات والاداب الاجتماعية والمرأة ، والجهاد ، والاخلاق ، والذكريات الاسلامية ، ممايبرز أن الهدف الاساسي من هــذا الكتاب هو عرض الفكر الأسلامي بأسلوب العصر حتى تتضح عالمية الاســلام في أجلى صورة ..

وقد تحدث الدكتور عبدالله شحاته عن دور الأعلام الديني في ايقاظ الوعي الاسلامي الســليم المبني على الايمــان والعلم ، وبين لنا في كتابه كيف ارسل الله الرسل لهداية البشرية ، وانزل عليهم الكتب والصــحف وأمرهم أن يبلغوا الرسالة للناس . قال تعــالى :((يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)) .

وقد يبلغ الرسول صلى الله عليــه وسلم رسالة ربه بالقلم والحــديث والخطبة والكتاب والجهاد وكل ما أتيح له من وسائل الاعلام في عهده ..

وفي عصرنا الحاضر تطورت وســائل الاعلام وتعددت ، وبعد أن كانت الكلمة والخطبة تمثل ٨٠٪ من وسائل الاعلام ، أصبحت لا تمثــل الا ٢٠٪ حيــث

استخدمت وسائل كثيرة للاعلام مثل الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والتمثيليات والملصقات والمنشورات والمجلة والكتاب والصحيفة والاناشيد وغيرها ..

وعلى الدعاة الى الله – كما يبين الدكتور شحاته فى كتابه – ان يستغلوا جميع الوسائل المتاحة لنشر الدعوة ، وان يستخدموا سلاح العصر وأسلوبه، فالله تعالى يقول : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . وعلينا ان نقدم الاسلام بلغة العصر حتى نؤدي فريضة الله ، لان اسلوب الدعوة يكون فى كل عصر بما يناسبه حتى يمكن ابلاغ الناس دين الله بطريقة تحرك فيهم الاقتناع والقبول ، قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ..

وفى فصل آخر ، تحدث الدكتور شحاته فى كتابه عن شهر رمضان المعظم مبينا فضائل هذا الشهر واحكام الصيام ومراتبه ..

كما تعرض لبيان الاركان الخمسة للاسلام وما تحمل من معنى عظيم ، حيث انها تتعاون جميعا فى بناء شخصية المسلم وارساء دعائم التعاون والتراحم بين المسلمين ، فالشهادتان اعتراف بالتوحيد ، والصلاة صلة بين المخلوق والخالق ، والزكاة دعامة التعاون والتكافل بين الغنى والفقير .. والصوم صفاء للنفس ورقة للقلب ، وطهارة للروح .. والحج توحيد بين المسلمين فى الهدف ..

وشهر رمضان تتحد فيه اهداف المسلمين وتصفو قلوبهم ، وهنا نجد ان الصوم وقاية من المعاصى ، وحماية للنفس ، وتدريب على الطاعة ، وصفاء للقلب ، وصلة بين الانسان وربه ، ورياضة روحية تصفو فيها النفس وتصل الروح نفسها بالملأ الاعلى ..

قال صلى الله عليه وسلم «الصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ خاصمه او شاتمه فليقل انى صائم ، انى صائم ... والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله تعالى من ريح المسك » .

يقول الله تعالى : « ايها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه من اجلى، انت عندى كبعض ملائكتى » .

كذلك تناول الدكتور عبد الله شحاته فى كتابه نظام الأسرة فى الاسلام ، وقدم لنا دراسة لبعض الجوانب فى شئون الاسرة تؤكد سمو الاسلام وتوضح ان الشريعة الاسلامية تحتوى على جميع المبادىء اللازمة للنهوض بالمجتمع فى شتى نواحيه ، وانها شريعة حية صالحة للتطور وانها كرمت السائية الانسان رجلا كان او امرأة ، وسوت بينهما فى خمس نواح هامة هى القيمة الانسانية ، والحقوق المدنية ، وحق التعليم والثقافة ، وحق العمل، وشئون المسئولية والجزاء ..

وقد قدم لنا الكاتب فى فصل آخر تحت عنوان الايمان سبيل السلام للفرد والمجتمع صورا من السلام فى الاسلام من حيث ان الله جعل شهور العام اثنى عشر شهرا ، منها اربعة حرم هى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب : ثلاثة اشهر متتابعة فى نهاية العام الهجرى وبدايته ، وشهر منفرد هو شهر رجب ، والاشهر الحرم اشهر مباركة يضاعف فيها الثواب ويحرم فيها القتال حتى تهدا النفوس ويكون هناك فرصة عملية للسلام والامان ..

● اعداد : عادل عبد الصمد ●



غرناطة

إبداع فني فريد من نوعه عبر القرون ، ومأساة شعب لم يعرف كيف يعيش ، ولم يعرف كيف يموت ؟

حصن الحضارة الأندلسية الأخير ..

على طرف من جبال الثلج ـ سييرا نيفادا ـ تشبثت بقية من حضارة الاندلس وبسالة اهله ، وظلت تصارع الفناء قرنين من الزمان ..

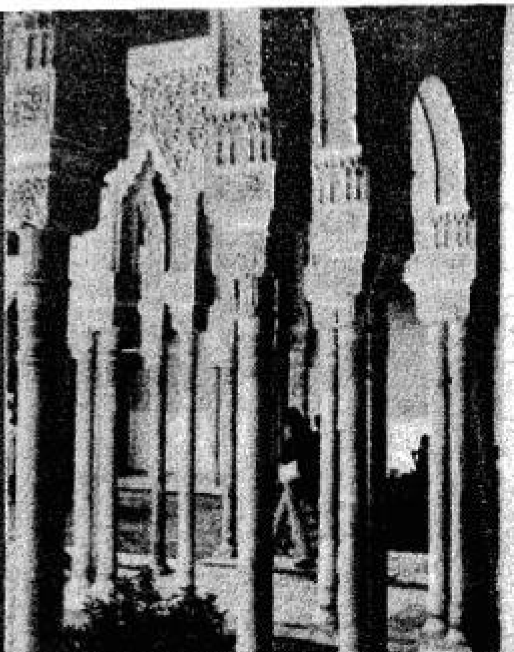
خلال هذين القرنين انشأ اهل غرناطة الرا من اجمل الآثار الفنية التي انشاها البشر « قصور الحمراء » . هندسة بديعة تروع النفس .

تنسيق رائع بين خضرة النبات وزرقة السماء وحمرة مباني الحمراء ، ولفة مياه النوافير وعطر الريحان .

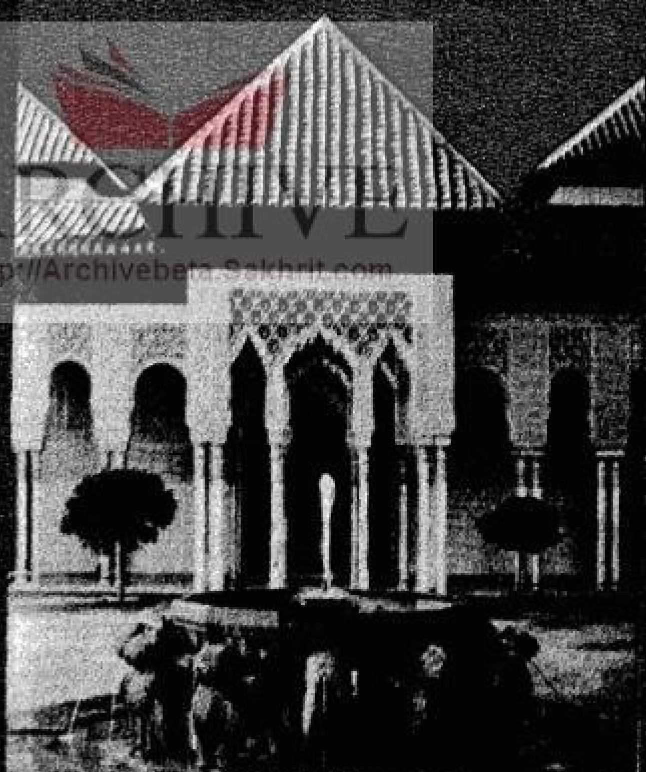
يزور الحمراء كل عام اكثر من عشرة ملايين سائح ، لان اسبانيا تستقبل في السنة ٤٠ مليون سائح .

هؤلاء جميعا يقفون مبهورين امام حضارة بلغ من قوتها انها اقامت هذه الروعة وهي في سباق الموت ..
الحمراء توجز تاريخ العرب وحضارتهم في سطرين ..

ناس موهوبون انشاوا مجدا حضاريا وفنيا لا تغيب عنه الشمس ..
ناس عرفوا معنى الحياة ، وهو انها عمل وصدق واخلاص وتعاون وبناء وراحة قلب . اجل . قبل كل شيء : راحة قلب !







ثلاثة مشاهد يتجلى فيها ابداع الحمراء : المشهد الاول اعلى الى اليمين بهو النافورة ويقع بين القصر الكبير والقصر الصغير في جنة العريف وترى فيه كيف ان مياه النوافير تصنع اقواس نصر تصب في البركة وعلى الجانبين شجيرات الريحان . وفي خلفية الصورة القصر الصغير واطراف اشجار العرعر والصورة الثانية اعلى الى اليسار اعمدة احد جواسق بهو السباع وهي اعمدة رفيعة رقيقة تحمل بوائك في غاية الرقة والجمال ، والصورة الثالثة أسفل جوسق من جواسق بهو السباع ببوائكه البديعة وزينته الجصية وزخارفه المتشابكة التي تشبه الدنتيلا ونافورة السباع في الوسط .

فى هذا العدد الذى خصصنا معظمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، احسسنا ان الاستطلاع الملون ينبغي ان يرتبط بصورة ما بتاريخ الاسلام وعبر هذا التاريخ ، ولأمر ما اتجه الفكر الى غرناطة ، فهى فى ذاتها علم من اعلام الابداع الفنى فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، وهى كذلك عبرة لا ينبغى ان ينساها عربى ، عبرة الملك الذى يضيع بسبب الاحقاد والخلافات والانانية وقصر النظر ،وهى ادواء عربية لا تزال نشكو منها منذ دخلنا ابواب التاريخ الى اليوم ..

وغرناطة اسم جميل ومنظر بديع ، ولكنها عبرة اليمة ودرس دروس التاريخ ندرسه لكيلا يتكرر ونستعيده حتى تنفعنا عبرته فى حاضرنا ومستقبلنا ، فاذا كنا فى القسم المصور من هذا الاستطلاع سنهديك صورا من اجمل ما خلفته الحضارة العربية ، فاننا سنحدثك فى هذه السطور حديثا لا تطرب له نفسك ولا يهش له قلبك .

ذلك أن حديث ضياع غرناطة ليس حديث ضياع بلد أو مملكة صغيرة ، انه ضياع الاندلس كله ، لان غرناطة كانت الحلقة الاخيرة من مأساة طويلة هى مأساة الاندلس ، ومأساة الاندلس انما هى فى الحقيقة صفحة من صفحات كتاب ضخم هو مأساة تاريخ العرب والمسلمين خلال العصر الوسيط .

ولهذا نعنى خلال وصفنا لغرناطة وبدائع الفن فيها بالتحدث عن تاريخ غرناطة وما جرى عليها من الاحداث حتى نجمع العبرة الى الاستمتاع بالجمال ..

●●●

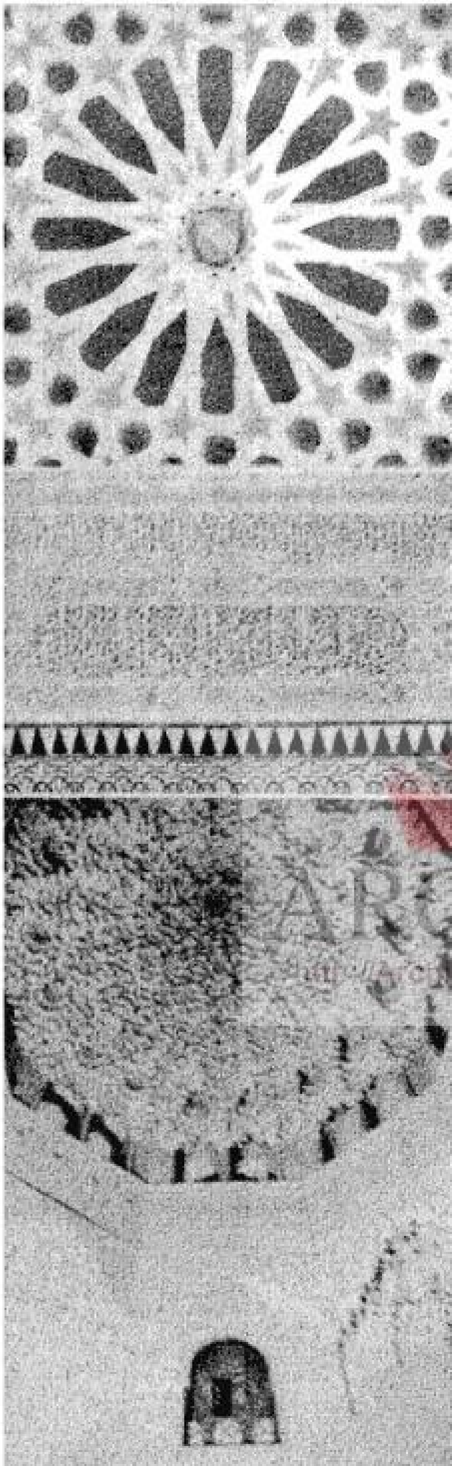
مملكة غرناطة هى المحاولة الاخيرة التى قام بها المسلمون فى الاندلس للاحتفاظ باخر جزء تبقى لهم من شبه الجزيرة . بعد أن ضيعوا سبعة اثمان شبه الجزيرةتمسكوا تمسك المستميت بالثمن الباقى ، وكان صاحب هذه المحاولة الاخيرة رجل من عظماء الرجال يسمى محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر يقولون انه من نسل سعد بن عبادة سيد الخزرج على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . كان هذا الرجل من عامة الجند ، يرأس جماعة منهم فى بلدة صغيرة قرب قرطبة ارجونه ، وكان يتولى امر الدفاع عن الاندلس بعد انهيار قوة الموحدين رجل يسمى محمد بن يوسف بن هود ، ولم يفلح هذا الرجل فيما اراد لانه لم يكن اهلا للمهمة ، بل ترك قرطبة تسقط فى يد النصارى سنة ١٢٣٦ دون ان يحرك ساكنا ، ثم لم يلبث ان قتل وقد تكالب الاعداء على بقية الاندلس وقد حزموا امرهم على القضاء عليه .

هنا ظهر محمد بن يوسف بن نصر ابن الاحمر ونادى بانقاذ الاندلس ، فالتف حوله نفر من الفرسان وايدته مدائن الاندلس الباقية فى ايدى المسلمين ، وكان ذلك سنة ١٢٣٢ ، واستقر أول الامر فى مدينة جيان قرب قرطبة ، ثم وجد انها مكشوفة تقع فى سهل فسيح ، فانسحب الى الجنوب وصعد الى تلال غرناطة وحصنها وجعلها له موئلا فى سنة ١٢٣٨ . وتسمع انجاد الرجال فى الاندلس بامره فأسرعوا اليه ، وتضخمت قواته العسكرية ، ودخل أولا فى ولاء ملك قشتاله حتى يكسب وقتا ، ثم استقل بنفسه ووسع مملكته فضم اليها عددا من مدن جنوب شرق الاندلس ، وقامت بذلك مملكة غرناطة ، التى ظلت

تواجه الضغط النصرانى قرنين ونصف قرن من الزمان فلم تسقط فى يد ملكى قشتاله واريجون الا فى يناير ١٤٩٢ .



• مجموعة من اجمل ما تقع عليه العين داخل قصور الحمراء وكلهـــا مأخوذة لبهو الريحان ..

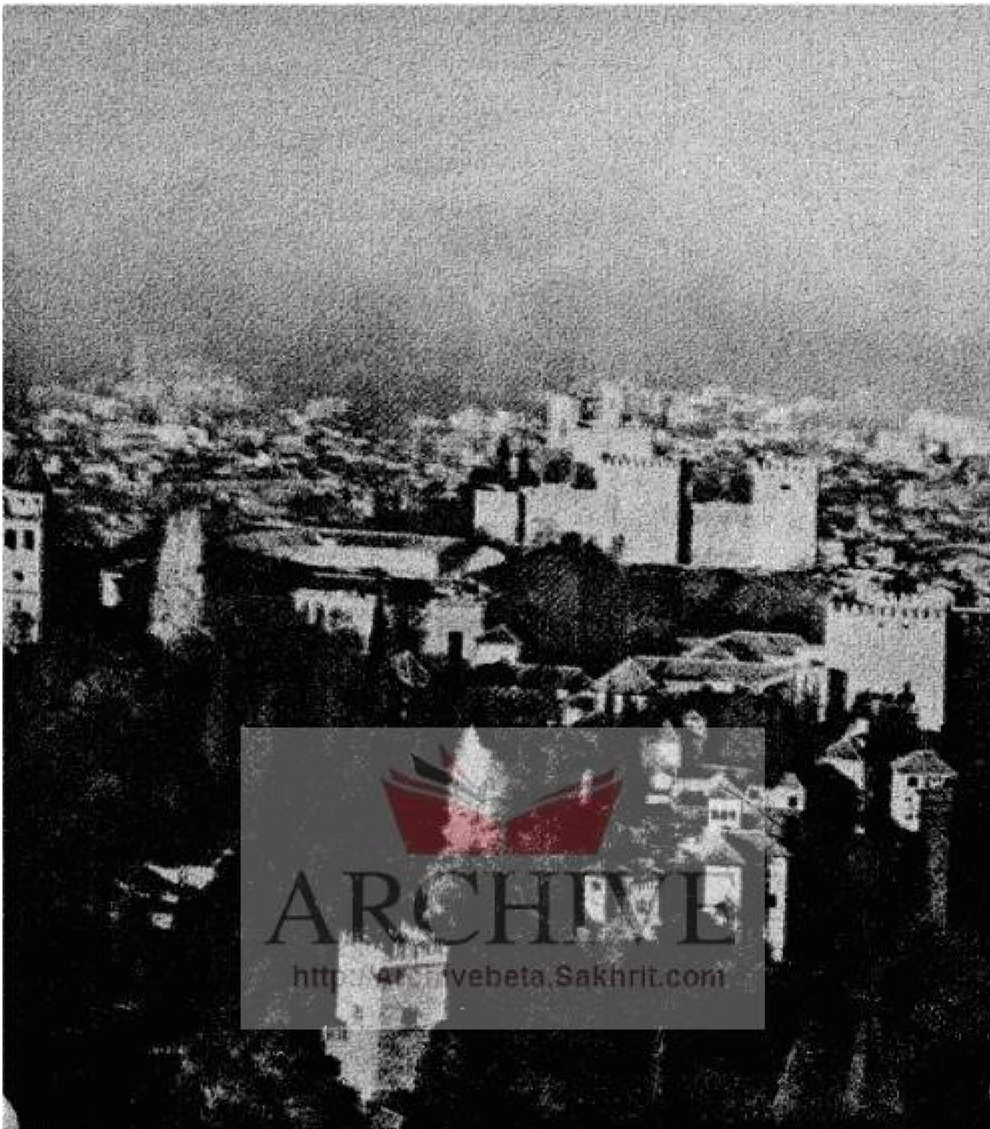


غرناطة

قصة مملكة غرناطة مأساة أليمة ، لان هذه المملكة الصغيرة التي احتفظت بأيسر جزء من الاندلس ابتليت بالداء العياء الذي ظل على طول العصور يضني كيان دول العرب والمسلمين .. الخلاف والشقاق والاحقاد وتضحية صوالح الجماعة والاسلام في سبيل مصالح شخصية واشفاء احقاد ، ولقد درست تاريخ الاسلام عمري كله فما استوقف نظري شيء قدر ما استوقفه استمرار داء الحقد والخلاف هذا كأنه جزء من طبيعة العرب ، وقد بدا لي في حين من الدهر أن أدعو الى عقد مؤتمر عربي لبحث ذلك الموضوع ، لان الحقيقة أنه داء أو مرض عربي متوطن أخطر علينا من أي مرض آخر ، ولابد لنا من علاجه ، والا فستظل قصتنا مع التاريخ على هذا المنوال المؤسي الذي يضيع علينا ثمرات اعمالنا ويحرم هذه الامة من ثمرات اعمالها — وهي عظيمة — وسنرى بعد قليل — أن أهل غرناطة انشأوا فيها حضارة تفيض ابداعا وجمالا ، ولكن رجال السياسة باختلاف بعضهم مع بعض وحقد بعضهم على بعض ، ورث حضارة غرناطة اعداء غرناطة وفي قصور الحمراء التي انشأها الفنان العربي الملهم استقر الاعداء يستمتعون بثمرات ما انشأنا وطردنا نحن خارج الاسوار ، ولم تبق لنا الا الحسرات ، ومازالت قصور الحمراء قائمة الى اليوم تسحر الالباب بجمالها ، ونحن اصحابها نزورها كما يزورها اي غريب ولقد طالما تمشيت في ابهاء الحمراء وحدائق جنة العريف الملحقة بها وشعرت بالاعجاب بأمة العرب والغضب على أمة العرب في آن واحد ، ووجدت نفسي اردد قول الشاعر العربي الذي قال :

قومي همو قتلوا اميم أخي
فاذا رميت يصيبني سهمي

فبنو الاحمر مثلا كان لهم أول الامر حلفاء اقوياء من قادة العرب يسمون بني اشقيلولة ، وكانت بينهم وبين بني



منظر عام لابراج الحمراء وحصونها وقصورها فوق تل الحمراء مأخوذة من
تل البيازين المقابل لتل الحمراء وبين التلين يجرى نهر حداره نهر غرناطة

ـ نماذج من الزليج وهو القاشانى الذى يلصق على الجدران وكذلك اشرطة
الكتابة الزخرفية بالخط الغرناطى وفى اسفل الصورة نرى سقف قاعة الاخنين
المزين بالمقرنصات .

الاحمر صحبة ومصاهرة ، فولاهم محمد بن نصر مدينتي وادي آش ومالقة واستمرت الصداقة والتعاون سنوات طويلة .

ثم بدأ الجو يظلم بين الجانبين ـ بسبب الغيرة والحسد ، ثم انقلب بنو اشقيلولة فاصبحوا اعداء بني الاحمر ، واسوأ ما في الموضوع انهم لجأوا الى التحالف عليهم مع النصارى ، اعداء الاندلس،وليست هذه اول مرة يتحالف فيها العرب على العرب ويستعينوا بالعدو لشفاء غليل احقاد شخصية ، المهم أن بني اشقيلولة ـ وهم عرب مسلمون ـ اصبحوا شوكة في جنب غرناطة ، وكان المستفيد الوحيد من ذلك العداء هو العدو الذى اسلم له بنو اشقيلولة بلادا اسلامية كاملة وشفوا بذلك غليلهم ، ولكن العدو الذى استعانوا به اكلهم وقضى عليهم ، فاكلتهم احقادهم كما اكلت حلفاءهم القدماء ..

***

وفي أواخر سنوات غرناطة ظهر لهم اعداء آخرون من بني عمومتهم العرب ، وهم بنو سراج ، وكانوا أسرة فرسان مقاتلين ، بل صاهروا بني الاحمر ، وتولوا لهم الولايات الواسعة ، ثم عادت الاحقاد فدبت في القلوب ، ووقعت الحروب ،وهرب بعض زعماء بني سراج الى ملوك قشتالة ليستعينوا بهم على اخوانهم ، ودخلت في الصراع امرأة بارعة الحسن تسمى شريفة حاولت جهدها أن توفق بين الاخوة الاعداء لانها عشقت فارسا من فرسان بني سراج ، وانتهى الامر بضياع بني سراج في مذبحة انزلها بهم سلاطين بني الاحمر، وفي قاعات الحمراء قاعة تسمى قاعة بني سراج ، سنذكرها بعد قليل ، ويحكى ادلاء الحمراء من الاسبان أن بني سراج قتلوا في تلك القاعة ، ويشيرون الى بقع حمراء من الرخام ويقولون لك : وهذا هو مجرى دماء بني سراج التى انتهت الى حوض لا يزال يوجد الى اليوم في تلك القاعة الجميلة.

وقد روى مأساة بني سراج الاديب الفرنسي الاشهر شاتوبريان في رواية جميلة تسمى آخر بني سراج تعتبر من عيون الادب الفرنسي ، ولكن صفحاتها حافلة بما يدمي قلب العربي .

***

وما ضاعت غرناطة من ضعف ولا جبن ، فقد قاتل عنها اهلها قتال المستميت عاما بعد عام ، ومات منهم في مرج غرناطة وفي الدفاع عن بلادها الوف بعد الالوف ولكن قتلتهم خيانة الرؤساء واحقاد الزعماء ومن جميل ما يذكر في مأساة غرناطة ان رجلا من كبار الفرسان حضر مجلس المشورة الذى عقده ابو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة ليبحث فيه امر تسليم غرناطة لفرناندو وايزابيللا ، نهض واعترض على التسليم وقال : واذا كنا سنسلم وطننا وديننا للعدو فلماذا نعيش بعد ذلك؟ فقالوا له ، وماذا تريدنا ان نعمل ؟ قال نخرج ونقاتل عن ديننا ووطننا واحسابنا واعراضنا حتى نلقى الشهادة كما لقيها الصحابة رضوان الله عليهم . وسكت الآخرون ولم يجيبوا ، فعاد يقول : انني الآن خارج لكي اقاتل الاعداء ، فما استطيع لقاء الله سبحانه أو النظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وقد بعت الدين والوطن . وخرج هذا الرجل لم يتبعه الا رجل آخر ، وانقض على الاعداء فقتل منهم ثمانية قبل أن يقتلوه .

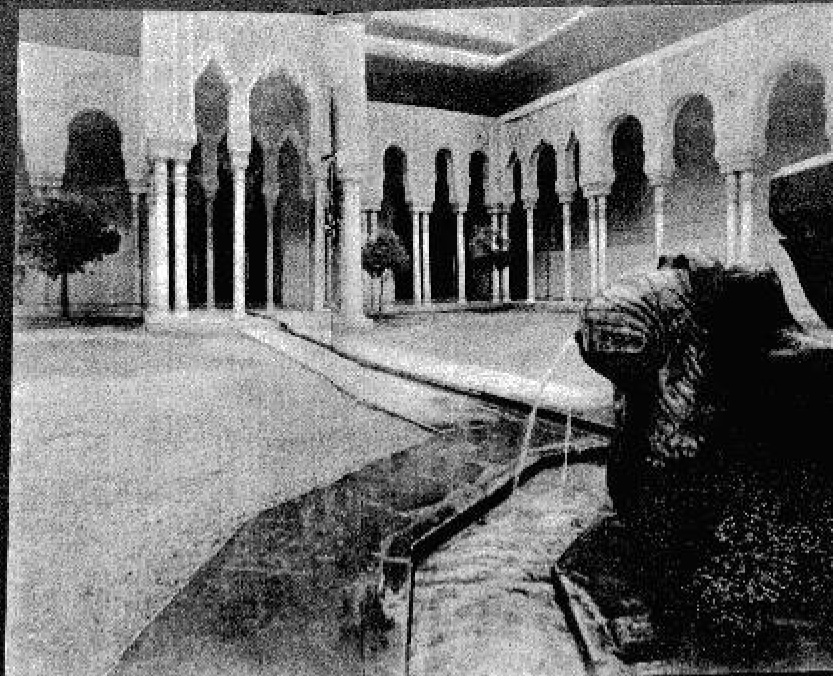
هذا الرجل يسمى موسى بن ابي الغزان ..

وهو دون شك من أمجد ابطال الاسلام ..



منظر حصون الحمراء وقصورها كما يبدو للناظر اليها من الوادى ساعة
الغروب المبانى اشباح سوداء فى قبة السماء الملبدة بالغيوم

● الصورة تبدو السباع احدى مزينة النافورة التي تحملها السباع والماء تنصب من أفواهها .
ويرى في الصورة مجرى للماء يحمل الماء الى قاعة بني سراج ويصب في الحوض في وسط القاعة .
وحول بهو السباع تقوم الحدائق الناعمة الجمال والرائعة والتي تحيط بالبهو، وفي صدر الصورة يبدو الجوسق الذي يؤدي الى قاعة بني سراج .



انه الشهيد الاخير ..

***

وكل ما تراه من جمال الفن في منشآت الحمراء انما انشأه عرب مؤمنون بدينهم وعروبتهم انفقوا اعمارهم في انشاء هذه التحفة الفنية التي لا تزال تبهر العيون الى اليوم ..

وانت اذا تأملت في هندسة قصور الحمراء ملكك العجب وآمنت معنا بما نقول بان هذه الامة موهوبة مبدعة ، وان مصيبتها جاءت من أن بناءها السياسي كان اضعف من أن يحتمل وزنها الحضاري فناء تحت اثقل ثم آل امره الى السقوط .

***

ان قصور الحمراء تتألف من مجموعات من المباني منشأة كلها على تخطيط هندسي واحد .

فهناك القسم العام ، أي المباني الرسمية الخاصة بشئون الدولة والجمهور ،وهي المشور والمسجد والبهو المكشوف الاول ثم قاعة السفراء التي تسمى بقاعة القمريات او قاعة قمارش وهي دون شك من أجمل قاعات الاستقبال التي انشأها المسلمون ،فهي قاعة فسيحة عالية السقف ، وقرب سقفها صفوف من النوافذ الصغيرة التي

تسمى بالقمريات (جمع قمرية بكسر القاف وسكون الميم) وكلها مغطاة بالزجاج الملون ، وهي تفيض على القاعة نورا ذا ألوان .

وسقف القاعة آية من آيات فن الزخرفة الاسلامية ،وقد بلغ من جمالها وتفنن صانعها في انشائها أن باحثا اسبانيا كتب عن ذلك السقف وحده كتابا كاملا .

والجدران كلها مغطاة بشرائط من الزخارف العربية العجيبة ، وبعض هذه الشرائط آيات قرآنية وأبيات شعرية . شيء يحير العقول بجماله حقا .

وخارج هذه القاعة ، قاعة أصغر تسمى قاعة البركة ، وهي بهو مفتوح يفضي الى بهو الريحان المكشوف وبهو الريحان نفسه تركيب فني فريد في بابه .

فانت اذا وقفت فيه وجدت نفسك في بهو واسع مستطيل مكشوف تتوسطه بركة ماء مستطيلة تحف بها اشجار الريحان وللمرة الاولى في تاريخ الفن يجمع فنان بين خضرة الزرع وزرقة السماء وحمرة ألوان المباني وفضة الماء ويؤلف من ذلك كلا فنيا واحدا ..

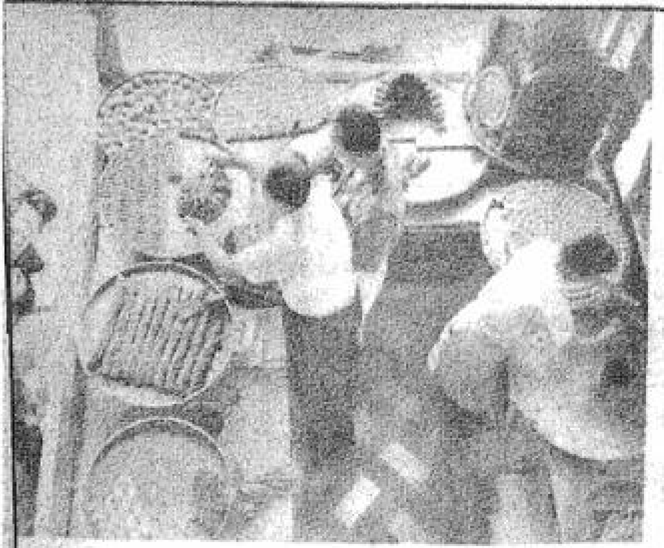
فالعين تمتلىء ذلك الجمال كله وتسعد به ،والاذن تطرب بخرير الماء وموسيقاه والانف تمتلىء بعطر الريحان .

ذلك كله صنعه الفنان المسلم الطيب الموهوب .

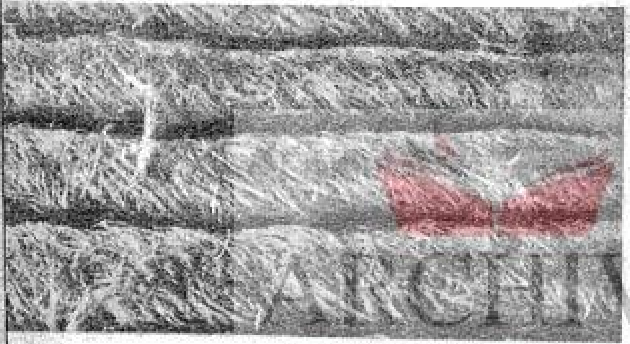
وصنعه لملوك لم يعرفوا في حياتهم غير الاحقاد والدماء ، وعندما اجلس في هذا البهو يملكني العجب ، كيف أن هذا الجمال كله لم يوجه الى اولئك الملوك شيئا من صفاء النفس الذي يتيح لهم الاستمتاع بالحياة ..

لقد قتل من سلاطين غرناطة خمسة: اغتالهم اعداؤهم بعد حياة قضوها في ظلال الخوف والموت .

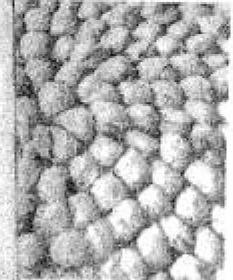
وتلك هي العبرة التي اريد ان انقلها الى قارىء هذه السطور في شهر رمضان ان اجمل نعمة في هذه الحياة هي صفاء القلوب وخلاصها من اوزار الاحقاد ، وليس في الدنيا ما يستحق أن يحقد الانسان بسببه على اخيه المسلم العربي

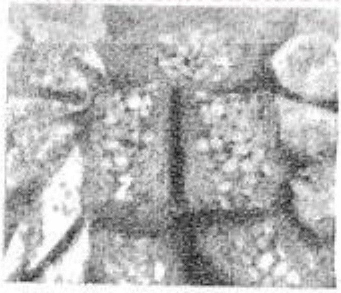


ما زالت الحلوى العربية باصنافها المختلفة تصنع وتباع في غرناطة ، وفي هذه الصورة ترى محلا من محلات بيعها وفيه اصناف لا تغيب معرفتها عن اي عربي



هذه هي الكنافة الشرقية ما زالت تصنع بنفس الطريقة التي نعرفها في بلادنا وهي تباع في شوارع غرناطة وخاصة في الطريق المؤدي الى قصور الحمراء





صنفان آخران من اصناف الحلوى العربية حافظوا على تقاليد صنعها وبيعها في مدينة غرناطة التي ما زالت تحتفظ الى يومنا هذا بطابعها العربي .



– مبنى البرطل من اجمل اجزاء الحمراء ويتكون من جوسق بديع وبركة واسعة مزينة بالسباع تحيط بها اشجار الريحان والنخل والزهور .

ومهما يكن بينك وبين اخيك فانك ستجد فى النهاية أن الانتقـــام والخصـــومة

لا تشفى غليلا فى النهاية ، وان المغفرة من نعم الله الكبرى على الانسان ، ولو كان فى قلوب العرب شيء من الغفران لكانوا دون شك فى طليعة أهل هـــذه الدنيا ..

ذلك انهم شعب موهوب ، وها نحن فى الحمراء نتأمل جمـالها وما ابدعت العبقرية العربية فيها ، وكل ركن فيها يؤكد لك هذه الموهبة ..

وعند بهو الريحان ينتهى القســم العام من مبـــانى الحمراء وندخل فى الاجزاء الخاصة التى كان الســـلاطين وآلهم يعيشون فيها ..

هنا نجد التخطيط الهندسى يسير على نفس المنوال .

وحدات معمارية كل منها تتكون من بهو مكشـــوف مزين بالريحان تحيط به غرف هى فى ذاتهـــا قطـــع من الفن الأصيل .

وابدع هذه المجموعات مجموعة بهو السباع .



جانب من جوانب
مبانى قصور الحمراء
وترى فيه الجدران
الحجرية المتينة البناء
الى جانب القطع
الهندسية الهشة لانها
مصنوعة من الجص
الزخرفى وكل ذلك
يجتمع فى اطار من
الفن والجمال .

ففى وسط البهو المكشوف حوض ماء يحمله ستة من السباع ، والمياه تنساب من افواه هذه السباع الحجرية ..

وعلى جانب من البهو الجميل تجد قاعة الاختين، وهى قاعة مثقلة بالزخارف تفضى منها الى قاعة بالغة الحسن هى قاعة عين دار عائشة التى ترى صورة نوافذها فى آخر هذا الاستطلاع .

أى ابداع وأى جمال ..

كان الزخارف الجصية قطع من الدنتيللا البالغة الرقة والجمال .

وفى الجهة الاخرى ، فى مقابل قاعة الاختين تجد قاعة بنى سراج ، وسقوفها مثقلة بزينة القرنصات ، وهى أشكال زخرفية من الجص تتدلى من السقف فى هيئة هندسية كأنها القناديل ..

اتدرى لماذا جعلوا هذه الزينة الحافلة فى سقف القاعة ، والسقف نادرا ما تقع عليه العين ؟

السبب هو أن هذه القاعة جعلت للاضطجاع !

يدخل رب البيت ويضطجع فيها على الوسائد وينظر الى السقف ، وخرير الماء ينساب فى أذنه ، ورائحة الريحان تملأ صدره ، ويدب الى عينيه النعاس .

لأن أهل الحمراء لم يكونوا ينامون. كانت المخاوف تعيش معهم . خلف كل عمود كان من الممكن أن ينتظرهم قاتل فى يده سكين . كان الموت يترصدهم فى كل وسادة،عشرات ماتوا مختنقين : وضع اعداؤهم الوسادة على افواههم وجلست عليها جارية فماتوا .

وراء ذلك الجمال الذى تراه كله كان يرقد شبح الموت العنيف الرهيب.

وغرناطة كلها كان يتربص بها الموت الرهيب : ملوك قشتاله وليون جعلوا يسنون السكين قرنين ونصف قرن لكى تقتل بمجرد اللمس ..

كان سقوط غرناطة أبشع عملية اغتيال فى التاريخ ،اغتيال أمة ،واغتيال حضارة واغتيال دين .

***

وبعد فحديث الحمراء طويل

انه حديث الفن والابداع والحضارة

وهو حديث مأساة التاريخ القاسى.

وهو الحديث المتجدد فى تاريخ العرب مع بالغ الأسى ..

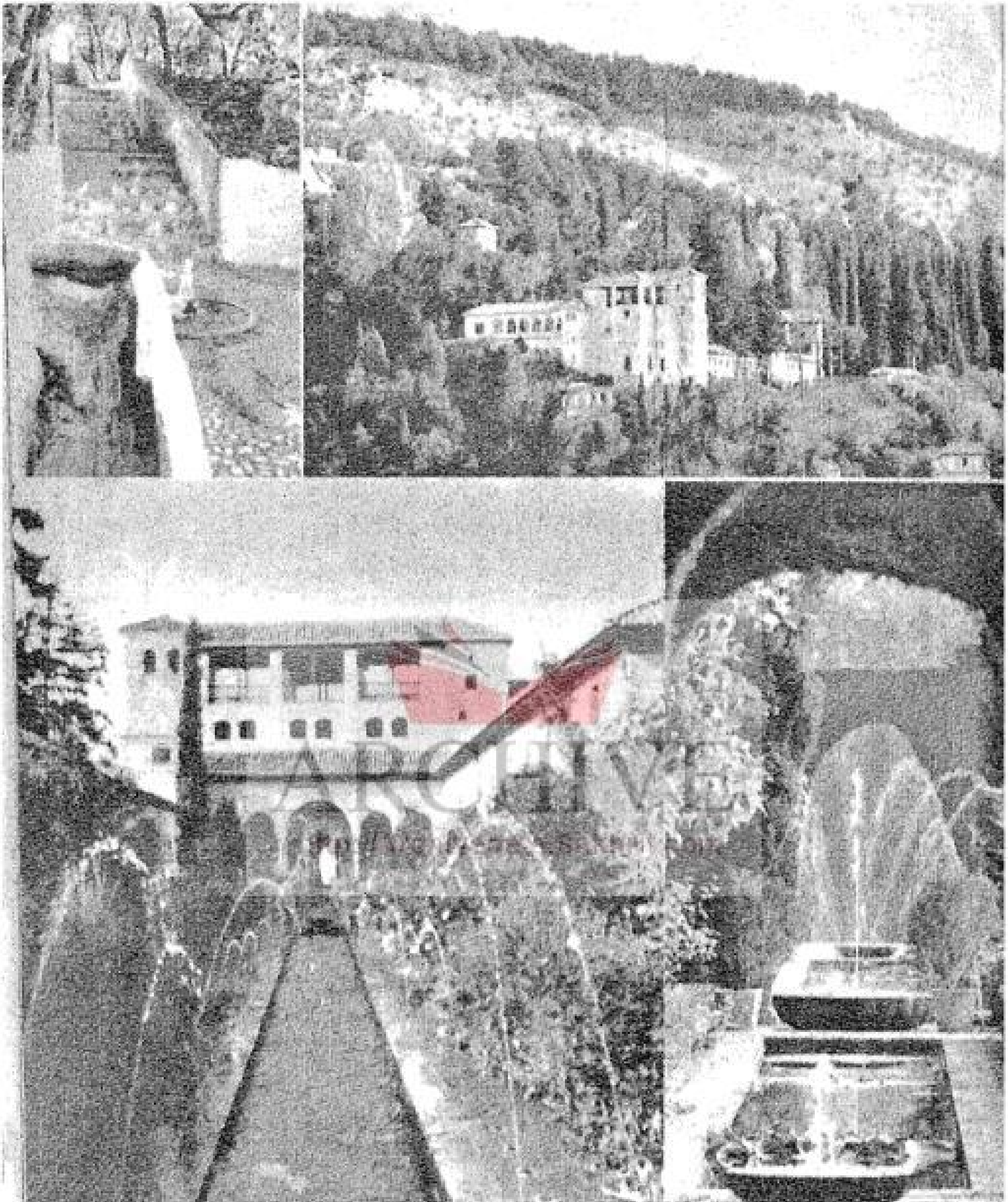
لكى يستريح قلبك بعض الشىء تعال نخرج معا الى جنة العريف ..
انها حدائق الحمراء الملحقة بها .. رياض وجواسق وزهور وبرك ماء وخضرة وزهر وسماء زرقاء وهدوء وراحة قلب .

لنجلس هنا فى هذا الجوسق الساجى ، حيث لا نسمع الا أصوات العصافير تتنادى وخرير المياه يتهدر الينا من بعيد ..

هنا نجلس ونتأمل ونتفكر فى شهر الصيام ونقول ..

اللهم اهد قومنا ، اللهم ارح قلبنا ، اللهم افتح عيوننا وارح العرب من العرب ..
آمين يارب العالمين ..

د . ح . م



ـ أربعة مشاهد تصور أربع نواح من نواحي جمال الحمراء وجنة العريف والصورة الاولى أعلى على اليمين تمثل قصر السيد وهو من القصور القليلة الباقية في الوادي .



– دار عين عائشه نافذة فريدة من نوعها في العمارة الاسلامية في قاعة الاختين تمتاز بالنافذة ذات الباكيتين والنقوش الجص فوقها التى تشبه الدنتيللا ، وعين عائشة هى النافورة التى تراها فى الحديقة خارج النافذة .

القبلة الأولى

● سالم حقي ●

وحينَ قالَ فتَاها ... وفي يَدَيهِ ... يَداها
يا فِتنتي ... وغَرامِي ! ضَجَّ الظَّمَا ... وتَناهى !
ما ضَرَّ لو أنْ نُلبِّي هَذي الشِّفاه .. الشفاها ؟!
ونَلتقي في عِناق يَروي غَليل ظَمَاها
يا قُبلة ... اشتهيها ولا يَغيب شَذاها
وليسَ يَندم ... يوماً مَن ذَابَ في رَيَّاها !

***

قالت .. تُحدّث قلباً تَزَرَّ التجاريب .. هَمسا :
يا قلبُ .. ماقال .. صدق ولا أرى فيه لَبْسا !
ما بالُنا ... نَشتَهيها ؟! كأنَّ في الأمر بأسا
وإنّني ، أشتهيها أحلى من الشَّهد كأسا !
وأسلمتْ شَفتيها عَذراءَ ، تَشتاق عُرسا
فعَبَّ ما شَاءَ منها وطابَ بالحُبِّ نَفسا !

***

وبعد حين ، أفاقت مِن نَشوة عبقريه
وَجْلَى ، تَسَاءَلُ .. ماذا يَمُور في شَفتيه
ومرَّرت أُصبعيْها فَوق الشّفاه النّديه
ربّاه ! ماذا دهانا ؟ في رحلتي الشّاعريه ؟!
هذي الشّفاه ... أراها ليسَت .. شِفاهَ صبيه !
لكنْ .. أرقّ وأحلى شِفاه أنثى ، شَهيه !

الأدب العالمى..

المصدر الأهم في سينما المضمون

● مارى غضبان ●

●● في السنوات الاخيرة تصور السينمائيون انه يمكن للسينما ان يكون لها فكرها الخاص ، بمعنى ان يكون هناك ادب سينمائى يعتمد على الكتابات الموضوعة خصيصا للسينما ...

وتحقق هذا التصور فعلا ، بانجاز بعض الكتابات التى نجحت فى تقلبة ما يعرف باسم سينما المضمون ... لكن السينما وجدت نفسها تعود مرة اخرى الى الاعمال الادبية كمنهل خصب لسينما المضمون ... والضح من مراجعة نشاط احدث المهرجانات السينمائية العالمية ان الادب العالمى لا يزال هو المصدر الاهم لموضوعات ومضامين افلام السينما اليوم .

● والأدب الامريكى ، على سبيل المثال ، اكثر من اهتمامه باكتشاف القارة الامريكية وتمجيد المكتشفين الاوائل ، ودور رجال الدين . وقد تنوعت هذه الكتابات فى الأدب الامريكى وحولتها السينما الامريكية الى افلام ناجحة ، كانت هى محور الاهتمام فى صناعة السينما ، ومنها « طريق التباك » لارسكين كولدويل ، ورواية « الناموني » التى وضعها وليم فولكنر ، ورواية « حشائش الهارب » لترومان كابوتى — و « الرجل النادر وجوده » تاليف فالنرى أوه كونر ، وهى روايات تسعى لتغيير الانسان نحو الخير والبعد عن الشر والاتجاه الى القيم المستمدة من الدين فى فترة بناء الدولة والمجتمع الامريكى الجديد .

● ومن بين هذا اللون من الافلام المستمدة من اعمال ادبية كلاسيكية ، تلك الرواية التى عرضت فى مهرجان كان السينمائى الثانى والثلاثين ، والذى عقد مؤخرا على الساحل الفرنسي — رواية « الدماء الحكيمة » تاليف فالنرى أوه كونر اخراج جون هوستن ، وهو من اعرق مخرجى امريكا .. وقد عمل فى كتابة السيناريو وتصميم « الديكور » وعمل بالتمثيل حيث قام بدور سيدنا نوح فى فيلم « الأسقف الكبير » . وحصل على عدة جوائز أوسكار فى الاخراج من فيلم « عندما تنام المدينة » الذى مثلته



ايزابيل ادجاني بطلة فيلم « الاخوة برونتي » .



الممثلة اليونانية ايرين باباس في فيلم « قرية ابيول » ..

مارلين مونرو في اوائل الخمسينات ، والملكة الافريقية بطولة كاترين هيبورن وهمفري بوجارت عام ١٩٥٢ ، ومولان روج بطولة الممثلة الامريكية المجرية الاصل زازا جابور وجوزيف نيرير ، وجذور السماء بطولة ايرول فلين .. وحظيت افلامه الاخرى بتقدير النقاد والجماهير مثل فيلم « انعكاس في العين الذهبية » بطولة اليزابيث تايلور ومارلون براندو ... وفيلم « كازينو رويال » بطولة ديبورا كير ودافيد نيفن ، و« التوراة » بطولة آفا جاردنر وبيتر اوتول وريتشارد هاريس ، وفيلم « خطاب الكريملن » بطولة جورج ساندوز وبيبي اندرسن.

ورغم كل هذا النجاح في افلام بعضها مكتوب خصيصا للسينما والبعض الآخر مستمد من اعمال ادبية ــ فان فيلمه الأخير « الدماء الحكيمة » المأخوذ من رواية ادبية بنفس الاسم قد اثار جدل النقاد ومناقشاتهم ، لأن موضوع الفيلم يدور حول شاب تربى في بيئة دينية حيث يعمل والده واعظا وقسا في كبرى كنائس المدينة ، لكنه اى الابن لا يعترف بان هناك خطيئة ، ولهذا يدعو الى تعاليم جديدة لا تقوم على نفس الأسس التى تقوم عليها دعوة المسيحية ، مثل التطهر من الخطايا وأن المسيح سيطهر العالم منها . وينتهى الصراع بالشاب الذى يجد معارضة من كل المحيطين به فيصاب في عينيه بالعمى بعد أن يضع وجهه في



مشهد من الفيلم الايطالي « قرية ايبولي » ..

الجير المشتعل مفضلا الظلام عن متابعة معارضيه في نور الحياة التي يرفضها.

وكاتبة هذه الرواية فالنري او كونر تأثرت بنشأتها الدينية حيث كان والدها من رجال الدين في ولاية جورجيا في الجنوب الأمريكي ، وقد ماتت عام ١٩٦٥ في سن التاسعة والثلاثين بعد اصابتها بسرطان الدم .

● وهناك كاتب أمريكي آخر اهتمت السينما البريطانية بموضوعاته في أفلامها الجديدة ، هو هنري جيمس وروايته هي « الأوروبيون » ويدور موضوعها حول من يتصورون ان امريكا ماهي الا ارض الذهب والمال .

وموضوع الرواية حول اسرة مكونة من اخ واخت تفككت اواصرهما العائلية في اوروبا ، فهاجرا الى بوسطن لكي يلتقيا بابناء عمومتهما الأثرياء ، وفي بوسطن يبدو لهما التناقض بين الحضارة التي تركاها في اوروبا والوضع البدائي لامريكا في تلك الفترة ....

وقد نجح الفيلم في ان يجسد هذه الرواية من خلال اسلوب سينمائي رفيع اشرف عليه المخرج البريطاني جيمس ايفوري .

وللكاتب هنري جيمس رواية مشهورة هي « الابرياء » التي سبق ان قدمتها السينما في فيلم من اخراج جاك كلايتون بطولة ديبورا كير في دور المربية لطفلين تعود الى المنزل فتفاجأ بحوادث تجعلها مسئولة عن الطفلين بعد المأساة التي حلت بوالديهما ... وفي الفيلم قام مارلون براندو بدور الحارس وهو من اوائل ادواره السينمائية .

● والسينما الايطالية تهتم بالأعمال الادبية ومعظم افلام صناعة السينما الايطالية مأخوذ عن اعمال ادبية عالمية



معزوفة موسيقية على الطريقة المجرية ..

او ايطالية ، واحدث افلام ايطاليا المأخوذة عن عمل ادبى معروف فيلم « قرية ايبولى » قصة كارلو ليفى ، واخرج الفيلم في السينما فرانسيسكو روزاى الذى اشتهرت له « السلام المانيا » ، ونقد العدالة الايطالية واحتكار الاسكان .

ومضمون الفيلم يدور حول طبيب يرسله الفاشيست الى الفقر فى قرى جنوب ايطاليا ((ايبولى)) ويكتشف هناك اسباب الفاقة التى تفوق التصور التى تعيشها هذه القرية حتى ان الحكومة تناست وجود قرية بهذا الاسم ، ويحاول انقاذ الاهالى من المرض وتوجيههم الى العمل الذى ينقذهم من الفقر ، ولكن المركزية الفاشية فى روما تحاربه وتطالبه بالعودة الى روما ، لكن فلاحى واهالى القرية يودعونه ويطالبونه بالبقاء ويعاهدهم على العودة .

● واذا كانت السينما الاسترالية حديثة العهد بالنسبة لغيرها من النوعيات التى اشتركت فى مهرجان « كان » الا انها قدمت فى المهرجان فيلما ذا مستوى جيد، مأخوذا عن رواية نشرت عام ١٩٦٥ للكاتب الاسترالى مايلز فرانكلين ، والفيلم يدور ايضا حول بداية الحياة فى القارة الاسترالية فى أواخر القرن التاسع عشر ، ويركز الفيلم على عائلة فقيرة تعيش فى منطقة الجفاف ، وتنتقل العائلة الى مكان اخر وتجد الابنة مناخا اخر وحياة اخرى مفتوحة ، ويربط الحب بين الفتاة الرومانسية وشاب مادى يبحث عن الثروة . وينتهى الحوار العاطفى بينهما بتفضيل العودة الى البقعة الفقيرة التى عاشت فيها ورغم أن الفيلم « مهنتى اللامعة » لم يكن على مستوى جيد فى المضمون الذى اخذوا عنه الموضوع فى الرواية التى كتبها مايلز فرانكلين ، الا ان الفيلم يمتاز بتصوير جيد ومعالجة رقيقة للاحداث والفيلم من اخراج امرأة تعمل لاول مرة فى السينما الروائية وهى جيل ارمسترونج .

●● وليست الاعمال الامريكية والايطالية والاسترالية هى الوحيدة فى مهرجان ((كان)) المأخوذة عن اصل ادبى لكن الحال كذلك بالنسبة للسينما الالمانية التى قدمت فيلم ((فوجتسك)) المأخوذ عن رواية جورج بوشنر ، اخراج فرنارد هيرتسوج .

والسينما الفرنسية عرضت ((الاخوة برونتى)) عن رواية الاخوات الاديبات « برونتى » اخراج اندريه تشيشيه بينما قدمت السينما المجرية فيلم ((رابسو دى انجرواز)) أى ((المعزوفة الموسيقية المجرية)) اخراج ياتشو ميكلوش



زكي مبارك في ذكرى ميلاده

● كريمة زكي مبارك ●

« ولدتني امي في الخامس من اغسطس سنة ١٨٩١ فاضيف الى الوجود خير جديد وشر جديد »

زكي مبارك

عن يوم مولده كتب أيضا الدكتور زكي مبارك في السادس من اغسطس سنة ١٩٥٠ على صفحات جريدة البلاغ:

انا لا افكر في غدى
فالله دفاع الكروب
سيثيبني عما صنعت ..
هو وحده الروح المثيب
لغة « الكتاب » نشرتها
كالزهر في الوادي الخصيب

ولقد كان زكي مبارك وطنيا صادقا ، وناقدا جريئا له صولات وجولات ، اتصل بالصحافة في فترة مبكرة من حياته ، وفي سنة ١٩٢١ كان رئيسا لتحرير جريدة الافكار ، وشارك في ثورة ١٩١٩ وكان من خطباء الثورة وشعرائها واسهم في اشعال الثورة ضد الانجليز بخطبه النارية واشعاره الحماسية التي كان ينشرها في الصحف والمجلات . وكان كثيرا ما يثير ثائرة الجماهير بخطبه الملتهبة في الأزهر الشريف فاعتقله الانجليز ..

وتحدث زكي مبارك في كتابه البدائع صفحة ٤٩ عن ليالي الاعتقال وعن الخطابات التي وصلته في المعتقل . ونشر خطابا أرسله الى صديقه أنيس ميخائيل والذي كان يلجأ الى منزله يحي القلق حتى لاتعرف السلطات البريطانية مكانه ، وجاء في الخطاب :«ساضرب صفحا عن الدمعة التي سكبتها على القرطاس لان مثلي لا يبكي له ولا يبكى عليه ، وانما خلقت لأكون مثلا في الشمم والاباء .. ولو كان بي حب الدعة والطمانينة لما مكثت في المعتقل هذه الشهور الطوال ، فقد فكر القوم في مساومتي لاول لحظة وظنت فيها لكنة قصر النيل ، ولكني اقذيت عيونهم حين اريتهم كيف يطيب لي الشقاء في سبيل البلاد. واقسم لو سلم المصريون جميعا وخرج مصطفى كامل من قبره ليصافح الانجليز لما كان في ذلك ما يزحزحني قيد انملة عن معاداتهم حتى يكون الجلاء . ليست انجلترا هي العدو الوحيد للامة المصرية بل هناك عدو آخر ما زال من قبل يبطش بالامة غير وان ولا راحم ، وهو الجهل ..

« هذا العدو اللدود الذي تستعين به انجلترا لاغتصاب وادي النيل ، وساعرف ماأصنع يوم أعود الى القاهرة ولو بعد حين ، ساعرف كيف أصب الصواعق على رءوس من يستغلون جهل الامة فينالوا به ما لهم من سوء الاغراض ومنكر الشهوات .

وخرج زكي مبارك من المعتقل ، وعاش يتغنى بمصر ، وكان صادق الايمان بالقومية العربية غيورا على اللغة العربية ، يرى أن اللغة العربية هي أهم مظاهر الاستقلال ، وان حفظ اللغة هو الأساس في حفظ الاستقلال .

واشار زكي مبارك الى أن العرب مقبلون على تاريخ جديد لا تنهض قواعده بغير الاخاء الصحيح ، وفي سبيل معتقداته خاض زكي مبارك الكثير من المعارك الادبية .

● تحية عطرة الى زكي مبارك في ذكرى مولده ، وسلام الله على احباب الوطن والحرية .

منوعات

يانيل

هل شق مجراك البشر ... ام أنت من صنع القدر
يا نيل انت حياتنا ... لله درك من نهر

روضتنا

لنا روض به الاطيار تهفو ... لموعدنا اذا حان الاصيل
وان سرنا وقد ذبنا غراما ... يزف غرامنا شدو جميل

أيام

اين من عيني أيام الوصال ... ياحبيب العمر يارمز الجمال
حين كان القلب يشدو بالهوى ... يجتلى الاحلام في دنيا الخيال

سابحات

حول حمام السباحة ... سابحات . . فاتنات
في رداء البحر سرن ... غاديات . . رائحات
تحت شمس الصيف نمن ... كاسيات ، عاريات
في خضم الماء حينا ... ثم حينا قافزات
قد حسدت الماء لما ... ضم جمع السابحات

البحتري الصغير
« عمر شاهين »

مرآة الفكر الغربي

بودلير زهور الشر

● شاهيناز حسن عمر ●

ولد شارل بودلير في باريس عام ١٨٢١ لوالد في الستين من عمره • وقد ترملت امه في عام ١٨٢٧،وتزوجت في العام الذي يليه من القومندان اوبيك الذي أصبح فيما بعد جنرالا وسفيرا وعضــــوا في الجمعية الوطنية •

ثار بودلير على هذا الزواج وهو بعد طفل ، ولم يكن متفاهما مع زوج امه ، فوضع للاقامة في « بنسيون » في ليون وبعده في مدرسة لويس الأكبر •

فبدت مواهبه ، وظهرت إتجـاهاته في السخرية ، وأقبل على هواية الرسم وعلى الفلسفة ، والاحزان الثقيـــلة والاحساس الدائم بالوحدة ..

عاش الأعوام الثلاثة من حياته ـ من ١٨٣٩ الى ١٨٤١ ـ حيـاة بوهيمية في الحي اللاتينـــي ، يقرأ كثـــيرا وينفعل كثيرا ، وتنقله اسرته ، لتنقذه

حديث

انت سماء خريف جميلة ، صافية وردية

ولكن الحزن الكامن في عيني يعلو كالبحر ، ويتركـ ، وهو

ينحسر ، على شفتي المريضة ذكرى حارقة حطها طعم ليمون مر

ان يدك تنزلق دون جدوى فوق صدري الواهن

انهما تبحثان يا صـــديقتي عن موضع جريح

عبثت به وشمته اظافـر امرأة وحشية واسنانها

لا تبحثي عن قلبي بعد الان ، فان الوحوش قد اتت عليه

ان قلبي قصر عبثت به يد الزمان

ففي هذا القلب الواهن يسكرون ويتقاتلون ، ويتماسكون بالشعور.

ان عطرا عاصفا يثور حول رقبتك

آه يا جميلة ، انك عذاب للارواح،وانت تريدين ذلك

بعيونك التي تبعث الشرر ذات بريق الاعياد .

احرقي هذه الخرق رمادا

تلك الخرق التي اعفى من لهبها المجماوات

من حياته البوهيمية ، الى بوردو على مركب شراعى مسافر الى الهند عام ١٨٤١ ، وبسبب دوار البحر لم يستطع مواصلة السفر لأبعد من جزيرة بوربون ويعود بعد ذلك خلال عشرة أشهر على المركب • وكان وحيدا يتصرف بكبرياء لا يحفل بشيء غير الأدب •• وقد زادت هذه الرحلة من حساسيته وفتحت اهتماماته بالسفر والبحر والشمس وكل ما هو غريب في عالمه ••

وبعد عودته حصل على نصيبه فى ميراثه عن والده وبدأ يعيش حياة بوهيمية باذخة كان يعتبرها رمزا على تفوقه الارستقراطى الفكرى .

وتلجأ عائلته الى القضاء ، ثم تحدد له دخلا لا يتجاوز مائتى فرنك شهريا – فى عام ١٨٤٤ ، ومنذ ذلك الحين بدأ يعيش فى ضيق مادى ، ويقع أخيرا فى غرام جان دوفال ، التى بقيت رفيقته الأثيرة حتى أواخر أيامه •

بالنسبة لنشاطه فلقد تفرغ فى البداية للنقد الفنى ، ثم اجتذبته السياسة لفترة خلال ثورة ١٨٤٨ ،وأسس جريدة ينشر فيها مقالات عنيفة ولكنه يعود سريعا للأدب منذ ١٨٤٦ الى ١٨٤٧ – ويكتشف فى أعمال ادجار بو ما يتردد فى نفسه ، فيترجم اعماله وقصصه فى عام ١٨٥٥ .

ويوالى نشر قصائده فى مجالات مختلفة من عام ١٨٥٢ الى ١٨٥٥ •

وفى عام ١٨٥٧ نشرت اعماله فى كتاب « زهور الشر » ، وينشر الطبعة الثانية مضافا اليها ٣٥ قطعة شعرية جديدة •

وفى عام ١٨٦٤ ينفى الى بلجيكا ثم يعود الى باريس عام ١٨٦٦، وقد حطمه المرض ، ليموت عام ١٨٦٧ •

BAUDELAIRE : LES FLEURS DU MAL

CAUSERIE

Vous êtes un beau ciel d'automne, clair et rose !
Mais la tristesse en moi monte comme la mer,
Et laisse, en refluant, sur ma lèvre morose
Le souvenir cuisant de son limon amer.
Ta main se glisse en vain sur mon sein qui se pâme;
Ce qu'elle cherche, amie, est un lieu saccagé
Par la griffe et la dent féroce de la femme.
Ne cherchez plus mon coeur; les bêtes l'ont mangé.
Mon coeur est un palais flétri par la cohue;
On s'y soûle, on s'y tue, on s,y prend aux cheveux !
Un parfum nage autour de votre gorge nue ! .
O Beauté, dur fléau des âmes, tu le veux !
Avec tes yeux de feu, brillants comme des fêtes,
Calcine ces lambeaux qu'ont épargnés les bêtes !

عنق الزهــرة يلتوى ؟

• هدى جاد •

● كفها تقبض على كفه ... خطوتهـا تسبقه . صدى سيرهما يؤلف لحناً موسيقيا عزف من عصـور خلت .. تلمح اخريات وآخرين وراءهما، امامهما ، على جانبى طريقهما .

قامتها ترتفع ، تطل عليه من شاهقها ، يخفق قلبها .. أمومتها تغزو أفكارها رغم عدم ارتباطها بالزواج ... آه ، الـزواج ... كلمة يرن صداها فى زوايا عقلها .. كلمة توارثها الخلف عن السـلف ... همسـت اليها جدتهـا وهى تمصمص بشفتيها : حسرتى عليها وداد هذه ،فاتها قطار الزواج !

وتدعم أمها هذه المأثورات بقولها

ـ نفيسة تحتاج لأقراص !

وتعقب هى ببساطة واخلاص ـ اتشكو من علة ما ... نفيسة ؟!

ـ أبدا .. لكن موصوف لها اقـراص لتحتفظ بنضارتها فلم يطرق بابها عريس!

كل يوم تحدق فى المرآة ، لتتـأكـد لنفسها ، أنها ما زالت شابة نضرة ، ثم فى طريق سيرها الى عملها تواصل عملية التحديق الى المارة لتستوعب لغة الاعـين الشاخصة اليها .. أهى استحسـان وتمن ، أم رثاء ورفض ؟ أرادت أن تمنح نفسها اجازة ليستريح العقل وتهدأ النفس فماذا صنعت ؟

راقبت الطير ، الحيوان ، النبات ... أحق أنها طبيعة قادرة مهيمنـة ؟ وكيف لقنت كائناتها الحب، الوئام، التلاقى ؟ كائنات خرساء صماء ، لا ... ليسـت صماء ، والا فكيف تتغابى عن موسـيقى زقزقة العصافير وهديل الحمام ؟ ... هناك أيضا حروب ، والحـروب لابد أن يكون من ورائها دوافع ـ استرداد حق ، بناء وتعمير ، حب .. سلام .

النبات .. بعضه يمثل القوة ، الالفة، الجمال ...

لابد لفريق أن يتسلط على آخـر ، لا يعقل أن تنشأ حياة لا يسودها الا الحرب ولا يعقل أيضا أن تخلق دنيا لا تمثل الا الحب ... كيف ؟ كيف تستنكر حيـاة يسودها حب فقط ؟ الحب الذى ينشده كل كائن يدب على الارض .. لكنها وجهة نظر والا ... فسيصاب العالم بالكساد فى كل شىء ... يتراخى الفرد ، تستكين عضلاته وأجهزته ، فكل شىء باق ، يزرع يحصد يؤتى ثماره .

والعالم يحب بعضه بعضا ، يتـوالد ، يتكاثر ، يستمر ... لكن لب المشـكلة هى .. من يهيمن على من ؟ الـذى تقبض كفها على كفه ؟ الذى تقصر قامته فلا يكاد يشب عن الارض ؟

الرجل يهيمن دائما وأبدا ـ لـم ؟ أهى شريعة الغاب أم السماء أم هما معا ؟.

هناك فى أقاصى العالم ، هناك فى بلدة ما هناك فى الصين لعلها الصين ... قامت تقاليده تلقن : عليك أيتها المـرأة الانثى ، الاترتبطى الابواحد من أسرة معينة . ربما لم يولد بعد . فانتظريه .. سـنوات . لتكن عشرا بل هى تعدت العشر ، صارت عشرين !.

هذا الذى تقبض كفك على كفه ، طفل فى الثامنة من عمره .. زوجك أهلك منه وزوجه أهله منك ... صدى سـير كما يؤلف لحنا موسيقيا ، لكنه نشـاز ... يدفع هذه العصافير كى تطير من فـوق أعشاشها ، وتشمئز انثى الحيـوان من ذكرها ، ويلتوى عنق الزهرة بعد التفاتتها .

المرأة صاحبة الثمانية والعشرين من عمرها تلك التى تقبض كفها على كفه ـ تطـالب بالطلاق، فقد صدر قانون يحث على انهاء وضع خاطىء سنته قوانين متحجرة عفـا عليها الزمن ! ..

يقولون لها اتريدين حربا ؟

قالت ـ لا !

لم يسألوها هذه المرة ...

طرحت هى السؤال ، وتطـوعت بالاجابة :

ـ كانت حربا لاسترداد حق ... اما اليوم فسلام ، سلام ، لا للتسليم او التقسيم ، لكنه سلام لتغيير... سلام بناء !.

زهرات من

رياض العرب

من العدل الإسلامي

● ساوم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجلا على شراء فرس . وركب الخليفة الفرس ليختبره ، فأصيب الفرس بعطب في أثناء جريانه بالخليفة ، فرده الى صاحبه ، فأبى قبوله ، وأصر على الحصول على ثمنه ، لأنه سلمه الى الخليفة سليما بدون عطب ..

واحتكما الى شريح القاضي ، فلما استمع القاضي الى كلام الرجل والخليفة أصدر حكمه قائلا : يا أمير المؤمنين ، خذ الفرس وادفع ثمنه ، أو رده سليما الى صاحبه !.

ونفذ عمر حكم قاضيه ، وأخذ الفرس ، وأعطى صاحبه ثمنه .

● خير المعروف ●

جلس الامام علي بن ابي طالب وعمه العباس بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهم ـ ينتظرون خروج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجرى بينهم الحديث ، فتذاكروا المعروف ، فقال عمر : خير المعروف تعجيله ، وقال العباس : خير المعروف تصغيره ، وقال الامام علي : خير المعروف ستره ..

وخرج عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسألهم : فيم تتذاكرون ؟ فذكروا له ما قال كل منهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : خير المعروف ان يكون هذا كله فيه ، فاذا عجلته هنأته ، واذا صغرته عظمته ، واذا سترته تممته ..

● تركة الرسول ●

عن عمرو بن الحارث قال : ما ترك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا الا سلاحه ، وأرضا كان قد جعلها صدقة لابن السبيل ، وناقته العضباء التي كان يركبها ، والتي حزنت عليه ، فلم تأكل ولم تشرب حتى ماتت ..

● الشهادة ●

تقدم رجل ليشهد في خلاف بين جماعة امام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقبل أن يتكلم نبهه الرسول الى خطر الشهادة ، وأمره برفع بصره الى السماء . ثم سأله : هل ترى الشمس ؟ قال : نعم . قال : هل يسترها سحاب أو حجاب ؟ قال : لا . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : على مثلها فاشهد !.

● الخير ●

عن ام سلمة رضي الله عنها قالت : هذا ما سأل محمد ربه : « اللهم اني اسألك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العمل وخير الثواب ، وخير الحياة وخير الممات ، وثبتني ، وثقل موازيني ، وحقق ايماني ، وارفع درجتي ، وتقبل صلاتي ، واغفر لي خطيئتي ، وأسألك الدرجات العلا من الجنة .. آمين » ..

● **محسن فهمي** ●

قصة

التطهر

• محمد عثمان صالح •

● وابكى والبكاء مر ، وابحث عن اى شىء التمس منه بصيصا من النور ، واظل اهيم على وجهى باحثا عن مرفا يطمئن قلبى ، ويودع به شيئا من الامان ، واشعر كما لو اننى قد رحت فى غيبوبة عميقة .

واسال نفسى سؤالا مريرا :

ترى هل انا موجود الآن ؟

واظل ارفع صوتى المتحشرج المكتوم فى اعماقى ، واصرخ بحدة ..

عسى ان يأتينى صوت اى صوت ، ولكن لا صوت يأتى .. هانا استغرق فى وحدتى بلا انيس ... واسال نفسى مرة أخرى :

ترى هل ظلمت نفسى ، ترى هل وقعت فى متاهة او دوامة من دوامات القلق ... هل اخطات فى شىء ما ؟ .. وابحث ، ابحث ، افكر ...

واشعر أن تفكيرى باهت الملامح بلا مذاق ... دائما انا هكذا !

كريشة فى مهب الريح تحلم وتحلم وتحلم ، وعندما اعلو انسى أن الرياح هى التى تحركنى كيفما شاءت .. واخرج مما إنا فيه ، اعود الى الماضى البعيد ..

كان الفجر ورديا ، وكانت الاحلام والمنى تغدو رائحة امامى ، وانا انهل من معينها الاليل رشفات هى نبض الحياة ، وخفقات القلب ، وانوار الروح . ترى لم تبدد كل هذا الامل ؟ .. لم بدا اليقين يروغ من بصيرتى ويتوه ؟ واين هويتى الآن ؟ اين هى ؟ ولم تلك الظنون الشاحبة المليئة بالاوهام ؟

وتعلو أصوات من داخلى :

انت غرقت فى بحر بلا قرار ، وحجب عنك ضوء النهار .

وارتعد .. انتفض !

اشعر أن ضوء النهار مازال يعشش داخل قلبى وضاء منيرا ، وأن اسارير الوجه منبسطة بعض الشىء .

وها هى ابتسامتها التى تنفث فى قبس روحى نورا ونارا تتالق فى نوازع نياط قلبى وتختلط .. تمتزج بها لتشعل داخلى رغبة فى الحياة .. رغبة فى البقاء .

وها هو بريق شعرها يلمع تحت شعاع الشمس يضاهيه مختالا رائقا ، يسلب من فؤادى الاحزان

وتأتى الى .. تقترب منى .. اقترب انا منها ولهان مشتاقا . احس ان روحى تتوحدالان معهما . يظل الحب . الحب فقط . الروحان اوشكتا على التلاحم .. وتنهال على فيوضات النعيم ، وارتع فى مرافىء الاحلام المرصعة . وفجاة بلا مقدمات ...

يحيط مكاننا — انا وهى — ايقاع همجى من زمن بدائى .. وتذبل وردة الروح ، والجسد يرقص على انغام وحشية . وتركض اقدامى ، وتقفز فى ضراوة هستيرية ، واظل اصرخ .. اصرخ حتى تنقطع انفاسى ، وتتهدج دقات قلبى .. وافقد الوعى تماما .

واستيقظ .. استيقظ حزينا محروما ، وابكى والبكاء مر ، وابحث عن اى شىء التمس منه بصيصا من النور ، واظل اهيم على وجهى ، باحثا عن مرفا يطمئن قلبى ، و .. ، والطهر. الطهر فى دموعى ..

روح المنى

• د . مصطفى الجندى •

يا منيتى فاضت اليك مدامعى
وتالبت ، لما ذكرت مواجعى

تهفو لرؤياك الحبيبة اعينى
وتتوق للشدو الطروب مسامعى

فاقبل الوجنات رائعة السنا
وادغدغ الثغر الحبيب باصبعى

يا منيتى ، تاقت لحملك اذرعى
مهدت صدرى مرجعا هل ترجعى

ومددت من عينى للهواك مرتعا
وجعلت مهدك ناعما فى اضلعى

تتضاحكين ، فتضحك الدنيا لنا
وتغردين ـ يلذ عيش السامع

او تعبثين فكل عبثك صائب
يافتنة اخذت بكل مجامعى !

كيف الصباح ونور وجهك غائب؟
كيف الشروق وشمسنا لم تطلع ؟

انسيت احلام الحياة وسحرها
كيف الحياة ومنيتى ليست معى !

يا فرحة .. باتت بقلبى حسرة
أين اللقا .. ام ذاك حلم مودع ؟!

استاذ بجامعة كامبيناس
البرازيل

تذكرة طبية

أمراض الصيف

● د . السيد الجميل ●

● أكثر امراض الصيف انتشارا حمى التيفود والباراتيفود وكلتاهما تنتقلان خلال الأغذية غير النظيفة .

هبوط كلوى

تبدى الكلى قصورا تاما وعجزا كاملا لقلة حيلتها فى التكيف مع المتغيرات الفسيولوجية للجسم نتيجة بعض التفاعلات البيوكيميائية الحيوية الداخلية به، وعادة مايصحبها ارتفاع نسبة البولينات فى الدم اكثر من ٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم٣ من الدم، وهنا يتعذر على البول النزول تماما من الحالبين . وقد ينزل الى المثانة البولية القليل جدا منه بنسبة لاتزيد على ٤٠٠ سم٣ من البول لكل ٢٤ ساعة . وهذا كله ناجم من الالتهاب الكلوى الحاد ، او الانسداد المزدوج لكلا الحالبين وهذا بالطبع يؤدى الى تلف النسيج الكلوى .

الامساك

كثير من الرجال وقليل من النسوة يميلون ويملن الى تقبض الامعاء حيث أن افراغ محتويات امعائهم لا يتم الا مرة كل يومين او ثلاثة اواربعة بينما المعدل الطبيعى هو مرة واحدة كل يوم ، من ثم نراهم يلوذون بالملينات على كافة انواعها بل ويدمنون تعاطيها ويجدون فى الحرص عليها ، طول العمر ، ويتجاهلون وقد يجهلون ما تحمله اليهم من أضرار ، فالارتباك المعوى بالمصارين يزداد حدة بالقلق النفسى والاضطراب الذهنى أشد تسببا لبعض هذه الاعراض .

وننصح مرضى الحميات على وجه العموم بأخذ شربة زيت الخروع للقضاء على تقبض الامعاء ، وازالة الامساك الذى يؤذيهم ويؤلمهم اشد الايلام .

الاسقربوط

هذا المرض ناتج عن نقص فيتامين ج فى الغذاء وهذا يكثر عند كبار السن والذين يعيشون وحدهم فى عزلة ويخلو غذاؤهم من الفواكه والخضروات الطازجة التى تحتوى على هذا الفيتامين والذى تتجلى اعراضه بعد ستة اشهر على الاقل من نقصه فى الغذاء ، وفى هذه الحال يشعر المريض بأنه منهوك البدن خائر القوى مع الميل للنزيف الشديد من الانف واللثة دون سبب ظاهر ومع مجرد التماس بها مع ظهور طفح جلدى ، ونزيف فى المفاصل والركبتين مع نقص تخليق الهيموجلوبين وانيميا حادة وبطء التئام كسور العظام . ●

قصة البرتقالة

محمد صلاح الدين

يجيء ابوها كل حين يسكب في العربة الخشبية حصاد العمارات الشاهقة المنمقة بالفسيفساء في الحي الراقي ، وتقوم الفتاة ذات الثماني سنوات بالقفز فوق قمة الكومة الجديدة ، تفترشها .. وتعيد القفز عليها مرة اخرى ، حتى تغوص قدماها وتصطدما بقاع العربة ، حينئذ تلتقط اى شيء وتلعب به الى احد اركان العربة فتجلس تعبث به في ضيق من انه ليس ثمة شيء نادر عثرت عليه.. ولكن هناك دائما املا تترقب تحقيقه في كومة جديدة حتما ستحملها بعد دقائق طالت او قصرت ..

***

تمر دقائق الانتظار عليها ثقيلة وكأنها الدهر .. تشارك سلواها في الانتظار تلك الوريقات الملونة الصغيرة التى تتمزق بين أصابعها فتكون لونا وشكلا زخرفيا جميلا وسط الوان واشكال متنافرة !.

وتجيئها الكومة الجديدة ، كبيرة هذه المرة .. مليئة بفضلات لها اشكال والوان جديدة عليها ، تبرق عيناها على متمنمات تتسربل على الكومة كسيل ممطر على قمة هرم ضخم .. وجرى من هذا السيل شيء دائرى جرت عينا الفتاة الصغيرة معه حتى استقر عليه في الركن الآخر من العربة وكان ذلك الشيء : برتقالة .

تذوقت طعم الفرحة لاول مرة .. ومن جلستها قفزت قفزة واحدة الى البرتقالة غير مصدقة ، تتحسسها كأنها كنز عثرت عليه .. تداعبها كدمية تمتلكها .. . تقذفها الى اعلى وتلتقطها .. ثم تعود تقذفها وتلتقطها ! .

جاء ابوها ، والقى بحمله غير مبال .. زفت اليه الفتاة البشرى ، مط شفتيه غير مصدق انها وجدتها برغم المعدة في هذا المكان .. أخبرها عن أمله في البحث عما يفيد من مواد اخرى فضية او غيرها .. لم تبال هى الاخرى بما قاله ، طار عقلها وحط في جو برتقالى ساحر .. حلمت بوجبة فول بالزيت الحار وفلافل وطحينة .. جلست تلتهم كل الطعام وحدها دون مشاركة احد، وفي النهاية تتلذذ بتذوق « الحلو »، فتقسم البرتقالة على اربعة ، ولانها ليست بخيلة ستعطى الربع منها لابيها، وتلتهم هى الثلاثة ارباع في قضمة واحدة .. حتى ولو بقشرها !

***

افاقت من حلمها اليقظ على صوت قرقرة تخرج من جوفها ، واحساس بفراغ المعدة ، وبارتطام جدرانها ... سارعت بمحاولة شق البرتقالة ، بحثت عن آلة حادة فلم تجد ، أخذت تعمل في البرتقالة باسنانها الحادة المشرشرة ، فانفجر بطن البرتقالة ، وتمخض عن عدة نافورات حمراء في لون الدم ، وشظايا انتشرت بسرعة على وجهها.. مرة أخرى تذوقت طعم الفرحة .. وطعم البرتقالة !.

رشقت اظافرها الطويلة في الفتحة التى صنعتها باسنانها ، وعلى صدرها شقتها نصفين غير متساويين .. وجحظت عيناها على دودة سوداء طويلة اطلت عليها فجأة من البرتقالة .. في لحظتها ألقت بها وصرخت فزعة : ــ «ثعبان» !!

جلست منهارة في ركن العربة تتامل احلامها وهى تنهار ، وتتامل البرتقالة .. حدقتاها ترتكزان على شقيها ، لم تغوصان الى الداخل حيث مكان الدودة التى قفزت واختفت ، وتغوص اكثر الى لاشيء ..

وبخطوات متثاقلة مضطربة اقتربت من البرتقالة ، والتقطتها .. ومرة أخرى نظرت اليها ، ثم اخذت تلتهمها في شغف !.

روّح عن نفسك

الأسئلة

أولا : لغز بالشعر .

عجبت لمحرومين من كل لذة
يبيتان طول الليل يعتنقان
اذا امسياكانا على الناس مرصداً
وبعد طلوع الفجر يفترقان !

ـ فما هما ؟ ..

ثانيا : اختبر ذكاءك :

١ ـ متى يتكلم الحمار ؟
٢ ـ من مات ولم يولد ؟
٣ ـ متى ترقص السمكة ؟
٤ ـ أي المخلوقات لم يكن مع نوح في سفينته ؟
٥ ـ ما الاعداد الثلاثة التي حاصل جمعها يساوي حاصل ضربها ؟

ثالثا : اكمل الامثال الآتية :

١ ـ ان غدا ...
٢ ـ ... الخبر اليقين
٣ ـ اياك اعني ....
٤ ـ ان كنت كذوبا ...
٥ ـ العبد يقرع بالعصا ...
٦ ـ عدو عاقل خير من ...
٧ ـ خير الكلام ما .....
٨ ـ من حفر حفرة لاخيه ...
٩ ـ عند الشدائد ....
١٠ ـ مكره اخاك لا ...

رابعا : اختبر معلوماتك : لماذا؟

١ ـ لماذا لاتتألم من قص الشعر أو الاظافر ؟
٢ ـ لماذا سمي النيكوتين الموجود في التبغ بهذا الاسم ؟
٣ ـ لماذا كانت مياه البحر الميت شديدة الملوحة ؟
٤ ـ لماذا لا يمكن عمل فنجان شاي جيد على قمة جبل شديد الارتفاع ؟.
٥ ـ لماذا يدهن الزنوج وجوههم بالالوان المختلفة وقت الحرب ؟
٦ ـ لماذا ـ لا يزال أغلب المصريين يحتفلون بأربعين الميت ؟
٧ ـ لماذا سميت الازبكية بهذا الاسم ؟

الإجابة

٨ ـ لماذا يطرق الطبيب ركبة المريض احيانا ؟

٩ ـ لماذا يظهر القمر عند شروقه وغروبه أكبر مما هو عندما يتوسط السماء ؟

١٠ ـ لماذا كان الأطفال الذين يولدون فاقدي السمع ، لا يستطيعون الكلام ؟

أولا : لغز بالشعر : هما مصراعا الباب .

ثانيا : ١ ـ يتكلم الحمار في القصص .

٢ ـ ادم :

٣ ـ عندما تصاد بالسنارة

٤ ـ السمك .

٥ ـ الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ .

ثالثا : ١ ـ ... لناظره قريب

١ ـ عند جهينة .....

٣ ـ ... واسمعي ياجارة .

٤ ـ ... لكن ذكورا .

٥ ـ ... والحر تكفيه المقالة.

٦ ـ ... صديق جاهل .

٧ ـ ... قل ودل

٨ ـ ... وقع فيها .

٩ ـ ... تعرف الاخوان .

١٠ ـ ... بطل

رابعا : لماذا ؟

١ ـ لأنه ليست بهما اعصاب

٢ ـ نسبة الى جان نيكوت اول من ادخل التبغ الى اسبانيا .

٣ ـ لان الماء يدخله ولا يخرج منه ، ثم يتبخر بحرارة الشمس تاركا الأملاح .

٤ ـ لان المياه هناك تغلي عند درجة حرارة منخفضة

٥ ـ ليخيفوا اعداءهم !

٦ ـ لان تحنيط الجثة عند قدماء المصريين كان يستغرق أربعين يوما ، ثم تدفن بعد ذلك، ومن ثم ورثنا عادة الاحتفال باليوم الأربعين .

٧ ـ نسبة الى الأمير المملوكي اوبك التركماني .

٨ ـ ليختبر سلامة اعصابه .

٩ ـ بسبب وجود بخار الماء في الجو وبعد القمر عند شروقه وغروبه عنه عندما يتوسط السماء

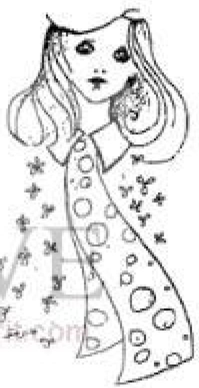
١٠ ـ لان فقدهم للسمع يحول دون تقليدهم للاصوات .



صفاء الحقيقة ..

● مديحة ابو زيد ●

سألتك والقلب في لهفة
وشوق لعطر زهور الحقيقه !
بهذا اللقاء ، وبعد الغروب
أصابك صمت غريب كئيب
وقد غبت عنك ..
حسبت بأنك عند اللقاء
ستأتي بلهفة شوق الحبيب
فماذا وراءك ؟ هل من جديد ؟
لان بفكري ظنونا
واخشى ضياع الأماني الجديده ..
اريدك تكشف سر الغيوم
لكي تتلاشى هموم القلق !
ويطلع بدري بحضن السماء
فتجلو لعقلي صفاء الحقيقه ..
واوقن اني لست غريبه
وما زلت تشتاق عطر القصيده
وكان الجواب كثير الشجون ، عميق الأسى
تريدين ماذا .. وكيف الجواب ؟
وماذا اقول ؟
لأني بمفترق الدرب اخشى
بماض عذاب
وآت سراب
فآثرت الا اقول الجواب
لأني احب بكل التفاني
ولست كمن ليس يهوى سواه
لأني على الدرب أمشي بخطو
يجيد الرؤى في ظلام المساء
واعرف كيف يكون الطريق
وكيف البداية والانتهاء ..
وكيف يكون سنا البدر حين ،
تزول الغيوم ، وتصفو السماء
خشيت الهوى بالأسى يحتويني
ويطفو على السطح عند اللقاء !



من خلال عينيها

● د . عبد الحميد محمود ●

قالت ودهشتها ليست تداريها
والعتب فى جملة رقت معانيهـا
اطلت فى نظرة باحت بما فيها
حتى سمعنا الهوى ينساب من فيها
طال المقام بنا والناس ترصدنا
ماذا تريد بها لو كنت تعنيها
فقلت عيناك آه من جمالهما
عيناك احلى من الدنيا وما فيها

***

انى اسير بلاد لست « اعرفها »
الحب زهر نما فى حضن واديها
والعشق نهر جرى وانساب مؤتلقا
يختال موج الصبا من فوقه تيها
قولى .. باى بلاد الله آسرتى
قرت عيونى على احلى مغانيها !

***

قالت .. اطلت طوافا فى مدينتنا
وزدت فى حسنها وصفا وتشبيها
فقلت يا فتنتى عيناك امنية
لفارس قد طوى الصحراء والتيها
انى لجات الى عينيك يسبقنى
شوقى الى بلد ـ الحب راعيها
هلا قبلت فتى .. الشوق يملؤه
بفرحة للهوى ضجت اغانيها

أغنية لهواها..

● احمد مرتضى عبده ●

ومنصهرا يذوب معى رجائى
وهذا العشق ادويتى ودائى
تراك الآن يا قلب استرحت
أم الاصداء قد ملت ندائى !
وبى شوق غريب للتناجى
ولى ليل يهدئه عزائى . . .
اذا ما ضاقت الدنيا سبيلا
وصرت بوحدتى أحسو بكائى !
ولى حلم يراودنى ونماى
بقبض القلب لا يألو دعائى . . .
أيا من من هواكم قد بلينا
وخالط شقوتى بكم غنائى !
انا اهوى وايم الله اهوى
ولا يدرى صداكم ما بلائى
اذا قفل المساء سهرت قلبا
وان فصح الصباح صبا مسائى !
وبين ظهيرتى انحو طريقى
برغم البعد . . أجمله ابتدائى
أيا من ذقتموا منا حياء
اذا اقتربت عيونى فى لقاء !
ويا من ان مددن لنا سلاما
تارجح كفنا خلف الهواء !
احبكمو ولو ملكت ذراعى
ذرا فلك . . لجادت بالعطاء
ولو دانت نجوم من فضاء
لقدمت الفضاء على فضاء
ولكنى من الخلق .. ضعيف
فرفقا بالضعيف ، وبالنداء
ورفقا بالذى يحبو بقلبى
فقد ولدت خطاه على دمائى !

أحمد ابو كف

ذكريات فى الخليج العربى

الإنسان العربى.. حين تتاح الإمكانيات يصنع المعجزات



« وامرهم شورى بينهم » .. ان الشورى لم تغب عن الخليج . والشيخ زايد عربى مسلم مؤمن بالشورى التى مارسها فى المنطقة الشرقية حين كان حاكما للعين .. وكان مجلسه فى قرية « الموبجعى » .. قمة الشورى . ومن الموبجعى الى دولة الامارات يتأكد حكم الشورى ..

ذكريات في الخليج

في نوفمبر من عام ١٩٦٨ .. اتاحت لي الاقدار ، ان اذهب الى امارة ابو ظبي، تلك الامارة الصغيرة الفقيرة - وقتها - على ضفاف الخليج .. والتي بدأ البترول يتدفق في ارضها البكر ، خاصة من حقل كبير داخل مياه الخليج ، وبالقرب من جزيرة نالت شهرة كبيرة ، فيما بعد ، واسمها جزيرة « داس » ..

كان الهدف من هذه الرحلة ، التي استمرت اكثر من شهر من الزمان ، محاولة التعرف على تلك الامارة البارزة ، وشيخها المهيب الذي ملأت شهرته الافق العربي ، وكتب عنه الكثير من الرحالة والمؤرخين الاجانب .. وكان هذا الشيخ قد تولى امارة ابو ظبي في السادس من اغسطس عام ١٩٦٦ ، وكان قبل توليه حاكما على منطقة البوريمي ، او المنطقة الشرقية .. كما تسمى .. ولقد تولى الشيخ زايد مقاليد الامارة ، بعد حكم طويل لاخيه الشيخ « شخبوط » .. الذي كان قد كتبت عنه الكثير من الصحف .. حول العائدات البترولية .. وحول انه كان يفضل عدم تحديث الامارة .. واشياء اخرى كثيرة .

المهم ان العربي المسافر الى امارة ابو ظبي ، كان لابد له من اجراءات معقدة للموافقة على السفر .. يتدخل فيها البريطانيون . ولم يكن هناك خط جوي مباشر بين القاهرة وابو ظبي . بل كان المسافر عليه ان يركب طائرة الخطوط الجوية البريطانية الى البحرين . ومن البحرين يستقل المسافر طائرة صغيرة بمحركات تملكها شركة بريطانية ايضا باسم « طيران الخليج » . وهذه الطائرة تظل تسير بك فوق الساحل الغربي للخليج ، حتى تهبط في مطار صغير ، ليس فيه التجهيزات في ارض ابو ظبي .

ووصلت الى امارة ابو ظبي بينما الحرارة اللافحة تقسو على الجلد والجسد ، والرطوبة الشديدة تكاد تخنق الانفاس . واركب سيارة تسير في طريق مرصوف ، طوله حوالي العشرين كيلو مترا ، لادخل المدينة - مدينة ابو ظبي - التي لم يكن فيها تقريبا طريق مرصوف غير هذا الطريق .

ولكن ماذا عن ابو ظبي المدينة نفسها ؟ .

كانت المدينة عبارة عن خلاء صحراوي ، رمال ملحية ، ترى فيها مجموعات العشش هنا وهناك .. مع القليل جدا من المباني ذات الدور الواحد .. بالاضافة الى ما يسمى « مضيف » من دورين مخصص لضيوف الامارة .. وقصر الحاكم، الذي هو عبارة عن قلعة قديمة عمرها مائة عام .. ثم بناء واحد لدوائر الموظفين ، لان « الوزارات » لم تكن قد انشئت بعد .. بالاضافة الى فندقين - تجاوزا - لا ثالث لهما ، فندق جميلة .. ويمتلكه باكستاني وهو من خمس غرف ارضية ، وفندق العين ، وهو عبارة عن مجموعة اكشاك خشبية مكيفة الهواء ولا شيء غير ذلك ، ثم سوق قديم للبيع والشراء ، لا يغريك ان تذهب اليه .

ولقد جاءت زيارتي لابو ظبي في رمضان ..

ورمضان في ابو ظبي له طعم خاص ومذاق خاص ، استطاع بلياليه ، ان يخفف كثيرا من الرتابة الشديدة والحرارة الشديدة والرطوبة الشديدة . فالشعب هناك متدين ومتمسك بالمذهب المالكي .. ويقيم ليالي رمضان في العبادة داخل جامع او جامعين صغيرين فقط .. ومع ذلك تحس انك في بلد يتمسك بدينه وقيمه .. رغم انه لم يكن بعد قد تحرر من السيطرة البريطانية . فبريطانيا هناك كان لها مقيم في الخليج يتحدث باسم الامارات في الشئون الداخلية والخارجية معا . وكان هذا المقيم طبقا لمعاهدة عام ١٨٨٧ التي ابرمت مع مشايخ الخليج .. ولقد انتهت هذه السيطرة البريطانية في عام ١٩٧١ .. حينما بدأت دولة الامارات العربية



« يارب » .. الدعاء له وحده .. في عيد الفطر المبارك يذهب رئيس الدولة الى صلاة العيد بالمسجد الكبير ، قرب القصر القديم .. ويرى الشيخ زايد ، وولي عهد ابوظبي الشيخ خليفة بن زايد ، ثم الشيخ احمد بن حامد وزير الاعلام في ابو ظبي ..

ذكريات في الخليج

المتحدة ترتفع اعلامها في حفل كبير اقيم في دبي ، وكان لي الشرف في حضور هذا الاحتفال .

●

البترول في ابو ظبي ، تدفق في البر والبحر في الاربعينات .. ومع ذلك ، فقد تحركت أول ناقلة بترول من مياه ابوظبي الاقليمية في ٣ من يوليو عام ١٩٦٢ من حقل «ام الشعيف» القريب من جزيرة داس . كما تحركت أول ناقلة بترول في البحر من ميناء (جبل الظنة) في عام ١٩٦٣.

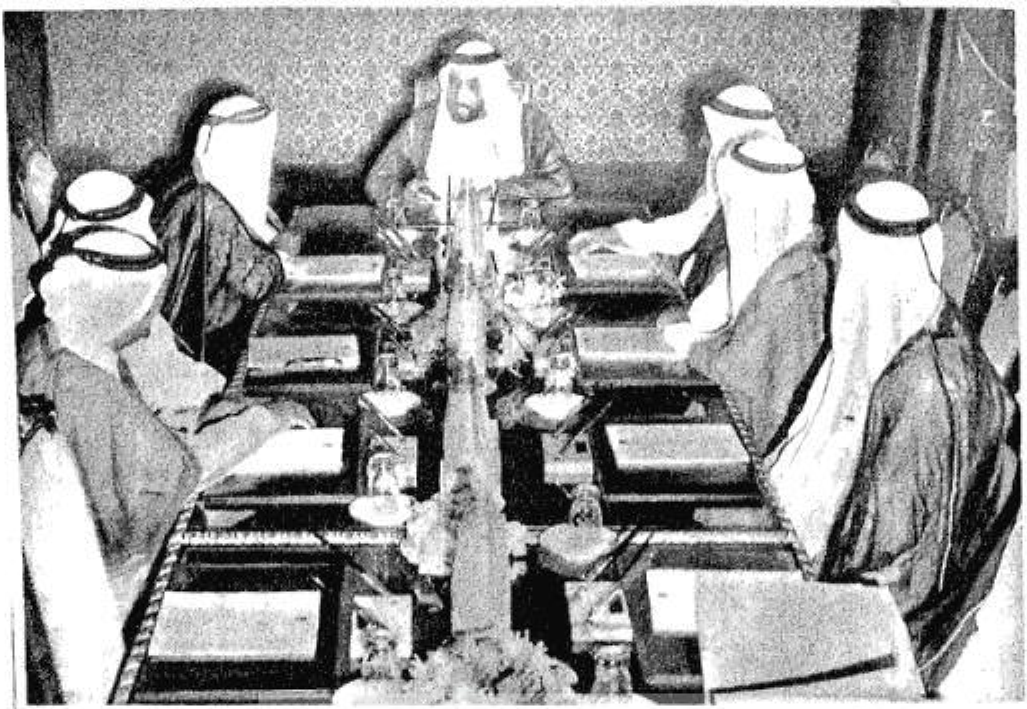
وكانت ابو ظبي تعتمد في اقتصادها القومي البسيط على « الغوص » في مياه الخليج لاستخراج اللؤلؤ ، الذي كانت له مواسم لاستخراجه ، وهي تعرف باسم مواسم «القيظ» .. لكن تجارة اللؤلؤ كسدت ، بعد ان استطاع اليابانيون زراعة اللؤلؤ الصناعي . وبذلك فان ابو ظبي ــ واغلب امارات الخليج ــ كانت تعاني ازمة اقتصادية حادة ما بين كساد الغوص واستخراج اللؤلؤ ، وبين ظهور البترول . وقد كانت الازمة الاقتصادية العالمية ايضا والتي بدات عام ١٩٢٩ لها تأثيرات قوية على امارات الخليج .

المهم ان ظهور البترول واستخراجه بكميات تجارية ، وعائداته بدات تدخل خزينة ابو ظبي ، في عهد الشيخ شخبوط . وكان الشيخ زايد حاكما على المنطقة الشرقية من قبل . وكانت عاصمة هذه المنطقة مدينة العين .

والواقع ، ان الشيخ زايد قد تولى شئون



العلاج مجانا ..والوقاية أيضا مجانية في كل المستشفيات التي كثر عددها في المدينة والبادية على السواء في عصر الخير ، عصر زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ...



الشيخ زايد بن سلطان يرأس المجلس الاعلى لحكام الامارات الاعضاء في دولة الامارات العربية المتحدة .. التي ولدت عام ١٩٧١ .. لتكون أول تجربة وحدوية ناجحة في تاريخ العرب الحديث

المنطقة الشرقية في عهد اخيه الشيخ شخبوط في عام ١٩٢٦ . وحينما نعرف انه تولى الامارة في عام ١٩٦٦ .. فمعنى ذلك انه قضى حاكما للعين مدة عشرين سنة ..

ورغم انه كان حاكما للعين .. فقد كان الشيخ زايد معروفا في ساحل عمان كله .. وقد زاره المؤرخ ويلفرد ثيسجر ، ووصف هذه الزيارة في كتابه الشهير « رمال العرب » . وقد قال ثيسجر عن الشيخ زايد في الاربعينات : « انه يتمتع بشهرة واسعة بين البدو . فهم يحبونه لانه بسيط معهم وودود . وهم يحترمون ذكاءه وشخصيته وقوته البدنية ، ويرددون باعتزاز : زايد رجل بدوى .. لانه يعرف الكثير عن الجمال ، كما يجيد ركوب الخيل ، مثل اى واحد منا ، بمهارة ، ويعرف كيف يقاتل » .

ويصف ويلفرد ثيسجر مجلس الشيخ زايد في قرية الموبجعى ـ احدى قرى البوريمى السبع ـ وكيف كان يعرف الامور ببساطة وود ، وكيف كان يحل مشكلات الناس :.

والحقيقة ان الشيخ زايد ، كما وصفه ج . ب . كيلى في كتابه « الحدود الشرقية لبلاد العرب » .. كان نموذجا من صنف الرجال العظام ، من امثال جده زايد الكبير ، وكانت له آمال كبار مثل جده يحملها بين جوانحه وداخل قلبه ، من اجل شعبه . وكان جده زايد الكبير الذى تولى الامارة عام ١٨٥٥ ، وامتد حكمه حتى عام ١٩٠٩ حاكما قويا شجاعا . وقد حكم امارة مترامية الاطراف ، وكان اقوى شخصية في امارات ساحل عمان ، او الساحل المتصالح ، كما كان يسمى ..

●

والواقع ان الشيخ زايد منذ تولى امور المنطقة الشرقية ، كان ذهنه يمتلىء باحلام كبيرة واصلاحات اكثر . كان يحس بمسئوليته الكبيرة تجاه تعويض مواطنيه وشعبه عما لاقوه في سنوات القحط وبوار تجارة اللؤلؤ .

ورغم ان الحال كان صعبا ، والاموال لم تكن متوفرة في هذه الفترة من حكمه للمنطقة الشرقية ، فانه استخدم القليل المتوفر لديه من المال للاصلاح . وكانوا يراقبون مسيرته هناك.. يعرفون انه حفر (فلج الصاروج) والذى

ذكريات في الخليج

استغرق العمل فيه ١٨ عاما .. وهو عبارة عن قناة طويلة تنقل الماء تحت الارض من عند جبال حفيت ، جبال عمان ، كما انه اصلح الافلاج القديمة ، وهذا يعني انه اهتم اول ما اهتم بتوفير المياه في المنطقة .. والماء في هذه المناطق اغلى من الذهب .

وبعد ان وفر المياه ، اعلن الشيخ زايد قرارا جريئا ، لكي يشجع الاهالي على الزراعة . وهذا القـــرار الجرىء هو اعلانه ان كل مزارع يصلح ارضا ، يكون من حقه الحصــــول على المضخات اللازمة مجانا . وايضا فقد جعل الشيخ زايد حق « السقاية » ـ سقاية الزرع ـ حرا متاحا لكل مواطن ، بعـــــد ان كانت هناك احتكارات وملكيات للابار ، والذى يريد ان يسقى عليه ان يدفع . وقد بدا الشيخ زايد بحق اسرته في الماء ، فاطلقه وجعله مشاعا للجميع .

ويضاف الى ذلك انه في هـذه الفترة المبكرة من حياة الشيخ ، والتي لم يكن يتعدى فيهـا الثلاثين من عمره .. انه كان ببصيرته يدرك قيمة العلم والتعليم .وكان يردد دائما حكمته البسيطة القوية الشهيرة « العلم بصر » . ويحلم باليوم الذى تقوم فيه المدارس ومعاهد العلم ـ خاصة الدينية منها ـ في امارة ابو ظبى . وفي هـذه الظروف الصعبة استطاع الشيخ زايد في المنطقة الشرقية ان ينشىء المدارس الاولية ، وينشىء ايضا المدرسة النهائية في عام ١٩٥٩ .

يقول الكاتب كلارنس مان في كتابه « ابو ظبى .. مولد مشيخة » .. وهو الكاتب الذى عمـل في المنطقة فترة طويلة ، وشاهد الشيخ زايد في العين في اواخر الخمسينات واوائل الستينات « ان الشيخ زايد بن سلطان يكرس المال القليل الذى توافر لديه ، للقيام باصلاحات في منطقة البوريمى . ويرجع اليه بسط نفوذ ابو ظبى على البادية ، ويرشحه ذلك ، الى جانب عدالته وبعد نظره وروحه الاصلاحية ، والمرانة السياسية .. الى ان يكون رجل البلاد المنتظر » .

على انه لم يمض ســـوى عامين او ثلاثة على ما قاله الميجور كلارنس مان البريطاني .. حتى تولى الشيخ زايد بن سلطان الامارة ، خلفا لاخيه الشيخ شخبوط في السادس من اغسطس عام ١٩٦٦ . وقد بدا يتعامل مع شعبه من الصفر ليحقق ما يرجوه له ويتمناه . وقد انتقل الشيخ زايد من العين الى مدينة ابو ظبى . وكانت نقلة هامة في حياة شعب ابو ظبى ، بل شعب الخليج .. انه اخذ بكل الانظمة المتقدمة في ادارة الدولة ، وفي مناحي الحياة المختلفة ، وجنـد كل الجهود وكل عائدات البترول ، لينقل بلاده من حضارة العصور الوسطى الى حضارة القرن العشرين . واعتنق دائما المبدا القائل ، والذى قاله لي في احد لقاءاتي به : « انه لا قيمـة للمال اذا لم يسخر لخدمة الشعب ، والحاكم اذا عاش لنفسه ، وسخر اموال الشعب لمصالحه الشخصية ، يغدو لا قيمة له عند الله والناس ».

على انه لم يكن ينظر لاهله في ابو ظبى فقط .. انه ايضا كانت عينـــــاه على توحيد امارات الخليج التي قسمها الاستعمار في عصور خلت .. وقد سعى حتى قامت دولة الامارات العربية المتحدة ، والتي ضمت الامارات السبع وهي : ابو ظبى ، دبى ، الشارقة ، راس الخيمة ، عجمان ، ام القيوين ، والفجــيرة .. ليكتب التاريخ الوضيء على ضفاف الخليج العربى .

●

والحقيقة ، انه في الماضي كانت امارة ابو ظبى تعاني التخلف الشديد .. ولكنها الان صارت درة متالقة على الجبين العربي في الخليج ..

ولقد واجه الشيخ زايد الكثير من التحديات الحضارية ، التي استطاع ان يتغلب عليها . فالذى يذهب الى ابو ظبى الان يســـتطيع ان يلمس الجهد والعرق والدم الذى بذل، والاخلاص الشديد لكي تصبح هذه الامارة الصغيرة المتخلفة .. دولة من دول العروبة الناهضة المتطورة .. بغاباتها من الانشاءات والتعمير ، وبانسانها الذى توفرت له كل الامكانيات .

ان الانجازات بدات تتوالى منذ ٦ من اغسطس عام ١٩٦٦ ، وهو اليوم الذى تولى فيه الشيخ



الاعمار والانشاء لا ينتهي في ابو ظبي العاصمة .. لقد رأيتها في عام ١٩٦٨ ورأيتها هذه الايام وقد تهت وسط غابات من العمارات والمباني .. لدرجة ان البعض قال : ان الارض الفضاء صـــارت نادرة

زايد .. وهي تتواصل بالليل والنهار وفي كل يوم ، وتضاعفت هذه الانجازات بعد قيام دولة الامارات العربية المتحدة .

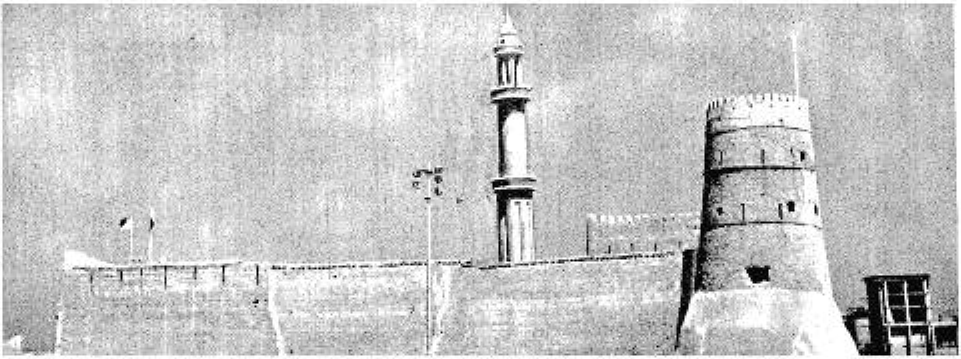
ان الخير ــ كما يقولون في ابو ظبي ــ قد شاءت ارادة الله ان يتفجر ينبوعه في عهد الشيخ زايد .. لتفجر النفط ، وكان تفجره بكميات كبيرة نقطة التحول الكبرى ، حيث يبلغ الانتاج الآن حوالي المليوني برميل يوميا . وقد استغل الشيخ زايد عائد البترول استغلالا اقتصـــاديا مثاليا لصالح البلاد والانسان والمستقبل .

وانعكس ذلك في صورة نهضة شاملة في كافة المجـــــالات الصناعية والزراعية والعمرانية والتعليمية والتجارية .

ورغم ان امارة ابو ظبي تتكون من حوالي ٢٠٠ جزيرة ، فان كل بقعة فيهـــا تصلها يد الاصلاح والتعمير والانشاء . وكل بقعة لها دورها في حركة التنمية الشـــــاملة ، فاذا كانت جزيرة ابو ظبي هي العاصمة ، التي صارت احـــدى العواصم الكبرى في العالم العربي ، بمبانيها وطرقها ومطـــاراتها وكورنيشها ، ونافوراتها وحدائقها وقصورها وجسورها ومعاهد علمهـــا وجامعتهـــا .. فان جزيرة داس تعتبر المركز الرئيسي لثروتها البترولية .. والتي اقيم فيهـــا مصنع تسييل الغــاز ، اول مصنع من نوعه في الخليج . اما جزيرة « دلما » فهي تتوفر فيهـــا مياه الشرب وجزيرة « صير بني ياس » ــ التي سميت باسم القبيـــلة الاولى الاصيلة للاسرة الحاكمة ــ فهي ميناء تصدير النفط الخام . وجزيرة « ام النار » ، التي تضم مشروع مصفاة النفط الجديدة . ثم جزيرة السعديات ، التي توجد بها محطة البحوث الزراعية ، التي تحول اللون الاصفر الى خضرة وارفة ، وتحمـــل مسئولية التحدي بالنسبة لنهضـــة الزراعة في ابو ظبي .

لكن ماذا عن « العين » عاصمة المنطقـــــة الشرقية ؟ .

العين تعتبر الآن المدينة الثانية في الامارة ، وهي تقوم بدور حيوي وفعال في مجال النهضة الزراعية ، حيث تنتج الخضروات والفـــــاكهة والبلح ، وحيث تقع في جنوبها مراعي الاغنام الواسعة التي تتيح تربية الماشية بكميات هائلة وتضم مدينة العين تسع قرى ، كما تضم مجموعة



ذكريات في الخليج

بالاستقرار الكبير . بل انها وفرت عليه ان يقطع الاف الاميال والفراسخ ليلتحق بالمدرسة فى العاصمة او المدن الكبرى .. وهذا كله ياتى تدعيما لما نادى به الشيخ زايد واكده . فهو يعتبر نفسه رب عائلة كبيرة هى الشعب . وان واجب رب العائلة ان يرعى افراد عائلته ، ويعمل على سعادتهم وعلى رفاهيتهم .

●

والحقيقة اذا كنا بصدد الحديث عن التطورات التى حدثت فى امارة ابو ظبى فى عهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، فاننا لو تابعنا هذه التطورات ، لوجدنا ان العطاء والبذل متواصلين ..

فالبترول يتحول من مجرد كونه ثروة فى باطن الارض الى صناعات بترولية حديثة اهمها صناعة تسييل الغاز وهى من الصناعات المتقدمة فى ابو ظبى ، والتى تتجاور مع الصناعات البتروكيماوية ، وصناعة الاسمنت وغيرها من الصناعات .

والتربية والتعليم تتحول الى رسالة من اجل الانسان فى ابو ظبى ، وهو الغالى ما يركز عليه المسئولون فى البلاد وعلى راسهم رئيس الدولة . فدور العلم تتزايد يوما بعد يوم ، ويأتى التركيز ايضا على دور العلم الدينية . ومراحل العلم تتعدد ما بين عادية وفنية وتخصصية ، ودرجاته قفزت ما بين ابتدائية وجامعية .. والقافلة تسير .

والرعاية الصحية يتمتع بها كل ابناء البلاد من خلال توفير المستشفيات والاطباء والعلاج والدواء ، وهذه الرعاية تمتد من العلاج الى الوقاية .

والمساكن والانشاءات تتضاعف وتنتشر يوما بعد يوم .. والتمليك للمعدمين يتم فى هدوء .

والرعاية الاجتماعية مكفولة للضعفاء والعجزة والمحتاجين .. كما ان هناك تركيزا على الرعاية للامومة والطفولة ، وصرف الاعانات للاسر المحتاجة .

ولعل منطلق كل هذه الانجازات يتحدد فيما قاله الشيخ زايد : « اذا كان الله عز وجل قد من علينا بالثروة ، فان اول ما التزمنا به ، ابتغاء لمرضاة الله ، هو ان نوجه هذه الثروة لاصلاح البلاد وسوق الخيرات لشعبها ، وذلك عن طريق بناء مجتمع تتوافر فيه وسائل التعليم والصحة والسكن والمأكل والملبس ، للجميع ودون استثناء » .

وهكذا يجد الانسان فى ابو ظبى كل الرعاية والاهتمام ، باعتبار انه هو الهدف الاصيل من كل تطور تشهده البلاد ، وهذه هى الرسالة التى يعمل فى اطارها كل المسئولين فى البلاد .. فى مجتمع الحب بين ابناء الاسرة الظبيانية الواحدة .

●

اخيرا .. يبقى الحديث عن دولة الامارات العربية المتحدة التى وضع اساسها فى الثانى من ديسمبر عام ١٩٧١ على ارض امارة دبى ، حيث ارتفع علم الاتحاد ، وكنت من بين الذين شهدوا ميلاد هذه الدولة على ضفاف الخليج العربى .

وهذه التجربة التى قامت على ضفاف الخليج

كانت محاولة رائعة للعودة بساحل عمان الى وحدته التي كان عليها قبل قرون ، وقبل أن يتعرض الخليج لتلك الغزوات الاستعمارية البرتغالية والفرنسية والانجليزية .. ومؤتمرات الاستعمار .

وهي تجربة منطلقة من الخلاقيات والتناغمات الرجل العربي الصميم زايد بن سلطان آل نهيان. هي محاولة تكاملية ليكون ابناء العمومة والجيران في حزمة واحدة كبيرة تستطيع ان تعوض الانسان في الخليج تلك السنوات الصعبة التي شاهدها .. وتستطيع ايضا ان تفيد ابناء الخليج من البترول الذى ظهر في امارات دون ان يظهر في امارات اخرى ..

وهذه التجربة تستحق الدراسة في عالم العرب ، لانها اول تجربة وحدوية يكتب لها النجاح في العصر الحديث ، ومع أنه تصادفها في مسيرتها بعض التحديات وبعض الاشواك ، فهي تسير في طريقها انطلاقا من التناغمات شيوخ الخليج بالوحدة والتعاضد والتلاحم .

لكن تبقى المبادرة في قيام دولة الاتحاد للرجل الذى عمل بكل جهده ان تقوم دولة الامارات العربية المتحدة ، وبذل من اجل ذلك جهودا خارقة بالتعاون مع اشقائه شيوخ الامارات .. والقصد بالرجل هو الشيخ زايد بن سلطان .

والواقع ان المراقب السياسي لقيام دولة الامارات العربية المتحدة ، وتطورها في هذه السنوات السبع وبعض الاشهر ، لا يستطيع أن يلم باطرافها ، اذا لم يكن له المام بطبيعة المنطقة واهلها . وطبيعة المنطقة كانت تعدد الكيانات فيها وهي كيانات ليست غريبة ، بقدر ما هي تتبع من نبع واحد . بمعنى ان دولة الاتحاد تشكلت من مجموعة موحدة لشعب واحد قام بتقسيمه الاستعمار . ولذلك فقد كان قيام هذه الدولة ضرورة حتمية ، او تصحيح لوضع خاطىء ظل طويلا ..

ولذلك فان الوحدة جاءت .. ورغم ماحدث ويحدث فيها من بعض التناقضات والمعوقات التي حدثت فعلا ، وبشدة في العام الماضي .. فان الرجل الكبير الذى ضحى بالكثير من اجل شعبه في ابو ظبي .. ضحى ايضا بالكثير من اجل اهله في دولة الامارات .. لان حسه الوطني نابع من شعور قومي ، لا ينظر الى الثروة اوالسلطة بمقدار ما ينظر الى ضرورة أن يؤدى خدمات موصولة لافراد امته .

ولهذا فان التناقضات التي ظهرت في دولة الاتحاد ، استطاع الرجل بايمانه وعروبته ان يواجهها بكل جرأة وشجاعة العربي .. واجه هؤلاء الذين لا يزالون يفكرون بعقلية الكر والفر ، وعقلية العصبية القبلية ، وهؤلاء الذين يحاولون الحصول على مكاسب اقليمية ضيقة ، والذين يريدون القضاء على المنجزات التي حققتها تلك الوحدة الرائدة لشعب الخليج .

والآن تسير دولة الاتحاد في طريقها المرسوم ، وهو طريق صعب على اية حال ، لكنها تؤدى رسالتها ، بروح الفريق الملتزم ، الذى يعمل من اجل تقدم ورفاهية انسان الخليج الى الرقي والتطور . وايضا الى القوة العربية الواحدة والشعب العربي الواحد .. بل الوحدة العربية الشاملة ..

ذكريات فى الخليج!

واخضرت الارض فى الصحراء بعد صفرتها ، وبدأت تعطى ثمارها . وصار البدوى المتنقل مواطنا مستقرا فى قرى توطين البدو .. ويصبح البدوى عضوا منتجا فى الدولة الفتية . . .



مع الأدباء والشعراء والظرفاء

● أمين سلامة ●

استقل اينشتين ، العالم الكبير ، القطار الى شيكاغو لحضور مؤتمر علمى . وفى اثناء الطريق شعر بالجوع فذهب الى عربة الاكل ، حيث قدم له الخادم قائمة الطعام . وبحث اينشتين عن نظارته فلم يجدها ، فطلب من جاره أن يقرأ له القائمة واذا به يفاجأ بالرجل يرد عليه قائلا :

ـ آسف يا سيدى .. فانا أجهل القراءة مثلك !

※ كان هارون الرشيد يتواضع للعلماء . قال ابو معاوية الضرير وكان من علماء الناس : اكلت مع الرشيد يوما . فصب على يدى الماء رجل فقال لى : يا أبا معاوية أتدرى من صب الماء فى يدك ؟ فقلت : لا ، يا امير المؤمنين .

قال : أنا . قلت : يا امير المؤمنين أنت تفعل هذا اجلالا للعلم . قال : نعم .

※ سئل الأديب الصينى لين يوتانج : من هو اعظم رجل فى العالم ؟ فقال : « هو الرجل الذى يستطيع أن يعيش بغير حب ! »

ـ ومن هى اعظم امرأة فى العالم ؟ فقال : هى المرأة التى تعيش على الحب ..

※ سئل برنارد شو عن حبه الوحدة والابتعاد عن المجتمع ؟ فأجاب : أحب ان اكون وحيدا لسببين ، أولهما انى أحب أن أتحدث الى رجل ذكى ... والثانى لانى أحب ان أستمع الى رجل ذكى !

※ كان لابوبنيير شاعرا فرنسيا فقيرا ينام ليله دون أن يتناول شيئا من الطعام ، حتى أصبح الجوع عنده عادة الفها ولم يعد يأبه لها .

والتقى ذات مرة بصديق له يعرف حالته ويشفق عليه ، فدعاه الى تناول طعام الغداء معه ، ولكن لابوبنيير شكره واعتذر قائلا :

ـ شكرا يا صديقى . ولكنى تغديت امس !

※ كانت زوجة ملتون ، الشاعر الانجليزى الكبير ، امرأة جميلة ، ولكنها مثيرة للمكننة . واراد لورد بكنجهام أن يجامله يوما فوصفها بانها جميلة كالوردة .. فقال الشاعر الاعمى : « اننى لا استطيع ان اتبين وجه الشبه من حيث اللون .. ولكننى ارى ان التشبيه صادق بما احسه من أشواكها ! » .


الهلال
بيانات
العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨١ عامًا
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
زالت مجلة الهلال عميدة المجلات
ثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
تسدد شيكات مصرفية مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

الهلال
سبتمبر ١٩٧٩
مجلة الفكر العربي



كلمة الهلال

خمسون ألف ضحية

في هذا العدد عن معنى الحياة نحب أن نسأل : ما معنى موت خمسين الف انسان لكي يظل انسان واحد حاكما على بلد بعد أن امتص دماءها هو واهله خمسة واربعين عاما ، ثم يريد أن يزيد ، كأن الله خلق نيكاراجوا القطاعية له واهلها رقيقا له ولآله ..

وقبل أن يمضي خرب انستاسيو سوموزا كل ما كان بشاه من مال النيكاراجويين : خرب المدن ،وهدم المباني ، وحرق المزارع ،وترك الدنيا صفصفا ..

ثم مضى الى فلوريدا لكي يستمتع بمال سرقه من أهل بلاده ..

الى متى يظل البشر في كل مكان ضحية لضباع وكواسر يأكلون ارزاق الناس ويأتون على خيرات البلاد ولا يجدون بعد ذلك عقوبة من مجتمع البشر ..

سيظل هذا ما دام أهل الخير مفرقين ، وأهل الشر مجتمعين .. فان الدنيا كلها خير ، والله الذي خلق العباد والبلاد خلق الرزق لكل مخلوق ولكن هناك ثعابين في كل ركن من أركان الارض يستغلون البشر ... وكل ما يقوله أهل القانون لا ينطبق الا على صغار اللصوص أما كبار اللصوص فما زالوا فوق القانون ..

ولو أن انستاسيو سوموزا كان قد سرق عشرة آلاف دولار لكان اليوم طلبة « الانتربول » ، أي البوليس الدولي ، ولكن سوموزا سرق الملايين وهو لهذا فوق الملايين ..

لن تسعد الدنيا قط ما دام هناك من يقضي على خمسين الف انسان ثم يمضي الى فلوريدا ليستمتع بما سرق ..

لن تسعد الانسانية ما دام الناس ينكرون معنى الحياة ، ولا يعرفون انها حق وكرامة وحرية واحترام للانسان وقيمة الانسان ..

المحرر

فى هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

شوال ١٣٩٩هـ
سبتمبر ١٩٧٩م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة السابعة والثمانون – اول سبتمبر ١٩٧٩ – ٩ من شوال ١٣٩٩ .

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى مايستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد مايرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر .

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم . قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .

فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ج . ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

معنى الحياة

بقلم رئيس التحرير

● مما يؤثر عن الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر انه قال : لقد نيفت على السبعين ووليت الخلافة خمسين سنة ، وما صفا لى العيش فيها الا خمسة عشر يوما ، يوم كذا من شهر كذا ، ويوم كذا من شهر كذا ، ويوم كذا من شهر كذا .. الى آخره .

وتعجب أحد الحاضرين وقال : سبحان خالق الكون .. اعطاك العمر والصحة والملك والسلطان ، ثم حبس عنك حلاوة العيش الا خمسة عشر يوما !

فقال الخليفة العظيم اللبيب : لم تفهم عنى يا أبا القاسم ، لقد أعطانى الله سبحانه من حلاوة العيش فوق ما كنت آمل، ولكن تلك هى الايام التى صفا فيها عيشى وطاب خاطرى واستراحت نفسى واحسست معنى الحياة ! ..

والايام الخمسة عشر التى ذكرها عبدالرحمن الناصر كلها أيام دعة وسكون ، قضاها يستجم من وعثاء سفر الحياة ، جالسا مع بعض ندمائه ممن يستريح اليهن فى حدائق القصر ، يغفو ساعة ويفيق ساعة ، فاذا فتح عينيه وقعتا على وجه حلو باسم أو زهرات رائعة المنظر وسماء صافية وخضرة تشرح الصـــدر .. ذلك كان معنى العيش فى رأى رجل عظيم ..

وهذا الرجل كان أقوى ملوك عصره ، كان يحكم الاندلس كله وجزءا من المغرب ، وكان ملوك أسبانيا النصرانية قد دانوا له بالطاعة والولاء ، فاذا اختصم بعضهم مع بعض حكموه فيما شجر بينهم من خلاف ، وكان عادلا لا يقارف ظلما . طاهرا لا يرتكب معصية ، وكان يراعى الله فى كل مايصدر عنه من قول أو فعل، ولهذا استراح باله وامنت نفسه ، واتيحت له من أيام العمر هذه الايام المعدودات فاستمتع بها رضى البال راضيا عن نفسه عامرا مابينه وبين الله ..

● أريد أن يفهم الناس معنى الحياة ، لأنني في الحقيقة أحس ان الناس من حولي لا يفهمون معنى الحياة وبدلا من أن يسعدوا انفسهم بما في ايديهم يجتهدون في إشقاء أنفسهم بأنواع من الظلم ينزلونه بأنفسهم لأنهم لا يعرفون معنى الحياة .

وكان أكبر ما فخر به هذا الرجل هو انه على طول حياته واتساع سلطانه لم يعتد على دم أحد ظلما ، ولا هو أطلق لنفسه شهوة الانتقام من عدو ، ولا غصب أحدا مالا ... وقد حدث ان احتاج يوما الى شيء من المال لنفقة الغزوات فاشار بذلك تلميحا الى أحد التجار الذين أثروا من توريد الاطعمة للجيش ، فتصنع الرجل عدم الفهم ، فخرج الخليفة العظيم من التلميح الى التصريح ، فما كان من الرجل الا أن وقف وأقسم انه لن يعطي الخليفة شيئا ، لانه ماله الذي كسبه بجهده ..

وبلغ الخوف بالرجل ان تهوع اى افرغ مافي بطنه ، فلما عادت اليه نفسه وجد الخليفة العظيم عبدالرحمن الناصر يمسك برأسه ويقول له : لا بأس عليك يا أبا القاسم ،استرح والق ما في بطنك،فوالله لا مسسنا لك درهما فما فوق!

وهذه مقالة رجل احترم الرجال وعرف حقوق الرجال ولم يمس كرامات الرجال، وشاد بالفضيلة والاحسان ملكا لم يشده غيره ، فاستراح وأمن • جلس يوماً في شرفة قصور الزهراء يستروح النسيم ، ومن بعيد رأى جنديا يضرب راعيا ، فامر احد الخدم باستدعاء الراعي والجندي ، وقال للجندي : لست مني ولا أنا منك ، ومن اليوم تترك خدمتي لان قلبك جاحد لنور الاسلام .. واما انت ايها الراعي فانت مثل ترعى ما ملكك الله اياه فماذا تبغي .. فقال الراعي : يا امير المؤمنين، ما أتمنى على الله الا ان يطيل عمرك في العافية ، فان الدنيا بخير ما دام فيها عدلك وشفقتك وبرك بالناس •

وتنفس أبو الحكم من اعماق نفسه ، وقام فصلى ركعتين وقال : مافوق هذا أبغى : رضا الله ، ورضا الناس ..

***

ذلك رجل احس معنى الحياة ..

لان معنى الحياة في تصوري صفاء النفس والضمير ،وخلو القلب من الاحقاد، وشعورك بانك لا تدين احدا بفضل ، ولا يدينك احد بفضل ، لان الحياة لا تصفو الا مع القلب الصافي ولا تحلو الا اذا احس الانسان بكرامة نفسه وامنها واطمئنانها على ما تحب ومن تحب ، وغناها عما في يد الناس .. وكسبك من جهد يدك واكلك من حلال رزقك ، وقيامك بحق وطنك ، ووضعك راسك على الوساد آخر النهار، وحمد الله على العافية والخير وصفاء الايمان، ثم اغراقك في النوم الى ان يطلع فجر اليوم التالي فتصليه ..

***

ولقد سألت الناس قبل ان اخط هذه السطور عن معنى الحياة ، فما راعني الا واكثرهم يقول : اتزوج وانجب !

وأنظر في الصحف فارى شكوى الناس من قلة السكن ، ولماذا يريدون السكن ؟ .. لكي يتزوجوا ، ولماذا يتزوجون ؟ لكي ينجبوا ابرياء جددا ينحشرون في زحمة هذه الحياة ، ويجاهدون حتى يجمعوا رزق اليوم بشق الانفس ، وفي

يوم من الايام يجدون انفسهم امام صف من العفاريت ـ أولادهم القصد ـ كل منهم يريد سكنا ليتزوج ويخرج عفاريت آخرين ، فماذا صنعنا ؟ كما يقــول المثل : كانك يا جحا ما تعبت وما شقيت !

والجواب الوحيد الذى كنت ابحث عنه ولم اسمعه هو : معنى الحياة هو ان اعمل عملا نظيفا اسعد به ، واخدم هذا الوطن الكريم وارد اليه بعض فضله ، وان اعين اخواني المواطنين على ان يذوقوا طعم الحياة . واقوم بحق ربي سبحانه . وان تصفو نفسي ولا اخطىء في حق احد ، ولا اقصر في واجب ..

***

وعندما أعود بالذكرى الى ما مضى من أيام عمرى أجد أن أسعد أيام حياتى ، تلك التى شعرت فيها بمعنى الحياة ـ هي تلك التى انقضت بين تخرجي فى الجامعة ودخولى عالم الزواج ، فخلال سنوات عشر لم يكن امامي الا ان انعم بالحــلال الطيب من متع الحياة واولها العمل المستمر .. كنت اقرأ وادرس واحيط نفسى فى أوروبا بجماعة من الاصحاب . وكلما ملت نفسى العمل خرجنا الى جبــال سويسرا . وفي جبال الالب .. أنت تسير في رياض كأنها قطع من الجنة ، فاذا تعبت ألقيت عصاك وجلست وسط خضرة زاهية ، ومن بعيد يترامى الى سمعك خرير نبع من ماء الجبل كأنه رحيق الجنة ، وتقوم وتحضن الماء بيديك وتشرب، ثم تتوسد الارض الخضراء وتغمض عينيك وتشعر بمعنى الحياة ! ..

لان الحياة معناها صفاء النفس وشعور الانسان بأنه مفيد لغيره مفيد لنفســه قائم بواجبه موفور الكرامة متمتع بحريته فى حدود حريات الاخرين . قانعا بما يؤتيه اياه عمله الحلال المتقن غير ناظر الى ما فى يد غيره ، خالى القلب من الحقد والكراهية والاطماع سليم البدن معافى النفس ..

تلك هي الايام التي شعرت فيها بمعنى الحياة حقا ، ولهذا فما اعجب الا من اولئك الذين لا ينفضون ايديهم من هم الدراسة حتى يفكروافى همالزواج.وانا اعرف ان الزواج متعة وضرورة واكمال للحياة ، ولكن ما الداعي الى السرعة فيه ؟ لماذا لا يتروى الشاب وينتظر حتى تكتمــل امكانياته لبناء حياته ثم يضــع في يده اي قيد يريد ، وهل الزواج الا قيد ... وليته يقتصر على ذلك ، بل تاتي بعد ذلك قيود الاطفال ، ومنذ اللحظة التي يسمع الاب فيها صرخة الابن الخارج الى الحياة ـ تنتهي حريته ... انه يصبح عبد هذا الصــغير الذى يجعل الدنيــا ترقص حوله : يبكي فيهب الجميع قياما ، ويضحك فتشرق الوجوه ابتساما ، وبين بكائه وابتسامه يشقى الاب والام ويتلاشى من حياتهما معنى الحياة ، لان ذلــك المعنى ينتقل الى ذلك الصغير في اللفة .

لهذا أرى اننا نحن العرب والمصريين خاصة ، بعيدون عن الحياة ومعناها ، اننا نحيا ولا نعيش ، وما أبعد الفرق بين الحياة والعيش ! الحياة حياة النبات والحيوان والانسان ، والعيش هو الاحساس بالحياة .. الاحساس بمعنى الحياة .

***

ولقد عرفت فى حياتى ناسا أعطاهم الله كل ما يمكن ومع ذلك فــلا يكادون يشعرون بمعنى من معانى الحياة ، لانهم يحيلون كل نعمة أنعم الله عليهم بها

● إن الحياة ليست مالاً ولا هي متاعاً .. إنها عمل شريف وكسب كريم وحرية ورأس مرفوع وتقدير للقيم والفضائل .. بهذا وحده تكون الحياة نعمة ولها معنى، وبدونها لا تكون شيئاً ويكون الإنسان دودة أرض يعيش تحت الأرض في ظلام ...

الى نقمة : المال عندهم هم وتفكير ٠٠ كيف يحتفظون به ، وكيف يستغلونه على أبشع نطاق دون عمل ٠٠ والاولاد عندهم عنصر استغلال ، فهم يريدون أن يكون كل أبنائهم اطباء ، لا ليعالجوا الناس بل ليكسبوا المال ٠٠٠ والزوجة عندهم خادمة تقوم بشئونهم ولا تكاد تحصل منهم على شيء الا بشق النفس .. وانت لاتدرى كلما جلست اليهم ـ لماذا يعيشون !؟ ٠٠

اريد ان يفهم الناس معنى معنى الحياة ، لانني في الحقيقة احس ان الناس من حولي لا يعرفون معنى الحياة ، وبدلا من ان يسعدوا انفسهم بما في ايديهم يجتهدون في اشقاء انفسهم وتعذيبها بانواع من الظلم ينزلونه بانفسهم لانهم لا يعرفون معنى الحياة ٠٠

واعتقد اننا أيضا في تاريخنا الماضي لم نعرف معنى الحياة ، فعشنا كما اتفق ٠ ومرت بنا القرون ، وصدق علينا قول أناتول فرانس : ولدوا وتاسوا ثم ماتوا.

ولاشك ان الناس في الغرب يعيشون احسن مما نعيش، لانهم يفهمون معنى الحياة ٠٠

واول معانى الحياة هو الانتفاع بها في العمل النافع الذى يعود على الانسان وغيره بالخير ، وحسن التصرف في المال ، انفاقه في الاستمتاع الحقيقى باحسن ما في الحياة وهو النظافة والاعتدال ومعاملة الناس بالحسنى وبما يرضى الضمير ...

وثاني معاني الحياة فيما ارى هو التعود على ان يعيش الانسان في جماعة ، والحياة مع الجماعة وبالجماعة وللجماعة ، لاننا في الحقيقة فرديون ، نعيش لانفسنا فقط ، وعلى رغم ماشقينا بها طوال تاريخنا الماضي لم نتعلم كيف نعيش جماعة ، كيف نتعاون ، كيف يفكر الواحد منا بفكر الجماعة التى يعيش فيها ، وكيف يخدمها لان خدمتها خدمة لنفسه . لقد رايت الناس في المجتمعات الاسعد يفكرون دائما تفكير جماعة . لا يحاول الواحد منهم ان يخدع المجموع لصالح نفسه . انني ادهش دائما عندما أرى الناس يحاولون دائما ان يخدعوا الاخرين لصالح انفسهم .. مارايت الا القليلين يعرفون كيف يحترمون

القانون . اذا تعارض صالحهم مع القانون فان التفكير يتجه الى خداع القانون او التحايل عليه ...

كنت ناظرا لمدرسة ، وما كان يدهشني شيء قدر اجتهاد كل انسان في أن يكسر القانون لصالح ابنه او بنته .. وعبثا تحاول أن تفهم أولئك الناس أن القانون وجد لصالحهم جميعا ، لانهم يحسون أن الدنيا خلقت لهم وحدهم ، وأن كل شيء ينبغي أن يكون لصالحهم هم ، وانه ليس في الدنيا الا اولادهم ، وان كل شيء ينبغي أن يذلل لخدمة اولئك الاولاد وحدهم من دون الناس .

لهذا تجدنا لا نسعد بحياتنا ، لاننا غافلون عن معنى الحياة ، وهو اننا نعيش في جماعة واسرة انسانية كبيرة خيرنا خيرها ، وان الطمع لا يجدى والشر لا يجدى والانانية لا تجدى ..

اننا نقول في هذا البلد اننا كثيرون ...

وانا اقول اننا كثيرون حقا . ولكن الكثرة في ذاتها ليست عبئا ، انما العبء هو الكثرة بدون فائدة ، بدون أن ينتج الانسان فوق ما يستهلك . والمشكلة عندنا اننا في مجموعنا ننتج اقل مما نستهلك ، فنحن دائما مدينون ، واذا انتج كل منا قدر ما يستهلك لما كان هناك دين ، وبلد مثل اليابان سكانه ١٢٠ مليونا ، ولكنهم لا يحسون بكثرة لانهم ينتجون اكثر مما يستهلكون .وهذا هو الذي يجعل اليابان اليوم من اقوى واغنى دول العالم ، لانهم يعرفون معنى الحياة ، فان الحياة مع الفقر موت ، والياباني لايقبل الفقر ، ولكننا مع الاسف الشديد لا نعمل شيئا للتخلص منه ، وكل منا يريد أن يعمل اقل مايستطيع ويأخذ اكثر مايستطيع .. والسؤال : من اين ؟

الجواب :

من اللحم الحي ...

نعم نحن اليوم باسلوبنا في الحياة نأكل لحم بعض ... ولهذا فاننا لا نحس معنى الحياة ..

***

ان لباب الحياة هو الحرية .

والحرية لا تكون الا اذا تخلص الانسان من اسار الفقر الاسود الذي يحول بين الانسان وبين الشعور حتى بمجرد الحياة ..

والذين يشعرون بمعنى الحياة هم الذين لا يحتاجون الى الاخرين ، لا يذلون رقابهم للاخرين ، ولا يحرمون انفسهم متعة الشعور بالكرامة الانسانية .

انني أفضل الف مرة أن أعمل بيدى واكسب رزقي وأحرر نفسي من الحاجة الى الناس ، على أن أحصل على شهادة لا تعطيني من المال ما يغنيني عن الحاجة والحرمان ...

معنى الحياة هو الشعور بالكرامة الانسانية ، هو الشعور بالحرية ، هو الشعور بانك سيد نفسك لاسيد الاخرين فان السيادة الحقيقية هي سيادة النفس ، أو الشعور بسيادة النفس .

والاتجاه الى سيادة الاخرين يحرم الانسان من كل معنى من معانى الحياة ، وماذا يفيد الانسان اذا ساد غيره ؟

ان الناس يشقون انفسهم دون داع لانهم ياخذون الحياة على انهـا حيلة او احتيال ، والحياة ابعد ماتكون عن الاحتيال ، انها عمل شريف كـريم يحرر الانسان من ربقة الذل والحاجة الى الاخرين ...

***

انا غير سعداء لاننا نتجافى عن المعنى الحقيقى للحياة وهو الشعور بالحرية والكرامة والشعور بأن الانسان مفيد لنفسه ومفيد لغيره ، ونحن نصيح ليل نهار : تحيا مصر ... فماذا نعمل لمصر ؟ كلنا ناكل لحم مصر ، كلنـا نريد ان نستمتع دون أن نعمل ، كلنا نريد ان نعيش دون ان نضحى ...

لقد عشنا فى ذل المماليك ثلاثة قرون ـ من عام ١٢٥٠ الى ١٥١٧ .

هل تعرف كم كان عدد اولئك المماليك الذين سيطروا علينا .. ؟ لا يزيدون على عشرة آلاف ..

فتصور انه لم يكن فينا عشرة آلاف رجل يعرفون معنى الحيـاة ويخرجـون بالسيوف ليقضوا على اولئك الطواغيت ويستمتعون بالحرية والكرامة .

لقدنا معنى الحياة ثلاثة قرون لاننا لم نفهم معنى الحرية ومعنى الكرامة .. فى عصرنا هذا الحرية عمل وكرامة وكسب شريف واحترام للاخرين ..

ان الحياة ليست مالا ولا هى متاع .... انها عمل شريف وكسب كـريم وحرية ورأس مرفوع وتقدير للقيم .. للفضائل .. بهذا وحده تكون الحياة نعمة ولها معنى ، وبدونها لا تكون شيئا ، ويكون الانسان دودة ارض تعيش تحت الارض فى ظلام ... ●

د . حسين مؤنس

آراء وتجارب وأفكار :

معنى الحياة

تحقيق يشترك فيه نخبة من الكتاب والمفكرين والعلماء ..

إقرأ صفحة ٥٨ وما بعدها فى هذا العدد ..

أثر الإيمان في قيام الدعوة الإسلامية

● د. عبد الجليل شلبي ●

● في التربية الحديثة ، وفي وسائل الدعاية المبنية على قواعد فنية ونفسية ، يوضع ايمان الداعية واقتناعه بالفكرة التي يدعو اليها في المقام الاول من مؤهلاته .. وبقدر ثباته على عقيدته وتمثله بصحتها يكون نجاحه في اقامة مبادئها واقناع الناس بها ، فاذاخلت حرارة العقيدة في نفسه او اعتراها شيء من التردد ، هان ايضا نشاطه في الدعوة ونال همته الضعف والفتور .. وعلى هذا الاساس تختار الدول الآن سفراءها في البلاد الاجنبية ، كماتختار على اساسه كتابها في الصحف ، ومن يقومون بوسائل الاعلام والمبادىء التي تقوم عليها .

هذا المبدأ نفسه هو ما نهجته الدعوة الاسلامية ، ربي الله — تعالى — عليه نبيه ، وربى النبي « صلى الله عليه وسلم » عليه اصحابه .. فقد شاءت الحكمة الالهية أن يعد الله نبيه اولا اعدادا شخصيا به ترسخ الفكرة الاسلامية في كيانه وتتملأ بها روحه ويقينه ، ثم يقوم بعدذلك بابلاغها ودعوة الناس اليها .. وهذا أمر طبيعي ، فانظر كيف كان اعداده صلى الله عليه وسلم لذلك !

لم ينزل الله عليه القرآن جملة واحدة ، وكان العرب يتوقعون ذلك . بل نزل عليه منجما في فترات تختلف طولا وقصرا ، وذلك حتى تختمر الفكرة في طبيعته البشرية ويرسخ الايمان في فؤاده . والقرآن يوضح ذلك اذ يقول : « **وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ..** »

بدات نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — بالرؤيا الصالحة . ثم تلقى أول وحي قرآني لم يكن فيه شيء غير الأمر بالقراءة ، ثم اخطر انه نبي ولكن لم يؤمر بتبليغ رسالته .. ولم تكن الآيات القرآنية التي انزلت عليه في هذه الفترة تشتمل على احكام دينية للتبليغ ، ولكنها اعلنت وحدانية الله ، وتحدثت عن الدار الآخرة ، وتوعدت المكذبين ، وثالث سورة انزلت عليه اشتملت على اعداده الروحي وتهيئته لابلاغ الرسالة تلكم هي سورة المزمل ، وفيها يقول الله له :

« **يا ايها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه او انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ...** »

هذا القول الثقيل هو اعباء الرسالة ومشقات تبليغها . وهو عبء ثقيل ولاريب ، ولكن الله لم يعد نبيه له اعدادا ماديا ، لم يامره ان يستكثر من الأسلحة والخيول ، او ان يتدرب على

فنون الحرب واساليب المصارعة والبراز، وانما امره بقيام الليل للتهجد وترتيل آيات القرآن . امره ان يقوم بعبادة تقوى صلته بالله وتثبت يقينه فيه ، وقيام الليل انجح في هذا الغرض ، لانه ابعد عن مشاهدة الناس وادعى الى الاخلاص والخلوة الى الله .

وهذا القيام بما فيه من مشقة السهر وترك راحة النوم ، وبسبب انقضاء مشاغل النهار واعمال الحياة — اشد بعثا على الاخلاص وايقاظا للمشاعر الروحية — ولهذا تقول الآية ايضا : ((ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا ..))

***

هذه القوة الروحية والمعنوية هي العدة الاساسية في بلاغ الدعوة لرسول الله ولمن ينهج نهج رسول الله، وان كانت التعبئة تختلف بينه كنبي ورسول وبين الدعاة الآخرين وهم مجرد اشخاص من البشر ، كما انها تختلف بين شخص وآخر من الدعاة .

ومهما يكن من امرها فانها لا تغنى عنها قوى مادية مهما عظمت ، ولكنها تغنى عن القوى المادية ، وتبعث على البحث عن الوسائل الاخرى ، فالجيش الذي يعتمد فقط على اسلحته وقواه المادية اذا صادف هزيمة تذهب بعدده ، خسر معركته الى الابد وذهبت الاسلحة والجيش جميعا .. اما الجيش او الامة التي تتسلح بالايمان والعقيدة فقد تخسر معركة وعددا من المعارك وتخسر اسلحتها المادية ، ولكنها بايمانها وعقيدتها تظل حية باقية . ومن السهل أن تعوض ما فقدت من مادياتها ، كما أنها دائما تبقى على مبادئها ومعنوياتها .

هذا المبدأ واضح جدا من ان الاسلام انفق ثلاثة عشر عاما يدعو الى تصحيح العقيدة وثبات الايمان ، ولم يات باى تشريع اجتماعي ، لان التشريع الذي لا يبنى على ايمان وعقيدة لا قداسة له ولا بقاء .

***

واثر العقيدة الثابتة واضح ايضا في اصرار النبي على بلاغ دعوته وتحمله المشاق الشداد في سبيلها ، لانه واثق كل الثقة ان قومه في غفلة وانهم سيفيئون في يوم ما الى الاسلام ، ولهذا لايدعو عليهم حين يهينونه ولكنه يقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لايعلمون

وابرز شيء يذكر في هذا الصدد هو خطابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، لقد بعث في الوقت نفسه رسائل ورسلا الى رؤساء القبائل والملوك واشباه الملوك . وكان في هؤلاء المناذرة والغساسنة ، وكسرى ملك الفرس ، ولكن خطابه الى هرقل يعتبر اجرأ خطاب ، واقوى الاعمال على رسوخ ايمانه صلى الله عليه وسلم بدعوته .

كانت هذه الرسائل في السنة السادسة من الهجرة وعقب صلح الحديبية، ولم يكن المسلمون أدوا عمرة القضاء ، فانظر كيف يقدم رجل طريد من بلده ، لما يتمكن بعد حتى من زيارتها — على دعوة أكبر الرؤساء في أيامه الى اتباعه !!

كان هذا عجيبا فى نظر الكثيرين ، وكان النبى يدرك غرابته، لان الآخرين ليس لهم مثل ايمانه ، ولا مثل نياته.

خرج يوما على اصحابه نخطبهم وحذرهم ان يختلفوا عليه كما اختلف الحواريون على عيسى ، ثم انبأهم بعزمه على هذه الرسائل ، وقال : ان الله قد بعثنى للناس كافة فلا تختلفوا على ...

كان هذا العام ختام حروب طويلة بين اكبر عاهلين فى هذا الوقت ، هما كسرى عاهل الفرس وهرقل عاهل الروم. وكانت المعارك قدانتهت بغلبة هرقل بعد ان استولى الفرس ثلاثة عشر عاما على اخصب ما يملك البيزنطيون فى الشرق وهى اراضى الشام كلها ومصر . وكان الفرس امعانا فى كيد اعدائهم قد انتزعوا الصليب الاكبر من كنيسة القيامة ، فلما انتصر هرقل واسترد هذا الصليب نذر ليحجن الى القدس ماشيا ، وليعيدن الصليب الى مكانه فى حفل يناسب جلال هذا الانتصار . وقطع رحلته الطويلة من القسطنطينية الى دمشق ، ثم أقام اياما فى بصرى ليستريح من رحلته وليستكمل القوم للحفل ما يلائمه من ابهة وجلال.

فى هذا الوقت ــ قبل اعادة الصليب .. وصل خطاب رسول الله الى هرقل وفى فاتحته : ((من محمد عبدالله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أمابعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم اليريسيين من بعدك ..))

ترى كان ذلك تهورا من محمد واندفاعا ؟ .

لا . لا تهور ولا اندفاع ، ولكنه الايمان

ويقابل هذا الايمان الراسخ زعزعة الايمان فى نفس العاهلين الكبيرين . اما كسرى فان مجوسيته لم يكن بها من المشاعر الروحية ما يشبع وجدان معتنقيها ، وهو نفسه حين استولى على الصليب لم يجرؤ على ادخاله بيته، بل تخوف لعنة تصيبه فاودع الصلب فى مكان آمن فى حديقة الايوان ، واما هرقل فكان رجل دين قبل أن يكون رجل حرب ، وكان يترقب ظهور نبى اظل اوانه ، ولابد ان نفسه اهتزت لهذا الخطاب ..

وكان المنذر الغسانى قد تلقى خطابا مماثلا لهذا فكبر عليه ان يدعوه بدوى من الحجاز الى الدخول فى طاعته، وأسرع يطلب من هرقل ان يجهز له حملة يؤدب هذا المدعى المغرور كما ظن، لكن هرقل لم يفعل .

ويروى لنا البخارى فى باب الأيمان كيف استدعى جماعة من العرب كان فيهم ابو سفيان بن حرب ، فسألهم عن رسول الله عدة اسئلة تناولت شخصيته وسيرته وحال اتباعه ، فلما سمع اجاباتها جميعا اقسم ان كان ماسمعه حقا فان هذا النبى سيملك ما تحت قدميه ، وأردف أنه كان يتوقع ظهوره ولكن لم يكن يظنه من العرب !

***

لقد كان الفارق بعيدا جدا بين قوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحربية ، وبين قوة كل من هذين العاهلين ، ولكن الفارق كان ايضا كبيرا بين ايمانه وايمانهما ،ولم تمض بضعة أعوام حتى كان المسلمون حقا قد امتلكوا الارض التى كانت تحت قدمى هرقل ، وهى ارض ايلات ، ثم ارض الشام كلها . كذلك دخلوا بلاد كسرى

وحطموا ملكه ـ وانتصرت قوة الايمان على قوة المادة .

***

ونستطيع ان نمضى مع هذا المبـدأ فنرى ان رسول الله يقوم اصحابه على حسب ايمانهم وقوة عقيدتهم ، كان يقول عن أبى بكر — رضى الله عنه — انه لو وزن ايمانه بايمان الامة كلهـا لرجح ايمان أبى بكر . وبهذا التقدير أصر على أن يكون هو امام المسـلمين حين مرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرضه الاخير ، وكان فى ذلك اشارة الى أن يكون خليفة المسلمين من بعده ، ولما تقدم عمر مرة ليصـلى بالناس ـ غضب رسول الله ، وقال : يابى الله ذلك والمسلمون ، مروا ابابكر فليصل بالناس .

وقوة ايمان ابى بكر التى لا تعدلهـا قوة اخرى هى سبب هذا التقديم ، أو هى سبب هذا الاستخلاف ، وصدقت الاحداث بسرعة هذا التقدير ، وصدق هذا المبدأ ، اذ ما كاد العرب ـ وهم حديثو عهد بالايمان يعلمون بوفاة رسول الله حتى منعوا الزكاة ، وواجه أبو بكـر هذه المشكلة فى بداية خلافته ، فماذا عسى أن يفعل ؟

جمع كبار الصحابة ـ وفيهم عمـر وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيـدة وعثمان وغيرهم ـ وعرض عليهم الموقف وسالهم ماذا يفعل ، وماذا سيفعلون ، وتراخى القوم ، وقال عمر : لقد كان رسول الله يمد بوحى من السماء وانت لا تمد ، فكيف تحارب العرب جميعا .؟ وخشى ابو بكر ان يتثاقل القـوم عن الجهاد ، فسـالهم ان كانوا على راى عمر ؟ فلما اجابوا انهم على رايه ، اصر على جهاد العرب ولو كان وحيدا !

التفت الى عمر وقال : أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟ اما والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسـول الله لحاربتهم عليه !

ورجح ايمان أبى بكر على ايمـان الامة ...

وشرح الله صدر القوم لما شرح له صدر ابى بكر ـ لقد راوا ان الرجل على استعداد أن يحارب وحده ، وعلى استعداد ان يموت فى سبيل دينـه ، وانه لا يقبل الحياة وركن من الاسـلام غير مقام ..

انه يعرف موقف رسول الله يوم ان اجتمعت به القبائل عند عمه ابى طالب يعرضـون عليه الملك والسيادة والمال ، فيصر على ان يجاهد فى سبيـل دينه حتى يظهره الله او يهلك دونه ، وانه يعرف ان الله قال لنبيه ـ : «واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك» والعرب يريدون ان يفضـوا عن ركن من اركان الاسلام ، فليكن موقفـه كموقف رسول الله ، اما ان يؤدى القوم الزكاة او يحاربهم هو حتى يهلك دون مبدئه ـ دين الله الذى ارتضاه .

وهكذا كان الايمان اساس قيـام هذه الدعوة ـ فهى اذن دعوة لم تقم على خيل ولا سلاح ، لم تقم على الماديات اياكانت ، وانما قامت على المعنويات واخلاص الايمان . ●

مصادر التاريخ العربي لمن يريد إعادة كتابته

● محمد عبد الغني حسن ●

● ان مصادر التاريخ العربي الاسلامي المتوفرة حاليا — سواء منها المطبوع في الشرق او الغرب ، او المخطوط المودع خزائن عامة وخاصة — تكون منبعا فياضا للمؤرخ الذي يود الكتابة عن اية حقبة من حقب التاريخ العربي على مدار الزمن كله .. وليست هذه المصادر الكثيرة المتنوعة — بالطبع — سواء من حيث قيمتها التاريخية ، واصالتها ومناهج بحثها ، وحيدتها ، وبعدها عن التعصب والميل والهوى ، وتمحيصها للاخبار والوقائع ، وتوثيق روايتها ، ومناقشتها للقضايا التاريخية او تسليمها بها كمسلمات لا تقبل النقاش، وتحقيقها للاحداث والتواريخ ، ومقابلتها للحادثة الواحدة في روايات متعددة ، وتحقيق الاعلام وضبط الاسماء ، ومن حيث الاسلوب الذي كتبت به ، ودونت فيه والذي قد يجنح احيانا الى الزخرفة اللفظية والتزويق ومحسنات الكلام ككتاب عماد الدين الاصبهاني من مؤرخي القرن السادس الهجري ، الذي ارخ به فتح صلاح الدين الايوبي لبيت المقدس واسترجاعها من يد الغاصبين ، وهو كتاب مسجوع العبارة ، منمق الالفاظ مزخرف الأسلوب ، حتى قال فيه احد المؤرخين المعاصرين انه : (يكاد يكون مغلقا على قراء هذا العصر ، لغرابة اسلوبه والفاظه) .

وقد يرتفع الى القوة في العبارة ، والبعد عن الزخارف اللفظية ، وتأصل البيان العربي ، كالذي نجده في أسلوب المؤرخ الطبري ، الذي يعد من أقدم المؤرخين العرب وأصلهم ، وأقربهم الى التحفظ في الرواية التاريخية ، عن طريق الاسناد والعنعنة ، كما كان يفعل رجال الحديث النبوي أول الامر ، وكما فعل رجال الادب بعد ذلك ، كأبي الفرج الاصفهاني صاحب كتاب « الاغاني » الذي يعد — مثل كتاب الطبري في التاريخ — من أقدم المصادر وآصلها وأجمعها للشعر العربي وأخبار الشعراء وتراجمهم ..

علينا أن نسوى من مصادر تاريخ العرب المتعددة، المتضاربة أحيانا، والمتشابهة في أكثر الأحيان، مصدرا يطمئن إليه القارئ الحديث ويعتمد عليه في كتابة تاريخ سوى صادق أو قريب جدا من الصدق للعرب القدامى والمحدثين..

وقد ينحدر الاسلوب في كتب التاريخ ويهبط الى مهوى العامية أو العربية الركيكة . كالذى نجده في كتاب ، مذكرات تاريخية ، الذى صنفه أحد كتاب الحكومة الدمشقية في عهد حروب محمد على ، وحملة ابنه ابراهيم باشا على الشام ، وشحنه بملاحظاته ومشاهداته التى أتيحت له بحكم مكانته في الديوان ، وقربه من مسرح الحوادث . ولما جاء ناشر هذه المذكرات ـ واسمه الخورى قسطنطين الباشا المخلص ـ لينشرها في كتاب مطبوع ، رأى أن يبقى أسلوب صاحبها على حاله ، ما دام يؤدى المعنى ، ويبلغ المراد ..

***

وقد يجمع أسلوب المؤرخ بين اللغة الفصحى حينا والعامية حينا آخر ، فيزاوج بينهما ، كما فعل المؤرخ الدمشقى شمس الدين محمد بن طولون ، الذى ترك لنا جملة طيبة من الكتب التاريخية منها كتابه الذى ظهر من عهد غير بعيد بعنوان : (مفاكهة الخلان ، في حوادث الزمان) ويحتوى على تاريخ مصر والشام حتى سنة ٩٢٦ هـ ، أى بعد الغزو العثمانى باربع سنين .. وقد كتبه الرجل باسلوب لغوى ، صحيح ، سليم ، سهل العبارة ، الا أنه كان يلجأ في كثير من الاحيان الى استعمال بعض تعبيرات عامية ، او بعض مصطلحات شامية دمشقية محلية ، مما كان لغة الحديث والتخاطب في ذلك العصر .

ونلمح هذه الظاهرة : ظاهرة المزج بين الاسلوب الفصيح ، والاسلوب العامى الدارج ـ عند مؤرخ مصرى ، هو أبو البركات محمد بن أحمد المشهور بابن اياس ، وقد عاصر أيضا الفتح العثمانى لمصر والشام ، وأودع كتابه الثمين : (بدائع الزهور ، في وقائع الدهور) كثيرا من أخبار تلك الايام ..

كما نلمحها ـ كذلك ـ عند المؤرخ المصرى الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، الذى عاصر الحملة الفرنسية على مصر في أخريات القرن الثامن عشر الميلادى ، وكتب فيها كتابه : (مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس) ، كما عاصر ظهور حكم محمد على ، وأودع كتابه المشهور : (عجائب الآثار ، في التراجم والاخبار) المعروف بتاريخ الجبرتى ـ كثيرا من اخبار محمد على وابنه ابراهيم

وأكثر المصادر المتوفرة حاليا في التاريخ العربى عربية الأصل ، أو عربية اللسان ، وهناك مصادر كتبها قوم من غير العرب بلغاتهم ، وأتيح لبعضها أن يترجم الى اللغة العربية ، وظل جزء منها لايزال ينتظر من يترجمه حتى يتمكن العربى الذى لا يعرف لغة أجنبية أن يتعرف الى ما يقوله الاجانب عن العرب وعن تاريخهم القديم والحديث .

مصادر التاريخ العربي

لمن يريد إعادة كتابته

ومن الكتب الاجنبية التى كتبت عن العرب والاسلام طائفة امتازت بالتحقيق والتوثيق ، عكف عليها علماء أجانب من المستشرقين ، واستخرجوا مادتها مما تجمع لديهم من معلومات مبعثرة فى مصادر تاريخية قديمة ، أو من كشوف أثرية – وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام – أو من مصادر قديمة غير عربيةمعاصرة لاحداث قديمة ، أو من استنباطات واستظهارات وصلوا اليها بالمقارنه والموازنة ، كالذى نجده فى كتب « هالفى » عن نجران واليمن ، و « فلهاوزن » عن تاريخ العرب قبل الاسلام و « هيوار » فى كتابه عن تاريخ العرب – وهو غير كتابه المشهور فى تاريخ الادب العربي – و « سلفستر دى ساسى » فيما كتبه عن تاريخ العرب فى الجاهلية و « برسفال » الابن فى كتابه عن العرب قبل الاسلام ، و « جوستاف فايل » فى كتابه عن تاريخ الخلفاء ، و « فون كريمر » فيما كتبه عن تاريخ الحضارة العربية ، و « دوزى » فيما كتبه عن تاريخ الاندلس ، و « كايتانى » فيما كتبه عن تاريخ الاسلام ، و « امارى » فيما الفه عن تاريخ العرب فى صقلية ، و « بروكلمان » فى كتابه عن تاريخ الشعوب الاسلامية ، وكالذى كتبه اخيرا القائد العسكرى « جون باجوت جلوب » – او جلوب باشا – عن الفتوحات العربية الكبرى ، فدخل بذلك ميدان المؤرخين ، كما دخل من قبل ميدان العسكريين السياسيين الاستعماريين .

***

وبالطبع لا تخلو بعض هذه المصادر الاجنبية من غمزات فى تاريخ العرب والاسلام لا تخفى على الفطن اللبيب .. وقد يكون الجهل أحد بواعث هذه المغامز اذا أحسنا الظن بأصحابها ، والا فهى مطاعن خفية مقصودة لا تدخل فى باب احسان الظنون .. وقد يأتى الرد على هذه المغامز والمطاعن حين تدعو المناسبة ، أو يقتضى الموضوع .... الا أننا وجدنا معرب كتاب (الفتوحات العربية الكبرى) لجلوب باشا وهو صديقنا المرحوم خيرى حماد – قد تصدى للرد على اتهامات جلوب ومغامزه أينما جاءت فى موضعها من الكتاب .. وبهذا جمعت ترجمة كتاب جلوب الى العربية بين النقل والتعليق الحاضر العنيد ، الذى يرد به المعرب – رحمه الله – افتراءات المؤلف الانجليزى واتهاماته للعرب والمسلمين ولبنى الاسلام

واذا كان (أحفل ما كتب عن العرب بالفائدة هو ما كتبه عنهم خصومهم) – كما قال صديقنا العالم المؤرخ المفكر محرر الهلال فى استهلاله العميق لعدد يوليو سنة ١٩٧٩ من الهلال – فان وقفة هنا لابد أن تنصف هذه الفكرة .. فقد تكون كتب خصوم العرب التاريخية حافلة بالمادة ، مزدحمة بالمعرفة،ولكنها مع ذلك لا تخلو من السم المنفوث فى الدسم ..

ولن يعوزنا مثال واحد حديث من عشرات الامثلة التى يضيق هذا المقام عن تعقبها .. فكتاب (الفتوحات العربية الكبرى) لجلوب ، عظيم حافل بالمعارف التاريخية ، وبالنظرات الصائبة ، والاستنباطات الجيدة حين تصح النية وتصفو الطوية .. ولكنه فى مواطن كثيرة يغمز العرب والاسلام والمسلمين والنبى الكريم غمزا يذكرنا بحملات المبشرين ، فتارة يتهم النبى والمسلمين بالارهاب وأعمال الاغتيال متناسيا محاولات الغدر والاغتيال من خصوم الدعوة الالداء ، من أمثال أبى براء ، وعامر بن الطفيل ، وغدر بنى النضير ومحاولتهم اغتيال الرسول نفسه .. وتارة يتهم النبى عليه السلام بخلوه من المواهب العسكرية ، والمهارة التى

يتطلبها فن القيادة ، مع أن كثيرا من المؤرخين الاجانب يخالفونه في هذه النظرة المغرضة غير الموضوعية . وثالثة نراه يتهم القائد الفاتح عمرو بن العاص بسلوك سياسة الغلظة والشدة والعنف والقسوة في خلال الفتح العربي لمصر ، وتسى مسلكه اللطيف الرحيم نحو الاقباط الذين أعانوه على تسهيل الفتح كراهة منهم للرومان المستعمرين ...

فلا بأس – اذن – أن نأخذ معارفنا التاريخية الخاصة بالعرب والمسلمين من المصادر الاجنبية التي كتبها الخصوم ولكن لا يجوز أن نغفل فيما نأخذ – عن الحذر الشديد ..

وبمناسبة الحديث عن المصادر التاريخية التي كتبها مؤرخون اجانب عن العرب والاسلام ، اود ان اشير هنا الى ظاهرة تلفت النظر،وهي ان مؤرخينا الاوائل – في أواخر القرن الاول الهجرى ، والقرن الثاني – كانوا اخباريين ورواة اخبار .. ولم يكونوا مؤرخين بالمفهوم الذي نصادفه بعد ذلك في القرن الثالث وما تلاه من القرون . لقد كانوا يروون اخبار حوادث معينة ، كاخبار النبي ، واخبار قريش ، واخبار النساء ، وكتاب الردة ، وكتاب وقعة الجمل – بين أنصار علي ومعاوية ، ووقعة صفين ..

ولقد كان هؤلاء الاخباريون والرواة عربا اقحاحا ، وان كان بعضهم من الموالي . ومن هؤلاء الاخباريين : ابو مخنف لوط بن يحيي ،وعوانة بن الحكم وابن اسحاق – مؤرخ السيرة النبوية – والمدائني ، والواقدي ، وهشام الكلبي، والزبير بن بكار ، والهيثم بن عدى ..

فاذا انتقلنا الى القرن الثالث واوائل الرابع الهجرى ، رأينا الاعاجم المسلمين الذين استعربوا يؤلفون في التاريخ العربي الاسلامي – كما كانوا يؤلفون حتى في اللغة العربية نفسها وفي الفقه وعلى رأس هؤلاء المؤرخين الاعاجم الامام المفسر المؤرخ أبو جعفر بن جرير الطبرى واحمد بن طاهر طيفور – الذى كان معاصرا للطبرى – واحمد بن يحيي البلاذرى ، وقد اشتهر بكتابيه عن فتوح البلدان ، وأنساب الاشراف ، وابن مسكويه – أو مسكويه – المؤرخ الذى كتب التاريخ عن تجربة وملاحظة دقيقة وتفطن الى أسرار الاشياء .. كالذى لاحظه – بحق – من أن الاتراك كانوا يتعمدون أنيختاروا للخلافة العباسيةمن بنى العباس ،الحديثي السن، الاغرار ، أو من فيهم بله وغفلة .. أو العاكفين على الملذات والملاهي .. ثم يتعمدون أن لا يطلعوه على كتاب فيه جد ، أو فائدة ، حتى لا يتفتح ذهنه بالمعرفة فيحاسبهم على أعمالهم .. ! فهم – يعنى الاتراك المتغلبين على الدولة العباسية – في أمن وعافية واطمئنان على مناصبهم ما دام الخلفاء غافلين أو جهلاء !

ونلاحظ أن كتابة التاريخ العربي بعد القرن الخامس الهجرى قد عادت الى العرب انفسهم ، بعد أن اختص بها الاعاجم أكثر من قرنين .. ولم نعد نلاحظ من المؤرخين الاعاجم غير العرب الا قلة نادرة . ومن هؤلاء المؤرخين العرب : جمال الدين القفطي المؤرخ المصرى الصعيدى ، وابن القلانسي الدمشقي من مؤرخي القرن السادس الهجرى ، وهو تميمي عربي اصيل ، وابن عساكر الدمشقي – صاحب تاريخ مدينة دمشق المشهور – وكان من حظى أن اشارك في مهرجان ذكراه ، الذى أقيم بدمشق في أبريل سنة ١٩٧٩ ، ببحث عن تقييمه في نظر القدامى والمحدثين ، وعمارة اليمنى الشاعر المؤرخ المشهور المعروفبولائه للفاطميين وحزنه على ضياع دولتهم ، والسهيلي مؤرخ السيرة النبوية المشهور والمفسر لها والمعقب علىأحداثهافي كتابه الجليل: (الروض الانف) ،وابن عذارى المراكشي صاحب كتاب (المغرب في اخبار المغرب)

لمن يريد إعادة كتابته

وابن الأثير الجزرى المؤرخ صاحب كتاب (الكامل) ، وصلاح الدين الصفدى ، وتقى الدين المقريزى البعلبكى الاصل ، صاحب « الخطط » و « السلوك » وغيرهما ، وابن كثير صاحب (البداية والنهاية) فى التاريخ ، وهو قرشى ، بصروى – نسبة الى بصرى – من مواليد دمشق سنة ٧٠٠ هـ ، وابن خلدون عبقرى العرب فى التاريخ وفلسفته، ولسان الدين بن الخطيب الاندلسى والنويرى المصرى الصعيدى الموسوعى ، والامام السيوطى الصعيدى المصرى صاحب « حسن المحاضرة » ،ونجم الدين الغزى الدمشقى صاحب « الكواكب السائرة ، فى المائة العاشرة » وقد نشرت جامعة بيروت الامريكية قسما منه ..

***

وفى هذا المزدحم من المؤرخين العرب ظهر مؤرخون من الاعاجم ، كالعماد الاصفهانى ، وابن تغرى بردى صاحب « النجوم الزاهرة »،وهو تركى تمصر، ومغلطاى ، وهو أحد كتاب السيرة النبوية ، واصله تركى ..

وهذه المصادر التى ذكرنا بعضا منها على سبيل المثال – ولا سبيل لحصرها هنا فى هذا المجال الضيق – لاغنى عنها لمن يريد أن يتوفر على اعادة كتابة تاريخنا العربى بطريقة تلائم روح العصر ومقتضياته واتجاهاته . فلابد لمن يؤرخ – مثلا – للقومية العربية أن يرتد الى الاصول العربية القديمة لها ، وأن يتلمسها حتى فى العصور الجاهلية ، وأن يجد من حوادث الفتوحات العربية، وامتداد حركات التوسع ما يؤيد به كلامه .. وهنا لانحجر على مؤرخ حديث، ولا نضيق أمامه واسعا من مذاهب البحث والدرس ، فان منابع التاريخ العربى ومصادره كثيرة بين يديه ، وعليه – كمؤرخ حقيقى صادق المنهج – أن يجمع الاحداث ، وأن يقابل بين النصوص ، وأن يعارض الاخبار بعضها ببعض ليخرج منها ، ويصل عن طريقها الى الرأى الذى يرتئيه ..

ومن عجائب الرجوع الى المصادر واستشارتها ، ومقابلة بعض نصوصها ببعض ، اننى كنت أقرأ من عهد قريب عن حركة عبدالله بن الزبير ودعوته لنفسه بالخلافة بعد مصرع الشهيد الحسين بن على فى عهد يزيد بن معاوية . لقد انهالت على ابن الزبير النجدات وهو متحصن فى الكعبة اتقاء لغزوات يزيد .. فجاءته نجدة من أهل المدينة المنورة ونجدة من ابن عامر الحنفى الذى كان عاملا على اليمامة ثم ثار على الحكم الاموى .. ونجدة من الخوارج الازارقة – وهو على غير مذهبهم – فقبل معونتهم على الرغم من اختلاف المبادىء بينه وبينهم .. ونجدة من المختار بن أبى عبيد الثقفى ، على شروط تشارطا عليها ... وهذه النجدات قد اشتركت فى روايتها اكثر مصادر التاريخ العربى القديمة الا خبر النجدة التى أرسلها « النجاشى » من الحبشة للدفاع عن الكعبة ، فقد انفرد بهذا الخبر مؤرخ واحد ، هو البلاذرى .. فهل نقبل هذا الخبر على علاته،أم نناقشه ونرى مبلغ الصدق فيه؟

الحق ان مصادر تاريخ العرب كثيرة متنوعة ،ولا يزعم مصدر أنه انفرد بذكر وقائع التاريخ العربى كله ، او انه لايمكن الاستغناء به عن غيره .. فلكل مصدر قيمته ، وعلى كل مصدر مآخذ لا تخفى على المؤرخ الفطن البصير المحايد وعلينا ان نسوى من هذه المصادر المتعددة ، المتضاربة أحيانا ، والمتشابهة فى اكثر الاحيان مصدرا يطمئن اليه القارىء الحديث،ويعتمد عليه فى كتابة تاريخ سوى صادق او قريب جدا من الصدق للعرب القدامى والمحدثين .. ●

باقة سوسن

● د . انس داود ●

أشعلت برق الحب في روحي ، وبين ملاحيني
لما خطرت بسوطيني ..
وطلعت كالصبح المنور ضمَّ باقة سوسن
وبوجهك الطفل البرىء
و « زينك » المتدين .
أنسيتني ...
أن الذي بيني وبينك في حساب الأزمن ! ...
عشرون ... أطفأن الرماد بخافقي وأعيني !
وقرأن فاتحة الكتاب على رفات سفائني !

***

علقته في الصدر « قرآنا » ، تميمة مؤمن !
قنديل هذا العصر
أمطار الربيع المحسن
فبكيت من عارى الذى لم أنسه .. لم ينسني
عبر الموانىء كان يبكى أرغني
عبر الموانىء كم تسول الهوى
وضممت أشباح الهوان المزمن
ونسيت .. ياقمرى الوحيد ، ودفء هذا المسكن
قلبى الذى ضيعته
قلبى الذى كم بعته
وتراث أجدادى الذى لم أبكه ... لم يبكنى !

***

عادت إلى سفائنى
ومدى البحار
وأغنيات الشوق بين ملاحني
وأتيتنى ...
عذراء فى توق الربيع ،
وفى طهارة سوسن
غار الفتوحات التى لم أنسها ، لم تنسنى
فوق الجبين
وفى العيون
وفى ضمير الأزمن !



حوار فى العدل والحرية مع المفكر والقانونى الدكتور جمال العطيفى



د . جمال العطيفى

● محمد سعيد ●

●● فى رسالة من الكاتب الكبير توفيق الحكيم الى الدكتور جمال العطيفى الذى نشرها فى كتابه ((من منصة الاتهام)) الذى صدر عام ١٩٦٨ ـ قال الحكيم للعطيفى : ((على انك من حيث الاسلوب ايضا ، قد استطعت أن تثير الاهتمام فما من لحظة واحدة شعرت فيها بالملل من قراءة ماتكتب ، فاسلوبك مشرق مستقيم ، يذهب توا الى الهدف دون التواء ، وبغير زيادة أو نقصان فانت من طراز اولئك القلائل من رجال القضاء فى كل جيل ممن جمعوا بين التضلع فى القانون والتذوق للادب .. بل انت فوق ذلك من اولئك الذين يعملون فى الحياة العامة ويخالطون طوائف من الناس فلا يمرون بهم دون أن يقفوا منهم على جوانبهم الانسانية ... تلك هى علاقة المأساة بالنفس البشرية .. قد فهمها الشعراء والفنانون ، كما فهمها المتعمقون المثقفون من رجال القانون . وانت واحد من هؤلاء)) .

●● يجب أن تكون العبرة بالقدرة على الإبداع الفكري والفني أيا كانت الينابيع الفكرية للكاتب والفنان

●● من إنجازات التي أعتز بها في مجال الفكر والثقافة إلغاء الرقابة على الكتب

●● **وقد عبر توفيق الحكيم عن اهم جوانب التفكير عند الدكتور جمال العطيفي : رجل القانون ، المشرع ، البرلماني ، الاستاذ الجامعي ، المستشار القانوني ، عضو اللجنة الدولية للاعلام بمنظمة اليونسكو ، وزير الاعلام والثقافة السابق و ... و ... وقبل كل هذا ، احد المشتغلين بالفكر الانساني والعلوم الانسانية .**

ورجل يحمل هذه المهام في فكره قادر على أن يكون له وجهة نظر واضحة في اهم ما يشغل الفكر الانساني **« الحرية والعدل » وهو يقول انهما لا ينفصلان** الحرية حق والعدل ضمان له ...

●● **قلت للاستاذ الدكتور جمال العطيفي رجل القانون واستاذ القوانين والتشريعات الصحفية بجامعة القاهرة : كيف اتضح ميلك الى الدراسات القانونية مع سنوات التكوين الاولى ؟**

يرد متأملا عشرات المجلدات الضخمة تطل علينا من مكتبة **حجرته :** هناك أسباب عامة ، وهناك أسباب خاصة لاختياري القانون ، والاولى ترجع الى ظروف مصر في الاربعينات ، **فقد التحقت بالحقوق** عام ١٩٤٠ بالنسبة للاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتذلك وهي أمور هزتنا ونحن في هذه السن ، ولهذا تطلعنا لدراسة القانون وكانت الدراسات السياسية والاقتصادية وقتها جزءا من دراسة الحقوق ، وهي علوم تعين في فهم أمور الحياة العامة ...

أما الاسباب الخاصة فهي نشأتي في بيئة قانونية تأثرت فيها بخالي الذي كان يعمل بالنيابة العامة وقتها ، وكان أخي - نائب محكمة النقض الان - قد سبقني في دراسة القانون ، ووقتها سمعت عن **الدكتور وحيد رافت والدكتور وايت ابراهيم والدكتور السنهوري ...**

وعندما كنت طالبا بالمدرسة الثانوية كنت اسطو على كتب اخي القانونية ؛ لكي أعد منها الخطب والمقالات التي كنت اعدها وانا طالب في مدرسة **الخديو اسماعيل** - الموجودة في الدواوين قرب دار الهلال حاليا ..

وقتها كان استاذي **الدكتور راشد البراوي** وكان يدرس لنا مادة التاريخ ولا انسى ما قاله عن توزيع **محمد علي** للملكية الزراعية في مصر .. وكيف وجهتنا هذه الدروس الى افكار كبيرة بعد ذلك ..

ولم يتغير ميلي للقانون والدراسات السياسية والاقتصادية بعد التحاقي **بكلية الحقوق .** وانا اتصور انه لايمكن فصل الدراسات السياسية والاقتصادية من القانون مع احترامي للدارسين والخريجين في **كلية الاقتصاد والعلوم السياسية** - وابنتي خريجة متفوقة في هذه الكلية ، فان اولئك

المتخصصين في الاقتصاد والعلوم السياسية ممن درسوا القانون في مرحلة الجامعة اصبحوا من المع الاقتصاديين مثل **الدكتور محمد زكي شافعي** ، **والدكتور اسماعيل صبري عبد الله** ،**والدكتور رفعت المحجوب** ، **والدكتور حسين خلاف** ، **والدكتور فؤاد مرسي** ... وانا لا اريد ان اعقد مقارنة بين من درسوا الاقتصاد في كلية الاقتصاد وفي كلية التجارة وفي كلية الحقوق ، لكني ارى من تخصصوا في الاقتصاد واساسات دراستهم القانون كانوا في صدارة الاقتصاديين .

ولعل انشاء الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع التي اتشرف برئاستها الان ، يوضح الرابطة بين الاقتصاد والقانون . **ومن خلال الجمعية نشات اول نظم ضريبية واول نظم جمركية . وكان رئيسها في البداية الدكتور** عبد **الحميد** بدوى القانوني الضليع الذي كان نائبا لرئيس محكمة العدل الدولية في لاهاي .

●● قلت للدكتور **جمال العطيفي وماهي** علاقة القانون بالادب **وهناك عدد من المؤلفات** تحمل اسمك من بينها : من منصة الاتهام ـ **والطريق الى الديمقراطية** ـ وحرية الصحافة ـ وسنوات عبد الناصر .

يرد الدكتور جمال العطيفي وهو يمسك بعدد « يونية » من **الهلال** مشيرا الى حديث **الدكتور زكي نجيب محمود** ، ثم يقول : في مطلع شبابي **بدات** اهتماماتي الادبية الواضحة ، فاستاذي في اللغة العربية في **المدرسة الثانوية** الشاعر المجيد **محمد عبد الغني حسن** ، واستاذي في الفلسفة **الدكتور زكي نجيب محمود** ... تصور من يدرس الفلسفة على يد زكي نجيب محمود ، والتاريخ على يد الدكتور راشد البراوي ، والادب على يد محمد عبد الغني حسن ...

كانت لنا مجلات ادبية متخصصة نتبارى في الكتابة فيها ، وقتها نشرت قصة لي عنوانها « **سلمى** » وفي هذه السن المبكرة حينما يبدا الاحساس بالكتابة تبدا تجارب الشبان اما بالشعر واما بالقصة . وبعدها بدات في كتابة الدراسات التاريخية ... وكنت اتحمس لفريق التمثيل وان لم التحق به ، وكان الممثل الفنان الراحل صلاح منصور زميلا لنا في تلك الفترة .

لكن اهتمامي بالادب والقانون في وقت واحد مرجعه اعجابي بتوفيق الحكيم من خلال متابعة كتاباته في مجلة الثقافة وكذلك كتابات الاخرين **احمد حسن الزيات ومحمد فريد ابو حديد واحمد امين** وغيرهم ، في الهلال والرسالة والمقتطف ...



منصور حسن



توفيق الحكيم



د . زكى نجيب محمود

على ان توفيق الحكيم كان اكثر هؤلاء تاثيرا فى نفسى منذ قرات له « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الارياف » و « عصفور من الشرق » حتى اننى حينما سافرت الى باريس وجدت تأثير الحكيم فى تشكيل ثقافتى ، فقد اعطانى فى كتابه عصفور من الشرق اطلالة على الثقافة الغربية والموسيقى ...

وعندما وصلت باريس كنت أبحث عن الاماكن والاسماء والناس والاوبرا ، وشاهدت أوبرا كارمن وانا اقرأ النص الكامل للمسرحية الغنائية حتى أتابع الحوار الغنائى كلمة كلمة ، وشعرت بلذة كبيرة حينما وجدت كارمن تقول « الحب طفل بوهيمى لايعرف ابدا قانونا » ! ..

وقبل الحكيم تعرفت على مصطفى صادق الرافعى ، وكذلك المنفلوطى ، وانا مدين بالتعرف عليه لقريب لى ضرير كان يرجونى فى بلدتى أبو تيج ان اقرأ له مؤلفات المنفلوطى ، وكذلك أشعار شوقى وحافظ .

بعدها فى مرحلة لاحقة تعمقت فى كتابات عباس محمود العقاد «العبقريات» ثم كتابات طه حسين«الأديب والايام». أيضا أحببت السير الشعبية التى تعرفت عليها من خلال أخى الاكبر نائب رئيس محكمة النقض .. ولعلك تلاحظ على باب مكتبى لوحة بها عبارة تقول « اننى والمثل صنوان ، غير اننى لا استعين بكلمات محفرة ولكنى اخلق من الحقائق والاحلام جوا صالحا ـ لان هذه هى المحاماة » هذه الكلمة لشيخ المحامين فى بريطانيا مارشال هول ، ولهذا اختلطت عندى دراسة القانون والسياسة والادب ...

ولا استطيع ان انسى كتابات الدكتور محمد حسين هيكل التى مزجت الادب والسياسة ، وهنا اتذكر اهم كتبه « حياة محمد » ...

ولقد استفدت كثيرا فى قراءة كتب التراث وخاصة منشورات لجنة التاليف والترجمة والنشر بحكم اعجابى بالمرحوم البرلمانى الضليع يوسف الجندى ، ومن خلال صداقتى لابنائه،كنت احصل على الكثير من امهات الكتب فى الفكر السياسى المترجمة من مؤلفات ديزرائيلى وهارولد لاسكى .

●● هل بدا تعلقك بالبرلمان وقد امضيت فيه تسع سنوات من خلال علاقتك بزعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ المرحوم يوسف الجندى ؟

ـ من خلال مواصفات الفترة التى عاش فيها يوسف الجندى كان برلمانيا محازا جديرا بالاعجاب ، فهو قوى وعف اللسان ، بعد مادته التى يلقيها امام

حوار فى العدل والحرية

المجلس بعناية شديدة ولقد تابعت وانا صغير وضوح وقوة وموضوعية يوسف الجندى زعيم المعارضة الذى يتميز بعفة اللسان . وكان بالنسبة لى المثل الذى اتمناه لنفسى .

عندما مرت الايام واصبحت وكيلا لمجلس الشعب كنت أتخيل يوسف الجندى وانا اراس بعض جلسات الاستماع فى قاعة مجلس الشيوخ .

وكانت تستهوينى مناقشات **عبد الحميد عبد الحق واسماعيل غنام** ، وفى فترة لاحقة **الدكتور عزيز فهمى** الملىء بالسمو الروحى والايمان بالقضية . وكذلك البرلمانى القوى الجاد **مصطفى مرعى** .. وللتاريخ فاننى اقول ان مضابط المجلس كلما رجعت الى سوابق برلمانية كنت اجد آراء **فكرى اباظة** واضحة تثير الاهتمام ؛ وهى وغيرها تراث برلمانى جدير بالاحترام .. وهذا لاينفى دور البرلمانيين فى المجلس بعد عام ١٩٧١ فبعضهم لايقل من البرلمانيين الافذاذ القدامى .

●● والدكتور جمال العطيفى هل اتيح له القيام بكل مهام البرلمانى ؟

يرد فى هدوء: بحكم ظروف ورئاستى للجنة التشريعية منذ دخولى المجلس ثم جمعت وكالة المجلس مع اللجنة التشريعية . وفى العام قبل الاخير لجنة العلاقات الخارجية ، ولهذا لم يتوفر لى ان اقوم بالأدوار الاخرى للبرلمانى ، ولكن هذا توفر لى نسبيا فى العام الاخير فى مقاعد المعارضة ... ولقد أسهمت اسهاما ارضى عنه فى اقامة بنيان واساس البناء التشريعى الديمقراطى من خلال منجزات المجلس القانونية مثل قانون الغاء موانع التقاضى والغاء العزل السياسى وقانون الحريات ، وقانون الخطة الاقتصادية ، وتغيير الوضع الخاص بالقرارات بقوانين التى تصدر فى غيبة المجلس ، واثبات رأى الاقلية واختيار مقرر لها وغيرها من الأمور فى تعديل اللائحة الداخلية لمجلس الشعب .

●● هذا الاجتهاد الواضح فى مجال التشريع ... لماذا لم ينعكس على مجالات الفكر الانسانى الاخرى فى حياتنا .. ولماذا لم تكن من المنادين مثلا بالدعوة مع زكى نجيب محمود الى تجديد الفكر العربى ؟

لم يفاجئه السؤال ويجيب قائلا : فى الفترة القصيرة ، ١١ شهرا ، التى توليت فيها وزارة الاعلام ووزارة الثقافة حاولت البحث من شكل للتعبير عن هذا الاجتهاد فى المجال الفكرى ، ولعلك تتذكر ندوات التليفزيون السياسية والثقافية والاقتصادية والفنية فى سهرة الاربعاء ..

●● ومتى بدات صلة الدكتور جمال العطيفى بالصحافة ؟

— بدات منذ كنت وكيلا لنيابة الصحافة ومستشار هيئة الرقابة فى اوائل



د . عبد الحميد بدوى



د . وحيد رافت

الخمسينات .. وصلتى بالاعلام تطورت مع مشاركتى فى تأسيس وكالة انباء الشرق الاوسط ، ووضعت عقد تأسيس الدار القومية للطباعة والنشر ، غير علاقتى القديمة بالاهرام وروزاليوسف ودار الهلال ، ثم حصولي على درجة الدكتوراه وموضوعها يتصل بالصحافة فى موضوع « **الحماية الجنائية للخصومة من تأثير النشر** » وهو موضوع هام جدا يتعرض لحدود حق النقد وحرية الصحفى ومتى يجوز منع النشر ...

بعدها وفى عام ١٩٦٤ بدأت تدريس مادة التشريعات الصحفية فى قسم الصحافة بالآداب ثم فى كلية الاعلام .. بجانب العديد من المقالات والدراسات التى نشرتها فى الاهرام وغيرها من المجلات الدورية والمتخصصة .

●● وماهى اهم انجازات جمال العطيفى فى فترة عمله مسئولا عن الاعلام ؟

ـ الندوات السياسية التى أتاحها المناخ السياسى باتاحة الفرصة أمام كل الاراء للتعبير عن وجهات نظرها ، وكنت أشرف على هذه الندوات بالتخطيط والاعداد لها وكان يديرها المهندس سيد مرعى والدكتور مصطفى خليل بالتناوب وكانت أهم الندوات تمكين الاحزاب السياسية من ممارسة حقها الديمقراطى ثم ندوة الحالة الاقتصادية ولمن يذهب الدعم ...

وكان لى اهتمام خاص بالشريعة الاسلامية واقترحت برنامج « شريعة الله » وبدأت اذاعته فى شهر رمضان ، وكان الهدف من البرنامج التعريف بالشريعة واصول الفقه ...

بدأ البرنامج ممتازا لكنه خرج عن هدفه ، فانه لا يشرح ولا يغوص فى اعماق احكام الشريعة .

وكان لى اهتمام بتنظيم قواعد الرقابة على المصنفات الفنية ، ووقتها وجدت معارضة من السينمائيين ولم يكن معظمهم يدرك أن هذا الاجراء لصالحهم .

وكنت اجتمع بالنقاد أسبوعيا واقرأ واتابع كل مايقدم فى الصحف والمجلات واناقشهم فيما يكتبون ، وحذرت من تحول الانتاج التليفزيونى المصرى الى الخارج ، وانشاء محطات منافسة قبل ان ندعم التليفزيون الوطنى .

ولغياب الفن المسرحي الجيد عقدت مؤتمر المسرح ونجح المؤتمر واصدر توصياته واهتم بفكرة البيوت المسرحية .

ثم كان اهتمامى بالانضمام **الى اتفاقية « برن » لحق المؤلف** ، لان المؤلف المصرى تغتصب اعماله دون اى حقوق تترتب على هذا الاغتصاب ، ولذلك كلفت استاذى الدكتور **عز الدين عبد الله** رئيس شعبة القانون بالمجلس الاعلى للفنون والاداب ، بوضع دراسة عن حق المؤلف ، وتم الانضمام وله نتائج كبيرة ستظهر حتما على المؤلف المصرى .

وكان لى ايضا اهتمام خاص بالغاء الرقابة على الكتب بعد ان الغيت الرقابة على الصحف فى ورقة أكتوبر ١٩٧٤ ، وكان الكثير من الكتاب يهربون من الرقابة ويطبعون كتبهم فى الخارج فى بيروت وغيرها وكانت رقابة الكتب الخارجية تتجاوز كثيرا عما تفرضه رقابة الكتب الداخلية ، **وبعد هذه الخطوة اصبحت** الرقابة على الكتب فى خبر كان ..

●● قلت للدكتور جمال العطيفى .. اذا كانت هذه بعض الاهتمامات التى امكن ان تحولها الى وجود حقيقى .. ماهى الاهتمامات الاخرى التى لم تتحقق وتتمنى ان يحققها غيرك ؟

ـ كنت بدأت اعداد تشريع للصحافة وكانت فكرتى تقوم على تبسيط الامور فى أن هناك صحفا قائمة بالفعل يجب أن تدار بطريقة ذاتية ، ثم هناك صحف تعبر عن الاحزاب وصحف أخرى تصدر بعد الخطار . وحتى تضمن جدية هذه الصحف تطلب منها ان تتخذ شكل الشركة المساهمة التى تضمن مراقبة مواردها وتمويلها بعد نشر ميزانيتها فى الصحف حتى لاتتأثر يمينا او يسارا بموارد خارجية .

ايضا كنت اتمنى انجاز قانون حماية الاثار فى مواجهة تهريب الاثار وفى مواجهة حيازة الاثار التى تهرب الى الخارج ولقد درست قوانين الاثار فى ايطاليا واليونان والاردن لدراسة وضع قانون لحماية الاثار المصرية المختلفة .

وهذا الذى لم احققه انا شديد التفاؤل **بالزميل منصور حسن وزير الدولة المشرف على الاعلام والثقافة** بحكم زمالتى له فى مجلس الشعب مابين ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ ، واشتراكه معى وقتها فى العديد من المؤتمرات البرلمانية قد كشف عن معدن هذا الشاب المتفتح الذى يتسم بالموضوعية والافق الواسع ، ومن المحاسن التى بدأها اتصاله بزملائه وزراء الاعلام والثقافة السابقين فى محاولة لكى يقف على آرائهم ومقترحاتهم .

●● والمعروف ان الدكتور جمال العطيفى عضو فى لجنة حكماء اليونسكو



فكرى اباظة



محمد فريد ابو حديد

●● هدف التعريف بالشريعة الإسلامية السمحاء أن يعرف الناس معنى "الإباحة" ومعنى "المحظور"

او اللجنة الدولية للاعلام التى شكلها اليونسكو لبحث وسائل الاعلام فى العالم وهو يعكف الان على كتابة تقريره الذى سينضم للتقرير النهائى لليونسكو الذى يقدم للمنظمة الدولية فى عام ١٩٨٠ بعد ان شارك فى صياغة الاعلان العالمى الذى اصدره اليونسكو بالمبادىء التى تحكم دور وسائل الاعلام فى نبذ الحروب والتطلع الى السلام ورفض العنصرية .

●● واسال الدكتور جمال العطيفى: بعد ان اشتركت فى وضع وفى صياغة الاعلان العالمى للاعلام والثقافة .. الا تجد من بينه مايتعلق بهموم هذا القطاع الهام فى اعلامنا وثقافتنا العربية ؟

ـ نعم ... اننى اتمنى لو نجحنا فى اعادة من نسميهم الطيور المهاجرة من كتاب واعلاميين وفنانين ، وان نقضى نهائيا على محاولات تصنيف المواطنين وفق عقائد سياسية وان تكون العبرة بالقدرة على الابداع الفكرى والفنى ايا كانت الينابيع الفكرية للكاتب والفنان .

ولقد استطعت فى الاعلام وقبل ان اترك الوزارة ان اصدر قرارا يلزم الاذاعة والتليفزيون بكفالة حق الرد للتصحيح لمن يتناوله اى حديث او خبر فى الاذاعة والتليفزيون وقد كان هذا الحق مقصورا على النشر فى الصحف فقط مع انه التزام اخلاقى .

أبو شامة

الحافظ . المؤرخ . الأديب

● د. احمد الشرباصى ●

« أبو شامة » كلمة تذكرنا بالشامة ، والشامة علامة تخـالف البدن الذى هى فيه ، وقيل الشامة اثر أسود فى البدن .. وأبو شـامة كنية لشخصية من اكبر الشخصيات العلمية التى عرفتها دمشق فى العصر الايوبى ، وهو صاحب آثار جليلة ، كلها جديرة بالنشر والدراسة ، وقد اطلقت عليه كنيته « ابو شامة » لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر . وقد اشتهر هذا الامام بكنية ابى شامة اكثر من اشتهاره بالقابه ونسبه ، وهو يعرف ايضا بأبى محمد وأبى القاسم .

وأبو شامة هو الامام العالم الحافظ ، المحدث الفقيه المؤرخ ، العلامة المجتهد المقرىء النحوى صاحب التصانيف الجليلة ، ولم يكن فى وقته مثله فى علمه وديانته ، وعفته وأمانته . وأبو شامة هو شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم بن عثمان بن ابى بكر بن ابراهيم بن محمـد المقدسى الدمشـقى الشافعى .

وأصل اجداد أبى شامة من بيت المقدس ، وكان جده الاكبر محمد بن أحمد الطوسى مقرئا وصوفيا واماما لمسجد الصخرة ، قتله الفرنج يوم دخـلوا بيت المقدس سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة للهجـرة ، فرحلت أسرته الى دمشـق فيمن رحل واستوطنت بها .

وقد ولد أبو شامة ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكانت ولادته برأس درب الفواخير بدمشق ، داخل الباب الشرقى . واذا كان ابو شامة أصله من القدس ، فمولده كان فى دمشق ، وبها نشأته ، وفيها وفاته .



بريشة : احمد الوردجى

وما كادت عينا أبى شامة تتفتحان للحياة حتى جذبه جاذب خفى علوى الى مائدة القرآن الكريم ، فحفظ كتاب الله تبارك وتعالى وهو فى سن العاشرة ، وانصرف الى جمع القراءات السبع ، فختمها وهو فى السابعة عشرة ..

وقد حبب الله اليه من صغره حفظ الكتاب العزيز وطلب العلم ، فجعل ذلك همته ، فلم يشعر به والده الا وهو يقول له : قد ختمت القرآن حفظا . وقد أخذ بعد حفظ القرآن فى معرفة القراءات السبع والفقه والعربية والحديث ، وأيام الناس ومعرفة الرجال وغيرها من العلوم ، وصنف فى ذلك مصنفات كثيرة ، كما حدثنا عن ذلك فى كتابه « ذيل الروضتين » . وقد قرأ القراءات سنة ست عشرة وستمائة على شيخ له اسمه البخارى ، وسمع من الشيخ الموفق ، وعبد الجليل بن مندويه . وقال عنه صاحب « فوات الوفيات » : قرأ القرآن دون العشر وجمع القرآن كله سنة ست عشرة وستمائة على الشيخ علم الدين السخاوى وسمع بالاسكندرية من الشيخ أبى القاسم عيد بن عبد العزيز وغيره وحصل سنة تسع وثلاثين عناية بالحديث ، وكتب الكثير من العلوم وأتقن الفقه ودرس وأفتى ، وبرع فى العربية .

***

وكان أبو شامة يتردد على مجالس الوعظ التى يعقدها سبط بن الجوزى كل سبت وقد أفاده ذلك ومكنه ان يشارك فى علوم مختلفة ، فظهر نضجه فى العلم ، وابيض شعر رأسه ولحيته مبكرا وهو فى الخامسة والعشرين .. وبرع فى الفتوى ، وسمع جماعة من المشايخ والعلماء منهم الحافظ أبو طاهر السلفى وأبو الفرج الثقفى وأبو طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى ، ولازم كبار الشيوخ فى عصره ـ مثل علم الدين السخاوى ، والموفق المقدسى ، والفخر بن عساكر والعز بن عبد السلام والتقى بن صلاح .

ويحدث عن نفسه انه كان فى صغره يحفظ القرآن فى جامع دمشق ، وينظر الى مشايخ العلم كالشيخ فخر الدين أبى منصور بن عساكر ، ويرى طريقته

فى فتاوى المسلمين ، وحاجة الناس اليه ، وسماع الحديث النبوى عليه وهو يمر من مقصورة الصحابة الى تحت قبة النسر لسماع الحديث ، الى المدرسة التقوية لالقاء دروس الفقه ، ويرى اقبال الناس عليه — على ابن عساكر — ويتمنى رتبته فى العلم ونشره ، وانتفاع الناس بفتاويه ، وقد بلغه الله من ذلك فوق ما يتمناه .

وقد حج أبو شامة مع والده سنة احدى وعشرين وستمائة ، ثم حج فى السنة التى بعدها أيضا ، ثم سافر الى بيت المقدس زائرا سنة اربع وعشرين وستمائة ، وسافر الى الديار المصرية سنة ثمان وعشرين وستمائة ، واجتمع بشيوخ البلاد فى ذلك الوقت بالقاهرة ودمياط والاسكندرية ، ثم لزم الاقامة بدمشق عاكفا على الاشتغال بالعلم وجمعه فى مؤلفاته ، والقيام بفتاوى الاحكام وغيرها .

وكان أبو شامة يدرس فى بعض مدارس دمشق كالأشرفية والركنية ، وكان يفتى فى العادلية ، وقد عرف بجرأته فى الجهر بالحق ومحاربة البدع ، ولعل هذا من اثر شيخه العز بن عبد السلام . وقد ولى أبو شامة عدة وظائف منها مشيخة القراء بتربة الاشرفية ومشيخة دار الحديث الاشرفية ، والتدريس بالركنية ، وقد بلغ ابو شامة رتبة الاجتهاد ، وكان له تلاميذ ينتفعون بعلمه ، فكان يحضر عنده بالجامع والتربة الاشرفية جماعة من الاكابر والفضلاء لسماع كتابه فى التاريخ ، وكتابه الروضتين وغيرهما من تصانيفه ، ونظم أحد تلاميذه — وهو الرئيس الاصيل محسن الدين بن على بن محمد التميمى من بنى القلانس — أبياتا يقول فيها :

انا والله والجماعة طرا ... من سماع التاريخ فى بستان
ورياض انيقة أطلقتها ... بأزاهيرها لنا الروضتان
أيد الله شيخنا فلقد ... أبدع فى الاختصار والتبيان
فهو قطب الحجى وبدر المعالى ... وشهاب التقى وشمس البيان

وكذلك اخذ عنه القراءات الشيخ شهاب الدين الكفرى وشهاب أحمد اللبان وزين الدين ابو بكر بن يوسف المزى وجماعته ، وقرأ عليه شرح الشاطبية الشيخ شرف الدين الفزارى الخطيب .

***

وأبو شامة لم تنج حياته من مصائب سببتها له الخصومة التى كانت مشتعلة حينئذ بدمشق بين الحنابلة والشافعية ، وأبو شامة شافعى ولعل متاعب حياته كانت السبب فى ظهور الشيب فى لحيته ورأسه وهو فى سن الشباب ، فجعل الله تعالى له الشيخوخة صورة ومعنى ، ونظم فى ذلك أحد الفضلاء أبياتا يقول فيها :

ان يشب اذا بلغ خمسا وعشرين ... فيما كان المشيب فيه يعاب
جهل الناس قدر شيخوخة العلم ... تجلت أنواره فى الشباب
نور الله الوجه والقلب منه ... ان فيه هداية المرتاب
فحوى الفضل يافعا ومسنا ... ان ذلك له وحسن مآب

وكان أبو شامة رجلا متخيرا متواضعا مطرحا للتكلف ، قضى حياته محببا للعزلة والانفراد ، لا يتردد على أبواب أهل الدنيا ، وكان يتجنب المزاحمة على المناصب ، لايفضل على العافية والكفاية شيئا ..



وقد تحدث أبو شامة فيما كتبه عن حياته على منامات رويت له ، وتفيد أن معاصريه كانوا ينظرون اليه اماما ومجتهدا في العلم والورع والتقوى والفقه .

أورد من هذه المنامات رؤيا رأتها والدته ، اذ أخبرته رحمها الله ـ وهو اذ ذاك صغير يتردد الى المكتب وأبوه رحمه الله يعجب من حبه للمكتب وحرصه على القراءة على خلاف المعروف من عادة الصبيان ـ انها لما كانت حاملا به رأت في المنام كأنها في أعلى مكان من المئذنة عند هلالها وهي تؤذن ، فقصت المنام على عابر فقال : تلدين ذكرا ينتشر ذكره في الأرض بالعلم والخير .

ويقص أبو شامة أنه رأى في صفر سنة أربع وعشرين وستمائة كأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقبل الى الشام منجدا لاهله على الفرنج خذلهم الله ، وكأن له به خصوصية من افضاء أمره اليه ، والتحدث معه في أمور المسلمين ، وهو يمشي الى جانبه ملاصقا منكبه ، حتى كان الناس يسألونه عنه وعما يريد أن يفعل ، وهو يخبرهم ، وكأنه واسطة بينه وبين الناس .

وفي تلك السنة أيضا « ٦٢٤هـ » رأى أبو شامة كأنه والفقيه العز بن عبد السلام ـ سلمه الله ، داخل باب الرحمة بالبيت المقدس وقد أراد فتحه ، وهناك من يمنعه من فتحه ، ويدفعون الباب لينغلق فمازال العز وأبو شامة يعالجان الامر حتى فتحا مصراعي الباب فتحا تاما ، بحيث أسند كل مصراع الى الباب الذي خلفه .

وبعد أن يسرد أبو شامة طائفة من رؤاه أو رؤى الناس له يعتذر عما فيها قائلا : « وانما سطرت هذه المنامات وغيرها تحدثا بنعمة الله عز وجل ، كما أمر سبحانه وتعالى في قوله : « وأما بنعمة ربك فحدث » وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم . « لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » . اللهم أوزعنا شكر هذه النعم ، واختم بخير ، واسترنا في الدنيا والاخرة وآمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك » .

***

وكان أبو شامة ينظم أشعارا كثيرة يقول بعض المؤرخين عنها « منها ما هو مستحلي ، ومنها ما لا يستحلي فالله يغفر لنا وله » . ومن شعره أبيات في العزلة التي كان يحبها ويميل اليها ، وفي هذه الابيات يقول :

نزهت نفسي وعرضي ... وصنت هدي البقيه
لما انعزلت ببيتي ... قولا وفعلا ونيه
وبقيت علقتي بالمـ ... ـدارس الفقهيه
وسوف أخلص منها ... حقا ورب البريه
الى لعبد ضعيف ... أخاف نعت المنيه
ولست أرضى لنفسي ... دوام هدي البليه
الى الممات ، فربى ... له هبات عليه

وكثيرا ما كان يقول في القناعة والعزة مثل قوله :

انا في عز القناعة ... رافل في كل ساعة
رب ألهمها بخير ... بمعافاة ـ وطاعة

ومثل قوله :

الثوب واللقمة والعافية ... للقانع من عيشة كافية
وما يزدفالنفس ليستبه ... وان تكن مملكة راضية

أبــوشــامــة
الحافظ ـ المؤرخ ـ الأديب

وكتب يوما الى رجل عنده أصل المصنف بكتاب « الوسيلة الى كشف العقيلة» بخط مصنفه الشيخ السخاوى رحمه الله ، يستعيره منه :

يا من نراه وسيــله ... يحــوز كل فضــيله
ومن مدى الدهر يسعى ... فيــما يسر خليلــه
مازال يتعب صــب ... يهوى وصـال العقيله
وطالب العلم يهــوى ... كثــيره ـ وقليله
فابعث اليــه معينـــا ... له كتــاب الوسيله

وكان يحلو لأبى شامة أن ينظم ابياتا تجمع امورا وردت فى الحديث من الموبقات المهلكات ، فقد جاء فى الحديث المتفق عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال : الشرك بالله، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» ، فحصرهن ابو شامة فى قوله :

اكل مال اليتيم والشرك والسحر ... واكل الربا وقــــذف البرا
والتوالى يوم زحف وقتــل نفس ... ســبع قد اوبقت من تجــرا

وجاء الحديث الصحيح يقول : سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظـل الا ظله . امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتــه امراة ذات منصب وجمال فقال : انى اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وجاء أبو شامة فحصر السبعة فى قوله :

امام محب ناشىء متصـــدق ... وباك مصل خائف سطوة الباس
يظلهـم الله الجليــل بظلــه ... اذا كان يوم العرض لا ظل للناس
أثرت بالفـــاظ تدل عليهم ... فيذكرهم فى النظم من بعدهم ناسى

وقال فى المعنى نفسه :

وقال النبى المصطفى ان سـبعة ... يظلهــم الله العظيـــم بظلـــه
محب عفيف ناشىء متصـــدق ... وباك مصـــل والامام بعــدله

ويقال : ان بعض آراء ابى شامة كانت سبب قتله : فقد اتهموه برأى تظهر براءته منه فألبوا عليه حنبليين اغتالاه ، ويرى جماعة من أهل الحديث أنه كان مظلوما . وكان الذين قتلوه جاءوه قبل ذلك فضربوه ليموت فلم يمت .. فقيل له : الا تشتكى ؟ فأبى وقال :

قلت لمن قال لى الا تشــتكى ... ما قد جرى فهو عظيم جليــل
يقيض الله تعــالى لنـــا ... من ياخـذ الحق ويشفى الغليل
اذا توكلنــا عليـــه كفى ... فحســـبنا الله ونعم الوكيل

وعادوا اليه فقتلوه بدمشق ليلة الثلاثاء التاسع عشر من رمضان سنة خمس وستين وستمائة للهجرة ، ودفن فى باب الفراديس ، وقيل ، دفن بمقابر باب كيسان .



وقد قامت شهرة ابى شامة في التاريخ على كتابه « الروضتين » ،وهو مصدر مهم جدا لدراسة الدولتين النورية والايوبية ، ودراسة الحروب الصليبية ، وقد استمد كتابه من مصادر موثوق بها لابن الاثير والعماد الاصبهاني وابن شداد والقلانوسي والقاضي الفاضل وابن طيء المؤرخ الشيعي الحلبي ، وقد وقف في حوادث الكتاب عند سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، اي سنة وفاة صلاح الدين الايوبي ، ثم اظهر كتابه « الذيل » الذى يبدو فيه دقيق الملاحظة جيد الانتقاء ، وفيه سجل حوادث عصره احسن تسجيل وقد انتهى فيه الى سنة خمس وستين وستمائة .

ولابى شامة باع طويل فى التصنيف والتاليف ، فقد جمع والف وهذب ، وصنف فى فنون من العلوم النافعة كتبا كثيرة ومصنفات جليلة ، مختصرة ومطولة ، فمنها :

- شرح القصائد النبوية ، فى مجلد .
- شرح قصيدة الشاطبى ، وسماه : ابراز المعانى فى حرز الامانى . وهما شرحان اكبر واصغر ، والأصغر فى مجلدين .
- اختصار تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، وقد اختصره مرتين ، الاولى فى عشرين مجلدا ، والثانية فى خمسة مجلدات .
- كتاب الروضتين ، فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، فى مجلدين ، واختصره فى مجلد صغير .
- الذيل على الروضتين .
- الكتاب المرقوم فى جملة من العلوم ، وهو يجمع عدة مصنفات فى مجلدين : الاول فيه خطبة العلم الكبرى التى سماها : « خطبة الكتاب المؤمل للرد الى الامر الاول » .
- كتاب نور المسرى فى تفسير آية الاسرا .
- شرح الحديث المقتفى فى مبعث النبى المصطفى .
- ضوء السارى الى رؤية معرفة البارى .
- المحقق من علم الاصول فيما يتعلق بافعال الرسول .
- نظم شيء من متشابه القرآن .
- شرح عروس السمر .
- جامع أخبار مكة .
- رفع النزاع للرد الى الاتباع .
- المذهب فى علم المذهب .
- نية الصيام وما فى يوم الشك من الكلام .
- شرح نظم المفصل .
- الاعلام بمعنى الكلمة والكلام .
- شرح لباب التهذيب .
- الارجوزة فى الفقه .
- ذكر من ركب الحمار .
- مشكلات الايات .
- مشكلات الاخبار .
- كتاب القيامة .
- شرح أحاديث الوسيط .

السيبرنطيقا وعالم المستقبل!

• محمد الحديدى •

● هل سيوجد الانسان الميكانيكي؟ او كما يتنبأ بعض العلماء ،هل سيتطور الانسان فيتخلص من الحدود المفروضة على تكوينه الجسدي والتي تشل حركته وتحتم عليه ان يوجد في مكان واحد في زمن واحد ؟

انسان المستقبل ، « السوبرمان » ، قد يتخذ شكل مخ بشري ثابت ، يشبه « الكومبيوتر » ، وعشرات من الآلات التي تشبه الانسان ، تقفى له حوائجه هنا وهناك ، وكلها مزودة بعقول الكترونية تتلقى التعليمات وترسل المعلومات الى المخ البشرى المركزى .. والا ، فماذا سيكون شكل الانسان بعد الف سنة من الآن ؟

هل ستبقى الاختراعات على حالها ويتوقف التقدم الالكترونى والنووى ؟ مستحيل طبعا ..

ان كل هذا التقدم الذى تم حتى الآن تم في لحظة خاطفة . في اقل من مائتى سنة من عمر الانسان الذى يمتد الى ثلاثة ملايين ..منها مائة الف سنة فقط هي عمر «الطراز» السائد الآن ..

والانسان الآلى لم يعد شيئا بعيد المنال ، لقد تم اختراعه منذ سنوات عديدة ، اصبح ممكنا باختراع « الكومبيوتر » ثم تصغير«الكومبيوتر» الى حجم يمكن من ادخاله فى رأس هذا الـ « روبوت » ، وبذلك اسبغت عليه صفة « الاستقلال » الذهنى الذى قد لا ينعم به الذين اخترعوه ..

وقد بدأ استخدام الوسائل الاوتوماتيكية مع بدء الصناعة، ولكن الجديد في الامر هو استحداث الوسائل التى يمكنها ان تتلقى الاوامر وتنفذها، او تتلقى اى معلومات اخرى و«تتصرف» طبقا لهذه المعلومات . والانسان الالى لن يتعدى أن يكون « جسدا » ميكانيكيا قادرا على المشي وتحريك الذراعين لاداء الاعمال المختلفة ، والى هنا وهو لا يزيد كثيرا على لعب الاطفال : تملأ اللعبة بالطاقة بواسطة الزنبرك ثم تتركها فتتحرك طبقا لبرنامج ، كأن ترقص او تغنى .. الخ . اما الشيء الثانى الذى يزود به الـ « روبوت » كما يسمى ،فهو الجهاز الالكترونى المركب فى رأسه والذى يحتوى عدة برامج وليس برنامجا واحدا هو الحركة الراقصة ، وهذا

الجهاز الالكتروني مزود بوسائل « الاحساس » فهو يرى بالعدسات ويسمع بالسماعات ، ويمكن تزويده بما يناظر بقية احساسات الانسان اذا لزم هذه الاحساسات آلية كلها بالطبع ، ولكنها تحدث اثرها في دوائره الكهربائية وتطلق اجهزته الميكانيكية للعمل ، وهكذا فاذا كنت صاحب مخزن فانه يمكنك أن تشترى واحدا من هذه الاجهزة التي تشبه الانسان وتكلفه بان يقف على الباب ، فاذا جاء لص وحاول ان يعالج الباب فان عليه أن يهشم رأسه ، وسوف ينفذ تعليماتك بالضبط ما دمت تحسن « برمجته » ! ..

لم يعد الانسان الالى مجرد موضوع للقصص العلمى ، وقد يأتي اليوم الذى يصبح فيه سلعة تجارية ، ويعمل في المنازل : يتلقى المكالمات التليفونية ويرد عليها ويسجلها ويعد الطعام انتظارا لعودة « أصحابه » ، ويستقبل الضيوف ويقبض على اللصوص حتى ولو كانوا هم ايضا آليين ! .. ويتصرف في الحوادث كالحريق او تسرب الغاز او اسعاف المرضى ، وكل شيء ...

الصعوبات مالية فقط ، هذا « الشيء » يتكلف كثيرا ، في البحوث والانتاج ، ولكن قد تم صنع وتجربة الاجهزة التي يمكن بها تقليد حواس الابصار والسمع واللمس وتقليد القدرة على تلقي المعلومات وارسالها ، ولم يبق الا تجميع هذه الاشياء في « ماركات » مختلفة ، انسان آلي طراز كذا ، « موديل » كذا .. يعمل كذا وكذا ..



ثمرات السيبرنطيقا

هذا هو اسم العلم الذى جاء بهذه النتائج ، وهو يرجع الى أوائل الخمسينات ، وتعريفه هو انه « العلم الذى يختص بالاتصالات والتحكم في الحيوانات والالات » . بمضى الزمن وتزايد المشتغلين بالسيبرنطيقا وجد انه عند التطبيق يمكن ادخال اى شيء على الاطلاق في دائرة السيبرنطيقا ، الفن مثلا ، ان الفنان يؤدى أعماله بقصد توصيلها الى الاخرين ، والاخرون ينتمون لمملكة الحيوان ، وهكذا فانه عندما يعقد مؤتمر دولي للسيبرنطيقا فانك تجد نحاتين مع مهندسي انتاج الـ « روبوت » .

ويمكن القول بان السيبرنطيقا بدأت بالجهود التي بذلها « ديكارت » وزملاؤه ، بحثا عن حقيقة الجسم الانساني والقوى التي تنظمه ، والرجوع الى هذه البحوث والتمعن فيها بما نعرفه الان يجب ان يثير فينا اعجابا كبيرا بما استطاع هذا العلامة ان يتوصل اليه في زمن يرجع الى ثلاثمائة سنة لم يكن فيها العلم الحديث قد ارسى قواعد ثابتة . لقد كانت خواطر « ديكارت » رغم ذلك تتميز بالحداثة ، وكانت معلوماته بالنسبة لهذا العصر تشمل آفاقا عديدة متنوعة ، وكان الكثير منها بالطبع من ضروب التخمين ، ولكن الحاجة الى مائتى سنة لتصحيحها هي في ذاتها دليل على أن صاحبها كان يتميز بنظر بعيد وبصيرة ثاقبة .

فى مواجهة مختلف المواقف

عندما اكتشف العلماء أن الجهاز العصبي في الانسان والحيوان يعمل على تنظيم أشياء مثل درجة حرارة الجسم وضغط الدم وابقائها داخل حدود معينة ، بداوا يحاولون ايجاد أوجه الشبه بينه وبين أجهزة التنظيم التى تستخدم فى الالات الصناعية ، كجهاز الترموستات فى الثلاجة مثلا ، والذى يحس بارتفاع الحرارة داخلها نتيجة تكرار فتح الباب وغلقه ، فيعمل على توصيل دائرة المحرك الكهربائى ، ثم يحس بالوصول الى درجة البرودة المطلوبة فيوقف المحرك ، وهناك أيضا منظم الفولت والتيار .. الخ . وقد كان عندئذ أن استحدث هذا التعبير : « سيبرنطيقا » ، اشتقاقا من كلمة يونانية هى « كوبيرنيتس » ومعناها « قائد سفينة » ، وكان عالم المانى يدعى « فاينر » هو الذى استحدث هذه التسمية ..

وقد سبقت ذلك محاولات لصنع « كائنات » ميكانيكية ،منها سلحفاة آلية يمكن التأثير على حركاتها بالاشعاع الضوئي الذى يؤثر على خلايا فوتوكهربية تحس وتتأثر بشدة الضوء وتعمل بالتالي على توصيل الدوائر الكهربية المحدثة للحركة المطلوبة ، ثم جاءت الصواريخ الموجهة البعيدة المدى وادت البحوث الحربية الهادفة لتطويرها الى تأكيد الفكرة وايقان العلماء بامكان صنع الانسان الالى .

ولكن الحدود ظلت ضيقة ، بحكم كون مجال عمل الانسان المعدنى محدودا بحدود جهاز التحكم الذى يحوى المعلومات والذاكرة ، والذى يجب الا يكون ضخما بشكل تستحيل معه الحركة . ثم باستحداث الحاسبات الالكترونية الرقمية ، تزايد الامل فى مجال عريض للتحكم وفى تنوع الاعمال التى يمكن ان يقوم بها « الروبوت » ، بعد ان اصبح جهاز « المخ » يأتى بحجم مناسب، متضمنا الامكانيات المطلوبة ل «التصرف» فى مواجهة مختلف المواقف .

اهم شيء : البرمجة

كائنا ما كان نوع « الكومبيوتر » وحجمه ،فهو لا يزيد على ان يكون مجموعة من الدوائر الكهربائية تؤدى ما يلى :

استقبال المعلومات

اختـــــزان المعلومات (وهـذه هى « الذاكرة »)

التحكم (الكونترول)

معاملة المعلومات ، او اجراء العملية المطلوبة .

ثم فى النهاية : الارســـــال او اعطاء النتائج المطلوبة .

اهم شيء في الموضوع هو «البرمجة» ولكى نتصور الفارق العظيم بين المخ الميكانيكي والامخاخ التى نحملها فى رءوسنا «(مهما كان مستواها)» لناخذ هذا المثال : لنفرض ان انسانا ميكانيكيا يمشى فى الطريق ويوشك ان يعبره ، البرنامج يقول له انه اذا كانت هناك سيارات آتية من على يساره فان عليه ان يتوقف الى ان يصبح الطريق خاليا .. حسنا ، اذا لم يدخل فى البرنامج ان هذه السيارات يجب ان تكون فى حالة حركة ، فان سيارة فى الانتظار الى يساره ستجعله يتف ايضا ، ويظل واقفا الى ان يأتى صاحبها ليأخذها بعيدا ..

هذا هو الفارق العظيم ، ليست لدى العقل الالكترونى اية قدرة على التصرف الا طبقا لبرنامج وبحرفية تامة .

هذا المثال البسيط يبين لنا كيف ان اى خطأ فى البرمجة سيؤدى الى فشل العملية كلها ، لانه لا يمكن تقييم موقف واعادة التفكير فيه تمهيدا للتصرف ، الا اذا كان هناك آدميون بعقول كالتى اعطاها لنا الله ، ومهما كنا نتفقها فيما فيه الاضرار بأنفسنا وبغيرنا ، فان هذا لا ينفى انها هى وحدها التى تعبر عن شخصية صاحبها والتى تختلف من كائن لآخر ، من الانسان هبوطا ، وكلما هبطنا تشابهت التصرفات والقرارات ، وكذلك فى العقل الالكترونى ، الف واحد منها ستعطى نفس النتيجة فى الظروف المتشابهة .

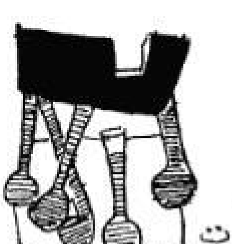
وتزداد اهمية العناية بالبرمجة كلما كان « الروبوت » مطلوبا منه ان يعمل بمفرده فترة طويلة . وكثيرا ماتصور كتاب قصص العلم وغيرهم من اصحاب الخيال الخصب انه لو ان كوكبا من الكواكب التى يمتلىء بها هذا الفضاء الرحب يحمل على ظهره اناسا اعظم تقدما فى الحضارة التكنولوجية من اهل الارض — او المتقدمين منهم على الاصح — فاننا قد نفاجأ يوما بسفن الفضاء تهبط لتخرج منها جيوش من هذه الكائنات المقاتلة التى لا يجدى معها سلاح مما نعرفه ، وحتى لو دمرنا عددا منها فان هذا لا يعدو ان يناظر تدمير بعض العربات او المجنزرات ، ولكنه ليس « خسائر فى الارواح » تؤثر على الروح المعنوية او تتطلب العلاج او نقل الجرحى — بالها من معركة هذه !

من المهم ان نعرف انه فى هذا الفرع من فروع الهندسة لا احد يحاول ان ينتج تقليدا متقنا للكائن الحى او نموذجا كاملا لاية وحدة حيوية او بيولوجية ، الفكرة هى مجرد الاستفادة من التركيب العام وطريقة عمل الكائنات ، فعلمنا بالخلية الحية وطريقة تكوينها لا يزال صفرا وقد يظل كذلك ..

وقد حاول مخترعو الطائرات ان يقلدوا الطيور ولكن هذا لم يعط اى نتيجة عملية . وكذلك فان دراسة عين الحشرة مثلا قد يوحى للمهندسين باستحداث جهاز فوتوكهربى يمكنه التأثر بالضوء ثم توصيل الاثر الى العقل الالكترونى فيحدث الاثر المطلوب ، ولكن هذا بالطبع لا يعنى ان الجهاز المصنوع يشبه من قريب او من بعيد عين الحشرة او الحيوان ، وان كان مطلوبا من المهندس الذى يشتغل فى هذا المجال ان يتقن معرفته بعلم الاحياء وبطريقة عمل الجهاز العصبى فى الانسان والحيوان .

فن تطبيق المعرفة

كما لو كان الغموض فى تعريف السيبرنطيقا لا يكفى ، جاء السلاح الجوى الامريكى بهذه التسمية ، وعرف هذا الشيء الجديد بانه « فن تطبيق المعرفة بالانظمة والطرق البيولوجية على المشاكل الهندسية » ، وربما كان اصوب لو ان الذين ابتدعوا هذا التعبير اتخذوا له تعريفا آخر هو « علم الاجهزة التى تبنى طريقة عملها على الانظمة التى تعمل بها الوظائف الحيوية ، او التى تشترك مع



الكائنات الحية فى خواصها ، او التى تتشابه معها فى هذه الخواص » .

ولكن توجد تفرقة بين هذين التعبيرين المألوفين الان ، قيل فى تعريف علم البيونيات انه علم الانظمة الفيزيائية التى تدرس وتنفذ بالتشابه مع الكائنات الحية .

اما السيبرنطيقا فهى العلم الذى يتناول الانظمة الحيوية بمشابهتها مع الانظمة البيونيات انه علم الانظمة الفيزيائية الامر لا يتطلب كل هذا العناء ، لان البيونيات تشبه هندسة السيبرنطيقا» وان الخلط جاء من كلمة «بيونيات» ذاتها والتى يظن لاول وهلة انها مزيج من « البيولوجيا » و « الالكترونيات »، ولكن الواقع انها ليست سوى مجرد اشتقاق من الكلمة اليونانية « بيون» وتعنى « وحدة حيوية » ، والذى اتى بها هو العالم الالمانى الاصل «فلهلم رايخ» وجعل منها حقيقة ، وادى بكتاب قصص العلم وحلقات التليفزيون الامريكى الى ابتداع شخصية «المرأة البيونية» الى جانب « الرجل الذى تكلف ستة ملايين دولار» وهى قصة رجل اصيب فى حادث ولجأ العلماء الى تعويضه عن اعضائه المفقودة باستخدام هندسة السيبرنطيقا

وكما يقول الفيلسوف صمويل الكسندر بجدها الفلاسفة ــ فى ترتيب تصاعدى، وكما يقول الفيلسوف صمويل الكسندر فى كتابه الشهير « الزمن والمكان والربوبية » : « ان كل نمط جديد من انماط الوجود حين ينشأ فانه يمكن التعبير عنه تعبيرا كاملا بلغة المرحلة السابقة » .

واذا امكن لعلماء السيبرنطيقا ــ ونكرر انه اذا امكنهم ــ فسيمكنهم بالعقول التى وهبها الله لهم وبقوانين الكون والمادة كما اراد لها الله ان تكون ــ اذا امكنهم ان يمدوا من حدود قدرة الانسان باستخدام الآلة ــ وهذا لا يختلف فى شىء من حيث المبدأ عن استخدام الطائرة فى الطيران او استخدام المطرقة فى الدق ـ فان الانسان قد يتحول فى المستقبل الى مخ بشرى ثابت يشبه « الكومبيوتر» يعمل على تشغيل عدد من الالات « الروبوت » التى تسعى فى مصالحه هنا وهناك .

لا يختلف الموضوع كثيرا ...

والهدف الاساسى لعلم السيبرنطيقا هو بحث وتصميم وانتاج هذا الانسان الالى بانواعه المختلفة المحتملة ، وهو حلم قديم كان الى عهد قريب ينتمى الى عالم القصة الخيالية ، ولكن التكنولوجيا قد تقدمت الان الى الحد الذى يجعل ذلك امكانية سهلة التحقيق ، بصفة فورية .

وقدمضت عشرات السنين والاجهزة « الروبوتية » التى تدار بالتحكم البعيد تستخدم فى الصناعات ذات الطبيعة الخطرة ، بصفة خاصة فى الحالات التى يوجد فيها اشعاع ذرى يستحيل معه وجود انسان لمواجهة مواقف الانتاج المختلفة ، وهناك مصانع كثيرة يوجد فيها « الروبوت » الثابت الذى « يدرب » على اداء عملية معينة ثم يترك ليستمر فى ادائها ، وهى مسالة تزداد شيوعا كل يوم .

ويجهز « الروبوت » المتحرك الحديث بـ « الحواس » ، فالرؤية هى استقبال الصور المرئية على هيئة اشعاع يتطابق مع الصور المختزنة فى العقل الالكترونى ، وهكذا اذا اردنا ان نتصور مثالا فليكن هذا : لنفترض ان انسانا آليا يحرس مكانا لا يسمح لاحد بدخوله، فاننا نودع فى ذاكرته صورة انسان يقترب ليقتحم الباب ، و « نبرمج» جهاز

النحكم بحيث انه عندما يحدث هذا فان « الروبوت » يهب واقفا بتاثير التيار الكهربي الذى ستطلقه مطابقة الصورة المواجهة له مع الصورة المختزنة فى ذاكرته الالكترونية ، هذا التيار سيؤدى الى تشغيل المحركات بحيث تجعله يقترب من هذا الشخص ويرفع ذراعه الفولاذية ويطبقها فوق راسه ، فاذا حاول هذا الشخص أن يهرب فان البرنامج يجعل « الروبوت » يتحرك بسرعة هائلة ويمسك به .. الخ .

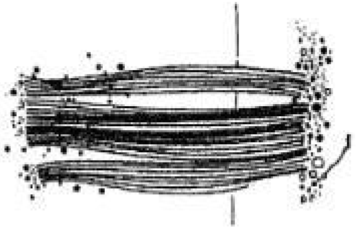
لا يختلف الموضوع كثيرا عن انواع حديثة من لعب الاطفال سوى من حيث اتساع مجال « الكومبيوتر » الذى يخزن فيه البرنامج وتعقد الدوائر الكهربائية التى تشغل « الروبوت » .

وهكذا فانه اذا لم تتدهور احوال الحياة على الارض بسبب حرب نووية او فناء مصادر الطاقة ، أو كارثة تصيب النوع الانسانى : عصر جليدى جديد مثلا أو غزو من الفضاء الخارجي ، سواء كان « بشريا » او « روبوتيا » ـ فان من يعيشون طويلا منا قد يجدون ذات يوم انه فى امكان الفرد أن يضغط زرا فى جهاز فى بيته يتصل بـ « كومبيوتر » كبير فى مكان ما وفى الحال تنطلق سيارة سريعة وتقف امام بيته وينزل منها « روبوت » يصعد الى الشقة ويخرج من جيبه مفتاحا ويدخلها ويسير الى المطبخ ليغسل الصحون ثم ينتقل الى بقية الغرف فيرتب السرائر وينظف الارض ثم يغادر الشقة ويجد السيارة ، التى يقودها « روبوت » آخر ، فى انتظاره لتنقله الى العمارة السكنية التى يقيم فيها شعب من « الروبوت » ـ وهم العبيد الذين لا يجدون غضاضة فى هذا النوع من الحالة الاجتماعية ..

وفى الحال ايضا يجد صاحب الشقة ان حسابه فى البنك قد نقص بمقدار اتعاب الشركة التى تقدم هذا النوع من الخدمات ، وكل هذا يتم الكترونيا بواسطة « التخاطر » او « التليباثى » الالكترونى الدقيق !

الواقع ان شركة يابانية قد صنعت منذ سنوات « روبوت » يمكنه قراءة الرسوم الهندسية بعين الكترونية ، ثم يبدأ فى تجميع الاجزاء وتركيبها مستخدما عينا تليفزيونية اخرى وذراعا ويدا آليتين ، ولكن هذا يتم بمساعدة « كومبيوتر » رقمى كبير وببطء شديد لان كل خطوة تستلزم وقتا طويلا لابضبع فى البرمجة والتطبيق وارسال التعليمات .

ولكن هذه المشاكل **سهلة الحل من الناحية العلمية ، وعندما يبدا تعميم هذه الاشياء ، فان تكرار الانتاج سيؤدى الى خفض التكلفة حتى تصبح هذه الكائنات فى متناول الانسان العادى ، ومن يدرى قد ياتى يوم يجد فيه المرء انه من الاسهل ـ ولا شك انه ايضا ارخص ـ ان يعاشر انسانا من هذا النوع يقضى حوائجه ويتولى تسليته بالالعاب والاذاعة والمحادثة ، ويقوم على كل حاجياته ، فلا يحتاج لذلك (النوع) من الزوجة الحديثة التى تستعصى على « البرمجة » !**



المرأة في الظل

ظاهرة جديدة من ظواهر الانحلال الذى يجتاح عالم الغرب فى عصرنا هذا ظاهرة النساء اللاتى يفضلن ان يكن عشيقات بدل ان يكن زوجات ، ذلك محافظة منهن على الاستقلال والتحرر من سيطرة الرجل ومتاعب الاولاد !

من اكبر الظواهر الاجتماعية التى تستوقف النظر فى عصرنا هو اتساع نطاق ظاهرة « المرأة الثانية » او العشيقة فى نفس العصر الذى بلغت فيه المرأة اقصى مابلغته فى التاريخ من التحرر واظهار الكفاية الشخصية وكسر الحاجز الذى كان يفصل فى الماضى بين الرجال والنساء ...

فالى الامس القريب كان احد لا ينازع فى ان المرأة دون الرجل كفاية واستعدادا وشخصية . بل كانت المرأة نفسها تسلم بذلك ، حتى انه عندما قالت الاديبة الفرنسية المشهورة جورج صاند انها تساوى الرجال وتفوقهم ذكاء ، اضطرت الى ان تخلع ملابس النساء وتلبس ملابس الرجال لكى تثبت انها ند للرجال ...

اما فى يومنا هذا فان رئيسة وزراء بريطانيا مسز ثاتشر ترأس مجلس الوزراء متزينة متجملة محافظة على كل خصائصها كامرأة ، وبهذه الانوثة الجميلة تتولى عملها وتقود الرجال وتعالج اعقد مشاكل السياسة والمجتمع ..

فى عصرنا هذا بالذات لا تأنف الكثيرات جدا من اعلى السيدات مركزا ومسئولية أن تكون عشيقة او زوجة فى الظل لرجل يعجبها . فى المانيا وحدها يقدرون عدد هذا الطراز من زوجات الظل بمليون امرأة ، ليست فيهن امرأة خليعة او قبيحة او عاطلة او عالة على غيرها ، بل كلهن نساء عاملات موظفات يشغلن وظائف ذات مسئوليات كبرى ، فهن لسن مضطرات الى مشاركة امرأة اخرى فى رجل يتولى نفقتهن وانما هن يفعلن ذلك بمحض اختيارهن ، وهن راضيات بذلك لايشكين منه ، بل ان واحدة منهن أجابت على استفتاء اجرته مجلة المانية بمقال طويل قالت فيه انها



● مدام ريكاميه عشيقة لويس الخامس عشر بريشة الفنان لوى دافد ، كانت سيدة معترفا بها فى عصرها ولها قصرها الذى اشتهرت فيه صالونا ادبيا .

فضلت وضعها كامراة ثانية فى حياة رجل اعمال المانى كبير على ان تكون زوجته ، وانه عرض عليها ان يطلق زوجته ويتزوجها فرفضت قائلة انها اولا لا تريد أن تسىء الى امراة اخرى بتطليقها من زوجها ، وثانيا لا تريد أن تتحمل وحدها مسئولية خدمة رجل ، فان الزوجة الاولى تخدم الزوج وتقوم بمسئولياته ، اما هى فتستمتع به فحسب فى الاوقات التى لا تخسر الاخرى دون أن تحمل اى مسئولية ، وكل مايضايقها فى الموضوع هى السرية اى انها لا تستطيع أن تظهر مع الرجل فى المجتمع ، لا لأنها تخشى ذلك بل لان المجتمع فى رأيها لا يقبل فكرة المراة الثانية ، ويعتقد أن فى ذلك خطرا على المجتمع او تهديدا لكيان الاسرة ، مع أن الاسرة فى عصرنا هذا وفى المجتمعات التى تعتبر نفسها مجتمعات متقدمة لم يعد لها وجود بالمعنى الصحيح ...

***

وقد الف كاتب المانى كتابا جميلا عن الموضوع قال فيه :

ان الاسرة ذات المراة الواحدة التى تعيش مع زوجها واولادها تحت سقف واحد فى هناء وسعادة ، « ابتكار » جديد لم يظهر فى اوروبا الا فى القرن الثامن عشر .. لان الاسرة من وجهة النظر الاجتماعية تعتبر اسرة سليمة التكوين بامراة او امراتين او ثلاث او اكثر مادامت هناك عدالة من جانب الرجل نحو نسائه ومادامت النساء يعشن فى سلام - ولو نسبى - بعضهن مع بعض .

ومنذ ايام المصريين القدماء والاغريق والرومان ، لم تكن هناك تلك الاسرة ذات المراة الواحدة لانه يبدو ان الرجل بطبعه ميال الى ان تكون له اكثر من امراة وهو يستطيع أن يحب امراتين او ثلاثا فى نفس الوقت وكذلك المراة عندها استعداد غريزى لقبول امراة اخرى الى جانبها تشاركها زوجها .. والغيرة فى هذه الحالة لاتكون غيرة فى الحب وانما فى الناحية المالية فقط .

وقبل القرن الثامن عشر لم تكن فى أوروبا امراة تستطيع الاعتراف ...

على زوجها اذا كانت له امراة اخرى غير شرعية ، وانما المجتمع نفسه هو الذى كان يرفض المراة غير الشرعية لانه كان يرى فى ذلك نوعا من البغاء . وكانت المراة الثانية او امراة الظل موضوع هجوم وطمع من المجتمع ، وبطبيعة الحال لم تكن هنالك نساء عاملات بالمعنى المعروف ، ومن ثم فان المراة الثانية كان المفروض انها تعيش على مال رجل متزوج بأخرى ، ومعنى ذلك انها تبيع نفسها لقاء مال ، وهذا راى صحيح ..

اما فى طبقات المجتمع العليا حيث كانت النساء موسرات لا يعتمدن على مال رجل آخر ، فان المجتمع كان يقبل دون أي استنكار فكرة العشيقة ..وفى القرن السابع عشر والثامن عشر فى فرنسا والجلترا وغيرهامن بلادأوروبا، كانت العادة بين الطبقات الراقية ان يكون للزوج عشيقة وان يكون للزوجة صديق او اكثر . وكلنا نعرف أخبار عشيقات الملوك من امثال مدام ريكاميه ،ومدام بومبادور ،وهن عشيقات كانت لهن المرتبات الثابتة من مال القصر الملكى ، وكانت لهن بيوتهن المعروفة ، وكانت فى هذه البيوت صالونات ادبية يجتمع فيها علية القوم ويقدمون تحياتهم واحترامهم للمراة الثانية ، بل انه كان من القواعد الثابتة فى الطبقات العليا الروسية ، انه لايوجد رجل ليست له امراة ثانية او اكثر ... وهذه المراة الثانية محترمة ومعترف بها ،واولادها لهم حق فى الميراث ما دام الرجل قد اعترف بهم ..

وفى انساب العائلات الارستقراطية الروسية نقرا ان فلانا ابن غير شرعى للامير الفلانى ، وكانه يفخر بذلك ... وفى رواية آنا كارنينا للقصصى الروسى تولستوى يقولُ احد النبلاء مفتخرا ان اسرته صاهرتآل رومانوف اربع مرات ، اثنتين شرعيتين واثنتين غير شرعيتين ... ولم يكن الاولاد يعيرون بذلك بل كانوا يجدون فى ذلك شرفا جديرا بالذكر .

والحقيقة انه لايوجد دين يحرم فى قواعده الاساسية الزواج بأكثر من امراة ، فالمسيحية الاولى لم تعرف الزوجة الواحدة ، وكان الرجل يستطيع الزواج باى عدد من النساء يريد بشرط ان يكون الزواج رسميا .. اما تحديد الزواج على النحو المعروف الان فى العالم المسيحى فامر وضعته الكنيسة فى مجامعها المختلفة والغرض منه وضع نظام واحد للاسروالعائلات.

وقد كان هذا التحديد موضع متاعب ومازال الامر كذلك الىاليوم . وفى الكنيسة الكاثوليكية يستطيع الاغنياء ان يحصلوا على الطلاق لان لديهم الوسائل والعلاقات الكفيلةبتيسير استصدار حكم الفصل . اما الفقراء فلا يستطيعون ذلك فقط .

ويقول الدارسون فى علم الاجتماع ان الاسرة ذات المراة الواحدة امر غير طبيعى ، لان الرجل بطبعه يميل الى تعدد الزوجات وبعض علماء الاجتماع يرون ان فى ذلك خيرا للاسرة لانه على الاقل يوفر متاعب الطلاق اذا كانت هناك قيودكبيرة عليه،ويغلق الباب امام الرشاوى التى تدفع للحصول على الطلاق او الفصل فى حالة اذا لم يكن هناك حب او وفاق بين الزوجين .

ومن المعروف انه ليس هناك اتعس من زيجة غير متوافقة وان تحريم الطلاق فى هذه الحالة يؤدى الى كوارث

ومعظم الزوجات او الازواج الذين يلجاون الى قتل زوجاتهم يفعلون ذلك لاستحالة الطلاق ، وفى هذه الحالة يبدو لنا ان الزوجة الثانية تعتبر حلا معقولا للمشكلة ولو لم يكن حلا اخلاقيا وقد قررت ذلكَ سيدة المانية فى كتاب



● مدام بومبادور المحظية الخالدة لملوك فرنسا ، لم تتزوج قط ولكنها عاشت في ظل الملك بعلم الملكة والدولة وقدر لها راتب على اعتبار انها صاحبة صالون ادبي .

نشرته من موضوع المرأة الثانيـــة ولم تنشر الكتاب باسمها ، بل اطلقت على نفسها : انجريد وتلف ولكن كل المانيا تعرف من هي الكاتبة لانها صـــحفية مشهورة وعشيقة لرجل كبير من رجال الاعمال !..

***

والحقيقة اننا اذا فكرنا مليـــا في موضوع زوجة الظل نجد أنه من الافضل بكثير أن تعدل القوانين في الغرب وان يسمح للرجل ، بموافقة الزوجة ، بأن يتزوج ثانية اذا كان في ذلك ضرورة ، لان فكرة الاقتصار على زوجة واحدة ثبت انها تعتمد اولا وآخرا على ضمير الرجل وعلى مقدار السعادة التي يتمتع بها في زواجه ، وكذلك تعتمد عـــلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية .

ويقول الكاتب الالماني الذي ننقل عنه هذا المقال : انه قـــد طاف بنواحي العالم بصفته عالما في الاجتماع ، ودرس شئون الاسرة في بلاد شرقية وغربيـــة كثيرة ، فوجد أن مشاكل الاسرة اقـــل ماتكون واخف ماتكون في البـــلاد التي تبيح قوانينها الزواج بأكثر من واحدة بشرط ضمان القدرة الماليـــة للزوج ، وموافقة كلا الزوجتين على ذلك الزواج

... ويقــول ذلك الرجـــل ايضا : ان تيسير امور الطـــلاق يزيد روابط الاسرة متانة بشرط توفر درجـــة من الثقافة والفهم وحسن التقدير عند الرجل والمرأة معا ، فاطلاق امر الطلاق وعدم وضع ضوابط له فيه ضرر بليغ بالجهلاء والفقراء ، وهذا الطـــراز من الناس الذي لا يقـــدر المسئولية الاجتماعية او القومية ، ولـــكنه دون شك مخرج معقول من التعاســـــة الزوجية في حالة استحالة الوفـــاق بين الزوجين ..

وقد اجرى استفتاء فى الولايات المتحدة عن موضوع الزواج فتبين ان ٩٠٪ من الازواج لهم ، او كان لهم فى فترة ما ، امراة جانبية ،ولم ينتج من ذلك ضرر بليغ . بل اعترفت احدى الزوجات ان زوجها كان احسن حالا واكثر حبا لها ولاولاده عندما كانت له عشيقة هى سكرتيرته ، فكان يجتهد فى تعويض زوجته واولاده بالمزيد من الحب والمال حتى يغطى ماكان يتصور انه جريمة ...

وقالت الزوجة : انها حاربت لكي تخرج السكرتيرة من حياة زوجها ، فلما تم لها ذلك اسفت لان زوجها عندما فقد عشيقته اصبح مريرا غضوبا وبخيلا ، وانصرف الى السهر مع اصحابه وكره زوجته كرها شديدا ..

ومن هذا الاستفتاء تبين ان نسبة عالية من السكرتيرات يعتبرن فى نفس الوقت زوجات ثانيات لرب العمل ، وخاصة اذا لم يكن رب العمل فى سن عالية . وبعض الشركات الامريكية تتعمد اختيار السكرتيرات الجميلات لان ذلك يحبب الرجال فى المكتب والعمل ، فقد لوحظ ان السكرتيرة الجميلة لها جاذبية خاصة على المدير او الرجل ذى المسئولية .

وفى بعض الشركات الاجنبية الان بدعة جديدة هى الحاق مطبخ صغير بغرفة المدير او رئيس العمل فتطهو له السكرتيرة طعامه وتاكل معه .. وشيئا فشيئا تصبح كزوجة ثانية ، والنتيجة ان الرجل يعمل فوق الخمس عشرة ساعة دون ملل ، بل لوحظ ان السكرتيرة وهى الزوجة الثانية فى نفس الوقت تعمل سائقة لمديرها فتنتقل معه من مكان لمكان بحسب مطالب العمل ، وهى لا تطالب قط بالزواج من مديرها لانه فى الغالب اكبر منها سنا . فهى تقنع بالقليل الذى ياخذه منها ..

ويقول الاستفتاء ان ذلك لا يضير الحياة الزوجية فى شىء الا ربما من الناحية الاقتصادية ، وهذا تتكفل به الشركات فى كثير من الاحيان .

وتلك الشركات تقوم بذلك العمل بعد دراسات طويلة قام بها علماء النفس والاجتماع الذين كلفتهم الشركات بدراسة هذا الموضوع ، وقد اتضح لاولئك العلماء ان الزوجة ، ايا كان الحب الذى يربطها بزوجها قبل الزواج وفى شهوره او سنواته الاولى ، تفقد بريقها فى نظر زوجها بعد خمس سنوات على الاكثر من الزواج ، وخاصة اذا انجبت اطفالا .. وقد لوحظ ان الزوجة بعد المولود الثانى ولدا كان ام بنتا تتجه معظم عواطفها نحو الاولاد ويتراجع الزوج الى المكان الثانى من ناحية الحب ، وان لم يكن من ناحية الاحترام .. فهى تظل قائمة له بواجباته حافظة له بيته ، ولكن العلاقة بينه وبينها تتحول الى نوع من الروتين وان لم ينقص الحب .. واذا كان الرجل من رجال الاعمال الذين تتطلب اعمالهم الابتكار والتجديد فانهم يحتاجون دائما الى مايثير عواطفهم ويجدد نشاطهم الذهنى والعاطفى ، ومن هنا ينفتح الباب امام المراة الثانية .. وليس من الضرورى ان يكون الدافع الى ذلك شريرا او جنسيا بل قد يكون مجرد رغبة فى الخروج من الملل ..

ومن الملاحظ ان الانسان اذا اراد ان يروح عن نفسه ذهب الى السينما او الى ملهى مثلا حيث يرى اشكالا والوانا ويسمع موسيقى تطربه وتخرجه عن الروتين المالوف .. هذا بالنسبة للناس العاديين ، وبالنسبة لرجال الاعمال فى الغرب ومرتباتهم تجاوز حد التصور ، فانهم لا يذهبون الى السينما فى العادة ، وانما ياتون بالسينما الى

بيوتهم او محال اعمالهم ، وقد سمعنا بما كان يحدث في البيت الابيض الى حين قريب من ان بعض الشيوخ يستخدمون فتيات جميلات في مكاتبهم **وعند التحقيق تبين ان اكثر ما كان الشيوخ يطلبونه هو تغيير الجو والحصول على شيء من التجديد في المظهر والمحيط على الاقل ، ومما يؤسف له ان الكثيرات من الزوجات يهملن الازواج اهمالا تاما ويتصورن ان الزواج مسالة ادارة البيت ، ناسيات ان الرجل بطبعه صياد وانه في معظم الاحوال لا يتوجه الى الصيد لانه جائع بل لان الصيد جزء من طبعه ـ هكذا يقول ذلك الكتاب .**

***

ولكن هذه ليست مشكلة النساء اللائي يجري عنهن الحديث في الكتاب الذي نوجزه هنا ، لان هؤلاء لسن عشيقات بالمعنى المعروف ، بل هن نساء مستقلات يعملن ويكسبن ويعشن عيشة مترفة ، ولكنهن لايردن ان يتقيدن بقيد الزواج ، لانهن لا يرين ما يدعو الى الارتباط برجل وخدمته وطاعته . ومن ثم فانهن يكتفين بنصف رجل على ان يكون ذلك الرجل ممتازاً من كل ناحية في عيونهن ، ولا يعنيهن بعد ذلك ان كان متزوجا او غير متزوج ، فان كل ما يطلبنه منه هو شيء من الوقت والاهتمام لانهن لو اردن ان يتزوجن كغيرهن ماعسر عليهن ذلك ، ولكن تحرر المراة واستقلالها عن الرجل وخروجها على طاعته ، كل ذلك يجعلهن يرضين بان يكن نساء ثانيات او نساء في الظل ، لان النور في ذلك لا يهمهن ..

هذا ملخص ذلك الكتاب الذي نشر عن المراة الثانية ، وهي ظاهرة اجتماعية خطرة ظهرت في الغرب اليوم ، ولا يستطيع احد في الغرب مناهضتها



او محاربتها ، لانها كما قلنا ناتجة من تحرر المراة ووصولها الى المهارات الادارية والفنية التي تمكنها من الاستقلال بنفسها والتصرف في حياتها على النحو الذي تريد ..

انه شر من الشرور الكثيرة التي يجلبها لنا العصر الحديث . وما دامت اولئك النساء يرضين باختيارهن ان يكن نساء في الظل ، فكيف يستطيع المجتمع تغيير افكارهن وهن نساء مستقلات لكل منهن بيتها ومالها وعملها واستقلالها ..

ان الشيء الوحيد الذي يمكن عمله في هذه الحالة هو القضاء على عادة استخدام السكرتيرة كامراة ثانية فذلك يؤدي قطعا الى افساد وظيفة السكرتارية بالنسبة للنساء . والامر الثاني هو اقناع الزوجات بعدم قبول ذلك الوضع ، والعمل على القضاء عليه محافظة على ذلك التقليد الذي لاشك في انه من اسس سلامة المجتمع : تقليد الزواج وبيت الزوجية والامانة الزوجية . ●

ح.م .

حوار مع

الدكتور يوسف خليف

● عاطف فرج ●

● دكتور يوسف خليف ، استاذ الادب العربى القديم ، ورئيس قسم اللغة العربية فى كلية الاداب ، جامعة القاهرة .

صاحب آخر دكتوراه ناقشها الدكتور طه حسين قبل أن يعتزل العمل فى الجامعة ..

بدات رحلته مع اللغة العربية عندما اجتذبته شخصية الدكتور طه حسين ورأى فيه مثله الاعلى .. ظهرت موهبة الشعر عنده مبكرة وقت ان كان تلميذا فى المرحلة الثانوية بمدارس الاسكندرية .

من انتاجه الادبى: الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى ، والحب المثالى عند العرب ، وحياة الشعر فى الكوفة ، وتاريخ الشعر فى العصر الاسلامى ، ودراسات فى الشعر العباسى ، وكتاب من مناهج البحث الادبى ، ويقوم الآن بكتابة قصة الشعر العربى ، حيث يدرس تاريخ الشعر العربى فى صورة قصة .. الى جانب ذلك ، له ديوان شعر باسم «نداء القمم» ويعد لاصدار ديوان جديد باسم « مواقع النجوم » .. ●

سألته فى البداية :

هل تتفق مع الذين يقولون بان هناك ازمة فكرية وتدهورا ثقافيا ، وما هى اسباب ذلك فى نظرك ؟!

قال : لاشك أن هناك ازمة ثقافية ، تعانى منها مصر ، والعالم العربى وترجع الى اسباب كثيرة ، ربما اهمها :

١ ـ انقطاع الصلة بيننا وبين الحركة الثقافية فى أوروبا ، وامريكا ، والعالم الخارجى عموما بسبب ظروف الحرب التى شغلت الناس فترة طويلة ، مما جعل صلتنا بهذه الثقافات شبه منقطع .

٢ ـ سرعة ايقاع الحياة من حولنا ، والتى جعلت الناس تقبل على الثقافة السريعة الميسرة لهم فى وسائل الاعلام ، بدلا من الوقوف المتأنى امام الثقافات العميقة فى مصادرها الاصيلة .

٣ ـ اسلوب التعليم فى مدارسنا وجامعاتنا ، لا يشجع ولا يدفع على الاتصال بما تتيحه الثقافات الاجنبية ، فى اصولها وفى ترجماتها .. فضعف مستوى اللغات الاجنبية ، واللغة العربية ، وركود حركة الترجمة ـ فالترجمة فى العصر العباسى كانت مزدهرة الى درجة ان نقلوا الثقافة الفارسية ، واليونانية ، والهندية ، واتصلوا بكل الثقافات التى كانت موجودة فى عصرهم سواء اكانت « وافدة ، ام محلية » .

٤ ـ وسائل النشر ليست متاحة لكل مثقف ، لكى يرى انتاجه النور ، وليست متاحة على المستوى الجماهيرى لكل الشعب .

قلت له : هذا يجرنا الى الحديث عن الفكر المستورد وغير المستورد ، مارأيك فى هذه العبارة ، وكيف يكون الفكر مستوردا ، ومتى لايكون كذلك ؟!



د . يوسف خليف

قال : لا اعتقد أن هناك شيئا يسمى فكر مستورد ، لان الفكر نشـــاط انسانى ، يشترك فيه الناس جميعا ، ومن حق كل انسان أن يتصل بكل اتجاهات الفكر الانسانى ، لتتكون شخصيته الثقافية ، ثم من خلال عملية انتخاب واعية يأخذ ما يصلح له ، ويدع ما لا يصلح له .

فالفكر المحلى والمستورد ، يستويان فى الموقف ، اتجاهات متباينة من الضرورى أن يتصل بها الانسان ، ليعرفها ثم يبدأ فى عملية الاختيار .

● باعتبارك استاذا للادب العربى القديم ورئيسا لقسم اللغة العربية ، هل انت راض عن مستوى اللغة العربية .؟ واذا لم تكن فما هى العيوب الرئيسية ، وماهو العلاج فى نظرك ؟

ـ هناك أزمة فى اللغة العربية ، ومن ثم فأنا غير راض عن هذا المستوى وترجع الازمة الى أسباب كثيرة . .

من البداية لابد أن نميز بين مجالين :

اولا : اللغة العربية كلغة تدرس .

ثانيا : اللغة العربية كلغة حديث للشعب كله فى الحياة العادية .

فى المجال الاول : اعتقد ان العامل الاساسى ، يرجع الى أسلوب التدريس بداية من مراحل التعليم العام وانتهاء بالمرحلة الجامعية ، وهذا الضعف يرجع الى المدرس القائم على التدريس ، والكتاب المدرسى المقرر .

من ناحية المدرس ، فان اعداد المدرس يقودنا للحديث عن أسلوب تدريس اللغة العربية فى مرحلة التخصص فى الجامعات ، وهى تعانى من مشكلة الاعداد الكبيرة ، هذا التضخم لايتيح الفرصة للاستاذ لكى يتصل بطلابه ، اتصالا قريبا موجها ومرشدا ، ورفيقا لهم فى حياتهم الجامعية .

وأيضا لايتيح للطلبة الفرصة للاتصال بالمكتبة ، التى تشكل عنصرا أساسيا ، فى الحياة الجامعية ، يضاف الى هذا أن الكتاب المدرسى لا يقدم للطلبة بالصورة

التي تحقق الهدف ، من تدريس اللغة العربية ، في مراحل التعليم العام .

فالتركيز على القواعد النظرية من ناحية ، واختيار نصوص أدبية بعيدة عن أذواق التلاميذ في هذه المرحلة ، وبعيدة عن ذوق العصر حولهم ـ من ناحية أخرى ، تجعل الكتاب المدرسي يبدو وكأنه لا يدرك الهدف من تدريس اللغة العربية ، في هذه المرحلة . لأن الهدف في هذه المرحلة ، ليس التخصص في اللغة العربية حتى نحشد في أذهان التلاميذ كل مانستطيع حشده من قواعد نظرية ، ونماذج أدبية لا تلائم ذوقهم ، ولا ذوق العصر من حولهم ، وانما الهدف هو خلق التلميذ الذى يستطيع انيقرأ اللغة العربية قراءة سليمة ، ويكتب الجملة العربية الصحيحة . ثم ترغيب التلاميذ في هذه المرحلة المبكرة ، في اللغة العربية .

ولذلك أعتقد أنه من الضروري تخفيف الجانب النظري في دراسة قواعد النحو العربي ، وتخفيف النماذج الأدبية البعيدة عن ذوق العصر ، وتراثنا ضخم ، ورصيدنا منه رصيد ثري ، وتاريخ الأدب العربي يمتد أكثر من خمسة عشر قرنا ، وفيه نماذج كثيرة جدا تصلح لعرضها على دارسي اللغة العربية في عصرنا الحديث .

غاية ماني الامر أن المسألة تحتاج الى عملية اختيار دقيقة .. وعملية عرض سليمة تحقق الهدف من هذه الدراسة ، ونتيجة هذا ، أن الطالب ينتهي من مرحلة التعليم العام وقد استقر في أعماقه أن اللغة العربية لغة أثرية غريبة عليه . فيستشعر الغربة ازاءها مع أنها في حقيقة أمرها هي اللغة نفسها التي يتكلمها في حياته العادية ، مع تغير لغوي أصابها ، ولكنه تغير لم يتحول بها الى لغة أخرى .

في المجال الثاني ، وهو اللغة العربية كلغة حديث في الحياة العامة .. فالمسألة ترجع الى أن محاولة فرض اللغة الفصحى بكل قواعدها وقوانينها اللغوية على أسلوب الحياة العامة يبدو أمرا غير طبيعي . كما أن التمسك باللغة العامية يبدو أيضا عاملا آخر على احساس الناس بغربة اللغة العربية عليهم .

ومن هنا أرى أنه لابد من العمل على ظهور اللغة الثالثة ، وهي اللغة التي تتوسط بين الفصحى والعامية لتكون لغة الحياة العامة ، على الاقل في وسائل الاعلام المختلفة ، وهي وسائل تتحمل مسئولية كبيرة في خلق هذه اللغة الثالثة وتحويلها الى لغة لا يجد الشعب مشقة في الحديث بها .

قلت للدكتور يوسف خليف : هذا عن اللغة بصفة عامة في مرحلة التعليم العام ، فمن المسئول عن شباب الجامعة الذى لايعرف كتابة اللغة العربية وماهو العلاج ؟!

قال : في مرحلة التعليم الجامعي المشكلة ترجع الى أن أقسام اللغة العربية في الجامعات ، نظرا للعجز في مدرسي اللغة العربية ، تقبل الطلاب بها بدون شروط ، بل أحيانا تفرض هذه الاقسام على بعض الطلاب الذين لا يقبلون في أقسام أخرى .

فكانت النتيجة أن نوعيات كثيرة غير صالحة لدراسة اللغة العربية دخلت هذه الاقسام ، وساعدت الحوافز المادية التي قررتها الجامعات لطلاب أقسام اللغة العربية على أن تجتذب طلابا ليس لديهم الاستعداد لدراسة اللغة ، مما نتج



د . يوسف خليف في مكتبته الخاصة

عنه ضعف المستوى العام في هذه الاقسام .. مما أدى الى :

١ ــ قلة الذين يتخرجون فى هذه الاقسام ، بسبب محاولات التصفية لهم على مدار السنوات الاربع .

٢ ــ ضعف مستوى الخريج الذى سيعهد اليه بتدريس اللغة العربية فى المدارس .

والحقيقة التى يؤسف لها ان طائفة من خريجى هذه الاقسام انصاف متعلمين، لم يصلوا الى المستوى الذى نريده لهم ، والعلاج فى رأيى يتجه الى جانبين :

اولا : علاج البداية فى مرحلة التعليم العام .

ثانيا : وضع شروط للقبول بأقسام اللغة العربية تبعد عنها من لا يصلح لها ... كاشتراط مجموع معين او نسبة فى درجة اللغة العربية واللغات الاجنبية فى الثانوية العامة .

● نعود مرة اخرى الى الانتاج الادبى ، هل انت راض عن مستوى الانتاج الادبى ؟ ولماذا ؟

ــ لاشك ان هناك نهضة ملحوظة فى الحياة الادبية ، ولكنها نهضة لم تصل الى الدرجة التى نتمناها لها ، فهناك انتاج كثير ، ولكن الممتاز منه قليل ، وهى نهضة تحاول تحقيق تجديد فى حياتنا الادبية ، ولكنها لم تستطع ان تصل به الآن الى صورته المستقرة ، المتكاملة . فاذا قارنا النهضة المعاصرة بنهضة الحياة الادبية فى الجيل الماضى لادركنا ان نهضتنا لم تستطع على الرغم من كل محاولاتها ، أن تصل الى المستوى الممتاز الذى حققته الحياة الادبية ، على أيدى جيل العمالقة الماضى .

هناك محاولات كثيرة الآن لم تحقق الصورة التى كنا ننتظرها من ورائها . وببساطة ، لماذا لم يظهر شوقى جديد ؟! لماذا لم يظهر طه حسين وعقاد جديدان ؟!

اعتقد ان السبب يرجع الى اننا نمر فى مرحلة انتقال او تطور ادبى بين المدارس التقليدية ، والمحاولة التجديدية ، ومازلنا حتى الان فى مفترق الطرق لم نستقر على مدارس جديدة متكاملة فى مذاهبها الادبية ، ولم نواصل الطريق الذى بداه الجيل الماضى فى كل مذاهبه التقليدية . فكانت النتيجة ان

الارض الفنية تحركت تحت اقدامنا ، واصبحت ارضا غير مستقرة نقف عليها فيتجاذبنا تياران : تيار يشدنا الى القديم بجلاله وروعته ، وثباته ، وخلوده ... وتيار يشدنا الى الجديد ، ببريقه ، ولمعانه ، وطرافته .

والى أن تستقر الارض الفنية تحت أقدامنا ، ستظل حياتنا الادبية غير مستقرة . وغير واضحة المعالم ، وعلى سبيل المثال الشعر ، وفيه تتجلى هذه الظاهرة فى أقوى صورها . فالمدرسة الجديدة ، مدرسة الشعر الحر ، تحاول شق طريقها فى اندفاع متطرف ، يحاول الغاء القيم الطيبة التى استقرت لنا فى الشعر العربى عبر تاريخه الطويل ، ويحاول خلق قيم فنية جديدة لا ترتبط بالقيم الفنية القديمة التى لم تكتسب الخلود فى حياة شعرنا القديم الا لانها صالحة للبقاء ..

ومن هنا اعتقد أن المدرسة الجديدة ، اخطات الطريق الذى كان يجب أن يقوم على الانتفاع بكل ما استقر فى شعرنا القديم ، من تقاليد فنية ومقومات ثابتة تميز هذا الشعر بطابعها الخاص .

أما التجديد من فراغ ، أو من لا بداية ، فلا نتيجة له الا زعزعة الثقة بالتراث القديم ، وانصراف ناشئة الشعر من حوله ، وعدم الوصول الى معالم ثابتة محددة ، يقوم عليها هذا التجديد .

والنتيجة أن ناشئة الشعر فقدت الثقة بالتراث ولم تجد البديل الذى يستطيع أن يقف على قدمين ثابتتين ليعبر عن كل حاجات العصر ،وحاجات الانسان فيه . أما الفنون الادبية الاخرى ، كالمسرحية والرواية ، فلعلها أسعد حظا من الشعر ، واشد تمثيلا للحياة الادبية المعاصرة منه ، وذلك لان هذه الفنون جديدة على اللغة العربية ، وليس لها تراث عربى قديم ، يجعل الناس تعانى من هذا الازدواج بين القديم والجديد الذى نحسه فى مجال الشعر .

ومن الحق أن تجربة الشعر الجديد حديثة العهد ، وقصيرة العمر بحيث لا تستطيع الحكم عليها حكما دقيقا ، ولكن الاحظ انها بدأت بداية غير طبيعية وكأنها تحاول البقاء على غير أساس حين تلغى كل الثوابت والاصول ، التى قام عليها الشعر العربى .

وفى رأيى أن هذا الخطأ انما يظهر أكثر مايظهر فى الشعر الغنائى الذى استقرت له تقاليده عبر القرون المتطاولة وربما صلحت هذه التجربة الجديدة فى الشعر المسرحى أو الشعر القصصى وذلك لأن هذين اللونين من الشعر ليست لهما أصول قديمة .

قلت : دكتور يوسف ، انت تلميذ دكتور طه حسين وهو مثلك الاعلى .. فاين انتاجك الادبى من الرواية والمسرحية ؟

قال : اذكر ان الاستاذ احمد امين قال لى : اتمنى لك الا تشتغل بالجامعة حتى تتفرغ للابداع .. وقد صدقت نبوءته .

.. والحقيقة أن موهبتى الابداعية هى فى الشعر ، ومن هنا كان اقتصارى عليه ، ثم ان قلة ابداعى فى هذا المجال ترجع الى الحياة الجامعية ، وماتتطلبه من بحث اكاديمى يملأ على الانسان اكثر وقته . فالحياة الجامعية تستغرقنا وتجور الى حد بعيد على النشاط الفنى ..

● **وهل تقرأ للادباء الشبان ؟!**

ـ هناك كثيرون من الادباء الشبان يحاولون محاولات طيبة فى الشعر والقصة والرواية والمسرحية ، نرجو أن يظهر من بينهم من يصعد الى الصف

الاول ، ولكن المسألة تحتاج بصفة اساسية الى بذل مزيد من الجهد والقـراءة والثقافة . وتحتاج الى تشجيع من الدولة لنشر الانتاج الذى يبدعه هؤلاء الشبان .

وانا على صلة وثيقة بانتاج هؤلاء الادباء الشبان ، ولا أتردد فى تشجيع كل من أعتقد أن لديه موهبة تحقق له فى يوم من الايام مكانة ادبية مرموقة .. ولكنى الاحظ ان المحاولات الجديدة فى حياتنا الادبية بما تتسم به من سهولة وسرعة اغرت كثيرا من الدخلاء على الدخول فى ميدان هذه الحياة .

● دكتور يوسف ، انت لست بعيدا عن مجمع اللغة العربية ، فهل انت راض عن دوره ، ولماذا يخلو من امثال توفيق الحكيم ونجيب محفوظ كمـا لا يوجد بينهم مؤرخ ؟!

ـ مجمع اللغة العربية أسس وله رسالة محددة ، وهى تحقيق ما يربط اللغة العربية بتطور العصر ، على أساس لغوى سليم ، وهذه الرسالة رسـالة جليلة ومقدسة وتتمنى أن ينجح المجمع فى تحقيقهـا ، ولكنى الاحظ أن المجمـع لايزال يعيش فى شبه عزلة عن حياتنا العامة . ولم ينجح حتى الان فى أن يدخل هذه الحياة بصورة فعالة ، كما الاحظ شيئا من البطء فى حركة المجمع كانت نتيجته أن بعض مشروعات المجمع استغرقت سنوات طويلة فى انجـازها . مثلا :

المعجم الوسيط ، وهو معجم كما يدل عليه اسمه ، متوسـط صدر فى جزءين ، ولكن بعد عمل استمر من سنة ٣٦ الى سنة ٦٦ ، اى اكثر من ثلاثين سنة .. وعلى هذا القياس فما الزمن الذى يحتاجه اصدار المعجم الكبير ، الذى بدأ فيه المجمع منذ سنوات بعيدة .

واعتقد ان المجمع يجب ان يتسع برسالته ، لكى يدخل فى مجالات الحيـاة المختلفة . مجالات الاعلام والتعليم والحياة العامة . ولا يقف دوره فى الدائرة الاكاديمية البحتة المحدودة .

ومن هنا أعتقد أنه من الضرورى ، أن يتسع المجمع لطوائف اخرى من العلماء المتخصصين ، فى مجالات العلوم المختلفة .. وأن يبذل جهدا كبيرا فى محاولات تيسير النحو العربى ، لان النحو العربى بصورته التى وصلت الينا من النحـاة القدماء ، يمثل مشكلة وثيقة الصلة بازمة اللغة العربية ، التى نشكو منهـا الان . وفى المجمع الان محاولات لتيسير النحو العربى ، واتمنى ان يفرغ المجمع منها قريبا ، وأن نرى آثارها فى حياة اللغة العربية المعاصرة .

قلت له : دكتور يوسف خليف شاعر له دراسـات عديدة عن الشعر فى عصوره المختلفة ، فهل يوجد شعراء جدد . وهل قام نقاد الادب والشـعر بدورهم نحو هؤلاء الشعراء ؟!

قال : فى الساحة الفنية شعراء كثيرون ، ومن بينهم شعراء استطاعوا ان يحققوا لهم دورا فى الحياة الادبية ، ولكن الشاعر العبقرى الذى يمثل قيمة فنية ، لم يظهر حتى الان .

كما ان هناك حركة نقدية واسعة ، يتحرك فيها نقاد كثيرون ، ولكن بصـفة عامة اكثر النقاد يتحركون من منطلق شخصى وليست هناك مذاهب محـددة ينطلق منها هؤلاء النقاد . وبصفة عامة فحركة النقد الادبى فى حياتنا المعاصرة تدور او تتجه الى الانطباعية الشخصية ، ولا تدور فى دائرة مذاهب نقـدية محددة المعالم والاتجاهات .

فلسفة الحب
عند إبن أبى ربيعة ..

● د. عبدالفتاح الديدى ●

● يلعب الفن دورا أساسيا فى حياة الانسان العربى . والانسان العربى هو ذلك الذى عاش فى هذه المنطقة منذ آلاف السنين وما لبث يعيش بين ربوعها . وظل تفكيره على مدى كل هذه العصور والازمات وثيق الصلة بمعنى الفن .. وقد صادف أن ظلت حضارة العربى ذات طابع شفوى يجعلها دائما قريبة من ينابيع البدائية ويصبغها بصبغة خاصة فى تطلعها الى المعرفة والحساسية الجمالية . فالحضارة التى تصبح عريقة مع استمرار بدائيتها تخلق الفن من أبسط الاشياء وتحيله الى عبادة .. واللغة تظل قريبة من انغام التصاوير فى الكهوف ، ووسائل التعبير تكتسى موسيقية باطنية مضمرة ، وتنحصر جماليات كل شىء فى القول وفنونه البديعة . ويصبح الكلام محورا ظاهريا لمعنويات الحياة بكل ضروب الجدية والتعامل ، وبكل أساليب الرقة والمرح والدعابة. ويحتل الاهتمام بمنافذ المتعة اللفظية مكانته عند فاقد البصر . فاذا بالكلمة تحيى وتميت ، واذا بالكلمة شرف ووعيد ، وتؤدى فى حد ذاتها الى كل سعادة يعرفها الانسان .

واستمرت الحضارة العربية السابقة على الاسلام تحاول الاحتفاظ بكل المعارف والتواريخ والاحداث فى قالب لغوى يخدم غرضها فى نقل التراث الحضارى بدون تدوين واسع وبدون تسجيل فنى محدد الوسائل والاساليب والادوات . فاعتمدت على النقل الشفوى قرونا طويلة ، وأصبح هذا النقل من عصر الى عصر طابعا أساسيا جوهريا اعتمدوا كل الوسائل التى تضمن بقاءه وخصصوا له النقلة والرواة والعارفين والشعراء . وأصبحت صدور الناس سجلا حافلا بكل جزئيات الفن الكلامى وبكل ذكريات أصحابه .

ولم تتخلص الجزيرة العربية من هذا الطابع الحضارى الشفوى الا بنزول القرآن الكريم الذى دفع باتجاه هذه الحضارة الى منحى التسجيل والتدوين . ولكن على الرغم من ذلك بقيت خصائص عربية قديمة سائدة فى المجتمعات الضيقة ، وظلت بعض هذه المظاهر الفنية الشفوية قائما .

وقد اقترن الابداع الفني الكلامي بعد الاسلام بشيء من الاحساس بالخطيئة . ولكن القرآن الكريم أكد أن الله قد تبارك بوصفه أحسن الخالقين . وابداعه سبحانه وتعالى هو أرفع أنواع الابداع بالنسبة طبعا الى ما يبدعه البشر . وكأن ابداع البشر اذن أمر مسلم به . كذلك خص القرآن الكريم الشعر بأنه صناعة غير مرتبطة بالواقع الفعلي لانه صناعة من يهيمون بدون التزام بالواقع . فهو تهويم خالص ، كل خطيئته انه من قبيل صناعة السحر بالكلام وهي « خطيئة » حضارة بأسرها

ووصف اشبنجلر حضارة العرب بأنها حضارة سحرية . وتلك خاصية الفن الاصيل الذى يريد أن يبلغ باتقانه درجة السحر ..

ولذلك سمحت ظروف الاسلام فى القرن الاول للهجرة بأن يظهر شاعرنا عمر ابن أبى ربيعة لانه يحمل حلاوة الفن الذى تذوقه العرب أجيـالا وأجيـالا كترويح لا ينتهى فى هدأة الليل بعد قسوة الحر وشظف الحياة نهارا .

وليس الغزل بالذات الا صورة من صور هذا الفن الذى يقبل عـلى مجالس الناس بالليل فيملأ قلوبهم طربا وأنسا . والغزل أقرب شيء الى طبيعة الانسان العربى الذى يحرص على تعويض ما فاته من الأنس فى الصحراء الموحشة . والغزل فى الحياة العربية حاجة من حاجات الانسان فيها لا يفرغ ولا يشبع منها كما قال العقاد . بل يكون شعر الشاعر الواحد فى التعبير عن هذه الحاجة اقل من ان يفى بها وهى تعم بنيه وبناته وتشغل كل متحدثيه ومتحدثاته .

واشار العقاد (شاعر الغزل ص ٢٢) الى انهم كانوا يحسون حاجتهم الى مثل ذلك الشاعر ويبوحون فى كلامهم بانهـم يحسونها ويفتقدونها .

وذاك أكبر دليل على فنية الاحساس العربى الاصيل .

وعمر بن أبى ربيعة لم يشأ أن يقول الا القليل جدا فى الغـــزل والتشبيب . ومعظم أشعاره بعد ذلك تحليل لأحداث الحب وطبيعة أسرار الأنثى وأعمق دلالات الحياة الانسانية التى تجمع بين الرجل والمرأة .

ولم يعرف عمر بن أبى ربيعة سوى نوعيات رفيعة من النساء . فهو لم يتعامل مع المرأة من أوساط الغانيات وانما تعامل مع الحرائر وبنات الاسر . وتعرف على حب المرأة الصادق الذى لم يكن مقصودا الا لذاته . وليس أسهل اليوم على الشاب من أن يجالس رفيقاته من بين زميلاته أو قريباته . ولكن الحياة الاسلامية فى صدر الاســلام الأول كانت تفرض نفسها وتبيح ذلك من أجل الفن الشعرى على الرغم من ذلك . واشتهر ابن أبى ربيعة بأن فنه الشعرى كان ممارسة لصناعة

لا علاقة لها بما جرى له في حياته . ولذلك كان شعره يمثل جانبا فنيا خالصا خاليا من صدام المجتمع . أو على حد تعبيره :

اني امرؤ مولع بالحسن اتبعه   لا حظ لي منه الا لذة النظر

ولم ترد المطارحات الغرامية داخل اشعاره الا كمناسبة للاداء الفني الذي اراد تسجيله ..

ويحسن هنا أن نلاحظ أن العديد من الالفاظ الواردة في شعر عمر بن ابي ربيعة مما نحسبه اليوم كلفا بالعبارات المفضوحة هو من قبيل المسميات اللغوية المعتادة في كلام وأوصاف ذلك العصر . مثال ذلك قوله « ناهدة الثديين » فهو تعبير لتحديد السن . ولغة العصر أيام ابن أبي ربيعة كانت تستعير الكثير من أوصاف الحيوان .

وترنو بعينيها الى كما رنا ...   الى ربرب وسط الخميلة جؤذر !

ويعمد شاعرنا الى تحليل الطبيعة الانسانية في العشق فيقول :

لا تجعلن احدا عليك اذا   احببته وهويته ـ ربا ..
وصل الحبيب اذا شغفت به   واطو الزيارة دونه غبا !
فلذاك احسن من مواظبة   ليست تزيدك عنده قربا !
لا بل يملك عند دعوته   فيقول اف ... وطالما لبى !

والحب في نظر شاعرنا هو أن يعشق الانسان فتاة وأن يكون في الوقت نفسه موضوعا لعشقها . ولا يمل تكرار هذا المعنى في أشعاره التي تمتلىء بالحوار الموحي بدلالة العشق الاصيل . وتكتمل له معاني الرجولة الكاملة في تعلقه بالانثى فلا يبدي اللوعة والوله كانسان عاشق محروم من التجاوب الحقيقي .. والحب عنده يزيد من احساسه بالغير ويعمق مشاعر الغير نحوه . فليس هو طرفا في علاقة غرام بدون طرف مقابل . ولا يبخس حقيقة قدره في الحب ويجعل من الحب نغما طائرا يرفرف على مقلتي عاشقين .

بنفسي من شفني حبه   ومن حبه باطن ظاهر !
ومن لست اصبر عن ذكره   ولا هو عن ذكرنا صابر
ومن ان ذكرنا جرى دمعه   ودمعي لذكرى له مائر !
ومن اعرف الود في وجهه   ويعرف ودى له الناظر !

والحب عنده للثريا ولهند ولغيرهما من النساء ليس تهالكا على الحب بقدر ما هو تأمل لانواع العلاقات القائمة على التآلف لتكون أعمق في الشعور ولتكون اكثر دلالة على حواس الانسان في تعلقه بالغير وارتباطه بحياة الاخر . فالمحب يتمسك بمحبوبه ويود لو يغمر حواسه بكل مشاعر المحبوب وأن يخلق لنفسه مأوى آمنا في احساس المحبوب وان خلت مغامراته من أي معنى من معاني الامان . والايواء الامن هدف يحرص عليه المحب كأنه ارتباط بقدر معين في مواجهة كل الوان الاستجابة للعشق الدفين وكأنه التماس لامان طبيعي في زوايا النسيان وفي زوايا الاركان الهادئة التي يطمئن اليها الحيوان . ولذلك لا يخامره الشك

فى ان الحب الذى يضمره فى قلبه يتوزع على كل الكائنات الحية وعلى الدواب التى يستخدمها فى الانتقال والحركة . فالحيوان يحمل أثرا من آثار الحب الذى ينبع من وجدانه . ولهذا يقول عمر بن ابى ربيعة :

خليلى ما بال المطـايا كأنمـــا ... نراها على الادبار بالقوم تنكص
وقد قطعت اعناقهن صــــبابة ... فأنفسنا مما يلاقين شـــخص
وقد اتعب الحادى سراهن وانتحى ... بهن فما يألو عجـــول مقلص
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنـــا ... اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ومن هنا ارتبط شاعرنا بعالم المحسوس كأنه مصور غارق فى لغة الالـــوان والطعوم والحركات . وحسية ابن ابى ربيعـة ستظل نمطا فريدا فى الشـــعر العربى لانهاترتبط بالاشياء وبالخصائص وبالصفات ارتباطا قريبا كلفا ممعنا . فامرأته تتوف على الغصن الرطيب بريقها . وهى ترتاع وتفزع . وهى مثله تميل الى الستر كما أنه يضع غطاء على هواه . والاحداق كأنها أحداق المها والجآذر . وهو يلثم فاها آخذا بغدائرها فكأنه الشراب المبرد من الماء فى فم الظمآن . وفمها عذب اللثات لذيذ طعم المشرب . ويرى النساء كالتماثيل التى موهت بالذهب .

واخبروا فتاته انه قد تزوج فاذا بها تخفى غضبها اول الامر :

... فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لاختهـــا ولاخـرى ... جزعا ... ليته تزوج عشرا
وأشارت الى نســاء لديها ... لا ترى دونهن للسر ســترا
ما لقلبى كأنه ليس منى .. ... وعظامى اخال فيهـــن فترا
من حديث نما الى فظيــــع ... خلف فى القلب من تلظيه جمرا

ومن المؤكد ان فلسفة الحب عند عمر بن ابى ربيعة تمثل موقفا فنيا أصيلا فى كيان الانسان العربى . واستطاع هذا الفن الاصيل أن يجد سبيله الى الظهور خلال لغة الشاعر الاسلامى . فاذا بالتراث الحضارى يزدان بعمق حسى ضرورى للموازنة مع التجريد ولاعطاء حياة الانسان نوعا من البهجة اللازمة للكائن الحى . واستطاع شاعرنا أن يتلمس فنه فى فلسفة حسية تمثل خواطر الانسان الخفية كمطلب ملازم للوجدان الحضارى الذى يعايش الناس فى حياتهم اليومية ويضطرب ويهتز لكل خلجات الفــن القابع فى ضمير الشـــاعر والمصور والمثـال وعازف الموسيقى ..

وهنا استطاع وجدان الشاعر أن يحل محل الصورة والنغم وان يغطى ارض الفنون بالنتاج الذى يعوض ابناء الحضارة ما قد يكون فى معزل عــن الظــروف القائمة لسبب او لآخر الى ان يحين الحين وتعمر قلب الانسان ثقافة عميقة ممتــدة الى كل الفنون التى يحتاج اليها الانسان احتياجا حقيقيا فى حيـــاته كانسان . ولذلك ففلسفة الحب عند عمــر بن ابى ربيعة هى محاولة البرهنة على الفن ذاته قبل كل شىء .

معنى الحياة

من معاني الحياة ، في راينا ، الحرية ، والعمل ، والكرامة والكسب الشريف ، واحترام الاخرين ...

ليست الحياة فقط مالاولامتاعا ... انما هي مع الحرية راس مرفوع وتقدير للقيم والفضائل.

والسؤال هنا ، ماهو، في رايك معنى الحياة ؟

● تحقيق : عادل عبد الصمد ●

في نور الفكر الإسلامي

● د. احمد شلبي ●



● في تقديري ان الحياة ، كما هو معروف ، قصيرة العمر . ويتحتم على الانسان ان يستفيد بتجارب الاخرين بعد دراستها ، ثم يبدا في اخذ اهم العناصر التي ثبتت صحتها،ثم يبدا جولته باضافة بعض العناصر الجديدة التي ترتبط بجهده وعمله وبدينه ووطنه ..

اما بالنسبة لي استطعت ان افكر في كل الدراسات التي ترتبط بعملي ، وان اضيف اليها ما يحقق معنى الحياة وبذلك فالحياة عندي ليست الا اضافة لما بحثه السابقون وكتبوه فيما يرتبط بالتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ومقارنة الاديان .. ومن هنا كانت حياتي جهداً في هذا الميدان .

وربما كنت صادقا كل الصدق حينما اقرر أن معنى الحياة عندي يجري في هذا النطاق لأضيف كل يوم ما استطيع

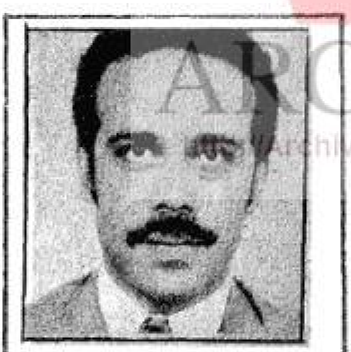
اضافته فى تحقيق هذا الهدف ، وهو تصحيح التاريخ الاسلامى ، والسير به الى عهدنا الحاضر ، وازالة الوان من الضباب دخلت عليه على مر القرون .. ثم بعث الحياة فى الحضارة الاسلامية التى اوشكت ان تختفى او اختفت فعلا فلم يتبق منها الا مظاهر شاحبة ، كما يقال عن قصر الحمراء بغرناطة ، والمسجد الاموى بدمشق ، وليست هذه الاشياء وامثالها الا جانبا قليلا من الحضارة العمرانية التى عرفها الاسلام ، اما الحضارة الاسلامية الحقيقية التى بذلت العمر فى كتابتها فهى شطر من حياتى ، سواء كانت حضارة اصيلة او تجريبية ،ويمثل علم مقارنة الاديان جانبا من جوانب المثلث الذى عنيت برسمه وابرازه ..

وفى حدود معرفة علم الحضارة الاسلامية على حقيقته وعلم مقارنة الاديان على اصوله الثابتة ، تبرز معان اخرى للحياة عندى هى الحب، والتعاون وحسن اداء العمل ، وجميع القيم التى تحدثت عنها الحضارة الاسلامية لتنقل الانسان من الكلام الى الواقع ، فان الملاحظ ان هناك مفارقات كبيرة بين الدراسات الاسلامية من جانب ، وبين واقع حياة المسلمين من جانب آخر .

ومعنى الحياة عندى كمصرى مسلم ان نجعل الفكر الاسلامى كما جعله الله دستورا للحياة ، وان تسير اخلاقنا فى ضوء نوره ووفق تعليماته ..

إلى الأمام وإلى أعلى

• د. مصطفى الجندى •



معنى الحياة بالنسبة لى هو التطور .. هو الحركة المستمرة الى الامام .. الى اعلى .. ان الحياة تنتهى بالموت .. والموت هو الجمود والتوقف بمقاييسنا الحيوية المعتادة ، ومن ثم فالحياة هى الحركة الدائبة ، حركة الجزيئات فى المركبات،وحركة المركبات فى الخلايا ، والخلايا فى الانسجة ، وهكذا تدرجا حتى حركة المجرات فى الكون العظيم .. وهى دائما حركة تبغى ايصال المتحرك الىالاتزان الكامل ..وهكذا يملؤنى الاحساس بان معنى الحياة هو الرقى والتطور .. هو ان تحس فى يومك انك قد ارتقيت عن امسك ... وانك اليوم اقدر على خدمة الاخرين ، وعلى فعل شيء يجعل

الحياة للجميع .. افضل وايسر ..

ان الحياة تبلغ اصدق وأعمق معانيها عندما يجرى فى دمائنا الاحساس الصادق بان الحياة رسالة قدسية ، واننا نحيا لنؤديها .

ولعل اجمل مثال لمعنى الحياة ، هو مثال الطيور .. تلك المخلوقات البريئة التى ترسل غناءها العذب كل يوم منذ آلاف السنين لتملأ القلوب نشوة والارواح سعادة ، بدون ان تلقى ابدا تصفيقة اعجاب ، او صيحة ثناء .

رضى النفس أولا..

● د. محمد عبد المنعم خفاجى ●



ان الحياة مجموعة من التجارب العميقة التى يعيشها الانسان ويخوض تيارها الهادىء حينا والصاخب حينا آخر ، وبقدر صخب هذا التيار تكون الحياة أعمق ، وتكون التجارب اكثر فائدة لصاحب العقل والروح والمشاعر والوجدان .

وليست الحياة اياما تمر بقدر مايودع الانسان الحي صفته وشخصيته وذاته فى هذه الايام ، وعندما يصادف الانسان النجاح يكون معنى ذلك ان تجاربه كانت اكثر واقعية ، وعندما يمنى بالفشل يكون واقع الحياة بعيدا عن صدى تفكيره واحلامه .

وعندما أتحدث من صدى تجاربى فى الحياة اقول :

لقد عشت الحياة فى القرية والمدينة ... من القرية تعلمت بساطتها وصدقها والابتسامة الحلوة فيها ، وفى المدينة لابد لابن الريف أن يشعر بالغربة وأحشاء المدينة تحتويه بكل ثقلها ، ومن ثم فان فرص النجاح المواتية لابن الريف فى المدينة لا تجىء الا بعد وقت طويل من التجارب .

ولقد كانت لى كثير من التساؤلات من الحياة ومن مكانى فيها . فتساءلت عن بلدى فعشت مع تاريخها وحضارتها أعواما طوالا ، وتساءلت عن نفسى من أين جئت والى أين انتهى ، فعشت أبحث عن انساب قومى أو قبيلتى عشرين عاما ... ثم تساءلت عن مكانى بين أدباء عصرى فاضطررت ان اعيش معهم باحثا ودارسا وكاتبا ، فخرجت من كل ذلك بنتيجة بسيطة جدا .. وهى أن الانسان هو ابن الحياة ، اما الانسان صانع الحياة فهم القلة من الناس أو العبقريون الذين استطاعوا أن يحالفوا الحظ و « مايكل هارد » عندما كتب كتابه « الخالدون مائة » بلغ فيما كتب نهاية ما يمكن ان يسأل الانسان عنه ، وما اندر صناع الحياة

وما أكثر الذين تصنعهم الحيـــاة ..
ومن جانب آخر فقد عشت مع تراث كل روادنا الكبار من اعلام النهضـــة راضيا حينا ، وساخطا حينـا آخر ، ولكن رضاى او سخطى هو محصـــلة دروس كبيرة تلقيتها عمن رضيت عنهم او سخطت عليهم كللــــك فى الوقت نفسه .

ومن هذه الاشياء كلهـــا كان مزاج حياتي ، ولا ادرى اهو النجـــاح أم الفشـــل . وعلى اى حال فان أحب الاشياء الى نفسى أن أكون راضـيا عن نفسى اولا ، وبعد ذلك تهـون كـــل الاشياء ..

فى ضوء الإيمان الغامر

• د. محمد كمال جعفر •



انني لا اتصور ان يوجد للحياة معنى اذا فقد الانسان عنصر الايمان بالله خلق هذه الحياة على النحو الذى نراه .. فبدون هذا الايمان تبدو لي الحياة سائرة لغير هدف ولغير جدوى ، اذ ما قيمة حياة محدودة بايام او سنين معدودة ياتي بعدها الصمت الرهيب .. صمت العدم والفناء ؟ .

أما الايمان فانه يضيء لى أحـــرف كلمة الحياة فى هذا العالم ، اذ يعلمنى أن نظام هذه الحياة على ما هى عليـــه نظام مقصود لغاية محددة . لقد جمع هذا النظام بين المتناقضات : بين الفرح والترح ، بين اللذة والالم ، بين الورد والشوك ، بين الصـــحة والمرض ، بين الفقر والغنى ، بين البسمة والدمعة .. وهذا النظام هو ما يمكن الانسان من اظهار مواهبه وملكاته وأخلاقه باعتبارها ردود افعال لما حوله من أحـــداث وظروف .

ان معنى الحياة بالنسبة لى فى ضوء هذا الايمان هو تمكينى من بناء حياتى المستقبلة الحقة الدائمـــة ، من الآن . واقامة هذا البناء ليكون شـــامخا فى الحياة الأخـــرة لابد أن يعتمـــد عـــلى رصيد هائل من النبل والخير والشرف والكفاح والاحسان الى كل ما هو حولى والى كل من هو حولى .

ان معنى الحياة لدي يزداد حسنا حين أعلم انني ارتقى فى المعاملة والفكر والسلوك حتى اكون مرآة مجلوة للكمال الانسانى الذى يتشبه دائما بمكـــارم الله .

واذا كان هناك من يرى معنى الحياة فى الحب او فى النغمة او فى التمتـــع بمحاسن الطبيعة او فى منـــاجاة الله ، فانني فى ضوء الايمان الغامر تجتمـــع لدى كل هذه المعانى . وحسبى انني اجد للحياة معنى ، على حين يفتقد الملحـــد اى معنى للحياة ..

تعاون أفضل وأشرف



● د. كمال ابو الخير ●

اذا اردنا ان نتعرف على معنى الحياة فاعتقد أنه ينبغي علينا ان نتلمس هذه المعرفة عن طريق الرجوع الى ما قاله خالق هذه الحياة وهو الله سبحانه وتعالى ، ومن هذا المنطلق فاننا اذا رجعنا الى سورة يونس نجد ان الله سبحانه وتعالى يقول :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

ولعل هذه الآية الكريمة تؤكد لنا وتبصرنا بما ينبغي علينا أن نتفهمه في معاملاتنا أثناء حياتنا ، وأن لا نغتر بزينة الدنيا وزخرفها، بل ينبغي علينا أن نعرف أن الدنيا هي دار ممر الى دار مقر ، وان دوام الحال من المحال.

ومن هذا المنطلق فانني اعتقد أن الحياة التى خلقها الله سبحانه وتعالى للجنس البشرى يمكن أن تحقق أهدافها بما فيها من قيم ومتع مشروعة – انما تتمثل في تعاون البشر على **أفضل صورة** وأشرف صورة .

ومما لا شك فيه أن التعاون أصل من أصول حياة الأمة العربية ، ونظمها الاجتماعية الراسخة ، فقد عرفه العرب وصوروه عقيدتهم القائمة على الايثار في صورة تكافل اجتماعي كان ولا يزال من أروع ما عرفه العالم عن العرب والعروبة . فالله سبحانه وتعالى يقول: **« وتعاونوا على البر والتقوى »** ، ويجمع الفقهاء على ان في تقديم « البر » على « التقوى » معنى رفيعا من معاني الحياة المتكاملة ، بل من أدب الحياة المتكاملة ، بل من أدب الحياة ونظمها في المعاملات والعبادات جميعا، اذ البر أشق من التقوى وأصعب ، فالبر خروج الشخص عن ذاته وانانيته الفردية ليسعى بالخير الى الآخرين ، والبر يضع ثمرة العمل الفردى الشريف وجهده الصادق المخلص في صالح الأهل أو العشيرة أو الأمة أو الوطن كله ، وذلك أوسع آيات البر واقربها الى معاني

الانسانية والخلود .

ومما لاشك فيه أن الاسلام فتحامام العقل طريق البحث العلمي المجرد من كل قيد ، وأن يتدبر الكون واحداثه ، وان يناقش الآراء ويفاضل بينهـا ، ويختـار منهـا ما يراه اقـرب الى الصواب ، واوفق الى العقل ،مهتديا في ذلك كله بقوله تعالى « **فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب** » .. وانا نجد في هـذه الاية الكريمة شيئا جـديدا في تاريخ العقل ، وخاصـة في تاريخ الديانات ، وهو انالذين يستمعون الآراء ويتبعون احسنها ، هم العقلاء وحـدهم دون غيرهم .

واخيرا فانني اذكر بقـول الله سبحانه وتعالى في سورة القصص :

« وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خـير وابقى ، افلا تعقلون » .. وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة الاعلى :

« بل تؤثرون الحياةالدنيا.والآخرة خير وأبقى »

صدق الله العظيم

إكتشاف أسمى المعـاني

• وفية خيري •



ارى الافراد كالشعوب تتميزوتتفاوت فيما بينها منحيث درجة الرقيوالتحضر بتفاوت واختلاف تفسيرها لمعنىالحياة وهدفها .

فمـن ينظر للحياة على انها مجرد سد لمطالب مادية محدودة واشـباع لرغبات حسية مختلفة فسيظل بحكم تفسيره هذا للحياة سجين هذه المطالب التافهة يشغل مركـزا أدنى من غيره في سلم التحضر والرقي .

أماهؤلاء الذين يتطلعون الى الحياة كهدف أسمى ينطوي فيما ينطوي مـن معان على حق الاستمتاع بالحيـاة واستجلاء غموضها والكشـف عن روائعها وكنوزها فهم يحتلون فيالحياة مرتبة الرواد الذين يأخذون بيد غيرهم نحو التطور والرقي .

فمن يعيش لكي يجلو بما وهبه الله من نعمة العقل والقلب غموض هـذا الكون كان أقدر من غيره على الاقتراب من صانع هذا الكون بما يلمسه من

بديع صنعه وإعجاز خلقه ، ومن ثم يكون اكثر من غيره ايمانا به واتباعا لمبادئه وتعاليمه التى ماوضعت الا لكى تنظم للبشر حياتهم .

قصة قرأتها وتركت فى نفسى اثرا واضحا، قصة طائر البحر الذى أبى أن يعيش حياة رفاقه متكالبا على أكوام القمامة يبحث فيها لنفسه مثلهم عن غذائه اليومى ناسيا او متناسيا ـ كما يفعلون ـ ان الله قد وهبه الأجنحة التى تمكنه من الطيران والتحليق فى أجواء عالية فوق الأرض . أبى طائر البحر هذا تلك الحياة المحدودة التى يعيشها رفاقه ، نطار مصفقا بأجنحته محلقا فى أجواء الفضاء يحدوه هدف أسمى ان يصل فى طيرانه الى ارتفاع لم يسجله غيره من طيور البحر ، وهو فى سبيل هذا الهدف الأسمى يتحمل متاعب الطيران فى أجواء لم يألفها بنو جنسه ومع ذلك فهو يواصل المحاولة حتى يتحقق له الهدف ويصل الى الارتفاع المنشود الذى يتيح له التعرف على عوالم جديدة لم يعرفها من قبل ، محققا لبنى جنسه بذلك مجالا يرفعهم الى مرتبة اسمى بين قائمة المخلوقات من حيث التحضر والرقى .

نحن شعب قاد العالم كله نحو النور فما وضعه أجدادنا من علوم انسانية ودينية كانت نبراسا لكل شعوب الارض فى سعيها نحو التحضر والرقى. فلنواصل دورنا الرائد هذا ، ولنرتفع فوق مطالب الحياة اليومية ، ولسوف نكتشف فى الحياة كنوزا وروائع ومعانى جديدة اسمى بكثير من هذه المطالب المادية ، فلهذا خلقنا .. ولهذا يجب أن نعود فالشعوب كالافراد لا يمكن أن تتحقق لها السعادة دون أن تكتشف نفسها ودورها فى الحياة ، وليس امامها ان هى قصرت فى ذلك سوى التخبط والضياع ومن ثم فقدان السعادة ومعنى الحياة

فى الإيمان أمن وأمان

● د. عبد الباسط حسن ●



لكل فرد حياته الخاصة ، ووجوده المتميز ، غير أن الحياة الانسانية لا ترتبط بفرد معين ، أو جماعة بذاتها ، وانما ترتبط بالنوع البشرى ككل ، ويظل وجودها قائما عبر المكان والزمان.

والحياة فى ذاتها ليس لها معنى ، وانما تكتسب معناها عن الانسان الذى يسبغ عليها ما يشاء من معان وقيم ومفاهيم وتصورات ...

ومن عجب ان الموت الذى يعتبر نهاية لحياة الانسان هو الذى يضفى

على الحياة قيمتها . فالحياة لا تعني شيئا اذا ظل وجود الانسان قائما الى ما لا نهاية . والموت هو الذي يشعر الانسان الفرد بقيمة الايام واللحظات التي يعيشها . ومن ثم تصبح الحاجة ماسة الى بذل الجهد،والسعي لتحقيق الاهداف التي يصبو الى تحقيقها في الحياة .

ولعلي استطيع أن أحدد فلسفتي في الحياة في جملة نقاط :

● الايمان الكامل بالله . فارادته تعلو على كل ارادة . ومشيئته فوق كل مشيئة . وقد حقق لي هذا الايمان نوعا من التوازن العقلي والوجداني ، ومنحني طاقات لا حدود لها في تحقيق ما أصبو اليه ، وفي التغلب على كثير من مشكلات الحياة .

وليس من شك فى ان الانسان المؤمن حينما يقف حائرا امام كثير من التساؤلات ، يجد فى كتاب الله ما يعجز تفكيره القاصر عن الاجابة عنه . حينئذ يعود اليه هدوء النفس، وراحة البال ، ويحس بالامن والامان والراحة والاطمئنان .

● الاعتقاد فى قيمة العلم وأهميته، وضرورة الاخذ بالاسلوب العلمي في التفكير . فانني أجد متعتي الكبرى في القراءة في كافة مجالات المعرفة .

● النظر الى العمل على انه مقياس القيمة الاجتماعية للانسان ولذلك فانني احترم العمل والعاملين . واقدس الوقت واحرص عليه واري ان الانسان لا يأخذ من الحياة الا بمقدار ما يعطي فعلى قدر العطاء يكون الجزاء .

● الثقة الكاملة بالنفس ، والتي لا تصل الى حد الغرور ، لان نجاح الانسان في الحياة رهن بثقته وايمانه بعمله .

● الاستفادة من تجارب الحياة والتعبير عن الرأي بحرية وصدق وموضوعية .

هذه بعض المبادىء التي اقمت عليها فلسفة حياتي ، والتي تبدو مثالية الى حد ما ، غير انني احاول الالتزام بها، والسير وفقا لها ، فاذا لم اوفق اليوم، فقد اوفق غدا ،وكل ما ارجوه أن يكون يومي خيرا من امسي، وأن يكون غدي خيرا من يومي .. ومادامت الحياة قائمة فليس هناك ما يمنع من تكرار المحاولة .

تلك اللحظات العظيمة

● صبري العسكري ●



● يصعب تحديد معنى الحياة ، لان الموضوع قديم قدم الحياة ذاتها ومنذ ان اكتشف الانسان معاني الاشياء واكتشف اللغة التي يعبر بها عن تلك المعاني ... فلابد ان معنى الحياة كان شاغله منذ البداية ، ومن هنا تكون صعوبة التعريف وكان الشخص يطالب

بأن يختصر كل ما قيل في هـذا الخصوص على مدار الأزمنة ليصبح قولا فصلا ، ولذلك فانني افضل الاقتراب من الموضوع بقدر الامكان دون محاصرته بصورة كلية او شاملة.

واول ما اعتقد فيه انه لابد للحياة من معنى بالضرورة فلا توجد حياة بلا معنى بالنسبة للانسان ، فاذا ما سلمنا بأن الانسان يتغير بتغير الأزمنة والحضارات والظروف فضلا عن تغير الملكات الشخصية ، فانه يتعين القول بأن معنى الحياة يختلف من شخص الى آخر .

وبالنسبة لي فانني اتصور أن الحياة تفقد معناها مالم يكن للانسان رسالة ، والا اصبحت الحياة مجرد وجود غير عاقل للانسان مما يهبطه الى درجة الكائنات الحية غير العاقلة .

والرسالة عند الانسان لا يشترط فيها شكل أو مضمون معين ، غير أن رسالة الانسان في الحياة من الممكن أن تبقى اذا ما استهدفت صالح الانسان اينما كان وفي اي زمان أو مكان هو .

والرسالة بهذا المعنى نستطيع أن نتعرف عليها فيما قدم الانبياء وعظماء التاريخ . ولعل ما يبقى منها لصانعيها **هو مجموع لحظات الالم والانتصار والاحباط والتفوق مما يشكل لهم المعنى الحقيقي للحياة . فبغير تلك اللحظات العظيمة لاتساوى الحياة شيئا الا بقدر ما توفره للانسان من ممارسات حياتية عادية ، مثل النوم والاكل والحركة ، وهو ما يتوفر لاى كائن حي ابتداء من الخلية الواحدة حتى الحيوان .**

تعاون وتراحم وتكافل



● عبد الرزاق نوفل ●

● رغم اختلاف الاراء على تعريف الحياة ومعناها ، واسبابها ومغزاها، فان الاراء لا تختلف على حرص الانسان عليها والتمسك بها ، مهما كانت حالته فيها ومكانه منها ...

فالمريض مهما طال مرضه ويئس من شفائه ... والفقير مهما اشتدفقره ورق حاله .. واليائس مهما تضاعف كربه وزاد بؤسه ــ فان كل هــؤلاء يحرصــون على الحياة ، ويتمنون لو طالت بهم ، ودامت لهم .. فما بالنا بالاصحاء والاغنياء والسعداء ؟ !

● الحياة هى وقفة خاطفة بين حياتين روحانيتين ، حياة عالم الذر قبل حياة الجسد ، وذلك بنص قول قرآن ربنا سبحانه وتعالى :

« واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ، الست بربكم ، قالوا بل شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين »

« ١٧٢ سورة الأعراف »

وحياة عالم البرزخ بعد موت الجسد بنص قوله تعالى :

« ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون »

« ١٠٠ سورة المؤمنون »

● **وبعدها** حيــاة الاخرة بالروح **والجسد** اما فى الجنة واما فى النار ، **اذ يبعث الله** من فى القبور يوم تحين الساعة **وذلك** كما تقول الآية الشريفة :

« **وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور** »

« ٧ سورة الحج »

● الحياة بطولها وعرضها وعمقها واتساعها بكل ما فيها ومن فيها وما تسببه من اسعاد وامتاع ــ انما هى فى حقيقتها حياة دنيا .. دنيا بالنسبة لما بعدها من حياة ابدية ، فيقول الحــق سبحانه وتعالى :

« فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل »

« ٣٨ سورة التوبة »

● الحياة الدنيا فترة للتريب واعداد لحياة الانسان فى حياته الاخرى . فان ما يراه فى السماء والارض من آيات انما هى بعض شــــواهد قدرة الله ووحدانيته وآثار عظمته ورحمته .. وهى اعداد للانسان لما سيرى من آيات اكبر وشواهد اعظم .

وان ما يستمتع به الانسان فى حياته الدنيا بحواسه انما وكــانه تنشيط للحواس لتلقى ما هو أعمق واوســـع واعظم مما اسعده فى حياته الدنيا .. فيقول الحق تبارك وتعالى :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبــل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون » .

« ٢٥ سورة البقرة »

● على الانسان فى حياته الدنيا أن يتدبر ويتأمل ويتفكر فى نفسه وفيما حوله ليرى آيات الله وافرة وافضاله وارفه .. انها اشياء اكثر من الاكل والشرب والرزق .. انها فى كل ماحول الانســان ليسعد الانسان ، فالعلم يسجد اجلالا لقدرة الله وعظمته على ما غمر به الانسان من فضل لاسعاده ــ فالاكوان المتعددة التى يراها الانسان فى كل ما حوله لا تراها الكائنات الاخــرى ... فان الكائنات كلها ترى الوجود بلون واحد بينما تتم فى الانسان معجزة من معجزات الخلق أن يرى الانســان هذه الالوان المتعددة التى تهدف الى اسعاده كذلك الامر بالنسبة للصوت ــ وسماع موسيقى الطبيعة من غناء الطيور .. وخرير المياه .. وصفير الهواء .

ان من اقرب طرق التوب الى الله ــ بعد ذكره وحمده وشكره ، حب الناس جميعا حبا لله ، لانه يحبهم ، فخلقهم .. هذا الحب .. من مظاهره واصوله التعاون والتراحم والتكافل . والعمل ما امكن على تيسير الحياة للناس كل الناس .. افشاء السلام للانسان ، كل انسان واى انسان . اطعام الطعام لكل عابر او مقيم . اقامة الصلاة لله فى كل فرض .. وفى الخلوة والناس نيام .. وان يتذكر انه فى الدنيــا عابر سبيل ، ومهما طال به الامد فهو الى رحيل ..

المعارضة الشعرية

في العصر العثماني

● د . حسين نصار ●

● كان الشائع ان الشاعر في العصر العثماني قليل الحظ من الثقافة ، جاهلا للروائع الشعرية التي اصدرتها العصور الاولى .. ولكن الشواهد التي وصلت الينا تدل على خطأ هذا القول او عدم اطلاقه . فما بين ايدينا من شعر الشعراء العثمانيين واشاراتهم يبين انهم حصلوا على معرفة طيبة بالشعر القديم . ويدل على انهم عنوا بالقصيدة القديمة خاصة عناية كبيرة . فقد اقبلوا على مجموعة منها ، وعاشوا فيها . احبوها وراوا انها المثل الاعلى للشعر يجب ان يحتذوه ليفيض على شعرهم من بركاته : مما تحلى به من روعة ، ولقى من حب ، وحظى من خلود . واطلقوا على هذا اللون من الاحتذاء اسم « المعارضة » .

وانصبت المعارضة على الجانب الموسيقي في القصيدة بل الموسيقى الخارجية وحدها . فاقتصر الاحتذاء على البحر والقافية ، ولم يتطرق الى المعاني . والغرض الواضح منها ان ييسر على الشاعر اقامة الاطار الخارجي للقصيدة دون أن يلحقه عوج ما . فالشاعر يأخذ في قراءة القصيدة التي يريد معارضتها ، ويستمر فيها ، الى ان تملأ أنغامها اذنيه ، وتستولي على قلبه ، وتقطعه من الاسباب الخارجية . فيعيش في موسيقاها ، وينظم على نمطها .

وادق مثال يصور لنا ذلك العمل تصويرا مركزا ورائعا ، ما حكى عن ابي السماع البصير ، الذي لقبوه « البديهي » لانه كان « اعجوبة الزمان في البديهة وارتجال الشعر . » قالوا : « كانت طريقته اذا اراد الارتجال ان يبدأ بانشاد قصيدة من كلام أحد الشعراء المتقدمين بصوت شجي . وفي اثناء انشاده يبتدر على وزن تلك القصيدة في اي باب كان من ابواب الشعر ؟ » .

من أجل ذلك ، لجأ كثير من الشعراء الناشئين الى المعارضة في شعرهم الاول .. لتخليص شعرهم من الشوائب الموسيقية . ولكن كبار الشعراء في ذلك العصر لم يترفعوا عنها ، لانهم لم يعدوها منقصة ، بل راوا فيها لونا من المباريات بينهم وبين السابقين عليهم .

ويبدو أن بعض الشعراء اخل بأحد شروط المعارضة ـ التزام الوزن والقافية ـ غير انه استعاض عنه بشرط غيره . فقد قالوا بان ابا الحسن اسماعيل بن سعد الوهبي المعروف بالخشاب عارض قصيدة ميمية ، من بحر الطويل ، للشيخ

قاسم . فالتزم الوزن ، وعدل عن القافية ، غير انه التزم ان تبدا كل كلمة من قصيدته بالالف ، وكان الشيخ قاسم قد فعل ذلك . فقال :

ابيت اراعي النجم ارتقب الفجرا
اذا اذكت الاشواق احشائي الجمرا
اعالج اشواقا اليك ابثها
ابدي العذول اللوم او اوسع العذرا
اذا استل اسياف اللحاظ ازدري القنا
او اهتز اعطافا اعار القنا السمرا

وكانما راوا أن اتحاد الوزن هو الشرط الاهم او الاوحد للمعارضة ، وان كنت أرى المثال الذي اتوا به غير قاطع الدلالة على ذلك ، لان مدعي المعارضة فيه ربما اراد مجرد الاحتذاء في التزام الالف .

وعد الخفاجي قصيدة من بحر الطويل لمحمد بن أحمد الحتاني معارضة لقصيدة له من بحر الوافر ، لاتحادهما في قافية الطاء ، ولظروف اخرى واكبت نظمهما .

ويمكن ان نستبين من القصائد الموجودة لدينا انهم لم يابهوا لمعارضة الشعر المتوغل في القدم ، مثل شعر الجاهليين والامويين . وانما عنوا بمعارضة المشاهير من العباسيين ، مثل ابي نواس والمتنبي وابي فراس .

وهنا ملاحظة جديرة بالتسجيل ، ان اكثر ماوجدت من معارضات العباسيين من نظم الخشاب ، وهو من المخضرمين — ان صح هذا التعبير — اعني عاش في اواخر العصر التركي واوائل العصر الحديث .

ولكن غير الخشاب من معاصريه والسابقين عليه من شعراء العصر التركي عارضوا شعراء العصر الايوبي والملوكي ، من امثال ابن سناء الملك وابن الفارض وصفي الدين الحلي .

قال ابو الاسعاد يوسف بن عبد الرزاق الوفائي ، المتوفى في ١٠٥١ هـ ، معارضا يائية ابن الفارض المشهورة :

حيهم ان جئتهم ياسعد حي
فهم اهل الوفا في كل حي ...
عش بهم صبا ومت في حبهم
من يمت في حب حي فهو حي !

وبالرغم من ذلك ، كانت اكثر معارضاتهم لشعراء من عصرهم .

ولذلك اسباب : احدها ان هذه القصائد بنت زمنهم ، وما زالت كاملة الحياة بين ايديهم ، وان كثيرا من معارضاتهم كانت لقصائد ارسلها اليهم اصدقاؤهم من الشعراء فكان ردهم عليها معارضة لها . يقول الشهاب الخفاجي : وكنت نظمت بالشام قصيدة طويلة طائية اولها :

نثار نور نوح قد تمطى
والقى برده صبح تغطى

.. فلما وقف عليها « محمد بن احمد الحتاني ١٠٥١ هـ » اعجب بها وعارضها بقصيدة بديعة وارسلها الى ، وهي هذه :

كسا الروض من رياه ريح الصبا مرطا
فانقله واعتل فاعتمد الابطا

.. ولما انفذتها الى كتبت اليه :

ايا بحر فضل من اللطف يصفو
حلا بفم السمع لي منه رشف

.. فاجاب :

اعذب نمير من الود يصفو
عليه منير من الدر يطفو

وهناك قصائد معينة ، خرجت على الاحكام السابقة . فقد حظيت بحب خاص من شعراء جميع العصور التي تلت نظمها ، وفي جميع الاقطار العربية . فعارضها الشاعر بعد الشاعر دون ملل او هوادة ، حتى يمكن ان نقول ان كلا منها كان السبب في جمع ديوان من القصائد المقلدة او الباعث الاول لايجاد فن شعري .

ونقف على رأس هذا اللون من القصائد القصيدة التي اوجدت فن البديعيات . وقد نشأ هذا الفن في القرن الثامن على يد صفي الدين الحلي او ابي عبد الله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الاندلسي ، على خلاف بين المؤرخين في ذلك .

والشرط الملتزم في جميع البديعيات ان يضمن الشاعر كل بيت فيها نوعا او اكثر من انواع البديع . ثم زاد على ابن الحسين المعروف بعز الدين الموصلي المتوفى في ٧٨٩هـ على ذلك ذكر اسم النوع البديعي في البيت . ولكن كثيرا من الشعراء بعده لم يستطيعوا تحقيق هذا الشرط .

والشرط الثاني ان تكون البديعية

فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم يشذ عن هذا الشرط غير شاعر مجهول مدح من سماه عبدالله ببديعيته التي اولها :

عج بالطلول وجز ربعا بقربهم
يا حادي النوق لي رحب بحيهم

والشرطان الثالث والرابع اكتسبتهما البديعيات من احتذائها بردة البوصيري فقد التزمت فى الوزن بحر البسيط، وفى القافية حرف الميم ، ولكن قليلا من الشعراء خرجوا علىهذين الشرطين. فقد كانت القصيدة الاولى التياتجهت الى تضمين البديع فى ابياتها وهى التى الهمت الشعراء بعدها ذلك التقليد – كانت من بحر الخفيف ، وهى من نظم على بن عثمان السليمانى الاربلى المتوفى فى ٦٧٠ هـ ، ولكن الشعراء لم يتابعوه فى بحرها .ونظم الحميدى احدى بديعيتيه على القاف، وعبد على بن ناصر بن رحمة الخوزى بديعيته على الراء ، وعيسى بن حجاج السعدى الشطرنجي المعروف بعويس المتوفى فى ٨٠٧ هـ على الراء ايضا .

ومن القصائد التى شغلت الناس، وادارت حولها حركة من التاليف، غير انها لم تخلق فنا خاصا ، مقصورة ابن دريد ولامية العجم . اما الاولى فقد نظمها شاعرها ابو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدى على بحر الرجز ، وقافية الالف المقصورة ، وسار فيها كل مسير : فتغزل ، وذم الدهر ، وفخر، ومدح ، ووصف ، واجتلب الحكمة. واستلهم التاريخ . فتعذر على من بعده احتذاؤه فى الموضوعات ، وأمكن لهم ذلك فى البحر والقافية .

ولاسباب يصعب الجزم بها – وربما كان اهمها تعدد الموضوعات والاشارات وكثرة الغريب من الالفاظ – لقيت القصيدة ترحيبا شديدا من العلماء والادباء . وكانت ثمرة اعجاب العلماء الشروح المتعددة التى الفوها عنها ، وثمرة اعجاب الادباء المعارضات التى نظموها فى كل عصر وقطر .

فنظم محمد الفارضي – من ادباء مصر فى ذلك العهد – مقصورته التى مطلعها :

انهض اذا خفت كلالا او وجا
بعيسجور الفت جذب البرا

وصف فيها الناقة والسرحلة فى الصحراء وحث على طلب العلياء وتغزل ولكنه لم يستطع أن يحاكي معارضه فى موضوعاته ولا تعبيره ولا تنغمه ، وانما التفت الى الغريب من الالفاظ فاتى منه باكثر مما فعل ابن دريد . ولذلك عاب الشهاب الخفاجي مقصورته وقال : « هى طويلة ،عديمة الطول ، والبعرة تدل على البعير » .

ونظم شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي مقصورة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ومطلعها :

ايا شقيق الروض حياه الحيا
فاحمر ورد خده من الحيا

وقد استهلها بالغزل ، ووصف فيها السحاب والروض والنجوم والصحراء . وقال من مدحها :

سري الى السبع الطباق جسمه
فى صحبة الروح الامين ورقى
ان قطع الافلاك سرعة فلا
بعد فان ذاته شمس الضحى
حوافر البراق من آثارها
قد ظهرت فيه اهلة السما
يغنى عن المدح رفيع قدره
فيمدح المدح به وما درى

وختم الشهاب مقصورته بالثناء عليها ، وتفضيلها على مقصورة ابن دريد ، فقال :

بين يديها ابن دريد حاجب
والفات شعره مثل العصا
ذيل الدجى بعرفها ممسك
مضمخ خلوفها برد الضحى

واراد محمد بن يس المنوق ، المتوفى فى ١٠٤٢ هـ ، أن يمدح صديقه الشهاب الخفاجي ، فالتقط مقصورته السابقة وعارضها فى قصيدته التى مطلعها :

سقى الاله ان سقى الارض الحيا
حوامل المـــزن ربا ام القرى

فاورد أسماء عـدة أماكن من شبه الجزيرة العربية ، ودعا لها بالســقيا من المطر ، ووصف هـذا المطـر وما يبثه في تلك الارجاء من حيـــاة ، واستعاد ذكريات شبابه ، ثم انتقـل الى المدح ، فقال :

ينظم في الاسماع من محفوظـه
جواهر اللفظ بلبــات الدمى
كم روضة دبجهــا براعـه
فاينـع الزهر وطـاب المجتنى
ما زالت الركبان تطرى بعض ما
ضم رحيب صدره وما حـوى
حتى التقينا فالتقطنا الدر من
الفاظـه الغر فرادى وثنـــا
رايته البدر اذا البـدر سرى
وخلته البحر اذا البحـر طمى

وختم المقصورة بالثناء عليها كما فعل الشهابي ، غير انه لم يستطـع ان يفضلها على سابقتها ولكنه كشف عن معارضته لها ، قال :

وهاكهـا على علاك وحــده
مقصورة في حسنها مدى البقا
حركني الى اختراع وزنهـــا
« أيا شقيق الروض حياه الحيا»

ونظم عبد البر بن عبد القـادر الفيومي العوفي مقصورة ، لم يبق منها غير مقدمتها :

أيا مهـاة قـد رعت بالمنحنى
حشاشة الراعي باكناف اللوى
هل وقفة ولو قليل بعـد ما
جرت على الصب تباريح الجوى
فتى كئيب والهـوى احكامه
عجيبة ان كان سخطا او رضـا
محاه حب الغيد محوا فانبرى
ولا يرى الا المنـــايا في المنى

ونظم زين العابدين بن محمد البكري ، المتوفى في ١١٠٧هـ ، مقصـورة في الفخر ، مطلعها :

أساء فاحسن فيمـا اسا
لاني ارى حالتيــه سـوا

وقد بداها بغزل طويل :

كلفت به عربي اللســـا
ن والوجه والادب المنتقى
ولكنه جركسي النجـار
له ألف خال بارض الكفا
اذا قال نظم عقد البيـان
وان جال فتت صم الصفا

وانتقل منه الى فخر يختلط بالمدح ، وتعلو فيه النغمة الاسلامية ، بسبب أصله الذي يرتفع الى الرسـول صلى الله عليـه وسلم وابى بكر الصديق :

وبالقمرين فرعنا الظـلام
وبالعمرين عرفنا الهـدى
وبالحسنين وتلك البتول
وحيدرة ثم أهل العبـا
أولئك آباؤنا الاقدمـون
واخوالنــا واولاد الالى
تخوم الجبال وزهر النجوم
متون الظبا ورواسي الربا
اولئكم آل بيـت النبى
نبي الهدى وامـام التقى
اولئكم نسل خير الانام
رئيس النبيين والمصطفى

وقد خرجت القصيدة الاخيرة على شرط الوزن ، فهي من بحر المتقـارب لا الرجز ، ولذلك يمكن اخراجهـا وامثالها من معارضات مقصـورة ابن دريد ، الا اذا صرح صاحبها انه يفعل ذلك .

وطبيعي ان القصائد التي أشرت اليها ليست كل ما اتجه المصريون في تلك الفترة في معارضة قصيدة ابن دريد ، فالدواوين ليست بين أيدينا . والاصح ان نعدها أمثلة لهذا اللون من القصائد .

ونستبين منها أن الذي يجمعها هو القافية ثم الـوزن فقط . امـا الموضوعات فقد تباعدت وكانت قصيدة الفارضي اكثرها غريبا ، واقلها عذوبة على حين تتصف قصيدة البكري بسهولة غالبة ، والفاظ حاضرة تقتـرب احيانا من العامية ، وتنغيم بارز من البحـر الذي التزمته .

واما لامية العجم فقد نظمها الحسين ابن على بن عبد الصمد المعروف بالطغرائى «٤٥٣ – ٥١٥» عندما عزل عن رئاسة ديوان الانشاء ، فى الفخر والشكوى ، ووصف الرحلات ، والغزل والدعوة الى ركوب المخاطر – من بحر البسيط ، على قافية اللام ، ومطلعها :

اصالة الراى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وسماها الادباء «لامية العجم» فى مقابل « لامية العرب » التى تنسب الى الشنفرى ، ومطلعها :

اقيموا بنى امى صدور مطيكم
فانى الى قوم سواكم لاميل

ولقيت اللاميتان – ولامية العرب خاصة – اضعاف مالقيت مقصورة ابن دريد من الاهتمام ، حتى ان دار الكتب المصرية وحدها تقتنى اكثر من عشرين كتابا من شروحهما . وبالرغم من ذلك يبدو أن الشعراء المصريين لم يقبلوا على معارضتهما . وانما اعلن الجبرتى أن عامرا الانبوطى عارض لامية العجم فى قصيدة ، أورد منها ابياتا ، تدل على انها ليست من قبيل المعارضة الجادة بل الهزلية . فهى أشبه بالمشعلقات والشعر الحلمتيشى الذى كان ينظمه حسين شفيق المصرى للتفكه على وزن المعلقات والشعر القديم وقافيته . وقد سلك الانبوطى الطريق الذى سلكه بعده حسين شفيق ، قال الجبرتى عنه : « كلما راى لشاعر قصيدة سائرة قلبها وزنا وقافية الى الهزل والطبيخ»

قال فى معارضته :

اناجر الضان ترياق من العلل
واصحن الرز فيها منتهى املى!
اكلى غداء ، واكلى فى العشاء على
حد سوى اذا اللحم السمين قلى
فيم الاقامة بالارياف لا شبعى
فيها ولا نزهتى فيها ولا جذلى
ناه عن الاهل خالى الجوف منقبض
كمعدم مات من جوع ومن فشل

فلا خليل بدفع الجوع يرحمنى
ولا كريم بلحم الضان يسمح لى

واذا كانت الاخبار تندر عن معارضة المصريين للامية العجم ، فانها أكثر قليلا عن معارضتهم للامية زين الدين عمر بن المظفر المعرى المعروف بابن الوردى ، التى نظمها فى الاداب والحكم والمواعظ ، من بحر الرمل ، ومطلعها :

اعتزل ذكر الاغانى والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل

فقد اعلن الجبرتى ان عليا الطحان : « له لاميتان على محاكاة لامية ابن الوردى : كبرى ، وصغرى » غير انه لم يورد منهما شيئا .

كذلك التقط عامر الانبوطى الخيط من ابن الوردى ، واتخذ من لاميته ، وما بثه فيها اطارا لقصيدة له هازلة ، قال فيها :

اجتنب مطعوم عدس وبصل
فى عشاء فهو للعقل خبل
وعن البيسار لا تعدن به
تمس فى صحة جسم من علل
واحتفل بالضان ان كنت فتى
زاكى العقل ودع عنك الكسل
من كباب وضلوع قد زكت
أكلها ينفى عن القلب الوجل

ولم تقتصر المعارضة على القصائد وحدها بل تجاوزتها الى الفنون الشعرية الاخرى . اعلن المحبى أن زين العابدين بن محمد البكرى عارض ابن سناء الملك فى موشحه الذى تغزل فيه وفخر ، وقال :

انظروا تعديل قامات الغصون
هذه بانه
وهذى خيزرانه

وحدوا الرحمن ذا العرش المجيد
واميطوا اللبس من خلق جديد
وانظروا توريد تفاح الخدود

***

وبلغت المعارضة منتهاها عند شعراء الهزل ، وذلك امر طبيعى مألوف . وكان ذلك على يد عامر الانبوطى أشهر شعراء الفكاهة فى

عصره . فان ما حظى به من اقبال الناس على معارضات القصائد واعجابهم بها دفعه الى ان يكون أكثر طموحا وأبعد معارضة . فألف منظومة طويلة ، معارضة لألفية ابن مالك ، حشاها بألوان الطعام . وبدأها كما بدأ سلفه الفيته ، فقال :

يقول عامر هو الانبوطي
أحمد ربي ، لست بالقنوط

واستمر في المعارضة الغريبة فقال :

واستعين الله في الفية
مقاصد الاكل بها محويه
فيها صنوف الاكل والطاعم
للت لكل جائع وهائم

وسار على هذا المنوال الى ان انهاها .

وخلاصة القول ان المعارضة كانت فنا مزدهرا واسع النطاق ، يتبارى فيه كبار الشعراء وصغارهم ، ويتفاخرون به . واكبوا على معارضة من اشتلت صلتهم بهم من الشعراء . فادى بهم ذلك الى معارضة بعضهم بعضا ، وعدوها من الاخوانيات المستملحة التى الفها الاصدقاء وتبادلوها وكانما هى النقائض الاموية ثم عارضوا شعراء العصر السابق عليهم : الايوبى والمملوكى . ولم يخل الامر من معارضة عباسيين ، ولكنها محدودة النطاق .

والتقى الحب منهم عند قصائد معينة اجمعوا على الاعجاب بها فاحتذائها .

ويتضح فى هذه القصائد أن المعارضة لم تقع لمستواها الفنى وحده بل فعلوا ذلك للصبغة الدينية التى تحلت بها . وأخص بالذكر منها بردة البوصيرى . وكان من اهم اسباب معارضتها ماعرف عنها من انها جلبت الشفاء لناظمها ، فكان كل مريض يطمع فى البرء بمعارضتها ، ودارت حول ذلك أقاصيصهم ، وسلكت معارضاتهم للبردة مسلكين : المسلك المعتاد فى المعارضة من نظم قصائد تحتذى الوزن والقافية ، وتمثله قصيدة احمد بن احمد بن عثمان الحفنى العوامى الزبيرى المتوفى فى ١٢٢٠ هـ :

ما لى اراك حليف السهد لم تنم
مستوطنا منزل الاوصاب والالم
تمسى وتصبح فى حالى ضنى وعنا
مسترسلا ادمعا كم يا فتى وكم

والمسلك الثانى البديعيات التى صارت فنا خاصا له شروط اخرى غير شروط المعارضة المجردة .

وانتشرت فى هذه العصور ايضا معارضة بردة كعب بن زهير ، او « بانت سعاد » كما عرفت عندهم . ولكننى لم اعثر الا على آثار قليلة لها فى الشعر المصرى الذى بين يدى ، مثل قصيدة الحميدى التى يقول فيها :

بانت سليمى ففكر الصب مشغول
وقلبه من لظى الهجران مشغول
وبات والوجد يطويه وينشره
والطرف منه بميل السهد مكحول

اما القصائد الاخرى فكان الاعجاب الفنى هو الدافع الى معارضتها مثل مقصورة ابن دريد ولامية العجم ولامية ابن الوردى .

ويدلنا على مدى ولوعهم بالمعارضة تعدد المجالات التى ظهرت فيها . فالمعارضة تتعدى الشعر الى النثر ، فيعارض محمد بن عمر الخوانكى بعض مقامات الحريرى . وتنتقل من القصائد ــ فى الشعر ــ الى الموشحات وتتجاوز الاهداف الفنية الى الاهداف العلمية والفكاهية . فيعارض بعضهم الفية ابن مالك ، وينظم بعضهم الشعر الضاحك على وزن القصائد المعروفة .. ويستخدم بعضهم ما يتمتع به من قدرة فائقة على المعارضة المرتجلة فى الارتزاق . ●



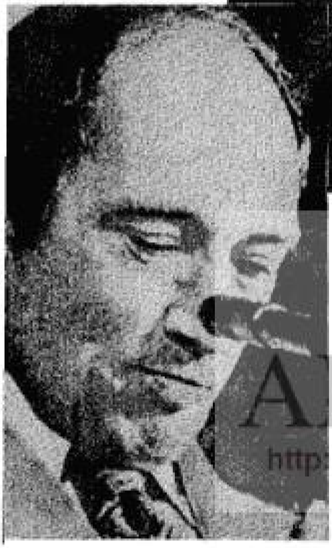
والكلب أيضاً يُخفي دماغه

تقضي التعليمات في المانيا بالا يركب انسان الدراجة البخارية « الموتوسيكل » الا اذا غطى رأسه بخوذة من الفولاذ ..

والهر ماكوس ماير من هواة الموتوسيكلات ، وكذلك كلبه ، انهما لا يركبان الا معا ..

وتنفيذا للتعليمات كان لابد من عمل خوذة للكلب لأن دماغه لا يقل قيمة عن دماغ صاحبه ، وما دام كلبا المانيا فلابد من حماية دماغه ، لان دماغه الماني ايضا ! ..





على زوجها جنت براقش

الصـــورة متاخرة بعض الشيء ، ولكن عبرتها لا تنسى ..

فان مارجريت ترودو التى تركت بيت الزوجية لتعربد فى نيويورك جنت على نفسها ، ما فى ذلك شك .

وهى الآن فى الطريق الى التسول ..

ولكنها فى الطريق جنت على زوجها ، فان بيير ترودو الذى كان رئيسا لوزراء كندا وكان من اقوى الناس فى بلاده قد انتهى .. جنت عليه ، فضاع الرجل الكبير وسقط فى الانتخابات سقوطا مشينا ..

لقد انتهت المراة .. وانتهى معها الرجل .. .. وعلى زوجها جنت براقش

والصورتان ماساة من ماسى حياتنا ..

كل بنت بجدها معجبة

المثل العربى يقول : كل بنت بأبيها معجبة !

ولكن مارجو هيمنجواى حفيدة الكاتب الاشهر معجبة بجـدها دون ابيها .

عندما اتت مارجو الى نيويورك من قريتها فى ولاية ايواه استلفتت انظار الناس أولا باسم جدها ، فهى حفيدة مجد من امجاد أمريكا ، ثم بطولها الفارع (١٨٠ سنتيمترا) ووجهها الجميل .

عملت حينا نموذجا للمصورين ..

ثم تزوجت رجلا موسرا يملك مصانع لرصاص المسدسات ويشترك فى ملكية سلسلة من الفنادق ..

ولكنه لم يعجبها .. انها كانت تبحث عن رجل قوى مثل جدها ، رجل تانس اليه وتحتمى به ..

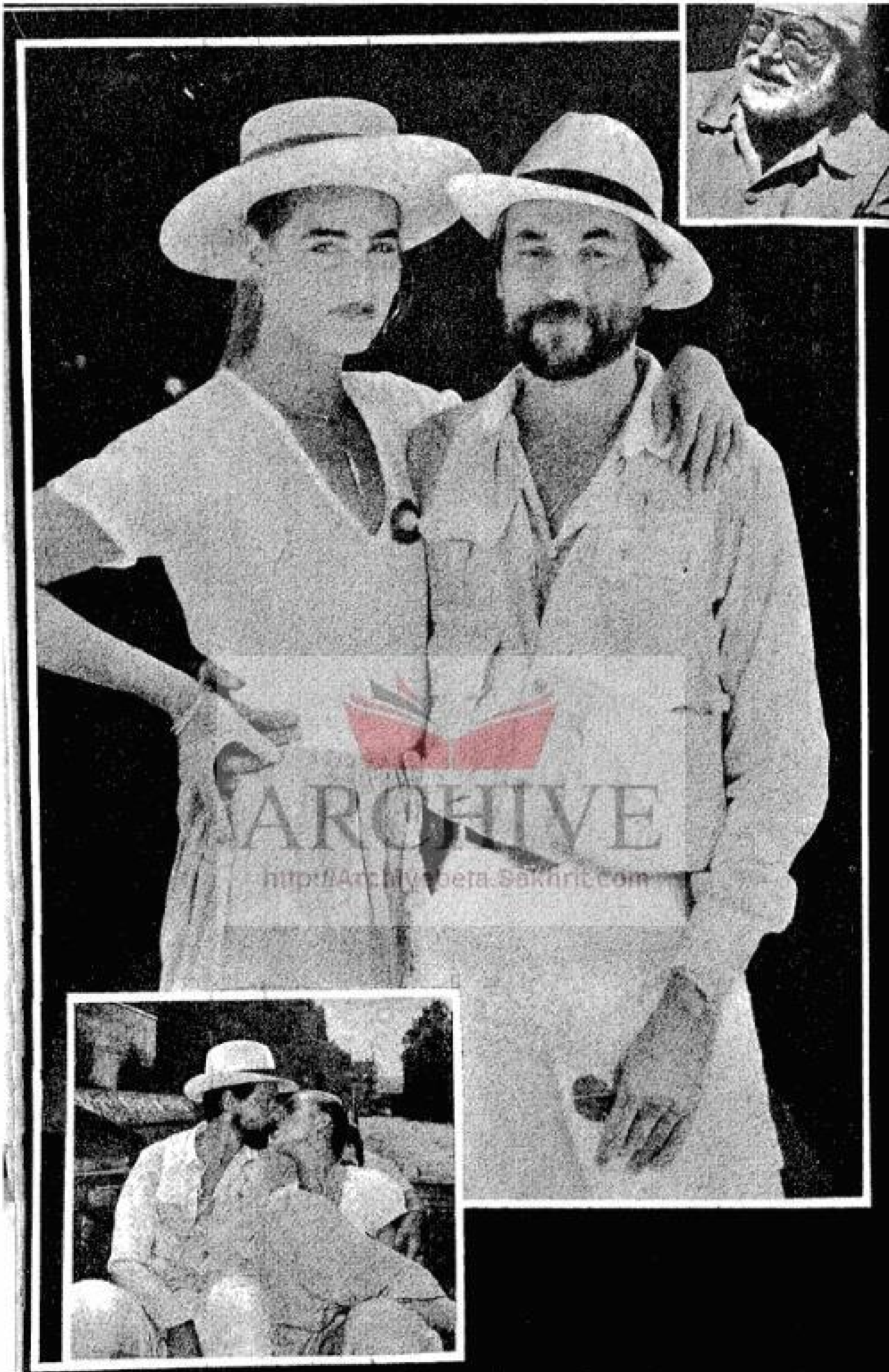
ثم اشتغلت بالسينما ومثلت فيلما ، ولم تعجبها السينما .

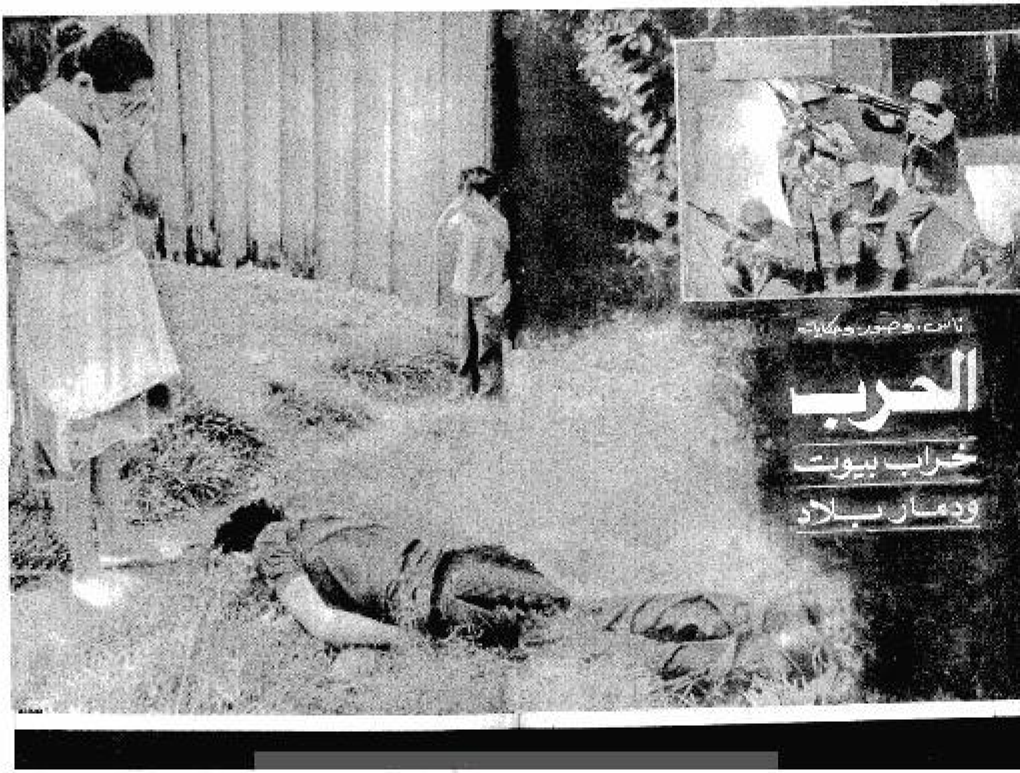
واخيرا وجدت فرانسو فوشيه ، وهو فنزويلى يملك عددا من الفنادق وأول ما جذبها اليه انه كان شبيه جدها .. فان وجهه يذكرها بوجه جدها فى شبابه وكذلك صدقه ..

ووقعت فى غرام جدها !

وطلقت المليونير صاحب مصنع الرصاص ..

وتزوجت فرانسو بوشيه !




ناس .. وصور .. وحكايات
الحرب
خراب بيوت
ودمار بلاد

ناس وصور وحكايات



لو اننا اردنا ان نكتب مقالا عن الحرب واوزارها لما وصلنا فى البلاغة الى ما تصل اليه هذه الصورة .

انها ماساة من خمسين الف ماساة : ماساة امراة فقدت زوجها واصبحت ارملة وهى فى شرخ الشباب ، وزوجها الذى كان يسعى جاهدا لرزقه اردته رصاصة ، واصبح قطعة من الارض ..

ومن بعيد وقف الابن المسكين يبكى اباه ..

وماذا ينفع البكاء ..

لقد انهدمت اسرة وضاعت ..

الصورة اخذت اثناء حرب تحرير نيكاراجوا من الطاغية انستاسيو سوموزا . وفى الركن الاعلى شباب من حرس الطاغية اغراهم بالمال لكى يحموه ويقتلوا مواطنيهم ..

وقتلوا الوفا بعد الوف .

والآن جاء الوقت ليدفعوا الثمن ..

اننا نعجب من امر اولئك الذين يظنون ان الحرب ما زالت كما كانت ايام عنترة بن شداد .. بطولة فى صورة قتل وسفك دماء ..

يا ناس ..

اننا نريد ان نبنى ولا نهدم ، ونعمر ولا نخرب ! ..

كيث دوجلاس شاعر إنجليزي في مصر:

القصيدة التي لا أستطيع أن أكتبها

● ماهر شفيق فريد ●

● « ايريل » مجلة فصلية كندية تصدر عن جامعة كالاجاري في اشهر يناير وابريل ويوليو واكتوبر. وقد نشرت في عدد ابريل ١٩٧٨ مقالة عن كيث دوجلاس الشاعر الانجليزي الذي عاش في مصر اثناء الحرب العالمية الثانية..

وتحت عنوان « كيث دوجلاس واسم القصيدة التي لا استطيع ان اكتبها » كتب ديفيد اورميرود ، مدرس الادب الانجليزي بجامعة استراليا الغربية ، قائلا : منذ نشرت في عام ١٩٦٦ الطبعة الكاملة لمجموعة قصائد كيث دوجلاس ، والاهتمام بعمله ينمو على نحو منتظم وان لم يكن لافتا للنظر بصورة درامية . وقد نشرت دار « بنجوين » للنشر عام ١٩٦٩ في سلسلتها الموسومة ب « كلاسيات بنجوين الحديثة » كتابه المسمى « من العلمين الى زمزم » وهو من ذكريات في صحرائنا الغربية اثناء الحرب ، ونشرت في ١٩٧٤ ترجمة لحياته بقلم دزموند جراهام ، كانت في الاصل رسالة للدكتوراه من جامعة ليدز .

لقد عاش عمل دوجلاس أكثر مما عاش عمل آلن لويس وسدني كيز ، زميليه في الحرب الثانية ، اللذين كثيرا ماتورن بهما ، ولكن التعليقات النقدية على عمله مازالت قليلة . وعلى حين ان حفنة من قصائده كثيرا ماتدرج في كتب المنتخبات ، ظلت مناقشة عمله محدودة ، وكأنما كتب على دوجلاس ان يظل الى الابد تاليا في ظل ولفرد أوين شاعر الحرب العالمية الاولى الكبير ...

ويقول الناقد والشاعر الانجليزي المعاصر فرنون سكانل في كتاب حديث له عن شعراء الحرب الثانية ، صدر في لندن عام ١٩٧٦ : « ان هدفي في هذا الكتاب هو ان ابرز اعتقادي بأن الشعراء الذين ادوا الخدمة العسكرية ... اثناء الحرب ضد هتلر — قد انجبوا بنية من الشعر ، ذات نوعية عالية جدا على وجه اليقين يمكن ان تقارن بخير ما انتجته الحرب الاولى دون أن تضار بهذه المقارنة » .

وفي مثل هذا المناخ يلقى شعر كيث الاعجاب ولكنه قلما يحلل . وذلك امر مؤسف لأن الانتاج الضئيل بالضرورة لشاعر قتل في الحرب وهو في عامه الرابع والعشرين ، كما حدث لدوجلاس ، يمكننا من ان نتتبع خيوط واهتماماته بوضوح ملحوظ ، أن نرسم في الواقع خريطة تطور حساسيته الشعرية .

في التاسع من ديسمبر عام ١٩٤٢ وصلت السفينة التي كانت تقل دوجلاس من مصر قرب الساحل الاسكتلندي ، وعسكرت كتيبة الشاعر في تشبنام في الثاني عشر من ديسمبر . وبعد عيد الميلاد الواقع في اليوم الخامس والعشرين من ذلك الشهر ذاته ، غدا دوجلاس زائرا منتظما لمكتب مجلة « شعر » التي كان يرأس تحريرها الشاعر والناقد الهندي تام بي موتو ، في ميدان مانشستر بلندن ، حيث تعرف على سكرتيرة تام بي المدعوة بيتي جس ، وهي معرفة سرعان ماعمقت .

واثناء تلك السنة التي كانت آخر سنوات عمره ، بدأ دوجلاس يستشعر دنو منيته بوضوح ملحوظ ، كان ذلك الموضوع قد دار في شعره وفي احاديثه بعض الوقت . وفي اوكسفورد تنبأ يوما بثقة انه لن يكون في زمرة الاحياء بعد انتهاء الحرب ، وقصيدته المسماة « مركز النفور ؟ » ، وهي قصيدة لم يعش حتى يتمها ، قد لاحت لبعض القراء خلاصة لاهتماماته الرئيسية ، ونزع البعض الى افتراض ان لب عمله انما يتمثل في التواجه الوجداني ازاء موضوع موته الوشيك في المعركة .

وقد عبر عن هذه النظرة ، على سبيل المثال ، تيد هيوز شاعر انجلترا المعاصر حين قال : « ان حقيقة اي رجل هي الرجل الملقى عليه فيه ، او بدنه الميت ، فهذه الفكرة تدور عنده في قصيدة تلو قصيدة ، كما لو كان ذهنه قد شد اليها بوثاق . وفي اعماقها ربما كانت رية شعره وهي ليست رمزا رومانسيا للخطر والغواية ، وانما ببساطة شعور مسبق بنهايته الذاتية . لقد حاول هيمنجواي ان يتخيل الموت الذي سبق لدوجلاس أن عاناه » .

هذا طرف مما يقوله ديفيد أورميرود في مقالته ويبقى أن نضيف أن لدوجلاس قصائد كثيرة جديرة بالترجمة ، أن لم يكن لشيء فلأن مسرحها هو مشاهد الصحراء الغربية والقاهرة والعلمين ، مما يجعل بنا أن نعرفه لنرى كيف كان وقع هذه الخبرات على وجدان شاعر حساس ● ●

خيانة البنفسج

● محمد ابراهيم ابو سنه ●

وينمو البنفسج فوق الشواطىء
ويأخذنى النوم ...

هذا هو الفجر ...
حلم وبدر

ويأخذنى النوم
هذى الممالك ملكى

وهذا النهار الذى جاء يبكى أسيرى ...
وهذا المساء الجميل

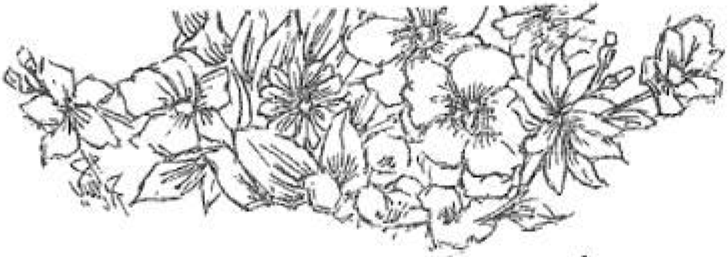
يمر كقط على شرفتى
ويطلب عفوى ...

وأنت ... أنت جميع البلاد
وأنت جميع النهارات والليل ...

أنت الفرح .
وأصحو ... وتنهض أكذوبة فى الرياح

وتنتثر هذى العصافير عنى
ويسقط فى الماء ظل البنفسج

ويغرق ليل طويل
بأعماق هذى البحيرة



وأنت ...

وأبحثُ عنك فيأتي إليَّ مِن الشرفةِ الثانيَة

عواؤكِ في موقد الآخرين .

صراخُك في الحفلةِ الماجِنَه

وينفجِرُ الدمُ في الصخر ، تصفعني

الأغصُن الذابلة ..

وتشحبُ هذي المسافةُ بيني وبينَك

وأحملُ جثّة صمْتي ، وأمضي ...

يُمزّقني خنجر أحمر الشفرتين

وأنتِ على مَفرق الطرقِ المُظلمة

تنامينَ جثّة فحمٍ ...

تسيلُ دماؤكِ فوقَ الترابِ

وفوقَ البحيراتِ ، فوقَ البنفسج

وفوقَ زهورِ الحدائقِ ...

وتخرجُ أفعى من الدم

أفعى بثديين

تلدغ قلبي ...

فيصْبح جسْمك هذا المُغطّى بزهر

البنفسجِ ، قبرا لحبّي ...

● من قصيدة «خيانة البنفسج»
ـ في «تاملات في المدينــــة
الحجرية» الديوان الجديد للشاعر
محمد ابراهيم أبو ســــنه ●

قصة

أوهام

• عاطف سعودي •

.. ومضت العنزة العجفاء تردد لعابها وتهز راسها كي تخفف عن الراس حرارة الشمس العمودية التي كانت تملأ في تلك الساعة صحن المحكمة الجزئية ..

وقفت كما يقف المنتظرون لقضيتهم منذ الصباح الباكر في ساحة العدالة ، فلها - كما لهم - قضية منظورة يتوقف على الحكم فيها مصيرها وحياتها ... ان عينيها معلقتان بهذا الباب المغلق الذى سيفتح بعد حين ليلفظ المتقاضين والمترافعين والوكلاء والشهود ، كما سيلفظ دون شك صاحبها الدائن الذى اقام دعواه ضد جاره المدين فاسد الذمة الذى رفض ان يعيد له جنيهاته العشرة فعرض بذلك رقبتها لاحتمالات السكين !

انها لتعرف صاحبها هذا حق المعرفة لقد تربت في بيته زمنا طويلا كان كفيلا بأن يقر في ذهنها حقيقة لا سبيل الى ردها أو انكارها ، هذه الحقيقة هي أنه ابرع أهل القرية واسرعهم في استخدام السكين ! .. ولا غرابة في ذلك بطبيعة الحال ، فهو جزار القرية وتاجر اللحم فيها . لكن الذى تعرفه ايضا ولا سبيل الى المجادلة فيه هو انه لا يفرق عادة بين شخصية المجنى عليه طيرا كان أم حيوانا أو حتى ... انسانا !

هكذا شاء القدر ان يختار لها مالكا جزارا فظ القلب من بين سائر أهل القرية ، لا لشيء الا لتظل طول حياتها معه في رعب قاتل ...

انها ترصد يده حتى لو تحركت نجاة لتذود عن وجهه ذبابة أو لتدفع بها عن نفسه لسعة برغوث ... لذلك فقد اختارت المسكينة لنفسها منذ البداية طريق السلامة ، وطريق السلامة في تصورها ان تكون له نافعة دائما ومفيدة ابدا . فهي لم تر فطر يوما أن تحمل ويتكور بطنها وتنجب له ذرية تلهيه من التفكير في رقبتها طالما امتلأ جيبه بالمال من نسلها !

***

وقفت العنزة في فناء المحكمة تسترجع ماضيها المفزع معه ... كم استيقظت مع الفجر على شخير بهيمة تدلت رقبتها بفعل سكينه الحادة . كم من مرة صحت نجاة على أزيز «الخنصر» وهو يشحذ السكين في ضربات متوالية متقابلة كانها البرق ... كم شاهدت اجسادا لا تزال رعشة الحياة تنتفض في عضلاتها . كم سمعت باذنيها صوت العظام القوية وهي تتداعى تحت طرقات ساطوره الاعظم ! .. كم شاهدت بطونا مبقورة ، وعيونا جاحظة ، واظلافا باردة !

والآن .. وقد بلغ بها السن ما بلغ وادرك جسدها الوهن ، لم يعد بطنها يتكور ولم يعد جلدها يجود بالشعر ولا ضرعها باللبن . استمر بها الحال على هذا المنوال حتى جاء اليوم الذى ارتابت فيه امراة صاحبها في امرها فاشارت عليه أن يرسلها مع القطيع فقد يكون العيب لندرة الذكور حول البيت . انها لا تنسى ذلك اليوم الذى خرجت فيه مع القطيع وفرحت لاقتراب البشرى ، ظلت وقتها اياما تتقرب الى الذكور في القطيع وتتودد اليهم دون جدوى . اقتربت في انكسار الى شيخ « الجديان » واكثرهم وقارا تستميله وتعبث بعواطفه ، لولا انه لمح عنزة شابة رعناء فتولى عنها ، ولم يكتف بذلك بل تخلى من وقاره ومضى يجرى

خلفها مزاحما شباب القطيع من الذكور دون خجل او حياء .

***

ادركت العنزة بعد رحلتها الفاشلة مع القطيع انها اصبحت قاب قوسين او ادنى من السكين ... على ان الامل في النجاة ظل يراودها حينا بعد حين حتى جاء هذا الجار فاسد الذمة فافسد عليها املها وعجل بغير شك نهايتها ....

كان صاحبها قد عاد لتوه من السوق وشاهدته يجلس على الارض كعادته يحصي ما معه من نقود في حجر جلبابه. وفي تلك اللحظة «طب» عليه جاره الذي يسكن في البيت المقابل ..

انها تذكر عيني الجار وهما تكادان تدمعان آنذاك وشفتيه اللتين كانتا ترتعشان في ذلة وهو يتحدث الى صاحبها كانه يشكو له سوء حاله . نظرت لحظتها الى وجه صاحبها لتتبين انعكاس الشكوى ورد فعلها عنده ، فوجدته يفيض تاثرا – ربما لاول مرة – بشكوى الجار ...

بعد قليل لاحظته وهو يلقي في حجر هذا الجار ورقة حمراء من نفس صنف الورق الذي كان يحصيه قبلا .

وهي تذكر خلال الاشهر التالية مقابلات كثيرة كانت تتم بين الصاحب الدائن والجار المدين ... في المرة الاولى لاحظت عتابا في العيون، وفي المرة الثانية تحركت الشفاه لتقول شيئا لم تدرك معناه . وفي الثالثة بدأ الغضب يكسو جبهة صاحبها ... وفي الرابعة تماسك الجاران تماسكا فضه الجيران .

وفي المرة الخامسة تبعت العنزة صاحبها الى صحن ذلك البناء المتداعي الذي اوثقها في فنائه منذ الصباح الباكر. نظرت العنزة الى اعلى باب هذا البناء فشاهدت ميزانا تعرفه حق المعرفة . انه كالميزان الذي يستخدمه صاحبها في وزن اللحم . لكن الكفتين فيه متوازنتان تماما. سمعت زفرات من الناس حول الباب ، فعرفت انها بازاء مكان يحرص صاحبه على اقرار العدل بينهم ! وتاكدت من ذلك تماما عندما شاهدت صاحبها الدائن وجاره المدين يدخلان من هذا الباب .

– يا سيادة القاضي .. هذا الرجل اخذ مني عشرة جنيهات سلفة ، ولم يردها ..

– لم يحصل يا سيادة القاضي .. هذا رجل دعي وكذاب !

● وانت يا رجل .. عندك دليل او بينة ... عندك شهود ؟

– آه ... لا ، لا ... لكن هو اخذ فلوسي ولم يردها ! ..

و .. حكمت المحكمة حضوريا برفض الدعوى والزام المدعي بالمصاريف رفعت الجلسة

***

وانفتح الباب وخرج الدائن والمدين، نظرت العنزة الى وجه صاحبها الدائر تهرب الدم من جسدها .. لاشك انه خسر القضية ، هكذا يقول وجهه ... لم يبق في بيته غيرها من الذبائح ... جاره فاسد الذمة ، يضحك ... لا يعرف ازمتها ولا يدري بما تعانيه .. ستضيق الدنيا بصاحبها فيفكر في رقبتها .. لحمها قليل لكنه على اية حال « النواة » التي تسند الزير ... هاهي يد صاحبها تتحسس جيبه .. في هذا الجيب بالذات تستقر السكين .. هاهو يتلفت حوله باحثا عنها ، رآها ، اندفع نحوها في غضب ... امسك بقرونها في صرامة .. تراجعت .... احسست انه يخنقها، فاستسلمت ومضت الى جواره ، السكين نهاية كل حي من الانعام . « نحن الاضاحي قربة الانسان .. يقتلنا في فرحه ، ويستمطر بدمائنا الرحمات على امواته .. يوفي بنا نذره ان كان عليه نذر .. .. تعددت الاسباب والسكين واحدة .. هاهو صاحبها الجبار يخرج السكين من جيبه ، يرفعها الى اعلى ، لمع النصل في ضوء الشمس.. اغمضت عينيها وامتثلت لقضاء الله ...

وفجاة ... سمعت صرخة الم مدوية .. ما هذا الذي حدث ... سكنت السكين في رقبة المدين وسقط على الارض بلا حراك ! ..

و .. استغربت العنزة كثيرا فهذه اول مرة في التاريخ يذهب انسان فداء لحيوان ! ●

الوراثة مسئولة عن

قرحة المعدة

● ظل الاطباء لفترات طويلة يطلقون على « القرحة » وصف مرض العصر الحديث .. ويربطون بينها وبين سباق الانسان مع المدنية والتقدم وصراعه من اجل تحقيق مستقبل افضل ، في مواجهة ضغوط الحياة والتزاماتها المادية ..

وامام هذا التعليل كان الاطباء دائما ينصحون الناس بعدم التعرض للازمات النفسية ، وتجنب الانفعالات، والعمل على تحقيق التوازن النفسي والعضوى معا ، والحرص على ضرورة الاستمتاع بالعطلات الصيفية بعيدا عن ضغوط العمل والضجيج وضوضاء المدينة .

لكن الاطباء الامريكيين فاجأوا العالم اخيرا بتشخيص جديد لمرض القرحة يتنافى مع الاراء السابقة، فقد اكدوا ان ظروف الحياة المعاصرة وقسوتها بريئة من هذا الاتهام ، وأن القرحة سببها الأول والأخير وراثى بحت ، وتتدرج عن سلالات معينة من العائلات .

وحول هذا الرأى كان لنا تحقيق واستفتاء مع بعض كبار الاطباء ..

ضغوط الطموح والذكاء

يقول الدكتور / عبد الرازق جعفر ، استاذ الأمراض الباطنية بطب قصر العينى :

من الثابت أن العامل الاساسى فى الاصابة بقرحة الاثنى عشر ، هو الضغوط النفسية والعصبية ، وهذه الضغوط يصاب بها عادة الشخص الطموح الذى تكون رغباته دائما أكثر مما يستطيع تحقيقه ، والذى يريد دائما أن يسابق الزمن ولا يترك للزمن والظروف الوقت الكافى ليحدث تفسيراته وتغيراته فى الأحداث أو المشكلات التى يواجهها .

وكذلك ترجع الاصابة بالقرحة ايضا الى الافراط فى التدخين ، وتعاطى الخمور ، وعدم العناية بمضغ الطعام جيدا ، وعدم الانتظام فى تناول وجبات الطعام فى مواعيدها ، وتناول الطعام « المسبك » و « المقدوح » فى المسلى جيدا ، بالاضافة الى تعاطى بعض الادوية دون استشارة الطبيب ، ومنها الاسبرين وأدوية الروماتيزم .

النزيف عامل مشترك ..

وهناك فكرة خاطئة لدى بعض الناس ــ كما يقول الدكتور عبدالرازق جعفر ــ بأن هناك تشابها فى الاعراض بين قرحة المعدة ، وقرحة الاثنى عشر ، لكن الملاحظ أن السيدات أكثر تعرضا للاصابة بقرحة المعدة من الرجال، بينما يصاب الرجال بقرحة الاثنى عشر من جراء الضغوط النفسية او الارهاق فى العمل بالاضافة الى الافراط فى تدخين السجائر والغليون والسيجار .

اما بالنسبة للاعراض فى كل منهما ، فالمعروف ان قرحة المعدة تحدث آلامها بعد تناول الطعام مباشرة .. بينما تأتى آلام قرحة الاثنى عشر بعد

فترة طويلة من تناول الطعام ، اى بعد أن تتم عملية الهضم وتفرغ المعدة محتوياتها ، اى انها تأتى عند الجوع .. ولذا نجد ان مريض هذا النوع من القرحة يكون حريصا على أن يتناول وجبات خفيفة ومتعددة ولا يعرض نفسه للجوع ، بعكس الحال بالنسبة لمريض قرحة المعدة ، فلأن الالم فيها مرتبط بالاكل نجد هذا المريض عزوفا عن الاكل ، ولهذا يميل وزنه الى النحافة عكس النوع الاول الذى يميل الى السمنة ..

لكن هناك حالة مشتركة فى كل مكان من القرحتين ، كما يقول الدكتور / جعفر ، وهى القيىء وايضا النزيف ..

● ماهو العلاج والوقاية من هذا المرض ؟.

يجيب الدكتور / جعفر بأن العلاج الاساسى للقرحة هو تنظيم الحياة ، وأن يخلف الانسان أموره ، ويساعد الطبيب على حل مشكلاته قدر الامكان مع تنظيم نوع الطعام ، ومواعيد تناوله وتجنب تعاطى المنبهات مثل الشاى والقهوة على معدة خاوية ، مع مراعاة تناول وجبة صغيرة اضافية بين الوجبات الرئيسية ، ومراعاة الحرص على عدم السمنة . وعموما سواء تم علاج القرحة بالجراحة او بغيرها ، فان المريض يسير على نظام خاص للأكل مدى الحياة ...

المعرضون للاصابة

ويؤكد الدكتور / اسامة الشناوى ان قرحة الاثنى عشر من امراض العصر التى زادت ، اذ تسببت فيها ضغوط الحياة ويصاب بها عادة المدخنون ، والافراد الذين لديهم تطلعات كبيرة ، والذين يشتغلون بالاعمال الذهنية ... اما اصابة السيدات بقرحة المعدة فان سببها فى اغلب الحالات يرجع الى عامل الوراثة .

هناك اسباب اخرى تؤدى الى الاصابة بقرحة المعدة ، والتى تنقلب ايضا الى قرحة مزمنة .. واذا اوردنا هذه العوامل نستطيع ان نجملها بقولنا: هى ضغوط الحياة وزيادة افراز الحامض فى المعدة ، والمؤثرات النفسية المحيطة بالافراد مثل التوتر العصبى ، وزيادة التدخين بالاضافة الى تعاطى بعض الادوية التى تزيد من نسبة الحموضة فى المعدة وفى مقدمتها الاسبرين ، والكورتيزون ، والتانديريل ، بالاضافة الى البلهارسيا التى تسبب تليف الكبد وكذلك تضخم الطحال ..

وعن علاج القرحة الاساسى ، يقول استاذ جراحة الاورام بالزقازيق : انه العلاج الباطنى ، وتستبدل به الجراحة فى بعض الحالات . واهم شىء فى هذا العلاج هو تناول كميات كبيرة من اللبن مع الالتزام بالهدوء النفسى ، وضرورة تناول الادوية التى تقلل من نسبة الحموضة ، وافراز العصارة الحمضية .

ونحن لا نلجأ الى العلاج الجراحى الا اذا ادت حالة المريض الى ضيق فى الاثنى عشر او لحدوث تشوهات أو نزيف .

الجراحة .. بلا مضاعفات

هل هناك علاقة بين قرحة المعدة والاصابة بالسرطان ؟.

يقول هنا الدكتور الشناوى : ان الاشخاص المصابين بقرحة المعدة سنين طويلة بعضهم معرض فى هذه الحالة لأن تنقلب هذه القرحة الى الاصابة بالسرطان ، ولذلك لابد من متابعة حالاتهم دوما بالاشعة او بالمنظار .

اما بعد الجراحة فانه فى حالة استئصال جزء من المعدة يضطر المريض الى تناول وجبات بسيطة من الطعام وعلى

فترات قصـــيرة • وذلك على حسب نوع العملية الجـــــراحية ، لانه فى حالة استئصال « العصب » فهناك نظام آخر يتبع فى العلاج ، والاحتمال بعودة القرحة مرة أخرى، كما يقول الدكتور الشناوى، يظل قائما ولاســـباب كثيرة •• ولكن المضاعفات الاخرى التى تشاع بين الناس من أن الجراحة تضعف المريض أو تنقص من وزنه أو تقلل من مناعته ، فهذه أقاويل عارية تماما من الصحة • والحقيقــة أن الجراحة تعطى نتائج جيدة جدا •

الارتداد لمرحلة الطفولة

الى أى مدى يؤيد علم النفس عامـــل الوراثة فى الاصابة بالقرحة ، خاصة وأن البحوث العلمية والطبية طوال السنوات الماضية كانت ترجعها فى الاصـــل الى العوامل النفسية والعصبية الناتجــة عن مواجهة مشكلات الحيـــاة وضـــغوطها المختلفة ؟

يقول الدكتور محمد شـــملان رئيس قسم الامراض النفسية والعصبية بجامعة الازهر : ان قرحة المعدة عادة أسبابها طبية وعضوية أساسا ، بينما يقال أن قرحة الاثنى عشر أسبابها نفسية لأنها ناتجة عن التوتر النفسى •

وبالنسبة لعامل الوراثة نستطيع ان نقول أساسا ان جميع الامراض هى نتاج تفاعل بين الاستعداد الوراثى للشـــخص والاستعداد البيئى أو الظروف البيئية • وهذه يمكن تصنيفها الى ظروف بيئيـــة داخل الرحم وظروف بيئية بعـــد الولادة مباشرة، ثم ظروف بيئية فى الطفولة تليها ظروف أخرى فى مرحلة الشباب ثم الظروف البيئية الحالية •

وقد تأكد العلماء منذ القدم من وجود نوعين من البشر، نوع لديه نسبة عالية من « البيرسوتوجين » وهى العصارة التى تفرزها المعدة فى الدم منذ الولادة ، ونوع آخر لديه نسبة منخفضـــة ، وتؤدى الى سرعة عملية الهضم • واذا أخذنا هـــذا العامل فى الاعتبار ســـنجد أن هناك أشخاصا لديهم الاستعداد بحكم التكوين للاصابة بالقرحة لاى سبب من الاسباب • ولكن ليس هناك تأكيد بأن كل شخص لديه استعداد وراثى للاصابة بالقرحة من المحتم أن يمرض بها •••

العوامل النفسية

وبالنسبة للأسس المرضية النفسية للقرحة ، يقول الدكتور شـــملان : اذا اعتبرنا أن السبب المؤدى للاصابة بالقرحة هو نسبة الزيادة فى افراز الحامض ، وأن هذه الزيادة فى الافراز جزء منها يرجع الى الوراثة والتكوين بينما يرجع الجـــزء الاخر الى البيئة •

على سبيل المثال فاذا شاهد الانســـان طعاما يثير الشهية أو تناول طعاما حريفا يثير اغشية المعدة ، يؤدى ذلك الى الافراط فى افراز الحامض ، فاذا كانت نســـبته أكثر مما تستحقه الاثارة تنتج نســـبة عالية من الحامض بدون توافر الطعـــام الكافى فتهضم المعدة نفسها ••

أما العامل النفسى فيحدث عندما يثـــار لعاب الانسان ولا يشبع ، فان الانســـان يفرز هذا الحامض دون اشباع ، وهـــذه الاثارة تحدث عندما تتكون لدى الانسان رغبات زائدة ، وان الحاجة لا تكفى أو ان تكون الاثارة الخارجية عنيفة ولا يستطيع الانسان اشباعها •• وعلى سبيل المثال فان الطفل الصغير عندما يشعر بالجـــوع تكون لديه دائما الرغبة فى الرضـــاعة وبالتالى ترتفع لديه نسبة الحامض ، واذا توافرت المشهيات فى الطعـــام أمام أى شخص ، بينما لا تتوافر لديه الكميـــة اللازمة من الاكل ترتفع نسبة الحامض بالنسبة للاكل • وهنا يحدث الاختـــلال ما بين الاشباع والرغبة • وتفسر هـــذه الحالة النفسية بارجاعها الى الطفولة عندما

تنظم الام مواعيد الرضاعة « بالساعة » لوليدها فيفرز في هذه الحالة مزيدا من الحوامض دون الاشباع فيصاب في هذه الحالة بالاحباط ، والذي يحدث عندما يكبر انه ينكر هذه الاعتمادية على امه ويدعي الاستقلال الشديد على المستوى الواعي ، وهذا هو العامل الذي يجعله طموحا ، ذكيا . فالنتيجة انه ينجح في الحياة لكنه في الحقيقة وفي اعماقه طفل معتمد يحتاج للرضاعة ولا يجد من يرضعه ويكون نجاح هذا الانسان بالتالي نجاحا ظاهريا ، ولكن حقيقة هذا النجاح كثيرا ما تغطي على احساسه بالنقص الداخلي ، فاذا ما اصيب هذا الشخص الناجح باحباط في عمله فهذا يوقظ الاحباط القديم بانه في يوم ما شعر بالجوع وهو طفل ولم يجد من يرضعه ..

باختصار شديد جدا المسالة ترجع الى الاثارة بدون اشباع او رغبة مثارة اما داخليا نتيجة لاستعداد وراثي اوخارجيا لوجود مثيرات عديدة لا يوجد لها اشباع .

اما اذا كانت الاثارة على مستوى اعلى من الاكل والشرب مثل النجاح والدراسة والزواج وحدث الاحباط فيها ، فينزل من هذا المستوى الاعلى وهو احباطه في الحب او في العمل الى المستوى الاصلي وهو التكوين الفمي ، فبدلا من ان يقول انه فقد نجاحه أو حبيبته يقول بمعدته انه فقد امه ، وان لديه الرغبة في الرضاعة وامه لا توفرها له ، فهذا الفشل السطحي يذكره بالاحباط في الطفولة المبكرة والرغبة في الجوع .

سن الاربعين مرحلة الخطر

والرجال كما يقول الدكتور شعلان معرضون اكثر للاصابة بالقرحة لانهم اكثر حبا للتظاهر بالاستقلال ، بينما هم في الحقيقة « معتمدين » فالمرأة تجد فرصة في التعبير عن « اعتماديتها » من خلال حياتها العادية ، في الزواج



د . محمد شعلان

والانجاب ، بينما الرجل غير مسموح له بالتعبير عن هذه الرغبة الا في البيت واذا احبط يصاب بالقرحة .

كذلك فان الاصابة بالقرحة ، كما يضيف الدكتور شعلان تزداد بين الراشدين في سن الاربعين ، لان هذا هو الوقت الذي يواجه فيه الانسان تحدي الاستقلال بعد ان يتزوج ويكبر اولاده فلا يستطيع ان يلتصق بزوجته واولاده ، وبالتالي لا يستطيع ان يعايش « الاعتمادية » بل يصبح في الواقع مطالبا بان يشتهر اكثر ويعمل اكثر لتحقيق المزيد من الكسب حتى ينفق على اولاده ، وهذا يعود بالبعض في هذه السن الى « التصابي » او الى ان يصابوا بالقرحة او بحالة نفسية حادة مثل الاكتئاب ، او يلجأوا الى الوسائل البديلة مثل القمار او ادمان المسكرات .

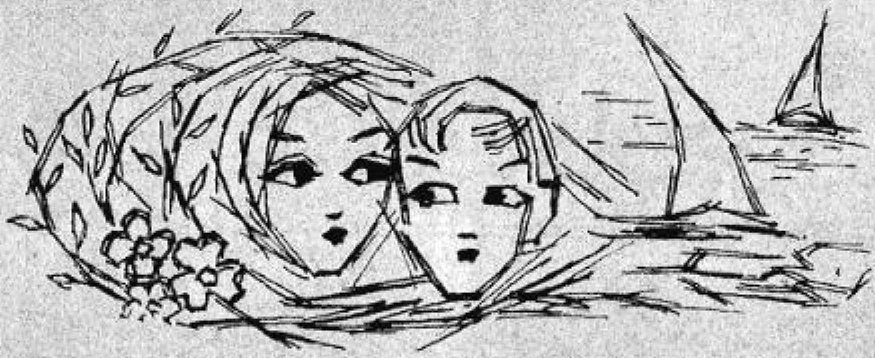
مسئولية المجتمع

اما عن الوقاية النفسية من الاصابة بالقرحة فيقول الدكتور شعلان انها مسئولية تختص بادارة المجتمع نفسه وخاصة القيادات الثقافية والحضارية والسياسية ، فمسئوليتها ان تحاول الحد من كثرة الاثارة واغراءات الناس بالاثراء السريع دون ان يقابل ذلك عمل جاد وتخطيط واع .. فلابد من تحديد نسبة الطموح على المستوى الاقتصادي والسياسي حتى لا يصاب الانسان العادي بالرغبة في الاثراء السريع .

ذكريات صغيرة

• ابراهيم عيسى •

... ومازلتُ أذكرُ حينَ التقينا
صغيرين في شاطىءِ الجدولِ
ومالتْ علينا ظلالُ الغصون
كأني بنيتُ بها منزلي
وترسلُ للماء سيقاننا
كطفلين في مسرحٍ سكمشل
تداعبُ أمواجَه العابثات
وتضحك حبًّا .. ولم تحفل
فتحبو إلينا .. وتحنو علينا
وتهمس للشاطىء المخملي
وترحلُ فوق جناح المنى
وذكرك في الموج لم يرحل
صغار نعيش بحلم الكبار
وأهمس : يا حلوتي أنتِ لي !
وتبني من الرمل بيتنا صغيرا
وأقرأ في الرملِ مستقبلي !
ويصغي الربابُ لأحلامنا
ويعزفها غنوة للغد
متجنحة بعبير الشباب
ورفت كأنشودة البلبلِ



وقلتُ : أحب الجمـــالَ الودودْ
فإن قلتُ : هاتى ... فلا تبخلى
فقالت : وعنـــدى ينابيعـــه
فقلتُ : وفى شطـــه منهلى
واملأ أمـــلأ كأسَ الحيـــاة
بكفـــهِ المشـــوق .. فلا تمتلى !
وأهتـــف : يا واختى زمّلينى
بدفء الهوى .. زمّلى زمّلى
فتلتف فى هالة من حياء
أرام على جفنهـــا المسبل
وكنّا إبتسامـا بثغر الحياة
وكنّـا وكنّا ... ولم نسأل !

***

ودار الزمـــانُ وعدتُ وحيـــدا
إلى شاطىءِ الأمـــلِ الأول
أفتش عن لهفتى فى الرمـــال
وفى الجدول الضـــاحكِ السلسل
فلم ألقَ غيرَ ابتســـامِ الدموع
ونوح الجفـــافِ على جدولى !
فلا الرمـــل يذكـــر خطوى عليه
ولا البيتُ باق ... ولا أنتِ لى !

● د . احمد متولى مسلم ●



دستويفسكى

لى بعد هذه النوبة . واحيانا انسى اشخاصا اعرفهم جيدا . وعندما كنت انهى رواية « الشياطين » اضطررت الى قراءتها مرة أخرى ، اذ نسيت حتى اسماء شخصياتها ! »

ويقول صديقه « ستراخوف » فى مذكراته : « ان النوبات كانت تعتوره كل شهر ، واحيانا كانت تشتد سرعتها حتى لتبلغ مرتين فى الاسبوع . وعندما عاش « دستويفسكى » فى الخارج ، فبفضل الطقس الجيد ، والخلو من الانفعالات ، كانت تطول الفترة بين النوبات حتى لتصل الى أربعة شهور ، وقد حضرت احدى نوباته ، سنة ١٨٦٥ على ما أذكر ، كان قد حضر لزيارتى فى المساء ، وانخرط فى حديث لا أذكر موضوعه ، واهتاج « دستويفسكى » واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وفجأة استدار الى وعلى وجهه علامات المرح والهياج ، وتوقف عن الكلام لحظة كأنما يبحث عن الكلمات .. راقبته وانا احس كأنه سينطق بالحكمة وفصل الخطاب ، وفجأة صدرت منه صيحة طويلة عالية ، وسقط على الارض فاقد الوعى . ولم تكن النوبة شديدة ، فقد تشنج كل جسمه ، وخرج زبد من جوانب فمه ..

« وقد اعتاد « دستويفسكى » أن يقول انه قبيل النوبة كانت تعتريه نشوة هائجة ، « لحظات قصيرة أشعر خلالها بسعادة غير عادية ، لم تخطر على قلب بشر . أشعر بتوافق مع نفسى ، ومع الدنيا .. وهذا الشعور من القوة والسعادة حتى ليتنازل المرء عن عشر سنين ، بل وعن بقية عمره ، مقابل ثوان من هذه المتعة » ..

« وكان يعقب النوبة اضطراب شديد فى الجهاز العصبى ، فيصبح « دستويفسكى » سريع الهياج ، غريب السلوك .. ويدخل الغرفة كأنه سحاب أسود ، كأنه يتصيد شجارا .. فيأخذ ما تفعله كاهانة شخصية موجهة اليه ، بقصد ايذائه واثارته . وكان على أن أسحبه بالتدريج الى موضوعاته المفضلة ، فيبدأ فى الحديث ، ويستعيد حماسته المعهودة . وفى ظرف ساعة يعود الى مزاجه الطيب ، ولا يبقى من دليل على مرضه سوى وجهه الشاحب ، وعينيه المتألقتين ، وتنفسه الثقيل .. وقد

حدثنى عن مزاجه السوداوى عقب النوبة ، فقال انه كان يشعر كأنه مجرم، يرهقه شعور بالذنب لعمل فظيع اقترفه » ..

***

وكتب « دستويفسكى » فى « مذلون مهانون » يقول : فى هذه الايام كنت احلم بتجديد عقلى ونشاطى ، بأن اولد من جديد .. وخطر لى أن ادخل مصحة عقلية ، حيث يعيدون ترتيب مخى فاشفى . كنت يوما متعطشا الى الحياة، مؤمنا بها ، لكن الفكرة اضحكتنى. ماذا اصنع بعد خروجى من مستشفى المجانين ؟ . هل اكتب الروايات مرة اخرى ؟ ! »

كانت تمر اوقات يهدده فيها المرض بفقد كل قواه العقلية ، ورغم بقائه دائما تحت سيف المرض الرهيب ، لا يمكننا أن نفترض انه اثر تأثيرا سيئا فى حياته أو منجزاته الذهنية .. بالعكس، لقد بصره بأغوار فى العقل الانسانى لا يبلغها الاسوياء ، وغذى موهبته الخلاقة ، وقوى شهوته الى الحياة . فى احد خطاباته الى صديق ، تحدث عن ولعه بالقمار ، فقال : « انني فى كل مكان وزمان بلغت غاية المدى .. طوال حياتى وانا احقق من الاهداف ما لا يطال » ..

ويلفت النظر كثرة عدد الشخصيات فى أعماله ، التى تعانى من الصرع ، من مختلف الأوساط الاجتماعية ، والمستويات الثقافية :

الاولى : شخصية «مورين» فى «صاحبة الارض» (١٨٤٧) : وهى من اعماله المبكرة ، ووصفه للنوبات اقل قوة مما تجلى فى اعماله اللاحقة ، اذ لم يكن «دستويفسكى» قد تمرس بالمرض من خبرته الشخصية . لكنه كان قد ادرك ان الخمر تزيد حدة المرض .. ففى القصة يبارح « مورين » فراش المرض، ويحتسى كأسا او كأسين من النبيذ ، فتعاوده النوبة فى الحال .

وظل « دستويفسكى » اربعة عشر عاما لا يصف شخصيات صرعية ، ثم اذا به فى السنوات العشرين بين عودته الى بطرسبرج ، ووفاته .. فى سنوات النضج التى كتب فيها أروع رواياته ، اذا به ينهمر فيصف الصرع فى أربع شخصيات رئيسية فى رواياته الست.

الثانية : شخصية « نيللى » فى «مذلون مهانون » (١٨٦١) وهى طفلة مريضة بالصرع وبمرض خلقى فى القلب، أبوها امير محتال غرر بأمها غريبة الاطوار ، وتجاهلها جدها فظ الطباع ، ونشأت الطفلة فى الفقر ، والتسول ، بل واوشكت على التردى فى الدعارة ، لولا ان انقذها راوى القصة . وقد فضلت الطفلة الفقر والتشرد على اللجوء الى والدها الثرى ، عملا بنصيحة أمها التى كانت تحذرها من الاغنياء وخبثهم . والقصة تحكى جوانب من حياة «دستويفسكى » ، لا سيما كرهه للطبقة الارستقراطية ، الذى تزايد عقب خبراته فى السجن ، حيث تبين له مدى كراهية عامة الشعب لهذه الطبقة التى تسومهم الذل والهوان

الثالثة : شخصية الامير « ميشكين » فى « الابله » (١٨٦٨) : شب يتيما ، وعانى من النوبات فى طفولته ، وغادر مصحة الامراض العقلية . وواجه خبث الانسان وهو مستند الى ثقته الساذجة بطبيعة الانسان . ويمضى فى حياته، فيباشر الانذال والاشقياء ، ويتلقى اعتداءاتهم دون أن يرفع اصبع الدفاع فى وجوههم . ويغيظهم سلوكه . يغيظهم انهم قادرون على أن يسلبوه كل شىء الا ايمانه بطيبة النفس الانسانية . ويقع ذلك الانسان المثالى فى حب غانية ، ثم يغار عليها عاشق مندفع فيقتلها. ويصاب القاتل بالهذيان ، والامير الى جواره يواسيه .. ويزداد عقله اضطرابا واظلاما ، حتى يصل فى نهاية القصة الى البله والعجز ..

الرابعة : شخصية « ستافروجين » فى « الشياطين » (١٨٧١) : وهو شاب وسيم قوى مندفع ، عمل ضابطا فى الجيش ، ويعانى من الصرع . يغرق « ستافروجين » فى حياة الانحلال ،

ويشترك في تنظيم فوضوى ، ويعتدى على طفلة في الثانية عشرة . ويتزوج امرأة مجنونة عرجاء ليكفرعن ذنبه.ثم يغرر بفتاة حسناء ، ثم يشرع في الانتحار ويتردد لانه لم يصل الى الالحاد الكامل. ويستطيع « كيرلوف » أن يقنعه فيشنق نفسه . وكيرلوف مهندس مثقف ، تتساوى لديه كل الاشياء ، والحياة عنده أكذوبة .. الحقيقة الوحيدة هي حرية الانسان في انهاء هذه الكوميديا بالانتحار ، على أساس منطقى ، وبلا انفعال . انه لا ينتحر هربا من الحياة ، بل لينقذ البشر ويدلهم على طريق الخلاص ! ورئيس التنظيم هو ابن استاذ التاريخ المتحذلق « ستيبان » واسمه بطرس فيركوفنسكى ، ويمثل الدجل والانتهازية . يقول « فيما بينه وبين ستافروجين » : انا في الحقيقة دجال .. دجال .. ثم ماذا تعطى الاشتراكية رغم كل شيء ! لقد حطمت القوى القديمة ، ولم تصنع جديدا » . .

الخامسة : شخصية « سميرديا كوف » في « الاخوة كارامازوف » (١٨٨٠) : وهي أعظم اعمال « دستويفسكى » ، حيث يصل الى عمق في الفكر يتجاوز عمق ماكتب في كل العصور. وقد جسد فيها رغبة الابناء في قتل ابيهم .. وقد انتهى فيها الى فكرة الايمان بالله والحياة الاخرى . ورغم ذلك يبقى في الاذهان فصل « التمرد » الذى اعلن فيه « ايفان كارامازوف » تمرده على الدين والالوهية والظلم الاجتماعى .وقد وجد « دستويفسكى »صعوبة في تفنيد حجج التمرد التي قدمها . . الامر الذى يؤكد ان شخصية « ايفان » اقرب الى التعبير عن الافكار الحقيقية لدستويفسكى من شخصية « ديمترى » المؤمن بالله .

بالاضافة الى هذه الشخصيات الصرعية ، كتب «دستويفسكى » ما لا يحصى من الشخصيات المصابة بالبله والجنون ، وهما من مضاعفات الصرع التي كان يوجس خيفة منها . نذكر منها — على سبيل المثال — من حالات الجنون بطل « القلب الضعيف » ، والعرجاء « ماريا تيمو فيفنا » في « الشياطين » .. ومن حالات العته بطل « حلم العم » ، والجنرال المتقاعد « ايفولجين » في « الابله » ، وهو سكير يعانى من فجوات في الذاكرة يملؤها — لاشعوريا — بأحداث مختلفة لا أساس لها في الواقع ، وهو مرض يسمى في الطب النفسى بحالة «كورساكوف» ، فاعجب كيف يصفه بهذه الدقة «دستويفسكى » ، وليس بطبيب، ولكنها البصيرة السيكولوجية.

في كل روائع سنوات النضج «فيما عدا « الجريمة والعقاب » » ادخل دستويفسكى عنصر الصرع ، كانما كان يمهر بامضائه كل صفحة من صفحاتها .. أو انما يقول للناس : ايها الاخوة ، هذه الصور والشخصيات والمواقف ، يقدمها لكم اخ لكم في الانسانية ، عانى من مرض الصرع ، وظلم القيصر ، ومشاكل اسرية واقتصادية لا تنتهى ، وعانى — طول حياته — من الشك في وجود الله والحياة الاخرى . . . .

ولكن معاناته الرئيسية كانت من نوبات الصرع ، التى كانت تشتد عليه كلما سهر الليالى وانهمك في الكتابة ، اى ان الكتابة كانت تفاقم مرضه ، ومع ذلك يقول في « مذلون مهانون »: عملية الكتابة نفسها تعنى الكثير عندى فهى.. تهدئنى.. تبردنى.. توقظ في داخلى عاداتى الادبية القديمة .. وتحيل ذكرياتى واحلامى المريضة ، الى عمل وانشغال » .

الكتابة عنده كانت « مانعة صواعق» تفرغ شحنة قلقه ، وتمنع انهياره ..

ولقد شعر «دستويفسكى» بسعادة كبيرة عندما فرغ من كتابة « الاخوة كارامازوف» ، فكتب عندئذ : « اريد ان احيا وان اكتب عشرين سنة اخرى ».. قال ذلك في نوفمبر ١٨٨٠ ، ومات قبل ان يحقق حلمه ، بعد ذلك بشهرين لا اكثر،في يناير ١٨٨١،عن ستين عاما.

• فدريكو فيليني

الفكر السياسي في السينما

• ماري غضبان •

•• يثير احدث افلام المخرج الايطالي المعاصر فدريكو فيليني – (بروفة الاوركسترا) – مناقشات عديدة في الصحف والمجلات والبرامج الاذاعية والتليفزيونية ، ليس في ايطاليا وحدها ، ولكن في معظم الاوساط الثقافية المهتمة بالاتجاهات الجادة للمخرج فدريكو فيليني (٥٩ سنة) .

•• والنقاد يجمعون على ان « الاوركسترا » الذي يقصده ، يمثل ايطاليا اليوم .. فان المخرج فيليني يعتبر شاعرا كبيرا يكتب اشعاره بلغة الكاميرا ، فهو صرخة ملتهبة من اعماق قلب وطني مثقف ، له بصمات واضحة في المجتمع والثقافة الايطالية المعاصرة ..

وفيلم فيليني الاخير احدث انقساما بين من شاهدوه .. فهناك من رفضوا فكره ووعيه السياسي والاجتماعي .. وهناك من قالوا انه اصاب جوهر الحقيقة ، وانه يمتلك وعيا وحسا سياسيا مرهفا .

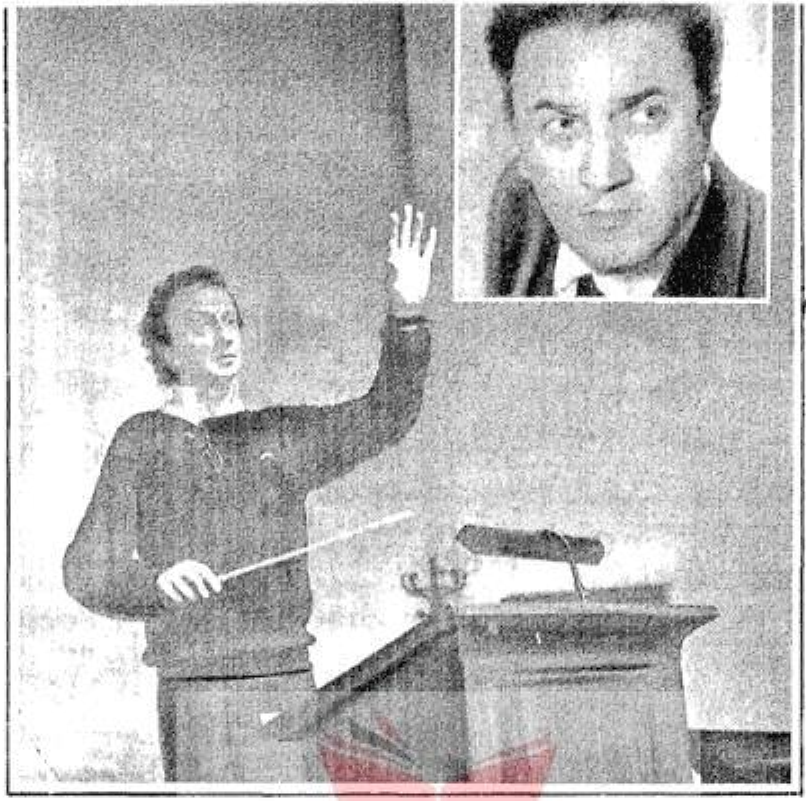
• وموضوع هذا الفيلم احدث افلام فيليني – هل هو قصة فلسفية ، ام نقد سياسي ، ام عمل ادبي وفني ؟ .

تساؤلات طرحها الناس على فيليني الذي صرح بانه من الافضل له كفنان الا يعقب باى تعليق .. لكنه ازاء ضغط الاصدقاء من الصحفيين والنقاد اضطر لان يتحدث ويبدى وجهة نظره فهو يرى ان العمل الادبي او الفني يجب أن يستوعبه القارىء أو المشاهد دون وساطة أو شرح .. ولكن الرموز والصور هى الاداة للفهم ، ومهما كانت تركيباتها معقدة ، فانها تصل للعقل اذا حاول أن يفهمها ..

وتصنيف احدث افلام فيليني تحت قائمة الافلام السياسية لا يرضى معظم النقاد أو الكتاب ، لان المشاهد وحده هو الذى يستطيع أن يحدد هذا ، لان المخرج لا يضع اى حلول سياسية ، لكنه حاول ان يقول ان ايطاليا تعيش في الاونة الاخيرة احداثا اجتماعية وسياسية هامة تغرى المجتمع بضرورة تغيير طريقة تفكيره .. فهناك مخالفات في مواجهة العدالة ، والفنان لا يعلم كيف تعالج هذه المسائل لكنه يستطيع أن ينبه الى هذه المسائل دون أن يقترح لها حلولا حاسمة .. وما يهم الفنان من وجهة نظر فيليني كما أوضحها في حديث له في جريدة (تمبو) الايطالية اليومية – هو تفكير الرجل والتزامه تجاه مجتمعه وتجاه العقل .. و « هذا ما احاول أن أوضحه » ..

• وفي الفيلم اسقاطات على الواقع الاوروبي المعاصر خاصة في ايطاليا وفرنسا بالاشارة الى احداث مايو ١٩٦٨ ..

وقد حاول فيليني ان يقدم تصورا ايديولوجيا للفن ، وان الادب والفن كلاهما يجب ان يتمتع بالحرية ودون



احدث افلام فيلينى : اثار جدلا سياسيا عنيفا

اى اعتداء على المواهب الفردية ...
ويعلن فيلينى انه ضد اية تفسيرات صحفية لاعماله ، ففى الغالب يعطى الصحفيون والنقاد تفسيرات خاصة لما يقدمه من تصور فنى قد يكون بعيدا عن فكره وعن رؤيته السياسية والاجتماعية .

● ولان المعنى السياسى مرتبط بالمعنى الاجتماعى والاقتصادى تبدو مخاوف الفنان فيلينى من المستقبل ، وتعلو صرخته بضرورة انقاذ المجتمع .. هذا المعنى لا ينفيه فيلينى بل انه يؤكده عمليا فى اعماله ففى افلامه نقد اجتماعى ...

وافلامه ليست حكايات مسلية او ميلودرامات استعراضية : مثلا كانت صرختى واضحة فى الشارع فى افلام ليالى كابريا ـ الحياة الحلوة ـ امركورد ـ ساتركون ـ بوكاتشو ٧٠، وفيلم ثمانية ونصف ـ وروما ـ وكازانوفا .

فى كل هذه الافلام وغيرها يبدو النقد الاجتماعى .. ففى فيلم (الحياة الحلوة) نقد لمجتمع ثرى ضائع فى ملذات الحياة .. وفى فيلم (روما) « اوضحت ان هناك حياة اخرى غير هذا الجانب المضىء من العاصمة الجميلة روما » .. بينما كان فيلم سترادا (الشارع) تعبيرا عن طبقة من الجائلين دون مأوى ودون ضمان فى مواجهة اخطار المستقبل .

●● والفيلم الذى يثير قضية الفكر السياسى عند الفنان المعاصر ، يبرز وضوح هذا الفكر عند المخرج العالمى



مشهد من فيلم « بروفة الاوركسترا » لفيليني

فيليني ، هو أحدث أفلامه : (بروفة الاوركسترا) وموضوعه بسيط يدور فى صالة كبيرة خالية كانت من قبل كنيسة قديمة ، الصوت فيها مجسم وواضح ، ولهذا تستخدم فى بروفات الفرق الموسيقية .. كان المكان مستعدا لاستقبال اعضاء الفرقة الموسيقية لعمل « البروفة » الجديدة ، وتبدأ الخلافات بينهم وبين المايسترو (قائد الفرقة) وتنقلب « البروفة » بالتدريج الى فوضى صاخبة ، وتتدهور الأمور ... يسجلون سخطهم على الجدران والثورة تعم المكان .. ويحاول القائد جمعهم ، يخطب فيهم خطبة طويلة..وفى وسط الفوضى يعود السلام، يتجمع الموسيقيون ويتناسون اختلافاتهم ، ويلتفون حول القائد « المايسترو » متجهة ابصارهم الى عصاه الساحرة وتعود « البروفة » لتبدأ من جديد •

●● لقد فقدت ايطاليا بعض عباقرة المخرجين من امثال روبرتو روسيليني ، وفيتوريو دى سيكا ، وبازوليني ، وفيسكونتي وهم اشهر أربعة شهدتهم السينما الايطالية المعاصرة ، يليهم فى الاهمية والشهرة العالمية المخرجان مايكل انجلو انطونيوني ، وفدريكو فيليني وعدد آخر من الأسماء اقل منهم فى العالمية والفكر مثل كومنشيني ومزيرى وروزى وغيرهم ..

ويبدو المخرج فيليني واضح الفكر والمعالم وسط الجيل الذى ينتمى اليه والاجيال التى ظهرت من بعده وحتى الاجيال التى ظهر هو بعدها .. لقد ولد فيليني فى ٢٠ من يناير ١٩٢٠ فى مدينة ريمنى على ساحل الريفييرا الايطالية ، وقد ورث حب السينما عن والده التاجر المتجول ، وبعد حياة هادئة فى مدينة ريمنى سافر الى فلورنسا وعمل صحفيا فى احدى المجلات الايطالية (الترورزو) وفى عام ١٩٣٩ ترك فلورنسا ليكمل دراسته فى القانون فى جامعة روما..والتحق بعدها بالعمل فى صحيفة (بوبلو دى روما) ثم ترك الصحافة وانضم لفرقة من الهواة يتجولون فى ايطاليا ، وهى فترة يعتبرها اهم واحلى فترات حياته ... وفى عام ١٩٤٣ التقى بالممثلة جوليتا ماسينا وتزوج منها واصبحت شريكة حياته الدائمة ونجمته المفضلة ...

وفى عام ١٩٤٦ عمل مساعدا للمخرج الكبير روسيليني فى الاخراج وكتابة السيناريو ، وكان اول افلامه كمساعد (بلدى) ، واستمر هكذا مع اكثر من مخرج حتى اخرج اول افلامه عام ١٩٥٠ « لوسى فى فرقة المنوعات » ثم قدم عددا ضخما من الافلام الايطالية تتميز بانها من اهم واشهر الافلام العالمية الايطالية .. وخلال ٢٩ عاما قدم حوالى عشرين فيلما هى بمثابة خطوط الفكر السياسى عند المخرج فدريكو فيليني —•



●● اجمل الجواهر وأغلاها وأندرها .. فتنه النساء والرجال .. بريقه يخطف البصر، وثمنه يخطف الروح، ومع ذلك فما هو الا كربون حجري مصفى ... فما هو سر تقدير الناس اياه ؟ .

الماس

● لم يعجب العرب قديما بالماس ولا هم قدروه حق قدره، ولا تجد له ذكرا فى اشعارهم ..

السبب فى ذلك ان الماس صعب جدا فى القطع والتشكيل ، فهو اصلب من الحديد ولا يمكن تهيئته على النحو المطلوب الا اذا استخدمت ادوات خاصة من اقوى صلب فى العالم ، وتذرع صانع الماس او قاطعه بالصبر الطويل ..

وفى القرن السادس عشر عندما بدا الناس يتبينون اهمية الماس وبداوا فى تقطيعه ورفع ثمنه ، كان لابد من اختراع ادوات خاصة لتقطيعه ، خاصة وان تشكيل الماس يزيد فى قيمته ..

والمتخصصون فى قطع الماس افراد نوادر معظمهم فى هولندة ، والواحد منهم يقضى العام الكامل فى تقطيع ماسة واحدة، لان الامر ليس مجرد التشكيل، بل انه لابد من المحافظة على كل ذرة من ذرات الماس تخرج من التقطيع ، لان هذه الذرات تباع هى الاخرى بثمن غال ..

ولعلك سمعت بساعة او سوار مزين بالماس ، وهذه الزينة هى تلك القطع التى لا تكاد ترى من الماس ، التى تخرج من التقطيع ياخذونها ويضعونها فى الذهب فيكون لها بريق جميل جدا.

● وبريق الماس هو اروع ما فيه ؛ لان هذا الحجر الكريم مكون على هيئة داخلية تجعل الضوء اذا وقع عليه ينعكس فى كل اتجاه وبالوان تبهر البصر. وقطعة صغيرة من الماس لا يزيد حجمها على نصف ملليمتر فى خاتم او فى قرط : تجتذب الانظار اكثر من اى حجر كريم آخر مهما كان نوعه .. ولهذا تحرص الجميلات على أن يكون فى ملكهن شىء من الماس ..

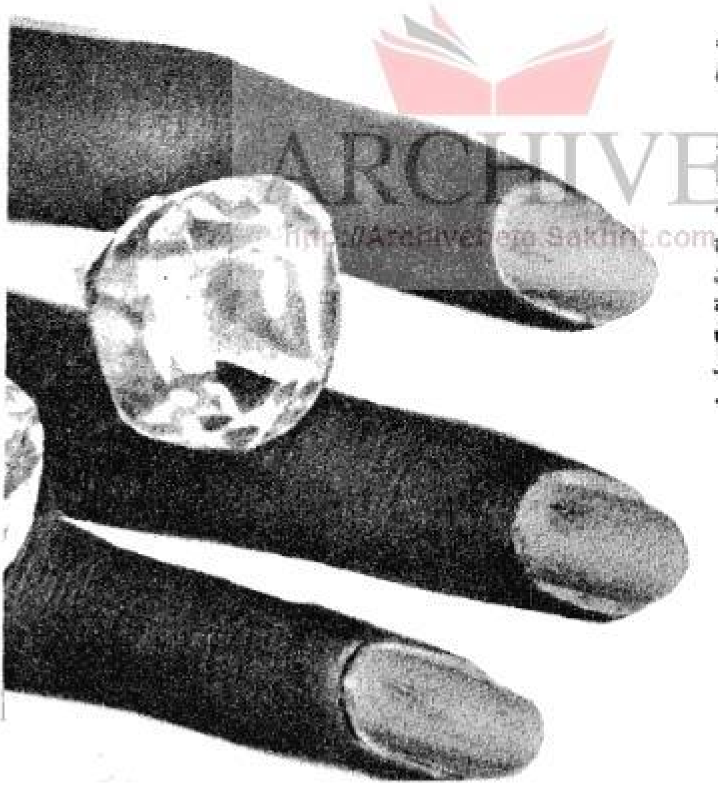
● ولم يقدر العرب القدماء الماس لانه كان نادرا جدا فى ايامهم، ولانه كما قلنا صعب التقطيع . والسبب الثالث هو انه لا يوجد الا ابيض او اسود . وفى بعض الاحيان يوجد ماس ذو لون وردى خفيف . وهذا الماس لا يقدر بثمن . وكان العرب يفضلون الجواهر ذات الالوان كالزمرد الاخضر ، والعقيق الاحمر ، والكهرمان الاصفر ، وما الى ذلك .. ولهذا لا نجد له كبير ذكر فى ادبنا العربى .

● ويوجد الماس فى مناجم خاصة فى بعض بلاد العالم ، اشهرها جنوبى افريقيا ، وهو يوجد على اعماق بعيدة جدا فى نفس مناجم الفحم ، لانه كربون

متبلور ، ويحتاج الأمر من الباحثين الى صبر طويل جدا . وفي ايديهم المصابيح داخل المناجم ، فاذا لمحوا لمعانا قصدوا اليه .. وهنا تبدا عملية الاستخراج ، وهي عملية حظ لأن قطعة الماس التي برقت قد لا تزيد على ملليمتر ، وقد تصل الى عشرة سنتيمترات ... وفي اليوم الذي تكتشف فيه شركة من شركات الماس حجرا من ذلك الحجم يعتبر فتحا هائلا بالنسبة للشركة ، لأن هذه القطعة تباع بالملايين ، اما قطعة واحدة او مقطعة ومهيئة. واكبر شركات الماس في الدنيا هي شركة « دي بيرس » وهي تكاد تحتكر الماس في العالم لانها تحتكر كذلك اكبر قاطعي الماس في الدنيا ، والواحد منهم يتقاضى في اليوم الواحد الف دولار ، وهم أغلى عمال العالم ، ولكنهم كذلك يتعاملون مع جوهر لا يقدر له ثمن .

● وقد قفز سعر الماس خلال السنوات العشر الماضية ٤٠٠٪ . ومن المعروف أن الماس يقدر بالقيراط والقيراط وزنه جرامان ، وقيراط الماس يساوي اليوم نحو ٨٠٠ دولار ـ فقارن بذلك جرام الذهب الذي وصل في يومنا هذا الى قرابة الخمسة جنيهات او اكثر ، فكأن قيمة الماس تساوي قيمة الذهب نحو ٨٠ مرة . لهذا يحرص الناس عليه ..

● واكبر اختصاصي في الماس في العالم هو السير ارنست أوبي هيمر ، وهو



● اثنتان من اعظم ماسات الدنيا على اصابع من الابنوس ●

اثنتان من اكبر واعظم الماسات في العالم صورتا على اصابع سوداء ذات جمال فاتن لكي يتضح جمالهما وكل واحدة من هاتين الماستين فوق العشرة ملايين من الدولارات وهما لم تقطعا او تصقلا بعد وهما معروضتان لمن يشتري.

الماس



الماس

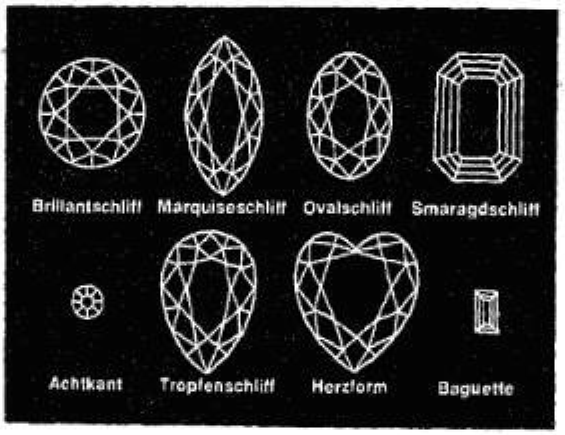
يهودى هولندى متجنس بالجنسية البريطانية وكل كفاءته انه يعرف الماس اكثر مما يعرفه غيره .

● ومن المعروف أن الماس بللورات كربونية صافية أو بتعبير ادق فى غاية الصفاء ، وهى تتكون تحت ضغط عال جدا وحرارة تقدر بمئات الالاف من الدرجات . وقد حاول اليابانيون أن يصنعوا الماس ولكنهم لم يوفقوا لانه من المستحيل الوصول الى درجة الحرارة التى تحول الكربون الى ماس واصبح الامر فيما يتصل بهذا الجوهر النفيس مقتصرا على الصدفة أى على ما يتصادف العثور عليه فى المناجم من ذلك الجوهر النفيس .

● والماس هو الجوهر النفيس الوحيد الذى تحمل كل قطعة شهيرة منه اسما خاصا بها كأنها علم من الاعلام ، ولا يجهل أحد أسماء ماسات مثل كوهينور ـ ريجنت ـ باشامست ـ اورلوف ـ سانس ، وما اليها مما يملكه اليوم نفر قليل جدا من اغنياء الدنيا ، معظمهم ملوك وملكات او بنوك عالمية ، وقد كان شاه ايران يملك ماسة تسمى الشاه مستطيلة الشكل وزنها ٨٩ قيراطا ، ولا يدرى احد اين توجد الآن .

● واكبر ماسة عثر عليها فى التاريخ وزنها ٩٩٩ قيراطا ، ولم يتم تقطيعها بعد ، وانما تحتفظ بها شركة دبيرز لانها ترجو ان تجد فى يوم من الايام من يشتريها قطعة واحدة دون تقطيع ، لانهم يقولون انه من الخسارة ان تقطع ماسة كهذه ليس هناك اى امل فى ان يوجد لها مثيل ... وقد عثر عليها فى سيراليون فى غربى افريقيا .

والذى اشتراها رجل برتغالى كان يتجول فى اسواق سيراليون عندما وجد طفلة تلعب بقطعة زجاج تبدو للرائى كانها بقية كوب محطم ، فاخذها منها

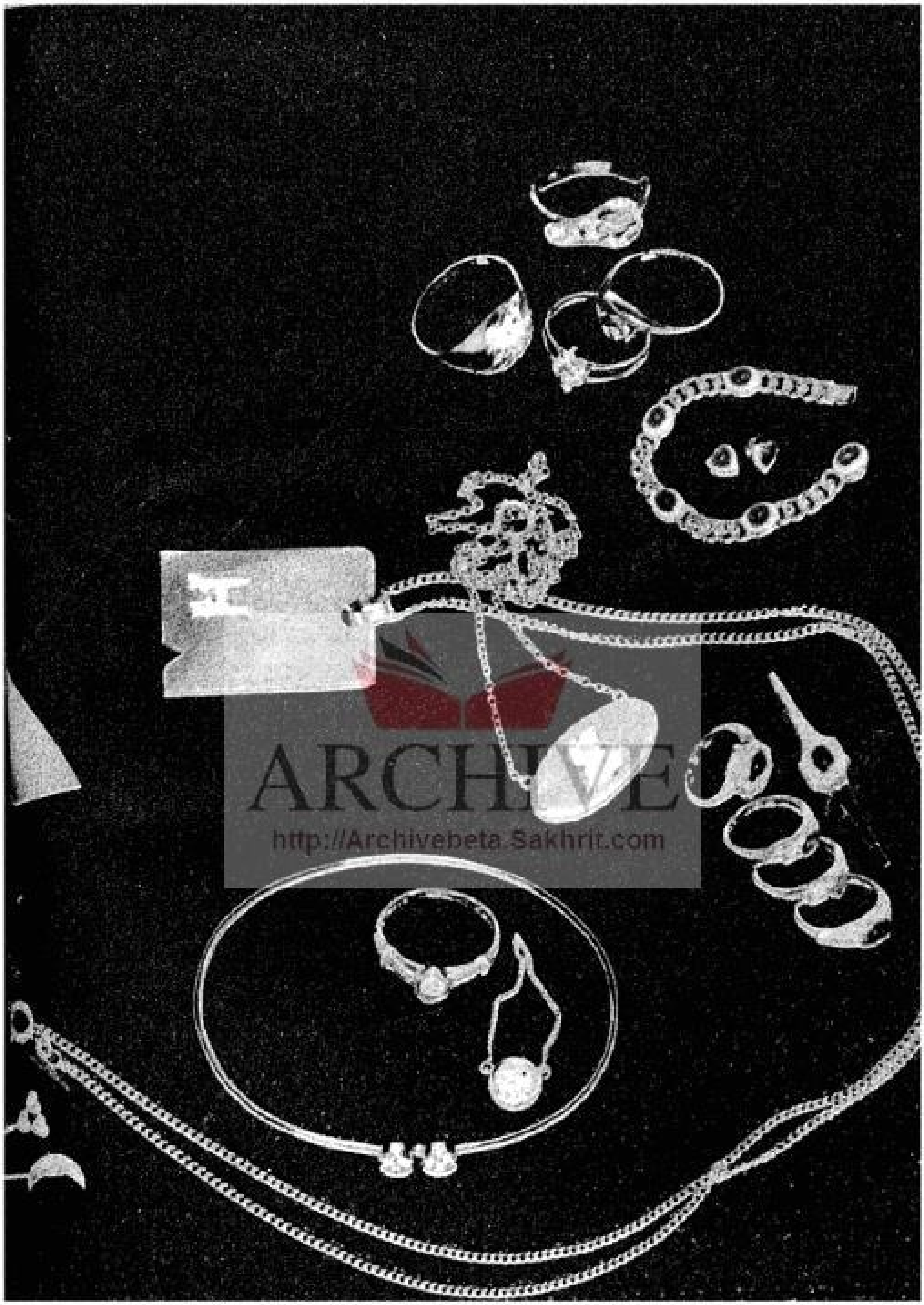


يعتبر تقطيع الماس وصقله من ادق الفنون فى العالم ولا يستطيعه الا عدد قليل من الاخصائيين يعدون على الاصابع ولكل تقطيعة اسم فنى معروف واليك اسماء التقطيعات الثمانى المبينة فى الصورة .
الصف الاول من على اليمين : قطع الزمرد ـ الصقل البيضاوى ـ قطع المركيز ـ قطع الماس .
الصف الثانى من على اليمين : باجيت ـ القلب ـ القطع الاستوائى ـ الزوايا الثمانى .

واعطاها عقدا من الخرز ...

وفى الفندق لمحها فى يده تاجر ماس فخدعه واشتراها منه بمائتى جنيه انجليزى !.. وتنقلت الماسة الفريدة من يد ليد حتى وصلت الى يدى السير اوبى هيمر الذى وقف امامها مندهشا واشتراها لحساب دى بيرس، واليوم لا يوجد ثمن لهذه الماسة. ويكفى ان تعرف انهم ارادوا مبادلتها بمبنى كامل من مبانى نيويورك يعادل مبنى الامباير استيت « ١٠٦ طوابق » فرفضت شركة دى بيرس ... وهم يعتبرونها الآن الضمان المالى الاكبر للشركة !.

● ويتوقف ثمن الماسة على بضعة اشياء منها لونها ، فاللون الشفاف الصافى تمام الصفاء سواء كان أسود ام ابيض هو أغلى الالوان فى العالم، ويشذ عنه قليلا الوردى وهو نادر الوجود . وكذلك يتوقف ثمن الماسة او قدر الماسة على حجمها ، وعلى شكلها . فان الحجم يتيح الفرصة لعمل اشكال مختلفة من الماسة . والشكل يساعد على التقطيع . واذا وجدت قطعة من الماس خالية من كل عيب وفحصوها بمجهر يكبر الاشياء مائة مرة ، ولم يجدوا فى داخلها شقا او خيطا او اى مادةغريبة، وضعوها فى الدرجة الاولى . وفى هذه الحالة يجتهدون فى الا يقطعوها قطعا صغيرة بل يفضلون تقطيعها وتشكيلها فى حجمها الطبيعى . ومثل هذه الماسة التى تزن ٥٠ ، ٦٠ الى ١٠٠ جرام كثيرة جدا . وفى الغالب يصنعون منها خواتم او قلوبا لمعلقات من الطراز المسمى بالباندانتيف ، وقد توضع فى تاج عروس .. وعندما تزوجت كارولين اميرة موناكو وضعوا على راسها تاجا من الزمرد والياقوت ولكن تزينه ماسة وزنها ١٤٠ قيراطا ، وهى أغلى شىء



ليس في الدنيا ما يفتن المرأة مثل الجواهر ولا تسعدها هدية أكثر من المصاغ من الذهب والجواهر الغالية الثمن .

وعلى هذه الصفحة ترى جميلة من الجميلات استخدمها احد كبار تجار الجواهر في باريس ليعرض عن طريقها مجموعة من قطع المصاغ كلها محلاة بالماس وقد عرضت هذه القطع كلها في مزاد علني حضر له من اطراف الدنيا كلها هواة الزينة وكل النساء اللاتي اردن ان يثبت لهن ازواجهن حبهم عن طريق شراء احدى هذه التحف . انها عقود واساور وخواتم ومعلقات لا بالدانتيف ، تبهر العقول ونظرة اليها كافية لكي تقنع الانسان بسر فتنة النساء بالجواهر .



الماس

يملكه امير موناكو ..

● ويقول خبراء الماس انه يندر ان توجد ماسة خالية من العيوب ... والعيوب عند خبراء الماس هى اى شىء يشوب صفاء الحجر الكريم ... ونحن لا نفهم هذه الاشياء ومعظم الذين يشترون الماس يخدعون فيه ، اى انهم يشترون قطعا فيها عيوب كثيرة ولكن عيوبها يعرفها التاجر وحده ... وعلى اى حال فان الذين يشترون الماس اليوم قليلون جدا نظرا لان ثمنه عند الشراء غال جدا وعند البيع يهبط هبوطا غير معقول .. ولا تصدق من يقول لك ان الماس يحتفظ بقدره لان الحقيقة ان حجرا من الاحجار الكريمة لا يفقد من ثمنه بقدر ما يفقد الماس !... وتجار الماس فى غاية المهارة فى هذه الناحية ، ولهذا فاننا ينبغى ان نكون دقيقين جدا قبل ان ننفق المال فى شراء الماس. ولكن لا بأس بشراء اشياء مزينة بشرر الماس وهى تلك القطع الصغيرة التى يزينون بها الساعات والأساور وما الى ذلك .

● **ومن المعروف ان الماس يسبب متاعب كثيرة لاصحابه ، لان الاحتفاظ به بعيدا عن ايدى اللصوص صعب للغاية . ومن الغريب ان اكبر لصوص الماس هم الخدم ، وهم يسرقون ماسة ثمنها خمسون الف جنيه ليبيعوها بخمسين جنيها . ومن هنا جاءت اسطورة التشاؤم من الماس ، فيقولون انه يجلب الحظ السىء . ومن المعروف ان الملكة فيكتوريا كانت تكره الماسة الكوهينور . وقد رفضت فرح ديبا ان تضع ماسة الشاه فى تاجها .**

● وعندما كانت الممثلة المشهورة نورما شيرر فى اوج شهرتها اشترت ماسة بمليون دولار وبعد شهرين أصيبت بالسرطان . ويقولون ان الماس الأسود يجلب الحظ والأبيض يجلب سوء الحظ . ولهذا فان سوق الماس يعانى ازمة كبيرة فى عصرنا وهذا هو السبب فى كثرة الاعلانات التى تقرؤها عن الماس ، لان الماسة فى ذاتها لا تنفع فى شىء ، وانما هى زينة المرأة الجميلة .

وفى الماضى كانت الفاتنات تحرصن على الماسات ، اما اليوم فانهن يفضلن فيللا جميلة على شاطىء الريفييرا أو سيارة من آخر طراز ، وربما حماما من ذلك الطراز البديع الذى نراه اليوم . فهذا هو الذى فعلته شيرلى ماكلين عندما قدمت اليها الشركة التى تعمل فيها ماسة هدية ، فقالت خذوها واعطونى بدلا منها حماما وحوض سباحة فى حديقة بيتى !.

● وللماس حكايات واساطير ، ومامن قطعة من الماس مشهورة في الدنيا الا ولها قصة طويلة فتجدها قد تنقلت من يد ليد وجلبت سوء الحظ من انسان لانسان ... واغرب قصة من الاقاصيص الماسات هي قصة ماسة كوهينور اى جبل النور وزنها ١٨٦ قيراطا ، وكانت في الاصل ملكا لاحد سلاطين مغول الهند ، ثم استولت عليها الحكومة البريطانية ، ثم رفع نظام حيدر اباد في الهند قضية على الحكومة البريطانية واسترد الماسة .. وعندما مات نظام حيدر اباد اشترتها الحكومة البريطانية لتضعها في تاج بريطانيا وهي اليوم درة ذلك التاج ، ولكنها لا تلبس الا مرة او مرتين في العام وبقية السنة تجدها محفوظة في متحف جواهر التاج الذي يتفرج عليه الناس لقاء اجر زهيد .

● وكل قطعة مشهورة من الماس مؤمن عليها بتأمين كبير ، وهذا التأمين يزيد في ثمنها عاما بعد عام بالنسبة للتجار فقط لان الافراد اذا اشتروا الماس وامنوا عليه فانهم في الحقيقة يؤمنون على شيء لاقيمة عملية له الا من ناحية المظهر وفي عصرنا هذا الذي وصلت صناعة الكريستال فيه الى مستوى يمكن المنتجين من اخراج قطع من الكريستال لايقل صفاء وجمالا عن الماس الحر ، لم تعد حتى لمسالة المظهر قيمة كبيرة .

فنحن قد نرى سيدة في اذنيها قرط من الماس ولكن الخبير فقط هو الذي يعرف ان كان ذلك ماسا حقيقيا أو زجاجا صافيا .

● ومن هنا نفهم لماذا لم يقدر العرب الماس حق قدره لان الحقيقة ان الاحجار الكريمة الاخرى ذات الالوان من امثال الكهرمان والياقوت والزمرد اجمل بكثير في الرؤية . ولكن الذي يعطي الماس ميزته الكبرى على غيره هو طريقة تقطيعه التي تتم بزوايا محسوبة بحساب هندسي ، كما ترى في الرسم المرافق لهذا المقال . هذه الطريقة تجعل قطعة الماس ترسل بريقا دائما في كل اتجاه . ونظرا لاختلاف الزوايا وتعددها فان الضوء يتكسر اذا وقع على الماس وانعكس منه فيتحلل الى الوان الطيف . وهنا فتنة الماس ، فانك ترى شيئا له بريق عجيب وهذا امر تعرفه الغانيات اللاتي يتنافسن في الحصول على الماس .

● من الغريب ان الماسات الكبرى في العالم ذات الاسماء المشهورة كلها او غالبيتها تملكها اليوم البنوك الكبرى

الماس

على هاتين الصفحتين جمعنا أشهر وأجمل ماسات الدنيا وكل منها لها اسم وتاريخ وهي كنز يفخر به صاحبها وهذا الصاحب اما ملك من الملوك او بنك من البنوك او واحد من أكبر اثرياء الدنيا وقد بينا تحت كل ماسة اسمها ونبذة عنها .

بيجوت ماسة مشهورة سابقة وزنها الأصل ١٥٠ قيراطا كان يملكها محمد علي باشا وقد عثر على قطعة منها .



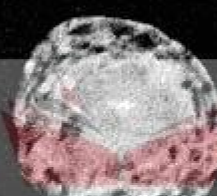
اوريكا وزنها ٧٣ قيراطا وهي ماسة مبروكة ما ملكها احد الا جلبت اليه السعد وقد عثر عليها في جنوب افريقيا .



كوهينور أي جبل النور وزنها ١٨٦ قيراطا قطعها وصقلها من الطراز القديم ذي الأوجه المتعددة وهي الآن ملك التاج البريطاني .



ناسال وزنها ٨١ قيراطا تمتاز بقطعها الغريب وهي ملك احدى الثريات الامريكيات .





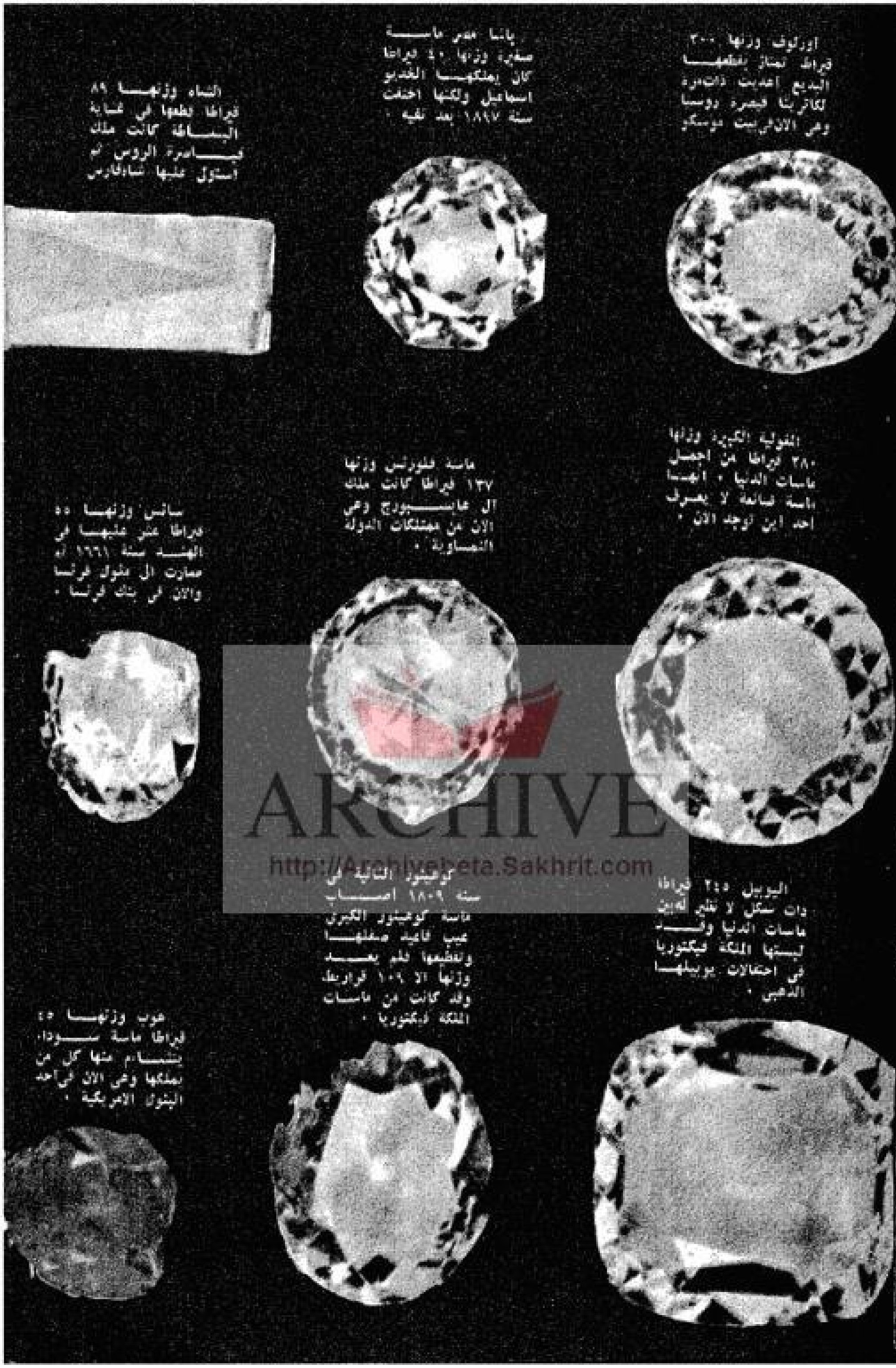
نجمة الجنوب وزنها ١٢٩ قيراطا عثر عليها في البرازيل يملكها امير هندي .

ريجنت وزنها ١٤١ قيراطا عثر عليها في الهند سنة ١٧٠١ وقد كانت في يوم من الأيام ملكا لنابليون وهي الآن ملك لبنك فرنسا .

تلك هي أكبر قطعة ماس في الدنيا اسمها نجمة سيراليون ووزنها ٩٦٩ قيراطا ولم يتم تقطيعها بعد وتستطيع ان تعرف حجمها بالمقارنة مع اليد التي تمسك بها .







اورلوف وزنها ٣٠٠ قيراط تمتاز بقطعها البديع أهديت ذات مرة لكاترينا قيصرة روسيا وهي الان في موسكو

باشا مصر ماسة صغيرة وزنها ٤٠ قيراطا كان يملكها الخديو اسماعيل ولكنها اختفت سنة ١٨٩٧ بعد نفيه .

الشاه وزنها ٨٩ قيراطا قطعها في غاية البساطة كانت ملك قياصرة الروس ثم استولى عليها شاه فارس

المغولية الكبيرة وزنها ٢٨٠ قيراطا من اجمل ماسات الدنيا . انها ماسة ضائعة لا يعرف احد اين توجد الان .

ماسة فلورنس وزنها ١٣٧ قيراطا كانت ملك آل هابسبورج وهي الان من ممتلكات الدولة النمساوية .

سانسي وزنها ٥٥ قيراطا عثر عليها في الهند سنة ١٦٦١ ثم صارت آل ملوك فرنسا والان في بنك فرنسا .

اليوبيل ٢٤٥ قيراطا ذات شكل لا نظير له بين ماسات الدنيا وقد لبستها الملكة فيكتوريا في احتفالات يوبيلها الذهبي .

كوهينور الثانية في سنة ١٨٠٩ اصاب ماسة كوهينور الكبرى عيب افقد صقلها وتقطيعها فلم يعد وزنها الا ١٠٩ قراريط وقد كانت من ماسات الملكة فيكتوريا .

هوب وزنها ٤٤ قيراطا ماسة سوداء يتشاءم منها كل من يملكها وهي الان في احد البنوك الامريكية .

الماس

لان الافراد لم يعودوا بحاجة اليهـا ، واذا استثنينا ملكات العـالم وهـن قليلات فانه لايوجد ناس يهتمون بدفع عشرة ملايين دولار مثلا لكي يحتفظوا بماسة تسبب لهم بعـد ذلك المتاعب .

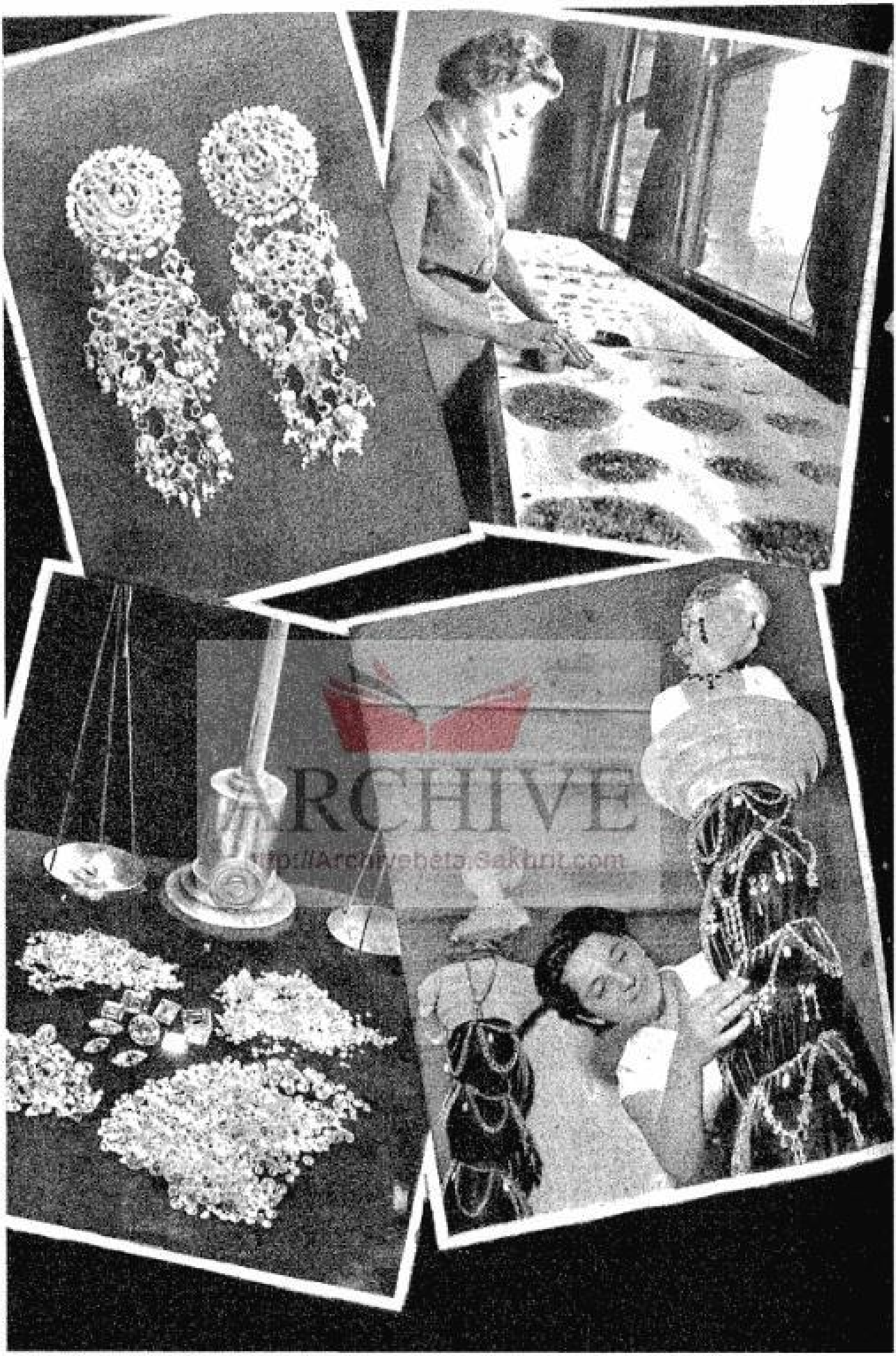
● وعلى الرغم من الثروات الهائلة المتجمعة لدى شركات الماس واهمها شركة دي بيرس، فان تجارة الماس تبور شيئا فشيئا . ولابد أن تختفي في يوم من الايام ، ويقتصر الامر على شرر الماس وهي الشظايا الصغيرة التي تتخلف من التقطيع ، وتباع بأسعار عالية لكي تحلى بها الجواهر ..

ولا يبدو جمال الماس بقدر ما يبدو وسط الجواهر الاخرى ، فاذا وضعت قطعة من الماس بين مجموعة من العقيق والزمرد والكهرمان وجوهر الصين الذي يسمى باسم « الجاد » تبينت قيمته وتبينت بريقه .

● لقد تغيرت الدنيا وما عليهـا ، وبزوال الطبقات الارستقراطية التي كانت تتباهى وتتظاهر يختفي الماس رويدا رويدا ، وتحل محله التحف ذات القيمة العملية من القصور والسيارات والطائرات لان الارستقراطية في عصرنا ارستقراطية مالية لا ارستقراطية حسـب ، ومن ثم فان الغني من الاغنياء ـ وفي الدنيا ناس اغنياء الى حد يفوق التصور ـ يهمه قبل كل شيء ماينفعه لا مايبهر عقول الناس، وقد كان اوناسيس يبهر العقول باليخت كريستينا وكان يرفض شراء الماس لانه كان يقول انه لعب اطفال ، ومع ذلك فان ثروته ضمت عددا من الماسات الصغيرة كلها صارت الى ملكية جاكلين اوناسيس وهذه بدورها باعتها لفرع شركة دي بيرس في نيويورك وفي الصفحات المصورة المرافقة لهذا المقال ترى صورا لذلك الرمز الزائل من رموز الغنى والقوة.. الماس فتنة الفانيات ورمز الجمال ورمز الصفاء في دنيا الغواني .

● د . حسين مؤنس ●







لم يخلق الله فتنة للمرأة هي أقوى من فتنة الجواهر ولا يفتن المرأة من الجواهر مثل الماس وعندما يتعاظم الناس عندنا يتحدثون عن السوليتير وهذه الحسناء التي تراها قطعة من الحسن والماس في الأذنين والصدر والذراع والاصبع .



أمسياتي

● عبد الهادى النجار ●

كلّ مـــا ابقيه نظره
ايها الارحب صــدره!
بعت ودي : غــير انى
لك عمرى لست اكره !
لامنى فيـــــك غريمى
كاده : انـــــــك دره
يا حبيبي طف بروحى
واسقنى الشهد وعطره!
منذ ان جافيت روضى
ما الى الغيث بقطره !
وابتساماتى : حيـــارى
ليتها تمسح عبره !
فادن منى ، وترفـــق
بشجونى ـ ذات مره
شـــاقنى حلو الكرى
رغـم منغـــوم الاسره
لا تســـل ليلى ، فانى
امســـياتى مكفهره !
يا حبيبى لك عنـــدى
لوعة تفطر صـــخره !
فاســـترح فى مقلتيــا
بالهناء . . . وبالمسرة!

قصـــة

جســـور.. وفـــترات

• نبيل عبد الحميد •

.. ويمتلئ سواد عينيه المتموج بصدرها المتشنج وهو يميل ناحيتها، ويتنحنح بصوت مشروخ، ويتلمس شاربه باصابع مرتجفة وتنكسر نظرته ناحية الباب الموروب. وتنهنه وتمسح عينيها وخديها وشفتيها، ويهتاج الاحمرار الوردي تحت جلدها الرقيق ويفور، ويذوب صوتها ويتقاطر من قلب متختلج :

ـ لا اريده .. لم اعد اطيقه !

ـ لا اسمحك جيدا، ابعدي هذه الوسادة اقتربي اكثر ...

وتضع الوسادة جانبا، ويتقاربان، ويتساقط انين الخشب اسفل الكنبة المهتزة. ويلمحك بفمه المعتم، وهو يربت على الخشبة ويتحسسها:

ـ لقد شاخت الكنبة، ما يزيد على الاثنين عاما، احضرتها ام فايد بعد زواجنا بايام.

وترتجف اصابعه المعروقة وهي تقترب من خصلة شعر تتوسد كتفها :

ـ كان شعرها جميلا مثل شعرك، وكان وجهها جميلا مثل وجهك !

وتتألق نظرة الخجل وتختفي اسفل جفنيها المنكسين :

ـ ولكني كنت، و ... وما زلت رجلا، يزن ويقدر الاشياء الجيدة !.. لا تحسبيني شخت مثلها.

وتضغط اصابعه على كتفها، وتنزلق الى اسفل قليلا :

ـ لم اكن اظنه هكذا ... لا تودي اليه، انا معك هذه المرة، ولن نتركه يتمادى .. اهذه رجولة !..

وتضع وجهها بين كفيها، وتلمع الدبلة والخاتم الكبير، ويتميع صوتها المبحوح :

ـ آه .. لولا الاولاد لما صبرت الى الآن !

ويظل يربت على كتفها، ويحاول ان يقرب وجهه من وجهها وعيناه ترمشان :

ـ اهدئي. ساحاول أن اتصرف معه بطريقتي الخاصة ..

وتلتقط يده وتضغطها بين يديها، وتقربهما من فمها المبتل، وتتلاحق انفاسها الساخنة :

ـ لابد أن تجد لي حلا... لم يعد لي سواكم، الى من الجأ الآن ؟.

ويقشعر العود اليابس، وتتمدد الاصابع، وتتوتر عروقها النافرة وهي تنجذب الى الشفتين. ويتململ الصمت من رجفات القلب بين الضلوع. ويتردد الصوت مكدودا :

ـ لا تبكي هكذا. انه لا يساوي شيئا، ليتك تعرفين كم انا ... اقصد انني لا احتمل رؤية الدموع تبلل عينيك الجميلتين. آه لو انني كنت ...

وتتلاحق شهقاتها، وترتمي رأسها على كتفه ويخرج صوتها مرتعشا :

ـ ارجوك أن تفعل شيئا من اجلي، لقد اصابه السعار، يريد أن يستولي على كل شيء، ويتركني لي الاولاد، تالها بالامس، يريد ان يطلقني، ويهدد كل ما تعلمت من أجله، أيرضيك هذا ؟!

وتتداعى نظرته المضطربة عند شق الباب، وتمتد يده وتمسك بها :

ـ لن يمكنه ان يفعل شيئا وانا موجود. اني استطيع أن اهدم مستقبله واعيده كما كان ! هيا جففي دموعك وسترين ماذا سأفعل به، من اجل خاطرك ...

وتتراجع قليلا وهي تنظر الى عينيه، وترتفش يده المبتلة بالعرق :

ـ وماذا ستفعل معه ؟!

ـ الا تثقين بي !

وتضع يدها الدافئة على يده :

ـ اريد فقط ان اطمئن، ارجوك اخبرني.

ويشد ظهره وهو يتلمس شاربه، ويتنحنح ويخرج الصوت خشنا من بين نواجذه :

ـ اظنك تعرفين انه وضع كل ثروته في الصفقة الاخيرة. ولكي يكسب هذه الصفقة لابد ان اوقع



انا على العقد .. أتعرفين كم يربح من وراء هذه العملية .. ؟

وتنفض رأسها وتتنهد :

ـ وكيف أعرفه ؟. لم يعد يخبرني بشيء !

ويقدم لها سيجارة فتتردد أصابعها ، وتقترب يده أكثر :

ـ دخنيها !! لكي تهدأ أعصابك ...

وتمتد الاظافر الطلية بعناية وتسحب سيجارة من العلبة . وتمتص الشفاه المطرطة نفسا عميقا . ويضع سيجارته ويسعل بين كفيه . ويخرج الصوت من حلقه مختنقا بالدخان :

ـ كنت مترددا في التوقيع على العقد لانه لم يعطني النصيب المجزي . أما الآن ـ ومن أجل خاطرك ـ فلن أوقع له العقد ، وبذلك يفقد كل شيء . ما رأيك .. ؟

ويظل يتطلع اليها بينما يده تقترب وتلامس وتربت ، وتبتسم بوجه متورد وعينين مسبلتين ، وتتهدل أطراف شعرها على ذراعه وهي تهمس قريبا من اذنه :

ـ وماذا استفيد أنا ان خسر كل امواله . ؟

ويتراجع قليلا الى الخلف وهو يحاول ان ينظر اليها :

ـ الريدينه يكسب ؟

ـ انه سيطلقني على كل الاحوال . فكيف اذن يمكنني الحصول على نفقة معقولة ان لم يكن يمتلك شيئا . . ؟

وتدلى ملامح وجهه وهو ينفخ الدخان الى اسفل :

ـ اوقع له العقد ؟ اتريدين ان ارضخ له اخيرا وانسحب منهزما بعد ان فعل المستحيل لكي يثنيني عن موقفي ؟ اهذا كلام ؟!

ـ ما دمت لن تخسر شيئا ؟ فلماذا لا تفعل ذلك من اجل خاطري . ؟

وتتمدد ملامحه وتتلون : ـ

ـ قلت لك انه لم يعطني نصيبا مجزيا ، ثم أن العملية تحتاج لمزيد من الدراسة ..و..

ويتميع الصوت وينثال ناعما من بين شفتيها :

ـ سأعطيك انا كل ما تريد ، أقصد سيكون نصيبك عندي ، ألا تثق بي ؟.

ويتحامل على ركبتيه ويقف وهو يحملق فيها ويهز رأسه :

ـ ليس الموضوع سهلا كما تتصورين . لم نفترض انه تراجع عن قرار الطلاق ، فكيف تتصرف معه ؟

ـ اؤكد لك انه سيفعلها .

ـ وان لم يفعلها لخسر كلانا ، أليس كذلك ؟. لا ، أنا لن أترك له هذه الصفقة أبدا ..

ـ دعنا نتكلم بصراحة ، أعرف انه لا يخفى عنك شيئا من أسراره .. لابد انه اخبرك ..

ـ اخبرني بماذا . ؟

ـ ان الاموال التي وضعها في تلك الصفقة هي اموالي انا ...

ويجلس الى جوارها وهو يمعن النظر الى وجهها :

ـ أموالك أنت . ! وأعطيتها له لكي يتصرف فيها كيفما يشاء !!

وتبلل الدموع عينيها :

ـ وكيف كنت أقاوم الحاحه المستمر وثوراته المجنونة ؟. لم اجد بدا من الرضوخ ، صدقته ، قال انه سيعيد كل النقود بعد أيام ... آه ، ليتني لم افعل . ضاعت النقود ، فقدت كل شيء !

وتمس يده ناحيتها :

ـ لا تبكي ، الاجدى أن نفكر في الامر جيدا ...

ويترجرج صدرها وهو يتخاطف الشهقات ويخرجها صوتا متشنجا :

ـ ومتى نفكر ؟. ألا يزال هناك وقت للتفكير ؟

ويتنهد ، وتتسع نظراته بها :

ـ لابد أن نجد الحل ، ستستردين انت نقودك .. و .. احصل أنا على ما يرضيني .

وتحرك رجليها فيرتفع طرف ثوبها قليلا من ركبتيها :

ـ الم أقل لك اني مستعدة لأي حل تراه ..

وتضطرب الكلمة أسفله :

ـ غدا ، الا يمكنني ان اصعد اليكم ؟. اقصد .. أصعد اليك لنفكر معا وننهي الموضوع ...

وتمسك بيده وتضغط عليها وهي تهمس :

– بعد الثامنة ساكون في انتظارك ، يمكنك ان تصعد لكي نفكر ، لاتنس أن تحضر العقد معك!

ويقترب صوت من الباب الموروب ، وتبتعد قليلا وتضع الوسادة بينهما ، ويتراجع بظهره الى الخلف ، ويتنحنح بصوت خشن ويهمس :

– لقد عادت ، ليكن موضوع العقد سرا فيما بيننا

ويتجرجر صوت قدميها وهما تحتكان بالارض. وتضع الصينية وهى منكسة الرأس :

– لا تؤاخذينى يا ابنتى ، لقد انشغلت عنك ببعض الاعمال

وتقدم لها فنجان القهوة وهى تتطلع الى وجهها ، وتشهق وتتراجع وتضرب صدرها بيديها:

– اكنت تبكين يا ابنتى ؟ ماذا حدث ؟!

وتلمحه ويهتز الفنجان بين يديها ، ويقول بصوت خشن وهو يلوح بيده :

– زوجها يفترى عليها ، رجال آخر زمن !

وتجلس الى جوارها وتحاول أن تضمها بذراعها وهى تجذب طرف ثوبها الى اسفل :

– ومن مثل الاستاذ لبيب ! هيا جففى دموعك واشربى قهوتك . كل عقدة ولها حلال يا ابنتى . انتم هكذا يا نساء اليوم ، تثرن وتبكين من ابسط المشاكل !

ويمتص رشفة خشنة من فنجانه :

– اهذه رجولة ؟ يشتمها ويضربها ويأخذ نقودها ؟!

وتنظر اليه زوجه وتبتسم !! وينكس رأسه ويبحث عن شيء بجواره .

وتهمس فى اذنها :

– صدقينى يا ابنتى ، كل الرجال هكذا ، ولكن علينا ان تدبر امور بيوتنا ...

وتربت صدرها وهى تحاول ضم الشق المنفرج بين الثديين :

– ثوب جميل ، لم اره من قبل ، للسهرة ، اليس كذلك ؟.

وتحرك قدميها فينكمش الثوب اسفل البطن وينزلق طرفه اعلى الركبتين :

– ولكنه ضيق قليلا !! سأعيده الى الترزى لكى يصلحه .

وتخفى فمها بطرف طرحتها البيضاء ، وتقول وهى تختلس النظرات الى وجه زوجها :

– أيامنا ، لم نكن نرتدى مثل هذه الاثواب. كان الرجال غير الرجال والنساء غير النساء .

ويمد يده بالفنجان تسرع اليه وتأخذه ، وتضع الطبق عليه وتهزه وتقلبه .

– وانت ، الا تحبين ان اقرأ فنجانك ؟.

وتضع فنجانها وتهم بالوقوف :

– ليس اليوم ... اريد ان اذهب !! لابد ان الاستاذ عاد ، وقد يحتاج شيئا ..

وتمسكها من يدها وتقول وهى تضحك :

– لنر اذن ماذا فى فنجان عمك كامل ؟.

وينفرج فمها قليلا وهى تمعن النظر داخل الفنجان وتديره بين اصابعها . ويتألق وجهها المستدير وتنبسط ملامحه وينساب الصوت من بين شفتيها ناعما :

– فارس ولا كل الفرسان ، على حصان ابيض وبيده سيف براق ، يضرب الشياطين من شماله ، ويضرب الافاعى من يمينه . وهنا تطل عليه بوجه كالقمر ، ولكنه لا ينتظر . وتبتسم بفم كالشهد ، ولكنه لا ينتظر، فتنادى وتتوسل وتبكى ، وهنا يترك الفارس الشهم حصانه الابيض وسيفه البراق ويمشى اليها . آه ، هنا تختفى ذيلها الطويل الناعم خلف ظهرها . وهناك شيطان فوق الشجرة ، يضحك ويلوح بشيء مثل الورقة ، أو مثل المنديل ، لا بل بورقة . وهذا ، ما هذا ؟. ما كل هذا ؟. فنجانك مملوء الليلة يا كامل ، وسيكون اجرى مضاعفا !..

وتضحك ، وتدفعها بكوعها وهى تقرب الفنجان من عينيها :

– انظرى ، الا يشبه وجه الفارس وجه عمك كامل ؟.

وتحاول ان تبتسم وهى تتململ ، وتتعثر الكلمات بين شفتيها :

– أين .؟ آه .. انت تعرفين انني . القصد لا افهم فى الفنجان

وتمد يدها بالفنجان :

– اتريد ان تراه يا كامل ؟.

– ارى ماذا ، الفارس يشبهنى انا ؟

وتميل برأسها فينكسر الضوء من حيث يتوارى خلف الطرحة البيضاء :

– ومن غيرك فى شهامة الفرسان ؟

وتقف ، وتحتار نظرتها بينهما وهى تحاول ان تبتسم :

– انصرف انا الآن ...

ويتحرك... وتتمهل عند الباب وتقول بصوت مشبع :

– لا تتاخروا ... نراكم قريبا ..أليس كذلك؟

ويعود الى مكانه ويتطلع الى الفنجان ، يلتفت ناحية الباب ويمد يده يقرب الفنجان من عينيه ويظل يديره بين اصابعه ويحملق فى داخله.

– ارأيت الفارس ؟.

وتقترب وتجلس الى جواره وهى تضحك ، وتأخذ الفنجان من يده وتنظر ، ويسند رأسه الى الوسادة ويقول :

– نساء آخر زمن ، تدخن ، وتلبس الضيق ، وتشكو زوجها لكل الناس !..

وتتحسس اصابعها عروق رأسه النابضة ، ويتردد همسها دافئا :

– وهنا يقترب الفارس ويأخذ وجهها بين يديه.

– اقول ما رأيك فيما قالته .

– وهنا يرى الفارس ذيلها الطويل يتلوى بين قدميه !.

ويضع يده على يدها ..

– دعى الفنجان الآن ... اقول هل نتدخل للاصلاح بينهما ؟. ان العقد الذى كلمتك عنه ، اقصد ما رأيك فيما لو ...؟

وتقاطعه وهى تداعب عرقا نافرا خلف اذنه:

– وهل افهم انا مثل هذه الامور ؟. زين الرجال دائما يفكر ويدبر ، وكل ما يفعل عين الصواب ...

ويتثاءب فتنحصر اجفانه الحمراء حبات الدموع:

– هيا لكى تستريح ، كان يومك مرهقا ، وغدا ...

وتدير اصبعها بداخل الفنجان ، وتظل تنظف جدرانه من كل ما علق بها .

روح الكلمات

● عبد الشافي داود ●



عبر غضون البحر والمرايا
يعود بي صدى الوهج
فاستضيف لحظة انشطار
وامسك الفرشاة في عناد
اجذب روح الكلمات
آه وارسم الطقوس في طريق العاصفه
... ...
عطر الحرائق يسيل من بواتق التذكر
على الرؤى
فينسج الماء على الاشعة الخضراء
المس همسك المجنح •• يضيء موقد السحب
تفور اعين اللهب
فاطلق السراح للنوارس
اواه ، فالسماء عاشق يثار
فتبعث الاريج حين ينبت المساء
وحين ينمو •• تطلق الاجراس من معابد النجوم
عبر حواسي الملونة
حللت شعر الشهب المسافره
ليتدلى •• اواه ، من ثغور مصفاة المطر
لينحلى ملامسا عينيك في خشوع
مجنحا ليمنع الرياح عن منابع الخدر
وتنتشي الاصداف في مرافيء الغيوم
... ...
آه ، اذوب في مراعي الماس والياقوت
في لحظتي المهاجره
فاغمض العينين في هدوء
على عشائي الاخير

قراءات

● مصطفى الشهابى ●

● ابن الخيرتين ●

كان ليزدجرد ، عاهل الفرس يوم فتحهـا العرب ، ثلاث بنـات ، هن أجمـل من فى فارس ، اذ كن أشبه بزهور الربيع النضرات . ولقد أسرن فى الحرب . وعندئذ سأل عمر بن الخطاب عمـا ينبغى أن يفعل بالنسبة لهن ، فأشار سـيدنا على بن أبى طالب بأن يقومن ويأخذهن من يدفع قيمتهن .

وحصل عبـد الله بن عمر على احداهن فأولدهـا سالما ، وحظى بالثانية محمد بن أبى بكر فأولدهـا القاسم ، أما الثالثة فكانت من نصيب الحسين بن على الذى انجب منها عليا زين العابدين ، فكلهم بنو خالة .

وكان يقال لزين العـابدين « ابن الخيرتين » وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فيما يروى : « لله من عباده خيرتان : فخيرته من العرب قريش ومن العجـم فارس .» وزين العابدين قرشى الأب فارسى الأم.

وقد نشأ زين العـابدين متشبعـا بروحانية جده صلى الله عليه وسلم ، وبتقوى أبيه رضى الله عنه ، وبسمـو نفسية والدته سليلة الملوك وربيبـة الأكاسرة .

● اخلعانا وغربة ؟ ! ●

كان عقبة بن عامر الجهنى أحـد الصحابة ، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص وولى حكمها سنة ٤٤هـ فى عهد معاوية ، وفى عام ٤٧ هـ رأى معـاوية أن يولى مسلمة بن مخلد مكانه ، فأمره أن يكتم ذلك عن عقبة .

ولما قدم مسلمـة مصر ، لم يعلم بأمرته أحدا ، ثم خرج مع عقبـة الى الاسكندرية حيث سلمه كتابا يأمره فيه بالتوجه الى رودس لغزوها ، ولما غادر عقبة مصر استوى مسلمة على سرير امرته ، وبلغ ذلك عقبـة ، فقـال : « أخلعانا وغربة ؟! »

● اقدم ناطحة سحاب عرفهـا التـاريخ ●

هو صرح غمـدان الذى كان قصرا وحصنا، وهو يقوم على صخرة واحدة بالقرب من صنعاء ، وكان يسكنه الملوك الائمة قبل الثورة سنه ١٩٦٢ وهـو يعود الى « اليشرح » أحد ملوك سبأ فى القرن الاول الميلادى ، وقـد بنى بالحجارة الضخمة الملونة والرخـام الفاخر ، وكان يتكون من عشرين طبقة، ارتفاع كل منها عشرون ذراعا ، ومن ثم كان أقدم ناطحة سحاب نعرفهـا .

● لباقة ! ●

عرف عن المنصور بن ابي عامر الاندلسي أنه كان اذا قصد حربا عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر الى تلك الحرب الا من الجامع . وحدث انه توجه الى الجامع لعقد اللواء حيث كان في انتظاره القضاة والعلماء ورجالات الدولة .

وعندما رفع اللواء حامله ، اصطدم باحدى ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وسال عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك واكتاب المنصور ، ولكن احد الحاضرين قال: «ابشر ياأمير المؤمنين بحرب هينة وغنيمة كبيرة فقد بلغت اعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة !»

فهدات نفس المنصور واستبشر ، وقد كانت تلك الحرب فعلا من ابرك حروبه ..

● عن طهارة دم البراغيث ! ●

كان الحوثرة بن سهيل واليا على مصر في عهد الامويين ، وكان طاغية وسفاكا للدماء ، وجرت عادته على المبادرة بزيارة قاضي مصر يومئذ يزيد ابن ابي حبيب كلما علم بتوعكه ، وهناك يشي طغيانه في حضرته ولا يشغله الا أن يستفتي عن المسائل الدينية .

وحدث ذات مرة ان ساله رايه عن صحة الصلاة في الثوب وفيه دم البراغيث . فأشاح عنه القاضي وسكت عن الجواب . ولكن الطاغية الح في استفساره فما كان من القاضي الشجاع الا ان صفعه بهذه الاجابة القاسية : « تقتل كل يوم الفا .. وتسالني عن دم البراغيث !! »

● الرشيد يرثى جاريته ●

كانت هيلانة « بفتح الهاء وتسكين الياء » جارية ليحيى بن خالد البرمكي وكانت رائعة الجمال ظاهرة الكمال فأهداها لهارون الرشيد فحظيت عنده

وأقامت معه ثلاث سنين ثم ماتت فحزن عليها حزنا شديدا ، حتى امتنع عن الاكل والشرب أياما ، وقال يرثيها :

قد قلت لما ضمنوك الثرى
وجالت الحسرة في صدري
اذهب فلا والله ما سرني
بعدك شيء آخر الدهر

ورثاها العباس بن الاحنف باربعين بيتا فأمر له الرشيد باربعين الف درهم لكل بيت الف درهم .

وقيل انها سميت بهذا الاسم لانها كانت تكثر من قول : « هي الآن » اذا استعجلت احدا في شيء تأمره به

● حمالة الحطب ! ●

هي جميلة بنت حرب اخت ابي سفيان وعمة معاوية وامراة ابي لهب المذكورة في سورة « المسد » .

وكانت تمشي بالنمائم الى قريش وتكذب على النبي صلى الله عليه وسلم لتحرض ضده ، ولما عرفت بذلك واشتهرت ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بهذا اللقب الشنيع اظهارا لما ارتكبت من الصنع الفظيع

وقالوا النميمة حطبا لان العداوة بها تهيج وتوقد النار بالحطب . ويقال حطب فلان بصاحبه اذ دس له ، وفلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به .

ابو بكر ورقم ٢ :

١ ـ كان ابو بكر ثاني اثنين في الاسلام .

٢ ـ وكان ثاني اثنين في غار الهجرة .

٣ ـ وكان ثاني اثنين في الظلة التي أوى اليها النبي يوم بدر .

٤ ـ وكان ثاني اثنين في كل غزوات النبي .

٥ ـ وكان ثاني اثنين توليا شئون المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ●●

كاريكاتير ..

جيل جديد جدا !



الولد لصديقته : عارفة طبعا انك اكبر منى بسنة ! .. وعارفة ان الموضة السنة دى البنات الكبار يحبوا الشبان الصغار ! .. يبقى لازم تعرفى كمان انى ما بحبش الموضة السنة دى !!



الولد لابيه : صحيح انا جبت نمر ضعيفة جدا .. لكن اطمن ، انا مش ح اسكت .. ح ارفع قضية فى محكمة الجنايات ، لان دى جناية على مستقبل ولد عبقرى زيى !



الولد لامه : صحيح بابا بقى له ٤٠ سنة ياكل من ايدك الاكل ده .. يعنى خلاص اتعود واتأقلم .. لكن انا بقى ذنبى ايه ؟!





الولد لزميله : لاياعم .. انت انسان سلبي ! .. احنا ح نلعب عسكر وحرامية... وانت والحمد لله لاتنفع عسكري ولاتنفع حرامي !



الولد لصديقته : ابويا وامي اتجوزوا على حب ، وكانت النتيجة كارثة ! .. انا بقى لازم استفيد من التجربة دي واتجوز على واحدة مش باحبها علشان اتجوزها !!



الولد لابيه : مسائل الحساب عندنا السنة دي عجب ! .. قال ايه تاجر اشترى ٥٠ بيضة بعشرين قرشا ! .. وواحد تاني باع ٥ كيلو سمك بسعر الكيلو ١١ قرشا ! .. يعني ....هم بيعلمونا والالا بيضحكوا علينا ؟!

رينوار والمرأة الجميلة

• د. نعيم عطية •

– ١ –

رجل خجول صغير القد . شفته السفلى تبرز الى الامام ، فتكسو وجهه جهامة يزيد منها شارب خشن ولحية شعثاء . خدان ضامران وقسمات تنم عن عجوز متعب في الثامنة والسبعين من عمره ... ولكن في هذا الوجه المهدم ما زالت تلمع عينان واسعتان وضاءتان ، كأنما تتأججان بنار ينعكس وهجها على تجاعيد الجلد الشاحب من حولهما ... عينان لن يهدأ لهما قرار ، حتى عندما يحين عن قريب للموت وقت ... عينان تحومان بالاماكن الحبيبة طويلا بعد أن يستقر الجسد في التراب !

جلس العجوز في كرسي ذي عجلات . وقد تغضن جسده كله مثل بردية قديمة . معذب بآلام الروماتيزم ... الجراحة تلو الجراحة أجريت على قدميه وساقيه وذراعيه ... يداه ملتويتان متقلصتان ناحلتان مثل جذور لقاء لشجرة « سرو » دب فيها الموت .. وأصابعه مشوهة عاجزة . وحول الكفين لفت ضمادات من الكتان حتى تمنع الاظافر النامية من أن تنغرس في اللحم .

وبين ابهام اليد اليمنى وسبابتها استقرت فرشاة الالوان ، راح العجوز يحركها بألم على قماش اللوحة أمامه . بضع لمسات ، ثم كي يتفادى مشقة تناول فرشاة أخرى نظيفة يغمس تلك التي كان يستخدمها في زجاجة من زيت النفط .. حركة اليد آلية هامدة شبحية . تدفعها العين الى العمل ، وتمدها بقوة من عندها . بهذه العين ، كان رينوار طوال حياته يرسم ، وقد اتسمت نظرته بالصفاء الذي يتحلى به طفل . لا يرد على تعبيره عن سعادته الغامرة قيد . وكما يطلق الطفل ضحكاته من روح تفيض بالفرح والبهجة ، كان رينوار يصور لوحاته . كان فنه يشبه في تلقائيته تكون ندفة ثلج ، أو نماء زهرة حقل ، أو أغرودة عصفور !

ولد أوجست رينوار في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٤١ في ليموج القريبة من بواتييه ، وفي الرابعة من عمره رحل الى باريس مع أبيه الذي كان يعمل حائكا للثياب ... وازاء فقر والديه اضطر للعمل في ورشة للخزف ، على أن رينوار ما لبث أن وجد نفسه مفصولا من عمله كمزخرف لاوان خزفية ، وذلك عندما أقبل الجمهور على منتجات الالة . فانصرف رينوار يكسب عيشه في مجال آخر ، أخذ يرسم تصاوير رشيقة على مراوح السيدات وعلى الستائر ، وعلى أسقف المطاعم الشعبية .

ثم ترك رينوار كل هذا ، والتحق بمرسم مصور آكاديمي ليتعلم كيف يصور



كان رينوار يصور لوحاته بصفاء من روح الطفولة البريئة ..

لوحات حقيقية . وكان رينوار يجمع أنابيب الالوان التى يلقى بها رفاقه الاثرياء جانبا ، ويستخدم ما بقى فيها ليرسم دروسه .

— ٢ —

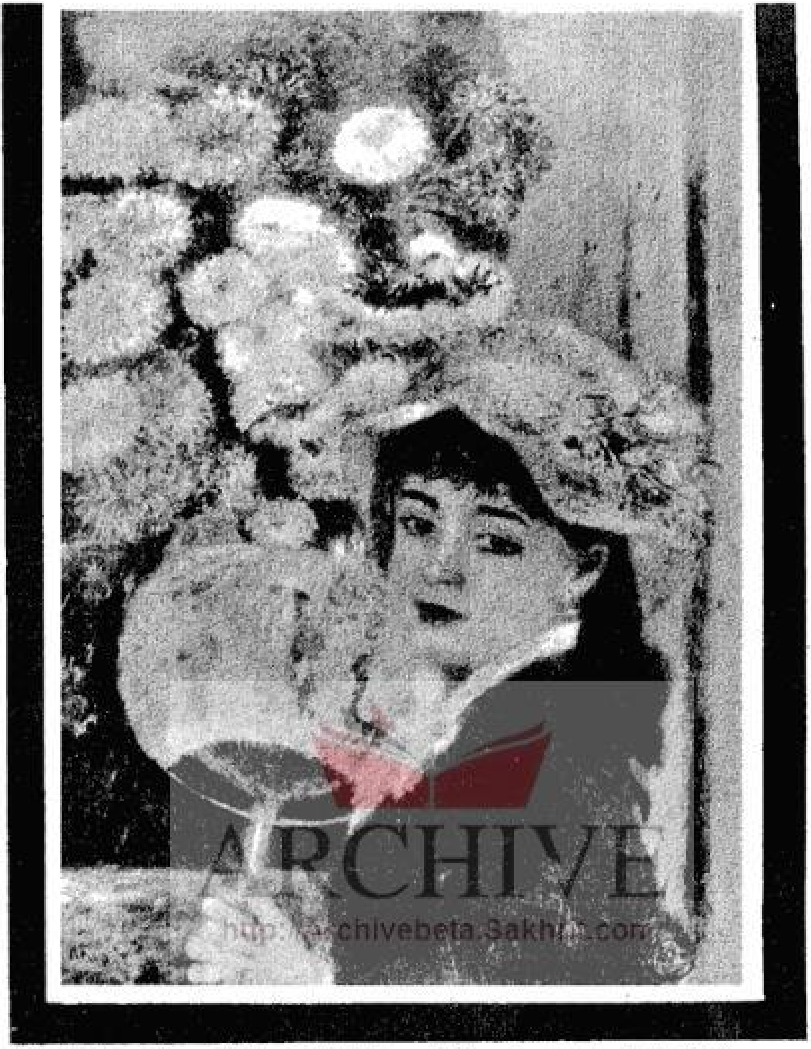
فى أوائل ١٨٦٤ أغلق المرسم لأن صاحبه دب المرض الى عينيه . فلجأ رينوار ورفاقه الى غابة فونتينبلو . لاذوا بالطبيعة واعلنوا انها استاذهم الاوحد . مع مشرق الشمس يخرجون الى الغابة . يتفرقون بين شعابها وأنحائها . ويصورون الطبيعة مباشرة وصراحة .

ذات مساء عرض رينوار على صديقه الفريد سيسلى لوحة صورها فى الصباح صرخ فيه سيسلى قائلا « كيف تسول لك نفسك أن تصور هكذا ؟ كيف تصور شجرة زرقاء وحقولا بنفسجية ؟ » .

فأجابه رينوار مستدركا : « بدت لى الطبيعة هكذا هذا الصباح .. او ان شئت قل ان هذه الوضاءة هنا فى صدرى !.. ان الفن يا صاحبى ، علاقة، لا يمكن الا ان يكون كذلك . لا شىء قاطعا ونهائيا ، كل ما نراه نسبى ... وهل هناك ما هو اكثر نسبية من اللون يا سيسلى ؟ » .

فقال له سيسلى « لكننا قد آلينا ان نكون قدر الامكان موضوعيين يارينوار »

واجابه رينوار موضحا : « الشجرة ذاتها تتغير الوانها تبعا لتغير الاضاءة فى كل لحظة من لحظات النهار . الشجرة فى الفجر ، ليست هى الشجرة فى الظهيرة ، وليست هى مرة اخرى الشجرة فى الاصيل .. وهذه الالوان التى تراها فى لوحتى ، يجب الا تدهشك .. وأيضا يجب الا تعطيك انطباعا بعدم الصدق . بل على العكس ، فانا عاشق للطبيعة . لكننى أيضا اعشقها على طريقتى ! » .



« لتكن لوحاتي للنـــاس جميعـا الأمل ، والابتسامة ، وزهرة العمر » ـ رينوار

وساله صــديقه « وما هي طريقتك يا رينوار ! » .

فأجاب : « ان اعشقها بحرية . الفن عبادة ، يا صديقي ، وليس استعبادا ! »

ـ ٢ ـ

كان رينوار دائب الضحك من أعماق القلب • ويخفى على الدوام متــاعبه وفاقته . انه لا يحب الشكوى وينفر من الشكائين. انه ليس من اولئك الذين يعتبرون اختيارهم للتصوير استشهادا، ويطالبون الناس بأن تنحنى لهم اكبارا .. انه لا يعتبر احدا مدينا له بشيء . وليس من ناحيته ، رغم فقره وصعوبة موقفه ، بحاجة الى العون من أحد ..

يقول رينوار « ما فى القلب يجب ان يظل فى القلب ، ولا شأن للغير بما يدور

في القلب ... لم يكن احد يشترى عملا من اعمالي . وكان الفقر يحاصرني ، وذات مرة طلبت مني ادارة احد المطاعم ان اصور لها لوحة تهرج كبيرة لتعلق في قاعة المطعم . وبعد أن انجزتها ذهبت لتسليمها وقبض الثمن ممنيا نفسي بعشاء طيب بعد عدة ايام من التقشف الاجبارى . وعندما وصلت وجدت ان المطعم قد اغلق ابوابه واشهر افلاسه ، فعدت من حيث أتيت بلوحتي ! »

ويمضي رينوار قائلا : « انني أرفض كل التعاسة التي في هذه الحياة . أنا الفنان الفقير الذي لا أملك في غرفتي شيئا على الاطلاق . أرفض الفقر . وأريد للعالم أن يكون في ثراء لوحاتي ، في بهائها . في غنائيتها ، في الوانها ، في نعومتها . فليستمتع العالم فليذق وليرشف الجمال والمتعة . وليسقط الفقر والذل . وليفرح الانسان . فعلى الارض السلام وبالناس المسرة . هذه هي اعمق الحكم ، وهذه هي فلسفتي .. اذا كنت فقيرا ، لا أبيت الا عند رفاقي من الفنانين . وأجلب من صديقي مونيه كسرة خبز جاف لعشائي ، ولتكن لوحاتي .. للناس جميعا ، الامل . التنهيدة . الحلم . الابتسامة . الشوق . وايضا فرحة الحياة . وزهرة العمر ...

« أحب الوجنات الوردية . والشفاه الندية ، أحب الطفل النضر ، أحب المرأة الفاتنة ، واحبها أكثر عندما تتزين بالثياب . والقبعات «الدانتيلا» والاحذية المخملية والقفازات الحريرية والاقراط والقلائد . لن أرسم لوحاتي فقرا . ولا جوعا . ولا مرضا . لانني أعرف الفقر والجوع . واحس بالاوجاع في مفاصلي وعظامي ايضا . قد لا تكون لهذه المتع التي أودعها لوحاتي قيمة ذات بال بالنسبة لمن يعيشها فعلا ، وشبع منها . ولكن بالنسبة لمن كان محروما مثلي فهي تعني الكثير .

« عندما تحب فتاة مثل ليزا، تمثلت فيها الطبيعة بكل نضارتها ونعومتها وثمرها ودفئها واريجها ، ثم لا تستطيع ان تتقدم اليها الا بيدين خاويتين وقلب يتحرق شوقا للوفاء وعجزا عن تحقيقه . ثم ياتي في النهاية غيرك ليظفر بها زوجة له ، لانه اقدر منك على نفقات زوجة واطفال ـ عندئذ تستطيع ان تتبين لماذا تاتي لوحاتي بهذا الجمال ! .. ومن هي ليزا ؟ انها فتاة من عامة الشعب . عاملة لدى حائكة ثياب ، او بائعة في محل للزهور ، او عارضة في متجر .. انها رمز لكل فتاة احلام لا يقدر فتاها ان يقدم لها شيئا !

« اتذكرون قصة صديقنا موباسان « هدية عيد الزواج » ؟ الزوج باع ساعته كي يشترى لزوجته الحبيبة مشطا تمشط به ثروتها الوحيدة من الشعر الغزير .. والزوجة قصت شعرها وباعته الى احد الحلاقين لتشتري لزوجها الحبيب في عيد زواجهما سلسلة لساعته الثمينة التي لا يملك اغلى منها .. هذه هي ليزا .. وهذا هو انا » .

تنهد رينوار ثم استطرد يقول «تزوجت ليزا مهندسا معماريا صديقا لزوج أختها . ماذا كان بوسعي أن افعل ؟ وماذا كان بوسعها ان تفعل؟ بمناسبة قرانها صورتها في لوحة أهديتها لها . انها صورة الوداع ولهذا فقد انسكبت فيها رغما عني قطرات حزن من روحي . ولكنني وطدت عزمي منذ صباي المبكر أن اقبل الحياة كما هي . بسرائها وضرائها . بكل الاعيبها ، وأن أمضي بلا ضغينة بلا حقد ، بلا حسرة على ما لم تنلني الحياة إياه .. وكل يوم التقط بصيصا من الحقيقة : الانسان على المسرح، ويد المخرج خلف الكواليس تحرك الرواية .. ولهذا فان الاحزان عندي لا تدوم .. ومتاعبي لا تعكر نظرتي العذرية الى الحياة .. اتعرفون ماذا انتظر من الغد ؟ باقة ورد .. من يدرى ؟! لم تكن ليزا من نصيبي . لكن حبي لها لم يذهب هباء . ذات يوم رسمت الصبية تمسك بمظلة . ترتدي قفازا ، وثوبا قطنيا أبيض ، وقبعة رشيقة ... عينان سوداوان ، بحيرتان لامعتان، استقرتا دافئتين في بشرة بيضاء مثل الثلج . تقف ليزا في لوحتي وسط غابة . استقرت الصبية في مكانها ساكنة كما لو كانت تتحدى قدرا ، تصد يدا خفية تريد ان تزحزحها عن لحظة الحاضر المصفاة من

الهموم وتدفعها الى قلق المستقبل وهواجسه » ..

وأردف رينوار مؤكدا : « اتعرفون؟ انني مثل الممثل الهزلي . عليه أن يؤدي دوره ويضحك الجمهور في ذات الليلة التي يموت فيها أعز الناس اليه. انه يجب ان يلقي بحزنه وراء ظهره ، وأن يقدم فنه » .

— ٤ —

النجاح شيء غريب . يأتي في اللحظة التي لا تتوقعها . وينتشلك من وهاد اليأس التي ترديت فيها . ها هي مجلة الحياة العصرية تخصص لرينوار واعماله دراسة مستفيضة . بعد أن كان مجرد ذكر اسمه وصمة للصحيفة التي تذكره بالخير . انتهت أيام الحاجة والحرمان، فمع النجاح جاء الرخاء وراجت الاعمال وصار الصالون يقبل أعماله بانتظام . واقام له ديران رويل عدة معارض موفقة. نالت نجاحا ساحقا في مايو ١٨٩٢ على الاخص . واشترت الدولة الفرنسية لوحته « فتيات يعزفن على البيان » لعرضها في متحف اللوكسمبورج ، ومنذ عام ١٨٩٣ صار تاجر اللوحات امبرواز فوبار صديقا له ومن اكبر المروجين لاعماله .

وفي عام ١٩٠٠ منحته الدولة وسام الليجيون دونير . وفي عام ١٩٠٤ خصص صالون الخريف قاعة كاملة لاعماله . وفي عام ١٩١٣ عرضت واحدة واربعون لوحة من اعماله في معرض تانهاوزر ببرلين . وفي فبراير ١٩١٤ عرض ديران رويل اعماله بقاعته الجديدة بنيويورك . بل وفي ذلك العام ايضا وجدت لوحة من لوحاته طريقها الى اللوفر . وعاد ديران رويل يعرض اعماله بنجاح في نيويورك عام ١٩١٧ ثم عام ١٩١٩ . ماذا يريد المرء من نجاح وماذا يطمح اليه من تقدير اكثر من هذا ؟ .

— ٥ —

تقول زوجة رينوار عنه « انه متعب . يشقيه طموحه الى مثل اعلى يسعى اليه بدأب واصرار ومثابرة .. وفي كثير من الامسيات يأتي الى البيت ثائرا مكدودا، ان لقاءاته برفاقه الانطباعيين في مقاهيهم اصبحت تسبب له عناء . فقد بدأت تظهر فردية كل منهم . وتختلف آراؤهم ومشاربهم . ويتبادلون الاتهامات والنقد الجارح . على الرغم من أن مصيرا واحدا يجمعهم جميعا. ديجا يقول لرينوار « ان نساءك البدينات المرفهات ينضحن كسلا ودعة .. انهن جميلات وكفى ، وانه لجمال اجوف. انظر الى فتيات « الباليه » عندي ستجد ان العالم الجميل الذي شيدته انا يخفي تحت طياته الشقاء الذي تكابده تلك الفتيات ليظهرن على المسرح مثل فراشات مضيئة كل ليلة . نساؤك يارينوار تقترب كثيرا من نساء روبينز . ولكن مع الفارق أن نساء روبينز اسطوريات ونساءك انت عصريات فقدن نكهة الازمان الخوالي » .

« ويأتي زوجي الى البيت مثبط الهمة غاضبا. فأسرى عنه. والاطفه ، واعيد اليه ثقته بفنه . وقد رأيت أن الانسب له الابتعاد عن أوساط هذه المقاهي قليلا ، فزينت له أن نذهب لنحيا في الريف. فأنا قروية أصلا ، واقنعته ان السهر لا يعود عليه الا بالضرر، فصار يستيقظ في الصباح مبكرا . ويجلس الى لوحاته نشطا. وتبدو نساؤه المستحمات كما لو كن قد جئن الى لوحاته مع مشرق الانسانية ولهذا فان مستحمات رينوار مخلوقات من نوع آخر . انهن يفجرن ما في القلب الانساني من توق الى الصحة الموفورة والى الشباب السخي والى نضارة لا يطولها الذبول او المرض .

« ولذلك امكن ان يكون عالم رينوار عالما يقف عند مفرق الطريق بين الواقع والمثال ، بين الموضوعية والخيال، ربما أيضا دون أن يتعمد . فهو يتعدى دون وعي منه اليومي العابر الى الأبدي الذي لا يتطرق اليه الزوال . هذا هو كنز الفقير رينوار . الذي بدأت الاسقام تدب الى جسده سريعا وتخلف له الاوجاع» .

— ٦ —

كان رينوار من أشد النفوس صفاء، والى النهاية ظلت عيناه تبحثان عن الجمال



الطفولة الناضرة من أحب الموضوعات التى يتألق فيها فن رينوار

حتى بعد أن أصاب الشلل يديه ورفضتا العمل . وفى سنواته الاخيرة كان يجلس فى كرسيه المتحرك ، معذبا بآلام الروماتيزم ، ولكن الى قسمات وجهه تسللت ابتسامة مريحة غريبة . وتمتمت شفتاه المتهدمتان تقولان «حقا اننى انسان محظوظ اذ اجبر على البقاء فى مكان واحد .. الآن ، استطيع الا افعل شيئا سوى أن أرسم » .

واظب رينوار على مهمته فى ابداع الجمال ، على الرغم من آلام بدنه، حتى آخر ايام حياته . وفى السابع عشر من ديسمبر ١٩١٩ نهض من فراش مرضه بعد ليلة ليلاء من السعال الحاد . ثم جلس الى قماش لوحاته ، واعد العدة كى يرسم «اناء الزهر». قال لمساعده: « اعطنى قلما ، من فضلك » ذهب المساعد الى الحجرة المجاورة ليجلب الاقلام . وعندما عاد كان اوجست رينوار قد مات . ●

قصة

في المرآة

● حسين عيد مادي ●

« بضاعتي لا تكسد ابدا .. من منا لا يرغب في الاعجاب بشخصه الذى تكشفه المرآة ؟ »

من اقوال بائع مرايا

الوقوف :

يصطف طابور طويل . يتشكل من نوعيات شتى . يتعرج امام مصعد المبنى الضخم . كل ينتظر دوره .. المصعدان الاخران معطلان . يمتد بجوار المصعد حائط جانبي . تغطى ربعه السفلى مرآة تمتد حتى مدخل العمارة ..

تلفت الانتباه سيدة ، بدقات حذائها ذى الكعب العالي . ينتشر عطرها الغالي كنسمة ، لكنها لا تنتظم في الصف . تقف قرب باب المصعد باستعلاء . يتحرك اكثر من شخص للامام . يسدون اى ثغرات قد توجد بينهم .. يهمس شخص يقف بقرب السيدة الجريئة : يا هانم .. يوجد طابور !.

لا تعيره السيدة اى التفات ، كأنها لم تسمعه . يتحفز الرجل ازاء هذا التجاهل . يلف الواقفين تساؤل صامت : لماذا تتصرف هذه السيدة هكذا ؟ ... وهل ستكسر حاجز النظام ؟ ..

تلتفت فتاة – ربما لم تتجاوز السادسة عشرة نحو السيدة . يضايقها ان تنقطع عناقها مع صورتها بالمرآة ... «بالنسبة لى ، يظهر العمر جليا على ترهل جسمها» تنظر للمرآة ، تتملى صورتها باعجاب ، تسوى شعرها . تبتسم .. « لم اكن اظن ان لى هذا الجسد الفائر . تكاد ساقاى تثوران لتمزقا البنطال الضيق ... »

تعدل ياقة «بلوزتها» : « هذا الصدر [illegible] . يسبغ اغراء يجتذب بسحره كل عين ... » تنزلق عيناها على المرآة : « هذا القوام الرائع ، ويقولون فينوس ... الحمقى لم يرونى ! » تعود يدها تحتضن شعرها بدلال . لاتعير ماحولها ادنى اهتمام ، يكفيها صورتها ...

الاستعداد :

يهبط المصعد . يفتح بابه . يتوافد الخارجون منه . يضيق مدخله بالازدحام تتخطى السيدة الخارجين بسهولة . تحاول الاقتحام ، أن تكون أول الداخلين . يعترضها نفس الرجل بهدوء : « ياهانم فى طابور ! .. » تستمر المرأة فى حركتها الواثقة ، كأنها لم تسمعه . او كأنه شىء غير جدير بالاهتمام .. يقفز الرجل .. يحجب مدخل المصعد مانعا الدخول : ياعالم ، نظام !..

ينتهى خروج الهابطين . يعلو صراخ رجل فى مؤخرة الطابور : تحركوا يا اخوانى .. وراءنا مواعيد واعمال ..

يتدخل عامل المصعد : الدخول بالدور ...

ينفجر رجل المقدمة عندمايرى السيدة تحاول الركوب : نظامنا لايعجب الهانم ! . كأنها من عالم آخر !

تمنح الفتاة صورتها بالمرآة بسمة اعجاب .. « جسدى متميز وسط الزحام . له وجود خاص . اشعر بنظرات الواقف ورائى – المتلصصة – تأكلنى .. » تمتد يدها . تسوى شعرها ثانية ..

يحسم عامل المصعد الموقف : قفى فى دورك يامدام !.

تتحرك السيدة بتعال . تصل الى مؤخرة الطابور . لا تنتظم فى الصف . بل تنتصب خارجة كان وقوفها فى الصف شىء لايليق ..! وكان الاخرين مجرد رعايا مجهولى الاصل فى مملكتها الوهمية!

التفاتة اعجاب اخيرة من الفتاة لصورتها بالمرآة .. بينما يمشى طابور الواقفين ببطء للامام كأنهم يشيعون فقيدا ما فى جنازحزين .

● « المرآة كالحياة .. ماذا تنتظر منها ؟.. انها تعكس – بامانة – ماتقدمه لها !!»

من مأثورات سيدة عجوز

اسمك !

● نشات المصرى ●

اســمك ذاكرتى ، ميلاد الاحلام اذا كانت اوسوف تكون
اسمك متكئى اذكره ... يهجرنى اعيائى !
يرسم فى الافق سحبا تسقى بيدائى ...
اسمك فاتحة القصص العتبة ، يحكى عرس القلب
ورد مشتعل يدفىء انفاسى فى الساحة الثلجية
اسمك سحر من غير هويه !

***

الليلة عدت وحيدا ...
طالعت سطور الحكماء :
يغســـل قلبك بعض بكاء
فتحت خزائن ايامى اسال عن نهر دموعى .
فوجدت اسمك يستحلفنى
« لا تفقد صمت دموعك حتى لا تفقدنى » .
واذا باسمك يفتح قلبى يمسح شيئا فيه وينغلق على ظلك
آه ... تتفرق احرفك سفينا وبحارا وقلاعا تاكل وجه الريح
لا تنزعجى . . .
فالعين بساط الريح لنرجع يا فاتنتى ونغنى :
« ما شــــاء الله علينا »
« الحب صـــدى قلبينا »

قصـــة

ذراع تحت الرأس

● محمد كمال محمد ●

● كان الوقت ضيقا وكنت أتململ فوق مقعد الحلاق ، لينتهي من تغيير الفوطة الصغيرة بأخرى أكبر حجما ! ..

في بطء ، كان يحـــاول فتح احد الادراج .. وعندما استقرت الفوطة البيضاء المشوبة بصفرة في يده النحيلة ، بدأ ينافض عنهـــا الشعيرات اللاصقة بها ..

كانت نظرة عينيه تحيطني بحفاوة بالغة !

قبلا كان قد امسك بفرشاة الذقن وراح يديرها في (المضبنة) ، وكتفه تهتز في ارتعاشة ... للتو قلت له اني ساحلق شعر رأسي ، إما الذقن ففي البيت حلقتهـــا بيدي . لكنه بدا كان لم يسمع ! ..

كان كم معطفه الابيض ممزقا عند كوعه الذي يبرز من خلال المزق عاريا .

فجأة نظر بجانب عينه في وجهي بابتســـامة عجوز ، وأوما معتذرا بحركة متكلفة ، بعد ان نزع الفوطة الصغيرة من حول عنقي ...

كان الدكان قديما معتما ، تنخفض أرضيته الرطبة عن مستوى طوار الشارع المزدحم ...كان خاليا وحده بين دكاكين الحلاقة الاخرى ، فدخلته مؤملا أن يسعفني لالحق موعد القطار ...

في صمت تناول الرجل المقص وفتح طرفيه في يده مرات .. التقط المشط ونفخ فيه للخشن... وقف خلفي وضرب بالمقص مرات في الهواء :

ـ مسافر حضرتك .. على ما يبدو ؟

كانت حقيبتي بالقرب من قدميه ...

غمغمت مجيبا ...

قال : الاسكندرية طبعا .. لحن في الصيف !

كان يجاملني .. فما كان ينم عن ذلك مظهري

قلت : المنصورة .

انبعثت أسفل قفاي تمتمة عربة قديمة ، والرجل يجر مسند المقعد ليخفضه خلف ظهري ...

ـ مدينة خفيفة الظل ! .

ثم بعد لحظة !

ـ زرتها في شبابي .. من أهلها حضرتك ؟. شارع البحر هناك جميل !

الفرح لمة عن أسنان خضراء مبتسما !

ـ كنت أحب جارتنا ، وليلة خطبتها لاحدهم ، تركت الحارة هاربا من يأس ! ..

كان صوته متهافتا مرتعشا ...

ـ ركبت القطار الذي صادفته بالمحطة ! .. كان بعضهم يتكلم عن المنصورة ... نزلت من عيني الدموع عنـــدما تحرك القطار ... جاء الكمسارى فطلبت منه تذكرة للمنصـــورة ! .. معذرة ! .. هل أضايقك بكلامي ؟ !

كانت الماكينة ترتعش في يده ، تكاد لا تصل الى شعر قفاي .. وكنت أحس بضيق يمتزج بالاشفاق ...

دار الى جانبي وانحنى براسه قرب وجهي :

ـ تريدها تدريجة (بومبيه) ؟

ـ ماذا ؟

ـ فرنساوى .. أعلى ؟

ـ كما تريد !

كانت زجاجات الكولونيا الفـــارغة موضوعة امامي فوق سطح الادراج المتآكل ... وكانت الورقة الملصقة عليها سوداء تحمل قدم السنوات

جرت يد الرجل اليابسة في راسي بالمشط الذي اصفر لونه .. حدق في شعري متسائلا :

ـ تصبغه بيدك ؟ .. جميل ! .. كأنه لون طبيعي ... ما اسم هذه الصبغة ؟

ذكرت له اسمها فهز رأسه راضيا :

ـ سأستعملها لزبائني !

كبحت ابتسامة آسية ..

رفع المقص عن قرص رأسي ، وأشار الى صورة مثبتة داخل اطار قديم ، معلق أعلى المرآة :

ـ تعرفها بالطبع ! .. كانت تدعوني الى بيتها لاحلق لاولادها الثلاثة .. كانت تعيش وحـدها معهم بعد أن هجرها زوجها ..

هز رأسه وتنهد !

ـ كانت تشترى لي رطلين من الكبـــاب .. آخذهما معي لاولادي .. وكانت تعطيني جنيها كاملا ..



عاد يقتهقه : جنيدا في تلك الايام !

كانت جرة المشط وسط رأسي تقطع في عناء مسافة طويلة كسفر ، من مقدمة الشعر حتى تصل الى نهايته ..

ـ كانت أجمل ممثلة ... أهدتني صورتها ، وكنت أضعها في البيت ... وجئت بها الى الدكان .. عندما تركت لابنتي الشقة لتتزوج ..

كانت عيناه تشمشمان بابتسامة عميقة كسنواته

ـ هل كانت تحبك ؟ !

حملق بدهشة : تحبني ؟ !

انفجر يضحك .. اهتزت عظمتا كتفيه .. احسسته سيتهاوى ، بوهنه ، من خلفي .. عدت اداعبه :

ـ ولم لا ؟ .. ليس في الامر غرابة !

ـ انا ؟ ! .. تحبني ؟ !

عاد يضحك بشدة ... كانت عيناه بالدموع التي انحدرت على وجنتيه المفلطحتين .. قبضت يداه على كتفي ليمنع نفسه من السقوط ... بعد لحظة هز رأسه كأنما بدا له خاطر .. قال بصوت متخفض :

ـ كنت وسيما في شبابي صحيح .. لكن مهنتي متواضعة !

قرب قدميه على البلاط القاتم ، كان موقد كحول علاه الاخضرار بجانبه كوب فارغة في قاعها ثفل شاي جاف .. على حافة الكوب كانت تدور نملة ، تصعد وتهبط بغير تعب ..

ـ تعيش الآن وحيدا ؟

سكنت يداه عن الحركة فوق رأسي .. نظرت عيناه في المرآة الى وجهي مستغربا ، كأنما اكتشفت لغزا ...

عادت حركة يديه مع هزة رأسه :

ـ أين أجد من يعيش معي ، بعد أن ذهب الكل ...

شيئا فشيئا فارقني الاحساس بوجودي كزبون بين يدي حلاق ... بدأ الامر يختلف ، وبالتدريج كان يتفاعل داخلي شعور بالود والتعاطف ... وكنت أكاد اقطع بأن انسانا غيري لم تطأ قدمه الدكان لسنوات ... أحسستني أقترب من الرجل ... وكنت أنظر في المرآة لتطالعني منه نظرة ود يمثل نظرتي التي تقابلني ... كان سعيدا بوجودي ..

ـ عندما تنهكني الوحدة ، أقفل الدكان وأروح الى ابنتي ساعة .. واعود الى بيتي ...

ظلت عيني عالقة في المرآة بكتف معطفه وجانب وجهه ، تلتف حول وحدته القاسية ..

على مقعد من القش في ركن الدكان ، كانت لقمة تبقت من رغيف أسمر فوق ورقة مبقعة بالزيت ـ وفي جوارها قرص من الطعمية ، قضمته أسنان ، كهلال صغير ، وعود بصل أخضر ...

ثقلت يد الرجل في مؤخرة رأسي ... استند بصدره على كتفي ... في المرآة رأيته يترنح خلفي شاحب اللون ، وتستند يداه على كتفي ثقيلتين ... ويزداد ثقلهما ..

تحركت اليه منزعجا ... نظر الى عيني وهز رأسه وتمتم :

ـ لا شيء .. لا شيء ! ..

انزلقت يداه وتراخت بجانبه .. نظر معتذرا ، دار من خلفي واستند على درج المرآة :

ـ سأستريح قليلا ، لو سمحت لي ..

نهضت مشفقا :

ـ اية مساعدة ؟

انزلق في تهالك على المقعد المجاور ، وأسند رأسه الى الحائط .. وعدت اسأله ماذا يمكن ان اقدم له ..

بهمس قال :

ـ ضع ذراعك خلف رأسي ... ارجوك !

حرك رأسه على ذراعي في وهن :

ـ شكرا لك !

كانت عيناه لا تزال مخضلة بدموع الضحك .. فتح فمه وملأه بالهواء ... شحب وجهه أكثر ... ارتفع سواد عينيه الى وجهي ، ملتمعا بنظرة مودة وامتنان ...

مال رأسه على كتفي ... سقط المشط من يده ، وتدلت ذراعاه الى جانبيه ...

وبقي المقص معلقا في أصابعه الساكنة ... في جواره كانت نملة الكوب على حالتها ... تدور في حركة دائبة .. دون توقف ! ..

وجهها والحضور البعيد

● محمد طنطاوى ●

من بقايا الحضور البعيد البعيد
اسرجت خيل حبى لها اجنحه ..
علقت مهجتى فوقها اغنية ...
واشراب الزمان العنيد
مبحرا فى مسار التجاوز خلف حدود المدى
والسماء التى تزدهى بالقرابين والذكريات ،
كانت المبتدا ...

***

من بقايا الحضور العتيد العتيد
كانت الشمس تشرق فى وجهها ...
كى يكون النهار الجديد
شعرها .. كان مجد السنابل ! .
ثغرها .. كان عطر البلابل ، والمنتهى
كان موتى بعينين أعشق فى ساحليهما انبهار الفصول !

***

من بقايا الحضور الجميل الجميل
صرت ابحث عن لحظة واحدة
تتجلى بها روعة المستحيل
وانبثاق الشذى بعد ليل الذبول
فوق نهر الندى والرؤى الواعده ! .

***

انت يا من زرعت هواك العظيم
لم يعد فى يدى غير انت ...
فكونى الذى لم يكن فى الزمان القديم
اشرقى زهرة فى المواعيد، اونجمة فى المدى
كلمة فى المواويل ، أو نغمة فى الصدى
واشربى من عبير الحضور البعيد ...
حيث حبى ابتدا ...
حيث حبى ابتدا ! .



خلود الهوى

● يس الفيل ●

احن الى هـــــواه .. ولا ابالي   ابت على فراق ام وصـــــال
والتمس الوفـــاء بكل درب ...   سكبنا فيه اشواق الليـــــالى
واشـــدو للمســـاء بالف ناى   نشـــيد الملتقى عنـــد الزوال
وارنو للورود ... كان فيهـــا   عبير الحب يدعو للنـــــوال
واحكي للطيـــور ، ولست ادرى   متى للحب تحـــكى عن مآلى
اراه على يدى ، او لا اراه .. .. ..   فان هواه فـــوق مدى الزوال !
واشقى فيه ، اسعد ... ليس يعنى   هواى ... وليس يبعد عنه بالي
فان القلب يعشـــقه ... وما لى   جديد فى محبتـــــه وبال !

***

انا اهواه مهمـــــا غاب عنى   وايمانى به يمحـــو ضـــلالى
ولست ، وان قسا اقصيه ، حتى   ولو عز اللقـــاء على منـــالى
سمو البدر فيه اذا تعـــــالى   وصال وجال فى هذا التعـــالى
وذاتى فيه تسبح ما تنـــاهى   وفاق بزهوه افق الهـــلال
وعنه الروح ما ضلت طريقـــا   اذا ما غـاب عنى .. او بـــدا لى
فان هواه بعض من كيـــــانى   وبعض لم يـــزل للبعض تـــالى
غرامى فيـــه يحمـــلنى اليه   عبير مودة ، وســـنا جمـال
وكم فى القلب من ذكرى ليــــال   تقربه اذا غاب الليـــــالى !

***

ظننت البعـــد يبعده ... فخابت   ظنونى .. واســـتحال الى محال
اطير اليه ، تحضـــــنه يمينى   بلا وعى ... فتحســـدها شمالى
واحمل فى الحنـــايا شوق عمرى   لالقى حـــول كعبتـــــه رحالى
فان فاز الهـــوى ، نلت الامانى   وان فاز الدلال ، فـــلا ابالى !
رضيت بحبه وصـــــلا وهجـــرا   وشوقا ملهمـــا يكسو خيـــالى
وعندى يستوى قرب وبعـــــد   فكل فى محبتـــــه حلا لى
انا ذكراه ... والذكرى حيـــاتى   اليه بهـــا احج ـ اذا صـــفا لى

تذكرة طبية

● د . السيد الجميل ●

الهستريا

● ((الهستيريا)) مصطلح فحواه فقدان التحكم الارادى للشخص فى تصرفاته ومشاعره فقدانا يجعله يتصرف بطريقة شاذة يخرج فيها على التقاليد وعرف المجتمع دون احساس طبيعى بما يقترف من جرم وغرم .

يفرق الاطباء النفسيون بين الشخصية الهستيرية ، وبين أعراض الهستيريا فى الشخص . الشخصية الهستيرية غير ناضجة الانفعالات مركزة فى النفس الباطنة تفتقد التركيز ضعيفة الانتباه شاردة الذهن كعقلية الطفل الصغير الذى لم يبلغ الحلم وهذا الشخص يعتمد على الآخرين بل يحيا على توجيههم ومساعدتهم ومساندتهم له .

الاعراض الهستيرية

المريض بالهستيريا يفعل ما يشاء بلا اكتراث وبلا اعتبار لأى شىء ويجابه أية مخاطرة ويواجه أية مجازفة .. مع فقدان الذاكرة والنسيان لأهم الأحداث المؤلمة فى حياته .

الاسباب والعلامات

تتحمل الوراثة مسئولية كبيرة فى مثل هذه الحالة ، فينتقل بواسطتها التوتر والقلق .. والوراثة تهيىء المناخ وتمكن مسببات الهستيريا من اختلال واحتواء شخصية المرء المريض فهو يفكر بعقلية ساذجة ، وعمره العقلى أقل بكثير من عمره الزمنى ولا يتناسب معه أو يتقاعس نموه الفكرى ، وهو غير مبال بالعواقب غير آبه بالنتائج غير مكترث بالأهوال .

وفى أحيان كثيرة تتكون الشخصية الهستيرية نتيجة الصراع المحتدم بين الزوجة والزوج ـ بين الأم والاب ـ مما يترتب عليه تربية غير سوية للطفل فى سن التشكيل الاولى وتكون جناية الاهل على الابن أو الابنة كبيرة .. يبدأ الطفل من ثم دراسته الابتدائية الاولية شاعرا بالارهاق والاجهاد لاقل مجهود

والتعب الشاق المتصل المستمر ، ولمايكبر شيئا فشيئا ويجابه الحقيقة المرفق طباع الناس والمجتمع الذى يحيط به ويعمل من حوله تراه يفر من الواقع ويهرب من حقائق الاشياء وينخرط في الاهواء ويتسرب الى سبحات الخيال والأوهام فهو غريب بين ذويه وبين لداته واترابه وأقرانه .

تظهر علامات هستيرية على الشخص المصاب مثل تشنجات عصبية ، او العمى المفاجيء مثلا أو الصمم ، وبعض الآلام العضوية . ويجب مراعاة أن توزيع الألم على خريطة الجسم لا يخضع لاية اعتبارات تشريحية أو فسيولوجية .

عادة يكون ثمةضرر فى مناطق مختلفة من الجسم ، صداع شديد وألم حاد وتعب عضلي وانهاك بدنى ، ورعشة عنيفة احيانا ، وترنح وتوتر ، واغماءات مباغتة .

وفى كلتا الحربين العالمية الاولى والثانية ظهرت علامات الهستيريا على الكثيرين نتيجة ماتعرضوا له من مختلف أنواع الارهاب والبطش . .

النهاية

على اية حال فان علاج الهستيريا يشكل مشكلة لم تعد مستعصية ،لتقدم وسائل العلاج النفسى ، ولابد من استشارة طبيب الامراض النفسية بل واشرافه التام على العلاج بين حين وحين .

ومن الحالات التى تذكر فى هذا المجال ، حالة فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها احبت طالبا بكلية الطب مناها ووعدها بالزواج بعد تخرجه الا انه لم يف لها بوعده ، وكان الناس قد عرفوا بعلاقتهما ..

وقد اعتذر لها بان هناك عوائق تقف حجر عثرة أمام تتويج حبهما القديم بالزواج السعيد .

ومرت أيام ، وفجأة اصيبت الفتاة بالشلل التام فى يدها اليمنى التى كانت تكتب بها لحبيبها خطابات الغرام .

هذه هى حالة « شلل هستيرى » نتيجة ضياع الأمل الذى علقته على حبيبها الذى نساها وهى لم تنسه بعد .

وقد جاء تشخيص الحالة بأنها الشلل الهستيرى نتيجة تدفق عاطفتها الجزئية من مداد القلم فى رسائلها، وكأنه عبرات مسفوحة فى رمال صحراء قاحله ،ولان الاطباء الاخصائيين افادوها آنفا ان الحالة ليست عضوية لان الاعضاء والأعصاب تؤدى وظائفها الفسيولوجية فى غاية التمام .

وكم جنى الاخلاص والوفاء فى الحب على أبرياء مثلها ولكن لا علاج سوى السلوى والصبر ، ومحاولة النسيان ، وهنا ندرك نعمة النسيان الذى يراه الكثيرون نقمة على حياة الانسان .

قصـــة

هو وأنا .. والثعبان

• ناجية جبر •

● الساعة التاسعة مساء ، والصحراء مترامية الاطراف ، والقمر في اوجه ، فهـذه هي ليلة تمامه .. وبالرغم من ان القمـــر مكتمل ، الا ان الجو موحش ، كئيب ، لا يقطعـــه سوى بعض الهمسات بيننا ، فلم نكن نجرؤ على رفع اصواتنا اكثر من هذا ...

كنا كفئران حبيسة مصيدة ، او قفص ، ولـــكن الفرق بيننا وبين أي حيوان آخر في قفص ، اننا نحن الذين وضعنا انفسنا في هذا القفص المتنقل !

جئنا في رحلة لصيد الثعـــابين الكبيرة الحجم للاتجار في جلودها ، فاجتمعنا نحن العشرة وقـــد كانت هذه احدى رحلاتنا ، ولم تكن اولها ، ولا أدري لم اجتاحنا هذا الشعور الكئيب اليوم بالذات ..

كانت الثواني تمر وكأنها ساعات ، والســـاعة الواحدة تمر كأنها دهر بأكمله ... الجو شديد الحرارة ورطوبته تخنق الأنفاس .. وقدم لي أحد أصحابي سيجارة ولكنني رفضتها ، فلم تكن اعصابي تحتمل التركيز في شيء ، حتى ولا في سيجارة ..

كنت مشفقا أستمع لنعيق البوم الذي يزيد الجو كآبة ويشعرنا بأننا رغم ما أحرزنا من مـــكسب — لم نحقق الاستقرار لأنفسنا بعـــد ، فها نحن نعرض أنفسنا مرة كل شهر لاخطار جســـيمة في سبيل لقمة عيش ربما توفرت من عمل آخر ليس فيه هذه المشقة .. ها نحن مكدســـون في عربة صحراوية ، وقد أخذ كل منا مركزه أمام فتحـــة مناسبة وعلى أهبة الاستعداد لمواجهة اي خطـــر ،

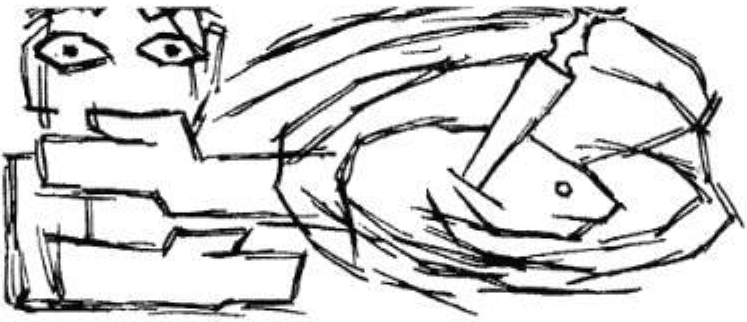
ولانتهاز فرصة ظهور الثعابين واصـــطيادها ، بطلقات تنطلق في نفس اللحظة ، لكي نحصل على أكبر عدد ممكن من الثعابين ، لاننا اما ان نحصل على مجموعة منها في نفس الوقت او لا نحصل على شيء ... ان سماع الثعابين صـــوت الرصاص ، يجعلها تفر دون اكمال طريقها الى نبع الماء للارتواء ، وعلينا بالتالي ان نكرر عملنا يوما آخر ..

وسمعنا فحيح الثعابين ، وفحيح هذه الاحجـــام الكبيرة يكون كالاصوات التي تصدرها الماعز ! .. وشاهدنا نفس المشهد الذي كنا نشاهده دائما من موقفنا في هذه النقطة بجوار النبع ...

رمال الصحراء تلتوي وتتحرك ، وتطير في الهواء نتيجة لخبطات الثعبان — اثنا سيره ، ويخيـــل للناظر الى هذا المنظر ان بحرا من الرمال يسير بسرعة كبيرة في اتجاهه ، وأن رقعـــة كبيرة من أرض الصحراء تتجه نحوه لتلتهمه ! .. ولن انس أبدا منظر هذا الطوفان ، اول مرة رأيته فيها ، رغم اعدادي لرؤيته مسبقا بما كنت اسمعه من قصص من أبي الذي أخذت عنه هذه المهنة ، فقد تملكتني حالة من الالم الشديد في امعائي ، وارتجفت مفاصل ، فلم تعد قدماي تقويان على حمل ... ولم يكن لي سوى ان اكوم في ركن العـــربة الداخل أكتفي بالمشاهدة ، ولم أسترد انفاسي الى ان ســـكنت الاصوات نتيجة لسماعها صوت طلقات الرصاص التي انطلقت في لحظة واحدة فاحدثت دويا مثل الذي تحدثه القنابل المتفجرة .

بقيت بعد ذلك لفترة لا أستطيع مصاحبة رفاقي في رحلاتهم .. وستزول دهشتكم لما أصـــابني لو علمتم انني كنت شاعرا ، ولم يكن مقدرا لي في قليل او كثير ان أمتهن هذه المهنة الصعبة التي تتسم بالعنف . ولكن ازاء اصرار أبي لم أجد بدا من الرضوخ لاوامره ...

ولما مرضت بعد هذه الرحلة الاولى ، تركني الى ان أسترد عافيتي ، ثم صار يأخذني معه لكي أتعود مشاهدة هذا المنظر ، وهكذا بدأت اشارك في هذا



العمل ، وتعودته وامتهنته وأجدته ، ومع ذلك لم يفارقني الحنين لشاعريتي رغم أن أبي قد أطبق بيد من حديد على كل آمالي ، واختــار لي البحث عن الثعابين ...

❋❋❋

أخذت الثعابين تتقدم تجاهنا مثل كل مرة ، وفي اللحظة المناسبة استعددنا وقمنا بإطلاق رصاصات بنادقنا دفعة واحدة كما هي العادة ... كان هدفنا دائما واحدا وهو الرأس ، في المنطقة وسط هذين المصباحين الشديدي الضوء ، فقد كانت العينان هما كل ما يظهر من جسم الثعبــان ، وما عدا ذلك فلا يرى الانسان سوى رمال متحركة ، لا يعرف حجم هذا الثعبان الذي يحركها ، ولا وزنه ، ولا طوله ، فهو شيء مجهول بالنسبة لنا .. ولكن الشيء المؤكد الوحيد أن أقل واحد منها كان يبلغ الثمانية أمتار ، ولم يكن يقل عن ذلك بحال من الاحوال ، لأن فتحات عينيها ومسافة البعد فيما بينها ، كانت هي دليلنا لمعرفة حجمها بالتقريب ..

كنا نجلس على أعصابنا ، كما يحدث كل مرة ، فلو أخطأ أحدنا الهدف فلن تكون هناك قيمة لجلد ثعبانه ، فهناك طريقة واحدة معينة لسلخه لا ثقاء منها ، علاوة على ما يسببه لنا من متاعب وجــود ثعبان ضرب في غير الوضع الصحيح ، قد يهاجمنا كنوع من الثأر لنفسه ..

ولا أدري ما الذي دفعني الى التفكير في ذلك أولا أصوب بندقيتي الى رأس الفريســـة التي كنت اعتبرها غريما لي أن لم اقتله قتلني ، في الوقت الذي ضغطت فيه أصبعي على الزناد ، كانت يدي قد اهتزت قليلا ، مما أطاش رصاصتي فلم تأت في الوضع المحدد ، بل أتت بجوار العين اليمنى للثعبان الذي هدأت الحركة بجانبه تماما ، وأخذ يتقلب في الهواء هنـــا وهناك في حركات عصبية ، وهو يتجه نحونا في اندفاع جنوني ، ونحن من هـــول المفاجأة لا ندري ماذا نفعل .. فرغم أن السيارة محاطة بالاسلاك الشـــائكة الكثيفة بتمزيقه شر ممزق ، ولكن لو قذف بنفسه فوقنا لانتهى الامر ، فوزنه وحده كفيل بتحطيمنا نحن والعربة ، وأخذنا نطلق عليه رصاصاتنا المحمومة على احداها تصيبه في مقتل ، لتريحنا منه ... وفي نفس الوقت كان هناك صوت لعويل يملأ الفضاء من حولنا ، أخـــذ يزداد ويقترب ونحن لا نعرف مصدره ، عويل أنثى مكلومة ...

واخيرا ، وبعد أن فقدنا عدة رصــاصات جاءته احداها في مقتل ، جلسنا نسترد انفاسنا بعد هذا الصراع المرير ، فاحسسنا بالعربة ترتج من تحتنا وبحركة غريبة فيها ...

أصغنا السمع ، وحاولنـــا استجلاء الموقف ، فوجدنا ثعبانا كبير الحجم قد التف حول العـربة في صراع مرير ليحطمها هي ومن فيها ...

ارتعشت أجسامنا خوفا ، فرغم أننا حصنا العربة بالاسلاك الشائكة الكثيفة بتمزيق أي ثعبان يقترب منا ، إلا أننا لم نضع في حسابنا أننا سنلتقي بهذا الحجم الضخم من الثعابين ، فلكم أن تتخيلوا كم يبلغ طول هذا الثعبان لو علمتم أنه التف حـــول العربة مرتين ، ولم يكن هناك مفر من أن نخـرج جميعا بالانصاف العلوية من أجسامنا من العربة ، وأن نعمل أسلحتنا البيضاء في جسم المهاجم في أي جزء ، بدون رحمة ولا اهتمام بالجلـــد الثمين ، فالمعركة الآن معركة حياة أو موت ...

كانت أنثى الثعبان ... وكلما أخـــذنا فيها تقطيعا أخذت هي في تشديد الخناق علينا ، ولم تتركنا في سلام ، الا بعـــد أن جز أحد الزملاء رأسها ، فخارت قواها واستسلمت للمــوت غير آسفة على الحياة ...

❋❋❋

كانت أعصابنا قد خانتنا جميعا من هول مارأينا في هذه الليلة ، نعم أننـــا واجهنا الموت لمرات معدودات ، فقد كنا نرى ثعابين وهي تنقلب على ظهورها بعد الرصاصات...وغيرها تختفي في الرمال ولا تظهر مرة أخرى ، وكنا نقوم بحمـــل جثث الثعابين المقتولة لنبيعها لتجار الجلود ... لكنـــا لم نتعرض من قبل لمثل هذا الهجوم ! ... ربمـــا طاشت رصاصـــة أحدنا ، ولكننا كنا نتلافى الامر قبل أن يستفحل ... أما في هذه المرة فلا أدري سبب عدم تداركنا للموقف في حينه .

وقررت عدم العودة مرة أخرى ، فقد علمتني أنثى الثعبان كيف أن الانسان يجب عليه أن يحارب الى أن يصل الى هدفه أو يموت دونه ...

هذا عني أنا ... أما عن زملائي فمنهم من تباهى بعد ذلك بموقفه البطولي ... ومنهم من لم يخرج في رحلة أخرى الى أن هـــدأت أعصابه واستطاع العودة للعمل ! ؟

وهكذا جرت بنا الحياة ...

روّح عن نفسك



الأســـــئلة

هذه الصفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعـــلومات المفيدة ـ والاجابات اسفل الصفحة .

اولا : لغز بالشعر :

ومحبوبة في القيــظ لم تخل من يد
وفى القر تسلوها اكف الحبـائب
اذا مالهوى المقصور هيج عاشـــقا
أنت بالهوى الممدود من كل جانب !

ثانيا : مسالة حسابية :

ضع العلامات الحسابية اللازمة بين الارقام في المسائل الآتية لـكى تحصل على النتائج المبينة امام كل مسألة :

٣ ٣ ٣ ٣ = ٢٤
٤ ٤ ٤ ٤ = ٨
٥ ٥ ٥ ٥ = ٢٥

ثالثا : اختبر ذكاءك :

كل كلمة من الكلمات التالية تدل على اسم مدينة معروفة ، ولـكن ينقص كل منها حرفان متشابهان ، وقد وضع مكان الحرف النـاقص خط صغير ، فهل تستطيع أن تعرف أسماء هذه المدن ؟

١ = ـ ن ـ ا .
٢ = ـ ل ـ ى س .
٣ = ل ـ د ـ .
٤ = م ـ ر ى ـ .
٥ = ا ـ د ر ـ ا ن .

رابعا ـ اختبر معلوماتك : من هو ؟

١ ـ تعلم فى البصرة وحفظ لغة البدو وذهب الى بغداد حيث عهد اليه الرشيد بتعليم ابنه الامين . من اشهر ماكتب : « كتاب خلق الانسان» و « كتاب الخيل » و « كتاب الابل » و « كتاب الاضداد » وله مجموعة شعرية تحمل اسمه .

٢ ـ بحار برتغالى ، اكتشف مضيقا عرف باسمه فى جنوب امريكا الجنوبية وكانت سفينته أول سفينة اتمت الطواف حول الارض ، على الرغم من انه قتل اثناء هذه الرحلة بأيدى الاهالى فى جزر الفيليبين .

٣ ـ فيلسوف وعالم ، نبغ فى علوم الدين والشعر والتاريخ والادب وكان وزيرا بالاندلس فى القرن الحادى عشر .

٤ ـ عالم موسوعى عربى ، ولد فى غرناطة واهتم بالطب والفلك والرياضيات والشعر والفلسفة ، وفى كتابه « حى بن يقظان » حاول التوفيق بين الفلسفة والدين .

٥ ـ رائد الكيمياء العربى ، عاش فى الكوفة ثم اتصل بالبرامكة ، وله مؤلفات عديدة اهمها : « اسرار الكيمياء » و « الرحمة » . وقد ترجم الاوروبيون مؤلفاته الى اللاتينية وكانوا يدرسونها فى الجامعات الاوروبية لمئات السنين .

الإجابة

اولا : لغز بالشعر : هى المروحة .

ثانيا : مسالة حسابية :

٣ × ٣ × ٣ ـ ٣ = ٢٤

٤ × ٤ ـ ٤ ـ ٤ = ٨

٥ × ٥ ـ ٥ + ٥ = ٢٥

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ طنطا .

٢ ـ بلبيس .

٣ ـ لندن .

٤ ـ مدريد .

٥ ـ أم درمان .

رابعا : اختبر معلوماتك : من هو ؟

١ ـ أبو سعيد الاصمعى .

٢ ـ فرديناند ماجلان .

٣ ـ ابن حزم الاندلسى .

٤ ـ أبو بكر بن طفيل .

٥ ـ جابر بن حيان .

لا ترحلى

• أحمد مصطفى عوض •



لانك استطعت ان تحركى .. كوامن المشــــاعر المبعثرة
وانت تعبرين كالضياء تبسمين كالنســـائم المســافرة
وانت تسكبين فوق جسمى النحيل نظرة الهوى المنتصرة
لانك استطعت ان تواصلى المسير فى عواصفى المزمجرة ..
فقد رددت لى مشاعرى التى فقدتها ، وللفؤاد طائره
اعدت لى صباحى المفقود .. بعد قبضة من الظلام قاهرة
اعدت لى لآلىء الشعر التى ضيعتها اعدت لى جواهره!
اعدت لى هدوئى الذى فقدته هنا،بين ضجيج القاهرة !
فعادت الحياة فى اضالعى وبلبل الاشعار حيا شـــاعره !

●●●

ونسيتنى لـــشقاوتى فى لذة الصبا .. نسيت لذة المغامرة
انسيتنى كآبتى فى موكب الطفـــولة التعيسة المنكسرة !
والصمت قد مزقته ، لانك اســـتطعت ان تقلمى اظافره !
انسيتنى عذابى القديم رغم عمقه بذى العظام النخرة !

●●●

لا ترحلى حبيبتى . فاننى اخاف من مــــرارة المغــــادرة !

زهرات من رياض العرب

● غير مستجاب ●

كان المنصور قبل أن يلي الخلافة، ينزل على أزهر السمان ، فلما استخلف ، سار اليه ازهر ، فقال : ما اقدمك ؟. قال ازهر : حاجة باامير المؤمنين ، على اربعة آلاف درهم، ولي دار متهدمة ، واريد البناء لابني محمد ..

فامر له باثني عشر الف درهم .. وقال : يا ازهر ، لا تأتنا طالب حاجة !.

فلما كان بعد قليل عاد : فقال له امير المؤمنين : يا ازهر ، ما جاء بك ؟.

قال : جئت مسلما على امير المؤمنين..

قال : انه ليقع في نفسي انك ما أتيت الا لما اتيت له في المرة الاولى ..

وامر له باثني عشر الف درهم .. وقال : لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلما قال : نعم ..

ولكنه ما لبث أن عاد فقال : ياازهر ما جاء بك ؟ . قال : دعاء كنت سمعت امير المؤمنين يدعو به فجئت لآخذه ..

فقال : لا تكتبه ، فانه غير مستجاب ، لاني دعوت الله به أن يريحني منك فلم يستجب لي !.

ثم صرفه ولم يعطه شيئا ..

● نسيت نفسك ●

مر اعرابي بابي الاسود الدؤلي وهو



واقف ببابه وسلم عليه، فقال له الدؤلي: ما شأنك يا أعرابي ؟.. فاجاب الاعرابي : ائذن لي بدخول بيتك ... فقال الدؤلي : وراءك اوسع لك !..

فساله الاعرابي .. هل عندك ما يؤكل ؟. فاجاب الدؤلي : نعم ، ولكن عيالي احق به منك !.

فقال الاعرابي : ما رايت والله الام منك ..

فضحك الدؤلي وقال له : كيف نسيت نفسك ؟!.

● فرحة اللقاء ●

لما حضرت الوفاة بشر بن منصور كان في سرور ، فقال له أحد الأصدقاء: ما لك يابشر تفرح بالموت وكأنك تسعى اليه !.. فقال بشر : وكيف لا افرح بالموت وارحب به ؟. بل كيف تجعلون قدومي على خالق ارجوه كمقامي مع مخلوق اخافه ؟!.

● حفظ اللسان ●

اجتمع قس بن ساعدة واكثم بن صيفي فقال احدهما للآخر : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟.. قال الآخر: هي اكثر من ان تحصى ، وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها .. قال : وما هي ؟.. فاجاب الاخر : حفظ اللسان !.

● دعاء يوسف ●

كان من دعاء يوسف ـ عليه السلام ـ وهو في السجن : ياعدتي عند كربي ، ويا أنيسي في وحدتي ، ويا غياثي عند شدتي ، ومفزعي عند فاقتي ، ورجائي اذا انقطعت حيلتي..

يا الهي واله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ، اجعل لي فرجا ومخرجا واقض حاجتي..

● محسن فهمي ●

جوردون

وجنايته على مصر والسودان

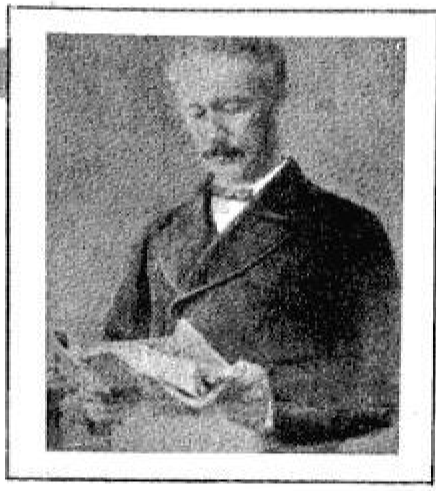
● كان الانجليز في العصر الاستعماري يقولون دائما ان الجنرال تشارلس جوردون معضلة ، وكنا نحن نقول انه ليس بمعضلة على الاطلاق ، لاننا - اهل وادى النيل ، ما بين مصريين وسودانيين ، نعرف تماما لماذا ارسل جوردون الى السودان والمهمة الحقيقية التى تطلبها منه رؤساؤه الانجليز ...

وقد صدر اخيرا في الولايات المتحدة كتاب جديد صغير الحجم عن ذلك الرجل ، رأينا ان نعرض على قراء « الهلال » اهم ما فيه ، وان ننتهز هذه الفرصة لنبدى رأينا في الجنرال جوردون وشخصيته ومهمته ..

الكتاب من تأليف كاتب أمريكي يسمى تشارلس تشيفينكس ترنش .

يقول المؤلف ان كثيرا من المشاهير يكسبون الشهرة لا بحياتهم وانما بموتهم . وتشارلس جوردون واحد من هؤلاء .. ولو انه لم يمت قتيلا على أيدى المهديين في الخرطوم لما ذكره أحد .. وبهذه المناسبة يقول المؤلف : ان نهاية جوردون كانت شريفةوباسلة وغير ضرورية على أى حال .. وهذا حق ، فان جوردون كان شخصية مريضة غير متزنة ، وقد كان يستطيع مغادرة الخرطوم ، والعودة الى القاهرة عندما بدأ المهديون في حصار الخرطوم ،ولكنه أصر على البقاء والحصار يشتد ، ليرغم الحكومة البريطانية على الاهتمام بأمره، وليشد الى نفسه اهتمام الجمهور الانجليزى ، وقد نجح بالفعل في ذلك ، ففى أثناء حصار الخرطوم الذى كان يشتد يوما بعد يوم ، كانت الصحف البريطانية تنشر يوميا تفاصيل عن مأساة البطل الانجليزى الذى يواجه الموت ببسالة في الخرطوم . وكانت الحكومة الانجليزية وعلى رأسها السير جلادستون ترى أن هذه فرصة لتتخلص فيها من جوردون ثم تتخذ موته ذريعة لتنفيذ مأربها الاساسى الذى كانت تسعى اليه ، وهو ارغام المصريين على الانسحاب من السودان لتنتهى مسألة وحدة مصر والسودان ، ثم اعادة فتحه بالاشتراك مع مصر وتحويله الى مستعمرة مشتركة مصرية انجليزية - تمهيدا لاخراج مصر نهائيا من السودان وتحويله الى مستعمرة انجليزية ..

وكان جلادستون يتلقى كل يوم عددا



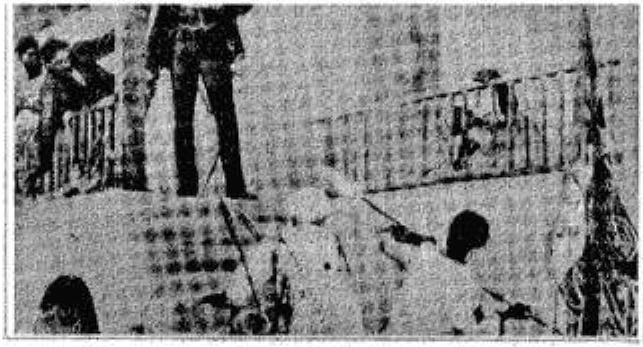
الجنرال : تشارلس جوردون

من البرقيــات من جوردون ، وكلهـا تستغيث به وترجوه ارســال قــوة انجليزية للقضاء على حــركة المهــدى وتخليص الخرطوم والانجليز المحاصرين فيها .. وكان غرض جوردون من هذه البرقيات واضحا : هو تحويل السودان الى مستعمرة بريطانية راسا ، لان القوة الانجليــزية التى كانت ستــرســل من انجلترا لم تكن لتتحمل تكاليف محاربة المهديين وانقــاذ جوردون ومن معه لكى تعيد السودان لمصر .

وكان جلادستون يعرف ذلك ، ولكنه لم يكن يثــق بجوردون . كان رأيه فيه انه رجل متمرد وغشاش ومجنون

وهذا هو الحكم الانجليزى الرسمى على الرجل الذى رأى الخديو اسماعيل أن يعهد اليه فى حكم السودان والقضاء على تجارة الرقيق فيه . واسماعيل لم يكن يعمل أو يفكر على اعتبار انه مصرى بل كان فى صميمه أميرا مرتزقا يملك ضيعة ورثها عن جده محمد على ، ولكى يدير هذه الضيعة على طريقة يرضى عنها سادته الاوروبيون ، استخدم فى ادارة السودان استعماريا شريرا هو السير صمويل بيكر ثم الجنرال جوردون ..

وكانت فكرة فصل الســودان عن مصر والاستبداد به واضحة جدا فى أذهان السياسيين الانجليز ، ســواء منهم الاحرار مثل جلادســتون ، أم المحافظين مثل دزرائيل ، لان السودان كان يبدو فى نظر الانجليز غنيمة سهلة ينبغى أن تؤول اليهم ، ولا عقبــة فى سبيلهم الا الرابطة العضوية التى تربط بين قطرى وادى النيــل ، وكان لابد للانجليز من تحطيم هذه الرابطة ،فكانوا يذيعون اسوأ الكلام عن ســوء الادارة المصرية فى السودان . وادارة السودان منذ أيام سعيد لم تكن مصرية قط بل كانت انجليزية ، لان الخديو ســعيد ثم اســماعيل من بعــده كانا عميلين اوروبيين يريدان ان يضمنا ملك مصر عن طريق الحصــول على تأييد دول الغرب ، والعبارة التى قالها اسماعيل .. وكان البعض يفخر بها ، وهى « ان مصر قطعة من اوروبا » هى فى الواقع جــريمة ، لان مصر لا يمكن أن تكــون اوروبية الا اذا كان المفروض انها ضيعة اوروبيــة ، فمصر مصرية وعربيــة وافريقية ، ولكنها قطعا ليســت قطعــة من أوروبا ، ولكن اســماعيل اراد فى الحقيقة أن يقول انه هو نفســه ملك



غربى يدير ضيعة أوروبية ، وهذا فى الحقيقة كان لباب تفكير سعيد واسماعيل وتوفيق ، واذا كان عباس حلمى قد وقع فى خطأ اقتضى عزله فهو انه بدلا من ان يتصرف على أنه عميل أوروبى يدير ضيعة لصالح الاوروبيين ، تصرف على انه عميل تركى يدير الضيعة المصرية لحساب تركيا .. وكان فى هذا حتفه !

***

المهم أن الغربيين اليوم يوافقوننا على رأينا فى جوردون ويرون مثلنا انه كان شخصية مضطربة شريرة واستعمارية من الطراز الاول ، وليس فى موته اية بطولة ، فقد كان يسعى من وراء البقاء فى الخرطوم الى ارغام الحكومة الانجليزية على الاهتمام به ، وقد فشل فى ذلك ، ولكنه نجح فى ان يجعل الناس يرون فيه بطلا . وما كان ثباته فى الخرطوم بسالة وانما كان عنادا مع جلادستون : وهى محاولة من رجل مضطرب العقل لكى يتحول من جندى مرتزق الى بطل عسكرى بريطانى ، وهذا الرجل الذى ارسل ليقضى على تجارة الرقيق كان هو نفسه يشترى الرقيق ويستخدمهم ، وكان فى ولايته الاولى على السودان يعود الى انجلترا فى الاجازة مصطحبا رقيقا يهديه الى اصحابه من الانجليز ! ..

وكان جنود جوردون كلهم مصريين ، وهو ببقائه فى الخرطوم جنى على هؤلاء المصريين جناية كبرى ، فقد كان مهدى السودان يحارب جوردون والانجليز ، ولم يكن قط يحارب المصريين ، ولم يشر فى رسائله مرة واحدة اشارة عداء الى مصر والمصريين ، ولكن جوردون اضطر المهدى الى ان يعتبر الجنود المصريين الذين كانوا تحت امرة جوردون فى جملة الاعداء ، لانهم هم الذين كانوا يدافعون عن جوردون . ولقد قتل مع جوردون ۹۰۰۰ جندى مصرى لم يبك لمصابهم احد ، وكان يعمل فى السودان ۳۵۰۰۰ موظف مصرى ما بين معلمين ومهندسى رى واطباء وموظفين عاديين ، هؤلاء مات معظمهم بعد انتصار الثورة المهدية ، وخصوصا بعد موت المهدى وانتقال الرياسة الى عبد الله التعايشى وشيوع الفوضى فى السودان كله . هؤلاء المساكين ماتوا أو تشردوا وفقدوا وظائفهم ، وكل ذلك لكى يرضى جوردون غروره وعناده مع جلادستون ، ولكى يصل هذا الاخير الى ما كان يسعى اليه من فصل مصر عن السودان وتحويل هذا الاخير الى مستعمرة بريطانية ، وتلك هى العملية التى قام بها قائد استعمارى بريطانى آخر ، هو اللورد كتشنر عندما قاد حملة اعادة فتح السودان وتحويله الى مستعمرة انجليزية مصرية . وذلك تحول لم يكن لمصر يد فيه ، فما كانت مصر ترمى قط الى تحويل السودان الى مستعمرة ، وانما كانت تسعى دائما الى الحفاظ على وحدة الوادى ..

● د . حسين مؤنس ●

مختارات من الشعر الأوروبي ..
في ضيافة الشعر العربي

السهم .. والنشيد

● للشاعر الامريكي : هـ . لونجفلو
● ترجمة احمد مصطفى حافظ ●

أطلقت سهما ... في المدى المترامي
فمضى بعيدا ... كالشهاب أمامي
ولفرط سرعتـه ... تلاشى واختفى
متطـاير اللمحات ـ كالأوهام
وكما ارتقى ـ لاشك عندي ـ قد هوى
فوق الثرى ، متراخيا ، بسلام

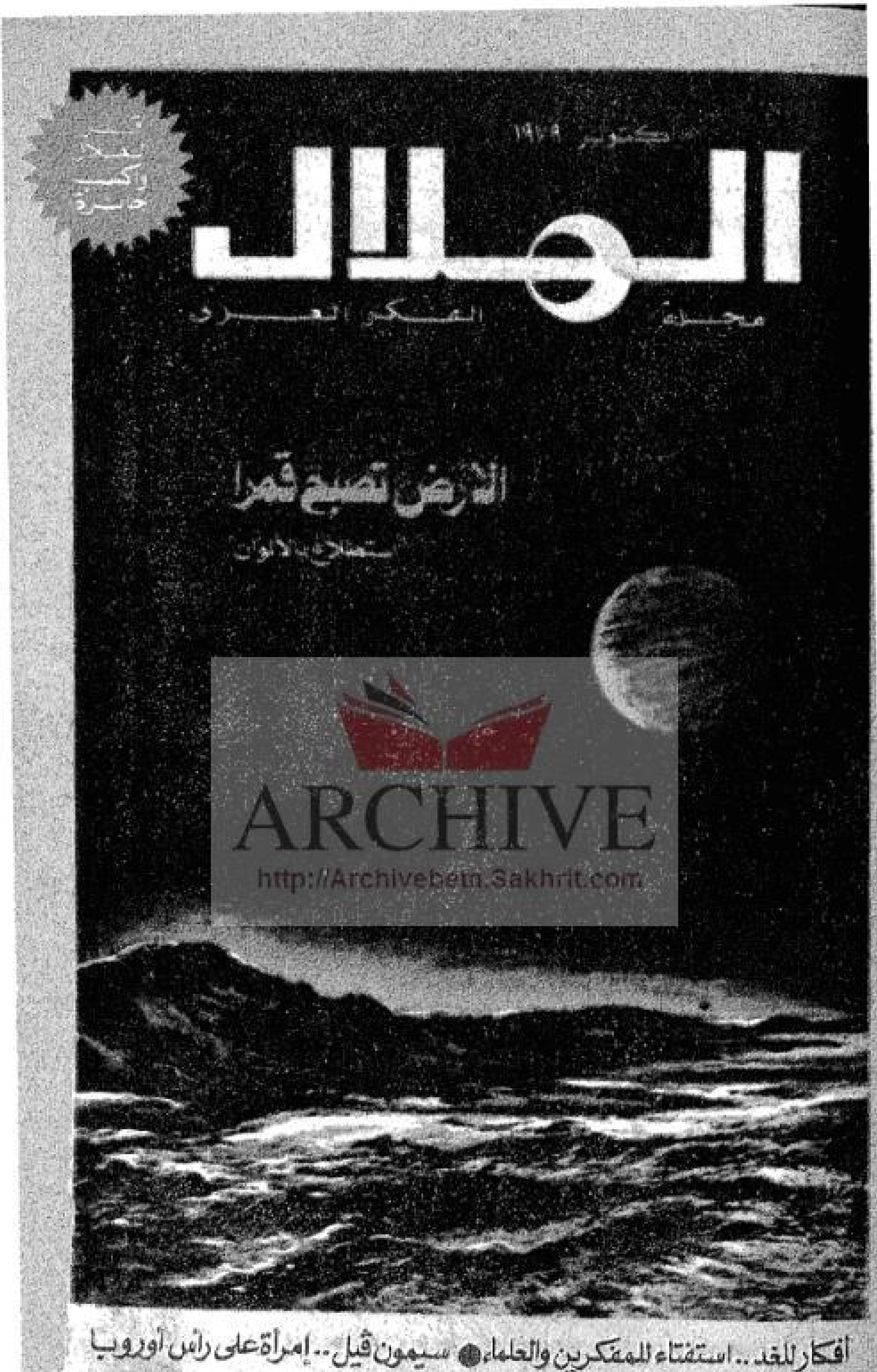
***

وبثثت في عمق الفضاء نشيدي
يطوي الفلا ، متنقلا بالبيد
ومن الذي يدري مدى طيرانه
إن كان يسكن رصد سير نشيد !
وبحدة الابصار يدرك ما انتهى
يوما إليه ـ وهل ثوى بصعيد ؟

***

ومضى الزمان ... لكي أرى بطريقي
سهمي سليما ، في مدى تحديقي
فقد استقر بسنديانة غاية
أما النشيد ... فجل عن تصديقي !
فمن البداية للنهاية ... قد سرى
بين الحنايا ، ملء قلب صديق !


الهلال
جرجي زيدان
١٨٩٢م
١٩٧٩م
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٧ عامًا
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
ولازالت مجلة الهلال عميدة المجلات
الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
بالبريد العادي:
بالبريد الجوي:
في البلاد العربية:
تسدد بشيك مصرفي مقدم
لقسم الاشتراكات بدار الهلال


أكتوبر ١٩٧٩
الهلال
مجلة الفكر العربي
الأرض تصبح قمرا
استطلاع بالألوان
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com
أفكار للغد .. استفتاء للمفكرين والعلماء ● سيمون ڤيل .. إمرأة على رأس أوروبا

كلمة الهلال

السماء لازالت زرقاء.. وراء طبقات السحب

● لم تمر على عالم العرب والاسلام فترة هي اشد من الفترة التي نعيشها اليوم ، فان المشاكل واسباب القلق تتوالى وتتراكم حتى يبدو المستقبل وكأنه سماء ملبدة بالغيوم لا تجد العين فيها قطعة زرقاء.

وهذه الحال تبعث اليأس او القلق على الاقل في نفوس الضعفاء الذين لا يحتملون اوزار الحياة ويريدونها دائما سهلة ميسرة ، ولكن الاقوياء لا تهزهم السحب ولا تخيفهم السيول لانهم خلقوا لها او هي خلقت لهم فهم يواجهون الحياة دائما بقلب قوي وعزيمة ثابتة وقلب من حديد .

والمثل الذي اتصوره دائما في تلك الظروف هو مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندما واجهته ازمة الردة بعد شهرين فحسب من انتقال الرسول الاكرم الى الرفيق الاعلى ، فقد انتقض بعض العرب على جماعة الاسلام واعلنوا انفصالهم عنها ، وتفاقمت ظاهرة المتنبئين فظهر الكثيرون ممن يزعمون انهم انبياء وتابعتهم قبائلهم املا في ان يدركوا من الشأو ما بلغته قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يبق في جماعة الاسلام الا المدينة ومكة والطائف .

واختلفت آراء الصحابة حتى ان عمر بن الخطاب اشار بالتساهل في موضوع الزكاة املا في ان تعود القبائل المرتدة الى الجماعة اذا صرف الخليفة نظره عن الزكاة ، وكانت على اي حال – وفي رأي عمر – مسألة قليلة الاهمية .

ولكن ابا بكر صمد واصر على اعادة وحدة الجماعة دون اي تساهل في حقوق امة الاسلام ، ونادى اهل العزم والدربة بامور الحروب من صحابته وارسلهم في كل وجهة يقودون احد عشر جيشا ، بل بدا هو فخرج بجيش ، ولكن اصحابه ردوه الى المدينة وقالوا له ان عمله اليوم هو القيادة العليا وعليه ان يقر في المدينة .

وفي شهور كان ابو بكر قد قضى على الردة واعاد وحدة الجماعة والاسلام ، واثبت بذلك انه جدير بخلافة رسول الله ..

لقد حقق ابو بكر هذه النتيجة الباهرة بالايمان الثابت الذي لا تقهره قوة والعزيمة الصلبة والثقة بالله وبما يؤمن به – وهو الاسلام – وبجماعة المسلمين ..

وهذا ما نحن بحاجة اليه اليوم : الايمان والعزيمة والثقة بانفسنا وبمستقبلنا .

اننا امة عظيمة ووسائل القوة في ايدينا كثيرة ، ولكننا في حاجة الى مزيد من الايمان بانفسنا وبعروبتنا ، ومزيد من الثقة بعضنا ببعض ومزيد من العمل الجاد المخلص المتقن ومزيد من الحب والتفاؤل .. والبحث عن القطع الزرقاء بين السحب .

المحرر

في هذا العدد

● اسلاميات ●

● تحقيقات ●

● أدب ●

● استطلاع بالالوان ●

● طب وعلوم ●

● سينما ●

● كاريكاتير ●

الهلال
مجلة الفكر العربى

رئيسة مجلس الادارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الادارة : صبرى أبوالمجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

ذو القعدة ١٣٩٩ هـ
أكتوبر ١٩٧٩ م

مدير التحرير : نصرالدين عبداللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موسى عبيد

مجلة شهرية تصدر من دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون -
اول اكتوبر ١٩٧٩ - ١٠ من ذى القعدة ١٣٩٩

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى مايستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير (الهلال) غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لاترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفني على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورداني

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صافيا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ جنيهات بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ جنيهات . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الإدارة : دار الهلال – ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

عصر انقضى وولى زمانه .. ولكن العصر الجديد لم يولد بعد ..

بقلم : رئيس التحرير

● في صباح يوم الاثنين ٢ من سبتمبر الماضى (١٩٧٩) انفجرت شحنة من المتفجرات في قارب الايرل ماونتباتن اوف ايندبا ، اودت بحياته وحياة ابن اخته وعدد من البحارة ، واصابت عددا كبيرا بجروح بالغة ..

كان ذلك في خليج دونيجال الصغير في قرية مولاجمور في شمال ايرلاندا ، هناك يملك الايرل ضيعة مساحتها ١٥٠٠ فدان تمتد الى شاطىء البحر . هناك انشا الاميرال الانجليزى الجليل مرسى صغيرا لسفن النزهة ، ووضع فيه قاربه الصغير . في كل عام كان الايرل يقضى شهرا في هذه الضيعة ، وفى كل يوم كان يخرج بقاربه في الصباح يرتاض ويصطاد ، حتى كان ذلك اليوم حيث لقى الايرل مصرعه المحتوم على يد رجال حركة استقلال شمال ايرلاندا المعروفة باسم «ايرا» .

وقد اثار ذلك النبأ موجة فزع في العالم كله لان هذا الرجل كان من اكبر الشخصيات العالمية ، وكان موته على هذه الصورة جريمة بشعة ولكنها تكاد تكون عادية في عصرنا هذا الذى يضطرب بالثورات والحروب والصراعات التي لا يدرى أحد الى أين ستمضى بنا ..

ولقد عبر عن حيرة العصر واضطرابه وغليان الافكار والحركات فيه السيد فاليرى جيسكار ديستان رئيس جمهورية فرنسا في حديث نشر في مجلة « بارى ماتش » قال فيه ان العالم مقبل على تغيرات حاسمة وان فرنسا اذا لم تتنبه الى هذه التغيرات وتستعد لها فانها ستتعرض لاخطار جسيمة ، لاننا ندخل الآن في عصر جديد غير محدد المعالم والسمات ، ولكنه عصر خطر ، فان الصراعات التى تمزق الدنيا اليوم صراعات عنيفة خطرة ، ولا يعرف احد شيئا واضحا عن صورة الغد ، وعلينا أن نكون على أقصى درجات الأهبة والاستعداد للعصر الجديد بمجرد أن تبدو لنا معالمه ، بل علينا ان نبذل اقصى الجهد في

هل انتهى حقاً عصر الاستعمار؟ هل تخلت الدول الكبرى عن سياساتها الاستعمارية؟ هل هي تريد الحرية والعلم والرخاء للبلاد الفقيرة السجينة وراء قضبان ما يسمى بالعالم الثالث ..؟

صياغة صورة ذلك العصر ، والا فالله وحده يعرف ماذا سيجرى علينا غدا وبعد غد !

***

وسبب الحيرة التى تجتاحنا اليوم هو اننا فى الواقع ما زلنا نعيش فى نهايات عصر مضى بنهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدايات عصر بدت طلائعه مع تفجير الذرة واستخداماتها المختلفة ـ من القنابل الى انتاج الطاقة • والابتكارات الاليكترونية التى تغير وجه الارض ، ونحن موزعون بين العصرين • فمن الناحية السياسية يدور الصراع بين بقايا الامبراطوريات وطلائع عصر تحرر الشعوب ومن هنا كان مصرع الايرل ماونتباتن رمزا على نهاية العصر الماضى ، وكانت الجريمة نفسها اشارة الى العصر الخطر الذى ينتظرنا والذى اشار اليه الرئيس فاليرى جيسكار ديستان ••

لهذا نظرنا الى مصرع الايرل ماونتباتن على انه نهاية لعصر واشارة الى بداية عصر مجهول يحفل بالمخاطر •

ذلك ان الايرل لويس ماونتباتن رغما عن الشخصية الجليلة الجميلة التى تمتع بها يعتبر رمزا على العصر الاستعمارى كله ، فهو رجل من كبار النبلاء ، ولد فى بيت ملوك ، وربى ملوكا ، وخدم ملوكا ، وكان عمادا من عمد الامبراطورية البريطانية •

وقد مات ماونتباتن بقنابل ثوار ايرلاندا وهم جناح كبير من اجنحة الحركات الثورية التى تهز عصرنا هذا ، وهذه الحركات كلها تعمل جاهدة فى اقطار الارض الاربعة لكى تنشىء عالما جديدا لا يدرى رجالها كيف يكون ، ومن هنا كان المعنى البعيد لذلك الحادث الجلل الذى يعتبر ايضا جريمة بشعة ••• معنى نهاية عصر استنفد غاياته وبداية عصر قلق ينذر باسوا الاحتمالات ••• عالم الغد المجهول الذى نقترب منه يوما بعد يوم •

***

والحقيقة اننا نعيش اليوم فى نهاية عصر انتهى دون أن يبدأ العصر الذى يليه ••

لان العصر الذى ينبغى أن يليه ـ وهو عصر الغد ـ ينبغى أن يكون عصر حرية الشعوب وكرامة الانسان ، وينبغى أن يكون عصر الرخاء والامن لكل شعوب الارض •

ولكن الدول الكبرى التى تصنع اليوم عالم الغد هى فى ذاتها دول استعمارية ضخمة تحاول أن توجه سياسة الدنيا لما فيه صالحها ولما يؤدى الى زيادة سلطانها وتقوية قبضتها على العالم ، وهى بهذا تحول دون ميلاد العصر الجديد .

ولنأخذ روسيا مثلا ، والمفروض انها بتقدمها العلمى تسير فى طريق العصر الجديد ، عصر حرية الشعوب وكرامة الانسان ، فهل هى تعمل لتحقيق هذه الغاية ؟ .

انها تفعل عكس ذلك ..

فهى تسيطر بقواها العسكرية على مساحة من الارض تفوق مساحة الامبراطورية البريطانية فى أوجها الاستعمارى ، وهذه المساحة التى تمتد من نهرى الأودرنيسه الى المحيط الهادى ، ومن المحيط المتجمد الشمالى الى قلب آسيا تسكنها عشرات الشعوب التى تخضعها روسيا لسلطانها بالقوة والعنف فها هى بلاد التركستان وما يليها شمالا من جمهوريات كازاكستان وقرغيزيا وطاجيكستان وغيرها ، فهذه البلاد التى تسمى جمهوريات اشتراكية سوفييتية لا يسكنها روس ولا يريد أهلها أن يكونوا خاضعين لروسيا ولا يريدون أن يكونوا اشتراكيين أو شيوعيين ، انهم يريدون أن يستقلوا ببلادهم الاسلامية ، وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ويكون لهم فى هذا العالم صوت ، فأين هذا الصوت ؟ .

ان القوة العسكرية الروسية تحكم بلادهم وتفرض عليهم المبادىء الشيوعية وتحارب الاسلام وتمنع الناس من اقامة شعائر دينهم . واذا جرؤ انسان هناك على أن يقول شيئا لا ترضى عنه سلطات الحزب الشيوعى أودع فى السجن أو شرد فى سيبيريا أو ربما أصابه أسوأ من ذلك ، فأين حريات الشعوب وأين كرامة الانسان ..؟

***

واذا كان هذا هو الحال فكيف يبدأ العصر الجديد ؟ ..

بل هناك شعوب اوروبية ذات مستوى حضارى رفيع مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والمانيا الشرقية ترغم شعوبها كلها على الخضوع لروسيا بالقوة الغاشمة ، ويفرض على أهلها النظام الشيوعى بالسلاح ، واذا جرؤ انسان على ان يفتح فمه فان مصيره السجن والتشريد ، وكلنا نذكر ماذا حدث للمجر سنة ١٩٥٦ وكيف قضى على حركتها التحررية بالقوة الغاشمة ، وبعد ذلك بسنوات كانت مأساة تشيكوسلوفاكيا . بل ان الامر يتخطى ذلك ، ففى افريقيا وآسيا بلاد اخضعت للسلطان الشيوعى بسبب فقرها البالغ وحاجتها الى اى مساعدة مالية او حضارية ، فقدمت روسيا شيئا من العون لهذه البلاد واخذت منها استقلالها فى مقابل ذلك ..

ومثال ذلك ما حدث لليمن الجنوبى وما يحدث للحبشة نفسها التى فرض عليها النظام الشيوعى ثم سخرت لخدمته ، ثم استجلبت المرتزقة الكوبيين لكى يؤيدوا هذا النظام الشيوعى .

وهؤلاء الكوبيون يستغل فقرهم ، وتجندهم حكومتهم وترسلهم ليحاربوا الفقراء مثلهم فى افريقية ليفرضوا عليهم الفقر والذل والظلم بقوة السلاح .

فأين هذا كله من العصر الجديد ؟

***

والعالم الرأسمالى نفسه الذى يتصور انه عالم الحرية والديمقراطية

إذا كان ولابد أن تطلع شمس عصر جديد .. فلتطلع عليهم وحدهم ، أما الآخرون فلا مفر لهم من البقاء في عالم الفقر والاستعباد والظلام.

وكرامة الانسان .. هل تتصور انه يصنع شيئا لمعاونة العصر الجديد على الظهور ؟

انه يفعل العكس ...

فهو ما زال استعماريا فى تصرفه وخلقه وان بدا لنا غير استعمارى فى سياسته . كل ما حدث انه استبدل وسيلة الاستعمار وأدواته ، وبدلا من ان يفرض سلطانه بقوة السلاح يفرضه اليوم بقوة العلم والمال ..

فما زال الغرب الاوروبى والامريكى الى اليوم مركز العلم والتكنولوجيا والصناعة . فأما العلم فان الغرب لا ينشره الا بمقدار ، واذا حدث أن تعلم انسان غير غربى وبلغ من العلم مبلغا كبيرا كان هم الغرب اجتذابه اليه وحرمان بلاده منه بما يقدم اليه من المغريات والتيسيرات ، ولا تتصور أن ظاهرة هروب المتخصصين من أهل الشرق الى الغرب مسألة تجرى بصورة طبيعية ، أى أن المتخصص المتميز فى بلاده الشرقية يسعى سعيا حثيثا للهجرة الى الغرب ، فان الذى يحدث أنهم يستدرجونه ويغرونه للعمل فى بلادهم بتقديم تيسيرات يعرفون انها غير موجودة فى بلاده ، وما من رجل منا متميز فى ناحية من نواحى العلم والفن الا وقد عرضت عليه فرص العمل فى الغرب مرة بعد أخرى ، بل يبلغ الأمر أحيانا مبلغ الاغراء بالمناصب والمرتبات ، وبالأمس فقط شهدنا الولايات المتحدة تستدرج راقصا روسيا متميزا فى فرقة البولشوى حتى قرر أن يستقر فيها ، فلما ارادت زوجته أن تعود الى روسيا قرر الامريكيون عمل تحقيق معها للتأكد من أنها تريد العودة الى بلادها فعلا ،وقامت لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ باستجوابها للتأكد من رغبتها فى العودة الى بلادها ! ولو أن هذه السيدة لم تكن راقصة باليه متميزة لطردوها من الولايات المتحدة طردا بمجرد انتهاء مدة اقامتها فى امريكا . وهذه الحادثة رمز على ما يفعلونه فى الغرب لسرقة العلم والفن من البلاد التى هى فى أشد الحاجة اليه ..

وقل مثل ذلك عن التكنولوجيا . انها امتياز غربى ، وهم لا يمكن ان يعلموا غير الغربى اسرار العلم الحقيقية ، واذا حدث ووصل اليها شرقى اجتهدوا فى استدراجه الى بلادهم ومنحه جنسياتهم واغرائه بالبقاء عندهم ، واذا استثنينا اليابان التى سرقت التكنولوجيا والعلم الغربيين من اوائل هذا القرن ، فانك تستطيع ان تتأكد ان الغرب لا يسره أبدا ان يتفوق اى بلد شرقى فى اى ناحية من نواحى التكنولوجيا ، والوسيلة الاولى لذلك هى رفع اسعار الادوات التكنولوجية الى درجة لا تمكن البلاد النامية من الحصول على القدر الكافى منها

وانظر الى اثمان الطائرات والاسلحة المتطورة واجهزة المستشفيات والمعامل والحاسبات الاليكترونية ، ثم انظر الى غلاء أسعار اصلاحها وقطع غيارها • لقد استدان بلد افريقي من البنك الدولي مرة ثلاثين مليونا من الدولارات لانشاء مطار ، وعندما تم انشاء المطار تقدمت الشركات المنشئة بفواتير ومطالبات تبلغ عشرين مليونا من الدولارات زيادة على العرض الاول ، وعجز البلد عن الدفع كما عجز عن سداد اقساط البنك ، فكانت النتيجة أن توقفوا عن تقديم المعاونات الفنية اللازمة لتسيير المطار ، واضطر البلد في النهاية الى تسليم المطار للشركات المنشئة لتديره وتستغله لصالح دولتها ، والى يومنا هذا لا يعرف أهل هذا البلد الافريقي من أعمال المطار الا أعمال البوابين والحراس وعمال النظافة ، وحتى هؤلاء يشرف عليهم رئيس أوروبى !

وأما الصناعة فانظر الى الحرب القاتلة التي يشنونها على أى صناعة محلية تنشأ في بلد غير غربي • انهم لا يتركون الا الصناعات التى تساعدهم هم على الاستزادة من السلطان على غيرهم ••

فهم يساعدوننا على انشاء الفنادق الكبرى لكي يجدوا مكانا ينزلون فيه اذا أتوا الى بلادنا ، اما مساعدتنا في انشاء مصنع للحديد والصلب فلا تتم الا بمقدار ضئيل جدا ، ومهما قالوا فهم لا يسرهم ان يقوم في مصر مثلا مصنع سيارات ناجح ينافس بلادهم بانتاجه ، ولكنهم يسارعون الى انشاء مصانع تجميع لسياراتهم في بلادنا حتى تظل الصناعة قصرا عليهم •

وقد حضرت مرة جلسة مفاوضات بيننا وبين وفد امريكي أتي لمعاونتنا على انشاء صناعات ، فكانت المقترحات التى تقدموا بها هى : انشاء فندق كبير وانشاء مصنع ملابس جاهزة وانشاء مصنع مشروبات غير كحولية وانشاء مصنع أدوات كيميائية تقتصر على المبيدات الحشرية وأدوات التجميل ! وهذه كلها صناعات ليست أساسية ، انها كمالية ، وعندما تقدمنا بمشروع لانشاء مصنع كيماويات اساسية تنفعنا في الصناعة الثقيلة قالوا انهم سيدرسون الموضوع ، وما زالوا يدرسونه الى الآن منذ ثلاث سنوات •

***

هناك اذن سياسات مرسومة لابقاء المستعمرات مستعمرات ، ولابقاء الضعفاء ضعفاء والفقراء فقراء • والبلاد التي نسميها نامية ستظل تسمى نامية الى آخر الزمان ، بل ان السياسات المرسومة هناك ترمي بالفعل الى الهبوط ببلاد العالم الثالث الى العالم الرابع ومنعها بشتى الطرق من التقدم والخروج من قيود الجهل والفقر والحاجة ، لأن أهل الغرب الرأسمالى يعتقدون اعتقادا جازما بأننا أصبحنا أغنياء وأصبحوا هم فقراء ، وأن صناعاتنا اذا نهضت توقفت صناعاتهم •

تلك هى الحقيقة فى نهاية الامر ، وكل ما يعملون ويقولون فى المجامع الدولية ، والكتب والصحف كلام في الهواء •

فنحن محاصرون من يمين وشمال •

يحاصرنا الغرب اليميني بأمواله الضخمة وعلومه المتقدمة وتكنولوجيته المعقدة وصناعته الهائلة الغالية الثمن •

ويحاصرنا أهل الشرق الماركسى بالعمل على نشر مبادئه الهدامة فى بلادنا واثارة القلاقل والفوضى في مجتمعنا ، واذا زعم أحيانا أنه يقدم مساعدات تكنولوجية لبلد من البلاد النامية ، فهو يكبله بالقيود قبل أن يعطيه شيئا ، واذا اعطاه اياه احتفظ بالاجزاء الاساسية فى يده ، ولسنا في حاجة الى الاشارة

الى الطائرات التى اعطوها لمصر ثم قطعوا عنها قطع الغيار لكيلا تصبح للطائرات اى فائدة .

***

لقد انتهى عصر ولكن العصر الجديد لم يبدأ ولا يمكن ان يبدأ ، لان اصحاب القوة فى الغرب والشرق على السواء يريدون أن يكون العصر الجديد جديدا بالنسبة لهم فحسب ، اما نحن فلا مفر لنا فى رأيهم من أن نظل حيث كنا مستعمرين فقراء جهلاء وان كانت أشكال الاستعمار والفقر والجهل قد تغيرت.

هذا هو السبب الاكبر فى قلق العالم وفوضاه اليوم ، واذا كنا نسمع عن أعمال التخريب التى تقوم بها جماعات سياسية سرية فلنعلم ان هذه الجماعات ونشاطاتها مظهر للقلق والضيق الذى يعانيه المظلومون والمضطهدون والمحرومون. حقا ان الجريمة شىء بشع ولكن ما وراء الجريمة بشع كذلك ..

ولقد قال سعد زغلول مرة : انني لأعجب من الذى يقول للباكي .لا تبك قبل أن يقول للضارب لا تضرب .

ان العصر الجديد لن يولد قط ما دامت قوى الغرب تقف هذه المواقف وتضع هذه السياسات ..

وهى تحسب انها بذلك تضمن لنفسها السيادة والمال والقوة الى الأبد .. وهذا خطأ ..

لان هذه الارض تضيق بأهلها يوما بعد يوم . والانفجارات الصغيرة التى تحدث فى البلاد الصغيرة بسبب الفقر والجهل والظلم ستتجمع فى النهاية وتتحول الى انفجار مروع يمزق اشلاء الجميع ، الكبار والصغار معا ، ويقضى على الحضارة والانسانية ..

ترى ، هل هذا هو ما اراد ان يقوله فاليرى جيسكار ديستان عندما قال ان العالم يتغير ، واننا نسير نحو كارثة ، وان علينا ان نغير سياساتنا اذا اردنا ان نتلافى الضياع ؟

ربما ..

ولكن هؤلاء الناس لا يقولون الا نصف الكلام .. لا يقولون الا نصفه الذى يصنع المشكلة ويصمتون عن نصفه الذى يحل المشكلة ..

هذا النصف الآخر علينا نحن ان نقوله ..

د . حسين مؤنس

أفكار للغد

تحقيق واستفتاء

صفحة (٤٢) فى هذا العدد

العاطفة في
الشعر الهاتف بالوحدة

● د . أحمد الحوفي ●

- ١ -

● للشعر الجيد عدة سمات وخصائص ، منها أنه تعبير جيد عن العاطفة التي جاشت بنفس الشاعر ، واى شعر لاينبع من العاطفة شعر زائف لا خلود له .. ربما يخدع بعض الناس حينا بهرجه ومظهره ، لكنه لا يستطيع ان يبهر نفوس الخاصة او يثير مشاعرهم .

ولقد قرض شعراء الامة العربية مئات من القصائد هتافا بالوحدة العربية المنشودة ، فهل نبع هذا الشعر كله من قلوبهم ؟.

نعم ، لأن ينابيع هذا الشعر كانت آلام الامة العربية وآمالها ، وضيقها بالاحتلال وبالتخلف وبالفرقة ، واعتزازها بماضيها العظيم العريق المتألق ، وطموحها الى حياة ارقى من حياتها ، والى مكان أسمى من مكانها ، وتعاطفها في السراء ، وتكاتفها في الضراء ، وحرصها على ديارها ولغتها ، واستمساكها بالروابط الوثيقة التي تجمعها .

والشاعر في امته فرد ممتاز برهافة حسه ، وتجدد آماله ، وهو لسان قومه المعبر ، وترجمانهم الصادق ، يبهجه مايبهجهم ، ويسوؤه مايسوؤهم : فلا يفتأ يبغض اليهم التخلف ، وينفرهم من الهوان ، ويحدوهم الى مايطمحون اليه من سؤدد وعزة ومثل عالية .

على ان الشاعر اذ يعبر عن شعور قومه يعبر أيضا عن مشاعر نفسه ، لأنه جزء منهم ، لا ينفصل عنهم ، آمالهم آماله ، وآلامهم آلامه ، وفخارهم فخاره ، وعارهم عاره .

ونحن جميعا ـ والشعراء منا ـ نبغض الاحتلال ونناضله ، ونرتخص أرواحنا في الذود عن وطننا وعن وحدته .

وكلنا ـ والشعراء بعضنا ـ نعتز بماضينا وبأبطالنا وبتراثنا ونحرص عليه اشد الحرص ، لانه دعامة في كياننا .

ونحن كلنا ـ والشعراء معنا ـ نصطلي أسى على فلسطين ، ونتقم من المعتدين عليها . ونتشوف الى اليوم القريب الذى يسترد فيه أبناؤها كامل حقوقهم .

واننا وشعراءنا لتنبض نفوسنا بهجة بما نحرزه من نصر بين الفينة والفينة ،

فتحرر المغرب من احتلال فرنسا ابهجنا ، واستقلال الجزائر سرنا، وتحرر سورية ولبنان حبرنا ، وانتصارنا في معركة العبور العظيمة ازدهانا ، ومصاهدة السلام افرحتنا ، وهكذا تتجاوب مشاعرنا في كل حدث من احداث العروبة .
فلا عجب ان جاءت العواطف في شعر الوحدة العربية صادقة ، لا نفاق فيها ولا زيف ولا مين ، لان مصدرها شعور عميق ، ولأنه لا مدعاة الى تكلف القول في موضوع من موضوعات الوحدة .

وهذه العواطف الصادقة سامية ، لانها اجتماعية تتصل بالأمة كلها ، وترتبط بخيرها وعلاها ومجدها ، وليست فردية هابطة كالحسد والجشع والغيرة، وهي الى صدقها وسموها قوية ، تبدو قوتها في حرارتها التي تهيج نفوس القراء أو السامعين ، وتشركهم مع الشعراء في الفرح والحزن ، وفي الرضا والسخط ، وفي الاعجاب والازدراء ، وما شاكلها من المشاعر والعواطف القومية .

- ٢ -

فلنضرب امثلة لهذه العواطف وضروبها :

١ - يبدو الحب المتبادل بين العرب ، والاخاء المتودد الحاني ، والمشاركة الوجدانية في البأساء والضراء وفي الخيرات والنعماء في قول امير الشعراء شوقي :

رب جار تلفتت مصر توليـ ... ـه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتني معـــــزيا بمآقي ... وطني او مهنئا بلسانه ...
كان شعري الغناء في فرح الشر ... ق وكان العزاء في احزانه
قد قضى الله ان يؤلفنا الجر ... ح وان نلتقي على اشجانه
كلما ان بالعراق جـــريح ... لمس الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كمــا عليكم حــديد ... تتنزى الليوث في قضبانه
نحن في الفكر بالديار سواء ... كلنا مشفق على اوطـــانه

وفي قول حافظ ابراهيم:

اذا الت بوادي النيـــل نازلة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا في ثرى الاهرام ذو الم ... أجابه في ذرا لبنـان منتحـب

٢ - ويتجلى فخر الشعراء بماضي العرب العريق المجيد ، وبتفوقهم في كل

مجال ، وفخرهم بأبطال العرب وعلمائهم وبتراث العرب وعدلهم وحضارتهم في كثير من قصائدهم .
فقد وقف شوقي على آثار العرب بالأندلس ، فغالبه البكاء اذ استرجع تاريخهم المشرق الوضاء هنالك ، وترقرق الدمع في عينيه ، ولكن اجلاله لاجداده العظماء ثناه عن البكاء ، لانهم لم يخضعوا الا لله ، ولم يبكوا الا في صلواتهم وضراعتهم لله ، ثم عقب على هذا بأنهم سادوا العالم ، معتمدين على دينهم وعلى اخلاقهم التي اشتهروا بعلائها قبل الاسلام وبعد الاسلام :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له — نجيش بالدمع والاجلال يثنينا
لفتية لا تنال الأرض ادمعهم — ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة — للناس كانت لهم اخلاقهم دينا

وهكذا خايل على الجارم ببغداد منارة الحضارة الاسلامية ، وسجل المجد الذي لا يبلى ، فقال :

بغداد يا بلد الرشيد — ومنارة المجد التليد
يا سطر مجد للعروبة خط في لوح الوجود
يا مغرب الأمل القديم ومشرق الامل الجديد
اهلوك اهلونا وابناء العشيرة والجدود

وقص هلال ناجي لقاءه لفتاة لبنانية في المانيا ، فحن اليها لانها عربية مثله، وبعد ان وصفها وأشاد بتصونها ، ختم الوصف بانه يعاف الجنة ان خلت من معالم العروبة :

لست أهوى الخلد ان لم — يحو دنيا عربية

٣ ـ اما الحسرات على ماضي الأجداد المجيد ، والتفجع على شمسهم التي افلت فان الشعراء قد افتنوا في تصويره . فمثلا مر شوقي بالمسجد الكبير الحزين في دمشق ، فساله : هل يؤم المصلين فيك أو يخطبهم خليفة عربي قوى مثل مروان وعبد الملك ؟ لقد غيرت ظروف الدهر احوالك ، وتوالى على منبرك اوزاع من احرار وعبيد ، وتردد في مئذنتك صوت ضعيف بعد ان كان يدوى منها اذان قوى غلاب ، وصار ناسك غير اسلافهم ، وروادك غير اجدادهم :

مررت بالمسجد المحزون اسائله — هل في المصلى او المحراب مروان ؟
تغير المسجد المحزون واختلفت — على المنابر احرار وعبدان
فلا الأذان اذان في منارته — اذا تعالى ولا الأذان آذان

ونجد مثل هذه الحسرة في وقفة عزيز اباظة امام اطلال الزهراء خاشعا اجلالا لشمس غربت ، مالئ القلب بافكار عواصف ، لأن امواج الذكريات تتوالد عليه زاخرة فلا يطيقها ، وتحس الحنين الى الماضي في سؤاله الحزين للطلل

الحزين عن خلافة العرب وعن الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر :

وقفت في طلل الزهـــراء مختشعا ... والنفس تهب لغات من عواصـــفها
طوفت بالطلل الاســـوان اســـاله ... اين الخلافة في حضــني خلائفها ؟
اين ابن بجدتهـــا (١) شمت حضارته ... سنا على ســـالف الدنيـــا وآنفهـــا
ياويحهـــا ذكـــريات هجن بى حرقا ... تنساب في راسب الذكرى وطائفها

٤ ـ كما تبرز في شعرهم عاطفة الاعجاب بنضال العـــرب المستبســـل ، وجهادهم لطرد الغاصب والمستعمر ، وتقديرهم للابطال المغاوير الذين يشبهون الاسود في أشد حالاتها غضبا وصولة ، كقول شوقي في تصوير بطولة يوسف العظمة وبلائه المجيد في موقعة ميسلون بانه مشى في جنوده القلة ، ومشت اليه فيالق من فرنسا مختالة بكثرتها وقوة سلاحها وانتصارها في الحرب العالمية الاولى ، فملأت الارض بأسلحتها الثقال ، وحشدت طياراتها في الجو ، وأشعلت الفضاء من حول يوسف العظمة نارا ، فلم يأبه ولم يكترث ، ومازال يحـــارب حتى مالت الشمس للمغيب ، لغربت روحه وهو في هالة من ابائه وحريتـــه وبطولته :

مشى ومشت فيـــالق من فرنسا ... تجر مطارف الظفـــر اختيـــالا
ملأن الجـــو اسلحة خفـــافا ... ووجه الارض اســـلحة ثقـــالا
وارسلن الرياح عليـــه نـــارا ... فما حفل الجنـــوب ولا الشمالا
اقام نهـــــاره يلقى ويلقى ... فلما زال قرص الشـــمس زالا
وطاح ترى به قيـــد المنـــايا ... ولست ترى الشكيم ولا الشكالا (٢)

وكثيرا ماتوافق شعراء العروبة على بكاء الشهداء ورثاء الابطال ، كما نجد في رثاء جميل صـــدقي الزهاوي لاحرار العرب الذين نكل بهم الوالي التركي ســـنة ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، وجاءت مرثيته نائحة في مئة وستين بيتا ، وكذلك تفجع عليهم محمد ناجي القشطيني ورشيد الهاشمي وأبو الفضل الوليد ورشـــيد سليم الخوري .

ولما مات سعد زغلول رثاه مئات من شعراء الامة العربية .

٥ ـ كما يتجلى سخطهم على الاحتلال في كثير من قصائدهم .

٦ ـ كذلك تشتعل قـــصائد الشعراء اسى على فلسطين ، وتفجعـــا على الشهداء ، وحزنا على البقاع المغتصبة ، كقول احمد محرم ان جرحها دام في فؤاده وفي كبده ، وان شهداءها أعزة عليه ، لانهم ابناؤه واخوته وأبناء عمه :

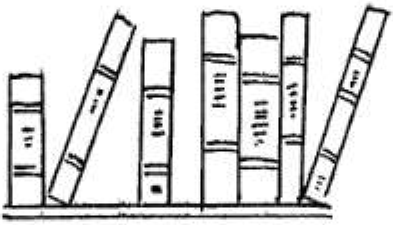
في فؤادي جرحك الدامي وفي ... كبدى مافيـــه من حـــزن وهم
كم صريع لك في اشـــــلائه ... مصرع القـــربى واشـــلاء الرحم
فجعـــونى فيـــه بابن صـــالح ... واخ حر السجايا وابن عـــم

● هذه ضروب من العواطف في الشعر الحديث الهاتف بوحدة الامـــة العربية ، منذ مشرق هـــذا القرن وأنه لفيض زخار جدير بالدراســـة وبالاشادة والتقدير .

---

(١) ابن بجدتها : العالم بها الخبير
(٢) الشكيم والشكال : اللجام والقيد

الثقافة والمثقفون



● د. عبد الفتاح الديدى ●

● لا يوجد معدل ثابت لنمو الثقافة وازدهارها كما لا توجد أحوال سياسية مواتية أو غير مواتية لانتعاش الثقافة. وقد يؤدى تقدم التعليم الى ازدهار الثقافة على نحو ماجرى فى مصر فى القرن التاسع عشر عندما ارتفع مستوى التعليم بالازهر وظهرت حركة قوية للنهوض بالتراث واعادة طبع المؤلفات القديمة والحرص على التعريف بالعصور الادبية القديمة عند العرب. وعرفت المطبعة عددا من الشروح والتفسيرات والتعليقات على المخطوط من الكتب القديمة ..

وبلغت دراسة الفلسفة والمنطق اوجها فى اروقة الأزهر فى أواخر القرن الماضى واشتهر العديد من المفسرين وشراح الادب العربى قبل الاسلام وبعده .. وحظى الأزهر باسماء لامعة تعيش حوله فى حى الحسين حتى اصبح كعبة القاصدين من شتى الاقطار العربية والاسيوية والافريقية ومن جميع أرجاء مصر . وظهرت اولى المطابع العربية فى حى سيدنا الحسين واستطاعت ان تمد رجال التعليم الازهرى بالمطبوعات الهامة كحركة من حركات النهضة العربية التى تعتمد اعتمادا كليا على التراث العربى فى العصور الوسطى ..

وفى القرن الماضى عرفت مصر عددا من العلماء والأدباء من امثال الشيخ حسين المرصفى ، ورفاعة رافع الطهطاوى ، وعبدالعزيز جاويش ، وعثمان المهدى ، والسيد توفيق البكرى ، والامام محمد عبده ، والشيخ حمزة فتح الله .

الى جانب هؤلاء عرفت الثقافة العربية طريقها الى الوجود على ألسنة الكتاب والشعراء والفنانين والصحفيين وحضر الى مصر عدد كبير من الادباء اللبنانيين ليعيشوا فى ربوع مصر من امثال اليازجى والبستانى ومحمد كرد على ويعقوب صروف وفرح انطون وشبلى شميل وجرجى زيدان مؤسس مجلة الهلال سنة ١٨٩٢ .

واشتهر من الادباء مصطفى لطفى المنفلوطى ، ومحمد المويلحى ، وابراهيم المويلحى ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ رشيد رضا ، وابراهيم الهلباوى .

وعرف ميدان الشعر : الساعاتى وامام العبد ، ومحمود سامى البارودى وعلى الليثى ، ومحمد عثمان جلال ، وعبد الله فكرى ، والسيدة عائشة التيمورية ، ومحمد عبد المطلب ، وحفنى ناصف ، وعبد الله النديم .

وازدهرت الفنون التشكيلية على يد عدد من المصورين الفرنسيين الذين اقاموا فى حى الخرنفش وحى السيدة زينب . وظهر المسرح والغناء والطرب الموسيقى ، ونشأ حى الازبكية ليضم دور الفن المختلفة والمسارح المتواضعة واشتهر فى القرن الماضى مقهى نوبار الذى كان يضم لفيفا من الوجهاء والفنانين مثل عبده الحمولى وتردد

● الثقافة هى استثمار قدرات الإنسان لإعطاء أجمل تعبير ممكن ، وواضح أن هذا لا يكون فى باب التعليم أو المعرفة وانما فى باب الفن والأدب والموسيقى بكل تفريعاتها

عليه الشاعر خليل مطران وسليم سركيس .

وفى شارع محمد على ظهرت فى القرن الماضى موسيقى حسب الله الذى كان يعمل فى موسيقى الحرس الخديوى والف اول جوقة للموسيقى من هذا النوع فى القاهرة . وفى أخريات القرن التاسع عشر كان يوجد بشارع عماد الدين بالقرب من شارع رمسيس « عباس حينذاك » مسرح « الفولى برجير » على نمط المسرح البارسى المشهور ، ولكن بصورة مشوهة ويقدم الفرنسيون والفرنسيات عروضه .

فالثقافة باشكالها البدائية ظهرت الى جانب التعليم فى القرن الماضى . وكان المفروض أن تتطور الثقافة تطورا ايقاعيا مع سرعة التقدم التعليمى والسياسى ، ولكن الثقافة لا تتطور بمعدل ثابت لأن كثيرا من عصور الانحطاط السياسى عرفت ازدهارا ثقافيا منقطع النظير ، ويمكن البرهنة على ذلك من دراسة تاريخ الادب العربى فى العصور الوسطى الاسلامية والعصر الحديث .

والآن وقد انتعشت الاوضاع السياسية والمؤسسات الاجتماعية اصبحت الثقافة تعانى ما يشبه « الزغطة » اى الفواق بحكم تكوص الفن والادب امام مظاهر الحياة السياسية المصرية التى تنشد الانفتاح على عالم الغرب . وقد انقفل عالم الغرب امامنا منذ الخمسينات بانتهاء حركات الترجمة واللغات . فاختل المثقف المصرى الذى فقد توازنه لعدم معرفته والمامه بالنماذج التى قد يقلدها ويطرق ابوابها . وتوارت الثقافة خلف المشكلات السياسية .

ولكن ماهى الثقافة

والسؤال الذى نلقيه الان على انفسنا هو ماهى الثقافة ؟

ونجيب عن ذلك بسرعة واختصار: الثقافة هى استثمار قدرات الانسان لاعطاء اجمل تعبير ممكن . وواضح ان هذا لا يكون فى باب التعليم او المعرفة وانما فى باب الفن والادب والموسيقى بكل تفريعاتها . ففى التعليم ، المطلوب هو ايجاد الانماط المتكررة من المتعلمين الذين يلمون بمعارف ونظريات موحدة ثابتة . اما الثقافة فهى مطالبة بتحقيق التفرد والامتياز . التعليم قاسم مشترك بين الكثيرين فى حين أن الثقافة خبرة ذاتية فريدة .

وذلك لسبب بسيط وهو ان الثقافة تقوم أصلا فى مجال الابداع ، والابداع مع الاسف لا يمكن تلقينه و توريثه أو استيراده ولا تصديره .

العلم والمعرفة هما مجالا الاكتشاف والاختراع عن طريق تركيبات مؤلفة من عناصر موجودة . والدور الرئيسى هنا للتصور . اما الثقافة فهى مجال الابداع والدور الرئيسى فيها للخيال .

وانقطاع الثقافة الغربية عنا افقدنا الاطلاع على تجارب الغير وعلى خبراتهم التى نمسك بخيوطها من اجل اكتشاف ذواتنا على ضوئها . فاذا استطاعت الفنون والثقافات المحلية أن تبرع الى درجة كبيرة ظهرت ملامح ابداع ضعيفة لعدم امكان التخيل ولتحديد المجال الفعلى للرؤية ولصعوبة الحصول على الخبرات العالية ممثلة فى ينابيع القدرات المدربة على سلم الممارسة الذى لا نهاية لدرجاته .

والنموذج المحتذى يمثل ضرورة قصوى فى زرع مقومات الابداع لأنه

محاكاة مستمرة للخبرات الجديدة والغربية . وتؤدى المحاكاة الى تكرار الاحتكاك بالخبرات مما يبعث على زيادة الاستيعاب ويفتح آفاقا جديدة أمام الاحتذاء . وتتبع الدول المتقدمة أسلوبا ثقافيا معينا فى العادة من اجل افساح المجال امام بواكير الابداع الفردى وهو تكرار اداء الاعمال الكلاسيكية والالحاح فى تقديم القطع الاساسية فى الموسيقى والمسرح والغناء والسينما والشعر والرواية الادبية من اجل غرس المفهوم الابتكارى لدى المشتغلين بالثقافة واخضاعهم مدة طويلة للمعايير الفنية التقديرية .

والمثقفون هم حصيلة هذه الخبرات الابداعية وهم الارقام القياسية التى تثبت وجودها عن طريق العطاء الفريد فى كل مجالات الفن والثقافة والادب.

وكل خبرة فريدة تتمثل كعطاء مميز من حيث المعايير الجمالية هى رقم قياسي يشارك فيه الناس جميعا **لانه امكانية** كل قدرة انسانية ولانه **يمثل كل ما** يملكه الناس العاديون من **امكانيات** . السيدة الجميلة التى **تبهرك على** غلاف الصحيفة او المجلة **هى امكانية** كل فتاة لان هذه الاخيرة **كان يمكن ان** تكون على ذلك النحو **الرائع الجمال** . واللوحة الفنية **الرائعة التى** يصورها الفنان التشكيلى **هى ماكان** يمكن ان اعمله لو لم يتفوق **على بالخبرة والابداع . وهكذا الحال ابتداء من الطبال حتى المثال والموسيقار والممثل والكاتب او الشاعر .**

واعتاد جاك بيرك المستشرق الفرنسى المعاصر ان يقول فى كتبه عن مصر انها تتعرض لما يشبه نكسة دورية كل عشر سنوات . وتكاد هذه النكسة تصبح قانونا فى سير الحركة الفكرية والثقافية والاجتماعية فى مصر . ولكن يمكن ان تخضع الثقافة فى ايقاع نموها وتطورها لقانون آخر وهو قانون التوقف امام لحظات التوسع والانفتاح السياسيين لاسترداد الانفاس . وهذا هو مايجرى فى الآونة الحاضرة لان ادوات المثقفين لم تعد كلها على المستوى الذى يليق بخدمة الثقافة فى هذه الفترة الحاضرة

التوقف الثقافى

فى كل لحظة تاريخية ذات امتداد ثقافى الى ابعد من الحدود الطبيعية والمكفولة للانتاج الفنى ، تحدث عثرات واضحة فى خط سير المثقفين . وذلك لسبب واضح وهو أن المثقف يستغنى من عمله ويقع فى دائرة اليأس المؤقت أو الفشل النهائى اذا قاس انتاجه بالمستويات التى تسبق بمراحل قدراته الابداعية .

وهذا هو ما حذرت منه مجلة « الهلال » فى اعداد متوالية خلال العام الماضى وخلال هذا العام عندما اشارت الى نهاية الرواية وازمة الفكر وما الى ذلك .

وعندما فقدت الرواية النموذج المحتذى خبت التجربة المحلية وتشتت صنوف الانتاج وتوزعت خيوط التعبير وذلك لسببين اولهما ان النقاد شغلوا أنفسهم حتى اليوم بقضية التعبير ولم يضعوا مؤشراتهم على حقيقة الابداع . وثانيهما لأن النقد الادبى اصطنع قضايا ايدولوجية وربط الادب بالثورة كما هو الحال عند الدكتور لويس عوض حتى فشى مجال التأليف الروائى هبار ذرى يقطل المواهب ويدفن الملكات ويحذر الانسان من انه اضعف من أن يبدع واهون من ان يصير خالقا فى مجال الثقافة ..

وتحولت الروايات الى «نمط» نموذجى مكرر على هيئة روايات اديب والحب الضائع ، او ليلى بنت الذوات وليلى بنت الفقراء ، أو السيد ومراته فى باريس ، والمساكين .

ولا ينبغى ان يفوتنا ان الثقافة نظام شامل يفرض نفسه على كل حياة اجتماعية شأنها شأن اللغة والدين والعدالة. ولذلك تمثل الثقافة نسقا متكاملا ولا يمكن استساغة احد اطرافها الا بتذوق جملة اقرعها المتعادلة

والمتكافئة . فانت مثلا لا تستطيع ان تلبس البنطلون تحت الجلابية ، او تشهد الرقص البلدى فى مونمارتر ، او فى أحياء مدريد . وكيف يمكن فى ادبنا تقديم مسرح اندريه روسان او مارسيل ايميه او جان أنوى وسط الاعمال التى تقدمها مسارحنا .

فالثقافة نسق والنسق يتطلب التعادل والمواءمة بين العناصر والمكونات الجزئية بما لا يخلق التنافر . واذا عرضنا العمل الرفيع وسط اعمال رديئة حدث التوقف الثقافى اما لانبهار المثقف المحلى او لاستغنائه عن وظيفته فى تزويد المجتمع ببدائل ما كان يظنه ابداعا . والشك الذى يراود فنانينا ومثقفينا فى قيمة اعمالهم ما هو الا علامة على الطريق .

ويتعجب بعض المترجمين من ان الروايات الاجنبية الرائعة التى يقدمونها الى جمهورنا قد لا تحوز الاعجاب . ولا ينبغى ان يقودهم ذلك الى اليأس لان الظاهرة التى تحدثنا عنها هنا تشعرنا بضرورة الاصرار على تقديم الاعمال الجديدة بالالتفات . ولا يفوتهم طبعا ان الاكلة المفيدة ذات الطعم الغريب قد لا تنجح الى مدى معين امام الاكلات المعتادة ..

وعندما يتكلم النقاد من منظور ارفع من المنظور المحلى يتعرضون فى الغالب للتجاهل . واسوأ من ذلك الا يكون هؤلاء النقاد على معرفة دقيقة بالاتجاهات الغربية فيقدمونها الى الجمهور المصرى تقديما خاطئا ينشأ عنه تشكك عام فى قيمة العطاء الغربى وقد حدث ذلك فعلا عند بعض من يتكلمون عما يسمونه بالرومانسية او البنائية .

ولا نملك الا ان ننتظر وان نأمل كثيرا فى فترة الركود الحالية بوصفها مرحلة تأهب لوثبة جديدة ندعو الله الا يطول انتظارنا لها .

من امكانيات الثقافة ؟

وتستطيع الثقافة بمظاهرها المختلفة فى الرقص والموسيقى والغناء والفنون الشعبية والسينما والمسرح والادب والشعر والرواية والفنون التشكيلية أن تقوم بادوار ذات فاعلية من جملة نواح . فالثقافة لغة الشعوب .

والجماليات ظاهرة وجدت بوجود الانسان على الارض . فهى مقترنة بمعاشه بدائيا كان او متمدينا ، ولا تستطيع البشرية أن تبقى بمعزل عن الجماليات افرادا او جماعات . ومعظم المناطق التى عاش فيها انسان ما قبل التاريخ منذ اكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد بجنوب غرب فرنسا وشمال غرب اسبانيا وبمرتفعات تونس وغرب البحر الاحمر بجنوب مصر وبمناطق اخرى مختلفة — خلف الانسان البدائى تصويرا يفوق بمراحل بعض ما خلفته شعوب اخرى بعد ذلك فى فترات العصر الميزوليتى او النيوليتى . واستوت رغبات الانسان الجمالية ومحققاته الفنية فى العصر الاول للانسان على الارض وهو العصر الباليوليتى منذ خمسة ۷۳ الف سنة مع مراحل فنية ذات آثار جمالية مرموقة . وهذا يدل على مدى ارتباط الانسان فى عزلته وفى حياة الجماعة بجماليات الفن وبالتالى بملامح الثقافة الظاهرة والعميقة .

فاذا صح أن الثقافة لغة الشعوب وانها مجال حر للتفاهم والترابط والتنافس ، عرفنا الى اى حد تستطيع الثقافة أن تعبر بنا الى الاخرين من ابناء الانسان فى اى ارض وتحت اى سماء . ويحقق الابداع الذى يتميز به الافراد فى مجال الثقافة ارقاما قياسية تمثل آمال البشرية جمعاء واحلامها . ومن هنا كانت الثقافة نظاما شاملا مفروضا على حياة الافراد والجماعات ، شأنها شأن الدين واللغة والعدالة . وكانت ايضا محاولة متجددة ومستمرة لاستغلال قدرات الانسان وامكانياته من اجل اعطاء اجمل تعبير ممكن .

تصحيح التاريخ

● د. احمد شلبى ●

● كثير من العلوم تتعرض للاخطاء والتحريف ، ويعمل المفكرون على تصحيحها من حين الى آخر ، ففى الطب كثيرا مايظهر دواء ثم يثبت بعد حين ان هذا الدواء وان عالج داء فهو يسبب مرضا جديدا .. وقل مثل ذلك حول الاخطاء التى يتعرف عليها العلماء فى مجال العمران والزراعة والفلك وغيرها.

ولكن التاريخ كان من اهم العلوم التى تعرضت للتحريف ، ويكون التحريف مؤامرة احيانا ، اى يكون تصرفا من حاكم ليثبت لنفسه ماليس له من امجاد ، وقد يكون التحريف عن غفلة من المؤرخ او عدم دراية او سبب آخر من الاسباب .

وفى مقالى السابق من تصحيح التاريخ تناولت بالدراسة موضوع الاسراء والمعراج ، والاسراء والمعراج فى رأيى حدثا بالروح والجسد جميعا ، وقد قدمت لذلك عدة أدلة ، ولكن التحريف وصل الى الاسراء والمعراج عن طريق تصويره فى صورة عجيبة اعتمدت على أحاديث موضوعة تضعف بهجة هذا التكريم العظيم الذى كرم الله به سيدنا رسول الله .

واتابع اليوم بعض القضايا التاريخية التى تحتاج الى تصحيح :

وضع التاريخ الهجرى

أصبح العام الذى هاجر فيه الرسول بدءا للتاريخ الاسلامى أو التاريخ الهجرى ، وقد كان العرب كغيرهم يؤرخون بكبار الاحداث ، ولاشك أن الهجرة كانت من اكبر الاحداث ، فأرخ بها المسلمون منذ وقوعها كما ارخوا بعام الفيل وغيره من الاحداث العظام ،

● مسجد الرسول كان نوراً وهدى ، ومكاناً للقضاء والتعاليم بجانب العبادة ، وكان به جانب للنساء فالدين الإسلامي ليس للرجال فقط ، وهذه الملاحظة مهمة لينبغي أن نهتم بها بتخصيص جزء من المسجد أو دور من أدواره للمرأة ...

ويروى الطبرى «١» أن الرسول لما قدم المدينة أمر بالتاريخ بالهجرة ، وذكر القلقشندى «٢» أن ابتداء التاريخ بالهجرة حدث منذ العام الاول للهجرة ، ويؤكد السيوطى أن الرسول لما كتب لنصارى نجران امر عليا — وكان يكتب له — أن يذكر انه كتب لخمس من الهجرة ، وعلى هذا فان الذى ارخ بالهجرة وامر بالتاريخ بها هو الرسول صلوات الله عليه ، ولكن شاعت نسبة التاريخ بالهجرة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك خطأ تاريخى ينبغى تصحيحه .

ومع هذا فهناك أسباب دعت الى هذا التحريف ، فالعرب كما ذكرنا كانوا يؤرخون بالاحداث الكبرى ، وقد ارخوا بالهجرة تبعا لذلك مستجيبين لاوامر الرسول ، ثم جاء عهد عمر ، وكان له دور فى التاريخ بالهجرة هو انه ثبت الهجرة لتكون مبدأ للتاريخ عند المسلمين بحيث لا يترك التاريخ بها الى اى حادث آخر يجىء بعدها ، ولعل عمر شاهد محاولة للتاريخ بسقوط دولة الفرس فى يد المسلمين أو دخول المسلمين دمشق ، فاعلن الا شىء يعدل الهجرة لانها باب الفتح والنصر ، ولتبقها مبدأ التاريخ الاسلامى .

ومما ينسب الى عمر كذلك مرتبطا بالتاريخ الهجرى انه جعل بدء السنة الهجرية شهر المحرم فى حين أن هجرة الرسول تمت فى شهر ربيع الاول ، فقضى عمر بذلك على خلاف ظهر بين الناس ، اذ عد بعضهم شهرى المحرم وصفر « من السنة التى تلت الهجرة » عاما ثانيا ، وعدهما بعضهم عاما اول ، لان الهجرة لم يمر عليها عام ، واستمر هذا الخلاف على مر السنين ، فقضى عمر على هذا الخلاف بان اعلن اعتبار السنة التى هاجر فيها الرسول كلها سنة اولى ، وأن مطلع المحرم من العام الثانى يعتبر مطلع عام ثان على اعتبار ان الهجرة كانها حدثت فى مطلع العام وهو اتجاه ساد بعد ذلك واصبحنا نحتفل بالهجرة من مطلع المحرم ، ولعل ذلك أيضا مما جعل التاريخ بالهجرة ينسب الى عمر .

المجتمع الاسلامى

يخطىء بعض الناس وبخاصة من الشبان المتحمسين للاتجاهات الاسلامية فيظنون أن المجتمع الاسلامى هو المجتمع

«١» تاريخ الامم والملوك جـ ٢ ص ١١٠
«٢» صبح الاعشى جـ ٦ ص ٢٤٠

الذى يكون الاسلام فيه دينا لكل اعضائه ، ويكون اعضاؤه سائرين على النهج الاسلامي الرشيد ، وهذه الصورة مثالية نرجو أن تتحقق فى المجتمعات الاسلامية الحالية ، او التى تظهر فى المستقبل ، ولكن اذا لاحظنا المجتمع الاسلامى الذى كونه الرسول صلوات الله عليه ، ووضع اسسه لأول مرة بالمدينة المنورة نجد أنه كان مجتمعا يكون المسلمون فيه اغلبية وليس شمولا ، وكان بعض هؤلاء المسلمين ليسوا كاملى الايمان ، بل فيهم صور من النفاق ..

فمن النقطة الأولى نذكر ان مجتمع المدينة كان به مسلمون ويهود وعرب لايزالون على الوثنية. وعن النقطة الثانية نذكر ان المنافقين كانوا يمثلون مجموعة تتظاهر بالاسلام وتحسب على المسلمين ولكن الله وحده يعرف كيدهم كما ذكرت الآية الكريمة : « **اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله، والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** »

ومع هذا وضع الرسول اسس المجتمع الاسلامى بين هذه الطوائف . واسس المجتمع الاسلامى هى :

بناء المسجد ـ المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ـ معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين ـ وضع الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الجديد .

وبمناسبة الحديث عن المسجد كاساس مهم من اسس بناء المجتمع الاسلامى نرجو ان يتذكر المسلمون صورة المسجد الذى انشاه الرسول ليحذوا حذوه ، فمسجد الرسول كان نورا وهدى ، ومكانا للقضاء والتعليم بجانب العبادة ، وكان به جانب للنساء فالدين الاسلامى ليس للرجال فقط ، وهذه الملاحظة مهمة ينبغى ان نهتم بها بتحديد جزء من المسجد او دور من ادواره للمرأة .

ولم يكن المسجد ابدا مصدرا للايذاء والقلق .. فالميكروفونات التى تجلجل بسبب او بدون سبب لا يعرفها الاسلام والمئذنة على مر التاريخ كانت للاذان فقط ، فاذا ارتفع صوت الميكروفون بالاذان فلا مانع اما ان يرتفع بغير ذلك مما يؤذى الناس ويقلق حياتهم فليس من الاسلام فى شىء .

وهناك ناحية اخرى نوجه اليها شبابنا المتحمس للدين وهى ماخوذة من قوله تعالى « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » وذلك هو النهج الذى كان يتبعه الرسول فى الدعوة ، وهو النهج الذى يفيد الاسلام اما ان يعزل هؤلاء الشباب انفسهم فى مجتمعهم المحدود فذلك قصور وتقصير لا يقره الاسلام .

أولى القبلتين

من الشائع ان بيت المقدس هو أولى القبلتين وثالث الحرمين وتساءل كيف يكون بيت المقدس أولى القبلتين مع ان المسلمين كانوا يصلون منذ فرضت الصلاة ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجرة بحوالى عام الى ان تم هذا التحول لبيت المقدس بعد الهجرة ؟.

الاجابة أن بيت المقدس كان أولى القبلتين فى اختيار الله ، أما الاتجاه للكعبة قبل الهجرة فكان من اجتهاد الرسول ، أو كان استمرارا لتعظيم الكعبة .. وكان تعظيمها شاملا لدى المسلمين وغير المسلمين .

واستمرارا لشرح هذا الموضوع نذكر ان فلسفة الاسلام تقضى بخلق روابط بين المسلمين ، فى اكثر امور الدنيا ، فهم جميعا يصومون شهر رمضان ، ويصلون صلاة موحدة ، ويحجون الى بيت الله العتيق ، وهكذا. ومن هذه الاشياء ان يتجه المسلمون جميعا الى مكان واحد وقت الصلاة ، ليحصل التجانس بين صفوف المصلين ولتطرد الوحدة التى عنى بها الاسلام ، أما المكان الذى اتجه له المسلمون فى صلاتهم قبل الهجرة ، فهو الكعبة لانها بيت الله العتيق ، وبناء ابراهيم ، وموضع فخار العرب .

غير ان بعض المسلمين ظنوا في اتجاههم للكعبة ان المكان نفسه معظم ، فاراد الله ان يعلمهم ان اتجاههم انما هو في الحقيقة لوجهه تعالى ، وان فضل الكعبة انما هو لان هذا المكان شهد دين أبراهيم وشهد عبادة الله منذ آلاف السنين ، ولكن اذا تعلق بعض العرب بالكعبة تعلقا ذاتيا ، واذا غفل بعضهم عن أن الاتجاه انما هو لله ، فقد اتجهت حكمة الله ان يختار مكانا آخر ليختبر عمق ايمان المسلمين وطاعتهم ، وليثبت في نفوسهم هذه الحقيقة الهامة التي ذكرناها من قبل وهي ان الاتجاه يجب ان يفهم على انه لله تعالى . وفي هذا المعنى وردت الآية الكريمة : « ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله » وقال المفسرون في تفسير هذه الآية ، انه لا يختص مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه .

وكانت هذه الآية ـ كما قال المفسرون ـ توطئة لتوجيه المسلمين في صلاتهم الى غير الكعبة كما كانت تعليما للمسلمين بأن الاتجاه لله لا للمكان ؛ وان اختيار المكان انما هو مطابق لفلسفة الاسلام التي سبق ذكرها والتي تقضي بخلق روابط بين المسلمين، فلو لم يحدد مكان واتجه كل مسلم حيث يريد لضاعت الرابطة التي يحرص الاسلام عليها .

ولهذه العوامل اختار الله للمسلمين قبلة جديدة عقب الهجرة وهي الاتجاه لبيت المقدس ، واستجاب المسلمون لارادة الله وادركوا حكمته تعالى ، ولكن ظهرت عوامل اخرى ، فقد كان بيت المقدس قبلة اليهود ، فاذا بهؤلاء يأخذون من اتجاه المسلمين الى قبلتهم وسيلة للسخرية ، وانطلقوا يقولون : محمد لا يتبع ديننا ويتبع قبلتنا . وشق على المسلمين ان يتجهوا الى قبلة اليهود ، ولكنهم في الحقيقة استجابوا بكل قوة وايمان متحملين سخرية اليهود ارضاء لوجهه تعالى ، وبقيت الحال على ذلك سبعة عشر شهرا ثبت خلالها في نفوس المسلمين أن الاتجاه في الصلاة انما هو في الحقيقة لله وان المكان يمكن تغييره .

وقد توقع الرسول ووقع في روعه أن الله سيحوله الى الكعبة مرة اخرى، وكان الرسول يتطلع الى الله في صمت ودون دعاء، آملا أن يحقق الله له ذلك ارضاء للمسلمين وردا على سخرية اليهود ، وقد عبر الله تعالى عن ذلك بقوله : « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ».

وكان ذلك اذنا للمسلمين بالعودة الى قبلتهم الاولى ، ويروى أن هذه الآية نزل بها الوحي والرسول يؤم الناس في صلاة الظهر في مسجد بني سلمة ، وقد جاء نزولها بعد أن صلى الرسول ركعتين من الظهر متجها الى بيت المقدس ، فتحول الى الكعبة حيث صلى الركعتين الأخيرتين، وتحول الناس خلفه ، ولذلك يسمى هذا المسجد « مسجد القبلتين » .

ولم يكن هذا نهاية الموضوع ، فان اليهود بعد أن ترك الرسول قبلتهم ، راحوا يقولون : لو ثبت محمد على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره . وكانوا يقصدون بذلك أن يعود محمد الى قبلتهم لا ليتبعوه، ولكن ليحدثوا اضطرابا في الفكر ، وبلبلة في النفس ، ولذلك قطع الله املهم ، وكشف سريرتهم بقوله :

« ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض »

وكان تحول القبلة الى بيت المقدس بعد الهجرة بقليل ، وصرفت القبلة ، عن الشام الى الكعبة من شهر رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة . ●

سيمون فيل

إمرأة على رأس أوروبا

فى أغسطس الماضى انتخبت الوزيرة الفرنسية سيمون فيل رئيسة للبرلمان الاوروبى ، فخطت المراة الاوروبية بذلك خطوة جديدة نحو اثبات مكانتها وجدارتها ، وفى هذا المقال نتحدث عن تلك المراة الموهوبة وحركة التحرر النسوى الاوروبى بصورة عامة ..

● **يبدو اننا دخلنا بالفعل فى عصر المراة . فى الشرق والغرب على السواء، تتقـــدم المراة بخطى واسعة لتولى القيادة فى شتى ميادين النشاط فى العــالم كله ، ففى انجلترا تتولى قيادة البــلاد امراتان : الاولى هى الملكة اليزابيث ، والثانية هى المســز ثاتشر رئيسة الوزراء ... وفى فرنسا يرشح الرئيس ديستان لخلافته امراة من سيدات الطليعة فى اوروبا هى السيدة سيمون فيل - موضوع مقالنا هذا - لرئاسة الجمهورية الفرنسية من بعده .**

وفى أمريكا يقولون ان حرم الرئيس كارتر هى مستشاره الاول فى كل المسائل داخلية وخارجية ... وفى الهند سيدة تقود شبه القارة الهندية وتوجهها كمـــا تريد سواء اكانت فى الحكم أم خارجه .

ولا تخلو الهيئة الوزارية فى أى بلد من بلاد الدنيا من وزيرة أو أكثر ، فاذا نزلنا الى المستوى الثانى من القيادات ، أى ما تحت رياسات الدول ورياســات الوزارات والوزارات وجــدنا الوفا من السيدات على رأس الادارات الكبرى سواء فى وظائف الدولة أو الشركات . وعندنا فى مصر وزيرة هى الغاية فى الكفاية . وعلى رأس دارنا هذه - دار الهــلال - سيدة من أقدر النساء العربيات وأكثرهن عملا وكفاحا فى ســبيل قضية المرأة . وفى أكثر من وزارة نجد ســيدات فى



سيمون فيل فى مكتب عملها خارج الوزارة فى باريس ، انه مكتب زوجها المحامى انطوان فيل .. انهما يعملان معا فى مكتب واحد

مناصب وكيل الوزارة، والمكاتب الادارية عندنا سواء فى القطاع العام أم الخاص حافلة بالسيدات العاملات اللاتى يضطلعن بجدارة بالمسئوليات على كل المستويات ، وفى الجامعات تحتل المرأة مناصب الاستاذية ورياسات الاقسام . وهناك عميدتان على الاقل .

واذا نظرنا الى الامر فى جملته تبينا اننا بالفعل فى عصر زحف المرأة لتتولى نصيبها الكامل من المسئوليات فى كل ميدان ...

بعد عصور طويلة من الحرمان والخضوع للرجل والاهمال أتيحت للمرأة أخيرا الفرصة لتظهر قدراتها وتحتل مكانها فى المجتمع ، وتتولى نصيبها من المسئولية عن مصير الاوطان والانسانية ، وتتلاشى فى نفس الوقت الفكرة التى سادت الى حين قريب ، وهى أن المرأة خلقت لخدمة البيت وتربية الاولاد والعناية بالزوج ، فقد ثبت بالفعل ان المرأة تستطيع ان تقوم بواجبها حيال بيتها وزوجها وتقوم فى نفس الوقت بواجبها فى المجتمع . وها نحن نجد كل يوم دليلا يؤكد صحة هذا الرأى، فمعظم السيدات الظاهرات فى المجتمع القائمات بأدوار رئيسية فى السياسة والعلوم والصحافة ربات بيوت ناجحات ، عرفن كيف يسعدن أزواجهن ويربين أولادهن تربية صالحة بالضبط كما يفعل الكثيرون من الرجال الذين يتحملون

المسئوليات الضخام ، فهم فى نفس الوقت آباء صالحون وأرباب أسرات موفقة ...

ومن الفكاهات الشائعة فى بريطانيا عن المسز مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء انها امرأة عملية جدا ، ولهذا فقد انجبت ولديها توأمين لكى تفرغ من مسألة الولادة والتربية مرة واحدة توفيرا للوقت ...

وها هى المسز تاتشر تتحمل بجدارة مسئولية من اكبر المسئوليات السياسية فى الدنيا وتسير بدفة السياسة البريطانية سيرا لا يقل عما فعل غيرها من كبار اهل السياسة والقيادة ، وفى نفس الوقت استطاعت ان تربى ولديها وتجعل منهما طبيبين ناجحين ، وكذلك زوجها يجد السعادة فى العيش معها ، ولم يؤثر عنه شكوى من انصرافها عنه ، وتقصيرها فى حقه ، بل هو اليوم ، وبعد ان احال نفسه على المعاش يعمل متعاونا مع زوجته فى صدق واخلاص فى المكتب الصغير الذى عمل فيه طول حياته ، مؤكدا انه لا يتدخل فى السياسة او فى اعمال المسز تاتشر ، بل هو يعاون زوجته على القيام بمسئولياتها الكبرى على قدر ما يستطيع ، كما كانت هى الاخرى تعاونه فى اعماله فى السنوات الماضية .

●●●

ومدام سيمون فيل التى نتحدث عنها الان تختلف كثيرا عن مسز تاتشر ، ولكنها مثلها امرأة صلبة العود شديدة الذكاء متوقدة الحماس لمبادئها ولما تتولاه من عمل .

لقد بدأت حياتها العامة فى ظل الرئيس شارل دى جول ، فقد كانت من اكبر المتحمسات له المؤمنات بمبادئه وافكاره ، وقد انضمت لحزب دى جول فى تاريخ مبكر ، ووقفت جنبا الى جنب مع جورج بومبيدو فى المعارك التى خاضها دى جول لفرض مبادئه وآرائه التى أدت الى انقاذ فرنسا من الوحدة التى كانت فيها بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما أراد رجال السياسة القدامى متابعة نفس الطريق المظلم الذى كانوا يسيرون فيه قبل الحرب العالمية الثانية .

كانت سيمون فيل فى ذلك الحين شابة فياضة النشاط . كانت حديثة التخرج فى الجامعة ، ولكنها كانت شعلة من الذكاء والحب لفرنسا ، فرشحت نفسها لعضوية البرلمان الفرنسى على مبادىء دى جول ، ونجحت ، وعينت عضوا فى المجلس الادارى للحزب ، وعنى بامرها دى جول فندبها فى مهمات سياسية ودبلوماسية كثيرة نجحت فيها ، وعندما تحدث دى جول عن ضرورة توحيد اوروبا وتعاون فى ذلك مع المستشار كونراد اديناور ، كانت سيمون فيل - بحكم مولدها ونشاتها ، فهى الزاسيه - من العاملين المجدين فى اقامة المحور الفرنسى الالمانى الذى يقود الغرب الاوروبى اليوم ...

ثم عينها دى جول وزيرة دولة لشئون اوروبا وهى بعد فى الثلاثينات الباكرة ، وبعد وفاة دى جول أصبحت وزيرة لشئون الاسرة مع جورج بومبيدو ، وكان لها باع طويل فى كل اعمال اصلاح الاسرة التى تمت فى فرنسا ، ثم تولت وزارة الصحة ، وبعد وفاة بومبيدو اكتفت بعملها كنائبة فى البرلمان الى جانب رئاستها لجمعيات وتنظيمات اوروبية كثيرة ، ومثلت فرنسا فى اكثر من مؤتمر وفى كل مرة يذيع صيتها اكثر فاكثر وتتجلى مواهبها المتعددة ...

●●●

وعندما تولى جيسكار ديستان رياسة فرنسا كانت من بين من رشحهم الرئيس للتعاون مع شيراك ، فتولت وزارة الشئون الاجتماعية ، واهتم بها جيسكار اهتماما شديدا حتى أصبحت من اكبر معاونيه ، وصار ينتدبها فى المهام السياسية الكبرى الخاصة بتوحيد أوروبا ، وبلغ من حماستها لجيسكار ان



سيمون فيل في بيتها . قبل رحيلها الى استراسبورج لتولى مهام وظيفتها الجديدة رئيسة لبرلمان اوروبا .. انها - ككل امرأة - تستعرض الثياب التي اختارتها لنفسها بعناية فائقة ، محافظة على اناقة مظهرها الانثوي

سيمون ڤيل .. إمرأة على رأس أوروبا

لقبت بالجيسكارية .

وأخيرا ، وعندما نجحت فكرة انشاء البرلمان الاوروبى . أى البرلمان العام الذى يمثل كل بلاد الغرب الاوروبى ، كان لسيمون فيل فضل كبير فى انضاج الفكرة واخراجها الى حيز الوجود .

والبرلمان الاوروبى برلمان حر غير رسمى ، لقد دعا له عدد كبير من المتحمسين لتوحيد أوروبا كخطوة أولى نحو ذلك التوحيد بعد فكرة السوق الاوروبية ، ويقوم هذا البرلمان على أعضاء منتخبين انتخابا حرا فى بلادهم ، وقد رشحت كل أحزاب أوروبا رجالا من أعضائها ليكونوا أعضاء فى ذلك البرلمان، وكان أكثر الناس حماسا للحصول على مراكز العضوية فيه الشيوعيون الإيطاليون خاصة ، لانهم كانوا يريدون السيطرة على أوروبا عن طريق هذا البرلمان ، ولهذا اهتم جيسكار ديستان بموضوع هذا البرلمان ، وعمل على أن يرشح لعضويته نفرا من خيرة النواب الفرنسيين ، وتعاون فى ذلك تعاونا وثيقا مع الدكتور هيلموت شميت مستشار ألمانيا الغربية ،واتفق الرجلان على أن تكون سيمون فيل المرشحة لرياسة هذا البرلمان .

ومركز هذا البرلمان فى اللوكسمبورج، وقد خصصت له كل من فرنسا وانجلترا وايطاليا وألمانيا وبلجيكا اعتمادات مالية كبيرة ، ومع ان قراراته كلها غير رسمية، ولا تلتزم أى دولة بتنفيذها ، الا انه يعتبر رمزا للخطوة العملية القادمة من خطوات انشاء الوحدة الاوروبية .

وقد اختلف الحماس لانتخابات البرلمان الاوروبى من بلد لبلد ، وبلغ الاهتمام أشده فى ايطاليا وألمانيا ، ولم يتحمس الناس لانتخاباته كثيرا فى فرنسا وبلجيكا وهولندا وانجلترا ، ولكنه تكون على أى حال ، واجتمع فى استراسبورج فى أغسطس الماضى حيث خصصت له دار فخمة ، وأنشئت له سكرتارية كبيرة .

وكانت معركة انتخابات رئيس البرلمان معركة حامية ، صرح قبلها جيسكار ديستان بأنه يريد بأى طريقة ان تكون الرياسة فرنسية حتى سنة ١٩٨٤، وأيده فى ذلك هيلموت شميت ،ورشحت سيمون فيل الى جانب عدد كبير من المرشحين معظمهم من الايطاليين والالمان من أحزاب واتجاهات سياسية شتى ، وأجريت عملية الاقتراع مرتين ، تعادلت الاصوات فيهما تقريبا ، وفى الاقتراع الثانى كان ينقص سيمون فيل عشرون صوتا ، وكان الشيوعيون حريصين أشد الحرص على اسقاطها ، ولكن الهيئة البرلمانية الاوروبية عقدت اجتماعا واصدرت قرارها بفوز سيمون فيل ، ووافق المجلس على ذلك بالاجماع ..

وهكذا تقف اليوم امرأة على رأس أوروبا ، حقا ان هذا البرلمان رمزى ، ولكن الرموز هى التى تسير التاريخ ، ورموز اليوم هى حقائق الغد ، لانها آمال ، ولولا أهمية ذلك البرلمان لما اهتم به جيسكار ديستان هذا الاهتمام ولما بذلت الشيوعية تلك الجهود الضخمة للسيطرة عليه من الان .

وفى حديث أجرته الصحفية الفرنسية سابين دى لا بروس مع سيمون فيل قالت سيمون انها سعيدة جدا بالتخلص من منصب الوزارة ، وسعيدة جدا بأن تنتقل الى رياسة البرلمان الاوروبى ، لان الوزارة سخرة وارهاق ، وشاغل المنصب الوزارى لا يعيش لنفسه ولا يعمل لنفسه شيئا ، انما هو مسخر لمنصب قاس ومسئوليات كبيرة لا تعرف الرحمة .

وقالت الصحفية الفرنسية ان سيمون فيل لم تفقد أى شيء من أنوثتها رغم المسئوليات السياسية التى حملتها ، فهى فى الاربعينات المتأخرة اليوم ، ولكنها لا تزال امرأة شابة جميلة تحرص على أناقتها ومظهرها وجمالها ، وهى ترتدى



سيمون فيل فى حفل تسلمها مهام منصبها الجديد رئيسة لبرلمان اوروبا ... حولها اعضاء مكتب رياسة البرلمان واعضاء مكتبها وقد اعد احدهم لها كرسى الرياسة لتجلس

ملابس بسيطة ولكنها جميلة وأنيقة معظمها من طراز « شانيل » الذى اشتهر بالجمال والبساطة والعملية ، وقد قالت للصحفية عشية سفرها الى استراسبورج لكي تتولى مهام منصبها ان حقيبتها لا تضم الا تايرين شانيل أزرق واخضر فاتحين وفستانا ورديا من نفس الطراز .

وسيمون فيل زوجة فاضلة لا تنسى مسئولياتها الزوجية ، وزوجها أنطوان فيل محام فرنسى مشهور ، وهما يتقاسمان مكتبه فى العمل ، وهذا المكتب هو مقر عملها الاساسى فى العاصمة الاساسية ، وهكذا تتاح لها الفرصة لترى زوجها وتعمل معه في انسجام تام ، كما هو الحال مع مسز تاتشر .

●●●

ان نجاح سيمون فيل نصر كبير للمراة فى عصر التحرر الذى نعيشه ، فهذه سيدة جميلة وانيقة وربة بيت ناجحة ، وهى فى نفس الوقت وزيرة قديرة وسياسية ماهرة ، ثم انها تجلس اليوم فى كرسى رياسة برلمان اوروبا الذى يرمز الى عصر جديد قادم من تاريخ هذه القارة التى تقوم بنصيب كبير فى توجيه مصائر العالم اليوم .

ج . م

لمحات من تاريخ

● كانت سيناء منذ القدم معبرا للقبائل بين شمالي بلاد العرب وبين ماينطوي عليه الهلال الخصيب في سوريا والعراق شمالا وشرقا ، ووادي النيل غربا . وكانت هذه القبائل العابرة تعبر سيناء التماسا للخصب في تلك الاراضي الخصبة .

كان لتلك الهجرات اثرها في سيناء فمن تلك القبائل من كان ينزع الى البقاء والاستقرار في سيناء، اذا ماوجد مايعيش عليه ، فنجد المدينيين ينزلون حول خليج العقبة وينزل فريق منهم فلسطين وسواحل سوريا ، وكذلك فعل الكنعانيون والفينيقيون .

ويذكر المؤرخون الاقدمون ان المدينيين كانوا ينتشرون من حويلة الى شور أي الى برزخ السويس ، ونحن نعرف ان اسم شور كان يطلق قديما على شبه جزيرة سيناء .

ولعل اقدم الهجرات الى سيناء هي هجرة الاسماعيليين ، وهي قبائل يظن في الاكثر انها نشأت في شمالي الحجاز وحول مكة ، ثم اضطرها ضيق مكة وما كان بينها وبين غيرها من قبائل من تطاحن الى الهجرة ، وهذه الهجرة يظن انها بدأت في أوائل التاريخ المسيحي .

ولقد صحب الاسماعيليين في هجرتهم قبائل اخرى من النبط نسبة الى النبط ابن اسماعيل ، ويقال ان هذه القبائل، أعني النبط ، خرجت هي الاخرى من بلاد الحجاز ومروا فيما مروا بسيناء يتخذون منها مسالكهم التجارية اذ كانوا من المشتغلين بالتجارة .

وفي بعض النقوش المنتشرة هنا وهناك في جزيرة سيناء ، ما يدل على انهم استوطنوا بقاعا منها قرب بيلوز ووادي طميلات وقصر الغيط ، كما أنه ثمة اساسات ابنية نبطية ، وهذه تدل على أن النبط نزلوا تلك الاماكن، يستوي في ذلك ان يكونوا قد جعلوا منها محاط في طرقهم التجارية، وانهم جعلوا منها مواطن استقرارية ، وتلك الآثار وهذه الاساسات للأبنية ترجع الثانية .

سيناء في العهود السامية

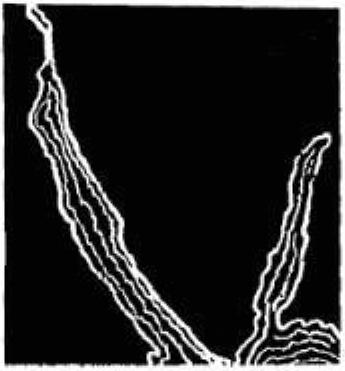
ومما لا شك فيه انه كانت ثمة موجات سامية اتخذت من سيناء معابر لها أو مقار ، وكان ذلك مع بدء التاريخ المسيحي .

واكثر هجرات هذه القبائل تأثيرا في سيناء هي قبائل قضاعة الحميرية التي سكنت اولا شمالي الحجاز ثم اضطرت حوالي القرن الميلادي الاول الى ان تصحر بلاد الحجاز وتنتشر بطونها في المناطق المجاورة ، وينزل على حدود سيناء الشرقية من تلك البطون تنوخ الذين سكنوا أرض النبط ، ثم سليح الذين كانوا قد هاجروا مع تنوخ ثم نازعوهم السلطان وغلبوهم عليه وظلوا كذلك الى ان انتزعه منهم الغساسنة فيما بعد .

ومن بعض قبائل قضاعة هذه ماكانت مضاربها الى اماكن من جهات سيناء الشرقية .

ويشير المؤرخون ومنهم الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» الى ان منازل بلي ، وهي قبيلة من قضاعة ،

سيناء



● محمد قنديل البقلي ●

كانت تمتد الى الفرما من حدود مصر، وهذا يعني أنهم كانوا ينزلون أرض سيناء الى برزخ السويس .

ويشير المؤرخون العرب كذلك الى انه كانت الى هجرات قضاعة ، هجرات قبائل الكهلانية ، وانهم هم الاخرون انتشروا فى شبه جزيرة سيناء ولا ننسى هجرات تلك القبائل العربية التى دفع بها التوسع الاسلامى ، كما لاننسى الاشارة الى الرهبان المسيحيين الذين سكنوا شبه جزيرة سيناء فى القرون المسيحية الاولى والذين لاتزال بقاياهم تسكن الوديان الجنوبية وبخاصة حول دير سانت كاترين .

ونحن نعرف ان هجرات هؤلاء المسيحيين الاول كانت نتيجة للاضطهادات التى تعرض لها المسيحيون فى القرون الاولى ، ثم كان ان اشتدت الهجرات مع أوائل القرن الرابع الميلادى حين انتشرت الرهبنة فى مصر فكثر عدد الرهبان فى سيناء ، ثم كانت اول كنيسة مسيحية فى شبه جزيرة سيناء على يد القديس جوليان .

والظاهر أن جنوب سيناء كان من المناطق التى يرغب فيها الرهبان ويؤثرونها على المناطق الصحراوية الاخرى التى تخلو من معابد الرهبان واديرتهم ، هذا الى أن تلك المنطقة كانت منطقة غنية بخضرتها ومائها بعض الشيء ، مما مكن للرهبان أن يبعدوا من جدب المناطق الاخرى وفقرها .

واذا كانت « فيران » هى اغنى المناطق الجنوبية ، فقد كانت هى مركز الرهبنة منذ القرن الرابع الميلادى ، وكان بها رئيس دينى ومجلس دينى، وظلت كذلك الى أن انتزعت منها السيادة منطقة سانت كاترين، فبنى بها الدير المعروف الى اليوم .

سيناء فى الاسلام

ويأتى الاسلام وسيناء ينزل على حدودها وينتشر فى نواحيها الشرقية قبائل كهلانية من غسان ولخم وجذام، وما ان امتدت الفتوحات الاسلامية شمالا حتى تفرق نصارى غسان وكانوا كثرة ، فنزل جزء منهم أرض الجفار فى شمالى سيناء وكان منهم حكام تنيس نفسها .

ويذكر المؤرخون أن الحصون التى كانت على طريق الرمل الشمالى فى سيناء مثل رفح والعريش والورادة والبقارة قد سكنها قوم من هؤلاء العرب المتنصرة يؤدون المال للمقوقس كما يذكرون أن النجدة التى أرسلها عمر بن الخطاب لمساعدة عمرو بن العاص والتى عبرت وسط سيناء قابلت جمعا كبيرا من هؤلاء العرب واذا هم من عرب غسان ولخم وعاملة .

واذا كانت القبائل العربية التى انتشرت قديما فى شمال الحجاز قد لجأت بعض بطونها مهاجرة اولا الى نواحى سيناء الشرقية والشمالية ، فان امتلاك المسلمين لمصر وتشجيع ولاتها لتلك القبائل المهاجرة على أن تنزح الى مصر، كان مما ادى الى عدول تلك القبائل المهاجرة الى الهجرة الى تلك الجهات الصحراوية وايثار مصر عليها . وبهذا اصبحت سيناء طوال

القرون الاسلامية الاولى طريق عبور تعبرها القبائل العربية على حال لم تكن معهودة من قبل .

وكان من هذه القبائل المهاجرة من تأتى من بلاد الحجاز عابرة فى طريقها الى مصر مسالك سيناء الجنوبية والوسطى ، ولم يكن ثمة ما يدعوها الى ان تتخذ ذلك الطريق الطويل الى الشمال لتسلك طريق الرمل فى ارض الجفار ، اما تلك القبائل التى كانت تأتى مصر من بلاد الشام وصحراء سوريا فكانت تؤثر ذلك الطريق الرملى .

واذا رجعنا الى النقول التى تحدثت من القبائل التى عبرت سيناء ايام الفتح الاسلامى نجدها متضاربة شيئا ، هذا لان اكثرها كان موكولا الى مؤرخى القبط ، كما ان اكثرها قد ضاع ، ولكنا نجد مؤرخا كالقلقشندى يذكر ان تلك القبائل التى هاجرت الى مصر متخذة من سيناء معبرها اليها ايام الفتح الاسلامى وحكم الخلفاء الراشدين كانت من جذام ولخم وبلى ، وان القبائل القرشية كانت اكثرها هجرة وهى التى عبرت سيناء مع الفتح الاسلامى .

اما ايام الامويين والعباسيين فكانت فى الاكثر قرشية من بنى امية وبنى العباس .

فيذكر المؤرخون ان من الهجرات البارزة التى قطعت سيناء هجرة قيس عيلان سنة ٧٢٧ ميلادية ، وانها جاءت من اعالى نجد فى ولاية هشام بن عبد الملك الذى نقل منهم نحوا من ثلاثة آلاف ، ثم كثر عددهم بعد ذلك ، ومكن لقيس فى الحوف الشرقى حتى صاروا قوة لها خطرها هناك .

ثم كانت هجرة اولاد الكنز بن ربيعة الذين كانوا ينزلون اليمامة اولا ودخلوا ارض مصر عبر سيناء ايام المتوكل على الله العباسى حوالى ٨٥٤ ميلادية فى عدد كبير .

ولما كانت ايام الطولونيين بقيت القبائل العربية تعبر سيناء عبورا متصلا مستمرا من بلاد الحجاز ونجد حتى اذا كان منتصف القرن التاسع الميلادى لم تعد مصر تحكم بحكام من العرب ، هذا اذا استثنينا عهد الفاطميين ، فبدات الهجرات العربية من بلاد الحجاز يقل ونفودها الى مصر عبر سيناء .

وحين استولى الفاطميون على مصر وبسطوا نفوذهم عليها وعلى سوريا فى القرن العاشر الميلادى ، رغبوا القبائل العربية النازلة ببلاد الشام الى الهجرة الى مصر ليأمنوا شرهم وللاستفادة منهم .

فلقد رأينا الخليفة الفاطمى العزيز ابا منصور يدعو بطون قيس من بنى سليم وبنى هلال أن يسكنوا مصر ، كذلك نرى الوزير الناصر لدين الله ابا محمد اليازورى فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى يأتى بقبائل سنبس احد بطون طيء التى كانت تسكن حول غزة فى جنوب فلسطين وكانت مصدر قلق للفاطميين ، وينزلهم «مديرية» البحيرة من مصر .

ولما كانت ايام الايوبيين وانتصر صلاح الدين واخذ بلاد الشام ومنها غزة اضطر الجذاذ من جرم الى أن تعبر سيناء وتسكن الحوف الشرقى فى مناشر جذام .

هذه هى الهجرات الرئيسية التى عبرت سيناء منذ الفتح الاسلامى الى نهاية حكم الايوبيين فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، اما بعد هذا فلم يكن هنالك مايدعو حكام مصر ان يستعينوا بالقبائل العربية ويشجعوها على الهجرة الى مصر ، وكان هذا منذ ولى المماليك مصر . وفى الحق ان بدء حكم المماليك لمصر كان فاصلا للهجرات العربية بين عهدين :

عهد كان الحكام فيه يرحبون بالقبائل العربية ويشجعون هجرتها الى مصر فتعج بهم طرق سيناء وتبلغ شبه الجزيرة بمرورهم أوجها .

وعهد لاحق اشتدت فيه وطأة الحكام على تلك القبائل ، فتابلت تلك القبائل هذه الشدة بسلسلة من الثورات لم يكتب لهم النجاح فيها ، فآثرت بعض تلك القبائل ان تترك مصر ويتجه عدد منهم الى الصحراوات المجاورة ويعبر عدد منهم سيناء راجعا الى فلسطين .

تغير مركز سيناء

وهكذا نرى أن مركز سيناء قد تغير ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادى ، فقد رأيناها منذ الفتح الاسلامى ليست غير قنطرة تعبرها القبائل المختلفة من الحجاز واراضى الشام فى طريقها الى وادى النيل ، ولكنها منذ ذلك التاريخ اعنى منذ ابتداء القرن الرابع عشر تصبح منطقة تلجأ اليها القبائل وتنزل فيها .

ويعزو الدارسون هذا الى عاملين اثنين ..

اول هذين الامرين :

ما وصلت اليه حال العرب فى وادى النيل تحت حكم المماليك من سوء لم يعودوا معه يرون ما يؤثرون به مصر على الصحارى المجاورة ، يشجعهم على ذلك ماكانوا يجدونه فى تلك الصحارى من مكمن يهاجمون المماليك منه ان شاءوا ، ثم هم مع ذلك يستطيعون ان يغيروا على الاراضى الزراعية ينهبون ويسلبون ثم يعودون بعد ذلك الى الصحراء آمنين بطش المماليك .

وثانى هذين الامرين :

ذلك الشأن الجديد لسيناء الذى اصبح لها حين تحول طريق الحج اليها هذا التحول الذى كان مع منتصف القرن الثالث عشر حين وهن شأن طريق الصحراء الشرقية الى ميناء عيذاب ثم الى موانىء الحجاز .

ولقد اصبح لسيناء هذا الشأن منذ حجت شجرة الدر بطريق الوسط وسير فيه الظاهر بيبرس قافلة الحج عام ٦٥٦ هـ « ١٢٦٧م » .

وهذا الشأن الجديد لسيناء الذى استمر الى ما يقرب من نهاية القرن الماضى كان من نتائجه ان جذب بعض القبائل العربية الى العمل فى نقل الحجاج ، هذا العمل الذى در عليهم ربحا وفيرا ، هذا الى ماكان يدفعه اليهم حكام مصر اجرا لهم على حراسة القوافل .

والناظر اليوم فى طبيعة شبه جزيرة سيناء يجد انها تنقسم الى منطقتين :

١ — المنطقة الشمالية من بلاد الشام ومصر ، وهذا الجزء من سيناء اكثر شبه الجزيرة مطرا ، وهو لهذا غنى بالنبات لاسيما فى الجهات الشرقية القريبة من فلسطين .

٢ — مناطق مرور طريق الحج التى كانت تقسم اقساما تتولى كل قبيلة قسما لحماية الطريق وحراسة قافلة الحجاج .

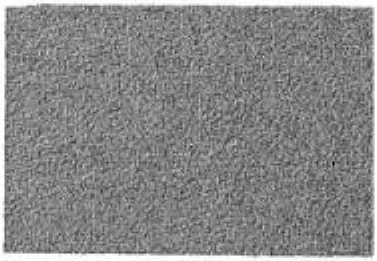
وهذا التقسيم انبنى عليه توزع سكان سيناء . فعلى حين كان يعتمد سكان المنطقة الشمالية على الأرض كانوا يشاركون فى التجارة التى كانت تعبر طريق الرمل الشمالى وسكان المناطق الجنوبية كان همهم فيما يجنونه من حراسة قوافل الحج .

ولقد تعرض لسكان سيناء كثيرون ، منهم : الهمدانى عن توزيع القبائل فى مصر والشام والذى نقل عنه ابن فضل الله العمرى والقلقشندى وابن خلدون .

والذى يرجع الى ماكتب فى هذه الكتب يرى أن القبائل التى يشار الى وجودها فى شمالى سيناء بين مصر والشام اكثرها من بطون ثعلبة طىء من القحطانيين وكانت تنزل مشارق الديار المصرية ومغار البلاد الشامية يجاورهم فى ناحية غزة الى الجبل وبلد الخليل بنو جرم من طىء . اما باقى القبائل التى ذكرت فى الشمال فهى قبائل قليلة . اما عن القبائل التى تسكن الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة فهم بنو عائذ بطن من جذام من القحطانية ثم بنو عقبة وهم الاخرون بطن من جذام .

"طاها" حسين

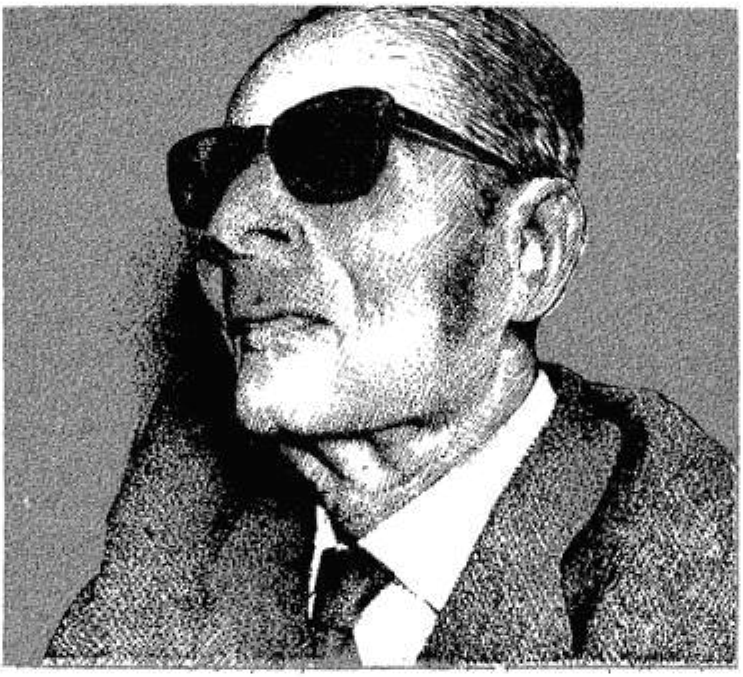
وحديث الأستاذ عن الأستاذ



• عاطف فرج •

خلال هذا الشهر - اكتوبر ١٩٧٩ - تحتفل جامعة القاهرة بذكرى طه حسين استاذها الكبير وعميد كلية آدابها الاسبق وصاحب الثورات الثقافية والفكرية الضخمة داخل الجامعة وخارجها •

وقد رأى الهلال انه لابد ان يشارك في هذا الاحتفال، لان طه حسين كان قطبا من اقطاب التحرير في مجلة « الهلال » فعلى طول حياته الادبية كان الهلال ميدانا مفتوحا لطه حسين وآرائه ومقالاته ، وفي بعض السنوات كنت تجد لطه حسين مقالا شهريا في الهلال .. لهذا ، ووفاء منا للهلال وطه حسين معا ، راينا ان نقدم لقرائنا حديثا ممتعا عن ذلك العربي الجليل الذي مر في عالم العرب كانه اعصار فكري غير فيه كل شيء.



بريشة : احمد الورذجى

ولم نجد من يتحدث الينا عن طه حسين خيرا من الاستاذ الجليل الدكتور ابراهيم بيومى مدكور خليفة طه حسين فى رئاسة مجمع اللغة العربية ، وتلميذه ثم زميله فى كلية الآداب ، ورفيقه فى معارك الفكر فى تاريخ الأدب العربي الحديث ..

فى هذه الصفحات يتحدث الدكتور ابراهيم بيومى مدكور حديثا صريحا فياضا بكل جديد عن طه حسين وفكره ومعاركه وثوراته ، ولهذا فنحن نقدم هذا الحديث سعداء شاكرين للدكتور مدكور ما أوسع من صدره وما اختص به الهلال منتظرين ما سيقوله فى محاضرته التي يعدها ليلقيها عن طه حسين في احتفالات جامعة القاهرة .

طه حسين ..
حديث الأستاذ عن الأستاذ

في مجمع الخالدين حيث كان يجلس العميد يوما ، التقيت بالاستاذ ابراهيم بيومي مدكور ، وسألت استاذنا الجليل في بداية الحوار ، عن ماهية دعائم الانتاج الفكري عند طه حسين ؟!

فأجاب وهو يبحر في الذاكرة ·· وأصابعه لا تفارق موضعها من الجبهة :

« توفر لطه حسين رحمه الله ما لم يتوفر لكثيرين من معاصريه ، من ثقافة مكتملة ، بين شرقية وغربية ، وقد قضى شبابه كله تقريبا ، في درس الثقافة العربية درسا مستكملا عميقا ، واعيا ، تفتحت أمامه أبوابها على أيدى أساتذته المصريين والغربيين ··

فقد قدر له وهو طالب أزهري ثم أن يلتحق بالجامعة المصرية القديمة ، وأن يتصل برعيل من كبار المستشرقين الذين خدموا الفكر العربي ، خدمة مخلصة ، صادقة، وعلى رأسهم « نالينو » الايطالى ، و « ماسينيون » الفرنسى · ولا شك في أن الجامعة المصرية القديمة قد وجهته الى أن يستكمل درس الثقافة الغربية فنهل قدرا منها على أيدى هؤلاء المستشرقين ، وتعمق فيها طويلا يوم أن بعث الى فرنسا ، فدرس في جامعاتها الكبرى ، وبخاصة فى « السوربون » وفى وسعنا أن نعده أديبا فى الفرنسية بقدر ما نعده أستاذا ورائدا فى الادب العربي ، تمكن من الثقافة الفرنسية أدبا ، وعلما ، وفلسفة ، حرص على أن يلم بأصولها الأولى في الثقافتين ، اللاتينية ، واليونانية ، لهذا كله لم يكن غريبا ، أن ينتج ، وأن يجيد الانتاج فى العربية ، كما أجاده فى الفرنسية ··

وهو له أسلوبه ، وله منهجه ، وله رأيه ، ويطول الحديث فى كل باب من هذه الأبواب ، لكن لا شك أن من استمعوا الى طه حسين ، أو قرأوا له ، كانوا يطربون من موسيقاه ، ويستمتعون بلغته العذبة الصافية ·· »

قلت لأستاذنا مدكور : ما هي مقومات ، الشخصية المتميزة عند الدكتور طه ، والتي جعلت منه منذ أن عاد من باريس نجما فى الأوساط الادبية ؟!

قال : « شخصية طه حسين ، واسعة وعريضة ، ومقوماتها كثيرة ، أخصها ذكاء متقد نادر ، وسرعة خاطر ملحوظة ، ولعله بين المعاصرين فى مقدمة من يصلح عليه ، قول ابى العلاء :

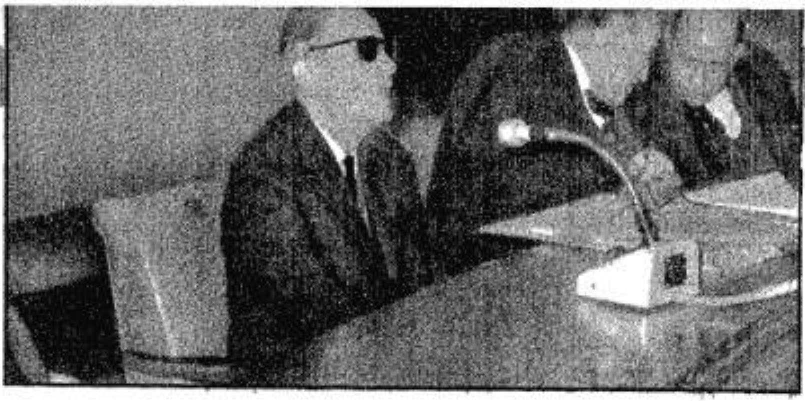
« عميت جنينا ، والذكاء من العمى »

ومن مقوماته الذهنية أن الله منحه ذاكرة ، لا أكاد أجد شبيها لها بين معاصريه الا ذاكرة المرحوم لطفى السيد ، الذى استمع له معى ، شيئا من محفوظاته من القرن الماضى ، في جلسة من جلسات مجمع اللغة العربية ، وقد حرصنا على أن نسجل هذه المحفوظات التي كانت تدور حول شعر « المواوية » عام ١٨٩٠ وكم كنا نود أن نستمع الى طه حسين ليحدثنا عن ذكرياته ، كما استمعنا الى لطفى السيد ، ولكن أعباءه ، وأعماله المختلفة لم تتح لنا هذه الفرصة · الا أنه سجل كثيرا من الذكريات في حديثه عن نفسه ·

ومن مقومات شخصيته جرأة كاملة ، وصراحة تامة ، لم يبد عليه فى موقف من المواقف التى عشت معه فيها أنه يرهب أن يقول رأيه ·

وأذكر من بين هذه المواقف حديثا لطه حسين في محاضرة من محاضرات المجمع العامة ، عرض فيها لتيسير النحو ، وكان لهذا التيسير خصوم يبدو أن حملاتهم قد خفت وأنهم بدأوا يدركون مدى الحاجة الى ما صوب اليه طه حسين منذ أربعين سنة تقريبا · وقد كان ألقى محاضرة عن تيسير النحو فى جمعية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وكان يتوقع أن يرد عليه من يرد ، ولكن حجة طه حسين كانت فاصلة دائما ·

وذلك مقوم آخر من مقومات شخصية طه حسين ، وهى قوة حجته ، لانه كان يؤمن بما يقول ·



د. طه حسين ... كان حديثه الجسـراة والموضوعية ، والفكر المتجدد في مجمع اللغة العربية

وسبق أن أشرت الى زاده الثقافي سعة ، وعمقا ، واستيعابا ، وكانما يصدر حينما يتكلم او يكتب عن كنز لا ينفد من معلومات وثيقة مؤصلة » .

قلت له : كان لطه حسين في حياته العديد من المعارك الأدبيـة ، فما رأيك وقد عايشته عن قرب ؟ .

قال : « أستطيع أن أقول ان طه حسين ولد مناضلا ، وكان النضـال أحب شيء الى نفسه ، وما أحب المعارك الى المناضلين ، ويتسع المجال لمعـاركه ، لان حياته كما قدمت كانت نضالا كلها .

ويكفي أن أشير ، الى مثلين اثنين من معاركه الخالدة : وأولهما : هي معركة الشعر الجاهلي ، وخطأ ان يظن أنها كانت ترمي الى اسقاط الأدب الجاهلي ، والاستغناء عنه . بل كانت ترمي بوجه خاص الى رسـم منهج في الدرس ، والبحث الأدبي ، منهج يقوم على الشك . الا أنه ليس الشك الهدام بل الشك البناء . وهو الشك المنهجي الذي عرفه جيدا في دراسته للفيلسوف الفرنسي الكبير « ديكارت » والشك والنقد متلازمان ، ونقد طه حسين بناء كشكه تماما هذا فضلا عن أن حملته هذه فتحت الأذهان ودعت الى التحرر ، وكانت حركة توجيه ، واصلاح ، بقدر ما عبرت عنه من تحليل وتعليق .

ولا شك في أن طه حسين ، بهذا ، قد دفع الأدب العربي ودراساته ، دفعة قوية ، أفاد منها زملاؤه وتلاميذه ولا يزالون يفيدون الى اليوم .

وكان يخشى أن يقف الجمـود في طريق هذه الحركة الأدبية التي تنشد التجديد والاصلاح ، وأن تحارب هذه الحركة ، باسم الدين ، وقد حـدث شيء من هذا ، ولكن نعمنا في العقد الثالث من هذا القـرن ، بأخذ ورد ، بين طه حسين ، ومعارضـيه ، كان يمثل ثورة أدبية ، جاءت بعد ثورة سـنة ١٩ السياسية .

ومعركة أخرى لها شانها في تاريخ التعليم الجامعي ، وهي حرص طه حسين على استقلال هذا التعليم ، وتمكين الباحثين من الكشف والدرس ، دون قيد ، أو تحريم ، أو تحليل . وكانت المعركة شديدة البـأس ، انضـم اليه فيهـا أستاذه ورائده أستاذ الجيل المرحوم أحمد لطفي السيد .

ودارس تاريخ التعليم الجامعي المصري ، لا يسـتطيع ، ان يغفـل أثر طه حسين ، في وضع التقاليد الجامعية الصحيحة ، ومناصرتها والدفاع عنهـا ، ونصرة الجامعيين ، بكل جهده ، وطاقته . وقد وضع للحياة الجامعية ، تقليدا أخشى ماأخشاه ، ان بدأنا ننساه ، ونعرض عنه ، ألا وهو التبادل الثقافي . فقد كان طه حسين ، في كلية الآداب ، حريصا على أن يجـذب اليها كبـار الباحثين العالميين ، في الفلسفة ، والأدب ، والتاريخ .

وقد أفادت جامعاتنا المصرية ، من هذا التعاون الثقافي ، نفوذا ، ومركزا ملحوظا ٠

ومن حسن الحظ ، أن طلاب الجامعة ، في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ، كانوا يستطيعون متابعة الدرس باللغات الأجنبية ، وبخاصة الفرنسية والانجليزية ، كما يتابعونه باللغة العربية ٠ فتوثقت بذلك صلة الشباب المصرى ، بالفكر الغربي وزاد هذه الصلة وثوقا أن طه حسين ، فيما يتعلق بالدراسات الأدبية والنظرية ، قد دفع حركة البعوث الى الخارج من شباب المصريين دفعة قل أن نجد لها مثيلا ، وكان لنا شباب يدرس في فرنسا وبلجيكا من البلاد اللاتينية ، الى جانب من يدرسون في انجلترا وألمانيا ، من البلاد السكسونية والجرمانية ٠٠

وكم عمر بيت طه حسين بزواره من تلاميذه وأبنائه وزملائه ، ابان عافيته وصحته ، ولم يكن غريبا أن يحز في نفسه انقطاع هؤلاء الزوار ، ابان شيخوخته ومرضه» ٠

قلت له : استاذنا الجليل ، رغم انه يعز على طه حسين وهو الأستاذ المعلم أن يحدث مثل هذا من مريديه ٠٠ فقد بقى طه حسين كما هو طه حسين ٠ فلماذا كان كذلك ؟!

يقول الأستاذ بحب عن استاذه طه حسين :

« نعم طه حسين هو طه حسين ، لانه خلق هكذا جريئا ، شجاعا ، وقد تدفع الجرأة ، والشجاعة الى قدر من الغلو والتطرف ، وغلو طه حسين ، خلق له أصدقاء كثيرين بقدر ما خلق له أعداء ٠ كان يجزل المدح والثناء ، ولكنه كان يعرف أيضا كيف يصب جام غضبه على من شاء ٠

طه حسين هو طه حسين لانه أديب أخلص ، لأدبه ، فقد كان عميده ورائده في العالم العربي ، جميعه ، طوال ربع قرن أو يزيد ٠

طه حسين هو طه حسين الذى يتحفز للمعارضة ، والخصومة ، وكم تكون الخصومة ، والمعارضة ممتعة ، وجذابة ، حين يكون بطلاها مثل طه حسين ، وعباس العقاد ، ولقد شهدت مواقف خاصة لطه حسين والعقاد في مجمع اللغة العربية ،فيها الهيبة،وجواب حاضر ،ونقد صائب ، وشيء من السخرية أحيانا ٠ وبقدر ما كان لطفي السيد ، وهو رئيس المجمع ، يفسح لذلك ، كان يعرف كيف ينتهى بالخلاف الى رأى قاطع جامع ٠

وطه حسين هو طه حسين الذى ما يرضى أن تقف ، في طريقه عقبة ، ولا أن تتغلب عليه صعوبة ٠ أبعد عن الجامعة زمنا ٠٠ ففتح السياسيون له أذرعهم واستقبلوه ، وهنا دخل طه حسين باب السياسة فغلا غلو السياسيين ٠ مدح فأجزل المدح ، وهاجم فشدد الهجوم ٠

ولئن كانت السياسة ، قد فتحت باب الوزارة ، فانها انتقصت شيئا من مجده الأدبي ٠ خصوصا والوزراء قد يضطرون الى تملق الملوك والرؤساء ولطه حسين موقف من فاروق في جامعة الاسكندرية ٠ يأخذه عليه زملاؤه ومحبوه ، ولا يزالون يذكرون تلك العبارة التي وردت على لسانه ، حين بدأ حديثه أمام « المليك المعظم » قائلا :

« أتأذن لى يا مولاى » ٠ وهذا لفظ طه حسين ٠ وأصدقاء طه حسين وعارفوه كانوا يعتقدون ، انه ليس في حاجة حين يريد الكلام ، أن يستأذن من أحد ٠

وطه حسين أخيرا هو طه حسين الذى كان يسبق الى تقدير ظروف أصدقائه وزملائه ، فيعاونهم ، ويفسح السبيل أمامهم ، وما كان يعز عليه أن يحقق ما يريد ، برغم الروتين واللوائح ، والقيود المالية ، وأحرص على أن أنوه هنا



٠ د. ابراهيم مدكور

بترقية نالها المرحوم الدكتور محمد عوض وهو من نعرف علما وأدبا ، ولكن طه حسين رقاه ، لاعتبار آخر ذلك انه أصبح رب أسرة ، وللأسرة أعباؤها ومطاليبها ٠

وقد آلم ذلك الدكتور عوض لأنه كان يشعر أنه يستحق الترقية لعلمه وبحوثه أولا ، ثم لأنه كان يرجو أن يعترف له طه حسين بذلك ، وقد اعترف طه حسين لمحمد عوض بعلمه وأدبه ولكن فيما بعد » ٠

قلت له : على الرغم من كل ما يستحقه الدكتور طه حسين من مجد أدبي ، يرى البعض ان الدكتور طه حسين لا يستحق عمادة الأدب العربي ، وان منحها له ، كان من باب السياسة ، فما رأيك ؟! ومن هو أولى بهذه العمادة اذا صح قول هؤلاء ؟!

قال الأستاذ بيومي مدكور وقد استفزه سؤالي :

« لا أحب أن أقف عند مثل هذه المهاترات ٠

٠٠ لأن عمادة طه حسين ، ازدادت وثوقا وتأكيدا بعد موته ، فضلا عما استقر في شأنها طوال حياته ٠٠ »

قلت له : كان الأستاذ العميد عملاقا في جيله ، ولم يكن وحده في هذا الجيل ، بل كان حوله عمالقة من معاصريه ، فلماذا انتهى هذا الجيل ، وكيف نجعله أو جيلا مثله يعود الى وجه مصر ؟!

قال وقد هدأ بالا واستراح نفسيا :

« أنا لا أقول أبدا بالأبواب المغلقة ، وانما أسلم فقط بأن هناك فترات للركود ، تليها فترات أخرى للوعي واليقظة ٠

وقد شاءت الصدف بعد ثورة سنة ١٩ ، وفي ظل حركتنا الاستقلالية الناهضة ، أن يتسع المجال ، لذوي الرأي الصائب والقلم السديد ، فكان لنا جيل ، متضامن ، متعاون متضافر ، في أبواب الاصلاح المختلفة ، ولكنه ليس خاتم الاجيال ، بل أرجو الله أن نستعيد ، هدوءنا ، واستقرارنا وثقتنا بأنفسنا ، تلك الثقة ، التي حظينا بها في العشرينات والثلاثينات والأربعينات الى منتصف الخمسينات ٠٠

وأنا مطمئن الى أن هذه الثقة ، ستعود ، وأن الأجيال الصاعدة ، سيكون فيها رواد وقادة ، على أن نعطيهم الفرصة ، ونهيىء أهم الأسباب ٠ وتلك رسالة المربين والمصلحين والحكام ٠ أن يحسوا حقيقة بسعادة حين يرون أن تلميذا قد فاقهم ، أو أن شابا قد بدت عليه ملامح النضج والوعي الصحيح ٠ ويوم أن يستقيم التعليم الجامعي ، ويستعيد مجده القديم ، سيخلق قيادات فكرية وأدبية ، لن تكون أقل من تلك القيادات التي حظينا بها ، من قبل ٠ »

قلت له : أنت لك من المكانة الادبية ، ما يتيح لك الرؤية عن قرب .. هل انتهت الأسباب التى ترك طه حسين من أجلها الدراسة فى الأزهر الشريف ، عندما اختلف مع ابنائه على طريقة التدريس ، وما يقدم من مواد للدراسة ٠ ؟!

قال : « فى الوقت الذى كان ينكر فيه طه حسين على بعض الشيوخ طريقتهم فى البحث والتدريس ، كان معجبا بالشيخ المرصفى الذى تتلمذ على يديه كثيرون من بينهم أحمد حسن الزيات ، وابراهيم مصطفى ، ولا شك فى أن المرصفى كان يعد مجددا فى الدرس الأزهرى ، منذ ذلك التاريخ ٠

وقد سبق أن المرحوم الامام محمد عبده قد وجه النظر ، الى ضرورة التجديد ويكفى أن أشير الى معاصرين آخرين هما المرحوم المراغى ، والمرحوم محمود شلتوت ..

وقد أريد بالدرس الأزهرى أن يسلك مسلك الدرس الحديث ، فانشئت جامعة ازهرية ٠

واخشى ما اخشاه ان تكون قد طغت على القديم فى جملته ، ولم يقل احد بان التجديد هو محو للقديم .. »

قلت له : كان الأستاذ العميد رئيسا للمجمع اللغوى .. وكنت زميلا له داخل مجمع الخالدين .. كيف كنت تراه يصرف الأمور ؟

قال الأستاذ مدكور وهو يبتسم :

« عرفت طه حسين منذ عام اثنين وثلاثين ، حين التقينا لأول مرة ، فى مؤتمر للمستشرقين « بهولندا » ومنذ ذلك التاريخ وصلتى به تعاون صادق وتفاهم تام ٠

تعاونا فى كلية الآداب؛ وقد عينت مدرسا فيها على اثر عودتى من بعثتى وهو عميدها ، فى ذلك العصر الذهبى ، وبلغ الأمر من تعاوننا ، أنه فكر يوما أن تعرض مسرحية حول « بيدبا الفيلسوف وكليلة ودمنة » وكنت أحد ثلاثة ممن أريد بهم ، أن يشتركوا فى هذه المسرحية مع الدكتور محمد عوض ، والمرحوم أحمد امين ، ولم أتردد فى قبول الفكرة ، ولكن السياسة ، قاتلها الله حالت دون عرض هذه المسرحية ..

وتعاونا فى مجمع اللغة العربية فى أكثر من لجنة وبخاصة فى لجنة المعجم الكبير ، وهذه لجنة اولع بها طه حسين وضحى ببعض أعبائه الوزارية ، من اجلها ، ورسم للتأليف المعجمى ، منهجا أخذ بقدر كبير منه ٠

وتعاونا فى قيادة دفة الأمور بمجمع اللغة العربية ، حين كان رئيسه ، وكنت أمينه العام ٠ نلتقى نحن الاثنين ، أو نتصل تليفونيا ، وما أحسسنا قط ، أن بيننا بعدا فى وجهات النظر ، أو اختلافا فى التقدير ..

أو نلتقى فى اللجنة الادارية ، التى تنظر فى شئون المجمع ، ولا أذكر اننى اختلفت معه فى اقتراح ، أو عرض فكرة ، أو مشروع ، ورغم مرضه كان يحب أن يقص على كل شىء ، وكنت أحس فيه هذه الرغبة وأقدرها ، ولذلك كنت أكلف الاداريين المسئولين أن يعرضوا عليه شئون المجمع الكبرى ، باستمرار ، وربما خلط بعض هؤلاء الوسطاء فيما يعرضون ، وصوروا الأمور على غير حقيقتها ٠ و خيل لهم أن أمين المجمع لا يعتد بسلطة رئيسه ٠ ولكن **هذا لم يغير قط من حبنا ، وصداقتنا ، وتعاوننا ، لاننا معا كنا نؤمن بان مجمعا يؤدى رسالته يجب ان يرعاها أعرف الناس بها ٠ »**

نظر الأستاذ فى ساعته .. وفهمت انه على موعد مع آخرين .. فما كان على الا ان اودعه على امل لقاء جديد ٠

كيف أغفيت ؟

كيف أغفيت ولم تنتظرى
مطلع النجم وضوء القمر
وأغان فى دمى أحملها ...
وأغان فى ثنايا وترى
وابتهالات إلى القلب الذى
صمت الآن صموت الحجر!
إننى عدت إلى العش كما
رجع الطير لدفء الشجر
ومياه عن نهور رحلت
ثم صبت فى ضمير الأبحر
إننى عدت إلى العشب أنا
فافتحى الباب لماء المطر
واسألى عنى أخبارى فقد
كتم الليل طويلاً خبرى
إننى جئتك بالنجم على
ريش جنحى تقومى وانظرى
ولتزينى مفرق الشعر به
نجمة الحب ونجم القدر

***

كيف أغفيت ولم تنتظرى
مطلع النجم وضوء القمر ..
فيم ترحالى إلى الدنيا إذن
فيم تجوالى وطول السفر !

نصار عبد الله

من ديوانه الجديد
قلبى طفل ضال

أفكار للغد

● تحقيق : عادل عبد الصمد ●

التاريخ تبنيه الافكار ..
والغـــد متوقف على ما يدور فى اذهاننا من افكار فاذا استطاع كل منا ان يأتي بفكرة تنفع الوطن فى غده ، استطعنا ان نامل فى مستقبل اسـعد لنا وللوطن ..
فهل لديك فكرة تنفـع الوطـن ، وتنفعك ؟ .
هذه دعوة نوجهها اليك ..
وسنفتح على اساسها بابا جـديدا فى ((الهلال)) ..
ستنشر الافكار الجديدة التي يمكن تنفيذها ..
ففكر ، وخذ القلم واكتب لنا ..

● دستور يحدد القيم الاسلامية للتعليم

● د . عبد الصبور شاهين ●



لست ارى ان يتحقق الامل فى تطوير التعليم الا ان تتحقـــق شروط ثلاثة :

اولها : ان تســتوعب العمليــة التعليمية كل مواطن على هــذه الارض دون ادنى تسيب . واذا لاحظنا اننـا نتزايد سنويا بمقـدار مليون ومائتى الف نسمة ، وان قدراتنا الحالية تحكم بالامية على نسبة لا تقل عن ثلث هــذا العدد ، اى اربعمائة الف لا يشـملهم التعليم العام .

واذا لاحظنا ايضا ان نسبة الاميـة عندنا لا تقل بحال عن ٦٠ ٪ فان معنى ذلك إن اعداد الاميين تتزايد سـنويا زيادة منتظمة ، ويترتب على هذا الوضع ان كثيرا من القوى البشرية الذكيـة تضيع فى طوفان التسيب والاهمال ..

ومعنى ذلك كله اننا بحاجة الى ثورة ثقافية بالمفهوم الثقافي للتعبير لا بالمفهوم السياسي .

على أن هنالك خطرا آخر يترصد جهود الامة في نشر التعليم ويوشك ان يفتك بها ، هذا الخطر يكمن في تغيير الوضع الاقتصادي بحيث اصبح العامل الحرفي الجاهل يكسب اكثر من المتعلم ، وربما بلغ دخله اضعاف ما يحصل عليه ارقى المتعلمين ، ولقد ينشىء هذا شعورا لدى الطبقات الدنيا بأن التعليم لا عائد له ، وبأن الجهل هو طريق الغنى .

واكاد اقول أن هذا هو الشائع الآن في الدنيا العامة ، وهو امر خطير ينبغي الا نقلل من شأنه .. ولم يعد غريبا أن نجلس في بعض المجالس ونستمع الى كثير من المتعلمين يندبون وينعون آمالهم والتضحيات الجسام التي فرض عليهم أداؤها لانهم قدر لهم ان يكونوا متعلمين في مجتمع سمح بأن يصل اجر الحرفي الجاهل فيه ما قد يبلغ مائة جنيه في اليوم احيانا ، على حين لم يصل مرتب الوزير فيه أكثر من سبعة جنيهات ونصف في اليوم ..

● الشرط الثاني ●

ان يتم وضع دستور للتعليم يحدد القيم الاساسية فيه ويضع الارض المشتركة التي تتم عليها كل الجهود التعليمية .

وأهمية وضع هذا الدستور تبدو واضحة اذا ما لاحظنا الارتجال المطلق الذي يسيطر على المدرسة المصرية فكثير من القرارات يرجع الى رغبات المسئولين شخصيا ، وكثير من المواقف يحل « بالفهلوة » أو بالمجاملة .. والمجتمع المدرسي هو ارقى نموذج للمجتمع العام، فاذا لم يوضع دستور ليحكم العلاقات فيه بين التلميذ والمدرس وبين المدرس والمدرس وبين المدرس ورئيس المدرسة وبين المدرسة والمدرس ورؤساله في الادارات العليا ـ فان روح الارتجال السائدة سوف تنذر بتقويض الأمل وتدمير كل الجهود .

والذين يعيشون مشكلات المجتمع المصري التربوية يدركون ولا شك اهمية وضع مثل هذا الدستور الذي يحتاج الى كفاءات تقرره ، وحملة اعلانية وتربوية ضخمة تؤكده ، والتزام دقيق بنصوصه ومواده بدور التعليم المختلفة حتى ينتفي عنها الشكل الفوضوي الذي تسرب اليها الان وتسود فيها روح العدالة والنظام والعمل والاخلاص .

● الشرط الثالث ●

أن أجهزة الثورة الثقافية التي ارى ان تحدث في مجال التعليم في المجتمع المصري ، يجب ان تخصص جانبا كبيرا من جهودها للمعلم الذي فقد جوهره او فقد نفسه ، فأصبح في وضع يرثى له ماديا وانسانيا . ولن اتحدث عن الجانب المادي الذي يحسه الان طوب الارض .

ولكن اتحدث الآن عن الجانب الانساني في تناول مشكلات هذا المعلم الذي يمثل افضل صور الكفاح والكدح في مجتمعنا .

لست ادري ما المصلحة التي تعود علينا تربويا او اجتماعيا من انطلاق افواه كثيرة على المدرسين والدروس الخصوصية ، وانهم اصبحوا ينافسون المحترفين في سعيهم الدائب لتثقيف ابنائنا من ناحية؛ ولتحصيل «المعتبر» من ناحية اخرى .

قد نجد حينئذ نماذج كثيرة لا تؤدي واجباتها المحددة في خطة الدراسة على نحو يرضي الله ويحقق مصلحة الوطن ، وقد ننظر الى هؤلاء احيانا نظرة اتهام ، وقد ننظر الى هؤلاء نظرة اسفاف ورثاء ، ولكن العنصر الغالب من كلتا النظرتين هو عنصر الانضباط والمتابعة والتذكير الذي امر الله به في قوله « فذكر انما انت مذكر » وفي قوله « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

وقد ننظر الى التذكير نظرة استهانة ولكنه افضل الوسائل لتحقيق خطة تعليمية يراد منها تطوير المجتمع ويراد لها ان تبلغ اقصى غاياتها .

● مسرح اليوم .. بلا روحانية

● زكى طليمات ●



لا يستطيع اى منصف ان ينكر ان مسرحنا فى ازمة بل كارثة .. فلقد اصبح مسرحنا بلا روحانية .. والمسرح عندما يصل الى هذا يكون الكسب المادى هو غرضه الاول ، وبذلك نرى الممثل يغالى فى اجره ولا يعطى لفنه كل همه وجهده .. ومعنى هذا ان هناك مشكلة او ازمة تعمل على تغيير الموازين والمقاييس الفنية الاصيلة ..

ومن عجب ان تلك الازمة فى مسرحنا لا يحسها الممثلون ، وانما يحسها اهل الراى والفكر والقائمون على ان يكون لنا مستويات حديثة فى الادب والفكر والفن ..

ان ممثل اليوم لا يحس الازمة ولا يعايشها ، لان اجره لا يتأثر انخفاضا او ارتفاعا بهذه الازمة ..

واعتقد ان الفن رسالة رفيعة تتلخص فى ان تعطى الجمهور المتعة الذهنية الكاملة من غير ان تنزل الى الاسفاف او تتفلسف وتتعالى على المتفرج ..

وهناك شىء آخر هو ان ممثل اليوم غير ممثل الامس ، وانا من ممثلى الامس .. والاحظ ان ممثل اليوم كل همه الكسب المادى واقتناء الثروات والسيارات الفاخرة وما الى ذلك ، ولا يهتم بالجانب الروحى لفنه ، وينسى أن الممثل الحق لا يعيش بالخبز فقط .

وبذلك نجد مسرحنا اليوم يفتقر الى الروحانية التى تسمو بالممثل حتى لا يكون وصوليا ، بل يكون فنانا يرسم أقدار امته ويهيىء لها آفاقا جديدة من الفكر ومما يغذى الوجدان .

● ليس مجرد كسب عيش ●

والآن نسأل ما العلاج ؟

او ماذا يجب ان نعمله لنحقق الرغبة فى ان يكون القرن القادم قرن مجد فني وادبى لا يقل عن امجاد مصر فيما انتجته من رءوس عبقرية امثال العقاد، وطه حسين ، وأمثال جورج ابيض ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وروز اليوسف .

وهنا أقول ان وصف الدواء وحده لا يكفى بل لابد من أن تتناول الدواء وأن تتجرعه وانت مؤمن انك تؤدى واجبا قوميا نحو وطنك لكى تعود الى المسرح روحانيته التى عشنا عليها ..

● وهنا لابد من نظام يضرب على أيدى هذه الفئة ليردهم الى السمو الخلقى ويعلمهم ان الفن رسالة وليس مجرد كسب عيش وارصدة فى البنوك .

● لابد من تنشئة جيل جديد يحسن فهم مفاهيم المسرح .

يجب أن يعنى بالجمهور « جمهور المسرح » لايجاد جمهور يفهم المسرح ، ويحب المسرح ... واقترح هنا ان يعاد النظر فى المسرح المدرسى .

... الا ان هذا المسرح المدرسى يجب ان ينظم بحيث يدرسه الطلاب ابتداء من الدراسة الثانوية ، فيدرسوا معانى المسرح ومفاهيمه ومفاتيحه ، وكل ما يحبب لهم المسرح ..

● **واقترح ان يدخل فى برنامج الدراسة ايضا فى المرحلة الثانوية دراسة جادة لتاريخ المسرح من حيث**

النشاة والمسيرة منذ القدم حتى اليوم ..

وهناك اقتراح آخر اقترحه لاقتلاع الوصولية او تخفيف تاثيرها وذلك فى القطاع العام ، فاقترح ان يكون مرتب الممثل مرتبطا بايراد الشباك ، وبذلك ياخذ الممثل بقدر ما يحقق .. اما ان ياخذ شيئا ثابتا ولا يهتم بنجاح العمل فامر يجب ان نتلاشاه .

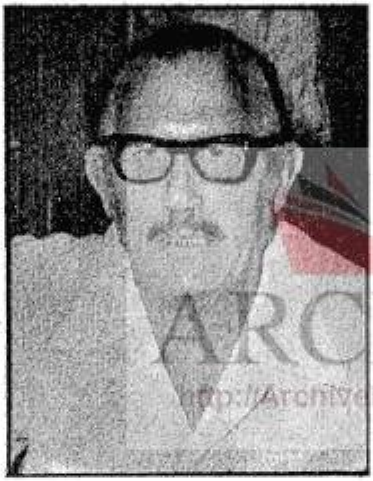
ننتقل بعد ذلك الى التليفزيون هذا الغول الذى يلتهم جمهور المسرح والسينما والاذاعة ..

هذا الغول الذى يفرض نفسه عليك وانت فى بيتك .. لااقول ان نغلق التليفزيون ونلغيه ، ولكن اقول كما اعطينا التليفزيون عناية كبيرة يجب ان نقلل منها ونعطى للمسرح الهادف عناية أكبر .. لان التليفزيون بذلك قد اخذ من المسرح كل شيء ، حتى وجدنا المسرح يعانى ازمة كبيرة فى النصوص المسرحية بينما نجدها متوافرة للتليفزيون وبكثرة لان التليفزيون يحقق الشهرة والكسب اسرع واكثر من المسرح اليوم ..

ورغم ذلك فانى لست متشائما ، فالاصلاح آت والكل لابد ان يعمل من اجل هذا التقدم لرفعة الفن والوطن ..

● نواة لخلق القيادات فى كل المجالات

● د . عبد المنعم ابو العزم ●



التعليم فى مصر له جوانب عدة ، فالتعليم ليس – كما يظن البعض – خدمة تقدم للافراد ، وانما هو عملية انتاجية فى المقام الاول .. و « السلعة » المنتجة هنا وان تجاوزت فى التعبير ، هى البشر .. والبشر « اغلى سلعة » واهمها فى الوجود ، فبصلاحها يصلح المجتمع وبالارتقاء بقدرتها الانتاجية يتقدم المجتمع ... ومن المسلم به ان الثروات الطبيعية فى باطن الارض وعلى سطح الارض من العوامل الهامة لرقى المجتمع ورخائه ، ولكنها وحدها وبدون البشر القادرين على استغلالها والاستفادة القصوى منها – لا تكفى لرقى المجتمع ...

وكثير من الدول الغنية فى مواردها الطبيعية تظل دولا متخلفة بسبب الفقر فى الامكانات البشرية حتى لو استعانت بخبراء العالم ، فمن خلال الثروات الطبيعية المتاحة لها فانها لا ترقى الى مصاف الدول المتقدمة وعلى العكس من ذلك فان وجود الطاقة البشرية المدربة القادرة على العطاء قد اغنت بعض المجتمعات التى اصبحت من ارقى واغنى مجتمعات العالم ، مثل ذلك اليابان فى الوقت الحاضر ، وكوريا فى المستقبل القريب .

من هنا تبرز اهمية التعليم والتدريب وتبرز كذلك اهمية التخطيط لنوعية التعليم والتدريب اللازمين • واعداد كل نوعية من هذه النوعيات ، والاستفادة القصوى منها تتطلب في المقام الاول ان تكون خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، الى مشروعات الانتاج والخدمات المختلفة - معروفة تماما حتى يمكن الاعداد اللازمة من الخبراء والفنيين والمهنيين لكل مشروع من مشروعات التنمية ، وبالتالي يكون الهدف الاساسي للتعليم توفير هذا الهيكل من القمة الى القاعدة في تماسك وتناسق وتكامل .

وعلى سبيل المثال ، اذا كنا في مجال الزراعة في حاجة الى المهندس الزراعي والمرشد الزراعي والمتخصصين في الميكنة الزراعية ومعاونيهم من فئة الفنيين ثم العمالة الفنية المدربة ، ثم العمالة العادية - فان هذا يستلزم وجود التعليم والتدريب اللازم والكافي لتخريج هذه الاعداد دون الزيادات غير الضرورية في فئة منها ، أو النقص في فئة أخرى ، مما يحدث اثرا سيئا في خطة التنمية ، كذلك فان فترة الانتظام في الدراسة في جميع المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية اقل كثيرا من الفترة اللازمة والضرورية لاستيعاب المقررات الموجودة .. وعلى سبيل المثال فان فترة ٣٨ اسبوعا في التعليم الابتدائي والاعدادي والثانوي لا تتحقق ، ولا يلزمنا لتحقيقها مزيد من الانفاق او التمويل . بل ان تحقيقها فائدته أكبر كثيرا من استثمارات جديدة لانشاء مدارس جديدة او استيعاب اعداد اكثر ..

وهناك ايضا النقص في المعلمين في بعض التخصصات التي تحتاج الى استكمال ..

وهناك ايضا ظاهرة الدروس الخصوصية التي تضيف أعباء مالية كبيرة على الآباء مما جعل مزية المجانية في التعليم تكاد تفقد مجانيتها ، خصوصا مع بعض الارتفاع في هذه الدروس في السنوات الاخيرة .

وموضوع على جانب كبير من الاهمية .. هو أن ما نعلمه لأبنائنا في المدارس الابتدائية سوف يبدأون في ممارسته في الحياة والعمل بعد عشر سنوات على الاقل ، حيث يكون اول نضجهم العلمي والفني بعد ثلاثين عاما ، مما يستلزم التفكير في ان تكون برامج التعليم والتدريب مناسبة بحيث تمكنهم من استيعاب الاعمال التي تناط بهم ، وكذلك ضرورة مراعاة سياسة التعليم والتدريب المستمر لجميع المستويات ، وعلى سبيل المثال لو نظرنا الى تخلفنا التكنولوجي والاجتماعي الان ، بالمقارنة ببعض الدول المتقدمة ، لوضحت لنا الفجوة الكبيرة والتي يعتبر من مسبباتها ضعف الكفاءة الانتاجية في بعض القطاعات الهامة بسبب نقص التدريب او الامكانات اللازمة .

وتضافر الجهود في التعليم والتدريب وتوفير الامكانات اللازمة للعمل ، تمكننا من معالجة هذا القصور في الانتاج ..

واما بالنسبة لمجال البحث العلمي ، فان النظام الاساسي في جميع مراحل التعليم لا يمكن ان ينتج باحثا متميزا الا اذا انتهج نهجا خاصا غير الاستظهار او الحفظ ، وان يكون هناك من وسائل التقييم ما يتيح لاصحاب القدرات المتميزة الظهور والنبوغ في المراحل المبكرة من تعليمهم ، وهناك امثلة كثيرة في العالم لمثل هذا النوع من التعليم ..

وكنا في مصر قد بدأنا هذا النوع فيما سميناه المدارس النموذجية ، حبذا لو اعطى هذا الموضوع الاهتمام اللائق به ، لتكون هذه المدارس نواة لتفريخ القادة في كل مجالات العلوم والفنون ..

الى تطور الحيـــاة

● نعمان عاشور ●

اى محاولة لوضع الثقافة فى غير وضعها الصحيح ، وهى انها الكيـــان الاساسى للتطور سياسيا واقتصـــاديا واجتماعيا ـ يحرمنا من وضع ايدينا على جوهر الجمود ، فالجمود الذى قد نلحظه فى كافة مجالات النشاط اليومى وغير اليومى ، مبعثه اساسا اننا لا نضع الثقافة فى وضعها الصحيح ..

فالمقصود بالثقافة هو التوعيـة التى تكفل للمواطن ان يكون بكيانه كفــرد صاحب راى ولفرة ثاقبة الى الحيـاة من كافة جوانبها . وهذا يعنى الاهتمام بالقضايا العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهو الشيء الذى لا يمكن تحقيقه الا بتوسيع مدارك المواطن الفرد ومعارفه ، واطلاق ملكاته وفكره بحرية تكفل له مثل هذا الوعى ..

الثقـــافة الان لا تعنى الـــكتب والدراسات بقدر ما تعنى النظرة التى تطور الحياة ، ومما يؤسف له اننا دائما نضع الثقافة بهذا المعنى فى ظل من تقديرنا .. فانا اقول مثلا ان الدعوة الحالية لمحو الامية لا يجب ان تقتصر وليست هى بالفعل تعليم القراءة والكتابة ، وانما هى تقـــديم المادة الثقافية التى ترفع من مستوى المواطن فى عصر توافرت فيه المعبرات الجماهيرية الضخمة وعلى صورة لم يسبق لهـا مثيل من قبل ، وهى معبرات شعبية جماهيرية بالدرجة الاولى ، على راسها التليفزيون والاذاعة والسينما والمسرح والاغنية والموسيقى ..

فان تقديم المادة الثقافية الجادة من خلال مثل هذه المعبرات كفيــل بمحو



الامية . وقد يكون انجح من مجـــرد تعليم القراءة والكتابة بالنسبة للمواطن العـــادى ..

والدليل واضح لدينا .. اننـــا نقـوم بمحاولات متصلة منـذ سنوات لمحو الامية ، هذه المحاولات لم تؤد الا لنتيجة ضيقة غير محسوسة . واخشى ان اقول غير ناجحة .. ولا يمــكن ان يسدها الا الارتفاع بمستوى المـــادة الثقافية التى يقدمها التليفـــزيون .. والاذاعة والسينما والمسرح ، ورفـــع مستوى هذه المادة يخدم الامى بقدر ما يخـــدم المتعـــلم ، وامامكم عشرات الالاف من المواطنين ، بل واقول الملايين المتزايدة منهم التى تشاهد التليفزيون وتسمع الاذاعة على مدار الليل والنهار وتقبل على السينما وتستمع الى الاغانى .

فهذا هو ما اعنيه بكلمة الثقـــافة ، وهى يمكن ان تتدرج بهذا المفهوم على ثقافة الطفل ذاته لأنها تعتمد بدورهـــا على المادة الثقافية التى تقدمها هــــذه المعبرات الحديثة والتى اصبحت بازغة بزوغ الشمس فى حياتنا على قدر النهار بطوله وساطعة سطوع القمر فى سمائنا الصافية المشعة ..

لابد أن نفرق بين التعليم والثقافة

● يوسف الشاروني ●



اى حديث عن اى تطور فى مجالات التعليم والثقافة لا يمكن ان يقوم الا على اساس محو الامية .. ولسنا هنا بسبيل البيان عن الوسائل فهناك اكثر من اقتراح ، كما كانت هناك اكثر من محاولة .

محو الامية يخلق قاعدة عريضة تزدهر فيها الثقافة ، ولكن محوالامية ليس عاملا كاملا لأزدهار الثقافة وان كان عاملا اساسيا .

ونحن نعرف ان هناك فرقا بين التعليم والثقافة فكثير من المتعلمين أو اصحاب الشهادات قد لا يقرأون كتابا منذ مجرد تخرجهم ، لان القراءةعادة، وهذه العادة تتكون من الطفولة حتى سن المراهقة ، وهذا معناه الاهتمام بأدب الطفل ، ومكتبات الطفال ، والمكتبات المدرسية ، كما أن للاسرة دورها فى ذلك .

واذا كانت الثقافة لا تقتصر على الكتاب ففى عصرنا الحاضر هناك اكثر من وسيلة يستمد منها الفرد ثقافته مثل وسائل الاعلام ، ويهذا يجب بحث الصلة بين الاعلام والثقافة ، بحيث لا يكون الاعلام كله لمجرد التسلية بل يتضمن وسائل لتثقيف الجماهير العريضة بمختلف مستوياتها

● مع طبيعة العصر ●

ومما يجب ذكره هنا أن اشرطة التسجيل اخذت تنافس الكتاب ، وهذه بدورها يمكن الا تقتصر على مجرد الاغانى ، وكم كنت اتمنى ان تكون هناك اشرطة بصوت د. طه حسين مثلا لنسمع عليها كتاب « الايام» على سبيل المثال ...

فربما كانت هذه الطريقة اكثر تمشيا مع طبيعةالعصر التى قد لا تقبل على الكتاب اقبالها على الشريط المسجل . وقد كانت مؤلفات روادنا امثال العقاد ، طه حسين ، المازنى كامل الكيلانى ، ... الخ من وسائل توحيد العالم العربى قبل ان تصبح هذه الامنية على المستوى السياسى بل انها كانت تمهيدا لها .

● النظرية والتطبيق ●

واخيرا فان النظر الى الخدمات الثقافية باعتبارها خدمات استهلاكية نظر خاطىء ، لانها خدمات انتاجية فهى تكمل عمل وزارة التربية ، حيث ان وزارة التربية تقوم باعطاءالمعلومات الاساسية التى تؤهل الفرد لأن يكون موظفا ، اما أجهزة الثقافة فانها تتيح الفرصة للمواطنين لتنمية مواهبهم فى مختلف فروع الأدب والفنون ، وهذه مهمة ضرورية للمواطن فى حضارتنا الحديثة تساعده بطريقة غير مباشرة على انتاجه فى فروع قد لا يبدو ان لها علاقة بالثقافة ..

وعلى سبيل المثال فان ثمن الكتاب لا يجب ان يقوم على اساس ما يدره من ربح ، بل على اساس ما يقدمه من نفع لقارئه ، وان يصل اليه بكل الطرق الممكنة ، ومن بين هذه الطرق انخفاض ثمن الكتاب .

والمهم هو التنفيذ ، لان هناك هوة بين النظريات والتطبيق عندنا وبين الاماني وتحقيقها ، ومشكلة الثقافة تعانى من هذه الهوة .

فازدهار الثقافة مرتبط ايضا بنجاح النظريات وتطبيقها .



حنين..

● مهدى محمد سعيد ●
● الخرطوم - السودان ●

مَلَكٌ طَرِبْتُ لصمتهِ وبيانِهِ ... وتلوتُ آى السحر من أجفانه
يفتر عن درٍّ صقيل ناعم ... ويضوع طيب الزهر من أردانِهِ
يامَن تعشقتِ النفوسُ جمالَهُ ... رحماكَ فى قلبى وفى وجدانه !
كنْ ياجميل كما تشاءُ وترتضى ... فأنا الذى لعب الهوى بجنانه
متشوقٌ أبدا وأنتَ نعيمُهُ ... وحديثه الداعى إلى تحنانِهِ
يازينةَ الدنيا وبهجة حسنها ... وجمالها المزهوُّ فى ريعانه !
أنتَ الحياةُ وأنت منبع فنها ... للعبقرىّ يعب من شطآنه !
فلطالما هتفت بحبك مهجتى ... ولطالما صدحت على أفنانه !
كم أشتكى ، فيحولُ دون شكايتى ... شوقى وإخلاصى إلى سلطانه !
وتذوب آمالى وتذهبُ فكرتى ... وأبيتُ تواقا الى إحسانه !
لكننى أخشى الجمال وسحره ... وعجيبَ طلعته وعطفة بانه
وأهابُ مكحولَ النواظرِ راميا ... بسهامه متبسما بجمانه !
إن ضلَّ قلبى فى غرامك يا منى ... فالحب والتقديس ملءُ كيانه !
تخذَ المحبةَ والمحاسنَ ثورةً ... وسبيله الهادى إلى إيمانه !

من واقع الحياة

مأساة رجل غير موهوب

● هذه حكاية رجل يسمى كارلوس طومسون ظن نفسه موهوبا في التمثيل لان الله اعطاه وجها وتكوينا بدنيا جميلين يعجبان النساء ، ولكنه تبين بعد بعض التجارب انه غير موهوب .. فقرر ان يكون اديبا ، وحسب ان الافكار القليلة التي كانت تدور في راسه تكفي لتصنع منه اديبا ومفكرا ذا شهرة ومكانة بين الكاتبين في عصرنا هذا ..

وكان قد تعرف اثناء عمله القصير في التمثيل على ممثلة المانية كبيرة ذات شهرة عالمية هي ليلى بالمر . وكانت ليلى قد نالت نجاحا كبيرا في السينما في بلادها ، ثم انتقلت الى هوليوود حيث تألق نجمها بضع سنوات ، ومن كبار افلامها التي اشتهرت في الدنيا كلها فيلم « خطاب من امرأة مجهولة » للقصصي النمسوي ستيفان تسفايج. وبعد أن اخذت حظها من النجاح وجمعت مالا عريضا ، وعندما بلغت الخامسة والخمسين ، قررت الاعتزال بأموالها في سويسرا ، فاشترت ضيعة قريبة من زوريخ ، وهناك احالت نفسها على المعاش ..

وكانت قبل ذلك قد تزوجت من كارلوس طومسون ، وهو ارجنتيني الاصل ، وقد وجد هو في الزواج منها عوضا عن عدم التوفيق في السينما ، وظن انه اذا توفر له المال والحياة الطيبة الرخية دون هموم ، استطاع الكتابة والابداع .

واعتزل مع زوجته ليلى بالمر في بيتهما الريفي قرب زوريخ ، واصبحا زوجين سعيدين ، فاما هي فقد كرست نفسها لاسعاد زوجها ، اذ وجدت فيه رجلا صادقا وزوجا مخلصا ، واما هو فقد اختص نفسه باحسن غرفة في البيت ، واثثها بافخر اثاث المكاتب ، وجلس يكتب ، ليخطو بكتاباته الى عالم الخالدين !

وفرغ من أول كتاب له ، وسلمه للناشر ، فقرأه فلم يجد فيه شيئا يستحق النشر .. فاتصل بليلى بالمر وأسر اليها بحقيقة الامر ، وقال لها انه لا يستطيع نشر مثل هذا الكلام البسيط ، فعرضت عليه أن تدفع نفقات الطبع والنشر ليظهر الكتاب في السوق ، ومن يدري فربما كان



• ليل بالمر • الممثلة والكاتبة الموهوبة • ٦٣ سنة • وزوجها غير الموهوب كارلوس طومسون • رغم كل شيء ما زال زواجهما ناجحا • والفضل في ذلك يرجع الى حكمة ليل وبعد نظرها واخلاصها لزوجها

له حظ من القبول ..

***

وخرج الكتاب الى السوق فلم يقبل عليه احد ، وتعرض له بعض النقاد بالنقد الجارح ، وعابوا على دار النشر ان تطبع مثل هذا الكتاب وهي دار محترمة تعودت أن تقدم للناس الكتب الجيدة . وقرأ كارلوس طومسون النقد وعرف حقيقة كتابه كاملة ..

وجعلت ليلى تواسيه وتشجعه على معاودة الكتابة ، وقالت له ان الناس لا يعرفون قدر الكاتب من اول كتاب ، وأنه لابد أن ينشر الانسان كتابين او ثلاثة حتى يستقر اسمه في أذهان الناس .

وعاد الرجل يكتب بنفس الطريقة ونفس الاسلوب .. كان يكتب كتبا فلسفية تضم خواطر وآراء لايتذوقها الا كاتبها ، وحاولت ليلى أن تغرى الناشر بنشر الكتاب الثاني بنفس الطريقة الاولى ، ولكن الرجل اعتذر محافظة على اسم داره ، فلجأت الى ناشر آخر ، وتحملت نفقات النشر ،



في هذه الملابس الغريبة وتحت تلك القبعة الارجنتينية العريضة لقي كارلوس طومسون مندوب مجلة بونتي فاعطى الناس فرصة اخرى للضحك والسخرية منه

وظهر الكتاب في الأسواق ، فلم يكن حظه بأحسن من حظ سابقه !

وعرف كارلوس طومسون جلية الامر ، فساء ظنه في الدنيا والناس ، وان زاد حبه لزوجته ، ولكنه حسب ان حياة الاعتزال في قرية جبلية ربما لم تكن معينة على الالهام ، فطلب الى زوجته ان يستاجر مكتبا في مدينة زيوريخ ليعمل فيه ويتصل بالناس ويداخل النقاد ويندمج في الحياة ، ووافقت . وبالفعل استقر صاحبنا في مكتب فخم في وسط زيوريخ . واخذ يتصل بالناس ويتعرف على الصحفيين والتفت حوله جماعة من الطفيليين يزينون له أدبه وكتبه ليحصلوا على ماله ، ومن بين هؤلاء عدد من البنات المتسكعات على ابواب الصحافة والفن ، وجرت الالسن بالاشاعات في زيوريخ كلها باخبار علاقات كارلوس طومسون ببنات صغيرات وغانيات خليعات . وآلم ذلك ليلى بالمر أشد الالم ، خاصة وقد تأكدت من حقيقة علاقات زوجها هذه ، ولكنها في النهاية وجدت له بعض العذر ، فقد كانت تحبه وترثى له ، وتعرف انه رجل واسع الطموح ولكن ملكاته لا تتناسب مع طموحه ، فهو مسكين خائب الامل ، ولهذا فقد عذرته وتغاضت عن اخطائه ، ودفعت نفقات نشر كتابه الثالث الذي كان أسوأ ما نشر ، لان الرجل أراد ان يأتي بجديد فكتب رواية هذه المرة ، وظهرت الرواية في السوق فتلقاها النقاد بالنقد الجارح وقالوا انهم لم يقرأوا أسوأ من هذه الرواية ! ..

والنقاد في الغرب ناس اقوياء يثق الناس بما يقولون ، فكان اجماع النقاد على تفاهة هذه الرواية ضربة اليمة لليلى وزوجها كارلوس طومسون .

وذاعت انباء كثيرة وخلافات بين ليلى بالمر وزوجها ، حتى قال بعض

[redacted]

الناس انهما على وشك الطلاق ، وبادرت ليلى فكذبت هذه الحكايات ، وعادت الحياة الى مجراها الهادىء بين الزوجين .

***

وطالت عزلة ليلى بالمر من الناس ، لان زوجها كارلوس طومسون اصبح يقضى أوقاتا اطول فاطول فى مكتبه فى زيوريخ ، ثم صار يقضى فيه الليالى ، وكانت ليلى تقترب من الستين فرات أن الحكمة تقضى بالسكوت والرضا بما يكون . فهى ليست فى سن يسمع لها بهزات عصبية وطلاق ومحاكم ومتاعب ووجع دماغ ..

وخطر ببالها وهى فى عزلتها أن تتسلى بالكتابة ، وكانت لديها افكار روايات لا بأس بها ، فنهضت لكتب واحدة منها ، ووجدت متعة فى الكتابة وتسرية عن همومها ، ووضعت فيها كل احاسيسها ومشاعرها ، وفرغت من الرواية دون ان تقول لزوجها شيئا ، فقد كانت تخجل أن تقول انها كاتبة .

وكانت ذات مرة فى مدينة زيوريخ لبعض شأنها ومعها روايتها ، فالتقت بالناشر الكبير الاول فى احد المطاعم ، وحدثته عن روايتها وهى خجلى ، وكان الرجل يقدر مكانتها وشهرتها فى عالم الفن ، فاستأذنها فى أن يقرأ الرواية فدفعتها اليه .

وبعد اسبوعين فوجئت ليلى بالناشر على التليفون يبدى لها اعجابه بالرواية ويؤكد لها انها من احسن ما قرأ فى السنوات الأخيرة ..

والرواية كانت مزاجا من ذكريات الطفولة والصبوة وما يقع للشباب فى محاولات الحب الاولى ، وكانت ليلى صادقة فى كل ما قالت ، فقد روت بكل اخلاص حكايات غرامياتها الاولى فى بلدتها فى المانيا ..

وخرج الكتاب الى السوق ، فاذا به يطير طيرانا ، وفى مدى اربعة اشهر بلغ المبيع من الرواية مليون نسخة ، وفاضت انهر الصحف بالنقد والتقدير ...

وذهل كارلوس طومسون لهذا الامر وقرأ رواية زوجته فاحس بالفعل انها رواية اصيلة جديرة بالقراءة . وهنا شعر بالم بالغ ، فللمرة الثانية تثبت زوجته انها موهوبة وموفقة فى مبدانين فشل هو فيهما هما : التمثيل والتاليف ! ..

وبدا يتمرد على زوجته ويحاول الحط من قدرها انتقاما لكبريائه الجريحة ، وعلى عادتها اغمضت عينيها وتغاضت عن الاساءة ، ومضت على عهدها من المحبة والرقة مع زوجها ، حتى خجل من نفسه واقلع عما كان سادرا فيه . .

وعاد الناشر يطلب من ليلى رواية ثالية ، فكتبت مرة اخرى واجادت . فى هذه المرة دارت روايتها حول صراع طلاب الفن فى معاهد التمثيل والتصوير ، وما يكون بينهم من المآسى والصراعات ، وادارت روايتها على بنت حلوة ضحى بها ثعالب الفن وارادوا القضاء عليها حتى تبناها مخرج عجوز كان قد اعتزل العمل ، ولكنه عندما عرف هذه الصبية ورأى موهبتها تبناها ، وعاد الى الاخراج ، فاخرج لها رواية لقيت اعظم النجاح ، وقررت البنت التى اصبحت نجمة ان تعرض على الشيخ ان تتزوجه وتهب نفسها له ردا لجميله ، وكان الرجل الى ذلك الحين عزبا لم يتزوج ، فرفض ضنا بها على نفسه ، فمازالت به تهدده بمقاطعته اذا لم يتزوجها حتى وافق ، **وتزوجها وسعد معها وارتد اليه شبابه فعاد الى الاخراج بكامل قواه ..**

وهكذا أتت لليلى بنهاية سعيدة ، تختلف عن النهايات السعيدة للروايات

الجارية ، وسمت روايتها ((سـعادة بسعادة)) .. ولقيت الرواية نجاحا فاق نجاح روايتها الاولى اذ بلغ المبيع منها مليونا ونصف مليون في عام واحد، وترجمت الى اللغات الاوروبيـة واصبحت حدثا ادبيا . . .

***

وهنا لم يطق كارلوس طومسـون الصمت ، فمضى يتكلم وينقد روايات زوجته ، ويقول كلاما انكره الناس منه ..وسكتت هى فلم تنبس حتى خجل من نفسه ، ومضت هى تكتب روايتهـا الثالثة ..

ووجد هو أن الأوفق له الا يكتب، فليس من الضرورى ان يجعل نفسـه ضحكة الناس الى النهاية ، وكفى انه يعيش عيش الملوك مع زوجة مخلصة لا تعرف الاساءة أو الاذى ...

***

وخطر ببال صحفى المانى يسـمى ماتياس نولتى يكتب فى مجلة «بونتى» الاسبوعية الذائعة الصيت فى المانيا أن يتحرى موضوع كارلوس طومسـون وزوجته ليلى ليكتب فيه . وهـذا الصحفى يحرر بابا اسبوعيا من ابواب هذه المجلة التى تبيع خمسة ملايين نسخة كل أسبوع ، وهى تصدر عن دار « بوردا » التى تنشر مجلة الازياء الذائعة الصيت بهذا الاسم ، وصاحب هـذه الدار هو فرانتس بوردا . . والمحرر المراد هنا يكتب بابا من ثلاثة اقسام يجمع فيه اخبار الناس : ناس من الأمس وناس من اليوم وناس من الغد ..

وجمع ماتياس نولتى مادته وكتب عمودا فى بابه عن مأسـاة كارلوس طومسون وخيبته ونجاح زوجتـه ، كتبه بأسلوب لاذع كعادته ..

وقرأ كارلوس طومسون العمـود وقامت قيامته فجلس الى مكتبه وكتب خطابا الى المحرر يعتبر من اسوأ ما يمكن ان يكتب الناس ، وفى هذا المقال شتم المحرر شتما قبيحا وتحدث عن نفسه فقال انه من جنس رجال اشداء هم اهل الارجنتين ، وانهم فى بلده لا يقبلون الاهانات ولا يعرفون ردا عليها الا طلب المبارزة . وبالفعل دعا هـذا الرجل الذى خرج عن طوره الصحفى الالمانى الشاب ((٢٥ سنة)) الى المبارزة وطلب اليه أن يحدد السلاح والتاريخ ويأتى مع شهوده فى الفجر فى ذلـك التاريخ ..

وقرأ المحرر الخطـاب وانفجر ضـاحكا ، ثم اسرع به الى فرانتس بوردا واقرأه اياه ، واسـتقر رأى الاثنين على نشر الخطاب بنصه .نكاية فى كارلوس طومسون لكى يعرف الناس حقيقة إمره .

ومن حسـن حظ كارلوس انه فى خطابه لم يشر الى زوجته ليلى بسـوء ، بل امتدحها وقال انها اكمل امرأة عرفها وانه تزوجها لأنه احبها ومازال يحبها ، وان هذا الصحفى اراد الايقاع بينه وبينها ...

ونشر الخطاب وقرأته المانيـا كلهـا وضحكت منه ، واستدعى كارلوس طومسون صحفيا من المجلة ليستوضحه عن موضوع المبارزة ، فقـال له ان ماتياس نولتى سيرد عليه فى العدد التالى من بونتى .. وبالفعل رد الصـحفى وقال ان كارلوس طومسـون لابد ان يكون قد جن ، فهو يعلم ان الصحفى لم يستعمل أكثر من حقه عنـدما كتب ما كتب، وانه لا يستطيع ان يستجيب لطلب المبارزة لانها ممنوعة فى المانيا ، واضاف فى نهاية كلمته عبارتين لاذعتين: الاولى تقول ان كارلوس طومسون

[redacted]



الصحفى الطويل اللسان
ماتياس نولتى الذى اثار
ماساة الرجل غيـــر
الموهوب وجعله ضحكة
للناس

بعد ان فشل فى ميدانين لا ينبغى أن يتعرض للفشل فى ميدان ثالث وهـو المبارزة !

والثانية أن مجلة « بونتى » حققت لكارلوس طومسون حلما ما كان يصل اليه أبدا ، فقد نشرت خطـابه وطبعت منه خمسـة ملايين نسخة ! وما كان الرجل ليحلم بأن يطبع من اى شيء يكتبه عشر نسخ !

وقرات ليلى ما كتب ماتيـاس نولتى وشعرت بالألم لزوجها والرثاء لحاله ، فقالت له : ما رايك فى أن تقوم برحلة تطوف فيها بأرجاء العالم وتقضى بضعة شهور فى بلدك الارجنتيـــن .. ومن يدرى فلعلك تكتب هناك كتابا ناجحا.

ونظر اليها زوجها طويلا وقال :

ـ سنقوم بالرحلة ، ولكن اغلب الظن انك انت التى ستكتبين الكتاب الناجح.

وهنا عرفت ليلى « ٦٣ ســـنة . » . ان زوجهـــــا عاد الى صــوابه ، لانه صــارح نفســه بحقيقتهـمـــا !

ح . م

قبضوا عليها.. وحبسوها.. فأنقذوها!



كانت كريستينا اوبل المعروفة فى اوروبا باسم بوتسى على وشك الضياع فقد انحرفت وادمنت المخدرات ، ثم دفعها الطيش الى الدخول فى تجارتها.

وقبضوا عليها وقدموها للمحاكمة بتهمتين : ادمان المخدرات وتجارتها ..

وقال الناس ضاعت المليونيرة بنت آدم اوبل منشىء شركة السيارات



المعروفة فى المانيا ..

ولكن كريستينا عولجت فى السجن وشفيت وعاد اليها رشدها وخاصة عندما سمحوا لها بان ترى ابنتها مرة فى الاسبوع .

وتقدمت بشكوى تطلب العفو واطلاق سراحها وشطب السابقة الاولى وتم ذلك كله ...

وخرجت كريستينا من السجن شابة صحيحة سليمة نظيفة الاسم لتعيش مع ابنتها فى فيللتها فى سان تروبيز فى جنوب فرنسا ..

وهانت تراها يوم قبضوا عليها وساقوهاالى السجن وقال الناس ضاعت ... ثم تراها كما هى اليوم تلاعب ابنتها فى حديقتها وقد بدات حياة جديدة .



الجميلة غاضبة

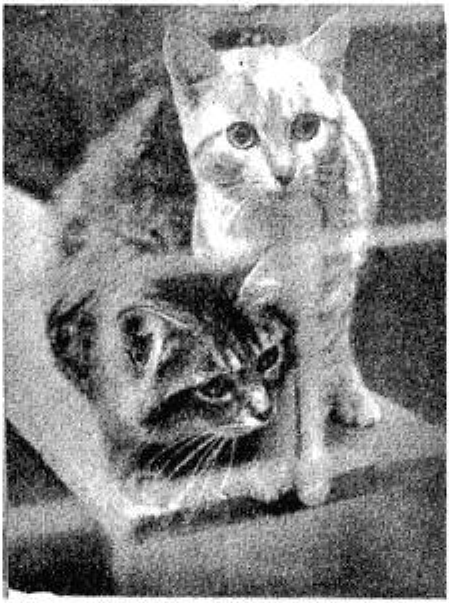
الجميلة هي صوفيا لورين ، احدى فاتنات الدنيا في عصرنا هذا ..

وهي غاضبة لان زوجها وصاحب الفضل عليها كارلو بونتي المنتج السينمائي زاغت عيناه واستقرتا على شابة حلوة ليضفي شيئا من الدفء على خريف عمر تجتاحه الاعاصير ..

وصوفيا تفخر دائما بانها من يوم ان تزوجت كارلو لم تنظر يمينا او شمالا ، انما هو زوجها وكفى ..

لهذا آلمها ذلك الانحراف من زوجها المسن ، وغاضبته في البيت والعمل والطريق .. والصورة التي ننشرها هنا تريك الجميلة الغاضبة بعد خروجها من مطعم في باريس ووراءها زوجها يحاول ان يلاحقها ويسترضيها.

وفي ركن الصورة ترى كارلو بونتي وسبب غضب الجميلة وهي الشابة الحلوة التي اطارت صواب المنتج العجوز .



مأساة بوتسى وموتسى

مصانع الادوية في المانيا في حاجة الى قطط صغيرة كاملة الصحة في سن ستة شهور لاجراء تجارب عليها .

وقد جربت المصانع ان تربى هذا الصنف من القطط فتبين لها ان القطة الواحدة تتكلف منذ ميلادها الى ان تبلغ شهورا ستة في صحة ممتازة ٢٥٠ ماركا وذلك مبلغ جسيم .

لهذا لجأت الى طريقة اخرى . اعلنت انها تشترى القطة الشابة السليمة في سن الشهور الستة بخمسة ماركات ..

وانطلق لصوص القطط يبحثون عن هذا النوع من المخلوقات وما اكثرها في البيوت . وهنالك في المانيا لا ترى قططا ضالة في الشوارع ، لان القطط توجد في البيوت فحسب ، ولكل قطة صاحب وبطاقة ورخصة .

وفي بحر عامين اختفت ١٥٠٫٠٠٠ قطة من هذا النوع ، سرقت وبيعت الواحدة بخمسة ماركات .

وفي المعامل تتعذب هذه القطط عذابا لايتصور ، فهم يعطونها حقنا ويدخلون في اجسادها انابيب ويفتحون افواهها بالات ويصبون فيها محاليل ويستخرجون منها دما وعصارات معدية وكبدية واشياء اخرى للدراسة والتحليل وفي النهاية يعطونها حقنا قاتلة ثم تحرق جثتها .

وهذا ماحدث للقطتين الجميلتين اللتين تراهما في الصورة ، واسمهما بوتسى وموتسى ، وكانتا ملكا لمديرنك فنى . كانتا تعيشان في فيلا انيقة وتمرحان في حديقة وارفة الظلال وتتغذيان على اغلى المأكولات المعلبة خصيصا للقطط ..

وكانت النتيجة ان سرقهما لص قطط وباع الواحدة بخمسة ماركات ودخلت المسكينتان جهنم مصانع الادوية .

وثارت ثائرة صاحبهما واثار القضية على صفحات الصحف ، ولكن ماذا يعمل ومعظم لصوص القطط من الصبيان الذين يسرقون قطط الجيران ويسرعون بها الى المشترين ؟



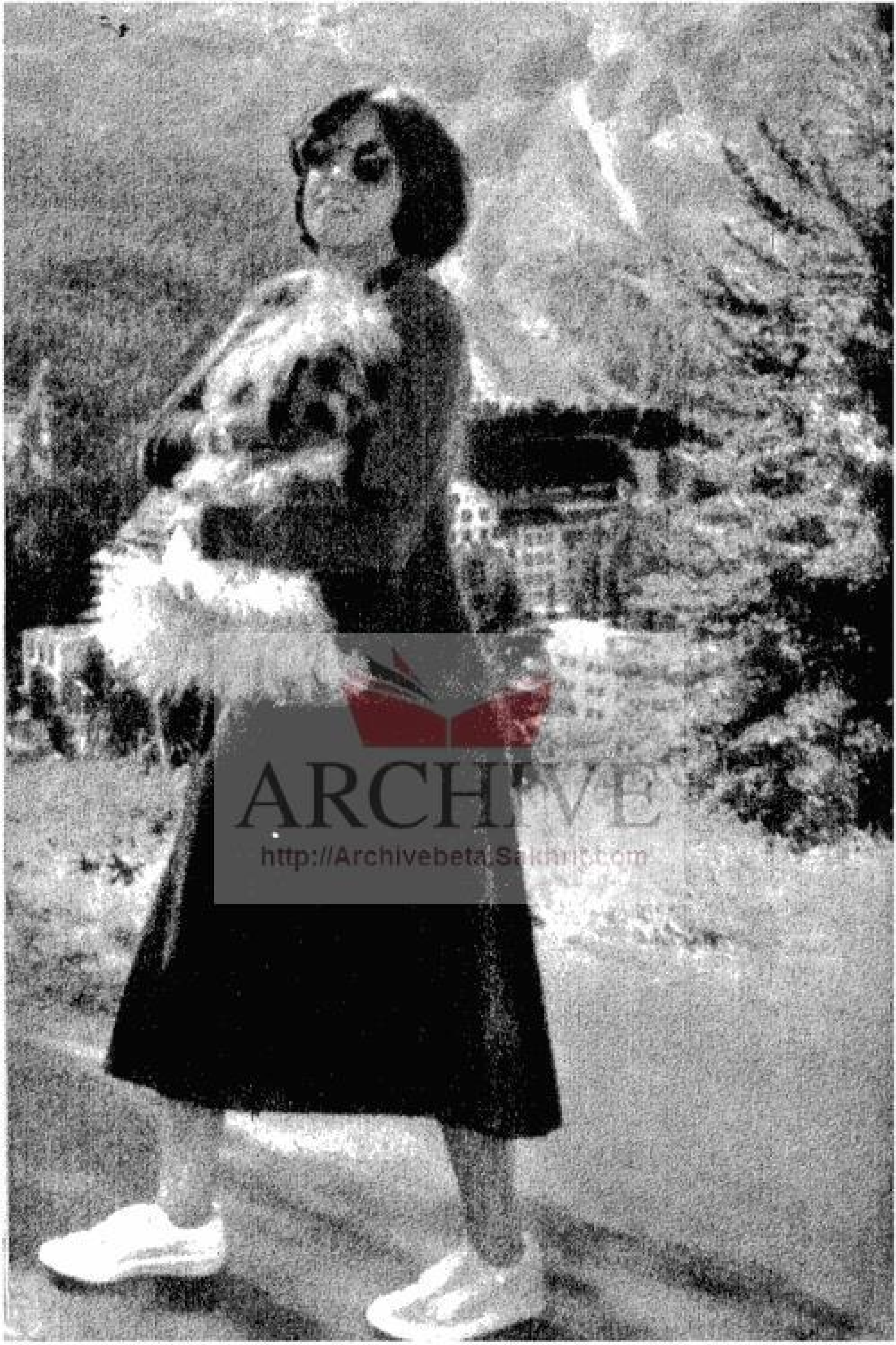
هكذا .. تغنى

استعرنا هذا العنوان من اسم ديوان للشاعر الراحل محمود حسن اسماعيل : هكذا اغنى ...

والتى تغنى هنا هى كريستينا اوناسيس وريثة المليونير اليونانى ارسطاليس اوناسيس الذى كان اصدقاؤه يدللونه بلقب آري . لقد تزوجت الشاب الروسى سيرجى كاوستوف وقال الناس يومئذ ان الروس دبروا مؤامرة لتزويجها من ذلك الشاب للاستيلاء على اموالها . وقال بعض الصحفيين ان سيرجى رجل مخابرات روسية ، وطالب اليونانيون بضرورة الطلاق .

ولكن كريستينا تمسكت بزوجها ، وبدلا من ان تعيش فى روسيا اقنعته بان يترك وطنه وعمله ويعيش معها فى فيللتها فى سان موريتز فى سويسرا .

والان تعيش المليونيرة السعيدة مع زوجها فى هدوء بعيدة عن الاعاصير .. وهانت تراها فى حديقتها كانها سيدة بيت عادية محدودة الدخل تحمل كلبها وتغنى سعادتها ساخرة من المخابرات الروسية وطول السنة بعض الصحفيين .



الحب والحرب في القصر الكبير

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

- ١ -

● اليوم السبت ٨ من المحرم عام ١٥٩ هـ - ٧ من نوفمبر ٧٧٥ م ، وبغداد دار السلام تعيش في اوج مجدها ،وتستقبل يوما جديدا من أيام عظمتها ، في خلافة المهدى العباسى ، وقصر الخلافة يعلوه الأبهة والسلطان ، ويحيط به المجد والجلال من جميع نواحيه ، والحراس والجنود واقفة على أبوابه ، مشرعة السيوف والحراب - اذا امراة تقف امام الحراس ، تسالهم عن جناح الخيزران سيدة القصر ، وزوج الخليفة المهدى ، وتطلب الاذن بالمثول بين يديها .

ونظر الحراس اليها شزرا ، انها امرأة لا يرى الناس اجمل منها ، ولا أسوأ حالا كذلك منها ، وعليها ثوب ، ما تستتر ببعضه موضعا من بدنها الا انكشف موضع آخر ، وهى مع ذلك فى أنفة الملوك وكبريائهم .

وطردها الحراس من أمام باب قصر الخلافة ، فبكت ، ووقفت بدموعها بين يأس الانصراف وأمل المثول بين يدى سيدة القصر .

وعاد احد الحراس ، يسألها عن اسمها وقصتها ، فبكت ، وكان البكاء هو الجواب ، لم تقل شيئا ، ولم تكشف عن شيء من مأساتها . وقالت : انني أريد مقابلة الخيزران ، ولا عليك من اسمي ولا من قصتي ..

ورق قلب الحارس لها ، فأوصلها الى وصيفة الخيزران ، وأرادت الوصيفة أن تعلم شيئا من أمر هذه السيدة المجهولة ، ومن مأساتها وقصة حياتها وسبب طلبها لمقابلة الخيزران ، ولكنها لم تفز بجواب ، وقالت لها الوصيفة : اذن فانتظرى حتى أعود اليك .

وفجأة دخلت الوصيفة على الخيزران فى مجلسها من قصر الخلافة ، حيث تجلس بجوارها زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي العباسي ، وقالت في أدب وقوة : سيدتي . وردت عليها الخيزران : ماذا وراءك يا ميمونة ؟ وأجابتها ميمونة : هناك سيدة بالباب ما رأيت أجمل منها ، ولا أتعس ولا أشقى حالا من حالها ، تلبس ثوبا مرقعا ما تستتر به جزءا من جسدها الا انكشف جزء آخر ، وعليها وسم العز والشرف والكبرياء ، وفي لهجتها عذوبة وحنان ، وهي تستأذن في المثول بين يدي مولاتي .

والتفتت الخيزران الى ضيفتها : زينب بنت سليمان قائلة :

- ماترين ؟

وردت زينب:هل سألوها عن اسمها وقصتها ؟ وردت ميمونة : سألناها ، ولم ترد الافصاح عن شيء ابدا ، وكل ما ترجوه الاذن لها بالمثول بين يدى سيدتي ..

قالت زينب : لا ضير ، عودى اليها ، فاعيدى سؤالها عن اسمها وقصتها ، ثم ارجعي الينا، والرأى بعد ذلك لسيدتي الخيزران .

الوصيفة ميمونة : قد والله جهدت ، ومكثت معها وقتا طويلا ، لعلها تبوح باسمها وقصتها ، فما فعلت ، وأرادت الانصراف فمنعتها .



زينب بنت سليمان : وماذا عليك أن تاذني لها ، فانك منها بين مكرمة أو ثواب ؟

والتفتت الخيزران الى الوصيفة : ائذني لها ،لتدخل .

وذهبت الوصيفة ميمونة، ثم عادت ومعها امرأة تحاكي الخيزران جمالا وعظمة ، ولكنها في تعاسة وسوء مظهر وشقاء حال ، مما لا يستطيع بيان البلغاء التعبير عنه ، وهي تسير على البساط المدود ، وتقف في مواجهة الخيزران فى أدب ونبل ، وتقول : السلام عليكم ...

والتفت الخيزران متعجبة ، وهي تحدق النظر فيها ، وقالت : وعليك السلام ، من تكونين ؟

ـ أنا مزنة امرأة مروان بن محمد .

ووقعت الصاعقة !

مزنة امرأة مروان بن محمد ؟! عجب في عجب ، انه الشيء العجيب والخبر الغريب ..

وأخذت الخيزران تتعجب فى نفسها وتقول فى داخل جوانحها : مزنة امرأة مروان بن محمد قصة انتهت منذ سبعة وعشرين عاما ، ولا يعقل أن تعود مرة أخرى بعد هذه المدة الطويلة ...

وقالت : مزنة امرأة مروان ؟!

وردت الضيفة الوافدة : نعم سيدتى أنا مزنة .

وردت الخيزران : مزنة ، مزنة امرأة مروان ، لا حياك الله ولا أقر عينك ! . الحمد لله الذى أزال نعمتك وعزك ، وصيرك نكالا وعبرة ، أتذكرين **يا عدوة الله حين أتاك أهل بيتى ، يسألونك أن تكلمى الخليفة مروان بن محمد فى خلافته ليأمر بانزال جثمان ابراهيم بن محمد العباسى عن الخشبة التي أمر بصلبه عليها ، فتلقيتهم بلقاء خشن ، وطردتهم من بيتك طردا غير حميد ؟! .. الحمد لله ، الذى أزال نعمتك ونعمة آل مروان ..**

وابتسمت مزنة فى أدب وحلم وطول أناة وثغرها يتلألأ ، وقالت : أى شىء يا بنت عم ؟. أى شيء أعجبك من صنع الله عز وجل بى على العقوق ، حتى أردت أن تتأسى بى ، السلام عليكم..

وسارت مزنة، ثم سارت الى الوراء، ثغرها يبسم، وقلبها يبكى ..

***

وأخذ يطوف بخيلد مزنة أيام عزها فى دمشق ، عاصمة خلافة بنى أمية الجميلة ، وحاضرة ملك زوجها الخليفة مروان بن محمد، أخذت تذكر طفولتها وشبابها وزفافها الى مروان ، وكيف آلت الخلافة الى زوجها ، فكان الثالث عشر فى سلسلة خلفاء الدولة الأموية ، ولعله أصابه شؤم هذا الرقم المنحوس، فأخذ عرشه يهتز اهتزازا عنيفا ، ينذر بالخطر ، وبانتهاء خلافة بنى أمية وعرشهم .

وذكرت فيما تذكرته فى المحنة القاسية أو اللحظة الدامية الأحداث العاصفة التى مرت بزوجها وهو خليفة لمدة ست سنوات قصار معدودات (١٢٦ ـ ١٣٢ هـ : ٧٤٤ ـ ٧٥٠ م)، وتذكرت الأيام العصيبة التى قضاها مروان فى الخلافة منذ بايعه شعب الشام بالخلافة فى المسجد الأموى ، ثم فى قصر الخلافة !

ثورة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بالكوفة ..

وثورة ابراهيم بن محمد بن علي العباسي بالشام .

وثورة أهل حمص ، فأهل فلسطين .

وثورة ابن عمه سليمان بن هشام ابن عبد الملك .

وثورة الضحاك بن قيس الشيباني ، التي لم تنته احداثها الا عام ١٣٠ هـ : ٧٤٨ م .

وثورة أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي ..

ثم تذكرت كيف بايع العباسيون والناس والمسودة في الكوفة لهذا العباسي الثائر الملقب بأبي العباس السفاح .

وتذكرت معركة الزاب ، وما أدراك ما معركة الزاب ، وكيف قضى جيش العباسيين فيها على جيوش مروان بن محمد زوجها لليلتين خلتا من شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٢ هـ ، وكيف دارت المعركة تسعة ايام كاملات ، انتهت بهزيمة مروان ، واتصل القتل في جنده ، وكيف هرب مروان الى الشام فمصر ، وكيف طارده العباسيون ، حتى قبضوا عليه في كنيسة في قرية بوصير ، ثم قتلوه في ٢٨ من ذي الحجة عام ١٣٢ هـ - ٧ من اغسطس ٧٥٠ م ، واعملوا القتل في الامويين في كل مكان ، حتى لم يبق منهم احد .

***

وتذكرت مزنة أولادها عبد الله ولي العهد ، وقائد جيوش ابيه في اكثر المواقع ، وعبيد الله وكيف اخذاها وهربا الى الحبشة ، وكيف قتل في الحبشة ابنها عبد الله ، ونجا ابنها عبيد الله في بعض أعوانه ، وكيف عادت هي من الحبشة الى الحجاز ، الى مكة البلد الحرام ، الى بغداد دار السلام ، حتى قادها حظها المنحوس الى القصر ، وها هي ذي تسير مطرودة بأمر سيدة القصر ، وكانت تظن أن الخيزران سترحم كهولتها ، وبخاصة بعد أن اتصل في الناس عدل زوجها المهدي العباسي وبره ، وذاع فضله ومعروفه بين الناس .

والتفتت زينب بنت سليمان للخيزران ، وقالت لها : نعمة ومكرمة ساقها الله جل جلاله اليك ، وهدية منه الينا ، ثم تصنعين معها هذا الصنيع ؟! والله يا خيزران لا يكون اخراجها مما هي فيه من شقاء الا على يدي انا ! .

ونهضت زينب ، وسارت مسرعة ، حتى ادركت مزنة قريبا من باب القصر ، فامسكت بها . واذا الخيزران وراءها تمسك بمزنة ، وتلتفت اليها قائلة :

- المعذرة يا أختي الى الله عز وجل واليك .. فلقد ذكرت حين فوجئت بلقائك ما نالنا من الاحداث في عهد زوجك مروان ، فكان مني ما وددت اني لم انطق به ولم املك حينئذ لساني .. معذرة يا مزنة ..

وهمت الخيزران بعناق مزنة ، فبادرتها مزنة بوضع يدها على صدر الخيزران تبعدها عنها وهي تقول :

- لا تفعل يا أختي ، اني على حال اصونك من الدنو مني بسببها ، ان ثيابي على ما ترين ..

واخذت الخيزران بيد مزنة ، وصاحت بوصيفاتها : ادخلن مع سيدتكن الحمام .

فمضت مزنة الى الحمام ، ومضين معها ، وظلت الخيزران ومعها زينب ، تنتظرانها حتى تعود .

وبعد ساعة عادت احدى الوصيفات الى مولاتها الخيزران ، وهي تقول : قد خرجت مزنة من الحمام ، وهي واقفة الآن امامه ، فقالت الخيزران : خذي بيدها الى الغرفة القريبة لتستريح .

ثم تلتفت الخيزران الى وصيفة اخرى ، وتقول لها : احملي اليها هداياي ، واحملي اليها الطيب .

وبعد قليل عادت مزنة ، وقد لبست الثياب التي أهديت اليها من الخيزران ، وتطيبت . فقامت اليها الخيزران ، وقام معها من في مجلسها ، واخذت

الخيزران ومن معها يعانقنها ، و؛ تقول : اما الان فنعم . ثم احاستها الخيزران بجوارها ، وامرت بالطعام .
فبادرتها مزنة قائلة : والله ما فيكن احد احوج الى الطعام منى .
فلما حضر الطعام اخذت ... تاكل، وتقدم للخيزران ومن معها من الطعام وكانها فى منزلها .. وانتهى الجميع من الاكل ، واخذن يشربن القهوة .
وبادرت الخيزران مزنة قائلة لها : من لك يا مزنة من تحبين ان تكرمه لاجلك من ابناء او اقارب او اهل ؟.
قالت مزنة : الحمد لله ، ليس لى احد من خلق الله تعالى .
قالت الخيزران : اذن ، فهل لك فى المقام عندنا، على ان نخلى لك مقصورة، ونحول اليها جميع ما تحتاجين اليه ، ونتمتع بك وبحسن حديثك ، وقصة حياتك قبل مروان ، وفى خلافة مروان، وبعد خلافته ؟.
وردت مزنة : لقد جئت اليك وانا على اسوا حال ، واذا كان الله عز وجل قد تفضل على بك وبهذه النعمة فلا اقل من الشكر لله ولك ، ادام الله نعمتك ، فافعلى ما تحبين وما يبدو لك.
فنهضت الخيزران ، ويدها فى يد مزنة ، ووراءهما الوصيفات والجوارى، وطافت الخيزران بمزنة فى المقاصير تخيرها وهى تابى ،والخيزران تلح ، حتى اختارت اوسع المقاصير واحسنها فملأتها الخيزران بالجوارى والوصائف والخدم والفرش والملابس والزينة والهدايا . ثم قالت لها :
ـ سننصرف عنك الآن .وهذا منزلك وسنتركك حتى تفرغى من تنظيمه .
وسارت الخيزران ومعها زينب بنت سليمان ، ووراءها جواريها ووصيفاتها، والتفتت الخيزران الى زينب قائلة :
ـ هذه سيدة تعسة الحظ ، قتل زوجها، ثم قتل ابناؤها واهلها،وعضها الفقر بنابه، وليس يدخل عليها السرور الا المال .
ثم امرت أن يحمل اليها خمسة آلاف دينار ومائة الف درهم .وأرسلت اليها تقول لها : هذا المال مالك ، وتحت تصرفك ، فضعيه فى خزائنك ، أما حياتك ومرتبات خدمك ووصائفك فمن خزينة الخلافة ..

***

وبعد قليل امتلأ القصر بالاصوات العالية ايذانا بقدوم الخليفة المهدى . ودخل الخليفة فى مقصورته ليستريح ، وبادرته الخيزران قائلة :والله ياسيدى عندى لك خبر طريف .
قال المهدى : وما هو هذا الخبر ؟
قالت الخيزران : انه لأعجب ما سمعت .
وأخذت تقص عليه القصة كلها ، وهو يتعجب ويقول :
ـ كيف بدأتها بهذه الشدة ؟ هذا مقدار شكرك لربك عز وجل ، وقد أمكنك من عدوك وأظفرك به على هذه الحال التى تصفينها .. والله لولا مكانك منى لحلفت أن لا أكلمك أبدا !
وصاح المهدى فى الخدم ، فأحضرن اليه صرة فيها عشرة آلاف دينار ومائتا ألف درهم ، فحضرت وصيفة من وصائف الخيزران ، فقال لها الخليفة : ناولى هذه الصرة لمزنة ، وأبلغيها سلامى وقولى لها : لولا خوفى أن تحتشم منى لصرت اليها مسلما ومخبرا اياها بسرورى بها ، وقولى لها : الخليفة يقول لك انه أخوك ،وجميع ما ينفذ فيه أمره ينفذ فيه أمرك !.
وسارت الوصيفة فابلغت سيدتها مزنة كل ما سمعته من الخليفة .
فبادرت مزنة بالذهاب الى الخليفة ، ومثلت بين يديه ، فلقيها الخليفة أحسن لقاء ، واقامت فى مجلسه ساعة ،تحدثه بقصتها ثم انصرفت الى مقصورتها ..
واستراحت قليلا ، حتى غلبها النوم فرات طيف مروان ، يسجد لله شكرا ، ويقول لها :
ـ الآن يا مزنة غفرت للعباسيين كل ما كان منهم ، الآن انام بملء اجفانى ، الآن اسلم عرش الخلافة للمهدى بن المنصور ، وعليك السلام ...

معجزة اليابان

هل يمكن أن تتكرر؟

● محمد الحديدى ●

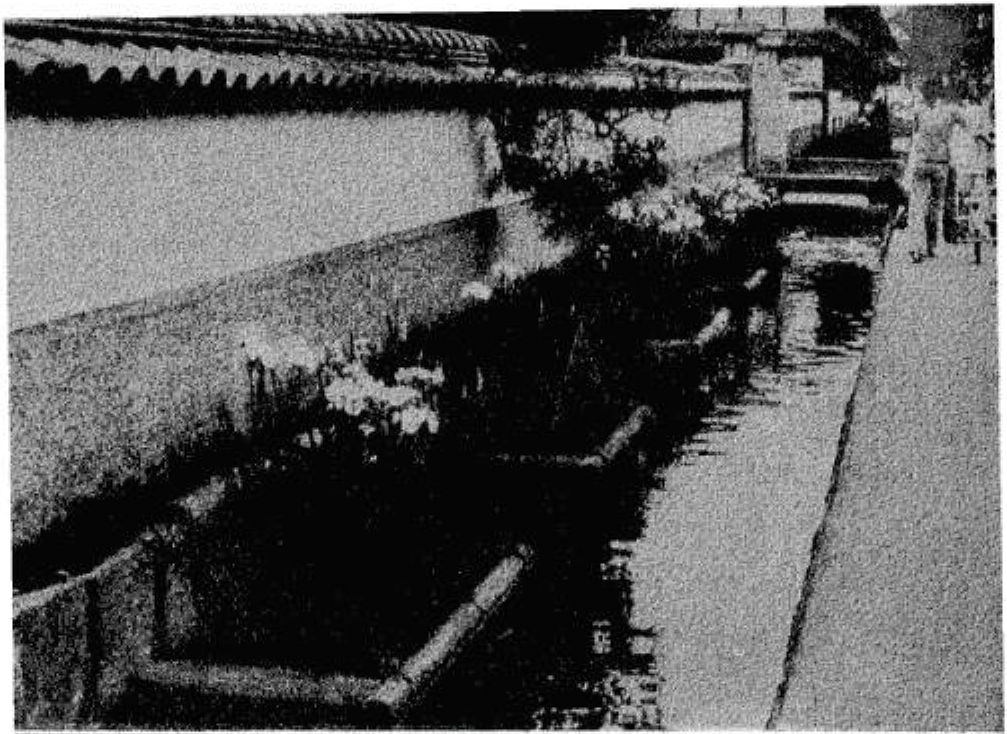
● الاكتشافات العلمية التي ادت الى التطبيق التكنولوجي كما نعرفه اليوم ، ترجع الى اقل من ثلاثمائة وخمسين سنة .. والتكنولوجيا ذاتها ، لا يصل عمرها الى مائتي سنة .. ولكن الحقيقة الاليمة هي ان هذا التطور الذي بدأ في اوروبا وامريكا قد ادى بهذه القوى الغربية الى ان تسود بقية العالم بشكل لايبدو له نهاية ، وبرغم ان تاريخ البشرية ملىء بالحضارات التي قامت واندثرت، فان هذا النوع من الحضارة ــ الحضارة التكنولوجية ــ ومع طبيعة العصر التي تتميز بسهولة المواصلات والتنقل والسيطرة ــ كل هذا ادى الى ان انقسم العالم الى دول متقدمة تزداد كل يوم تقدما ، ودول متخلفة تزداد كل يوم تخلفا ...

وعلى المستوى السياسي ؛ ظهرت صناعة وتجارة السلاح كمورد عظيم للربح على حساب الشعوب المتحاربة ، واصبحت الفتن وسيلة للمزيد من ثراء المجتمعات الصناعية ، وكلما كسدت تجارة السلاح عمدت القوى الصناعية ــ سواء اعترفت بانها رأسمالية او رفعت شعار الاشتراكية ، وكائنا ما كان الذي تعنيه هذه الكلمة ــ عمدت الى خبط رأس هذا الشعب برأس ذاك ، وبيع السلاح لهذا وذاك .. وهكذا تسيل الدماء هنا وتسيل الفلوس هناك ، ويرتفع مستوى المعيشة الى كذا سيارة للاسرة !.

في وسط كل هذا نجد اليابان تنفرد « بمعجزة » لم يسبقها اليها أحد ، ولا نعرف ما اذا كان سيلحقها اليها احد « ربما كوريا » ، وهم نفس الشعب ، ويسيرون الان في نفس الطريق .

ونحب هنا ان نفرق بين نهضة اليابان ونهضة الصين ، فنهضة اليابان نهضة شعب ، شعب استطاع ان ينتقل من اقصى درجات التخلف الى تقدم مذهل .. وهم الان من اكثر شعوب العالم رفاهية واعلاهم في مستوى المعيشة ، وانتاجهم يفوق انتاج العالم في نواح كثيرة على رأسها الصلب الذي اوشك أن يقضي على صناعة الصلب الامريكية بمنافستها داخل الولايات المتحدة نفسها ، وصناعة الساعات الالكترونية التي توشك أن تسقط سويسرا من فوق عرشها القديم .. وهم يحتلون المركز الاول او الثاني في صناعات بناء السفن والالكترونيات والبصريات والتصوير والسيارات ... الخ

كل هذا نتيجة انتقال حقيقي الى عصر الحضارة ، وليس نتيجة « خطة » يرسمها البيروقراطيون ومزاعم للصناعة الثقيلة و .. الخ . والمسألة لاتعدو شحن امكانيات شعب كبير للظهور بمظهر



في اليابان لا تزال « الميزوركان » وهي نوع من الجامعة في العصور الوسطى ، قائمة في حالة جيدة ، وسط المدينة المعاصرة

هنا او هناك ، فالقياس الحقيقي هو مستوى المعيشة ـ متوسط الإنتاج ـ درجة الحرية السياسية ، والهند مثلا قوة ذرية ولكن هذا لا ينفي ان مستوى المعيشة هناك يعتبر ادنى مستوى في العالم

شيء من التاريخ

قالوا ان امبراطورية اليابان ترجع الى سنة ٦٦٠ ق.م ، وان الذى اسسها هو الامبراطور « جيموتينو » وهو بذلك يشبه الملك مينا في تاريخ مصر ، مع فارق واحد وهو ان الامبراطور الحالي وهو هيروهيتو ينحدر رأسا من نسل تينو ، وان هذا الخط الطويل من الاباطرة الذى يجتاز الان القرن السابع والعشرين ينحدر من نسل « الالهة آماتيراسو » الى آخر هذه الاساطير التى كان يحلو لنا ان نخوض فيها لولا ضيق المقام ..

وشعب اليابان الذى نعرفه الان ليس هو السكان الاصليين لهذه الجزر ، كما هي العادة ... والتاريخ ، كما يجدر بنا ان نلحظ ، مليء بحركات الغزو التى تشبه ما حدث في الامريكتين والتى تؤدى الى القضاء على السكان الاصليين بواسطة قوم يأتون بحضارة جديدة ...

ويقال ان شعب اليابان الحالي ينحدر من نسل قوم جاءوا الى هذه الجزر من الصين ومانشوريا وكوريا ، اى من البر الاسيوى ، ويقال ايضا من الملايو ، وما زالت بقايا السكان الاصليين ، كالهنود الحمر والـ « ابوريجين » في استراليا ، مازالت هذه البقايا لها آثار في اليابان ، خاصة في جزيرة « هوكايدو » التى تقع

في اقصى الشمال من بين الجزر الاربع الاساسية ، ويسمونهم « آينو » ، وكانوا صيادين وسماكين ، ولم تكن لهم لغة مكتوبة ولكن بعض الكلمات اليابانية توجد لها جذور في لغتهم القديمة ، ومنها « اجبال فوجي » المقدس .

ويمضي تاريخ اليابان بعد ذلك طويلا مليئا بالاحداث والتقلبات السياسية ، الى ان ياتي القرن السادس عشر ، فنجد البلاط الامبراطوري مستمرا كما هو ، طبقا للتقليد الذي ما زال سائدا للان ، وهو انه مهما حدث ، لابد ان يكون على راس البلاد امبراطور ، وفي هذا القرن بالذات تحدثنا الاخبار عن امبراطور باع مجموعاته الفنية لكي يمكنه ان يواجه نفقات البلاط ، بينما يرتع الحاكم العام هو وانصاره في النعيم الذي ياتي به الاقطاع .

وقد بدا اليابانيون في هذا القرن ايضا يتاجرون عبر البحار . وبرغم الفوضى السياسية والتقلبات الاجتماعية فقد كان عصر ازدهار تجاري وبحري ، ولكن الذي يعنينا ونحن في مقام الحديث عن دولة اختطفت حضارة الغرب وحاربته بها ، الذي يعنينا هو انه في منتصف ذلك القرن حدث اول اتصال مع الغرب ، وذلك عندما جنحت سفينة برتغالية الى البر ، كان هذا سنة ١٥٤٢ او ٤٣ ، وبعد ذلك بخمس سنوات او ست جاء المبشر البرتغالي الشهير فرانسيس كزافييه ، وهكذا جاءت الى ارض اليابان اول بشائر المسيحية ومعها ايضا ، لاول مرة ، ذلك النقيض الاعظم لتعاليم المسيحية : السلاح الناري .

وفي بداية القرن السابع عشر ، بالتحديد سنة ١٦٠٠ هبط على ارض اليابان رجل انجليزي يدعى ويل آدامز ، وكان قبطان باخرة هولندية هلك ثلاثة ارباع بحارتها ونجا هو والباقون ، وسرعان ما أصبح الخواجا « خبيرا اجنبيا » يعرف الكثير عن احوال اوروبا والعالم ، وعن الرياضيات والملاحة وبناء السفن ، وقد تزوج « آدامز » امراة يابانية وقضى بقية حياته هناك ، في صراع مع القوى الاجنبية الاخرى متمثلة في الجزويت البرتغاليين والاسبان .

وفي سنة ١٦٣٧ صدر قانون بعزل اليابان عن العالم ، وبتوقيع عقوبة الاعدام على كل ياباني يثبت انه غادر البلاد ، وبمنع الاجانب من الهبوط الى الجزر اليابانية باستثناء حقوق محدودة بقيت للهولنديين والصينيين .

وهكذا اختارت اليابان ان تعزل نفسها عزلة كاملة عن العالم في ذات الوقت الذي كان فيه عصر النهضة يصل الى ذروته في اوروبا !.. ولم يكن الخوف من الغزو الاجنبي هو الدافع الوحيد لهذا « الستار الحديدي » في الحقيقة ، بل كان الخوف من الاضطرابات السياسية الداخلية ايضا .

ولكن هذه العزلة لم تعجب القوى البحرية العالمية ، التي تريد لسفنها ان تتوقف في اليابان لتبيع منتجاتها وتتزود بالمؤن وتتلقى المعونة في حالة الكوارث ، وكان على راس هذه القوى العالمية اذ ذاك ، كما هو الان ، الولايات المتحدة وروسيا .. وهكذا ففي سنتي ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ اي بعد اعلان العزلة باكثر من مائتي سنة ، اوفدت كل من الدولتين أسطولا الى اليابان ، لطلب توقيع معاهدة تجارية ، وكان الرسول الروسي هو الادميرال بوتياتين ، اما الامريكي فكان الكومودور الشهير ماثيو بيري ، الذي جاء يحمل رسالة من الرئيس الامريكي فيلمور ..

وقد أدهش اليابانيين منظر العلم الامريكي ، فهم في عزلتهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن بلد اسمه امريكا !.. وقد هدد بيري بانه سياتي في العام التالي ، بالويل والثبور اذا لم يحصل على رد ايجابي .. هذا التهديد يشبه تهديد ماك آرثر بعد ذلك بما يقرب من قرن آخر عندما قال كلمته الشهيرة « انا راجع !. » والواقع ان أوجه الشبه عديدة بين بيري وماك آرثر ، على راسها ان كليهما أوفدته حكومته الى



من الامـاكن الهامة الجذابة في « تسووانو » اليابانية تلك المنـازل التي ترجع الى العصر الاقطاعي في اليابان .. والتي امكن الاحتفاظ بها بعناية ... كان الكثير منها دورا لاسـر « الساموراي » الشهيرة

اليابان بسلطات تصل تقريبا الى عمل اى شيء يراه !.

وقد عاد بيرى فى موعده ، ومعـه سبع سفن حربية تدار بالبخار ،ولم يكن اليابانيون ــ منذ ما يزيد قليلا على مائة سنة ــ قد سمعوا أن فى الدنيا سفنا تسير بالبخار ولا أن فيها محركات بخارية ..!

ولكن حكومتهم كانت قد ادركت مدى التخلف الذى أصاب البلاد من العزلة التى امتدت لفترة تزيد على قرنين ، وقررت ان تعمل بكل طاقة البـلاد على اتقان الفنون الميكانيكية واكتساب ما لدى الغرب من قوة تكنولوجية قبل البدء فى مقاومة التدخل الاجنبى ، وبكل تأكيد ، تم توقيع المعاهدة المطلوبة مع الكومودور بيرى ، وتلت ذلك اتفاقيات مماثلة مع الروس والانجليز ، لان مواجهة مثل هذا الموقف الخطير تكون بالعقل وليس بالاغانى الحماسيـة وتنظيمات الشـوارع والشـعارات الجوفاء ..

ثورة التحديث

على قدر ما فى نهضة اليابان من عجب فلعل من اعجب عجائبها انها بدات بشيء لا يمكن لواحد منا ــ نحن اهل هـذا الزمن ــ ان يراه بداية لاى نهضـة او اصلاح ..!

انها لم تبدأ باقصاء الامبراطور ، كما قد نتصور ، بالعكس تمـاما ، بدات باعادة السلطة للملك ، بل وباعلان هذا نصه :

« لا توجد رقعة أرض فى البـلاد ليست ملكا للامبراطور !. ولا يوجد فرد ليس واحدا من رعيته .. » الى آخر هذا الاعلان الذى انتزع السـلطة تماما مماكان يسمى «شوجان» ــ وهو منصب حكم ولكنه وراثى ، احتكرته اسرة « توكوجاوا » الشـهيرة ، التى كانت تتوارث حكم اليابان على مـدى ثلاثمائة عام ، بينما يتخذ الامبراطور موقف المتفرج ــ انتزع السلطة منها وسلمها للامبراطور العظيم « ميجى » الذى تسلم الحكم سنة ١٨٦٧ « قبل النكسة بمائة سنة بالضبط !. » بعد وفاة والده الامبراطور « كومبى » .

وكان « ميجي » فى الخامسة عشرة من عمره ، وحكم اليابان خمسـة واربعين عاما ، قادها خلالها من عصر اقطـاعى يسوده « اللوردات » من اصـحاب الارض الذين تحميهم فرق من فرسان الساموري الشهيرة ، الى افق جديد ، زمن جديد ، ذهب بلد وجاء بلد ،

معجزة اليابان
هل يمكن أن تتكرر ؟

راح شعب وجاء شعب !.. ان دل هذا على شيء فعلى ان المسألة ليست شكل الحكم او نظامه ، انها كفاءة الحكام واخلاصهم : متى وجد الحاكم الذى يريد لبلاده الخير الحقيقى، ويضع حياته نفسها تحت قدميها ، ومتى كان رجلا « يفهم » فسوف يتحقق الخير .. ومن الخطأ أن نظن ان المسألة مجرد عناوين ، الديمقراطية ، الاشتراكية .. كل هذه قد تكون «فزعبلات » . ولا شك أن ميجى الصغير كان ديكتاتورا ، وقد مات فى الستين ديكتاتورا ولكنه كان مخلصا لبلده وفوق كل شيء كان « يفهم » ..

ولقد جاء تسليم السلطة هذا بعد صدام كاد يتطور الى حرب اهلية شاملة ، لان الـ « شوجان » لم يكن متحمسا للتنازل عن السلطة بالطبع ، ولكنه فى النهاية ، فضل مصلحة بلاده على مصلحته الشخصية !.

وسرعان ما اصدر الامبراطور الصبى اعلانه الشهير :

« لابد من الحصول على المعرفة من جميع انحاء العالم ، وبذلك تتمشى تقوية اساس النظام الامبراطورى !.»

وبدات الابواب تفتح لاستقبال الخواجات واستخدامهم فى مختلف نواحى الخدمات والصناعة ، واوفدت البعثات الى لندن وبرلين وباريس ونيويورك ومانشستر ،والعقول تستنير والخبرة تنتقل فى اخلاص ورغبة حقيقية فى التعلم والنهضة ، والشعار الذى يسود البلاد « يبدو انه لابد من شعار واحد على الاقل » هو : بلادغنية، وجيش قوى !.

الامر الثانى الذى تتميز به هذه « الثورة » هو ان كل شيء جاء نتيجة للاحساس بخطر الغزو الاجنبى والسيطرة الاجنبية ، وان امام اليابان خيارين لا ثالث لهما . اما ان تستسلم للاستعمار كبقية اسيا ، واما ان تصبح على قدم المساواة مع المستعمرين ... واختار اهلها الحل الثانى ، وادرك كل فرد فى اليابان ان عليه أن يؤدى دوره فى انتقال الحضارة :

واذا اردنا ان نجيب عن السؤال الذى اتخذناه عنوانا لهذه المقالة : وهو هل تتكرر هذه المعجزة ؟.. نقول :نعم انها يمكن ان تتكرر فى اى بلد يعمد فيه كل فرد الى تحديث نفسه ، وتعمد فيه قيادة البلد الى نقل كل شيء عن البلاد المتقدمة والافادة منه ..

واحد من هؤلاء الساسة ، اسمه « ايتو » كان مكلفا بدراسة النظام السياسى تمهيدا لتحديث اليابان سياسيا ،وهو الذى يرجع اليه الفضل فى وضع الدستور الذى اعلن سنة ١٨٨٩ ، كان قد سافر الى اوروبا ليرى كيف تحكم هذه البلاد العظيمة النظيفة،

لا تزال بقايا الاسوار الحجرية القديمة لقلعة « ساليو غاتسو » قائمة على نهر « تسوونو » .



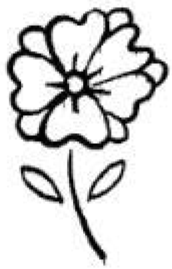
وتغنى اغلب وقته في المانيا وتقابل مع بسمارك ، واستمع للمحاضرات في الجامعات ، وبعث برسالة الى بلاده يحثهم فيها على نبذ الصراع السياسي والحزازات ، فالدنيا اجمل من هذا بكثير ..!

ونص الدستور على « قدسية الامبراطور » وعلى أن خط الوراثة الامبراطوري لا ينقطع مدى الدهر ، ولكن الامبراطور يمارس السلطة التشريعية من خلال « الدايت » او البرلمان الياباني ، واذا كان له الحق في اصدار المراسيم التي لها قوة القانون ، فان هذا لابد أن يعرض على البرلمان في جلسته القادمة للتصديق عليه ..

في العشرين سنة الاولى من بداية ما يوصف بانه « العصر الفيكتوري لليابان » ، كان قد تم انجاز عظيم وتغيير مذهل ، ولكن كان واضحا ، والقرن التاسع عشر قد بقيت فيه عشر سنوات فقط ، ان هنالك الكثير والكثير جدا مما يجب انجازه قبل أن تصبح اليابان قوة صناعية حديثة ، ثم هناك « المعاهدات » المشينة التي وقعتها البلاد مع القوى الاوروبية المعتدية ، وهكذا كان النصف الاول من عصر الامبراطور « ميجي » هو النصف الاول من هذه الخطوة العظمى ..

ومن اعجب الامور في نهضة اليابان الصناعية ايضا ، انها تمت على يدى الدولة !. وليس بواسطة القطاع الخاص ، الذي يمثل الان كل شيء في هذا البلد الذي يعد الان واحدا من اكثر بلاد العالم تطرفا في الراسمالية وايمانا بها ! ●

فلة



● د. نعيم عطية ●

● منذ ذلك اليوم افتقدت ثقة ابني بي كثيراً . ولمدة طويلة ما كنت بقادر ان انظـــر الى وجهه .. نسي كل شيء الان ، ولكن من وقت لاخر تهب باعمـــاقي ذكرى تلك المخلوقة العزيزة . وربمـــا كانت تهب ايضا باعماق ابني الذى خطا حثيثا الى طور الصبا بعد ذلك وصـــارت متابعة روايات العنف والجريمة فى التليفزيون والاذاعة ـ فضلا عن «الكاراتيه »وكرة القدم ـ افضل متعه ..

كانت تلك المخلوقة العـــــزيزة كلبة « شوارعية » بنية اللون ، مجفاء ، ذات ذيل ملوى الى اعلى .. كلبة عادية من الكلاب التى توصف بانها كلاب ضالة ، وتمتلىء بها الازقة والدروب .. تحيـــا الى جوار البشر بشرف ، تشـــاركهم حياة المدينة ، ولا تعدم قوت يومها فيما يلقى من قمامة ، أو يمن عليها من فضلات .. تنبح فى وجه كل غريب عن الجيرة ، وتكاد تعرف دون أن تفصـــح كل غاد ورائح ـ وعلى الاخص الاطفال ـ من سكان البيوت المجاورة .

بدت « فلة » ، وهذا هو الاسم الذى اطلقناه ـ انا وهاني ـ عليهـــا ، كلبة عادية جدا ، لكن ماأن توطدت الالفة بيننا وبينها ، حتى اكتشفنا فيها خصـــالا تنقص الكثير من المعارف والصحاب بل والاقارب ايضا ! ..

كان هاني يقول « تعال ، يابابا نروح للبوبى بتاعنا » ويحمل اليها ما احتجزته لها ماما نانا من عظام النهمنـــا اللحم الطرى الذى كان حولها ، وايضا بعض اصناف الطبيخ التى تبينا أن « فلة » لم تكن تمانع فى تناولها مثل بقـــايا صينية بطاطس فى الفرن ، ولعل رائحة اللحم الذى كان بالصينية ظل عالقا بقطع البطاطس ، مما جعلها ســـائغة فى حنك « فلة » . او ربما كانت **تعمل باصـــلها فلا تتبطر على النعمة ، وذلك عن قناعة فيها كامنة ، او كانت لاتريد ان تكسفنا عن ادب فطرى متاصل فيها . فقد كانت « فلة » صنفا فريدا من مخلوقات الله فيه تواضع ونبل . لا لانها كلب ، بل لان الصـــفات الحسنى ليست قصرا على البشر ـ كما قد يعتقد بعضـــهم بنزعة عنصرية خاطئة ـ دون الحيوان والنبات والحجر . بل قد تندر هذه الصـــفات بين البشر وتكثر فى ســـواهم من خلق الله الذى له فى خلقه شئون ..**

وكنت افهـــم كم كانت « فلة » تريد ارضائى عندما تخفض راسها وتقربه من ابنى كى يربت عليـــــه . وكم كانت



تستسلم لمضايقاته صابرة اذا ما سولت له نفسه ان يشد اذنيهـا ، او يدس اصابعه فى فتحتيهما ، او يضغط على ظهرها معتقدا انها حصان صغير بامكانه ان يمتطيه .. او يمد يده وقد استهواه شكل ذيلها الحلزونى ـ وهو يستهوى فعلا ـ فيشده محاولا ان يفرده عبثا ..

وكانت « فلة » توجه الى نظراتهـا الجانبية ـ وعيناها قويتا التعبير رغم ضعف امكانياتهما ـ وكانها تسألنى « مبسوط ، انى اترك ابنك يلهو بى ، وياخذ متعته ! » وكنت اقول لها صامتا : « وددت ان تكون امى او زوجتى او حتى خادمتى بهذه الوداعة ! » .

وكنت انحنى واشد « هانى » من يده كى يكف من مضايقتها ، والعبث بهـا ، فكانت تزداد اقترابا منه ، ومدا لرقبتها اليه ، وكانها تقول لى « دعـه يلعب ولا تقلق على ! » .

توطدت الالفة بيننا وبين « فلة » ، واصبحنا نتحدث عنها فى البيت ، ونحكى عنها لزوارنا ، كما لو كانت منا ، وان كانت لا تسكن معنا ، وقد الح « هانى » كثيرا ان يجلبها معه الى شقتنا ، وحاول ان يجذبها من رقبتها ليصعد بها درجات السلم ، ولكن « فلة » كانت تفهم ان زوجتى لن تقبل ذلك ـ هل كانت تفهم كلامنا ؟ لعلها اميرة من اميرات الف ليلة سخطها ساحر شرير ـ فكانت تنفلت من ذراعى ابنى الذى يطوق عنقها ، وتمضى الى الرصيف المقابل تنظر الينا من بعيد هازة ذيلها برهة ، ثم تمضى مبتعدة ونحن نسمع وقع اظافرها على البلاط وعلة ، ثم نسمع من بعيد ـ وقد اختفت عن انظارنا ـ نباحها مفعما بالحب واعـدا بلقاء قريب اذا ما ناديناها !

وقد اصبح تفاهمنا مع الايام تاما ، حتى اننا ما ان نرفع عقيرتنا بالمنـاداة عليها حتى نجدها قد ظهرت امامنـا فى اقرب فسحة من الوقت ممكنة ، وقد اقبلت علينا تعدو فاتحة فكيهـا هازة ذيلها . وفى بعض الاحيـان كنا لا ننزل بالطعام اليها . بل كنا نلقى به اليهـا من شرفتنـا ، فنحن نسكن اول دور بالعمـارة . فاذا ما انتهت من تناوله اقعت على ساقيها الخلفيتين ، ومضت تلعق شدقيها ناظرة الينا نظرة صداقة وعرفان بالجميل !

***

وجاء ايضا اليوم الذى كان على «فلة»

فلة

آن تدفع فيه ضريبة الطبيعة ، فانتفخ بطنها وتهدل ، واصبحت نظراتها متعبة لكن بلا شكوى .. ثم اختفت بضعة ايام ، حتى عرفنا انها وضعت اربعة جراء مغمضة تمد اعناقها لتمص اللبن من اثداء امها ، وقد رقدت على الارض واسلمت نفسها لصغارها تفترسها فى مودة . وكنا نذهب اليها فى بئر سلم عمارة قديمة مجاورة ، وقد حملنا اليها مزيدا من العظم واللحم والطبيخ المغموس فى السمن ..

وقال هانى لامه : « زيدى كميات اللحم فى الطعام . اعملى حساب فلة واولادها ! »

وكبرت الجراء الصغيرة ، وفى اول مرة خرجت بها « فلة » الى الشارع تعلمها السرحان والجرى وراء رزقها ، قابلتنا متجهين انا وهانى الى الفرن . وكأنها فوجئت بنا ، ولم تكن قد هيأت صغارها لهذه المناسبة ، فأخذت تلعق كلا منها وكأنها تصفف شعر فروته ، وتنسق مظهره ، استعدادا لاجراء عملية التعارف بالصغار التى كبرت واصبحت بعد أن فتحت عيونها واشتدت سيقانها تخرج لتتريض مع أمها !..

واقبل هانى على الصغار يداعبها وراحت هى تنظر اليه والى مزهوة بالاولاد التى مالبثت أن كبرت سريعا وتخاطفتها أيادي مقتنى الكلاب فى البيوت دون غضاضة او معارضة من الزوجات. وبقيت « فلة » من جديد وحدها . تجري نحونا اذا ما رأتنا ، وترفع رأسها الى فوق هازة ذيلها اذا ما سمعتنا قد خرجنا الى الشرفة .

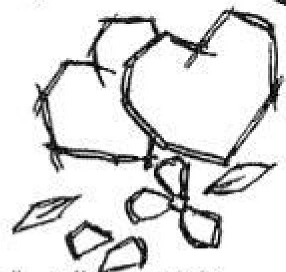
الى ان جاء ذلك اليوم . سمعنا من الشارع نباح « فلة » وقد استحال الى عواء مديد ومتكسر فيه من الشكوى والاستعطاف والاستغاثة ما جعلنا نهرع الى الشرفة . ورأيناها .. راح ابنى يبكي ويصرخ فى ويستحثنى ان افعل شيئا ، اما هى فقد كانت تحاول ان تتشبث باسفلت الطريق ، تقاوم الرجل البدين الجلف الذى ارتدى ملابس كاكية اللون قذرة وغير مهندمة . لكن كيف لها أن تفلت منه ، وقد اطبق الطوق الحديدى على رقبتها ، وراحت حوافه تنغرس فى فروتها ولحمها ، وهو يجرها الى عربة الكلاب الضالة ؟!

لم يفهم « هاني » ماذا يراد بها ، ولماذا هذه القسوة ، وراح يسألنى .. وانا لا اجيب . لا اعرف بماذا اجيب . فكرت أن أفعل شيئا . رحت انادى على عسكرى الكلاب الضالة . لكنه لم يكن يسمع ، فقد كان منشغلا بادخال الكلبة النبيلة الضالة الى العربة .

لوت « فلة » رأسها عندما سمعت صوتى ، ونظرت الى بعين زائغة متهمة.. افعل شيئا !.. لماذا لا تفعل شيئا ؟! كانت نظرتها فى النهاية ادانة !.. اين الصداقة والمودة ؟ أكان كل شيء زيفا ؟ أكانت العلاقة كلها سطحية هشة ، فاذا ضرب القدر ضربته تفرق الصحاب ، ولاذوا بالجحور مؤثرين السكينة متحاشين وجع الدماغ ؟!
ان آخر ما يجلق الناس هو الانسانية والرحمة . لن تجد منهم وقت الضيق والحاجة سوى سلبية رخوة ..

ابتعدت السيارة ، وابتعد معها نباحها ، وقد استقرت فى اعماقي اصداؤه الى هذه اللحظة ، وقد بلغت الآن من السن ما يجعلنى انتظر ان يضربنى القدر ضربته ، ويحكم الطوق حول رقبتى .. سوف يمضى يجرنى الى عربته المبهمة ، ولن يستطيع « هانى » الذى كبر وصار رجلا أن يفعل لي شيئا . هكذا يفعل بنا .. مثلما فعلوا « بفلة » . هكذا يراد بنا جميعا ! ..

سقطت جسور الحب



● أحمد السمرة ●

شَدَتْ مِنَ العينِ الرؤَى وتَجَدَّدت أمَــلاً بِبَابِى
حَوْراءَ توقد فى الثغور مشاعِلَ القُبَـــل العِــذاب
وتُحيك من رَيّا الدّلال شَذى الحياةِ مُنَى الرّغــابِ
وتدير إبريقَ السلافِ بِحانة فَــوق الســحابِ
وتُحيل مِرْوَدَها السَّنَا كُحــلا لأجفــانِ الرّوابى

***

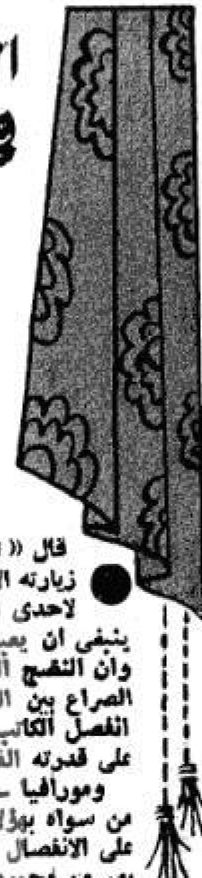
فَتَفَتّحت فى عُمق الأســيان أزهــارُ العِتَـاب
وبَسَطَتْ كَفّى للسّلام فصَاح جرح فى ارتيـــاب
« سَقَطت جسُورُ الحبِ ضَاعت فى ركامات السراب»
قلتُ العَذابَ عَرَفْتُه جُرْحاً تَفَجّر فى اغـــترابى
هَلْ آن يا جُرح السّماح فأنتَ تُدرك بَعْضَ مابى
وأجاب مَجروح الصّدى : لا ـــ تلكَ أعراس العَذاب
دِمَنٌ حبَاها الكاهِنُ العربيد أســرار الخضَـــاب
إنْ غِيضَ ثور فى الشّهاب فما يؤمّل فى الشّهاب ؟

***

دَعْنا بِبَقَايا زَلّة حيْرى تطوف على التّــــــاب
تُحيا على سُـــطُور الهَـــوى كخريفِ لحن فى رباب

***

وكأنّما كان الصّدى فوقَ المدى قَصَل الخطــاب ...
فرَنّت بِكبر عاتبٍ بالدّمع كالقمــر المُــذاب ..
أنّى أذنْت شَاطئي صداً ، وأسقطها حِسَـــابى !



الذاتية والموضوعية في الإبداع الفني

● عزت محمد ابراهيم ●

قال « البرتو مورافيا » خلال زيارته الاخيرة لمصر فى حديث لاحدى الصحف : « ان الادب لا ينبغى ان يعبر عن شخصية الاديب وان النضج الفنى يبدا دائما عندمايبدا الصراع بين الكاتب وذاتيته ، وكلما انفصل الكاتب عن ذاتيته كان هذادليلا على قدرته الفنية » ..

ومورافيا — على كل حال — ارحم من سواه بهؤلاء الادباء الذين لا يقدرون على الانفصال عن ذواتهم ، وهو ارفق بهم من محمود تيمور — فى كتابه « دراسات فى القصة والمسرح » ..

والمسألة تحتاج الى وقفة يسيرة نجعل فيها الذاتية والموضوعية محكا لما نعرف من روايات لها شأن واعتبار ، وروائيين لهم وزن وتقدير ..

لناخذ — على سبيل المثال — قصص هيمنجواى ، وهى قصة حياته بغير خلاف ، أوبخلاف يسير ، وقد كان من ماثوراته فى ذلك قوله : « لا ينبغى للكاتب ان يكتب الا ما كان له فيه تجارب ومعاناة » ..

وقد كانت حياته كلها تجارب ومعاناة ، ومنها استمد خيرة رواياته واكثرها شيوعا ، واحظاها بالتقدير . عانى من ويلات الحرب ، مصطليا بنارها ، محاربا فى ميادينها ، ومارس صيد الوحوش فى الاحراش والآجام ، وعرف صيد الاسماك والحيتان فى اعماق المياه ، وصارع البحر وغالب الامواج ، ونزل الى حلبات الملاكمة وحلبات مصارعة الثيران ..

وكانت كل تلك التجارب هى المادة الاصيلة التى استمد منها وقائع قصصه وأحداثها ، فلو اردت أن تردها الى أصولها من حياته لم تجد فى ذلك جهدا أو عناء . تجدها فى « العجوز والبحر » صائدا للاسماك .. وتجدها فى « روابى افريقيا الخضراء » — مغامرا جسورا مقتحما المخاطر والاهوال فى صيد كل ذى ظفر وناب .. وتجدها فى « لن تدق الاجراس » — محاربا قد اثخن بالجراح فى الحرب الاهلية الاسبانية ..

***

وندع « هيمنجواى » فنجد « سومرست موم » يستمد من حياته خيرة قصصه ، وكان قد اشتغل بالطب فى بدء حياته ، ومن تجاربه الباكرة فيه نسج خيوط قصته الاولى .. « ليزا أوف لامبث » أما روايته « اغلال

الانسانية » وهي من أشهر أعمـــاله الروائية ومن أكثرها رواجا فهي صورة أمينة لحياته هو لا تكاد تختـــلف عن الترجمة الذاتية الا في القالب والشكل، وليس في الوقائع والتفاصيل ..

وعلى هذا المنـــوال كان « توماس هاردي» في روايته « الفقير والسيدة».

وتعد رواية « موبي ديك » للكاتب الامريكي « هيرمان ملفيل » مـــن خيرة الاعمال القصصية المعدودة بين آداب العالم الانسانية، وماكان يقدر لصاحبها ان يكتبها لو لم يخض تجاربها بمـــا فيها من دقائق وتفاصيل ، ومهمـــا شطح الخيال ، وامتـــدت آفاقـــه ، واتـسعت آماده ، فلن يبلغ شيئا ممـــا بلغه من تجارب الحقيقة والواقع ، ومن الحقيقة والواقع ما فاق الخيال بآماد وآماد .

لقد عرف « ملفيل » البحر وعرف الحياة فوق أمواهـــه ، وعرف صيد الحيتان من عمله في سفن الصيد ، ومن قضائه السنين يتنقل من سفينة الى اخرى ، ومن هذه الحياة الخصـــيبة الحافلة استمد أكثر قصصه ، فكتب « موبي ديك » تصويرا للحياة على ظهر سفينة صيد الحيتان ، وكتب « اومو» عن مغامراته في البحار الجنوبية ، وكتب « ريد بون » عن أيام خدمته في البحرية الامريكية ..

وشبيه به في هذا النحو القصاص البولندي الانجليزي « جوزيف كونراد» الذي احب البحر وعشق الحياة فوق مياهه ، ورد له البحر الجميل مضاعفا، فامده بذخيرة لا تنفد من قصص رائع ذي خصوبة ونماء ..

وابحث عن حيـــاة « مارك توين » تجدها في كتبـــه « توم ســـوير » و « هيكلبري فن » و « الايام الخوالي على ظهر المسيسبي » خيرا مما تجدها في كتب كتبها عنه الكاتبون ، او فصول كتبها هو مؤرخا فيها لنفسه ..

وقد كان « فـــرانز كافكا » يستمد ادبه من صميم ذاته ، فهو يلاحظهـــا ويدور حولها ويحاول أن يسبر غورها ويســـتكشف خبـــاياها ، ودلالة ذلك قصصه الـثـلاث الـكبرى « القضية » و « القصر » و « أمريكا » والبطل في الاولين يتخذ لهما « كافكا » الحـــرف « كاف » رمزا ودلالة ، أما الثالثـــة فبطلها « كارل روسمان » وهـــو اسم يبدأ بذات الحرف الذي يبدأ به اسم « كافكا » ..

***

ولقد نسج « ريتشـــارد رايت » روايته « الصبي الاسود » من خيوط حياته، فكانت هي التي أطارت له صيتا ورفعت له ذكرا ، وجعلت أوروبا كلها تقرأ له يوما روايته وتلهج بذكـــره ، وتشيد بما كتب وأبدع .

وهل كان في وسع « جـــوته » ان يكتب « آلام فيرتر » لو لم يعـــرف الجوى ويكتوي بنار الصد والحرمان؟

لقد عرف ذلك معرفة التجـــربة والمعاناة الى ابعد غاياتها واقصى آمادها، حتى لقد بلغ من تأثير عمله في نفـــوس النـــاس أن بلغ المنتحرون من قرائه العدد العديد الذي يدفع ببعـــض دول أوروبا الى الحيلولة بين النـــاس وبين قراءته كما تحول بينهم وبين البـــلاء النازل والشر المستطير ..

وما بلغ العمل الفني هذا المبـــلغ في النفوس الا من عظم التأثير وشـــدة السطوة ، وما يتهيـــأ له ذلك الا من تجربة عنيفة ومعاناة يتزلزل لها الكيان، ويتمزق منها الوجدان .

واذا كان هذا نوعا من التأثير الضار ــ على غير قصد من صاحبه او رغبة منه ــ فليس كله على هذا المنوال، فمنه ما يكون له من التأثير النـــافع الشيء الكثير ، وهـــذا ما كـــان تأثير ديكنز الانجليزي في ابراهيم ناجي المصري ــ على تباعد الزمان وتنائي المكان ــ قرأه في بواكير شبابه فأثار في نفسه نوازع الخيال ، واهاج فيها بواعث الشعر ،

وكتب عن هذه التجربة في مقال بعنوان: « كتب اثرت في حياتي » يقول :

« الذي انطبع في ذهني هو دافيد كوبرفيلد ، لا أعرف السر في ذلك ، ولكني اعتقد ان قوة هذه القصة في انها صورة لديكنز بالذات ، عبر فيها اصدق التعبير عن انفعالاته وشرح فيها الحب العفيف الراقي اوفى شرح ، وكنت انا اذ ذاك في بدء محاولاتي للشعر ، فلم يكن عجيبا ان ينتعش ديكنز في خيالي لسمو روحه ونقاء قلبه ، مع انه لم يكن شاعرا ، ولكن الذي كتبه نثرا هو في الحق ارفع واغلى من شعر الوف الشعراء » .

***

وفي كتاب « في أوقات الفراغ » للدكتور محمد حسين هيكل فصل ممتع عن اناتول فرانس ، وما يعنينا منه هو قوله أن اناتول فرانس لم يدع واحدا من كتبه الا رسم فيه صورة من نفسه فهو « برجريه » في اربعة اجزاء « تاريخ العصر » .. وهو « برولو » في « الالهة ظماى ».. وهو « بيير » في أربعة كتب كتبها عن طفولته وبدء صباه .. وهو « جيروم كوانيار » فيما عزاه من قصص ومذكرات الى «جاك تورنبروسن» .. وهو «نسياس» في قصة « تاييس » ..

ويضيف الدكتور هيكل الى ذلك قوله : « وأى مؤلف ينسى نفسه حين يكتب ؟. وأى مؤلف يكتب عن شيء غير نفسه ؟ » .

والدكتور هيكل كاتب تقدير له في الابداع باع وذراع ، ورأيه فيه — لا شك — له وزن وتقدير .

واحسب أن فيما سقته الدلالة على ما قصدت اليه ، فهو باب يطول فيه القول ، ولا يكاد يبلغه حصر ، أو يجمعه استقصاء .

***

ونعود بعد ذلك الى حديث «موراڤيا» فنجده لا يخلو من مفارقة وطرافة حين يمضي فيه قائلا :« انني دائما اذكر كلمة « انا » في بداية كتاباتي » ..

فهو لم يقدر اذن على الانفصال عن ذاته ، وان ظن غير ذلك ، ولا عيب في ذلك ولا قصور ، وانما هي طبيعة الفنان ، ولا حيلة له فيها ، ولعله « جان كوكتو » الذي كان يكثر من ترديد كلمة « انا » حتى اطلق الناس عليه اسم « مسيو موا » : السيد انا !.

واى المتفننين: شعراء وادباء وروائيين لم تتردد هذه الكلمة على السنتهم على اختلاف الاعصر وتوالي الحقب والازمان.

جار بها المتنبي منذ الف عام ، ولا تزال صيحته بها تدوى حتى الان في الاذان :

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي
واسمعت كلماتي من به صمم

وزاد عليه وغطى الشاعر المهجري الذي قال :

انا سيد الشعراء غير مدافع
امشي فتمشي خلفي الشعراء !

وانظر الى الشاعر عبدالرحمن شكري وهو يتحدث في « الاعتراف أو قصة نفس » عن اثر نشر اول قصيدة له في نفسه ، انه يقرأ القصيدة مرات ومرات ، فيخيل اليه أن الحروف ترقص على الورق ، ربما فرحا وربما مادة ، أن كان لها — من دون غيرها — حظ التعبير عن خلجات نفسه ولواعج ذاته !.

انها ذات الفنان : محور اهتمامه ومدار حياته ، ومهما كان الموضوع الذي يتناوله الكاتب فهو ينبع من الذات اولا ، والا فقد أهم مقوم من مقوماته ، وخرج الى الوجود ناقصا هزيلا ، وما تبلغ كتابة الكاتب شيئا ، الا اذا سكب فيها من روحه سكبا ..

وذات الفنان هي عنده خير معوان ، وهي مصدر ثر لا ينضب له معين ، اذا عرف كيف يسبر غورها ، ويصل الى اعماقها ، ويتغلغل في حناياها .

والفرق بين العالم والفنان ، هو الفرق بين الموضوعي والذاتي .

واحسب انهم لذلك قالوا : العلم نحن ، والفن انا ..

اللحن الأخير

● فريد قرني ●

إعزفِي لي اللحنَ الأخيرَ فقد آ   نَ خلاص المعذَّب المسجُون
ألهمِيه. صبَابتي وهيَامي   وامزجيه بأدمعِي وشجُوني
ودَعيه ينسابُ في نغمات   تائهٍ حزينةٍ بحزينِ
واصهري فيه من دماءِ هوانا   ما أذبْناه في كئوس السنين
وتساقيْ رحيقَه المر ـ أفعى   تتلوّى على سِهام المنُون!
ثم عودي ولا تقبلي وداعي   لِي .. كأن لم أكن ؛ كأن لم تكوني!

***

كنتُ أبني وكان حلمي كبيرا   قلتُ علّي .. فكذبتني ظنوني!
إنّها قصّة أرقتك فيها   من حنَاني، ولوعتي، وحنيني
أسدلِي فوقها الستارَ لئلا   تفجعيني في عالمي المفتون
آن أن أستردّ ما ضاع مني   من دمائي، وأضلعي، وجفوني!
وليالٍ أسهدتِها صبحاتٍ   واكتنفتها كآبتي وشكوني
نادمتني أساي صبرا وإشفا   قا .. وكانت بعطفها تحبوني

***

ودعيني، فالصمتُ أولى بقلب   ودّعته دنيا هوى مأفون
ربّ قلب أغواكِ، أعماكِ عن فردو   سِ أيْكي، وشاطِئي، وعيوني!
أنت عربيدة الهوى لستِ مني   فدعيني ... لا تخدعيني ـ دعيني!
كل قلبٍ سكنتِيه ذات يومٍ   واحتسَى من غرامك المجنون
أنا لا أسأل الترابَ ليُوحِي   لي ... ولا أنشدُ اللحونَ لحوني
إعزفي لي اللحنَ الأخيرَ فقد آ   نَ خلاصُ المعذّب المسجون
ثم عُودي ولا تقولي وداعا   لي .. كأن لم أكن ـ كأن لم تكوني

ألف عام من عمر دار الكتب

● مصطفى الشهابي ●

يحتفل خلال هذا الشهر بافتتاح احدث واكبر دار للكتب في الشرق ، اقيمت في مبناها الضخم الجديد على كورنيش النيل وفي اسبوع الافتتاح ، ستعرض الدار مجموعة تاريخية نادرة من المصاحف التاريخية ،احتفاء بمرور اربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية الشريفة .

● اول مكتبة عرفها العالم وجدت في مصر .. وكان مقرها معبد وجامعة «اون» ـ هليوبولس « عين شمس » التى يرجع تاريخها الى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

دار شفاء النفس

ولم تقتصر المكتبات في مصر القديمة على المعابد ، بل كانت لبعض الملوك مكتبات خاصة ، منها مكتبة رمسيس الثاني « ١٢٩٢ ـ ١٢٢٥ ق . م »وكان منقوشا على بابها « دار شفاء النفس » وفي معبد الرمسيوم الذى بناه هذا الملك ايضا كانت توجد حجرة للكتب المقدسة والمؤلفات الدينية وغيرها ... ويغلب على الظن ان مكتبة جامعة «اون» ظلت عامرة أو ظل بها جزء غير قليل من الكتب حتى اسس الاسكندر الاكبر مدينة الاسكندرية عام٣٣٢ق.م، ثم اقام بها البطالمة من بعده ، جامعة سميت « المتحف » أو « دار الفنون » والحقت بها مكتبة كبرى .

وقد منيت تلك المكتبة بخسارة عظيمة عندما احترقت عام ٤٧ ق . م ولكنها اخذت تسترد مكانتها بمضى الايام.. وعندما انتشرت المسيحية في مصر زاحمت المؤلفات المسيحية المؤلفات الوثنية ، ثم احترقت المكتبة مرة اخرى ولم يبق بها الا القليل الذى حمله البيزنطيون عند جلائهم عن مصر لما فتحها العرب على يد عمرو بن العاص.

القرآن والقراءة

كانت أول آية نزلت على الرسول الكريم هي : «**اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم .الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم .**»

كما أقسم الله تعالى فيما أقسم بالقلم ، فقال عز من قائل : «**ن.والقلم وما يسطرون**»

وكانت معجزة الرسول الخالدة كتابا عربيا مبينا ، هو القرآن الكريم ، والقرآن من القراءة ، فكانت هذه دعوة للمسلمين أن يقبلوا على قراءته والاستماع اليه لما فيه من حكم وثقافة وصلاح للدنيا والدين .

وعلى هدى ما ورد بالقرآن من آيات كريمة دعا الرسول المسلمين أن يطلبوا



قاعة الاطلاع بدار الكتب
وبها مجموعة من الباحثين

العلم في كل زمان ومكان ، بل وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

بدء التدوين
وظهور الكتب والمكتبات

كان ماورثه المسلمون عن عرب الجاهلية من علوم ومعارف غير مدون.

ولما جاء الاسلام كان عدد القرشيين الذين يستطيعون القراءة والكتابة ضئيلا ومن ثم كان اهتمام الرسول بتعليم المسلمين الكتابة على يد أسرى المسلمين مقابل فديتهم .

وكان أول مادونه المسلمون هو القرآن . ولما تقدم العهد بالاسلام بدأ تدوين الاحاديث النبوية ، ثم بدأالتاليف فتناول تفسير القرآن والفقه والنحو وغيرها .

ثم نشطت حركة التاليف بعد انتشار الاسلام ، وبدأ ظهور المكتبات التي كانت تضمها المساجد ، هذا عدا المكتبات الخاصة للعلماء وكبار رجال الدولة .

وأول مكتبة عامة ذكرها التاريخ هي مكتبة « بيت الحكمة » التي أسسها هارون الرشيد ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ ـ ٨١٣ ـ ٨٣٣ م واهتم بها ورعاها وجلب لها الكتب من كل مكان ابنه المأمون حتى اصبحت مفخرة العباسيين في بغداد .

وقد اهتم الامويون بالاندلس بانشاء المكتبات ، وكانت أهم مكتبة هي مكتبة قرطبة التي انشاها الحكم المستنصر « ٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ ـ ٩٦١ ـ ٩٧٦م» والتي زخرت بآلاف الكتب في مختلف العلوم والفنون .

ولم يكن اقتناء الكتب بالاندلس مقصورا على الخلفاء والامراء بل اهتم العلماء بمكتباتهم الخاصة .

الفاطميون في مصر

وفي الوقت الذي ازدهرت فيه الحضارة ببغداد وبالاندلس،بدأت دولة الفاطميين في بلاد المغرب ، ونودي بأول خلفائها عام ٩٠٨م . ولم تمض عدة سنوات حتى امتد سلطان الفاطميين فشمل شمال افريقيا ، وتم لهم فتح مصر عام ٩٦٩ م .

كان العصر الفاطمي « ٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ ـ ٩٦٩ ـ ١١٧١ م»من اسطع عصور مصر الاسلامية ، اذ بلغت فيه الثقافة أوجها ونبغ في ذلك العصر علماء أفذاذ وشعراء وادباء مبرزون .

وقد ساعد على ذلك أن الخلفاء الفاطميين أنفسهم كانوا من طلبة العلم والمقبلين عليه ، ونشروا العلم كذلك

على اولادهم ، واهتموا بتعليم صغار غلمانهم ومماليكهم مختلف العلوم وسائر فنون الحرب .

وكانت مراكز التعليم هى الكتاتيب التى لم تكن تخلو منها قرية ولامدينة ثم المساجد وعلى رأسها الجامع الازهر .

سجل المعارف الانسانية

ولما كانت الكتب هى سجل المعارف الانسانية ، فقد عنى الفاطميون بانشاء المكتبات الخاصة والعامة ، لا حبا فى العلم فحسب وانما اقتداء او منافسة للعباسيين فى بغداد وللامويين فى الاندلس .

ومن اشهر هذه المكتبات ، التى عرفت يومئذ بالخزائن ، « خزانة القصر » التى انشأها العزيز بالله الفاطمى « ٩٧٥ م - ٩٩٦ م » وخصص لها قاعات فسيحة فى قصره وبذل الاموال فى الاستكثار من المؤلفات المهمة ، حتى جمع منها ٦٠٠ الف كتاب ، وقيل اكثر من ذلك ، فى الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والفلك والكيمياء والتنجيم .

وفى تلك المكتبة كان يجلس دعاة الدعاة لنشر الدعوة الفاطمية . وقد ذكر المقريزى انه كان بمكتبة العزيز بالله من كتاب « العين » للخليل بن احمد ثلاثون نسخة ، منها نسخة بخط الخليل بن احمد نفسه ، وما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة بخط الطبرى ايضا ، وان تلك الخزائن تضم ثمانية عشر الف كتاب فى العلوم القديمة وان اغلب الكتب محلاة بالذهب والفضة .

وفى عهد العزيز بالله ايضا حول الازهر من مسجد تقام فيه الصلاة الى معهد علمى كبير ، وانشئت فيه « مكتبة ملكية » ضمت عددا ضخما من الكتب ، قيل انه بلغ مليونا ، فى شتى العلوم والفنون وانه كانت هناك اكثر من نسخة واحدة للكتاب الواحد ، بلغت مائة او مائتين ، ليفيد اكبر عدد من الطلاب .

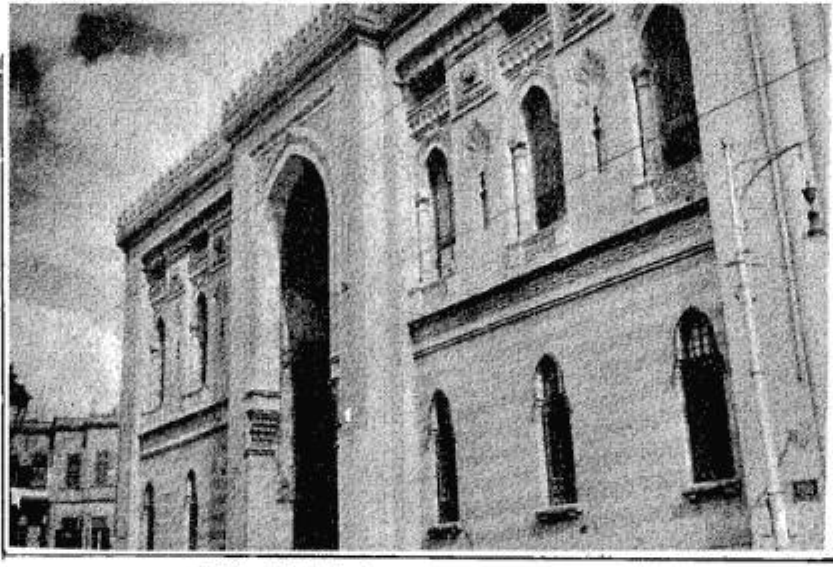
اول مكتبة عامة

ولما تولى الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١ هـ - ٩٩٦ - ١٠٢١ م » امر بانشاء « دار الحكمة » او « دار العلم » بجوار قصره الغربى ، وكان الغرض منهما منافسة بيت الحكمة فى بغداد من جهة ومن جهة اخرى نشر المذهب الشيعى وهو نفس الغرض الذى انشأ من اجله ، من قبله من الخلفاء الفاطميين ، مكتبة او خزانة القصر . وكان مقرها بالخرنفش امام الجامع الاقمر .

وقد تم افتتاح هذه الدار فى ١٠ من جمادى الاخرة سنة ٣٩٥ هـ الموافق ٢٤ من مارس سنة ١٠٠٥ م ونقل اليها الكتب من القصور الفاطمية وجمع فيها من الكتب كل ماوصل الى يده او سمع عنه . ووقف عليها اوقافا جمة للانفاق عليها واقام عليها القوام والمشرفين والخدم واباح دخولها لسائر الناس على مختلف طبقاتهم ممن يحب القراءة والاطلاع ، فكان يتردد عليها القراء والمهتمون بالنحو واللغة والاطباء .... الخ .

ومن المحاسن المأثورة التى لم يسمع بمثلها ، اجراء « الرزق السنى » لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة بها . وكانت المكتبة مفتوحة ، لتكون الكتب فى متناول الجميع ، يستطيع الراغب فى الاطلاع ان يحصل بنفسه على الكتاب الذى يريده ، فاذا تعذر عليه ذلك ، استعان بأحد المناولين .

لذلك اختلف الناس اليها على تباين ثقافاتهم وفنونهم العلمية ، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر



دار الكتب المصرية القديمة بميدان باب الخلق فى القاهرة

للنسخ او يحضر للتعلم .

وزودت المكتبة بكل مايحتاج اليه المترددون عليها ، من الحبر والاقلام والورق ، كما فرشت بافخر السجاجيد وزخرفت اجمل زخرفة .

واصبحت بذلك دار العلم مكتبة عامة على نحو مانراه اليوم فى المكتبات العامة ، غير أنها امتازت عليها او على اغلبها بانها كانت جامعة علمية للتعليم وكثيرا ماكانت تقام فيها المناظرات بين العلماء فى شتى المسائل .

وجدير بالذكر انه كان بين اساتذة تلك « الجامعة » عدد كبير من فطاحل العلماء ، نخص بالذكر منهم الحسن ابن الهيثم ، الذى استقدمه الحاكم بامر الله من البصرة ، لما علم أن له نظريات هامة فى تدبير فيضان النيل بانشاء خزان على النيل عند اسوان ولكن الظروف يومئذ لم تمكنه من التنفيذ .

وكان من تقدير العالم العربى لتلك الجامعة ومكتبتها ان اجتذبت كثيرا من اعلام المشرق امثال الرحالة الفارسى ناصر خسرو وعشرات غيره .

غير أن الرخاء الذى عم مصر فى ذلك العصر لم يدم طويلا ، اذ عم الوباء والقحط عام ٤٤٦ هـ ـ ١٠٥٤ م وانقطع ماء النيل فاهملت الزراعة وانتشرت المجاعة وظل الحال كذلك ثماني سنين . ثم عاد القحط والغلاء مرة أخرى عام ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٦ م واستمر بضع سنوات حتى اضطر الخليفة الفاطمى الى استدعاء بدر الجمالى والى عكا ، فعاد الامن والرخاء الى البلاد .

وتعرضت مكتبات القصر ومكتبة دار العلم ، خلال فترات الشدة التى منيت بها البلاد للنهب والسلب .

وعلى الرغم مما حدث فقد ظلت مكتبة دار العلم أو دار الحكمة تؤدى رسالتها العلمية ؛ الى أن أغلقها الوزير الافضل ابن بدر الجمالى سنة ٥١٦ هـ ـ ١١٢٢ م لظروف الامن ، ومنع الناس من دخولها وكان اغلاق هذه الدار له وقع الصاعقة على الخليفة الفاطمى يومئذ ، وعلى بعض العلماء الذين كانوا فى خدمته ولما اطمأن الناس وعادت الحياة الى الهدوء والاستقرار ، توسل محبو العلم والثقافة الى الخليفة الآمر باحكام الله ٤٩٥ هـ ـ ١١٠١ م أن يعيد افتتاحها . فتحدث الخليفة فى ذلك الى وزيره المأمون البطائحى فاجاب بأن

وجودها بجوار القصر فيه خطر، واقترح ان يبنى لها مكان بعيد من قصر الخليفة وان يعين لها رئيس ذو تقوى ودين .

وتم ذلك لوجود المكان المطلوب فاعيد بناء دار العلم ومكتبتها فى المكان الجديد وحملت اليها عشرات الآلاف من الكتب من مختلف الأماكن والقصور.

وقد قدر المقريزى ماكان بها يومئذ من كتب بنحو ستمائة الف مجلد ، فعاد الانتفاع بها كما كان . وظلت المكتبة عامرة بروادها ، حافلة بكتبها ، تؤدى رسالتها .

ولما تولى صلاح الدين الأيوبى مقاليد الامور فى مصر ، بعد زوال عهد الفاطميين ، استولى على قصر الخلافة وما به من كنوز وتحف وكتب . ثم نمى اليه أن مكتبة « دار العلم » فيها كتب تتناول مذاهب الفاطميين وأفكارهم والقى فى روعه أن وجودها خطرا على دولته وعلى المسلمين ، لذلك أمر بهدمها

وعلم بذلك القاضى الفاضل « عبد الرحيم البيسانى » فاستأذن صلاح الدين فى أن ينتقى من المكتبة بعض الكتب ليضمها الى مكتبة المدرسة الفاضلية التى انشأها بالقاهرة سنة ٥٨٠ هـ ـ ١١٨٤ م فاذن له فى ذلك فاختار منها مائة الف مجلد ، واقام صلاح الدين مكان المكتبة مدرسة للشافعية .

تلال الكتب

ولم تلبث المكتبة الجديدة ان غدرت بها الأيام ففى عام ٦٩٤ هـ ـ ١٢٩٥م وقع غلاء بمصر بلغ من الفظاعة مبلغا دفع ببعض المترددين عليها الى سرقة كثير من الكتب وبيعها كل كتاب برغيف ، وتفرق الباقى بين أيدى المستعيرين ، واخيرا انتهى امرها الى البيع على يد دلال للكتب بأرخص الاثمان ومابقى منها نهب للافادة من جلوده والقاء مابقى من اوراقه خارج القاهرة ولم تلبث الاوراق ان طمرها التراب واصبحت اشبه بالتلال ، وقد أطلق عليها المقريزى اسم « تلال الكتب » .

وقد ذكر الجبرتى فى حوادث ذى الحجة سنة ١٢٢٥ هـ ـ ١٨١٠ م أنه ظهرت بالتل الكائن خارج القاهرة عند باب الوزير نار كامنة داخل الاتربة واشتهر امرها ، وزاد ظهورها وتردد عليها الناس افواجا ، رجالا ونساء ، فلما بلغ خبرها كتخدا بك «نائب الوالى» قصد اليها وامر رئيس الشرطة بصب الماء عليها واهالة الاتربة من اعالى التل فوقها ، ففعل ذلك ـ فلا يبعد ان تكون مادة الحريق هى الكتب التى ذكرها المقريزى .

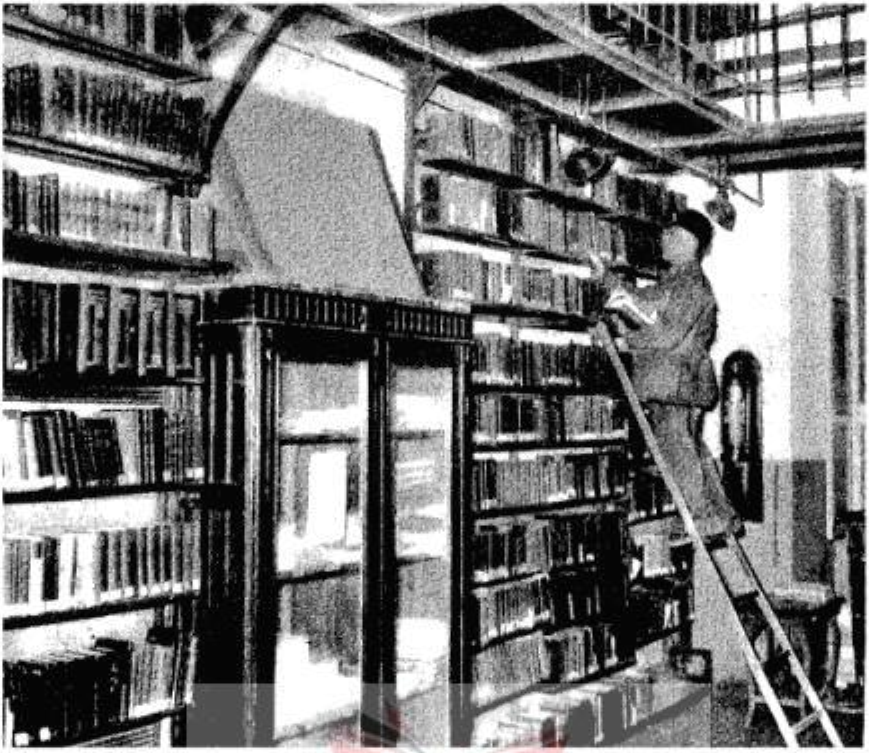
وفى عهد صلاح الدين انتشرت المدارس لنشر المذاهب السنية وكانت المكتبات جزءا منها وظلت ملازمة لها ، كما ظلت ملازمة للمساجد .

ومضت دولة الايوبيين وخلفتها دولة المماليك الذين كان اغلبهم على جانب عظيم من الجهل والاستبداد ، ولكنهم على الرغم من ذلك كانوا يرجون رحمة الله فانشأوا هذه المدارس الضخمة التى نشاهدها الان ونسميها الجوامع أو المساجد وجلبوا اليها نفائس الكتب وشجعوا العلماء والطلاب على التردد عليها .

ومن تلك المكتبات مكتبة مدرسة السلطان حسن ومكتبة مدرسة السلطان شعبان وغيرها .

وظلت تلك المكتبات عامرة حتى دخل العثمانيون مصر سنة ١٥١٧ م واخضعوها لحكمهم ونهبوا مااستطاعوا نقله من ذخائر كتب المساجد او المدارس مما تزخر به مكتبات استانبول اليوم .

ولما احتل الفرنسيون مصر ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ ، حملوا بدورهم عند رحيلهم



صورة من الداخل في دار الكتب واحد العاملين يقوم بمهمته اليومية في تقسيم الكتب وترتيبها ...

ما امكنهم نهبه من نفائس المخطوطات واستمر مابقى من كتب بالمدارس والمساجد مهملا ، في عهدة جماعة من الامناء ممن لا علم لديهم فتسرب معظمها الى ايدي الاجانب وفي طليعتهم المستشرقون . ومكتبات أغلب الدول الاوروبية تضم الكثير من تلك الذخائر .

وهال الموقف المغفور له علي باشا مبارك مدير المعارف فاستصدر من الخديو اسماعيل امرا بانشاء «كتبخانة» اي دار كتب في مارس سنة ١٨٦٩ ، وجمع ماإستطاع من كتب المساجد وغيرها ، وافتتح اول دار كتب حديثة في ٢٤ من سبتمبر سنة ١٨٧٠ وجعل بجوارها « دار العلوم » التي انفصلت واصبحت مدرسة ثم كلية دار العلوم. وكان مقر الكتبخانة او دار الكتب مكان المدرسة الخديوية بشارع بور سعيد .

وفي عام ١٩٠٤ تم بناء مكان جديد لدار الكتب بباب الخلق .

ومنذ بضعة اعوام انشيء مبنى جديد على ضفاف النيل يضم المكتبة الجديدة، كان المقرر ان يفتتح في العيد المئوى لدار الكتب ، ولكن عدم استكمال المباني والظروف التي مرت بها البلاد ، حال دون الاحتفال بالعيد المئوى في موعده .

ويضيق النطاق عن ذكر ووصف ما ستضمه الدار الجديدة للكتب من اقسام عدة وقاعات متنوعة ،منها قاعة للمكفوفين واخرى للاستماع الموسيقى وغيرها ، فضلا عن قاعة للاجتماعات العامة تسع ١٠٠٠ زائر .. الخ ـ مما يجعلها اكبر واعظم مكتبة في الشرق الاوسط .

●

قصة حياة القصة !

● سعد رضوان ●

● كان فى دار أبى طاقة حائط مليئة بمجلدات ورثها أبى عن جدى ، ثم أورثها لى .. ومن بين تلك المجلدات مجموعات لمجلة الهلال فى سنيها الأولى ، وهذه المجلدات وغيرها تنام فى مكتبتى التحها بين الحين والحين فى حرص على الورق الذى كاد يتهرأ لاقرأ فيها ثم اعيدها ..

وفى احد هذه الاهلة ، وهو عدد ديسمبر ۱۹۰۷ الجزء الثالث من السنة السادسة عشرة — قرأت ردا على سؤال من « على افندى صبحى فى الكتبخانة المصرية » يسأل المحرر :

— ما هو تاريخ القصص « الروايات » .. ومن هو واضع هذا الفن ؟

وقد رد محرر الهلال فى ذلك الوقت ، وهو مؤسسه المرحوم جرجى زيدان صاحب المؤلفات القيمة والروايات الشهيرة — بمقال قال فيه :

« أن القصص فن قديم ، وانها انواع منها الحماسى والغرامى والتاريخى والادبى والشعرى والنثرى ..

« وان أول الروايات والقصص التى وصلتنا هى رواية : « الاخوان » التى كتبت على ورقة بردى محفوظة بمتحف لندن ، وان الدكتور بروكش العالم البريطانى الاثرى قد حل رموزها سنة ۱۸٦٥ ، وقد كتب

القصة فى عهد الملك منفتاح بن رمسيس الثانى ، وأن كاتبها هو أحد كتاب البلاط .. »

وتتلخص القصة التى اشار اليها العلامة جرجى زيدان — كما قرأتها فى كتاب بعنوان « تابوبو الحسناء » للسيد اسماعيل محمد ، نشرته مجلة « الفؤاد » عدد اكتوبر ١٩٤٥ وكانت تصدر كتبا شهرية فى ذلك الوقت — تتلخص القصة فى أن « انوبيس » ورث واخوه الصغير « باتا » ارضا زرعاها معا ، وعندما كبر « باتا » راودته زوجة اخيه عن نفسه ، فرفضها ، وارادت الانتقام ، فالقت بنفسها فى زيت وشحم كمن انتهك شرفها ، وقالت لزوجها لما عاد أن اخاه اراد الاعتداء عليها . واشهر الاخ الكبير سكينه وجرى خلف الصغير ليقتله .. ودعا « باتا » الله لينقذه فظهر نهر ملىء بالتماسيح يفصل بينهما ، ولكى يؤكد « باتا » لاخيه براءته ، اخرج الاخ الصغير مخرطة الحشائش واجتز بها قطعة من جسده ، وتأكد « انوبيس » من براءة « باتا » ، ولكن الاخير رفض العودة معه واخبره أنه سيعيش فى غابة شجر الارز ، وسيعلق قلبه باحدى الشجيرات ، وان كل ما يريده من اخيه الاكبر ان ينقذه اذا حدث له خطر ، وسيعلم بالخطر اذا فاضت



كوب الجعة قبل ان يشربها ..

وعاش «باتا» فى الغابة ، فزفت به الالهة وقدمت له زوجة جميلة سقطت خصلة من شعرها فى النيل ، وكان الغسالون يغسلون ملابس فرعون ففاحت رائحة جميلة من خصلة الشعر التى اخرجوها من الماء .. وامر الفرعون بالبحث عن صاحبة الخصلة ، واحضروها له فتزوجها ، وطلبت منه شجرة الارز الكبيرة المعلق عليها قلب زوجها «باتا» ففعل ..

وفاضت جعة الاخ «انوبيس» فجرى الى الغابة باحثا حتى وجد قلب اخيه ، ووضعه فى ماء فعاد الاخ «باتا» الى الحياة .. وسحر «باتا» نفسه عجلا باعه «انوبيس» الى الفرعون ، واخذ الفرعون المرأة لترى العجل ، وفوجئت بان العجل همس لها فى السر قائلا : « يا خائنة ! » فعرفت من الصوت انه زوجها « باتا » ، فطلبت من الفرعون اطعامها من لحم العجل ، وذبح العجل ، وسقطت نقطتان من دم العجل على الارض ، اصبحتا شجرتين كبيرتين فجأة .. واخذ الفرعون المرأة لترى المعجزة ، فمالت عليها احدى الشجرتين قائلة فى السر : « ياخائنة ! » وعرفت الصوت من جديد فطلبت من الفرعون قطع الشجرتين وصنع اثاث بخشبهما .. واثناء عمل الاثاث تطايرت قطعة خشب دخلت حلق زوجة «باتا» فحملت وولدت طفلا هو الاخ الاصغر «باتا» الذى لم تستطع الزوجة ان تطلب من الفرعون ايذاءه ، فهى ليست مجنونة لتطلب من الفرعون قتل ابنه .. وكبر « باتا » وورث العرش ، واحضر اخاه «انوبيس» ليعيش معه .

ثم يقول محرر الهلال :

« انه بعد هذه القصة عرفت القصص اليونانية ، واهمها الياذة هوميروس عن حصار طرواده . وقد ترجم امين سلامة هذه الالياذة ونشرت فى الستينات ، وهى تدور حول البطل اليونانى اخيل ، وانتصاره على ملك طروادة بعد حروب دامت عدة قرون منى فيها الجيش اليونانى بقيادة اجامنون ـ بهزائم متلاحقة ، ولم يتدخل اخيل ليحقق النصر الا بعد أن مات صديق له فى الحرب ، والرواية مكتوبة فى عدد كبير من الاجزاء .. اما طروادة فيقال انها احدى البلاد القريبة من الاناضول فى تركيا .. »

ثم إستطرد محرر الهلال فقال :

« ومن الروايات اليونانية المعروفة غير الالياذة قصة الصوف الذهبى لمؤلفها قدموس الفينيقى ، والحق انه لا معلومات عندى عن هذه القصة وان كنت أعرف عن قدموس مؤلفها انه

طاقة حائط في دارنا تحكي

مبتكر حروف الهجاء اليونانية .. ثم قصة عولوس وايناس ..

« ثم انتقلت الروايات من اليونان الى الرومان الذين نقلوا القصص اليوناني كما هو وأدخلوا عليه اضافات من ابطالهم ..

« وبعد ذلك ، وفي العصور الوسطى انتقلت الى الجرمان الذين قدموا روايات الملك آرثر ثم تلتها قصص المائدة المستديرة .»

ومعلوماتي عن البطل آرثر انه ملك بريطاني في القرن السابع ابلى في الحروب وانتصر ككل أبطال الأساطير المعروفين، واشهر الروايات المشهورة عن البطل آرثر هي تريستان واوزولد .

اما قصص المائدة المستديرة فهي آخر ما وصلت اليه اساطير الملك آرثر **الذي كان يجمع مجلس بلاطه حول مائدة مستديرة** ، ومثلها مثل الروايات **البطولية القديمة** ، فان هذه الروايات **« الآرثرية » تملأ مجلدات وتشتمل قصصا غرامية بجانب البطولية ..**

ونعود الى مقال محرر الهلال فنجده يحدثنا عن أن :

« هذه الروايات البطولية انتشرت في كافة انحاء أوروبا من أواسط القرن الثاني عشر ، واصبح لكل بلد بطلها ، ففي فرنسا شارلمان وفرسانه الاثنا عشر ، وفي اسبانيا اماديس وبلمارين واشهر ابطالها ، « السيد» .. وأغلب هذه الروايات يتميز بالمبالغة والخرافات ومقتبس بعضه من بعض ومن الروايات الشرقية والفارسية والعربية كألف ليلة وليلة ..

« وفي العصور الحديثة ظهر الكتاب النوابغ الذين قربوا القصص من الحقيقة كاسكندر ديماس الاب ، والابن ، وفيكتور هوجو ، وسكوت وغيرهم من القصاصين ..

« اما القصص عند العرب قبل الاسلام فاكثرها كان متناقلا على الالسن غير مدون ، بني على اصل تاريخي كقصة سيل العرم ، واخبار عاد وثمود ، وبلقيس .. وجميع هذه القصص حافلة بالحوادث المختلفة من غرام جامح الى كرم في الضيافة كقصص حاتم الطائي ، الى الفروسية والشجاعة والتفاخر ..

« وبعد الاسلام لم يكن للقصص مجال قبل استقرار الدولة العباسية التي نشطت فيها حركة الترجمة والنقل ، وظهرت ترجمة للرواية الفارسية « هزار فسانه » ومعناها الالف حكاية ، وهي اساس الالف ليلة وليلة التي زاد عليها العرب وأدخلوا اليها الكثير من قصصهم .

« ومن الفارسية ايضا ترجموا روايات ضاع اغلبها ولم يبق منها غير كليلة ودمنة التي لها اصل هندي ، وعن الهندية ايضا ترجموا السندباد الكبير والصغير ، وقد ادخلت حكاياتهما في الف ليلة وليلة ، ولكن العرب رغم ما ترجموه عن اليونان فانهم لم يترجموا قصصهم كالالياذة وغيرها ..

« **وفي القرن الرابع الهجري ظهرت القصص التي الفها العرب بأنفسهم فظهرت روايات عنترة ، وسيف بن ذي يزن ، عن حوادث اليمن في دولة الفرس ، والزير سالم ، وابي زيد الهلالي ، والبراق ، والملك الظاهر، الى غيرها من الروايات التي شاعت في القرون الوسطى يقصونها ويروونها في المجتمعات والمنتديات ..**

«وفي أوائل القرن الماضي ظهرت حركة ترجمة جديدة عن اللغتين الفرنسية والانجليزية واشتغل البعض بتاليف الروايات ..»

وبعد ، فقد اغلقت المجلد واعدته الى مكانه وانا افكر في النهضة القصصية التي نحن فيها اليوم .. ●

نجمة الاصباح

• د. كامل سعفان •

فى زى راهبة .. تضوع
تتعانق الازهار فى خطواتهـــا
تتهامس الاحلام فى نظراتها
تترافص الايام فى همساتها
ويقودنى ظمـا وجوع !
كان الربيع جالسا على البحيرة
ينفخ فى قيثارته ..
ايامه التي اصابها الشتاء
فاورقت غصون
واشتعلت دماء
وساحت العيون فى العيون
فصارت الحياة كلها سماء!

ـ ٢ ـ

ايقنت انك نجمة الاصباح فى ليلى الطويل
فاخذت املأ من كئوس ضياك الوان المسرة
وغمرت قلبى فى فيوض بهاك، شوقا ، الف مرة
مازلت اسبح فى الطريق اليك مخمور الدليل
فمتى الوصول .. انا المقيد يا سماء ،
وانت حرة ؟!
يا راعى النجوم ..
الى متى تمضى بها فى الشاطىء البعيد؟!
الا تخاف سطوة الغيوم ؟!
قلبى يموج بالربيع ..
بالعطور ، بالورود
بالدفء ، بالشوق الخصيب ، بالنغم
بنشوة الالم ..
فهل الى المرعى الجديد ؟!

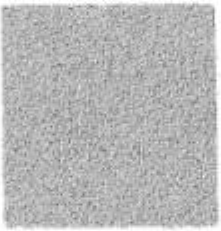
ـ ٣ ـ

يا طالما القيت ظلى خلف ظهرى صاعدا
تلتف ساقى حول ساقى !
لما ازل ـ والخطو دام ـ تستبد بى المراقى
واراك ـ يانجمى ـ تباعد جاهدا !
وقيل لى :
« كثيرة هى النجوم فى البحيره »
خلعت ثوبى ، وسبحت
سالت عنها كل موجة
اضمت قلبى ، وانطرحت
عريان لا املك حجة
حتى اعود !
كم ذا اعانى والطريق ضائعة
ولا جديد .. والذئاب جائعة
كل حين يعترينى ـ ياسماء ـ غيرة وثورة
ونشوة وســكرة
وشفوة وحيرة



ومن العلم ماقتل

موعد مع المغامرة الجيوفيزائية القادمة



● نهاد شريف ●

● فيما وراء الجبل الداكن الخضرة اتضحت استار مبكرة من ضوء الفجر ...

لكن سفح الجبل ظل معتما ، مموها ، ورقاع الزرع الممتدة من السفح الى الوادى العريض بدت كاشباح وديعة ناعمة .. أما قبة السماء فقد غطتها غلالة رقيقة رمادية من سحابات قطن واهنة التماسك ـ سرعان ما تبددها سخونة الشمس متى ظهر قرصها البديع ..

بغتة ، وعلى علو شاهق اخترقت السماء مجموعة من العصى الدقيقة فى احجام اقلام الرصاص ... وفى ثوان بلغت العصى بسرعتها الرهيبة نقطة تعلو الجبل وتعلو السحابات القطنية .. عندئذ تفرقت فى تشكيل مروحى ليتفجر كل منها بعيدا عن الاخر ويتلاشى على الاثر بلا ادنى صوت .. مخلفة وراءها ذرات محاليل كيميائية تتقاذفها تيارات الهواء العلوية وتزيد فى انتشارها ! ...

وخلال دقائق راحت السحابات القطنية تتجمع وتتكاثف . وسرعان ما تلاصقت وسدت منافذ السماء حتى الأفق ، كأنها جدار أسود عكر الطلاء ... وعلى غير انتظار لمع شريط من ضوء باهر .. وجلجلت جنبات الجبل الى عمق الوادى بهدير مدو مخيف .. وتوالى لمعان الاشرطة المضيئة ، وتلاحق القصف والدوى فى عنف لا مثيل له! .

ثم فتحت افواه السماء لينهمر مطر غزير ثقيل ، بلغت قطراته المتسارعة حدا من الفخامة لم يعرف من قبل ... وقطع الزمن ساعة طويلة طويلة اتسعت واشتدت اثناءها ثورة العاصفة الشاذة ...

***

فى أكثر من موقع عسكرى حصين ازت بؤرات حمراء ، وخرج الصوت فى الحاح ورتابة يعتريهما الصفير راح يكرر : « هنا مركز . . المراقبة . . الاستراتيجى .. الحارس . هـ . هـ

.. هنا مركز .. المراقبـــة . . الاستراتيجي .. الحارس . هـ . هـ .. انتباه .. الساحل الجنـــوبي الشرقي .. يتعرض لهجوم جوي .. انتباه .. العدو يستخدم الســلاح .. الجيوفيزيائي .. المثير لطـــاقات الطبيعة المدمرة .. انتباه .. .. ..»

كانت شاشات الرادار قداكتشفت خلال عشرين دقيقة الهجوم الغادر . لقد تكونت العاصفة صـناعيا . وتم توجيه مسارها بدقة متناهية الى قلب اخصب المناطق الزراعية في البلاد ، بغية افساد محاصيلها الكثيفة المبكـرة النمو ، واغراقها بســـيول الامطار المختلقة كيميائيا ...

وفي بقعة خفية تقع على عمق سبعين مترا وتعلوها طبقات من الصـــخر والاسمنت والواح الفولاذ ، اجتمـــع لفيف من قادة الدولة المعتدى عليها ، ودار بينهم حوار ساخن محموم ..

اعترض ضابط ذو شارب قصـــير وبشرة حمراء : انهم لم يرسلوا الينـا قوات تقليدية.. ولا سلطوا اشعاعاتهم الحارقة ، او قصفونا بصـــواريخهم النووية. ...

تمتم القـــائد في حدة بينما يلوح بقبضـــته : بالطبع ، هم جبناء .. لا يقوون على المجابهة في العلن .. عاود الضابط ذو الشارب القصير كلامه : لقد استعانوا بتسليط قوى الطبيعة الغاضبة علينا ... هه .. يظنون ان عاصفة مهما استفحلت ـ قادرة على اخضاعنا ...

ـ او امطار غزيرة مهما انصـــبت ..ممكن ان ترغمنا على الاستـــلام ..

ولم يتمالك القائد نفسه فهتف : اذن ، فلنتبع نحن باســـادة خطط محاربتهم تقليديا ، ولنرد عليهم بمثـل عدوانهم

عندئذ وقف ضابط ممتلىء البـــدن وقال في نبرات عميقة متسلطة :

ـ ان ارض المعتدين تقـــع داخـــل حزام الزلازل الاوسـط ....

مال عليه ضابط آخـــر اكبر رتبة واطول قامة : انه نفس ما فكرت فيه .. لنطلق عليهم زلزالا فائق الدرجة..

فلوح الضابط البدين بذراعـــه في اتجاه المختص المنوط بتشغيل الحاسب الالكتروني :

ـ اذن عجلوا باستدعاء نقاط الخطة السرية .. ج . ز ـ ١١١٥٤

وتمتم القائد في حسم : اوافق.. وبينما تجهزون الرد عليهم بهذه الخطة تقوم قواتنا الصاروخية الخاصـــة بمحاولات ايقاف العاصفة الصناعية الموجهة الينا وتدمير قلبها واركانها..

وفي الحال ، اســـتجابت عشرات الاصابع تحرك آلاف الازرار من اجـل الوصول الى هدف عاجل محدد ..

***

خلال ساعتين من بدء الاحـــداث السابقة غادرت غواصتان من غواصات الجيب قاعدتهما النهرية السرية. وما ان بلغتا مصب النهر حتى غاصـــتا في الحال وانطلقتا حثيثا الى عرض البحر المتسع في اتجاه مباشر الى الغـــرب .

وعلى مبعدة من شـــاطىء معروف توقفت الغواصتان .. ابطلتا آلاتهما وقبعتا على القاع .. وسرعـــان مـــا اطلقت كل منهما في اتجاه بؤرة محددة بالسفح القاعدي للشاطىء ، من تحت المياه ـ شحنات متلاحقة من موجات خفية ... ولم تمر ثوان حتى تولدت اهتزازات باطنيـــة راحت تكبر وتكبر وتنتقل بدورها متوغلة افقيا مســـافة

وراء أخرى الى الداخل . . بينما تحدث تغييرات مفاجئة فى قشرة الارض التى اخذت تئن وتتلوى فى جميع الاتجاهات محدثة زلزالا عنيفا فاق قصف القنابل النووية ...

ولم تتوان هزة الأرض الرهيبة عن إسقاط وتدمير عشرات العمائر ومئات الدور السكنية ! ...

وتحولت الدولة المعتدية الى دولة معتدى عليها ..

عندئذ جن جنون قادتها العسكريين وغير العسكريين .. فلجأوا الى حساباتهم الالكترونية مرة اخرى . . وتفتقت ذاكرة الآلة الواعية عن مزيد فى حرب اثارة قوى الطبيعة ..لينطلق القادة فيضيفون الى عنوانهم السابق فى شكل العاصفة والامطار الرهيبة ، عنوانا جديدا .. تمثل هذه المرة فى تحويل جانب من العاصفة الثائرة الى اعصار عملاق مدمر ،لايكتفى باتلاف المناطق الزراعية من البلاد ، وانما يجتاح الساحل ويتوغل الى عمق الداخل ...

وانتقمت الدولة الثانية ، فردت على العدوان بالاعصار بما هو امر واقسى من مجرد اطلاق زلزال عابر مهما بلغت حدته ... لقد القت اقمارها المحلقة ليل نهار فى السماء بكبسولات الدوى المخترق لحاجز الصوت فى نوهات ثلاثة من مجموعة البراكين الخامدة باراضي الاعداء، فأحيت البراكين الثلاثة على الفور بعد موات دام قرونا .. فاذا بقواها التدميرية تفوق قوى الزلزال عشرات المرات !.

***

وانفلت الزمام فعلا .. فعانت دول مسالمة شرورا لا ذنب لها فيها ولحقت بها اضرار من حيث لا تدرى .. لتدمير كوارث الطبيعة الى انحاء مجاورة

واضطرت المنظمة الدولية الى اتخاذ اجراءات ردع مشددة ، فارسلت بوليسها المحمل جوا ليسارع بنفاثاته الخاصة واجهزته الاكثر تقدما لوقف مجزرة الطبيعة ، بعد أن تسبب فى اطلاقها الانسان الحاقد غير المسئول..

واستمرت اغاثة الضحايا ،واعمال بعثرة العاصفة وتشتيت الاعصار وتهدئة سطح الارض المرتج ، واعادة اخماد البراكين ،استمرت لمدة ستين يوما . حتى هدأت الامور واستقرت نهائيا. لتتاح الفرصة من جديد وربما فى صورة اعم واشد هولا لنوع آخر من الحروب، لا تزال ملامحه ومواصفاته واهواله فى طى الغيب ، وان كان الذى يمكن تخمينه عن الحرب بعد القادمة ان مصدرها سيكون بالحتم : الانسان .. كذلك .

***

المشاهد التى طالعتنا عبر السطور السابقة مشاهد وهمية ، من صنع الخيال .. لكنها أبدا ليست بعيدة الاحتمال ..ففى حقيقة الامر انما هى الوجه المزعج والشديد القبح الذى فى الامكان ـ بتقدم تكنولوجيا الحرب والدمار ـ ان يطالعنا فى الغد القريب لقوى الطبيعة عندما يمتلك زمامها الانسان . وكما امتلك زمام اعتلاء الجو وتفجير النواة وشق اجواز الفضاء . الى جانب امتلاكه للآلاف من ادوات الهلاك والدمار والافناء ! ...

[redacted]

والعلماء يطلعون علينا اليوم بشعاء جديد لقولهم ان تكف عن انتاج المزيد من اسلحة الفتك التقليـــدية وحتى النووية والاشعاعية ، فالمخزون منهـا يكفى ويزيد ... وايضا لأن الحـرب القادمة ، حرب الغد ، سوف تكـون حربا مختلفة تماما .. انها حرب اثارة قوى الطبيعة الرهيبة وصبها عـلى الخصوم والاعداء .بمعنى أن يتم تكوين وتخليق الكوارث الطبيعية صناعيا ، ومن ثم توجيهها وبدقة متناهيـة الى مدن واراضى الاعداء لتقوم بدكهـا وتدميرها ، مثلما تفعل اسلحة القتال التقليدية ، ولكن فى صورة اعم واشمل وبكيفية اشد هولا واكثر فتكا ودمارا!!.

والحرب الجديدة يسمونها ((الحرب الجيوفيزيائية))، وهى الاسلوب الاكثر سهولة فى الاعتداء والعدوان على الغير، حيث توفر الحشود البشرية من الجند، وتوفر استهلاك العتاد الحربى من طائرات ودبابات وسفن وصـواريخ واسلحة واجهزة وقوات مختلفة .. كما توفر مصاعب نقل العتاد الحربى وتحريكه وتشغيله عبر مساحات شاسعة من الاراضى ..

وهى حرب يمكن التحكم فيها عـن بعد ، ويتم استخدامها حسب توقيت يحدد بدقة فى مكان او مساحـة ارض معروفة ومدروسة بعناية ... ثم هى حرب ، تكلفتها اقل ، وجهدها أيسر ، وناسها او المشتركون فيها محدودون، بل ربما امكن فى المسـتقبل ترك أمر اشعالها وتوجيهها وادارة دفتها للآلات وحدها ، وعلى راسها الحاسبات !..

***

ويتكلم العالم الامريكى جوردون.ج ف. ماكدونالد المدير المساعد لمعهـد الجيوفيزياء فى مدينـة لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا فيعلن «ان قدرة البشر فى السيطرة على البيئة المحيطة بهـم ستكون من بين الوسائل التى يمكـن عن طريقها تحقيق اهدافهم الوطنيـة فى المستقبل » ...

والاسلحة الجيوفيزيائية لن تحل محل الاسلحة الذرية فحسب ، وانمـا بمقدورها ان تبزها وتتفوق عليهـا . فالاسلحة الجيوفيزيائية تسـتغل الطاقات الهائلة الكامنة فى الطبيعـة لتستحضرها أو تكونها ثم تطلقها مـن عقالها، وبعدئذ توجهها الى حيث تريد..

وان اعصارا متوسـط القوة يهب باحد المحيطات بامكانه ان يسحب قدرا من طاقة المحيط تزيد قوتها على الف ميجاطن او ما يوازى ثلاثة اضـعاف أشد القنابل النووية المعروفة تدميرا .. ونفس الشىء يمكن حدوثه بالنسـبة الزلازل والتى تقاس شدتها من ١ الى ١٢ درجة .. فزلزال ذو قوة مقدارها ٩ درجات تتوازى طاقته التدميرية بما يوازى اربع قنابل نووية !

وقد استخدم بالفعل سلاح الامطار فى حروب فيتنام ولاوس وكمبوديا عن طريق رش السحب بمواد يوريد الفضة والثلج الجاف ، ممـا يؤدى الى ادماج السحب معا واسقاطها الامطار بغزارة.. وقد استهدفت المحـاولات الاولى لاسقاط المطر صناعيا توفير المياه فى الاراضى التى تعتمد على رى الامطار او تحويل بعض الصـحارى الى اراض زراعية خضراء ...

وقد جرب اسقاط الامطار الصناعية بنجاح فى مناطق الصحراء الاسترالية ومناطق زراعة القصب بالفلبين.وفى عديد من صحارى امريكا والاتحـاد السوفييتى ... وفضلا عن الفـائدة

العلمية لاسقاط الامطار بوسيلة الرش بالمواد الوسيطة ، فان استخدام اسقاط الامطار للاغراض الحربية يعد امرا بالغ الخطورة ، فهو يؤدى الى افساد المحاصيل وتجميع السيول التى تتسبب فى فيضان الانهار واغراق الاراضى وهلاك الانسان والحيوان ... ويعنى التحكم فى اسقاط الامطار بمناطق معينة ، حرمان مناطق اخرى من هذه الامطار التى كانت تتساقط عليها طبيعيا ، فتتحول الى مناطق قحط وجفاف بعد ان كانت مناطق خضرة ونماء ! ...

والعواصف العاتية بما تجلبه من تراكمات السحب لا تعنى الامطار فحسب، وانما يمكن استغلال الطاقات الكهربائية الكامنة فى السحب بتسليط صواعقها على المدن والقرى المأهولة مثلها مثل المناطق العسكرية ... كما يمكن استخدام شحنات الامواج تحت الصوتية لاصابة الاعصاب البشرية بامراض لم تعرف قبلا مثل التشتت الذهنى ، واليأس ، والقلق المحير المؤدى الى الانتحار ! ..

***

كذلك فى مقدور التكنولوجيا الآن تغيير مسارات الاعاصير ـ التى تتولد أصلا فى المناطق الاستوائية ـ وتوجيهها الى حيث يراد لها احداث التخريب والدمار ... بل ان الدولتين العظميين تجريان سرا تجارب تكوين هذه الاعاصير لا مجرد توجيهها ! ...

والاعصار بعامة يستمد طاقته من مياه البحر الذى يعبره ، لذلك فان توليد مثل هذا الاعصار صناعيا والتحكم فى مساره ، يعنى توجيه قوة تدميرية مخيفة توازى من قنبلتين الى ثلاث قنابل نووية للاعصار الواحد ..

الزلازل ايضا لها دور فعال فى الحرب الجيوفيزيائية ... وقد قطعت الولايات المتحدة شوطا بعيدا فى هذا المجال عن طريق ماقامت به من تجارب فى صحراء نيفادا ، استخدمت فيها التفجيرات النووية لاختبار كيفية احداث الزلازل الصناعية عن بعد ومدى التحكم فى آثارها التدميرية ، وبحيث لا تمتد الى مناطق لا يراد الامتداد اليها ! ..

وينتج عن تغيير مفاجىء فى قشرة الارض التى تنثنى تحت الضغوط الهائلة فوقها ، ان تتمدد اجزاء من باطن الارض وتتولد موجات اهتزازية تتشعب فى أكثر من اتجاه ، وهذا هو الزلزال او الهزة الارضية ... وهناك خمسة احزمة معروفة للزلازل على كوكب الارض ، ابرزها الحزامان الكبيران اللذان يمر اولهما بالمحيط الهادى وتحت مياهه ، وتتعرض له دول قليلة مثل اليابان والشاطىء الغربى لامريكا الشمالية ، لان اغلب مساحات هذا الحزام تحت الماء ..

اما الحزام الثانى فيمر بشمال البحر الابيض المتوسط ويخترق جنوب آسيا الى الصين ، ويعرف بالحزام الاوروبى الاسيوى ... وهكذا فان تصنيع الزلازل يتطلب بكيفية ما تغيير التمدد المرن الحادث فى باطن الارض وعلى مساحات مدروسة ومحسوبة ..

وما يقال عن الزلازل يمكن قوله عن البراكين الخامدة التى يعنى اثارتها واحياؤها المزيد من الخراب والدمار للمناطق الموجودة بها ، خاصة وان كل بركان منها يعنى قنبلة موقوتة لا يعلم

احد متى يحين انفجارها ! ..

والحرب الجيوفيزيائية تقف على راس الحروب الخفية التى تستحيل ممارستها فى العلن ، ومن ثم يصعب على الطرف المعتدى عليه أن يحدد ما اذا كانت الكوارث التى يتعرض لها من فعل الطبيعة أم انها عمل مقصود ! ..

وربما استغرق التعرف على حقيقة تكوين كارثة ما تتعرض لها البلاد المزيد من الوقت مما يزيد فى فاعلية دمارها • و «خير» مثال بين كوارث الطبيعة التى يمكن تصنيعها فى الخفاء ما يسمى بـ « ثقب اوزون » ، والاوزون طبقة فى الغلاف الجوى المحيط بكوكب الارض لها القدرة على امتصاص اكبر قدر من اشعة الشمس فوق البنفسجية ، وهى اشعة قاتلة .. فاذا حدث وتركزت ـ لا قدر الله ـ كل طاقة الاشعة فوق البنفسجية دون امتصاص طبقة الاوزون لها ـ تلك التى صنعها الله لحمايتنا ـ فان معنى ذلك هو الدمار الشامل لكافة مظاهر الحياة على سطح الارض ! ..

ومن هنا فقد اتجهت الانظار اليها ، وكالعادة فكر نفر من العلماء الذين لا يالون جهدا فى ابتكار ما يعكر حياة بنى الانسان أو يعمل على ازالتهم من الوجود نهائيا ـ فكر هؤلاء العلماء فى احداث ثقب أو نافذة فى طبقة الاوزون هذه ، فوق الهدف المنشود بمنتهى الدقة ، تسمح بمرور أشعة الشمس فوق البنفسجية واحراق المنطقة التى يفتح فوقها الثقب أو نافذة الهلاك هذه ..

ويصرح العلماء السوفييت بأن لديهم خططا سرية يردون بها فى حالة تعرض بلادهم لهجوم امريكى يتخذ سلاح الجيوفيزياء اداة له .. بأن فى مقدور السوفييت اذابة جليد القطب الشمالى ورفع مستوى المياه فى المحيطات ،وبذا يمكن توجيه الفيضانات المدمرة ضد المدن الامريكية واولها مدينة نيويورك !

ويرد علماء الولايات المتحدة الامريكية بأن لديهم بدورهم خططا أشد فتكا ، وبنفس السلاح الجيوفيزيائى .. بان يستخدموه لتغيير مناخ الارض الزراعية الروسية وتوجيه ضربة ساحقة الى مصادر الغذاء لدى السوفييت باساليب مختلفة من بينها الجفاف الدائم ! ..

وتؤكد صحيفة الهيرالد تريبيون الامريكية ان بداية القرن الواحد والعشرين ستكون نقطة التحول فى استخدام حرب البيئة او الحرب الجيوفيزيائية .. وهو تاريخ ليس ببعيد • وعندئذ سوف تكون اكثر الحروب يسرا فى اشعالها وادارتها .. وايضا اكثرها رعبا وهلاكا وافناء !

واذا كان الانسان القديم قد ارعبته قوى الطبيعة الغاضبة وظل يخشاها حتى عبدها ، وطالما سجد الانسان فى الازمنة السابقة للرياح الغاضبة ، وطالما تعالت صلواته تحت بريق الصواعق وهدير الرعود .. بل ان رماة الاقواس فى شمال اوروبا اعتادوا ان يطلقوا سهامهم ضد السحب المنذرة بالعاصفة قصد اخطارها التى تطلقها القوى الشريرة ..

حتى جاء انسان العصر الحديث ، بعلومه ومخترعاته وتكنولوجيته المتقدمة .. فعرف كنه ثورات الطبيعة وخبر انواعها ومظاهرها وكافة اساليب طاقاتها .. بل امكنه فى النهاية ان يخضعها ويتحكم فيها ـ ليس لامنه وامن جيرانه ـ ولكن ليهلك بها اخوانا له فى الانسانية .. ●

قصة

ضحكة سكرة

● اليفة رفعت ●

لها رنين يهز القلب ، يشعل كهرباء فى جسدى ، تصاحبها غمزة من عينها الكحيلة توقظ صبوتى .. قالت وهى تمط ذيل ضحكتها وتلصق كتفها الطرى بكتفى بعد مدفع الافطار : «العيد قرب يابو صلاح » ! .

رفعت نظرى اليها فى استنكار ،فهى اعلم بالحال .. وفى الحال ، انهارت حجج التملص فى نفسى ..

لحت وجه صلاح وفمه يتسع على آخره فى ابتسامة مترقبة .. قلت خاضعا : « حاضر ! . باكر اسافر لبلدنا واحضر من عند امى سمنا بلديا من الاصل ودقيقا ابيض فاخرا ! » .

رنت ضحكة سكرة تضىء حجرتنا المعتمة بالبهجة ، وقامت تتثنى بعودها اللدن ، فاحضرت الفانوس من فوق الرف واشعلت شمعته ، ثم ناولته لصلاح وهى تهندم بيدها الحنون ملابسه هامسة : « العب مع الاولاد حتى السحور ، ليرتاح ابوك ويستطيع السفر » .

طرحت ساقى فى تكاسل لذيذ وامسكت بسيجارتى انتظارا للشاى .. وسرعان ماجاءت به سكرة ، وما زال طنين وابور الغاز يملأ الاسماع ... فهمت اشارتها ، فتلقيتها بالشوق ، ونسينا الدنيا .

رمت بالماء الساخن المتجمع فى الطست من النافذة ترش به الحارة قبل عودة صلاح .ولكن العفريت بمجرد رجوعه اطال النظر الى جلبابى النظيف والى شعر أمه المبلول وبرقت عيناه فى استمتاع وكأنه ذاق حلاوة لعبتنا !

تناولنا السحور ، فادنى بقية الطعام من الشق الذى يسكنه صديقه الفأر الصغير الذى بات يمرح بيننا باطمئنان ... ثم اندس بيننا على الفراش فى سكون ، وسرعان ما نام فنامت سكرة وهى تحتضنه وابتسامة تضىء قسماتها الحبيبة .

خرجت للجامع لاصلى الفجر ، ثم مشيت لأصل للشركة فى الوقت المناسب لاقوم بعملى فى تنظيف المكاتب قبل حضور الرؤساء فى العاشرة .

***

امى كانت أمنيتها أن ترانى واحدا من افنديات المدينة ، فلم تسمح لى بالعمل فى الغيط مع أبى ، وانما صممت على أن اتعلم ، ثم سعت حتى وظفنى أهل الخير ،فاصبحت من موظفى الدولة وزوجتى بنت بندر بيضاء .

***

خرجت مبكرا من المكتب .. خرجت من المدينة المختنقة الى خلاء الريف الاخضر ،فتنفست فى راحة عميقة وشعرت بالصفاء .. حمدت الله على يده الممدودة بالخير تنثر الرزق الوفير فى سخاء ، وظللت اختزن فى صدرى الهواء النظيف وانا فى طريق عودتى السريعة ، وقد وفقت ورجعت احمل على ذراعى سلة بها قدر السمن الشهى ، وعلى ذراعى الاخرى ينام كيس الدقيق النقى ..

سرت على قدمى ، سرت أتفادى الحفر وأقفز فوق نتوء البلاط المكسور ، وانزلق فوق المياه الناشعة من المجارى واتخطاها بمهارة حرصا على سروالى الذى سارتديه فى العيد .. أبت سيارة فارهة الا أن تطاردنى ناثرة المياه فى وجهى ، مع هذا واصلت سيرى باصرار

فالمكافأة سخية في التظاري : ضحكة سكرة حبة القلب .. وفرحة صلاح قرة العين ! .

***

لفظت المدينة آخر لمساتها العنون فانعقد دخان أبيض كثيف حول السماء الى فوهة بركان يفور في دوامات مفزعة .. ومع اشتداد القيظ اشتد الزحام وتكاثر الناس كان السكان كلهم خرجوا من بيوتهم .. سد الزحام الشوارع فبدت مرشوقة بالرءوس البشرية تحملق عيونها في ذهول متجمد .. بعض المحلات المكدسة بالبضائع المستوردة تحترق بفعل لصوص اشعلوا النار ليغطوا سرقتهم — تحترق وستون عربة اطفاء ترشها بالماء الشحيح الذى تستجديه الخراطيم بغير جدوى . تحترق . ومالى انا؟ ماذا يخصنى من الورد البلاستيك والمراتب الكاوتش والنجف الكريستال ؟! كل امنيتى بضع « شكاير » من الاسمنت ارمم به المنزل الذى نقطن احدى غرفه ، وقيل انه آيل للسقوط ، كما قيل من اغلب بيوت الحى العتيق انها يجب ان تهدم بسبب المياه الجوفية المختزنة .. مياه مختزنة ولا يستطيعون اطفاء الحريق .. سال عرقى على وجهى المتسخ من لفح الوقود المحترق فى العربات التى تدفق شلالها مع اشارة المرور حتى جف حلقى ، وما زلت اخوض الزحام مدافعا عن حمل اشجع عزيمتى واستجمعها .. بالتسبيح : رحمتك يالطيف .. لطفك يارحيم .

زاغ بصرى فى بريق سيارة اتوبيس حمراء رشيقة . وقفت مسمرا من الدهشة .. خالية ؟ غير معقول .. خالية يعنى بها موضع لقدمى الاثنتين وسلمها خال من المتشعبطين ..

ابت اشارة المرور السماح لها بالتحرك وكانها فى انتظارى بامر من السماء .. قفزت اليها شاكرا حامدا ، ووضعت احمالى بين قدمى ، وفردت ساعدى اعيد لعضلاتهما المتيبسة المرونة .. كدت اسقط فى وقفتى حين اندفعت السيارة مرة واحدة فى عنف بقوة المحركات الجديدة .. انكببت أحتضن قدرى الغالية وافديها بسلامتى .. وصرخ الكمسارى وهو جالس على كرسى مرتفع فوق راسى : « تذكرة يا اخ » ! ..

ابتسمت له فى تملق ابله وانا ابحث فى جيوبى حتى أخرجت قرشين ، نظر الى فى تعجب وعاد يصرخ « هنا تذكرة موحدة كله بعشرة قروش يا سيد » .. هتفت « يا خبر .. اذن سانزل المحطة القادمة » هبش باظافره عنقى ، ودفعنى من ياقتى للسلم وهو يضغط زرا كهربائيا توقف على اثره الاتوبيس دفعة واحدة فى صرير هائل ، طوحنى على ساق سيدة بدنية ترتدى الحداد صرخت فى وجهى كنمر هائج .. انزل وخلصنا ! ..

غمرنى عرق الخجل فمسحت خط الدم النازف من عنقى وانا استنجد برحمة الله التى ادركتنى ومنعها عنى الناس .. لم احتضنت احمالى مرة اخرى لامشى متمشيا فى حلم .. « اللهم انى سالم » مشيت ارمق العربات التى انغرست متكدسة مرة اخرى بشماتة لربما اسبقها مع وهن خطواتى ! ..

اقتربت من حينا ، وفجأة وجدتنى فى عاصفة ترابية هائلة .. حارتنا ضاعت .. تحولت الى خرابة هائلة بعد أن انهارت البيوت دفعة واحدة ! .

رميت باحمالى وجريت فى كل اتجاه أنادى ...

تلفت باحثا ، اين ضحكة سكرة .. هل تلاشت الى الابد فى دوى الصراخ؟ . اصخت السمع ، برز من خلال الخلود راس امرأة ملطخ بالاوحال يحمل سمات ابتسامة مسلوبة الفرحة والبهجة بالحياة .. اهلت عليها الطين فى فزع واستنكار .. ضممت صلاح الى صدرى وجريت به لاهثا .. المدينة .. المدينة تغرق ياصلاح ، لتترك بكواتها ينظفون مكاتبهم بانفسهم .. ونعد الى ارضنا الخضراء .. المدينة تغرق ولا فائدة ، تغوص فى الاوحال وضاعت فيها ضحكة سكرة يا صلاح ! ●●

الكون على ضوء علم الفلك الجديد

الأرض تصبح قمراً



الأرض الطيبة : مجال حياتنا الذى تفيئه الشمس ، الأرض تتهادى مسافرة مع قمرها العقيم كما يظهران عندما ينظر اليهما من شهاب « هرمس » عندما مر بهما على مسافة ٥٠٠ر٠٠٠ ميل فى عام ١٩٣٧ •

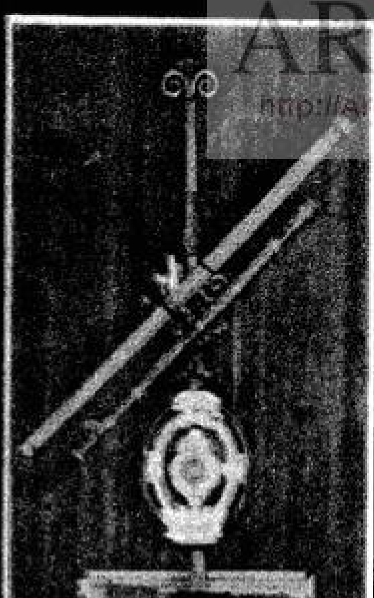
فى هذا الرسم القمر يبدو كبيرا لقربه من هذا الشهاب • هذه الصورة رسم لا تصوير •

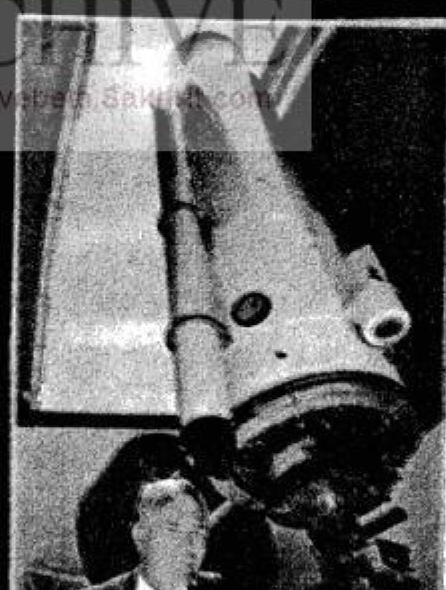
منذ بدأت رحلات الفضاء ، تغير علم الفلك تغيرا جذريا • اننا الآن امام علم فلك جديد تماما يقوم على المعلومات الدقيقة المباشرة التى تجمعها محطات الفضاء والمركبات الفضائية والاقمار الصناعية والتليسكوبات الاليكترونية • وهذا الاستطلاع الذى اشترك فى عمله اثنان من اعظم المشتغلين بدراسات الفلك والكون يعطيك فكرة شاملة عن معلوماتنا عن الكون اليوم • انهما كينيث ف • ويفر اكبر اساتذة الفلك فى عصرنا ورسام الكون التشيكوسلوفاكى لوديك بيزيكا الذى يرسم اجمل وادق لوحات عن الكواكب والنجوم •



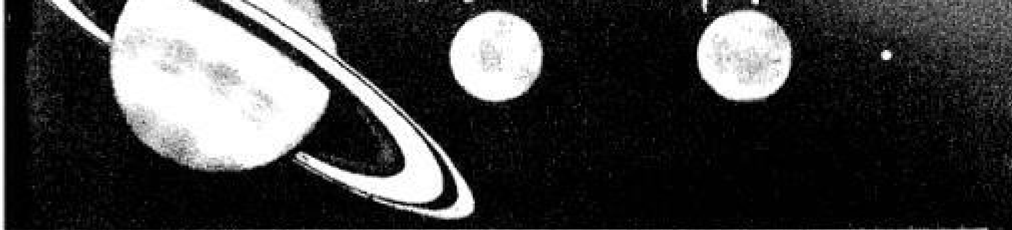


يعتبر جاليليو جاليلى العالم الايطالى منشىء علم الفلك الحديث ، لأنه أول من استعمل المنظارات المقربة - التليسكوب - فى النظر الى الكواكب ودراستها ، وقد ركب بنفسه التليسكوب ، ومن خلال عدسته ظهرت لقبة السماء ونجومها وكواكبها صورة أخرى جديدة ، ومن ذلك التاريخ وهو سنة ١٦٠٨ صار علم الفلك الحديث قائما على الرؤية بالمنظارات والحسابات الرياضية ثم بالرحلات الى الفضاء واجهزة الحساب الاليكترونى . على هذه الصفحة نرى صورة جاليليو والتليسكوب الذى ركبه ثم صورة تليسكوب ضخم حديث يستعمل فى أحد المراصد الامريكية اليوم .





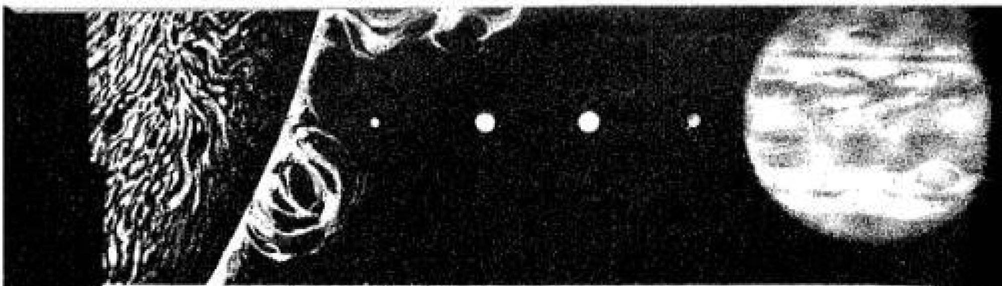
الحجم النسبي للشمس والكواكب



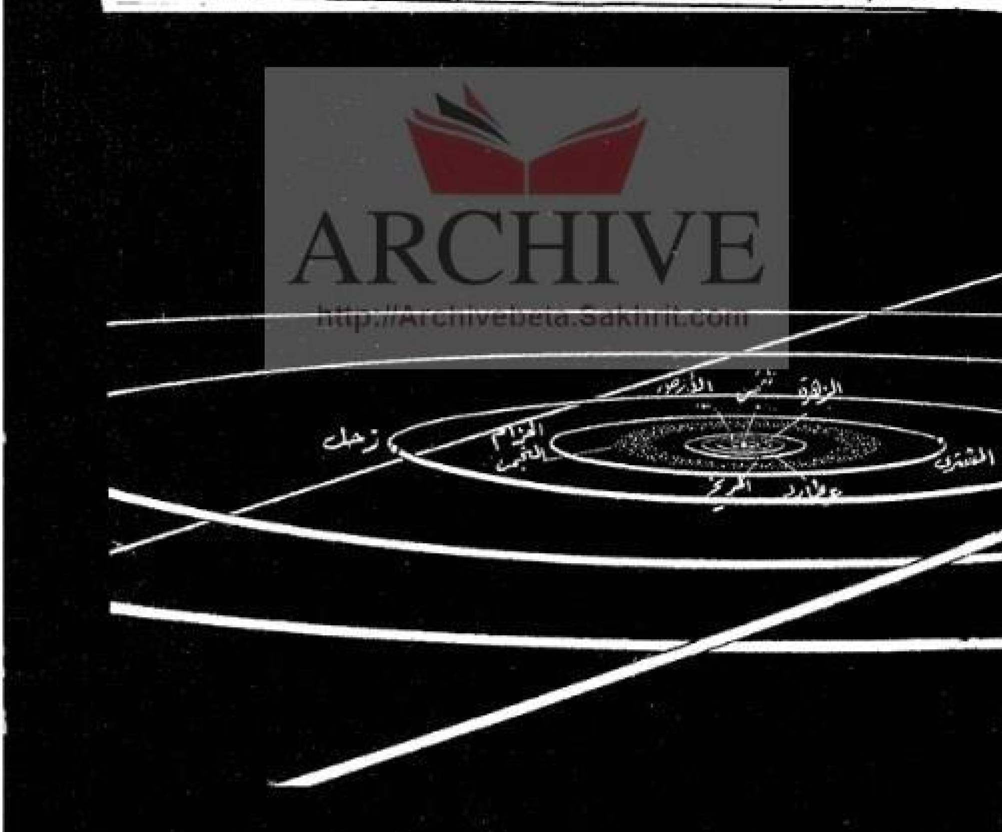
بلوتو	نبتون	أورانوس	زحل
٠٫٥ ؟	٣٫٩	٣٫٧	٩٫٥
٠٫٨ ؟	١٧٫٣	١٤٫٥	٩٥٫١
؟	٥٩	٥٠	٧٦٩
؟	١٫٦	١٫٧	٠٫٦٩
؟	١٫١	١	٫٨٨
٠	٢	٥	١٠
٦٫٣٩ يوم	١٥٫٨ ساعة	١٠٫٨ ساعة	١٠٫٢٣ ساعة
٢٤٧ سنة	١٦٤٫١ سنة	٨٤٫٠١ سنة	٢٩٫٤٦ سنة
٣٩٫٣٧	٢٩٫٩٩	١٩٫١٦	٩٫٥٢

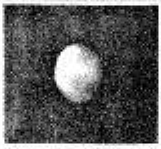


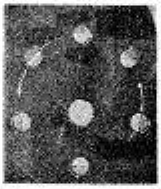
رسمان يمثلان المجموعة الشمسية والكواكب التي تتكون منها باحجامها بنسبة بعضها الى بعض . والرسم الاسفل يمثل الافلاك التي تدور فيها الكواكب حول الشمس . وبين الرسمين جدول بالبيانات باحجام الكواكب واوزانها واقطارها بالنسبة للارض التي اعتبرناها واحدا كاملا . ومقاييس الكواكب الاخرى اجزاء من هذا الواحد او مضاعفات له .



	عطارد	الزهرة	الأرض	المريخ	المشتري
القطر الاستوائي للكوكب قطر الأرض = ١ أو ٧٩٢٦ ميل	٠,٣٨ من قطر الأرض	٠,٩٥	١	٠,٥٣	١١,١٩
الكتلة بالنسبة للأرض (الأرض = ١)	٠,٠٦	٠,٨٢	١	٠,١١	٣١٧,٩
الحجم للأرض = ١	٠,٠٦	٠,٨٦	١	٠,١٥	١٢١٨
الكثافة للماء = ١	٥,٥٠	٥,٢٧	٥,٥٢	٣,٩٥	١,٣٢
الجذب الثاقلي الاستوائي للأرض = ١	٠,٣٩	٠,٩١	١	٠,٣٨	٢,٣١
عدد الأقمار	٠	٠	١	٢	١٢
زمن الدوران حول المحور (بالنسبة لزمن الأرض)	٥٨,٦٥ يوم	٢٤٣ يوم	١ يوم	١,٠٣ يوم	٩,٩٣ ساعة
الدوران حول الشمس (بالنسبة لزمن الأرض)	٨٨ يوم	٢٢٤,٧ يوم	١ سنة	١,٨٨ سنة	١١,٨٦ سنة
متوسط المسافة من الشمس (الأرض = ١ أو ٩٢,٩٥٦,٥٢٤ ميل)	٠,٣٩	٠,٧٢	١	١,٥٢	٥,٢٠

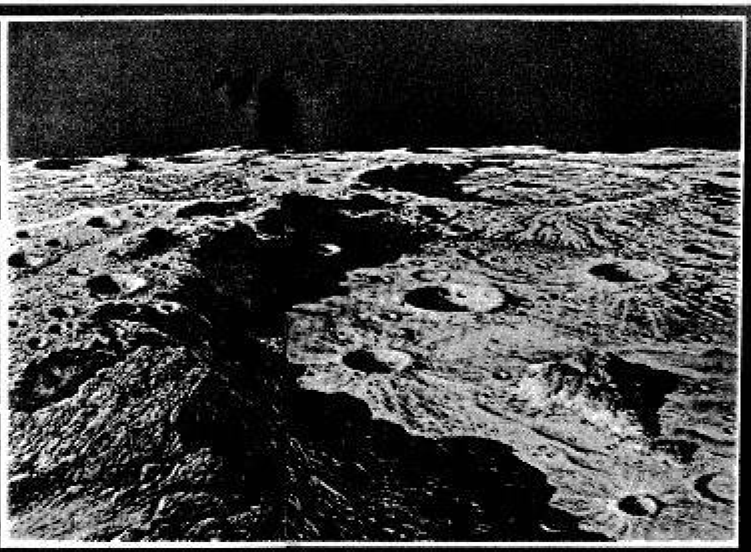






(١) عطارد كما يظهر من خلال التلسكوب .

(٢) دورة عطارد حول الشمس اثبت الرادار ان دورانه حول محوره تستغرق ٥٩ يوما ارضيا (لاحظ النقطة المصورة) ، ودورته المدارية تستغرق ٨٨يوما.



فوهات عميقة في سطح عطارد قد لفحتها اشعة الشمس الحارة . ويبدو سطح عطارد مشابها لسطح القمر لما له قربه الشهب والنيازك مكونة بذلك هذه الحفر والفوهات ذات الحافات البارزة . وحيث أن عطارد عديم الغلاف الجوي فحرارته تصل الى ٦٥٠ درجة فهرنهيت في وجهه النهاري وتصل الى ٣٠٠ درجة فهرنهيت في الوجه الآخر .

● أقدم علماء الفلك هم الرعاة ، أولئك الناس البسطاء الذين يرسلون قطعان أغنامهم في السهول والمروج ويستلقون على ظهورهم يتأملون قبة السماء فوقهم والزمن يمضي من حولهم دون حساب .
بحكم العمل أصبح الرعاة هواة الكون ، فهم أول من جلس في الليل يراقب حركات الكواكب والنجوم ، ولا تتبدى الكواكب والنجوم في أجمل صورها الا في الليل أو في ساعات الغروب والشروق ، لان الشمس بنورها الباهر تغطي نور أي كوكب آخر بالنهار ومع ذلك فان من بين علماء الفلك القدامى من استطاعوا بالعين المجردة في الايام الصاحية واعتمادا على معلومات الرعاة استطاعوا أن يرقبوا معظم كواكب المجموعة الشمسية ويجمعوا عنها معلومات طيبة اصبحت أساسا لعلم الفلك في العصور الوسطى .

كان هذا العلم يقوم على مراصد لا تعرف العدسات المكبرة ، وانما كانت تقام على المرتفعات في نواح تتميز بصفاء السماء فيها ، أو بما كان يسمى برقة الهواء فيها ، أكبر المراصد التي عرفت في تاريخ العلم العربي أقيمت في بلد يسمى المراغة في شمال غربي ايران أيام السامانيين ، وهم أسرة اسلامية ايرانية حكمت ايران خلال القرن الرابع الهجري ، وقد اشتهر أمراء هذه الاسرة بحب العلم والعلماء والولع بالفلك ، الذي ازدهر في ظل أمراء هذه الاسرة ، ثم أسرة الغزنويين من بعدهم عاش وعمل كبار الفلكيين العرب من أمثال الفرغاني والبيروني وقاموا برصد النجوم والكواكب وتأليف الكتب عنها وعمل ما يسمى بالزيجات (جمع زيج) وهو الجدول الفلكي .
ومعلومات أولئك العلماء كانت أساسا لعلم الفلك في الغرب حتى اكتشف جاليليو التليسكوب وهو المنظار القائم على العدسات المكبرة . كان كوبرنيكوس قد تبين بعدسات صغيرة أن الارض ليست مركز الكون ، بل الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وهذا الاكتشاف وضع نقطة النهاية لعلم الفلك القديم والوسيط كله وعلى يد جاليليو قام علم فلك جديد ..

مع تقدم فن صناعة التليسكوب قامت المراصد الحديثة وقام علم الفلك الحديث الذي انتهى من أوائل الستينات عندما بدأ الانسان في الولايات المتحدة وروسيا يغزو الفضاء عن طريق الصواريخ والاقمار الصناعية والمركبات الفضائية ..

هذه الامكانيات الجديدة التي اتيحت للبشر جعلتنا أمام علم فلك جديد : بدلا من الصور القديمة الصغيرة للكواكب والنجوم اصبحنا نملك صورا رائعة مصورة من مسافات قريبة نسبيا بعدسات غاية في القوة والتقدم ..

أبسط هذه المعلومات تصورها لك صورة غلاف هذا العدد من الهلال : الارض مصورة من على سطح القمر كما

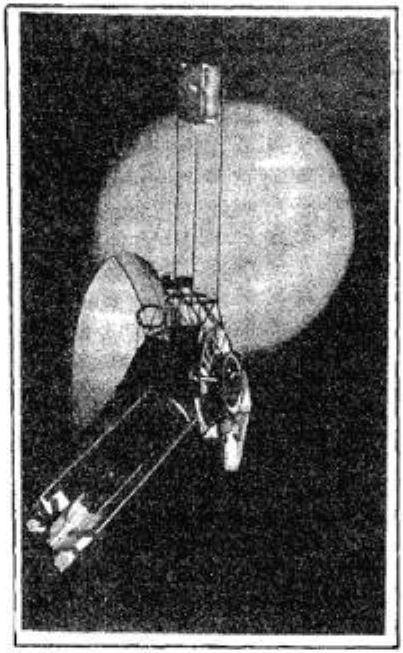
صــــــورها أولئك البواســل الذين طاروا بالصـــواريخ ونزلوا على سطح القمر وساروا عليه بالاقدام وأتونا بقطع من صخوره وارضه ، ومن القمر صوروا الارض ، فبدت وكأنها قمر ، وحقا انها قمر بالنسبة للقمر الذى أصبح فى هذه الحالة ارضا ، وهو أرض بالفعل ، وهى حقيقة خيبت آمال بعض الشعراء ·

من مركبات الفضـــاء جوبتر وماريتر يكتب العلماء اليـوم علم فلك جديد · من أسف أن روسيا لا تذيع معلوماتهـا الفلكية التى تجمعها مركباتها الفضائية بنفس السهولة أو الكـرم العلمى الذى تفعله المراكز العلمية الامريكية ·

***

ولقد كنا فى الماضى نشـعر برهبة الكون العظيم ونحن نتأمل الصــــور البدائية نسـبيا التى تقدمها الينـا المراصـــد ، اما اليـــوم فان الرهبة تتضـــاعف نتيجة للمعلومات الدقيقة نسبيا التى نحصل عليها يوما بعد يوم عن الكون بصفة عامة وكواكب مجموعتنا الشمسية بصفة خاصة ·

اننا نعرف اليوم عن كـواكب مثـل عطارد والمشترى وزحل الف مـرة أكثر مما كنا نعرف فى الماضى ، وعلمنا هذا الجديد يقوم على صور وأفلام واضحة الى حد بعيد وعلى تحليـلات للأطيـــاف الضوئية الصادرة عن هذه الكواكب ، بل ان كوكبا شـــاسع البعد عنا مثـل أورانوس يبدو لنا اليـــوم قريبـا من

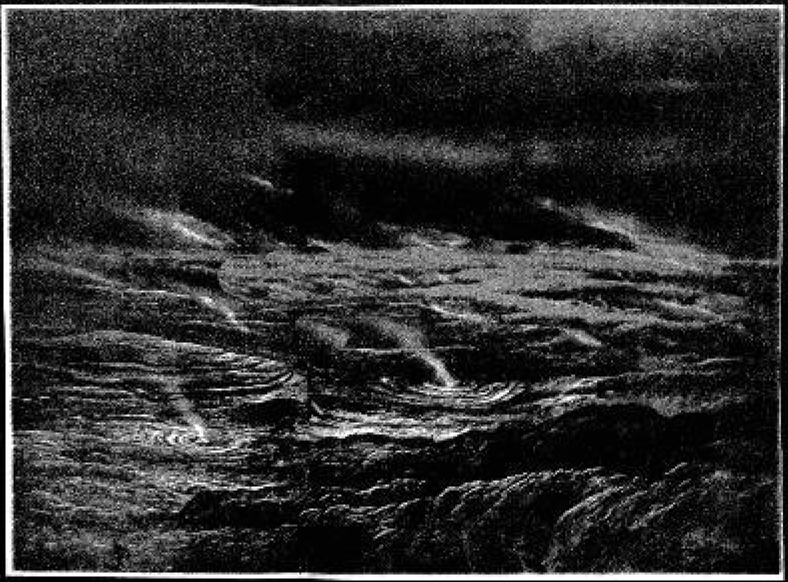


مركبة الفضاء « بيونير » بالقــرب من المشــترى

الارض كأنه القمر الذى أصبح بالفعل جزءا من الارض وامتـدادا لها ، فنحن نسافر اليه ونعود منه ونأخذ قطعا من حجارته وقبضات من ترابه ، وقد وقف ناس من الارض على حافات فوهـــات حفره الهائلة ، التى طالما حيرت الاذهان·

فى هـــذا الاستطلاع تركنا الصور والرسوم تتحدث بنفسها لانها أبلغ من كل مقال ، وقد اخترنا مجمـــوعة من الصور والرســـوم الحديثة تؤكد لك بالفعل أننا أمام علم فلك جديد ·

د · حسين مؤنس



جحيم السماء في كوكب الزهرة الذي يغلي بالفوارات الساخنة والحمم . وفي الواقع لا يمكن رؤية هذا المنظر حتى لو كنت على سطح الزهرة لان الغلاف الجوي له اكثف من غلاف الارض بمئات المرات .وهذا الغلاف يحجب الرؤية كالضباب .

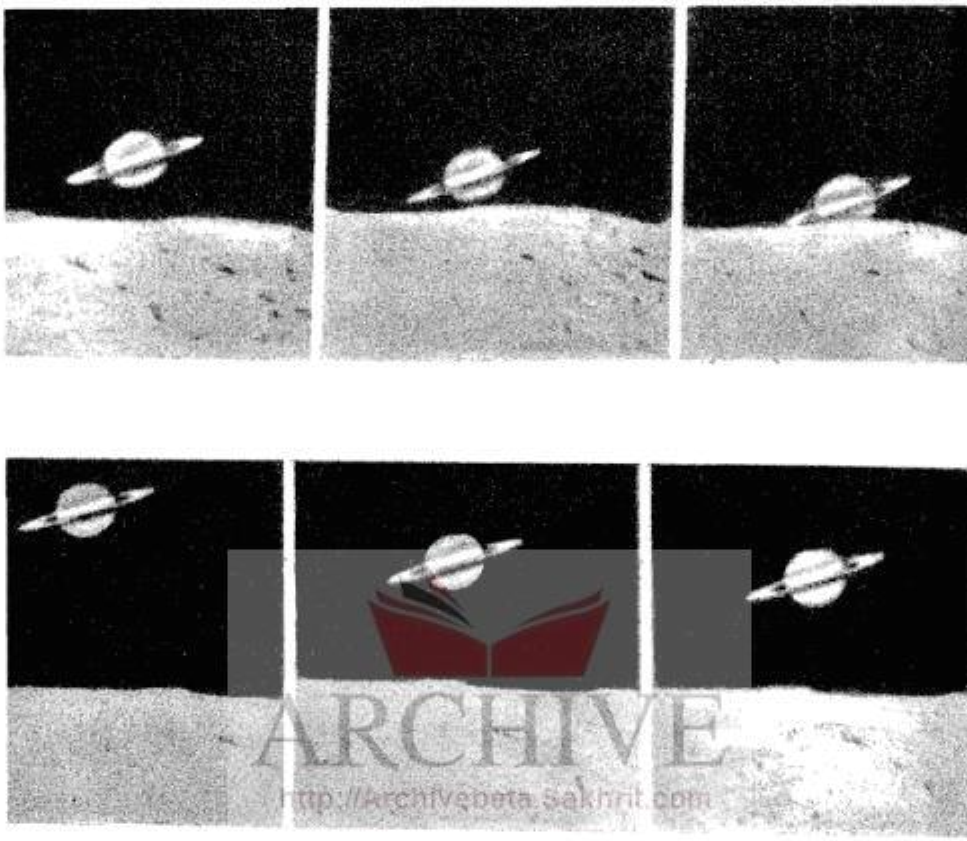
كوكب الزهرة لا يناسب الحياة حيث ان الحرارة على سطحه حوالي ١٠٠٠ درجة فهرنهيت لاحتلاف من ثاني اكسيد الكربون الذي يحجز الحرارة مثل « الصوبة النباتية » .

يظهر الزهرة لنا كنجمة الصباح ونجمة المساء المعروفتين .

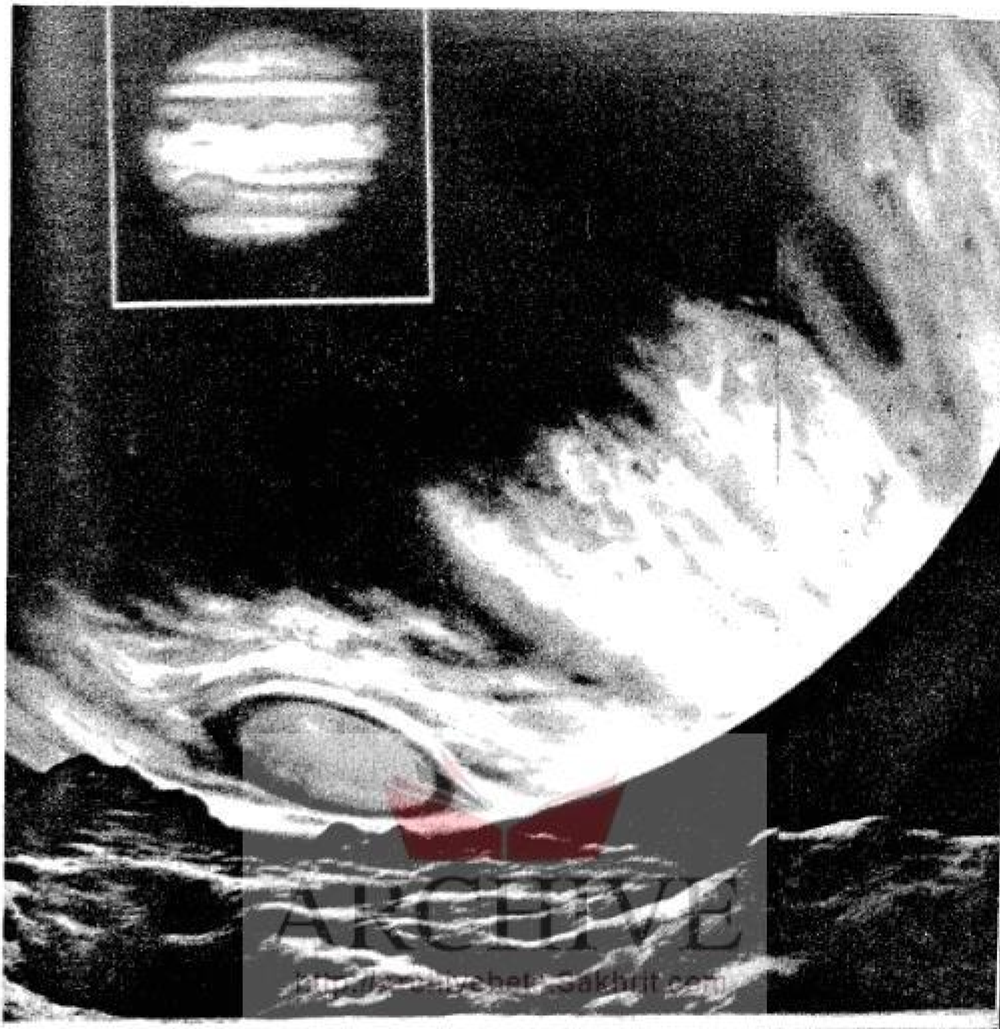
والصوبة هي الغرفة الزجاجية التي تزرع فيها بعض النباتات .



كوكب زحل يلمع بهالته الجميلة الصفراء عند الغسق وهو يبعد عن الشمس بحوالى ٩٠٠ مليون ميل . فى هذه الصورة التى التقطت عام ١٩٦٨ تظهر حلقتان تلمعان بوضوح ، وتفصلهما فجوة تسمى « فاصل كازينى » . فى عام ١٩٦٩ اكتشفت حلقتان ثالثة ورابعة الى الداخل وهما رفيعتان وخافتتان جدا .

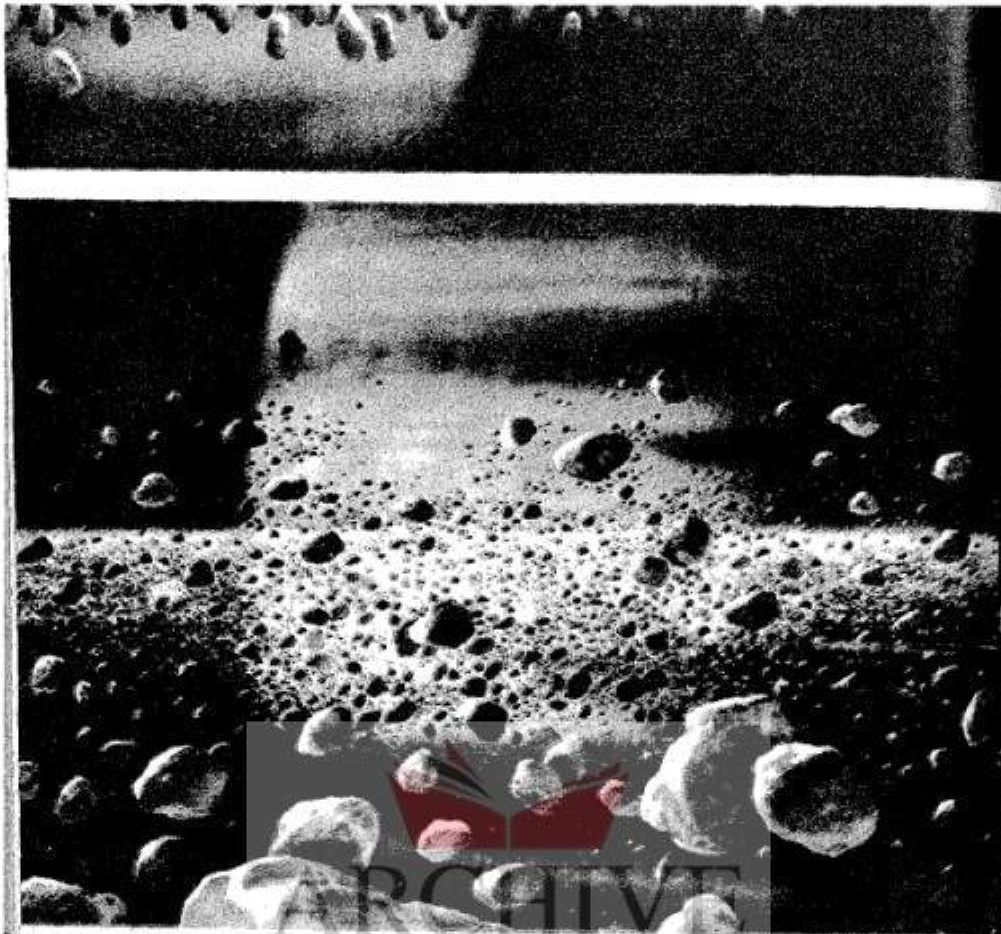


كوكب زحل يشرق على أفق « قمر الأرض » ـ من اليمين الى اليسار ـ فى تتابع مدهش كما صور من خلال تليسكوب ٢٤ بوصة . ومع حركة القمر يبدو المريخ ككرة القدم المقذوفة عبر سطح القمر .



تيارات السحب المثيرة تكتسح كوكب المشترى مكونة دوامات حول « البقعة الحمراء الضخمة » كما صورت عام ١٩٦٦ ٠ انبعاج مستوى الاستواء يدل على سرعة دورانه التى تبلغ مرة كل ٩ ساعات و ٥٥ دقيقة ٠

الأحزمة الدوامة للغلاف الجوى تتكون أساسا من الأمونيا المتجمدة والسائلة ، وهى تغير شكلها ولونها ٠

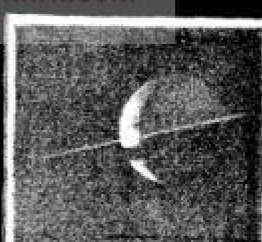


رسم يوضح سبب تكون حلقات زحل

التي يفترض أنها تتكون من اسطوانات

من الثلج الجاف أو قطع الصخور

المغطاة بالثلج الجاف



كوكب زحل
وحلقاته الرقيقة

(١) صورة للمريخ رسمها
العالم الهولندى هيجنز
سنة ١٥٧٢ ·

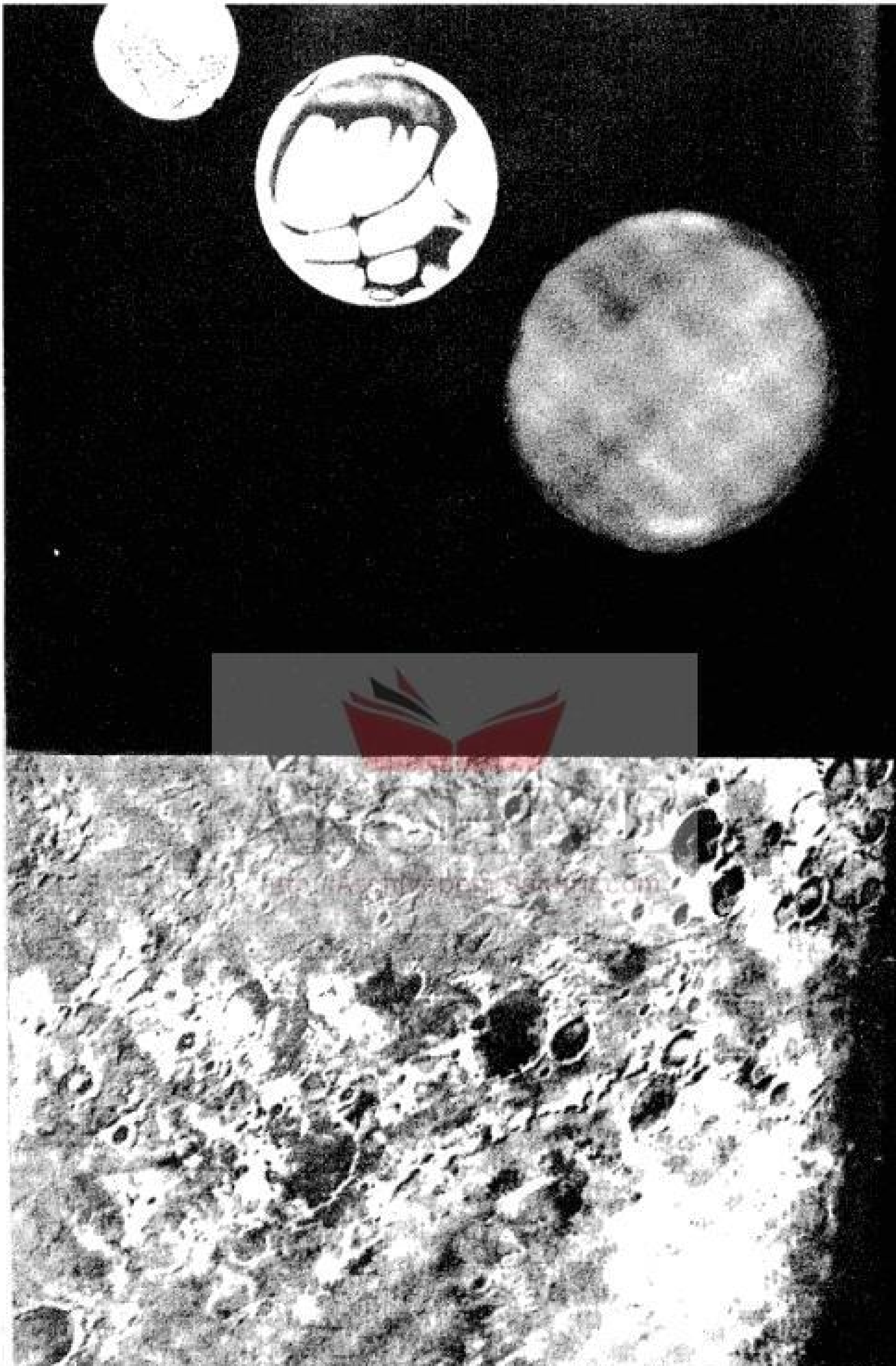
(٢) صورة للمريخ رسمها
الفلكى الايطالى سكياباريللى
عام ١٨٨٦ ·

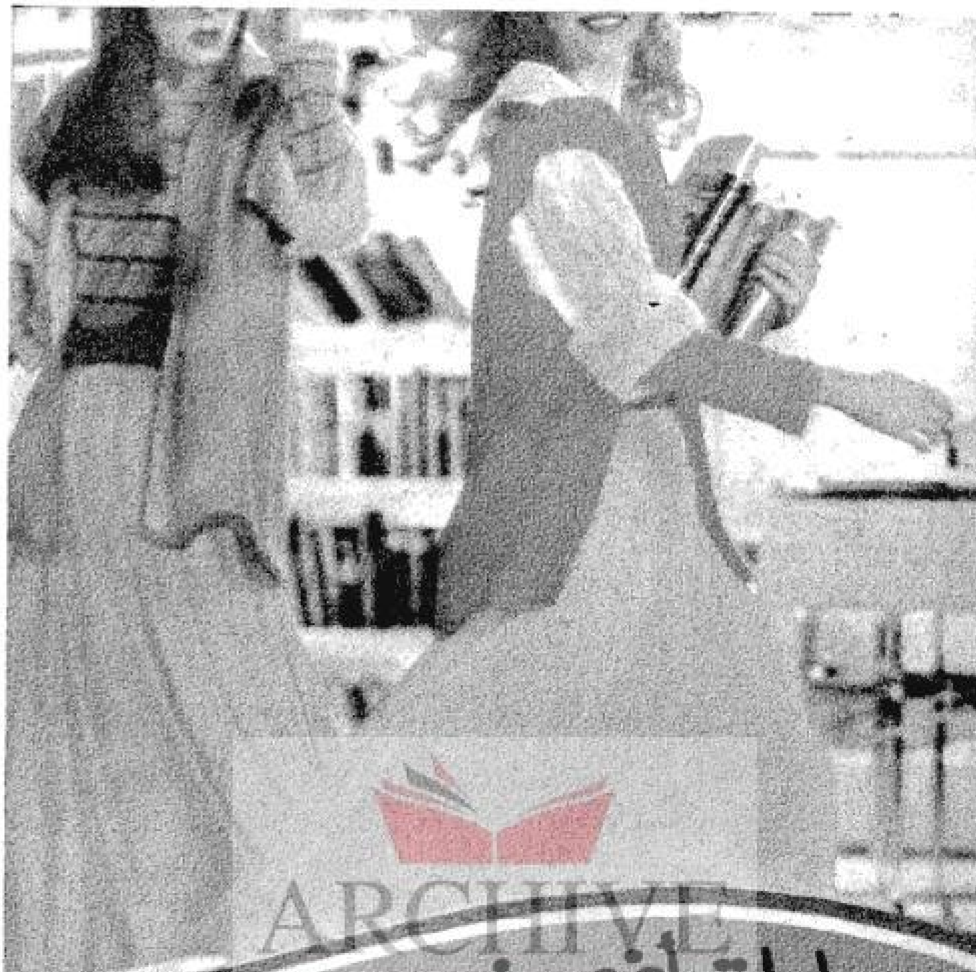
(٣) صورة فوتوغرافية
للمريخ بواسطة تليسكوب
٦٠ بوصة ـ عام ١٩٦٩ ·
لاحظ المناطق القطبية ·

المريخ كما رآه الفلكيون عبر القرون

رأى العالم الايطالى سكياباريللى أن الخطوط تمثل قنوات حفرتها مخلوقات ذكية · ولكن ثبت عدم صدق ذلك ·

اما سفينتا الفضاء الامريكيتان مارينر ٦ و ٧ فقد أثبتتا فى منتصف عام ١٩٦٩ وجود فوهات ومناطق مظلمة مرتبة فى خطوط توحى بمظهر القنوات ·





خطوات أخرى فى الطريق إلى الغد

هذا الشهر يبدأ موسم الدراسة والثقافة والفن فى مصر والعـالم كله . ابناؤنا يستعدون لمواصلة الدراسة فى الجامعة وعبر الجامعة ليقطعوا خطوة أخرى فى الطريق الى الغد . وهذه الطالبة الحلوة التى اثقلت نفسها بالكتب رمز على الآمال التى تعمر قلوب الشباب وتدفعهم فى طريق الغد ومن خلفها صاحبتها بكتبها أيضا ولكن وجهها لا يحمل ابتسامة الفرح والتفاؤل وانما صمت الحيرة فى شأن الغد . ماذا يخبىء لها يا ترى . .

ننشر هذه الصورة فى عدد اكتوبر فى مستهل الموسم الدراسى . ننشرها دعوة للشعراء لكى يقولوا انشاء فى معانى الغد والدراسة والكتب والجامعة والشباب . .

الأَدب أيضاً له مستقبل

● منى مؤنس ●

● **كل عام فى مثل هذا الموسم من السنة ، دخل الالوف المؤلفة من شباب مصر امتحان الثانوية العامة وقلوبهم مليئة بامل واحد ، هو ان يحصلوا على مجموع يفتح لهم ابواب كلية من الكليات ليفوزوا منها بشهادة يثبتون بها لمن حولهم ــ فى تصورهم ــ انهم مثقفون ومتعلمون .. وفى اعتقادهم ان هذه الشهادة تجعلهم فى مستوى راق رفيع لا يفضلهم فيه احد ، ففى يومنا هذا يعتقد الناس ان الشهادات تحدد اقدار الناس ، ويظنون انها دون غيرها كفيلة بان تضمن لهم احترام الناس . هذه احدى اوجه النظر الشائعة التى من الممكن اعتبارها سليمة فى حد ذاتها لان التعليم فعلا يعطى فرصة للشخص لكى يحقق الكثير لنفسه ولمن حوله وبالذات لوطنه ، على شرط ان ياخذ الشخص المسالة بالجدية اللازمة وان يعطيها الاهمية والاحترام الكافيين .**

وبعد انتهاء امتحانات الشهادة المذكورة اذن يبدأ الطلبة فى انتظار النتيجة التى يتوقف عليها ــ فى ظنهم ــ كل مستقبلهم . فمن أجل تحقيق هذا الحلم ــ أى دخولهم الجامعة ــ بذل الكثير من هذا الشباب ــ وأهاليهم معهم ــ جهدا ووقتا وأعصابا ومالا ، لا يقاس مداها بالكلمات .

***

وفى الفترة ما بين انتهاء آخر امتحان فى الثانوية العامة وقبل اعلان النتيجة يسترسل كل من أولئك الطلبة فى أحلام تدور حول المجموع الذى يتمنى أن يحصل عليه ، والكلية التى سوف يلتحق بها ، وينسى نفسه فى أحلام لا نهاية



مجموعة من الطالبات فى مكتب التنسيق
... حالة حيرة وامل المستقبل .

لها ... وفجأة يدق قلبه عندما يقرأ فى احدى الصحف اليومية ما نقرؤه كل عام .. وكذلك فى العام الحالى ـ وهو عنوان نشر فى جريدة « الاهرام » فى يوم الثلاثاء الموافق ٣١ من يوليو ١٩٧٩ :

« نتيجة الثانوية العامة تعلن خلال ٤٨ ساعة »

« تعلن خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة نتيجة امتحان شهادة الثانوية العامة بقسميها العلمى والادبى فى قطاعاتها الادبية بالقاهرة والاسكندرية والمنصورة واسيوط . وتم اعداد النتيجة للاعتماد من الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم .

« وعلم مندوب الاهرام أن نسبة النجاح هذا العام ستصل الى حوالى ٦٣٪ فى القسم العلمى (بشعبتيه) و ٥٦٪ فى القسم الادبى » .

وقراءة هذا الخبر تعيد كل طالب الى حقيقة الواقع ، ويرجع من أحلامه الى الحياة اليومية ، ويبدأ الخوف ويبدأ نبضه يسرع ويبدأ أهله ومن حوله يزيدون هذا الخوف والقلق ، فالاغلبية العظمى لها أمل واحد كبير وهو الالتحاق باحدى الكليات التى قيل لهم ـ بل اقنعوهم ـ بأنها ستفتح لهم جميع أبواب المستقبل ، وهى كليات الطب أو الهندسة أو الاعلام أو السياسة والاقتصاد وذلك ـ فى معظم الاحيان ـ بصرف النظر عن ميولهم الذاتية ومواهبهم الفردية التى غابت عن أذهانهم فى غمار الاحلام .

ويبدأ شباب الثانوية العامة متابعة قراءة الصحف اليومية بحرارة كما لم يفعلوا طوال مدة دراستهم فى المدارس . ويستمر نشر أخبار نتائج الثانوية العامة ..

ونشر على سبيل المثال فى اليوم التالى خبر زاد درجة العصبية والتوتر فى جميع المنازل التى تضم شابا أو شابة على وشك دخول الجامعة :

الاهرام : الاربعاء ١ من أغسطس ١٩٧٩ :

« اعلان نتيجة الثانوية العامة اليوم . النسبة العامة

للنجاح فى القسمين ٥٨٫٦٪
« تعلن فى الثامنة من صباح اليوم نتيجة شهادة الثانوية العامة هذا العام ٠
و « ستذاع فى جميع المدارس ٠٠ حيث غادر القاهرة مساء أمس مندوبو ادارة الامتحانات ومعهم نسخ من النتيجة لتسليمها الى مديرى التعليم بالمحافظات ٠
« وسوف تبدأ اذاعة الشعب فى اذاعة أرقام جلوس الناجحين فى الساعة الثامنة من صباح اليوم ٠ بلغ عدد الناجحين ٨٢٤ ر ١٢٨ طالبا وطالبة » ٠

وهنا يصل توتر الاعصاب الى مداه ويعم القطر كله ، وتفتح أجهزة الراديو على محطة « اذاعة الشعب » بينما يجلس بعض أفراد عائلات الشبان أمام وحول أجهزة الراديو فى وجل وصمت ، ويجرى غيرهم الى مقر المدرسة ليسأل عن نتيجة ابنه أو أخيه أو قريبه أو مجرد صديقه ، وكل ذلك بعد أن يكون الجميع قد صلوا الفجر فرضا وسنة ، وكأن مجرد هذه الصلوات سوف تصلح الحال وترفع المجموع !

المهم أن الجو فى هذا الصباح يوحي تماما بأن أهم ما فى الدنيا بل ليس فى الدنيا مشكلة أو شىء يستحق الاهتمام الا نتيجة هذه الثانوية العامة !
ثم يعلم كل طالب مجموعه ٠ تستريح قلوب الكثيرين وتتحطم أحلام وآمال الاخرين وبالذات الراسبين منهم لانهم يذوقون ـ وربما لاول مرة فى حياتهم ـ الاهانة التى يتصورون انها الاهانة الكبرى لانها علنية ولن يستطيعوا اخفاءها ، بل يحدث لكثير من هؤلاء الراسبين انهم يلامون من أهاليهم لدرجة أن بعضهم يفقد ثقته بنفسه لمدة طويلة بسبب كلام جارح ومؤلم ومهين لم يكن هناك داع له ٠ فالانسان ، مهما كان صغيرا فى السن ، يشعر بآلام رسوبه شعورا كافيا ولا يحتاج أحد أن يفكره به ٠

المهم ، يستمر الناجحون فى الشهادة « المصيرية » فى تتبع أخبارهم فى الصحف ٠ وفى اليوم التالى نشرت جريدة « الاخبار » فى يوم الخميس ٢ من أغسطس ٧٩ :

«الاثنين القادم يبدأ مكتب التنسيق للقبول بالجامعات»
ويجرى الناجحون الى مكاتب تنسيق القبول لتصرف لهم أوراق الالتحاق بالجامعات ٠ وتتوالى تعليمات وزارة التربية والتعليم نشر الاجراءات التى يجب أن يقوم بها الطلبة ، ثم تزود قراء الصحف اليومية بأخبار تتعلق بنتيجة ما جعلناها فى مصر أهم شهادة فى الحياة ، وذلك كما يلى :

الاخبار : الجمعة ٣ من اغسطس ٧٩ :
« الجامعات تقبل ٦٦ الف طالب »
الاهرام : الاحد ٥ من اغسطس ٧٩ :
« القبول بالجامعات :
مكان للحاصلين على ٦٢ ٪ علمي و ٥٣ ٪ ادبى »

الاهرام : الاحد ٥ من اغسطس ٧٩ :
« قبول ٣٥ الف طالب بالمرحلة الاولى » ٠
الاهرام : الاثنين ٦ من اغسطس ٧٩ :
« ٧٠ الف طالب وطالبة تقبلهم الجامعات هذا العام »

و « من المنتظر قبول ٤٤ الفا من القسم العلمي بشعبتيه و ٢٢ الفا من القسم الادبي » ..

***

وهكذا تتوالى الاخبار في نفس الوقت الذي يقدم كل طالب على حدة ـ ويتم ذلك دائما بوجود أهاليهم معهم ـ كتابة رغباته على أوراق الالتحاق بالجامعات . وأعود وأقول دائما لان معظم أهالي هؤلاء الطلبة يجدون انه من حقهم أن يسهموا في ملء هذه الاستمارات ويحولون « رغبات » أبنائهم الى اتفاقيات ثلاثية يشترك فيها الطالب برغباته وميوله التي يضطر أن يصرف النظر عنها أحيانا ارضاء لرغبات الوالدين اللذين ينظران دائما الى المجالات التي ستفتح لاولادهم فرصا أكبر للعمل والاستقرار المادي ، واحيانا يكون دافعهم الاول هو الرغبة في التعالي على نفر من أصدقائهم الذين حصل أولادهم على مجموع أقل . ويرى الوالدان ان من حقهم تقرير مستقبل أولادهم لانهم ضحوا معهم ثم انهم يحسبون دائما انهم أعرف بشئون الدنيا منهم .

تكتب اذن الرغبات ـ أي قرارات الاجتماعات الثلاثية التي ذكرناها . فبالنسبة للحاصلين على مجاميع عالية تكتب كرغبات أولى كليات الطب او الهندسة او الاعلام او السياسة والاقتصاد كما ذكرنا ، وذلك حسب الشعبة التي انتمى اليها الولد أو البنت . ويتم ذلك بدون تفكير وكأن الله سبحانه وتعالى كتب للمجموع الكبير أن يدخل بلا مناقشة في هذه الكليات وكأنه قدر لا مفر منه ومن الجنون أو البلاهة الا يفعلوا هذا .

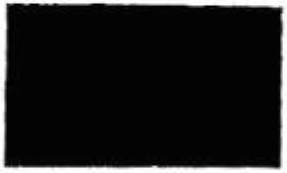
ثم تأتي بعد ذلك كليات أخرى تعتبر ذات مستقبل لا باس به ايضا مثل كليات التجارة والحقوق والعلوم . فتضاف اذن الى الرغبات . أما هؤلاء الذين حصلوا على مجاميع منخفضة فليس امامهم الا ان يقصروا رغباتهم على كلية الاداب . فيكتبونها وهم مغلوبون على امرهم ومنزعجون الى حد كبير . وهذا هو شعور معظم الطلاب ، اما الطالبات فيتغلبن على الموقف اسرع ويقلن لانفسهن ان كلية الاداب قد تكون جميلة للبنت لانها في آخر الامر ستتزوج فمن الجيد انهاتكون حاصلة على شهادة ـ اي شهادة ـ تستطيع ان تتوظف بها في اي مكان يقرر لها بعد ذلك عن طريق وزارة القوى العاملة .

ويا للأسف كم هم مخطئون في تفكيرهم هذا ، وكم هم ظالمون لكلية الاداب بفروعها المختلفة ، لانهم ينسون انه عندما تزول قيمة كلية الاداب نهائيا ، وعندما يصبح بالفعل كل من يلتحق بها يندب حظه ويدخلها رغم ارادته ويشعر انه أقل موهبة وذكاء من القرين التحقوا بكليات أخرى ـ عندما يحدث ذلك بالفعل ستكون مصر فقدت الكثير من ناحية التوازن الحضاري ، فأهمية الاداب بالنسبة لحضارة كل شعب كأهمية العلوم تماما ، فالاولى تكمل الثانية كما يتكامل الاوكسوجين والازوت ليتألف منهما الهواء الذي نتنفسه . ثم ان هناك شيئا آخر هاما جدا يغيب عن اذهان الكثيرين وهو أن أقسام اللغات على سبيل المثال تفتح امام **الشباب ابوابا واسعة للمستقبل الزاهر لان بلادنا في حاجة ماسة الى من يتقنون اللغات الاجنبية ، والطلب على المتمكنين منها شديد ، اذ انهم هم الذين يمثلون همزة الوصل بين مصر والعالم الخارجي .**

فاذن يكون دخول كليات الاداب ـ واقسام اللغات خاصة ـ خيرا كبيرا لاولئك الذين يدخلونها عن أيمان بها ومعرفة بقدرها واستعداد طبيعي لها وثقة بفائدتها والوظيفة الكبرى التي تقوم بها للوطن . ●●

وقفة مع شاعر أمريكي معاصر

جيمس ديكي وعمق الحياة



● د . سليم الاسيوطي ●

ولد الشاعر جيمس ديكي في ولاية جورجيا عام ١٩٢٣ ، وما زال على قيد الحياة يتمتع بالنشاط والانتاج الوافر والصيت البعيد الذى شمل جميع الاقطار التى تتكلم الانجليزية ..

قام بالتدريس في جامعة فلوريدا ، ومن دواوينه «فى الحجر وقصائد أخرى» عام ١٩٦٠ ، و « الغرق مع آخرين » فى عام ١٩٦٢ ، «اصطفاء» ١٩٦٥ و « بابل الى بيزنطة » ١٩٦٨ . وهو ناقد نشيط يقوم بعرض الشعر وتقديمه في الصحف والمجلات . ولقد نشرت له مجموعة من المقالات بعنوان « المشبهون فى الشعر » - عام ١٩٦٤ .

وجيمس ديكي شاعر يهتم بجمال الاسلوب الذى يساير روح العصر ، وقصائده غالبا ما تتخذ خلفية طبيعية لها من التأملات الصوفية .

انه شاعر العواطف المشبوبة والمشاعر الجياشة والحب الصوفي الطاغي وديوانه « قصائد » الذى نظمه فى الفترة ما بين ١٩٥٧ - ١٩٦٧ يغطى موضوعات أكثر شمولا وأرحب آفاقا من الناحية الاجتماعية ، وكذلك ديوانه « قصف النيران » و « مساكن الفقراء » .

أما دواوينه : « طرائد العين » ، و « دماء » ، و « النصر » و « جنون » و « رحمة باكهيد » التى ظهرت فى عام ١٩٧٠ فانها تعكس تطورا هائلا فى شعره ، فى الشكل واللغة ، كليهما . أما روايته « الخلاص » التى ظهرت فى عام ١٩٧٠ ، وتدور حول رحلة قارب فى جورجيا فانها تحمل فى ثناياها معنى أخلاقيا عميقا ، غير معناها الظاهرى - ولقد حظيت بتقدير النقاد والقراء وبلغت قمة الرواج والانتشار .

ان تطوير فن جيمس ديكى عند معالجة موضوع الصلات التى تربط بين الانسان والحيوان ، أمرا جوهرى فى شعره ..

وارتباطه بعالم الحيوان لم يتخذ قط أداة لصناعة الشعر عنده ، فهو يصر دائما على استشفاف أبعاد الحياة عند الحيوان ، اذ أن تجربته فى الصيد ، مثل تجربته في الجندية ، تسبق من حيث الزمن اشتغاله بنظم الشعر ، بسنين كثيرة ..

وبحث جيمس ديكي عن « ذاته » يتحقق دائما من خلال الاتحاد بـ «المقابل الآخر » سواء أكان هذا « الآخر » هو « الطفل » أو « الرجل » أو المرأة ، أو حتى فى شكل الحيوان وصورته .. وخير ايضاح لهذا هو قصيدة « جنة الحيوان » :

[redacted]

Here they are. The soft eyes open.
If they have lived in a wood
It is a wood.
If they have lived on plains
It is grass rolling
Under their feet forever.

Having no souls, they have come,
Anyway, beyond their knowing.
Their instincts wholly bloom
And they rise.
The soft eyes open.

To match them, the landscape flowers,
Outdoing, desperately
Outdoing what is required:
The richest wood,
The deepest field.

More deadly than they can believe.
They stalk more silently,
And crouch on the limbs of trees,
And their descent
Upon the bright backs of their prey

May take years
In a sovereign floating of joy.
And those that are hunted
Know this as their life,
Their reward: to walk

At the cycle's center,
They tremble, they walk
Under the tree,
They fall, they are torn,
They rise, they walk again.

ها هى هنا ، تحدق الاعين الصافية
اذا ما عاشت فى غابة
فهى غابة
اذا ما عاشت فى السهول
فهى الحشائش المنبسطة
تحت اقدامها الى الأبد !

●

جاءت الى الحياة ولا ارواح لها ،
ولكن هذا يفوق ادراكها ،
غرائزها جميعا تتفجر
فتبعث حية
وتتفتح الأعين الصافية •

●

تزهر البرية ، لكى تجد ما يلائمها
تتفوق ، مفرطة
تفيض على عالمها
اكثر الغابات ثراء
واشد الحقول عمقا •

●

هى اشد فتكا مما يصدقه العقل •
تدب على الأرض متشامخة ، صامتة
تربض على غصون الشجر ،
تنقض من على
على ظهور فرائسها الزاهية

●

قد تقضى سنوات
فى غمرة سرور عام •
تلك التى يطاردها الصياد
تدرك هذا ، فهو قدرها ،
جزاؤها ان تعدو هاربة !

●

فى صميم دورة حياتها ،
ترتجف وتمشى
تحت الاشجار ،
تسقط وتتمزق
وتبعث وتعود تمشى من جديد !

[redacted]

ان قصيدة « جنة الحيوان » عرض كلاسيكي خالص ·فهي تصور الحيوانات في بيئة طبيعية ريفية برية خالصة أجلي عنها أهلها · ويذكرنا هذا الوصف برؤية د · هـ · لورنس الحزينة المبغضة للبشر ، في روايته « نساء عاشقات » ، لعالم « كله عشب ذو موقف جدب » ·

ان جيمس ديكي يرى الحيوانات جميلة أروع ما يكون الجمال ، قاصرة عن الشر · ولكن لما كان العنف وسفك الدماء ضرورة تقتضيها « المخالب والأنياب المكتملة النمو » ، غدت اراقة الدماء ضرورة لهذا الجو الشاعري الذى يملأ النفس راحة ورضا ، هذا الجو الذى « لا يمكن أن يكون الجو ذاته ـ كما هو ، بدون دماء » · فاذا ما فتحت الحيوانات أعينها الصافية ، فهي لا تستطيع الفتك والافتراس ·

ولكن الفرائس تنجو من الخوف والألم ، ما دام الصياد ، والصيد ، يرفلان معا ، « في بهجة طليقة مطلقة » في « وسط دورة حياتها » ، قاتلة ومقتولة ·

وتقترب زلفى جيمس ديكي المفرطة هنا ، من الحيوان مثلما يقترب تمجيده لميول الأطفال الصحية ، من الرومانسية اللامعقولة ، فان الرؤية في قصيدة « جنة الحيوان » ، كما هي الحال في غالبية قصائد ديكي ، تؤخذ على مفهومين اذ أنها توحي بأن الانسان هو الحيوان الفاسد الوحيد الذى يدب على ظهر الأرض ·· فاذا ما اختفى من الوجود بطريقة أو بأخرى ، عادت السعادة القصوى تلقائيا الى الظهور ·

ان الرؤية عند هذا الشاعر تجعلنا نتوقع قصائد أخرى من مثل : « الضباب يلف الحيوان » ، تصف محاولة الانسان الصياد الذى يؤهل نفسه ويعدها للدخول من جديد الى « جنة الحيوان » التى أخرج منها ·

ولكي يحقق الانسان هذه الغاية ، يتعين عليه أن يتجرد من كل تلك الصفات الانسانية التى لا تؤهله للظفر بسعادة الحيوان القصوى وغبطته العظمى · ان « الضباب » هو الوسط وهو الوسيط الى هذا التجرد :

في صمت وهدوء الصفاء
يلتهم نفسي الطاهرة حية
سوف ادخل هذا العالم
مثلما يدخل الموتى ·

وبينما تتآكل النفس الطاهرة متلاشية شيئا فشيئا ، يذوب خوف الصياد ، وتختفي جريمته · نعم انه يقتل ، مع ذلك فهو قادر على أن يشعر بالطهارة ·

في قصائد جيمس ديكي المبكرة نرى اعماله في صور شعائر رمزية · فقصيدته « سبرنجر ماونتن » تصور أحداثا قصصية واقعية تترى ، لا تتوقف الا بظهور معجزة ··

وفي قصيدة « سبرنجر ماونتن » تشف أماناته عن أعمق ما يظهر في قصائده الاولى · فعلى الرغم من أن الصياد قد بات هزليا ومضحكا في محاولته المفرطة في أن ينتحل هوية الظبي ـ المحبوب ويتخذ هويته ، فانه قد احتفظ بشخصيته الانسانية ، ولو أنه حينئذ ، يجاوز حدوده الانسانية تجاوزا مضحكا خليقا بالسخرية منه ، في محاولته اعتبار نفسه والظبي شيئا واحدا · انه يظفر بمكافأة ثمينة :

بخطوات قليلة خفيفة في الرقص
لما يغلب ان اكونه ، وعلى ان اكونه
استطيع ان احيا مرة في حياتي !

ان الدرس الأخير الذى يعيده علينا الشاعر جيمس ديكي في قصائده سوف يكون ، كما يبدو ، حكمة الوجود · فان هذه القصائد تعلمه كيف يجب ان يكون ، ونحن نفترض انه يتعلم الكثير من محاولاته المستحيلة كما يتعلم من تلك المحاولات الناجحة ·

دراسة فى ظاهرة نجم

كتاب عن النجم العالمى :
روبرت ردفورد

● مارى غضبان ●

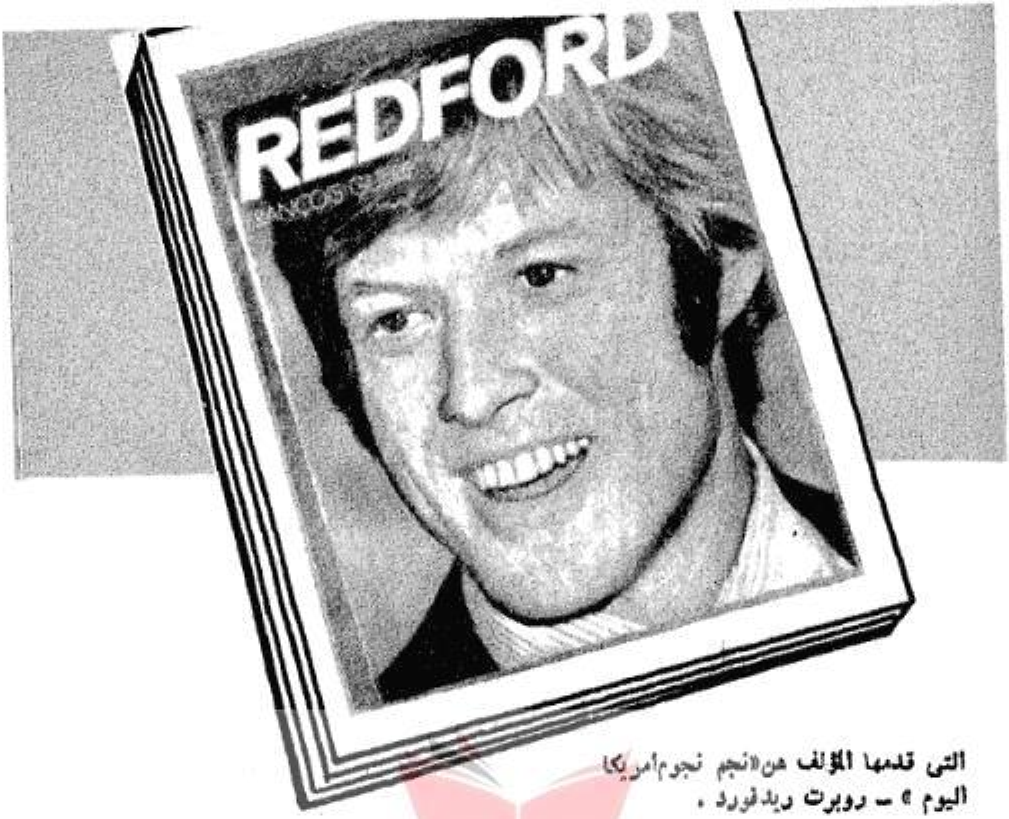
●● لماذا يختار النجم الامريكى العالمى روبرت ريدفورد ان تكون ادواره على الشاشة ذات ابعاد فكرية وتعبر عن انماط وشخصيات لها وجود سياسى او اجتماعى او اقتصادى ؟! هذا هو السؤال الذى حفز المؤلف الفرنسى فرانسوا جريف ان يضع كتابا يتناول فيه فن وسلوك وحياة النجم الامريكى الكبير .. وهو الكتاب الجديد الذى صدر اخيرا فى باريس ، وترجم عن الفرنسية الى الانجليزية والايطالية والاسبانية ..

●● والمؤلف فرانسوا جريف صحفى من مواليد ١٩٣٢ تخصص فى الكتابات الادبية والسينمائية ، ويعمل فى واحدة من اكبر دور النشر المتخصصة فى الادب السينمائى ، وهو يحمل درجة الدكتوراه فى الادب السينمائى الامريكى ..

وقد صدرت له مجموعة كتب اشهرها دراسة عن النجم الامريكى بول نيومان، والنجم الفرنسى جان بول بلموندو، كما ترجم كتابا عن النجمة الامريكية مارلين مونرو ، وكذلك عن الممثل الامريكى همفرى بوجارت، وعددا آخر من الكتب التى يعتبرونها فى فرنسا من اكثر الكتب رواجا ..

أما لماذا اختار المؤلف شخصية روبرت ريدفورد لكى يكون مادة احدث كتبه، فلانه يعتبره من اساطين السينما الامريكية الجديدة بما يتميز به من ملامح وقوة حضور على الشاشة وروعة تمكن فى الاداء .. وليس فقط لانه يختار ادواره بدقة متناهية، ولكن لانه يفضل ادوار شخصيات لها نفوذ على حركة المجتمع مثل دوره فى فيلم « كل اعوان الرئيس » الذى تناول بالفهم السينمائى قضية « ووترجيت » ، وايضا فيلم « جاسبى العظيم » وكذلك فيلم « المرشح » .

ومن هناجاءت هذه الدراسة المسهبة



التي قدمها المؤلف عن «نجم نجوم امريكا اليوم» ـ روبرت ريدفورد .

•• وروبرت ريدفورد من مواليد ١٨ من اغسطس ١٩٣٧ فى سانتامونيكا فى ولاية كاليفورنيا ، والده محام فى شركة بترول .

لم يكن روبرت ريدفورد متفوقا فى دراسته حتى حصل على الشهادة الثانوية وحصل على منحة جامعية فى الرياضة لكنه اختار ان يلتحق بالفنون الجميلة ، غير انه لم يستطع استكمال الدراسة فقد كان فى حالة ملل من الدراسة وقرر السفر الى اوروبا للاطلاع على ابرز الوان الفن التشكيلى فى اوروبا، واتيح له فى عام ١٩٥٦ أن يزور ايطاليا وفرنسا والمانيا ، ويطوف بمعالمها ومتاحفها ومكتباتها ، وفى نهاية جولته اقام معرضا للوحات التى رسمها ، وباع عددا منها،

وعاد بعد ذلك الى الولايات المتحدة حيث تعرف على زوجته « لولا » فى لوس انجلوس .

ثم التحق بقسم الديكور فى معهد فنى، واستكمل دراسته فى اكاديمية المسرح فى قسم الديكور حيث التقى بالمخرج الكبير سيدنى بولاك الذى وجهه الى دراسة التمثيل فى اكاديمية الفنون .

وكانت بدايته على مسارح برودواى فى عام ١٩٥٩ ، وهو فى اوائل العشرينات من العمر ، حين قام بدور قصير فى مسرحية « القصة الطويلة » ، ثم تحول الى التمثيل التليفزيونى ، حتى جاءته فرصة العمل فى السينما فى فيلم

(صائد الحـــرب) عام ١٩٦٢ ، وقد اختير الفيلم ضمن افضل عشرة افلام فى ذلك العام ..

وبعد هذا الفيلم الذى يدين الحرب والممارسة الاستعمارية للحروب ، قدم دورا انسانيا فى فيلم كوميدى عنوانه « موقف خطير لا يدعو لليأس» وكان هذا الفيلم ايضا يدين الحروب ووحشية التعامل بالسلاح .. ثم قدم دوره فى فيلم « داخل امراة » امام ناتالى وود .

●● وتطورت ادواره فقدم فيـــلم (السيقان العارية)مع جين فوندا،وفيلم (كاسيدى) ، ثم فيلم (المرشح) اخراج مايكل ريتش ، وفيلم (جاسبى العظيم) مع مايافارو ، ثم فيلم (كل اعوان الرئيس) الذى مثله مع داستين هوفمان من اخراج الان باكولا .

● اما لماذا اتجه روبرت ريدفورد الى الطريق الصعب فى الاختيار ، فيقول المؤلف ان هذا النجم الذى مثل عددا من الادوار الناجحة والفاشلة ، قد اكتشف ان الممثل يجب الا يقبل كل ما يعرض عليه ، وان على الممثل ان يكون صاحب التزام امام جمهوره . ولذلك اتصل بالمخرج مايكل ريتش ــ وكان يسمع انه من اصحاب الفكر السينمائى والمواقف الانسانية ــ وعرض عليه ان يمثل فى فيلم من اخراجه يدور موضوعه حول (الانتخابات) وتمنى الممثل صاحب وجهة النظر أن يعرض الفيلم على الناس قبل انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٧٢ .

وتحقق له ماتمنى، فقد جاء موضوع الفيلم ليعبر عن أن البشر ضحـــايا نظام كل من فيه يبحث عن منفعتـــه الخاصة ، وأن بطـل الفيـلم يرى أن الضمير يدين هذا السلوك الذى يضيع فيه ما يسمى بالعقل الجمعى .

ورغم أن دور روبرت ريدفورد هنا كان من اللون الذى لا يتعاطف معه المشاهدون الا انه اختار هـــذا الدور واصر على تمثيله ايمانا منه بالفكرة التى يجب ان يعبر عنها العمل الفنى ..

وقد عرض الفيلم ، وقدم نظـــرة تشاؤمية تدعو الى تغيير الانمــاط الاقتصادية والسياسية التى تعارف الناس على التعامل من خلالها ..

●● اما الفيلم التالى الذى يقدم وجهة نظر الفنان روبرت ريدفورد (جاسبى العظيم) ، وهو ماخوذ عن كتاب الكاتب الكبير سكوت فيتزجيرالد تحت نفس العنوان ، وقد قدمته السينما الامريكية فى عام ١٩٢٦ ، ايام السينما الصامتة، ثم قدمته السينما الامريكية فى فيلم آخر فى عام ١٩٤٩ بطولة آلان لاد وبيتى فيلد من اخراج اليوت نوجنت ..

وقد اختار منتج هذا الفيلم ديفيد ميرك أن يلعب روبرت ريدفورد شخصـــية (جاسبى العظيم) ، واشتـــرى حق تحويل الرواية الى فيلم جديد من ابنة المؤلف بمبلغ ٣٢٥ الف دولار ، وقـام باخراج الفيلم المخرج الانجليزى جـاك

كلايتون ، وقد عبر روبرت ريدفورد عن اعجابه بالشخصية المحورية فى الرواية لان بطل القصة شخص عادى خجول ياتى بتصرفات شخصية تدين انماط الاثرياء وانانيتهم واطماعهم فى مواجهة الاخرين ممن يحتاجون لمشاعرهم ووقفاتهم الانسانية .

●● وعندما اهتمت الصحف الامريكية بقضية « ووترجيت » انشغل بها روبرت ريدفورد فاسندوا اليه مشاركة داستين هوفمان بطولة فيلم (كل اعوان الرئيس) الذى يتناول هذه القضية ، والذى اخرجه الان باكولا وتدور قصته حول صحفيين شابين امكنهما من خلال تحقيقاتهما الصحفية الجريئة ان يواجها حكومة اقوى دولة فى العالم ، ويتسببا فى انهيار حكم الرئيس الامريكى الاسبق ريتشارد نيكسون .. والمعروف ان الصحفيين هما كارل برنشتين وبوب وودورد ، وهما من شباب الصحيفة اليومية الواسعة الانتشار « واشنطن بوست » .

ويقول روبرت ريدفورد ان حكاية « ووترجيت » هى قضية المثالية فى السياسة الامريكية . وخرج روبرت ريدفورد براى يقول فيه ان الصحفى هو رمز البطولة فى العصر الحديث ..

وعندما اشترى روبرت ريدفورد حق تقديم قضية ووترجيت من الصحفيين الشابين نظير خمسين الف جنيه ، تصور الكثير ان الفيلم قد لا يرى النور الى الابد، ولكن الفيلم خرج الى الحياة، وكان وثيقة سياسية هامة لاحد ادوار السينما



فرانسوا جريف ـ مؤلف : ظاهرة نجم ..

فى العصر الحديث .

●● وعندما عرض الفيلم اجمع النقاد والكتاب والصحفيون فى الولايات المتحدة واعضاء اسرة تحرير « واشنطن بوست » على ان هذا الفيلم تحقيق صحفى ممتاز اهد بارقى لغة سينمائية !

وانعقد الاجماع على ان روبرت ريدفورد نموذج للفنان الذى يسعى الى المثالية .. نموذج للانسان صاحب الموقف والفنان الذى يمتلك وجهة نظر ..

ومما يسجل لهذا الفنان انه ليس صاحب مغامرات يشغل بها الصحف كغيره من نجوم الفضائح والزواج والطلاق وانما هو رجل يبحث عن قضية ينشغل بها ويعبر عنها من خلال لغة الكاميرا .. ●

قصة

الوقوف بين نقطتين متوازيتين!

● عبد العزيز الشناوى ●

● غادر السيارة ... تحرك وجه الشمس الوردى من جوف الارض .. تلفت حوله ، الدكاكين مغلقة !. ما زال اصحابها نائمين ... لماذا جئت الى المدينة مبكراً !. ليتنى سمعت مشورة زوجتى :

ــ لماذا تسافر الآن ?. ستوقظ اهل البلد من نومهم !. حتى لو ركبت القطار « القشاش » فسوف تصل المدينة فى العاشرة صباحاً !.

ظاهر أنه يهرش صفره ، ابتسم ..

اطمأنت يده على النقود الزائدة فى جيب الصديرى ?. أين الفى الساعتين القادمتين ?. لو ذهبت الى السوق لن تجد احداً هناك فى هذه الساعة ? . لماذا لم تمر على عبد الحميد تاجر المواشى ?. أتثق معك على فهم هذه الامور ?. لماذا لم تصحبه معك !. تدفع له ثمن تذكرة السيارة ، تشترى له علبة سجائر ، يتناول طعام افطاره . يشرب كوبا من الشاى . يدخن المعسل . فى النهاية تمنحه جنيها ، وربما قلبه فى يده .. يحسبها خدمة !. قد يبيعك للتاجر الذى تشترى منه الحمار . يلهف جنيهين او ثلاثة .. كل هذا من جيبك !.

❋❋❋

لمح رجلا يقلى الطعمية . تذكر أنه لم يتناول طعاما بعد ، سار نحوه ... لا داع لان أحضر عبد الحميد معى . يكفى أن استشيره ، سيلتى بلا مقابل .. قد يأخذ اربعة كيلو وات طماطم وثلاثة خيار و .. و .. يعتبرهما خدمة !. اننا اقارب . اقارب ! ساعتها سيقول الشغل شغل .. جاب الله البقال يعلق على باب دكانه ورقة مكتوب عليها بخط كبير «الشكك ممنوع ... الكسوف يجلب الفقر » .. جاب الله تاجر ، مثلى ، يشترى بضاعة.. يبيعها لكن عبد الحميد .. ماذا سيقدم الى !. كلاما ... نصيحة ?. ! من اين اطعم أولادى ?.

الطبيب احيانا يتكلم ، لا يكتب « روشتة » ، لكنه يأخذ « الفزيتا » .

مرقت سيارة بجانبه . تذكر الاسطى احمد سائق التاكسى ، جاره .. امس علمت زوجته اننى مسافر الى المدينة لاشترى حماراً . ابرمت الى :

ــ وحياة النبى تمر على الاسطى أحمد فى المركز لتطمئن عليه ، فقط .. انه محبوس منذ ثلاثة ايام !.

اذهب اليه فى المركز ?! هل جاءه الى فى المستشفى بعد أن داست عربتى قدمى فكسرتها?! حضر الى دارى بعد اسبوع من خروجى من المستشفى :

ــ انا آسف يا معلم نوح . انت تعرف ظروفى .. مشغول !.

لم يكن لديه خمس دقائق ! « يركن » التاكسى ، ويرانى !. ظن اننى أريد منه شيئاً. مستورة والحمد لله يكفى ان يسأل عن صحتى . نحن جيران . النبى وصى على سابع جار ...

❋❋❋

تنهد : هات رغيفين وبقرشين طعمية ..

ملأ جوف الرغيفين بالطعمية الساخنة، تثاءب بائع الطعمية ..

رأيت عبد الحميد مرة يشترى حمارا. جذب فكيه . هتف صاحبه :

ــ ماذا تفعل ?.

ــ انظر الى شفته السفلى ... اذا كانت الجروح تملؤها فالحمار يكبر كثيرا !.

توقفت اسنانه عن المضغ . يجب أن تضع فى اعتبارك هذا ... لو اتكفأ الحمار وهو يجر العربة المحملة باقفاص الطماطم فسوف تصبح سلطة .. أعنى كارثة !.

هاهو مبنى المركز . احساس خفى يوحى الى أن اذهب الى الاسطى احمد . السبت ليلة أن كنت عائداً من الغيط معك أقفاص خيار ، ووقفت



على الزراعية ، لمحت سيارة قادمة ، اعترضت طريقها ... نظر الى القفصين من ركن عينيه :

— ما هذا ؟. لا ... لا تضعهما فوق ظهر السيارة . اظن انها عربة كارو !!

— يا اسطى احمد ...

— يفتح الله .. ابحث لك عن سائق سيارة اخرى يرضى أن يحملهما !.

ظللت واقفا على الطريق حتى اذان العشاء .

اكره استرجاع هذه الصور في ذهني . اقترب من المركز . على العموم الاسطى احمد قبل أن يكون بلدياتي فهو جاري ، السامح كريم . هل يجدي التسامح مع أمثاله ؟!.

لوى ظهره ... راجعته !. غيرت رأيك ؟. لماذا قطعت كل هذا المشوار ؟. ماذا تقول لزوجة الاسطى احمد اذا سألتك عن حاله و ...؟ بم ستعلل عدم الذهاب اليه ؟. ألم يكن لديك وقت ؟. وصلت المدينة مبكرا !!.

ترامت الى مسمعه خفقات أقدام حصان يجر « حنطورا » .

بعد أكثر من عشرين عاما من الشقاء ستر تاح يا نوح من دفع العربة !. عندما كنت تجرها كان الاطفال يتعلقون بها ، ويتدلى لسانك بين فكيك ، يغمر العرق جسدك . اذا صادفك مطلع !... وامطرت الدنيا ، يصبح التحدر كالصابونة و ... كم مرة التوت قدماك في حفرة ، وارتطمتا بحجر ، تدفق منهما الدم !. كم مرة سقطت على وجهك ، اختلط عرقك بالتراب ، وصنع خيوطا من طين !.

●●●

غاصت يده في جيب الصديري ، تابلت النقود .. تحمل نهيق الحمار .. ترى كم سيبقى من الخمسة والثلاثين جنيها بعد أن اشترى الحمار !. ثلاثة جنيهات . ستة جنيهات !. تكفى لشراء ملابس العيد لأولادى وزوجتى و ...؟. لماذا لا اشتريها قبل ان اذهب الى السوق ؟. لم هذا التهور ؟. ماذا تفعل لو زاد ثمن الحمار على النقود الباقية في جيبك ؟!

نظر نحو المركز . لماذا يطيل النظر اليه ؟ . تفكر في رؤية الاسطى احمد ؟. لم لا ؟ كيف تذهب اليه بيد فارغة ؟ ماذا تشترى له ؟ . علبة سجائر ، انه يدخن بشراهة ، لكن ربما تقص ثمن الحمار ربع جنيه ... لا داع للسجائر ، يكفى « ساندوتش » فول محشو بالمخلل ... لف « الساندوتش » في ورقة ، تسلل من باب المركز ، رأى الاسطى احمد يحمل « جردلا » والمقشة خيش بجوار حظيرة الخيل . اندفع نحوه :

— صباح الخير يا ...

لماذا احمر وجهه ؟. أحس بالخجل عندما وقعت عيناه على ...!

تقدم اليه « الساندوتش » ، نفس الورقة ، تحلب ريقه ، رفع اليه عينين شاكرتين ... غاصت أسنانه التلهفة في « الساندوتش » !.

— هل معك نقود .. يا معلم نوح ؟.

بعد لحظة استطرد :

— أريد ثمانية وعشرين جنيها ... سلفة !.

ثمانية وعشرون عفريتا يركبونك . لماذا تحتاج هذا المبلغ ؟!.

— انني في حاجة الى هذه النقود لكي ادفعها ... مخالفات !.

ما شأني انا ومخالفاتك !. طلبت منك مرة أن تحملني ولو في جوف التاكسي ... قلت لي انه كعلبة سردين !. قلت لك يجب أن يكون الذين يقفون على « الرفارف » ومؤخرة التاكسي . أكثر ممن بداخلها !.

— لو سددت المخالفات ، سيفرج عني ... سأخرج اليوم ... اذهب الى اولادي ، لم ارهم منذ اربعة أيام ... العيد قادم .

كل عام وانت .. طيب !

زحفت يده الى جيب .. الصديري ...

●

قصة :

أبعاد اللعبة

● صلاح حسني عبد العزيز ●

● وانتفض كبرياؤها بكل خلجة في تكوينات جسدها المتناسقة ، فتطايرت خصلات شعرها على جبينها ووجنتيها ، وترجرج صدرها النافر ، ولمع التحدي جليا في عينيها الناعستين الساحرتين ، وارتعشت اناملها في عصبية فوق ثوبها تتشبث به كأنما لم يعد يخفي عريها ، ثم تخلى صوتها الاخاذعن رقته حين أتاني مختنقا وهي تهرول منصرفة :

— اليوم تأكد ظني انك لم تكن تحبني !.

وانتزعت من قلبي السكين الحادة التي رشقتها فيه بما في غضبتها من يأس وتجن ، وتحاملت على نفسي حتى اغلقت باب بيتي ، واتكفأت ابكي — في حرقة — ذكرى من اصبحت قدري ومجمع شقائي :

— بل مأساتي انك المرأة التي تعيش في دمي !

***

وما يحيرني بدءا من أمرها انها لم تعطني الفرصة لاحدثها عن مكنون قلبي ، وكلما اقتربت مني خطوة ابتعدت عني خطوات حتى استغلقت على فهمي كاللغز .. ولما واجهتها عملت دوما الى ان يظهر بجوارها على خشبة المسرح ممثل مغمور ، بينما هي تدعوني في كل مرة لأن اضطلع بدور البطولة امامها ، فتحتبس الكلمات في حلقي ولا تسعفني ، واجدني اتسع الطريق مختارا لمن استدرجتهم لاثارتي والايقاع بي كروج لها ، وانزوي وحدي وراء « الكواليس » على رجاء أن تذهب عني آلامي .

وما كان يحملني على الابتسام في مرارة ، ان ملهاتها الممعنة في الغرابة تتابعت امامي في مشاهد متشابهة معادة تأكيدا للحال : بدايتها في يوم ذكرى وفاة ابيها ، وعاودتها في حفل عرس اختها الكبرى ، ثم استزادتها في الشارع الخلفي لبيتها ، وربما في اماكن وازمنة اخرى لا يعلمها الا الله.

حتى اذا ما اثخنتني الجراح من طول ما اعتصرت واجتررت احزاني ، لم املك الا ان امضي بعيدا في رحلة العودة ، التمس خلاصا للروح وتطهيرا للنفس ..

فلكم أردتها عذراء ذات خفر وحياء ، تلفحني انفاس لها حارة متقطعة ، وتسكرني كلمات بسيطة مرتجلة تتلعثم بها ، وتشدني حركاتها غير المفتعلة او الرائقة !

لقد أردتها نبعة ماء صافية لم تعلق بها شائبة ، ونسمة هواء نقية لم تفسدها ذرة من تلوث ، ونبتة غابة بكرا لم تمتد اليها يد . اردتها حورية علوية من الجنة لا غانية لعوبا ارضية!

لكنها لحزني الأسيف ، أبت الا ان تكون غير ذلك ، وتبريرها الساذج لمنطق تحررها أن عذرية الجسد وحدها تكفي !

وهكذا ضاعت الحقيقة بيني وبينها ، وانقلبت الغاية عندي الى مجرد وسيلة في تقديرها ، ولم أرتض أن تهوي بي أو بغيري الى درجات الوسائل ، ولم يعد لي الخيار في أن انكر صورتي في المرآة ، واطوي



صفحتها بعد أن طوتها بيدها من حيث لاتدرى .

حتى كان ذلك اليوم منذ عام ،عندما ارتد مكرها اليها وتحول تمثيلها الى واقع ، وسقطت فى شباك واحد ممن خدعتهم حيلها ـ و .. تزوجته !

وروعنى طويلا فراقها حتى استمرأت العذاب وألفت الوحشة ، وما لبثت ان تنفست الصعداء حمدا لله على السلامة وأمل الشفاء .

ومع مشرق كل يوم من أيامى الجديدة شربت كأس انتصارى ، وظلت ابتسامة الرضا ملاذى كلما طفت ذكراها الى السطح لتثيرنى ، حتى اطمأننت آخر الامر الى أننى تحررت بعض الشيء من سلطانها وتسلطها ...

الا ان صاحبتنا فى معايشتها لشخصية الدور الذى تقمصته أو تقمصها كأنما عز عليها وهى صانعة الاحداث التى تفوق الخيال ان تسلم بهزيمتها فى سهولة .. ولم تتقبل ببساطة مثل هذه الخاتمةالتى اوصلها اليها «تمردى» و «عصيانى» ، فأرادتها جولة جديدة تغمد على استكانتى أيضا .

ويالهول ما صنعت !

ليتها توقفت عند اسدال الستار على حلقات مغامراتها الشهيرة ، ولم تذهلنى بمفاجآتها الكبرى المدخرة التى تتضاءل الى جوارها مغامراتها مجتمعة !

وما رضيت لها أبدا أن تنفض عنها غبار الذكريات لتتردى هكذا الى هذا الدرك ، وما حلمت بأكثر من أن تتركنى لسلواى الوحيدة فى أن أعيش ماتبقى لى منها ، لكنها على عكس ما توقعت نهضت من رقدتها كأنما بعثت من جديد، ومشت على قدميها مسلوبة الارادة كمن تسيرها قوة مغناطيسية هائلة ، وتسللت متخفية الى بيتى الذى اعددته لها لتكون يوما سيدته .

وفغرت فاهى لا أكاد أصدق عينى لحظة أن وقفت قبالتى وقد خلعت حياءها وبدت ـ فى شبه عري ـ كتلها وزواياها ، ومضت فى اغرائى بأسلحتها الأنثوية التى لا تقاوم ، ومن خلال نداءات بالغة التأثير ، ثم اقبلت لتقدم لى الجسد المحرم ـ الذى طالما أثارنى ـ هبة خالصة ومنحة سخية !.

ولم أدر كيف صرخت فى وجهها من خلال دموعى : اغربى عنى .. فليست بى حاجة الى هذا الجسد الذى فارقته الروح !

ربما قد اختلط على الامر وحسبتنى فى حالة دفاع عن العرض ، فيما لو قدر لى ان أكون زوجها ـ هذا الزوج الغافل التعس !

وربما أشفقت على نفسى من أن استبيح جسدها المستسلم ، فينقلب الحال بالطبع الى مجرد أخذ بدون عطاء ، وأنا الذى كنت قد رصدت من اجل الانمجاج معه أغلى المهود !

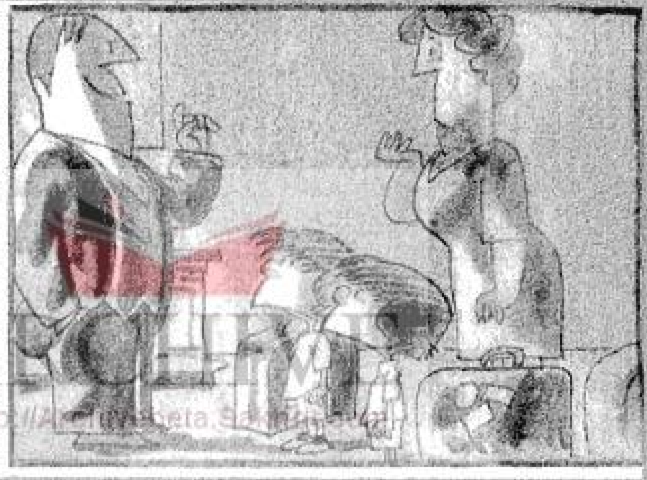
أو ربما اشفقت عليها من ان تزل قدمها على مذبح حبى الكبير !. ●

كاريكاتير

جيل جديد جدا !!



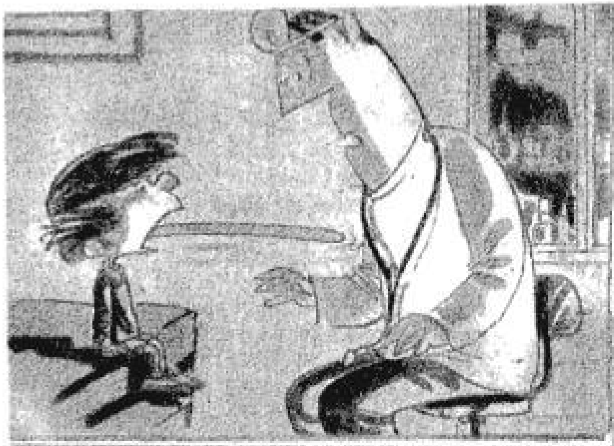
الولد لابيه : صحيح انا كسرت الزهرية ، وبدال حضرتك ما تزعل عليها ، فكر معايا ليه بتشتروا زهريات مش جامدة ، واول ما تقع تتكسر !..



الزوج للزوجة والاولاد : انا السنة دى عاوز استريح كده واتمتع بالاجازة .. ح اقضيها لوحدى فى البيت ... وانتم بقى بالالا اتفضلوا على المصيف !



الولد لابيه : ايوه كده ... دلوقت نبقى فى مستوى واحد ، ونمكن نتكلم بندية ونتفاهم راجل لراجل !.

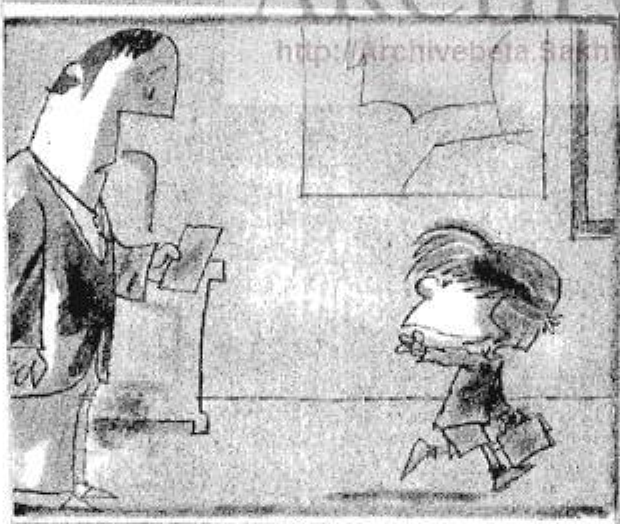


الطبيب للولد : ياخبر !.. كل ده لسان ؟!
الله يكون في عون اهلك وجيرانك وبرزائهم طولة البال !



الولد لصاحبه : اجرى بقى هات لنا كاميرا ، وسجل المنظر التاريخي ده .. التمثال اللي ح يعملوه لي بعد عمر طويل !

الولد لأبيه : بلاش وحياتك تقرا نتيجة الامتحان دلوقت ونزعل ونفسد .. خليها بقى لما ترجع من الاجازة ، وعليك الحساب .



التوتر النفسي آفة العصر

علاج هندي قديم لقياس الأعصاب المشدودة والقلق

● جورج عزيز ●

● التوتر النفسي آفة هذا العصر الذي نعيش فيه ، بل هو بمثابة حمى « الحياة اليومية » التي نحياها بما فيها من منغصات ، تثير القلق ، وتقض المضاجع .

فما الذي يمكن ان يساعد انسان العصر المتوتر نفسيا ، والمشحون بالقلق – على اكتشاف وسيلة فعالة مأمونة مجربة لتحصين حالته النفسية والبدنية ، والتغلب على الشعور بالتعب والارهاق ، وتمكنه من الاسترخاء ، والنظر الى الحياة بالامل والابتسام ، والوجه الذي تغمره البشاشة ؟ ..

سؤال اثاره حوار مع صديق من رجال الاعمال المرموقين الناجحين ، كان جالسا الى مكتبه ، وقد ارتسمت امارات الهم والقلق والاكتئاب على وجهه ، وقال لى متنهدا في الم تجلت اماراته على جبينه وعينيه :

– لقد حاولته كل شيء لكي اتخلص من التوتر النفسي الذي يعذبني والمستبد بي ، وجربت كل الوسائل .. لجأت الى الاطباء والمحللين النفسيين ، وتعاطيت ما وصفوه لي من الادوية المطمئنة والمهدئة ، والمنومة .. ولكن لا فائدة من التشخيص ولا جدوى من مختلف انواع الادوية !

وامسك عن الحديث برهة لكي يسترد هدوءه ثم اردف قائلا وقد تملكه شعور باليأس :

– لقد ساءت حالتي حتى اصبحت اشعر كان عقلي مشلول ، وعاجز عن التفكير السليم ، ومن ثم اجد نفسي انفق ايامي دون ان احاول بذل اقل جهد للشروع في فعل شيء .. بل كثيرا ما يحدث لي ان اجد نفسي سائرا في الطريق دون ان الوى على شيء ، او اتجه الى غاية . واخيرا استقر رأيي على الكف عن العمل بعد ان اصبحت اعصابي هشيما تذروه الرياح ! »

وقال بعصبية كأنه يستعطفني :

● هل في مؤلفات اليوجا العديدة التي اعرف انك قرأتها بشغف ونهم ولخصت بعضها في الصحف ، حل لمشكلتي العويصة ، بل معضلتي التي تفتك بأعصابي ، وتكاد تدفعني الى احدى المصحات النفسية ؟ .. قل لي ماذا افعل بعد ان برح بي اليأس ، واصبحت على شفا الهاوية ؟ ..

مع التوتر والقلق والخوف

ادركت ، بعد ان روى لي جانبا من قصة حياته ، ان مأساته لا تختلف عن حال مئات بل آلاف من الناس غير المحرومين من الرفاهية المادية ، او من الامان ، أو من حرية التصرف والعمل .



هـذا الرجل ـ كما اتضح لي ـ مصاب بمزيج من التـوتر النفسي ، والقلق ، والخوف من المجهول ، وهذه عوارض مرضية تحول دون ان يحيا عدد لاحصر له من الناس حياة سعيدة ، يسيرة مثمرة .

فالتوتر النفسي يحرم امثال هؤلاء الناس من أن يخلدوا الى الراحـة ـ راحة البال والبدن ـ ومن ان يستمتعوا بالاسترخاء . ومن ثم فهم ضحـايا العلاقة غير الطبيعية القائمة بين البيئة المحيطة بهم والمجتمع الذى يعيشـون فيه ..

التنفس الايقاعي العميق

وسألته : هل جربت وسـائل الاسترخاء التي يوصي بها فلاسفة اليوجا ، القائمة على التنفس الايقاعي العميق ؟

اجاب في غير مبالاة : « لست اعرف شيئا عما تقول ، وكل ماسمعته عن اليوجا هو العلاج بالوقوف على الرأس ، ومن شان هذا العلاج ان يقتلني لانني اعاني من داء في القلب !

فقلت له : ان اليوجا البدنية التي تقضي بممارسة حركات رياضية معينة انما هي المرحلة الاولى في طـريق التدريب اليوجوي الذي يبدأ عـادة بتحسين حالة الجسم ، وتلـي ذلك محاولة السيطرة شيئا فشيئا على العقل ، وترويض النفس ، وهذا هو العلاج الذى اعتقد ان حاجتـك اليه ماسة شديدة ، لانه كفيل بان ينقذك من التـوتر النفسي الذى تعاني منه الامرين ..

علاج شاف

ومضيت اقول : لقد قرات اخيرا مؤلفا قيما حقا عن اليوجا من تأليف عميدة فلاسفة اليوجـا في الولايات المتحدة الاستاذة العالمة الهندية الامريكية « اندرا ديفي » ارى من المفيد ان اعطيك عنه فكرة سريعة دون الدخـول في متاهات فلسفية معقدة ..

تقول أندرا ديفي : « قبل قدومي الى الولايات المتحدة كنت اقيم في مسقط راسي بالهند ، وكنت اعاني من حالة عصبية في القلب. وكثيرا ما كانت دقات قلبي تشتد كأنه يركض . ولم يطرا اي تبدل على حالتي هذه الا بعد أن جربت بعض نصائح فلاسفة اليوجا .. وبعد أن مارست بعض التمارين اليوجوية البسيطة غير المرهقة ـ خفت تلك العوارض خلال أسبوعين على وجه التقريب ، ولم تلبث ان زالت في الاسبوع الثالث ! »

وهنا بدت على وجه صديقي رجل الاعمال ذي الاعصاب المشدودة دائما أمارات الهدوء ، وزالت عن قسمات وجهه علامات الشك فيما اسديته اليه من نصح بشأن التنفس العميق الايقاعي ، وسألني في غير انفعال :
« وماذا يعني أن افعل ؟ »

قلت له : الرد على سؤالك هذا في مؤلف للعلامة اليوجوي « مايكل فولين » الذي يقول ان من كان في مثل حالتك ينبغي له ان يمارس بعض تمارين اليوجا فهي كفيلة بأن توفر لمن يعاني من الضيق التنفسي والتوتر العصبي صفاء الذهن ، وهدوء الاعصاب ، والصحة البدنية ، وتشيع السعادة في اعماق نفسه ، ومن ثم يزول كل أثر لما يستبد به من قلق واضطراب وما يتملكه من المخاوف التي تكون وهمية في الكثرة الغالبة من الاحوال .
وفي هذا تقول اندرا ديفي :

« كنت شديدة الاهتمام بتافه الامور، واتوقع دائما السوء دون أن يبدو اي سبب حقيقي لذلك . وكان يعتريني القلق والارتباك وتملأ قلبي الرهبة ، واصاب بذعر شديد اذا اشتركت مع اترابي في المدرسة في تمثيل مسرحية صغيرة !

علاج ناجع

وتردف اندرا ديفي قائلة :
« واخيرا لجأت الى احد اساتذة اليوجا فنصحني بتدريب نفسي على التنفس العميق ، وممارسة وسائل الاسترخاء اليوجوية التي يجهلها كثير من الناس » .

وعندئذ بادرني صديقي رجل الاعمال وهو يهز رأسه : « ان عيبنا الاساسي ، بعد ان أوضحت لي كل هذه الامور ، اننا نستغرق في العمل بدافع الظفر بمزيد من الكسب المادي دون ان نذكر ان لبدننا علينا حقا، ودون ان نحاول ان نعرف كيف نسترخي ، لاننا لا نعرف معنى الاسترخاء وقيمته وفوائده »

وهذا صحيح تماما ، فان كثيرين من الناس ـ كما يقول مايكل فولين ـ يعتقدون خطأ ، أو يتوهمون انهم يريحون اعصابهم بمشاهدة افلام الاثارة والرعب في السينما او على شاشة التليفزيون ، أو بالاشتراك في مباريات رياضية منهكة ، أو يحضرون اجتماعات خاصة يكثر فيها النقاش الحاد الذي يشتد فيه الاخذ والرد ، مما يثير الاعصاب ويلهبها ، أو يحضرون حفلات صاخبة فيها الشراب وما لذ وطاب من الاطعمة الدسمة التي ترهق الجهاز الهضمي ، والاسراف في التدخين !
الحقيقة كما يقول مايكل فولين هي أن حضور مثل هذه الحفلات لا يعدو ان يكون رغبة في الهروب من الملل ورتابة الحياة اليومية ، أو لعل الدافع الحقيقي هو التفاهة في التفكير وفراغ العقل والنفس !

الاسترخاء الحقيقي

تقول اندرا ديفي « ان الاسترخاء الحقيقي يجب ان ينبع من الذات ، وان يمارس على اساس التنفس الايقاعي ، وفقا لتعاليم اليوجا، وهذا هو السبيل الوحيد لتهيئة الجو الذي ييسر للذهن والارادة العمل بلا معوقات او عقبات .

محاولة ناجحة

وبعد هذا الايضاح المستفيض بادرت

صديقي رجل الاعمال المتبرم دائما ، المرور بلا سبب واضح أو وجيه قائلا :

ـ ما عليك الا ان تحاول التحقق من النتائج بنفسك ..

فقال : اعتقد بذلك بعد ان بدات اقتنع بعض الشيء بما ذكرته لي ، وبعد ان اوضحت لي انه لا يتحتم على ان اقف على راسي .. والان هل بسعك ان تشرح لي مبادىء التنفس الايقاعي العميق ؟ أريد أن اسرع في تطبيقها فورا لعلها تخلصني من هذا العذاب الاليم ، وتجعلني اتمكن من ان اجمع شمل اعصابي قبل أن تذروها الرياح !

وهنا شرحت له بطريقة مبسطة تلك المبادىء كما ذكرتها « انلرا ديفي » ، وكما لخصتها «مايكل فولين » ، وكان يصغي الى كلامي باهتمام شديد .

وبعد زهاء ثلاثة اسابيع التقيت به فوجدته مشرق الوجه ، موفور النشاط والحيوية ، على محياه ابتسامة الاستبشار ، وقال لي في هدوء لا عهد لي به : « احمد الله لانني لم اعد اشعر باية حاجة الى الاقراص المهدئة والمنومة »

لصدقته دون مناقشة لانني أعرف بالتجربة ان الوصول الى هذه النتيجة حتى خلال اسبوع واحد ليس امرا مستغربا او بعيد المنال .

وبعد شهر تقريبا التقيت به في قاعة فسيحة كان يلقي فيها محاضرة عن علم ادارة الاعمال ، فلاحظت أنه منبسط الاسارير وهو يتكلم ، وانه يتبل كلامه بملاحظات ترتسم لها الابتسامات على وجوه المستمعين .

وحاول بعض الحاضرين المتحذلقين الثرثارين ان يجروه الى مشاهات بيزنطية ، وأن يستعرضوا عضلاتهم معه خلال النقاش الذى اعقب المحاضرة بيد أن محاولتهم ذهبت هباء ، اذ لم يفقد أعصابه على نحو ما كان يفعل في الماضي لاتفه الاسباب ، بل ظل محتفظا بهدوئه ورباطة جأشه يرد عليهم بحجج مقنعة مفحمة دون أن تفارق الابتسامة وجهه .

الاسترخاء انواع

والاسترخاء انواع مختلفة . فنحن نعرف اولا الاسترخاء البدني البحت الذي يكفل الراحة للجسم وكل ما فيه من عضلات . ثم هناك الاسترخاء العقلي الذي يبعد فيه العقل عن المشكلات التي تشغله وهذا يقتضي تركيز الانتباه على امور اخرى تكون مادة ابعث على الابتهاج ، ولا يحتاج التفكير فيها الى مجهود ذهني كبير .. وهناك بعد ذلك الاسترخاء العصبي العضلي ، اي استرخاء الجسم والعقل معا !

وفي هذا تقول **الاستاذة « انلرا ديفي »** مؤلفة كتاب **« جدد حياتك باليوجا »** الذى بيعت **منه حتى الان ملايين النسخ في الولايات المتحدة واوروبا:** « ان فكرة اليوجا عن **الاسترخاء** اوسع مدى واشمل ، **فالاسترخاء** الكامل عند فلاسفة اليوجا يتجاوز المظاهر البدنية والعقلية **ليصل الى** مجال الروح »

ففي حالة الاسترخاء الكامل تكون كل عضلات الجسم هادئة تماما ، ولا تنبعث منها اية شحنات كهربائية ، ويكون العقل هادئا هدوءا تاما ومن ثم فان الاسترخاء الكامل يشمل قوانا البدنية والذهنية والروحية . ولهذا ـ كما تقول الاستاذة ديفي ـ فان الوسائل اليوجوية تتفوق على كل ما عداها من وسائل الاسترخاء ، لانها لا تشمل الجسم او العقل وحده ، بل تشمل الناحية الروحية ايضا .

الوسائل الآلية لا تجدى

وينبغي ان يلاحظ هنا ان استخدام الوسائل الالية ـ كالتدليك بالاجهزة

الكهربائية وغيرها — قد لا يؤدي الى نتيجة مرضية تماما لان هذا النوع من التدليك لايهدىء العقل الذى هو مصدر كل المخاوف ، وبواعث القلق والتوتر وتهيج الاعصاب .. اذ يكفي ان تتلقى مكالمة تليفونية من شخص يضمر لك العداء فتثور اعصابك ، أو تلتقي بشخص ثرثار عنيد يعكرعليك مزاجك، أو تصل اليك رسالة استفزازية فيغلي دمك ويستبد بك الغضب .. يكفي أنه يحدث شيء من هذا القبيل لكي تعود بعد التدليك الالى الى حيث بدات .. عصبيا — مشدود الاعصاب ، شديد التوتر في اغلب الاحيان !

ولكن ليس معنى ذلك الا تحاول ازالة التوتر البدنى كلما واتتك الفرصة ، بل يجب عليك ان تقوم بهذه المحاولة ، وتتعود ذلك في كل فرصة تسنح لك ، حتى لا تتراكم اسباب التوتر البدنى .

ان ابسط واسهل الوسائل التى تكفل الاسترخاء لجسمك هى ان تتعود وقف التوتر قبل أن يزداد لدرجة التأثير على اعصابك، اى قبل ان يكون التغلب عليه عسيرا . مثال ذلك : اذا جلست لفترة طويلة في وضع واحد فعليك أن تغير ذلك الوضع ، ولو لفترة قصيرة ، كأن تنتصب واقفا وتتمشى ، أو تتمدد على اريكة . واذا تعبت من طول الوقوف على قدميك فمن الخير لك ان تجلس، وخير من ذلك أن تتمدد على فراش بشرط الا تكون مرتبته شديدة اللين والمرونة .

التمطي يبطيء الشيخوخة !

وعلى الشخص الذى يتهمك في العمل وهو جالس الى مكتبه ، وخاصة اذا اضطر للميل الى الامام اثناء العمل، أن يتذكر دائما ان يتمطى الى الخلف كلما امكنه ذلك فالتمطي مفيد دائما في الحيلولة دون حدوث أوجاع مختلفة كما انه يسهم في ابطاء عملية الشيخوخة !

ان وقف التوتر البدني من وقت الى آخر يمكن تشبيهه ببناء قصر من الرمال وانهياره بمجرد الفراغ من بنائه بمجرد لمسه . فعندما تشرع في بنائه يجب عليك ان تبدأ من الاساس مرة اخرى . وهكذا لا يمكن ان ينمو القصر ليصبح مبنى صلبا مرتفعا الا اذا قضيت في هذه العملية وقتا طويلا جدا وبذلت جهدا كبيرا ..

وهذا الكلام ينطبق على التوتر ، اذ انك كلما ازلته بدأ يتراكم ، فانه لا يمكن أن ينمو الى الحد الذى يتعذر فيه عليك أن تزيله .

وثمة مثل آخر لنشاط يتسبب في تراكم عوامل التوتر ، وهو قيادة السيارة ، فانك تجد نفسك معظم الوقت تضغط بأصابعك حول عجلة القيادة « الدريكسيون » ، وتميل بمنكبيك الى الامام ، وتمط رقبتك ، وترهق عضلات عينيك لاضطرارك الى تركيز بصرك .وتتعب عضلات ذراعيك اثناء القيادة .وعندما تصل الى هدفك يكون توتر سائر اعضاء جسمك قد تعاظم حتى قبل أن تبدأ عملك اليومي .

والسؤال الآن هو : كيف تستطيع أن تمنع تراكم التوتر اثناء قيادة سيارتك ؟

اقترح عليك ان تفعل الآتى :

١ — كلما تأكدت من خلو الطريق امامك اغمض عينيك وافتحهما بسرعة من وقت الى آخر .

٢ — حرك رقبتك الى الامام والخلف والى الجانبين كلما وقفت عند احدى اشارات المرور .

٣ — يمكنك اثناء ذلك ان تحرك منكبيك الى اعلى واسفل كانك تقول لنفسك « وانا مالى ! » »

٤ — حاول بين الفينة والفينة ان تحرك اصابع يديك كانك تعزف على البيانو ، وان تنطر كل يد على حدة كانك تريد تجفيفها من الماء .

٥ – عندما تنزل من سيارتك ، وخاصة بعد رحلة طويلة ، حرك قدميك كأنك لاعب كرة يقوم بعملية تسخين !

ان مشكلة المبتدئين في هذه العمليات هي انهم كثيرا ما ينسون ممارسة الاسترخاء الا اذا جعلوها عادة لازمة مثل حلاقة الذقن أو تنظيف الاسنان بالمعجون .

زوجة تجد حلا

واعرف زوجة وجدت حلا لهذه المشكلة بان اعدت لافتات صغيرة لبثتها في كل انحاء المنزل لكي تذكر زوجها بان يأكل ببطء ويمضغ طعامه جيدا ، ويغمض عينيه وهو يستمع الى الموسيقى .. ويسترخي من وقت الى آخر ، وهو جالس في غرفة مكتبه .. والا ينفعل وهو يتحدث في التليفون .

وقد ايقنت ان هذه الطريقة المبتكرة البسيطة ادت الى النتائج المنشودة ، فقد تعلم الزوج آخر الامر فن الاسترخاء الى درجة تمكن معها من التخلص من كثير من عاداته السيئة مثل التهام الطعام بسرعة ، والرد بعنف على اي شخص يبادره بكلام استفزازي تافه .

تستطيع انت ايضا ، عزيزي القارىء – ان تفعل الشيء نفسه في سيارتك ، فتلصق على « التابلوه » ورقة صغيرة تكتب عليها « لا تنفعل وقد سيارتك بهدوء » ، وتستطيع ان تضع ورقة اخرى على مكتبك عليها عبارة تحذرك من التسرع في الحكم على الأمور ومن ان تترك اعصابك نهبا للغضب .

احذر تراكم عضلاتك

ويمكن القيام بنفس التمارين الاسترخائية بنجاح كلما شعر المرء بأن توتر عضلاته قد يبدأ في التراكم ، وخاصة الشخص الذي يقوم بعمل يحتم عليه ان يظل جالسا فترة طويلة من الزمن .

فاذا كنت موظفا في مكتب ، أو مهندسا رساما في مصنع ، أو موسيقيا ، أو مطربا ، أو طيارا ، فان نفس التمارين تفيد عضلاتك المتوترة وجسمك المتعب .

والاشخاص الذين يقتضي عملهم أن يظلوا واقفين فترات طويلة من الزمن يجب عليهم أن يتعودوا ان يجلسوا كلما واتتهم الفرصة ، وأن يرفعوا أقدامهم ويسندوها على أي شيء . ومن هؤلاء الباعة في المتاجر والطهاة والجرسونات ، ورجال البوليس والبريد ، والمدرسون ، والراقصون ، والاطباء الجراحون ، والممرضون والممرضات .

ونعني بهؤلاء كل من يرون أنفسهم مضطرين الى الوقوف معظم ساعات النهار . سواء في المصانع والمتاجر ، والحقول ، والبيوت . ولعل الواجب كان يقضي بان نبدأ هذه القائمة بربة البيت التي تقوم بأعمال الطهي وغسل الثياب ، وما الى ذلك من المهام .

يجب على المرء أن ينعم بالراحة ، ويستجم ، ويسترد نشاطه كلما أمكنه ذلك ، ومن الخير أن تتعاقب فترات العمل والراحة ، كما يقول العلامة دكتور « جون لاجرون » في كتابه « حسن حالة قلبك في تسعين يوما » لان هذه الطريقة تمكن اي شخص من ان يقلل من الشعور بالتعب والارهاق .

ويؤكد العلامة « مايكل فولين » ان أي شخص يستطيع ان يستفيد من هذه الاقتراحات ، فمن تعود ان يمارس حركات رياضية اخرى ، فليستمر فيها على ان يضيف اليها التنفس الايقاعي العميق ، وتمارين الاسترخاء ، ومهما تكن ما يفعله المرء في هذا المجال فمن الخير كل الخير ان يتذكر دائما ان عليه ان يوقف توتره العصبي من وقت الى آخر . والا يسمح له بان يتراكم الى حد يقض عليه مضجعه ويؤرقه !

قصيدتان



• مصطفى رجب •

• زمان ! ! .. •

(١)
زمان ..
مضت على الحريق ساعتان
والتهم اللهيب كل شىء • ..
(٢)
وبعد ساعتين فى التحقيق آخرين
اكتشفوا ان رجل المطافىء
اختاله الظما !
فمات فوق العربة
فى شارع « الاسعاف » !



• قصة حب ! •

(١)
احببتها . . .
(٢)
تزوجت سواى . . .
(٣)
لعنته ونمت ! .

توبة

• تاج الدين سلامة نوفل •

الهى هـــذه حالى
وهــذا خير احوالى
وهــذا كله عملى
وهــذا كله مالى
فلم انفــع به احـدا
ولم اصلح به حـالى
ولم اعمـــل لآخرتى
ولم تخطـــر على بالى
ولم افعـل من الخـير
سوى مثقـال مثقـال
وشرى سـابق خيرى
باضعـــاف وامثال
وما مجمــوع حسناتى
سوى « صفر » باجمال

***

وقد غـــرتنى الدنيــا
واغــرتنى بآمـــالى
فصرت وراءهــا اجرى
باطماعى ... واثقالى
وممـا غـــرنى فيهـــا
غـــرورا زاد اهمـــالى
زخارفهـــا التى تغـوى
كثــيرا من ذوى المال
وزينتهـــا التى تطغــو
بهــذا الزخرف البالى
وابكى ما جنـــت نفسى
واشكو ســـوء افعـــالى
وسوف تزول من كثـب
ويرخص درها الغـــالى
ولن يبقى ســوى عملى
ســوى ندمى على حالى
فهــل تغفـــر لذى ندم
وترحـــم ذلة الضـــال

زهرات من رياض العرب

● من نوادرهم ●

تنبأ انسان ، بحضرة المأمون، فطالبوه بمعجزة ، فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب ..

قالوا : رضينا ..

فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت .. فقالوا : هذه حيلة .. ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب

فقال : لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى .. ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا ! ..

فضحك المأمون وأجازه ..

● ثلاثة أيام ●

تنبأ آخر في زمن المأمون فقال له المأمون: أريد منك بطيخا في هذه الساعة .. قال : امهلني ثلاثة ايام ، قال : ما أريده الا الساعة ! .. قال : ما انصفتني يا أمير المؤمنين .. اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر ... فما تصبر انت على ثلاثة أيام ؟!

فضحك منه ووصله ..

● قال .. ولم يقل ●

تنبأت امرأة فى أيام المتوكل فقال لها : أنت نبية ؟ .. قالت : نعم . قال: أتؤمنين بمحمد ؟ قالت : نعم .. قال : فانه صلى الله عليه وسلم قال : لا نبي بعدى .. قالت : فهل قال لا نبية بعدى ؟



فضحك المتوكل وأطلقها ..

● من يطلب المغفرة ●

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتجلى ربنا كل ليلة في سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فاستجيب له ؟ من يسألني فاعطيه ؟ من يستغفرنى فاغفر له ؟ »

● يعرف نفسه ●

مر يزيد بن المهلب بعجوز أعرابية ، فذبحت عنزا فقال لابنه : ما معك من النفقة ؟ قال : مائة دينار ، قال : ادفعها اليها .. فقال : هذه يرضيها اليسير



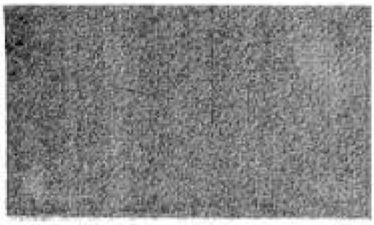
وهى لا تعرفك .. قال ابن المهلب : ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير .. وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسى !

● الغيرة ●

قال ابن مطروح فى الغيرة :

أغار عليك من نظرى ومنى
ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انى خبأتك فى جفونى
الى يوم القيامة ما كفانى !

● محسن فهمى ●



الكوميديا الانسانية

● محمد محمود عبد الرازق ●



قبل ان يولد صبرى شعلان ، كان ابوه متولى شعلان قد لقى مصرعه ، على يد سيد القاضى ، الذى كان يحب نعيمة ام صبرى. ورث صبرى سيفا كان ابوه قد اعده منذ سنين ، ليستعين به ابنه على الاخذ بثاره.. لو قيل لسيد القاضى حينئذ ، ان طفلا يدعى صبرى ، سيخرج من صلب متولى بعد شهور ، ليكون له شان عظيم ، وانه سوف يأتى من الشرق قابضا بيده على سيف من نار ملتهبة .. لو قيل له ذلك لما استطاع أن يحتفظ بهدوئه .

مهما يكن من أمر ، لقد حدث هذا التطور فعلا ، كما حدث نظيره من قبل .

خشيت نعيمة على وليدها ، استودعته عبد الواحد النجار ، الذى كان يتوق الى ولد . واوصته بالسيف خيرا .. يقال ان عبد الواحد شرب من ماء النيل اثناء سكونه ، الذى لايحدث سوى لحظة فى العام ، فوهبته المياه الساكنة سرها المقدس .. كان يستمع الى العشب وهو يتفتح ، الى الصوف ينمو على ظهور الحملان .. وكان ذا قوة خارقة لا تقهر ، وحيوية متدفقة نباضة . يرفع جاموسة سقطت ساقاها الاماميتان فى بئر الساقية .. يشق طريقا للمياه وسط الجبل الصخرى .. يقيم جدارا يريد ان ينقض .. يخرق سفينة فى عرض النيل . فقط .. لم يره أحد يرفع يده على أحد .

افصح سيد عما فى صدره ، وهو بجوار نعيمة على فراش متولى . لما كان لايوجد كنز اصلا ، ولم تكن نعيمة تعرف سرا ، فقد رفضت بدلال ان تدله . أوثقها وربطها فى وتد واشعل النار فى الدار .

شب الطفل فى كنف عبد الواحد النجار حتى قوى عوده . رآه يصارع ذئبا ضاريا فيصرعه، اعطاه السيف الامانة . وقال له : اتبعنى ..

اذا بلغت ثورة عبد الواحد منتهاها ، انحنى الى الارض ، والتقط زلطة ، وفركها بكفيه الى ان تصبح دقيقا ، دقيقا .. وضع يده فى جيبه ، واخرج قرشا سلطانيا مفرطحا ، ومسح ما عليه من نقوش باصبعيه .. مرة واحدة اتى عملا مخربا . هاجمته قافلة لصة فى طريق سيدى ابو بلاش كانت الدنيا ليلا ، لن يرى اللصوص القرش الممسوح ، او دقيق الزلطة الناعم ، ان هو اهتدى اليهما فى الظلام . اضرب جذع نخلة بسيف بد ـ تقسيما .

فى السوق تكلم كثيرا . ارتعدت فرائص اولاد القاضى ، عندما علموا بان صبرى هو ابن شعلان وليس ابن النجار . وان عبد الواحد قد يخبره بكل شىء اليوم او غدا ، واذا كان عبد الواحد الجبار طيبا ، لايحب منظر الدم حتى على شاشة السينما التى لم تبتكر بعد ، فان القرية كلها تهمس بكل الاسرار ، وادقها سرا ، وسوف تلتقط الاذناء السر لا محالة . عندها لن يكفى صبرى أولاد القاضى جميعا ، انه جبار آخر .

انفض السوق ولم ينفض أولاد القاضى من حول صبرى : لقد اصبحت اخانا يا ابن بلدنا منذ ان صرعت الذئب الذى أكل خرافنا واقض مضاجعنا .. صرعته بدون نبوت، بيديك هاتين.

اكلوا وشربوا وهمسوا فى اذنه ان يقتل النجار الذى اراد ان يكفر من خطيئته بتنشئته .. ان يقتل النجار الذى قتل اباه، ان يقتل النجار الذى احرق امه بحثا عن الكنز الدفين ...

قام صبرى من فوره وقتل النجار . هرع اولاد القاضى الى كوخه بحثا عن كومة الذهب .. غادر صبرى البلدة هائما ، قابضا بيده على سيفه ، سيف .. من نار ملتهبة !

روح عن نفسك

اولا : لغز بالشعر

ضئيلة الجسم لها — فعـــل متين السبب
حافرها فى رأسها — وعينهـــا فى الذنب !

ثانيا : مسالة حسابية

اكتب الارقام الناقصة فى عملية الضرب الاتية علما بأن كل رقم ناقص وضع مكانه علامة ×

```
    × ٣ ×
      × ٧
  ---------
  ٣ × ٥ ×
× ٢ ١ ×
  ---------
× ٥ × × ×
```

ثالثا : اختبر ذكاءك : الاسلحة المجهولة

تحتوى كل جملة من الجمل التالية على اسم سلاح من أسلحة **القتال ، ولكن كل اسم من هذه الاسماء مختبىء بين حروف الجملة .**
فهل فى وسعك أن تكتشف هذه الاسلحة ؟

١ ـ سئم الغربة محمد فعاد الى بلاده .
٢ ـ ليس هو الملقن بل هو الممثل .
٣ ـ بين مصر وبين جبل الطور بيداء شاسعة .
٤ ـ اسطوانة الفونوغراف قرص أصله من الشمع .
٥ ـ الدار محل الطمأنينة .

رابعا : اختبر معلوماتك : خطأ أم صواب ؟

العبارات التالية بعضها صواب والبعض الآخر خطأ .. بين العبارات الخطأ منها ، ووضح وجه الخطأ .

١ ـ مستوى المياه فى المحيط الأطلنطى أعلى منه فى المحيط الهادى .
٢ ـ الخفاش (الوطواط) طائر .
٣ ـ غاز الهليوم أخف الغازات .
٤ ـ يعرق الجسم ليخفف درجة حرارته .
٥ ـ ستكون سنة ١٩٨٠ سنة كبيسة .
٦ ـ السرطان مرض معد .
٧ ـ لحم سمك القرش لا يؤكل .
٨ ـ قناة السويس مفتاح البحر الابيض المتوسط .
٩ ـ النشالون أشد أنواع المجرمين ذكاء .
١٠ ـ مدينة المنيا أقرب الى القاهرة من الاسكندرية .

الإجابات

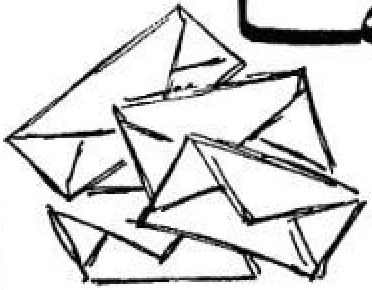
أولا ـ لغز بالشعر : الابرة
ثانيا ـ مسألة حسابية

٥٣٦
٦٧
٣٧٥٢
٣٢١٦
٣٥٩١٢

ثالثا : الاسلحة المجهولة :
١ ـ مدفع (محمد فهاد)
٢ ـ قنبلة (الملقن يل هو)
٣ ـ طوربيد (جبل الطوربيداء)
٤ ـ رصاص (فرص اصله)
٥ ـ رمح (الفار محل)

رابعا : اختبر معلوماتك : خطا أم صواب :
١ ـ خطا لان مستوى المياه فى جميع المحيطات واحد .
٢ ـ خطا فالخفاش حيوان ثديى .
٣ ـ خطا فالهيدروجين هو اخف الغازات .
٤ ـ صواب
٥ ـ صواب
٦ ـ خطا فالسرطان لا يعدى
٧ ـ خطا
٨ ـ خطا فالمفتاح هو مضيق جبل طارق
٩ ـ صواب
١٠ ـ خطا فالمنيا تبعد عن القاهرة ٢٤٧ كيلو مترا بينما الاسكندرية تبعد ٢٠٧ كيلومترات .

رسائلها



• اسماعيل عبد الفتاح •

الشمس يحرق مقلتيى شعاعها القاسى الرهيب
والريح تنفث فى عيونى سم نار كاللهيب
وانا هنـــاك على الطـــريق
تكاد الف يد تشير الى :
« ينتظر البريد » !
من الف عـــام كالطـــريد
فتعود بى اللحظات قسرا للوراء
ايام ان كابدت
جوع الشـــوق
يعصر لى الدماء • •
ويمص من نبضات قلبى الشوق
يغـــلق لى فمى • •
ويكاد يهمس قد نسيت
يكاد يهمس لا تزال
تحيا على امل غريب • •
طيف وهـــم من خيال !
اوليس ذاك هو الهباء ؟!
ان كان هذا مايكـــون • •
فاين يمكن لى العزاء ؟!
اواه يا ليلى متى ... متى انام • •
لتريحنى من نظرة الاشفاق
فى تلك العيون الاجنبيه
اواه انك قد نسيت
اكـــاد ايضـــا ان اكون • • •
فلتخمدى يا انت
يا اشواق • • يا اطياف يا اوهام قلبى
ياظنون • •
فلن تنالى ما تريد !

والليل اطبق بالظلام
ولا ازال • •
على انتظارى للبريد !

اقرأ الهلال واكسب جائزة

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة أسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ...

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد ديسمبر سنة ١٩٧٩ .

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من اكتوبر سنة ١٩٧٩ .

● الأسئلة : ●

سؤال ١ ـ من اول من أمر بالتاريخ بالهجرة النبوية ؟

جواب ١ ـ هو (فى مقال)

سؤال ٢ : اين استخدم سلاح الأمطار فى الحروب ؟

جواب ٢ : (فى مقال)

سؤال ٣ : من مؤلف « جاسبى العظيم »

جواب ٣ : هو (فى مقال)

سؤال ٤ : متى أوفدت كل من الولايات المتحدة وروسيا اسطولا الى اليابان لتوقيع معاهدة تجارية ؟

جواب ٤ : (في مقال)

سؤال ٥ : أي بطون القبائل العربية دعاها الخليفة الفاطمي العزيز لسكنى مصر ؟

جواب ٥ : (في مقال)

سؤال ٦ : اذكر اسماء خمسة أدباء وعلماء مصريين عرفتهم مصر فى القرن الماضى حملوا لواء الثقافة العربية ٠٠

جواب ٦ : هم (في مقال

سؤال ٧ : أين أقيم أكبر مرصد عرفه تاريخ العلم العربى ؟

جواب ٧ : أقيم في (في مقال)

سؤال ٨ : ما أول الروايات التى وصلتنا عن القدماء ؟ ومتى كتبت ؟

جواب ٨ : (في مقال)

سؤال ٩ : من أشهر المستشرقين الذين اتصل بهم د ٠ طه حسين ؟ وما جنسياتهم ؟

جواب ٩ : هم (في مقال

سؤال ١٠ : ما أهمية الآداب بالنسبة لحضارة كل شعب ؟

جواب ١٠ : (في مقال

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة
عدد أكتوبر ١٩٧٩

الاسم: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ السن: ـ ـ ـ ـ

العنوان: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

ترنيمة الختام

شفاء القلوب..

يا هادي النور الحبيب المصطفى
بعبيره تتعطر الأرجاء
قد جئت بالقرآن أعظم منزل
خشعت له دون الورى العلياء
وسموت بالخلق العظيم محبة
سمقت ، وتلك بشارة غراء
أنت الذي وهب الشفاعة قومه
والحلم فيك سجية بيضاء
والدين روض والشريعة عطره
بهما لأسقام القلوب شفاء
أثنى عليك الله جل جلاله
فلقد سمتك خلائق شماء
والشوق قد ملك القلوب تهجدا
والنور هل وغنت الورقاء
وبمدحكم كل الوجود قد انتشى
فرحا ، وألسنة الزمان ثناء

● مصطفى عوض الله بشارة ●
● الخرطوم ـ السودان ●


السنة الأولى - الطبعة الثانية
الهلال
الهلال
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي
بالبريد الجوي
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
زالت مجلة الهلال عميدة المجلات
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!

نوفمبر ١٩٧٩

الهلال

مجلة الفكر العربي

• علماء وراء سر الحياة
• جزر النساء

(استطلاع بالألوان)



دفاع عن الثقافة العربية - مشاكل الشباب يحلها الشباب وحده

كلمة الهلال

أزمة نقد.. أم أزمة فكر؟

تثير جريدة « الاخبار » القاهرية هذه الأيام قضية ازمة النقد ، وتتبارى الاقلام فى تناول أطراف موضوع النقد الأدبى وازمته •

وليس احب الى « الهلال » من ان تثار هذه القضايا الفكرية وان توضع موضع المناقشة الجادة على الاسلوب الذى نراه على صفحات الصحف الكبرى ، لأن « الهلال » كان أول من اثار قضية ازمة الفكر العربى المعاصر فى الشهور الاولى لتجديده الأخير من يوليو سنة ١٩٧٧ فصاعدا •

وعندما طرحنا القضية طرحناها من اساسها وهى انها ازمة فكر عربى شاملة ، لأن النقد لا يقوم الا اذا ظهرت مؤلفات تنقد ، وخلال السنوات الأخيرة قلت الكتب الجيدة الى درجة تدعو الى القلق ، وتراخت حركة النشر حتى أن الدور الكبرى التى كانت تتولى الى الآن نشر المؤلفات الكبرى تناقص نشاطها فلم تعد تصدر فى العام كتابين او ثلاثة من الطراز الجيد الذى يعتبر قاعدة الحركة العلمية الفكرية فى عالم العرب • اما دور النشر الفردية الصغيرة فلم تعد تنشر الا الكتب التى يؤلفها اساتذة الجامعات لطلابهم ، وهى اقرب الى الكتب المدرسية •• ولم يعد هناك بالفعل نشر حقيقى على النطاق العظيم الذى عرفه عالم العرب خلال الثلاثينات والاربعينات والخمسينات •

فاذا كان هذا كذلك فاى وسيلة ، يملك الاديب ـ ناشئا ام غير ناشىء ـ لنشر مؤلفاته •• فاذا تركنا كبار المؤلفين والأدباء جانبا لأنهم على أى حال قد ثبتوا اقدامهم واثبتوا اقدارهم ، فماذا يفعل الأديب أو المؤلف الشاب وهو يقف امام اسوار عالية ولاسبيل له الى النشر الا فى اضيق الحدود ؟

هذا الوضع الاسيف هو الذى نريد أن يعرفه الغاضبون من شباب الأدباء او كهولهم الذين لم يبلغوا بعد ، المدى الذى يرون أنهم يستحقونه• لأن الكثيرين منهم عاتبون علينا حاسبين أننا نستطيع ولا نريد ، وليس ابعد عن الحق من ذلك . فان مجلة الهلال مفتوحة على مصراعيها لكل اديب او كاتب او عالم يريد ان ينشر بحثا او مقالا او دراسة ، وليس لنا هنا « خواطر » او « شلل » فكل جيد يرد الينا ينشر ، لكن مجال المجلة محدود بعدد معين من الصفحات •

اننا ندرك تماما ابعاد أزمة الفكر العربى ، ونتيجتها الطبيعية وهى ازمة النقد ، ونبذل اقصى ما نستطيع للعون والتخفيف من حدة الازمة ، مع تراخى كبار الادباء فى الانشاء والتاليف •

وفى بعض الأحيان يدفعنا الجد فى مواجهة الازمة الى المصارحة التى تؤلم الكثيرين ، ولكننا نؤكد أن المصارحة وكلمة الحق هى قاعدة العمل فى مجلة ثقافية رفيعة مثل الهلال ، ولا علينا بعد ذلك اذا غضب مؤلف لاننا لا ننشر اى شىء فيه تعارض مع القيم الاخلاقية والتقاليد الثقافية العربية ، فلا جنس ولا شيوعية ولا الحاد ولا اى دعوة تمس العروبة وامتها وتقاليدها ، ولا مساس بالعقيدة الدينية لهذه الامة العربية •• هذا فيما نرى هو المذهب السليم الذى ينبغى علينا ان نتبعه لنؤدى الرسالة الملقاة على عاتقنا •

المحرر

فى هلالك هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

ذو الحجه ١٣٩٩ هـ
نوفمبر ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون -
اول نوفمبر ١٩٧٩ - ١١ من ذى الحجة ١٣٩٩

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر، ويبذل الجهد ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديى

● صورة الغلاف الاول ●

من جزر المالديف ، وكان الجغرافيون العرب يسمونها ذيبة المهل ، نقدم للتحلى غلاف هذا العدد وعلى صفحاته الملونة فى الداخل ـ تحقيقا طريفا وصورا بالالوان عن الحياة فى هذه « الجنة التائهة فى المحيط الهندى » ـ كما وصفها بحق الرحالة العربى ابن بطوطة ..

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج . ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

مشاكل الشباب لا يحلها إلّا الشباب

بقلم: رئيس التحرير

المشاكل التي يواجهها شباب العرب في أيامنا هذه هي نفس المشاكل التي يواجهها شباب العالم كله: انها مشكلة مواجهة عالم جديد، بدأ من منتصف الستينات، عندما تبين الشباب في العالم كله أن ظروف الحياة قد ركدت واستقرت على نحو تقليدي صنعه آباؤهم وأجدادهم، وان هذه الظروف لم تعد معينة لهم على تحقيق آمالهم وتطلعاتهم. حتى اطار الحياة العامة لم يعد يرضيهم، ولم يكن لهم مفر من التمرد عليه او تركه على حاله والبحث عن اطار حياة جديد أكثر ملاءمة لآمالهم ومطامحهم ..

وقد تجلى هذان الاتجاهان للشباب في أوروبا والولايات المتحدة الامريكية.

فأما في أوروبا فقد قامت في فرنسا ثورة مايو سنة ١٩٦٨ أيام الرئيس السابق شارل دي جول وهي ثورة عنيفة لها مبرر واضح وهو أن الشباب في فرنسا شعر انه ضائع لا مكان له لا في صنع المستقبل ولا في صورة المستقبل التي كان يصنعها السياسيون اذ ذاك. وقد كان من المسلم به حتى ذلك الحين أن الشاب لا يتسلم مسئولية حقيقية الا اذا خرج عن نطاق الشباب ودخل في مرحلة الكهولة ففي جامعة باريس مثلا لم تكن هناك عناية بالطلاب انما العناية كلها بالاساتذة فقد يحشر الألف طالب في مدرج واحد، ولكن لا يمكن أن تخصص غرفة لاستاذين. لابد أن تكون لكل أستاذ غرفته ووسائل عمله. وفي توزيع الدروس لم يكن ينظر قط الى راحة الطالب او ظروفه، فالمهم هو الاستاذ، وكان من المقرر أن الاستاذ يعمل يوما واحدا في الاسبوع، فيضع كل دروسه – ولاتزيد على اربعة – في يوم واحد، وعلى الطلبة أن يرتبوا اوقاتهم بما لا يمس راحة الاساتذة.

وفي المصانع كان الشبان يعملون ما ينفع المصنع لا ما يفتح أمامهم سبلا جديدة للعيش، فقد يقضي الشاب عمره في ضبط صامولة معينة في السيارة، فاذا استغنى عنه المصنع لم يجد أمامه أي وسيلة لكسب العيش وتحول الى عاطل متسول ..

وعلى الرغم من ان حكومة دي جول ريعت روعا شديدا بسبب هذه الثورة الا

● مشاكل الشباب عالمية لا تقتصر علينا ، وهى ليست صراع أجيال بقدر ما هى نتاج عصر جديد يختلف عن العصر الماضى من كل نواحيه : عصر طفرة العلوم والتكنولوجيا واهتزاز القيم الإنسانية التى تقوم عليها سعادة البشر وشيوع الشك والحيرة بين الشباب وغير الشباب

ان ادجار فور وزير التعليم فى فرنسا اعترف فى النهاية بان الشبان كانوا على حق ، وان جامعات فرنسا كانت الى ذلك الحين جامعات اساتذة ، والطلاب بعض أدوات العمل للاساتذة .. وكتب تقريره المشهور الذى قال فيه : ان الجامعات ينبغى ان تكون جامعات طلاب ومصانع شباب ، وان البحث العلمى الذى كان يعتبر عمل الجامعة الاكبر امر مطلوب ، ولكن لا ينبغى ان يضحى الاستاذ بمستقبل طلابه لكى يؤلف كتابا ينال عليه تقديرا علميا .

من هنا تطورت الجامعات الفرنسية ذلك التطور الذى يدعو الى الاعجاب ، فعدلت المناهج واساليب التدريس والامتحان وفروع التخصص بما يخدم الشباب ويوسع آفاق العمل والانتاج فى فرنسا ، فانقسمت جامعة باريس الى نحو عشر جامعات ، ووزعت فى ضواحى باريس ، وكلها جامعات عملية تقدم للطلاب ما ينفعهم فى مطالب عصرهم ، فجامعة الهندسة تضم مثلا كلية للطيران ، وكلية الطيران مقسمة الى معاهد تخرج كل مطالب صناعة الطيران وصيانة الطائرات وخدمة الطائرات وركابها ، وهناك تخصصات مثل طعام الطائرات ، أى تدبير ما يقدم للمسافرين من وجبات وكيف يقدم وفى أى أدوات وهناك معهد لمضيفى المطارات ومضيفاتها أى المضيفين الذين لا يسافرون بالطائرات بل يخدمون الركاب قبل ركوبهم الطائرات وعند نزولهم منها ، ويدخل فى ذلك خدمة مكاتب الطيران وكل أعمالها .

ومعنى ذلك انالجامعات الجديدة فى فرنسا وبقية أوروبا تخدم العصر واهله وهم الشباب ، وتخدم مستقبل الشباب ، وتفى بمطالب العصر ، واساتذتها يخططون للمستقبل ، وانتهى تماما ، عصر الاستاذ الوقور الذى كان يرى نفسه قيصر الجامعة وصانع الحياة والفكر

وفى مدينة مونبلييه وحدها خمس جامعات للفروع التقليدية كالاداب والحقوق والطب والهندسة ، ولكن التجاره والاقتصاد اصبح لهما جامعة . ومن كليات هذه الجامعة كلية للاعمال المصرفية منقسمة الى معاهد ومدارس شتى منها مدرسة لخدمة العملاء فى

شبابيك البنوك ، ولم يعودوا فى فرنسا يضعون وراء الشبابيك حملة بكالوريوس التجارة ، بل شـبابا عارفا بمطالب العملاء قادرا على انجاز خدمة العميـل على احسن وجه فى دقائق معـدودة ، ومثل هذا الشباب يتم اعداده فى ثلاث سنوات فحسب ، يخرج بعـدها وهو صالح لخدمة حقيقية حيوية نشعر بها نحن فى مصر كلما ذهبنـا الى مصرف ووقفنا أمام شاب يحمـل بكالوريوس التجارة ولكنه لا يستطيع خدمة عميـل على الوجه المطلوب ، ماذا يهم العميل ان كان الواقف امامه خلف الشباك يحمـل البكالوريوس أو لا يحمله ؟ المهـم أن يعرف كيف يؤدى الخدمة المطلوبة ..

ومع هـذا فهذا الشـباب المصرى الواقف وراء شباك المصرف وفى جيبـه البكالوريوس يعانى ، ومعاناته آتية من هذا البكالوريوس بالذات ، لانه القى فى روعه انه مؤهل تماما للخدمة المصرفية بكل أشكالها ، فاذا اصطدم بالواقـع تبين انه كان يكون اسـعد وأقدر على اسعاد نفسه لو كان قد تعلم استعمال الآلة الكاتبة والآلة الحاسبة وأجهـزة التراسل الداخلى فى البنك ليخدم ١٠٠ عميل فى ساعة بدلا من أن يخدم عشرين فى نهار كامل ، انه يعانى لان راتبه لا يكفيه ونحن لا نستطيع ان ندفع له أكثر لان العملية التى يقـوم بها لا تساوى المرتب الذى يتقاضاه ..

ولكن ، هل يرضى نفس ذلك الشباب أن يتخلى عن كبرياء الحصـول على البكالوريوس ويدخـل معهدا تجـريبا وظيفته اعداد الشباب لخدمة العمـلاء بالالات الكاتبة والحاسبة ؟ انه لو استطاع أن يخدم مائة عميل فى سـاعة زمان اسـتحق راتبا أعلى وتقاضاه ، وفى القاهرة مصارف أجنبية تدفع لموظفيهـا اضعاف ما يتقاضـاه موظف المصرف المصرى لأن اولئك الموظفين يجيـدون الكـلام بلغات أخـرى غير العربيـة ويخدمون العملاء بسرعة ودقة مع أنهم لا يحملون البكالوريوس ..

تلك اذن هى مشكلة الشباب .

كما احتج شباب جامعة باريس على نظام التعليم واستطاع أن يجعل المشرفين على الجامعات أن يغيروا نظامها ليستطيع هو أن يعمل احسـن ويكسـب اكثر فكذلك الحال بالنسبة للشاب المصرى عليه ان يتنازل عن وهم البكالوريـوس ويقتنع بأن الاهم من ذلك هو أن يتأهل ليخدم أحسن وأكثر ويتقاضى بالتـالى مرتبا أحسن .

فى جامعة مونبلييه كلية خاصة لخدمة المصارف ، والشبان يلتحقون بها ، فى نهاية العام الأول تقرر ادارة الكلية لكل شاب أو شابة نوع العمل الذى يصلح له أكثر . هناك شـباب يوجهـون الى دراسة ادارة المصارف وآخرون يوجهون الى خدمة العملاء وراء نوافـذ البنـك ، وهناك من يوجهون الى أقسام البحوث والدراسات والاحصائيات فى المصـارف بل هناك من يوجهون الى أعمال العناية بمظهر البنك ونظافته .. ولا احـد يتمرد ! كل شاب يسير فى الطـريق الذى رسموه له ، لأن هذا الطريق مهما كان متواضعا فى الظاهر فسيؤدى به الى الاستفادة من ملكاته على أحسن وجه .

الامر محتـاج الى تغيير فى العقلية ، وهذا التغيير لا يستطيعه غير الشـباب ... يأتينى بين الحين والحين شـبان يشكون من قلة الراتب وصعوبة انشاء البيت والاسرة ، ويقولون ان العـامل اليدوى يكسب اكثر منهم ، وردى عليهم أن العامل اليدوى يكسب لاننا محتاجون اليه ، وأنت لا تكسب لاننا بداهة فى غير حاجة الى نوع خدمتك .

ان الكلام عن خدمة الشباب كثير ..

وهناك فى الدولة أكثر من جهـاز لخدمة الشباب .

ولكن أقول رغم ذلك انه لن ينفع الشباب الا الشباب نفسه ..

فى ذات مرة زرت ناديا من نوادى الشباب فى بلد من بلاد محافظـة الشرقية . وجدت النـادى مهملا وغير

● شبابنا معذور لأن نظمنا التعليمية ليس فيها للتربية المعنوية مكان ، فنحن نعلم ولا نكون ، والشاب يخرج من المدرسة الثانوية بمجموع كبير في مواد الدراسة ولكنه خلو من السند المعنوي الكافي ... وعلى هذا النحو يواجه الحياة .. !

نظيف ، وقال لى رئيس جمعية الشباب فى ذلك النادى :

— طلبنا من ادارة منظمة الشباب الف مرة أن يرسلوا لنا المعونات والاثاث ، ولكن ماذا نعمل ! ..

قلت : لو انني المسئول عن هذا الموضوع فى هيئة رعاية الشباب لما كلفت نفسى عناء الرد عليكم ..

فدهش واستنكر ردي ، فقلت :

— يابني ، لقد اعطوكم مكانا وبعض الأثاث، فماذا اعطيتموهم أنتم، انهم هناك لا يستطيعون أن يفعلوا كل شيء. ويكفي انهم قدموا لكم هذا البناء وتحملوا الماء والنور ..

— يا سيدي ولكنهم لم يعينوا فراشا واحدا !

— ولماذا تريدون الفراش ؟

— لكي ينظف المكان ويخدمنا ..

— الفراش لن ينظف المكان ولن يخدمكم . الفراش سيزيد المكان قذارة ولن يخدم الا نفسه . انتم الذين تخدمون انفسكم . هل من العيب أن تنظفوا داركم بأيديكم ؟ هل تعجزون عن تبييض مبناكم هذا واعطائه صورة أجمل ؟ .. هل وظيفتكم التجمع للدردشة ولعب الطاولة ؟ الم تسمع يا بني عن الكيبوتز وما يعمل الشباب فيه . انهم يعطونهم المبنى ولا زيادة ، وعليهم هم أن يعملوا الباقى .

ويأتيني شاب ويقول :

— حفيت فى البحث عن شقة . تصور انني خاطب من سنتين ولا أجد مكانا اتزوج فيه ..

واقول له :

— ان التعليم والاعداد مسئولية المجتمع حيالك ،ولكن الزواج مسئوليتك انت . لن يضير هذا البلد شيء اذا لم تتزوج أنت أو لم تنجب . عندنا زيجات وأولاد فوق الحاجة . هذه مسئوليتك انت وعليك أن تحلها ، اذا لم تجد المسكن فى القاهرة فلماذا لا تنتقل منها .

— ولكن عمل هنا .

— وما عملك ؟

— مدرس ..

— وهل لا يصح التدريس الا فى القاهرة ؟ اليست مصر الواسعة هذه كلها بلدنا ، ماذا لو نزعت من عقلك هذا الداء المسمى القاهرة وقررت ان تنشيء حياتك بعيدا عنها ، انني اكاد اقول ان مرض الحياه في القاهرة هذا ينبغي ان يعالج بقانون يضع حدا للمسكن فيها حتى يتجه الناس الى غيرها ويولوه العناية . . اكاد اقول ان الدولة بدلا من أن تنشيء مساكن جديدة على نفقتها فى القاهرة ينبغى أن تنشئها فى المدن الجديدة أو فى مدن جديدة على مئات الكيلو مترات من القاهرة في صحرائنا الغربية ، هناك من الممكن أن تقام مدن جديدة كاملة يجد الانسان فيها كل مطالب حياته ، هذا ما فعله الامريكيون مثلا عندما اندفعوا نحو الغرب ليعمروا برارى الوسط الغربي (الميد — ويست) ثم ليصلوا الى المحيط الهادى . هكذا نشأت المدن والولايات الجديدة من فرجينيا وبنسيلفانيا غربا حتى كاليفورنيا . كانت المياه مشكلتنا فى الماضى ، أما الآن فالمياه متوفرة وتكاليف انشاء قناة تسير فى أنابيب تحت الارض من النيل الى اى موقع فى الصحراء الغربية تقل قطعا عن تكاليف انشاء مساكن جديدة لسكان أحياء مثل الترجمان أو عرب المحمدى .. وهل ينبغى أن يعيش هؤلاء جميعا فى القاهرة ؟ ولماذا ؟ وما مصلحتهم هنا ؟ لماذا لا ننقل مئات الالوف هؤلاء الى مدن جديدة ننشئها على سعة بنظام جديد ونبعث شبابنا المتعب فى القاهرة ليتولى قيادة المجتمعات هناك ؟ ستحتاج المدن الى الطبيب والمهندس والمعلم والمهندس

الزراعي والتجاري ، والشباب الذي لا يجد المبلغ الكافي ليفتح عيادة في القاهرة سيجدها هناك بأرخص تكاليف ممكنة ، وبدلا من أن يكافح ليحصل على شقة مساحتها ثلاثين مترا مما يسمى بشقق العرائس يستطيع من الآن أن يجد شقة واسعة بل بيتا مستقلا في تلك المدن البعيدة عن متاعب القاهرة هناك ينشيء حياته ويقضيها كلها في عالم جديد رحب فسيح فيه من امكانيات النجاح والسعادة أضعاف ما تقدمه الحياة في هذه القاهرة العتيقة التي تصبح الحياة فيها كل يوم أصعب واصعب بسبب تزاحمنا عليها وتصورنا لا حياة إلا فيها .

ان عيب شبابنا انه لا يريد أن يقود مستقبله بنفسه . ما زال يفكر بعقلية الرجل العجوز الضعيف الذي يريد أن يعمل الناس له كل شيء مع انه ينبغي ان يكون قائدا لحركة التطوير الجديدة التي تنادي بها نحن الشيوخ .

ان الغزاة الامريكيين كانوا يخرجون الى البراري ويعيشون في خيام أو في أكواخ ، ونحن نرى ذلك بأنفسنا فهل رأيت عندنا شابا خرج ليستكشف أو يعمر وأقام في خيمة أو كوخ ؟ كلهم يريدون الشقة المؤثثة قبل أن يحركوا أقدامهم ، كلهم يطلبون الراحة قبل التعب ، والعكس هو الصحيح ، لابد أن يفهموا أنهم ينبغي أن يتعبوا ليستريحوا . والواحد منهم يأتيك بشهادة الليسانس او البكالوريوس ويصور لك انه هلك في الحصول عليها ونحب أن نقول للشباب جميعا انه ليس هناك أسهل من الحصول على الليسانس أو البكالوريوس ، فليس في ذلك جهد يذكر خاصة وان النجاح يتم بخمسين في المائة ، والمقررات في ذاتها هزيلة ، والعلم فيها قليل ، وهذا الليسانس لا يساوي أكثر مما تعطيه الدولة فيه ، بل ان ما تعطيه كثير بالنسبة لما يستطيعه هذا الشباب ، لان ما يستطيعه أي انسان يتوقف على ما يعرفه ويتقنه ،

وقل لي والله ماذا يتقن خريج التجارة مثلا ؟ ان شابا يتقن الآلة الكاتبة أكثر فائدة منه لأنه « يتقن » شيئا ، ونحن في عصر اتقان لا مجرد معرفة ، وانظر الى الصناعات الاوروبيه واليابانيه التي تملأ الأسواق وتأمل الاتقان الذي بها لتدرك اننا اليوم في عالم اتقان ، اننا نبحث اليوم عن كاتب آلة كاتبة متقن فلا نجد ، وقد وزعت بعض المصارف على موظفيها آلات حاسبة ، ومن الغريب انهم لا يستخدمونها استخداما صحيحا لأن الاتقان ينقصهم .

وشيء آخر ينقص الشباب وهو روح الجدية والجدية شاقة جدا على من يفهمها حق فهمها . انها تتطلب من الانسان ان يضع عقله وقلبه وكل قدراته فيما يعمل ، فاذا طلب اليه شيء فينبغي ان يتم على أكمل وجه ، وينبغي أن يتحمل الشاب مسئولية ما يعمل مسئولية كاملة ، وانني لأنظر الى الشباب وكيف يتناول أموره فيتركني العجب : كل شيء عنده هزل أو قريب من الهزل .. وهو يؤمن أن كل شيء لا يتم الا بالواسطة ، وأنا أقول ان الشباب الجاد لا يمكن التغلب عليه بواسطة أو غير واسطة ، واذا كان هناك من يغتالون حقه بالواسطة فهو المسئول لانه ينبغي أن يكون شجاعا جادا ويؤدي واجبه كما ينبغي أن يؤدى ثم يتمسك بحقه ، ولن يستطيع أحد الوقوف في وجه انسان جاد يؤدي واجبه حق ادائه ولكن أين نحن من الجدية !

ان الشاب يقول لك انه يتقن الانجليزية ثم تجده في النهاية لا يحسن قراءة خطاب فضلا عن كتابته ، وفي معظم مكاتب الدولة تجد شباب العاملين لا يكاد يصل الى مقر عمله حتى يسرع في طلب الساندويتش والشاي ويقضي ساعة في هزل ، كأنه سيموت جوعا اذا لم يملأ بطنه قبل أن يعمل ..

كلمة صريحة اريد أن أقولها للشباب ..

لا أحد يستطيع أن يعمل لك شيئا

● **التربية الدينية بوضعها الحالي لا تنفع الشباب كثيراً لأن الدين احساس وقوة معنوية، ومن ثم فهو لا يدرس وانما لابد أن نختار مدرس مادة الدين نموذجاً للرجل المتدين الحافظ لقيم الدين حتى يغرس في قلوب تلاميذه الايمان**

لتحقيق آمالك، كل ما يستطيع الوطن ان يعمله لك هو أن يقدم لك الكفاف فاذا كنت تريد فوق الكفاف فعليك أن تعمل أكثر وتجهد أكثر وتصنع مستقبلك بيدك، واذا عزت عليك الحياة الرخية في القاهرة فابحث عنها في غير القاهرة، واذا عزت عليك في مصر فابحث عنها في غير مصر، ولكن على غير هذا الاسلوب التافه الذي نعمله، لقد نشرت احدى الصحف خبرا عن أن شبابنا الدارس في النمسا يبيع الصحف لكي يدفع نفقات دراسته، وانا شخصيا لا اجد في ذلك ما يفخر به، لأن مجتمع النمسا لابد انه وجد أن كل ما يستطيع ان يعمله هؤلاء الشبان هو بيع الصحف، ولو وجدهم يستطيعون أكثر من ذلك لاعطاهم، لقد عرفت شابا سويسريا كان معنا في الجامعة وأراد الهجرة الى الولايات المتحدة، فبدأ بدراسة حرفة لها قيمة وفائدة: اتقن كل ما يتصل بالادوات الصحية وتركيبها وهندستها، وقضى سنتين يعمل بيديه مساعدا «لسباك» كان يسكن بيتنا، كان يعمل بالنهار بيده ويدرس هندسة الادوات الصحية بالليل في عامين كان قد اصبح اختصاصيا في هذه الصناعة، ثم ذهب الى أمريكا فتخاطفوه، وفي اعوام قليلة كان قد اصبح صاحب محل ثم شركة صغيرة، وسارت سفينة حياته في بحر المال والرخاء والنجاح.

مثل هذا اقوله لشباب الادباء.

وشباب الادباء شكواهم لا نهاية لها من ان أحدا لا ينشر لهم، وهم لا يرضون عنا هنا لاننا جادون ونصارحهم بالحق، ونقول: ليس في التاريخ اديب موهوب الا فرضته ملكاته على الناس، وبرنارد شو كان يكتب المقال ثم يرد على نفسه بامضاء آخر، ثم يكتب ردا ثالثا بامضاء ثالث، وفي شبابه كان يقضي بعض الايام خطيبا في هايد بارك، ولا يجد ما يأكله ساعة الغداء فيمضي بعد الظهر ليعمل مصححا في دار صحفية ليحصل على الكفاف، وظل على ذلك سنوات حتى فرض نفسه فرضا..

وكل يوم يأتينا شاب بقصة ويتصور انها لابد أن تنشر لأنه كتبها، ونقول له ان الكتابة جهد ومعاناة وانـنـا لا نستطيع نشر هذا الكلام فلا يكون منهم الا أن ينعتونا بالتعنت والشدة، ونحن في الحقيقة متشددون لأن الأدب اما أن يكون ادبا صحيحا سليما أو لا حاجة بنا اليه.. اما ان ينشر شاب قصة تدرك بعض التوفيق وعلى أساسها يريد أن يكون طه حسين فلا، لأن طه حسين تعب كثيرا جداً حتى فرض نفسه ثم كانت لديه موهبة نادرة صقلها بالعمل الجاد المتصل وظل طول عمره يعمل ويجهد.. أما أن يكون قد بلغ المجد بكتاب واحد أدرك شيئا من النجاح فهذا ما لم يحدث قط.

انـنـا على ابواب عصر جديد..

وهذا العصر لابد أن يبنيه الشباب بعقلية الشباب الجاد المكافح المناضل لا بعقلية الشباب الذي لا يملك من المواهب الا التمرد والغضب والمطالبة، لان هذه عقلية لا تؤدي الى شيء..

اننا في خدمة الشباب، وهذه الدولة كلها تضع نفسها في خدمة الشباب، وما اظن ان دولة تصنع في سبيل الشباب ما نصنع هنا، ولكن المشكلة ان الشباب نفسه لا يعمل لنفسه او هو يتصور انه يعمل.. ولا تبنى الدنيا على التصور أو الوهم..

وانا اعرف ان هذا الكلام سيغضب الكثيرين، ولكننا لابد ان نغضبهم ليفتحوا عيونهم، ومن اسف، اننا لا نعرف كيف ندلل الشباب لاننا لم نعرف التدلل في حياتنا.. ●

● **د. حسين مؤنس** ●

مع الشباب

مشاكل وحلول

● د . مصطفى كمال حلمى ●
وزير التعليم

يثير « الهلال » سؤالا حيويا جديرا بالاهتمام .. !
هل هناك عناية حقيقية بالشباب ؟
قبل ان نجيب عن هذا السؤال ، من واقع الحقائق والارقام ـ ينبغى ان نقول :

ان الشباب فى كل امة هم عصب الحياة ومحور التقدم فيها ، فعليهم تقع اعباء الدفاع عن ارضها ، وحماية مقدساتها ، وبهم تنهض التنمية بمفهومها الشامل ، وبسواعدهم الفتية تنتشر الخضرة ، وتنشط المصانع ويتضاعف الانتاج ، فهم الامل والعمل ، وهم الحاضر والمستقبل .

ومن ثم اولت الدول رعايتها للشباب ، وشبابنا يحظى بعناية حقيقية من الدولة ، فقد احاطته بالرعاية ، وقدمت له الكثير من الخدمات ، وفى مقدمتها التعليم : فقد جعلت التعليم مجانيا فى جميع مراحله ، وافسحت الطريق امام كل متعلم ، لياخذ نصيبه من التعليم العالى ، والدراسات العليا ، بقدر طاقاته واستعداده .

وهى ترصد للتعليم موازنة تزداد عاما بعد عام ، وقد وصلت هـذه الموازنة حاليا الى ما يزيد على ٤٤٠ مليون جنيه ، بما يعادل نحو ٥٪ من الدخل القومى ، و ١٨٫٥ ٪ من موازنة الخدمات ، وبذلك اتسع التعليم لنحو سبعة ملايين طالب وطالبة ، يتعلمون فى نحو ١٣٠٠٠ مدرسـة ، و ١٣ جامعة ، مما يعنى انه بين كل ستة مواطنين يوجد مواطن يدرس فى مرحلة من مراحل التعليم ، وهذا المعدل المشرف له مدلوله الاجتمـاعى والحضارى ، بالاضافة الى المدلول التعليمى والاقتصادى ، والثقافى .

ولو أننا انتقلنا الى مجال الثقافة العامة بالنسبة للشباب ، فان من الحقائق القول بأن الدولة أنشأت المكتبات المدرسية ،والجامعية ،والمكتبات العامة فى العاصمة وفى كل محافظة .

وأن هناك مجلة شهرية خاصة للشباب ،تتبنى آراءهم ،وتعمل على تيسير الثقافة لهم ، وتصلهم بجميع النوافذ المطلة على العالم .وهناك كذلك أركان كثيرة للشباب فى جميع وسائل الاعـلام : فى الاذاعة ، والتليفزيون ، والصحافة . وفى جميع المحافظات هناك قصور للثقافة ، وأكثر قاصديها من الشباب .



الدكتور مصطفى كمال حلمي: تحقق
مع مشاكل الشباب بالحقائق والارقام

ولقد تهيأت لشبابنا كذلك فرص واسعة فى مجال التربية الديمقراطية • فللشباب عندنا الآن فرص التعبير الحر عن آرائهم ، وتبادل هذه الآراء الحوار البناء ، فى اتحادات الطلاب بالمدارس والجامعات ٠٠ وامامهم الآن رص الانتماء الى الاحزاب المختلفة ، والتنظيمات الشبابية فى مختلف قطاعات والمؤسسات •

ولقد تعددت لقاءات الشباب فى الدولة على اعلى المستويات ، وفى الخارج ع شباب العالم ، حتى تتفتح امامهم سبل التعارف ، والنظرة الواسعة فى التعامل الانسانى الذى يقرب الشعوب ، ويدعم اركان السلام •

ومن أجل الشباب أنشأت الدولة المستشفيات الجامعية ، والوحدات الصحية المدرسية • وأنشأت الساحات الشعبية ، والاندية الرياضية ، وشجعت المتفوقين فى مجال الرياضة ، ورصدت لهم الجوائز السخية ، والتقدير الادبى •

وتوجت ذلك كله بانشاء وزارة للشباب ترعى شئونهم ، وتخطط لما يحوطهم بالامن ، والتحرر ، والديمقراطية الصحيحة .

يبقى مجال هام فى حياة الشباب ٠٠ هو المجال الاقتصادى ، فماذا قدمت لهم الدولة فى هذا المجال ؟

لقد هيأت فرص العمل فى قطاعات ومؤسسات الدولة المختلفة ، وتكفلت بتوظيف الخريجين ، كما أفسحت أمامهم مجال العمل فى الدول العربية والصديقة ، وفتحت لهم باب الهجرة ، والاسهام بخبراتهم الناضجة ، وامتيازهم الملحوظ فى كثير من الدول المتقدمة ، فكانوا رسل دعاية ممتازة ، لما يتمتع به شبابنا من نبوغ ، وجلد ، ومثابرة ، واخلاص •

ولو اننا الان تساءلنا عن المستوى الفكرى والثقافى للشباب عندنا ... فالحق شبابنا والحمد لله بخير ، وقد اثبت وجوده فكريا وثقافيا فى كل مجال يحتله فى داخل البلاد وخارجها ، ولا يزال المأمول من الشباب

يحتلون مكان الصدارة ، والاحترام ، والترحيب في الدول العربية والصديقة ، وبفضل ثقافتهم الواسعة ، وقدراتهم الممتازة ، تكونت اجيال من الشباب المثقف المستنير على امتداد الساحة العربية ، وفي انحاء متفرقة من الدول الصديقة ، وبرز تفوقهم الفكري والثقافي ، في البعثات الدراسية الخارجية ، حتى بزوا أبناء البلاد الاصليين وتقدموا الصفوف في نتائج الكليات والمعاهد العلمية التي يتعلمون فيها ، كما ظهر نبوغ طائفة منهم في المؤتمرات الدولية ، وفي مجالات العمل التي هيئت لهم خارج الوطن ، ومنهم خبراء عالميون في مجالات المعرفة المختلفة .

الوصايا السبع للشباب

ولكن هذا لايعنى أن شبابنا كله على هذا المستوى الرفيع من الفكر والثقافة ، فما زلنا نتمنى الكثير لشبابنا .. نتمنى لهم العمق في التفكير ، وبناء مستقبلهم على اساس من التفكير العلمي السليم ، ومواجهةمشكلاتهم بأسلوب علمي ، وكذلك بذل الجهد الذاتي ، والاعتماد على النفس في تحصيل المعرفة فان ذلك يدعم فيهم استقلال الشخصية ، والثقة بالنفس وبذل المزيد من الجهد للحاق بركب التقدم العلمي في عصر تفجر فيه المعرفة ، وارتفت منجزات العلم ، وتطبيقاته ، حتى وصل الى درجة المعجزات .

وأن يتقنوا الى جانب الثقافة الاكاديمية الثقافة العملية حتى نرى منهم الاطر الفنية العملية ذات المستوى الرفيع ، وان يبرز من بينهم من نفخر بابتكاراته ومخترعاته .

وأحب للشباب ايضا بل واوصيهم :

ان يتجنبوا الثقافة الرخيصة ، وان يقبلوا على الثقافة الجادة ، وان يعشقوا القراءة ، فهي النافذة الواسعة التي تمتد منها ابصارهم الى آفاق عريضة من المعرفة ... والا يقتصروا على الثقافة الميسرة التي تنقلها لهم وسائل الاعلام في ثوب براق من المتعة واللهو ، وان يتقنوا لغة اجنبية على الاقل ، حتى يتهيأ لهم الانفتاح على الثقافة العالمية ، ونحن في عصر تعددت فيه سبل الاتصال ، وتقدمت تقدما مذهلا .

ومن المهم لشبابنا ان يكونوا على فطنة وبصيرة في اطلاعهم على الفكر والثقافة الاجنبية ، فلا تخدعهم المذاهب المضللة ، ولا تبهرهم اضواء الافكار الشاذة حتى لاتضطرب لديهم القيم النبيلة الاصيلة ، وعاداتهم وتقاليدهم النابعة من ارضهم ، والمبادىء القويمة والمثل العليا الفاضلة التي يزخر بها دينهم .

وان يطلعوا في صبر وحرص على أمجاد تاريخهم ، وتراثهم الانساني الرفيع ، ومقومات حضاراتهم العريقة ، حتى يتصل حاضرهم بماضيهم ويعلوا بناء هذا الحاضر والمستقبل على اساس متين من عــراقة الماضي الخالد ، وبذلك تتاصل ثقافتهم وتتميز ذاتيتهم الثقافية ، ولا تذوب في ثقافات خارجية وافدة .

وكذلك فان عليهم ان يعطوا الثقافة الدينية حظها واولويتها ، فهي النبع الاصيل ، لصفاء الروح والنفس ، وهي الدستور السماوي الذي يرسم مسار السلوك الانساني القويم لخير الحياة الدنيا ، والسعادة في الآخرة ، وهي السياج القوي والحصين الذي يرد كل ضلالة او زيغ ، او انحراف .



والسؤال الذى يخطر للذهن الآن
ماسبل العلاج العملية للارتقاء بثقافة الشباب ؟

والجواب هنا يشمل نقاطا كثيرة ، منها أن ندعم الثقافة الدينية للشباب ، ليشب ابناؤنا على الايمان الصحيح ، وتتأصل فيهم القيم والمبادىء الدينية القويمة ، وذلك بغرس مبادىء العقيدة فى نفوسهم ، والاتصال الوثيق بالنصوص الدينية والتشريع السماوى فى العبادات والمعاملات ، وبعرض نماذج صالحة من القدوة الحسنة ، فى سير الانبياء والصحابة واعلام الدين ، ورجال الاصلاح .

ومنها ان نزكى فى أبنائنا روح الانتماء والولاء لقوميتنا ووطننا ، عن طريق الاطلاع على امجاد تاريخنا ، والمعارك الفاضلة التى خضناها فى سبيل الحفاظ على ارضنا ، واسترداد حريتنا ، وكرامتنا ، وعرض المثل المشرفة عن عظماء قادتنا ومفكرينا ، وموقعنا القيادى فى مضمار الحضارة ، وما يزخر به تراثنا العظيم من تقدم فكرى فى جميع مجالات العلوم والفنون .

ومنها أن تعمل الدولة على تيسير الكتاب الجاد للشباب ، وبصورة منتظمة شاملة ، بحيث يستطيع الشباب أن يقتنى الكتب ، وأن يجد القوافل الثقافية التى تغذى القرى ، والمناطق المحرومة .

وعلينا أن ندعم وسائل الاعلام التثقيفى فى الصحافة وفى البرامج الثقافية المتخصصة ، كالبرنامج الثانى ، وأن تخطط تلك البرامج تخطيطا سليما يعالج قضايا الشباب ، ويفتح امامهم مجال التعبير عن آرائهم ، وآمالهم ، والقاء الضوء على الممتازين ، وذوى الابتكارات منهم ، وتشجيع البرامج الأدبية الناشئة .

ولتكن هنالك رقابة جادة على افلام السينما المحلية والمستوردة بمايحقق صيانة المفاهيم الاخلاقية ، وسيادتها فى أذهان الشباب ، وأن تكون الافلام والمسرحيات الفكاهية هادفة ، تجمع بين الترفيه والتثقيف دون اسفاف او مبالغة ممقوتة .

ولتكن المساجد ودور العبادة كما كانت منذ نشأتها مراكز للثقافة والعبادة ، وان يطور القائمون عليها من اساليبهم ، بحيث يجتذبون الشباب ، بعرض مسائل الدين فى صورة مشوقة مقنعة مؤثرة ..

وأخيرا وليس آخرا فلابد أن يكون المنزل على مستوى ثقافى وخلقى مؤثر ، فهو العامل الاساسى والحاسم فى تشكيل الشباب ، وهو المدرسة الاولى للتثقيف والرقابة ، وهو المعين لكل مؤسسة علمية على تكوين الشباب وصلاحهم .

دفـــاع عن الثقافة العربية

● فتحي رضوان ●

كتب الدكتور زكي نجيب محمود مقالا عن الوحدة العربية ، تطرق منه الى الثقافة العربيـة ، على وجه خيل الى انه يؤاخذ هـذه الثقافة المجيدة المتجددة بعيوب ومآخذ ، اراها بريئة منها ..

ولا شك في ان الثقافة العربية فريدة، لا نظير لها ولا ند ، فقد كانت ثقافة شعب ، تواصى المؤرخون الرسميون،على اهمال شانه ، والمرور عليه ، اشبهما يكونون بمغمضي العيـون ، لان العرب قبل الاسلام ، لم يكونوا اهل علم يؤخذ به وينتفع في حل مشكلات العقول ، ولا في تيسير اسباب العيش ... ولم تكن ارضهم تضم من خيرات الارض شـيئا ذا قيمة ، فلا معدن او حجر نفيس كالماس والذهب ، ولا معدن نافع كالحـديد والصلب ، او النحاس والقصدير ، ولا محصول مطلوب كالقطن او الكتان ، او القمح او الارز ..

ولم تكن لهم حكومة مركزية تضمهم وتجعل منهم قوة عسكرية وبالتـالي سياسية ، في مفترق طرق التجـارة العالمية بين الشرق والغرب،عبر اليمن،ثم الى الشام فالعراق فالهند وحـدود الصين ..

بل كانوا فئات مجتمعات بشرية، تلتئم حول عيون الماء المنثرة في صحراء هي أشد الصحارى جدبا واتساعا وفقرا .. وهم يجتمعون ، لا ليقيمـوا مدنا ، أو ينشئوا أسوارا ، أو يشيدوا سدودا ، أو يفتحوا آبارا ، بل لينقضوا على جيرانهم سلبا ونهبا ، ثم يسوقون أغنامهم وابلهم أمامهم بحثا عن الماء والمرعى ، في تجوال مستمر لا ينتهي ، لا يضيقون به ، ولا يسأمونه .. وهو تجوال منح أجسادهم حيوية ، ومرونة ، وجلا أبصـارهم فأصبحت عيونا نافذة بعيدة المدى ، ومد في دائرة أصواتهم ، ثم علمهم الفروسية والرماية ، وغرس في قلوبهم حبـا مضطرما للحرية ، أخر قيام دولهم ،ولكنه جعلهم أكثر الناس اسـتعدادا لخوض

المعارك ، وتوجيه الحكام ومحاسبتهم ثم عزلهم في عنف ضار ، وقسوة بالغة أحيانا ..

وهذه صفات تهيئهم بلا شك لحياة مدنية فياضة غير راكدة ، ولحياة عقلية اكبر حوافزها تطلع شديد الى معرفة الجديد ، لطول ما حرموا من مدارسة العلم ، على وتيرة المعاهد والجامعات ،ذات النظام المحكم، والبرامج الدقيقة الثابتة لثقافة العرب ولدت بميلاد دينهم الاسلام ، ونزول كتابهم القرآن ، في منتصف القرن السادس الميلادى ، وان كانت دواوين شعرهم وبعض نثرهم المعترف به ، فالمنكور ، والذائع والمبثور، تدل على أن حياتهم لم تخل من شعر غاية فى الجودة ، يقال ويحفظ وتتناقله الالسن .

ثلاثة عوامل ...

وقد حدث مع هذه الثقافة ـ كما سلف القول ـ ما لم يحدث مع ثقافة غيرها ، فما كادت الايات الاولى للقرآن الكريم ، تنزل من السماء ، وحيا على عربى ، فقير ، يتيم ، أمى ، اسمه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ـ حتى انفجرت ينابيع الحكمة ، فى هذا الشعب ، فقد هزته رسالة السماء هزة كبيرة ، أعان على عمق اثرها واتساع نطاقها ثلاثة عوامل ـ اولها : وجود أقليات كتابية من يهود ونصارى حول عاصمتى العرب الكبريين : مكة والمدينة . وقد ادرك هؤلاء خطر قيام امة فى هذه المنطقة ، تدير أمورها وتوجهها ديانة ، قريبة من ديانتهم تؤمن بالله الواحد ، وبالبعث والنشور ، والحساب والعقاب ، وتسقط من حساب النفوذ والصدارة فى المجتمع العربى : الانساب والالقاب ..

وكان العامل الثانى : قيام دولتين ضخمتين كانتا تطمعان ـ على استحياء وشىء من عدم الاكتراث ـ فى أن يلحقوا العرب بملكهم ، ويبسطوا عليهم سلطانهم . تلك دولة الروم فى سوريا وفى جنوبى سوريا فلسطين ثم مصر ، ثم دولة الاعاجم فى العراق العربى ومابعد العراق العربى . فكان فى الشاطىء المقابل لليمن الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية الحبشة بمسيحيتها الارثوذكسية .

فشغل هذا الحدث الجديد ، هذه المجتمعات ، وأخذت تفكر فيما عساه ينجم منه ، ويؤدى اليه . مما زاد من اهتمام العرب به ، وتفكيرهم فيه .

اما الامر الاخير فهو أن مكة والمدينة كانتا ـ كما قلنا ـ على طريق القوافل الذاهبة الآيبة، بين الشرق والغرب،وبين الشمال والجنوب ، تحمل الى ثغور اليمن التوابل والافاوية من الهند ، والسند ، والطنافس والسجاجيد والحرائر والاقمشة الغالية ، من الموسلين الرقيق والسميك، كما تحمل اليها سفن البندقية وجنوة كل منتجات المصانع الاوروبية ، وقد أدت هذه الحركة الدائبة الى ان **العربى** فى المدن الحجازية **كان على علم باكثر ما** يدور فى **العالم الصغير المحيط** به ، فاختلاطه **بتجار الشرق والغرب** ، ووقوفه على ما **تنتجه حضارة** كل جانب من جوانب الدنيا ، **زاد طلعته** وتشوقه ، لكل جديد من **العلم والمعرفة**.

وتحول العرب الوثنيون **الى دين بلغ الغاية** فى تجريد المعبود **الخالق . فالاسلام** فاق الدينين السماويين **اللذين سبقاه ، واللذين سلم بهما ، واعلن ايمانه بكتابيهما وبنبييهما : موسى وعيسى، وآباء واجداد هذين النبيين .. فاق هذين الدينين فى تجريد الخالق من كل تشخيص وتجسيد وتمثيل . فهو «ليس كمثله شىء» ، وليس ثمة سبيل الى** التقرب اليه ، عن طريق آخر غير الايمان المطلق الثابت به خالقا ، وحاكما ، وربا . فهو خالق كل شىء ، واليه يرد علم الساعة ، وهو لا يطلع على غيبه أحدا والانبياء بشر مرسلون لرسالات محددة، وهم ميتون ، وهم يخافون الله ،

ويستغفرونه ، ويتوبون اليه ..

جوهر عظمة الانسان ..

ولقد لقيت الوثنية صدمة مروعة على يد هذا الدين ، بعد أن كانت قد تسربت متخفية مقنعة الى الديانات السماوية ، في فترات الصراع المذهبي بين مختلف الكنائس والمدارس . فقد بقيت الوثنية متألقة ، تلهم الشعراء ، والفنانين ، والفلاسفة في روما ، وأثينا ، بعد أن آمن الامبراطور قسطنطين ، الامبراطور البيزنطي ، ووضع على صدره الصليب، وهو يلفظ أنفاسه .

بقيت الوثنية بشعرها ونثرها وتماثيلها وصورها ، وفلسفتها وحكمتها حية ، مع المسيحية جنبا الى جنب فترة غير قصيرة ... فلما لفظت أنفاسها كعقيدة ودين ، بقي صداها في الآثار الفنية والادبية ، حتى القرن الحالي ، ولكن في صورة استلهام مثلها القديمة و (الميثلوجيا) المتخلفة ، شعرا وقصصا ، ومسرحا ، وصورا وتماثيل ، ولوحات بارزة وغير بارزة .

أما الفكر الاسلامي ، فقد حصن نفسه ضد هذه الوثنية من اللحظة الاولى ، فخلا شعره ونثره وخلا تصويره وحفره ونحته ، ومعماره من كل ما يفكر أو يذكر بالاوثان البديعة الرائعة عند اليونان والرومان ، أو البدائية عند قبائل العرب ومن حولهم .

وقد بقي التجرد والنأى عن الوثنية ، أساس الدين وجوهره ، كما بقي من خصائص ثقافة العرب ، بعد أن دخلوا في هذا الدين أفواجا .

ولما كان القرآن عند المسلمين ، كتاب دين ، وحكمة وموعظة ، كما أنه كتاب حكم ونظام ، ثم هو كتاب شريعة وفقه وقضاء ، ثم هو كتاب تاريخ أمم ودول وأنبياء ــ فقد طبع بأسلوبه حياة المسلمين اليومية ، كما طبع حياتهم الفكرية والعقلية ، وحياتهم الادبية والفنية ...

ولما كان التجريد وكراهية تمثيل الله وتشخيصه وتجسيده في صورة ، أو تمثال ، أو أي أثر آخر ، ولو كان أثرا مكتوبا وملفوظا ــ هو الاساس الذى قام عليه القرآن وبقي يرعاه من أول ما نزل منه حتى آخر آية من آياته ، فقد كره العرب حتى التشخيص والتمثيل والتجسيد في كل مناحي حياتهم ، فالانبياء لا يوصفون ، ولا يصورون ولا يشبه بهم أحد . وما يأتي من الوصف لهم ، يستقى من التوراة التي بين أيدى الناس ومما دسه الاسرائيليون في تفسير القرآن بقصد النكاية للاسلام ، والوقيعة بين المسلمين .

وقد بلغ المسلمون في هذا الصدد الغاية في معاملة نبيهم وخلفائه ، فعندما مات الرسول ، دفن حيث كان يعيش في حجرته التي وصفها الحسن البصرى ، اذ رآها وهو صبي صغير في المدينة فقال انه كان يصل الى سقفها بذراعه اذا مدها. ولم يفعلوا مع خليفتي الرسول « أبي بكر» و « عمر » رضي الله عنهما أكثر من أنهم فتحوا نفس اللحد الذى واروا فيه جثمان نبيهم وامامهم ، وجعلوا رأس الخليفة الاول عند كتف الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم رأس الخليفة الثاني عند كتف أبي بكر . وبهذه البساطة الممعنة تنتهي حياة ثلاثة من أعظم عباد الله عند العرب وعند ملايين المسلمين آنذاك .

غاية التجديد والاحسان ..

قال الدكتور زكي نجيب في مقاله :

« انظر الى رسوم الطير والحيوان والنبات في الفن العربي ، كما تراها مثلا في سجادة أو فوق آنية فخارية ، تجد الفنان العربي يتعمد اهمال التفصيلات، كما هو الحال اليوم في الفن التجريدى المعاصر ، فكأنما هو يرسم تخطيطا لطائر ولا يرسم طائرا .. لماذا ؟ لانه في صميم تكوينه العقلي لا يعبأ كثيرا بالافراد والمفردات ، وانما يريد الخلاصة العامة المجردة ليسهل حملها معه وهو مسافر في الفلاة على ظهور الابل » ..

ومن المصادفات ، أنني قلت منذ شهور في كتاب لي عن القصة القرآنية ،

● الناس والعصر .. صفحة ١٤١ في هذا العدد ●

نشرته دار الهلال،عن ظاهرة التجريد في القصة القرآنية، هو منهج فكري، قائم على أساس من العقيدة، وقد قاد الى أسلوب من الفن، وصل الى أقصى الغاية من التجريد والاحسان، والتأثير والتعبير مع الاقتصاد التام في المادة المستعملة في العمل الفني ..

فالقصة القرآنية أسقطت جميع التفاصيل الخاصة بأبطال القصة أو شخوصها، حتى الاسم لا يذكر، والمدينة لا توصف، والزمان لا يحدد، والمكان لا يعين، والالبسة والازياء لا يضيع كتاب الله العظيم وقتا في بيانها وايرادها .. ومع ذلك تبقى القصة واضحة المعالم بينة المعاني، مؤثرة الى أبعد حد، بأقل قدر من الالفاظ، ولكنها تموج بالحركة، وتفيض بالالوان، وتبقى رمزا للانسان في كل زمان ومكان، أيا كانت عقيدته، وأيا كان مذهبه .. وهو التصور الاسمى للادب الانساني، أن تخلص منه الى الغاية من القول سواء كان شعرا أو نثرا !..

فما كان ميزة للثقافة العربية، وسبقا لسواها ـ انقلب الى عيب تؤاخذ عليه، وخطا تعاب من أجله ! .. ان الفنان العربي او الاسلامي ـ متأثرا بمذهب القرآن ومنهجه ـ آثر أن يتخذ من حروف الكتابة، وسيلته ومادته، لآثاره الفنية تصويرا ورسما وزخرفة، فتحولت هذه الحروف في يد هذا الفنان البارع، عالما غنيا بالصور والاشكال، والحركات والايماءات والاشارات، وزان المساجد الشاهقة والقصور الباذخة، والمعاهد والاسبلة، ودور العلاج، ودور الكتب، ثم انتقل الى الادوات الدقيقة والصغيرة من مصابيح، واوان، وسيوف وخناجر، وصحون وطنافس، واحزمة وملابس . فحملت جميعا نفس الزخارف مشتقة من حروف الكتابة، ولكن في صورة وتشكيلات، متنوعة متعددة، متداخلة ومتباعدة، كأن الدنيا كلها قد اجتمعت فيها، وتلاقت عندها .

ويطيب لي أن أنقل هنا من كتيب وضعه العالم الدكتور « محمد مصطفى » مدير المتحف الاسلامي السابق بالقاهرة قال :

« واختص الفن الاسلامي، وحده دون غيره من الفنون باستعمال الكتابة العربية كعنصر زخرفي، لما تتميز به من جمال ومرونة، وقابلية على التشكيل والتصنيف ـ واتخذ الفنانون ـ في جميع البلاد الاسلامية ـ الكتابة العربية كوسيلة تربط بين العناصر الزخرفية، أو لملء شريط بكلمات أو بحروف لا معنى لها سوى الغرض الزخرفي المحض، أو لكتابة اسم صاحب التحفة مقرونا بصيغة دعائية وكذلك اسم الفنان ومكان الصناعة وتاريخها ».

ثم قال :

« ان الفنانين لم يقتصروا على الشكل العادي للكتابة العربية، بل حوروا في أشكال الحروف، وجعلوا أطرافها تنتهي مرة بضفائر تشبه المعقدات، كما نرى على شمعدان من النحاس أوقفه السلطان قايتباي على الحجرة النبوية الشريفة في سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) . ومرة أخرى يسبح الفنان في أفق الخيال ويجعل حروف الكتابة تنتهي بصور أشخاص في مناظر صيد وشراب وموسيقى ورقص، ويرسم بدلا من نقط الحروف صور رءوس حيوانات وطيور »

ثم أضاف :

« والواقع أن الكتابة العربية تستعمل في زخرفة وتزيين التحف الفنية في جميع البلاد الاسلامية، ولا غرابة في ذلك فان المسلمين في جميع أنحاء العالم يحفظون القرآن بلغته العربية . كما أن غالبية البلاد الاسلامية تكتب لغاتها بالحروف العربية، حتى اذا لم تكن اللغة العربية لغة بلادهم »

فالفنان العربي أو الفنان المسلم، لم يلجأ الى التجريد في آثاره الفنية التي تركها على الجدران أو على الخشب، أو النحاس المكفت بالذهب والفضة، أو على

السجاجيد أو الاوانى الزجاجية أو فى شكل حلى من الذهب مطعم بالاحجار الكريمة ، لم يفعل ذلك عجزا عن أن يرسم الشخوص الادمية ، والوجوه البشرية أو رغبة فى حمل أقل القليل معه الصحراء أو الفلاة كما يقول الاستاذ ر نجيب ، فهو قادر على أن ينافس الفنان الغربي الحديث ، والفنان الاغريقى والرومانى ، فى ابراز خصائص الجسم الانسانى للمرأة والرجل ، وفى أوضاع هذا الجسم المختلفة ، حتى فى التماثم الصغيرة التى تسمى الآن (بالميناتور) ، ولكن رفضه لهذا الاسلوب من التصوير والرسم ، تطبيقا لموقف دينى وفكرى معا ، يشكر له ويحمد ويشكر للثقافة العربية ويحمد أيضا ...

التوحد والتميز معا ..

ويجمل بنا ـ قبل أن نترك هذا الموضع من الكلام أن نلاحظ على ظاهر استعمال الفنان الاسلامى أو العربى ـ حسبما تشاء ـ حروف الكتابة ثلاثة أمور جديرة بالتسجيل .

الاول ـ أن جميع الفنانين العرب فى مختلف بلدان وأقاليم العالم الاسلامى التزموا بهذا المنهج .. فالفنان المسلم فى الهند والسند والتركمان والصين وفارس والعراق ، والاندلس ، وشمال افريقيا ، وجنوب فرنسا وايطاليا وصقلية ، استعملوا هذه الحروف ، ولم يتمرد على هذا المنهج أحد منهم ، استخفافا به ، أو كرها له .

الثانى ـ ان هذا المنهج استمر ـ منهج الفن الاسلامى ـ قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل مع الاحترام والالتزام ..

الثالث ـ ان هذا الالتزام الطويل المستمر لم يكن قيدا على خيال الفنان المسلم ، أو غلا فى يديه ، فقد استطاع بهذه الحروف أن يعبر عن ذاتيته وزمانه وذوقه وخصائص فنه . بحيث يستطيع الخبير الفاحص ان يرى التحفة فيقول فى التو واللحظة هذا عمل فنان تركمانى أو ايرانى أو سورى فى العقد الفلانى من القرن الفلانى ..

وليس ثمة خاصية فى ثقافة اخرى من ثقافات العالم : أعنى التوحد والتميز فى وقت واحد ..

ولسنا نحن الذين نبالغ فى الثناء على آثار الفن الاسلامى المصوغ فى شكل حروف عربية ، بل ان مجلدات العلماء والخبراء فى الفنون التشكيلية والآثار . كلهم مجمعون على أن الفن الاسلامى ، وان اقتصر أكثره على استعمال الحروف العربية ، والتنويعات فى استغلال هذه الحروف ، قد وقف الى جانب أعلى الفنون مقاما وأعزها أثرا ، وأجملها أسلوبا ، وأعذبها أداء ، وان ما تركه لا يزال يمتع الدارس والمتامل وعاشق الجمال ، وتلميذ الرسم والحفر ، والخبير بالحضارات المختلفة .

منزلق الى الافتتان ..

بقى أن ندافع عن منهج الاسلام فى اتخاذ الحروف العربية أداة للتعبير الجمالى . ولابد هنا أن نذكر أن فى أول عدد غير قليل من السور القرآنية حروفا سميت فى كتب التفسير بالحروف المفردة مثل (ا ل م) التى تبدأ بها السورة الاولى من سور القرآن ، وهى سورة البقرة ... ولقد اختلف المفسرون فى المقصود من هذه الحروف ، وانى ارى أن هذه الحروف ، تعنى تسما من الله سبحانه وتعالى ، فكما أقسم الله عز وتبارك بالشمس وضحاها ، وبالقمر وبالنفس اللوامة ، فقد اقسم بالحروف التى يتكون منها هذا الكتاب الذى نقل العرب من الشرك الى الايمان ، ومن الظلمات الى النور ، ومن الفرقة الى الوحدة ومن الضعف الى القوة ..وقال للمسلمين الذين يتلون هذا الكتاب وغيرهم ممن لم يدخلوا فى هذا الدين ، ان هذه الحروف الصغيرة ، كفيلة بتغيير الناس ، والاخذ بيدهم ، واسعادهم ، وانقاذهم مما يعانون من صنوف الشقاء المادى والمعنوى

.. لذلك اقترن ذكر هذه الحروف في اوائل السور ، بكتاب الله مثل (ألم . ذلك الكتاب لا ريب) . ونجد هذا الاقتران دائما ، ويمكن للقارىء الكريم ان يعود الى كتاب الله العزيز ليرى مصداق ماأقول .فهذه الحروف الصغيرة جديرة بأن يقسم بها لعظم أثرها ، ولجلال قدرها ..

ومن ثم فان الفنان الاسلامي ، حينما اتخذ من هذه الحروف ذاتها مادة لعمله كان مسلما قحا ، كامل الايمان ، وقد أعانه ذلك على أن يصل الى المرتبة التي وصلها ، وهي كما ذكرنا ، مرتبة فذة .

ولما كان اللجوء الى هذه الحروف ، هو في الوقت نفسه أخذ بمنهج القرآن في النأى عن الحشو والفضول في العمل الفني ، والادبي وتجريدهما من التفصيلات والفروع التي تشتت ذهن المتلقي – فقد حرص الفنان المسلم عليها واستمر على حرصه هذا الى اليوم ... الا أن للقرآن مأربا آخر هو الا يتجه العمل الفني أو الادبي الى تجريه وتصوير أو تشكيل الافراد والشخوص، لان في ذلك منزلقا الى الافتتان بالشخص موضوع الصورة ، ثم عبادة الاشخاص ، وتاليههم ...

وقد كان العالم كله قريب العهد بالوثنية ، وكان الوثن البسيط ، عظيم الاغراء بعبادة الاوثان لما ارتبط به من ذكريات ، ولما أحيط به من هالات ،وكان الله تعالى أعلم بعباده من أنفسهم ، فهو سبحانه يعلم أن في الانسان أيا كان موضعه من الارض ، ميلا طبيعيا للوثنية لان المادى أقرب اليه من المعنوى ، والتفصيل أيسر من التعميم والتجريد ، ولذلك فقد سد باب هذا الانزلاق بالكف عن التجسيم : تجسيد الله – لاستحالة ذلك – ثم تجسيد الانبياء والاولياء والصالحين ، ثم تجسيد ابطال القصص وتصويرهم ...

وقد تحقق الخطر الذي قضت حكمة الله سبحانه وتعالى ، بانقاذ الناس منه . فقد لعبت التماثيل الجميلة للقديسين، والصور المعروفة عند المسيحيين بالايقونات دورا خطيرا في الصراع المذهبي فطوائف قدست هذه الصور ، وتوسلت بها ، في مراسم العبادة وطقوسها ، حتى صعب على بعض العامة في بعض الظروف الفصل بين الاصل والصورة ، فأصبحت صورة في مقام الاصل ، تقاد لها الشموع ويحرق البخور ، وتتلى الادعية ، وتقام الصلوات . وكلما مر الزمن زادت عبادة هذه الصور أو تقديسها تأصلا وثباتا ..

فما كان التجريد في التصوير ، كسلا من الفن الاسلامي أو عجزا ، أو خضوعا لآفة من آفات العقلية العربية ، أو منقصة في الثقافة العربية ..

الى مزيد من القول ..

ان الثقافة العربية استطاعت ان تقوم في اقصى الشرق ، واقصى الغرب، وان تهذب وتعلم وتنير عقول ورثة الحضارات المجيدة ، واهل الشعوب البدائية التي كانت على فطرتها حينما وفدت حضارة وثقافة العرب . وقد جاوزت هذه الثقافة ثقافة الاغريق والساسانيين ، والرومان ، واليهود والمسيحيين والنساطرة والصابئين من سور الصين الى بحر الظلمات ، فمزجت هؤلاء جميعا بذاتها ، وادمجت فنهم وادبهم وعلمهم وفقههم وشرعهم بها ، واخرجت للناس شيئا جديدا رائعا لا يزال باقيا ، في حين اندثرت الثقافات الاخرى ، او لم يبق منها الا تراث نجده في الكتب ..

والثقافة العربية فرضت الفاظها ولغتها وقواعدها واصولها على شعوب يصعب عليهم النطق بالضاد والحاء والهاء ، ولكنهم تعلموها ودافعوا عنها واستبسلوا في هذا الدفاع .

هذا دفاع عن الثقافة العربية يحتاج الى مزيد من القول في فرصة تالية باذن الله ..

إنشاء أكاديمية للآداب

● د. يوسف خليف ●

● فكرة تمنيتها ذات يوم، ومازلت أتمناها، لأني مؤمن بها، ومقتنع بأنها ستكون علامة مضيئة في حياتنا الأدبية المعاصرة. واني لا تمنى أن أغمض عيني وافتحهما في يوم قريب فأراها وقد تحققت، وهي انشاء «أكاديمية للآداب».

.. على غرار «أكاديمية الفنون» تستقبل الطلائع الموهوبة من ادبائنا الناشئين، فترعى مواهبهم الادبية الناشئة، وتأخذ بأيديهم في الساحة الفنية المترامية الأطراف، وتقوم خطاهم على الطريق الفني السليم، وتذلل لهم ما يعترضهم من عقبات وهم يصعدون سلم الفن الصعب الطويل.

ولست أمارى، في أن الادب موهبة كسائر الفنون، ولكنه مثلها أيضا في حاجة الى دراسة وخبرة وتجربة، تضع هذه الموهبة على أرض ثابتة، وتعمل على تنميتها وصقلها، فالادب موهبة ولكنه أيضا صناعة. وفي كل عمل أدبي جانبان جانب فطرى يعتمد على الموهبة، وجانب صناعى يعتمد على العلم والتجربة والخبرة المكتسبة، وهو جانب لا يمكن اغفاله أو التهوين من دوره في عملية الابداع الفني.

ويخطئ من يظن أن هذه العملية عفوية تلقائية، تصدر عن الطبع وحده، أو أنها ارتجالية تصدر في غير اعداد لها ... أو أنها الهام تحمله على أجنحتها السحرية قوى غيبية قادمة من وادى عبقر المسحور حيث تمارس شياطين الشعراء حياتها الغامضة ... أو من فوق قمم الاوليمب المقدسة حيث تمارس ربات الشعر حياتها الاسطورية ... أو أنها لون من أحلام اليقظة تقذف به في قلب الفنان رؤى مجهولة في غيبة من عقله الواعى ...

فالعملية الفنية ـ الى جانب ما تستمده من مكونات اللا شعور ومكبوتات اللا وعي ـ عملية واعية تعتمد الى درجة كبيرة على نشاط عقل يتحكم في حركتها، ويوجه خطواتها، ويباعد بينها وبين التهويم في عالم الخيالات والاوهام على غير هدى، كما تهوم الاشباح الغامضة في ظلمات الليل. فوراء كل موهبة فطرية تتفجر في قلب الفنان كما يتفجر النبع، عقل واع وصنعة مكتسبة، تشكل العمل الفني كما يشكل المثال تماثيله من الصخر الاصم لينطقه بكل معاني الحياة.

وفي تصوري ان تفتح هذه الاكاديمية أبوابها لكل موهبة ادبية ناشئة لمن انهوا دراستهم الجامعية في أي كلية من الكليات علمية او نظرية، بعد ان يجتازوا اختبارات تثبت استعدادهم الادبي.

ثم يوزع المقبولون حسب مواهبهم على اقسام الاكاديمية التي اتصور أن تكون اربعة اقسام: للشعر، وللقصة، وللرواية، وللمسرحية.

وتتألف هيئات التدريس بهذه الاقسام من أصحاب المواهب الادبية من أساتذة الجامعات، ومن أصحاب هذه المواهب من غير الجامعيين لمن لهم دورهم الرائد في حياتنا الادبية حتى يقدموا لطلاب الاكاديمية علمهم من ناحية وخبرتهم من ناحية أخرى.

وفي تصوري أيضا أن تتوزع الدراسة على مرحلتين تستمر كل منهما سنة جامعية.

في المرحلة الاولى تكون الدراسة نظرية يقوم عليها أساتذة جامعيون متخصصون في الفنون الادبية التي تتألف منها أقسام

الاكاديمية ، وفيها يدرس الطلاب أصولها النظرية ، وتاريخها الادبي ، واتجاهاتها ومذاهبها ومدارسها الفنية • وكبار أعلامها الذين يمثلون معالم بارزة فى حياتها ، ونقط تحول فى حركتها ،مع الاهتمام بالدراسات المقارنة بين الادب العربى والاداب العالمية القديمة والحديثة

وفى المرحلة الثانية تكون الدراسة عملية يقوم عليها أساتذة من أصحاب المواهب الادبية من الجامعيين وغير الجامعيين • وفيها يقوم الطلاب بممارسة عملية ابداعية فى مجالات تخصصهم تؤدي الدور نفسه الذى تؤديه البحوث فى الكليات النظرية والمشروعات فى الكليات العملية •

وفي تصوري بعد ذلك أن تقوم الاكاديمية باصدار مجلة أدبية تخصص للانتاج الفنى الذى يقدمه أبناؤها فى مرحلة دراستهم العملية ، وباقامة مهرجانات سنوية او ـ بعد استئذان شعراء العصر الجاهلى ـ « أسواق عكاظ » يتبارى فيها الادباء ، وتوزع فيها الجوائز ، وان تتحول ـ الى جانب ذلك ـ رعاية ابنائها بعد تخرجهم والاسهام فى نشر انتاجهم الادبى تذليلا لهذه العقبة الكئود التى تعترض طريق كل ناشيء يبدأ خطواته الاول فى الطريق الفنى الطويل •

لا ضرورة لمكتب التنسيق

• د• عبد الله التطاوى •

« فى اطار التخطيط للعملية التعليمية ينبغى مراعاة التنسيق بين مراحلها المختلفة من التعليم منذ المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية • ومن هنا تبدو الحاجة الى أن تتولى لجان من أساتذة الجامعات ، فى مختلف التخصصات التخطيط لهذا النظام حتى يتسنى وضع البرامج الكفيلة باجادة الاعداد الذهنى والتثقيفى للتلميذ فى المراحل الاولى حتى يتهيأ فكريا لاستقبال المرحلة الجامعية •

ومن هنا اتصور أن تصبح مراحل التعليم سلسلة من حلقات تكمل احداها الاخرى دون حاجة الى ذلك التكرار الذى ما زلنا نجده •

واعتقد أن هذا الامر ممكن اذا قامت لجان دائمة من أساتذة الجامعات بالتنسيق بين هذه البرامج ، حتى لا تتحول العملية التعليمية الى نوع من التكرار الذى لا يفيد فى التكوين الفكرى للتلميذ ، ولا يفتح أمامه مجالات الابتكار فى التعرف على الجديد فى كل مرحلة على حدة •

ونفس الموقف يمكن تطبيقه على الامتحانات التى ما زالت تدور فى دائرة الحفظ وقدرة الطالب على اعادة ما استوعبه مرة أخرى ، وهى أبسط المراحل التعليمية واكثرها سهولة ، اذ يتسنى التجديد فى نظم الامتحانات بما يكشف عن القدرات الخاصة لدى كل تلميذ على هذا الاستيعاب بطريقته الخاصة •

واستكمالا لدائرة التجديد المنتظرة فى العملية التعليمية على هذا النحو يجب أن يحدث نوع من التنسيق بين المراحل دون حاجة الى مكتب التنسيق الخاص بتوزيع الطلاب على الكليات • **اذ يحسن أن يتقدم الطالب للكلية التى يرغب فى الامتحان بها مباشرة خضوعا منه لرغبته واستعداده الخاص ويبقى عليه بعد ذلك أن يثبت هذا باجتياز أنواع من الاختبارات ذات الطابع التخصصى ، مما يؤكد طبيعة ذلك الاستعداد ، حتى لا نقع بعد ذلك فيما يتكرر حدوثه من تخريج أعداد كبيرة من الخريجين دون أن تتأكد لديهم القدرات الحقيقية على الدرس الا من أجل الحصول على مؤهل يخرجون به الى واقع الحياة العملية فحسب** ●

وحدة فكرية وثقافية ووطنية

● د. ابراهيم بيومي مدكور ●

● عندما نتحدث عن بناء الانسان المصرى فى هذه الايام ،لابد أن نضع امامأعيننا مشكلة كانت فى حاجة ماسة الى المواجهة منذ زمن طويل .. وأملى كبير فى أن لا نقف عند المقترحات بل نتجاوزها الى العمل والتنفيذ ـ خاصة وأن التعليم من وسائل بناء الانسان المصرى ..

وفى التعليم نجد أنفسنا أمام مشكلات عدة ، ولكى تكون الرؤية واضحة أرجو أن نفرق بين التعليم العام ، والتعليم العالى والمتخصص ..

والتعليم العام هو اللبنة الحقيقية فى تكوين المواطن واعداده اعدادا يلائم العصر ويواجه المتطلبات .. وأنا سعيد بأن ينظر لهذا التعليم نظرة واسعة تطيل مدته بحيث تصل لتسع سنوات لتكوين النشء تكوينا يستطيع فيه أن يكون من أبناء القرن العشرين .

وهذه ولا شك خطوة جريئة واسعة خصوصا اذا لاحظنا أنه حتى الآن ومرحلة الالزام كانت ست سنوات فقط ، لم تستوعب مدارسنا من هم فى هذه السن ، وكان هناك نحو مليون طفل فى هذه المرحلة لا مكان لهم فى مدارسنا ، وهذه هى المعركة ـ معركة يراد بها ان يعد المدرس اعدادا كافيا . وأن يعد المكان الصالح للدرس اعدادا ملائما ..

وما أحوجنا الى خطة محكمة ، ولامانع أن تكون طويلة النفس ، على شريطة أن تكون جادة وملتزمة .

ودعنا نأمل فى خلال عشر سنوات أن يتوفر لدينا المدرس الصالح والمدرسة اللائقة التى تستوعب جميع من فى سن الالزام ، تستوعبهم استيعابا حقا لا مجرد تكديس وجمع لاعداد لا حصر لها فى الفصل الواحد ...

ويكفينى أن أقف عند هذا القدر عن هذا التعليم العام راجيا فيه فوق ما أشرت اليه ـ أن يوضع فى الاعتبار أمران هامان :

أولهما : وحدة هذا التعليم ، وتلك قضية أثرتها منذ ثلث قرن أو يزيد ، وناديت بأنه لا مجال مطلقا فى مرحلة التعليم العام أن نفصل بين تعليم دينى ومدنى لاننا جميعا ننشد المواطن المصرى وتكوين المواطن المصرى المنشود فى قالب واحد وعلى دعائم ثقافية وتعليمية مشتركة ..

ونحن نتحدث الآن عن العناية بالتعليم الدينى فى المدارس الاهلية والاميرية ، ولابد أن تتم هذه العناية .. وهنا نتساءل هل لايزال هناك مجال لوجود محل لمعهد دينى ومعهد آخر مدنى ...

نحن نريد وحدة فكرية وثقافية ووطنية ، وسبيلها أن ينهل أطفالنا جميعا من معين واحد ..

والملاحظة الثانية : هى أنه يجب الا نفصل التربية عن التعليم ، وخاصة فى هذه المرحلة التى أتحدث عنها ، ولا شك أننا كنا نعنى فى الماضى بالجانب التربوى بقدر مانعنى بالجانب التعليمى حتى فى ذلك التاريخ الذى كنا نسمى فيه وزارة التعليم وزارة المعارف .. أما يوم تحولت الى وزارة التربية والتعليم ، فاظن انه لم يبق لمعاهدنا من التربية الا الاسم .. وأذكر انه مما اقترح فى وقت ما أن توكل رياض الاطفال والمدارس الابتدائية الى قدوات فى السلوك من امهات وآباء ، من معلمات ومعلمين يرعون هذا الجانب التربوى الهام فى بناء حياة الانسان والمواطن الصالح ...

في ميادين الشباب والإعلام

● د. نبيل راغب ●

● هناك فكرة للشباب اقدمها له من خبرتي الطويلة في تعليم اللغة الانجليزية في المعاهد والكليات ، وهذه الفكرة تقوم اساسا على ان العالم كانه الان يعتنق مذهب علم نفسك بنفسك ، لان الانسان الذي لا يملك الاستعداد لكي يعلم نفسه لن تعلمه معاهد الارض كلها ..

وهناك طرق معروفة يمكن ان تساعد الشباب على أن يتقن أية لغة أجنبية عالمية الان ، فمثلا في مجال اللغة الانجليزية ، توجد اشرطة تسجيل تباع في الاسواق ومعتمدة من هيئة الاذاعة البريطانية تتدرج مع الطالب من أبجديات اللغة حتى القدرة على التحدث بها بطلاقة ...

والمسالة في حاجة الى طول بال وصبر بحيث يستمع الطالب الى الشريط ويتابع في نفس الوقت ما هو مكتوب في الكتاب وبعد سنة على أكثر تقدير سيجد في نفسه القدرة على بدايات التعبير عن نفسه باللغة الانجليزية ...

وهناك مسالة أخرى تتمثل في مرحلة تالية ، وهي انه يمكن للشباب ان يعتني بمشاهدة الافلام الامريكية والانجليزية في التليفزيون بدون قراءة الترجمة ، وقد يبدو الامر صعبا في البداية ويضيع كثيرا من متعة المشاهدة ، ولكن مع التكرار والاصرار ستسهم هذه العملية في القدرة على التعبير ومضاعفة الحصيلة اللغوية من المفردات والمعاني

كما يجدر بالشباب أن يستمعوا الى الاذاعات التي تبث برامجها بالانجليزية لان هذا سوف يوسع من مداركهم في مجال اللغة .

وفكرة أخرى بالنسبة لمجال الاعلام عموما « صحافة – اذاعة – تليفزيون » فانه يجب علينا أن ننقذها من الضحالة الثقافية التي أصيبت بها ، وخاصة ان التليفزيون والاذاعة هي أجهزة غير تجارية ، كما هو موجود في بلدان العالم الاخرى . ولذلك لا ينطبق عليها مبدأ « الزبون دائما على حق » ، اذ أن الجمهور لا يدفع سوى ثمن التيار الكهربائي او البطارية التي تشغل جهازه ومن هنا يتحتم على المسئولين في هذه الاجهزة ان **يقدموا الثقافة الجادة بمستوياتها المتعددة سواء على شكل حوار اذاعي او حديث او مسرحية . الخ . حتى يجمع الجمهور بين الفائدة والمتعة ، وقد يبدو الامر صعبا في البداية بالنسبة للمتفرج الذي تعود على التفاهة ، لكنه بمرور الوقت مع التكرار سيتعود ، بل سيدمن الثقافة الجادة ، وهنا فقط نستطيع ان نقول ان هذه الاجهزة تسهم في بناء الانسان المصري .**

أما بالنسبة للصحافة فيكفي أننا في الصحافة المصرية خلال الاربعينات والخمسينات . كنا نقرأ لكل رواد الفكر والادب من أمثال العقاد وطه حسين وهيكل والمازني وعبد الرحمن شكري وتوفيق الحكيم وغيرهم من الكتاب الذين شكلوا فكر ووجدان الاجيال المعاصرة .

أما الان فقد تحولت الصحافة الى الاساليب الخفيفة التي لا تصلح لبناء الفكر المعاصر ، فلا نجد مثلا التحليل السياسي الموضوعي ، ولا النقد الفني العلمي ، ولا الاعمال الادبية التي يلتف حولها المثقفون ويجعلون منها قضية من قضايا الفكر والفن .

وبذلك علمتنا الصحافة المعاصرة أن ناخذ القشور دون اللباب وهذا اكبر ما يدمر الانسان من الداخل .

حب جديد

● د. انس داود ●

أحِنُّ إليْكَ ...
تَفتّح قلبى بين يديك !
وشقّت براعمُ نغرى على شفتيك .
وكنتَ الربيع الذى
أنضجَ اللوز ، والثمرَ المرَّ ، والوجعَ المشتهى ...
أحِنُّ إليْكَ ...
إلى منتهى المنتهى !

***

عدوتُ مساء على النيل
أسألُ عنكِ مياهَ النهرْ
وأسألُ عنكِ ضياءَ القمرْ
وأسألُ حتى حفيفَ الشجرْ !
ودرت على مقعد فى الظلالِ
أمينًا به من عيونِ البشرْ
فكم قصة قدْ حكينا هناكَ
وكم قبلة سُرقت فى حذرْ
فلم يُعطِنى النيلُ ما أشتهى
ولم يَمنحِ الحب ما انتظرْ !

***

وفى الصبح .. فى موقفِ الحافلاتِ
لدى متحفِ العاديات العريق .
لمحتُكَ تمرُقُ بين الرجال ...
ويسرعُ خطوُكَ عبرَ الطريق
فرحتُ أشق الزحامَ المريرِ
وأبحثُ عنكَ بصبرٍ عنيدِ
وفى لحظة ... دُمِّرَ الحلم الحلو ،
وانتحرتْ أمنياتُ الربيعِ الوليدْ
مددتَ يديكَ لأخرى ...
بشوقٍ ، ولهفة حبٍ جديد !!



تحية إلى علامة مجتهد جليل



د. شوقي ضيف — بريشة احمد الوردجي

كانت جائزة الدولة التقديرية فى مصر هذا العام من نصيب العلامة الجليل الاستاذ الدكتور شوقي ضيف ، مؤرخ الأدب العربي وناقده الكبير الدكتور احمد شوقي ضيف .

والدكتور شوقي ضيف يتميز بثلاث ميزات تزين اى عالم : علم واسع عميق بميادين تخصصه وهو الأدب العربي ، واقبال على الكتابة والتأليف مبارك مستمر الى يومنا هذا . ثم تواضع وعذوبة [illegible] البشرة تجعله من احب الناس الى اصدقائه والعاملين معه .

ومن فيض علمه الزاخر وفيض ادبه النادر ، ينشر الهلال في هذا العدد حديثا شيقا عميقا ككل ما يصدر عن شوقي ضيف ، تناول فيه تاريخ الأدب العربي وازمته الراهنة ، وابدى من الآراء ما يبعث على التأمل والتفكير .

وبين يدى هذا الحديث نزجي تحية تقدير وتهنئة الى الأديب العلامة الكبير . والاستاذ بجامعة القاهرة ، وعضو المجمع اللغوى .

مع الدكتور شوقي ضيف

ازدهار الشعر يخضع لعناية الدولة وكثرة جداول الثقافة

● حديث اجراه : عادل عبدالصمد ●

● في بداية اللقـــاء ، وحديث التهنئة بالجائزة عرضت للحوار قضية الرأى القائل « بان من تخرج على دواوين الشعراء فهـو شاعر ولو كان ضعيف الشـعر ... واذا قال الشعر بعد دراسة العـروض فهو ناظم لا صلة له بالشعر » .

ولأستاذنا الدكتور شوقي ضيف رأى قيم معتدل في الموضوع ... فهـو يرى ان الشعر موهبة ، ومن لم يؤت الموهبة لا يســتطيع ان يكون شاعرا بالمعنى الدقيق لكلمة شاعر ، وقد يستعين على نظم الشعر بدراسة العروض والتعـرف على أوزانه ، ولكن هذه الدراسة لاتمنحه الموهبة اذا كان يفتقدها ...

ويقول الدكتور ضيف :

ـ نستطيع أن نضرب مثالا هنا عن رائد الشعر الحديث « محمود سامي البارودى » حيث انه لم يتعلم العربية ولا النحـو العربي وانما ظل يحفظ أشعارا كثيرة حتى تكونت في دخائله السليقة اللغوية العربية والفطرة الشعرية ... وكان ظهـوره بدء مرحلة جديدة في الشعر العربي ، وكان الشعر من قبله قد هبط الى صورة سقيمة لا تعبر عن عواطف الشاعر ولا عن عواطف امته ... كان الشعراء في ذلك الحين عروضيين واشــبه بتلاميــذ المدارس وكراسات التطبيق التى لا تنم بحال عن ذاتية الشاعر ولا عن أمته وأهــوائها وعواطفها ومشاعرها المختلفة ....

فكان البارودى الذى لم يتعلم العروض نقلة كبيرة للشعر العربي الحـديث ... بل أصبح رائده الذى ينضوى تحت لوائه الشعراء في الاجيــال التالية ... حيث شمل النتاجه شعرا سياسيا وشعرا وطنيا وشعرا ريفيا وشعرا فرعونيا ... وبذلك بدأ الشعر الحديث نهضة كبرى على يدى شاعر لم يتعلم العروض ولم يشغل نفسه بقواعده بل حاول ان يتصــل بمنابع الشعر مباشرة وان ينهل منها ما يذكى به ملكته الشعرية ..

وبذلك أقول ان الشعراء قبل البارودى كانوا عروضــيين ، لم يكونوا أكثر من ناظمين ... وشعرهم بذلك لا يجد فيـه القارىء أى متعة أو انفعال أو لذة فنية .

ونحن حينما نقرؤه فانما نقـرؤه للدراسة التاريخية لا للدراسة الفنية .. وذلك بخلاف ما نجد عند البارودى الذى بهر الاجيال التالية له ، ودفع الشــعر العربي دفعة قوية نحو التعبير عن حياته

وأمته وكل ما اتصل بها من أحداث .

● والقول بأن من تخرج على دواوين الشعراء يصبح شاعرا ولو كان ضعيف الشعر — فيه شيء من المبالغة لأن ضعيف الشعر لا يؤبه لشعره سواء كان من أصحاب العروض أم كان من قراء الشعر ...

والسبب واضح هو انه لا يستطيع ان يجذب قارئا اليه بسبب ضعف ملكته .

● ثم ينتقل الحديث بنا الى قضية أخرى هامة وحيوية ، وهي ان الشعر الحقيقي في عصرنا قد اختفى ، بمعنى أن شعر التفعيلة قد أفلس في الوقت الذي أفلس فيه الشعر الموزون المقفى ..

وهنا يوضح لنا الدكتور ضيف بموضوعية وعلم ، أن الشعر كبقية الفنون لا يختفى أبدا من حياة الامة ..

وكل ما يمكن ان يقال في هذا المجال ان الشعر قد يزدهر في عصر أكثر من عصر آخر ... وهذه مسألة مرهونة بظروف كثيرة ، فعندنا مثلا في تاريخ الشعر العربي عصور ازدهر فيها الشعر أكثر من عصور أخرى ، وأقاليم ازدهر فيها الشعر أكثر من أقاليم غيرها ...

وكلنا نعرف ان الشعر العربي ازدهر في العصر العباسي ، وقد هيأ لذلك ظروف كثيرة ، منها عناية الدولة به ، وكثرة جداول الثقافة التي أكب عليها الشعراء ينهلون منها ... جداول يونانية وفارسية وهندية ، مع السليقة العربية التي امتزجت بها مما أضرم في النفس العربية نزعة قوية الى التطور في الشعر والتجديد في معانيه وأساليبه وموضوعاته ...

ثم نجد بيئة طبيعية جميلة مثل الاندلس تمتاز بشعرائها الذين اشتهروا بوصف الطبيعة الفنية التي تمتاز بها الاندلس بحيث يصبح ميدانهم حافلا بقصائد أندلسية بديعة ..

واذن فهناك ظروف مختلفة من شأنها ان تؤثر في الشعر ، وأن تشيع فيه النشاط ، بل ان المكان نفسه قد يكون له تأثير على الانتاج الشعري ..

ومن أجل ذلك فاننا حين نتعرض لقضية فن الشعر في عصرنا وأنه لا يزدهر ازدهاره في الجيل الماضي أو ما قبل الماضي — ينبغي الا نبالغ في القول بحيث نزعم أنه قد اختفى .. لان الشعر باق ولن يختفى ، وكل ما يمكن ان يقال انه ضعف بالقياس الى جيل شوقي وحافظ ابراهيم .

وقد يرد ذلك الى انه في جيلهما كان هو الفن الاساسي الذي يجذب اليه الادباء ذوي المواهب ، اذ لم يكن هناك فن أدبي غيره يزاحمه أو ينافسه ... ولكن منذ الاربعينات — وربما قبل ذلك — أخذ ينافسه بقوة الفن القصصي مسرحيا وغير مسرحي ...

وهكذا توزع الادب في عصرنا بين الشعر والقصة ، واستهوت القصة كثيرين من أدبائنا الافذاذ ، فكان طبيعيا ان يخسر الشعر كثيرين من أصحابه ، بل أن يتراجع الى حد كبير عن الذروة التي وصل اليها في عهد شوقي .

واحب أن أقول هنا انه لا الشعر الموزون أفلس ، ولا شعر التفعيلة أفلس ... ولكن ما يقال بالنسبة للشعر العمودي من انه ضعف في عصرنا انما يقال للسبب الذي ذكرته آنفا ...

أما شعر التفعيلة فلا يستطيع أحد ان يقول بحال انه أفلس لان أصحابه لا يزالون يزودون المكتبات بدواوينهم الجديدة ..

ومما يجب ذكره هنا ... أن شعر التفعيلة قد تناوله النقد كثيرا ، والكثير منه لا شك مجحف لسبب بسيط ، وهو انه ثمرة تجارب جديدة لشعراء الشباب ، ومن حقهم علينا ان نستقبل ما يستحدثون من تجارب ، وأيضا من حقهم علينا ان نقرأها ، وان نبدى لهم بعض ما يكون في نفوسنا ازاء شعرهم من أفكار ...

واذكر انه اتيحت لى مرة المناقشة — في بداية الستينات — مع طائفة منهم فى ان

● استهوت القصة كثيرين من أدبائنا الأفذاذ، فكان طبيعيًا أن يخسر الشعر كثيرين من أصحابه

● الحكم بتوقف الحركة الأدبية ليس حكما عادلا لسبب بسيط هو أننا لا نستطيع بحق متابعة كل ما يُنتج، وأخشى أن نكون صادرين في هذا الحكم تحذرًا من الجيل الماضي "جيل الرواد"

لأذن العربية تعودت القافيـة ، وأنها موجودة في النثر ، فسقوطها تمـاما من شعر التفعيلة من شـأنه ان يضعف موسيقاه ...

واذكر أنهم تقبلوا هذا الرأى دون معارضـة ، وأنا الاحظ منذ زمن ليس بقصير أن منهم من اخذ يعود الى القافية المنوعة في منظوماته .

ونحن لا نطلب اطراد القافية ، فيكفي ان تكون منوعة بالصورة التي يرونها ..

واذكر أيضا اني قلت لهم أثناء هـذه المناقشة ان شعراء الاندلس حين ابتكروا الموشحات التي تتعدد فيها القوافي ظلوا محافظين على القافية المنوعة ، وأيضا عنوا أشد العناية باختيار ألفاظهـا بحيث يخيل الى الانسـان كأنما جمعت أمام أبصارهم كلمات العربية ، فاختـاروا ارشقها وأكثرها عذوبة ونعومة ، وأيضا فانهم قصروا الشطور ولم يطيلوها ، وكل ذلك أتاح لهم وفرة من النغم واللحن في موشحاتهم ، تلافوا بها ما سقط من نغم القصيدة العمـودية المضـطردة الوزن والقافية ..

ومعنى ذلك كله ان شعر التفعيلة دخل فعلا في محيطنا الشعرى ، وانه ينبغى ان نقبله من الشباب مع ابداء مثل هـذه الملاحظات عليه بغرض استكمال الايقـاع فيه ، وحتى يرضى آذاننا التى تعـودت سماع الشعر القديم ...

وبذلك أستطيع ان أقول بأن هـذا الشعر لم يفلس ، فهو شعر وكل ما في الامر انه يحتاج دائما الى دراسـة والى شعراء من أصحابه يسـتكملون وجوه النقص التى طالما أشار اليها النقاد منذ ظهوره سواء في نغمه أم في صـياغته وبنائه الأسلوبى .

● **مسيرة الحركة الادبية** ●

● ثم تمر بنا لحظة صمت نتنقـل بعدها من الشعر الى الحديث عن مسيرة الحركة الادبية عندنا وما يتهمونها به من أنها في مأزق أو انهيار أو توقف .

ويرى أستاذنا الدكتور شوقي ضيف ان الحكم بتوقف الحركة الادبية ليس حكما عادلا لسبب بسيط ، هو أننا لا نستطيع بحق متابعة كل ما تنتجه هذه الحركة ، لكثرته كثرة مفرطة وخاصة في القصـة الطويلة والقصيرة ...

ثم يقول : وأخشى ان نكون صادرين في هذا الحكم عن تحذر من الجيل الماضي، جيل الرواد ، ودائما ما تكون لهذا الجيل اسبقية واضحة تتيح لاعماله الادبيـة ان تقرأ وان تدرس وأن تنقـد وتعـرض عروضا كثيرة ...

وهى مسالة ينبغى ان نلتفت اليها ، لان قصـة الكاتب الكبير عندنا والتى صدرت في الاربعينات ومضى عليها الان نحو ثلاثين عاما ، نوقشت وكتبت عنهـا فصول طوال في بعض الصحف ـ واقصد هنا طبعا القصص الجيدة .

وهنـا نرى ان الكتـابات عن تلك القصص تنمية لتلك القصص وهى جـزء لا يتجزأ منها ، فهنـاك من يكتب عن الشخوص في تلك القصة وغيرها ، ومن كتب عن بطل القصة ، أو عن حبـكتها

الفنية او عن رموزها،وتختلف الكتابات من كاتب لكاتب وكل ذلك ينمى القصة ويضيف الى شخصيتها ملامح جديدة ·

وهنا يكون من الخطأ الان ان نقارن قصة لشاب لم يكتب عنها أى شيء ، بمجموعة قصصية لشاب كتبها في الاربعينات ، لأن قصة الشاب الذى يكتب الآن أو المجموعة القصصية له ، تقف وحدها دون سند او تنمية أو اضافة هنا أو هناك ·· فالمقارنة ناقصة ، ولذلك تبدو قصة الاربعينات كالصرح المشيد بينما قصة السبعينات وأواخر السبعينات تبدو شجرة مفردة عارية فى الطبيعة !··

وكنت ارى ان المقارنة بين الجيل الماضي والجيل الحاضر مقارنة ناقصة ولا يصح ان نحولها بحيث نتهم الشباب اليوم بضعف قصصهم ··· فلا بد ان ننتظر على قصص هؤلاء الشباب سنوات حتى يتم لها الوجود الفنى المتكامل بمن يتناولها من المفسرين والنقاد الذين يتبينون كل ما تحتويه من رموز او افكار ··· ليس معنى ذلك ان أقول ان قصص الشباب جميعا ينبغى ان نقف منها هذا الموقف ، فهناك قصص واضحة الدلالة على روعتها الفنية ··· ولكن حتى هذه أيضا يحسن ان نتحرى ما يخرجه الشباب منها حتى نتعرف على أعمالهم الباهرة ·

واذن فالمسالة فى رأيى تحتاج الى شيء من التريث والحكم على أعمال الشباب، وألا نذهب بسرعة الى الحكم بأن أعمالهم أقل من سابقيهم أو ان الحركة الادبية توقفت !

ونصل بالحديث مع الاستاذ الدكتور ضيف الى قضية تعرض نفسها على كثير من الصحف الان ، وهى هل هناك صراع بين الجيل الماضي والجيل الحالى ·· وهل الجيل الماضي يقف حائلا امام الجيل الحاضر ويكون عقبة فى بروز بعض النابهين من أبنائه ··؟

ويجيب أستاذنا بموضوعية ··· فيرى انه لا يمكن ان يكون هناك صراع بين الجيل الماضى والجيل الحاضر ، لان الجيل الماضى هو بطبيعته قائم والجيل الحاضر يريد ان يثبت وجوده بجوار الجيل الماضى فلا أظن أن أحدا من أهل الجيل الماضى يفكر بأن يقف حجر عثرة أمام أحد من الجيل الحاضر لسبب بسيط، وهو انهم آباؤهم فعلا،وليس من طبيعة الاب ان يحول بين ابنه وما ينبغى له من تفوق او نبوغ ··

وبذلك أقول انه صراع وهمى أكثر منه صراعا حقيقيا ·· وما يراه الشباب فى الجيل الماضي من هيمنة على الاسواق الادبية فذلك شيء طبيعى ، وسيكون للجيل الصاعد دوره ·· وقد يظن الشباب لاول وهلة قصر قامته فى عالم الادب بالقياس الى قامة الشيخ وان شيئا من الصراع سينشأ بينهما ، ولا أظن ذلك صحيحا ، والمسالة كما هى بين الكبار والصغار فى الاسرة مثلا وفى الجامعات ··· فالعادة ان الكبير يحنو على الناشئ · وحين تنشأ صلة بين الشيخ والشاب فان الشيخ يرعى الشاب ويتعهده، وهذا يحدث فى الجامعات وفى كثير من مجالات الحياة الادبية والادب ··

فالاديب البارع صاحب الشهرة العظيمة لايمكن ان يفكر فى مصارعة شاب ناشيء ، والمفروض ان يفكر فى رعايته ، مثله فى ذلك مثل الاباء الحقيقيين ··· وكذلك الشأن فى الاساتذة الجامعيين فهم يرعون أبناءهم رعاية رب الأسرة ·

ففكرة الصراع الذى يتخيلها بعض الشبان ليست فيما اظن ذات موضوع ·· بل انى أكاد اصدق ان اى أديب ممتاز حين يقرأ عملا ادبيا جيدا لشاب ـ يتحمس له ويحس ان عليه واجبا ان يقدم له يد العون ما استطاع ، وعلى الاقل العون بكلمات التشجيع والاطراء ·

هل انتشر الإسلام بالدعوة أم بالقوة ؟

● د. احمد شلبي

● عرضنا فى مقالاتنا السابقة الى بعض احداث التاريخ الاسلامى التى مسها التحريف وعمدنا لها بالدراسة لتصحيحها .. وحديث اليوم يتجه الى نقطة مهمة اثارها اولئك الذين لم يفهموا الاسلام ، وذاعت هذه النقطة حتى اعتقدها بعض المسلمين ، انها الحديث عن وسيلة انتشار الاسلام وهل كانت بالدعوة او القوة ؟.

وقبل ان نتحدث عن تصحيح هذه النقطة تقفز امامنا نقطة اخرى جديرة بالتصحيح والاهتمام ، ذلك ان الباحثين من مستشرقين او مسلمين اتجهوا بكل اهتمامهم وهم يدرسون الاسلام فى المدينة الى ابراز غزوات الرسول ، فصوروا هذه الفترة كأنها فترة دم وقتال ونسوا القيم العظيمة التى ارساها الاسلام بالمدينة ، ونسوا المفاخر التى شيدها الرسول خلال هذه الفترة ... نسوا بناء المجتمع الاسلامى والمؤاخاة والتعاون بين المسلمين وغير المسلمين من يهود ومن عرب وثنيين ، ونسوا آيات التشريع التى ارست قواعد المعاملة ونظمت العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع الجديد ..

نسوا كل ذلك وهو شيء هائل جدير بدراسة متأنية لتبرز روعة الاسلام وجلاله ، وما قدمته هذه الفترة للمجتمع البشرى من امجاد .

فاذا انتهينا من التنبيه على هذا الخطأ واشرنا الى ضرورة تصحيحه ، عدنا الى انتشار الاسلام لنقرر فى قوة واصرار ان الاسلام لم ينتشر بالسيف وانما انتشر بالدعوة ، ونضع البراهين الواحد بعد الاخر فى سلسلة من آيات القرآن الكريم ، ثم فى سلسلة من احداث التاريخ بحيث لايبقى للشك مجال ...

فاما من القرآن فهناك قوله تعالى :

- « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

- « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

- « لكم دينكم ولى دين . »
- «فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب»
- « فذكر انما انت مذكر. لست عليهم بمسيطر »

***

واما سلسلة التاريخ فترينا بوضوح ان الاسلام سلك طريقه بالدعوة متبعا هذه الآيات البينات ، والى القارىء بيان ذلك :

١ ــ حينما كان الرسول فى مكة ، وحينما بدأ دعوته وحيدا لا سلاح معه ولا مال . دخلها مجموعة من عظماء الرجال امثال ابى بكر وعثمان وسعد بن ابى وقاص ، وطلحة والزبير ثم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ... فهل يمكن ان نقول ان هؤلاء دخلوا بالقوة؟ واين القوة فى ذلك الوقت ؟

ومن مسلمى مكة يقول الاستاذ العقاد: ان كثيرين من الناس لم يخضعوا للسيف ليسلموا ، ولكنهم تعرضوا باسلامهم للسيف ، واحتملوا السيف فى سبيل الله ...

٢ ــ واضطهدت قريش المسلمين اضطهادا قاسيا ، وانزلت بمحمد واتباعه الوانا من العذاب ، وفى وسط هذا العناء حينما كان محمد والمسلمون معه بمكة مغلوبين على امرهم مستضعفين كان اهل المدينة يسعون للاسلام ويعتنقونه ويدعون له ذويهم واهليهم ، فهل يمكن ان نقول ان الاسلام انتشر بالقوة بين سكان المدينة ؟

٣ ــ جاء الصليبيون الى الشرق ابان ضعف الخلافة العباسية لمحو الاسلام والقضاء عليه ، واذا بالاسلام يجذب جموعا منهم فيدخلونه ويحاربون فى صفوف المسلمين ..

يقول توماس ارنولد : « لقد اجتذبت الدعوة المحمدية الى احضانها من الصليبيين عددا مذكورا حتى فى العهد الاول اى فى القرن الثانى عشر : ولم يقتصر ذلك على عامة النصارى بل ان بعض امرائهم وقادتهم انضموا أيضا الى المسلمين حتى فى ساعات انتصارات المسيحيين . »

ويروى توماس ارنولد عن بعض مؤرخى النصارى قوله : ان ستة من امراء مملكة القدس « استولى عليهم الشيطان» ليلة معركة حطين ،فاسلموا وانضموا الى صفوف الاعداء دون ان يقهروا من احد على ذلك .. ويعلل توماس ارنولد لانتشار الاسلام بين الصليبيين بقوله : ويظهر ان اخلاق صلاح الدين وحياته التى انطوت على البطولة قد احدثت فى اذهان المسيحيين فى عصره تاثيرا سحريا خاصا ، حتى ان نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه ان هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا الى المسلمين . وكذلك كانت الحال عندما طرح النصرانية فارس انجليزى من فرسان المعبد ، يدعى روبرت اوف سانت البانس سنة ١١٨٥ ، واعتنق الاسلام ، ثم تزوج باحدى حفيدات صلاح الدين .

فهل يمكن ان نقول ان الاسلام انتشر بين الصليبيين بالقوة .

***

٤ ــ ويحدثنا التاريخ بصراحة ووضوح ان اهم فترة انتشر فيها الاسلام هى فترة السلم الذى تلا صلح الحديبية بين قريش والمسلمين : وكانت فترة السلم سنتين : ويقول المؤرخون ان من دخل الاسلام فى خلال هاتين السنتين أكثر ممن دخلوه فى المدة التى تقرب من عشرين عاما منذ بدء الاسلام حتى الصلح . وهذا يدلنا على ان انتشار الاسلام تبع السلم ولم يتبع الحرب .

٥ ــ وهناك فكرة هامة يجدر ان نوضحها تماما ، ويجدر بالقارىء ان يتفهمها ، تلك الفكرة هى انه لاعلاقة بين انتشار الاسلام وبين حروب المسلمين مع الفرس والروم ، فقد كانت الحروب تشتعل ، وكان المسلمون ينتصرون ، ثم

تتوقف الحروب وتتوارى السيوف ، وحينئذ يتقدم الدعاة والمعلمون ليشرحون نظم الإسلام ومبادئه وفلسفاته.. وكانت هذه الدعوة السمحة تجذب لها الناس وبخاصة عندما رأت الشعوب المغلوبة الفرق الكبير بين حكم قيصر وطغيانه ، وبين بساطة عمر بن الخطاب وسماحته وتواضعه ، وبالدعوة دخل الناس افواجا في الدين الجديد . فمنهم من اسرع في الدخول ، ومنهم من دخل بعد عام او خمسة اعوام او عشرة او مائة ..

ويقول «كيرك» : « ان غالبية اهل الشام ومصر السفلى في القرن التاسع الميلادي كانت لاتزال مسيحية على الرغم من ان الاسلام كان قدمضى عليه في هذه البقاع اكثر من قرنين » .. ونضيف ان من سكان مصر والشام من لم يدخل الاسلام حتى الآن ونستطيع ان نرى اليوم الآلاف او الملايين من المسيحيين في مصر وسوريا وغيرهما من البلاد الاسلامية .

مرة اخرى لا علاقة بين انتشار الاسلام وبين الحروب .

واوضح من هذا ماذكره رولانداوليفر من ان الاسلام لم ياخذ طريقه خلف الصحراء بافريقية الا بعد انحلال دولته الكبرى في المغرب وكانت وسيلة الاسلام لهذه البقاع هي الثقافة والفكر والدعوة ، فانتشر الاسلام بين شعوب البربر ، وقامت خلف الصحراء دول اسلامية لعبت في التاريخ دورا كبيرا .

***

اما انتشار الاسلام في افريقية فندع الحديث عنه الى شاهد عيان آخر ، ذلك هو الكاتب المسيحي الفرنسي روبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية بافريقية حتى سنة ١٩٥٠ وهو يقول :

« ان انتشار دعوة الاسلام بافريقية لم يقم على القسر ، وانما قام على الاقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا الا ايمانهم العميق بدينهم وكثيرا ما انتشر الاسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم الى قوم ، فكان اذا ما اعتنقته الارستقراطية وهي هدف الدعاة الاول ، تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الاسلام امر آخر هو انه دين فطرة بطبيعته سهل التناول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التكييف والتطبيق في مختلف الظروف ، ووسائل الانتساب اليه ايسر وايسر ، اذ لا يطلب من الشخص لاعلان اسلامه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح في عداد المسلمين ، وقد حبب الاسلام الى الافريقيين مظاهره البعيدة عن التكلف مثل الثوب الفضفاض والمسبحة والكتابة العربية والوقار الديني وشعائر الصلاة مما يضفي على المسلم مكانة مرموقة وجاذبية ساحرة ، فالذي يدخل في الاسلام ولو في الظاهر يشعر بانه اصبح ذا شخصية محترمة ، وانه قد ازداد من القوة والحيوية »

وربما نستطيع ان نضيف هنا مالم يستطع روبير ديشان ان يذكره وهو ان الدخول في الاسلام كان معناه السعي للتحرر من الاستعمار ، والحرية طبيعة في النفوس ، والجموع المسلمة هي التي حملت راية الجهاد ضد المستعمرين بافريقية وآسيا .

وتقول الباحثة الالمانية الدكتورة اليس ليكتنشادتر ان التخيير ببلاد الفرس والروم لم يكن بين الاسلام والسيف : وانما بين الاسلام والجزية ، وهي الخطة التي استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في انجلترا ابان حكم الملكة اليصابات » .

اما الحروب التي دارت بين المسلمين وغيرهم فقد كان سببها الدفاع عن النفس ، قال تعالى : ((اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)) كما كان سببها تامين الدعوة

واتاحة الفرصة للضعفاء الذين يريدون اعتناقها ، فقد كانت الدعوة الاسلامية مهددة ، وكانت قريش تسلك كل السبل للقضاء عليها ، ثم كان هناك كثير من سكان مكة ومن العرب يميلون للاسلام ويريدون الدخول فيه ، ولكنهم كانوا يخافون ان ينزل بهم مانزل بمن سبقوهم الى الاسلام من عذاب وايذاء ، حتى اضطر كثيرون ممن احبوا الاسلام ان يعتنقوه سرا دون ان يعلنوا ذلك ، وفي هؤلاء نزلت الاية الكريمة: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطاوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ... » فاذن الله لرسوله وللمؤمنين ان يحموا الدعوة ، ويؤمنوا من يدخل فيها .. قال تعالى :« وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

وكان من اسبابها كذلك الدفاع عن الامة الاسلامية حتى لاتدكها جيوش الفرس والروم ، فقد ارتاع هؤلاء لقيام دولة لها دين ومبادىء فى جزيرة العرب وكان ارتياعهم اكثر عندما ارسل محمد صلوات الله عليه رسله ومبعوثيه يدعو هؤلاء واقوامهم للدخول فى الاسلام ، فحسبوا هذه الدعوة انذارا وظنوا ان دعوة محمد خطوة لاحتلال بلادهم كما كانوا هم يفعلون من قبل مع الدول الاخرى ، فاتجه قادة الفرس والروم للزحف على المسلمين ، وقام المسلمون بالدفاع عن انفسهم ضد هذه القوى الجائرة ...

اما الدليل على ان موقف المسلمين كان ردا لعدوان فنقدمه فيما يلى :

يروى انه فى سنة ٦٢٧م «السادسة للهجرة » اسلم فروة بن عمر الجذامى عامل الروم على عمان ، وارسل مع مسعود بن سعد الجذامى بغلا اشهب وفرسا وحمارا ، واقمصة كتانية وعباءة حريرية هدية للنبى ، ولما بلغ الرومان ذلك حاولوا اقناعه ليرتد فأبى فما كان منهم الا أن القوا القبض عليه وسجنوه ، ثم صلبوه على ماء يقال له « عفرى » بفلسطين .

وفى سنة ٦٢٩ « ٨ هـ » اوفد النبى جماعة قوامها خمسة عشر رجلا الى حدود شرق الاردن ليدعوا الناس الى الاسلام، وليستطلعوا اخبار الروم فخرج عليهم جمع غفير فى مكان يقال له « طلة » بين الكرك والطفيلة وقتلوهم كلهم الا واحدا لاذ بالفرار .

وكانت تجمعات الروم تهدد المسلمين دائما حتى كان المسلمون يتوقعون هجوم الروم عليهم كل لحظة ، ومما يدل على ذلك ان صحابيا فى اثناء حياة الرسول دق باب عمر بن الخطاب فى ليلة وعمر نائم ، فهب عمر من نومه مذعورا وهو يقول : ماهو ؟ اجاءت غسان ؟

وكما تحرش الروم بالمسلمين تحرش بهم الفرس ايضا ، فالتاريخ يروى لنا ان القبائل الموالية للفرس كانت توالى الاغارة من ارض المسلمين ، ولم تكن حرب المسلمين مع الفرس الا امتدادا للدفاع الذى قام به المسلمون ليحموا انفسهم وذويهم من هؤلاء المغيرين .

على ان الحروب لم تكن فى الحقيقة مع الشعوب ، وانما كانت مع قيصر وكسرى وجيوشهما ، هؤلاء الجبابرة الطغاة الذين كانوا يقفون حاجزا يحول بين الناس وبين الدين الجديد ، فلما سقط هذا الحاجز بدات الشعوب التى كانت خاضعة مغلوبة على امرها تفكر فى الاسلام وتقبل عليه وتستطلب الحرية فى ظلاله.

●

يقولون في

معنى الحياة

وجهات نظر شتى

● تحقيق : عاطف فرج ●

● طرح « الهلال » سؤاله عن « معنى الحياة » في عدد اكتوبر ١٩٧٩ وكان ذلك دعوة لاهل الفكر والقراء لكي يحدثونا عن « معنى الحياة » في نظرهم .. وبالفعل استجاب للدعوة عدد من المفكرين والقراء ، واتوا بآراء طريفة جديدة نختار منها احسنها وننشره .. وسيرى القارىء ان بعض الاراء تقليدى صرف ، وبعضها علمي خالص، وبعضها شخصي جديد مبتكر .فاقرامعنا وتامل... ولو بدا لك راى فيما يقولونه ، او حفزك هذا ، فلتدل بدلوك فى الدلاة ... والحياة اخذ وعطاء والفكر حوار والحقيقة كما يقولون لا تجتمع في راى واحد بل هى خلاصة الف راى وراى ..

الحياة حب وعمل

● د . حسين مؤنس ●

« ان الامن والامان ، هما السياج الذى يجب ان يعيش فى ظله الانسان، بمعنى أن يكون آمنا على بيته ، وماله، آمنا على نفسه، ورزقه. وان تترك له الحرية فى ان تنطلق ملكاته ، وان يحقق طموحاته ، وان يحقق ذاته ، وتحقيق الذات هذا هو الأمان لأولاده فى المستقبل ...

انا ممن يعتقدون فى القول : « دعه يعمل ، دعه يمر » ، ويجب الا يكون هناك حجر على نشاط الانسان وابداعاته ... لقد كان مبدئى طول حياتى هو الا احتاج ، وان اعيش فى حدود دخلى ، لم اتمن ابدا ان اكون غنيا ، ولكن ان أعيش فى حدود الكفاية ، ولا ان أمد يدي لاحد . والحمد لله لقد ساعدنى الله فى اختيار هذا الطريق . وهذه نعمة اشكره عليها ..»

معنى الحياة

● د . محمود صلاح الدين مصطفى ●

الحياة بالنسبة لي ، ليست فقط في القيام بالوظائف الفسيولوجية للكائنات الحية : مثل التكاثر ، وحفظ الذات ، فهذه صفات يشترك فيها الانسان ، مع الحيوان مع النبات مع الكائنات الدقيقة ...

فالحياة بالنسبة للانسان ، لابد أن تشمل أيضا مدى اسهامه في خدمة الاخرين ، ونفعه لهم ، لاسرته الصغيرة ومجتمعه المحيط به ووطنه ، والمجتمع الكبير على مستوى العالم باسره .

فان الاسهام في حل مشكلة ، او تخفيف الم انسان آخر ، يعطي للحياة معنى اكبر ، سواء كان هذا الانسان قريبا منك ، أو بعيدا عنك . في وطنك او خارج وطنك ...

الحياة هي التنافس للوصول الى الاحسن ، وليس الحقد ، لتحطيم الاخرين ، والنيل منهم ، الحياة هي احساسك بأن الاجيال الشابة التي تاتي من بعدك اكثر قدرة ، واكثر قوة ، وأكثر حماسا من جيلك او الاجيال السابقة ...

الحياة هي ابضا في احترامك لاجيال سبقتك ، وعلمتك . الحياة هي الحب .. لنفسك ، واسرتك ، ووطنك وللعالم كله .. ولله تعالى خالق كل شيء . »

نعمة الموت

● عاطف سعودي ●

«ارى ان معنى الحياة الحقيقي بالنسبة لنا ، يكمن في الموت ! فالموت هو وقود الحياة ... هو النار الوحيدة التي يتخلف عنها الازدهار ، لا الدمار . به تتورد خدود الدنيا ، وتعربد في شرايينها دماء البقاء ...

ماذا لو وجدنا على ظهر الارض ، ولم يكن هناك « اكسير الحياة » المسمى بالموت ، بمعنى ان كل من يولد من الكائنات الحية ، انسانا ، كان أم حيوانا أم نباتا ، لا ينفد ولا يفنى ، وأبدا لا تغلبه دورة الزمن ؟ !

هل كانت ستكفينا الارض مساحة ؟ لا اظن !

هل كانت ستكفينا الارض طعاما ؟ لا اظن !

هل كانت ستكفينا الارض امنا وامانا ؟ لا اظن كذلك ! ولنتخيل عدم

وجود الموت بالنسبة لاقل الحشرات ضررا وازعاجا .. تلك الفراشات الجميلة التى تسر ناظرنا ، وتثير خيالنا وتضفى السحر والشاعرية ، على حدائقنا ، وحقولنا .

لعلك لو صح ذلك ... لا تستطيع أن تلج دارك قبل أن تفجر فيها قنبلة من الدخان ، لتفسح لنفسك طريقا الى الداخل !

كذلك بالنسبة للعصافير ،التى تشجينا بشدوها وزقزقتها . من منا سوف يهنا بلحظة نوم ، لو ان كل العصافير منذ الازل كانت بالموت لا تدين !؟

وهكذا بالنسبة لكل صنف من الخلق ضارا كان ام نافعا .

اما بالنسبة للانسان فتخيل مثلا انك تصعد الى « المترو » او « الاتوبيس » فتجد الى جوارك الملك خوفو جالسا بوقاره المعهود ، يعبث فى لحيته ، أو تدخل دار الخيالة فيلتصق ذراعك بذراع الاميرة قطر الندى ، فينهرك زوجها العجوز الخليفة المعتضد ؟ !

فهل بعد ذلك يحق لعاقل أن يخاف الموت أو يجزع من سيرته العطرة !؟ ان المعنى الحقيقى للحياة يكمن فى الموت، فمع الموت تولد الحياة ، وتتوردخدود الدنيا ، وتعربد فى شرايينها دماء البقاء .

حمدا لله الذى وهب لنا نعمة الحياة ، ولم يحرمنا ايضا نعمة الموت ! ..»

الإسلام دين وعمل

● فضيلة الشيخ : ابراهيم الدسوقى ●

« حين خلق الله الانسان ، استخلفه فى هذه الارض يعمرها بكل ماهو مفيد ونافع ، والى جانب هذا يؤدى حق العبودية لله فى عنقه . ذلك الحق الذى اشار اليه القرآن الكريم :

«وماخلقت الجن والانس الاليعبدون»

فالانسان عليه واجبات :واجب الوفاء بحق الله ، حتى يؤدى كل ما فرضه عليه ، ويتجنب كل مانهى الله عنه ، وواجب عمارة هذه الحياة ، يعمل فيها ويستخرج خيراتها ، ويضرب فى الارض ابتغاء فضل الله عز وجل . ومن هنا فان الحياة فى نظر الاسلام كلها عمل للدنيا والدين ..

واذا كانت الحياة والاسلام يطلب

فيها العمل للدنيا ، فانه يريد بهذا العمل ، اسعاد الانسان ، ولن يكون ذلك الا اذا توخى المرء فى عمله وفى عائد هذا العمل تنفيذ تعاليم دين الله ، وليس صحيحا ماينسب الى الدين انه يحمل المرء على التواكل ، والركون الى الدعة ، والاعتماد على جهد الغير ، دون أن يقدم الانسان المسلم من الجهد ، مابه يستطيع ان يحيا عزيزا كريما .

ولعل فيما دعا اليه القرآن الكريم من العمل فى قوله : « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** » ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مرغبا فى الزراعة والصناعة والتجارة ، مايؤكد ذلك .

ان الاسلام دين عمل ، والرسول صلوات الله عليه يقول : « مامن مسلم يغرس غرسا ، او يزرع زرعا . فيأكل منه انسان او طير ، او بهيمة الا كان له به صدقه »



معنى الحياة .. مصر

● اسماعيل ولى الدين ●

« معنى الحياة أن يكون لك هدف »

هدفى ـ كمثال ـ هو مصر .. هذه الارض التى ولدت عليها ، وسأنتهى ايضا عليها .

ماذا عندى لاقدمه لمصر سوى فكر او ادب .. هذا مايشغلنى ، هذا مايقلقنى وهذا مايجعل لحياتى استمرارا ..

ماذا أريد لمصر ، حتى اكون حقيقة قد حققت للحياة معنى ـ مادامت هى الهدف الوحيد ..

الصدق ، الحرية ، الاخلاص

الاهتمام بهذا الجزء العربى الاسلامى الذى هى جزء منه .

مراجعات فى التاريخ الحضارى

غاية التربية عند ابن حزم الأندلسى

«٣٨٤ - ٤٥٦هـ»

د. عبد الحليم عويس

● قدم ابن حزم نظرية تربوية متكاملة بناها على اسس واضحة ، ورتب على اساسها لكل مرحلة من مراحل النمو الجسمى والعقلى - قدرا ملائما من المعرفة ..

ونظرية ابن حزم فى التربية ، تقوم على اساس التصور الاسلامى الشامل ، الذى يرى « ان مدة المقام فى هذه الدار انما هى ايام قلائل ، واجهاد المرء نفسه فيما لا ينتفع به الا فى هذه الدار من العلوم ، سعى خاسر »

ويحلل ابن حزم ذلك تحليلا ، قد يختلف الرأى فيه ، ولكنا نحس كأنه تحليل عصرى نعيشه ونلمسه ، فهو يقول : « ان اكتساب المال بغير العلم اجدى واشد توصيلا الى المرء من التوسع فى العلم لكسب المال ، كصحبة الحكام وعمارة الأرض والتقلب فى التجارات ... فالشغل بطلب العلم ليكون سببا الى كسب المال والتعب فيه بهذه النية ، عناء وضلال ، وفاعله قد جمع عيبين عظيمين : احدهما انه ترك اخصر الطرق الى مطلوبه ، واسهلها فى التوصل الى غرضه ، وركب أوعرها مسلكا واطولها تعبا وأقلها فائدة ... والوجه الثانى انه استعمل الفضيلة التامة والتى بان بها من الحشرات والبهائم ، فى اقتناء حجارة لا يدرى متى تدعه أو يدعها .

« وأما العلم الذى ليس فيه الا صحة الجسم فقط ، فان المتعب فيه بدنه ، المجهد لنفسه فى تلقيه وتقبده ، لا يحصل من تمامه لديه الا على البصر فى معاناة مرض لا يدرى أيتم له غرضه من برئه أم لا يتم .. » وهو يقصد بهذا ، أولئك الذين قصروا حياتهم على الاشتغال بأمور الطب ولم يجاوزوها الى غيرها من العلوم .

فهذان الاتجاهان فى غايات المعرفة



ابن حزم الاندلسى صاحب النظرية التربوية المتكاملة التى على اساس اسلامى شامل

مرفوضان عند ابن حزم ..

***

يرى ابن حزم أن وسائل تحصيل العلوم ثلاث : السماع ، والكتاب ، والقراءة ... ولا سبيل دونها لشىء من العلوم البتة .

وعند بلوغ الصبى سن الخامسة أو نحوها – وهى السن التى يراها ابن حزم ملائمة لبدء التعلم – يجب تسليم الصبى الى مؤدب ليعلمه « الخط » و « تاليف الكلمات من الحروف . »

وعلى المؤدب – فى هذه المرحلة – مراعاة ان يعلم الصبى «الخط» بحيث يكون قائم الحروف ، بينا ، صحيح التاليف الذى هو الهجاء .

فان الخط ان لم يكن هكذا ، لم يقرا الا بتعب شديد .

وحد تعلم القراءة ان يمهر الصبى فى قراءة كل كتاب يخرج من يده بلغته التى يخاطب بها قومه .

والخطوة الثانية فى تعليم الصبى هى أن يحفظ القرآن ، لأنه يجمع بذلك وجوها كثيرة عظيمة كالتدرب فى القراءة وتمرين اللسان على التلاوة ، والتخلق بالاخلاق الحميدة التى يقرؤها فيه

***

وبعد أن ينتهى ابن حزم من بسط رأيه فى تعليم الاطفال ، يقدم لنا نظريته فى تصنيف العلوم الواجب تعلمها ، مبتدئا بالأهم ، ومقدرا لكل علم حجما معينا ، تتضح فيه رؤية ابن حزم الظاهرية للأشياء، والبعد عن الترف الذهنى الموجود بخاصة فى كتب النحو والفقه .

والعلم الاول فى هذه المرحلة – عند ابن حزم – هو علم النحو واللغة ، وتجزأ فيهما ، لغير المتخصص ، بعض الكتب الاساسية ككتابى الواضح ومختصر العين للزبيدى ، والموجز لابن السراج ، والغريب لابى عبيد « وأما التعمق فى علم النحو

ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب الأهم ، وانما هي تكاذيب ــ فما وجه الشغل بما هذه صفته ؟ »

والعلم الثاني ــ الشعر الذي فيه الحكم والخير ، كشعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وصالح بن عبد القدوس ــ « والاكثار من الشعر كسب غير محمود ، لأنه من طريق الباطل والفضول لا من طريق الحق والفضائل »

والعلم الثالث ــ الحساب : « فليحكم الضرب والقسمة والجمع والطرح وليأخذ طرفا من المساحة ، وليشرف على « الارثماطيقى » ، وهو علم طبيعة العدد » .

والعلم الرابع ــ الفلك : فبه يتوصل الى معرفة نصبة الارض ومساحتها وتركيب الافلاك ودوراتها ومراكزها وابعادها . ويحسن في هذا العلم عند ابن حزم ــ مطالعة كتاب المجسطي حتى يعرف المتعلم الكسوفات وعروض البلاد واطوالها ، والاوقات الخ . .. وطلب علم الفلك لا يعني الاشتغال بأحكام النجوم « فانه لا معنى له » .

والعلم الخامس : المنطق . ليعرف المرء ما البرهان وما الشغب العقلي ، وكيف التحفظ مما يظن انه برهان وليس ببرهان .

والعلم السادس : الطبيعيات ، وعوارض الجو ، وتركيب العناصر .

والعلم السابع : كتب التشريح ليقف على تاليف الاعضاء وحكمة الله .

والعلم الثامن : كتب التاريخ القديمة والحديثة ، ليقف على فناء الممالك والبلاد ودثور المدائن ــ وعلى حمد المتقين ، وذم اهل الرذائل .

والعلم التاسع : الفلسفة ، لانها تحتاج الى نضج عقلي ، والى رصيد كبير من المعارف . ليعرف ما خروج الى هذا العالم وما اليه يرجع .

والعلم العاشر : مقارنة الاديان لمعرفة صحة الاسلام على سائر الاديان .

والعلم الحادي عشر : الشريعة .. فهي الاعلى والاعظم منفعة .

هذا هو تصنيف ابن حزم للعلوم . ومن الملاحظ انه ينتهي بعلوم الدين ، على عكس ما يراه الكثيرون من البدء بعلوم الدين ..

وهو يرى ان الذي تختلف فيه الامم من هذه العلوم ثلاثة : علم الشريعة ، وعلم الاخبار ، وعلم اللغة ... اما بقية العلوم فهي علوم مشتركة .

كما ان ابن حزم لايميل الى التخصص الشديد ، بل يرى ضرورة الاخذ من كل علم بطرف ، فان سماع الانسان قوما يتحدثون وهو لا يدري ما يقولون غمة عظيمة ...

***

والحق ان ابن حزم قد جمع بين عمومية الثقافة والتخصص الدقيق في اطار متناسق رائد ، وذلك في جملة محددة يقول فيها : « ومن اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره ، اوشك ان يكون ضحكة ، وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه اكثر مما ادرك منه لتعلق العلوم بعضها ببعض .. ومن طلب الاحتواء على كل علم اوشك ان ينقطع وينحسر ولا يحصل على شيء » .

● **العلوم العملية** ●

يرى ابن حزم انه عند التحقيق وصحة النظر يثبت ان « كل ما علم فهو علم » فالتجارة ، والخياطة ، والحياكة ، وتدبير السفن ، وفلاحة الارض ، وتدبير الشجر ومعاناتها ، وغرسها ، والبناء ــ كل هذه علوم نافعة ...

لكن ابن حزم يقدم على هذه العلوم ــ العلوم النظرية السابقة ، اذ أن هذه علوم يحتاج اليها الناس في معاشهم ، اما الاخرى فغرضها التوصل الى الخلاص في المعاد فقط .

لكن ابن حزم مع ذلك لا يذم هذه العلوم ــ كما فعل بعض العلماء ــ بل انه ليعتبر ذلك دليل نقص ، وقولا بغير معرفة .

اضافات تربوية اخرى

يرى ابن حزم أن « التعليم اجبارى » ، ليس الى مرحلة « محو الامية » فى القراءة والكتابة فقط ، بل الى مرحلة أعلى من ذلك . وهذه المرحلة الالزامية — لا يسع احدا من الناس الافلات منها : الاحرار والعبيد والاماء . **وهى تفرض بقوة القانون ، فالامام يجبر ازواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم ما ذكرنا — اما بانفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم . ويفرض عليه — ايضا — ان ياخذ الناس بذلك ، وان يرتب اقواما لتعليم الجهال .**

وفى هذه المرحلة يجب تعليم الطهارة والصلاة والصيام بفرائضها وكيفية ادائها ، وتعليم ما يحل وما يحرم من المأكل والمشرب والملابس والفروج والدماء والأقوال والاعمال .

وترتبط بهذه المرحلة ، وتأتى بعدها فى الوقت نفسه ، مرحلة تعليمية أخرى اقرب الى التخصص العملى فى انشطة الحياة المتباينة :

« ثم فرض على كل ذى مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنساء والعبيد والاحرار ، فمن لم يكن له مال أصلا ، فليس تعلم احكام الزكاة عليه فرضا . ثم من لزمه فرض الحج فرض عليه تعلم اعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك من لا صحة لجسمه ولا مال له . ثم فرض على قواد العساكر معرفة السير واحكام الجهاد وقسم الغنائم والفىء ثم فرض على الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والاقضية والحدود ، وليس ذلك فرضا على غيرهم . ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلم احكام البيوع وما يحل منها وما يحرم .

« ثم فرض على كل جماعة مجتمعة فى قرية او مدينة او دسكرة او حلة اعراب او حصن — ان ينوب منهم لطلب جميع احكام الديانة أولها عن آخرها » .

ونحن نرى فيما ذكره ابن حزم منطقا عمليا ، وتوجيها للعلم فى خدمة المجتمع ، وايمانا بان من الصعب التوصل الى كل العلوم ، فمع ضرورة الاخذ من كل فن بطرف لابد من دقة فى معرفة التخصص ..

وهذا الجمع فى التربية بين ارضية ثقافية واسعة ، وتخصص دقيق وتوجيه العلم فى خدمة المجتمع ، وفقا لاحتياجاته — هو الراى الذى انتهت اليه المدارس التربوية فى العصر الحديث ، وسبق اليه ابن حزم منذ اكثر من تسعة قرون .

***

ويرفض ابن حزم ذلك التصور الخاطىء الذى يسيطر فى عصور التخلف الفكرى ، وهو ما ذهب اليه نفر من اهل العلم الدينى من ازدراء سائر العلوم ، فهذا نقص عظيم شديد لا ينتفع به صاحبه ، اذ أن هذه العلوم الدنيوية خادمة ومتصلة اتصالا قويا بعلوم الدين . كما فصل ذلك ابن حزم .

كما يرفض ابن حزم ما ذهب اليه الذين طلبوا علوم العرب فازدروا سائر العلوم ، اذ ان هؤلاء بمنزلة من ليس فى يده من الطعام الا الملح ، وليس معه من السلاح الا الصفعة ، فهو لا يظن انه ليس هناك افضل منهما .

***

ان اتجاهات ابن حزم التربوية ، هى واحدة من الاتجاهات المبكرة فى تراثنا .. قد عرفها ابن خلدون كما عرفها قبله ابو بكر بن العربى وابو حامد الغزالى . وقد مثلت آراؤه تلك تمهيدا قويا لآرائهم ..

واذا كان هؤلاء جميعا لم يقروا بفضل ابن حزم ، فان تراثهم ليدلنا بطريقة غير مباشرة على ان ابن حزم كان ذا تاثير بنظريته التربوية فيما ورد الينا من آرائهم وتصوراتهم . ●

التخاطر..

هل توجد وسيلة للإتصال الروحى بين بنى الإنسان ؟

● محمد الحديدى ●

● عندى قاعدة وضعتها لنفسى، لم يدلنى احد عليها، وكما يقول ابو العلاء المعرى عن تفرقته بين الزمن والمكان : « قد حددتهما حداً ما اجدره ان اكون قد سبقت اليه ، ولكننى لم اسمع به » .

انا ايضا ، ما اجدرنى ان اكون قد سبقت الى هذه القاعدة ، ولكننى لم اسمعها من احد ... هذه القاعدة هى اننى اذا رايت شيئا ، او اريت شيئا، اعجز عن تفسيره ، فان هذا لن يجعلنى اصدق اى تفسير يقال لى ... تماما كما ان عجزى عن شراء شىء ليس معناه انه يساوى اى ثمن يقـــال ... انا لا تفسير عندى لهذه الظاهرة ، وكلى ، فاذا رايت الحاوى يستخرج من جيبه منديلا ثم يحوله الى حمامة ترفرف ، ثم يجعل الحمامة تموت ثم تحيا ، ثم يحولها الى عباءة بيضاء يلبسها ، مثلا – وقد رايت هذا يحدث عدة مرات – فان هذا لا يكفى ان اصدق ان هـــذا الحاوى يزيد شيئا عن كونه مجـــرد « الحاوى » ..

انا لا املك تفسيرا للاعاجيب التى ياتيها ، ولكن هذا لا يستتبع بالضرورة ان اصدق اى تفسير يدعيه هو او غيره ... اورد هذا فى بداية الحديث لاتخذ منه وسيلة لان ارجو القارىء الا يرفض الموضوع شكلا ، فانا لا اقل عنــــه صرامة فى رفض الخرافات حتى لو رايتها بعينى راسى وهى تحـدث ، وما اكثر ما رايت من جلسات لتحضير الارواح اجد نفسى محور جزء مما يدور فيهـا واجد الروح تحادثنى شخصيا وتنهال على دونما ذنب جنيته . .. وكثيرا ما العرض لاقاويل لا ادرى من اين عرفها هؤلاء « الأسياد »، ودخلت مرة عند بعض اقاربى دون أن يعرفوا اننى آت ، وكان هناك « جو » من هـــذا النوع ، واخذ الوسيط يتحدث عنى ذاكرا الاسم !.. وهو لم يرنى فى حياته ولم ينفرد باحد من الحاضرين بعـــد وصولى ! ..



ارتعدت فرائصى وذهبت لقضاء الليلة عند احد اصدقائى لكى لا انام بمفردى « كما كنت اعيش اذ ذاك » ..

كل هذا حدث ، وغيره ، ورأيت منضدة ترتفع فى الهواء وساعة يدتجرى على المنضدة ، ولكنى لم اصدق شيئا ولن اصدق الا ما استطيع ان اجد فيه سلسلة مترابطة يمكننى أن اقتنع بها ... ولكنى لا ازال ارجو أن يصسم موضوع « التخاطر » ... لعله على الأقل يكون حلا لمشكلة التليفونات عندنا ، فما أكثر ما نزحت من مصر الجديدة الى حلوان لأبلغ رسالة ، ثم رجعت بخفى حنين لان المطلوب توصيلها اليه لم يكن هناك .. واصبح منتهى املى وغاية مقصدى ان اتجول من شوارع القاهرة واقبع فى بيتى راضيا من الغنيمة بالاياب ، طالما استطيع على الأقل ان ابلغ من يحبوننى ـ قلوا اوكثروا ـ اننى مازلت حيا ارزق ، وسأرزق بالمواصلات ووسائل النقل او بغيرها ، وان القى منهم رسائل مماثلة ، بطريقة التخاطر .

وكنت منذ قريب مع الصديق الاستاذ الدكتور عادل سلامة ، وقابلنا استاذا ايرلنديا متخصصا ـ كالدكتور عادل ـ فى الادب الانجليزى ، وبدلا من أن نتحادث فى الأدب ، تحادثنا فى هذا الموضوع ، لأن الأستاذ اكد لنا انه هو وزوجته قد أصبحا قادرين على ممارسة هذا النوع من الاتصال « أيضا » ، فهو يتلقى منها الرسائل ويرسل الاجابة والعكس بالعكس ، وان صحة نظرية او عملية « التخاطر » لا تستتبع بالضرورة ان الموضوع يصبح «هيصة» . وان كل من هب يتصل بكل من دب .. هذه تكون مصيبة لان معناها أن الانسان سيفقد ما تبقى لديه من خصوصية فى هذا الزمن ولن تكون له اسرار ، ولن يستطيع حتى ان يفكر كما يشاء ، فضلا عن أن يتحدث كما يشاء ... المسألة الآن ، أن وجدت ـ محدودة بمن لديهم القدرة على

اتيانها ، وهؤلاء ايضا درجات ، ولكل درجات ...

أظن آن الاوان الآن لأن نسأل ، ما هذا الشيء ؟

التليباثي !

التعريف المتفق عليه دوليا هو :

« اذا امكن لفرد أن يحوز معلومات غير متاحة لفرد آخر ، فانه تحت ظروف معينة ، وبواسطة قنوات للاتصال معروفة وخاضعة لسيطرة كاملة ، يمكن للفرد الثاني أن يظهر حيازته لهذه المعلومات بدرجة أعلى أو اكمل من تلك التي يمكن أن تعزى لمجرد الحدس أو التخمين ، وهو الاحتمال الوحيد الاخر » .

حتى الآن ، كل التجارب التي تمت – وهناك الاف منها – تنحصر في « الثبات » او « اكتشاف » القدرة على « بث » المعلومات بهذه الطريقة بين اشخاص تربطهم صلات قوية ، رجل وزوجته ، أب وابنه ، اخ واخته ، وربما حبيب وحبيبته ، لكن نطمئن المحبين – ومؤلفي التمثيليات التليفزيونية – ان ازمة النقل والمواصلات عندنا لن تقضي على حياتنا الرومانسية ، سواء الجانب العملي او النظري منها ...

ويقال ان اقوى صلات « التخاطر » توجد بين التوائم المتطابقين، وللكاتب الفرنسي الكسندر دوماس قصة اسمها « الاخوان الكورسيكيان » ، مثلها للسينما دوجلاس فيربانكس ، كان فيها توامان يحس احدهما بما يجري للاخر ، وقام فيربانكس بدورهما معا بطبيعة الحال .

ولكن هذه التجارب وآلاف التقارير التي تثبتها لا تدل على شيء مما يمكن ان يكون وصفا لعملية « التخاطر » أو طبيعة ما يحدث ان كان شيء يحدث

وقد اعتمدت التجارب الاولى على استخدام اوراق اللعب وغيرها من الاشكال ، ومن بين ٣٧٨٩ حالة اجريت عليها التجارب في لندن فيما بين سنة ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ ، نجحت ١١٠١ حالة، وقيل وقتها ان هذا يكفي تماما لاستبعاد عنصر الصدفة ، وان الصدفة لن تؤدي الى نسبة نجاح كهذه لو اجريت التجربة على كل من عاشوا على الارض منذ ستين مليون سنة ، او هكذا قال صمويل شاءول ، صاحب التجارب وزميله بازيل شاكلتون ..

ولكن التجارب التي تعد اكثر اثارة هي تلك التي اجريت – ولعلها لا تزال تجري – في الاتحاد السوفييتي، وبمعونة كبيرة واهتمام عظيم من سلطات الحكومة والحزب ، حيث تسود المادية الجدلية والاعتقاد بأن الانسان ومنتجاته الذهنية والعاطفية ، كل هذا مجرد كيمياء ....

المقصود ، في ابريل ١٩٦٦ ، تمكن ممثل مسرحي يدعى كارل نيكولاييف، يعيش في مدينة نوفوسيبيرسك ، من ان يتشيء خطا ساخنا « بالتخاطر » مع صديقه يوري كامنسكي ، وهو بيوفيزيائي يعيش على بعد الفين وخمسمائة كيلو متر في موسكو، وعندما اجريت التجارب ، اعطوا كامنسكي صندوقا اختاروه عشوائيا من بين عدد كبير من الصناديق المتشابهة ، فتحه وبدا يحاول ان يرى محتوياته بعيني صديقه البعيد ، وفي نوفوسيبيرسك، كتب نيكولاييف يصف الزنبرك الذي وجده كامنسكي في الصندوق « جسم معدني مستدير يشبه الملف» اما الملف، في التجربة الثانية ، فكان « شيئا طويلا رفيعا مصنوعا من المعدن والبلاستيك» لم يكن من السهل على احد ان يتصور ان كل هذا كان مجرد صدفه .

من هنا تكونت « مجموعة بوبوف» واعطيت المال اللازم لاجراء المزيد من

ماس والعصر .. صفحة ١٤١ في هذا العدد

التجارب ، وكانت اكثر علمية هـــذه المرة ، اذ اعتمدت على قياس الموجات المخية اثناء استقبال نيكولاييف للرسائل الذهنية التي يبعث بها اليه كامنسكي الذي حدث هـــو انه عندما اعطى كامنسكي اشارة البدء تغيرت موجـات مخ نيكولاييف وثبت لاول مـرة فـي التاريخ ـ بقدر ما يمكن للتجـارب العمليـة أن تثبت شيئا ـ ثبت ان ارسالا مخيا من فرد لآخر قد تم، على مسافة حوالي سبعمائة كيلو متر ..

واتضح ايضا ان التغير الذي يسجله جهاز قياس الموجات المخية الكهربائي، كان يسبق ادراك المســتقبل للمعلومات المرسلة بحوالي خمس ثوان، وان ارسال موجات مخية ذات ذبذبة واقعة في نطاق معين ، شرط لانجاح الاتصال التليباثي، الى جانب العوامل النفسية الاخرى ، ومنها ان يكون المستقبل في حالة « استرخاء تام ، وانتباه حاد »

صدق أو لا تصدق ..

كثيرا ما ساءلت نفسي ، لو كان موضوع الارواح هذا صحيحا ، فلماذا لا تلجأ القوى العظمى ، بامكانياتها المادية والروحية ، الى الحصول على المعلومات الحربية الخطيرة باستخدام جيـوش الروحانيين والمنومين المغناطيسيين والمنجمين .. الخ ؟

ولماذا يتعب جيمس بوند نفسه ويغامر بحياته بينما يمكن المدبر الذي يتبعه أن يحصل على ما يريد وهو جالس الى مكتبه الفاخر ، يدخن سيجارا من نوع فاخر ، هذا مع بقاء الافلام ، لاني استمتع بها استمتاعا كبيرا في الحقيقة « بل ان جون كينيدي كان يهوى قراءة روايات جيمس بوند بمجرد انتهاء يان فلمنج من تأليفها ، وذلك اثناء رئاسته »

« التخاطر » على الاقل ، فاز بنصيب كبير من اهتمام جنـرالات العصر الحـديث ، ففي سنة ١٩٦٠ نشرت مجلة فرنسية خبرا مؤداه ان بحرية الولايات المتحدة قد توصلت الى حل المشكلة القديمة الناجمة عن استحالة الاتصال اللاسلكي « والسلكي بطبيعة الحال » بين القواعد البحـرية والغواصات وهي تحت الماء، وان هذا تم بطريق « التخاطـر » ، وانه ـ بالتحديد قد تم الاتصال بالغواصـة « نوتيلاس » عن طريق وسـطاء في القاعدة على اليابسة ، يتلقون الرسائل من افراد مدربين على « التخاطر » داخل الغواصة ، وان الاتصال عن غير طريق الحواس كما يسـمونه قد اصبح سلاحا سريا من اسـلحة الحرب .

سارعت السلطات الامريكية بتكذيب النبأ ...

وهناك احتمالان ،اما انه فعلا غير صحيح، واما انه صحيح وهم يحاولون انقاذ ما يمكن انقاذه بمنع السوفييت من ان يلجأوا الى التجارب والتوصل الى نفس النتيجة كما حدث في القنبلة الذرية .

ثم جاءت المفاجـأة وهي ان السوفييت اعلنوا انهم يستخدمون الاحساس غير المادي في الاتصـال بغواصاتهم وأن هذا أمر يجري منذ سنوات !

حتى هذا الوقت على الاقل لم تكن هناك وسيلة فيزيائية معروفة لاجراء اتصال بين الأرض وغواصة تحت الماء .

.. والطريقة التي لجأ اليها الروس هي انهم كانوا يبقون على الارض ارنبـة وضعت حديثا ، ويأخذون صغارهـا الحديثي الولادة الى الغـواصة حيث يذبحونهم واحدا واحدا « أ يبدو انهذه هي الوسائل التي تناسب امزجة قادة الحزب » وفي كل مرة يذبح فيها وليد

من هؤلاء ، وفي نفس اللحظة ، تقاس ذبذبة موجات مخ الام .. صدق او لا تصدق – في كل مرة كان يحدث تغير حاد .. حتى الارانب يمكنها في ساعة الشدة ان تتعاطف من بعيد !

ثم اتضح أن العلماء في كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كانوا قد امضوا سنوات في محاولة استخدام « التخاطر » سواء في الاتصال بالغواصات او سفن الفضاء ، وفي اقناع حكومتهم بان تعتمد الاموال اللازمة للتجارب . وتأتي المشكلة من الاهمية العظمى للاتصال الفعال والسريع في كلتا الحالتين

ويبدو ان انجح التجارب التي اجريت حتى الآن تمت ايضا بواسطة الروسيين كامنسكي ونيكولايف ، وعن طريق قياس ذبذبات الموجات المخية . وقد اعتمد السوفييت في هذه التجربة على طريقة « مورس » الشهيرة ، حيث الاتصال سواء كان سلكيا أو لاسلكيا بعد نقطة اذا استمر اقل من عشر ثوان ، وشرطة اذا استمر خمسا واربعين ثانية ، وهي الطريقة التقليدية في بث الرسائل التلغرافية . بقياس فترات الاستقبال التليباثي من جانب نيكولاييف لرسائل كامنسكي .. وباستخدام شفرة مورس التي تحدد لكل حرف ابجدي تركيبة من النقط والشرط ، امكن بث كلمة ميج الروسية عبر الفضاء سبع مرات متوالية ، وهي اسم الطائرة السوفييتية الشهيرة ، كما انها كلمة روسية تعني « لحظة » .

استغرقت هذه التجربة عشرين دقيقة ، صحيح ان هذه ليست « لحظة » ولكن عندما يتسع نطاق الرحلات الفضائية فان عشرين دقيقة ستصبح لحظة بالقياس الى الزمن الطويل الذي يلزم لبث الرسائل لمسافات يستغرق الأمر ساعات لقطعها بسرعة الضوء !.

الاتصال بانسان على ظهر كوكب المشترى مثلا ، باللاسلكي ، يستغرق ساعة ، ومن المؤكد ان « التخاطر » سيصبح وسيلة اساسية اذا كانت بحوث الفضاء ستستمر . صحيح انه لا يمكن الاطمئنان اليه في كل مرة يستخدم فيها ، ولكنه يظل ضروريا بالقدر الذي تصبح معه الرسائل اللاسلكية غير عملية هي ايضا .

ولا يقتصر التوصل الى هذه النتائج الفعلية على الروس فقط ، فقد تمت تجارب مماثلة في كلية جيفرسون الطبية في فيلادلفيا ، حيث اثبت اثنان من اطباء العيون ان التغير في موجات « الفا » في مخ احد التوامين سيحدث تغيرا مماثلا في مخ التوأم الاخر .

مملكة الحيوان والمجتمع الانساني

اذا افترضنا حقيقة « التخاطر » ، مع الاعتراف بعجزنا عن اكتشاف الوسيلة التي يتحقق بها ـ فاننا سنظل نقف عاجزين امام هذا السؤال : ما الذي تعنيه هذه الظاهرة الخطيرة ؟ ولماذا نشأت اصلا ؟ وهل هي مقصورة على الانسان ؟ وان لم تكن كذلك ، فما قيمتها البيولوجية ، أو بعبارة اخرى ما الوظيفة التي يؤديها الاتصال التخاطري ؟

عالم انجليزي اسمه آليستر هاردي ، يعتقد ان « التخاطر » قد يكون تفسيرا لظواهر بيولوجية كانت اساسية في عملية التطور . انه يعتقد ان تطور اللغة ، بقدرما كان هاما للانسان ، قد انقص من قدرته على « التخاطر » او **جعلها تتوارى وتصبح صعبة التنمية والاكتشاف ... لا شك ان اللغة قد ساعدت على نمو التفكير المنطقي وعلى تبادل الآراء ، وعلى استحداث الجديد ونشره ، بل وعلى تنمية النخاع الشوكي في الانسان ، ولكنها قد تكون ايضا**

اخمدت الوسيلة الى معرفة بدائية غير محددة ، فى سبيل وسائل للاتصال على درجة اعلى من الدقة ، وهو يلاحظ ان الطفل الآدمى حتى سن ثمانية عشر شهرا لا يختلف كثيرا عن طفل الشمبانزى فى نفس السن من حيث الاهتمامات وطريقة تبادل المعلومات ، وان الحيوانات الاجتماعية ، كالنمل ، قد تكون وسيلتها الاساسية فى هذا التنظيم البديع نوعا من «التخاطر» ..

ويقول آليستر هاردى «ان معتقداتنا فى التطور قد تتغير لو ان شيئا كالتخاطر ظهر كعامل مؤثر فى سلوك انواع من المخلوقات ، لو ان هناك نمطا سلوكيا جماعيا يتم عن غير طريق الوعى ، فان هذا النمط قد يعمل من خلال عملية ارتقاء عضوى على تغيير مسار عملية التطور »

الغاء الزمن والمسافة

اذا كانت الرسائل اللاسلكية التى تبث بسرعة الضوء تستغرق وقتا يتوقف على المسافة ، وعلى سرعة الضوء المعروفة « حوالى ثلاثمائة الف كيلو متر فى الثانية » فان « التخاطر » — بوصفه اتصالا غير مادى — لا يستغرق وقتا ، وبذلك فانه يلغى فوارق المكان والزمن ، او انه يلغى هذا وذاك وينقلنا الى عالم غير مادى — طبقا لتعريفه .

اين يذهب الزمن والمكان ؟ هذا هو ما يتعب العلماء . .ان اى تأثير يتناسب تناسبا عكسيا مع مربع المسافة ، هذا قانون فيزيائى عالمى ، فهل يقف هذا سدا منيعا امام اقتناع العلماء بالتخاطر ؟

ابدا ، لان هذا القانون نفسه قد بدأ يهتز — ككل ما سبقه من قوانين الفيزياء النيوتونية ، وكما ستهتز الفيزياء الاينشتاينية ذات يوم ! . . كيف ؛

لقد وضح أن هناك معادن كثيرة تنعدم مقاومتها للتيار الكهربائى اذا انخفضت درجة حرارتها الى درجة سيولة غاز الهليوم . ثم ظهر بعد ذلك انه يمكن صنع سائك معدنية تحط بمركبات عضوية تعطى نفس الظاهرة ، فى درجات حرارة اعلى بكثير ! .. درجات حرارة عادية !

بل ان الغاء المسافة والزمن لعبة تمارسها الحيتان فى المحيطات ، وهى تزعق منادية بعضها البعض من ابعاد تصل الى آلاف الكيلو مترات ، باتباع قنوات من الماء الدافىء محصورة بين طبقات من الماء البارد .

هذا موضوع آخر طويل .. قد نعود اليه. تكتفى الآن بان ندعو الله ان تنشأ فى بلادنا وزارة « للتخاطر » ، تصبح فى المستقبل هى البديل العصرى للوسائل التقليدية التى ثبت فشلها ، وقد فشلت لانها وسائل مغرقة فى المادية، متجاهلة للروحانيات ..

بشىء من الاصالة ، والخيال ، يمكننا ان نحقق الاتصال المطلوب بالطبيب ، عندما نصحو فى منتصف الليل بفعل المرض او اى طارىء آخر ، وبالصيدلى ، للحصول على الدواء ، وباحبائنا واصدقائنا الذين اوشكنا ان نفقدهم تحت وطأة مسافات وازمنة لا يمكن الغاؤها ..

واذا كان هذا الرأى يبدو غريبا الآن ، فلا نهاية لقائمة الآراء التى كانت غريبة فى بدايتها ثم ثبتت صحتها .. وفى كل بلد من بلاد العالم الآن توجد وزارات كانت منذ عشر سنوات لا يعدو اسمها ان يكون نكتة الموسم ...

لماذا لا نجرب ؟ قد تنجح هذه التجربة .. ونسبق العالم كله ، مرة واحده .



الرحالة العرب

● محمد قنديل البقلي ●

منذ ان كانت الفتوحات العربية للدعوة الاسلامية وخضوع تلك البلاد المفتوحة لمقر الدولة الاسلامية بدءا فى مكة والمدينة ـ شغل المؤرخون الاسلاميون ببحث ما عليه تلك البلاد التى انضمت الى الرقعة الاسلامية ..

وهكذا كان الاساس الذى عنى به المؤرخون الاسلاميون فى وصف تلك البلاد وهذه الاقاليم . وكانت المحاولات الاولى تتصل بمداخل تلك البلاد ومخارجها ، ومن ثم كان كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبة عبيد الله بن احمد المؤرخ الجغرافى والمتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، وهذا الكتاب «المسالك والممالك» يعد من الاقدم الكتب العربية الجغرافية وفيه تفصيل للجباية ايام العباسيين فى اواسط القرن الثالث الهجرى . ولعل الذى اعان ابن خرداذبة على عمله هذا انه كان من قبل يتولى البريد والخبر بنواحى الجبل فى فارس .

ولقد مهد ابن خرداذبة بكتابه هذا «المسالك والممالك» الذى تحدث فيه عن الخراج من غير تفصيل ، السبيل الى قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ لوضع كتابه «الخراج» .

ولقد تناول قدامة فى كتابه هذا ما تناوله ابن خرداذبة من بيان الطرق والمسافات ثم اتبع هذا تفصيلا عن الخراج المستحق للدولة العباسية ايام المكتفى بالله .

وهذا السبب الذى من أجله كان هذا التأليف الجغرافى ، سبقه سبب آخر وهو خروج المسلمين من جميع الاقطار لحج بيت الله الحرام ، يسلكون الى مكة والمدينة طرقا مختلفة ويستعينون بوسائل متباينة ، ولقد أثار هذا حمية المؤلفين من هؤلاء الحجاج لأن يدونوا ما يرون وما يشاهدون ، وكان من هؤلاء ابن جبير محمد بن احمد المتوفى سنة ٦١٤ هـ الرحالة المعروف والذى له رحلة ابن جبير . ثم ابن بطوطة محمد بن عبد الله الرحالة المؤرخ المتوفى سنة ٧٧٩ هـ وله كتابه المعروف فى

الرحلة المسمى « تحفة النظار فى عجائب الأمصار وغرائب الأسفار » .

وينضم الى هذا السبب الثانى ــ وهو الحج الذى كان من الحوافز الى الرحلة ــ طلب العلم ... فلقد عرف عن المسلمين الأوائل تنقلهم المتصل ورحلتهم الدائبة الى البلاد التى كانت منتدى العلم وملتقى العلماء فقها وحديثا وادبا وتاريخا ، وهؤلاء الذين كانوا يتنقلون فى طلب العلم كانوا هم الآخرون شغوفين بتدوين ما تقع عليه أعينهم فى رحلاتهم ..

ونحن اذا رجعنا الى المكتبة الجغرافية العربية وجدناها تنتظم انتاج ما يقرب من الثلاثين من كبار المؤلفين هذا عدا نفر لا شك لم تصلنا آثارهم .

اصول علم الرحلات ..

واشتغال العرب بالجغرافيا وصفا ورحلة ، لفتهم الى اصول هذا العلم والى ما الفه اليونان فى ذلك ، فنرى الخوارزمى محمد بن العباس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يلخص لنا كتاب بطليموس ، ولا سيما ما يتصل بالأطوال والعروض والمواقع ... ولم يقف الأمر عند الخوارزمى بل عداه من قبل الى الكندى ابى عمر محمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، فلقد سبق الخوارزمى الى النقل عن اليونان وكتابه « رسم المعمور من اقطار الأرض » ليس غير اقتباس من كتاب بطليموس اليونانى ...

وابن خرداذبة الذى قدمنا ذكره ، كان اسبق من الكندى فى النقل عن اليونان وعن بطليموس فى كتابه « المسالك والممالك » .

وكان أسبق من ابن خرداذبة ، اليعقوبى احمد بن ابى يعقوب المتوفى سنة ٢٧٨ هـ فى كتابه « البلدان » .

وكذا ابن الفقيه وابن رسته ، وهذا مما حمل البعض على أن يقولوا ان الخرط والرسوم التى أوردها المؤلفون الجغرافيون العرب كلها منقولة عن بطليموس .

غير ان هذا العلم الذى بدا مشوبا بالنقل عن اليونان فى جانب كانت له نظرات عربية خالصة فى جوانب اخرى، فوصف الرحلات وما عليه أحوال الأقاليم استعدادا للجباية والجزية لم يكن فيه مجال للنقل عن اليونان ، وما نراه عند البلخى والاصطخرى ، وابن حوقل والمقدسى يؤيد لنا ذلك ، ثم حسبنا كتاب الهمدانى فى صفة جزيرة العرب .

استقلال النظرة الجغرافية ..

ولعل المعاجم الجغرافية التى عمرت بها المكتبة العربية منذ القرن الخامس الهجرى تدلك على استقرار تلك النظرة الجغرافية عند العرب واستقلالها ، فالبكرى فى كتابه « معجم ما استعجم » يورد اخبارا عربية خالصة عن المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار ، ولقد كان على راس هؤلاء الذين الفوا فى المعاجم الجغرافية : ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » وهو انتاج عربى خالص فى رسومه .

وما ان اطل القرن الثامن الهجرى حتى كانت ثمة موسوعات كبيرة هى وان لم تكن خالصة للجغرافيا غير أنها انتظمت ابوابا تتصل بها ، من هذا : نهاية الارب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ، ومسالك الأمصار لابن فضل الله العمرى ، فهذه الكتب وغيرها تمدنا ــ الى جانب ما تمدنا به من جوانب علمية وادبية مختلفة ــ تمدنا بكثير من جغرافية تلك الدول الاسلامية .

ومنذ ان تحرر الجغرافيون العرب من النقل كانت لهم اقوالهم المعتمدة على ما يشاهدون هم انفسهم ويجدون ، فاليعقوبى يقول لنا انه سافر وحدث وسال ، وابن حوقل يقول : واعاننى على تاليفه ــ يعنى كتابه المسالك والممالك ــ تواصل السفر وانزعاجى عن وطنى الى ان سلكت وجه الأرض باجمعه فى طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها .

اما المقدسى فقد جال فى البلدان ودخل اقاليم الاسلام ، ولقى العلماء ، وخدم الملوك ، وجالس القضاة ، ودرس على الفقهاء ، واختلف الى الادباء والقراء ، وخطب على المنابر ، وساح فى البرارى ، وتاه فى الصحارى ، ولزم التجارة فى كل بلد ، وعنى بالعاشرة مع كل احد ...

والاصطخرى يقول : ذكرت فى كتابى هذا اقاليم الأرض على الممالك وقصدت

منها بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالاعمال المجموعة اليها ..

وابن حوقل يذكر انه فصل بلاد الاسلام اقليما اقليما وسقفا سقفا وكورة كورة ...

اما اليعقوبي فيتخذ العراق نقطة البدء لكتابه لأنه وسط الدنيا، كما يقول، وصرة الأرض ...

ولا ننسى الادريسي صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ولقد كتب هذا الكتاب بالعربية في صقلية في عهد ملكها روجر الثاني سنة ١١٥٤ م.

والادريسي وان لم يزر جميع الممالك الاسلامية الشرقية التي كتب عنها، فهو قد أفاد من كتب الرحلات التي سبقته.

وهكذا نرى أن الرحلة كان لها شأنها في المجتمع الاسلامي في عصوره الزاهرة، لقد كان ثمة رحلة للحج رحل فيها المسلمون من جميع الأقطار، ولقد كان ثمة رحلة في طلب العلم من قطر الى آخر، ولقد كانت هناك رحلة في سبيل الاتجار، فلقد كانت الأسواق الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها يرتبط بعضها ببعض.

ولقد دون كثير من رحالي العرب أخبارهم وأسفارهم وتنقلهم، فذكروا المدن التي هبطوها والمسالك التي اجتازوها والصعوبات التي تغلبوا عليها ووصفوا البلاد وزروعها، ودونوا ما شاهدوه عن صناعاتها وتجارتها، كما عرضوا لوصف حياة السكان يمتدحون شيئا ويعيبون شيئا، وهذا مثل ما فعله ابن جبير حين أخذ على أهل دمشق في تحيتهم وسلامهم.

الفرق بين الرحالة والجغرافي

وهذه اللفتات هي التي تميز الرحالة عن الجغرافي، فعلى حين يستقصي الجغرافي وصف الاقاليم يدون الرحالة ما يشاهد ومايسمع، وهو بهذا يضيف الى الجغرافي اضافة جديدة لها قيمتها ولها شأنها، فعلى حين نرى المقدسي وأبي الفدا يتناولان اقليم الشام بلدا بلدا نجد ابن جبير وهو رحالة لا يعنيه هذا من شئون الشام، وكذا ابن بطوطة لا يذكر هو الآخر جنوب سوريا والخانات لأنه دخل سوريا برا من مصر.

ومن الصعب أن نقف على أخبار الرحالين الأوائل من العرب، اذ كانت رحلات هؤلاء على الرغم من انها رحلات غير منتظمة، فلقد كانت للتجارة وللسعي في سبيل العيش.

من الرحالة الاوائل

واخبار هؤلاء الرحالة العرب الأوائل لم يبلغنا منها شيء الا عن طريق الرواية مثل سليمان السيرافي، وابن فضلان وأولهما من القرن الثالث الهجري، وثانيهما من القرن الرابع الهجري ومنها ما بلغنا تدوينا في تفصيل كالمسعودي..

ويبدو أن تجار العرب من عمان والبصرة وسيراف في القرن الثالث الهجري كانوا يصلون الى الصين، كما أن تجار الصين كانوا يصلون الى الموانى التي على الخليج العربي.

ويروى المسعودي جملة من اخبار تاجر من تجار سمرقند خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق وانحدر الى البصرة، ثم ركب البحر حتى وصل الى عمان ثم ركب الى بلاد (كلاه) وهي النصف من طريق الصين.

ثم يقول واليها تنتهي مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة.

ويقول المسعودي وكانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك، ثم يعزو المسعودي هذا التغير الى انعدام العدل وعدم الأمن.

وثمة قصة لابن وهب القرشي الذي

غادر البصرة في رحلة حملته من سيراف الى خانفوه (كانتون) ثم عاصمة المملكة الصينية نفسها .

ثم اننا نعرف ان الجاليات الاسلامية كان لها امتيازات في المدن الصينية ، وكان لهذه الجاليات قاضيها وامامها وشيخها ومساجدها .

وان حديث ابن خرداذبة وابن الفقيه والاصطخري وابن حوقل عن تلك البلاد يدلنا على معاينة ومشاهدة .

والأخبار التي رويت لنا عن سليمان السيراف وابن فضلان تدلنا هي الاخرى على ان وصفهما لتلك البلاد كان هو الآخر عن معاينة ومشاهدة .

وما من شك في ان المسعودي قد ضمن لنا في كتابه خلاصة اختباراته وتجاربه في الأسفار والرحلات ، ولعل المسعودي هو الوحيد الذي تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة للعالم الاسلامي في تلك العصور ، وكتابه «مروج الذهب » لا شك كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعلم ملاحظة واخبار واساطير ، ثم هو يصف المصاعب التي كان يلقاها في تنقلاته وصفا دقيقا .

رحلة ناصر خسرو

والرحالة ناصر خسرو المتوفى سنة ٤٥٢ هـ والذي كان داعية اسماعيليا شديد التعصب لمذهبه ـ لا يقل هو الآخر عن المسعودي جهدا في وصف ما وصف من بلاد رحل اليها ، وان رحلته المعروفة باسم «سفرنامه» لغنية بالصور المليئة بالمعلومات عن البلاد التي زارها ، وان رحلته هذه لتكشف لنا عن الكثير من الشئون الاجتماعية والاقتصادية قبل مجيء الصليبيين الى سوريا .

ويعتبر وصف ناصر خسرو للحرم الشريف بالقدس من ادق ما وصل الينا من معلومات عن هذا المسجد المبارك .

ووصف ناصر خسرو لمصر يعد هو الآخر من ادق ما وصل الينا ، فقد تناول البلاط الفاطمي والعاصمة والادارة الحكومية زمن المستنصر بتفصيلات كثيرة ، ولم يكن هذا بغريب على رجل اقام في القاهرة وقتا طويلا .

ولما عاد ناصر خسرو من مصر الى بلاده ذكر ملاحظات قيمة عن المدن التي مر بها ، فذكر الكثير عن مكة المكرمة ومناسك الحج ، وذكر المدن والجزر في الخليج الفارسي وصلة ذلك بالفيضان في شط العرب .

والحق ان امتع ما كتب ناصر خسرو هو وصفه الشيق لمصر ، ننقل لك منه شيئا ، فهو يقول :

القاهرة مدينة كبيرة ، واقدر ان بها ما لا يقل عن عشرين الف حانوت يؤجر واحدها بمقدار عشرة دنانير مغربية بالشهر وليس فيها ما يؤجر باقل من دينار .

ويقول : والبيع في مصر بالسعر المحدد وان غش بائع شهر به على جمل .

والبائع سواء البقال او العطار او بائع الخردوات يغني بوضع ما يبيعه في المكان المناسب له .

ويقول : لست اعرف بلدا آخر يستمتع بالطمأنينة على نحو ما تستمتع به بلاد مصر . رايت نصرانيا من كبار الموسرين في مصر لايعرف احد ماله من السفن ولا يحصي ارزاقه او املاكه ، دعاه الوزير مرة لسؤاله عن كمية القمح التي يمكنه بيعها او هبتها للسكان لأن المحصول كان رديئا ، وقد هم الخليفة ما يعانيه شعبه من الفاقة ، فاجاب الرجل ان عنده من القمح ما يكفي مدينة مصر ست سنوات ... ومع ذلك فلم يخش الرجل على ثروته ، ولم يخف مصادرتها ، لانه مطمئن الى عدل الخليفة ووزيره ..

بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجرى

لكل شهر قصة

● مصطفى الشهابى ●

تعنى الامم الناهضة بتاريخ الحوادث التي لها شان كبير في حياتها، وعنايتها بضبط هذه التواريخ دليل على يقظتها ورقيها ، ولا سبيل لذلك غير التقاويم .

● التأريخ « بالهمزه » هو توقيت الحادث بالزمان اى تحديد يوم أو شهر أو سنة وقوعه ، أو كلها جميعا .

فاذا قلنا ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد في ٢٠ من ابريل سنة ٥٧١ م ، فهذا هو التاريخ او التوقيت اى تحديد الوقت ..

واذا كتب أحدهم تاريخ او سيرة عمر ابن الخطاب او صلاح الدين الايوبي ، فهذا هو التاريخ (بدون همزة) ...

ولم يكن للناس في العصور القديمة مبدأ ثابت يؤرخون به أحداثهم ، ولذلك لجأوا الى الحوادث الهامة التى وقعت ـ وغيرت مجرى الحياة فى مجتمعهم ، أو كانت من النوع الذى لا ينسى ، كالحروب المدمرة والفيضانات والزلازل والاوبئة والقحط أو مصرع رجل عظيم أو وفاته .. وجعلوا من كل حادثة بداية للتاريخ ، الى أن يقع حادث كبير آخر فيؤرخون به ويتركون الحادث السابق عليه ، وهكذا ، حتى ظهرت التقاويم ...

عند العرب ..

أرخ العرب بتواريخ عديدة ، فقد أرخ بنو اسماعيل من بناء الكعبة ، ثم ارخوا بموت كعب بن لؤى ، وهو الجد السابع للرسول صلى الله عليه وسلم حتى عام الفيل .

وبعث رسول الله صلى عليه وسلم وقريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومى وعام الفيل ، ولا غرو فان هذه الحادثة كانت فاتحة خير على العرب عامة وعلى قريش خاصة ، اذ لو أتيح لجيش ابرهة النصر لتغير وجه التاريخ ، ولكن الله حفظ الكعبة وهى مناط فخرهم وعزهم .

وفى اليمن أرخوا بملوكهم من التبابعة كما أرخوا بعام السيل ، وهو سيل العرم، ثم ارخوا بغلبة الحبشة على اليمن ثم غلبة الفرس عليها وطرد الحبشة منها الى ان دخل الاسلام اليمن .

وجرت عادة القبائل على التأريخ بالحروب أو الايام ، كيوم الفجار وحرب البسوس .. وغيرها .

وظلت هذه الطرق متبعة حتى ظهر الاسلام وعم انحاء الجزيرة واجمع المسلمون على التاريخ من الهجرة .

عند غير العرب ..

أرخ قدماء المصريين بحكم ملوكهم

● كانت حركة الشمس أصلح مقياس للزمن في تلك العهود السحيقة، فقاس بها الإنسان القديم، ومن ثم عرف اليوم بقسميه: الليل والنهار.

كقولهم: «في السنة الثانية، في الشهر الثالث للفيضان، في اليوم الاول تحت حكم جلالة الملك ..»

وكان اليونان يؤرخون بالالعاب الاولمبية، واتخذ الرومان تاسيس مدينة روما بداية لتاريخهم.

وارخ اليهود من نار ابراهيم الى يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى، ومن مبعث موسى الى ملك داود، ثم ارخوا بعدئذ بانبيائهم وبابرز الحوادث في تاريخهم.

وارخ الفرس باكاسرتهم.

وارخ المسيحيون بميلاد المسيح عليه السلام. ويؤرخ مسيحيو مصر، أي الاقباط، بيوم الشهداء، يوم أمر الامبراطور الروماني دقلديانوس بقتل عدد كبير منهم وكان ذلك في ٢٩ من اغسطس سنة ٢٨٤.

بدء التقويم ..

لما ادرك الانسان ان الزمن حقيقة، بدأ يفكر في وسيلة لقياس هذا الشيء المعنوي، فوجد أن أسهل وسيلة هي قياسه بحادث منتظم التكرار. وكانت حركة الشمس أصلح مقياس للزمن في تلك العهود السحيقة، فقاس بها الانسان القديم، ومن ثم عرف اليوم بقسميه: الليل والنهار.

ثم طلب الانسان معيارا أكبر فوجده في القمر فعرف الشهر.

واخيرا لاحظ تتابع المظاهر الطبيعية كالمطر والحرارة والبرودة والرياح، فعرف السنة التي قسمها الى فصول.

عند قدماء المصريين ..

ومن دواعي الفخر ان يكون لشعب مصر الفضل في وضع التقويم، وقد اعتمدوا على القمر في تحديده غير انه ظهر عدم امكان الاعتماد عليه في ضبط مواسم الزراعة لنقص الدورة القمرية عن الدورة الشمسية بمقدار ١١ يوما.

واكتشف فلكيوهم أن المدة التي تمضي بين ظهور نجم الشعرى اليمانية والعام الذي يليه هو ٣٦٥ يوما، فجعلوا هذا العدد من الايام سنتهم، وقسموها الى ١٢ شهرا، كل منها ٣٠ يوما وبقيت بعدئذ خمسة أيام أبقوها وحدها في آخر السنة وسموها الايام المضافة أو اللواحق، وهي التي سميت فيما بعد بأيام النسيء، وجعلوها أيام أعياد ..

وقسموا السنة الى ثلاثة فصول: الخريف أو الفيضان، ثم البذر أو الشتاء، واخيرا فصل الصيف أو الحصاد. كما قسموا الشهر الى ثلاثة اقسام كل منها عشرة ايام.

ولم تكن للشهور في البداية اسماء، بل كان يقال الشهر الثالث من الفيضان أو الرابع من الحصاد، وانما وضعت لها اسماء مشتقة من اسماء الالهة في القرن السادس قبل الميلاد، وما زالت هذه

الاسماً مستعمله فى التقويم القبطى الى اليوم .

وجدير بالذكر أن التقويم المصرى بدأ يوم ١٩ من يوليو سنة ٤٢٤١ قبل الميلاد على وجه التقريب ، وبذلك يكون قد مضى عليه ٦٢٢٠ عاما .

وقد عدل التقويم المصرى القديم باضافة يوم كل أربع سنوات فى عهد البطالمة ، وهو ما يعرف بالسنة الكبيسة اليوم .

التقويم البابلى ..

وهو التقويم الذى استعمل فى وادى الدجلة والفرات وما حواليهما ، وكان يعتمد على القمر ، غير أن البابليين أدركوا مزايا التقويم المصرى فاقتبسوه واستعملوه ..

التقويم اليوليانى ..

كانت السنة الرومانية القديمة تتكون من عشرة شهور مجموعها ٣٠٤ أيام ، ثم حولت الى سنة قمرية اشهرها ١٢ وأيامها ٣٥٥ يوما ، يضاف اليها كل اربع سنوات ٤٥ يوما . وظل الحال كذلك حتى جاء يوليوس قيصر الى مصر عام ٤٦ ق.م فاعجب بالتقويم المصرى ونقله الى روما ، واصبحت السنة ٣٦٥ يوما يضاف اليها يوم كل اربع سنوات .

واطلق على هذا التقويم : التقويم اليولى او اليوليانى او الجوليانى نسبة الى يوليوس قيصر . وشهور هذا التقويم واسماؤها هى المستعملة اليوم وهى يناير ، فبراير ... الخ

ثم طرأ على هذا النظام تغيير مهم عام ١٥٨٢ بامر البابا جريجورى الثالث عشر (١٥٧٢ ـ ١٥٨٥) وذلك لانه ثبت ان السنة بالحساب اليوليانى تزيد ١١ دقيقة سنويا مما جعلها تتراكم وتكون عشرة ايام . ولذلك قرر البابا حذفها من شهر اكتوبر سنة ١٥٨٢ ابتداء من يوم ٥ الى ١٥ من اكتوبر من ذلك العام ، ولهذا يقول علماء الميقات ان الايام من ٥ من اكتوبر الى ١٤ من اكتوبر لا وجود لها فى التاريخ .

وأصبح التقويم الجديد ـ الجريجورى ـ هو المتبع فى بلاد الغرب وفى كثير من بلاد الشرق . وقد احجمت بعض الدول عن استعماله فى بادىء الامر ولكنها اضطرت أخيرا لاستعماله .

ولم يقبل الاقباط فى مصر الاصلاح الجريجورى ولذلك يحتفلون بعيد الميلاد المجيد فى ٧ من يناير « ٢٩ من كيهك » .

وهناك تقاويم اخرى منها التقويم السوريانى المستخدم فى سوريا وبعض الدول العربية المجاورة ، وقد بدأ اول اكتوبر سنة ٣١٢ ولكن الاقطار التى تستعمله انما تستعمل أسماء الشهور فقط وهى تشرين أول ، تشرين ثان .. الخ مع استعمال السنة الميلادية .

وهناك أيضا التقويم العبرى وهو قمرى شمسى ، وعدد شهوره اثنا عشر شهرا قمرية ، عدد أيامها ٣٠ ، ٢٩ غير أنهم يزيدون عليها شهرا كل ثلاث سنوات لتساير الشهور الشمسية .

الشهور العربية ..

أجمع المؤرخون على أن الاسماء الحالية للشهور العربية وضعها او وحدها كلاب ابن مرة ، او وضعت فى عهده . وكلاب هذا هو الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك حوالى سنة ٤١٢ م .

وكما اختلف فى تحديد الاسماء القديمة للشهور العربية ، فقد اختلف فى تعليل تسمية الشهور العربية بالاسماء التى تطلق عليها الان ، واشهر ما ورد فى هذا الصدد أن وضع أسماء تلك الشهور وافق الازمنة ، فاطلقت على الشهور أسماء

● أجمع المؤرخون على أن الأسماء الحالية للشهور وضعها أو وحدها كلاب بن مرة، أو وُضعت في عهده، وكلاب هذا هو الجد الخامس للرسول -عليه الصلاة والسلام- وكان ذلك حوالي سنة ٤١٢ م.

تناسب الاحوال الجوية التي كانت جارية وقت التسمية • غير أنه بعد مضى عدة أعوام انتقلت شهور الصيف الى الشتاء وبالعكس ، وظل هذا الامر يتجدد حتى اليوم •

واسماء الشهور العربية هي : المحرم ، صفر ، ربيع الاول ، ربيع الاخر ، جمادى الاولى ، جمادى الاخرة ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو العقدة ، وذو الحجة •

أيام الشهر العربي ..

وعدد أيامه تسعة وعشرون يوما ونصف يوم تقريبا ، ونظرا لصعوبة حساب هذا الكسر في العدد ، عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوما ، احدهما ثلاثون يوما وهو التام ، والاخر تسعة وعشرون يوما وهو الناقص •

الاشهر الحرم

دعت الطبيعة البدوية والظروف الاقليمية العرب الى الحرب والقتال، بعضهم مع بعض ، أو مع الامم المجاورة لهم كالفرس والرومان بعوامل الدفاع عن النفس أو الحفاظ على العرض أو الحرص على الحرية ، وأحيانا بعوامل الحاجة والكسب المادي ، حتى اصبحت الحروب جزءا من حياتهم وتاريخهم وادبهم ، وقد حفل الادب العربي بالحديث عن ايامهم وحروبهم •

ولما كان العربي بطبيعته لايمكن ان يجنح للحرب باستمرار ، بل يتحمس لها ويخوض غمارها ، ثم يملها ، ويجنح للسلم رغبة في الهدوء والاستقرار والسكون الى الاهل والقيام بالمبادلات والمعاملات ، وليؤدى مناسك الحج ، التي كان العرب لايتهاونون فيها .. لذلك كان من تقاليد العرب تحريم القتال اتباعا لما هداهم اليه وامرهم باتباعه أبو الانبياء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، اللذان حرما القتال في هذه الاشهر بأمر الله تعالى.

وقد احترم العرب هذه الاشهر لينصرفوا الى شئونهم ولتكون هذه الاشهر هدنة تفسح المجال للتروى أمام المتحاربين وغيرهم للرجوع على الظالم المعتدى.. وكانت هذه الشهور هي **ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، وهي اشهر الاستعداد للحج الى مكة والعودة منها وكذلك شهر رجب للاعتمار فيه وسط السنة •**

وقد حافظ العرب على حرمة هذه الاشهر ..

وقد شق على بعض العرب الكف عن القتال ثلاثة اشهر متواليات وهي القعدة والحجة والمحرم ، ولذلك لم يلتزموا بها فادخلوا على تلك الاشهر تعديلا يتيح لهم تقصيرها والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وذلك باتباع نظام النسيء ، بأن يراعوا حرمة شهرين متتابعين وهما ذا القعدة وذا الحجة ويحلوا القتال في شهر المحرم ، على أن ينسئوا « يؤخروا » حرمته الى شهر آخر يتلوه كصفر ، فاذا اضطروا للقتال في صفر احلوه وحرموا ربيعا الاول .

وكانوا يحلون القتال احيانا في شهر آخر غير شهر المحرم وينقلون حرمته الى شهر تال من غير الاشهر الحرم ،

ولذلك اضطربت مواعيد حجهم ، وقد حرم الاسلام هذا .

التقويم العربي في حياة الرسول

اقر الاسلام تسميات العرب الاخيرة للشهور ، كما أقر تعدادها واقر النظام القمري .

وقد تمسك الاسلام بالشهور القمرية لان الصيام والحج وهما فريضتان سنويتان ، فاذا أديا في شهرين ثابتين من السنة الشمسية « اليوليانية » فان الجو في كلا الشهرين لايكاد يختلف فيظل الصيام أو الحج في الحر أو البرد باستمرار ، وهذا لايتاتى الابنظام السنة القمرية اذ يتقدم الصوم او الحج احد عشر يوما كل عام ، مما يجعل المسلم يصوم ، او يحج في اجواء مختلفة بمضي السنوات .

وضع التقويم الهجري

كان عمر بن الخطاب أول من فكر في اتخاذ نظام ثابت للتاريخ في الاسلام بسبب اضطراب التواريخ في المكاتبات الواردة له ، ثم اتفقت الكلمة على اتخاذ هجرة الرسول الكريم مبدأ للتاريخ لان الهجرة كانت معلومة التاريخ بالاجماع ، ولم يختلف في وقتها احد ، بخلاف وقت ولادةالرسول او وقت مبعثه،ومنهابدأ انتشار الاسلام وظهوره في الجزيرة العربية وكانت نقطة التحول في تاريخه .

وجعل عمر بدء تاريخ المسلمين او تقويمهم ، أول المحرم من سنة الهجرة وذلك لاسباب عدة أهمها :

أولا : ان المحرم شهر مقدس عند العرب ، وهو بداية العام العربي من قديم ، كما انه منصرف الناس من الحج .

ثانيا : ان اعتزام النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة بشخصه ، كان في المحرم . فقد وقعت بيعة العقبات الثانية في اثناء ذي الحجة ، وكانت مقدمة الهجرة وسببها المباشر ، كما ان التخطيط والاعداد والتنفيذ للهجرة كان في المحرم ، انتظارا للأمر الالهي الذي جاء في ربيع الاول .

وهكذا اعتبر التفكير والتخطيط والاعداد العمل وانتظار أمر الله ، بداية فعلية للهجرة ، حيث أنها أصل لها وجزء منها .

ثالثا : هاجر في المحرم كبارالصحابة وعلى رأسهم عمر وحمزة بعد بيعة العقبة الثانية ، ثم لحقهم الزبيروعثمان وآخرون ، ولم يبق منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مكة الا قلة وعلى رأسهم ابو بكر .

وكانت للمحرم مكانة خاصة في نفوس العرب ، بدليل انه الشهر الوحيد الذي اختص من بين الاشهر الحرم بالاسم الذي يدل على حرمته .

وقد احتفظ له الاسلام بهذه المكانة فسماه الرسول « شهر الله » وهذه الاضافة اشارة الى شرفه وفضله .

وهلال المحرم يملأ نفوسنا بذكريات مجيدة وبطولة ستظل مضرب الامثال مهما تعاقبت الاجيال .

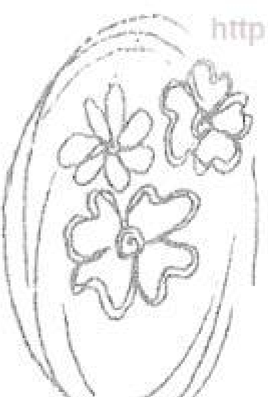
ومنذ اصبح المحرم رأس السنة الهجرية ، صارت تكتب فيه الرسائل وتضرب النقود ، ويستقبل الكبارالقوم للتهنئة والتبرك لانه أول العام .

ويوافق اول المحرم فيالسنة الاولى الهجريةيوم الجمعة ١٦ منيوليوعام ٦٢٢

عاد .. وعدت

● روحية القليني ●

وحسبت أنك قد مللت هـــواى لا يرويك ودى !
فأثار ضدك كبريائى .. خلت أنك خنت عهدى ...
وغرقت فى بحر الظنون يشدنى جزر لمـــد
وسهدت بالوهم المؤرق أسـياتى دون حـــد
لو كنت أبكى لاسترحت .. وهل دموع العين تجدى ؟
والدمع فى طى الجفون ، أخاف أن يبدو ـ فيبدى !
هى عزة للنفس حالت دون إبداء وســـرد ...
ولجفنى السهران أشـكو ما ألاقى دون عـــد
من خلف منظارى أخبىء ما جناه على ســـهدى
والبسمة النشوى على شفتى أبديهـا بقصـد !
حتى يظن الناس أن النجم عانق أفـــق ســـعدى
وإذا أتى الليل انفردت به على نيران وقـــد
قلمى يؤانسنى أحس بقـربه أن لست وحـدى !
هو ترجمان مشاعرى وسرائرى وحنين وجـدى ...
ويصور الأفـكار حيرى من صدى هزل وجد
فى ليلة صوت شجى ساحر ، قد رن عنـــدى
كذبت سمعى هل هو الداعى ؟ .. سكت كتمت ردى !
والهاتف اللهفان ظـل يصيح ردى أنت قصدى ..
فأجبته ماذا تريد ... أما نسيت وخنت عهـــدى
فتكلم الدمع الأبى وقال : عودى .. لا تصـــدى
قدر تحكم لحظـــة بى كالعنيـــد المستبد ..
لا تستبد بك الظنون ، كفى الذى ألقى ببعـــدى
فيك الكثير يشدنى ... لسواك لا أرضى بقيـــد !
أنت الأثيرة والأخيرة .. أنت كل الناس عنـــدى !
يا طفلة رغم السنين .. لكم أحبك ... لا تعـدى !
ماقلته صـدقته أن ليس فى دنيـــاك بعـــدى ..
وضحكت كالطفل البرىء يذوق حلواه بشـــهد ..
من بعد طول البعد عاد ... وعدت فى صفو وود !..



استخدامات الأدب

● د . عبد الفتاح الديدى ●

من العجيب أن يجد الانسان نفسه مضطرا الى ان يكرر نفسه بعد ثلاثين سنة من الكتابة فى مجال الصحافة الأدبية .. ولكن هذا يحدث عادة لمعظم الكتاب عندما يكون الكاتب من اصحاب الافكار المتصلة او المترابطة فى حقل الأدب . وقد يجد بعضهم نفسه ملزما بأن يعاود تذكير الناس ببعض الآراء لأنها تكون ـ عادة ـ أساسية بالنسبة الى ((صناعة)) الأدب ذاتها .

والحقيقة التى ينبغى ان نذكرها دائما هى أن الأدب قد يصبح صناعة مقصورة على بعض الناس عندما لا يطرق المؤلفون والكتاب الموضوعات التى تهم كافة القراء . وهذا بديهى من ناحية ولكنه ذو دلالة سيئة من ناحية أخرى .

فالكاتب الذى يتناول موضوعا يتداوله الناس تداولا مألوفا فى حياتهم، يجد نفسه بعد قليل مقروءا بلا اكتراث . وهذا حال الكثيرين من كتاب اليوم .. ولكن يمكن من ناحية أخرى أن يتناول المؤلف موضوعا يهم الناس ولكن معالجة الموضوع تصبح فى يديه فنية الى درجة لا تغنى أحدا من قراءته . وهنا يدخل الموضوع فى اطار الفنون ويصبح مؤلفه فى زمرة الفنانين .

والحقيقة التى لا يريد أحد أن يستوعبها على الرغم من انها واردة ومكررة فى تاريخ الأدب العربى ، هى ان الأديب والناقد لا يقاسان بمقياسهما الخاص ، ولكن بمقياس الجماعة .. فالموازنة والمقارنة هى الخطوة الأولى نحو تقويم العمل الأدبى . وهذا ثابت فى كل كتب النقد الأدبى القديم .

فالأديب فى ذاته فلا يعنى شيئا ، وانما يبدأ الأديب فى أن يصبح جزءا من الكيان الأدبى العام عند مقارنته بسواه .. ولهذا السبب بالذات ظهر عندنا ما نسميه بالتاريخ الأدبى والنقد الأدبى . فتاريخ الأدب هو السجل الذى يحتوى على درجات الابداع الفنى مسلسلا على مستويات اجتماعية ومستويات زمنية مرتبطة بالعصر . ويمكن ان يدخل هنا أيضا العاملان الجغرافى والحضارى .

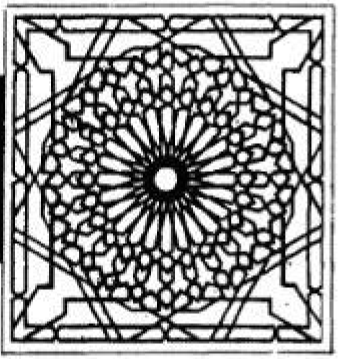
أو بعبارة أخرى لا يصبح الأديب أديبا الا اذا مر فى عدة تصفيات بعضها محلى مع الاقران ، وبعضها قومى مع الانداد ، وبعضها عالمى مع المعاصرين فى مختلف البيئات .. بهذا يصبح الأديب أديبا ، أعنى عندما يدخل فى قائمة المتاحف الأدبية التصورية .

***

وهذه الموازنة ضرورية من ناحية ولكن يقابلها من الناحية الأخرى الطريقة التى يستخدم بها الأديب صناعته الأدبية . فهذه الصناعة من ناحية أخرى مرتبة ومرتبطة بالوجود الانثروبولوجى الاجتماعى ..



فرانسواز ساجان



وكما يسأل صاحب العمارة الذى يعد مشروع بنائها الخطة اللازمة للبناء وفقا للجمهور الذى يسكنها وعاداته وتقاليده وروحه العامة ، كذلك يعد الأديب أدبه وفنه ٠ والا فهو يكتب لنفسه ، وهو ما يلحق باب المذكرات الشخصية مما يتنافى مع الوجود الأدبى ومع الأرضية فى الأدب ٠

فالأديب يكتب لأقوام معينين بأحلامهم ومشاعرهم ، ولهذا قال سارتر فى افكاره النقدية انه يكتب لجمهوره الذى يعيش بينه ويقرؤه يوما بيوم ٠٠ونحن فى مصر لم تتآلف عندنا فكرة الجمهور مثلما تآلفت فكرة « شباك التذاكر » فى السينما ٠ ولهذا يظل وضعنا الأدبى مهزوزا ٠

كثير من أدبائنا لا يزال يحلم بأنه يكتب للتاريخ ٠٠ وهذه أكذوبة كبيرة لأديب لا يريد أن يتعرف عليه أحد من أبناء عصره لأنه فى الأصل لا يتناول مشاكلهم ٠ ولأنه فوق هذا يتهرب من قضايا العصر الذى يعيش فيه كأنما يكتب لأميين !٠٠

والبعض يزعم أنه من باب الاعلام أن يتناول الكاتب مشاكل الناس اليومية فى كتاباته الفنية ٠ وهؤلاء يظنون أن تناول المشاكل اليومية يعنى سرد الأحداث كما تتراءى للرؤية العادية المألوفة ٠ بل يعنى ذلك الصعود الى معنوياتها ذات الفاعلية فى تكوين العمل الفنى ٠ فالمشكلة هنا مزدوجة لأنه ينبغى أن يقترب من الواقع وأن يحرك رؤيته بحيث يخلق من هذه الرؤية فنا ٠

وهنا تلعب الصورة دورها فى العمل الفنى ٠ فالصورة هى الاطار أو الهيكل الذى يصب فيه الفنان رؤيته للواقع ٠ ولا يمكن أن يبقى هذا العمل فى دائرة الاعلام بحال من الأحوال بعد اقتناص الصورة التى يصدر فى قالبها العمل الفنى عن رؤية فريدة ٠٠

ويصبح العمل الفنى عندئذ مزدوجا من حيث اقترابه من الواقع وابتعاده عنه ، كما يصبح العمل مزدوجا فى الصدور عن الجمهور القائم وتجاوزه فى آن معا ٠ أو بمعنى آخر ينبغى للعمل الأدبى أن يكون صادرا عن روح فردية فى تجسيم الواقع وتشكيله وأن يصدر فى نفس الوقت عن تجربة جماعية فى استيحاء الجمهور وتجاوزه ٠

***

فاذا أصدر الشاعر قصيدة أو الكاتب مسرحية أو رواية كان على هذا النوع

من الانتاج أن يقارن بما عداه من الانتاج · ولهذا قررنا أنه لابد من وجود طريقة للادب العالمي في ذهن الكاتب والناقد على السواء فضلا عن الخريطة القومية والمحلية ·

واذا طلب الشاعر معرفة رأى الناقد فى أعماله فلابد أن يكون الشاعر قد وضع نفسه فى مهب الأوضاع المحلية والدولية ، والا فليجعل من انتاجه فنا خاصا به ·

وأمامي الآن عملان فنيان أحدهما قصيدة شعرية لمؤلفها محمد محمود عماد ، ورواية لفرانسواز ساجان · ونستطيع أن نسمي العملين باسم واحد اما أن يكون هو عنوان القصيدة وعنوانها « الحكاية » أو عنوان الرواية واسمها « أسعد صباحا أيها الحزن » وهذا هو نص « الحكاية » كما رواها شاعرنا العربي :

انا مراة في رايه متمردة
قد كنت ادرى أننى لن اسعده
فى لحظتى الأولى انا كاشفته
فابى التفاهم ·· كل باب أوصده
واخذت اختلق المعاذير التى
انجو بها ·· احتال حتى ابعده
وغدت حكايتنا محل تقول
والكل ـ من سمع الحكاية ـ ايده
ولمرتى الأولى سكرت ·· سكرت با
كية ·· لاغدو دون وعى سيده
العود تسال كيف حالى ؟ اننى
احيا ·· ولا أحيا ·· انا متبلدة
قد مات احساسى فما ادرى سوى
انى اعود لغرفتى متسنده
انا لا أحس باى شىء ·· قد غدو
ت على اداء وظيفتى متعوده
كل الذى ادريه انى أحجب الأ
عينين بالكفين كى لا اشهده
وهو السعيد ·· الست بعد عشائه
القى اليه بجثة متجردة
وهو القرير ·· الم اوف له الديو
ن ·· جميع الساطى اليه مسدده
هو حقه ·· أوليس يمنحنى اسمه
هذا الذى دوما امامى ردده
هو حقه ·· انى بضاعته التى
دفع الحساب لها ومد لها يده
هو حقه شرعا ·· وكيف يضيع
حق الهر فيما تحتويه المصيده
ما عدت آمل ·· كيف آمل باصدقى والمقوية للحياة · · مؤيده

***

ذى قصتى من بدئها لختامها
اعرفت كيف غدت فتاتك سيده

تلك هي الحكاية أو أسعد صباحا أيها الحزن بالطريقـــة المصرية كما رواها صديقنا الشاعر محمد محمود عماد • وتلك هي المقابل الفني لحكاية الآنســة الفرنسية التي روتها فرانسواز ساجان في روايتها « أسعد صــباحا أيهـــا الحزن » .

بيد أن الحزن مزيج من السعادة والألم في حكاية فرانسواز ســاجان وهي تجربة حرة في المجتمع الفــرنسي ولا يوجدلها مثيل في مجتمعنا المصرى . ولا يزال هذا النوع من التجربة تجرى معالجته في أدبنا العربي كنـــوع من الادب الاسود • أما هناك فهو أدب ككل أدب ..

آنسة تدرس في باريس وتتعرف بزوج وزوجة يؤلفان زوجا ســعيدا في تجربة زواجهما • لكن السن تتقدم بهما بحيث يصبحان بعيدا بعض الشيء عن لهو الشباب • فينزلق الزوج والآنسة الى شيء من الأنس بينهما يتحول الى نزوة حب • وتتعلق الآنسة بالزوج كرجل ممارس للحياة الزوجية وصاحب تجربة• وتتجاهل الزوجة الوضع ايثارا لزوجها • ولكن لا تكاد تنتهي التجــربة بين الزواج والآنسة حتى يعود الزوج الى زوجته ويرتبط من جديد بحياته الزوجية كأن النزوة كانت عرضا في تلك الحياة القائمة المستمرة •

وتحكي الفتاة حكايتها في تفصيل دقيق يوحي بالروائح التي كانت تشمها والاذرع التي ضمتها وأوقات النزهة التي قضتها مع زوج المرأة التي كانت ترعاها في غربتها عن أهلها • ثم عادت الفتاة تلتقي بمثلها من الشباب وعاد الزوج الى زوجته بعد أن ســـجلت فرانسوازساجان الحكاية كعمل أدبي .

وفي العملين تلمس الواقع الاجتماعي بوضـــوح • وكان مجتمعين كاملين يصوران كيانهما في العملين الادبيين. وهذا ما نقصده عندما نقول ان الادب خاضع للأنثروبولوجيا الاجتماعية أي لعلم الانسان الاجتماعي • فالأدب موجه من أجل قارىء معين ومن أجل جمهور معين •

وهكذا تصبح للأدب استخداماته الصحيحة في معالجة القضايا التي يعيشها الناس ويلمسونها ويقصرون الكلام بشأنها عندما يكونون على انفراد •

وهذا الأدب يقدم صورة للعمل الفني • وهذه الصـــورة تحفظ الرؤية التي يقدمها الأديب للواقع المعـــاش • ولكن ليس معنى هذا ان الأديب ليس له من عمل سوى الاتباع للخطوات التي تؤدى الى تقديم صور أنثروبولوجية اجتماعية• ولكن معناه أن الارتباط بالبيئة هو أحد العوامل الرئيسية في تحـريك الأدب وتقديم مشاهده وعلاج مسائله وتناول قضاياه •

ولولا نخشى الاندفاع في تعداد المآثر لهذا النوع من الســياق الأدبي ـ فان أجيالا طويلة تشدنا الى الحياة ـ لقلنا انها أقــرب الآداب لكشــف نوعية الاستخدامات المطلوبة والناقصة في ادبنا المعاصر وعلى يراع الشعراء والكتاب • ولعل هذهالتجربة المذكورة هنا تعبير عن كل قضايا الواقع الاخرى التي نأمل في ان نراها ماثلة في كتابات ادبائنا •

والقضايا كثيرة والاحلام كبيرة ، والنقص لا يزال باديا في تطبيق ما قاله شاعرنا القديم في أن كلا منا يصف ماعونه • ●

الحضارة العربية وتأثيراتها فى أوروبا

● د. محمد عبد المنعم خفاجى ●

● ازدهرت الحضارة العربية والاسلامية فى شتى ارجاء العالم الاسلامى منذ القرن الثالث الهجرى ازدهارا لم يعرف العالم له مثيلا من قبل ..

فالجامعات ومراكز البحث العلمى ودور الثقافة والمدارس المختلفة ودور الكتب ودور الحكمة ، منتشرة فى كل مكان .

ونتائج البحث والابتكار كثيرة فى شتى مجالات العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة والهندسة والطب وخلافها . والعلماء المسلمون يوالون بحوثهم ويصلون الى الكثير من الكشوف العلمية ، ولا نتحدث عن اتساع حركة التجارة فى جميع موانى العالم الاسلامى ولا عن انتشار الرخاء ووفرة الانتاج ، ولا عن الرفاهية وضخامة الاقتصاد العربى الاسلامى فى شتى مواطن الحضارة العربية ، لان ذلك حقيقة مقررة ، ألم بها الرحالة فى كتبهم ، وتحدث عنها علماء الاجتماع والاقتصاد والحضارة فى كل ماخلفوه لنا من تراث وأفاض المؤرخون فى سرد ما وصل اليه العقل العربى من تجديد وابتكار وسموق .

وهذه هى المستشرقة الالمانية «هونكة» فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » تقف مبهورة امام مظاهر الحضارة العربية وتأثيراتها المختلفة فى الغرب ..

ومن قبلها بهر « رينان » ، وغيره بالحضارة العربية ومجدوها تمجيدا يليق بتراثها وبآثرها معا ، وكتابات « جوستاف لوبون » عن حضارة العرب ذائعة ومعروفة ...

وفى الاندلس وصقلية وجنوبى ايطاليا تألقت الحضارة الاسلامية ، ورآها الغرب عيانا ومشاهدة ، وبعثوا البعوث الى الجامعات العربية فيها ،

والى مختلف أنحاء العالم الاسلامي للدراسة والبحث والوقوف على أسرار رقي العالم الاسلامي وحضارته الزاهرة

وقد كانت الشعوب الناطقة بالعربية فيما بين منتصف القرن الثامن واوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، حملة شعلة الثقافة والحضارة في جميع انحاء الدنيا ، من الصين شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ، فهم الذين حفظوا تراث الاغريق في الفلسفة والعلوم ، ودرسوه وشرحوه ، وبنوا عليه ، واضافوا اليه ، ودونوا شتى تجاربهم وكشوفهم العلمية وطبقوها ، اذ أخضعوها للتطبيق بشكل بديع ورائع ومذهل ، مما كان اساس نهضة اوروبا . وكان الاندلس وصقلية في ذلك الرا مذهلا للغاية ..

وكانت الاندلس تبهر الغربيين بما وصلت اليه من رقي في مختلف مجالات العلوم والفنون والاداب والثقافات ، حتى لقد قصدها الغربيون من كل مكان. وفي طليطلة وجدت مراكز علمية لترجمة العلوم والاداب العربية الى اللغات الاوروبية ، فبدأت النهضة تسري في اوروبا منذ القرن الثاني عشر الميلادي.

وكانت جزائر كريت وقبرص وسردينيا وصقلية ، وجنوبي ايطاليا مراكز متقدمة للحضارة العربية التي اتجه اليها الغربيون بكل أشواقهم ومشاعرهم واكبارهم . وكانت الشعوب العربية الاسلامية سيدة البحر الابيض المتوسط ومالكة زمام التجارة الدولية فيه .

ونحن نعرف ابن حمد يس الصقلي ، والشريف الادريسي ، والمازري وغيرهم ، من العلماء المسلمين الذين ظهروا في صقلية ، وكذلك ابن القطاع الصقلي ، وابن ظفر ، وكثير من العلماء والادباء والشعراء ، وفي بالرمو عاصمة صقلية انشا العرب مدرسة طبية متفوقة .

وكانت السفارات متلاحقة بين ملوك أوروبا والاندلس وبغداد والقاهرة ودمشق . تبادل الرشيد وشارلمان السفراء والهدايا . كما كانت السفارات بين بيزنطة وقرطبة وغرناطة متصلة . وكان بلاط عبد الرحمن الناصر الملك الاموي في قرطبة يستقبل دائما السفراء من مختلف عواصم الغرب ، وتبادل هو وامبراطور المانيا أوتو الاكبر « ٣٢٥ - ٣٦٣ هـ : ٩٣٦-٩٧٣ م » السفراء والسفارات مرارا ، وكان من اهمها وصول وفد السفراء الذين يمثلون «أوتو» الى قرطبة حيث احتفى بهم الناصر واستقبلهم رسميا في عاصمته الاندلسية الجميلة .

وتبودلت السفارات بين ملوك صقلية والايوبيين ، وبين دول اوروبا وملوك المماليك . وتوالت البعثات العلمية الغربية الى الاندلس ، ومنها بعثة الاميرة دوبانت بنت الامير جورج حاكم مقاطعة ويلز ، وبعثة الاميرة «اليزابيث» ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا وبعثة أسبانية ضمت نحو سبعمائة طالب. . ارسل ملك انجلترا جورج الثاني ابنة اخيه الاميرة « دوبانت » على رأس بعثة مؤلفة من ثماني عشرة فتاة من بنات الامراء والاشراف والوجهاء الى اشبيلية ، ومعهن رئيس موظفي القصر الملكي ، الذي حمل كتابا رسميا من ملك انجلترا الى هشام الثالث يقول فيه :

«من جورج الثاني ملك انجلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين هشام الثالث صاحب العظمة الجليل المقام في مملكة الاندلس .. انه بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقي العظيم ، الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فاردنا لابنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل ، لتكون بداية حسنة في اقتفاء اثركم ، لنشر انوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من اركانها الاربعة . وقد وضعنا ابنة شقيقنا الاميرة دوبانت على راس بعثة من بنات اشراف الانجليز ، لتتشرف بلثم اهداب العرش ، والتماس العطف ، لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب اللواتي سيتوفرن على تعليمهن . وقد ارفقت الاميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل ، ارجو التكرم بقبولها ، مع التعظيم والحب الخالص »

وبعث الخليفة هشام الثالث ملك اشبيلية ردا على هذه الرسالة جاء فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد

الحضارة العربية وتأثيراتها في أوروبا

لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وبعد : فالى ملك انجلترا ، لقد اطلعت على التماسكم ، ووافقت بعد استشارة من يعنيهم الامر على طلبكم، وعليه فانا نعلمكم بانه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين، دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي ،ولقد تلقيت هديتكم بسرور بالغ . وبالمقابلة ابعث اليكم بغالي الطنافس الاندلسية وهي من صنع ابنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاتنا ومحبتنا ، والسلام ، من خليفة رسول الله على ديار الاندلس : هشام»

وكانت الهدية التي حملتها الاميرة الانجليزية شمعدانين من الذهب الخالص .

واتصلت البعثات من الغرب الى ملوك عواصم الاندلس ، واصبحت طليطلة بعد ان استولى عليها الفونسو السادس عام ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م مركزا لنشر الثقافة العربية ، فقد انشا دايموندو اسقف المدينة ومستشار ملوك قشتالة مدرسة لترجمة المؤلفات العربية الى الاسبانية او اللاتينية وكانت هذه الترجمات هي التي تدرس في جامعات الغرب ومنها مؤلفات ابن رشد وابن سينا المترجمة وكان الفونسو السادس معجبا بالحضارة العربية حتى لقد لقب نفسه امبراطور الديانتين : الاسلام والمسيحية ،وصار الطلاب يقصدون طليطلة من كل مكان في اوروبا .

وحين سقطت صقلية في ايدي النورمانديين ظل العرب مقيمين فيها، واعتمد الامراء النورمانديون عليهم في شئون السياسة والاقتصاد والصناعة ، وكان بلاط الملك النورماندي روجر الاول ، وبلاط روجر الثاني حافلا بشخصيات عربية . وفي ظلال روجر الثاني عاش الشريف الادريسي اعظم الجغرافيين العالميين .

وعني فردريك الثاني ((٥٩١ ـ ٦٤٨ هـ ١١٩٤ ـ ١٢٥٠ م)) ملك صقلية بترجمة الكتب العربية ، وكان يحيط نفسه بحاشية كبيرة من العلماء المسلمين وهو الذي انشا جامعة نابلي عام ٦٢١ هـ : ١٢٢٤ م وترجم كتب ارسطو وابن رشد الى اللاتينية وارسل نسخا منها الى باريس وبولونيا ، وكان يعاصر الملك الكامل الايوبي الذي كان يشجع الادب والشعر والعلماء والادباء تشجيعا كبيرا ...

وكان فردريك ملما بالعلوم الفلسفية والعقلية ويعني باللغة العربية عناية خاصة وقد حرمه البابا لانه على صلة وثيقة بالمسلمين ومتأثر بالاراء الاسلامية وبالتقاليد والعادات العربية ، ويمتلىء بلاطه بالعلماء المسلمين .

ولقد اعتمد الناس في حياتهم في صقلية اثناء الحكم الاسلامي فيها ، وبعده ، على الحضارة الاسلامية اعتمادا كبيرا ، وينوه جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » بالحضارة العربية التي ازدهرت في ربوعها .

وهكذا كان تأثير الحضارة العربية الاسلامية في الغرب تأثيرا عميقا وممتدا على مرور الاجيال .

ولاشك ان انبعاث حركة النهضة الاوروبية كان مدينا لهذه التأثيرات العميقة للحضارة العربية الاسلامية في بلاد الغرب .

واثر الجاحظ والغزالي في «بيكون» و « ديكارت » اثر عميق وواضح .. وكان قيام المنهج العلمي في البحث، والاعتماد على التجربة ، وتقديم الشك ذا اثر كبير في نشأة الروح العلمية الجديدة ، وفي قيام العصر العلمي ، عصر الكشوف الرائعة في كل مجالات البحث .

ان اوروبا ، وكما تقول المستشرقة « هونكة » مدينة للعرب وللحضارة العربية في نهضتها الراهنة ، وفي ذلك ذكرى للذين ينسبون كل شيء للعقل الاوروبي ، ويتناسون فضل العرب على الحضارة والحياة الانسانية

●

أقداح الظامئات

● محمود العتريس ●

بليلٍ مواعيدنا المرتجاه ... بصمتٍ مصابيحه المطفأه
ببعض شراعٍ ... سقيم الخطى ... تجاهل ـ تحت الدجى ـ مرفأه
أعود مع الليل في موكب ... تعربد فيه الرؤى السيئه ..
تؤرقني حسرات الأسى ... على خطأ عشت كي أخطأه
على خطأ فيه كل المنى .. ... تنام وتكمن مستدفئه !
مخبأة في ضمير السكون .. ... الذي ليس يعلم ما خبأه !
تثور الأعاصير في حقله ... وتعبر واديه ... مستهزئه !
وتمضي سدى .. فنعاس الرضا ... يغلف عينيه بالتهنئه !
أعود ... لألعق سم الجراح ـ ... وأجتر أحلامي المهتراه !
على مضجع عنكبي السهاد ... كمحراب حب جفته امراه !
يطوف به في ضباب الضباب ... ضلال مواعيدنا المرجاه !
وينزف زيت مصابيحه .... فتأبى الليالي أن ترقأه !
هو الحب كيف ترى منتهى ... مداه ... ولسنا نرى مبدأه !
يدب دبيب الصبا في الضلوع ... ولم ـ يختبر مرة ـ موطئه
دعانا إلى كرمة .. خمرها ... عن السحر في جوفها معلنه
تجاذبنا الشوق عبر المدى ... وتبدى من المشتهى أفتنه
بمدرجة الوهم ... خلف السراب ... وخلفه تلافيفه المعنه
تثور النجوم إذا ما سرينا ... إليها ... وتصرخ مستهجنه !
وتبتئس الشمس .. لو طالعتها ... ظلال خطى سعينا الموهنه
وحتى إذا لاح فوق العباب ... شعاع .. على لجة محسنه
تصدى له الليل .. تحت الشراع ... وغلق ـ في قسوة ـ أعينه !
وعدت مع الصمت في موكب ... تحلق فيه الرؤى المحزنه
تحرقني جمرات الأسى ... على خطأ .. كدت أن أعلنه !
على خطأ ..... بعض مراره ... دواء جراحاتنا المثخنه .. !
وأسفح أقداح الظامئات ... بقلب .. عذاب المنى غضنه !
على مذبح الوهم .... في هيكل ... ظلال الأسى خنقت أرغنه !
وتبقى مواعيدنا كالهباء ... ... تروح .. وتغدو .. بلا بينه !
تقاذفها في دروب الضلال .. ... رياح .. لها في الدجى هيمنه !

ناس وصور وحكايات

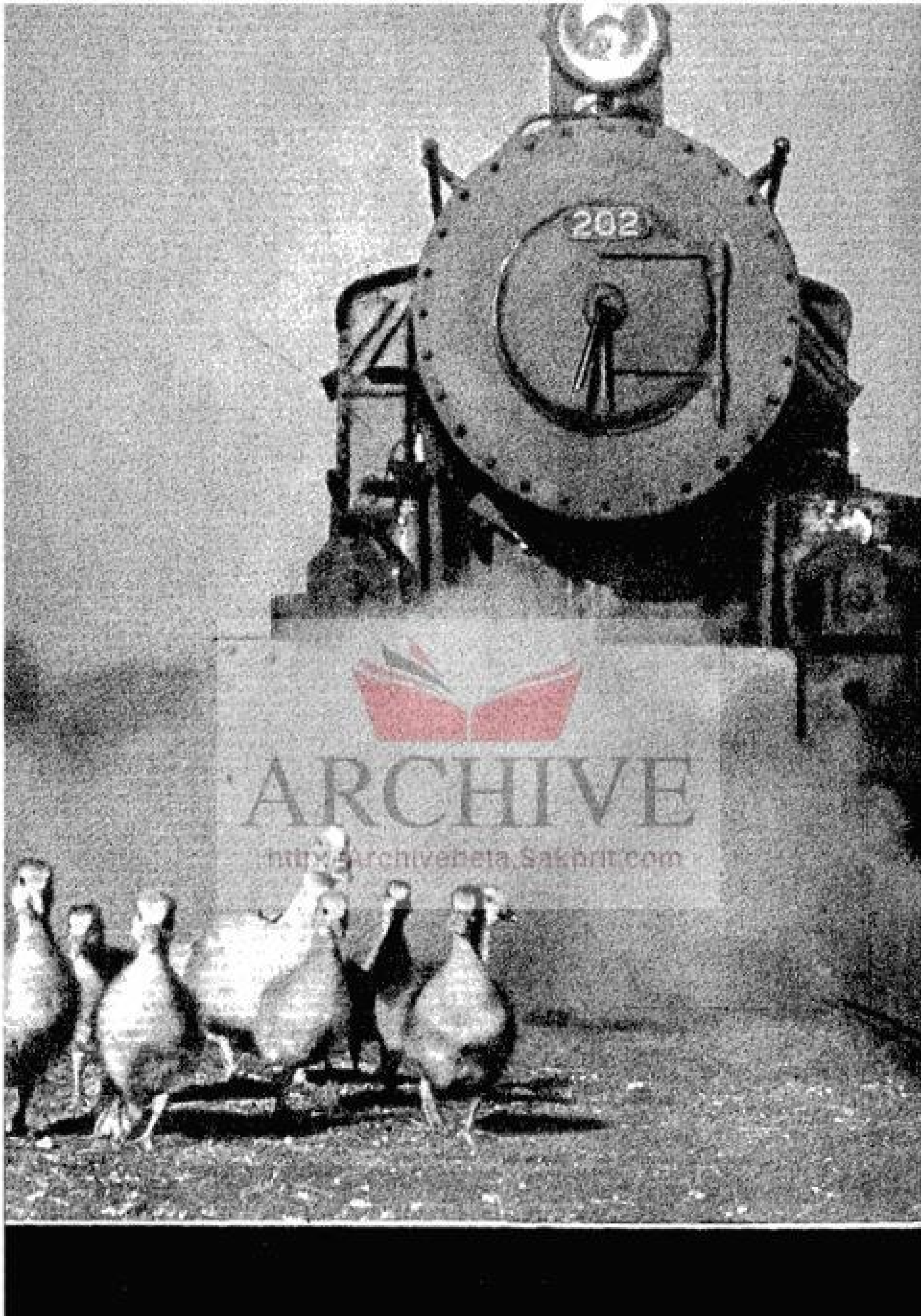
القطار ينتظر الأوزات

الاوزة طائر داجن وقور ، فهى لا تسير الا على مهل ، ولا تتحرك الا فى دلال ومزاج . ومن اجمل مناظر الريف منظر قطيع من الاوزات يسرن فى تؤدة ودلال كانهن « هوانم » محترمات ..

وفى قرية من قرى المانيا كانت مجموعة من الاوزات تتبختر على شريط السكك الحديدية عندما اقبل القطار يزمجر وينفث بخاره ويحدث ضوضاءه التى تصم الآذان ..

ولكن الهوانم الاوزات لم يكترثن للقطار . ولا من اقمن لزمجرته او لبخاره وزنا . بل مضين فى هدوء ودلال ..

وتوقف القطار وانتظر حتى عبرت الهوانم شريط السكك الحديدية بسلام ، ثم واصل سيره .


202

ناس وصور وحكايات

هذا الجنتلمان الوديع ارتكب أبشع جنايات العصر



لا شك فى ان مصرع رئيس وزراء ايطاليا السابق الدو مورو كان من ابشع جرائم العصر ، لقد اختطف الرجل وعذب طويلا حتى الموت ، ثم وضع وهو يحتضر فى حقيبة سيارة تركها القاتل قرب مركز للبوليس فى مدينة روما امعانا فى القسوة والاجرام .

وكان المظنون ان الذى ارتكب هذه الجناية البشعة رجل او نفر من الفرق الحمراء من الارهابيين المعروفين .. ولكن رجال البوليس الايطالى والبوليس الدولى - الانتربول - ملكتهم الدهشة عندما قبضوا على المجرم اخيرا . فاذا هو جنتلمان انيق وسيم وديع ، كان يعمل فى مصرف فى روما ويمضى فى حياته دون أن تبدو عليه بادرة عنف او قسوة .. ولكنه دبر الجناية فى صمت ونفذها فى هدوء . وطوال الفترة التى قضاها الدو مورو سجينا فى قبو تحت الارض تحت التعذيب والضرب والتجويع كان هذا القاتل واسمه فرانكو بيرو يسير فى حياته الروتينية دون أن يلحظ احد عليه شيئا : يفرغ من عمله فى البنك ثم يمضى بهدوء الى منزل خرب استأجره قرب روما وفى قبوه احتجز رئيس الوزراء المسكين ومضى يعذبه .

ولم يترك بيرو عمله الا بعد ان ضاقت من حوله حلقة المطاردة ، ففر الى باريس بجواز سفر مزيف ، وغير شكله ولكن ذلك كله لم يغن عنه شيئا ، فقد وقع اخيرا فى قبضة العدالة .

سجن صحفي وخصم ثلاثة شهور من المرتب



تبو لانج صحفي المانى نابه . يكتب فى مجلة المانية شعبية تبيع نحو ستة ملايين نسخة فى الاسبوع ، لانها تخصص معظم صفحاتها لسوق الوظائف فتنشر صفحات بعد صفحات من عروض طالبى الوظائف وصفحات كثيرة أخرى من طلبات الوظائف .

وقد قرأ ذلك الصحفى نبأ مصورا مفاده أن الامير شارل ولى عهد بريطانيا زار سجن مدينة كارديف فى انجلترا للاطلاع على أحوال السجون والسجناء والالمام بالظروف السائدة هناك . وذلك ضمن الخطة التى توضع لامثاله من أولياء العهود لدراسة أحوال البلاد .

وجد الصحفى الطموح تبو لانج مع الخبر صورة للامير شارل داخلا السجن فخطر بباله ان يخبط خبطة صحفية ترتفع به الى القمة .. فنشر الصورة فى حجم كبير على الصفحة الاولى تحت عنوان مثير : الامير شارل يدخل السجن !

وارتفع بيع الصحيفة ذلك الاسبوع، ولكن نقابة الصحفيين فى وستفاليا فى غربى المانيا أرسلت خطابا شديد اللهجة الى الجريدة ، وقالت ان نشر الخبر والصورة على هذا النحو يجافى العرف والادب الصحفى ، وطلبت الى ادارة الجريدة توقيع عقوبة على الصحفى ، وبالفعل اجتمع مجلس الادارة وقرر خصم ثلاثة شهور من راتب الصحفى مع التنبيه عليه بعدم العودة الى خطأ كهذا .



نهم الجماهير الى العنف

تسلية جديدة يزداد الاقبال عليها في بعض بلاد اوروبا وامريكا ، وهي تسلية رؤية الكلاب المتصارعة تتصارع حتى الموت، وهم يدربونها على القتل بأساليب غاية في الوحشية ، لان العادة في الحيوان انه لا يقتل ابن جنسه الا في النادر ، فاذا كانت المعركة بين نمر ونمر مثلا ، فان النمر الاضعف عندما يحس بهزيمته يستكين ويجمع امام خصمه ويظل ساكنا ، فيتركه هذا ويمضي ..

ولكن الانسان لا يزال يغري الكلب المتصارع بالاستمرار في الصراع حتى يقتل خصمه ، بالضبط كما يفعل اصحاب الديوك التي تخوض معارك الصراع وفي اظافرها اظافر اخرى من الصلب المسنون لتكون القتل والعنف ..

ترى ما سبب ولع الانسان بالقسوة والعنف وتلذذ الكثيرين من الناس بمناظر القسوة والدماء من ايام مصارعات الاسود والاسرى ايام الرومان الى مصارعات الديكة والكلاب الضارية في ايامنا ؟



ناس وصور وحكايات

وفوق كل ذى طول .. طويل

بيورن بورج بطل التنس العالمى يعتبر عملاقا ، لان طوله ١٨٢ سنتيمترا ، وهو يعتبر ضمن من يسمونهم بالسوبرمان .

ولكن هذا السوبرمان تضاءل عندما وقف الى جانب لاعب كرة السلة الامريكى ويلت تشيمبرلين ، لان طول هذا الاخير ٢١٨ سنتيمترا ، اى ان طوله ضعف طول الكثيرين منا ، ولو وقفنا نحن الى جواره لاصابتنا عقـدة نقص يصعب التخلص منها ، ولكننا على اى حال نحمد الله لان ويلت تشيمبرلين يعانى من هذا ، فهو لا يجد سريرا يسعه فى اى فندق ينزل فيه ، ولهذا فهو يحمل معه فى حقيبته تكملة للسرير ، يضعها ليمد قدميه الطويلتين عليها ! ..

البيان والحُسن

• عبد الله الانور فواز •

تحدث الناس عنهما يوم اللقاء وعنا
وقيل « جاء بليلى » ووصفها — يتغنى
حتى ملا كل سمع فيها بيانا وحسنا

***

وما عليك — إذا ما راحوا بذاك ورحنا
ألست أهواك حقا بالرغم منهم ومنا ؟
ألست فيك أكنى معاشرا لا تكنى ؟
لولاك ما كنت أدري بهم ولا كنت أعنى

***

أنا الذي صرت في الحب مفردا لا أثنى
إذا رآني لبناني تهامسوا « قيس لبنى »

***

تشابه الليل عندي فيك اضطرابا وأمنا
والعيش فيك تساوى عندي سرورا وحزنا
وما أرى مذ تناءيت بين ضدين « بينا »
أفنيت فيك سكون الدجى — خيالا وفنا
وقد قطعت الليالي سهدا وبعدا وأينا
حتى لقد كاد عمري تقضى شكاة وأنا
وخلت أن حراما علي أن المعنى
كم قيل .. أنت شقي وقيل « أنت مهنى »



قصة إسلامية

حلم السنابل

• محمد أبو الخير •

لم يستطع ان يدرك ان كان قد افلى وتلك رؤيا ترمز الى مستقبل تكون فيه الحياة ناعمة ، ام ان خواطره سبحت بعيدا فتداخل حلم اليقظة فى اطار صورة روحية مشرقة ...

كان قد صحا من نومه ، لكنه بقى فى فراشه، فقد اوحت اليه حاسة الزمن ان الفجر لم يحن بعد ، لم كانت الرؤيا او حلم اليقظة : شىء يدعو الى الارتياح ان تحمل راحته حفنة من القمح وان يبذرها ، فسرعان ماتجود بالخصب ، وتتمايل السنابل بالاعواد الخضراء ، ثم يأتى وقت الحصاد فاذا السنبلة الواحدة تحمل مائة حبة او اكثر .

ونهض بعد أن استعرض مارأى .. استوى جالساً فى فراشه . التفت ناحية السراج المعلق على الجدار المقابل فشدته الظلال التى كانت تتمايل بفعل هواء يتسلل من شرخ فى النافذة .

كان حديث عهد بالدين الجديد وان كانت اعماقه تنبض بمشاعر من ولد فى احضان الايمان ...

ونهض الى وضوئه ثم خرج من داره فاستقبله اذان الفجر وواكب ايقاع خطواته . ولم يكن المسجد قد بنى بعد ، فسعى ليصلى مع رجال الحامية .

بعد الصلاة ظل مكانه يردد ماحفظ من تسابيح وادعية ويستلهم مارعت الذاكرة من آيات كتاب الله ، وعلى حين غفلة مرت به اطياف حلمه لتعلق بها .

لما طالت جلسته اراد جندى ان يذهب اليه، لكن قائد الحامية اشار الى الجندى أن يدع الكردى العجوز وما يفعل فلبث مكانه حتى اخذت اشعة شمس اليوم الجديد تطل من بين تلافيف السحب ، وهنا بدأ التساؤل يدور فى حنايا قائد الحامية بل وجد نفسه يسعى الى العجوز، ولم يكد يقترب منه حتى بادره : ياولدى ، فى القرآن الكريم آية لم استطع أن احفظها .. اعنى تلك التى تذكر الحب والسنابل .

تلا عليه قائد الحامية الاية فى خشوع ، فاستعاده ، فقرأ ، ولم يكد يفرغ من التلاوة حتى نهض الكردى العجوز بعد أن تحامل على عصاه واخذ يردد : نعم ، نعم هى .. هى بعينها ... وأين أجد سلمة بن قيس قائد الجيش ؟.

اختلط الامر على قائد الحامية وكان بعض الجنود قد اقتربوا وسمعوا ، فبادلوا قائدهم العجب من هذا الذى يسأل عن آية من القرآن ، ثم يسأل بعدها عن قائد الجيش ولا يفصح عما يريد ؟..

تراهم السلام ومضى بعد ان قال يخاطب نفسه! سلمة بن قيس على بعد فرسخين او اكثر قليلاً،

تطلع الجند الى وجه قائد الحامية فاسرع هو ليتطلع الى وجوههم ، ثم التأتوا جميعا على شىء آخر شغلهم ونشر على شفاههم البسمات اذ اخذوا يتابعون الكردى العجوز وهو يريد أن يركض ، فمرة يستطيع واخرى يتراجع ويسير على مهل ، وكانما يبحث عن شىء يستند اليه .

●●●

كان الضحى قد ارتفع حين رأى الحارس الذى يقف عند باب خيمة قيس عجوزا كرديا ينزل عن جواده ليكاد يسقط ، ثم يحاول ان يحمل رحلا فلا يستطيع ، فدفعته مشاعر انسانية لمساعدة ذلك الشيخ ، امسك بذراعه .. حمل عنه الرحل ثم سأله عما يقصد فلما علم انه يريد مقابلة القائد ، سأله عما فى رحله ، ورغب فى ان يكشف عنه ، لكن الكردى دفعه عنه وجذب منه الرحل فى قوة ، وعلا صوته وهو ينصح الجندى الا يتعدى الحدود المرسومة . وعبثا حاول الجندى ان يقنعه ، فلما اعياه الامر ادخله على قيس وهو يراقبه فى حذر .

التي الكردي السلام ثم جلس بجانب رحله حتى استرد انفاسه ، لكنه كان يختلس النظرات الى قائد الجيش كأنما يحاول ان ينفذ الى داخله .. امسك سلمة بالكلمات التي تدافعت ومنعها من ان تنطلق وتسأل الكردي عن حاجته ، فلما ازداد به العجب وطال صمت العجوز قال له : اراك ياوالدي متعبا قلقا ، وازعم ان حاجة جاءت بك ...

- اهمل الكردي ماسمع ثم أخرج من رحله صندوقا قدمه الى سلمة وقال : في هذا الصندوق قدر من الحنطة اريد ان ابذره في ارض الله .. ابعث به الى بيت المال هناك عند خليفة المسلمين .

غالب سلمة خواطره ولم يشأ ان يعلق بكلمة قبل أن يرى مافي الصندوق ، فرفع الغطاء عنه ، ولم يكد يرى مابداخله حتى ارتد بصره بل انعقد لسانه ... هاله مارأى من الدر والياقوت وانواع شتى من احجار كريمة !

افاق سلمة على نظرة وادعة وبسمة راضية التمعت على وجه الكردي ، وبدا يحيي فيه استجابته للدين وتضحيته من اجل المسلمين ، لكن الكردي استأذن وطلب يد ابن قيس ليشد عليها مودعا ...

***

حين كان الكردي العجوز يهدهد من حركة جواده حتى يركن به الى مكان مرتفع بجوار داره كيلا يفزه الوثب - حينذاك كان سلمة قد عقد مع مستشاريه اجتماعا لينفذ وصية الرجل الذي أذهلهم بسخائه ...

كان الكردي لا يزال يعيش نشوة روحية تغمره بعد ان اعطى كل مالديه في سبيل الله .. كان يسير بجانب قناة صغيرة حين لمح قائد الحامية التي ترابط عند مدخل المدينة الصغيرة التي يعيش فيها .. وناداه قائد الحامية فذهب اليه ولم يكد يقترب منه حتى توافد كثير من الجند ، وكم رجه الذهول حين رآهم جميعا يمدون اليه الايدي وفي راحة كل منها جوهرة او ياقوتة او حجر كريم . وخدع الكردي نفسه أول الامر ، لكن لم يلبث أن سمح للدمع بأن يندي عينيه ، بل ركن الى شجرة وأجهش بالبكاء .

عاش الكردي الشيخ بقية يومه يتدبر الامر وقد تسلل من داخله ذلك الهدوء الذي أحس به في الايام الماضية . كان لا يدري ماذا سيفعل ..

في الليل لم يسترح الى الفراش ، يرقد فتجذبه الرغبة الى الجلوس . يجلس فيدفعه القلق الى الاضطجاع ... شيخوخته نفرت من الدفء والغطاء .. اطراف اعصابه بدأت تلتهب .. سخونة مخلوطة بقشعريرة اخذت تناوشه .

واخيرا ترك فراشه ، قد يجد في الوضوء والصلاة بردا وسلاما ..

صلى ركعات وركعات ثم نهض الى النافذة .. فتحها فأوحت اليه حاسة الزمن ان الفجر يوشك ان يأتي فبحث عن عصاه ثم خرج .

في هذه المرة صحب جواده ، لم يركبه بل امسك بلجامه ومشى يقوده .

وسعى ليصلي الفجر مع رجال الحامية ،فلما فرغ من صلاته بقي مكانه مع الذكر والتسبيح ولهفة في داخله تمد ذراعها الى خيوط ضوء الصباح تريد ان تشدها من بين تلافيف السحب العالية التي تتحرك .

لما زاد به القلق ترك مجلسه ثم ذهب الى جواده وتمايل عليه حتى تثنى ساقيه الاماميتين فاعتلى ظهره وانطلق به يريد سلمة بن قيس ليعاتب ويحاسب .

استقبله الحارس المنوط بخيمة سلمة بابتسامة لم يلتفت اليها .. افسح له الطريق في شيء من الاكبار .

وقف سلمة ناشرا ذراعيه مرحبا فأهمل الكردي الترحيب ، وبدا واضحا انه يخفي مشاعر الضيق ...

ورفق به سلمة وسأله في تودد ظاهر عما يضايقه ، فتقطب وقال : كيف فعلت ما فعلت ياسلمة !! . كيف تبعثر الكنز الذي ورثته عن أبي وجدي وخرجت على سنة العائلة فلم أقدمه الى اكبر ابنائي !!

ادرك سلمة ان الكردي قد اساء به الظن فاستدعى حارس خيمته وطلب اليه ان يأتيه بأحد كبار مستشاريه ..

جيء بذلك المستشار ، رجل وقور تنضح ملامح وجهه بالسكينة .

قبل ان يكشف الكردي عن عجبه ودهشته اسرع سلمة ليطلب الى مستشاره هذا ان يقص ماحدث من امير المؤمنين عمر بن الخطاب .

سمع الكردي ماسرده الرجل فاوما الى نفسه .. هز رأسه كثيرا ثم قال : لله درك يابن الخطاب يأتيك الدر والياقوت وانت بين الفقراء تطعمهم اللحم والثريد ثم تعود الى بيتك فتأكل الخبز المصنوع بالزيت والملح .. تطلب زوجتك ام كلثوم ان تكسوها كما كسا الزبير امرأته ، وكما كسا طلحة امرأته ، وبين يديك كنز من الجواهر فترفض ان تمدها بثمن الكساء وتقول لها : « أومايكفيك انك ابنة علي بن ابي طالب وزوجة امير المؤمنين عمر ! »

واكمل الرجل الذي استدعاه سلمة ورفع صوته وهو يواجه الكردي العجوز بكل وجهه بل امسك بكتفه فهزه خفيفا وقال : « بل صاح بي عمر حين رفع غطاء الصندوق ورأى الدر والجواهر : لا اشبع الله اذن بطن عمر !.. اسرع ، واسرع الى حيث كنت ... والله لئن تفرق المسلمون قبل ان تعود الى سلمة ويقسم بينهم هذه الجواهر لانزلن بك وبه اشد العقاب .

عن الوحدة العضوية للقصيدة

حوار حول مضمونها النقدى

● د . محمد احمد العزب ●

— ۱ —

● تتمثل « الوحدة العضوية » للقصيدة فى وحدة المشاعر التى تستقطبها ، وفى كيفية ترتيب الصور والافكار ترتيبا متناميا تتخلق من خلاله القصيدة تخلقا عضويا طبيعيا ، يفضى فيه كل جزء الى وظيفته افضاء متسلسلا ، بحيث تصل فى النهاية الى بنية حية للقصيدة ، تشابه تماما بنية الكائن الحى ، فى تساوقها وانسجامها وتشكيلها الطبيعى ، فلايتلكا الشاعر بعد فراغه من استقصاء خاطر والافضاء الى رصد خاطر آخر فى متاهات العودة الى الخاطر الاول هكذا فى اضطراب فكرى غير متسق المسار ..

ان ترتيب الافكار والاحساسات على اساس من منطقيتها او سببيتها هو الذى يعطى العمل الشعرى — الغنائى والقصصى — مبرر وجوده التلاحم على نحو عضوى .

واذا صح فان الوحدة العضوية قد تقوم على أساس من الوحدة الموضوعية، الا أنها تتجاوز وحدة الموضوع الى وحدة البناء العضوى الذى لا يستقل فيه بيت عما سبقه وما لحقه، ومع ذلك فينبغى أن نفهم (الموضوع) فهما شعريا بعيدا من جفاف الفهم النثرى المحدد للموضوع لانها — اى الوحدة الموضوعية — ترشح احساسات من جنس واحد ، وتثير افكارا من نوعية واحدة ، وتحدث آثارها فى المتلقى على نحو متقارب ، ممايؤهل بالفعل ، فى ظلال هذه الابعاد الثلاثة ، لميلاد الوحدة العضوية التى تصبح نتاجا طبيعيا لوحدة الاحساس ووحدة التعبير ووحدة الاثر .. اى وحدة الربط الموضوعى والنفسى بين موجات القصيدة فى مدها وانسياحها جميعا .

— ۲ —

والوحدة العضوية فى الشعر المسرحى وفى الملاحم ارسخ منها فى الشعر الغنائى، ومقاييسها اوضح ، لان الترتيب والاحداث وتعاقب المناظر او الاجزاء يجرى فى المسرح والملاحم على نظام ينهار العمل اذا اختل .. اما وحدة القصيدة الغنائية فمرجعها الى ترتيب اجزاء الفكرة ، وتنامى الصور ، ودلالة كل اولئك على طبيعة المد الشعورى فى نظام منطقى عند غير الرمزيين ، وعلى نظام نفسى ايحائى عند الرمزيين .

— ۳ —

وفى النقد العربى القديم ، فطن بعض النقاد الى قيم قريبة من الوحدة العضوية ، ولكن فهمهم لهذه الوحدة كان أقرب الى الحرص على وصل الصور ، أو « التحام الاجزاء » فى عمود الشعر ، اما وحدة التجربة التى توثق عرى الاجزاء حتى تصير كلا واحدا ، فهذا مالم يفطنوا اليه الا قليلا .

بدليل أن ابن طباطبا — مثلا — يرى أن قصارى الشاعر فى وصل الاجزاء أن يصل كلامه — على تصرفه فى فنونه — صلة لطيفة « فيتخلص من

الغـــزل الى المديح ، ومن المديح الى الشكوى ، ومن الشـــــــكوى الى الاستماحة ، ومن وصف الديار والآثار الى وصف الفياف والنوق .. بالطف تخلص وأحسن حكاية ، بلا انفصـــال للمعنى الثاني عما قبله ، بل يكون متصلا به وممتزجا معه » ..

اى أن التجربة الشـعرية الواحدة هنا مفقودة أو تكاد ، وكل ما يسعى اليه الشاعر هو وصل هـــذا الشيء المتجاور من الاحساسات المتغـــايرة التى أوحى بها مجرد التداعي وليست حس البناء .. ولكن هذا لم يمنع أن يشير بعضهم الى قضية الوحـــدة العضوية اشارات ذكية .

فالحاتمي يضع أساس النظر الحقيقي الى الوحدة العضوية على مثل هـــذا النحو الدقيق : « القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أعضـــائه ببعض ، فمتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صـــحة التركيب ، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفي معالم جماله » .

وابن قتيبة يؤكد على ضرورة ارتباط أبيات القصيدة وانضوائها في وحـــدة فنية ، وعلى نوع من العلاقة المضمونية بين الأبيات في داخل الجزء الواحد من القصيدة ، بحيث ينتفي التكلف الذى « ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضـــموما الى غير لفقـــه » ..

ويوشك ابن قتيبة أن يؤسس بعض نظراته النقدية على قيمة « التجربة » في القصيدة ، مشـيرا الى أن اختلال هذا الأساس يترك العمل الشـــعرى مجوفا ومتراخي البناء .

***

وابن طباطبا يعطي تصورا أشمل للوحدة العضـــوية في بعض ما قاله ، مثل قوله : « وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما ينسق به أوله مع آخره ، على ما ينسقه قائله ، فان قدم بيت على بيت دخله الخلل ، كما يدخل الرسائل والخطب اذا نقض تأليفهـا ، فان الشعر اذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها ، وكلمـــات الحكمة المستقلة بذاتهـــــا ، والأمثلة السائرة الموسـومة باختصارها ، لـم يحسن نظمـــــه ، بل يجب ان تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة ، في اشتباه أولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصـــواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعاني خروجا لطيفا . .حتى تخرج القصيدة كأنهـا مفرغة افراغا .. لا تناقض في معانيها ولا وهي في مبانيهــــا ، ولا تكلف في نسجها » ..

ومثـــــل قوله كذلك : « وينبغي للشاعر ان يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاوره أو قبحه فيلائم بينها ، لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعـل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فصلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسى السامع المعنى الذى يســـوق القول اليه ، كما انه يحترز من ذلك في كل بيت ، فلا يباعد كلمة من أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشـــو يشينها ، ويتفقد كل مصراع : هـــل يشاكل ما قبله ؟ فربما اتفق للشـــاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر ، فلا يتنبه الى ذلك الا من دق نظره ولطف فهمه » .

وهكذا نرى أن النقد العربي القديم، وان كان لم يقدم نظرية كامـــــلة في «الوحدة العضوية » للقصيدة الشعرية فقد قدم مجموعة متنافعة ومتطورة من النظرات الصائبة في هـــذا الاتجاه ، وبدهي انه لا يحاكم بمنطق العصر الثقافي الذى نحياه، ولا بمعايير النقد اليوناني السابق عليه ، فلكل لغة مقاييســـها الخاصة ، ولكل عقل مناشطه الذاتيـة والموضوعية التى يختلف فيها عن غيره من العقول السـابقة عليه واللاحقة له .

عن الوحدة العضوية للقصيدة

ولكل عصر كذلك قيمه الفنية والنقدية واللغوية والحضارية حتى في مجرد النظر الى ظواهر الاشياء .

— ٤ —

وفي النقد الغربي الحديث تغير الوضع تغيرا شاملا في فهم قضية الوحدة العضوية، كما تغير بنفس الدرجة الشعر الغربي الحديث كذلك ، فالوحدة المتجانسة التي تتوافر في القصيدة على اساس من منطقية الربط لم تعد هي اللون الوحيد الذي يحتل الساحه الفنية فقد تنتقل القصيدة الحديثة من خاطر الى خاطر نقيض لتفجا المتلقي وتثير فيه عناصر الدهشة والغرابة ، ومع ذلك فالقصيدة لا تفقد وحدتها العضوية من خلال هذا الجدل على الاطلاق .

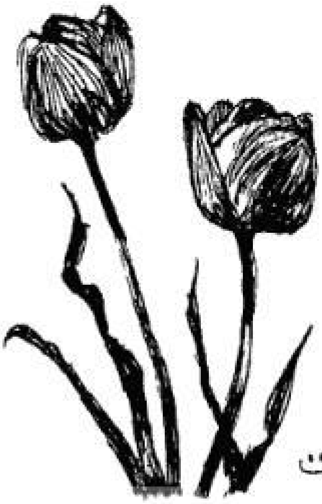
وربما كان الشاعر الحديث يشيع في قصيدته هذه لونا من الشعور الكلي المسيطر الذي يعمل من خلال الفعل ورد الفعل على السواء ، او من خلال الشيء ونقيضه معا ، وهذه قدرة الشاعر الحقيقي الذي لايفلت المتلقي من تنويمه في غنائه له.. وقد تمهد الحركة النقدية الحديثة في تبرير هذا السلوك الشعري الى القول بان مظهر التشوش الفكري الذي يخلقه الشاعر الحديث في ادواته التعبيرية هو اتجاه عمدي لفضح عوالم النفس الغامضة المتشابكة التي ترتد في نماها الوجودي هي الاخرى من النقيض الى النقيض .

يقول رامبو : « روضت نفسي على خلق الاحلام الوهمية البسيطة ، فكنت ارى في جلاء مسجدا في مكان مصنع، وجوقة لضرب الدفوف افرادها من الملائكة ، وعربات صغيرة متحركة المقاعد تسير في طرق السماء ، وحجرة استقبال في قاع بحيرة، تاجد في النهاية ان هذا التهويش الفكري اكتسب صفة التقديس » .

واذن فالوحدة العضوية هنا نفسية ضاجة بالمفاجآت الايحائية ، ولست نفسية تسير على اساس من التداعي الذي تدفع اليه حياة الشاعر الواقعية كما كانت في الشعر العربي القديم.. ربما لان الفكر النقدي الحديث يحتضن هذا الاتجاه في الابداع ويرى انه « ليس من الضروري ان ترتبط الصور ارتباطا منطقيا .. وانما توجه بقوة الحس الى عواطف القارىء واحاسيسه » .

ويرى « كولردج »أن « الخيال »هو وحده القادر على تنظيم شتات هذا النثم من العواطف والافكار في القصيدة الواحدة ، وتوظيفها جميعا في اداء ايقاع متناغم متلاحم . يقول كولردج: «الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة او احساس واحد ان يهيمن على عدة صور او احاسيس » في القصيدة» ليحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر .. وهذه القوة التي هي اسمى الملكات الانسانية تتخذ اشكالا مختلفة ، منها العاطفي العنيف ، ومنها الهادىء الساكن ، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الاشياء الكثيرة » بينما نفتقد هذه الوحدة في وصف الرجل العادي الذي لا تتوافر لديه ملكة الخيال لهذه الاشياء ، اذ نجده يصفها وصفا بطيئا الشيء تلو الشيء باسلوب يخلو من العاطفة ، وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال انما تشبه الوحدة التي تخلقها الطبيعة ذاتها ، التي هي اعظم الشعراء جميعا ، فبينما نفتح اعيننا على منظر طبيعي منبسط امامنا انما نشعر بوحدة هذا المنظر » .

ويتفق جميع النقاد الفلسفيين في كل العصور ــ كما يقول كولردج ــ مع الحكم النهائي الذي كونه الناس في جميع الاقطار ، على رفض ان تكون القصيدة سلسلة من الابيات او من الاسطر الموزونه التي يستاثر كل منها وحده



ن

بانتباه القارىء التام ، وبذلك يفصل نفسه من السياق ، او ان تكون تاليفا غير سوى يخلص القارىء سريعا بالنتيجة العامة منه ، ولا يجتذبه فيه اى من الاجزاء التى يتألف منها .

— • —

وقد تركت حركة العقل النقدى الاوروبى الحديث تأثيراتها الغائرة في العقل النقدى العربي الحديث ، في قضية « الوحدة العضوية » كأساس نقدى تحاكم الظاهرة الشعرية المعاصرة على ضوئه وربما كان هذا التأثير قد بدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر وأهنا متواضعا لترك بعض انطباعات نقدية في فكر آحاد من النقاد الذين فطنوا الى مآق هذه الثقافة الاوروبية من غنى حقيقى ، وربما امتد هذا التأثير منذ مطالع القرن العشرين ليصير جزءاً من البنية النقدية العربية العامة ، يحرك اتجاهاتها في اتجاهه ، ويجسد مقولاتها بما يلقى اليها كل يوم من كشوف تثير فيهما نوازع اليقظة وبواعث الطموح .

ولعل شيخنا الجليل ، الشيخ حسين المرصفى ، صاحب « الوسيلة الادبية » يكون من طلائع الرواد الذين فطنوا الى الوحدة العضوية في القصيدة الحديثة فنظر الى الابيات « كقيم جمالية » تؤلف في مجموعها « قيمة جمالية » واحدة هي القصيدة ، فقال : « انظر هداك الله أبيات هذه القصيدة فافردها بيتا بيتا ، تجد ظروف جواهر افردت كل جوهرة لنفاستها بظرف ، ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق ، فانك لا تجد بيتا يصح ان يقدم او يؤخر ، ولا بيتين يمكن ان يكون بينهما ثالث » .. وهي ضربة معول باكرة فجرت النبع وعبدت الطريق .

وقد نقف على آثار هذه الدعوة خليل مطران في مقدمة ديوانه الشعري . فحمل الى الحياة الادبية فهما جديدا لمضمون هذه الوحدة العضوية ونالها جميعا . ولعل قيمة الدعوة المطرانية تأخذ قيمتها النهائية من وضعية مطران الفنية كشاعر يتبنى القضية النقدية ويبدع على أساسها النقدى شعرا تتلاحم فيه عناصر هذه القضية .. يقول مطران : « .. هذا شعر ليس ناظمه بعبده ولا تحمله ضرورات الوزن او القافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ولو انكر جاره وشاتم اخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام ، بل ينظر الى جمال البيت في ذاته وفي موضعه ، والى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها ، وفي تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصوير ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعور الحر ، وتحرى دقة الوصف واستيفائه فيه على قدره .

ثم مضى مطران يطبق هذه المقولات

النقدية فى شعره ، فوفق من ذلك الى كثير رائع فى شعره القصصى ، واخفق من ذلك فى كثير هائل من شعره الغنائى ، وليس هذا راجعا الى توفيقه هنا واخفاقه هناك هكذا بلا مبرر فنى معقول ومقبول ، ولكنه راجع الى طبيعة النوع الشعرى الذى عالجه مطران ، فهو فى النوع القصصى قد امتلك حس الوحدة العضوية لان الانتقال فى هذا اللون من فكرة الى فكرة ومن موقف الى موقف يساعد على امكان هذا الامتلاك .. اما فى النوع الغنائى فقد افتقد كثيرا هذه الوحدة العضوية لان الفكر الغنائى بطبيعته غير قابل للتسلسل المنطقى ، او الانتقال السببى بقدر ماهو قابل للتقافز على تخوم الاشباه والاضداد فى اطار عام من تشابه الحس أو وحدانية الوجدان .

ولكن الوحدة العضوية ، كفلسفة نقدية ، لم يفطن اليها فى النقد العربى الحديث على نحو منهجى معلل غير ثالوث الديوان العظيم : العقاد وشكرى والمازنى ، فقد فلسفوا هذه القضية واصلوا لها فى الفكر النقدى المعاصر ، وخاضوا تحت رايتها معارك ضارية ضد اتجاهات شعرية ونقدية كانت سائدة قبلهم وفى حضورهم التاريخى ، لعل من ابرزها اتجاه المحافظين بقيادة شوقى وحافظ ، ومن سار على نهجهما الشعرى وهم كثير كثير .

ومهما يكن من شىء فقد الام رواد مدرسة الديوان للوحدة العضوية بناءها الفكرى المتكامل الذى اصبحت به ليس مجرد سوانح تعرض فى قول هنا او ايماء هناك ، وانما بناء نظريا يشتبك بالجدل مع الاضداد على اسس فكرية واعية تماما .. وبديهى ان تاثرات عميقة وفدت على مدرسة الديوان فى فهمها لقضية الوحدة العضوية من الفكر النقدى الغربى بعامة ، والفكر النقدى الانجليزى على وجه الخصوص . ولكن نقاد الديوان لم يستسلموا تماما لروح النظرة الغربية لا فى هذه القضية ولا فى غيرها من القضايا الاخرى ، ولكنهم لونوا كل القضايا بفهمهم الذاتى المستقل ، وبروح التحدى الحضارى الذى سلحوا به انفسهم ، وكان سمة من ابرز سماتهم النقدية الصميمة .

وقد اعطى العقاد بالذات لهذه القضية تفصيلات عميقة مستقصية ، فقال : « القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر او خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال باعضائه ، والصورة باجزائها ، واللحن الموسيقى بانغامه ، بحيث اذا اختلف الوضع او تغيرت النسبة اخل ذلك بوحدة الصنعة وافسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من اجهزته ، ولا يغنى عنه غيره فى موضعه الا كما تغنى الاذن عن العين ، او القدم عن الكف ، او القلب عن المعدة . او هى كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ولا قوام لفن بغير ذلك » .

ويقول : « ومتى طلبت هذه الوحدة العضوية فى الشعر فلم تجدها فاعلم انه الفاظ لا تنطوى على خاطر مطرد ، او شعور كامل الحياة ، بل هو كامشاج الجنين المخدج شبيه ببعض ، او كاجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة لا يتميز لها عضو ، ولا تنقسم فيها وظائف واجهزة ، وكلما استفل الشىء فى مرتبة الخلق صعب التمييز بين اجزائه » .

ويقول : « انك كلما شارفت فترة من فترات الاضمحلال فى الادب الفيت تشابها فى الاسلوب والموضوع والمشرب ، وتماثلا فى روح الشعر وصياغته ، فلا تستطيع مهما جهدت أن تسم القصائد بعناوين واسماء ترتبط بمعناها وجوهرها لما هو معروف من ان الاسماء تتبع السمات ، والعناوين تلصق بالموضوعات ، ورايتهم يحسبون البيت من القصيدة جزءا قائما بنفسه لا عضوا متصلا بسائر اعضائها ، فيقولون : افخر بيت ، واغزل



بيت ، واشجع بيت ، وهذا بيت القصيد وواسطة العقد . كان الابيات فى القصيدة حبات عقد تشترى كل منها بقيمتها ، فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات شيئا من جوهرها . وهذا ادل دليل على فقدان الخاطر المؤلف بين ابيات القصيدة وتقطع النفس فيها ، وقصر الفكر ، وجفاف السليقة . فكأنما القريحة التى تنظم هذا النظم ومضات نور متقطعة لا كوكب صامد متصل الاشعة يريك كل جانب ، وينير لك كل زاوية وشعبة . او كانما هى ميدان قتال فيه الف عين والف ذراع والف جمجمة ، ولكن ليس فيه بنية واحدة حية ، ولقد كان خيرا من هذه كلها ، جمجمة واحدة على اعضاء جسم فرد تسرى فيها حياة » .

والى جوار هذا التفصيل الشارح لقضية الوحدة العضوية على هذا النحو الفكرى المتكامل الاتجاه ، خاض العقاد ضد ترهل البناء الشعرى معارك عديدة ، من خلال شوقى ، واشار فى كل خطوة الى فهمه الاساسى لقضية البناء وتلاحم الاجزاء ، مستوى بعد مستوى ، حتى جعل من هذه الوحدة العضوية اساسا اوليا من اسس الحركه النقدية العربية المعاصرة .

***

وقد ظاهرت جهود شكرى جهود العقاد على هذه الطريق ، فهو يرى ان البناء الشعرى يقوم على عديد من الاسس من بينها : خلق الصلة الحميمة بين معنى البيت وبين موضوع القصيدة .. « لان البيت جزء مكمل ، ولا يصح ان يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة بعيدا عن موضوعها » ... ومن بينها كذلك الوحدة العضوية التى تحقق فى القصيدة نوعا من التنامى والالتحام « من حيث انها شىء فرد كامل لا من حيث انها ابيات مستقلة » .

واذا كان ثالوث الديوان لم يستطع ان يطبق مقولاته النقدية فى شعر رائع يحتاز فيما يحتاز وحدته العضوية ، فقد برزت جهود الشعراء الذين ارتضوا الشعر الحر اساسا للتعبير بالشعر عن عالم الذات وعالم الموضوع فى هذا المجال لان هذا الجيل من الشعراء اعطى القصيدة لونا من الوان الحس القصصى والدرامى ، ولونا آخر من الوان التناظر او التعبير بالصور المتقابلة والمتناقضة على حد معا . ومن طبيعة هذه الالوان جميعها ان تفضى فيها مرحلة الى مرحلة تالية ، وان يمتد فيها عمر من اعمار القصيدة فى عمر آخر سابق عليه او لاحق له ، وان تشى لوحة منها صديقة او نقيضة بلوحة اخرى نقيضة او صديقة كذلك . وهكذا اصبحت القصيدة نوعا من الجدل العضوى المتلاحم طردا وعكسا بحيث لا نستطيع ان نجتزىء منها ليس ببيت بل حتى بكلمة واحدة ، دون ان ينقض الهيكل ويتداعى البناء .

وهذه هى الوحدة العضوية كما ينبغى دائما ان تكون .

الهلال مع شيخ الحرمين

المعقول والمنقول

بأيهما نأخذ؟

● عبد المنعم الجداوى ●

●● كل شيء هنا يوحي بالاطمئنان .. نفسك تستقر آمنة كأنك لم تعرف القلق يوما ما .. أنت في « مكة » ، والكعبة تملأ عينيك .. تراها ببصرك وبصيرتك ، وصورتها تتغلغل في دمائك ، وأنت تطيل النظر بلا ملل في صمت جليل ..

هذه الطرقات ، وتلك الربى الصاعدة ، كلها كانت غدوات النبي وروحاته صلى الله عليه وسلم .. وهناك على ربوة خلف « اجياد » بيت خديجة رضي الله عنها .. وعلى مرمى البصر بيت عبد المطلب الذى شهد مولد خير الخلق كلهم .. وقامت مكانه الآن مكتبة بلدية « مكة » ، وعلى بعد كيلو مترات ، يقف الجبل الذى على رأسه « غار حراء » ، مهبط الوحي ، وأول مكان في الأرض قرئت فيه رسالة الله الى نبيه على لسان جبريل ، وانزل فيه النور على نبي الرحمة ..

وفي ذلك الجو المعطر بأريج التاريخ ينبئني الشيخ « جابر المدخل » ، الأمين العام لهيئة الدعوة لموسم الحج ، ان موعدي مع الشيخ قد تحدد له بعد صلاة الظهر ، والشيخ هو عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ، الرئيس الأعلى لادارات البحوث ، والدراسات ، والفتوى ومراكز الدعوة خارج المملكة وداخلها . والرجل الذى ترنو اليه ابصار ملايين المسلمين ، وتأتيه الأسئلة الفقهية من كل البقاع ليقول فيها كلمته ..

فيه بقايا الأولين ، وفقههم ، وحرصهم وتقواهم ، وأساليب المعاصرين ، وسعة صدورهم ، ووضوح اجاباتهم .

كان اللقاء في مركز الدعوة لموسم الحج في « العزيزية » ، أجمل ضواحي « مكة » وفي « فيللا » مكونة من ثلاثة طوابق تشغل الطابق الأول منها « سكرتارية الشيخ ومكتبه » ، ولقيته في مكتبه شديد التواضع ، وقد رحب الشيخ بمجلة « الهلال » ، وقال انها أعرق المجلات الثقافية في الشرق ، وأمتدح التجديد الذى قام به الدكتور « مؤنس » أحد أعمدة التاريخ الاسلامي في الشرق الاوسط .. وشكرته على هذا الاطراء ، وبدأنا الحديث ..

ـ سماحة الشيخ .. تتداول هذه الأيام كلمة: السلفية ، والسلفيون ، والرجعية ، والرجعيون ، والتقدمية ، والتقدميون .. فهل تفضلتم بالتوضيح ؟

قال : ـ السلفيون هم الذين

- القرآن ليس بيانا للمخترعات الحديثة
- ماهي السلفية ، ومن هم السلفيون ؟
- كيف ننقي التفاسير من الإسرائيليات ؟
- الاستنباط بالمقابلة القرآنية والحديث
- الإسرائيليات لاتكذب ولاتصدق إلا بنص

يتمسكون بما كان عليه رجال السلف الصالح ، وهم الصحابة ومن سلك سبيلهم ونهج طريقهم فى الأعمال ، والأخلاق وهم بلا شك اهل العلم والبصيرة ، لانهم التزموا بالسالفين من الصحابة والأتباع ، دون البدع أو الابتداع ، وحرصوا على شريعة الله ..

أما « الرجعية » ، وهى وان كان اعداء الشريعة ليطلقونها على المتمسكين باسلامهم — فهى فى الحقيقة « لفظ » مستحدث ... لكنه كان فى الماضى يعنى الذين يرجعون الى الجاهلية بعد اسلامهم ، أما المسلم الذى يرجع الى ما كان عليه صحابة رسول الله ، والى ما كان عليه التابعون ، فذلك لا يجب أن يسمى « رجعيا » ، لكن اعداء الاسلام لا سلاح لهم الا المغالطة ! ..

فالعودة الى الحق ، والصواب ، والهدى ليست « رجعية » .. لكن هى المغالطة التى يشنها علينا أعداء الاسلام .. « والرجعية » التى يرموننا بها .. هى شرف لنا ، لانها الرجوع الى سنة رسول الله .. اما هم فيرجعون الى جاهلية جهلاء كانت منتشرة قبل ظهور الاسلام ..

وأما « التقدمية » فمفهومها عندنا غير مفهومها عندهم .. فهم يريدون تقدمية يخلع المؤمنون فيها عنهم ايمانهم ويتركون الشريعة ، ويرفضون الاخلاق الكريمة ، ويستبيحون الكبائر ، ويرتكبون كل منكر .. هذه هى التقدمية التى يزعمونها .. واذن فهى تقدم نحو المعصية ، ونحو النار .

ولكن مفهوم « التقدمية » الحقيقى عندنا ، ولا يفوتنى ان اقول ذلك .. هو التمسك بشريعة الله ، والسير على نهج رسول الله واصحابه ، وموالاته ، ومعاداة اعدائه ، واتباع طاعته .. هذه هى « التقدمية » الحقيقية اذا كانوا يريدونها « تقدمية » اسلامية خالصة .

● هناك دعوة تنادى بأن الدين يجب أن يتقدم ليواكب العصر — فما قولكم ؟

— هذه دعوة « مهملة » و « مجملة » ... اذا كانوا يريدون أن يتطور الدين فى أحكامه ، فهذا باطل لا يجوز ... لماذا ؟ .. لأن الأحكام قد استقرت من الشريعة ، منذ أن أكمل الله الدين ، وأتم نعمته على المسلمين ..

منذ توفى النبى عليه الصلاة والسلام دون أن يترك أمرا فى الدين ناقصا .. وما وجب على العصر الأول فى الاسلام ، يجب على أهل العصور المتأخرة ، فى الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والجهاد فى سبيل الله ..

أما التطور الذى نقره ، **فهو انه ينبغى للدعاة ان يبتكروا الأساليب الحسنة ، وان يرفقوا بالناس ، وان يعايشوا مشاكلهم ويحلوها فى عبارات واضحة ، واجابات سهلة ، دون عنف او جدال .. وهذا هو ما دعا اليه الاسلام منذ ان جاء به رسول الله من ربه « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، و « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن » ، وبذلك يكون التطور الذى يدعون اليه قد وجد منذ صدر الاسلام الأول .... الرفق ، والصبر ، والحكمة فى نصح الناس ، والرد على اسئلتهم ..**

● ما قولكم فيمن ينادون بتفسير القرآن تفسيرا علميا ، بحجة ان العلم لغة العصر ... وفيمن ينادون بأن القرآن كتاب هداية فقط لا صلة له بالعلم ولا بالحياة ؟

— مرة أخرى أقول ان هذه عبارات

« مجملة » .. ومع ذلك اذا كانوا يقصدون ان القرآن لم يتحدث عن الاختراعات التى توصل اليها العلم فهذا صحيح الى حد ما، وان كان سبحانه وتعالى قد قال (ويخلق ما لا تعلمون) وقد يجد بعضهم فيه ما يشير الى أحداث ومخترعات عصرية ، لكن يجب ان يستقر فى الاذهان أن القرآن كتاب هداية ، وصراط مستقيم .. يبشر وينذر ، ويرشد ، ويحض على مكارم الاخلاق .. فاذا استنبط بعضهم منه ما ينبىء عن مخترعات او مبتكرات .. فالحذر كل الحذر فى التفسير والاستنباط .. فالقرآن يفسر بالقرآن ، وبالاحاديث الشريفة ، ولابد من المقابلة بين الآيات ، والمراجعة مع الاحاديث .. فاذا تطابقت كان بها ، والا فليس للمستنبطين ان يحملوا آيات الكتاب فوق ما تحتمل .. لان من نظرة متأنية ، وعناية شديدة ، فلن يفسر القرآن آن يكون قرآنا فقط .

● وأنت على قمة المسئولية الدينية، أما آن أن ننقى التفاسير المختلفة من الاسرائيليات ؟ فبعض التفاسير تكتب فى قصة خلق آدم وحواء ، وأولادهما ما لم يشر اليه القرآن ، كأسماء بنات آدم مثلا ..

ـ المسلمون يمكنهم أن يقرأوا تفاسير السلف الصالح دون أن يقعوا فى الاسرائيليات ، وذلك بالرجوع الى الاحاديث أيضا ، وقد بين عليه الصلاة والسلام الحكم فى ذلك بنص حديثه اذ قال « لا تكذبوهم ولا تصدقوهم » ، وقال « حدث عن بنى اسرائيل ولا حرج » وواضح أنك اذا قرأت اسرائيليات فلا تصدقها ، ولا تكذبها حتى تجد فى الشريعة ما يؤيده أو ينفى ذلك الذى تحدثوا به .. فاذا كان فى شريعتنا ما يصدقه صدقته ، والعكس بالعكس . والمفسرون الذين اخذوا عن الاسرائيليات رحمهم الله ـ عملوا بالحديث «لاتكذبوهم ولا تصدقوهم » وتركوا للمسلم أن يجتهد ، وأن يبحث ..

● والآن يبقى سؤال .. اذا اختلف العقل مع النقل فماذا نأخذ ، وماذا نفضل ؟

ـ الواجب تقديمه فى مثل هذه الحالة هو المنقول .. لأن المنقول معصوم .. أما العقل فيخطىء ويصيب .. أما النقل اذا وضح سنده ، وصحت سلسلته فهو الذى نأخذ به ..

والقاعدة هى أنه لا يمكن تعارض النقل والعقل ، لان الشريعة جاءت بكل ما يتفق والعقول السليمة .. وقد كتب « ابن تيمية » كتابا فى هذا سماه « مطابقة صحيح المعقول فى صحيح المنقول » ، ولخص فيه أنه لا يمكن أن يختلف النص الصحيح مع العقل السليم .

● فى الختام .. هل من علاج لما يبدو من تفرق الأمة الى كل هذه الفرق والجماعات،وما هى الأسباب التى فرقت المسلمين كل هذه الفرق ، والشيع ؟

ـ قال سماحته مبتسما :الرد يتطلب عدة كتب .. ولى اختصار شديد يمكن أن نقول من أهم هذه الأسباب : الجهل بالنصوص ، وعدم العلم بها ، وتفسيرها الخاطىء ـ كما فعل أهل البدع ، والخوارج ، والمعتزله ، والشيعة وغيرهم .. فهموا أشياء ، وغالطوا فيها ـ واعتنقوها ، وتعصبوا لها ، تحت وطأة الهوى أو الكبر أو المصلحة .. وبعضهم اعتنق نحلة جديدة ليعرف بها او لتكون له الرياسة على قومه ، ومنهم من تابع القوم فى هواهم ليرضيهم ، ويتمكن منهم .. وهكذا نرى ان التفرق له سببان رئيسيان ، الجهل بالنصوص ثم الهوى ! .

لم يحدث أن أحدهم اراد الحق ، والا هدى اليه .. فالله يهدى الى الحق . وكتاب الله مفتوح لكل المسلمين ، وسنة رسوله امام الجميع .. والحديث « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا ، كتاب الله وسنتى »» .

وسكت الشيخ ، وكانت الاجابة شديدة الاختصار ، واردت ان اشكره ، فسارع يقول .. تحياتى وسلام الله لقرائكم .. فادركت انه ينهى الحديث ، فقد كانت تنتظره طائرة بمطار جدة ، لكى يسافر الى « الرياض » والى «جيزان» فى جولة من أجل الدعوة ..

الرُّعب

● محمد الراوى ●

للحظة قصيرة خيل الي ان هناك شيئا مايحدث في هذا الطريق فتحت تاثير الاضواء الجانبية كانت اللآلئ الاصيلة والمزيفة على صدورهن تعكس الاشعة المفضضة والمذهبة ... ورايت على مدى بصري ، اعناقهن وهامات رءوسهن وشعورهن ، وعبثا حاولت ان انجو من هذا السيل المتدفق ، فسرت معهن وانا احاول ان افلت من زحامهن .

تراءت لي عيونهن كالنجوم مشعة ، وفي مثل الثقوب ، بيضاوية ومشروطة ، ولاحسست لي وجوههن وقد اتسمت بسحن غريبة وكانها اقنعة .. تنبهت الى واحدة منهن ساقتني الصدفة الى السير بجوارها لبعض الوقت ، وحينما التفتت نحوي كنت انظر نحوها بدوري وللحظة التقت عينانا .. امراة تخطت الخمسين عجفاء ، ليس بها اوقية من اللحم ، صدرها املس ، سرعان ماغابت عن بصري ..

وتوالى طابورهن على الرصيف ، ينشرن من حولهن موجات من الروائح العطرية ...

توقفت امام احدى « الفترينات » وكانت تعرض ثوبا رائعا ترتديه امراة سمينة ذات جمال باهر . اخذت اتامل ملامحها لكن شحوبا غريبا بدا يعتري الوجه الشمعي، واذا بعينين ترقباني من فوق الشفتين القرمزيتين الجميلتين ، عينين زاجرتين متوعدتين .. واحسست بانفاسها ترتد من فوق زجاج « الفترينة » الى وجهي . كانت واقفة بجواري ، في هذه المرأة لاحظت شعرها المنفوش يغطي راسها وكانه القنفذ او « راس العبد » ولاحظت هي انني انظر الى شعرها اكثر مما انظر الى عينيها ، ولم اعرف هل تعرف ان لها شعرا كالقنفذ ام لا . حملق كل منا في وجه الاخر بروح عدائية ، احسست انها قرات افكاري وربما سمعتني وانا احدث نفسي بشانها .!

اعطيتها ظهري وواصلت طريقي ، لكني شعرت بالضيق عندما لاقيتها للمرة الثالثة وانا بجانب الطريق ومعها امراة اخرى . اشارتا الي ونظرتا نحوي في عداء بين . انا لا اخاف النساء ، في هذه المرة شعرت بالخوف . تصنعت اللا مبالاة وانا امر بهما دالفا الى طريق آخر اكثر هدوءا ، ويخلو من النساء ..

وعند منحنى الطريق قررت ان التفت لمجرد التاكد ، واذا بالمرأتين ومعهما ثالثة يتبعنني في الحاح، فوسعت من خطواتي ، وقد ادركت ان في الامر شيئا .. الخطوات من خلفي تسرع ، الكعوب تضرب الارض بشدة ، ضربات متصلة، مما جعلني احس بجدية المطاردة ! ..

التفت مرة اخرى فاذا بواحدة منهن تبتعد لتدخل شارعا جانبيا ضيقا ، بينما تسرع الاخرى لها وهي واحدة من الاثنتين الباقيتين، كنت قد وصلت الى طريق هادىء الا من بعض السيارات ، وكانت للطريق فروع جانبية كثيرة فوجئت باكثر من اربع نساء يخرجن الي من الزقاق الجانبي القريب مني ، ويتوجهن نحوي مباشرة ! .. تبينت بينهن تلك المرأة التي شاركت الاثنتين اللتين تطاردانني من الخلف .

كدت اتوقف عن السير فكرت في الجري وعبور الطريق الى الجانب الاخر ، اخذت ابحث عن المارة ، شعرت بغربة في ظهري ، لتوقف قلبي عن النبض .. اطبقت على النساء الاخريات من امام واذا بهن يدفعنني الى داخل زقاق شبه مظلم ويحصرنني في زاوية اعجز عن الهروب منها

الزقاق يمتلىء رويدا رويدا بالنساء ، يدخلن فرادى ومثنى وجماعات ياخذن اماكنهن في نصف الدائرة وينصتن الى الحوار الدائر بين قطبي الجماعة .. لا ارى الا اجساد وقامات النساء في الصف الاول ، حيث كانت البطون المشدودة والمترهلة والمترهلة ، من خلفها رءوس تتطلع الي من فوق الاكتاف . وكانت تعلو الرءوس في بعض المواقع مايشبه الريش والاعلام الصغيرة والورود الصناعية الملونة

اغلق الفراغ الذي يفصلني عنهن بضيق وبتاكل ، شعرت بانفاسهن الساخنة تلفح وجهي ، حاولت اكثر من واحدة ان تعريني في ساقي بحافة حذائها الحادة . سمعت همهمة تدور بين راسين متقاربين احدهما راس المرأة ذات الشعر القنفذي ، وبعد قليل اعطتني ظهرها وواجهت الاخريات ، فاخذ الصمت يسود بالتدريج .

وبدات ذات الشعر القنفذي الحديث ، لم استطع ان اميز منه شيئا ، كانت اسمعها تتكلم وتلتفت مشيرة نحوي ، ثم تعود للخطابة مرة اخرى ، لم افهم بالضبط ما كانت تقوله لكني اكتشفت ان للنساء لغة او رطانة خاصة يفهمها جميع النساء في العالم دون ان يؤثر في ذلك اختلاف جنسياتهن او لغاتهن . أ في تلك اللحظة خيل الي انهن يتفقن على تعذيبي وقتلي . وبعد ان انتهت المرأة من خطبتها بدا الحماس الشديد على وجوههن وهن يرفعن حقائبهن الى اعلى صارخات

اخافتني الرغبة ، مددت ذراعي على الحائط كالمصلوب ، اقتربت مني المرأة ذات الشعر القنفذي وقالت لي والغل يلامس انفي : والآن ايها ال .. وبدا شاربها واضحا عندما ضحكت في وجهي . وفوجئت بفمها هوة مظلمة ليس بها اسنان ، عميقة رهيبة كبئر مهجورة ولم افهم ماذا كانت تقصد .. الا تلقفتني عشرات الايدي تنازع ملابسي وتجذبها بعنف حتى مزقت السترة والقميص وكانت لعنة اصابع تقبض على شعري وتجذبه : ووجدت نفسي الذوب والاشي في هذا الخضم من الاذرع التي انهمكت في تعريتي . ●

كافكا
ومحنة الوعى الحديث

● ماهر شفيق فريد ●

● فى عدد اخير من مجلة «ذاجارديان» كتب « و . ل . وب » مقـالة عنوانها «كافكا الحقيقى» بمناسبة صدور كتاب جديد عنوانه «فرانز كافكا: رسائل الى اصدقائه واسرته ورؤساء التحرير » ترجمه من الالمانيـة الى الانجليزية ريتشارد وكلارا ونستون ، وصدر عن دار « جون كولدر » للنشر.

يبدا « وب » مقالته بهذه العبارة : « ان مستـقبلى ليس ورديا ، ومن المحقق ـ استطيع ان اتنبا بذلك ـ انى سأموت ميتة كلب » ... هـكذا كتب فرانز كافكا فى سن الثـالثة والعشرين الى صديقه ماكس برود فى احـدى الرسائل التى تشكل القسم الاكبر من هذه المجموعة الكبيرة التى لم تترجم الى الانجليزية الا حديثا. ولكن كافكا يكتب فى الوقت ذاته « لقد كان يوما مروعا فى المكتب .. اظن انه لابد للمرء من ان يكسب قبره » ، قبره لا عيشه ..

ان روح كافكا ، تلك الروح المعذبة التى صورها فى قصـصه ورواياته ، كانت فى الواقع تسكن اطارا انسـانيا وتسير فى شوارع براغ وغابات بوهيميا وتأكل وتحب وتنام قليلا. وفى الصباح بعد أن تكون خلال الليل قد كتبت من أظلم تخوم الروح تكتب تقارير معتنى بها على مكتبه فى مؤسسة تأمين حوادث العمال او كما يقول : « فى الاحياء الاربعة التى تخصنى ، يسقط الناس من على السلالم كما لو كانوا مخمورين » .

وفضلا عن [illegible] كافكا التى كتبها ماكس برود وما كتبه غيره من المحيطين بكافكا فى براغ ، فان لدينا الآن يوميات كافكا من ١٩١٠ الى ١٩٢٣ ، ورسالته الطويلة الى أبيه وهى بمثابة امتـداد من حياته ـ ومجموعـتان اخريان هامتان من الرسائل ، ومجموعة رابعة من الرسائل الى شقيقته المفضـلة « اوتلا » ، ظهرت فى المانيا ولكنها لم تترجم بعد الى الانجليزية ..

ان هذا المجلد يفتقر الى التماسك الدرامى لرسائل كافـكا الى « ميلنا » ورسـائله الى « فليس بوير » . وهذه الرسـائل الاخـيرة لا تصـور نقط العذابات الفـريدة لقصة حب كافكا « لفليس » وانما تعكس أيضا وهج تلك الفترة الهامة من الخلق الفنى التى ولدتها تجربة حبه . والذى يحققه المجلد الجديد على أية حال هو انه حين يقرأ مع كتـاب ماكس برود واليوميات يوضح ـ على نحو لا منجاة منه ـ البشرية اليوميـة لهذا الاطلس الذى كان يحمل على كتفيه الهزيلتين من عبء الوعى الحديث اكثر مما حمله اى كاتب آخر فى قرننا العشرين .

والشىء الجديد فى سيرة كافكا انما تكشف عنه رسالة طويلة هنا تصـف خطبته الى « جولى فوهرزيك » وهى ابنة حارس معبد فى براغ ، يقول كافكا عنها : « لئن اراد المرء أن يصـنفها عنصريا ، لتعين عليه أن يقول انها تنتمى الى جنس بائعات الدكاكين » .. ويبدو ان خطبتهما هذه قد اوشـكت على ان

تنتهي بالزواج ولكنها تحطمت على صخور تردد كافكا المألوف لقرائه ..

***

بيد ان الامر الشائق في هذه الرسائل ليس ما تضمه من احداث كبيرة في حجم الحياة قدر ما هو العلامات الصغيرة ، والايماءات ، ومشاهد التجلي ، المسجلة في عشرين سنة تغطيها الرسائل ، ان المرء يقرأ خطابا لكافكا وهو في سن العشرين ، ويدرك ـ بنوع من الخوف ـ انه يمثل بشخصه احد تلك الاوضاع اللابشرية ـ كتحول بطله جرجور سامسا الى حشرة ـ مما لا تفتأ صوره تتردد في كتاباته اللاحقة كنماذج عليا مستنقذة من عتمة كهف .. انه اذ يخرج ليتمشى ذات يوم في اغسطس ١٩٠٤ يتعقب كلبه ((كلفا)) ، ثم يضربه بمخلبه فيصرخ الكلب وهو يموت . وفي نهاية ذلك اليوم يكتب كافكا : «بدا راسي يميل على نحو سيء ، حتى اني في المساء لاحظت ـ وانا مندهش ـ ان ذقني قد بدأ يدخل في صدري» او بمعنى آخر : لقد بدأ يتحول الى ((كلفا)) .. !

ثمة عشرات من هذه التحولات الصغيرة الى حيوانات وديعة احيانا ومعادية للذات احيانا اخرى تعبر عن انقسام روحه ذلك الانقسام غير العادي .. انه يقول لبرود : لا استطيع ان اكتب .. ان بدني باكمله يحذرني من كل كلمة . وكل كلمة ـ قبل ان تدعني اضعها على الورق ـ تنظر اولا حولها في كل الاتجاهات » !.

وفيما بعد يقول: «انه اذا اراد الكاتب ان يبقى الجنون على مبعدة فانه لا ينبغي أن يبتعد عن مكتبه ، وانما عليه أن يتشبث به باسنانه » .

***

وثمة رسائل هنا عن طبيعة الكتابة والفن متكبرة ومؤلمة كأي من رسائله الى «فليس» تصور تارجحه بين قطبي اللعنة والخلاص . فاذ يتصارع مع اشباح رواية «القلعة» في ١٩٢٢ ينظر الى الكتابة على انها « مكافأة عذبة ومدهشة لخدمة الشيطان . هذا الهبوط الى القوى المظلمة، هذا التحرير لارواح قيدتها الطبيعة، هذه المعانقات المشكوك فيها وكل شيء غير ذلك يقع في الاجزاء السفلى ولا تعود الاجزاء العليا تعرفه بعد ، عندما يكتب المرء قصصه في ضوء الشمس .. ان العناصر الشيطانية تلوح لي واضحة جدا .»

وفيما بعد ، حين يكون في حالة مغايرة ، ينظر الى الفن على انه « نوع من تبادل الكلمات الصادقة بين شخص وآخر » .

ومهما يكن من امر فقد كانت حاجة كافكا المستميتة القلابة الى الفن تعبر من نفسها على نحو ثالث يلخص ـ ببساطة طفولية كاملة ـ نضاله مع الأهوال المحدقة به : باعتباره ابنا يشعر بالذنب ، ورجلا مريضا ، ويهوديا مغتربا ، ومفكرا اوروبيا يعيش فيما بدا له آخر ايام البشرية ..

يقول : « اني بعيد عن وطني ولابد لي دائما من ان اكتب الى وطني حتى ولو كان اي وطن قد سبح مبتعدا نحو الابدية . ان كل كتاباتي هذه ليست سوى علم روبنسن كروزو مرفوعا على اعلى نقطة في الجزيرة ».

انه الآن يدنو من نهايته عائدا الى وطنه في نهاية المطاف ، لأن ثمة ما يشبه السكينة في رسالته الأخيرة المكتوبة من برلين ، يستمتع بحضور المحاضرات في اكاديمية ليوبك للعلوم كلما امكنه الاختلاف اليها ، ويكسروه مرض يستنفد قواه ويصيبه بالحمى . ثم تأتي آخر نقلة في حياته ـ الى مصحة بالنمسا باهظة التكاليف .

وتنتهي مجموعة الرسائل بما يعرف بـ ((شذرات المحادثة)) المروعة ، التي يجعل بكل من هل توهم كافكا المرض ان يقرأها . انها قطع من الورق كان يخط عليها الجمل التي لم يعد بوسعه ان ينطق بها اذا اشتدت قبضة سل الحنجرة عليه . يقول في احدى رسائله الاخيرة : ((ان كل عضو في متعب)) . لقد شارف اللحن الحزين الختام ...

لا تنظر إلى القمر

● فتحي سلامة ●

● القمر يرنو الى الارض ،يحاول ان يلمسها .. اعواد الحطب الجاف ترقد فى استسلام يغطيها ضوء القمر ، وانا مدفوس فيها ، راقد على ظهري ، يمر الهواء البارد خلف اذنى ، اسمع همسا ، انظر الى القمر ... القمر فسيح وعميق وودود ايضا ، ادخل اليه ، اسبح مع اشعته ، تجذبنى اليه ، هل الاشعة تأتى منه ام تذهب اليه .. اقاوم ، تجذبنى فى عنف ...

ادخل الى الساحة البيضاء ، اشعر بالرهبة ، اترنح ولكنى اتمالك بعد قليل ...

اتقدم ماشيا ، ارى عرائس القمر ، تتمايل فى نشوة ، اشعر بألم اسفل راسى ، اسمع صوتا ، « تقدم يا حبيب القمر » اتردد ، هل ادخل ؟

تدور حولى عروس جميلة ، يتموج شعرها الذهبى مع حركة رأسها، تدور حولى ؛ يدور عقلى ...

— يا حبيب القمر، لن تفلت منى هذه المرة ! .

أكاد المسك ، يا سبحان الله ، يا خالق ، يا عالم ، يا مصور ، ارفعنى نحوك ، شد من ازرى ، اكاد اكون ..

— سوف يصيبك الجنون .

لا ، لن افقد عقلى بعد قلبى .

— لقد اصابك فعلا !

عقلى صاف ، بريق القمر يدخل الى عقلى ، انا دخلت الى القمر ، ودخل القمر فى قلبى ، تداخلنا، الكل يتماسك .

— لقد نهيتك مرارا .. قم !

شعرت بوخزة فى جنبي ، وجه القمر مظلم ، اشعر بالم الوخزة ، وهبوط القلب ، ودوار الراس يلفنى بالمه ، يدى لا تطيع عقلى ، لسانى امسكه الشلل ، ارى النار تقترب منى، ارى بعض الأشياء ، ارى امى ، انقذينى يا امى ، الصوت لا يخرج من فمي ، اشعر بالاختناق ، القمر محاق ، بعد الحب فراق ...

أصرخ ، يقابلنى الصمت .. امددالى رحمتك ، لا تدعنى اغرق فى خوفى، هل هذا هو الموت ؟

ولكن الحياة من حولى تدب ، ها هو جسدي ممدد .. اننى اراه ، لقد

صرت جزءين ، احدهما اراهممددا فى صورة جسد آدمى ، بلا حراك يتصلب ممددا فوق اعواد القش،..ارى اعواد القش و .. ولكن كيف ارى ؟ من انا ؟ ليس لى عين ارى بها ، احس وأرى فى وقت واحد ، واستطيع الطيران ، هكذا اطير ، ارتفع فوق سطح الدار ، ابتعد، ارى النهر بضفتيه ... هذه ساقية عم مغاورى ، وتلك دار ابن عمى ، ومبنى المسجد ، ثم ها هو شريط السكة الحديد ، القطار قادم ، ارتفع اكثر ، لم اعد ارى الجسد الممدد ، لقد اصبحت حرا فى السماء ، انحرف شمالا ، ارى حدائق واسعة ، بل غابات شاسعة ... غابات افريقيا ، النمور والاسود والزواحف ، طبول تدق ...

اهبط ، اعرف هذه الارض ليست غريبة عنى ، عشت بها من قبل ، هذا الكوخ اعرفه ، الباب يحدث صوتا عندما ادفعه الى الداخل، كثيرا مافكرت فى وضع بعض الشحم ، هذا هو الصوت الاجش لباب الكوخ ، الظلام كثيف ، ولكن عندما ارفع غطاء النافذة ، فها هو الضوء يعم الكوخ ...

رفع الثعبان راسه نحوى فى تحد ، لا ادرى من منا يسكن هذا البيت ، ارفع فى وجهه فاسى ، ينظر الى عينى ، يحدق فى وجهى ، يتلوى متراجعا ...

اعرف انك سوف تقتلنى فى احد الايام ، انسحب طائرا ، ينزاح الخوف البارد ، اطير ، ارتفع احاور السحاب ... تجرى السحابة السوداء فى عسر والبيضاء تلهو فى مرح ، اتجنب السحب السوداء ، ارى برج لندن ، احط ، احدق فى المبانى الفامقة ، اهبط نحو الشارع ...

بجوارى تسير فتاتى حمراء الاذن ، اطلق عليها هذا الاسم ، سنتزوج فى الربيع القادم ، سيصل عمها من استراليا لم نتزوج ، ندخل محلات مستر مونى ، يتقدم الينا فى حب ، اشعر بالدوار ، افقد القدرة على تحديد ما حدث ، وحيدا فى الشارع ...

هذا البيت أعرفه ، ادخل ، العجوز مرة اخرى ، احاول الهرب ، تمسك بى فى عداء واضح ، لا استطيع الفكاك ، روحى مخنوقة ، لم اعد اطيق ، انقذنى يارب العرش ، الالم حاد فى جسدى ، تهاجمنى العجوز ، تهاجمنى الجثة ، اللون الأسود يكتم انفاسى ، اين انا ؟

انقذنى يا رحمن ، انا احبك ، انا عبدك انا مؤمن بقدرتك ، ليس لى الا انت يا الهى ، يا قوى ، يا غفار ، يا رحيم ، يا واحد ، اتشبث بايمانى.
ان كان هذا العذاب من أجلك فسوف اتحمل ، لن اغفر لنفسى هواها ، يارب، اصرخ فى قوة ، لا اسمع صراخى ، اعود لأرى جسدى مرة اخرى، اتقدم نحوه ، ادخل فيه ، يزداد الألم والاحساس بالاختناق ، اجاهد كى افك من نفسى سجنها ، اتذكر كلمات الله ، اتلوها ، ارى امى تمد يدها نحو وجهى ، لو انها هزتنى فى عنف ، حركى راسى يا أمى ، فى راسى يكمن الخلاص ، الخلاص من الالم ...

ارى وجهك الآسى، وعينيك بللهما الالم والدمع .فقط ادفعينى الى الجهة الاخرى ، اريد ان ادفع اليهاما فى راسى، اود ان تصل افكارى الى عقلها ، هل يمكن تواصل الفكر بين الانسان والانسان الاخر ، لو نجحت فى ان اتواصل مع عقل امى ، لعرفت مااريد ولانقذت حياتى، بدلا من هذا الحزن الذى لا يفيد .

وضعت يديها حول راسى ، اشعر ببرودة أصابعها ، يارب انت القادر على كل شىء ، امى افعلى ما افكر انا فيه ...
امى تنظر الى جبهتى ، أكاد احس بشعاع بصرها ، يهتز راسى فى قوة، اتخطى حاجز اللاارادة ، اتمالك نفسى ارفع وجهى الى الامام ، تنطلق الصرخة المكتومة وانا اعتدل فى رقدتى ، تجذبنى امى الى صدرها ، اشعر بالأمان **والاعياء وانفاسى تتلاحق ، تضمنى امى بقوة ، تتمتم :**
ــ الم اقل لك لا تنظر الى القمر !

كرامة الإنسان في شعر العقاد

● نصري عطا الله ●

● الرسل والقادة والمعلمون والشعراء والعشاق ورجال الفن عامة ـ هم الذين يرتادون الطريق ويستكشفون الغايات البعيدة ، يهيمون بها ومن أجلها يضحون بالراحة والصحة والمال ويهبون لها كل وقتهم وجهودهم وأحيانا الحياة نفسها ..

كيف يعد الانسان نفسه لكل ذلك ؟

يقول شاعر الهند طاغور :

« ان الكون كله ، كل ذرة وكل جزء منه ـ يدعم تلك الرغبـــة في ان أكون موجودا .. وجلال هذه الرغبة في اعتزازي بذاتي ، وبفضل هذا الجلال لا تقل ذاتي الصغيرة جدا في الاهمية عن اي شيء في الكون سواء في الدرجة أو القيمة ».

ولعل هذا القول لا ينطبق على أحد كما ينطبق على العقاد ، فقد اعتبر الحياة هبة نفيسة تتلقى خامتها وعلينا أن نصوغها ونشكلها كل حسب غاياته وقدراته، وكفى بذلك هدفا وغاية .... وقد وضع العقاد كرامة الرسالة التي اختارها لنفسه فوق كل اعتبار ؛ وهب نفسه للمعرفة ، وقضى العمر باحثا عن الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها ، ووجد في ذلك تحقيق كنه وجوده وراحة ضـــميره ... أليس هو القائل :

« غناك في نفسك ، وقيمتك في عملك ، وبواعثك احرى بالعناية من غاياتك ولا تنتظر من الناس كثيرا » .

لقد فطن العقاد الى ذلك في بواكير شبابه ، فقال في ديوانه الاول المطبوع عـام ١٩١٦ :

والزم حيـاتك واعشــقها فبينكما	في شرعة الطبـع ميثـاق وايمان
هي الوجود فصنــه أن تجــود به	على التراب ، فان الحـــر صـوان
ولا تحد عن سبيل لست تسـلكها	مثلي ، وليس اليها الدهر رجعان !

أحس العقاد وهو حدث لم يزل ـ بضخامة الحياة التي تجيش بين جوانحـــه وتتدافع في غزارة كأمواج المحيط ، ووقع حادث أو اثنان عرف الصبي منهما أنه يختلف كثيرا عن لداته وأقرانه من صغار التلاميذ في بلدته أسوان ، فعول على أن يكون ذا شخصية بارزة ...

وفى ليلة القدر اصطحب التين من لداته وذهب الى مكان فى العراء ، وتضرع الى الله ان يعينه على أن يكون من أعظم اهل زمانه ... وكان لابد له أن يعدل عن الطريق المألوف الذى يتخبط فيه كل الناس ، ويشـــد بصره الى الغـايات البعيدة .

***

والقى العقاد نفسه فى خضم الحياة ولا عون له الا قدراته ، ولا سلاح يناذل به الدهر الا مواهبه ، فلا عجب ان يكابد محن الحياة صغيرا ..

لقد أحس أول ما أحس بالوحشة ، فلم يكن هناك من يشاركه آماله الكبيرة او حتى من يشكو اليه :

انا الغريب ولى بين الورى رحم ... بالرغم منى ، واصحاب وجيران !

***

اى اهـــل وجـيرة لهمـــام ... اوحدى المنى قليـــل النظـــير

***

ان الشقى الذى لا صنو يشـــبهه ... وللأصـــاغر اشـــباه وامثـــال
من شـــابه الناس سرته مـــودتهم ... ومن علا عنهم ســـاءت به الحال !
فاهنأ بمجدك أن تشـــقى بعـــزلته ... وليحظ بالصفو اوغاد وجهـــال !
ان السعادة تحت الارض معـــدنها ... لا يطلب السعد من آذنه اجيـــال !

***

لا تلوموا الكبير يركب هـــولا ... انما الهول من عطـــايا الكبير
ان قلب العظيم بحـــر زخـــور ... فهـــو ما عاش فوق بحر زخـــور
كم ضـــلال فى اليم ارهب منـــه ... صرعات الضـــلال فى التفـكير !

●

آثر العقاد ان يتوقى صرعات الضلال فى التفكير ، فكيف يتأتى له ذلك ؟

لن يتأتى لانسان ان يرى الرأى السليم ويضع الاشياء والقيم فى موضـــعها الصحيح ويعطيها ما تستحق من الاهمية دون مبالغة ودون انتقاص ، الا عن طريق الوعى الكامل بالتراث الانسانى كله واستيعاب خير ما أبدعه الجهد البشرى على مدى العصور وفى شتى الحالات واتخاذه معيارا ومثالا يحتذى ...

واذا كانت آفة عصرنا هى اختزال الثقافة وتطـــويعها للاغـــراض السياسية أو العمرانية أو المعاشية ثم التخصص ، فهذا ما برىء منه العقاد الذى آثر استكشاف القيم العليا ثم تصحيح المبادىء والغايات على هدى منها ، ولعل هذا سر تمسكه بآرائه الباكرة ، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه من الاستشهاد بما سبق ان كتبه فى الموضوع الذى يعالجه ، واعتداده برأيه .

وقد جمع العقاد عدة طاقات منها قوة العاطفة ورهافة الحساسية ، كمـــا كان من أصحاب المزاج العصبى . ومن كان هذا شأنه فلا بد له ان يشعر ان الحياة

لا تعطيه كل ما يريد ، ولابد ان يتألم حين ينشد الخير المحض فلا يجده ، وحين ينشد الحب عفيفا نقيا فلا يظفر به • وحين تتنكر له الحياة فلا يكاد يظفر باللقمة ...

ولم يكن عبثا أو مصادفة ان يتجه العقاد في أولى قصائد ديوانه الاول الى (فرضة البحر) فهي تعبر عن تفاعل كل تلك العوامل في نفسه فهنا نجد اصطخاب الامواج وتدافعها ، بأسها حينا ، ووداعتها حين ترتمي في حضن الشاطئ وهو بر الامان للحيارى ، ونجد المنارة التي ترسل الضياء هداية للحائرين في فجاج التيه :

قطب السفين وقبلة الربان ... يا ليت نورك نافع وجداني
يزجي منارك بالضياء كأنه ... ارق يقلب مقلتي ولهان
وعلى الخضم مطارح من ومضه ... تسري مولهة بغير عنان
كمطارح الافكار في لجج على ... لجج من الشبهات والاشجان
تخفى وتظهر وهي في ظلمائها ... باب النجاة وموئل الحيران
ألقت مراسيها السفائن عندها ... وتحصنت منها بدار أمان

... في هذه الابيات تعبير عن الحيرة وعدم الاستقرار بين شعاب الفكر وأشجان الحياة بقدر ما فيها من التعلق بالامل ونشدان الاستقرار ... فأي الكفتين كانت الراجحة ؟ ـ يقول العقاد :

لا تلمح ذا باس وذا همة ... هل ذلون العصبة الغلب
فليس مقياسك مقياسهم ... ولا هم مثلك في المآرب
والليث لا تولق اعتياده ... حبال تنصب للثعلب
انظر الى ما خلفوا بعدهم ... من المعالي لم لم واعتب !
لم يخط ان داس رءوس الورى ... من ملئت كفاه بالكوكب
من ركب الهائل من أمره ... فعدوه في ذلك المركب !

***

من أين أتى للعقاد كل هذا الجلد وقوة الاحتمال والاعتداد بالذات والتأكيد الايجابي لها ؟

يقول العقاد :

نعمة الاحساس ما برحت ... نعمة في طيها نقم
لا يحس الفقد فاقدها ... وتصيب الواجد الالم !

واذا كانت النقم هي فداحة الالم فما هي « النعمة » ؟

انها تفتح النفس للخير والحق والجمال في عالم الانسان والحيوان والنبات ، عالم النجوم ، والضوء ، تفتح النفس للحن الطائر ، ولون الوردة وهمسات الريح في الغصون ، والابتسامة الوضيئة تشع من السمات الحلوة ونظرات العيون التي تتحدى اغوار المحيطات .

... كل هذا وغيره كان يملأ نفس العقاد بنشوة الحياة ، ومن شأن من يبلغ هذه الحالة النفسية بل الروحية ان تمتلئ نفسه بنوع من الايمان يجمع بين الحياة والموت فلا يفرق بينهما ، بل يرى ان كليهما شيء واحد ، ومن شأنها أيضا

تألف ملكات النفس فيتآخى العقل مع العاطفة ويحس الانسان انه بعض صدا الكون ، بينه وبين نسيج الحياة كلها وشائج قربى وتعاطف ، ومن شأنها أيضا أن يعود الانسان منها بزاد من المناعة الذاتية وحيوية الروح وقوة النفس وخصوبة الاحساس يرى معها ان تأكيد الذات هو الامر البدهى الطبيعى الذى لا يحتاج الى دفاع أو برهان ٠

من هذا المعين استمد العقاد قدرته على احتمال الالم والاستهانة به بل وتحديه، فالصبر على الالم ليس مجرد رأى ذهنى يفرضه العقل على المرء فيرضاه لنفسه ، بل لابد من منابع نفسية أخرى تمد الانسان بما يوازنه ٠ وهكذا تعادل فى نفسه الالم والرضا ، وخرج من هذا بفلسفة حياته ومؤداها ان الالم عنصر من عناصر الحياة ولا مفر منه ، وان احتماله عنصر آخر لابد منه ، ثم يتطور رأيه بعض الشيء ويرى ان الاستمتاع بجمال الحياة يستلزم أن يعانى الانسان محنها ٠٠ ونجد مصداق هذا فى شعره فلا نكاد نعثر على شكوى من الحياة حتى يقرنها بايمانه بالصبر على محنها وان الحياة جديرة بأن تعاش ٠ يقول :

والعيش عيشان جانب دمث ... واللب منه فى الجانب الخشن

والموت موتان موت ذى دعة ... لا حس فيه ، وموت ذى الكفن

***

ايه يا دهر هات ما شئت وانظر ... عزمات الرجال كيف تكون

ما تعسفت فى بلائك الا ... هان بالصبر منه ما لا يهون !

***

وأسلوب العقاد فى تثقيف نفسه أحد الدعامات التى يقوم عليها اعتداده بذاته ، واذا كان عقل الانسان أحد أدوات التطور ودفعه الى الامام ، واذا كان نور المعرفة هو الذى سينتشل الانسان من التخبط فى ظلام الحياة بلا غاية ولا هدف لقد ظل العقاد طول حياته عاكفا على الاستزادة من المعرفة ٠

قال الدكتور لويس عوض « أما العقاد ، فالحقيقة ان تبويبه صعب ، لانه بالرغم من ان ثقافته الاجنبية هى الانجليزية ، الا أن أقرب شىء اليه هو فى رأيى الفلسفة الالمانية ، ولست بقادر على تعليل هذه الظاهرة عند العقاد ٠٠٠ »

ووافق العقاد على هذا الرأى وعقب عليه قائلا :

« فالمعلوم ان الفيلسوف الالمانى على الاغلب ، صاحب مذهب شامل يفسر الوجود كله ويحاول تطبيقه على جميع ظواهره ، وان يحصر كل تعليل من التعليلات العامة بين مقدماته ونتائجه ، ولهذا يسهل تبويب الافكار على حسب هذه المذاهب الشاملة التى تحيط بتفاصيل الرأى بغير استثناء ، أو مع استثناء القليل ٠٠ انى على اجلالى لفلاسفة الالمان لا أستطيع ان أتقيد بنظام فلسفى واحد يحيط بجميع العلل والتفسيرات ، وأرى ان الحقيقة الكونية أوسع وأكبر من ان يحصرها تفكير ذهنى واحد بالغا ما يلغ من السعة والنفاذ ٠ ولا غنى عن التماس أجزاء الحقيقة حيث كانت هنا وهناك على تعدد المذاهب ومناهج التفكير ٠٠٠ »

ولكن هل كان العقاد يلتمس « أجزاء الحقيقة » عن طريق العقل وحده ؟

ان تأكيد الذات مثلما نرى عند العقاد وعند رجال الفن عامة ، والاصرار على

موقف معين لا يتأتى الا لمن آمن أن وراء الحياة ارادة وهدفا ، ومن شأن التفكير المجرد ان ينتهي بالعقل الى مجموعة من المعادلات المتناقضة التي تؤدى الى البلبلة والتشرد الذهنى • ولكن الشاعر الذى يعيش بجماع ملكاته ومواهبه يفتح قلبه للحب ويجعل من روحه مرآة تتلقى وحي الطبيعة وقيثارة تلمسها أصابع المجهول فتترنم ، هو الذى يؤمن بالحياة ويحبها ويتحمس لها ويعيشها كاهنا من كهنتها•

والعقاد لم يعش بالعقل وحده بل عاش بكل أدوات الحياة واستنطقها شعرا ، فاذا كان العقل هو ربان السفينة الماسك بدفتها والمسئول عن سلامتها ، فلا بد له من البحر ذاته ، ولا بد له من الموج والريح والضياء الذى يوضح معالم الطريق ، ولا بد من ميناء يرسو عنده جواب الافاق ، بل لابد من الايمان بجدوى الرحلة وغايتها حتى اذا لم تكن واضحة محددة ، بل يكفى انها مستكنة فى طوايا النفس واعماق الروح •

فى هذا المعنى يقول العقاد :

ليس الذكاء على الحياة مهيمنا ... ان الحياة على الذكاء تهيمن !
والعقل من نسل الحياة وانما ... قد شاب وهى صغيرة تتزين !
والطفل تصحبه الحياة وما له ... لب يصاحب نفسه ويلقن
والناس قد عاشوا وما كان الحجى ... الا جنينا فى الحشا يتكون
ان العواطف كالزمام يقودنا ... منها دليل لا تراه الاعين !

ويقول أيضا :

الروح يطمع ان يتيه بلا مدى ... والعين ترسم فى الفضاء خطاه
البحر اقدم والنفوس قديمة ... فالنفس تالفه ولا تنساه

ويلتمس معانى الحياة الخفية فى الموسيقى فيقول :

اليك تناهى كل علم ومنطق ... فسيان منطيق لديك واعجم
اذا ما ابان القول مبلغ علمه ... فقولك عما ليس يدرى مترجم
وكامنة بين النفوس بداهة ... وما علمت فى مهدها ما التكلم
اعيدى على القول انصت واستمع ... حديثا له فى فيضة القلب ميسم
حديثا يناغينى واذكر اننى ... تسمعته والقلب وسنان يحلم
واوغل بالذكرى فازعم انه ... قديم كعهد القلب او هو اقدم
ويا ليتنى ادرى انفس سحيقة ... تنادين منها ام فؤادى المكلم

***

وفى سبيل تاكيد العقاد للمثل والمبادىء التى ارتضاها لنفسه ، كان لابد له من عدم مهادنة الشر ••• كثرت مهاجمة العقاد للمتخاذلين والمنحرفين من أهل الجيل الذى نشا فيه ، وكان جيلا متخلفا يعانى من الاستعمار والاقطاع ، ولم يكن العقاد – من وجهة نظره – يلتمس العذر لمن يرضى لنفسه الهوان والخمول ، بل كان يرى ان ارادة الانسان كفيلة بأن تسمو به عن مواطن السوء وتزوده بالقدرة على مكافحة الرغبات الدنيا ومقاومة تيارات الخمول والتواكل والانحراف ، وفى قصيدته « سباق الشياطين » ترك الرذائل تتحدث عن نفسها •

«لقد ساق بقية الرذائل : اليأس والندم والهوى والكسل والرياء وكل رذيلة

تسفر بلسانها عن بشاعتها .. ثم يفوز الرياء بالجائزة .

ويكره العقاد الضعف والضعفاء كما يبغض استكانة المظلوم فيقول :

انصفت مظلوما فانصف ظالما   في ذلة المظلوم عذر الظالم
من يرض عدوانا عليه يضيره   شر من العادي عليه الغاشم

ويشرح وجهة نظره قائلا :

« ... وانني لأبغض ان يكون غيري ضعيفا محتقرا أمام متجبر متحكم . فأحرى بي ان أبغض ذلك لنفسي ، ولتبلغ بأحد من الناس غطرسة ان يكون ظالما ، فلن يبلغ بي الضعف ــ والحمد لله ــ ان أكون من المظلومين ... »

وهو القائل يوم خرج من السجن :

عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما   سيعهدني كل كما كان يعهد !

فهو يصادق من أجل غاية مشتركة ، ويعادي من أجل خلاف على عقيدة أو خطة او برنامج أو مصلحة من مصالح الناس ...

ويبقى الحب ...

عرف العقاد هناءة الحب كما عرف لوعته .

كان عفيفا في حبه ، وكان الحب عنده عطاء :

لا تطلب الحب بين الناس تأخذه   بل فاطلب الحب تعطي منه ما تجد
اشقى البرية من لم يعنه احد   وليس من كان لا يعني به احد !

بل كان الحب عنده هو مفتاح كل مغاليق الوجود والسبيل الى جلاء كل غامض منها :

ولانت نور للمحاسن لا يرى   لولاك منها غامض او سافر
واللب يشعر ما اجتلاك ، فان تبن   عنه خلاك ، فكل لب عامر !

***

وان السموات العلى لا تنير لي   طريقا ، ولكن انت تهدي ضمائري
وان رياض الارض ليست تسرني   بشيء ، ولمح منك يفعم خاطري

***

واريتني ما لا تري ووهبتني   ما لست تملكه فما لك شاكر
محضتني سر الحياة وسرها   خاف عليك جليله والغامر
ان الضياء يرى العيون ولا يرى   والحسن يوقظ وهو غاف سادر !

وهكذا يحتضن الحب الدنيا والكون ...

تلك هي أبعاد الشخصية الانسانية عند العقاد : استنهار الانسان لكل ملكاته، وارادة الوصول الى اسمى الغايات الانسانية ، الوعي الكوني ، الصبر على الألم ، عدم مهادنة الشر ، تقديم رضا النفس على منافع الدنيا ، التأكيد الايجابي للذات والسمو بالحب .

وكرامة الانسان ــ كما عبر العقاد شعرا ــ تتمثل في السعي الدءوب لبلوغ تلك الغايات .



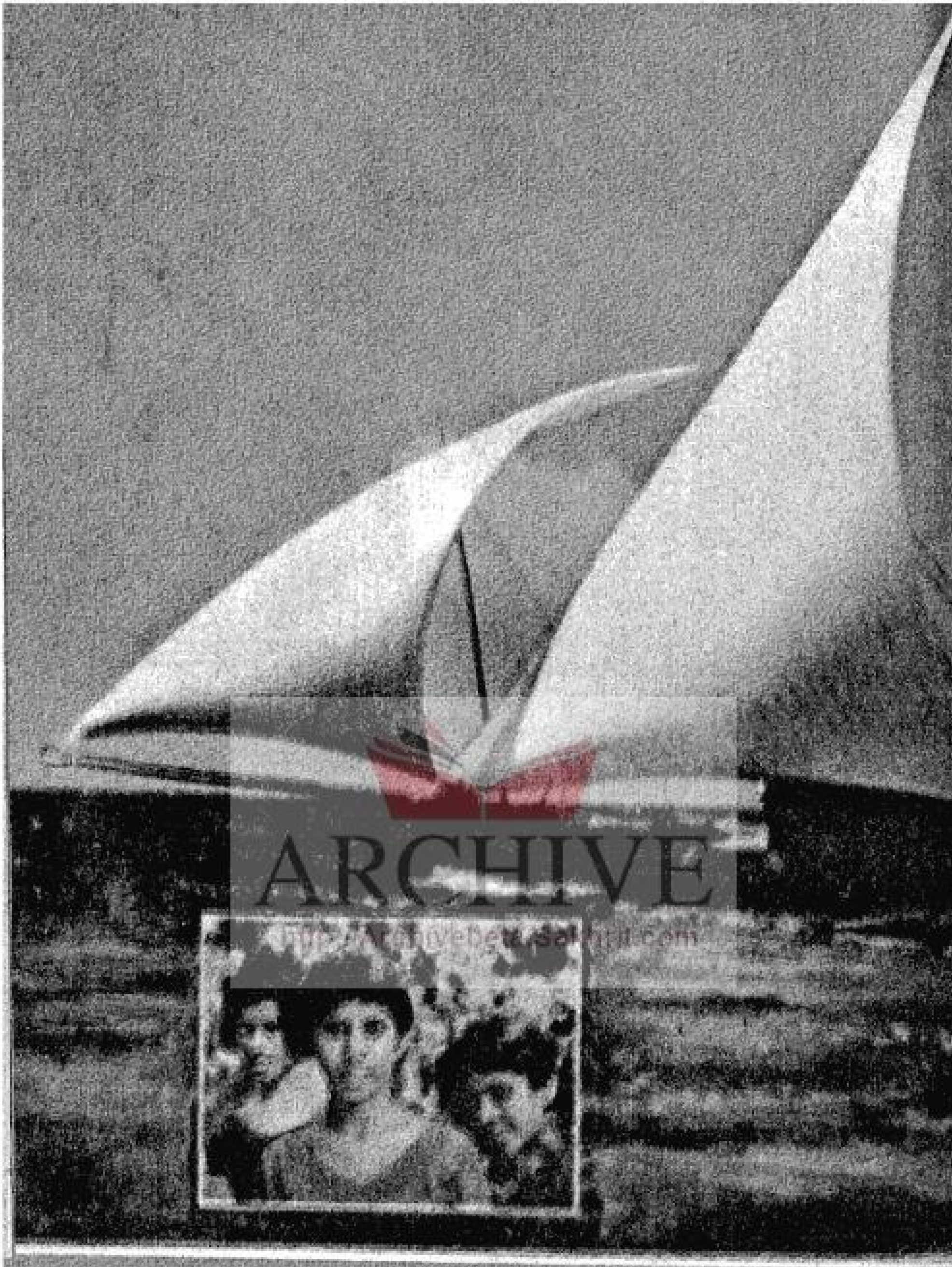
ملديف

جزر النساء

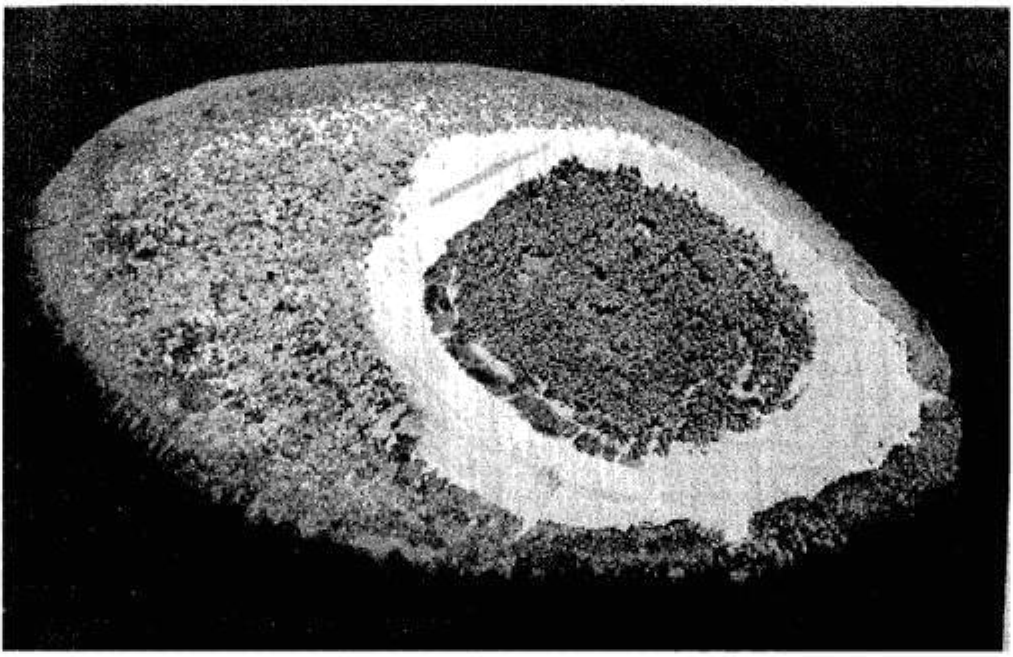
نحو ألفي جزيرة ساحرة في المحيط الهندي أهلها كلهم مسلمون، ونساؤها فتنة للناظرين

من ستة قرون حدثنا ابن بطوطة عن جزر الملديف او «ذيبة المهل» وامتدح اهلها ووصفهم بصحة الاسلام والصلاح .. ووصف نساءها بالجمال الفائق .

وقد اعجبته فعاش فيها بضع سنوات وتزوج وانجب . والان نأتي بهذا الاستطلاع الذي كتبته صحفية المانية زارت الجزر اخيرا وأيدت كل كلمة قالها ابن بطوطة عن هذه الجنة التائهة في مياه المحيط الهندي .



قارب من القوارب الجميلة التي اشتهرت بها جزر الملديف ، انها قوارب شراعية مزودة بمحرك آلي لكي تستطيع التنقل بين الجزر في مياهها الضحلة ، وفي ركن الصورة ترى عددا من شباب ملديف ، انهم متفائلون بالحياة سعداء في جزائرهم خلف أمواج المحيط .



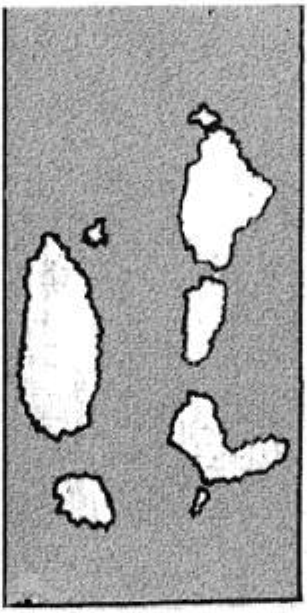
احدى جزر ملديف المرجانية كما تبدو من الجو . انها جنة من الخضرة ونخيل النارجيل ، وفي هذه الجنة تعيش امة اشتهرت دائما بجمال نسائها ..

● جولة قصيرة في بلد اسلامي جميل مجهول ●

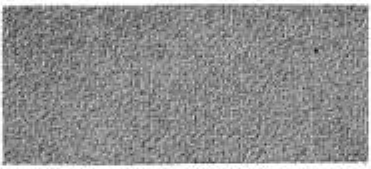
البلد هو جزر الملديف أو ذيبة المهل كما يسميها الجغرافيون العرب . انه مجموعة من الجزر الصغيرة يبلغ عددها نحو الفين ، في الطريق البحري من عدن الى جزيرة سيلان أى بلاد سيريلانكا . الاتصال الجوى بالجزر يتم عن طريق كولومبو عاصمة سيريلانكا ، ومدة الطيران ساعتان، لان المسافة بينها وبين «آرى» مطار عاصمة الجزر حوالى ٨٠٠ كيلومتر . الجزر كلها مرجانية ، وهي ليست كلها مسكونة اذ ان عدد المسكون منها لايزيد على ١٩٢ جزيرة . بعضها يسكنه الناس في فصل المطر فقط ، فتزرع النساء شيئا من الشعير ويجني الرجال محصولا متوسطا من جوز الهند ويستخرجون مقادير طيبة من زيت نخيل جوز الهند ويصيدون الاسماك ويملحونها ويجففونها ، وعندما يتوقف المطر وتقل كميات المياه الموجودة في هذه الجزر يرحل الرجال والنساء عائدين الى جزيرتهم الاصلية ، وقد جمعوا زادا طيبا يتغذون ببعضه ويبيعون بعضه . هناك جزر قاحلة لا تسكن أصلا لانها كتل من الصخور المرجانية بارزة فوق سطح الماء وليس فيها أى نبات أو حيوان .

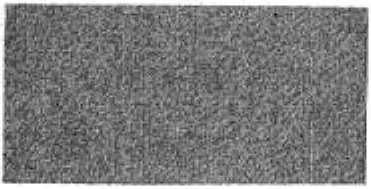
هذا البلد الصغير المكون من هذه الجزائر مسلم كله ، وأهله متدينون على جانب كبير من الصلاح وطيب الخلق . في كل جزرهم الكبيرة مساجد جميلة ، وفي الجزر الصغيرة زوايا ، والبلد جمهورية مستقلة وهو عضو في الامم المتحدة .

الناس لا يعرفون عن هذا البلد الا القليل ، لان أهله لا ينتقلون الى الخارج أو يسافرون الا للحج الى بيت الله الحرام أو للمتاجرة مع الهند وسيريلانكا وسلطنة



خريطة لاكبر جــزر الملديف واهمها « ماله » وفيها العاصمة وراسو وفيها المطار « آرى » وهى اغنى هذه الجزر وخوليدو وتيلاندو الشمالية • الاتصال بين الجزر يتم بواسطة ســفن شراعية صغيرة تركب فيها موتورات احيانا ••





عمان واليمن • ليست لهم الا ســفارات قليلة ولكن لهم وفدا فى هيئـــة الامم يتألف من رجلين • وهم مسـالمون جدا ولايتدخلون فيما لايعنيهم ، وقد حصنهم الاسلام ضد مساوىء الحضارة الغـربية التى اكتسحت الكثير من أهل جزر بحار جنوب آسيا وجنوبها الشرقى ومجموعات جزر بولينيزيا • ولكن الناس هناك ليسوا متأخرين ولا بعيدين عن العـــالم • ان قادتهم يعرفون كل شىء عمـــا حـولهم وما يجرى فى الدنيا ، ولكنهم يعـــرفون انهم بلد صغير لا يزيد عدد سكانه على ١٢٣٠٠٠ نسمة ومن هنا فلا صالح لهم فى الدخول فى مشاكل دولية ، ولهـــذا قل ان تسمع بجزر الملديف فى الاخبار • اكبر الجزر تسمى « ماله » وهـــو اسم العاصمة • أما المطار فيوجد فى جــزيرة صغيرة الى جنوب غربها تسمى راسو وهو من انشاء الانجليز أيام كانوا يسيطرون على هذه الجزر • انهم لم يســتعمروها ولكن رؤســاء ملديف هادنوا الانجـليز وسمحوا لهم بالدخول لدراسة الجزر • الخريطة الوحيدة المعتمدة لكل هـــذه الجزر من عمل البحرية البريطانية • من حسن حظ جزر الملديف ان مواردها على قدر حاجة أهلها ، فلا مصــلحة لاحد فى استعمارها كذلك لاتوجد من بينها جزيرة واحدة ذات حجم يصلح لانشاء قاعـــدة عسكرية أو بحرية ، ثم ان الجزر محاطة بالشعب المرجانية • لهذا حذرت أساطيل الدول الاوروبية أن تدخل الجزر • لهذا سلمت من الاســتعمار وعاش أهلهـــا فى سلام •

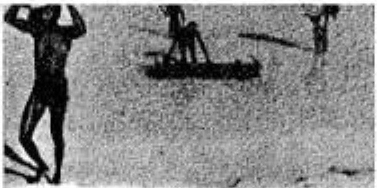
❋❋❋

جزر الملديف أو ذيبة المهل معروفة لنا نحن العرب معرفة جيدة ، فقد زارها ابن بطوطة رحالة الاسلام سنة ١٣٣٠ وقضى فيها فوق العامين ، وهناك عين قاضـــيا وتزوج أكثر من مرة وتمتع بأسعد أيام حياته ، وقد تحدث عنها فى رحلته حديثا طويلا •

وابن بطوطة هو أول من لفت الانظار الى جمال نساء الملديف فهن فى نظـــره ذوات حســن بارع ووداعة طاهـــرة مطيعـــــات لازواجهن ، وهن لا يكلفن الرجال مالا ولا نفقة ، فالرجل هناك معزز



[illegible]







ملديف

جزر النساء

هكذا تبدو احدى جزر الملديف للسفن القليلة التى تقترب منها : جنة من الخضرة والنخيل عامرة بالنساء الجميلات والاطفال.. هذا سبب اشتهار الجزر بنسائها .

رجال الملديف او «ذيبة المهل» صيادون مهرة ، والسمك يكون اساس طعامهم ولهم مهارة كبيرة فى الغوص فى الماء وصيد الاسماك باليد ، فهم لايستعملون الصنارة أو الشبكة الا نادرا ، لان مياه بحار جزرهم حافلة بشعاب المرجان وهى جنة الاسماك ، والصائد الملديفى يستطيع ان يمكث تحت الماء نصف دقيقة يخرج بعدها وبين ذراعيه سمكة فى طول بدنه ، هذه هى طعامه وطعام اهله لليوم، ولكنه يصطاد اسماكا كثيرة اخرى ليبيعها او ليجففها ويختزنها لوقت الحاجة .



« نسيمة » بنت ملديف الجميلة ، انها تحمل على رأسها اناء من خشب صنعته بيديها من جذع شجرة ، وهذا الاناء مليء بزيت نخيل النارجيل ، وهو غذاء طيب حافل بالفوائد ، وهو دواء للكثير من الادواء ، وهو ايضا زيت تجميل . انه ينعم الشعر ويكسبه البريق والليونة ويحمي البشرة من وهج الشمس ..



نموذج من جمال نساء ملديف . هذه الشابة الجميلة تحمل على راسها اناء مصنوعا من جذع شجرة نارجيل مليئا بزيت هذا النوع من النخل ..

● ● ●

مكرم تخدمه زوجاته وربما وفرن عليه مئونة العمل .

جمال نساء ملديف يرجع الى ان سكان الجزر جميعا خليط من العرب والافريق واهل سيلان او سرنديب او سيرلانكا . هناك اثر للهنود لان اهل الجزر لا يرحبون بغير المسلمين ولا يسمحون لهم بانشاء المتاجر في بلادهم . السفن تقف بعيدة عن الجزر في عرض البحر ، وتجار ملديف يذهبون اليها في سفنهم الصغيرة ليشتروا ويبيعوا . ومحصولات الجزيرة مطلوبة جدا في الاسواق التجارية رغم قلتها ، فهذه الجزر تخرج احسن اصناف زيت نخيل النارجيل او جوز الهند ، ولديهم اعشاب طبية كثيرة مطلوبة في اسواق آسيا لان معظمها ينشط الرجال ويزيد الحيوية . لقد تحدث عن ذلك أيضا ابن بطوطة . ولكن رحالة فرنسيا يسمى بيرار أسماء فهم اولئك الناس وكتب في وصف رحلته وزيارته للجزر يقول ان أهل ملديف نساء ورجالا لا عمل لهم الا الزواج والطلاق وانجاب الاطفال . الحقيقة ان نساء الملديف يتزوجن ويطلقن بغاية السهولة . وامرهن بايديهن . والواحدة منهن ربما تزوجت لاسبوع واحد . وهن لا يتزوجن من الغرباء الا اذا كانوا مسلمين . فنساء الملديف شديدات الاعتزاز والتمسك بدينهن الاسلامي ، وهن ايضا شديدات العناية بجمالهن .. تغتسل الواحدة منهن اكثر من مرة في اليوم . وتطيب شعرها وجسدها بزيت النارجيل والعطور . ويشاكهن الشابات في غاية الحسن والواحدة منهن لا تكف طوال يومها عن النظر في المرآة وتزيين شعرها ووجهها ، وملابسهن ملاحف القطن ، هكذا قال ابن بطوطة ، ويراد بملاحف القطن ما يعرف اليوم بالساري وهو الثوب النسائي الهندي المعروف : تلف المرأة نفسها بقطعتين من القماش ، واحدة للصدر والراس والثانية لبقية الجسد . ونساء ملديف لا يسرفن في الحجاب ومعظمهن يسرن في الطريق دون ان يسترن وجوههن ، ولكنهن محافظات على انفسهن ، وعندما زار الجزر ابن بطوطة ، كانت تحكمها امرأة . كانت وصية على العرش ، وهي في رأي ابن بطوطة حكيمة عادلة حازمة ، ولكنه استنكر رياسة المرأة على الرجال ، وان كان قد سعد بكرم هذه السلطانة وحسن معاملتها وسعة صدرها معه . ففي هذه الجزر ارتكب ابن بطوطة اخطاء جسيمة انتهت بخروجه منها شبه مطرود .

● د. حسين مؤنس ●



علماء وراء سر الحياة

من ثمانية قرون تنبه ابو الريحان البيروني الى ان نطفة الكائن الحي تضم الكائن الحي كله وان بذرة النخلة تضم النخلة ، ولكن احدا لم يواصل تفكيره حتى يصل به الى ما وصل اليه علماء البيولوجيا اليوم ، وفي هذا المقال والاستطلاع نحدثك عن البيروني طليعة علماء الاحياء ثم عن سبعة من علماء العصور الحديثة تمكنوا من استخراج مادة الحياة وهي حامض د.ن.أ. الذى اودعه الله سر تكوين كل كائن على النحو الذى تكون منه ابوه الذى انجبه .. ولكن ما هو سر الـ د.ن.أ. ؟ .. هنا تقف حدود العلم الانساني !!

جريجور مندل

كان جريجور راهبا نمساويا يعيش في دير ، وكان من هواة الزهور والنباتات لا يزال يزرعها ويعنى بها في أوقات فراغه . وقد استرعت نظره ان تناسل الاحياء بعضها من بعض محكوم بقوانين ثابتة رياضية ، فكرس حياته للوصول الى هذه القوانين . وجعل يزرع البقول المختلفة الانواع بناء على خطة وضعها . وكان البقل الذى اختاره هو البازلاء ، لأن منها صفراء وخضراء ، وهي تنمو وتتكاثر بسرعة . فكان يأخذ بذرة بازلاء خضراء ويزرعها ، فاذا نبتت طعمها بلقح من بازلاء صفراء ليجد ان المحصول بازلاء صفراء .

اذن فهناك قوانين تحكم الوراثة ، وقد تمكن من كشف الكثير من قوانين الوراثة اثناء حياته ، ووضع اساس علم الوراثة.

وهو باب عظيم من ابواب علوم الاحياء ، مع ان احدا من معاصريه لم ينتبه الى اهمية كشوفه الا بعد ١٦ سنة من وفاته عندما اكتشف العلماء مندل نفسه سنة ١٩٠٠ .

ان أعظم كشف تم فى علــوم الاحياء خلال السنوات الاخيرة هو التوصل الى استخراج مادة الحياة من الخلية وعزلها عن بقية بنيان الخلية واجراء التجارب عليها ..

هذه المادة التى تطلبت من العلمــاء اكثر من ثلاثة قرون للعثــور عليها هى حامض هلامى يشبه بياض البيض يوجد فى داخل الخلية . انه يسمى د.ن.أ. وهو اختصار اسمها العلمى .

هذا الحامض الهلامى الذى يوجد فى كل خلية هو الذى يحمل سرها كله : هو الذى يحمل « الشــفرة » أو السر الذى يجعل خلية الكائن الحى تلد خلية مثلها تماما .

تلك المادة هى سر الحياة كله

انهم يستخرجونها اليوم من الخليــة ويجمعونها فى آنية ويحقنون جزءا منها فى ظهر حيــوان صغير . فيطــردها جسم الحيوان ، ويخــرج معها شيء من خلايا جسده، فاذا أخذت السائل الخارج ووضــعته تحت الميكروســكوب رايت عجبا ! رايت أمام عينيك بركة صغيرة فيها سائل وفى السائل الوف من الاحياء الصغيرة التى تتحرك فى حالة عصبية تدهش العقل .. هذه الاحياء التى تراها هى قطع صغيرة جدا من حامض د.ن.أ. يرتبط بعضها ببعض ولها ذيل يحركها لكى تجد المكان المناسب لها فتستقر فيه وتأخذ فى النمو ..

عندما تضع حبــة ذرة فى طــين وترويها فان حبة الذرة لا تلبث ان تتفتح ويخرج منها جذر أخضر يمتد داخــل الطين باحثا عن غذائه ، هذا هو الجذر ، ويطلع منها جذع صغير أخضر يشق الطين صاعدا الى الهواء والنور . فى أول الامر يكون لونه ابيض ، تســتطيع ان تراه بعينيك .. بعد ساعات تصدر له الاوامر من حامض د.ن.أ. فى خلاياه فيأخذ ثانى اوكسيد الكربون من الهواء ومواد اخرى ويصــنع المادة الخضراء التى تلونه . حامض الـ د. ن. أ. يتكاثر من تلقــاء نفسه وينبت فى الجذر والجذع ويصدر اوامره فيطلع جــذر شــجيرة الذرة بالضبط كما اراد له الله ان يكون وبعد قليل يبدأ الجذع فى اخراج أوراق الذرة ثم كيزان الذرة .. ثم حبات الذرة .. فى نفس الوقت تكون الجذور البنيــة الرفيعة قد تفرعت داخل التربة وسار كل منها يطلب الغذاء اللازم للذرة – فى كل شعرة من شعرات الجذر ملايين من مادة الـ د.ن.أ. الخاصة بالذرة وبقية مكونات خلية الذرة .. كل منها يصدر أوامــره لنفسه وغيره ليكون الكائن الحى الجديد صورة من الكائن الحى القديم .

ولكن .. ما هو هذا الحامض الذى هو سر الحياة ؟

وهل يستطيع الكيميائى ان يركبه ؟

مستحيل

انه سر الحياة وهو بيد الخــالق سبحانه

لقد ورد ذكره فى القــرآن فى الآيات ١ – ٣ من سورة الانسان . «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شــيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفــة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا»

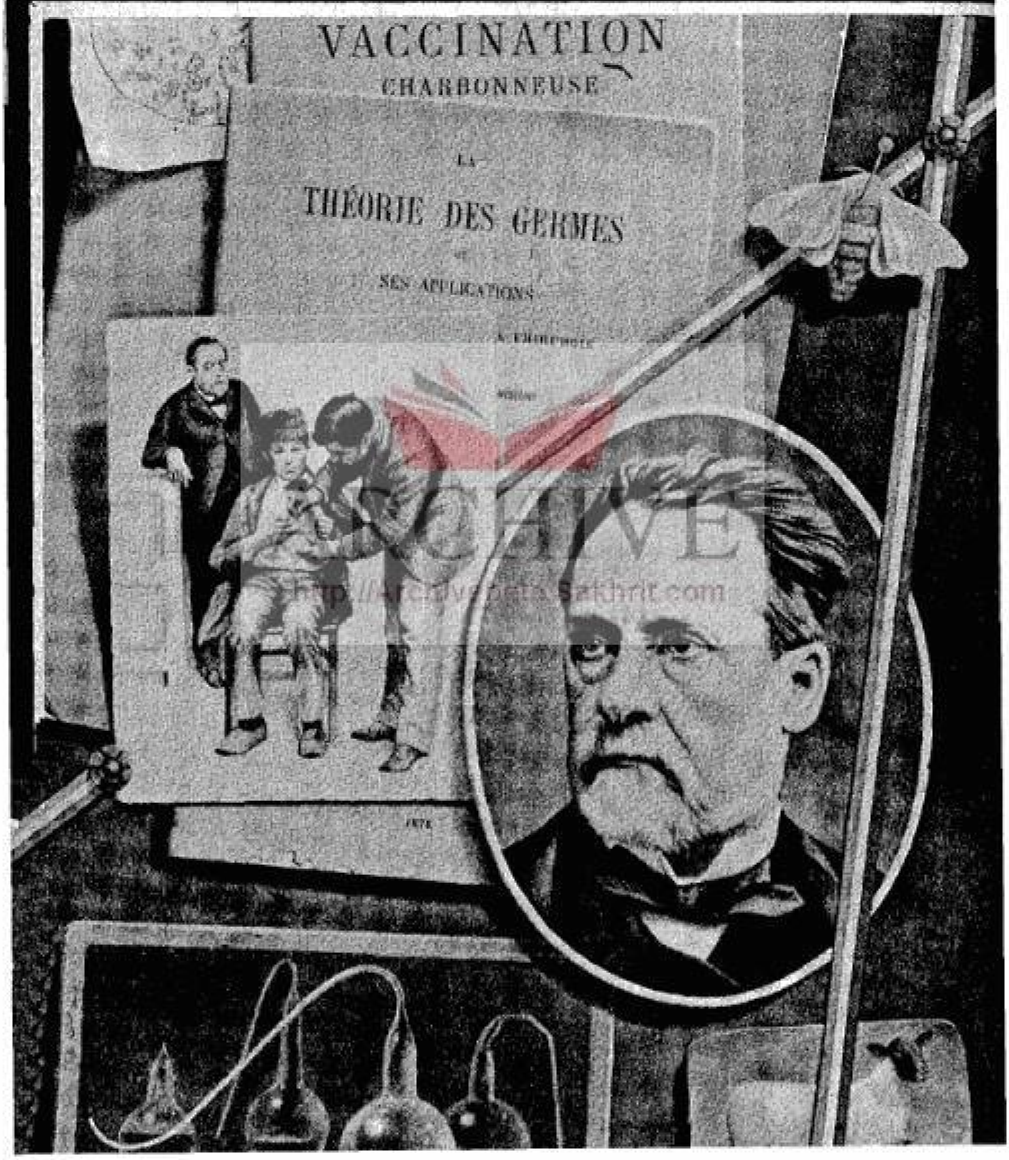
هنا يتحدث القرآن عن الانسان الذى لم يكن ثم كان . وكان خلقه نطفة تتكــون من امشاج . والامشــاج فيما نرى هى الـ د.ن.أ. التى تسبح فى سائل النطفة والنطفــة اذا وضعت جزءا منها تحت الميكروسكوب رايت ما وصفناه لك آنفا : مادة هلامية مثل بياض البيض تسبح فيها الحيوانات المنوية فى حركات عصبية ..

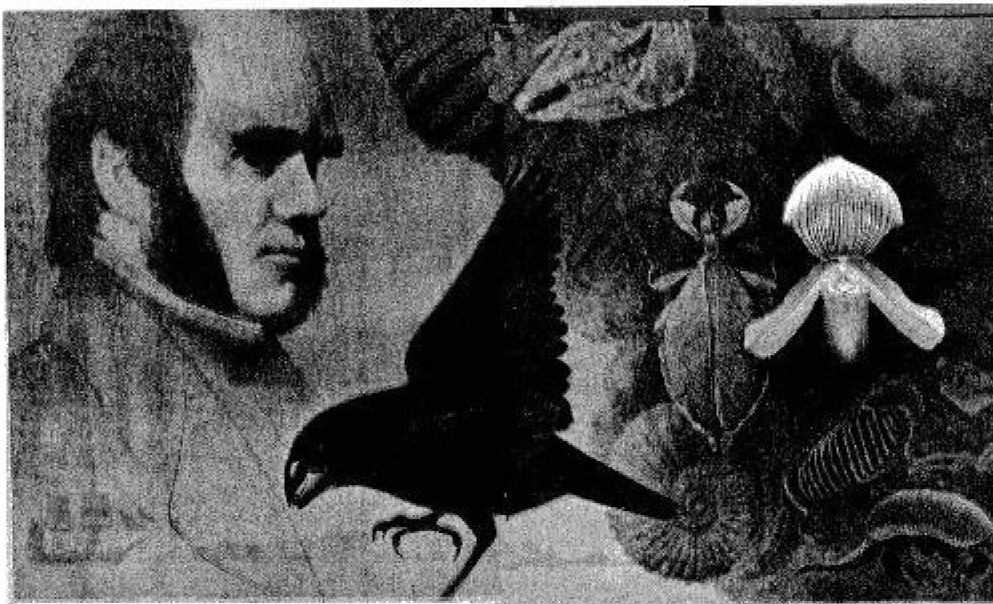
لوى باستير

فى سنة ١٨٦٠ اكتشف باستير أن الذى يخمر العجين وعصير العنب هى كائنات حية صغيرة تعيش بالالاين فى كل ملليمتر مربع، واننا نستطيع ايقاف تخمر العجين وعصير العنب اذا سخنا العجين والعصير لسخيناهما الى درجة حرارة فوق الاربعين او الخمسين ، وذلك ما نسميه اليوم بالبسترة او التعقيم ، لقد عرف باستير أن التخمر ينتج من ان هذه الكائنات الحية تلتهم العجين والعصير وتهضمه لتعيش منه ؛ وهذا الهضم هو الذى يحدث التخمر .

بهذا الاكتشاف احدث باستير ثورة فى العلوم اثبت ان الحياة دورة منتظمة ، فكل كائن حى عندما يموت يتحلل ، ويصبح طعاما لكائنات حية صغيرة لا تحصى ، وهذه الكائنات بدورها طعام لكائنات اخرى وهكذا .

ولكن اكتشاف باستير الاكبر هو ان الكثير من الامراض تسببها كائنات حية هى الميكروبات ومثال ذلك الحميات ، واننا اذا اوقفنا عمل الميكروبات تخلص الكائن الحى من المرض ، وقد استعان فى ذلك بالتسخين او البسترة وغلى المادة المراد تطهيرها وهو التعقيم ، واخترع التحصين بالمصل ، وكان اول مصل اعده هو مصل مرض الكلب





شارلس داروين

يعتبر داروين من أقطاب علماء الحياة الذين أحدثوا ثورة لا في عالم الأحياء فحسب بل في كل ميادين العلوم والفكر الإنساني كله .. لقد اكتشف نظرية التطور وعرف سبب اختلاف أشكال المخلوقات الحية وأسرار تكيفها مع البيئة التي تعيش فيها وصراعها من أجل البقاء - وهذا التكيف نفسه وسيلة من وسائل المحافظة على البقاء .. أتم داروين رحلته العلمية المشهورة على ظهر السفينة « بيجل » ، وكان في كل مرحلة ينزل إلى البر ويدرس الحيوانات والطيور ويفكر في أساليب معيشتها وتغير أشكالها لكي تتواءم بين كيانها ومتطلبات الحياة في البيئة ، وانتهى إلى أن كل جنس يتطور في نوعه مع الزمن ، وأن أجياله تستطيع التكيف مع بيئته التي يعيش فيها .

وقد توصل إلى الكثير من آرائه وهو مقيم في جزر الجالاباجوس الواقعة في المحيط الأطلسي قرب ساحل الإكوادور - هذه الجزيرة منعزلة تماماً - فهي بعيدة عن العالم وأحياؤها من نبات وحيوان وطيور تتصارع للبقاء في صمت وضراوة ووحشية - في النهاية خرج الرجل بكتابه المشهور : أصل الأنواع .. الذي أحدث الثورة الكبرى في الفكر الإنساني كله .



توماس مورجان

يعتبر توماس هنت مورجان الامريكي من أعلام علم الاحياء الحديث ، فقد قضى عمره كله يجرب في معمله في جامعة كولومبيا ، واستعمل لتجاربه ذبابة تسمى الدروسوفيلا تمتاز بميزتين : سرعة التكاثر وبان كيانها يتكون من اربعة ازواج من الكروموزومات شكلها هو الذي نراه باللون الاسود في الرسم ، فمضى يزاوج بينها بناء على خطة علمية وقواعد رياضية وضعها مواصلا بذلك عمل جريجور مندل . ولم يترك امكانية في التجربة الا لجأ اليها ، فكان يختار ذبابات الفاكهة الدروسوفيلا من شتى الالوان واشكال الجسد والوان العيون وطول الاطراف ، وانتهى بعد نحو ثلاثين سنة من التجارب الى تثبيت قوانين الوراثة بكتابه الرائع « نظرية الجينات »

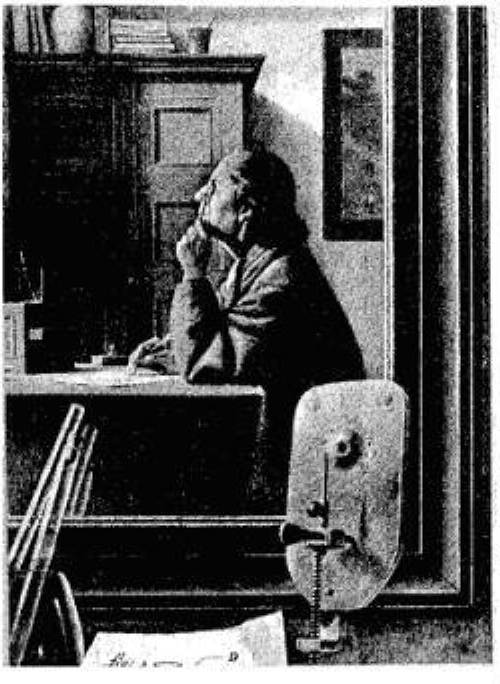
والحيوان المنوي ما هو الا مجموعة من ال د. ن. أ. لها ذيل يحركها ... انها أمشاج الانسان ، ونطفة الفيل تحمل امشاج الفيل، وبذرة الذرة تحمل أمشاج الذرة وكذلك ذرة بذرة الورد .

لقد كان ينبغي علينا نحن ان نتنبه الى سر الحياة هذا لان الله سبحانه ذكره في القرآن بهذا البيان المعجز ، ولفظ امشاج لا يمكن ان يكون معناه الخليط أو المزيج كما تقول القواميس ، لان هذا لو كان معناها حقا لاستعمله القرآن الكريم في هذا المعنى في آية أخرى .ثم ان ذكر الامشاج بعد التساؤل عن الزمن الذي لم يكن فيه الانسان لم كان، كفيل بأن يلفت النظر الى حقيقة معنى الامشاج .

لقد استعمل القرآن الكريم اللفظ في الكلام عن النطفة لكي يلفت الخالق سبحانه أنظارنا الى حقيقة سر الحياة الذي يملكه الخالق وحده .. وقد أشار الى ذلك ابن عباس الذي روى ابن كثير في تفسيره ان نطفة الامشاج تعني ماء الرجل وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا . وابن عباس هنا يقترب جدا من المعنى الذي نقصده هنا .

ان الامشاج اليوم بيد العلماء ، يستخرجونها ويقضون الايام ينظرون اليها على شرائح الميكروسكوب ويجرون عليها التجارب لعلهم يخترقون جدار سرها الرهيب .. لقد أنفق العلم الاوروبي ثلاثة قرون لكي يستخرج هذه المادة من جسد الخلية .. وقد حسب يوم اكتشفها انه وضع يده على سر الخلق ولكن هيهات ! انها سر الحياة وسر الكون ، وعند أبوابها يقف العقل البشري عاجزا ، ولقد قال الله سبحانه في الآية الثالثة والسبعين من سورة الحج :«ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له» صدق الله العظيم

من بين مفكرينا المسلمين وعلمائهم من مس هذه الحقيقة من بعيد وتساءل عن سر الحياة ، فالجاحظ يحكي في اسلوبه الفكه ما وقع له مع واعظ من المشعوذين أمام المساجد كان يتحدث الى الناس في عجائب المخلوقات ويلقي على الناس تهاويل عجيبة عن حبة عنب في حجم البيت وحصان مجنح في ارتفاع جبل أبي



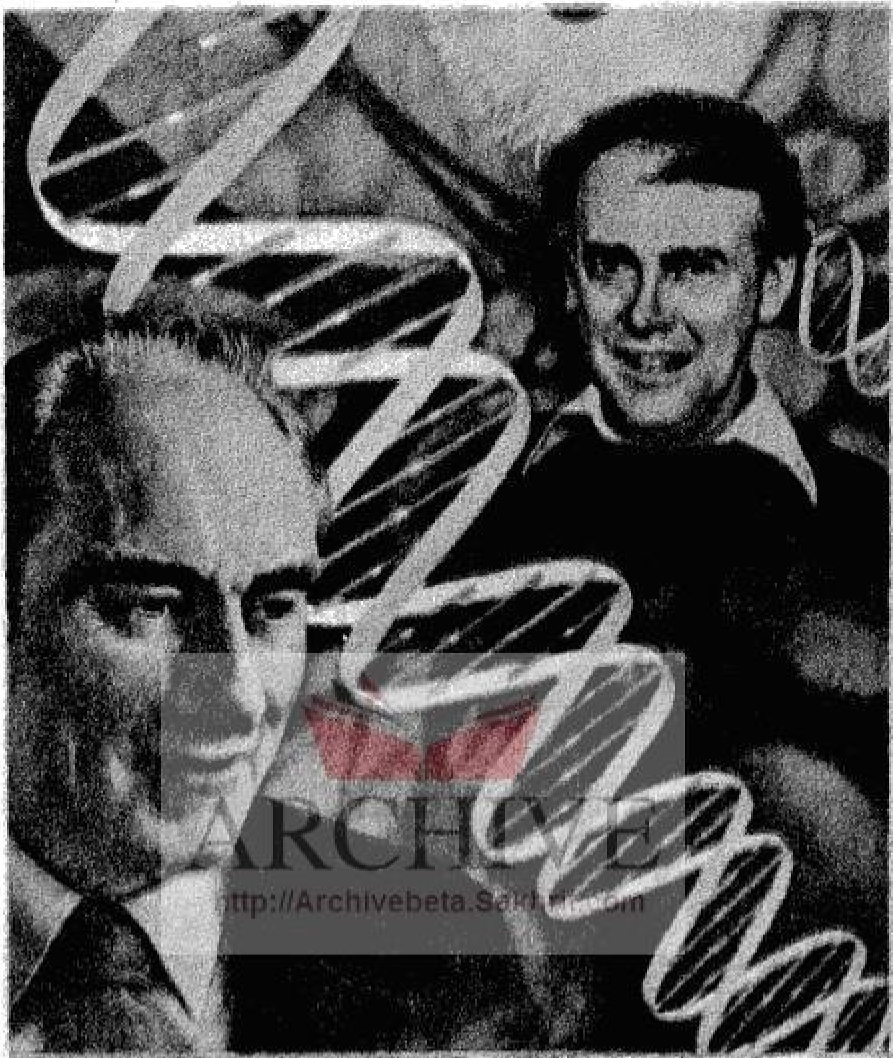
انطون فون لوفنهوك كان صانع عدسات هولندى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . لقد كانت العدسات التى يصنعها بدائية جدا ولا تكبر الا عشرات على الاكثر ، ولكنه تنبه الى ان هذا التكبير يكشف له حقائق لم يسبقه اليها احد ، فكان يضع نقطة الماء على شريحة من زجاج وينظر اليها بالعدسة فيرى الوف الكائنات الحية تسبح فيهـا ، وكان يضع نقطة من لعابه على الشريحة وينظر فيرى الوفا اخرى من الكائنات تلك هى الميكروبات التى كشف هـذا الرجل الطيب سرها سنة ١٧٦٧ ، فى الصورة نراه فى مكتبه مع بعض الادوات التى كان يستخدمها فى بحوثه : انه يمسك بعدسة بدائية ركب لها يـدا يمسكها بها وينظر من خلالها الى نور النافذة لم يضع قطرة ماء على شريحة زجاج فوق مصباح منير ويتأمل ملايين الاحياء او الميكروبات . كان هذا كشفا عظيما . انه بداية علم الاحياء الحديث.. وهذا الرجل الطيب هو ابو البيولوجيا المعاصرة ..

قبيس ، والناس من حوله قد فتحـوا افواههم تعجبـا ، فاقترب منه وقال : حرام عليك والله أيها الشيخ أن تصرف أولئك السذج عن التأمل فيما خلق الله بالتفكر فيما لم يخلق ، وما شأن حبة عنبك هذه وحصانك المجنح ذلك ؟ أما كان أولى بك ان تلفت أنظارهم الى قدرة الخالق فى خلق الحياة ودفع الانسان الى الحركة واخراج الزرع الاخضر من الطين الاسود ، وماذا يجعل ابن الغزال غزالا وابن القط قطا فرد عليه المشعوذ السريع الجواب : الذى يجعل الغزال غزالا ويخرج الزرع الاخضر من الطين الاسود هو الذى يجعل فحلا كالثور مثلك يضحك على الناس بكلام مزوق فى كتب يأكل به عقول الناس ! يقول الجاحظ : فضحك الناس منى وانصرفت أتعجب من سرعة بديهته وجرأته على الناس ..

أما العالم العربى الذى اقترب من الـ د. ن. أ. فهو أبو الريحان البيرونى صاحب الفكر العلمى المتألق الذى قال فى كتابه «الآثار الباقية»: واعجب العجب أن النطفة من سائر الحيوان واحدة والبذرة من سائر النبات واحدة ، ولكن كل نطفة لا تخرج من الكائنات الا ما أودعه الله سبحانه فيها ، وكل بذرة لا تخرج من النبات الا شكل النبات الذى خرجت منه ، فلا بد ان فى هذه وتلك شيئا صامتا ساكنا أودعه الله وأودع فيه سر الخلق كله ، وما يدرينا فلعل النطفة تحمل الكائن الحى كله وكأن البذرة فيها الشجرة ...

هذا ما قاله البيرونى منذ ثمانية قرون فكيف لم يواصل أحد من علمائنا كلامه وفكره لنصل الى أبواب سر الحياة كما وصلوا ؟ هنا تكمن مأساة العلم العربى : انها الوقوف فى منتصف الطريق ، انها انعدام الترابط بين الاجيال فى العمل والفكر والغاية ، فما قاله أبو الريحان البيرونى انتهى بوفاته ، أما ما قاله باستير فواصله من بعده حتى وصل علماء البيولوجيا أو علم الاحياء اليوم الى باب سر الحياة نفسه ، وهو أقصى ما يمكن أن يصل اليـه عقل البشر ، لان للعقل البشرى مهمـا كان حدودا .

علماء وراء سر الحياة ...



واطسن وكريك

ثم جاء البيولوجي الامريكي جيمس د . واطسن واخذ يجرى تجاربه على الطيور معتمدا على النتائج التى وصل اليها مندل ثم مورجان ، وقد ركز همه على العملية الكيميائية التى تحكم الوراثة ، ولهذا السبب حصل على منحة ليتم بحوثه فى انجلترا وهناك التقى بالعالم الانجليزى فرانسيس كريك وكان يبحث فى نفس الميدان ، فاشتركا معا ، وانتهيا بعد سنة ونصف من العمل المتواصل الى اكتشاف الامشاج او حامض د . ن . ا . الذى يوجد فى كل خلية ويتولى عملية صنع الكائن الحى الجديد على مثال ابيه بواسطة خصائص كيميائية وكهربائية توجد فيه . لقد استطاع العالمان ان يستخرجا مادة د . ن . ا . ويضعاها موضع التجربة وبذلك يكونان اول من اخترق حجاب الخلية وفتحا الباب لاكتشاف سرها .. سر الحياة .

نبض الحنين

● فولاذ عبد الله الانور ●

توحشت .. من سوف يعرف وجهي   وقد شيبته جراح المنون
توحشت .. من سيهدىء روعي   وينفض عني غبار جنوني
ومن سوف يمنع خطوى من السعـ   ـى في دربك المستكين الامين
حبيبة جرحي ، ماذا ساحكي   وكل الحكايا تثير شجوني
ذكرتك بالامس والليل بحر   من الياس يفصلنا في سكون

***

ذكرتك ... كنت تسيرين يوما   الى جانبي تحت تلك الغصون
ذكرتك ... كنت تسيرين ، كانت   عيونك تملأ حزنا عيوني !
وكانت رياح المدينة تهوى   وتعبث في شعرك المستكين
وتصطدمين بصدري عفوا   وتنفلتين لكي تولميني

***

ذكرتك بيني وبينك شيء   من الموت في رعشة يعتريني
وبيني وبينك ارض ذئاب   ملغمة تحت نبض حنيني
ذكرتك ، عقل غاب ... ذكرتـ   ـك شعرى شاب ، وضاع يقيني !
ورحت اقلب بين دمائي   ذراعا بها اثر الياسمين !
لابحث عن خنجر خبأته   عن العين طيبة قلبي الطعين !
وانهض كي افتديك بعمري   امام الجحيم الذى يحتويني !

***

« احبك » هذا كلام قديم   على ، تجاوزته من سنين
« احبك » لا تتحقق الا   وقد قلبت في اللهيب عيوني !
انا الآن اركل باب البراكيـ   ـن ، افتح بين الشظايا جفوني !
اعرى ضلوعي امام الدمار   واصعد فوق طريق الجنون !
فان كنت خائفة فارجعي ،   وان كنت واثقة ... فاتبعني !

الأبعاد الثقافية والاجتماعية لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى

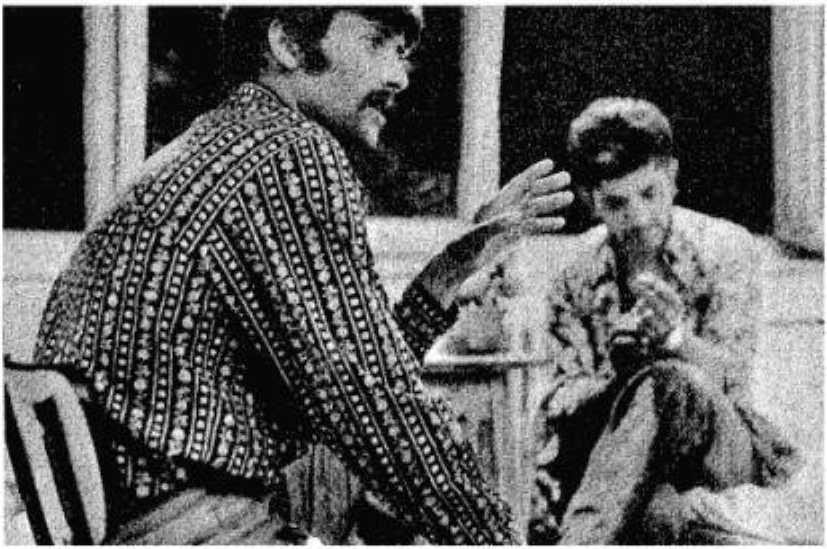
● مارى غضبان ●

●● شهدت القاهرة فى شهر سبتمبر الماضى الدورة الرابعة لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى الرابع ... والهدف من مهرجانات السينما ليس كما يتصور البعض تجمع وحشد للافلام والنجوم والجوائز ، لكنه اكبر من هذا فهو يضم البعد الثقافى والبعد السياسى والبعد الاجتماعى بجانب الاهداف الفنية المرجوة من عقد اى مهرجان سينمائى ...

● ولقد اشتركت فى مهرجان القاهرة الاخير ثلاثون دولة تمثل قارات العالم كلها ، وبجانب الدول المتقدمة فى الفن السينمائى اشتركت دول اخرى حديثة العهد بالسينما ... كما اشتركت فى المهرجان دول حديثة العهد بالاشتراك فى المهرجانات الدولية ، وفى مقدمتها الصين واستراليا وسويسرا والسودان والمانيا الديمقراطية والدينمارك والنرويج – وهى دول تشترك لاول مرة فى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى... وقد اشتركت هذه البلاد بعدد خمسين فيلما روائيا طويلا وعشرين فيلما قصيرا وتسجيليا ...

ومن المعروف أن لائحة الاتحاد الدولى للمنتجين « الفياف » ومقره باريس – تشترط على البلاد التى تنظم المهرجانات الا تسمح بعرض الافلام خارج المدينة « المقر » التى يعقد فيها المهرجان ، ولا يسمح بعرض الفيلم الواحد أكثر من ثلاثة عروض ، كما يشترط الا تحذف الرقابة على المصنفات الفنية اى مشاهد من الفيلم ..

ونظرا لقيام مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث بعرض افلام المهرجان فى مدينة الاسكندرية بجانب الحذف والقطع الذى تعرضت له بعض الافلام مما ادى باتحاد المنتجين السينمائيين الى شطب مهرجان القاهرة من بين المهرجانات المنضمة للاتحاد والتى تحصل على الافلام من الموزعين بمقتضى موافقة الاتحاد . لم عاد اتحاد



لقطة من الفيلم الجرى « يورى » اخراج « بال سيلر »

المنتجين وسحب هذا الشطب ، وعاد لادراج مهرجان القاهرة مرة أخرى فى قائمة المهرجانات المعترف بها ...

ولهذا السبب لم يتضمن المهرجان لجانا للتحكيم أو جوائز أو فائزين ، والمعروف ان مهرجانات العالم تنقسم الى نوعين : مهرجانات تضم مسابقات للأفلام ومهرجانات أخرى بدون مسابقات للأفلام . ومن بين هذه المهرجانات كان مهرجان فينيسيا السينمائى الدولى وهو أعرق المهرجانات السينمائية بدون مسابقة وبدون جوائز ، بينما كانت هناك مهرجانات أخرى ذات مسابقات وجوائز مثل مهرجانات برلين ، وموسكو ، وكان ، وكارلو فيفارى ، وغيرها .

والواقع ان مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الرابع وان عابه بعض القصور فى التنظيم ، الا انه حقق نجاحا اعلاميا واضحا فى الاحتكاك السينمائى الذى برز فى أكبر تجمع للسينمائيين والنقاد فى مهرجان دولى خارج القارة الاوروبية ، فقد وصل عدد ضيوف المهرجان من النجوم والمنتجين والمخرجين والنقاد والصحفيين الى حوالى مائة وثمانين شخصا ، وكان من بينهم عدد كبير من النجوم ، وسارعت وكالات الأنباء والاذاعات وشبكات التليفزيون والصحف والمجلات العالمية الى تغطية أخبارهم .

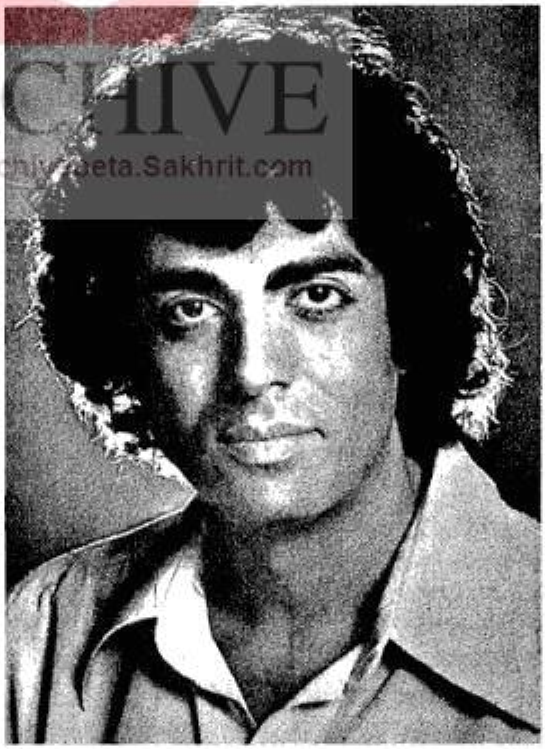
ومن هؤلاء النجمة الامريكية اليزابيث تايلور التى شاركت بفيلمها « دورية الليل » وحضرت حفل الافتتاح وحفل توزيع الجوائز على الرواد والمتفوقين سينمائيا فى مصر ...

ايضا شارك الفنى الفرنسى العالمى اريكو ماسياس ، والممثلة السويسرية العالمية ارسولا اندرس ، والممثلة الفرنسية الكسندرا ستيوارت ، وملكة جمال العالم ١٩٧٨ سابيل دانينج ، والمخرج الامريكى تونى زرنداست ، والمؤرخ السينمائى الفريد باور مؤسس مهرجان برلين السينمائى الدولى ، وغيرهم .

وقد علمت من مسئولة السينما السويسرية ارسولاباخر والسينمائى الالمانى الفريد باور ، ان اهمية مهرجان القاهرة تعود الى انه المهرجان السينمائى الوحيد فى منطقة الشرق الاوسط بعد توقف مهرجان طهران ومهرجان بيروت كما ان المهرجان يرتبط بالاهمية الثقافية



لقطة من الفيلم الفرنسي « خفقات قلب »



المغني العالمي انريكو ماسياس أسهم في نشاط مهرجان القاهرة

والاجتماعية والحضارية لمدينة مثل القاهرة . ولذلك تحرص معظم الدول على أن ترسل الى المهرجان بوفودها وأفلامها للمشاركة فى نشاطاته .

ويتمثل النشاط الثقافى للمهرجان فى عرض الوان الفنون السينمائية المتقدمة لبلاد العالم المختلفة ، وقد وضح فى المهرجان الأخير الميل الى تحويل الاعمال الادبية الى افلام سينمائية ، ومن ذلك المسرحيات والروايات مثل الفيلم الامريكى « دورية الليل » الذى لعبت اليزابيث تايلور بطولته ، والفيلم السويسرى « ميسادور » ، والفيلم الفرنسى « التبنى » الذى مثلته جيرالدين شابلن ، ولم تصرح الرقابة على المصنفات الفنية بعرضه فى نطاق افلام المهرجان ... والفيلم الالمانى « الطبلة » والفيلم المجرى « اثنتان منهن » اخراج مارتاميزاروش . والفيلم الايطالى « حديقة فيتزى كونتين » اخراج فيتوريو دى سيكا .

وقد ارتبط بعروض الأفلام المشتركة فى المهرجان اصدار نشرة صحفية يومية تضم دراسات ومقالات عن الفكر السينمائى فى البلاد المشتركة فى المهرجان ، ولقاءات مع اشهر نجوم السينما فى البلاد المشتركة فى المهرجان وعلى سبيل المثال نشرت الجريدة اليومية للمهرجان باللغة العربية واللغة الانجليزية مقالات عن الادب السينمائى ، والسينما الامريكية ، والسينما الالمانية ، والسينما المجرية ، والسينما فى سيريلانكا ، والسينما فى الصين ، والسينما فى الاتحاد السوفييتى ، والسينما فى افريقيا ... بجانب تقديم مخرجى ونجوم اشهر الافلام المشتركة فى المهرجان .

ولعل اهم ما اخذ على المهرجان هو ماتناقلته وكالات الانباء عن دور الرقابة على المصنفات الفنية فى تشويه القيمة الفنية لبعض الأفلام المشتركة فى المهرجان ، مما ادى بدولة مثل هولندا لسحب فيلمها «امرأتان» اخراج جورج سلويزر قبل أن يمسه مقص الرقيب ، وكذلك انسحبت يوغوسلافيا بوفدها بعد أن قطع الرقيب ١٥ **دقيقة من الفيلم اليوغوسلافى («الاحتلال») .. كذلك طالبت سويسرا بتعويض قدره اربعة آلاف جنيه عن التشويه الذى حدث لنسخة فيلم « ميسادور » الفيلم الذى يمثل سويسرا فى المهرجان مع فيلم («الخياطة») كما نال القص افلام « اثنتان منهن » الذى يمثل المجر فى المهرجان مع فيلمى « يودى » و « امتعاض » وبعض الافلام** الامريكية ، بل ان بعض الأفلام المصرية خضع لحذف بعض المشاهد من خلال الرقابة مثل فيلم « رغبات ممنوعة » الذى قامت ببطولته شادية الممثلة الحائزة على جائزة احسن ممثلة فى العام السينمائى ١٩٧٩ ، والفيلم من اخراج اشرف فهمى عن قصة حنيفة فتحى وسيناريو صبرى موسى ، ويستمد مضمونه من معالجة عربية للاسطورة اليونانية اليكترا .

●● ان مهرجانا يحمل اسم عاصمة عريقة مثل القاهرة يحتاج الى تدعيم مالى من الدولة وهذا المهرجان تنظمه الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما ، مثلما يسهم البرلمان الالمانى فى اقامة مهرجان برلين السينمائى الدولى ، ومثلما تقوم هيئة السينما فى الاتحاد السوفييتى بتنظيم مهرجان موسكو ، وبلدية الكوت دازور التى تقوم بتمويل مهرجان كان السينمائى ، والحكومة الكندية التى تمول مهرجان مونتريال ..

لقد رصدت وزارة الثقافة فى منتصف الستينات مليون جنيه لاقامة مهرجان يحمل اسم القاهرة .

والآن تقوم الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما بهذا الجهد منذ عدة سنوات من خلال ميزانية ضئيلة ... فهل تدعم الدولة المهرجان وتستفيد من خبرة الجمعية فى اقامة هذا اللقاء السينمائى العالمى ؟ ●

وقلبك أسمى ما اشتهى

• الورداني ناصف •



وقفت تنتظرين ...
والشوق الذى قد ذاب فى عينيك ،
يأخذنى الى شط بعيد
ويشدنى فيك الذى لم آلفه ،
من يوم أن كحل السنا عينى
فى العمر المديد ...
ويضمنى شوق هفا قلبى له
يوم احتفى بلقاء عينيك
اللتين امام سحرهما يذوب الصخر
ينصهر الجمود .
وتحوم حولى غيمة
فيشدنى فكر سما قلبى له .
وبه احتمى من جذوة الافكار
والشوق العنيد ! ..
واراك تبتسمين فى صفو
وما زالت على شفتيك آثار لتقبيل الورود
واراك يا يا حلوتى ...
يا من على صدر الزمان رسمت صورتك
التى احببتها
وبكل نبض فى الفؤاد عشقتها ..
فوهبتها روحى بحب دافق فاق الحدود!
وتطل فى عينيك نظرة عاشق
للحب .. للاحلام .. للحسن الفريد !
وتؤج نار الشوق بين جوانحى
ويثور حب ذاب فى الاعماق من امد بعيد
فتذوب بسمتك المضيئة رقة وعذوبة
والقلب يخفق عازفا حلو النشيد !
فاراك يا عصفورتى مشدوهة
لبلوغ ما ارجو لأسمى ما اريد ...
فعبير قلبك كل ما اشتاقه ..
وهواك يا كل المنى ...
بيت القصيد !

قصـــة قُطر الدائـــرة

● عزت معوض مصطفى ●

اخذت نفسا عميقا مــن سيجارتى .. سحب الدخان تنطلق ترسم خيــالات واحلاما واوهاما ... الكون حولى راقد فى سكون عميق الا من انفاس اللاهثة ،وافكارى المضطردة .

لقد تعبت من كل شيء الا من الكتابة ..

ـ لكن ماذا اكتب ؟!

الحادث الذى شاهدته بالامس كان مروعا ، هز اعماقى حتى الفزع من رؤية كل شيء .. حاولت ان انسى ذلك المنظر الذى يطاردنى ، فهربت الى داخل نفسى .. لكن سمعت طــرقات عنيفة على الباب ـ من جاء لى فى هذه اللحظة ؟ يالتعاستى ... انه سوف « يرغى » ويثرثر كثيرا .. سوف تضيع الفكرة من راسى .. سوف يبدد جوى النفسى ، سوف يجعلنى امزق خيــوط قصتى التى احرص على أن تكون مكتوبة بالشكل المتعارف عليه بداية ووسطا ونهاية وعقدة وحلا ... إن قوة الطرقات تذهب عقــلى ... ان صاحب الطرقات صوته غاضب مزمجر .. فلأحاول ان افهمه بطريقتى حتى لا اتهم بأنى عــديم الذوق .

ـ الحق ايها القصاص .. انـك تدعى زورا حل مشاكل أبطال قصصك ... الامشكلة ، مجلد من الهموم والاهات والقصص السلبية والضحكة والبكية ! .. انا الواقع بطينه ، بلحمه ودمه .. انا الاصل لا تصنعونه بخيالكم المريض .

ـ ارجوك اجلس .. لنتفاهم .. اريد ان افهم منك كل شيء حتى نضع الحل .

ـ ارجوك لا تقاطعنى .. انصت الى كما تنصت الى مشاكل ابطالك !

لفنى الصمت .. تركته يتكلم ، وعقلى مشغول بما افكر فيه من امر قصتى ، بعد ان شاهدت المنظر البشع وكيف اختفت البسمة فى لحظة !! انتهى كل شيء .. رأيت المتفيهقين عندما مرقت السيارة بجوارى ـ وانا اسير فى الشــارع ـ والاطفال بداخلها يضحكون ، وبعد مسافة قصيرة تهشمت .. لم ينج من الموت الا رجل اتضـح أنه الاب .. كان الموقف محزنا .. عندما نزل الرجل والدماء تغطى وجهه ..

ـ والان .. هل تسمعنى ..

الم اقل لك اننى ذهبت الى عملى لكى اطالب رئيسى بحقى فى الحياة .. دخلت مكتبه لم اجده لكن وجدت ورقة مكتوبة وعليها توقيعه ، منيت نفسى بأن ورقة مثل هذه لتعطينى حقى .. لتحقق حلمى .. طفرت الدموع من عينى !

لم اع مايقول ذلك الطارق .. مالى انا وورقته والتوقيع .. فليذهب الى الجحيم هو وورقته والقلم الواقع عليه .. فالحادث هو ما افكر فيه ...

كان الرجل يصرخ وهــو ينزف ويهلوس فى جنون .

ـ هيا ياصغارى .. امرحوا كما يحلو لكم .. لا ، لا تقلقوا بشأن الحياة ، فسوف احصل لكم على مسكن جديد ، انا وعدتكم وسامنحكم كل مايحلمون به ، فانا احاول ان اقتل القلق ... لا تيأسوا لست امزح ولا اكذب ، رغم انكم تعيشون فى الانبوبة الكبرى ، فالحياة هكذا معى دائما

ـ كيف يكون هذا وقيمة الانسان وحيــاته متوقفة على مجرد حركة قلم على ورقة !! انها عبودية التوقيع والامضاء ، انها مأساة يصنعها الانسان فاصبح الوجود فى نظره لا قيمة له .

ايها « الطارق » ماعدت اطيق سماع قصتك .. فانت تقحمها على اعصابى ، على نداءات الرجل الملطخ بالدم وهو يقول :

ـ ياصغارى الحياة هكذا ذات وجهين .. لاداعى للقلق . لكن لماذا خيم عليكم الصمت من جديد ... انها الفرحة التى هشمت جماجمكم ، انها مزحة من الحياة أن تجعلكم تبكون فى يوم تحقيق حلمكم فى الرحلة الجميلة .. والمسكن الجميل .. الان سوف يسكنه العنكبوت !

ـ ايها القصاص انى لا ارى عنكبوتا اكثر من الذى يعشش على حياتى .. لا ارى احــدا يتصلص مما انا فيه ، يعترف لى بحقى فى الحياة الا من خلال ورقة حقيرة موقعة بامضاء رئيس عمل ظالم .. اسمعنى جيدا ايها القصاص ... دخل على رئيسى ، لم أحس به .. لقراءتى فى اضطراب .. حاول ان يطردنى ، قال لى :

ـ انت لا يمكن أن تنال شيئا !

ـ بعد هذا العمر الطويل من الشقاء ، احرم من حقى الطبيعى فى الحياة والترقية !

ـ لو رقيتك فسوف تتحول الى مارد .

ـ كيف .. ؟

ـ لانك تعلمت كيف تفكر !

ـ ولكنى انتظر ان تمنحنى حقى ..

ـ ومهما صنعت فانت نقطة ضئيلة فى قطــر الدائرة !

مارأيك ايها القصاص فيما سمعت ... فانا انقذتك من عناء البحث واجهاد الخيال فى الحصول على فكرة لقصتك الجديدة .. فانا الواقــع المشحون بالقصص العبثية ، لا القصص التى تجعلون نهايتها حبا وورودا ومرحا .. ليســت كل الحياة هكذا !

لم يعرف هذا المخبول انه بعثر فكرى . ولكن قلت له :

ـ لا عليك ... سوف تكون قصة شيقة .

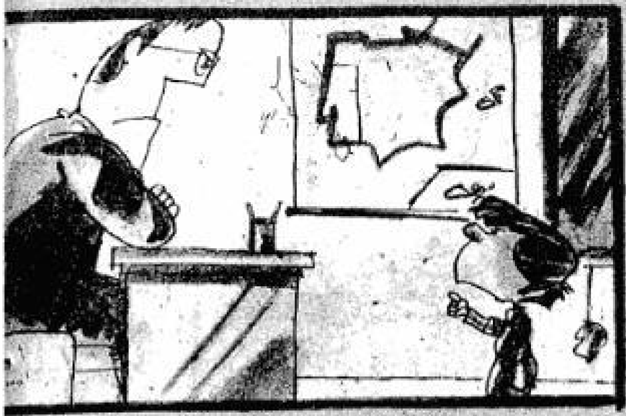
ـ شيقة !.. ها ، ها .. لا اريد منك المزج بالخيال .. اريد الحقيقة دون منحنيــات .. او فكر تجريدى . اريدك ان تقولهــا بطينها بدموعها ، لانها لحظة الالم .

الا يدرك هذا الطارق ان العقــل اصــبح مكدودا من كثرة المفارقات كالوتر المشدود يرن بسبب ودون سبب .. فلاهدأ قليلا بعد انرحل هذا الطارق لاكتب قصتى ـ « قطر الدائرة » ..

واخذت القلم ولم استطع ان اكتب منها الا سطرا واحدا ، فالحياة سرقتنى .. وكان مضمون هذا السطر : « اذا اردت ان تكون شيئا فلابد ان تكون ذا ارادة قوية حديدية حتى تعبر جبل الثلج والزم المستحيل ... »

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



الولد للاستاذ : لو ح تفضل مكشر لى بالشكل ده ،مش ح اعرف اجاوب!.. الرد لى وشك كده علشان اعرف اظهر لك مواهبى ! ..



الولد لوالده : مخالفة واحدة بس ؟ ! انت ناسى الله كسرت الاشارة تلات مرات قبل مايوقفنا العسكرى ؟ !

البنت للولد : صحيح احنا اصحاب ، لكن مش ح ادلك غير كاتبه واحدة بس .. الكاتبه الثانية لواحد تانى ، صاحبى الاحتياطى !





الولد لزميله : فضيحة ، وكارثة حصلت لى النهاردة ! نسيت وجاوبت صح على كل الاسئلة ! دلوقت اصحابى ح يفتكرونى خاين وباذاكر من وراهم !



ـ الولد لابيه : كان لازم اطلع فوق كده علشـــان تبقى على مستوى واحد ونقدر نتفاهم !



الولد للمدرس : من فضلك يا استاذ اسالنى اللى انت عاوزه وخلصنى .. عاوز اخرج بسرعة .. انا راكن العربية بره فى الممنوع !

خـــذيـنـــي

● عزت الطيرى ●



- ١ -

خذيني على خدك الحلو شامه
خذيني على شفتيك ابتسامه!
خذيني علامه . . .
خذيني سراجا يزيح القتامه
ويبعد عن ناظريك الندامه !

- ٢ -

خذيني على صدرك المرمري قلاده .
خذيني وساده ..
تقبل شعرك ذاك الجميل
وتنشد فى الفجر لحن السعاده !
خذيني بكفيك وردا وفلا ..
خذيني لعينيك لونا وكحلا
خذيني كمسبحة فى يديك
خذيني مصلى ...
اذا حان يوما نداء العباده

- ٣ -

خذيني نهارك
خذيني بليل الشتاء دثارك
خذيني نقوشا تلف سوارك
خذيني حكايا ...
خذيني مرايا ...
خذيني رسوما تزين جدارك
خذيني « حجابا » فيحمي ديارك
خذيني انا .. اى شيء ، خذيني
وشرطى الوحيد .. اظل جوارك !

قصة:

قوس قزح



● محمد عثمان صالح ●

● ومر من فوقه الغمام .. كانت الشمس محرقة في قائلة الهجير ..
خطوات كان يمشيها .. هل آن له ان يستريح في تلك البيداء البعيدة ؟
هذا الظما قد أغلق شفتيه وحرقهما بالملح . لم يكن يعرف أين يسير ، وأين يمضي !
كل الذى عرفه انه أحب الخــلاء والارض الشاسعة المترامية الاطراف ، وعرف أن الوحدة هي ديدن الكائنات في هذا الزمان ، ولن يافل نجمها الا بالمواجهة ، والمواجهة هنا على أرض الصحراء .
تتابعت في خياله الانهار ، والمروج الخضراء ،
... اجبر على ان يجوب

دعيني ارتاح على صدرك . ثم اردف :
أين كنتم ؟ بحثت عنكم زمنا طـــويلا ، انتم رفاقي .
همست بنت حواء لجارة اخرى لها: يالمسكين
قالت الاخرى : أعددنا لك فراشا ناعما ابيض كقلبك ، هيا الى الراحة ..
همس لهما : معكما حق ، أرى النجوم ترصع السماء ، والفجر يوشك على اطلالة جديدة . أنام الآن .
قالت الاخرى : حلم سعيد حتى الصباح أيها الانسي البريء .
قالت الاولى : غدا سأجعلك ترتاح على صدري

هنرى ديفيد ثورو
آمن بالحب ورفض الزواج

● د . سليم الاسيوطى ●

● ظل الشاعر الامريكى هنرى ديفيد ثورو يجاهر بعدائه للزواج ومعارضته لنظامه ، حتى ظن به الناس الظنون ، وحسبوه زاهدا فى النساء كارها لهن .. ولكنه كان فى الحقيقة والواقع ، عميق الميل الى ربات الفتنة والسحر والجمال، خاصة منهن الذكيات الفطنات ..

ولقد عرف الكثيرات من هذا الطراز وآثرهن باهتمامه ، ولكنه على امتداد سنى حياته ، لم يحب حبا صادقا عميقا مخلصا ، ملك عليه قلبه وعقله الا امرأة واحدة ..

لقد كانت تربط هنرى بالنساء من اسرته وشائج العطف والحب القوية .

وكانت شقيقته هيلين ، وهى هادئة بطبعها رزينة ، تؤثر البقاء بعيدا عن الاضواء ، تعمل بالتدريس لتعول نفسها وتفى بمصروفات شقيقها هنرى فى الكلية ، لقد كانت تحبه حبا جما وتحرص على نجاحه فى حاضره ومستقبله . ولكنها لسوء حظه رحلت مبكرة الى الدار الاخرة ، فى السادسة والثلاثين من عمرها ، بمرض الاسرة الذى توارثته أبا عن جد ، ذات الرئة القتال العضال .

وأصبحت شقيقته صوفيا التى تصغره بعامين الوريثة الشرعية لهذا العبء الثقيل ...

وقامت بدور الوصية على شقيقها خير قيام ، من الناحية الادبية والمادية . فعمدت الى نشر مقالات له ، وبعثت الى النور والحياة كتبا عديدة من مخطوطات كان قد تركها فى زوايا النسيان ...

كانت لوسى جاكسون براون ، الشقيقة الكبرى لزوجة رالف والدو امرسون ، تقيم احيانا بين آل ثورو تحت سقف واحد ، فصارت التجربة الاولى الادبية لثورو ، وموضع سره ، المؤتمنة على خفاياه، كما كانت صديقته الحميمة .

ولقد استمرت أواصر الصداقة وتوثقت عراها بينهما بعد ان عادت لوسى للاقامة فى بلايموث . فقد كتب لها فى اول رسائله اليها : « لسوف اغرقك فى بحر من الرسائل ، شانى شان الصبية التى تقذف بريش الطيور لتشاهدها وقد حملتها الريح عاليا فى السماء ... »

وبعد ذلك التقى بشقيقة لوسى ، المسماة ليديان وهى زوجة امرسون ، وكانت امرأة رقيقة المشاعر ، مرهفة الاحاسيس والعواطف كثيرة الاستغراق فى التفكير والتأمل . وعلى اثر هذا عاش هنرى مع آل امرسون عامين وهو يتمتع



الشاعر الامريكي هنري ديفيد ثورو كان يجاهر بعدائه للمرأة برغم ميله الى ربات الفتنـــة والسحر والجمال

بحرية الاقامة في حجرة مستقلة خاصة به، شاركهم في هذه الاثناء طعامهم وشرابهم في مقابل ساعات قليلة من وقته يعمـل فيها يوميا في اصـــلاح حال البيت والحديقة .

كانت الاختـان لوسي وليـــديان ، كلتاهما ، تكبرانه،متزوجتين ، آمنتين في حياتهما الزوجية . امراتان يستطيع أن يهواهما على بعد الدار وشـــط المزار . ولكن كانت هناك ، في الوقت نفســه ، صوفيا فورد « ذات البشرة السمراء » التي ظلت تطارده طوال حياته .

كانت مارجريت فوولر فتاة المجتمـع اللامعة الانيقة ، ابنة عضو الكونجرس ، عن ولاية مساتشوستس ، أول من تولى تحرير مجلة « دايل » ، وكان امرسون ومارجريت على خلاف بخصوص هنري ، لان مارجريت لم تكن واثقة بأن المجـلة يجب أن تكون وســيلته في نقل آرائه « العبقرية » الى قرائهـــا ، لانها لم تكن تتذوق شعره وبعض نثره . ولقدكتبت عن مقاله « الخدمة » الذي استغرقه عاما وبعض العام حتى أنجزه : « .. انالافكار كما تبدو لي ليست في ترتيبها الطبيعي ، ومن ثم فانني لم اتمكن من قراءته من بدايته الى نهايته بدون معاناة . ولكنـــه غني بالآراء » .

كانت مارجريت وهنري ، غالبــــا ما يلتقيان في بيت امرسون . وكتبت الى أخيها رسالة جاء فيها : انه يملك قاربا صنعه بنفسه وكثيرا ما يصحبني على ظهره في مياه « البحيرة » .

تركت مارجريت عملها في مجـــلة « دايل » والتحقت بصحيفة نيـــويورك تريبيون لصاحبها هوراس جريلي لتكون الناقدة الادبية الاولى بها . وفي أوروبا ، شبت الثورة في ايطاليا وامتدت على مدى عامين من الزمان ١٨٤٨-١٨٤٩ ،وقامت بدور المراسل الحـــربي ، حيث بعثت الى الهيرالد تريبيون بوصف هـــذه الثورة ، ليتعرف قراؤها على الموقف من شـــاهد عيان : وعند عودتها بحـــرا الى الولايات المتحدة في عام ١٨٥٠ تحطمت السفينة التي كانت تقلها ، على مبعـــدة من فاير أيلند ، نيويورك . وكان زوجها الماركيز اوسولي الذي تزوجته في روما ، وابنهما من المغرقين .. أما هي فقد شـــوهدت لآخر مرة ، وهي جالسة وقد أسـندت ظهرها الى الصاري الامامي الاشد قربا الى مقدمة السفينة ، لا تريم ولا تتحرك حتى قذفت بها موجة عالية عاتية في اليم .

من الواضح الجلي أن قلب ثورو قـــد خفق بالحب الصادق الحقيقي مرة واحدة لم تتكرر . وكان حبه في هذه المرة هو الين سيوول من سكتيوايت . في ولاية

سباتنوستس ، وهي صبية جميلة في ربيعها السابع عشر • وكانت تتردد على آل ثورو والعمة برودنس وارد ، والتقيا نفتنه جمالها وأسره حسنها وكادت شخصيتها المتالقة تذهب بعقله ، كان شعرها الطويل اللامع ذا مفرق في وسط الرأس ، وقد انزاح الى الخلف ملتفا حول جيدها •

وقبيل نهاية زيارتها الاولى • ولم يبلغ النهار نهايته ، وفي محضر العمة برودنس وفي أسرة آل ثورو ، استسلم هنري لهواها الجارف العارم •• وكان حينئذ في الثانية والعشرين من عمره • ولقد غزا حبها قلب جون شقيق هنري ، وشغفه حبها حتى شغفه الوجد •

كتبت الين الى ابيها وهي تستدفيء بحب الاخوين وتنعم به : « لا استطيع ان أصور لك حتى بعض المتعة التي ارتشف حلاوتها واطعم لذائذها • لقد قمنا برحلات قطفنا فيها ثمار التوت ، ونزهات سيراعل الاقدام • وعلى ظهر الزورق حيث الماء والهواء متعة واية متعة • كانت العمة برودنس ترافقنا في كل هذه الجولات ، لحمايتي والعناية بي وتوفير كل اسباب الراحة والسعادة لي » •

كانت الين تشتهي أن يمتد أجل الزيارة التي أوشكت على نهايتها ، ولكن لحظات الهناء قصيرة ، فلما حان وقت الرحيل ، اهتمت واغتمت ، وفي الحافلة (عربة نقل الركاب) اجهشت بالبكاء ، طوال ساعات الرحلة حتى مدينة ليكسنجتون • وبعد وصولها بعثت برسالة الى العمة برودنس تصف فيها الزيارة بانها كانت من أسعد المناسبات في حياتها •

وفي هذا العام تقدم جون (شقيق هنري) يطلب يد الين ، فقبلته ، ثم عادت فرفضته ، ايمانا منها بان هنري هو الانضل لها • وتلا ذلك خطاب هنري يطلب الزواج منها ، ولكن والد الين الذي كان يعارض بقوة وشدة أتباع الفلسفة وأنصارها ، جميعا ، أمرها برفض طلبه• ذكرت الين قول أبيها : « لقد أرادني على أن أكتب الى مستر ثي • خطابا موجزا صريحا واضحا ، فاترا ، ولم أشعر في طوال حياتي قط من قبل بمثل هذه الحاجة الملحة الى الكتابة مثلما شعرت في هذه الفترة من حياتي • »

تزوجت الين من قسيس ينتمي الى طائفة الموحدين • وزارهما هنري في منزل الزوجية في كوهاست • وقبيل وفاة هنري بفترة قصيرة ، ذكرت صوفيا اسم الين على مسمع منه ، فهمهم همسا : « لقد أحببتها دائما ، لقد أحببتها دائما • »

فتاة أخرى جميلة لفتت نظره ، واسترعت انتباهه ، وأثارت اهتمامه : تلك هي ماري راسل ، المربية التي كانت تقوم بالتربية والتدريس لأطفال أسرة امرسون ، طوال شهور صيف عام ١٨٤١ ، حينما كان هنري يعيش هناك • ولقد ذكر في يومياته : « ان الحديث الى ماري كان شبيها بالحديث الى السحاب » ، ولكن مادستون واطسون ، زميل ثورو في جامعة هارفرد فاز بها في النهاية ••

كانت تلك العلاقة الغرامية خاتمة المطاف في غراميات ثورو • وظل حتى وفاته في الرابعة والاربعين من العمر الاعزب الذي لا يفكر في الزواج ، لقد استأثرت الطبيعة وليس النساء بعنايته الفائقة ، وتعرض نظام الزواج لهجومه المضطرد المتصل • ولقد قال ذات مرة لصديق له ، كان يرافقه في سيره ، وهو منفعل انفعالا شديدا وقد ركل كرنبة متعفنة ، ملقاة بعرض الطريق : « أنظر ياصاح ! ان الزواج شبيه بهذه » •

ومع كل هذا ، أو على الرغم من كل هذا فقد كان ضعيفا دائما أمام المرأة ، فما من مرة التقى فيها بانثى مليحة الا ومال اليها



زوجة امرسون التى هـام بها الشاعر حبا وهو صـديق لامرسون

قلبه وانعطف نحـــوها فؤاده . كانت كارولين دال التى تزوجت من زميــل له فى جامعة هارفرد تؤيد مبدأ المســاواة بين الرجل والمرأة مثلمـا كانت تؤيده وتدعو له مارجريت فوولر .. كانت كارولين قد قدمت الى كونكورد لتحاضر هناك فى شهر ديسمبر من عام ١٨٥٩ وابدى هنرى رغبته فى انه لاينوى الذهاب للاستماع اليها ، لايمانه بانه ليس لدى النساء شىء مفيد يقلنه . ولما كان يمضى طوال يومه على شاطىء النهر عن له فى اللحظة الاخيرة ، العدول عن رغبته او قراره ، وشخص الى مكان الاجتمـاع فوصله متاخرا ، واضطر ان ياخذ مكانه على حافة مقعد طويل خشبى فى نهاية الحجرة بجوار الباب ..

ولكن سير الاحداث يجعل من الجائز الظن بأن هذه المرأة الذكية المؤيدة للحركة النسائية ، التى شكلت حياتها على نسق حياة مارجريت فوولر ، قـــد تركت فى نفسه أثرا قويا عميقا لا يقهر .

قال له امرســـون : « انى لاعجب لحضورك ، يا ثورو ، لقد قطعت بانك لن تات ! » .

أجاب هنرى : « ولكن هذه المرأة لديها شىء تقوله . »

وتبادلت كارولين وهنرى التقـــدير والاحترام . وبعد المحـــاضرة أقنع هنرى كارولين دال بالبقاء فى ضيافة الاسرة حتى اليوم التالى فى كونكورد . لقد افتتن بها هنرى وخلب هو لبها حتى انها ذكرت تلك الزيارة بوصفها واحدة من الايام المأثورة المشهورة التى لا تنسى فى حياتها .

كان هنرى ثورو يرى فى مارى موودى امرســــون العمة المبرزة لرالف والدو امرسون : « انها اذكى من عرفت مـــن النساء قاطبة واكثرهن مرحا وأشـدهن نشاطا » . قرا عليها مخطوط مؤلفه عن « والدن » فتبين له ، أنها قادرة على تذوق الشعر وتقدير الفلســـفة حق قدرها ، كالرجال سواء بسواء .. اســـتمتع بصداقتها الحانية كما امتعتها صداقته .

صارت مارى فى أخريات أيام حياتهـا غريبة الاطوار ، فقـــد تاقت الى الموت وصنعت لنفسها سريرا شـــبيها بتابوت الموتى ، واعدت لنفسها الاكفان . ولكن لما لم تأتها منيتها كما كانت تتوقـــع وتترقب فقد ارتدت العديد من اكفانهـا تلك مفضلة الافادة بها كثياب على رؤيتها تالفة ...

وحينمـــا كان ثورو يرقـد على فراش الموت ، احاطت به النســـوة من مؤيدات الكنيسة والدين . وكان ، كالعهـــد به دائما ، مالكا لزمام نفســـه حتى النفس الاخير . فلما سالته العمة لويزا برقةوفى عطف وحنان ما اذا كان قد تصالح مـــع الله جل جلاله .. أجاب بهدوء مصطنعا الدهشة : « لم أعرف قط اننا تشاجرنا من قبل » .

محطة الرمل في الشعر الحديث

● عبد العليم القباني ●

● اذا قيل ان في الاسكندرية منطقتين تستأثران باغلب ما تمتاز به المدينة من جمال ـ فان « محطة الرمل » ـ بلا شك واحدة منهما ...

لقد كانت « محطة الرمل » في بداية هذا القرن نقطة انتهاء للاسكندرية القديمة ، وبداية انطلاق نحو الضاحية الجديدة ـ « الرمل » ـ التي بدات تنمو على استحياء ...

لقد كانت في بدايتها محطة للسكك الحديدية تنقل الركاب المسافرين الى الرمل ، وكانت مياه البحر تغمر مكان القنصليه « الايطالية » ومحلات «تريانون» الآن حيث كان مكانهما مشغولا بحمامي « سانتي » و«زورو».

اما الآن ، فان محطة الرمل تمثل لقاء بين غربي الاسكندرية الذي يمتد حتى « العجمي » ، وبين شرقيها الذي يصل الى « ابي قير » وعمقها الذي ينتهي عند « غيط العنب » وامتداده شرقا وغربا تحت اسماء متعددة ، وبالتالي فقد اصبحت هذه المنطقة سوقا من اعظم اسواق المدينة، حيث يجد الناس فيه ما يرغبون من حاجات ضرورية او كماليات منها المصنوع محليا ومنها ما هو مستورد من كل مكان . ومن ثم حفلت بالناس من ابناء المدينة او من خارجها ، وبالذات في اشهر الصيف حيث لايجد الانسان موضعا لقدم ...

ومن ثم اثارت هذه المنطقة عند ابناء الاسكندرية العديد من المشاعر المتفاوتة الدرجات والالوان .

ولقد كان شعراء الاسكندرية احذر الناس باعطائنا الصورة الشعرية لهذه الاحاسيس المتباينة ، لكن شعراء الاسكندرية ، ومعظمهم ،ربما شغلهم



محطة الرمل منذ سبعين سنة كانت نقطة انتهاء للاسكندرية القديمة ، وبداية انطلاق نحو الضاحية الجديدة ..

الاستمتاع المباشر بما يشهدون ، فانطلقوا ليسبحوا فى بحر من الحقيقة بدلا من السباحة فى عالم المثل او التخيل ... وكان ان ارهقنى الجهد حتى التقيت بثلاثة من اصدقائى الشعراء ، جمعهم حب الاسكندرية واستطاعوا أن يستخلصوا من وقتهم ما يضيفون فيه الى رصيدهم الشعرى تعبيرهم عن احاسيسهم تجاه مايلقونه فى «محطة الرمل» من صور وجدانية او حسية مباشرة ..

لقد كانت المرأة عندهم المحرض الاول لاستقطار مشاعرهم بل ولتدفقها احيانا ، فان اغلب ماتناولوه من مشاهد «محطة الرمل» انما طاف حول المرأة من قريب او من بعيد ! ..

واذا كانت هناك كلمات منتزعة من « المحطة » فهى بمثابة مفاتيح تعمل على تطويع الفاظ أشعارهم ومعانيها لتنطبق على ما يراه القارىء من مشاهد ...

واول هذه القصائد التى نعرض لها قصيدة للشاعر السكندرى الصديق الدكتور « كمال نشات » وقد نشرها بديوانه « رياح وشموع » الذى نشره سنة ١٩٥١ — وهى قصيدة جميلة ، غير انى لا ادرى مدى ما تناله من رضا صاحبها عنها الآن ، بعد ان سلك فى التناول الشعرى الجديد مسالك اخرى تبعد به من نهجه فى تلك القصيدة التى مازلت اؤكد جمالها واعجابى بحرارة الشباب فى نسجها :

لى خافق يجد الجمال منوعا
فى كل مرأى يستبين لناظرى
فى البحر ، فى الثغر الجديب ، وفى اللقى
بين الجوانح فى ظلام مغاور
فى بسمة الطفل الصغير تكشفت
عن طهره ، فى روعة لعباقر
فى غنوة العصفور فى ألق الضحى
فى ضجة الموج العتى الهادر !

نعود بعد ذلك الى الحكاية من اولها فقد كان « كمال نشات » فى عنفوان شبابه عندما نظم قصيدته هذه « ربيعى » الذى كان يراه متالقا فى هذه المنطقة التى اعتبرها « كعبة » للحسن والجمال :

فى جانب الميناء روض عاطر
هو كعبة ما ان تضيق بزائر
« فمحطة الرمل» التى كم امتعت
قلبى بألوان الجمال الساحر ..
تتناغم الخطوات فى طرقاتها
فتجمع الاصداء مهجة شاعر !
وتشيم ألوان الربيع حبيبة
فى خد نشوان ووشى مآذر
فى صفرة الشعر الملهب رتبت
خصلاته فوق الجبين الناضر !

لم تأخذه دفقات النور الملون التى تتوالى على واجهات الدكاكين وبانعكاس هذه الدفقات النورانية على وجوه الفاتنات من الغاديات والرائحات ، يحس بمدى الاحتراق الذى يعانيه من هذه الفتن اللعوب ، بل انه ليرى أن الطريق نفسه يشاركه فى توهجه والتياعه ... !

وملون الانوار فى دفقاته
حيران محتدما كقلبى الحائر
يرمى بظل راقص متكسر
لينام فى شفة لاغيد نافر

متوثبا حينا بشعر ثائر
متموجا حينا بطرف فاتر
كم من طيوب من ورود حية
ماست على هذا الطريق العابر
في كل شبر من ثراه زهرة
اصعدتها خلف الجمال العابر !

ثم يعود ليتحدث الى « محطة الرمل » حديثا هو بالمناجاة اشبه :

محطة الرمل التى جمعت على
قلبى فنون ذواكر وذواكر !
انا ان نزلت على غصونك طائرا
فربما فلست عن الغصون بطائر . .

اما الشاعر السكندرى الصديق «ادوار حنا سعد » فيدهك في قصيدته « عرائس محطة الرمل » بتساؤل من خلقت له حوريات هذا الموكب الحافل بالحسن والجمال المتدفق من شوارع سعد زغلول وصفية زغلول والغرفة التجارية والنبى دانيال وغيرها . ان الذى شغله وملك عليه احاسيسه هو تلك الفتنة التى انطلقت اسرابها تلعب بالعقول وتأخذ بالابصار :

هل طافت ابكار الجنه
بكئوس السحر وبالفتنه ؟
ام تلك عرائس امواج
من بحر فسبحت سجنه ؟
حسن الاملاك ووسوسة الخناس واغواء الجنه

والمفتاح الذى ينقل القارىء الى « محطة الرمل » هو قوله فى البيت الرابع :

الاسكندرية باتت تعجبنى
بالرمل واعجب منهنه !

والمرأة فى قصيدة « ادوار » من حوريات «الشمال » ذوات الغدائر المتوهجة ذهبية كانت او فضية :

قد خطرت بالشعر الداجى
وجدائل صفر الامواج
وغدائر فرع رفاف
فهى كالاء السياج
قد عقصت تاجا او تركت
تهفو بالعطف الرجراج

وتمر موجات الموكب المؤلف :

من .. كل طروب فى خجل
او كل شرود فى جدل
الشرق مع الغرب التقيا
فى غالى الحسن ومبتذل

لكن شاعرنا يقف حيالها صامتا لايعد احساسه الى اكثر من مرمى بصره ، ولا يحاول ان يمد يده مرغما الى هذه الفاكهة التى حرمها عليه الخلق والعرف فلا يملك الا ان يقول :

تاه العشاق بمن صحبوا
وبقيت بنسكى المفتعل !

ومع ذلك فان الصور التى اوقدت حسه لا تزال تمر امام ناظريه تاركة اصداءها فى نفسه المشتعلة وقد انطلقت ترقص فى رشاقة محببة :

موسيقى الخطوة رقراقه
اغرت بفؤادى اشواقه
وثياب الفتنة قد لمت
هيفاء الذيل وخفاقه
الوان الطيف واعطار
كالزهر تؤلفه باقه . . .
الجسم بها كأس عار
يذكرك التين واوراقه

***

ويرى الشاعر السكندرى الصديق « احمد السمره » أن « محطة الرمل» انما صنعت :

من هتفة موج مغرور
من خلقة قلب ماسور
من مقطع لحن يتثنى
من عرس يصدح فى العود
من رقصة طير ذهبى
يهمس للغصن المهصور !

ويرى كذلك أن عنوان الحياة فى « محطة الرمل » هو ذلك التزاحم والتدافع بين الغادين والغاديات والرائحين والرائحات المتدفقين من الشوارع المحيطة بالمحطة ، هذا الزحام الذى يحيله حلم اليقظة عناقا يروى ظمأ الملهوف ، ذلك العناق الذى نحس به فى قول شاعرنا حين يصف



محطة الرمل الآن .. نقطة لقاء بين غربي الاسكندرية وبين شرقيها

المنطقة بانها :

ترفل بالحسن على سعة
وتضيق بدفقات عبور
فرشيق الخطو تأوده
يتعثر فى شبق مسير
والحسن يزاحم معتذرا
للحسن بارشق تعبير
حتى الانفاس بها تلقى
شغلا فى ورد وصدور
تتخاصر فى عطف زحام
« تتعانق » فى خطو مرور !

ولنستمع الى شاعرنا وهو يتتابع ببصره واحساسه مواكب الغيد وهن نازلات الى «النفق» أو صاعدات منه، و «النفق» هنا أحد مفتاحين بارزين فى القصيدة أحدهما اسم « محطة الرمل » الذى ورد مرتين والآخر هو هذا «النفق» الذى يبدأ « السمره » المقطوعة الخاصة به بهذا السؤال التعجبى :

ارايت الحور على مهل
يخطرن بقلب ماسور
ينزلن الى النفق الحانى
يغربن كهالات بدور

كعرائس اسحار تتناى
فى حلم الفجر المخدور
كالصبح تنفس مزهوا
يستمرىء لثغة عصفور

و « السمره » بعد ذلك كصاحبه مفتتن بالغانيات بصنوفهن فلا يكاد يترك من ملاحتهن شيئا وان تأرجحت تشبيهاته بين المعنوية التى اسلفنا شيئا منها والمادية التى تطالعنا فى هذه الابيات التى يصف بها احداهن ، وقد تبدت :

بجبين يفتن معصوبا
بشريط من نسج غدير
بكرز فى الشفة السكرى
اثمر من قبل التزهير
بذراع بضى راو
من نجمة عاج مقطور
بشفيف الثوب اذا جلا
أنبوبة ساق بللورى

ويختتم « السمره » قصيدته بدعوتك الى التمتع بما فى « محطة الرمل » من متع رائعة لا تكلفك شيئا الا ان تسير اليها ..

---

* ملاحظة : ترتيب الشعراء هنا لاسباب فنية ولا صلة لها بمكانة الشعراء وقصائدهم .

التوتر النفسي آفة العصر

لكي تريح ذهنك وتكفل له الصفاء
التنفس الايقاعي العميق
علم وعلاج

• جورج عزيز •

● اننا نادرا ما نقرن التنفس بالاسترخاء ، مع أن التنفس الايقاعي العميق من اهم العوامل ـ ان لم يكن اهمها ـ التي تدخل في عمليات الاسترخاء ، فان نشاطنا الذهني مرتبط بدرجة بحركة تنفسنا .. معنى ذلك اننا اذا تعلمنا كيف نسيطر على تنفسنا استطعنا ان نؤثر في نشاط ذهننا ، ومعناه ايضا اننا اذا ابطأنا سرعة تنفسنا فان ذهننا يصبح اهدأ واقل اضطرابا .

ولكي يزداد فهمنا للعلاقة بين الاسترخاء والتنفس الايقاعي ، يحسن بنا ان ندرس العوامل الخاصة بالتنفس عامة والتنفس الايقاعي العميق بوجه خاص .

ان التنفس هو أهم العمليات التي نقوم بها ، ولولاه للفظنا أنفاسنا الاخيرة في بضع دقائق ، فالحياة ترتهن كلية بالتنفس ، تلك العملية التي لا تنتهي أو تتوقف ، بل تستمر ما دمنا على قيد الحياة ...

وكما أن السلسلة مكونة من حلقات عديدة ، كذلك نجد الحياة عبارة عن حلقات من عمليات التنفس ، فاذا انكسرت حلقة واحدة انقطعت السلسلة واذا توقف التنفس أصبح استمرار الحياة مستحيلا ..

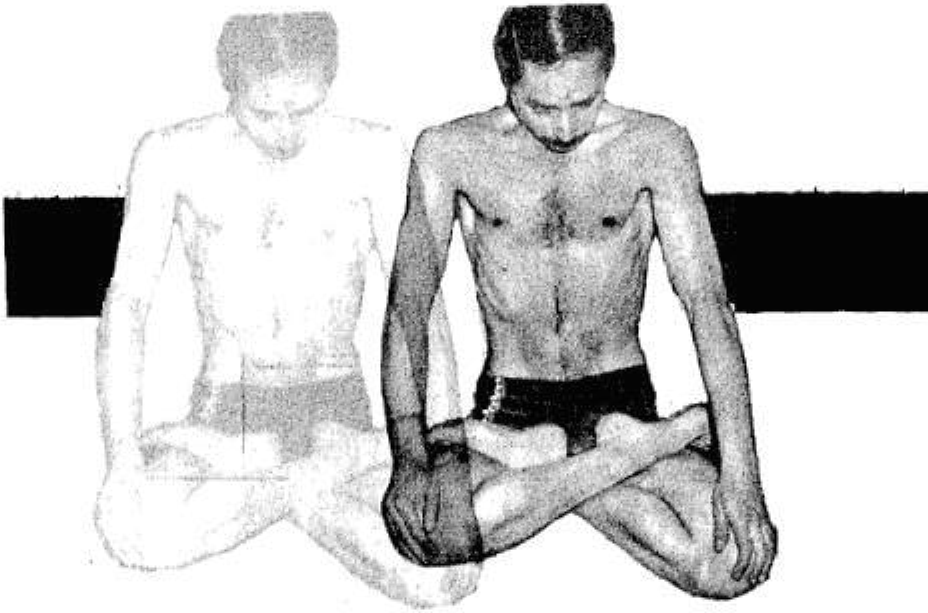
اذا أردنا أن نحيا حياة كاملة ، وجب علينا ان نتنفس تنفسا كاملا .. فالتنفس الضعيف غير العميق لا يمكن ان يكفل صحة جيدة ، أو يجعل الذهن صافيا ، أو الروح مشرقة ، بل بالعكس ، لا يؤدي التنفس الضعيف الا الى الاكتئاب وفقدان النشاط والحيوية والهمة ، والشعور بالتعب والارهاق بعد أقل مجهود ..

الأوكسيجين للقلب والمخ

قد لا يعرف الكثيرون ان الاوكسيجين يغذي غددنا ويحافظ عليها ، ولكننا نعرف ان القلب والمخ بوجه خاص يحتاجان الى مقدار كبير من الاوكسيجين لكي يؤدي كل منهما وظيفته على أتم وجه مستطاع .

وفي هذا يقول العلامة « جون لوجرون » في كتابه الشهير « تسعون يوما لقلب أصح » :

« ان كثيرين من رجال الأعمال



الغارقين في اعمالهم حتى آذانهم يعانون من ضعف تدفق الدورة الدموية الى المخ ولهذا نجدهم يعانون من التوتر ، والأعصاب المشدودة ، ويفتقرون الى البشاشة ، بل ان صفاء الذهن يعوزهم في اغلب الأحيان • .

يضاف الى ذلك ان سلامة الجهاز الهضمي نفسه تتأثر مباشرة بالاوكسيجين الذي يوفره التنفس •

ومع ان قليلين من الناس يعرفون أن ثمة صلة قوية بين التنفس والتوتر ، فان من الثابت المحقق أن التوتر هو رد الفعل الخارجي للحالة الداخلية كما يمثلها الجهاز العصبي المركزي فعندما يؤثر الارهاق في الذهن فانه — أي الذهن — يصبح نهبا للخوف الذي يتسبب بدوره في القلق ، وهذا بدوره يؤدي عادة الى التوتر !

ولكي نقاوم التوتر يتحتم علينا أن ندرب عقلنا على نحو يجعله يقاوم ضغط الارهاق ، وهذا يمكن أن يتحقق بالسيطرة على التنفس ما دام العقل هو الذي يتحكم في الحواس بينما يؤثر التنفس في العقل ••

من منا لا يريد أن يعرف كيف يتسنى له أن يعالج ما يعانيه من توتر وخوف ، وأن يحافظ على صحته ويحميها من كثير من الامراض ، وأن يحول دون أن تسري عوامل الشيخوخة في أوصاله قبل الأوان ، وكيف ينمي المواهب الكامنة فيه وكيف يضاعف قدرته على الشعور والادراك الحسي •• وكيف يكفل الصفاء لذهنه ، ويقوي ذاكرته •• وكيف يوفق بين ايقاع حياته وايقاع البيئة المحيطة به ، بل ايقاع العالم كله ؟

ان الأقلية ضئيلة من الناس تتصور ان هذا كله ممكن بالسيطرة على التنفس !

ومن حسن الحظ ان دراسة وسائل التنفس الصحيح لا تحتاج الى سنوات عديدة ، فقد تم ذلك قبل قرون بواسطة فلاسفة اليوجا في الهند • وكل ما يجب علينا ان نفعله الآن هو ان ندرس الوسائل التي اهتدوا اليها ، وان نستخدمها لصالحنا •

ومعروف ان بعض فلاسفة اليوجا وممارسيها اشتهروا بان لهم قوى روحية غير عادية • وهذه الظاهرة تعد في مقدمة نتائج السيطرة على التنفس والتحكم فيه •

ولا شك أن أولئك الذين نجحوا فى ممارسة هذا الفن العجيب هم أدلة حية على ما تستطيع القوى الهائلة الكامنة فينا ان تفعله اذا نحن أطلقنا سراحها ووجهناها التوجيه الصحيح .

الجسم جهاز عجيب

أن جسمنا جهاز عجيب التركيب للتنفس ، بيد أننا لا نهتم بأن نبذل قصارى جهدنا لتنميته واستخدام ما فيه من طاقة جبارة على أتم وجه ، فنحن نكتفى بنوع من التنفس السطحى غير العميق يكاد لا يكفى لتنمية قوانا الدفينة التى تمكن اجسامنا من أن تحمى نفسها من نزلات البرد مثلا ، وتصل بها الى القدرة على ترويض الارادة ..

ولكن قبل أن يتسنى لنا أن ننمى قوانا الكامنة ، أيا كانت ، يجب علينا أن نتعلم ، بادىء ذى بدء ، الطريقة السليمة للتنفس ، لكى نمد اجسامنا بمقدار كاف من الوقود والاوكسيجين .

على انه ينبغى لنا أن نبدأ من البداية شأننا فى ذلك شأن البستانى الذى ينشد تفتح الورود الجميلة فى موسم ما فيجد لزاما عليه أن يبذر بذورها . أو يغرس شتلها بعد أن يفلح الارض فى الموسم الذى يسبقه .

ان الكيان البشرى فى حاجة دائما الى زاد وفير من مواد البناء لترميم ما يبلى منه من جراء عملية الاستهلاك الذى يترتب على الاستعمال . وثمة امر غاية فى الاهمية هنا . هو أن اعادة البناء فى جسم الانسان لا تتوقف ،وانما تظل مستمرة ما دام حيا يرزق بصرف النظر عن السن . مثال ذلك أن كل الكرات الدموية الحمراء فى الجسم تجدد نفسها اثنتى عشرة مرة تقريبا فى السنة ، أى كل ثمانية وعشرين يوما .

عامل جوهرى

والعامل الجوهرى فى اعادة البناء ليس الطعام ، كما يخيل الى كثير من الناس ، بل هو الأوكسيجين الذى يعد عنصرا اساسيا فى كل شىء فى حياتنا ، من عملية الهضم حتى التفكير المبدع !

ان عدم كفاية زاد الجسم من الاوكسيجين يؤدى عادة الى تراكم مواد سامة ، والى تضاؤل فاعلية العمليات الحيوية التى تقوم بها الخلايا ، بمعنى ان كل نسيج فى الجسم ، وكل عضو من الرئتين الى القلب حتى الذهن تقوم بوظائفها على نحو غير طبيعى من جراء عدم كفاية الاوكسيجين .

وفى تقرير لوزارة الصحة الاتحادية الامريكية أن خمسة وسبعين فى المائة من حالات اضطرابات القلب التى يصاب بها من تجاوزوا الخامسة والاربعين ، تنشأ فى الكثرة الغالبة من الاحيان قبل أن يبلغ الشخص العاشرة من عمره ! ..

ويرجع السبب فى الكثرة الغالبة من هذه الحالات الى عدم نمو الرئتين بطريقة سليمة ، والى عادات التنفس السيئة أو غير السليمة التى يتعودها الاطفال ، كالتنفس غير العميق ، والتنفس بالجزء الأعلى من الرئتين .

وينبغى أن يلاحظ هنا أن هذا النوع من التنفس غير السليم كثيرا ما يمارس فى حصص الرياضة البدنية بالمدارس ، لأن مدرسى الرياضة البدنية يكونون فى اغلبية الأحيان على غير دراية بفوائد التنفس العميق ..

اياك والتنفس السطحى

يقول الاستاذ الدكتور « فيليب رايس » فى كتابه الشهير « بناء الصحة العقلية والبدنية : «ان التنفس السطحى بالجزء الأعلى من الرئتين عملية لها خطورتها » ، وهو يحذر من آثارها السيئة . والرأى عندى ان الواجب يقضى بتحريم التنفس السطحى فى المدارس الابتدائية أثناء فترات الالعاب الرياضية حتى لا يتعود الاولاد الصغار التنفس بطريقة خاطئة ضارة .

ان التنفس السليم يبدأ بملء الجزء الأسفل من الرئتين بالهواء النقي المشبع بالاوكسيجين أولا ٠٠ ان الرئتين في شكل ثمرة الكمثرى ، عريضة في أسفلها ، ويقل العرض تدريجيا في اتجاه رأسها ، ومن هذا ندرك بسهولة ان الحركات الرياضية التي توسع الجزء الاعلى من الصدر وتهمل الجزء الاسفل تدع الرئتين متعطشتين للاوكسيجين النقي .

اهمية التنفس العميق

اننا ندرك جميعا بصورة عامة الدور الحيوي الذي يقوم به التنفس العميق في تنمية الرئتين . ولكن مما يثير العجب أن قليلين من الناس يعرفون أن للتنفس العميق نفس الأهمية بالنسبة للقلب والعقل بوجه خاص .

والواقع أن آثار التنفس غير العميق لا تظهر في أى عضو آخر بشكل خطير مثلما تظهر في العقل الذى يحتاج الى ثلاثة امثال مقدار الاوكسيجين الذي تتطلبه بقية أعضاء الجسم مجتمعة . فالعقل يعاني من نقص التغذية بصورة خطيرة اذا لم يحصل على حاجته المناسبة من الدم الغني بالاوكسيجين ، والى هذا النقص يعود عادة ضعف الذاكرة ، وقلة الذكاء .

ان معظم الاضطرابات البدنية والعقلية التي تنتابنا ، مرجعها - مباشرة أو غير مباشرة - الى التنفس غير السليم، وقد أثبتت التجارب التي قام بها فلاسفة اليوجا طيلة عدة قرون ان من يتعلم أساليب التنفس السليم في صغره يظل في مراحل الشباب والرجولة والشيخوخة بمنجى من المشكلات البدنية والعاطفية والنفسية . فالتنفس السليم كفيل - مثلا - بالحيلولة دون الميل الى ارتكاب جرائم الاحداث في نفوس الشباب .

بل ان الاستاذ الدكتور « رايس » يذهب الى أبعد من ذلك فيقول ان الخطر الاجتماعي الذى يتمثل في انحراف الاحداث يمكن أن يعالج بالوسائل الصحية السليمة الناجحة ٠٠ وقد استطاع هذا الطبيب العالم الذى اقتنع بفوائد اليوجا ، أن ينجح في معالجة هذه المشكلة ، وتحسين تصرفات الاحداث وسلوكهم ، وذلك بأن جعلهم يمارسون التنفس الايقاعي العميق ، بل لقد استطاع ، بخبرته الواسعة في هذا المجال ، وقدرته على تفهم عقلية الاحداث والافضاء الى ما يعتمل في نفوسهم ، أن ينمي في عدد كبير منهم غرائزهم الطيبة الخلاقة ، وأن يجعلهم يشعرون بما في الحياة من جمال ، بعد أن كانت ميولهم تخريبية تدميرية !

تجربة ناجحة

وقد درب دكتور « رايس » صبيا كان يعاني من الضعف والهزال والتخلف العقلي ، على التنفس الايقاعي العميق فبدأت حالته الصحية العامة تتحسن بعد بضعة أسابيع . واجرى تجارب على مائة وخمسة من الصبية كلهم مصابون بنفس العوارض المرضية ، وميالون الى الاجرام . ودربهم على التنفس العميق ، وجعلهم يقومون بحركات رياضية لتوسيع الصدر مرتين يوميا لمدة عشرين دقيقة في كل مرة . وبعد اربعة أشهر تحسنت حال كل واحد من أولئك الصبية ، بل ان بعضهم بلغ به التحسن درجة جعلته يستأنف دراسته في المدرسة ، بعد أن اضطره تخلفه العقلي الى الانقطاع عن الدراسة . وقد اعتبرت نتائج تلك التجربة انجازا علاجيا رائعا !

ويؤكد العالم الشهير دكتور « سيجفريد كنوار » ان للتنشيط الذى يصل الى خلايا الاعصاب من النبضات الايقاعية المستمرة التي تتولد من التنفس الايقاعي العميق ، تأثيرا طيبا جدا على عمليات الذهن .

زهرات من رياض العرب

● لماذا سكت ●

لما حج هارون الرشيد ، التقى بعابد معتصم بجبال تهامة ، فسأله الرشيد أن يوصيه ويامره بما شاء فيقضيه ، فسكت العابد ولم يجبه ...

وانصرف هارون الرشيد ، فسأله احدهم: أيها العابد لماذا سكت عن الوصية اوالنصيحة لهارون الرشيد ولو بتقوى الله والاحسان الى رعيته ؟

فقال العابد : ذلك لأني اكبرت الله أن يامره فيعصيه وآمره انا فيطيعني ...

● ملاحظة ●

كان على مائدة هشام بن عبد الملك اعرابى ، وبينما هو يأكل علقت شعرة فى لقمته لحظها هشام فقال للاعرابى : يا اعرابى نح الشعرة عن اللقمة .. فرد عليه الاعرابى بقوله : انك ياهشام تلاحظنى على مائدتك ملاحظة من يرى الشعرة فى اللقمة .. ثم أنشد على الفور:

وللموت خير من زيارة باخل
يلاحظ اطراف الاكيل على عمد !

● عطية ●

أوفد عثمان بن عفان بعطية من النقود الى أبي ذر الغفارى مع عبد له .. وقال له : ان قبل منك أبو ذر هذه العطية فانت حر لوجه الله ، فأخذها العبد وذهب الى أبي ذر وقال له : تقبل هذه العطية من أمير المؤمنين يا أبا ذر ففيها عتقى ...

فنظر اليه أبو ذر وقال له : والله ان كان فى قبول هذه العطية عتقك ، فان فيها رقى ...



● اول الحساب ●

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قال صلى الله عليه وسلم « ان اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد افلح ونجح . وان فسدت فقد خاب وخسر ، فان انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم تكون سائر اعماله على هذا » .

● محسن فهمى ●

اقرأ الهلال واكسب جائزة

هل قرأت هذا العدد الذي بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلي عشرة أسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز .

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر اسم القائل ،وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال

● شروط المسابقة ●

● سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهمــا اشتراك لمدة سنة في « الهلال »

● وستعلن نتائج هذه المسابقة في عدد يناير ١٩٨٠

آخر موعد لتسليم الردود : ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٩

اقرأ الهلال واكسب جائزة

الاسئلة :

سؤال ١ ـ من الف كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » ؟
جواب ١ هو (في مقال)

سؤال ٢ ـ أي يوم يوافق اول المحرم للسنة الاولى الهجرية ؟
جواب ٢ هو (في مقال)

سؤال ٣ ـ ما الاسم العربي لجزر المالديف ؟
جواب ٣ هو (في مقال)

سؤال ٤ ـ ما اهمية الحامض د . ن . ا . ؟
جواب ٤ هو (في مقال)

سؤال ٥ ـ ما الوظائف الفسيولوجية للكائنات الحية ؟
جواب ٥ هو (في مقال)

سؤال ٦ ـ من هو رائد الشعر الحديث ؟
جواب ٦ هو (في مقال)

سؤال ٧ ـ كم تبلغ موازنة التعليم بمصر في الوقت الحاضر ؟
جواب ٧ هو (في مقال)

سؤال ٨ ـ أي الشعراء الامريكان جاهر بعدائه للزواج وعارض نظامه ؟
جواب ٨ هو (في مقال)

سؤال ٩ ـ ما اهم صفات القصة القرآنية ؟
جواب ٩ هي (في مقال)

سؤال ١٠ ـ اين كان يقام اكبر مهرجان ادبي في الجاهلية ؟
جواب ١٠ هو (في مقال)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد نوفمبر ١٩٧٩

الاسم: ــــــــــ السن: ــــــــ

العنوان: ــــــــــ

الناس والعصر ⑮

نبتعد .. لنقترب !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

هى : ـ تبدو هنا متوحدا كأنك تفكر وتحلم !..
هو : ـ انى اكتب !
هى : ـ الناس والعصر ؟..
هو : ـ لا !.. اكتب رسالة !
هى : ـ بكل هذا الاهتمام والتعمق !.. لابد أنها ...
هو : ـ فعلا ، رسالة هامة وعاجلة !
هى : ـ الى .. الى من ؟..
هو : ـ لا اعرف !
هى : ـ لا تعرف ؟!
هو : ـ ولكن ، ومن حسن الحظ انك جئت الآن لأسألك !
هى : ـ تسألنى أنا ؟! عن .. ماذا ؟!
هو : ـ عن الذى تسألينني عنه ! ..
هى : ـ آه .. ، ولكن أانت هكذا فى كل حالاتك ؟ .. أعنى ..
هو : ـ متأكف ، مثلا ، مقلق ، شغوب ؟!
هى : ـ ... وماذا أيضا ؟!
هو : ـ أخشى أن يكون الباقى كله مزايا !

تقدير !
للذين افتقدوا « النـــاس والعصر » هنا ، والذين تساءلوا وكتبوا ـ : اجمل التقدير ... واعتذارا كأنه « التقدير » عند النحاة : حذف الكلمة فى اللفظ ، وابقاؤها فى النية ! ..

هى : ــ على أى حال ليس ذلك موضوعنا !
هو : ــ وليس ذلك ذنبى !
هى : ــ انك تحرف مسار الحوار ، فنبتعد و ...
هو : ــ ربما لانهم الان فى باريس يأخذهم جنون اغنية : « نبتعد ... لنقترب »!
هى : ــ آه ، هنا ايضا يوشك ان يأخذنا جنون الحوار معك !
هو : ــ تلك بشارة نصر عظيم .. ولابد لنا الآن ..
هى : ــ لابد لنا الآن من وقفة هنا !.. قل لى ..
هو : ــ أقول لك ..
هى : ــ الا يمكن أن يجرى معك حوار بغير .. صدمات ؟!
هو : ــ لا ..!
هى : ــ لماذا ؟
هو : ــ لان الحوار حياة ، والحياة كما ترين ، وبالنسبة لى انا صدمات !..
هى : ــ اذن ، فلعلنا لن نصل الى ...
هو : ــ .. وأين كنت تريدين أن أوصلك ؟
هى : ــ الى موضوعنا الاول : الرسالة التى تكتبها الآن و ...
هو : ــ آه.. الحق أن موضوعها يدور حول الخالدين !
هى : ــ تعنى الزعماء والمبدعين فى الفن والعلم والادب ؟
هو : ــ تماما !..
هى : ــ ولكن ما المناسبة .. أعنى مالك أنت ومال الخالدين ؟
هو : ــ مسألة قرب وجوار !
هى : ــ انت قريب وجار للخالدين ؟!
هو : ــ باعتبار ما قد يكون !
هى : ــ ولكن كيف .. كيف يكون ؟!
هو : ــ اقول لك ..

بدءا ، وبعد البدء ، والى ما قبل هلال شهرنا هذا لم يكن بينى وبين « الخالدين » اكثر مما قلت الآن هازلة : مالك انت ومالهم !

هى : ــ لم تغير الحال اذن ؟..
هو : ــ انه المثوى .. (ولكى لا اشك فى ذمتك اللغوية ، فلن القول هو المنزل ، والمكان ، والمدفن ... وجمعه : مثاو) !..
هى : ــ آه ، شكة ، ولا شك !
هو : ــ حسنا ، ولنستطرد ... :

لم اكن أعلم أن هناك مسابقة لتصميم مثوى يدفن فيه الخالدون ، حتى قرأت أخيرا اعلانا عن نتيجة المسابقة واعتماد تنفيذ المشروع الفائز على أرض فى مدينة من ضواحى القاهرة أخذوا لها من اسمنا اسمها !..

هى : ــ لكن ... وأيضا ، مالك أنت ومال هذا المثوى ؟

هو : ـ لقد ذكرني أني ليس لي مثوى !
هي : ـ أو كنت لا تذكر ذلك ؟!
هو : ـ كان ينسيني أني ليس لي مثوى ـ أن ليس لي مأوى !
هي : ـ مأوى ، يعني لا ...
هو : ـ لا مكان ، لا سكينة نفس ، ولا حنان !
هي : ـ آه ...
هو : ـ معذرة .. لم أقصد أن أفتح لك حدائق الاحزان !
هي : ـ ... لنعد اذن الى موضوعنا ...
هو : ـ الى ... مثوى الخالدين !
هي : ـ و ... لماذا بالذات مثوى الخالدين ؟!
هو : ـ لأني احببتهم .. ولأني ليس لي مثوى !
هي : ـ تريد أن يكون مثواك معهم ؟!
هو : ـ العفو !.. يكفي قريبا منهم !
هي : ـ ولكن ، كيف يمكن أن ...
هو : ـ أليس من المحتمل أن تصميم المثوى يشمل قريبا منه أو عند مداخله ، مواقع مثلما يكون في المؤسسات مثلا لمكاتب العلاقات العامة أو الاستعلامات ؟!
هي : ـ محتمل جدا ..
هو : ـ اذن يمكن أن يكون لي هناك مثواي !
هي : ـ طبعا بعد عمر طويل !
هو : ـ شكرا .. ولكن لابد أن تحجز منذ الآن !
هي : ـ ذلك اذن هو موضوع هذه الرسالة التي تشغلك الآن و ..
هو : ـ والتي فرغنا الآن منها !
هي : ـ فرغنا منها ... كيف ؟
هو : ـ ألا ترين إنا قد أبلغناها ، وعرفها الآن كل من يطل علينا من خلال السطور هنا ؟!
هي : ـ آه ... وبذلك نقترب من النهاية السعيدة ؟!
هو : ـ ليس بعد !.. بقيت لنا أم المشاكل !
هي : ـ أم المشاكل ـ مشكلة ! .. فما هي ؟
هو : ـ التزكية ! .. كل شيء يتوقف عليها ! .. لابد لي منها تزكية رفيعة المستوى !
هي : ـ بسيطة ! .. ولها الأوحد المرتجى : الاستاذ الكبير ت ..
هو : ـ تماما ، تماما ! .. ليس الا هو !
هي : ـ الا تعرفه ؟..
هو : ـ اني عظيم المعرفة به !
هي : ـ واين المشكلة اذن ؟
هو : ـ المشكلة انه هو لا يعرفني !

.. ويبقى «الهلال»

... ويا أستاذنا ، ودكتورنا ...

لقدْ كُنتَ في البَدء تجيئنا في « الهلال » ، تعرِضُ المقال .. جَناحُك مخفوضٌ ، وسَمتُك ابتهال ، أن يقبَل للنشر المقال !..

وسَاندك « الهلال » ، فَقوّم لك ، وقدّمك ، وعرّف بكَ .. حتّى أصبَحت مَن أنتَ ناهَة وانتشارَ إسم وقلم !... وأصبَح لك مِن اسمِكَ على صفحات « الهلال » جَواز انطلاق إلى ماوراء بحْرِ الرّمال والصّحائفِ الأخرى وصكوكها أغنى وأقنَى !

وهكذا ، لبِستَ « للهلال » ثوْبَ الكِبرِ والبَطَر !... فتحوّلت ، وتغيَّرت الحال ... لم تعُدْ تجيءُ تعرض المقال ، فالمقال مدّخر لمنْ يدفَع بالدّينار أو بالدولار !

ولقدْ نلتَقى عفْوا وخطفا ، فلا يَفوتك أن تتحفّى بنا .. ولا أن تزهو ، اعتذارا بمشاغِلك عن الكتابَة لنا ! .. ولا أن تعيِّرنا بأنّا قليل فلوسنا !...

على أنّنا ونحنُ نلتقى هنا ، لا نُعاتبك أو نستكتبك ... فلقَد طوّقك الخريف ، وفرغْنا مِنك كما فرغتَ أنت وجَفّت جَداولك ، ومعك أكثر جيلِك ، والقافلة المتْعبة ! ...

ويبْقى « الهلال » موصُولَ العطاء ، معرِض الفكر والمعرفة والحب وروح العصر ...

يبْقى « الهلال » وجْه مصر العَريق ثقافة ، وريادة ، ومواهِب متجدّدة وجَديدة تجعَل الوجودَ وجُوداً جميلا ! ..

ولقد كانَ من المغرى هنا أن نقول عنْك وفيك ، ما يُغريكَ أن تأخذ أطْماعك فتلقى بها في البَحر أو تحرقها كما احترَقت روما !...

ولكننا نُمسِك ، حتّى لا يسبق إلى الظّن أن القولَ هُنا باسم « الهلال » ، وماهُو في الحقّ كذلك ... وإنّما هو قول خاص ، عَنْ رأى أو رؤْية أو وقْفة على طَلَل الوفاء ، تَحدر ت فيهما الدمُوع قطرات منْ قلم الغَـريب ... والغَريبُ هنـا ، وغيرِ هنا — أنا ! ...

على حافة العناق

.. عصفت ، في القاعة الصغيرة ، عاصفة الاهات المرحبة !
طوق الصمت نغمة صاعدة فى لهاة المغني ...
وقف القوم ينظرون جميعا كيف تبدو ضيفة موعودة جاءت بعد موعدها !

. . . .

القوام فينان .. وثوبها من لون عينيها : فيروز ، الرمادى ضاربا فى الاخضر ...
الوجه الباسم عذب ، مريح ...
والعقد يازغ الحب ، طويل ، لونه الاصفران : الزعفران والذهب !

. . . .

سكن من حولها ـ (الضيفة) ـ مرح العتاب والاعجاب ! ...
تموجت فوق أوتار الغناء أنامل المغنى ...
وجد كل من فى القاعة مجلسه أو مكانا لمجلسه ، إلا واحدا .. ضاع مكانه ، وضاق سبيله ... فتوقف يتنفس الضياع والحرج ... ويبدو مثالا للغربة ، يعرض ـ فرجة ـ للسامرين فى المجلس الطروب !

. . . .

تفاقم حول الغريب حصار النظرات المتوهجة ضيقا ، وعجبا ! ..
واهتز ، ثم انهار على كتف مقعد عريض تحكم بجانبه ...
وتصايحوا به مشفقين محذرين ...
لا ، لا ...
ان الجميلة الضيفة فى هذا المقعد !
ان جلسته هكذا معها توشك أن تقيم بينهما حالة عناق !
لو أنها تلفتت ، فسوف ...
لو أنه مال ...
ـ ... و ... ماله !
قالتها ، تغالب الحياء ، وتضحك ! ..
صوتها غرد ، متوثب ... والضحكة لها شخصية !
تساوقت وراء ضحكتها كل الضحكات ، تزفها ـ تجاوبا ورضا !..
خيل للغريب فى صحرائه الموحشة أنه يرى من بعيد ، خمائل الظل والجنى !

. . . .

نذرت صحبة السامرين أن تقتل الليل طربا ! ....

مطربهم نغوم ، رائق ، مبدع التقليد ...
كلهم خلص للسماع ... لكل جرحه ، وكل يسمع على ... ! ...
وفي الغناء ، كما في الخمر ، نشــوة تأخذ الطروب فـ ... شى وقـد يتعرى ، وينكشف منه ما تحت القناع !
« هي » ... أيضا ، وقد تفتحت واهتزت ، ســقط عـ ا قناعها ، فبدت بغير قناع عذبة الحضور ، سوية ، طروبا ... تنغم همسا ، مع صوت المغني ، في مقاطعه الختامية ، حتى تزفه الى اللذ... !

. . . .

وفي موقعه الفريد على كتف مقعد عريض يضم ا... بديعة ـ نفتح وجدان الغريب على جارته يتأملها واقعا وحلما !
هي على سجيتها البيضاء ، رقيقة ، لا تضيق ... ، ولا ببعض صمته وانطوائه !
هي عطوف تدفع معه معابثات من ينفسون عليه ... ه !
وهي بعد ، آه ... صوتها الشهي ، وشعرها ... والعذوبة ، والأناة ، وأنس الروح ـ بهجة الدنيا وأنعمها ! ..

. . . .

الليلة ... ليس بين الحلم والواقع أرض محايدة ! ...
هنا الآن عرفها ... وهنا بقي أن يتعرف بها !
انها ، وانه الآن ، في جوار ، على حافة العناق ! ...
العناق ، في الناس والعصر ، أسبق وأهون ... ومن ثم ، بعد العناق ، قد يجري الحوار ! ...
لو انها الآن تلفتت ...

. . . .

و ... تلفتت !
فلقد عصفت في القاعة الصغيرة عاصفة الآهات المرحبة !
طوق الصمت أنغام الغناء ...
وقف القوم ينظرون جميعا كيف يقبل نجم فنان في مفاجاة الحضـور على غير انتظار !
احتوى النجم ـ حفاوة ـ بريق العيون والبســمات ! ... امتد في القاعة ، على شرفه ، جناح عريض ! ... تغيرت في المكان ملامح الوقائع والمواقع !
تلفت كل حوله يجلس ... وكل يفضل قرب النجم مجلسه ! ...
ولم يتوقف الغريب مضيعا ، حرجا ! ...
في هذه المرة ، وجد الغريب مكانا ... ولكنه ، لم يجدها !
وانتهت قصة كان موعدها للناس والعصر اجمل الأجمل !
انتهت قصة لم تبدأ ... !

نصر الدين عبد اللطيف

ترنيمة الختام

فلسفة الحب

من الشاعر ب . ب . شيللي

ترجمة: عاطر محمد بحيرى

ماء الجداول بالأنهار ممتزج
وللنهور امتزاج بالمحيطات
وللرياح مدى الآباد ثائرة
لطيفة ، واختلاط فى السموات

***

لا شيء فى هذه الأكوان منفرد
ولا تعيش بها الأشياء وحدانا
والامتزاج قوانين مقدسة
فكيف لم تمتزج بالحب روحانا ؟

***

فم السموات .. أجبال تقبله
والموج صافح كف الموج من طرب
وليس يغفر للأزهار ما صنعت
إن حقرت بعضها بعضا بلا سبب

***

الأرض صافح نور الشمس ساحتها
والبحر قبله ضوء من القمر !
فهل يكون لهذا الصنع قيمته
إن لم أنل قبلة ... من ثغرك العطر ؟!


الهلال
جرجي زيدان
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي:
بالبريد الجوي:
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
١٩٧٩م
العدد الأول من الهلال والأخير منه
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
زالت مجلة الهلال عميدة المجلات
قافية وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!

الهلال

ديسمبر ١٩٧٩

مجلة الفكر العربي

اقرأ
تحصل
وكسب
جائزة



شجرة الحب في صحراء الحياة

● مع الشاعر الفائز بجائزة نوبل ● الإسترخاء فن الراحة وصفاء العقل

باريس الكبرى و القاهرة الكبرى

استطلاع بالألوان

في عمر الدول قليلا ما تجد هذا الرقم

٧٠٠٠ سنة

مصر



وفي عمر شركات الطيران قليلا ما تجد هذا الرقم

٤٧ سنة

مصر للطيران

حضارة + خبرة

إلى أوروبا - أفريقيا - آسيا

بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٢٧ + الأتوبيس الجوي

معضلة !

لا شك فى ان العربى فى ذاته مشكلة تحتاج الى دراسة .. فهو انسان خير طيب ما فى ذلك شك .

وهو انسان ذكى نشيط ، يلمح حقائق الاشياء فى لمحة ويعمل عشرين ساعة فى اليوم اذا اراد ..

وهو انسان عريق ، تاريخه السياسى والحضارى طويل ، وقد اسهم العربى فى بناء حضارة البشر باكثر من لبنة ..

والعربى محبوب من البشر ، يحل فى البلد الغريب فلا يلبث ان يكسب الاصدقاء ، وينزل ضيفا على الاسرة الاوروبية فتميل اليه القلوب ...

ولكنه مع ذلك انسان غير موفق فى الحياة ..

فشعوبنا رغم فضائلها لا تقف فى الموضع الذى يليق بها بين الامم ..

وانتاجنا رغم استعدادنا للعمل قليل ، فنحن كما يقال نصنع كل شىء ولكننا نصنعه صناعة سيئة ، ونصنعه بكميات قليلة وتكلفه اضعاف ما يكلفه الآخرون ..

ومدننا فوضى ، وطرقنا محنة وبيوتنا لا تعرف السعادة وزيجاتنا بعيدة جدا عما يسمى الهناء ، ونحن ننفق الوفا لتؤثث قاعة جلوس فى البيت لنسعد بالاجتماع العائلى فيها فاذا اجتمعنا تشاجرنا ..

وتنفق العائلة كل ما تملك من جهد ومال ليصبح اولادها سعداء فلا يعرفوا السعادة قط : يصبحون اطباء ومهندسين ومعلمين وقضاة ، ولكنهم يظلون بعيدين عن السعادة ..

والامم العربية شقيقات على الورق متدابرات فى الواقع . امة واحدة فى نصوص الدساتير ولكنها الف امة فى عالم السياسة والتجارة والمال . وقد كانت عندنا جامعة عربية فما زالوا بها حتى حطموها ، والآن عندنا - فيما يزعمون - اثنتان : واحدة هنا وواحدة هناك ، ومع ذلك فلم تكن لنا قط جامعة لا عربية ولا رومية ..

هل تستطيع ان تحل لى هذه المعضلة ؟

معضلة العربى الطيب الخبيث ، الذكى الغبى ، القادر العاجز ، النائم اليقظان ، الغنى الفقير ، الضاحك الباكى ؟

● المحرر ●

في هلال الك

الهلال
مجلة الفكر العربي

محرم ١٤٠٠ هـ
ديسمبر ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون
اول ديسمبر ١٩٧٩ - ١١ من المحرم سنة ١٤٠٠ .

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديى

● الغلاف الأول ●

غلاف هذا العدد من الهلال رمز على امنية تراود خيال كل عربي بل كل انسان : رمز شجرة الحب التى ينبغي ان تطلع في صحراء حياتنا القاحلة الموحشة . واليد التى تراها تزرع الشجرة ينبغي ان تكون يدك أنت .. لان كلا منا ينبغي أن يزرع شجرة حب ..

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٣٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى «١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ ج.ا بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو ٩ ج.ا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

نريد أن نستقر..
نريد أن نتقدم..

نريد أن تكون بلادنا في مقدمة البلاد
إذن.. فأولاً وقبل كل شيء

لنزرع شجرة الحب

بقلم: رئيس التحرير

● **هناك ألفاظ تنفرد بها لغتنا العربية ويصعب أن نجد لها مقابلات في اللغات الأخرى مثل ألفاظ ، الحقد .. والشماتة وكيد الأعداء وشفاء الغليل ، والوقيعة والنميمة والغيبة والدسيسة ..**

وأمثال هذه الألفاظ التي تنفرد بها لغة دون غيرها من اللغات تكون في العادة أدل على نفسية أصحاب اللغة وطبيعتهم وإحساسهم بأكثر مما تدل عليه الألفاظ الأخرى التي توجد في كل اللغات .

فإذا كان العربي قد ابتكر هذه الكلمات ليعبر بها عن أحاسيس ومشاعر خاصة به ، فلأن معاني هذه الألفاظ شديدة اللصوق بطبعه دقيقة التعبير عما يحس به ، فإذا انفرد بها دون غيره من الناس فلأن الأحاسيس والمشاعر التي تعبر عنها خاصة به من دون الناس كذلك .

فالشماتة مثلا لفظ عربي لا يوجد له مقابل في أي لغة أخرى ، ومعنى ذلك أن العربي من دون الناس هو الذي يشمت بعدوه أي يفرح لمصيبة تنزل به ، وهو قد لا يشمت بعدوه فحسب ، بل بصديقه أيضا ، لأن الشماتة في ذاتها هي الفرح أو الطرب لمصيبة تصيب الغير .

كذلك الحقد ، وهو لون عميق جدا من الكراهية والبغض ، فان الكراهية قد تزول بزوال أسبابها ، وكذلك البغض قد يزول بزوال بواعثه ، لأنهما من المشاعر العابرة ، تكون ثم لا تكون ، أما الحقد فعميق دفين ، لا يزول بزوال أسبابه ، لأنه جزء من خلق صاحبه ، فالحقود حقود دائما ، يحقد على الآخرين اذا آذوه ، ويحقد عليهم اذا نالوا خيرا حتى اذا لم يؤذوه ، **والحقود مريض مغرور ، يؤلمه ما يصيب الناس من خير ، ويضغن عليهم في داخل**

فى صحراء الحياة

نفسه ، ويطرب اذا اصابهم مكروه ، او اذا زالت عنهم نعمة ، ويشعر انه قد ارتاح او كسب كسبا خاصا به ولو لم ينله من مصائب الناس اى خير ، ولكنه مريض النفس ممرور الطبع ، ولهذا فهو حقود . ويزيد فى حقده شعوره بانه عاجز عن ادراك ثاره من الآخرين ، أو عاجز عن مجاراتهم وبلوغ مايبلغون ، فيتعزى بالحقد ويتمنى زوال نعمة الآخرين .

والحسد كذلك طبع فيما يقول العرب ، والجاحظ يقول فى « البيان والتبيين » ان الحسود مبتلى بحسده ، يعانى منه أشد مما يعانى صاحب العلة من علته ، فهو لا يرى نعمة لأحد الا أحس لها للدعا فى نفسه وتمنى زوالها .

وقد حاولت أن اجد هذا المعنى للحسد فى اللغات الاخرى فلم اجد ، لان كل ما يقابل الحسد عندهم لا يصل الى هذا المبلغ من السوء وتمنى الأذى ، فالحسد على هذا المعنى عربى ، مثله فى ذلك مثل الحقد والشماتة واللدد وما الى هذه من الالفاظ التى سبق ان اوردناها . والجاحظ نفسه يقول ان العربى حسود انوف .

***

ثم نظرت الى تاريخنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت ان بداية تلك المأساة الاخلاقية كلها فى مقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان.

والمفروض أن الذين قتلوه كانوا نفرا من أجلاف الجند الثائرين فى العراق ومصر على الادارة المركزية ، ولكن لا يمكن ان تنسب هذه الجناية البشعة الى هؤلاء الجنود وحدهم ، بل ان وراءها احقادا وحزازات قديمة . هنا نجد الحقد الدفين الاسود يطفو على السطح ويريق دم ذى النورين عثمان دون جريرة تستوجب القتل .. وقد جرت هذه الجريمة الى جرائم أسود منها ، وقامت الفتنة وقتل فيها الوف الناس ، واستشهد فيها صحابيان ، ثم انتهت آخر الامر باستشهاد رابع

الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب . وقد اضطرب تاريخنا كله بعد ذلك وانتقلنا من عصر المثل العليا الى عصور الاحقاد والظلمات ، وما زلنا الى الآن نحمل على ايدينا آثارا من دماء عثمان الشهيد .

وقد ادى مقتل عثمان الى وقوع الخلافة فى ايدى بنى امية ، فحولوها الى ملك فى بيتهم ، ولم تعد خلافة الا بالاسم ، وتراكمت الاحقاد والآلام ، وغلت القلوب بالاحقاد ، وما زالت مراجلها تغلى حتى انفجرت فى صورة الثورة العباسية الجارفة ، التى اضافت دماء الى دماء واحقادا الى احقاد ، ولم ترد على المسلمين خلافتهم وانما نقلت التاج من مفرق رءوس الامويين الى مفرق رءوس بنى العباس ، وعلى يد ابى العباس السفاح واخيه ابى جعفر المنصور وعمه داود بن على سالت الدماء انهارا ، وابتعدنا بعدا شاسعا عن المثل الاعلى للاسلام وحكومة الاسلام ، ابتعدنا الى درجة استحالت معها العودة الى الطريق القويم .

وبقية القصة الطويلة الاليمة معروفة ، او غير معروفة ولكن مجال روايتها ليس هذا المقال .

لماذا ، هذه الشرور والآلام كلها ، لماذا ؟.

لان القلوب تفيض بالمخاوف والاحقاد والضغائن والثارات . فصاحب السلطان يستعمل سيفه دون هوادة ، وما من هاجس خوف يطوف بقلبه نحو انسان الا كان السيف اسرع الى عنقه من غمضة الجفن ، لان الحقد أعمى سريع الى الضرب والبطش . وعصورنا الماضية كلها عصور خوف : الحاكم خائف والمحكوم خائف ولا شىء يدعو الى العنف والبطش مثل الخوف الذى يشل العقل ويترك المجال للغرائز .

فاين من هذا الطريق الاسود ما دعا اليه الاسلام من المحبة والتسامح والمغفرة ومكارم الاخلاق ؟.

وهذا الخوف الذى عشنا فيه هو السبب فى اعمال العنف والاجرام التى شملت تاريخنا كله . ولقد عرف الغرب هذه المآسى والحروب ، وطالت هناك الصراعات ، وسالت بحار الدماء ، ولكن الذى نلاحظه فى الغرب هذه المآسى والحروب ، وطالت البلاء ارتفعت اصوات الصلح والدعوة الى المصالحة والسلام ، وتقدم ناس يتوسطون لانهاء المآسى وسيلان الدماء ، هكذا انتهت هناك حرب الثلاثين عاما وحرب المائة عام ، وهكذا توقفت بين الحين والحين الحروب بين هولندا وانجلترا ، وبين انجلترا وفرنسا ، وبين الجمهوريات الايطالية بعضها وبعض ..

اما فى تاريخنا فلا احد يتوسط قط لان الحكام اصروا دائما على ان يحكموا منفردين ، ولم يفكروا قط فى أن يتركوا جزءا من السلطان لغيرهم ، ولهذا انقطع طريق الصلح وظلت الحروب دائرة حتى يهلك الناس وينتهى الامر بانتصار الاقوى وهلاك الضعيف ، وياله من انتصار اليم هو اقرب الى الهزيمة !. لان الحرب كما نعرف ليس فيها غالب ومغلوب ، وانما فيها مغلوب ومغلوب ، والفرق بين الاول والثانى ان الاول يكون فيه رمق من الحياة يعيش عليه حينا ثم يهوى ، والعبرة الكبرى نراها امام عيوننا اليوم ، فقد انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار الانجليز والفرنسيين والامريكيين على الالمان والايطاليين واليابانيين ، فانظر اليوم حال المنتصرين ! انظر الى حال انجلترا وما هى فيه من متاعب وازمات ، وفرنسا وما كانت فيه قبل شارل ديجول ،

● كلنا نشكو وكلنا ظالمون ، لأننا جميعا لا نفكر في غير نفوسنا ، وننسى أن الآخرين أيضاً ناس لهم حقوق .

● كل منا يهدر كرامات الآخرين ، الموظف الذي تمنحه وظيفته سلطاناً - مهما صغر - يستعمل هذا السلطان لإذلال الآخرين .. وانظر والى كيف يعاملون الناس في أي مكتب من مكاتب الدولة

والولايات المتحدة وما يجرى عليها اليوم ..

وفى تاريخنا لم ينتصر احد قط على احد ..

فالعباسيون انتصروا على الامويين ليكونوا هم بعد ذلك فرائس الازمات والفوضى ومصارع الخلفاء ..

والامويون الاندلسيون والفاطميون فى المغرب أهلك كل منهما الآخر عشرات السنين ، وانتهى الامر بهزيمة الامويين ، فأما الامويون الاندلسيون فقد تدهورت خلافتهم ، وأما الفاطميون فقد تدهورت دولتهم بعد انتقالها الى مصر حتى صارت عبرة ومأساة .

والترك العثمانيون والفرس ؟! لقد تحاربوا عشرات السنين وانشغل الترك بحرب الفرس حتى تداعت حصون دولتهم فى أوروبا ، ودخل الاعداء بلادهم ، وسقطت دولة آل عثمان الى الحضيض وأما الفرس فقد اهلك الصفويون انفسهم فلم يلبثوا ان تهاووا تحت ضربات القاجاريين .

فماذا افاد العرب والمسلمون من الاحقاد والحزازات والدماء والحروب ؟ .

وهل صحيح ان الاتراك العثمانيين انتصروا على المماليك فى مرج دابق ؟ .

وهل صحيح ان الاتراك العثمانيين انتصروا على الفرس الصفويين فى شالديران ؟ .

وهل صحيح ان الموحدين قضوا على المرابطين فى معركة تلمسان ؟ .

غير صحيح هذا كله .

وجميع هؤلاء انهزموا وغرق منهم الكثير الغار فى بحر الآلام والدماء ، وكل ما خلفته حروبهم هى الاحقاد التى اكلتهم كما أكلت غيرهم .

لأن الذى انتصر هو الحقد الأسود الدفين .

وماذا كان يحدث لو اننا استبدلنا بالحقد الرحمة وبالكراهية المحبة والغبطة بالحسد ؟ .

كنا نكون اليوم فى موضع الصدارة من الامم .

لأن تاريخنا بدأ بعد بدء تاريخ الغرب بستة قرون ونصف ، فان تاريخنا يبدأ بنزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان من السنة القمرية التى تقابل سنة ٦١٠ ميلادية . وبدأ هذا التاريخ برسالة العلم والنور والمحبة والمؤاخاة ..

وبدأ هذا التاريخ على يد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو

رسول محبة واخاء وانسانية ، وكان ينبغي ان نعى درس الحب والرحمة من رسولنا حتى نبدأ لانفسنا وللانسانية كلها عصرا جديدا .

وآه لو ادرك المسلمون قدر ما ضيعوه !.

وانتقل الى حياتنا الخاصة والعامة لترى مقدار ما فيها من الخير وخلق الخير .

اينما جلست وجدت الاحقاد والأضغان .

واذا سألتني : ما هي الشجرة التي لم تنبت قط فى بلادنا لقلت لك : شجرة الحب !.

ولو سألتنى : ولماذا لم تنبت او تزهر أو تثمر كان جوابى لاننا لم نسمح لها قط بأن تنمو وتزهر وتثمر .

وما نبتت شجرة الحب مرة الا قصفناها واضعناها فى صحراء الاحقاد والحزازات .

وانظر الى الصداقات بيننا وكيف تخبو وتتحول الى عداوات .

وفى تاريخ الحقد فى سيرة البشر اجمعين انسان واحد لم يكتف بمقتل خصمه بل ابى الا ان يشق بطنه ويستخرج كبده ويلوكها ! وهذا الانسان ـ ويا للعجب ـ ! امراة ، هى هند بنت عتبة وزوج ابى سفيان بن حرب ، فاى حقد هذا !.

وقد اقترف العرب فى حق بعضهم البعض من الجرائم ما لا تصدق معه ان الذين فعلوا ذلك مسلمون ، ففى حروب القيسية واليمنية فى بلاد فارس نقرا انهم بعد ان قتلوا فلانا «انشطوا لحمه !» ، وفى ذات مرة خطف واحد منهم ابن عدو له ، ثم وضعه فى حفرة حيا وامر انصاره فسلحوا عليه حتى مات .. وفى حروب اليمنية والكلبية فى الاندلس وقف رئيس عربى يبيع من وقع فى يديه من خصومه العرب لمن ينقص لا لمن يزيد ! وما زال فى هذا المزاد الاسود حتى يبيع شيخ عربى كبير بكلب اجرب ، ويبيع آخر بخف مقطوع الشسع ..

واختار رجل يسمى العميل بن حاتم عددا ممن يكرههم وارسلهم فى بعث وهو واثق بهلاكهم ، فلما قيل له فى ذلك قال : والله لو عرفت لهم مصيرا اسوأ من ذلك ما ترددت ..

وذهب الرجال الى حيث ارسلهم العميل بن حاتم ، وقتلوا ابشع قتلة ، فطرب لذلك وقال لصاحبه وشريكه فى الحكم يوسف الفهرى : الآن خلت لك الى الدجال ! اى الى آخر الزمان ، لان الدجال لن يأتى ـ فى المأثورات الشعبية من اشراط قيام الساعة ـ الا آخر الزمان .

من اين اتت هذه القسوة فى القلوب !.

ومن اين اتانا هذا الحقد اللعين الذى يجعل الناس عندنا يطربون طربا حقيقيا فى مثل هذه المواقف البشعة ..

لا شيء فى ديننا او تقاليدنا يبرر الحقد او الثار الدموى ، وهذا اللدد فى الخصومة ..

حتى الجاهليون لم يعرفوا هذه القسوة المريرة الا فى الكلام .. نعم انهم يتحدثون فى شعرهم عن الثار والدماء ويفخرون بما يفعلونه باعدائهم ، ولكنهم فى آخر الامر لم يعرفوا هذا الحقد الاسود ولا التخلى عن الانسانية والنخوة والشهامة كما حدث مثلا فى استشهاد الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه ، عندما حاصروه هو واهله واعطشوه واجاعوا الاطفال قبل أن يقتلوهم ، وذلك كله ارضاء ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان وواليه على العراق ..

اتانا هذا البلاء من اننا فى الحقيقة لا نعرف الايمان الصحيح . اننا نتحدث

• تاريخنا الماضي لم تحكمه أخلاقيات الأديان بل حكمته الأنانية والظلم والأحقاد ولهذا وصلنا بعد أربعة عشر قرناً من الآلام إلى آخر صفوف العالم الثالث ..

• الحب شجرة لا تثمر ولا تزهر في بلادنا إلا نادراً لأننا نتربى على الحقد ومنه نعيش والكتب التي يقرؤها أبناؤنا حافلة بالأحقاد .. إننا نقول لأولادنا : تفوقوا على الأقران وكان ينبغي أن نقول لهم : تعاونوا مع الأقران

عن الدين دون ان نفتح قلوبنا له ، دون ان نكرس في قلوبنا وقلوب ابنائنا الايمان الحقيقي باخلاقياته .

وهل من الممكن ان تكون في قلب زياد بن ابيه قطرة من الايمان بالله ورسوله ثم يسعى ذلك السعي الحثيث حتى يقتل حجر بن عدى واصحابه قتلة بشعة على يد معاوية بن ابي سفيان ؟ .

وهل من الممكن ان يكون في قلب ابي عبد الله السفاح وعمه عبد الله بن علي واخيه ابي جعفر المنصور ايمان حقيقي بالاسلام ثم يامرون بقتل النساء والاطفال وكل من يقع تحت يدهم من بني امية على ذلك النحو الذريع ؟.

وهل من الممكن ان يكون سلطان من سلاطين تركيا مسلما حقا ثم يأمر بقتل جميع اخوته الذكور في نفس اللحظة التي يتولى فيها العرش ؟

لو كان في قلبه ايمان لذكر ان الحياة مهما طالت فهي قصيرة ، وفي النهاية سيتلاقى الخلق كلهم بين يدى الله فيحاسب كلا منهم على ما صدر منه وما كان .

وهذه التي ضربتها امثلة كبيرة معروفة ، نقس عليها ما يفعله عامة الناس عندنا بعضهم ببعض دون رحمة او دين او انسانية .

لقد عشت في القرية سنوات طويلة، وكنت أرى الفلاحين في المسجد يوم الجمعة وعلى وجوههم ملامح التقى ، فاذا انقضت الصلاة اندفعوا كالشياطين يؤذون بعضهم البعض باللسان واليد اذا تيسر ، ويقعون في اعراض بعض ، وفي الليل تكون الثارات ..

وعملت مدرسا سنوات طويلة ايضا فكنت اجد زملائي المدرسين يفعل بعضهم ببعض الافاعيل ، فكنت اقول: كيف يمكن أن ننتظر من هؤلاء أن يربوا النشء على مكارم الاخلاق وهم لا يعرفون مكارم الاخلاق الا في الكتب والقراءات ؟

واشتبكت مرة في خلاف قضائي وذهبت الى المحاكم مرة بعد اخرى فكنت اتعجب من جراة الناس على الحق وكان ذلك ينسيني قضيتي . وكنت اتساءل : ما لهذا الخلق قد نسى الخالق ؟ يقسمون بالله بالباطل وايديهم على المال المسروق والحق المنهوب ..

ورايت رجلا نهب ثروة يتيم واتى باخوته شهودا فشهدوا ثم خرجوا فيما زعموا يتاسفون على أن المحكمة عطلتهم

عن صلاة الظهر حاضرا ، فصلوه قضاء وهم كارهون .

وكان لنا جار متزوج من امرأة انجب منها ثلاثة عشر ابنا وبنتا ، ومع ذلك فقد بلغ من تحجر قلبه ان دخل ذات ليلة على زوجته واولاده ومعه شابة وقال ان هذه زوجته الجديدة! ثم طلب الى زوجته القديمة ان تعد لهما عشاء، ولم تنبس الزوجة بحرف . قامت الى المطبخ وغلت زيتا ونادت زوجها وزوجته الجديدة ليريا ما تطهو ثم قذفتهما بالزيت الملتهب ... ومات الزوج واصيبت البنت أصابات بالغة وجنت الزوجة القديمة بضعة اسابيع، ثم ماتت بعد ذلك تاركة ثلاثة عشر يتيما ..

ومع ذلك كله فقد سمعت رجلا يتعجب مما صنعت المراة ويقول :

ـ هذه المرأة مجرمة .. كل ما فعله هو مرسى انه استعمل حقه وتزوج امراة اخرى .

لم اجد يومها انسانا واحدا ممن حولي أدرك هول مأساة زوجة بنت اسرة وانجبت هذا الجيش واهلكت نفسها لترضى زوجها ثم يكون هذا جزاءها : يأتيها الرجل المتحجر القلب في الليل بانسانة ويقول انها زوجته، ثم يطلب اليها أن تعد لهما طعاما .

ثم يقول الجار ان الرجل استعمل حقه !

وفي نفسي قلت : واخذ حقه !

***

ثم انظر حولك وتأمل أحوال العرب تجد قلبك يبكي ..

ليس فينا شعب واحد تمكن من الخروج من ذلك الوادي السحيق الذي يسمى العالم الثالث ..

كلنا في الهم عرب ..

والسبب الرئيسي اننا لا نعرف الايمان الصحيح ... لان الايمان الصحيح محبة ورحمة وتعاون على الخير ولا يمكن ان نكون مؤمنين وهذه حالنا .

حياتنا خالية من الايمان ولهذا فهي خالية من المسرة ، خالية من البركة حافلة بالآلام .

وانظر والله ما يفعله بعضنا ببعض دون رحمة أو انسانية ..

انني أكتب هذه السطور وانا عائد من ادارة حكومية . كانوا قد طلبوا مني أوراقا لشأن احتجت له ..

وفي الدور السابع من مبنى مجمع قالت لي امراة اظنها آنسة ــ أن طلبي تنقصه ورقة الدمغة وان على أن أهبط الادوار السبعة وأصعدها لكي آتيها بالورقة ..

واتيتها بها ومضيت الى رئيسها لاستكمل الاجراءات ، فنظر هذا الرئيس في الأوراق ، ومضى يقلب فيها كأنه يبحث له عن علة يرفض بها طلبي ، ثم عثر عليها اخيرا فقال : ان موافقة الوزير غير قانونية ، لانها غير مؤرخة .

● وماذا نفعل يا سيدي ؟

ــ تعود بالأوراق الى مكتب الوزير لاستكمال التاريخ .

ومعنى ذلك ان اهبط الادوار السبعة مرة اخرى وامضي الى الدور الثالث من المبنى المجاور واتقدم بطلب الى السيد الوزير ..

وابتسم هذا الرئيس لانه احس انه «بهدل» مواطنا مثله وخيب امله وقال:

ــ متاسف يا دكتور ولكن هذه هي التعليمات .

وامسكت بالتليفون وطلبت مكتب الوزير ، ورد السيد الوزير فقلت له ما معناه ان هذا الموظف يقول ان السيد الوزير لا يعرف عمله ، ثم ناولت السماعة للرجل وقلت له : كلم السيد الوزير ..

ق العدد القادم ... خلال عام ١٩٧٩ « الهلال » ... عام لموضوعات « الهلال »

● لن تصلح أحوالنا إلا إذا آمنا بالحب والخير وتخلينا عن الأنانية والحقد وعرفنا أن الصراع لا غالب فيه ولا مغلوب وانما فيه مغلوب ومغلوب

● لكي ندخل القرن الحادي والعشرين آمنين ، علينا أن نتذكر أننا إلى الآن نعيش في صحراء قاحلة من الكراهة والعدوان وأن نعلم ان علينا الآن أن نزرع شجرة الحب في تلك الصحراء .. !

وارتجف واضطرب ولم يفتح الله عليه بكلمة .

وتناولت منه السماعة وعدت أكلم الوزير فرويت له ما قال صاحبنا ، ورجوت الوزير ان يعطيه تعليماته ، وناولته السماعة فاذا به يتشكر ويتأسف ويبدي استعداده لوضع التاريخ ..

وقضيت حاجتي وخرجت وأنا أسأل نفسي :

– لماذا كل هذا الامتهان لكرامة الانسان ..

لماذا كل هذه القسوة على الآخرين ..

الجواب : لقلة الايمان ..

والا فما هي ورقة دمغة حتى يهبط رجل مثلي بسببها سبعة أدوار ويصعد سبعة أدوار .

والتاريخ الذي ينقص لم يكن بذي بال ، لان تأشيرة الوزير حولت على نفس الورقة للوكيل للتنفيذ ، وعند التحويل وضعوا التاريخ .

ولكن تحجر القلب بسبب قلة الايمان يجعل مثل هذا الرجل يتلذذ بأذى الخلق واهدار انسانيتهم .

وفي صور شتى ترى هذا المشهد حيثما تلفت ..

لكنا نهدر كرامات بعضنا بعضا ..

كلنا يقسو بعضنا على بعض دون انسانية ..

لان قلة الايمان تغشي الابصار . .

ولو آمنا بالحق والمبادىء والكرامة الانسانية لتحولت صحراء قلوبنا الى جنة وارفة الظلال ..

لنفتح قلوبنا للايمان ..

لنزرع شجرة الحب في صحراء حياتنا القاحلة ..

لنزرعها في قلوب الصغار حتى لا يشبوا ثعالب وثعابين وعقارب مثل آبائهم .

لنزرعها ونرويها بالايمان ..

الايمان بالله حق الايمان لا مجرد ايمان الشفاه ..

الايمان بالحق والخير ايمانا صادقا لا مجرد كلام .

الايمان بكرامة الانسان ...

الايمان بحق الغير في الحياة والكرامة ..

ومهما نفعل فلن نتحرك من مكاننا خطوة .. الا اذا عرفنا الايمان الحق .. وزرعنا شجرة الحب في صحراء الحياة .. ●

● د. حسين مؤنس ●

العيد المئوى لكلية حقوق القاهرة

مائة عام من الجهاد في سبيل الثقافة والوطنية

● فتحى رضوان ●

● نشرت الصحف ان كلية حقوق جامعة القاهرة ستحتفل بمضى مئة عام على انشائها، فخفقت قلوب الالوف من العاملين فى ميدان القانون ، قضاة ومحامين ، واساتذة ومدرسين ، ووزراء ، ومديرين ، ومحققين وباحثين ، ونوابا ومشرعين .. سواء من كان منهم باقيا فى عمله يؤديه ، او كان قد آثر الراحة، واخلد الى البيت ، ملتمسا العافية ، والتخفف من اعباء المجاهدة فى سبيل الرزق او الخير العام ..

فكلية الحقوق التى كانت من قبل مدرسة الحقوق الملكية ، فالحقوق السلطانية ، فالحقوق الخديوية ، — هى صرح شامخ عال عريض عميق ، من صروح امة مصر ودولتها ، ثم من صروح امة العرب ودولها ، ثم من صروح امة المسلمين وشعوبهم ..

فهى معهد من معاهد الدراسة العليا، كغيرها من المعاهد التى تهيئ المعرفة لطلابها فى ميدانها ، ككلية الطب ، والعلوم والاداب ، ولكل من هذه المعاهد ، بلا شبهة مكانها فى بناء مصر ، وتحضيرها والدفع بها الى الامام .. ولكن افاء الله على كلية الحقوق أو مدرستها ، سحرا خاصا ميزها ، لا عند ابنائها الذاكرين لها الفضل ، والمعترفين بالجميل ، وانما عند المصريين كافة ، اجيالا بعد اجيال ، ربما للظروف التى لابست ميلادها ، وصاحبت تطورها ، وربما لاسمها نفسه، الذى تحمله، وكان يمكن او كان يجب ان تحمل سواه، فلفظ الحقوق تتداعى له فى النفوس ذكريات مثيرة ولا سيما فى امة ديست حقوقها ، وانكرها عليها خصومها ، وهضمت حقوق اكثر ابنائها ، فعاشت وعاشوا يكافحون من أجل استردادها ، وبذلوا النفس والنفيس ، وكانت لهم معارك باقية ، ووقفات خالدة ، صاغت تاريخ مصر ، ووضعته فى قالبه الذى عرف به، لظفرت مصر بفضله بين اخواتها العربيات الشقيقات واخواتها الاسلاميات القريبات والبعيدات ، بمكانة ، جعلتها الزعيمة ، وجعلت معاهدها ومدارسها القبلة ، ودفعت علماءها ومفكريها الى القمة



مصطفى كامل



رفاعة الطهطاوى

ترجموا ، والفوا ، وخطبوا ..

فى ١٢ من يوليو سنة ١٨٩٢ ، ارسل مصطفى كامل الشاب الى اخيه الضابط على فهمى كامل خطابا بعد أن حصل على اجازة الدراسة الثانوية، يقول له فيه انه سيسعى للدخول الى مدرسة الحقوق .. ولم يسكت بل أضاف لانها مدرسة الكتابة والخطابة ــ ولانها تعلم حقوق الافراد والامم .

ولقد كفانا الزعيم الشاب ، وهو بعد على عتبة حياته العملية ،مئونة تبين مصدر سحر هذه المدرسة ، فهى ملقن الكتابة والخطابة . وهى مؤسسته التى تعلم حقوق الافراد والشعوب . فماذا بعد ذلك يضفى على اية مؤسسة الجاذبية، ويمنحها السحر ، ويقدمها على ما عداها . الكتابة والخطابة السبيلان المؤديان الى الدعوة الى الاديان ، والدعوة الى الاوطان ، والدعوة الى الخير ، واثارة الناس ضد الشر ، وتأليب الجموع ، وتوحيد الشعوب، واثارة الهمم، واشاعة الفتن، وتأييد الحكام ، والانتفاض عليهم، وخلعهم ، والقصاص منهم .

أما حقوق الافراد والامم ، فهى جوهر حياة الناس ، من أجلها يشقون ، وفى سبيلها يجاهدون ، وبتحققها ينعمون بالراحة ويظفرون بالسكينة ، وعند الحرمان منها ، يشعرون بالمهانة والمذلة ، وبالعوز والضيق ..

وقد كتب لكلية الحقوق منذ مولدها ، أن تلعب دورا يليق تماما بالمهمة التى أسندها مصطفى كامل لها . فقد كانت مهمة ذات أكثر من شعبة . فالذين تخرجوا فيها ،سقطت على اكتافهم اعباء جسام اولها : أن يترجموا الى العربية القوانين السارية فى الدول الحديثة ، توطئة لتطبيقها فى مصر .

وثانيها أن يبنوا الهيكل القضائى للدولة ، فيضعوا نظامه ، ثم يملأوا وظائفه ، ثم يؤدوا واجباته .

ثالثا ــ أن يسهموا اسهاما فعالا فى انشاء الجوانب الاخرى ، بوضع القوانين واللوائح ، ويشرحونها ، ويطلبون من الموظفين الجدد تنفيذها ، ثم يشرفون عليهم فى هذا العمل الجديد ويسددون خطاهم ويجنبونهم الخطأ ..

رابعا ــ أن يشيعوا فى البلاد ، ولا سيما فى مجال القانون والتشريع والقضاء ، ثقافة ترفع مستوى اللغة الرسمية ، ولغة الاحكام ، والمرافعات ، وكتاب القانون وتفسيره .

وقد قام هؤلاء الرواد ، بهذه المهام الكثيرة والجسيمة ، بامانة وكفاية ، ومثابرة ، لانهم ترجموا والفوا ، وخطبوا وترافعوا ، وشرعوا وشرحوا ، حتى ملأوا البلاد ثقافة ، ذات شعب فكان منهم الشعراء الكبار ، والادباء الفحول ، والمشرعون المدققون والمحامون الجهابذة ، والقضاة العدول .. ونظم هؤلاء دواوين

الشعر ، وملأوا المكتبة المصرية العربية بمئات من الاثار الادبية في كل فرع ودرب بعثت في مصر حركة أدبية ، اتصلت حلقاتها بما جاء بعدها من أدوار الحركة الفكرية ، التي ازدادت على الايام نموا واتساعا حتى المراحل الراهنة من حياتنا

وكان لابد من تمهيد لحركة هؤلاء الرواد، وتعهدت لهم بالفعل هذه الكتيبة التي قادها بكفاءة وحذق وانكار ذات «رفاعة رافع الطهطاوى» ذلك ان الخديو اسماعيل أراد منذ ولى الحكم ، ان يصلح القضاء في مصر ، ليغل من حدة نفوذ الاجانب بها ، ولذا بدأ بوضع المشروعات لترجمة القوانين الفرنسية واعداد المصريين الذين يصلحون لتولى مناصب القضاء الجديد .. ولترجمة القوانين انشىء قلم الترجمة الجديد ، ولاعداد القضاة انشئت مدرسة الادارة ..

انشىء قلم الترجمة في أوائل عهد اسماعيل وعين رفاعه رافع ناظرا له فاختار جماعة من تلاميذه القدماء خريجي مدرسة الالسن القديمة هم عبدالله بك السيد والسيد صالح مجدى أفندى ، ومحمد قدرى أفندى ، ومحمد لاظ أفندى، وعبدالله أبو السعود أفندى . واستقر هذا القسم في غرفة من غرف ديوان المدارس الذى كان يساوى الان وزارة التعليم .

مرشد الحيران فى احوال الانسان

وبدأت هذه الكتيبة العظيمة بالقانون الفرنسى. وبعد اشهر قليلة فرغوا من القسم الأول من العمل وهو ترجمة القانون المدنى ، وقد احتوى هذا القسم ٥٥٠ مادة فقد قام بترجمة هذا القانون رفاعه بك بالاشتراك مع عبدالله السيد بك وأحمد حلمى أفندى ، وعبدالسلام أفندى ، ثم ظهرت اجزاء القانون الفرنسى الأخرى تباعا بعد ترجمتها :

١ ـ قانون المرافعات المدنية ، وقد ترجمه عبدالله أبو السعود أفندى وحسن فهمى ، ولكن تحت عنوان : قانون المحاكمات والمخاصمات في المعاملات الاهلية المعتادة .

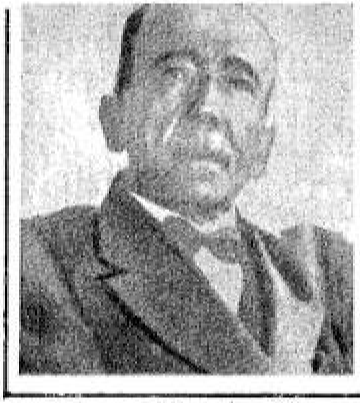
٢ ـ قانون الحدود والجنايات ترجمه محمد قدرى افندى الذى أصبح فيما بعد محمد قدرى باشا صاحب كتابى : قانون العدل والانصاف فى حل مشكلات الاوقاف ومرشد الحيران فى أحوال الانسان وهو في الواقع قانون العقوبات.

٣ ـ قانون (المشيخة البلدية) ويعنون قانون المجالس المحلية والبلدية أو الحكم المحلى وترجمه محمد لاظ .

وفي سنة ١٨٦٨ انشئت مدرسة الادارة ، لتدرس القانون ، وتعد القضاة ، وكانت الفصل التمهيدى لمدرسة الحقوق ، التى حملت هذا الاسم في سنة ١٨٨٦ . وقد حدثنا عن هذه المدرسة في تلك المرحلة أحد تلاميذها احمد زكي الذى وصل الى منصب أمين عام مجلس الوزراء ، وأصبح يعرف باسم (أحمد زكي باشا شيخ العروبة) فقال : «ان هذه المدرسة نشأت في سراى مصطفى فاضل باشا بدرب الجماميز الى دار البدراوى بشارع سوق الزلط من قسم باب الشعرية على مقربة من دار آل العروسى التى آلت الى احدهم مشيخة الازهر »

بهذا الاسم ، وفى هذا المكان ، بدأت كلية الحقوق ، وفى هذه المرحلة انتظم فى صفوفها ثلاثة اعلام من اعلام مصر ، انتسبوا الى أسرة القانون والحقوق ، اولهم احمد شوقي أمير الشعراء ، وثانيهم محمد فريد ، الرئيس الثاني للحزب الوطني الذى اسسه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ وثالثهم محمد طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادي ، والطريف ان الاثنين الاخيرين تعاقبا على وظيفة واحدة ، هى مدير القضايا بالدائرة السنية : فقد تولى هذه الادارة محمد طلعت حرب ثم تركها ليشغلها محمد فريد .

وحسبنا أن نقف لحظة امام هذه الاسماء الثلاثة الكبيرة ، يتبين لنا أن كلية الحقوق ، لها فضل تخريج البر



احمد شوقى



طلعت حرب

شعراء العربية فى عصرها الحديث ، واكبر رجال الاقتصاد فى الشرق العربى ، وزعيم الوطنية الفذ الذى لم يصل أحد سواه الى الدرجة التى وصل اليها فى التضحية وانكار الذات والتحضير المبكر لكل اتجاهات العدالة الاقتصادية .

وهذا الثالوث الكريم ، الذى يضم الشاعر الفذ ، والزعيم الخالد ، والاقتصادى الذى يتزعم حركة الانشاء والتجديد والاستقلال - ليرينا ان كلية الحقوق لم تكن معهدا عاديا ، تقتصر رسالته على التعليم والتلقين ، أو تخريج عدد ممن يصلحون لملء الوظائف الحكومية شأنها فى ذلك شأن كل المدارس العليا والحق أن كلية الحقوق منذ اليوم الاول ، كانت مؤسسة وطنية ، وقد اختارها الله لتؤدى رسالة المعارضة والمقاومة للنفوذ الاجنبى المتسلل المتزايد فى أخريات عهد الخديو اسماعيل أول الامر ، ثم مقاومة الاحتلال البريطانى الذى يريد أن يثبت أقدامه ويرسخ دعائمه على أرض وادى النيل .

رواد النهضة الحديثة ..

فقد مر بنا ان الخديو اسماعيل اراد ان ينشىء مدرسة الحقوق ، ليخرج القضاة الذين احاطوا بالدراسات القانونية الحديثة ، وعرفوا القوانين المعمول بها فى اوروبا ، ليقفوا فى وجه السيطرة الدخيلة كما عرفنا ان الاساتذة الاوائل للقضاة المصريين ، الذين تخرجوا فى هذا المعهد السامى ، كانت هذه المجموعة الصالحة من رواد النهضة المصرية الحديثة ، وعلى راسهم رفاعة الطهطاوى تلميذ ومعاون على باشا مبارك .

وقد شاء القدر أن يكون أساتذة مدرسة الحقوق فى المرحلة التالية لنشأتها الاولى ، كانوا جميعا من اكبر أساتذة القانون فى فرنسا وأوروبا وكان القانون المدنى والجنائى وقوانين الاجراءات المدنية والجنائية مستمدة كلها من القوانين المماثلة الفرنسية ، ومن ثم فقد نجت من السلطة البريطانية التى بسطت نفوذها على كل شىء .

وكان الصراع بين انجلترا وفرنسا على النفوذ السياسى والثقافى بين بريطانيا وفرنسا ، سببا فى حماية مدرسة الحقوق ، من أن تسقط تحت مطارق مستر « دانلوب » الذى أخذ على عاتقه أن يهبط بالتعليم فى مدارس مصر العليا وفى الدرجات الاخرى من التعليم . فقلل مواد التعليم ، وضيق من نطاق المجانية ، وهبط بمستوى الاساتذة وحارب التعليم باللغة الفرنسية .

وبقيت بريطانيا تتربص بكلية الحقوق المصرية الدوائر حتى استطاعت فى سنة ١٩٠٧ أن تقيل العالم القانونى الفرنسى الكبير (ادوار دى لامبير) وأن تعين مكانه انجليزيا لم يحصل على اجازة القانون من

بلاده الا فى السنة السابقة على تعيينه مباشرة .

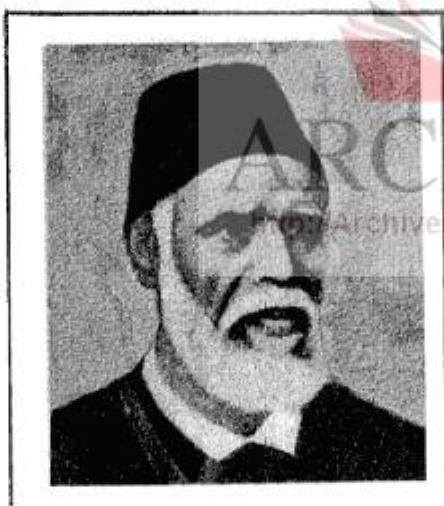
فقبل ان يقال الاستاذ (دى لامبير) كان طلبة مدرسة الحقوق قد ضاقوا ذرعا بالقيود التي فرضها عليهم وعلى مدرستهم المستر « دانلوب » الحاكم بامره في الوزارة ، على جهله وعدم خبرته التربوية وغلظته وسوء خلقه . فاضربوا في فبراير سنة ١٩٠٦ اضرابا شاملا لم يخرج عليه احد ، وكان ذلك اول اضراب يقع في مدرسة عالية بعد الاحتلال البريطاني، فكان للاضراب دوى في مصر من اقصاها الى اقصاها أحرج الانجليز واخافهم ، باعتباره نذيرا بحركة تمرد على الاحتلال البريطاني الذى خضعما ساد مصر عقب حصوله من خمول وخمود ، دام عقدين متتالين من الزمن ،واستمر الاضراب حتى ٣ من مارس سنة ١٩١٦ بوعد من الحكومة بانها ستعيد النظر في قراراتها التى اثارت الطلبة .

وقد كان لهذا الاضراب فى الخارج صدى بعيد، زاد حينما استقال المسيو « دى لامبير » ثم كتب مقالا « مدويا » في جريدة « الطان » ذات النفوذ العظيم فاصبح لهذا المعهد المصرى ، مكانة عالمية جعلت اسمه على السنة الساسة في الدوائر الدولية الكبرى .

ومؤدى هذا كله ان حياة مدرسة الحقوق اختلطت تماما بحياة الحقوق ذاتها :

حقوق الشعب المصرى فى ان يعيش حرا ، وفى ان تكون له حكومة نظيفة ، قوية تحترمه وتؤدى له واجباتها ، وأخيرا حقوقه فى ان تكون له ثقافته الخاصة به الممثلة لخصائصه ولصفاته، والتى تاتى كصدى أمين لتاريخه القديم والحديث ، ومعتقداته ، وتقاليده .

ولقد ثبت هذا الاختلاط بين المعهد والوطن ، فقد تخرج فى هذا المعهد جميع الزعماء الذين قادوا الحياة السياسية فى مختلف دروبها واتجاهاتها فى القديم والحديث ، فكما كان مصطفى كامل ممن طلبوا العلم فى مدرسة الحقوق ، فان زعماء حزب الامة الذين ورثهم حزب الاحرار الدستوريين كانوا من تلاميذ مدرسة الحقوق وزميلتها التى مهدت لها : مدرسة الادارة ، فكان احمد لطفى السيد وصنوه عبدالعزيز فهمى من تلاميذها ، ثم جاء فى الجيل التالى محمد حسين هيكل وحسن باشا عبد الرازق من تلاميذها كذلك ،وفى الناحية الاخرى ، كان زعيم حزب الوفد ، بعد سعد زغلول المحامى والقاضى ،من تلاميذ مدرسة الحقوق ، بعد أن استقر لها هذا الاسم ، ومعه الجيل التالى الذين تزعموا هذا الحزب ذاته، ثم انفصلوا ليكون لهم حزب قائم بذاته هو الحزب الذى حمل اسم سعد : فقد كان احمد ماهر ، وحامد جودة وابراهيم عبد الهادى من خريجى هذه المدرسة العتيدة ، وسبقهم الى



على باشا مبارك



احمد لطفى السيد



د . محمد حسين هيكل

الانتساب اليها ، والتدريس فيها خطيب خطباء الوفد ، وصاحب الكلمة النافذة مكـــرم عبيد ، كما كان احمـد نجيب الهلالى طالبا بالمدرسة واستاذا نابها بها قبل ان يكون زعيما من زعماء الوفد . وزميلا فى هذا لمحمد صـبرى ابو علم ويوسف احمد الجندى .

حتى احزاب الاقلية كحزب الاتحاد ، وحزب الشعب كانت مدينة بما حصله زعماؤها من معرفة بالقانون وشـــئون الدولة بمدرسة الحقوق فقدكان يحيى ابراهيم باشا ، قاضيا ، قبل ان يختار رئيسا للوزراء فى سنة ١٩٢٣ ، وتلميذا بهذه المدرسة ، ثم عينه الملك رئيســا لحـزب الاتحـاد المنتمى الى الملك فقط والسائر فى ركابه كذلك كان وكيل هذا الحزب على باشا ماهر ثم محمد حلمى عيسى باشا من اساتذة المدرسة بل كان اولهما ناظرها قبل أن يقع عليه الاختيار ليكون وكيلا لوزارة المعارف ثم وزيرا لها .

وقد كان زعماء الحزب الوطنى ، من تلاميذ هذه المدرسة فبعد مصطفى كامل ومحمد فريد ، جاء حافظ رمضــــان الرئيس الثالث للحزب ، ونقيب المحامين كما جاء احمد لطفى وكيل الحزب ونقيب اخر للمحـامين ، وعمـر لطفى ، رائد التعـــاون فى مصر ، والـداعى الأول لتأسيس بنك مصر مع محمد طلعت حرب، ومؤسس أول مؤسسة مصرفية مصرية،

لا تزال تعيش تحت اسم جمعية التضامن المالى .

ولو تركت السياسة لرأيت لمدرســة الحقوق يدا فى عنق كل نشـاط ثقافى فى بلادنـا . فـأول من كتب مسرحية مثلت على مسرح اوبرا وشهدها الخديو واشاد بها محمد فريد فى مذكراته كان المحامى اسماعيل عاصم .

تاريخ يتضوع بالآثار الخالدة

وكانت جريدة اللواء ، التى صدرت فى الثالث من يناير سنة ١٩٠٠ ، لتكون علما للوطنيين ومدرسة للمجاهـدين ، تحرر باقلام تلاميذ مدرسة الحقوق ، يتقدمهم مصطفى كامل ثم محمد فريد ثم احمد وجدى ، ومحمد توفيق العطار واحمد وفيق ، وكل اولئك قانونيون .

وكانت (الجريدة) ، لســان حال حزب الامة تحرر باقلام نخبة اخرى من تلاميذ المدرسة والذين تخرجوا فيها ، واشاعوا الحياة فى الفــكر المصرى والعربى ، امثال محمد حسين هيكـل وحسن صبرى الذى اختير رئيسـا للوزراء اثناء الحرب العالمية الثانية ، ومحمود عزمى . ولما اختفت الجريدة وحلت محلها جريدة «السياسة» رأس تحريرها هيكل ، وزامله فيهـا بعض خريجى مدرسة الحقوق منهم محمـد عبد الله عنان المحامى .

وفى الصحافة الوفدية كان عبـد القادر حمزة رئيس تحـرير البـلاغ وصاحبه محاميا وقانونيـا وكان عمله

الصحفي رصينا وباهرا .

وفي مجال الثقافة والفكر منحت مدرسة الحقوق ، بعد شوقي شاعرا مجيدا ، هو اسماعيل صبرى باشا الذى كان يسمى في اخريات أيامه شيخ الشعراء ، وجاء بعده شعراء لم تكتب لهم نباهة الذكر مثله كعبد الحميد السنوسي المحامي الكبير في الاسكندرية وله أكثر من ديوان وحسين عفيف ، صاحب الشعر المنثور .

وكان لعبد الرحمن الرافعي المحامي ونقيب المحامين ركن قائم بذاته بموسوعة تاريخ مصر القومي ، وكان لشقيقه امين الرافعي صاحب جريدة الاخبار مكانة بارزة لا في دنيا الصحافة وحدها بل وفي دنيا التاليف والتفكير السياسي .

وكان هناك جماعة اشتغلت بالمحاماة ، وبالكتابة الصحفية ، وبالتاليف ، ممهدة للنهضة الفكرية وداعية لها امثال محمد لطفي جمعة الذى ترجم فيما ترجم كتاب الامير ، وعرف الناس بأساليب العصر الحديث .

وفي دنيا المسرح وضع محمد التابعي تلميذ مدرسة الحقوق اسس النقد المسرحي ، ولفت الانظار باسلوبه الفذ الى هذا النشاط الجديد بكل عناية ، وجاء في أعقابه محمود كامل المحامي ، واخرج مجلة الجامعة والقصة والف للمسرح ونقد الاعمال المسرحية .

هل هذا هو كل سجل مدرسة الحقوق في الحياة العامة وهل يمكن ان ينتهي الحديث قبل ان نذكر اسماء في عالم المحاماة ، طرقت كل السبل ، لتنهض بمصر ، امثال محمد علي علوبة باشا ، الذى انقطع لجهاد مصر من أجل فلسطين والف لها كتابا من أجود ما كتب عن فلسطين ، وهل ننسى محمد زكي علي الذي كان رائد العمل الاقتصادي في مجال التعاون والبترول . وهل ننسى سليمان حافظ الذي قدم رقبته للمشنقة في الفترة الأولى من الجهاد السرى في أعقاب



مكرم عبيد

ثورة سنة ١٩١٩ .

فاذا ذكر العمل السرى ، فاى منا يمكن ان يختم كلامه دون ان يقف لحظة حاسر الرأس مطرقا لذكرى الدكتور شفيق منصور المحامي وعضو مجلس النواب الذي بدا حياته سنة ١٩١٠ وهو بعد شاب يكاد يكون صبيا يافعا ، فقد ضاقت به السلطة العسكرية وبنشاطه فنفته الى مالطة خمس سنوات طوالا . فلما عاد الى مصر استأنف نشاطه ، ولم يهدأ حتى صعد الى المشنقة ، وذهب الى ربه شهيدا نستمطر على روحه الرحمة . ونذكر معه تلميذه عبد الفتاح عنايت المحامي الذى حصل على اجازة الحقوق وهو في ليمان طرة .

هذا هو بعض تاريخ كلية الحقوق ، استمر مئة سنة ، مليئا بالمواقف العظيمة يتضوع بالآثار الخالدة ، من أجل الحق والحرية ، والقانون والعدالة ، ثم من أجل الثقافة والعلم وتاسيس الدولة .

لقد تلقى تلاميذ مدرسة الحقوق الدولة المصرية الحديثة وهي هيكل لم يتم له بناء ، ولم يكمل له شكل فصلوها حجرا حجرا اذ بعد أن استقر



يحيى حقى



د . عبد الرزاق السنهورى

العمل بالقوانين الحديثة كان يجب ان تشرح هذه القوانين فانبرى لهذه المهمة الشاقة كوكبة من اكبر فقهائنا علما بالقانون المصرى والفرنسى ، وتملكا لناصية البيان المشرق ، فوضعوا فى التفسير والفقه ماسيبقى على الدهر آيات على الذكاء المصرى والكفاءة المصرية . شرح احمد أمين قانون العقوبات العام والخاص وشرح عبد الحميد أبو هيف قانون المرافعات ، وشرح على الزينى القانون التجارى والدولى الخاص وشرح كامل مرسى القانون المدنى

وكان الدكتور وايت ابراهيم يفسر القانون الدستورى ، وحده حينا ، ومع زميله الدكتور عبد السلام ذهنى حينا آخر . .وللاخير موقف مشهور، حينما كتب وهو قاض بالمحاكم المختلطة ، حكما باللغة العربية فى وقت كانت فيه اللغة العربية طريدة هذه المحاكم ، وان كانت محاكم مصرية تقوم على أرض مصر وتصدر أحكامها باسم ملكها ..

ثم جاء عبد الرزاق السنهورى ليكون مدرسة قائمة بذاتها شرحت القانون المدنى فى موسوعة لا يناظرها عمل قانونى آخر . وان كان لا يمنع اجلالها من ذكر كتب كانت آية من آيات البيان القانونى ككتاب المرحوم الدكتور محمد حلمى بهجت فى تأصيل « الالتزامات » .

وقد لا يعرف الكثيرون أن الدكتور حلمى بهجت بدوى هو صديق حميم لوكيل النيابة السابق توفيق الحكيم صاحب « يوميات نائب فى الأرياف » الذائعة الصيت ..

وان لهما صديقا ثالثا هو استاذ القانون الجنائى بالجامعة الدكتور محمد مصطفى القللى ، وكان شعر الدكتور القللى يبشر بمولد شاعر له شأنه ، ولكنه أخفى شعره حتى لا يفصل من وظيفته القضائية ..

أما يحيى حقى أمير المقالة القصصية، فانه لم يكن حظه مثل زميله فى الدراسة توفيق الحكيم اذ شغل وظيفة قضائية ، فاشتغل بالمحاماة ، ثم معاون ادارة ، ثم فى السلك السياسى ..

وفى الاقتصاد بدا الدكتور عبد الحكيم الرفاعى والدكتور زكى عبد المتعال صفا طويلا من الاقتصاديين المصريين .

لقد جاء حين من الدهر كانت الوزارة كلها من خريجى مدرسة الحقوق وفى مقدمتهم رئيس الوزراء ، وكان الى جانب الوزراء الوكلاء والمديرون والسفراء فى الخارج ورؤساء المصارف ورؤساء مجالس النواب والشيوخ.

وقد سلم هؤلاء بناء الدولة المصرية كاملا ، وبقى على الاجيال القادمة ان تكمل البناء وتحسنه ، وتزيده جمالا ، وتنفى عنه العيب والنقص .

ملامح مصر على شعر شعراء نشأوا فيها أو وفدوا إليها

● محمد عبد الغنى حسن ●

كنت اقرأ – قراءة مزيدة جديدة – « ديوان الكاظمى شاعر العرب » ... ولقد عرفت الكاظمى منذ ان كنا نقرأ له بمصر فى العقد الثانى من هـذا القرن ، وكنا ونحن فى ظل الشباب النضير ، نتلقف صحيفة « البلاغ » – رحم الله زمانها – أو أية صحيفة او مجلة مصرية تنشر شعر الشيخ عبد المحسن ، لانه اشتهر فى زماننا بالبداهة والارتجال ، كما اشتهر بالنفس الطويل الذى لا يكاد ينقطع ، والذى يذكرنا بانفاس الكبار المقدمين من شعرائنا المتقدمين .

ولقد كتبت عن ديوان الكاظمى يوم أن القته المقادير الى ، واعجبت بشعره العربى المشرق الديباجة ، وببداهته وارتجاله وطول نفسه ، كما اعجبت بالمقدمة الكريمة التى كتبها صديقه المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وبالمقدمة الطيبة التى كتبها العقاد رحمه الله ، وهما فى صدر الجزء الأول من الديوان .

وزادتنى القراءة الجديدة لديوان الكاظمى أشياء لم أكن تنبهت اليها ولا تنبه اليها غيرى من دارسيه من قبل ... واستوقفنى فى شعره العربى المرسل على السجية ، الجامع بين الجزالة والسهولة ، المصبوب على قوالب عربية أصيلة – أن على شعر الرجل لمحات وبصمات من روح مصر ، وظلالها ، وخفة روحها .

والشيخ عبد المحسن الكاظمى عراقى بغدادى ، نشأ بالكاظمية فنسب اليها ، وساح فى بلاد الله ما بين عشائر العراق ، وامارات الخليج الفارسى – أو العربى – والهند ، الى أن ساقته الأقدار الى مصر سنة ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨ م لتكون مجازه الى بلد أوروبى .. ولكن فراغ يده من المال المدخر ، وبر الشيخ

سقى الله أرضًا لست أنسى عهودها
وياطول شوقى نحوها وحنينى
منازل كانت لى بهن منازل
وكان الصبا إلفى بها وقرينى

محمد عبده به ، وحب المصريين له ولشعره ـ اضطره الى الاقامة فى مصر الى أن لقى ربه بمصر الجديدة سنة ١٩٣٥ م ·

والحق أن البضعة والثلاثين عاما التى أقامها الكاظمى بمصر قد لونت شعره، وصبغته بصبغ مصرى واضح الملامح ··· فاذا قرأته لم تشك فى أن هذا الشاعر يحمل روحا مصرية بدت على ماء شعره ·

وللروح المصرية فى الشعر خاصة مذاق لا يعرفه الا العالمون بأدق الأذواق · فليس فيه غلظة ولا جفاف ولا جفاء ·· وقد بدت هذه الخفة فى شعر أستاذنا الشاعر المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب ـ الذى كان شيخا لنا فى دار العلوم، وكان يلقب بالشاعر البدوى · فقد كانت بداوته نوعا من الرقة التى اتسم بها ذلك الشيخ الرقيق ·

وما الطف الكاظمى وهو يقول فى روح مصرية منددا بكثرة الأحزاب فى مصر وقتذاك :

لا تطلبن علالتى ابدا — ان النوائب احرجت صدرى
وطوارق الاسقام ما برحت — تنتاب كالأحزاب فى مصر!

وفى تعبيرات الكاظمى الشعرية ترى تسلل التعبير المصرى العامى كقوله فى مطولته التى بعث بها الى الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » :

ان المؤيد ـ والقلوب تحوطه — رغم الحسود ـ مؤيد منصور

وفى مرثيته للشيخ على يوسف التى مطلعها :

دار الأحبة : خبرينا — عن اهلك الخبر اليقينا

يقول مستعملا مضارع الفعل « جاء » استعمالا عاميا مصريا :

ابت الحوادث ان تجينا — الا بنعى الأفضلينا

وفى احدى قصائده للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، يقول :

قامت تمنينى الهوى ، فزجرتها — ودنت تعنفنى ، فقلت لها ابعدى !

وفى احدى اخوانياته الرقيقة يقول :

لله من دنيا تعا — دى الحر من غير سبب !

ومن الطف تعبيراته المصرية الرقيقة ما جاء فى مرثيته الرصينة الفحلة لفقيد السيف والقلم المرحوم : « فؤاد بك سليم » ، مخاطبا المستعمرين الفرنسيين :

لا تلزمونا بكم فلسنا — نرى لكم بيننا لزوما

وفى مرثيته الدالية البليغة للمرحوم « محمد بك أبى شادى » يقول عنه :

ولم يكن عنده فى الحق تسأله — من فارق بين افراد وافراد

وفى قصيدته التى نظمها بمناسبة عودة سعد زغلول من المستشفى الى بيت الامة بعد وقوع الاعتداء المشهور عليه سنة ١٩٢٤ ، يقول عن الشعب والزعيم :

قد تركوا الراحة من اجله — واجهدوا الأنفس اجهادا

وفى تهنئته المرتجلة بابلال سعد زغلول من علته يقول :

والجراز الطرير يزداد حسناً — في جسام الأمور باستعماله

ويقول في ختامها :

ايها الشعب : مثل سعد قليل — اكثر الله فيك من امثاله !

وفي مطولته التي نظمها حين تولى سعد زغلول رياسة الوزارة سنة ١٩٢٤ يشير الى يوم تعيينه بقوله :

ولعلــه يـــوم المنى — ولعل تصــدقنا لعل

وفي قصيدته التي يعرب فيها عن تفاؤله بتاليف مجلسي الشيوخ والنواب سنة ١٩٢٤ يقول :

سنرى المنى ، ونرى الهنا — ان كان في الحبل امتداد

وفي قصيدته التي يعرض فيها بالسياسي البريطاني « بارمور » يقول عن الانجليز :

أخـذوا نيلها ، واعطـوا سرابا — لا غليــلا يطفي ، ولا حـرقانا

ويقول في أخريات أبياتها :

ســيظل الكفاح منها سجالا — او يطاطـون دونهـا اذعانـا

ويقول من قصيدة في أحد الاحتفالات بعيد الجهاد متحدثا عن الخارجين على ارادة الشعب :

همو هم الأصـفار مهما حاولوا — ان تجعلوا اصـفارهم ارقاما

ويقول في أبيات ارتجلها لتكتب في صدر رسالة الى الشيخ محمد عبده :

كل وقت يمـر فهو على النـا — س بذكـراك أبـرك الأوقات !

وهكذا يمتلىء ديوان الكاظمي بجزءيه الكبيرين بعشرات وعشرات من أمثال هذه الملامح المصرية التعبيرية التي لا نجدها عند أضرابه وزملائه ومعاصريه من شعراء لم تحتضنهم مصر ولم تلون أساليب شعرهم بلونها المميز .

ولو انك عرضت شعر الكاظمي على قارىء لا يعرف ظروف مولده ونشأته بالعراق ، ورحلته الى مصر ليقضي فيها بقية عمره ، لجزم بمصريته التي تبدو على قسمات شعره ..

ولقد ذكرني الكاظمي في الملامح المصرية لشعره بشعراء آخرين نشأوا بمصر او وفدوا اليها فاقاموا بها زمنا من حياتهم ، او الى نهاية عمرهم ، وخاتمة مطافهم فلونت مصر شعرهم بذلك اللون المصري المميز الملامح ، سـواء كان ذلك اللون أثرا من آثار البيئة المصرية والطبيعة المصرية ، أو مظهرا من مظاهر الأحداث الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية ، أو لونا من ألوان المطاعم والمشارب والكسى ، أو صورة من صور الفكاهة والنكتة المتميزة الحاضرة التي لا تخطىء موضعها ، ولا تضل قصدها ، أو مبدى من مبادى العبارة الدالة المطابقة التي لا يسد غيرها من العبارات الاخرى مسدها ، ولا يغني غناءها ..

وأول من خطر على البال من هؤلاء الشعراء الناشئين والوافدين الشاعر المصري الصعيدي القاهري المكي مولدا ونشأة : البهاء زهير الذي اتصل بخدمة الملك الصالح الأيوبي في القرن السابع الهجري ، فكان من خواص كتابه الى أن مات فلزم شاعرنا داره ، حتى ادركته منيته سنة ٦٥٦ هـ .

فانت تقرأ البهاء زهيرا في ديوان شعره الرقيق المطبوع في مطبعة شرف ، وعبد الرازق ، والميمنية ، والموسوعات ، وبيروت ، فتحس أنك أمام شاعر مصري صميم عريق في مصريته ، لأن روحه في الشعر روح مصرية بحت،ولكنه ـ في الحق ـ شاعر حجازي ، مكي ، ولد بوادي نخلة قرب مكة ، وعاش في الحجاز طفولته ، وصباه ، وشطرا من شبابه ، فهو لم يهاجر مع أسرته الى مصر

طفلا ، ويدل على ذلك قصيدتان له ، يقول في اولاهما :

احن الى عهد المحصب من منى … وعيش به كانت ترف ظلاله
ويا حبذا امواهه ونسيمه … ويا حبذا حصباؤه ورماله
ويا اسفي اذ شط عني مزاره … ويا حزني اذ غاب عني غزاله

ويقول في ثانيتهما :

سقى الله ارضا لست انسى عهودها … ويا طول شوقي نحوها وحنيني
منازل كانت لي بهن منازل … وكان الصبا الفي بها وقريني
تذكرت عهدا بالمحصب من منى … وما دونه من أبطح وحجون
وايامنا بين المقام وزمزم … واخواننا من وافد وقطين

فهذه الذكريات الواعية الشيقة ليست ذكريات طفل صغير ، ولكنها ذكريات شاب فتى .. وقد لونت مصر شاعرنا البهاء زهيرا بكثير من ألوانها .. فهو شاعر خفيف الروح والظل ، الى حد أنه كان يمقت الثقلاء ويفر منهم ، ويخشاهم كأنهم الأجل المتاح :

رب ثقيل لبغض طلعته … اخشاه حتى كأنه اجل !
وكلما قلت : لا اشاهده … القاه حتى كأنه عمل ...

وما عرف عن البهاء زهير الهجاء الا في الثقلاء ، فهو معنى ومعنى بهم ، وما الطفه واخف روحه المصرية حيث يقول :

وثقيل كأنما … ملك الموت قربه
ليس في الناس كلهم … من تراه يحبه .. !
لو ذكرت اسمه على الما … ء لما ساغ شربه !

وهو في هذه الروح الخفيفة يذكرنا باثنين من شعرائنا المصريين : محمد الأسمر ، ومحمود غنيم ، رحمهما الله ، لولا أنهما مصريان أصيلان ، وهو مصري وافد على البلاد .

ويتجلى اعجاب شيخنا المرحوم مصطفى عبد الرازق بالبهاء زهير وروحه المصرية في قوله عنه في بحث له طيب : (والروح المصري يتجلى في هذا الشاعر القوصي الصعيدي باكثر مما يتجلى في أي شاعر مصري في القديم والحديث) ..

ويبدو أن ظاهرة الحلف والقسم باغلظ الأيمان ـ وهي ظاهرة مصرية ملموسة ـ قد أعدت البهاء زهيرا ، وتسللت الى شعره لتكون ملمحا مصريا من ملامحه .

وما أرقه وهو يقول متغزلا :

والله ما فارقتكم من ملالة … والله ما احتاج اني أحلف !

ومن تعبيرات صاحبنا البهاء زهير المصرية قوله :

واحمق قد شقيت به … بلا عقل ولا ادب
فلا ينفك يتبعني … وان امعنت في الهرب
كأني قد قتلت له … قتيلا ، فهو في طلبي !

وقوله في القصيدة نفسها :

رجعنا مثل ما رحنا … ولم نربح سوى التعب !

وقوله في عائد ثقيل :

وليس يخرج حتى … تكاد تخرج روحي !

وقوله :

اتتك وان كانت كثيرا تأخرت … فانك تعفو عن كثير وتصفح

وقوله :

وحقكمو عندي له ألف طالب … وألف « زبون » يشتريه بزائد !

وقوله في العتاب .

وكيف يا معذبي قطعت عني خبرك ؟

الا آخر عشرات وعشرات من هذه الملامح المصرية التي يمتاز بها شعر البهاء زهير .

وقبل عصر البهاء زهير بما يقارب قرنا وربع قرن من الزمان نصادف شاعرا مصريا يمني المولد هو « ظافر الحداد » الاسكندري المنشأ ، القاهري الاقامة ، فنرى أن ملامح مصر تلون أكثر شعره بلونها المحبوب .. فللاسكندرية مدار كثير في شعره ، فهو يحن اليها من القاهرة ، ويحن الى شبابه فيها قائلا :

يا هل الى الاسكندرية أوبة فيسر ـ قبل مماته ـ بأيابه
فيرى مكان شبابه ، ونصابه وحبابه ، وصحابه ، وعبابه

وللفسطاط مدار غير قليل في شعره لانها دار قراره بعد رحيله من الثغر ، ولانه فيها عرف الكبار من الفاطميين والعلماء ، وخاصة الملك الافضل شاهنشاه وهكذا تبدو الطبيعة المصرية والبيئة المصرية في شعر ظافر الحداد جلية مشرقة . ولا تنسى أوصافه للنيل وأسماك النيل ـ وخاصة سمك الراى ـ وأوصافه للمآكل المصرية ، وخاصة « الملوخية » التي وصفها ووصف نباتها الاخضر في أول الموسم كخضر الزغب ، ووصف « تقطيفها » بكفى لبيب ماهر ، ووصف احكامها بفراخ الحمام الصغيرة ، ودهن الدجاج ، وقطع اللحم الصغيرة !

ولم تنس هذه المآكل الشهية شاعرنا « ظافرا » أن يشارك في أفراح العرب والمسلمين بانتصارهم على الفرنجة من ناحية ، وعلى الروم من ناحية أخرى ، كما لم ينس أن يصور أبا الهول والهرمين بمقطوعة يقول في مطلعها :

تأمل هيئة الهرمين ، وانظر وبينهما أبو الهول العجيب

ويأتي قبل ظافر الحداد بقرابة ثمانين عاما شاعر مصرى طالبي من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهو ممن لونتهم مصر بلونها ، وصبغتهم بصبغتها . فتبدو مصر وطبيعة مصر ومعالم مصر ظاهرة مميزة في شعره . وكان يسكن الفسطاط ، وله فيها وفي النيل والمقطم شعر غير قليل . يقول في احدى مقطعاته :

أحن الى الفسطاط شوقا وانني لادعو لها ان لا يحل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لجنانها وفي كل صوب من جوانبها نهر ؟
تبدت عروسا والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وفي أسلوبه ملامح وسمات مصرية واضحة ، ففيه كثير من خفة الروح التي اشتهر بها شعراء مصر ، وفيه ميل الى النكتة المستملحة ، وفيه ـ فوق ذلك ـ ولوع باستعمال الفاظ وتعبيرات مصرية كانت شائعة في عصره ولا يزال بعضها الى اليوم . ومن ذلك قوله في الغزل :

والذي كنت نلته من رضاها صرت عن نيله قصير اليدين !

وقوله في الشكوى من معاكسة الحظوظ :

فصرت ان ذقت طعم شيء وجدته ناقص الحلاوة

وقوله في مدح قوم كرام :

اذا ما جنن الاعدام عيشي وعوذه نوالهمو افاقا !

وقوله في العذال :

فصارت العذال ما بيننا تدخل بالعرض وبالطول

للروح المصرية فى الشعر خاصة مذاق لا يعرفه إلا العالمون بأدق الأذواق.. وقد بدت هذه الصفة فى شعر أستاذنا الشاعر المرحوم "محمد عبد المطلب"!

ذلك الشاعر هو « الشريف العقيل » ـ بفتح العين ، الذى كان لصديقنا المرحوم الدكتور زكى المحاسنى فضل نشره وتحقيقه لاول مرة فى المكتبة العربية .

ونلتقى قبل الشريف العقيل ببضع عشرات من السنين بشاعر يمثل الروح المصرية الخفيفة التى تضحك فى الازمات ، وتبتسم للشدائد ، هو « ابن وكيع التنيسى » الذى أنصفه الدكتور حسين نصار بجمع قدر من شعره مبعثر فى مصادر مختلفة مع دراسة له .

وقد تأثر ابن وكيع بالبيئة المصرية فى ملامحها المعنوية والنفسية ، كما تأثر بها فى نواحى جمالها ، ومجالى حسنها ، ومذاهب عيشها . وله ـ فيما بلغنا من شعره ـ بعض التعبيرات المصرية ، كتعبير « البلح المقمع » و « النخل الطارح » وان كانت هذه العبارات قليلة الورود فى شعره .

ولا يفوتنا أن نرجع الى الوراء قليلا قبل « العقيل » و « ابن وكيع » لنلتقى بشاعر وافد على مصر من المغرب وافريقية مع أبيه المعز لدين الله الفاطمى ، وهو تميم بن المعز ، الذى أصدرت دار الكتب المصرية فى سنة ١٩٥٧ ديوانه الضخم الحافل بتحقيق الاستاذين المرحومين : أحمد يوسف نجاتى ، ومحمد على النجار .

وقد صور هذا الشاعر الوافد المقيم بيئتنا المصرية من نواح كثيرة ، تركت فى شعره ملامح بارزة من مصر الخالدة . فهو لا ينى يصف النيل ، وبركة الحبش وعين شمس ، ودير القصير ، وبلبيس ، كما يصف بعض الاعياد والمواسم المصرية الخاصة ، كليلة غطاس النصارى .

وهكذا نجد فى جمهرة من الشعراء الناشئين بمصر والوافدين عليها ملامح مميزة من شخصية مصر ، منذ الفتح العربى الى عصرنا الحديث .

العمل العربي في البحر جهاد ..

و القرصنة .. عمل غير عربي

• د. عبدالعزيز بنعبد الله •

كانت القرصنة من اعظم النكبات التى منيت بها القرون الوسطى وفترات من العصور الحديثة ، فقد كانت القرصنة حركة رابحة ينجذب لها المغامرون من الشرق والغرب على السواء ... وفى هذه الدراسة الموجزة نحاول تحديد المسئوليات التى يتحملها كل من الطرفين ، لان كثيرا من المؤرخين نزعوا الى القاء التبعة كلها على الملاحة الافريقية الوطنية ...

لقد وصف كثير من المؤرخين البحارة المغاربة بانهم اقبح من خاض لجج البحار من الامم والشعوب ، حتى علق هذا الوهم باذهان الكثير من النـــاس وتبلور فى صورة حقيقة واقعية ، مع ان ذلك يتنافى مع تطور الأحداث قبل وبعد القرن السادس عشر الميــلادى الذى ، يمكن أن يعتبر ، فى نظرنا ، بمثابة حد فاصل فى عصر العلائق الطيبة الوائقة فى افريقيـــا واوروبا ، والعصر الذى غمرته الالة واستغلال الاســـتعمار الناشىء .

وسنرى كيف ان هذه الحقيقـــة تتجلى بوضوح فى تاريخ القرصـــنة بالبحر الابيض المتوسط ، فقد حاول مؤرخان اثنان يجمعان بين النزاهــة والكفاءة رسم لوحة جلية المعالم عــن السمات البارزة التى طبعت نشــاط القراصنة خلال العصور الوسطى وفى غضون فترة غير قصيرة من العصور الحديثة ... وهذان المؤرخان همـــا « سيسموندى » صاحب كتاب تاريخ الجمهوريات الايطالية ، و « لاطرى » فى مصنفه حول صلات المسيحيين بالعرب فى الشمال الافريقى . وقد عمد كلاهما الى دحض الافتراءات المروجة ضـــد العرب فى شان الفظائع المرتكبة باســم القرصنة البحرية ..

فهنالك ظاهرة اولى تدل وحـــدها على ضآلة تاثير القرصـــنة فى العلائق المغربية المســيحية ، وهى ما أكده

المؤرخ « بالدوشي بيركولوص » من ان المغرب كان في حقل التجارة العامة الدولة الثانية في الصفقات المتبادلة في أوروبا والعالم العربي ، فما كانت هذه العلائق لتستقر وتنتظم لولا ضمان حظ ولو قليل من السلامة والطمأنينة ، فاستئناس الأفارقة بالمسيحيين لم ينصرم رغم تهجمات رعايا بعض الدول الحليفة للمغرب كالجنويين الذين وجهوا خطة جزئية ضد طرابلس الغرب التي ظلت منضوية مدة طويلة تحت لواء ملوك مراكش وفاس ، ذلك ان الاميرال الجنوى « فيليب دوريا » الذى هزمه الاركونيون في سردينيا ، عمد الى الانتقام لهزيمته الشنعاء من مدينة مغربية . وقد أكد المؤرخ «ماتيو فيلاني» أنه لم يكن هنالك أي مبرر لنشوب حرب بين الجمهورية الجنوية وطرابلس سوى أن هذه المدينة كانت غنية سهلة الأخذ ، فكان ذلك أبلغ مسوغ لهذا الاعتداء ، ففي بحبوحة الحركة التجارية الكبرى التي كانت تزكي هذا الميناء الافريقي ، تمكنت سبعة قوارب جنوية من الرسو عام ١٣٥٥ بالقرب من المراكب دون اثارة ادنى شبهة ، وفي غياهب الدجى تظاهر الاميرال بالابتعاد عن الشواطىء لكنه ما لبث أن فاجأ المرسى بكرة فاقتحم اسوارها وفتك بالمقاومين من رجالها ، واستولى عنوة على جميع مرافق المدينة ، وابرق الى جمهورية جنوة بانتصاره البارد – واصدر اوامره باكتساح القصور والدور التجارية والمنازل الثرية وابتزاز ما فيها من ثروات .. فارتفعت قيمة اسلابه الى نحو المليونين من الفلورين « عملة كانت تستخدم في ذلك الزمن » علاوة على سبعة آلاف اسير من رجال ونساء واطفال ...

غير ان خوف الجنويين من ثار الاقطار الاسلامية حدا بالجمهورية الى الحكم على الاميرال وجيشه بنوع من الابعاد ، غير انه لم يلبث أن عفى عنه بعد ذلك بثلاث سنوات ، ومع ذلك ظل عدد ضخم من الاسرى الطرابلسيين في



شوارع جنوة ينتظرون الحرية ...

وقد ساق المؤرخ « لاطرى » هذه القصة ، ولاحظ أنه لو اقترف العرب ذلك في بلدة مسيحية لأثار احتجاج مؤرخي الغرب وتنديداتهم بوحشية العرب !

وقد اسفر هذا العدوان الجنوى عن كثير من الحنق ، لان افريقيا

المسلمة التي كانت تربطها معاهدات بالجمهورية الايطالية ، آلمها هذا الجرح الوقح في كرامة رعاياها ، وعمدت الى جمع الاكتتابات لتدفع فدية لتحرير الاسرى ... وقد أسهم السلطان أبو عنان المريني في افتداء طرابلس وتحرير عدد كبير من الافارقة ...

ويجب الاعتراف بان الجنويين لم يكن من عادتهم ارتكاب مثل هذه الفظائع . فرعايا جنوة الذين كانوا يعيشون في سبتة شاركوا في الذود من حوزة هذه المدينة المغربية ضد الصليبيين الذين اغاروا عليها عام ١٢٣٤ ميلادية .

وبالرغم من هذه الاعتداءات النادرة التي اتسمت في الغالب بطابع خاص ، فقد كانت روح المودة الطيبة تذكي العلائق بين الحكومات المسيحية والاسلامية التي حظرت القرصنة على رعاياها ، وسمحت بتعويض الاجانب المتضررين من ذلك ، حيث توجد معاهدتان امضاهما المغرب مع كل من بيزة وجزيرة ميورقة ، بل أن هذه الحكومات كثيرا ما كانت تجند سفنها للاقتصاص المشترك من القراصنة .

وقد نصت معاهدة سيبو في فصلها التاسع عشر على انه اذا ما أرسل الموحدون مراكبهم لمطاردة قراصنة جنويين فان جمهورية جنوة يكون من واجبها تسليح سفن للمشاركة في هذه المطاردة .. ومن أجل الحيلولة دون استفادة القراصنة من أسلابهم حظرت الحكومات المذكورة بصفة قاطعة بيع الغنائم والاسرى ، والتزمت بالمساعدة على تحرير الاسرى عاجلا بل بدون عوض .. على أن هذه الحكومات قررت فيما بينها اعدام الذين يقرصنون من المسيحيين أو المسلمين ، ضد رعايا الدول المتحالفة ، غير أن الاسرى من المسلمين ظلوا موفوري العدد في أوروبا حسب شهادة « لاطري » بل كان المسيحيون الراسفون في الاغلال بافريقيا أكثر منهم عددا يعيشون بالقرب من مواطنيهم الذين يتجرون في أمن وطمأنينة في المدن الاسلامية .

وهؤلاء الاسرى لم يكونوا كلهم ضحايا للقرصنة ، بل كان منهم اسرى حرب ... ويجب أن نميز بين الاحداث الحربية الناشئة بين دول متحاربة ، وأعمال التخريب القرصنية التي تعصف بكل التجار وكل الامصار من أصدقاء وخصوم ومن مواطنين وأجانب . . . وتوجد معاهدة امضيت عام ١٣٢٣ بين اراكون وتونس ، تعتبر القرصنة نفسها كوسيلة حربية عادية مشروعة ، سواء عند المسلمين أم عند المسيحيين ، على أن القانون الدولي لم يتمكن رغم تقدمه من استئصال ما تنطوي عليه المعارك البحرية من مظاهر الوحشية والجور ضد الملكية الخاصة .

وقد تساءل المؤرخ « لاطري » عن مدى التبعة التي يتحملها كل من الجانبين الغرب والشرق في أعمال القرصنة خلال الفترة التي عقبت غزوات العرب والتي يمكن أن توسم بأنها عهد سلام وتجارة آمنة ــ فلاحظ أن احصاء الجرائم التي كان البحر الابيض المتوسط مسرحا لها بين القرنين الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين ، من شأنه ــ لو تم ــ أن يحمل الغرب قسطا كبيرا جدا من مجموع عمليات النهب والتخريب البحرية التي ينسب المؤرخون ويلاتها الى الافارقة ، فاذا بين التاريخ أن المسيحيين كانوا اكثر من غيرهم تضررا من القرصنة الاسلامية ، فما ذلك الا لأن تجارتهم كانت أوسع وشواطئهم أسرع عرضة للاكتساح ، ولأن تاريخهم العام أوضح وأجلى عند مؤرخي الغرب من التاريخ العربي ، فقد شهد المؤرخون

● يجب أن نميز بين الأحداث الحربية الناشئة بين دول متحاربة وأعمال التخريب القرصنية التي تعصف بكل التجار وكل الأوصار من أصدقاء وخصوم ومن مواطنين وأجانب ..!

المسيحيون بالمصائب الكبرى التي ارتكبها قراصنتهم .

وقد أكد «لاطري» من جهة اخرى ان الاعتداءات والفظائع المنسوبة للمسيحيين كانت ابلغ مما اقترفه العرب ، وضرب لذلك امثلة تصور مدى تبعة المسيحيين في قرصنة البحر المتوسط خلال العصور الوسطى ، ذلك ان جزر البحر المتوسط مثل سردينيه وكرسيكا وصقلية والباليار - ماكاد العرب - يزحزحون عنها حتى امست ملجأ لقراصنة اوروبيين لا يقلون خطرا عن قطاع الطرق ... وقد كانت ارباض مدينة كاكلياري « اوكارا للصوص » واضحت مالطة في القرن الثالث عشر الميلادي مركزا لغزوات شنها رجل من جنوة مشهور في تاريخ الملاحة ولم يكن هذا الرجل سوى لص من اللصوص الحقيقيين حسب شهادة عدة مؤرخين ايطاليين ، وقد عاش في نفس العصر احد القراصنة وهو هولك فير واصله من مرسيليه ، والذي الف مع اميرال صقلي شركة اليهة اثرت على حساب تجارة البحر المتوسط بحيث اصبح بيع الرقيق من المسلمين في المدن الاوروبية ظاهرة مالوفة ازدادت استفحالا مع الايام ، ويكفي أن نعيد الى الاذهان قصة آلاف الفلاحين والملاك العرب الذين اختطفوا من قابس عام ١٢٨٤ . وجربة عام ١٣١٠ م وطرابلس الغرب سنة ١٣٥٥ وبيعوا بعد ذلك كالحيوانات في البلاد الاوروبية .

ومعلوم ان الاسطول الموحدي كان يسيطر على البحار لانه كان أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط ، حسب رواية الأستاذ « اندري جوليان »عميد كلية الاداب الاسبق بالرباط ... وقد لاحظ ابن ابي زرع إحداث عبد المؤمن لأسطول عام ٥٥٧ في جميع سواحل المغرب قائما « ٤٠٠ » قطعة منها في حلق المعمورة « المهدية » ومرساها « ١٢٠ » - وفي طنجة وسبتة وباديس ومراسي الريف « ١٠٠ » قطعة، ومنها في بلاد افريقية ووهران ومرسى هنين « ١٠٠ » قطعة ، ومنها ببلاد الاندلس ٨٠ قطعة ، وبلغ الجيش الموحدي اذ ذاك ازيد من ٣٨٠٠٠ ، فارس و ١٠٠٠٠ راجل ، وفي هذا

العصر كان خطر القراصنة الاوروبيين ضعيفا نسبيا ، حيث كانت للملوك الموحدين «مليشية» مختصة فى قمع قرصنة المسيحيين والعرب على السواء ، ولكن الملاحة الغربية مالبثت ان تفوقت ، فكان لذلك اثره السيء على التجارة البحرية . حيث لاحظ « لاطرى » نفسه ان كثيرا من رجال الملاحة الاسبان والايطاليين لم يتورعوا عن ادراج النهب الفرضى فى صفقاتهم التجارية ، ففي عام ١٢٠٠ ميلادية ، هاجمت سفينتان من سفن « بيزا » فى تونس ثلاثة مراكب اسلامية فى بحبوبة عهد السلام ، واغتنمتا فرصة المفاجأة فاحاطتا بالربابنة واعتدوا ونهبوا ما وقع فى أيديهم من متاع ..

وفى نفس العهد كان القراصنة الجنويون يسعون فسادا فى جزر امبراطورية الاستانة وسواحلها ، وكانت الغارات تترى خاصة على الاراضى والمراكب الاسلامية ، غير ان البحارة المسيحيين كانوا يجرفون كل ما يعترض طريقهم دون تقية ولا تحرج ، سواء كان مسيحيا او مسلما ، وقد اكد « لاطرى » ان هذه الفظائع لم يكن لها اى مبرر وطنى او حربى ، كما ان البحارين البندقيين الذين كانوا مشهورين باستقامتهم بين ملاحي اوروبا لم يحترموا دائما التجار الاجانب ، وكان السلاطين الاتراك يتذمرون غالبا من هؤلاء المعتدين الذين كانوا يلقون جزاءهم على يد البحارين اليونانيين ... واحيانا كان الملاحون السكاندنافيون يطوفون بالسواحل الاسلامية كالتجار وفى الغالب كاعداء وقراصنة ..

وفى عام ١٠٥٢ ميلادية اكتسحت قطعة اسكندنافية المدن الاندلسية ، واستولت فى مياه سردينية على مركب عربى ضخم عمدت الى بيع اسلابه فى مهدية وطرابلس اللتين كانتا اذ ذاك تحت حكم النورمانديين . وقد تحدث عن ذلك باسهاب المؤرخ « ريانت » فى كتابه حول غزوات السكندنافيين فى الاراضى المقدسة ولكن هذا لم يمنع بحارى الشمال — ومنهم السويديون خاصة — من التجارة المباشرة مع المسلمين الافارقة ، فكانت العلائق التجارية بين اوروبا والمغرب وادعة احيانا . مما دعا المؤرخ « لاطرى » الى التاكيد بان التجار البندقيين الذين كانوا انزه من غيرهم ظلوا يجولون الى القرن السادس عشر الميلادى فى شواطىء افريقيا فى بحبوحة الانتظام والأمن ، وكان لمعظم الدور التجارية مراكز وعملاء على هاته الضفاف وخاصة فى طنجة ، وكيف لا وقد نصت المعاهدة المشار اليها والمؤرخة ب ١٣٢١ ميلادية على ان الفظائع المتبادلة بين القراصنة المسيحيين والمسلمين لايمكن ان يتحمل تبعاتها البتة رجال التجارة الذين كان يتاح لهم الانتقال من بلد الى بلد فى طمانينة وسلام تحت الرعاية الملكية دون أن يزروا وزر الآخرين .

والآن ، نحاول أن نرسم صورة أخرى من تطور القرصنة الموسومة بالمغربية أو الاسلامية والتى انقلبت من صفقة هدفها الربح الى عملية أصبحت مظهرا لرد فعل وطنى أى سياسى ضد غزوات الاسبان والبرتغاليين للاراضى الافريقية وعمليات التعذيب والتحقيق التى ذهب ضحيتها مئات الآلاف فى الأندلس من المسلمين واليهود .

نعم ، ان القرصنة فى المياه المغربية لم تصدر دائما عن ملاحين من الاهالى بل كانت فى الغالب من فعل اخلاط المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام او الاندلسيين الموتورين الذين طردهم الاسبان من الفردوس المفقود فالتجأوا الى السواحل المغربية متحفزين للوثوب على العداة .. وقد وجد هؤلاء الطرداء

الاندلسيون من مسلمين ويهود الاقبال الرحب من طرف ملوك المغرب الذين اذكتهم عاطفة مزدوجة من السماحة والاريحية .

وقد راينا موقف سلاطين المغرب في المراحل الاولى للعصور الوسطى، وشنهم الحرب شعواء ضد القراصنة مهما كانت جنسيتهم وملتهم ولم يكونوا يكتفون بالقمع بل كانوا يمنحون التعويضات عن الخسارة التى عجزوا عن تلافيها كما شهد بذلك «الاطرى».
وكان اساس سياسة عبد المؤمن الخارجية معاقبة كل من تجرا على الملاحة المسيحية من المسلمين ، وحتى فى ابان الحرب كان للملاحة الوطنية وحدها الحق فى مطاردة اساطيل العدو ، وذلك ان الموحدين الذين كانوا يستجيبون لمقتضيات التجارة الدولية ونواميسها والذين لقنوا أوروبا بعض مبادئها حسب شهادة اندرى جوليان، الزموا انفسهم اذ ذاك حماية الحرية وضمان الطمانينة والسلام فى البحار مراعاة لمصالح تجارتهم الخارجية .
غير ان تفكك اوصال الامبراطورية الموحدية التى امتدت الى طرابلس والاندلس ، وانقسامها بين امراء مستقلين ، جعلت هؤلاء عاجزين عن تعقب القراصنة الذين تطاولوا فى البحار .

وقد كتب «الاطرى» يقول : « فى نفس الوقت الذى كان التجار المسيحيون محفوفين بالرعاية والعناية، يعاملهم سلطان المغرب وسلطانه بحسن نية ، استدام نهب القراصنة المسلمين فى البحار بالرغم من المعاهدات والجهود التى مالتىء الامراء المسلمون يبذلونها» وقد لوحظ ذلك خاصة فى القرن الرابع عشر الميلادى .
غير ان هذه العصابة الافريقية من القراصنة لم تكن كلها اسلامية الملة ، بل كان منها خوارج ومتشيعون لا يتورعون من بيع المسلمين الى النصارى ، وقد أكد المؤرخ التجانى ذلك فى رحلته الى تونس عام ١٣٠٨م وذكر صاحب « كتاب معاهدات السلام والتجارة » نقلا عن التجانى ان هذه الفرقة من الخوارج كانت تقطن جانبا من الساحل التونسى ، فقد تالفت فى ميناء بجاية فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى عصابة من الخالفين فى لجج البحار المنحدرين من الجبال المجاورة لبجاية وعنابة والمتمذهبين على غرار اهل جربة .

وبصدد مسئولية الاندلسيين فى القطائع البحرية لاحظ «الاطرى » أن استفحال القرصنة راجع لانتصار الاسبان الذين قذفوا الى شواطىء المغرب باهالى الاندلس الموتورين الذين لم ير المغرب مندوحة من ايوائهم .

نعم ، لقد اوى سكان السواحل المغربية القراصنة الاندلسيين البؤساء، وزاد ذلك استفحال غارات الاسبان على المغرب ، والحصار الشديد الذى اذكى العسكر المسمى المضاد للمسلمين مما حدا الاب « دان » الى القول بانه لا ينبغى أن نستنكر ما يقوم به القراصنة المسيحيون ضد خصومهم وبذلك يتاكد لنا ان القرصنة المسيحية اتخذت احيانا مظهر حملة صليبية ضد الاسلام ، على ان المغاربة لم يتات لهم الاسهام عمليا فى هذا العراك التاديبى لانشغالهم فى الذود عن حوزة المراكز التى اقتطعها الاسبان والبرتغاليون من التراب المغربى .

● للموضوع بقية ●

أسرار كوكب زحل

● المهندس : سعد شعبان ●

«عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس
ورئيس لجنة الفضاء بنادى الطيران المصرى»

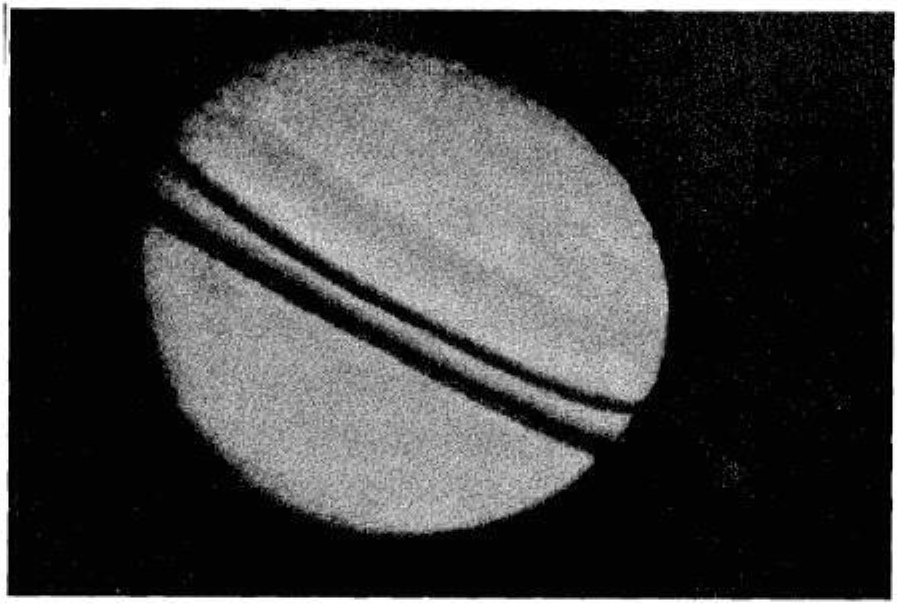
الشمس لها أسرة

تجذب الشمس اليها تسعة كواكب تدين لها بولاء الجاذبية ، فتجعلها تدور حولها فى مدارات بيضاوية • وهى بمثابة الام الرءوم تضم اليها ابناءها ، وتمدها بالنور والحرارة ، فتستمد منها اهم عناصر الوجود • وشأن كل الاسر فان أسرة الشمس أو « المجموعة الشمسية » تختلف احجامها واشكالها ، فمنها الكبير الحجم ، ومنها الصغير ، ومنها القريب من امه الشمس ولذلك يتقد سطحه بالحرارة ، ومنها البعيد الذى يبرد سطحه ويغوص فى اعماق الفضاء ملايين الكيلومترات •• ويتخذ كل كوكب لنفسه مدارا أو فلكا يدور عليه حول الشمس ، وكلها مدارات بيضاوية الشكل تقع الشمس فى احدى بؤرتيها ، وكذلك تتفاوت سرعات دوران هذه الكواكب حول الشمس •

وترتيب كوكبنا «الارض» فى تسلسل الابعاد عن الشمس ، هو الثالث اذ أن تسلسل هذه الاسر من حيث بعدها عن الام هو عطارد ـ الزهرة ـ الارض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ وبلوتو •

وتقاس هذه الابعاد بملايين الكيلومترات ومتوسط بعد كوكب الارض عن الشمس ١٤٩ر٥٠٠ مليون كيلو متر ، بينما متوسط بعد كوكب المريخ عن الشمس ٢٢٧ر٨ مليون كيلو متر ، ومتوسط بعد كوكب زحل ١٤٢٦ مليون كيلو متر •

ولو اتخذنا متوسط بعد الارض عن الشمس كوحدة للقياس ، نجد أن بعد



كوكب زحل عن الشمس يماثل بعد الارض عنها (٩ر٥٤) مرة تقريبا ، وهو كوكب ضخم يعادل في حجمه حجم الارض ٧٤٥ مرة .

زحل له شكل مميز

زحل أحد الكواكب الخمسة القريبة من الارض والتي يمكن رؤيتها بالعين المجردة في بعض الاحيان . ولقد ولع القدماء فـي حضـــارات الرومان والكلدانيين والعرب بمشاهدة الكواكب ورصدها على مختلف فصول السنة .

ولكن المناظير الفلكية التي عرفت منـذ عهد جاليليو عام ١٦١٠ صورت شـكلا فريدا لكوكب زحل دون سـائر الكواكب الاخرى اذ تحيط بجسمه الكروى حلقات دائرية لامعة ، ولذلك سموه الكوكب الباهي الشكل .

واوضح تفاصيل هذه الصورة العـالم البريطاني « مكسويل » عام ١٨٥٩ واعطى ابعادا لهذه الاحزمة التي يتمنطق بها الجزء الاوسط من الكوكب . ويبـــلغ القطر الخارجي لابعاد الحلقات ١٧١٫٠٠٠ ميل اي ٢ر٣ مرة قدر قطر الكوكب نفسه بينما يفصل كل حلقة عن الاخرى فاصل خال .

ومما يلفت النظر ان حلقات زحل الثلاث ذات سمك صغير لا يزيد على عشرة اميال . ويميل مستوى هذه الحلقات عن مدار زحل بمقدار ٢٧ درجة ، ولا يتغير هذا الميل .

ولقد ظل الغمـــوض يحيط بالكوكب طوال ثلاثة قرون لان التصوير يتم بواسطة المراصد الفلكية الثابتة على الارض . وحار العلماء في تفسير مادة هذه الاحزمة التي لا يتغير مســتواها اثناء دوران الكوكب حول الشمس ، ورجـح البعض ان تكون مادتها من الاحجار الصغيرة التي تجمعت على شكل حزام يحيط بالكوكب ، ورجح البعض الاخر ان تكون مادتها من بللورات الثلج .

غير ان لزحل ايضا منظرا فريدا بين الكواكب تعارف الفلكيون منذ القدم عـلى

انه يجذب اليه تسعة أقمار تدور حوله في مدارات مختلفة • وتدور ثمانية من اقمار زحل حوله في نفس اتجاه دوران الكوكب، بينما يدور القمر التاسع في اتجاه معاكس •• وتتفاوت هذه الاقمار في احجامها لكن اكبرها وهو القمر « تيتان » يزيد حجمه قليلا على حجم قمر الارض • وقد توالى الكشف عن أقمار زحل منذ عام ١٦٥٥ واكتشف آخرها عام ١٨٩٨ •

« بايونير » تهتك اسرار الكواكب

في سبتمبر ١٩٧٩ تحقق لعلماء الفضاء نصر جديد ، عندما اقتربت سفينة الفضاء الامريكيه « بايونير — ١١ » من كوكب زحل واصبحت على بعد ٢١٤٠٠ كيلومتر من سطحه ، واخترق مدارها حلقات زحل عن قرب ، واخذت آلاف الصور تتوالى الى محطات المتابعة الارضية تحمل تفاصيل سطح هذا الكوكب الضخم • وكانت سفينة الفضاء قد قطعت رحلة طولها ٢ بليون كيلو متر خلال خمس سنوات ونصف • اذ اطلقت في شهر ابريل عام ١٩٧٣ ومرت بكوكب المشترى بعد ٢٠ شهرا وارسلت للارض عديدا من الصور عن سطحه ، ثم مضت لتكمل الرحلة الى كوكب زحل ، لكي تقوم باجراء القياسات العلمية بواسطة احد عشر جهازا علميا فوق سطحها •

والسفينة « بايونير — ١١ » على شكل طبق كبير يبلغ وزنه ٢٦٠ كيلو جراما ، ولها محركات تعمل بالطاقة النووية لتوليد طاقة تكفي لتشغيل الاجهزة العلمية التي على متنها •

واهم هذه الاجهزة العلمية المتنوعة الاغراض ، اجهزة لقياس شدة الاشعة تحت الحمراء ، بقياس شدة الحرارة الصادرة من الكوكب ومن اقماره ، واجهزة لتصوير موجات الاشعة فوق البنفسجية والاشعة الكونية والمجالات المغناطيسية المحيطة بالكوكب • واجهزة لتحليل البلازما لرسم الخرائط العلمية للعواصف الشمسية التي تهب حول زحل • وعلى متن السفينة حاسب اليكتروني ينظم عملية التحكم في الاجهزة وارسال الصور الى الارض •

والسفينة بايونير واحدة من ٣٩ سفينة امريكية وسوفييتية هتكت اسرار الفضاء البيكوكبي — اى الذى بين الكواكب — وستوالي رسالتها في اجراء مزيد من القياسات حتى عام ١٩٨١ •

وقدر حجم المعلومات التي تتاحت الى علماء الفضاء على الارض من السفينة « بايونير — ١١ » بانه يعادل اكثر من عشرة امثال ما تجمع لديهم خلال القرون الثلاثة الماضية •

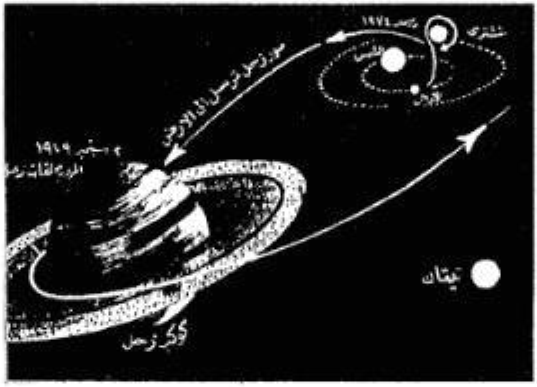
ولقد احاطت بهذه الرحلة الشكوك من المخاطر التي قد تتعرض لها السفينة ، سواء في ذلك الاصطدام بحزام احجار الكويكبات الذى بين كوكبي المريخ والمشترى ، او مخاطر الانجذاب الى كوكب المشترى الضخم الذى يعادل في حجمه قدر حجم الارض ١٢٩٥ مرة ، او مخاطر الاصطدام باجسام صلبة في حلقات كوكب زحل نفسه ، اذ كان المدار يمر خلال هذه الحلقات نفسها •

حلقاته خمس وليست ثلاثا

ولكن نجاح وصول صور السفينة « بايونير — ١١ » الى الارض ، أطاح بكثير من المفاهيم الفلكية التي تعارف عليها الفلكيون على مدى ثلاثة قرون • فقد اوضحت تفاصيل هذه الصور ان حلقات زحل عددها خمس حلقات وليست ثلاثا كما ظن الفلكيون في الماضي • ولقد قطعت السفينة مستوى حلقات زحل خلال (ثانية واحدة) ولكن تصوير هذه الحلقات بالمستويات المائلة نقل كثيرا من التفاصيل عنها واوضح الفواصل فيما بينها •

بل ان هناك قياسات مغناطيسية سجلت وجود حلقة سادسة ليس فيها جسيمات ولكن تنتشر فيها القوى المغناطيسية حول زحل ، وهنالك حلقة سابعة تنشط فيها الاشعاعات حتى مسافة ٩٦٠و٠٠٠ كيلو متر من سطح الكوكب ٠

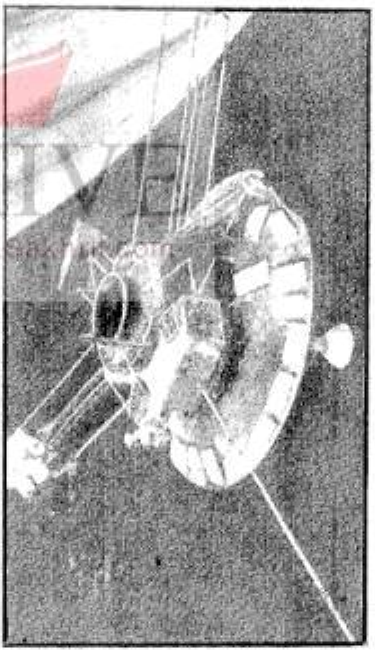
وبعد أن ظل العلماء فى حيرة طويلة عن كنه المادة التى تتكون منها الاحزمة الثلاثة المحيطة بزحل ، تأكد أن مادة بعض هذه الاحزمة تتشكل من كرات الثلج المتجمد ٠



من حلقات زحل ، كما نقلتها سفينة الفضاء بابونير

زحل له إثنا عشر قمراً

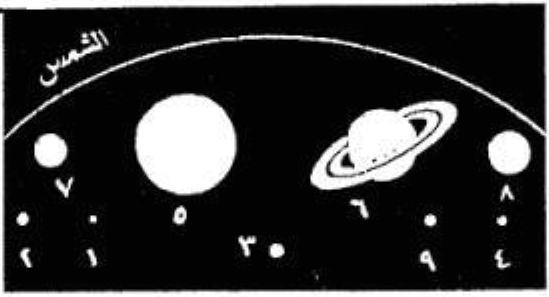
كما كشفت صور السفينة بابونير عن أن اقمار زحل ليس عددها (٩) كما سجل الفلكيون القدامى بل تبلغ (١١) قمراً ٠ وهناك نقطة ضوء تكرر ظهورها فى كثير من الصور فسرها بعض العلماء على انها القمر الثاني عشر ٠



سفينة الفضاء الامريكية « بابونير ـ ١١ »

ولقد اعطى هذا القمر الاخير اسم « بيونير الصخرى » ويبلغ بعده عن زحل ٩٠ر٠٠٠ كيلو متر ٠ وسبق اكتشاف قمرين آخرين فى أوائل عام ١٩٧٩ وبذلك اصبحت اقمار زحل اثنى عشر ٠ ولكن ما زال أكبر الاقمار هو قمر «تيتان» الذى يفوق حجم قمر الارض قليلا ٠ ويتميز تيتان بان له غلافا جويا خاصا به ، وقد أوضحت الصور أن هذا الغلاف به سحب تتكون من غاز الميثان ، وهو الغاز اللازم لتكوين الاحماض الامينية التى تعتبر العامل الاساسى لوجود الخلايا الحية ٠ الا أن رصد درجات الحرارة على سطح « تيتان » أوضح انها تقرب من درجة (ـ ٢٠٠)

أسرار كوكب زحل



النسبة بين احجام الكواكب والشمس
١ ـ عطارد ٢ ـ الزهرة ٣ ـ الارض
٤ ـ المريخ ٥ ـ المشترى ٦ ـ زحل
٧ ـ اورانوس ٨ ـ نبتون ٩ ـ بلوتو

مئوية . ولكنه لم تتأكد أية معلومات تفيد ترجيح وجود اى لون من الوان الحياة على هذا القمر .

بحوث الفضاء تتوالى ..

يعتبر برنامج السفينة الامريكية « بايونير » ناجحا بعد ان حقق نجاحا بكشفه مفاهيم جديدة عن كوكب زحل ، ويمكن ايجاز هذه الحقائق فى الآتى :

★ الكشف عن حلقات جديدة حول زحل .

★ التحقق من ان الغلاف الجوى المحيط بزحل أدفأ حرارة عما كان يعتقد العلماء .

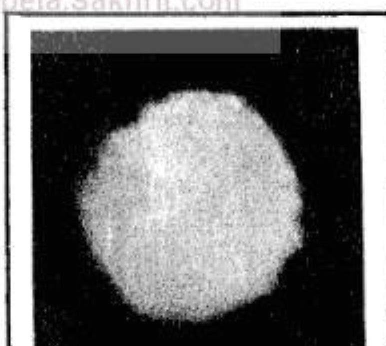
★ التحقق من ان اقمار زحل اثنا عشر قمرا .

★ الكشف عن وجود مجال مغناطيسى قوى يحيط بزحل ويمتد خارجه الى مسافة كبيرة ومتوسط شدته ٣ر٠ جاوس .

ورغم اهمية هذه المكتشفات، واستقبال آلاف من الصور عن سطح زحل واقماره وحلقاته ، الا أن العلماء مازالوا يأملون في استقبال المزيد من المعلومات عن هذا الكوكب . ولذلك يتطلعون الى وصول سفينتى الفضاء الامريكيتين « فواياجير ـ ١ ، ٢ » الى نفس الكوكب فى يونيو ١٩٨٠ لانهما فى طريقهما اليه الان . وستظل السفينة « بايونير ـ ١١ » مستمرة فى رحلتها عبر الفضاء البيكوكبى حتى عام ١٩٩٢ عندما تصل الى اقرب آخر كواكب المجموعة الشمسية وابعدها وهو كوكب « بلوتو » .

ووقتها سيكون قد اكتمل استكشاف الكواكب اخوة الارض. ولكن ما زال السؤال المحير الذى يؤرق البشرية ، حائرا فى الاذهان ولا يجد احد له جوابا : هل توجد حياة على كوكب آخر غير الارض ؟

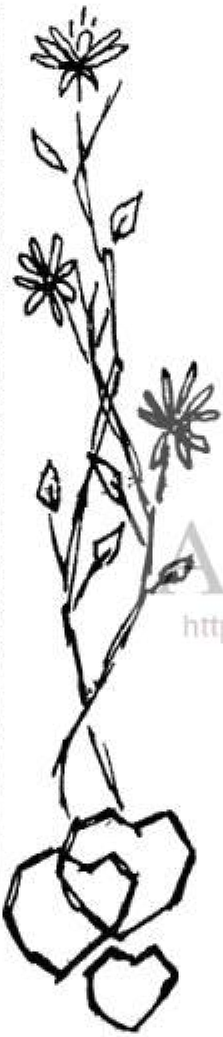
ولكن الامل يحدونا الى القول بان سفن الفضاء قد تجد فى المستقبل القريب اجابة عن هذا السؤال .



تيتان ـ اكبر اقمار زحل . . . .

ياسمين

● د . انس داود ●



دفء الحنين ..

يا ياسمين

الله ... صوتك من بقايا أرغن في الخالدين

حملته روحي في اغترابي

كرؤى عذابي

صوتا من الوطن الحزين

أصغي .. فيأخذني صداه إلى متاهات السنين

وأعود أنهل من مداه وأنت سكرى تنشدين

سكرى من النغم الإلهي الرزين

سكرى ... ووجهك مشرق بالطهر ، وضاح الجبين

مترنٍ على جرح الزمان ،

وهدهدي القلب الطعين

ياياسمين .. فربما

في صوتك المبعوث من عمق الجراح .. تنفتحين

أشجار هذي الغابة الصماء في كل العيون

مـــع
رشـــدى صـالـح

● حوار اجراه : عاطف فرج ●

● فى البدء يعرض الاستاذ رشدى صالح وجهة نظره فى قضية الفكر والادب — يقول: «الحركة الادبية والفكرية.. تقف الان عند مفترق طرق . فهناك حوار مفقود بين جيل رائد من الادباء .. وجيل صاعد من الشباب ، يريد ان يعبر عن نفسه وعن قدراته الابداعية.

« يقول الجيل الجديد من الادباء ان جيل الرواد لا يريد ان يأخذ بأيدينا لا يقرأ لنا ولا يتفهم طبيعة مشاكلنا ويرد عليهم جيل الاساتذة بان شباب اليوم من جيل الادباء متعجل للمجد والشهرة .. ثم يكملون القول.. باننا جيل عانى الكثير .. سار على الشوك حافى القدمين .. ونحت فى الصخر باظافره لكى يضع قدميه على طريق الفن الادبى والفكرى ..

ويقول رشدى صالح .. وهو من جيل الاساتذة .. ورائد من رواد الفكر والفن ، بصوت هامس ، رقيق ...

« منذ سنوات ظهرت بين شباب الادباء نداءات عصبية منها نداء يقول نحن جيل بلا اساتذة ...

« هذا النداء وامثاله يحمل اكثر من معنى .. : الاول : ان هؤلاء الادباء لم يدركوا ادراكا كافيا مسار التاريخ الثقافى والادبى فى مصر ، وسارعوا الى قطع الصلة بينهم وبين الاجيال السابقة عليهم .. مع انهم قراوا لعدد من ادباء الاجيال السابقة وتأثروا بهم بلا نزاع.. وكان ينبغى عليهم ان يحترموا اساتذة من قرأوا لهم وتعلموا منهم . والمعنى الثانى ان ما اصاب جيل الاساتذة ومن جاء بعدهم من حصار فولاذى كان يحول بينهم وبين الانتفاع بعطاء الثقافة العالمية ومواصلة ابداعهم ...

« .. هذا الحصار نفسه كان لابد له من ان يقطع الطريق عليهم حتى لا يواصلوا رعاية الاجيال الشابة الجديدة من الادباء والفنانين .. ويبدو لى ان ما نحتاج اليه الآن هو :

ان نفتح كل المسالك المؤدية الى توثيق الصلة بين انتاجنا الحاضر وميراثنا العربى من ناحية ، ونفتح كل الدروب



رشدي صالح : ما بعد الحوار

لمكنة وهي كثيرة جدا لنتابع الانتفاع بما تقدمه الثقافات العالية المتحضرة ، دون خوف وبلا ملل.. فالادب والثقافة لهما انتماء وطني هذا صحيح ... ولكن لهما ايضا وطن فسيح جدا هو العالم كله ... »

اثارت هذه الاجابة نقطتين .. هما مسار التاريخ الثقافي والأدبي في مصر والحصار الفولاذي الذى ضرب حول جيل الأساتذة من الأدباء والمفكرين . كان ولابد أن نقف عندهما ...

يقول رشدي صالح ، وقد افرغ الرماد المتبقي من غليونه .. ثم جال بعينيه في المساحات الخضراء الممتدة أمامنا في نادي الصيد :

« .. اذا قرأنا المقدمة الرائعة التي كتبها عبد الرحمن بن خلدون في فلسفة التاريخ وجدناه يقف وقفة طويلة عند ما نسميه الآن بالثقافة على اختلاف انواعها ، ووجدناه كذلك يقول كلمة عظيمة هي :

ان الانسان ابن زمانه وابن مكانه.. لان الطاقة البشرية المبدعة في الفنون والآداب والفكر هي بالمثل ابنة زمانها ومكانها .

«واني اومن أن مصر هي وطن العديد من الحضارات التاريخية التي تبدأ باستقرار الانسان على الزراعة وتعبر التفاعل العميق والمؤثر حتى الآن مع الحضارة الاسلامية العربية ، وتمتد الى بداية تاريخنا الحديث ، أي الى مرحلة الاحتكاك المباشر والمؤثر ايضا مع الحضارة العالمية الحديثة .

« في القرن الماضي استطاعت أجيال من المثقفين وخريجي الأزهر الشريف الذين اوفدوا في بعثات الى فرنسا وغيرها ، أن ينقلوا الى اللغة العربية ترجمة عشرات بل مئات من الكتب ، بعضها في العلوم البحتة وبعضها في الفكر والفلسفة والآداب . كما استطاع نفر منهم أن ينقلوا لأول مرة كذلك ترجمة لعدد من المسرحيات العالمية

.. وواكب ذلك بالطبع انشاء المؤسسات التي كانت وظيفتها ان تطرح على القراء وطلاب المعرفة عطاءها سواء أكان مصريا خالصا أو كان متأثرا بالثقافة الأدبية الغربية .

« ومن هذه المؤسسات مطبعة بولاق التي كانت اول مطبعة عربية أنشئت في الشرق كله . ومن خلال سنوات قليلة كانت قد اقيمت مدارس للطب والهندسة والتعليم المدني . وفي سبعينات القرن الماضي انشئت دار الأوبرا وعدد من المسارح الاهلية ... وتوالى بعد ذلك تأثير الكلمة المطبوعة وتزايد الاشتباك بين الفكر المصري والفكر العالمي الغربي .

« وحين انشئت الجامعة الأهلية في اوائل القرن العشرين بدأت مرحلة جديدة في أعداد المتعلمين الذين استطاع بعضهم ان يصلوا الى القمة في مجالاتهم العلمية والأدبية المتعددة ، كما ان تطور الصحف من مجرد اصدار جريدة رسمية هي الوقائع .. الى اصدار عشرات من الصحف الاهلية والمجلات الأسبوعية والدورية . قد ادى الى التنافس الطليق في تحصيل المعرفة وتقديمها باسلوب عصري الى قراء هذه الصحف والمجلات ...

« وحين نرجع الى مجموعة الصحف الصادرة في العشرين سنة الاولى من هذا القرن سنجد ان هذه الصحف تحمل بوادر منازلات أدبية او فكرية لم تلبث ان اصبحت تتجسد في تيارات فكرية وأدبية واضحة المعالم بعد ثورة ١٩ ، ولا نزاع في ان الفترة ما بين سنة ٢٠ تقريبا الى الحرب العالمية الثانية .. قد شهدت صعود جيل الاساتذة وميلاد كتابات ومؤلفات أدبية وفكرية جديدة علينا .. كان بعضها يقف ضد التيار الفكري السائد وينادي بالتجديد والابداع معتمدا على اننا بعض من ورثة الحضارات العالمية ، وكان جيل الاساتذة يتوسل بوسيلتين عظيمتين هما :

اولا : السيطرة على اللغة العربية والتعرف المستمر على التراث العربي اثناء عصور نهضته والكشف عن المجهول منه ..

وثانيا : السيطرة على لغة عالمية كالانجليزية والفرنسية بهدف تحصيل المزيد من المعرفة من التراث العالمي والرجوع الى النصوص الاصيلة مباشرة وفي استغناء عن الترجمة ..

« اعطتنا هذه المرحلة جهود طه حسين اديبا ودارسا للأدب ومقتحما لمشكلات كبرى جرت عليه شخصيا متاعب كثيرة . واعطتنا في مقابل طه حسين جهود العقاد مقتحما هو الآخر مشكلات أدبية وفكرية كبرى . واعطتنا جهود عدد من الاساتذة الكبار أمثال مصطفى صادق الرافعي ، وأمير الشعراء شوقي . وقد حاول منذ نهاية القرن الماضي أن يكتب المسرحية نثرا اولا ثم شعرا ..

« واعطتنا الجهد البارز والجديد الذي تفرغ له احد أساتذة هذا الجيل وأعنى به توفيق الحكيم كاتبا للمسرح ... وأعطتنا عطاء هاما في النقد الأدبي ومثاله منهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي ، ومنهج العقاد والمازني في دراسة شعر شوقي ، ثم اعطتنا المنازلات الأدبية الساخنة التي دارت بين دعاة التجديد ودعاة المحافظة والتقليد .

« هذه الزخائر فتحت عيون الأجيال التالية على كيفية تزويد الأديب نفسه بما يلزمه من معرفة .

« ... فالأدب هو الانسان مثقفا موهوبا مهذبا .. مسيطرا على اللغة مبدعا في التعبير بها ..



« وشهدت تلك الفترة محاولات اولى فى كتابة الرواية والقصة .. لكن هذا الفن اتخذ سمتا واضحا فى كتابة يحيى حقى الذى بدأ حياته الادبية ناقدا حاد اللسان لا يجامل برغم رقته ودماثة خلقه ولين طبعه ..

« وكان لنجيب محفوظ وبعض زملائه الفضل فى أن يرسوا الانتاج الروائى ويتابعوه . وبعد الحرب العالمية الثانية اخذ الجيل الاصغر سنا يحاول الكتابة للمسرح وهو فن أشد تعقيدا وصعوبة من كتابة القصة القصيرة ، لأنه فن يؤدى منظورا ومسموعا وخاضعا للقوانين التى تفرضها علوم المسرح ونظرياته وهى نظريات يلغى بعضها بعضا .. فما قاله أرسطو مثلا من المسرحية الغاه شيكسبير وكتاب المسرح فى عصر النهضة ، ثم توالت نظريات جديدة فى أوروبا خاصة فى القرن التاسع عشر من الحركة الرومانسية ثم الواقعية ثم الرمزية ثم الواقعية الرومانسية ثم المذهب البنائى فى المسرح .. »

وعندما يصمت رشدى صالح ليشعل عود ثقاب جديد متطلعا الى اللهب المتصاعد منه ومقربا اياه من غليونه .. اسأله عن « الحصار الفولاذى » ومغزاه ... فيضحك الرجل من قلبه ، وهو القائل فيما بعد مقاله : « الدنيا غانية تقسو .. والرجل الضاحك يضحك من قلبه .. » ثم يقول :

« .. ينبغى لنا أن نعترف انه قد مرت بمصر سنوات متوالية قبل عام ١٩٧٠ أغلقت فيها كافة النوافذ والقنوات التى كانت طريقا ذا اتجاهين بيننا وبين الفكر والثقافة والفن العالمى.

« واقيم حاجز مثل سور الصين يصد عن الموهبة الادبية القادرة من كافة الاجيال ما تطرحه ثقافات العالم أولا بأول متجسدا فى الكتاب أو فى شريط السينما اوالبرامج التليفزيونية الثقافية والعلمية . أو التسجيلات الصوتية للمؤلفات الموسيقية ذات المستوى الرفيع ..

« .. وكما اعتقدنا خطأ فى تلك الفترة أننا قادرون صناعيا على أن ننتج كل شىء بدءا من الابرة الى الصاروخ عابر القارات ، فكذلك ظهرت موجة هوجاء فى الفكر والادب خلاصتها أننا قادرون كذلك على أن ننتج فى الادب والفن والموسيقى والنحت والتصوير كل شىء رائع ، منبعثا من أرضنا وحدها ، وكأننا جزيرة منفصلة عن بقية العالم . فى حين أننا نعلم علم اليقين أن الكرة الارضية قرية صغيرة بعد التوسع الهائل فى استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة الخاصة بالاتصال بين المرسل والمتلقى ، اعنى بذلك الاذاعات المسموعة والمرئية والسينما الى آخره .

« كانت هذه الفترة المجدبة مرحلة ارتداد بعيدة عن طبيعة الابداع المصرى والاتجاه المصرى الحضارى والانسانى وكانت من القسوة بحيث اصبح حصول الاديب او المفكر على كتاب صدر فى أى بلداوروبى يعتبر حصولا على كنز ينفرد

به ، في حين ان الأصل هو أن تتاح كل وسائل المعرفة العالمية لكافتهن يطلبها في مصر وبأقل تكلفة ممكنة وبأقل جهد ممكن أيضا .

« واذا كنا الان نعاني من مشكلات الحياة اليومية الموروثة من قبل فاننا نعاني أكثر من مشكلة التخلف عن مسايرة العصر الذي نعيش فيه فكريا وادبيا وثقافيا وعلميا .

« ولا يعني هذا التعميم انكار الجهود الشجاعة التي بذلها ويبذلها عدد محدود من المشتغلين بالأدب والفلسفة والدراسات العلمية المختلفة بل ان الانتاج الادبي مضى يتحمل قسوة تلك المرحلة ويطرح بين الحين والحين مسرحيات او روايات تتكلم بوجدان الانسان المصري المتحضر . فقد لقى بعض الادباء والمؤلفين مقتا نحن نعرفه جميعا » .

ومثلما يفعل الطبيب مع مريضه .. بان يشخص له المرض ويكتب له العلاج حتى يبل ويبرأ مما اعتراه واصابه .. اسال طبيبنا - مجازيا - التحدث في لباقة عن معرفة عميقة باصول المشكلة التي مرضت من اجلها الثقافة المصرية ... وما العمل .. ؟! او كيف يكون العلاج ؟ ..

يقول رشدي صالح :

« .. اذا كانت النظرة المريعة السابقة قد اعطتنا لمحة عما اصاب الثقافة في بلدنا .. فان السؤال الذي يطرح نفسه هو :

« اي الاتجاهين اكثر عطاء لنا الآن؟! هل هو الاتجاه الى ان نجتر الماضي ونسمح لانفسنا بأن تقع فريسة سهلة لليأس أم انه الاتجاه الى أن نبني من جديد حياة ثقافية وادبية مصرية تنتمي الى ما انجزته العبقرية المصرية من ناحية وما انجزته العبقريات العالمية من ناحية ثانية ..

« اني اقف مع الاتجاه الثاني مقدرا كل التقدير ما قدمه اساتذتنا ، مطالبا بأن نواصل السير الى الامام على نفس دربهم ولكن بمنطق اواخر القرن العشرين وايقاعه ، وبمنطق الاطلال على القرن الحادي والعشرين .

« ومعنى ذلك اولا ضرورة التواصل بين الاجيال ومعناه ثانيا ضرورة التواصل بين الثقافة المصرية والعالمية المعاصرة لنا والتي تحمل بشائر ثقافة القرن الحادي والعشرين منذ الآن .

« وقد حاولنا في ظل فترة « سور الصين » أن نضع كل الاعباء على المؤسسات الحكومية وكان ذلك ضد منطق الاشياء ، وكانت نتائجه نوعا من الكارثة بالرغم من أن بعض الاعمال القليلة الادبية والفنية قد ظهرت في تلك الفترة لكنها لم تكن اكثر من احتجاج عليها . »

قلت له: من ملامح التغييرات الجديدة التي شملت مجتمعنا ، ان طبقة الحرفيين والتجار واصحاب الاعمال ظهرت وتركزت في ايديهم قوة شرائية ، لم يواكبها تطور في انتشار الثقافة بل ركود في توزيع الكتاب .. وانحسار في الثقافة ..

يقول الاستاذ رشدي صالح :

« .. ان الانسان هو الاصل وهو الهدف وقلب الانسان وفكره هما اغلى ثروات الأرض واذا اردنا أن نبني حياة جديدة فلنبدأ بالانسان ، الكائن البشري الذي جعله الله تعالى محور

الكون وسيده باسطا يده بالخير حاملا بيده الأخرى مشعل النور اى مشعل المعـــرفة والابتكار والابداع الفنى والادبى .

« نحن نقول ان الانسان ولد طليقا ويجب ان نحترم حق الانسان اديبا كان ام فنانا ام مفكرا فى أن يفك عن نفسه كل قيد ويعبر تعبيرا صادقا عن تجاربه التى هى جزء لا يتجزأ عما تفرزه حياة الاربعين مليون مصرى .

« وانى لأتساءل لماذا لا تعتبر مشكلات الثقافة معادلة لمشـــكلات رغيف الخبز والمسكن والتموين . كمـــا انى اطلب بشدة اعفاء وسائل المعرفة من الضرائب الجمـــــركية واباحتها للكافة ، فمن المستحيل أن نحدد أصحاب المواهب الادبية او الفكرية او نحصيهم احصاء دقيقا ونقول كفى ما لدينا ــ بل ينبغى ان نسلك سلوكا مختلفا » ..

حول هذا المعنى ، هل يمكن بسلوكنا الجديد او المختلف ان يولد ادباء جدد يعيدون الى وجه مصر ما كان لها من جيل العمالقة فى الفكر والادب ..

يقول رشدى صالح :

« .. ان هذا الشعب العريق يقدم باستمرار أصـــحاب قدرات ومواهب علمية وأدبية تحتاج منا الى أن نمهد لها الطريق حتى تنضج وتكتمل وتبدع واول هذا الطريق ان نعرف تاريخنا على حقيقته وحضارتنا على حقيقتها ، وأن نعرف قدر طاقتنا تاريخ غيرنا من الشعوب والأمم وحضاراتها وان نتابع مسار التاريخ هنا وفى العـــالم كلـه ولا اتصور أن يولد الأديب كائنا كامل القدرات ، وانما هو يولد موهوبا وعليه ان يستكمل الموهبـة وينميهـــا .. بتثقيف نفسـه ما اســتطاع الى ذلك سبيلا ..

« الاديب تلميذ طوال حياته يتعلم من الكتب ومن تجارب الاخـــرين ومـن الحياة . وحين يعتقد انه مستغن عن عطاء الفكر الانسانى او الثقافة الانسانية او الحضارة الانسانية فانه يحكم على نفسه بانتهاء مشواره كاديب .

« الأدب ليس عبثا ومهنة الكتابة الادبية قال عنها اجدادنا الفراعنـــة انها اشرف مهنة فى الوجود ، ومعنى ذلك ان مسئوليتهـــــا عظمى ، وفى صدرها ان يسيطر الاديب على اللغة العربية ويطوعها للتعبير بها بصرف النظـــر عن الشـــكل الادبى الذى يختـــاره لنفسه .

« ومـــن المســـتحيل فى رأيى أن يستطيع اديب الارتقاء بفنه اذا لم يكن مسيطرا على هـــذه اللغة الفصـــحى الأبية الثرية ، ولن يستطيع كـــذلك أن يسيطر على اية لغة عالميـــة اذا لم يكن مسيطرا فى الأصل على لغته العربية وتعبيراتها الأدبية وما افرزها فى الماضى ، وما أشد تفتحها الآن ، وذلك انهـــا لم تعد لغة كتابة فى الدواوين وانمـــا أصبحت ميسرة فى لغة التخاطب لمن يسيطر على قدر كاف من المعـــرفة بقاموسها ومبادئها وبلاغتها وأدبها » .

***

كان هذا حوارا مع رجل فنان اديب عشق الفن وسار على دربه يشق لنفسه طريقا بين القمم الخالدة .. ولم ينس ذلك يوما فى مقاله الاسبوعى ، فافـــرد الى جانب المقـــال السياسى ما بعـــد المقال . ليصب فيه من رحيقه الادبى ومعسول لفظه الكثير من النفحات التى تنشى القـــارىء . . وتثلج صـــدره .. كان حـــوارا مع الكاتب الفنان رشدى صالح .

أوديسيوس أليتس

الشاعر الفائز بجائزة نوبل هذا العام

● د . سليم الاسيوطى ●

فاز الشاعر اليونانى اوديسيوس اليتيس بجائزة نوبل فى الادب لعام ١٩٧٩ ، لأشعاره التى تصور نضال رجل عصرى ، من اجل الحرية عامة ، وتحرير وحرية بلاده خاصة ... كما انها فى الوقت نفسه تقدم اعمق التقاليد الكلاسيكية الاغريقية ، ولا تغفل المناخ المعاصر ، بالاضافة الى انه يتفوق الآن على الكثيرين من مشاهير الادباء والمفكرين العالميين ، وربما كان يبز الذين سبقوه فى نيل هذه الجائزة ...

واوديسيوس له مؤلفات كثيرة ظهرت فى بلاده ، وفى ترجمات خارج بلاده ... واليونانيون يطلقون على ملاحمه التى تجمع بين خصائص الكلاسيكية والمعاصرة « انجيل اليونان » ...

اوديسيوس اليتيس
الشاعر اليونانى الحائز على جائزة نوبل لعام ١٩٧٩

منذ نحو ربع قرن ، وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٣٥ نشرت مجلة « القواعد الجديدة » السلسلة الأولى من اشعار أوديسيوس اليتيس ... ومنذ ذلك الوقت دخل عالم الأدب من أوسع أبوابه وأصبح فى وطنه صوتا من أرفع الاصوات واحفلها بالحياة والحيوية فى أوليمب عروس الشعر اليونانى المعاصر ، ومهبط الوحى والالهام منذ قديم ...

وفى عام ١٩٣٩ عززت مجموعته الشعرية الشاملة « توجيهات » مقامه الرفيع بين أقرانه ، وفى عام ١٩٤٣ ظهرديوانه « الشمس اولا » فى اثر مجموعته السابقة ، وفى ذلك العام نفسه رزئت اليونان بموت الشاعر العظيم الاخير من الجيل القديم ، كوستيس بالاماس ـ ومنذ ذلك الحين اعتبر أوديسيوس اليتيس شاعر اليونان الاول دون منازع ، وخارج حدود بلاده ..

الناس والعصر
صفحة ١٢٢ في هذا العدد





أوديسيوس أليتيس ـ الشاعر اليوناني الفائز بجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٧٩ ...

وفي غضون العشرين عاما الماضية غدا شخصية نابهة الذكر في المحافل الأدبية والدوائر العلمية في فرنسا وإيطاليا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية ... ويندر أن توجد مجلة أدبية مشهورة في هذه البلدان لم تقدم لقرائها على صفحاتها حتى الآن مختارات مترجمة من أشعار اليتيس ... كما اشتملت مجموعات من أشعاره في كتب بالفرنسية والإيطالية ، وغيرهما .

ان الشاعر اليتيس ـ « وقد سمي أودسياس اليبوديليس عند مولده » ـ ينحدر من أسرة عريقة ، من بلدة لسبوس ، ولد في عام ١٩١١ في اي اكليون ، من كريت ـ وبدأ في دراسة القانون في عام ١٩٣٠ ولكنه سرعان ما شعر بحنين طاغ الى الكتابة والى الفن ، وكان مفتونا بعالم السيرياليين الفرنسيين التعبيري ، فترجم مؤلفات لوترمونت اليوارد جوف ولوركا الى اليونانية الحديثة ، وكتب دراسات عن الفن الحديث ...

وقد سافر ، واستقر به المقام بعض الوقت في باريس عام ١٩٤٨ ، وتوالت رحلاته الاستكشافية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، واتصفت هذه الرحلات بحب الاستطلاع الفكري والثقافي الظامىء الى المعرفة ، لا يرتوي أبدا ...

وفي غضون سني الحرب العالمية الثانية ، ولدى عودته من جبهة القتال ، أصبح شاعر المقاومة اليونانية .

والنظرة المتفتحة على الأفق والرباط الحيوي الواقعي القوي بأحداث الحياة النموذجية ذات المغزى الخاص ، ومذهب السيريالية السحرية ، وجذور التراث الهيليني اليوناني أو الاغريقي ، تتحد وتندمج كلها في شعره ، لتصنع صورا تكشف عن الحياة في حوض البحر الأبيض المتوسط .

ولنضرب مثلا ، بقصيدة « جسد من صيف » التي تحمل اسمها مجموعة القصائد المترجمة الى الألمانية :

مضى زمن طويل منذ ان سمع صوت سقوط الأمطار الاخير .
والآن فان السماء تضيء الى ما لا نهاية
واشجار الفاكهة تفتح افواهها
ومسام الارض تتفتح ببطء
وبجوار المياه التي تقطر رقيقة متقطعة
يحملق نبات ضخم في الشمس لا يتحول عنها
من هو ذا الذي يزحف على الشواطيء البعيدة
وقد استلقى على ظهره يدخن أوراق الزيتون الفضية
والجندب يستدفيء في اذنيه
النمل يعدو للعمل على صدره
وبين اعشاب قدميه البحرية تمر موجة بخفة
دفعتها جنية البحر التي غنت
لجسد الصيف الذي احترق ...

***

الأمطار البطيئة تهطل والبرد يتساقط .
الشطآن تسوطها مخالب الريح العاصفة
التي تغوص في اعماق البحر بموجات عظيمة ضاربة .
الجبال تغور في سحب ثقيلة
ولكن ، خلف كل هذا فانك تبتسم مطمئنا
وتعثر من جديد على فرحتك الخالدة
كما لو ان الشمس قد اوجدتك مرة أخرى على الشطآن
في عنفوان قوتك المجردة ، تحت قبة السماء .

ومن الواضح الجلي أنه حينما يقدم اليتيس الانسان في المنظر الطبيعي فهو دائما يلجأ الى التركيبات يصوغها في تساؤلات :

ماذا تستطيع ان تواجه وتستطيع ان تلبس
وترتدي موسيقى العشب
وكيف تتقدم
بين الحكماء
وعلى شفتيك طعم عاصفة ... لكن اين كنت تجول
طوال اليوم باحلام اليقظة القاسية للحجر والبحر ...
ان عمى البحر يكمن داخل عينيك
وعلى جسمك قوة الشمس
عم كنت ابحث
عميقا في صميم كهوف بحر الأحلام اللانهائية !

من المؤكد ان اليتيس لايتحدث فى قصائد كثيرة من الحب فى الزمن الحاضر فهو دائما يتحدث عنه فى صورة ذكرى ... ان الذكرى على اية حال يمكن ان تتضمن الاشياء الماضية وايضا الاشياء المستقبلة ، فان كل تعبير او كلام او قول يتناول ذكر الفردوس المفقود يبعث الأمل حيا فى فردوس مردود ... ان « الصدى » كلمة مفضلة محبوبة تفتق الذهن ، وتساعد على كشف المجهول فى شعر اليتيس ... ان السماء والبحر ، والبحر والأرض ، والمنظر الطبيعى ، والانسان الرجل والمرأة ، وكذلك نشوات الماضى والحاضر والمستقبل ـ تقف جميعا الواحدةمقابلالاخرى ـ كل واحدة صدى للأخرى وصورة منعكسة لها ....

والأعمال الكاملة للشاعر اليوناني أوديسيوس اليتيس ، هى القاعدة المقررة لمثل هذه الاصداء والصور المنعكسةلها. ومن ثم يكون تفرد صوره بصفات خاصة مميزة ، ليست حائلة اللون ، فهي دائما غنية بالألوان نابضة بالحياة مفعمة بالحيوية ...

وفي اشعار لوركا ، واونجاريتي ، وكواسيمودو ومونتالي ـ نستطيع التعرف على انبثاق شعرى يربط شتى جوانب الحياة فى حوض البحر الأبيض المتوسط كله ، وبين العلاقة بينها جميعا ، وفي ظل هذا التقارب او التواصل أو تجاور هذه الظواهر الادبية المتماثلة فيما تدور آراء رئيسية وافكار اساسية تساعد فى ايضاح وتصوير الحياة الشعرية الفردية اليونانية الرفيعة ، وتتيح فرصا سانحة لنشاط الكاتب أو الشاعر واهتماماته ، وتعطى لخياله صورا متعددة الطبقات .

وهناك خاصية متميزة من خصائص اللغة الاغريقية ، هى انها قد احتفظت بعلاقة خفية غامضة بالقصص الملحمي حتى على أيدى الشعراء اليونانيين المحدثين ، فيما يشبه الى حد ما تيار الشعر عند هوميروس الشاعر الاغريقي القديم ، كما احتفظت هذه اللغة بسمة تمتد فيما وراء أى لون من الوان الكلاسيكية الاتباعية ، وهذه الخاصية المميزة يمكن تبينها فى كافامنيس ، وشاعرنا الفائز بجائزة نوبل هذا العام : أوديسيوس اليتيس ...

ويقول اليتيس :

هنا اترك النظام والاعتدال للاخرين ، فان
حب الطبيعة العظيم والبحر يستغرقنى تماما ..
بهذا الاتحاد الوثيق بين الاطلال والربيع ، غدت الاطلال احجارا
من جديد ... ولما افتقدها الانسان ما عليها من ملاسة
ارتدت عائدة الى الطبيعة ...
ولكى تحتفل الطبيعة بعودة بناتهاالضالات فلقد انبتت وفرة من الزهر .
كم من الساعات أمضيت فى سحق اوراق اربت الاطلال ...
جاهدا فى التوفيق بين انفاسى وتنهدات العالم الصاخب العاصف .
بين العبير البرى وموسيقى الكائنات الناعسة .
افتح عينى وقلبى للروعة القاهرة للسماء المشرية باضواء الحرارة .
انه ليس من السهل ان يصبح الانسان على ماهو عليه !...

ناس وصور وحكايات



لعلها تكون عظة وعبرة

هذه المرأة الجميلة هي جان سبرج وهي نجمة شابة كانت قد وضعت قدميها على الدرجات الأولى من سلم الشهرة ، وكان من الممكن أن تحلق الى آفاق عالية في عالم المسرح والسينما في فرنسا لو أنها سارت على مهل كما نصحتها أمها .

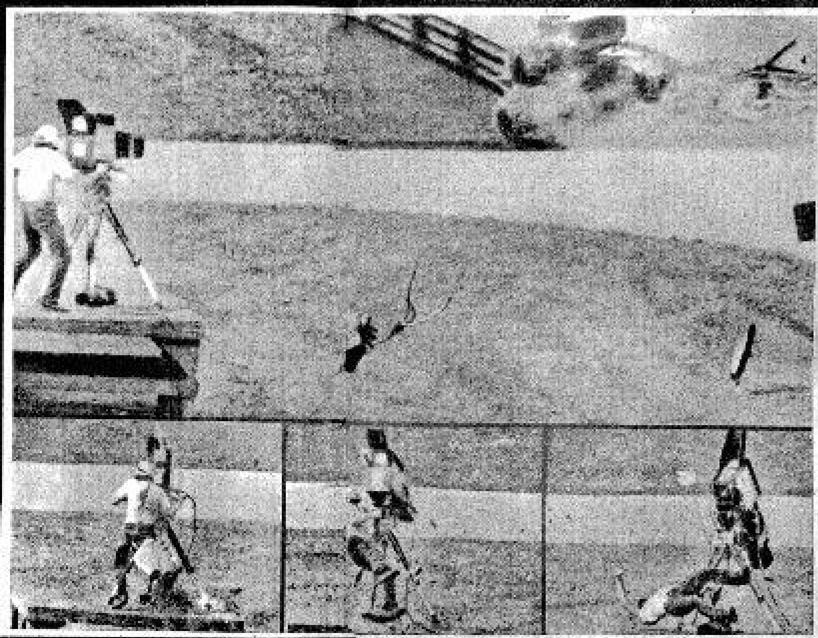
ولكنها تسرعت وتزايدت على المخرجين وكبار الممثلين ، واختلطت بالدبلوماسيين ورجال الطبقة العالية في باريس ، وحذرها مدير المسرح الذي تعمل فيه ، وقال لها انها أقل كثيرا من آمال مسرحه لأنها موهوبة ، ولكنها لم تستمع لأحد ، واسرعت في خطوها تريد أن تدرك الشهرة والمال في سنوات قلائل ..

وفي ذات يوم وجدوها قتيلة في عطفة سيارة في شارع قريبة من حي لوبي ، حي الارستقراطيين في باريس .. وعبثا حاول البوليس أن يصل الى القاتل فقد كانت علاقاتها قد تشعبت الى درجة يستحيل الوصول معها الى الخيط الرفيع الذى يوصل الى الجناة ..

وضاع دمها هدرا وبكتها امها ، اما مدير المسرح فقد ضم هذه الصورة في حجم كبير يغطي حائطا كاملا من حوائط قاعة الرقص في المسرح وتركها هناك عظة وعبرة لتلاميذها من الفنانات في طريق الفن .

صحفي يصور مأساة زميله

زاوية . ص صور وكالات



كان الصحفي السويدي يورج هالت يصور مأساة احتراق سيارة أحد المتسابقين في سباق بونزا للسيارات .. وبينما كان منصرفا إلى تسجيل اللحظات انطلقت قطعة من السيارة المحترقة في الهواء .. لم يرها الصحفي المصور ويمضي في عمله .. وطارت القطعة واصطدمت بظهره لتصدمه صدما مميتا .. ولكن صحفي آخر يصور قريبا منه ، فأدار عدسته وصور اللقطة العجيبة لتشق ظهر زميله فيترنح ليهوي إلى الأرض قتيلا ...

ناس . وصور . وحكايات

هذه هي الحياة

الثعلب الصغير الجائع يبحث عن طعامه ، لقد طال بحثه حتى اضناه الجوع ، ثم شم رائحة انعشت الامل فى نفســـه ، وقادته الى حيث وجد افراخا صـــغارا فى عش على الارض . كانت الام قـد تركت صغارها وذهبت تلتمس لهم طعاما ، ولكن الموت كان اسرع من الطعام .. والتهم الثعلب الافراخ ومضى ، واتت الام فلم تجد اسرتها فجعلت تصرخ وتنوح .. ولكن ماذا تعمل ؟ وماذا كان يعمل الثعلب الجائع .. تلك هي الحياة ..



ناس . وصور . وحكايات

مشهد حب

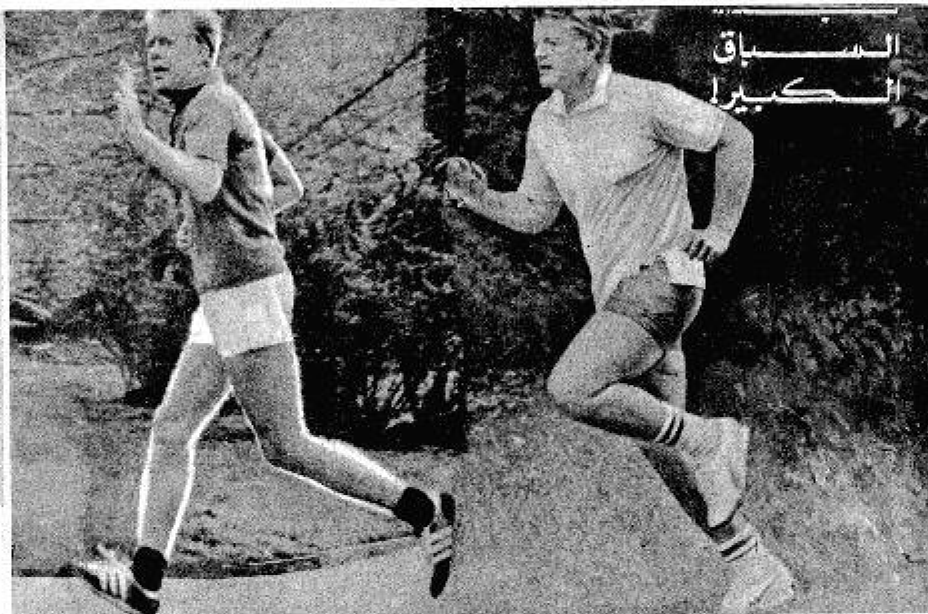
كان القنفر فى خلوة شرعية مع زوجته تحت ظلال الاشجار امام عشهما الهادىء فى استراليا ، والعش الهادىء هنا جحر تحت الارض ، لان القنفر من فصيلة الارانب وهو يحفر لنفسه بيتا تحت الارض ليستكن فيه مع اسرته . .

ثم اقتحم عليهما هذه الخلوة صحفى وظيفته ان يحشر نفسه فيما لا يعنيه ، والتقط هذه الصورة للزوجين السعيدين .

وثار القنفر وشتم الصحفى وطلب اليه ان يتركه يعيش حياته سعيدا مع زوجته الحبيبة . .



السباق الكبير!



رياسة الولايات المتحدة أكبر وظيفة على وجه الأرض وشاغلها يملك من السلطات ما لم يملكه أو يمكن أن يملكه انسان .
ولهذا يهتم الناس جميعا بانتخابات الرياسة في الولايات المتحدة ، لأنهـا رياسة يتوقف عليها مصير البشرية كلها ، ومصير كل انسان على حدة .. فهذا الرجل يستطيع أن يعلن الحرب فتتحول الدنيا كلها الى أتون ملتهب ..
وأحد المرشحين لانتخابات الرياسة القادمة التي ستبدأ في نوفمبر ١٩٨٠ هو جيمي كارتر دون شك ..

وكان آل كيندي يجسدون في نفوسهم الرياسة، وبعد نجاح كبيرهم جون كيندي في رياسته للولايات المتحدة طمع فيها روبرت ثم قتل روبرت فاتجهت العيون الى الولد تد كندي .
وكان من المنتظر أن يؤجل ادوارد ترشيح نفسه الى سنة ١٩٨٤ ، ولكنه لم يطق صبرا ، وهو يرى نفسه شابا يجري بسرعة لا يستطيعها جيمي كارتر .
والصورة مع هذا الكلام تصور الصراع القادم بين الرجلين في لحظة ..

الأدب والمستقبل

كل وسائل الإقناع لن تُغني عن الكتاب

مستقبل الأدب فى كل زمان ومكان متوقف على عاملين : وجود الأديب الموهوب الذى يكتب أدبا جديرا بان يسمى أدبا ، ثم وجود قارىء يستقبل هذا الأدب ويقراه ويتذوقه ويقدره ويستزيد منه •• وهنا لا دخل لعوامل جانبية مثل الاذاعة او السينما او المسرح ، لان الأدب الجيد يطلب لذاته ، ويطلبه الراغب فيه . ولا يستبدل به برنامجا اذاعيا او تليفزيونيا ••

وفى الغرب اليوم رواج لم يسبق له مثيل للكتب الجيدة والمسرحيات ذات القيمة الفنية ، فالروايات تباع بالملايين لا بالالوف والكتب الجيدة ـ فى كل علم وفن ـ يتخاطفها الناس ، هذا مع العلم بان الاذاعة والتليفزيون هناك يعملان على مستوى رفيع من التجويد ، ومع ذلك فان الأدب لم يعان من منافسة من هذه الناحية بل افاد منها ••

اما عن الافكار الجديدة والقوالب التى تلائم العصر فالذى نعتقده ان العصر يتطلب الانتاج الفنى الجيد ايا كان شكله وقالبه ، لان عصرنا عصر التجويد ، والانتاج الردىء او نصف الجيد لا يقبل ولا سوق له ، فان الناس فى الماضى كانوا يقنعون بالقليل ويرضون بالموجود ••

اما اليوم فان الناس قد ادركوا وفهموا واصبحوا على وعى وبصيرة فهم لا يقبلون الا على القصة الجيدة حقا والكتاب الجيد حقا•• وهذه هى الفكرة الجديدة الوحيدة التى تلائم عصرنا هذا ••

والتساؤل الذى نطرحه هنا ، ويجيب عنه هنا لفيف من المفكرين واهل الأدب :

فى زحام العصر ، ومع انتشار الاذاعة والسينما والتليفزيون ـ ما هو فى رايك مستقبل الأدب ؟

وما هى الافكار الجديدة والقوالب التى تلائم العصر فى مجال القصة والرواية والكتاب بوجه عام ؟

اعداد : موريس عزيز

القصة أو الرواية قادرة على أن تشكل نفسها مع الزمن ..

• ثروت اباظة •

● الكتاب واجه مختلف الأزمات ولم تستطع اى قوة حاولت ان تعوقه وان ترد اندفاعه الى الأجيال على اختلاف اعمارها وتعاقبها ..

فان اى وسيلة جديدة من وسائل الامتاع لن تستطيع ان تقف امام الكتاب ..

لقد واجه الكتاب المسرح ، وساد الظن انه سيكون هناك تنافس بينهما ، فاذا بهما يتصادقان وتصبح المسرحية المقروءة مسرحية تشاهد على شاشة التليفزيون وعلى خشبة المسرح ، وينضم المسرح الى الكتاب ..

ثم واجه السينما فتمت هذه الصداقة كما تمت ايضا بين الكتاب والتليفزيون. هذا عن الاعمال الفنية ..

اما الكتاب الباحث فهو متفرد فى ميدانه لا تستطيع اى وسيلة أخرى ان تزاحمه . وسيظل مرجعا الى الأبد . حتى الوسائل الجديدة لعرضه كالميكروفيلم لا تنفى انه كتاب ..

وهكذا نستطيع ان نؤكد ان الكتابة ثابتة بثبوت الزمن ، ولا تستطيع اى قوة ان تزعزعها ..

اما فى القصة او الرواية فهى قادرة دائما على ان تشكل نفسها مع الزمن .. ولنضرب مثلا بالرواية الواقعية التى بدات بتفصيلات دقيقة كثيرة كانت تكاد تطرا على موضوع الرواية ، ثم انكمشت هذه التفصيلات واصبحت الرواية قصيرة . ولك ان تقارن بين رواية الحرب والسلام ورواية الكرنك للأستاذ نجيب محفوظ ، لتعرف الى اى مدى اصبحت الرواية قصيرة ..

اما اذا كنت تقصد الأشكال الحديثة كفكرة العبث واللامعقول ، فهى تجربة رفضها قراء الغرب والشرق على السواء .. فهذه اعمال يمكن ان تكون فكرة تعطى مرة او مرتين ، ولكنها لا تستطيع ان تكون نظرية ، لأنها حين تصبح نظرية يضطر الكاتب ان يكرر نفسه ولا ياتى بجديد .. فانت تعرف ان الفكرة فيها هى أن تقول ان الحياة عبث . ولا يمكن التعبير عن العبث الا بعبث ، وهذا يمكن ان يقال فى رواية او روايتين ، وقصة قصيرة او قصتين او فى مسرحية او مسرحيتين ..

ولكن هذه الفكرة لا تحتمل اكثر من ذلك ، ولهذا سقطت المحاولة كنظرية ، وعاد كتابها الى الرواية المعقولة ، بل ان بعضهم عاد الى الرواية الاولى ..

اما البحث عن قوالب وأفكار جديدة فينبغى الا يكون هدفا فى ذاته انما موضوع العمل هو الذى يشكل القالب.

واعتقد اننى استطيع ان اضرب مثلين من اعمالى . شكل فيهما الموضوع قالب الرواية وهما « شيء من الخوف » والرواية الأخيرة « نقوش من ذهب ونحاس » .. ●

تيارات الأدب الجديد تأخذ المجرى السليم

● مصطفى بهجت بدوى ●

● ان الحديث عن زحام السينما والتليفزيون والاذاعة وغيرها فى مجالات الحياة ، واين دور الأدب بينها ، وهل انتهى دوره أم ضعف ام مازال قائما - هو فى واقع الامر محاولة لفصل هذه القنوات عن الأدب ..

لذلك فاننى اعتقد بان الكثيرين يرون ان هذه الادوات الحضارية هى اضافة الى الأدب وابراز له وتنشيط ، لانه هو واحد من الامهات التى تمد هذه القنوات .. كما فعل اساسا بالنسبة للمسرح، وكما تدرج بعد ذلك بالنسبة للسينما.

والسؤال الآن :

ما هو مصير الأدب المكتوب المطبوع المقروء ؟.. وهل تأثر بفنون الحضارة الحديثة وبالتحديد التليفزيون والاذاعة أى الوسائل اللصيقة الميسورة للمتلقى العادى ؟.

فى رأيى انتا لا نستطيع بأى حال أن ننكر تأثر القراء بصفة عامة بهذه الاجهزة .

وهنا قد تثور قضيتان :

القضية الاولى : ان الادب وفروعه هى فى الأصل وفى الصميم الكتاب المطبوع الذى يربى الثقافة الحقيقية والتذوق والمعرفة ، حيث يتلقفها المبتدئون وعاشقو الثقافة على السواء ، وبالتالى والتعمق وتنمية الملكات ومنها تنشأ أجيال جديدة فى تيارات الفكر المتجدد ، كتابا وادباء وشعراء وفنانين .

واعتقد وبكل أسف ، ان دور الكتاب تأثر فى هذا المجال ، مع حساب تزايد عدد المتعلمين والسكان معا ، فالنسبة هنا ليست لصالح الكتاب المطبوع وهو ما تضج به كل الاقلام تقريبا ..

وما زلنا فى القضية الأولى لأضيف اليها أنه يمكن لهذه الوسائل الفنية من اذاعة وتليفزيون وسينما الخ ... أن تغرس فى عقول ووجدان روادها أن الأصل هو التزود بالقراءة والمعرفة ، وأنه يتعين على المرء أن يخلو الى ثمارات الفكر المطبوع ليجد نفسه أكثر .. وهذا طبعا الى جانب دور المدارس والجامعات والبيت فى تنمية هذا التزود الواجب.

اما القضية الثانية فهى :

ضرورة اهتمام الاذاعة والتليفزيون وترحيبهما واحتضانهما لكل واهم الأفكار والآداب المطبوعة لتعرضها بطريقتها التى تسوغ عادة .. وتيسر للسامعين والمشاهدين ، والا يكون قصارى همهما هو مجرد الترفيه أو تناول الغث من المشاكل والاغنيات ..

واظن أن هاتين الوسيلتين آخذتان فى مواجهة النفس وفى اداء هذا الدور الذى أعتبره خطيرا .

ولعلنا بدأنا الحديث عن الزحام وخضنا فى مجالات الاذاعة والتليفزيون والسينما . والحق ان ثمة زحاما آخر أشد مما يسمى بزحام الحياة واختناقاتها ومطالبها التى هى من سمات هذا العصر القلق .

غير أن زحام الحياة المذكور قد يكون بالذات ادعى واوجب الى البحث فى خضمه عن واحة يتفيأ فيها المرء معنى الطمأنينة والحكمة والذوق الرفيع .

وفى رأيى انه ليس سوى الادب بمفهومه الصحيح سبيلا الى الراحة المرتجاة ..

وهذا يسوقنا الى الجانب الاخير من السؤال ..

انه يتوجب على الأدب فى صورته الجديدة ان يكون مرآة للمجتمع من ناحية ، وعلاجا راقيا غير مباشر لمشكلاته من ناحية أخرى .. وهكذا ينبغى ان يتأثر بطابع العصر . **فما لم يكن الأدب المعروض صادقا وشائقا فانه يكون قد قصر فى رسالته ، وتراجع عن دوره الهام وانفصاله عن المجتمع ، وهو ما نشفق ونحذر منه..**

وان كنت شديد التفاؤل فى ان تيارات الأدب المتلاطمة ستاخذ المجرى السليم لتبقى للادب مكانته السامية كما كانت ●

الآن .. بدأ الأدب يُقدم في برشامة

• يوسف جوهر •

● اعتقد ان الأدب لن يضار كثيرا بانتشار الاذاعة والتليفزيون والسينما لان هذه الوسائل تستقى مادتها من معين الادب ، ومن الكتب الجديدة ، والنصوص الجديدة والقصص الجديدة والمسرحيات الجديدة - التي تعد خصيصا لعرضها في هذه الوسائل .

صحيح انطاحونة الاذاعةوالتليفزيون تحتاج الى وقود مستمر كل يوم ، وان هذا يعرض بعض الثمار الادبية الى أن تقطف قبل أن تنضج .. ولكننا باليقين نجد ثمارا اخرى شهية وقابلة للبقاء والانتشار اكثر من الكتب ، لانها تسمع من الذين لا يقرأون ،وتشاهد من الجماهير العريضة التي قد لا يمكنها محصولها الثقافي او قدرتها المادية على اقتناء الكتب وتذوقها ..

وخلاصة هذا : ان التفاعل بين الكلمة المطبوعة وبين هذه الوسائل - هو خير على كل حال .

اما عن القوالب والافكار الجديدة ، في مجال القصة والكتاب والرواية والشعر ، فهذا يتوقف على نوع المستهلك الذي يوجه اليه هذا الانتاج . ولا اظن ان الجماهير التي تخرج من عملها مرهقة تحتاج الى قراءة كتاب من الف صفحة .

والادب الآن بدأ يقدم في «برشامة» هذه « البرشامة » قد تكون مسرحية قصيرة في الاذاعة ، وقد تكون مجلة تعنى بتقديم موضوعاتها الجادة في مقالة مركزة او في قصة قصيرة ، وقد تكون رواية لا تستغرق من الصفحات بقدر ما كانت تستغرقه روايات « ديكنز » و « مارسيل بروست » .

وفي ادبنا الحديث لم تتكرر ثلاثية نجيب محفوظ .. ولا اظن ان كاتبا آخر لديه القدرة والجلد على التفرغ لمثل هذا العمل الضخم .

اما الشعراء ، فاني ارثي لهم ولفنهم الرفيع ، فقلما رأيت ديوانا في يد جامعي،وقلما سمعت عن قصيدة يترنم بها مثقف الا اذا ترنمت بها من قبل مطربة او مطرب .

وبالقطع لا يوجد ديوان شعر طبع عشرين او ثلاثين الفا مهما علا قدر الشاعر !.

اما في مجال البحث والدراسات فاشفق ان اقول انها لا تجد الاهتمام الكافي حتى من المتخصصين الذين يفترض ان هذه البحوث من حقهم ومن واجبهم ان ينتفعوا بها .. ولا اظن ان دور النشر تعطيها القدر الكافي من الرعاية خوفا من انها لا تغطي نفقاتها..

والمسالة التي تحتاج الى امعان النظر فيها : كيف نربط بين الجامعي بعد تخرجه وبين الكتاب ..

فان الكثرة الغالبة منهم تنقطع الصلة بينهم وبين الكتب التي تمس وتتصل بدراسته الجامعية بمجرد هذا التخرج، كما تنقطع الصلة بينه وبين الجامعة..

ولا يتجاوز الجامعي عادة تخصصه ولايحفل بالكتب التي تتصل بالثقافة العامة ، اي انه لاتعود له اي اهتمامات ثقافية اخرى .. وهو يفضل في الغالب ان يحصل بثمن الكتاب على تذكرة للسينما او المسرح المضحك . وامامنا شوط طويل لكي تكون عند المواطن المصري عادة القراءة .. والمسئول عن هذا القصور من الصعب تحديده ... ونستطيع أن نقول ان السبب هو النشأة في بيت لاتوجد فيهمكتبة .. ونستطيع ان نقول ان نظم التعليم هي المسئولة لانها عجزت من أن تضع في يد الطفل منذ مراحل التعليم الاولى كتابا جذابا وواصلت العجز ايضا فيالمراحل التالية، وترسب في وعي الطالب أن القراءة عبء ثقيل وتكليف وليس متعة وسياحة جميلة في عالم الرؤى والاحلام .. ●

أدب يعتمد على فروع محدودة من العلم

● د. تمام حسان ●

● ليس الادب مجرد وسيلة للتعبير، وانما هو نبض الاديب .. وما دامت هناك ملكات فلابد ان يكون ادب، مع قطع النظر عن اختلاف الحياة هدوءا وازدحاما.

والواقع ان الاديب حين يعبر بادبه فانه انما يقوم بفعل او رد فعل تجاه موقف معين، ويختلف ما يقوم به الاديب عن انفعال الشخص العادي فمثلا:

اذا رأى شخص عادي انسانا قويا يضرب طفلا في الطريق فقد يكون رد فعله احتجاجا عابرا، او انقاذا لهذا الطفل من بين يدي هذا الذي يضربه.

وذلك رد عملي اشبه ما يكون بتصرف الاشخاص العاديين، فاذا ما انتهى الشخص العادي من هذا التصرف لم يعد اليه بعد ذلك الا بالذاكرة.

اما الاديب فانه قد يزيد على هذا التصرف الذي قام به الشخص العادي انفعالا داخليا بهذه التجربة يدعوه بعد فترة ينضج فيها هذا الانفعال الى أن يتخذ موقفا من هذه التجربة التي مرت، وهذا الموقف ادبي بالضرورة ..

من هنا قد تكون زحمة الحياة حافزا للاديب دون أن تكون معوقا له. لان الحياة المزدحمة مليئة بالتجارب ضحلها وعميقها، ومن هنا يجد الاديب امامه مادة غزيرة ينفعل بها وتكون سببا في انتاجه.

ومع انتشار الاذاعة والسينما والتليفزيون ينبغي أن ينتشر الادب، لان هذه الوسائل لا تتعارض بطبيعتها مع الحياة الادبية، وانما ينبغي أن تكون معينا على نقل التجربة الادبية من الاديب الى جمهوره.

اضف الى ذلك ان السينما والتليفزيون على الخصوص يعطيان للادب بعدا بصريا، اذ يعمل المخرج جاهدا على خلق المؤثرات الاضافية التي تعينه على اداء وظيفة الاديب.

اما بالنسبة للافكار والقوالب الادبية التي تلائم العصر في كتابة القصة والرواية والشعر الخ .. فان لكل عصر اختيارا معينا لقالب من قوالب التعبير الادبي ..

فقد فتن القدماء مثلا بالشعر وحملوه تجاربهم، واعتمدوا ايضا على الخطابة واعتبروها مجالا من مجالات الابداع .. ثم عنى غيرهم بعد ذلك بالمقالة او المقامة .. ثم عنى المحدثون بالقصص وجعلوه وسيلة مستحبة من وسائل التعبير الادبي لا تلغى غيرها وانما تشيع اكثر مما يشيع غيرها ..

معنى هذا أن الاديب الذي كان يمكنه في الماضي أن ينقل تجربته عن طريق شعر غنائي خالص ليس فيه من شخصيات الا شخصية الشاعر – اضطر في العصر الحديث الى أن يتنازل عن فتنته بنفسه الى اتخاذ صورة أخرى من صور التعبير هي الصورة القصصية ...

وفي هذا الوسط التعبيري الجديد يصور الاديب تجربته بشخصيات ليس هو من بينها بالضرورة وعليه ان يخلق هذه الشخصيات خلقا وأن يدعي لها تكوينا نفسيا واجتماعيا معينا، ومن هنا أصبح الادب غير بعيد عن العلوم الانسانية، بل انه ليقرب أحيانا من العلوم الطبيعية فينتفع بنتائجها.

وهذا الموقف مناسب للعصر الذي نعيش فيه، هذا العصر الذي كثرت فيه التخصصات، وأصبح على الاديب أن يلتمس الوحدة من خلال التعدد، أي أن يلتمس انشاء عمل أدبي واحد معتمدا على فروع متعددة من العلم. ●

اللغة التلغرافية هي لغة الأدب الحديث

● د. نعيم عطية ●

● ان الادب كفن يعاني في الحقيقة من منافسة ومحاصرة زحام مطالب الحياة المادية والفنون السريعة التوصيل مثل الاذاعة والسينما والتليفزيون ..

هذه مشكلة موجودة في مختلف بلاد العالم الآن . اذ انها من طبيعة العصر، الا ان الادب كفن ، اى الادب المكتوب سيظل موجودا ، بل هو الاصل بالنسبة لكل الفنون المستحدثة التي ذكرناها.. وايضا سيظل هو النبض الحي ذا القيمة الكبيرة وراء زحام الحياة ... وسيكون في بعض صفحاته العزاء للنفوس المتعبة ، وفي بعض صفحاته مؤازرة المناضلين في سبيل الاصلاح وتحسين الاوضاع ..

وقد كان بعض الأدباء من الذكاء بحيث طوعوا ادبهم لتستوعبه فنون السينما والتليفزيون والاذاعة ، وهكذا حل هؤلاء الادباء ، احدى مشاكل الادب في العصر الحديث .. ومن هؤلاء هيمنجواى الذى كان يكتب رواياته وفي تصوره أنه انما يكتب للسينما .

ولكن يظل الادب شيئا مختلفا عن هذه الفنون السريعة ..

لأنه يتصف بالتأني والعمق ورفض فكرة الاستهلاك السريع . فعندما كلفت احدى شركات السينما الامريكية الاديب الفرنسى ، جان بول سارتر بكتابة سيناريو لاحدى التراجيديات اليونانية القديمة ، ارسل الى الشركة السيناريو الذى كتبه ، فاعادته اليه الشركة طالبة منه الاختصار .. فارسل اليها سارتر سيناريو جديدا مطولا اكثر من الاول ، وقال للشركة ان الادب لا يقبل ان يخضع للاعمات فن السينما الحديثة ولا لأوامرها ..

الآن ، فالاديب يكتب وهو يتحمل مسئولية بقائه او عدم بقائه في طوفان الحياة الحديثة ، ولا يمكن أن نضع معايير أو نستخلص قوانين لما يجب أن يكون عليه الأدب في العصر الحديث ، لأن الادب هو الاديب نفسه ..

ولكن بلا شك فان نبض العصر يؤثر في الاديب الواعي . ويقول الروائي اليوناني المعاصر انطون ساماراكي ان لغة الادب الحديث يجب ان تكون لغة التلغراف ، فما عاد القارىء يحتمل ان يقرأ وصفا متمنعا لثوب بطلة رواية في عشر صفحات ، مثلما كان يفعل تولستوى .

ولكن لغة التلغراف تلقى على الاديب المعاصر مسئولية أكبر من المسئولية التي كانت ملقاة على الادباء السابقين ، والآن المشكلة اصبحت بالنسبة له كيف يجعل من لغة التلغراف هذه كتابة ادبية !.

وفي البلاد النامية مثل بلدنا حيث مازالت تنتشر الامية ولا مفر من ان نعترف بذلك ، فان احتمالات قراءة الاعمال الادبية من جمهور كبير تظل احتمالات ضئيلة ، ولهذا فان مستقبل الادب كسلعة رائجة يستطيع الاديب ان يضمن رزقا منها ــ مرتبط أشد الارتباط بجهود الدولة والمجتمع في محو الأمية ونشر الثقافة .. وعلى الدولة والمجتمع خدمة الادب عن طريق ترغيب الجمهور في القراءة ..

كما يجب التوسع في انشاء المكتبات العامة على مستوى الجمهورية حتى يستطيع من لا يمكنهم شراء الكتب ، وهم كثيرون ــ أن لا يحرموا من متعة اصبحت ضرورية في العصر الحديث .. ●

فى أصول ثقافتنا المعاصرة

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

● قضايانا الثقافية المعاصرة كثيرة متعددة ، والذين يناقشونها كثر عددا ، والذين يريدون ان يصلوا الى الحقيقة من وراء هذا النقاش قليل جدا ، بل وانذر من الكبريت الاحمر كما يقول المثل القديم ، ذلـــكم لأن الذين يخوضون معارك النقاش الثقافى هم فى الأغلب لايريدون الآن ينتصروا لموقفهم وحده ، لانه فى رأيهم هو الذى يجب أن يسود ، اما النظر الى الموقف الآخر والفكر الآخر ، والافادة من هذا وذاك ، فامر « بعيد » عن التصور ، بعيد عن الامكان ، وحينما كان القدماء ، وفى مطلعهم ارسطو ، يقولون : « من المناقشة ينبثق النور » ، اصبحنـــا نؤمن بان المناقشـــة يجب ان تكون انتصارا لموقف ، وخضوعا لفكر واحد لا غير ..

ومن البديهى ان قضايانا الثقافية كثيرة جدا وان الجدل حولها يتشعب الى كل واد ، وانه لم يعد الجـــدل يتجمع حول اصول ثابتـــة ، تضىء الطريق للباحثين والمتناظرين والمتجادلين

.. وقد اصبح النقاش ســـبيلا الى كثرة وجوه الخلاف ، وليس طريقا الى تجميع الآراء وتوحيد الفكر ، ولا رغبة فى التلاقى الفـــكرى بين طبقـــات المفكرين .

لقد اثيرت قضايا كثيرة حول الاصالة والمعاصرة وحول التراث واللغة ؛ وحول القديم والجديد ، وحول دعائم بنائنا الثقافى والفكرى ، وحول الشـــعر ومدارسه ..

وخاض المتجـــادلون فى لجى مـــن الجدل العقيم ، ولم يصلوا بعـــد الى شىء .. لان هـــؤلاء المتجادلين اما ان يكونوا خاضعين لايديولوجيات معينـــة لا يريدون الا ان ينتصروا لموقفها وحده ، واما ان يكونو جاهلين باصول القضايا التى يتحدثون عنها ، واما ان يكونوا متجاهلين الاصول التى يجب عليهم الا يتخلوا عنها .

فى قضية مثل اللغة : نجد بيننا من يدعو الى الفصحى الاصيلة ، ومن يدعو الى فصحى مبسطة ، ومن يدعو الى العامية المتفاصحة ، ومن يدعو الـــى

● الأمم التي لا تراث لها لا ريب في أنها أمم قصيرة الباع في سلسلة تطورها الحضاري، ونحن نعلم أن تراثنا قامت عليه حضارة العالم خلال ألف سنة أو يزيد وعلى أصوله قامت الحضارة الأوروبية الحديثة..!

العامية الموغلة في البعد عن الاعراق العربية .. وكان من الممكن ان ينظر المتجادلون الى الشعوب الاوروبية التى تتمسك بلغاتها القومية، وترى فيها صمام امان، وداعى وحدة، ورباط تلاق بين مجتمعاتها، بل وعنوان شخصية مستقلة للأمة. وقد اخذت اسرائيل بعد قيامها تحيى اللغة العبرية القديمة، ولم يذهب احد هناك الى وجوب اصطناع احدى اللغات الاوروبية الحديثة لتكون لغة قومية لدولتهم.

وفي قضية التراث نرى بيننا من يزدرى تراثنا العربى القديم كله، ويدعو الى طرحه ونبذه في العراء، واصطناع تراث آخر مجلوب لنا من الخارج – مع ان تراث كل امة هو حياتها وروحها وعنوان وجودها، ودليل شخصيتها، وهو المنجم الحضارى الذى تستمد منه الامم اصول بقائها وتطورها وازدهارها الفكرى..

والأمم التى لا تراث لها لا ريب في انها امم قصيرة الباع في سلسلة تطورها الحضارى، ونحن نعلم ان تراثنا الحضارى قامت عليه حضارة العالم خلال الف عام أو يزيد وعلى اصوله قامت الحضارة الاوروبية الحديثة.

هذا فضلا عن خلافاتنا الكثيرة حول قضايا الأصالة والمعاصرة، حتى لم يعد احد يعرف حدود الاصالة، ولا التزامات المعاصرة، ولا مدى الخطوات التى يجب ان نخطوها هنا او هناك.. ودع عنك قضية القديم والجديد فما اكثر ما قيل فيها، وما اقل من قالوا كلمة الانصاف وحدها.

ادب البحث والمناظرة..

وعندما نقرا ما قيل حول مدارس الشعر القديمة والجديدة يهولنا كثرة ما قيل، وقلة حياد القائلين في هذه القضية الخطيرة الكبيرة.

ومن الغريب ان القدماء من اسلافنا في جدلهم الفكرى قد اصطنعوا علما يدور حول امور النقاش والمناظرة والجدل، وسموه « ادب البحث والمناظرة »، وحددوا فيه الاصول الفكرية، التى يجب ان يعتصم بها المتناظرون ويلوذوا بها، ولا يحيدوا عنها.

***

وعندما ننظر الى شعرنا العربى، فنجد انه كان عموديا طيلة حياته التى تمتد اكثر من الف عام، وان كل التجديدات التى دخلت عليه في جميع العصور .. كانت تلتزم بهذه العمودية، او تسير في اطارها، وان هذا الشعر العربى الذى اصبح صورة فكر وتراث وحضارة وامة، قد جاءنا اليوم من يدعون الى التخلى عن هذه العمودية كليا، لنسير على نظام التفعيلة وحدها، ولنبعد بالشعر عن اصوله العمودية، وعن موسيقاه الشعرية كذلك، بل من يدعون الى تحطيم هذه العمودية، ونبذ جميع شعرائها في القديم والحديث، والنظر اليهم على انهم متخلفون، لا يصح ان نسير على منوالهم.

.. لا شك اننا حيال ذلك نصاب بدوار شديد لان الجديد مهما كان جديدا ، ومهما كان اصيلا وغير مستورد ولا مجلوب من الخارج ، لا يمكن ان يكون هدما للقديم ، ولا احتقارا ، ونبذا له ، وكان من الاولى ان يصطلح هذا الجديد على التعاون مع القديم في الرقي بالأذواق ، وعلى العمل من اجل ازدهار النهضة الشعرية ، وخلق مجالات ومنافذ متعددة امام الشعر والشعراء. وكما ابتكر الأندلسيون نظام الموشحة ولم يقولوا ان هذه الموشحة الغاء كامل للقصيدة العمودية ، كنا نحب ان يقول شعراء القصيدة الحرة : ان هذه القصيدة وجه من وجوه التجديد ولا يمكن أن تكون الغاء تاما للقصيدة العمودية .

وليس وجود شعراء يكتبون شعرهم على التفعيلة الواحدة معناه الغاء الشعر العمودي كله ، قديمه وحديثه، ونبذ هذا الشعر وتسفيه شعرائه ، ورميهم بالقصور والتخلف .

تلك قضية من قضايانا الفكرية التي **لا يريد احد** من دعاة التجديد أن يلتزم بكلمة انصاف حولها ، واذا كان هناك في أوروبا دعاة او ثائرون على الشعر الكلاسيكي ، فليس معنى ذلك أن الكثرة **الغالبة قد** تخلت عنه الى الأبد، واذا كان **بعض** النقاد الأوروبيين يكتب من رومانسية الكلاسيكيين وكلاسيكية الرومانسيين ويعترف ببقاء الكلاسيكية وتطورها ، وبالأصول الكلاسيكية في مذهب الرومانسيين – أفلا يكون ذلك دليلا واضحا على أنهم لا يريدون التخلي من التراث الكلاسيكي في الشعر الاوروبي .

وفي الغرب يعترفون بان دعاة تحطيم هذه الاصول التراثية في الشعر ، هم قلة قليلة جدا من الناس ، وهذه القلة تستورد دعواتها من اجل التحطيم من الفكر الماركسي المناهض لفكر التراثية ، ولو كانت هذه التراثية في الشعر مثلا ..

القضايا المثارة والمثيرة ..

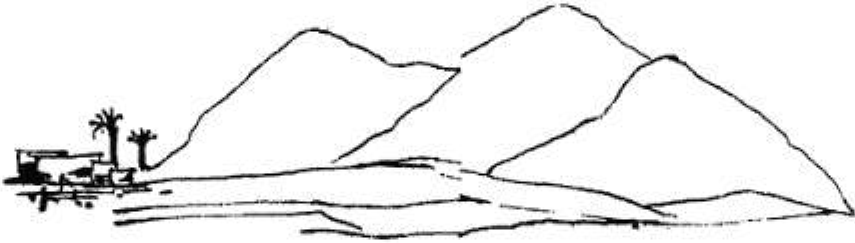
هذه نماذج من الدعوات الجديدة التي تتصل باصول ثقافتنا المعاصرة ، ودع عنك قضية القومية وقضية الدين مثلا ، وما يثيره أنصار الجديد حولهما مما لا يمكن ان يخطر على بال ، ولا ان يكون مجالا لتصور المتصورين ، ولا لجدل المتجادلين .

واحب ان اقول في صدق وبساطة ووضوح ان هذه الخلافات المثيرة لم تعد طريقا من طرق التجديد ، ولم تصبح امرا ممكن التحمل والتصور الفكري ، لان اصول المناظرة حول القضايا الاصلية – التي تثير كل هذا الجدل والخلافات – غير موجودة ، او غير منظور اليها على الاطلاق .

بل والاخطر من ذلك ان تصبح الكلمة التي نستعملها في حياتنا غير ملتزمة باية قيمة واقعية او مثالية ، وفي هذا صارت الكلمة هي واجهة اعلامية لكل امور حياتنا المعاصرة، وقد يكون غلبة عنصر الاعلام على كل مجالات النشاط الفكري المعاصر في حضارة اليوم هو سبب ذلك كله ، مما يجعلنا نعيش على أفكار السوفسطائيين ، ونعود الى الجلوس على موائدهم .

وفي عام ١٩٣٦ اعلنت الدولة عن جوائز لاحسن بحث من اسباب النجاح في العصر الحاضر ، وكانت الجائزة لراي يقول ان اهم اسباب النجاح هي الدعاية او الاعلان ، وقد تكون منا ذلك التاريخ نسير مقيدين فكريا بقيود هذه النظرية الجديدة ، نظرية الاعلام، او قل : الاعلان ايضا .

لا علينا اذا قلنا ان اهم واجب فكري يجب ان يعمل من اجله المفكرون لدينا هو أن يبقى للكلمة شرفها وصدقها ومدلولها الحقيقي ، وان لا يغلب عليها عنصر الشعارات او الاعلام .. فذلك **هو دون ريب اهم أصل يمكن ان تقوم عليه ثقافتنا او قل حضارتنا الجديدة المقبلة . وعندما تعود الكلمة ميزانا صادقا واعيا للحقيقة وحدها سوف تقل وجوه الخلاف حول الكثير من القضايا الفكرية المثارة والمثيرة ايضا .** ●



الجبل

• سالم حقي •

حتى متى .. تتحمّل الآلام يا جبَـل الصمود ؟!
الرّيح تصرخ والعواصف والصّواعق والرعود ؟
وبصدرك العريان .. تُعمل غيتَه يد الجحود
وأراكَ ... جبّار الإرادة .. لا تلين .. ولا تميد !

•••

حتام تهزأ بالليالي المثولات .. وبالرياح ؟
تجتاح ما زرعت يداك ... وأطلعته يد الصباح
وتعود تبذر حبّك المقهور .. في كلّ البطاح
ليضوعَ في الآفاق .. ريحانا .. وطيبا .. وأقاح !

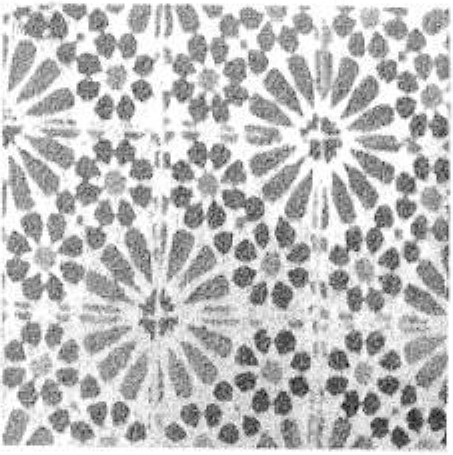
•••

السّفح .. تحت خطاك .. تسكنه الأفاعي والذئاب
تعوي .. تفح .. تنوش لحمك بالأسنة والحراب
وأراكَ .. مشدودَ البناء .. يهيم رأسك في السحاب !
أوّاه ! .. يا جبَل الفجيعة والعذاب .. والاغتراب !

•••

حتّامَ تصبر .. لا تلين .. ولا تضج .. ولا تثور ؟!
شمشون .. في ألق البصيرة .. دكّ معبده الكبير
حطّم قيودك .. وانطلق من أسر هاتيك الجحور ..
إني أراكَ خلقتَ ترتاد الذرا ... بينَ النسور !

أديبات مصريات معاصرات



● اماني فريد ●

● الادب ظاهرة اتسم بها كل عصر من عصور نهضتنا ـ ولعل اروع هذه العصور هو عصرنا الحالي ، لما حفل به الأدب فيه من الوان كثيرة مختلفة منها القصص العلمية والشعر المسرحي ، والأدب النسائي وغير ذلك من فنون الأدب .

وبالنسبة لموضوع الادب النسائي فلقد تناوله كثير من الكتاب بالبحث والنقد ، بعضهم انكر وجوده اصلا .. وبعضهم اعترف به وشجع كتابات المراة وما قدمته من انتاج في الميادين الأدبية ..

ولكن الشيء الذي لا يحتمل قولين هو ان هناك في مصر فئة من الكاتبات والاديبات المصريات ظهرن فيما قبل الاربعينات وبعدها ، وفي فترة لاحقة لظهور الشاعرة عائشة التيمورية والأديبة ملك حفني ناصف « باحثة البادية » ..

ومن أديباتنا هؤلاء الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء » وهي ظاهـرة فريدة متميزة في حياتنا الادبية ، وان كانت « مي » قد سبقتها زمنيا الى ميدان الادب والكتابة في الصحف وخاصة في الأهرام ، فان مي لم تكن مصرية النشأة ، أما عائشة عبد الرحمن فقد ولدت فوق أرض مصر وترعرعت في أحضانها ، فنهلت الثقافة المصرية الخالصة وتأثرت ، وتشبثت بكل ما هو مصري الفكر والعادات والطباع ، وتبحرت في ميادين الشئون الاسلامية حتى أصبحت الكاتبة الاسلامية الأولى ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي أجمع

وعائشة عبد الرحمن كاتبة عصامية كونت نفسها بنفسها فقد درست لتحصل على شهادة الدراسة الثانوية أثناء عملها في التدريس في مدارس البنات ، ثم التحقت بعد ذلك بالجامعة المصرية في كلية الآداب حيث تخصصت في اللغة العربية وآدابها ـ وبعد تخرجها عملت في جريدة الاهرام بتشجيع من رئيس تحريرها في ذلك الوقت انطون الجميل الذي لمس فيها موهبة ومقدرة ادبية واتزانا ، وسعة اطلاع وتمكنا من اللغة العربية وآدابها والاسلام وشئونه ـ وقد



د . عائشة عبد الرحمن



أمينة السعيد



د . سهير القلماوي

التقت بالأديب الكبير الاستاذ أمين الخولي الذي تزوجته وتعاونا معا في الكتابة والبحث ، وقد أصدرت عدة كتب ومؤلفات من أشـهرها « بنـات النبى » ، واتجهت في السنوات الاخيرة للتدريس بجامعة المغرب حيث قدمت الكثير من البحوث والدراسات المستفيضة ·

***

أما الدكتورة سهير القلماوي فهي بحق في مقدمة رائدات الجيل من الاديبات والدارسات المتمكنات من أدبهن وأعمالهن ··

نشأت الدكتورة سهير القلماوي في بيت كريم وفي رعاية والدها «الأميرالاى» في الجيش ، ورغم أنها تلقت دراستها الثـانوية في الكلية الأمريكية الا أن طموحها الأدبي كان كبيرا ، فلما فتح الدكتـور طه حسين باب كلية الآداب لخريجي المدارس التي في مستوى المدارس الثانوية تقدمت سهير القلماوي بأوراقها اليها ، وقبل طلبها حتى لا يقال أن هنا تحيزا لمدرسة دون أخرى ·· وبدأت سهير تدرس اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب لتظهر نبوغـا وتفوقـا ثم لتتلمذ على الدكتور طه حسين وتصبح طالبته المفضلة والاثيرة ، وحقا لقـد لمس فيها النبوغ والمقدرة والأصالة فراح يشجعها لتحصـل على الليسـانس والماجستير ثم الدكتوراه ولتعمل أستاذة للأدب العربي في كلية الآداب ، ولتكون أول شابة مصرية تعمل في هذا المنصب ·

وللدكتورة سهير القلماوي مقالات وبحوث وكتب ودراسات كثيرة من أشهرها كتاب « حديث جدتي » الذي يعتبر عملا أدبيا واجتماعيا رائدا · والدكتـورة سهير التي حاضرت في كثير من المحافل والندوات الأدبية ، قد اتجهت أخيرا الى العمل السياسي وأصبحت عضوا في مجلس الشعب ، وهكذا أضافت أبعـادا سياسية الى أبعادها الأدبية ··

***

والدكتورة لطيفة الزيات صاحبة قصة « الباب المفتوح » والتي حـولت الى فيلم سينمائي فيما بعد ، من مواليد دمياط ، وتعمل أستاذة للأدب الانجليزي

في كلية بنات جامعة عين شمس ، كما انها رئيسة لهذا القسم أيضا ..

ولقد تلقت دراستها العالمة النهائية في انجلترا حيث حصلت على الدكتوراه وسافرت الى الخارج مرات حيث مثلت مصر في عدة مؤتمرات . كما انها عملت مديرة لاكاديمية الفنون في وقت من الاوقات ، ولها دراسات في النقد لها اهميتها نشرت في الجرائد كما نشرت لها قصص أيضا وبحوث ـ أما قصتها الباب المفتوح فانها تناولت فترة تاريخيــة معينة من حيـــاة مصر بين عامي ١٩٤٦ ـ ١٩٥٦ .

***

والأستاذة امينة السعيد الكاتبة والصحفية ، وصـاحبة القلم الذى يعبر عن آراء المرأة المصرية منذ سنوات وسنوات وحتى الآن فهى شعلة من العمل والكفاح والانتاج الأدبي ـ تخرجت في كلية آداب جامعة القاهرة عام ١٩٣١ ، واتجهت الى العمل في ميادين النشـاط النسـائي والصحفي ، فكانت عضوا في الاتحاد النسائي المصرى الذى كونته الرائدة هدى شعراوى ، ورأست تحـرير مجلة « المصرية » التى كان الاتحاد يصدرها ، وعملت في مجلات دار الهـلال كاتبة حتى رأست تحرير مجلة حواء النسائية ومن بعدها اصبحت رئيسة مجلس ادارة دار الهلال .

وفي أثناء هذه الرحلة المديدة كانت تغذى المجلات بالقصص والمقالات الأدبية واتجهت في السنوات الأخيرة الى القصص النفسية .

وتقول امينة السعيد ان اول قصة طويلة كتبتها كانت « الجامحة » ، وهي تعتز بها كثيرا لأنها تعبر عن مشاعر المرأة المصرية في بداية عهدها بالحرية .. كما ان قصتها « الثائرة الهادئة » من القصص المحببة الى نفسها لأنها تعد صفحة من تاريخ كفاح الزوجة الهادئة المشاركة عملا ووفاء وعونا لزوجهـا المناضل ..

وكما ظهرت اديبات مصريات في مجال القصة والكتابات الأدبية ، فقد ظهرت شاعرات مصريات أيضا لهن الكثير من الأعمال الجيدة .. وربما يقال ان المـرأة المصرية لم تصل الى درجة الكمال والتفوق في ميدان الشعر مثل الرجل المصرى شاعرا ، ولكن ذلك لا ينفي وجود شاعرات مجيدات مجتهدات ، منهن على سبيل المثال لا الحصر شاعرتان ظهرت اعمالهما في الاربعينات كباكورة لجهودهما ثم استمرت هذه الاعمال حتى يومنا هذا في النمو والازدهار ، ولابدأ بجليلـة رضا الشـاعرة التي ولدت بالاسكندرية من اب مصرى وام تركيـة وكانت ثالثة اختين ماتتا قبلها من حنان والديها ما نضب معه معين العطف عليها . وقد الحقت في بدء حياتها بمدرسة راهبات الراعي الصالح الفرنسية بالقاهرة في القسم الداخلى ، وتعلمت اللغة العربية بها ثم تزوجت قبل أن تكمل دراستها وتنقلت في انحاء الصعيد . واخذت تقرأ كثيرا وكثيرا ثم احست بميل جارف الى تأليف الاغاني العربية رغم عدم المامها في ذلك الوقت بعلم العروض ..

واخيرا استقر بها المطاف في حى شبرا بالقاهرة ، وتعرضت لمرض عابر . فالتقت بالمرحوم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي بعيادته في ذلك الحى وكان في أواخر اعوام حياته . وعرضت على ناجى ما نظمته من كلمات فهتف لها: هذا شعر !

ونصحها بدراسة علم العروض .. ولقد عرفها ناجي بالمرحوم الشاعر محمد الاسمر الذي تولاها برعايته ونشر قصائدها في صـــفحته الأدبية بجـــريدة الزمان المسائية ..

وبدأت من ثم تراسل معظم الصحف الأدبية في مصر والبلاد العربية ، ولقد الفت ونشرت ستة دواوين ومسرحية شعرية ، وهي عضو في لجنة الشــعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب وبالمجلس القومي واتحاد الكتاب .



د . لطيفة الزيات



جليلة رضا



عائشة التيمورية

وفي قصيدتها « الوداع » تقول :

اجل أهـــواك لـكني احب كــرامتي اكثر !
وأهوى البئر في الصحراء لا في القلب والجوهر
واعشق ضحكة الشبـاك لا تقطيبة الكــوه
واخلــع كل النعتي امام الكلمـة الحلــوه
وتحت النصل لو راعيت حق مشاعري - اعبر !

***

اما الشـــاعرة روحية القليني فقد تخرجت في كليــة الآداب في أوائل الاربعينات ، ثم اشتغلت بالتدريس في مدارس وزارة التربية والتعليم للبنات ، وعملت بالتدريس أيضا في العراق ، وانتهى بها المطاف مديرة لادارة التفرغ التي تقرر منح التفرغ للأدباء والفنانين .

وروحية القليني شاعرة مرهفـــة الحس ، ثائرة النفس ، اسهمت بشعرها في اهم المناسبات ، وألفت أكثر من ديوانين للشعر ومن أروع قصائدها تلك التي القتها في عيد الأم ، وكان من بين ما جاء فيها :

لو لم تكن ربي وسر هدايتي
لعبدت امي فهي نور حياتي
لكنني يا رب مؤمنة بمن ..
خلق الحياة وانزل الآيات !
خلق الامومة رحمة ومحبة ..
كالغيث منهلا عل الربـوات
اماه عفوا ان عجزت عن الوفا
قد جل حبك عن مدى كلماتي !

واذا كنت قد اقتصرت على ذكر هؤلاء الاديبات المصريات ، فان هناك غيرهن ، لهن اجتهادات كبيرة في ميادين التاليف والترجمة كالقصاصة صوفي عبد الله التي بدأت حياتها الأدبية بنقل القصص من الانجليزية الى العربية . ثم هناك الكاتبة القصصية اللامعة جاذبية صدقي ، والكاتبة الصحفية القصاصة سعاد حلمي ، وغيرهن لهن آثار واضحة في مضمار الأدب النسائي في مصر .

من شعراء عصر الجبرتى

● محمد قنديل البقل ●

● لم يكن عصر الجبرتي على اظلامه واعوازه وافتقاره الى الفصحى لغة سائدة خاليا من ومضات أدبية فيها ابداع وفيها افتنان وفيها سمو .. ولو شئنا ان نصف هذا العصر لوصفناه بانه لم يكن عصر الكثرة الواعية، بل عصر القلة القائلة.. اعني انه لم يكن الأدب يظل بمظلته جموعا كبيرة، بل كان عصر فلتات ادبية لا يكاد يجتمع فيه شاعران فى ميدان واحد الا فى القليل ، غير انه عودنا انه ما يكاد يمضى شاعر او اديب الا وجاء فى اثره شاعر او اديب ..

وشعراء هذا العصر جملة قالوا فأكثروا وشاركوا فى أبواب الشعر كلها ، وكان أكثر ما قالوه يتصف بالمحاكاة والتقليد ، لم يتركوا شيئا لمن قبلهم الا حاكوه ونسجوا على منواله ، وهم ـ على الرغم من هذه المحاكاة ـ كان منهم المبدع حقا والبليغ صدقا الذى يشدك الى قوله شدا ، لا تكاد تحس معه أثر المحاكاة ولا صفة التقليد ..

وفي هذا العرض الذى أسوق فيه بعضا من شعراء تلك الحقبة وأدبائها ـ ضمنا ذلك نماذج مختلفة من أقوالهم فى أغراضهم المختلفة ـ سوف ترى معى أن هذا العصر ـ عصر الجبرتى ـ على تخلفه فى الميادين الثقافية لم يخل من أدب مقروء وشعر مرموق فى أغراض لها حظ من الجد والمكانة الطيبة .

الشيخ احمد الدلنجاوى

مع أوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، ظفرت مصر بأديب شاعر هو الشيخ أحمد الدلنجاوى شاعر وقته .. ويقول الجبرتى عنه انه خلف ديوانا من الشعر فى مجلد ، غير أن الجبرتى لم يذكر كم كان حجم هذا المجلد الذى فقد فيما فقد ..

وحسبنا عن شاعرنا هذا ما أثبته له الجبرتى من نماذج مختلفة ، هى على قلتها تكاد تصور لك منزلة هذا الشاعر فى شعره ، وسوف ترى معى أنه ملك ناصية القول ، وأنه اذا قيس شعره بشعراء عصر سبقه أو لحقه ، لما تخلف عنهم ، بل كان صاحب السبق فى حلبتهم .

شعراء عصر الجبرتي جملة قالوا فأكثروا، وشاركوا في أبواب الشعر كلها، فكان منهم المبدع حقًا، والبليغ صدقًا الذي يشدك إلى قوله شدًا، لا تكاد تحس معه أثر المحاكاة ولا صفة التقليد

اقرأ له معي قوله :

قمر يغص وشـــــاته　　　برضـــا ومغرمه بسخط
عاتبتـــــه بتلطـــف　　　وســـألته حكما بضبط
فاجابني وهـــو الـــذي　　　طـرف الهـداية ، يخطي
لســـت الامام وانمـــا　　　انا قاسـم ، والله معطي !

وكما قلت لك أن شعراء هذا العصر ـ عصر الجبرتي ـ كان من شأنهم التأثر بشعر غيرهم ينسجون على منواله أو يخمسونه ، أو يربعونه ، كذلك كان شأن شاعرنا هذا أحمد الدلنجاوي ، فهو يقول مخمسا لقصـــيدة ابن منجك ، وهو منجك بن محمـــد بن منجـك بن أبي بكر بن عبد القادر حفيـــد منجك الكبير اليوسفي ، وكان من أكبر شعراء عصره (١٠٠٧ هـ ـ ١٠٨٠ هـ) أي من شعراء القرن الحادي عشر ، وكان دمشقي المولد والنشأة ، وله ديوان شعر مطبوع .

يقول أحمد الدلنجاوي في ذلك التخميس :

جل من في هـــواه اســـهر طرفي　　　يا مليحا في حســـنه حار وصفي
كلما رمت صـــبوة لسـت اخفي　　　تشرق الشمس من يديك ومن فيـ
ـك الثريا والبدر من اشراقك !

يا مليكا بدولة الحســـــن طـرا　　　مشترى اللحظات باللحظ شـــطرا
وعجيب قـــوس الحـــواجب ادرى　　　اوليس العجيـــب كـــونك بـدرا
كاملا والمحاق من عشـــاقك

ففي الحق أن شاعرنا الدلنجاوي محسن في هذا التخميس مجيد رقيـق ، لا تكاد تحس مع هذا كله انه من شعراء تلك الحقبة المتخلفة !!

ولقد كانت وفاة شاعرنا هذا أحمد الدلنجاوي ، في الثاني والعشرين والمائة بعد الالف ، ولم تكن وفاته لتمر دون أن يؤرخ لها شاعر مثله ، هو المرحـــوم الشيخ الشبراوي ، فقال مؤرخا لوفاته :

سالت الشعر هل لك من صديق　　　وقد ســـكن الدلنجـــاوي لحده
فصـــاح وخر مغشـــيا عليه　　　واصبح ســـاكنا في القبر عنده
فقلت لمـن أراد الشـــعر الصر　　　فقد أرخت مات الشـــعر بعده !

الشيخ حسن البدري الحجازي

ومن بعد الدلنجاوي كان الشاعر البليغ الصـــالح العفيف حســـن البدري الحجازي ، كان متمكنا في فن الشعر ، متمكنا في فن النقد ... ويبـــدو أنه عاصر الدلنجـــاوي ، وان كانت وفاته قد تخلفت عنه قليلا ، فلقد كانت وفاة الشيخ حسن البدري سنة احدى وثلاثين ومائة والف .

يقول عنه الجبرتي انه كان عالما فصيحا مفوها ، متكلما ، ناقدا لأهل عصره وأبناء مصره .

كما يقول عنه : سمعت من الشيخ الوالد : قال رأيته ملازما لقراءة الكتب الستة تحت الدكة ـ يعني دكة الأزهر ـ مبتعدا عن مخالطة الناس معتكفا على شأنه قانعا بحاله .

ويصف الجبرتي شعره فيقول : وله في الشعر طريقة بديعة وسليقة منيعة وقلما تجد في نظمه حشوا او تكملة ..

ولى الحق ان تصفح تلك النماذج التى أوردها له الجبرتي لتدلنا على مكانة هذا الشاعر من الشعر ، وحسبه أرجوزته في التصوف التى بلغت الفا وخمسمائة بيت، والتى الفها على نمط «الصادح والباغم» للشريف نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى المعروف بابن الهبارية الهاشمي العباسى البغدادى والمتوفى بكرمان سنة اربع وخمسمائة من الهجرة ، ومنظومته هذه ، أعنى الصادح والباغم ، فى الفى بيت على أسلوب « كليلة ودمنة » .

واولها :

الحمد لله الذى حباني ـ بالأصغرين : القلب واللسان ...

ويقال انه مكث فى نظمها عشر سنين .

هذه المنظومة ـ منظومة الصادح والباغم ـ التى لها قدرها وشهرتها وتمكن قائلها ، رجز على مثلها شاعرنا الشيخ حسن البدرى الحجازى ، وهو وان لم يبلغ فى منظومته الفى بيت ، فقد قارب أن يبلغه ، وحسبه أنه أتم منهـا الفا وخمسمائة بيت ، وانه ضمنها امثالا كثيرة ونوادر وحكايات، كما فعل صاحب الصادح والباغم .

وغير هذا مما يدلنا على قدرة شاعرنا الشيخ حسن البدرى الحجازى ما ترك لنا من ديوان شعر مرتب على حروف المعجم ، ويبدو أنه ديوان كبير فقد اختار له الجبرتي منه جملة صالحة .

ولقد سمى ديوانه هذا باسمين ، الاسم الأول : تنبيه الافكار للنافع والضار، والاسم الثانى : اجماع الاياس من الوثوق بالناس .. ولقد كان فى ديوانه هذا كما يملى العنوان ذا نزعة تصوفية، ويبدو أن التصوف كان الروح الغالبة على شاعرنا ، فكما كان التصوف هو الملى عليه فى محاكاته « الصادح والباغم » كذلك كان التصوف هذا هو الملى عليه فى ديوانه هذا ، كما ينطق بذلك العنوان .

ولقد كان لحسن البدرى الحجازى غير هذا مزدوجة سماها « الدرة السنية، فى الاشكال المنطقية » ، كما نظم رسالة « الوضع » للعلامة العضـد ، وكما نظم «لقطة العجلان» فى تعريف النقيضين والضدين والمثلين وفى حكم المضارع صحيحا كان أو معتلا ورموز الجامع الصغير ، ولسنا ندرى اذا كانت هذه المنظومات العلمية قد ضمنها حسن البدرى ديوانه ، أم لا ؟ ولكنه لا يفوتنا ان نشير الى أن هذه المنظومات العلمية كانت امتدادا لمثيلاتها فى عصور سبقت .

ويقول الجبرتي وهو يصف ديوانه :

وختم ديوانه بأراجيز بديعة ضمنها نصائح ونوادر وأمثالا واستغاثات وتوسلات للقبول موصلات .

والآن نسوق نماذج من شعر الشيخ حسن البدرى الحجازى ، مما أورده الجبرتي لتعرف كم كانت روح التصوف والوعظ والارشاد تغلب على شاعرنا ، يقول :

كن جار كلب وجار الشر اجتنب ... ولو اخا لك من ام يرى واب
ما جار كلب شكا يوما بوائقه ... اذا شكا غيره من وصمة الوصب
وجانب الدار ان ضاقت مرافقها ... والمرأة السوء لو معروفة النسب

الى أن يقول :

واحذر سراجا ضعيف الضوء ترقبه ... فانه الغمة العظمى لمرتقب !

ويختم هذه البائية بهذه الأبيات :

الهنا يا غيـاث المستغيث ويا | معطى الجزيل ويا منجى من الكـرب
احسـن الى حسـن البدرى بمغفرة | واعطه الأمن يوم الضيق والرهب
وصل رب وسلم ما همت سحب | على نبيك خير العجم والعـرب
والآل والصحب ما دامت ماثرهم | والتابعين باحسـان وكل نبى

وعلى الرغم من النزعة الصوفية التى كانت غالبة على شاعرنا فقد كان شديد الحذر من مدعى التصوف المتظاهرين به .

ويلفتنا فى شعر هذا الشاعر انه كان برما بالاقارب ، فنقرا له يقول :

حـذار حـذار من قـرب الاقارب | فهم صـل الأفاعى والعقـارب
اناس ان تعبـت فيسـتريحوا | وتعلـوهم لراحتـك المتاعب !
غنيا ان تكن حسـدوا ... والا | فعنك تجنبـوا من كـل جانب !

كما كان ضائقا بالمرأة شبه ناقم عليها ، تقرأ له يقول :

اذا امـرأة يوما خطبت فلـم تجب | فدعها ولا ترجع لخطبتهـا العمـرا
فعسر ابتداء الشيء آية شـؤمه | وعزة نفس المـرء نعمته الكبرى !

تقرأ له فى التجنى على علماء عصره :

عن علمـاء عصرك لا تسـال | فـان احـوالهم ظـاهـرة
نفسـك من جانبهـم متلف | فى هـذه الدنيـا والآخـرة
قـوم اذا لاح لهم مطمـع | تسـارعوا كالاكلب العاقـرة
والعمـل الصـالح ما بينهم | همتهـم عن فعلـه فـاتـرة !
فجـانبـا خذ عنهم تسـترح | اذ قربهم صفقتك الخـاسرة !

وعلى أية حال فلقد قال الجبرتى ، ان هذا الشاعر كان ناقدا النقـد كله لمجتمعه الذى يعيش فيه ، برما به ، ضجرا منه ، وحسبك ان تقرا له ، سامحه الله :

ايهـا الآتى ضريحى | قف على قبرى ((شـوى))
واقـرا القـرآن منشـدى | يتنـزل الـروح علـى
كم قبـور زرت يا ذا | وانـا مثلـك حى !
ثم مـا رب اليهـم | بعـد ذا رب الى ...
فتهيـا لرحيـل | واطـو آمـالـك طى !

ثم هو يقول واعظا تملى عليه تلك الروح التصوفية :

لا تغـرنك حيـاة | انمـا الدنيـا كفى

(ـ اى كفىء وهو الظل) ...

اين فرعـون وعـاد | ايـن نمـروذ العتى
ايـن كسرى ايـن قيصر | ايـن شـداد وطى
والنـاس شـاكلوهم | فى غـرور ما وغى !

(ـ اى كفىء وهو الظل) ..

فتنبـه وتـدبـر | واتعـظ مـن ذا اخى !

ولعل فيما سقناه من شـعر الدلنجاوى والبدرى الحجازى ما يكشف لنا شيئا عن أن الشـعر فى عصر الجبرتى كـان ملحوظا مرموقا ، وكان من ورائه شعراء ملحوظون مرموقون .

قصة

الشيطان

جي دي موباسان

• ترجمة : يوسف الشاروني •

كان الطبيب والفلاح يقفان وجها لوجه ، بينما كانت ام الفلاح العجوز الراقدة فى الفراش ، وهى تحتضر ، تنظر الى الرجلين وتستمع الى النقاش الدائر بينهما .. كانت هادئة منتبهة ، صبورا ، كانت تعلم أنهـا مقبلة على الموت لكنها كانت تتقبل هذه الحقيقة ، كانت فى الثانية والتسعين وتعلم ان دورها قد انتهى ..

كانت شمس يوليو تتدفق من خلال الباب والنوافذ المفتوحة ، واشعتها المشتعلة تنسكب على الأرض الترابية البنية غير المستوية .. وكانت حبات الهواء الساخنة تحمل معها روائح الحقول : روائح العشب والقمح والأوراق التى تحرقها حرارة الظهيرة الشديدة ، وكانت الجنادب ترفع صوتها الحاد المبحوح ، حتى ان ضاحية القرية كلها امتلأت بأصواتها المتلاحقة التى لا تشبه فى شىء ذلك الصوت الذى تحدثه الصراصير الخشبية التى يشترونها للاطفال من الأسواق ...

واخذ صوت الطبيب يحتد قائلا : انك لا تستطيع يا أونورى ان تترك امك وحدها فى مثل هذا الظرف ، فقد تموت فى أية لحظة !

فأجاب أونورى مغموما : على أية حال يجب أن أذهب الى قمحى ، فهو متروك على الأرض منذ زمن طويل ، والجو ملائم .. ما رأيك يا أماه ؟

ورغم أن المرأة العجوز كانت على حافة الموت ، الا أنها كانت لا تزال تحتفظ بشدة ببخلها النورماندى ، فأحنت رأسها فى سكون موافقة ، فابنها لابد أن يذهب لجمع حنطته حتى لو ماتت وحدها !

فضرب الطبيب قدمه بضجر وقال : انى أخبرك انك متوحش . ولا أسمح لك أن تفعل شيئا من هـذا القبيل ، ولتفهم هذا . فاذا كان لزاما عليك أن تجمع قمحك اليوم فعليك أن ترسل الى المرأة « رابيه » وتدعها تقوم على خدمة امك . اننى أصر على هذا ، واذا لم تنفذ ما آمرك به فسأدعك تموت كالكلب حين يأتى دورك . تذكر هذا .

كانت الأم « رابيه » امرأة عجوزا تتعيش من الكى ، وكانت كذلك تقوم على خدمة المحتضرين فى الأبرشية وما جاورها ، وتعنى بالجثث بعد الوفاة . وفى اللحظة التى تنتهى فيها من الكى للزبائن تبدأ تكوى لنفسها ، وكان وجهها مجعدا كأنه تفاحة آخر السنة ، كانت حقودا حسودا وشحيحة الى حد يكاد الا يكون انسانيا . وكان انحناؤها مضاعفا كأنما حطمت ظهرها بتحريكها المستديم للمكواة الى الخلف والى الأمام على الأثواب الكتانية ، وكأنما كانت تضمر لفراش الموت عاطفة مريضة قبيحة . وكانت كل أحاديثها تدور حول الأشخاص الذين رأتهم يموتون وحول أحوال الموت المختلفة التى شاهدتها . وكانت تقص هذه الأحاديث بتفاصيلها الدقيقة وبغير أن تغير منها حرفا واحدا فى دقة الرامى الذى يصف كل رمية .

وعندما دخل أونورى منزلها وجدها تمزج اللدين الأزرق فى مرجل لصبغ قبعات فتيات القرية . فحياها قائلا :

ـ كيف حالتك أيتها الأم رابيه . هل كل شىء على ما يرام ؟

فاجابت وهى تلتفت نحوه :

ـ نعم ، نعم . وكيف حالك أنت ؟

فاجاب : آه ، اننى بخير ، لكن أمى هى التى ليست على ما يرام .

ـ أمك ؟

ـ نعم أمى .

ـ ماذا بها ؟

ـ انها ستموت .

فاخرجت العجـــوز القبيحة يديها من الماء ، وانحـــدرت القطرات الزرقاء حتى أطراف أصابعها ثم سقطت مرة أخرى فى المرجل . ثم صاحت باهتمام مفاجىء :

ـ هل هى فى حالة سيئة الى هـــذا الحد ؟

ـ يقول الطبيب انها لن تعيش حتى بعد الظهر .

ـ اذن لابد وأنها ماتت .

ـ كم تأخذين من أجل العناية بهـا حتى النهاية ؟ ان حالتنا غير ميسورة كما تعرفين وليس عندى ما أدفعه لامرأة تقوم بالعمل ، وهذا هو ما أودى بحياة أمى ، أمى المسكينة .

فاجابت الأم « رابيه » بتجهم : اننى آخذ نوعين من الأجر . فآخذ من الأغنياء فرنكين فى النهـــار وثلاثة فرنكات فى الليل ، أما الفقراء فيدفعون فرنكا فى النهار وفرنكين فى الليل وسآخذ منك الأجر الأخير .

ـ كلا . اننى افضل أن نتفق على أجر محدد للمهمة كلها . وثمة مخاطرة فى الحالين . فالطبيب يقول انها ستموت سريعا ، فاذا صـــدق ذلك فهو خير لك بقدر ما هو شر لى . ومن ناحية أخرى ، اذا ظلت على قيد الحياة يوما آخر أو اكثر فهو خير لى بقدر ما هو شر لك .

فنظرت اليه الأم « رابيه » فى دهشة فلم يحدث قط ان عقدت اتفاقا كهـذا فى حالة من حالات المـوت . وترددت حين رأت المخاطرة الواضـحة وارتابت فى ان يكون هناك خدعة ، فاجابت :

ـ لا أستطيع ان اقرر حتى أشـاهد امك .

ـ تعال اذن وشاهدها .

فجففت يديها وخرجت تتبعه . وفى الطريق الى منزل أونورى كانا صامتين . وكانت هى تندفع بسرعة ، بينمـا هو يطيل خطـــواته كأنما عليه ان يعبر بالوعة فى كل خطوة ، وكانت الأبقـار نائمة فى الحقول وقد أرهقتها الحرارة وعندما كان العجـــوز والفلاح يمران بالماشـــية كانت ترفع رءوســها ثم تخفضها فى لطف كأنما تطلب عشـبا جديدا ، وعندما اقتربا من هدفيهمـــا غمغم أونورى :

ـ افرضى أنها قد ماتت الآن ؟

وكان واضحا فى نغمة صـــوته ان رغبته اللاشعورية تود لو أن يكون هذا هو ما حدث . لكن المرأة العجوز لم تكن قد ماتت على أية حال . كانت نائمة فى سريرها على ظهرها ويداها موضـــوعتان على اللحاف الارجوانى المصـــنوع من الشيت المخطط . كانتا ضـــامرتين الى درجة دميمة ، وقد ضاعف تجعيـدهما مرض الروماتيزم والعمل المتزايد والمهام التى لا تنقطع مدى قرن تقريبا ، وكانتا تذكران الانسان بالحيـــوانات الخبيثة كالسرطان .

وذهبت الأم « رابيـه » الى السرير والقت نظرة مدققة على المرأة المحتضرة وفحصـت نبضـها ، ومرت بيدها على صدرها واستمعت الى تنفسها ، وسالتها بضعة أسئلة كى تستمع الى صوتها . وبعد ما فحصتها مـرة أخـرى مدة طويلة خرجت يتبعها أونورى ، وكانت قد قررت ان المرأة العجوز لن تبقى حتى مجىء الليل .

وسال أونورى : ما رايك ؟

فاجابت الأم « رابيه » : انها ستبقى مدة يومين أو ربما ثلاثة أيام . سآخذ ستة فرنكات للمهمة كلها .

فصاح : ستة فرنكات ؟ هـل أنت معتوهة ؟ اننى اعدك انها لن تعيش اكثر من خمس ساعات أو ست ســـاعات ولن تبقى دقيقة بعد ذلك .

واحتدم الخلاف بين الجانبين بشدة وهددت الممرضة بان تتركه . وعنـدما وجد أن الوقت يمضى والقمح لا يمكن أن يجمع نفسه بدونه ، قبل شروطهـا .

فقال لها : حسنا ، ستأخذين ستة فرنكات للمهمة كلها . نعم ستة فرنكات
وسار بخطوات متسعة نحو حقله ، حيث كان القمح الناضج ، وعادت الأم « رابيه » الى منزل أونورى وكانت قد جلبت معها بعض ما تعمل فيه . فقد كانت دائما تعمل بجانب فراش الميت او المحتضر ، لنفسها احيانا واحيانا لأسرة المريض اذا كانت تدفع لها أجرا زائدا للعمل المضاعف . وفجأة خاطبت المرأة المحتضرة قائلة :

ـ بالطبع أنت أديت الطقوس الدينية يا مدام بونتم ؟

فهزت مدام بونتم رأسها . وكانت الأم «رابيه» متدينة جدا فقامت بنشاط وقالت :

ـ يا الهي . هل هذا ممكن ؟ سأذهب لاحضار القس .

واندفعت توا الى منزل الكاهن وهي تجري بسرعة حتى أن صبيان القرية الذين كانوا في الميدان حسبوا أن ثمة أمرا خطيرا قد حدث . وجاء القس في الحال . وسار أمامه صبي من الجوقة يدق ناقوسا لاعلان مجيء الضيف ، وكانت الأرض تنوء تحت الشمس المحرقة ونزع بعض الرجال الذين كانوا يعملون على بعد قليل قبعاتهم المتسعة الأطراف وانتظروا حتى غابت عباءة القس البيضاء خلف احدى المزارع . وانتصبت النساء اللاتي كن يحملن حزم القمح ورسمن علامة الصليب . ورفرف بعض الدجاج الذي أزعجه مرور الموكب حتى وجد ثغرة يعرفها جيدا في السور فاختفى من خلالها . وانزعج مهر كان مربوطا في مرعى واخذ يجري دائرا حول نهاية وتده وهو يضرب بقدميه . وكان صبي الجوقة يعدو ببطء في عباءته الحمراء ، وكان القس يتبعه وهو يغمغم بالصلوات مصوبا عينيه نحو الأرض . والأم « رابيه » في المؤخرة منحنية في شدة كأنما تسجد ، وقد تشابكت يداها كأنما هي في الكنيسة .

ولمحهم أونوري من بعيد فسأل : اين يذهب قسيسنا ؟

فأجاب عامله الذى كان أكثر ذكاء منه :

ـ انه بالطبع ذاهب ليقوم بالطقوس الدينية لوالدتك .

ـ كفى حديثا عن هذا الموضوع .

ثم مضى الى عمله .

واعترفت الأم بونتم ، وتقبلت الغفران وتناولت القربان وغادر القس المنزل تاركا المرأتين وحدهما في الكوخ الخانق . واخذت الأم « رابيه » تنشغل بالمريضة وهي لا تدري متى ستموت .

وكانت الأم بونتم راقدة بلا حراك ، وعيناها مفتوحتان كأنما تنتظر بلا اكتراث موتها المؤكد رغم بطئه . وكان بلعومها مضغوطا قليلا وأنفاسها تدخل وتخرج مصحوبة بصوت قصير خافت ، انها سرعان ما ستموت وينقص العالم امرأة ولن يحس بفقدها أحد .

وفي الغسق اقبل أونوري وعندما اقترب من الفراش وجد أمه لا تزال على قيد الحياة .

فسألها : كيف الحال ؟ تماما كما كان يفعل حين تكون متوعكة بعض الشيء . ثم أذن للأم « رابيه » بالخروج طالبا منها أن تأتي بلا ابطاء في تمام الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي والواقع أن المريضة قد عادت عند فجر النهار وكان أونوري يتناول قليلا من الحساء قبل ذهابه الى حقله . وكان قد أعد الحساء بنفسه . فسألته المريضة :

ـ هل ماتت امك ؟

فأجاب وفي عينيه بريق خافت : اذا كان هناك خبر اقوله لك فهو ان امي قد تحسنت . ثم خرج . فابتدأت الأم « رابيه » تتضايق ، واقتربت من المرأة المحتضرة التي بدت كأنها في نفس الحالة التي كانت عليها بالأمس غير مكترثة ولا متأثرة ، عيناها مفتوحتان ويداها معقودتان على اللحاف . وادركت الأم « رابيه » أن هذا الوضع لو استمر

فالمراة قد تظل يومين او اربعة ايام او ربما اسبوعا .

وتملك الخوف قلبها البخيل ، واحست بالغضب الهائل نحو ذلك الخبيث الذى خدعها ، ونحو تلك المرأة التي تأبى أن تموت ، ورغم هذا فقد استأنفت عملها ، لكنها ظلت تراقب وجه الام بونتم بنظرة ثابتة متسعة . وجاء اونورى للغداء وكان على وجهه تعبير مطمئن بل كاد يكون ساخرا . ثم عاد فخرج . ومما لاشك فيه انه كان يجمع قمحه فى ظروف فريدة .

وكانت الأم « رابيه » قد اخذت تفقد سيطرتها على أعصابها فكل دقيقة تمر تبدو لها كأنها زمن مسروق ونقود مسلوبة . كانت لديها رغبة جنونية فى ان تقبض على عنق هذا الشيء المتعب الراس العنيد العجوز . ضغطة واحدة وينتهى النفس القصير السريع الذى كان يسلبها وقتها ومالها ، لكنها رات ان هذه المحاولة خطرة ، وخطرت لها خطط اخرى فاقتربت من المراة المحتضرة وسألتها :

ـ هل رايت الشيطان ؟

فاجابت الأم بونتم : كلا .

فاخذت الممرضة تقص قصصا ترعب بها المراة المحتضرة الغبية ، فالشيطان يبدو دائما للمحتضرين قبل نهايتهم بدقائق قليلة ، وفى يده مكنسة ووعاء مثلث الارجل فوق راسه ، ويصرخ صرخات مرتفعة فاذا رايته فقد انتهى كل شيء .. ان امامك دقائق قليلة من الحياة !

ثم اخذت تسرد لها اسماء الاشخاص الذين تراءى لهم الشيطان ذلك العام : جوزفين، لوازيل ، ايلالى راتى ،صوفى باراجنو ، سيرافين جروسبيه . وكان لكل هذا اثره على الام بونتم . فاضطربت اعصابها واختلجت يداها ، وحاولت ان تحول راسها بحيث تستطيع ان ترى حتى الطرف البعيد من الغرفة .

وفجأة اختفت الأم «رابيه» خلف الستائر وعند طرف السرير واخذت من خزانة الملابس ملاءة لفتها حول نفسها ووضعت على راسها وعاء من اوعية الطهى له ثلاث أرجل قصيرة بدت تماما كأنها ثلاثة قرون ..

وامسكت فى يدها اليمنى مكنسة وفى اليد اليسرى سطلا من الصفيح رمت به فى الهواء ثم دعته يسقط محدثا دويا مزعجا . ثم صعدت فوق مقعد وازاحت الستائر واظهرت نفسها للمريضة ، وقامت بايماءات وصرخت صرخات حادة فى الوعاء الحديدى الذى يخفى وجهها ... ثم هزت مكنستها للفلاحة العجوز التى أصبحت الآن على وشك الموت ...

وفى رعب حاولت الام بونتم أن تقوم بمجهود فوق طاقة البشر لكى تفر من سريرها وتعدو ، وعلى وجهها تعبير انسان تملكه الخوف. وارادت أن ترفع كتفها وصدرها . لكنها ارتدت على ظهرها بتنهدات عميقة بعدما بذلت هذا الجهد ، وانتهى كل شيء ..

وفى هدوء تام وضعت الأم «الرابيه» كل شيء فى مكانه . فالمكنسة فى ركن الخزانة ، والملاءة فى الداخل ، ووعاء الطهى عند المدفأة ، والسطل الصفيحى على الارض ، والمقعد بجانب الحائط ثم بدات تقوم بالعمليات التى تتطلبها مهنتها . فاغلقت عينى المراة الميتة التسعتين ، ووضعت صحنا على السرير ثم ملأته من حوض الماء المقدس، ثم ركعت ، وبدات تردد فى حرارة صلوات الموتى . فقد كانت تحفظها عن ظهر قلب ، باعتبارها جزءا من تجارتها

وعندما عاد أونورى من الحصاد عند حلول الغسق ، وجد الأم «الرابيه» ساجدة، فاخذ يقوم بعمليات حسابية، لقد ظلت تقوم على خدمة امه ثلاثة ايام وليلة واحدة وهذا اجره خمسة فرنكات بينما هو قد اعطاها ستة . فقال منكرا :

لقد فقدت فرنكا اذن ... !

فى أغوار الكتب

المجوسى ..

● تأليف : جون فاولز ●

● ترجمة : محمد الحديدى ●

● العنوان هنا ترجمة حرفية للعنوان الانجليزى The Magus ولكن الحقيقة هى ان المقصود بالكلمة الانجليزية لا علاقة له بمذهب المجوس ،كائنة ما كانت الصلة الأصولية بينهما ، والمقصود هو « الساحر » Magician وواضح ان الكلمتين تشتركان فى جذر واحد ..

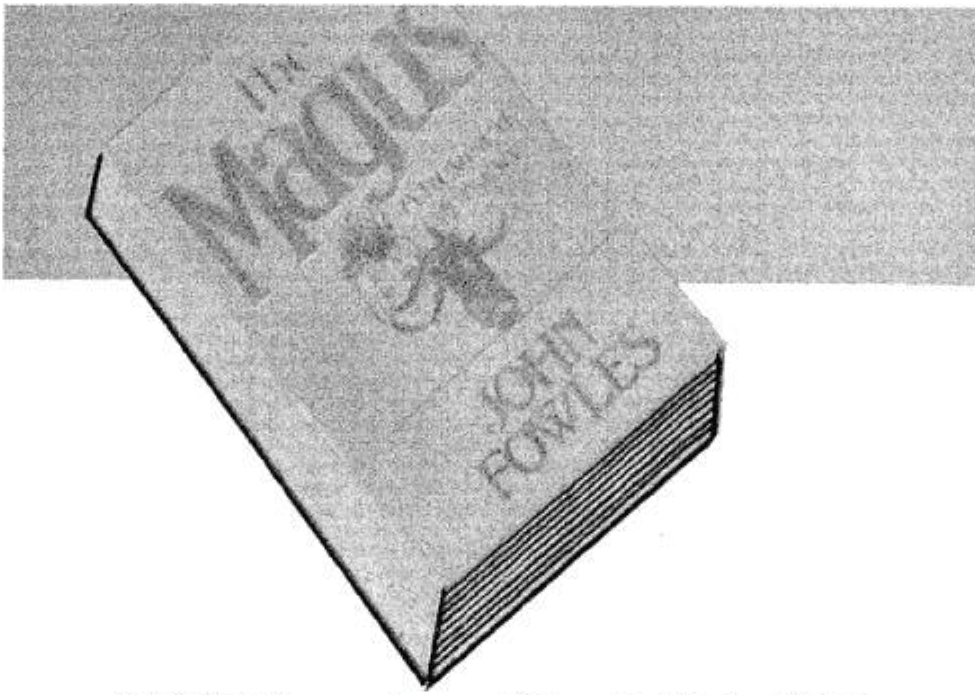
كما ان فى سياق هذه الرواية الرائعة الذائعة حوارا يأتى فيه ان نوعا من انواع ورق اللعب به ورقة تحمل هذا الاسم Magus ، بمعنى الساحر او الحاوى ، وان هناك ايضا نوعين من الزهور يرمزان لورقة اللعب هذه او يظهران عليها ، هما « روز » و « ليل » (بكسر اللامين) وهذان ايضا اسما فتاتين توأمين تلعبان دورا رئيسيا فى القصة ..

هذا العمل الروائى (٦٥٦ صفحة) كان أول ما حاول هذا الكاتب الانجليزى « جون فاولز » ان يكتبه ، وان كان فى سياق اشتغاله به اصدر رواية اخرى سماها « The collector » وهو عنوان تصعب ترجمته الى العربية ، بهدف من يهوى « الجمع » ، جمع التحف أو اى شىء آخر ، وهو هنا يهوى جمع الفراشات ، وتحنيطها ، ثم مد هوايته الى الفتيات ،اختطف واحدة منهن وحبسها الى أن ماتت ودفنها فى حديقته .. قصة تصف نزعة الشر عند الانسان وفى روايتنا هذه نجد هواية جمع الآدميين ايضا بطريقة مختلفة .

وقد تعرضت « المجوسى » للكثير من التبديل والتعديل ، واستمر هذا فترة لا تقل عن خمس عشرة سنة ، لأن المؤلف ، فيما يقول لنا ، وهو الآن من أشهر كتاب الرواية فى العالم الغربى ، « لم يكن يعرف الى أين هو ماض سواء فى الحياة أو فى هذا الكتاب » .

وبعد أن صدر الكتاب بسنوات طويلة عاد فكتبه من جديد ، وهذه هى الطبعة الجديدة . وهو يحكى أيضا أن القصة فى صورتها الاصلية ــ التى لم تظهر ــ كانت تحوى عنصرا خرافيا ، وكان يرمى بها الى أن تكون شيئاً مماثلا لقصة هنرى جيمس « دورة اللولب » ، ولكنه عدل عن ذلك ، وظهرت طبعتها الاولى سنة ١٩٦٥ خالية من الخرافة ، وكذلك طبعتها الحديثة المعدلة .

وجون فاولز مهتم بالادب العربى



ايضا (الى جانب كونه دارسا للغة والاداب الفرنسيه فى اكسفورد) - وهو يشرف على ترجمة اعمال نجيب محفوظ الى الانجليزية ، وزار مصر سنة ١٩٧٢ والقى محاضرة عن مستقبل الرواية • وهو الان قد تجاوز الخمسين بقليل ، وقد بدا حياته مدرسا للغة الانجليزية فى جزيرة صغيرة بارخبيل اليونان تسمى « سبتساى » • وكذلك بطل روايته هذه « نيكولاس ايرف » ، فهو مدرس لغة انجليزية فى جزيرة يونانية يسميها « فراكسوس » ،ومعناها باليونانية « الجزيرة المسورة »،وهو اسم له مغزاه ، فهى فى الرواية تصبح عالما مستقلا يسيطر عليه الطبيب المليونير الغامض « موريس كونشيس » اما اسم البطل : «ايرف» ، فهو مستمد من شيئين : كلمة « ايرث » ،بالانجليزية ومعناها « الارض » وهكذا كان ينطقها فى طفولته ، فيما يحكى لنا ، فالبطل هنا يمثل عالم الارض - والامر الثانى هو أن هناك مؤلفا فرنسيا اسمه « انوريه ديرفيه » يعجب المؤلف فهو يعطى اسمه لبطل قصته • والاحداث تدور فى قصر كونشيس المسمى « بورانى » ، وهى كلمة اليانية كانت فى وقتين مختلفين تعنى « الماء » و « الموت »

بداية الرحلة

الاعمال الروائية العظيمة يكون لها مستويان :مستوى الاحداث ،وهو الذى يجعل القارىء يستمر فى قراءتها مهما كان شكلها ولونها ، دون أن يعضن أن يقرا مقالا فيه خلاصة الجانب الفكرى فى الموضوع •• والمستوى الثانى هو هذا نفسه : الجانب الفكرى فى الموضوع •• وكل كاتب روائى عظيم لابد أن يكون له « فكر » ، وكل شاعر أيضا ، والبراعة هى أن يجعل الكاتب هذا يختفى وراء الثوب القصصى ، لا يراه الا من يستطيع أن يدرك أن هناك شيئا مختفيا ، أما القارىء الذى لا يهمه هذا فسيظل مستمتعا بتيار حدثى مشوق يخلب اللب ••

يقول لنا المؤلف أن التيار الفكرى هنا كان نتيجة لتأثره بآراء العالم النفسى الفرويدى كارل يونج •• ويظهر ذلك واضحا فى مرحلة متأخرة من هذه الرواية الضخمة ، وهى تبدأ بحديث البطل نيكولاس عن صباه وشبابه وتخرجه (هو ايضا) فى جامعة

اكسفورد ، وان لم يدرس الفرنسية)

ـ لم يستطع نيكولاس أن يجد عملا يرضيه كمدرس فى بلاده ، وكان طفلا وحيدا مات أبواه فى حادث طائرة ، وكان الأب جنرالا فى الجيش البريطانى) وقرأ أن المجلس البريطانى يطلب مدرسا للغة الانجليزية لمدرسة فى هذه الجزيرة اليونانيه المنعزلة فتقدم للوظيفة وحصل عليها .

وقبيل سفره بأيام تعرف فى لندن على فتاة استرالية تدعى « اليسون » ، فتاة متحررة الى حد بعيد ـ حتى هناك ـ اسرافا وتخطيا لكل الحدود ، تستمر علاقتهما اياما وتتعلق به الفتاة وتقول له : « ولكنك لا يمكن ان تفكر فى الزواج بى لانى من بنات المستعمرات ولانى ... » وتذكر كلمة قبيحة .

يفترقان وتلتحق هى بعمل مضيفة فى شركة طيران ـ وهو أمر منطقى ، فالمؤلف يريد لهما أن يتقابلا ذات يوم ـ اما هو فيتسلم عمله فى الجزيرة الصغيرة المنعزلة ـ كل هذا يأتى بعد فصل شيق فى العلاقة والعاطفة الانسانية يصلح قصة منفصلة .

المعميات ...

تبدأ المعميات او الالغاز او الغوامض حسب ما يحسن أن نسميها ،صباح احد ايام الاحد وهو يتجول فى بقعة على الشاطىء كان يحبها ،قريبة من بورانى .

خلع ملابسه واخذ يسبح ، ثم عاد الى الشاطىء وبدأ يتناول طعامه « كنت احدق الى أعلى ، متأملا قمم الاشجار الساخنة ، عندما انتابنى احساس باننى لست وحدى ، ان هناك من ينظر الى ، تأملت الاشجار فلم اجد شيئا .. اخذت اسير نحو السور ، وفجأة رأيت شيئا يلمع من بعيد ، احدى فردتى زعانف مطاط ، من النوع الذى يستخدم فى الغطس ، زرقاء ، اقتربت منها فرأيت الاخرى ، وكانت هناك منشفة تصدر عنها رائحة عطرية، وكتاب مختارات من الشعر الانجليزى به قصاصات وضعها القارىء او القارئة لتدل على صفحات او فقرات عليها علامات ، وكانت اول مقطوعة من ت . س . اليوت :

«سوف لا نكف ابدا عن الاستكشاف.
وستكون نهاية كل استكشافاتنا ..
ان نصل الى حيث بدأنا .
ونعرف هذا المكان لاول مرة »

كما كانت هناك ايضا علامة عند هذين البيتين من شعر و . هـ . اودين:

« كل فى فراشه الصغير يحلم بالجزر .
حيث الحب برىء ، بعيدا عن المدن »

ثم من شعر عزرا باوند :

« تعال ، والا سوف ينحسر المد النجمى
الى الشرق، لنتجنب ساعة انحداره
الآن ! ، احس ان ابرة ترتعد فى قلبى)».

ترك الاشياء مكانها ، وعاد الى جلسته واستغرق فى النوم ، وعندما صحا لم يجدها !.

وهنا نجد المؤلف يستغل زاوية الرؤية ببراعة عظمى ، فنحن لا نعرف الا سياق الامور كما يعرض للبطل الذى هو الراوى ، ولا نستطيع الا أن نحاول أن نتخيل ما كان يحدث على الجانب الاخر ، هناك من أتى ليأخذ هذه الاشياء ورآه بالطبع وهو نائم ..

اخيرا يقابل الرجل الغامض الذى يتصور نفسه شيئا فوق البشر ، وهو طبيب نفسى بحكم تعليمه وهوايته ، وتدور محادثات كثيرة منها مثلا :

ـ نعم ، لقد زرت أكوانا اخرى .

ـ زرتها بروحك أم بجسدك ؟.

ـ اذا استطعت أن تدلنى اين تنتهى الروح ويبدأ الجسد فعندئذ اجيبك عن هذا السؤال !

ـ متى جئت الى هذا المكان لاول مرة يا مستر كونشيس ؟.

هنا يضع المؤلف على لسان الرجل الذى لا يخطىء اجابة كنا نفضل لها أن تكون مثلا :

ـ سيأتى كل شىء فى حينه !.

ولكنه يقول :

ـ ايضايقك ان اطلب منك الا توجه لي اية اسئلة ؟.

يبدأ كونشيس حكاياته الطويلة عن ماضيه ، ومنها قصة غرامه بحبيبته التي ماتت وهي في السابعة عشرة من عمرها ، ويوحي لضيفه انه استحضر روحها وانها « تعيش » معه الآن ، ويعرفه بها ، ولكن نيكولاس ، والقارىء معه ، لا يصدق شيئا من ذلك ، وهو يصاحب الفتاة مدركا أنه برغم كل ما تتظاهر به نحوه،فان هناك «سيناريو» قد وضع له .. وذات يوم تتركه موغلة في غابة الصنوبر بينما يتجه هو الى البيت ، ويكاد يصعق عندما يراها في الشرفة ، عندئذ يكتشف ، وتكتشف معه ، ان لها توأما هي نسخة اخرى منها ، وهما «روز» و «ليلي» ..

بين النجوم

وبعد العشاء ، ذات ليلة ، يأتي موقف التنويم المغناطيسي ،وهو من أروع وامتع ما يقرأ : « كنت مدركا لكل شيء تماما .. وكانت النجمة التي طلب مني كونشيس أن اركز ابصاري عليها تبدو كما لو كانت تسبح في بحرها الصغير في السماء ، كشمس بيضاء صغيرة ، ثم اعتراني احساس غريب ، احسست انني لم اعد انظر الى أعلى ، بل الى اسفل ، في الفضاء ، كما ينظر المرء من فتحة بئر الى القاع .. لم تعد هناك « نفس » واضحة وثابتة ، هناك النجم ، لم يصبح اقرب مما كان في عزلة كتلك التي يأتي بها منظار مقرب يسبح في فراغ .. وكان لدي نفس الاحساس، انني أسبح في فراغ ، ارقب النجم ويرقبني ، كنا في مواجهة احدنا الآخر، بثقل متساو ، اذا كان لنا ان نزن الاحساس أو الادراك ، استمر هذا طويلا ، لا ادري كم من الوقت ، انا والنجم ، كل منا كيان معلق ، يخلو من كل معنى او احساس بالجمال او القابلية للموت ، او القداسة ، او



جون فاولز

الجيومترية الفيزيائية، مجرد الاحساس بالموقف » .

يمضي هذا عند تصفحات يرجع لها القارىء عدة مرات .. اعماق هائلة من الخيال وغوص في اعماق النفس ..

يصحو نيكولاس في الصباح ليجد نفسه في سريره في « بوراني » مرتديا ملابس نومه بينما ملابسه التي اجتاز بها موقف التنويم مطوية وموضوعة جانبا ، ما الذي حدث ؟ هل امروه أن يصعد لينام وهو تحت تأثير التنويم ؟ أم انهم حملوه الى الطابق العلوي وتولوا هذا بأنفسهم ؟ وهل كانت «روز» بينهم ؟ اسئلة لا نهاية لها لا يجد القارىء اجابة شافية عنها . ولكنه يظل يحلم بها .

وفجأة تصل صديقته اليسون ، ولكنه في غمرة اندفاعه في التعلق «بروز» يصارحها بانه لم تعد بينهما صلة .. وما هي الا ايام بعد سفرها الا ويأتيه خبر انتحارها بسبب الحب ، على هيئة رسائل من اصدقائهما وقصاصات من الصحف تنشر هذا الخبر .. لا يدري اذ ذاك أن كل هذا من تدبير الطائفة المتآله ، حتى عندما يتصل تليفونيا بالشركة التي تعمل بها ، فانه يقال له انها ماتت .. وهذه نقطة ضعف في القصة لم ينكرها المؤلف عندما سألته عنها ، فمن العسير حتى على كونشيس ان يدبر كل شيء الى هذا الحد . ونحن لا نعرف الا قرب النهاية انه حتى اليسون نفسها قد جندوها .

ثم تأتي مرحلة الاختطاف، تستدرجه « ليلى » الى موعد غرامي مع «روز» ومن هناك يختطف الى ظهر اليخت ، ومن هذا الى مؤتمر علمي يشترك فيه الجميع وتحلل فيه نفسيته ويرى شخوصا تمثل آلهة الوثنيين من قدماء المصريين الى اليونانيين والرومان، وأخيرا يطلق سراحه بعد أن فقد عمله بسبب تغيبه عن المدرسة في مرحلة الاختبارات.

يرجع الى لندن وقد فقد كل شيء ، ولكنه في طريقه اليها يعرف على الاقل ان « اليسون» لم تمت ، وبطريقة درامية ، شخص يتصل به تليفونيا ويطلب منه أن ينظر من نافذة غرفته في الفندق ، ويراها وهي تتجه ناحية سيارة !.

يدرك الى أي مدى خدعوه ، ويظل يتتبع خيطا بعد خيط في لندن الى أن يعثر على امرأة لا تقل غموضا عن كونشيس ، هذه ام التوامين ، وهي تنكر أولا انها تدري شيئا عن كل هذا فيتركها ويتوقف في الطريق في حانة حيث يسمع بالصدفة رجلين يتحادثان ويعرف منهما انها أم التوامين .

نظن أن هذه نقطة ضعف أخرى .. نجد هنا على اية حال موقفا بالغ التشويق ، هذه المرأة عرفته منذ أن رآته ، فهي عضو هام في هذا التنظيم العالمي !. وهي تقول له عندما يلومها على سلوك ابنتها معه : « لا تعرضنا لمقاييسك ، نحن اذكياء واغنياء وسوف نحيا حياة ذكية وغنية » .. تؤكد له انه سيرى حبيبته القديمة « اليسون »، ولكن ذلك سيكون عندما تقرر هي أن تصفح عنه !.

ويوم يرى « اليسون » فانه يراها في حديقة « ريجنت » ، مقابلة تشبه الصدفة ولكنها مدبرة بنفس القدر ، تنتهي بنفس الغموض والرغبة في استكشاف المجهول ، والمؤلف لا يعطينا الا هذين البيتين من قصيدة لاتينية « الذين لم يحبوا أبدا ، سيجدون الحب غدا ..

أما الذين احبوا ، فسيجدونه ايضا » ..

تعليق ..

منسوب لجون فاولز انه قال : «اي قصة ، مهما كانت مفرطة في الخيال ، يجب أن تكون ممكنة الحدوث ، فهل هذه القصة ممكنة الحدوث ، وهل لهذا ضرورة حقيقية ؟.

باستثناء قصص « العالم الآخر » ، وغيرها مما ينتسب صراحة الى عالم الخرافة ، من انسخاط البشر الى قردة وكلاب في الف ليلة وليلة ، او وطاويط في تاييس ، الى دراكيولا وفرانكنشتاين والقصص العلمي ــ يمكننا ان نقول حقا ان كل قصة يجب أن تكون ممكنة الحدوث او قابلة للحدوث ، او ليس فيها ما يستحيل قطعا حدوثه ، وان كانت بكل تاكيد لم تحدث بل ولن تحدث واذا حدثت منها قطعة فانها لا تأتي كلها معا وبهذا الترتيب ، وذلك حتى يمكن أن تكون مقنعة .

هل هذه كذلك ؟ .

اسطورة كونشيس هذه ، التي تصل الى حد أن كل شخص يتضح في النهاية انه كان متآمرا معه او مؤتمرا بامره ، حتى مكاتب البريد التي لا تجعل رسائل نيكولاس تصل الى العناوين التي تكتب عليها ، الخطف ! وكل هذا لا يصل الى علم الشرطة ، ولا احد يشكو احدا ..

نحن على جزيرة منعزلة ، والتاريخ مليء بالمتالهين (والمؤلف يذكر انه كان حائرا بين اسمين لروايته ، وانه كان حائرا بين ان يكون كونشيس رجلا ام امرأة، مستهدا الحل الثاني من اسطورة « كيرك » ـ وهو مولع بالاساطير وامكنه ان يجد للاسطورة موضعا في الرواية).

نترك الحكم على هذا كله للقاريء ، فالعمل الفني لا يخضع للقياس العرضي والطولي ، يكفي ان يأتي بالقليل من الكثير الذي تأتي به هذه التحفة الرائعة .. ●



حديث السّراب

● علي الصياد ●

اعصفي ما أردتِ بين سمائي
واحذريني إذا طغت كبريائي

كل جرحٍ يهونُ عندي وينسى ...
غير جرح الشعور يا سمرائي !

أنت تدرين من أنا ؟ فتعجيب
تناسَيْن عزتي وآبائي !

كم تعاهدتِ أن نصونَ هوانا
ونضحّي لصونه بالدماء !

فزرعنا طريقه بالأماني
وسقيناهُ بالرضا والوفاء

ورضينا به رباطنا وثيقاً ...
لم تبدده ثورة الأهواء

فلماذا نقضتِ يا بعض ذاتي
ما بنيناهُ من عزيز البناء

أنتِ بعضي ، وإنما منه دائي
وكما تعلمين عندي دوائي

فاذا شئت أن تكوني كما أنت
فلن تظفري بغير جفائي

وإذا ما جفوت أصبح حبي
كحديث السراب للصحراء !

الإنسان والوهم بين علم النفس وواقع الحياة

● عزت محمد ابراهيم ●

● ما اكثر ما نرى ونعرف او نقرأ ونسمع عن انسان تسلط عليه وهم من الاوهام حتى اصبح فريسة له ، وحتى اصبح عنده حقيقة لا مراء فيها ، ولا يزال يلح عليه ويستشرى حتى يورده آخر الأمر موارد التلف والبوار ..

ومن ذلك ما نمر به سريعا ، ومنه ما نقف امامه نتأمله ونتدبره ، ومما وقفت حياله تلك الوقفة خبر عن فرنسي قتل زوجه واطفاله الستة وامه وابن اخيه ثم انتحر .. وسبب ذلك كله وهم تسلط عليه بان الحرب الذرية على وشك الوقوع !! ..

ومثله ما نشر من سواه وقد وجد مختبئا في كهف ، وقد استقر في دخيلة نفسه أن الحرب العالمية الثانية لم تضع بعد أوزارها ، وانها ما زالت مشتعلة الأوار ، فهو يحتمي في كهفه من لهيبها ونيرانها ، ولم تفلح معه وسائل الاقناع ، وظل على وهمه الذي سيطر عليه ، وعلى اعتقاده الذي ملك عليه زمام نفسه .

انه وهم من الاوهام يسيطر على الانسان فيدفعه الى نمط معين من السلوك ، وهو في كل الحالات نمط غير سوى ، على اختلاف وتباين في النوع والدرجة معا ، وليس للأمر من واقع وحقيقة الا ما هو قائم في ذهن المريض ، والذي لا يزال يلح عليه ويتسلط حتى يصبح عنده واقعا لا سبيل الى الشك فيه ، وحتى يفضي به الى سلوك مدمر لا يأتي من انسان في عقله ذرة من تفكير ..

ويكون التفسير « المعقول » الذي اقدم عليه الفرنسي — في المثال الأول — هو الرحمة ، بنفسه واقرب الناس اليه ليجنبهم آثار هذه الحرب المدمرة وما يتبعها من فناء محقق ، أو حياة لا خير فيها .

وهو تفسير معقول في ظنه وحسبانه فقط ، لان الحرب المظنونة الوقوع هي احتمال على اى حال ، ولان الهرب منها بطريقته التي اختارها والام مؤلم اودى بحياته وحياة غيره من ذويه ..

وغاية الامر في تفسير ظاهر هذا العمل وباطنه ان صاحبه قد وقع تحت تأثير مرض نفسي هو الشعور بالوهم ، والوقوع تحت تأثيره ، فاصبح ما يقال عن احتمال وقوع الحرب هو عنده حقيقة لا محل للشك فيها ، واصبح الخلاص من آثارها ضرورة لا محيد عنها .



والمرض النفسي شائع في كل العصور، وان لم يعرف بملامحه وسماته التي نعرفه بها اليوم ، وهو أكثر شيوعا بعد ان عرفنا هذه الملامح وتلك السمات ، وبعد ان كثرت دواعيه ومسبباته في اعقاب المدنية ، وعقابيل الحضارة ..

وهو قديم لأننا نعرف أن الطبيب الفيلسوف « ابن سينا » قد عرضت له حالة من حالات الوهم المسيطر هي حالة انسان لا يفتأ يتصور نفسه بقرة ، ويأبى ويركل او يرفس كل طعام يقدم اليه الا أن يكون مما يقدم للبقر و لحيوان ، ولم يشف من هذه الحالة الا بعد أن أمسك « ابن سينا » بسكين كمن يهم بذبح البقرة التي يرى المريض نفسه في صورتها ، فقلبت الحالة الانسانية عنده على حالة « البقرية » الطارئة ، فتاب عن ادعائه وثاب الى رشده وصوابه !.

ويتساوى في المغزى والدلالة أن تكون تلك حقيقة واقعة ، او ان تكون طرفة نادرة نسبت الى «ابن سينا» وتداولتها الألسن في مجال المسامرات والترويح..

***

ويتصل بهذا الموضوع ملهاة موليير — « مريض الوهم » .. وبطلها « أرجان» المشغول بأمراضه التي لا وجود لها والذي يريد أن يرغم ابنته على زواج تأباه وتمجه نفسها؛ لأن الزوج المنتظر طبيب ، وهذا أوفق لحاله هو ، لا لحال ابنته ، ولأن الابنة الوفية ينبغي أن يسرها الاقتران بمن هو نافع لصحة أبيها !.

وهو حريص على امراضه المتوهمة حرص الصحيح على صحته ، واقصى ما تبلغه خادمه من درجات الوقاحة هو استهانتها بأمراضه وادعاؤها برءه وشفاءه : « لقد بلغت بها الوقاحة حدا راحت تقول لي معه اني لست مريضا»!.

***

ويسمي اصحاب علم النفس, ما مر بنا من مثل هذه الحالات بمرض ال « سيكاثينيا » الذي يكون من اعراضه المخاوف التي لا وجود لها ، والوساوس التي ليس لها ما يبررها في الواقع» ،وان تكن في نفس المريض مما لا يجوز فيها جدال ، وهي تبدأ من الأشياء البسيطة التي تتمثل في انسان ينظف يديه بالمطهرات الطبية بعد كل مصافحة لسواه ، حذر العدوى ، واتقاء المرض ... وتنتهي بهذا الوهم الكبير الذي تسلط على ذباك الفرنسي ، وتختلف النتيجتان في كلا الحالين باختلاف البداية والنهاية .

وقد ذكرت في هذا السياق شيئا من معرفة « ابن سينا » للعلاج النفسي ولكن الحديث عن النفس واغوارها وأبعادها قديم يرجع الى تاريخ الفلسفة اليونانية حين قال « سقراط » عبارته المشهورة « اعرف نفسك » فأنزل الفلسفة من علياء الميتافيزيقا والتجريدات لتبحث في الانسان ونفسه ، ولم يتناول « أفلاطون » البحث في النفس الا عرضا اثناء الحديث عن نظرية المعرفة ، وانما يذكر له في هذا الصدد حديثه عن الأمراض العقلية والمتوهمين والذي قيل عنه انه اول ما ذكر عن معاملة هذا النوع من مرضى بني الانسان .. وكان الرواقيون أول من وصل الى لب المشكلة التي تدور عليها اليوم بحوث علم النفس فقالوا بوجود قوة كامنة في

الإنسان والوهم

أعماق النفس تسيطر على رغباتها . .

واتضحت المسألة النفسية بعد ذلك منذ « افلوطين » فعرف الفرق بين الشعور واللاشعور . وكان حديث « افلوطين » هو آخر ما عرف من تناول الفلاسفة للشعور واللاشعور ، حتى القرن السابع عشر الميلادى حين تناولها الفيلسوف الالمانى « ليبنتز » بشىء من التفصيل : فقال بوجود مدركات عديدة داخل نفوسنا لا ندركها بالرغم من تأثيرها فى حاضرنا ووصلها ماضينا بمستقبلنا . وأثرت فلسفة «ليبنتز» فى الفكر الأوروبى بعامة والالمانى بخاصة بكتب « عمانويل كانط » عن المدركات التى لا نحسها .

واتخذ الحديث عن علم النفس وجهات نظر متعددة حتى كان «سيجموند فرويد » الذى أقام نظرياته فيه على ما مر به من تراث الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا موضوعه ، وامتاز هو عليهم بانتقاله من مجال النظر والتأمل الفلسفى الى مجال البحث العلمى الذى يقوم على التجربة فى عيادته كطبيب معالج للجسد والنفس معا .

وقد أولى « فرويد » اهتماما كبيرا لما يتراكم فى النفس من الميول والرغبات منذ طفولتها الباكرة ، مكونا ما يسمى باللاشعور ، غير مهمل فى ذلك شيئا مهما بدا من تفاهته وضآلة شأنه ، فكان لكل ما يبدو من مرضاه فى فلتات اللسان أو الأحلام والخيالات وزن عنده وقيمة يستخلص من مجموعها رأيا أو يقيم نظرية .

وهو يعتبر الرغبات الطفولية الأولى الأساس الاول الذى تتكون منه الحالة النفسية فى مقتبل أيام الفرد ، فحياة الفرد عنده سلسلة متصلة من الشعور والميول والرغبات ، او هى التيار الدائم الذى يكون فيه ما يتفق مع اعراف وتقاليد المجتمع ، وما يختلف عنها ، وتعمل التربية عملها فى تنقية ما ينبو عنه ذوق المجتمع ، وما لا يتفق مع تقاليده مما يسميه فرويد «التسامى» وبذلك يكبت المرء رغباته وميوله فيطويها النسيان ، ولكنها لا تموت ، وانما تظل باقية داخل النفس ، فاذا كانت طرق « التسامى » المكتسبة عن طريق التربية كافية لاخفائها عن الظاهر تحققت لصاحبها الشخصية السوية ، والا ظهرت عليه اعراض امراض النفس او امراض العقل .

وتنقسم العملية العقلية عند «فرويد» الى الشعور وماقبل الشعور واللاشعور ، وهو يفترض لها داخل النفس صورة مكانية يشغل كل جزء حيزا منها . . فالشعور هو الافكار التى نحسها ونعيها على اختلاف فى درجة وعينا ، وماقبل الشعور يشتمل على التخيل والاحلام واحلام اليقظة . . اما اللاشعور فهو قطب الرحى ومدار الاهتمام فى الدراسات النفسية ، ويشمل القوى المسيطرة على التفكير كما يشمل الميول البدائية والفطرية التى تسربت الى النفس منذ طفولة الانسانية الأولى واطلق « فرويد » على هذه الطاقة اسم الـ « هو » وتتميز منه جانب آخر يؤكد فى الانسان ذاته وكيانه يسميه الـ « أنا » ، ويقف من الـ «هو» موقف الناقد او الكابح من جماحه المخفف من غلوائه واندفاعه ، ليسمح له بما يتفق مع العرف والتقليد ، ويحول بينه وبين ما يمجه ذوق المجتمع وتأباه اعرافه وتقاليده .

ومن رأى « فرويد » سيطرة الميول الجنسية على الجزء الأعظم من اللاشعور وهو رأى قوبل بنقد وانتقاد كان من نتيجته ظهور مدارس جديدة فى علم النفس تجنبت مزالقه وخففت من غلواء الجنس فى سلوك الانسان ، فلا ترجع اليه كل صغيرة وكبيرة كما فعل « فرويد » ومدرسته ، ولا تنسب اليه كل ما يعتور الانسان من انحراف نفسى أو يصيبه من بعد عن الاتجاه القويم .

وكان من ابرز من خرج على « فرويد » واتهمه بالاغراق فى دواعى الجنس ودوافعه وتفسير كل نشاط انسانى به ـ « ألفرد أدلر » و « كارل يونج »

الذى انشأ مذهب السيكولوجية التحليلية ، وشاع عنه تفرقته بين صنفى « المنطوى » و « المنبسط » من الناس تبعا لاختلاف أمزجة كل منهما ، وتفسير ذلك عنده أن الطاقة النفسية فى الاول تتجه الى داخله فيميل الى الشرود والتفكير الخيالى ، وتتجه الطاقة النفسية عند الثانى الى خارجه فيميل الى الاختلاط بالناس والاجتماع معهم ، وما يتبع ذلك من مشاعر وجدانية تتميز بها نفسه .. وهو تفسير — كما نرى — بعيد عن شطحات الجنس وعقابيله .

وأضاف « يونج » الى قانون التداعى الحر عند « فرويد » اختبارا فى التداعى المقيد ، فاختار مئة كلمة يقدمها الى الشخص الذى يجرى عليه تجارب التحليل النفسى ، ويطلب اليه النطق بأول كلمة تتبعها فى ذهنه كلمة الاختبار أو « الكلمة المثيرة » ، ويستدل من سرعة استجابته لذلك او مقاومته له ، على حالته النفسية من مرض أو صحة ، فان التأخر فى الرد أو العجز عن الاجابة دليل عنده على وجود مقاومة داخلية فى النفس تنم عما بها من عقد أو مرض نفسى ..

أما « الفرد ادلر » فقد كان فى بادىء الامر عظيم التقدير « لفرويد » وآرائه فى علم النفس ، فانضم الى جماعته ، كما انضم الى هيئة تحرير مجلته ، ثم استقال من الجماعة حين اختلف مع « فرويد » فى نظريته حول الميول الجنسية ، وقبولها قبولا مطلقا ، وانشأ « ادلر » مع سبعة آخرين الجماعة الحرة لتحليل النفس ، ثم كون هو « علم النفس الفردى » .

واهم ما فى مذهب « ادلر » هو انكاره لاغراق « فرويد » فى تفسير السلوك النفسى بالميول الجنسية ، وهو لا يخرج فى ذلك عن « كارل يونج » والمنشقين على جماعة « سيجموند فرويد » .

وخلاصة ما يقال فى أسباب المرض النفسى عامة انها ترجع الى كبت الرغبات والميول — أيا كانت — لتترسب فى اعماق النفس لتصبح قوة هائلة قد تدفع بصاحبها فى بعض الحالات الى التدمير والتخريب ، وتقضى على القوة العاقلة فيه ، فلا يميز بين صالح وطالح ، وخير وشر ..

اما الوساوس والاوهام فيضاف الى ما سبق القول فيها انها قد تكون مصاحبة لبعض الامراض العضوية كمرض الصرع ، او لبعض الامراض العقلية ، كالاكتئاب والانفصام ، ويكون العلاج هنا بمعالجة المرض الأصلى ، وفى غير هذا يلجأ الاطباء الى العقاقير الكيميائية ، او يكتفون بالتحليل النفسى مع ما يتطلبه من دراسة كاملة لطفولة المريض والمواقف التى تعرض لها فى حياته .

***

ولعلنا نكون قد بعدنا — بعض الشىء — عن موضوع « الوهم » ، وان لم نبعد عن أسباب ودواعى المرض النفسى عامة ، فلنعد اليه فى هذه الطرفة ذات الدلالة التى ذكرها « الجبرتى » فى كتابه « مظهر التقديس فى ذهاب دولة الفرنسيس » حين كان الفرنسيون يفتشون عن احد المناوئين لهم ، ووجدوا فى داره مكانا فيه اسلحة وامتعة فنهبوه ... ثم « الجبرتى » يكمل بقية القصة بأسلوبه المنمق — على ما فيه أحيانا من ضعف وركاكة : « ونهبت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكروب ، حتى ان بعض جيران المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجأة .. رحمه الله » ..

***

تبقى بعد ذلك كلمة يصح ان تقال فى جدوى العلاج النفسى عامة ، هى ان « فرويد » نفسه كان مصابا باشد انواع العوارض النفسية الجسدية التى تؤول فيها اعراض المرض البسيط الى امراض شديدة الوطأة ، عسرة الاحتمال ، ولم يجد معه علاجه لنفسه ، وظل الى آخر ايام حياته يعيش فى وهمها ووساوسها ..

كوابيس كتبها
الفيلسوف الكبير
برتراند راسل

● نصار عبد الله ●

كابوس الـزوج السعيد

● السيد « باودلر » ذلك الكاتب المحمود السيرة ، مؤلف « شيكسبير للأسرة » والتي امكن لاشد السيدات الشابات طهرا ان تقراها دون ان يحمر وجهها خجلا — لم يكن فى حياته اليومية ليستشعر اى نوع من الشك فى مدى فائدة اعماله .. ومع هذا فللعقل صوتا ضئيلا مازال ، فيما يبدو ، متربصا فى مكان ما من اعماق هذا الرجل الطيب ، صوتا قوامه الهجاء والسخرية ! ..

كان من عادته فى ايام الآحاد أن يقوم بتوزيع اللحم الفاخر على افراد أسرته ليعطى كل واحد نصيبه ويمنع نفسه اى قدر ولو ضئيل منه ، والى جانب اللحم كانت الأسرة تتناول البطاطس المسلوقة والكرنب ثم تتبع هذا بتناول فطيرة من البودنج . ثم يتناول هو وحده دون بقية افراد الأسرة قدرا معقولا من الجعة . وما ان تفرغ الاسرة من الوليمة حتى يهب لمزاولة عادة التجول على الاقدام لفترة قصيرة .

وفى احدى المرات كان الصقيع والجليد يتساقطان بعنف ، مما جعله يعدل عن نظامه المألوف ويهجع فى مقعده ليطالع كتابا جيدا ، غير ان الكتاب الجيد لم يكن مشوقا جدا مما جعله يغرق فى النعاس . واثناء نعاسه داهمه الكابوس التالى .. :

كان العالم كله — ولا يزال — يعتقد أن السيد « باودلر » نموذج لكل الفضائل ، ومع هذا فقد حدث أن توافر لديه سبب يجعله يشك ان كان هو حقا كما يتصوره جيرانه ، ذلك انه فى صباه كتب هجوما قاسيا على ويلكز .. صاحب « ويلكز والحرية » والذى اعتبره — دون أن يفتقد المبررات الكافية — انسانا داعرا !

كان « ويلكز » فى ذلك الوقت قد تقدم به العمر ولم يعد قادرا على الانتقام الذى كان من الطبيعى ان يقوم به لو كان فى صباه ، لهذا اوصى بمبلغ كبير من المال بعد وفاته الى الشاب اليافع السيد « سبيفكنز » مقابل شرط واحد ، هو ان يعمل قدر المستطاع على جلب مصيبة للسيد « باودلر » .. وانا لنأسف اذ نقول ان السيد « سبيفكنز » قد قبل هذه



الوصية اللاأخلاقية بلا تردد . وحتى يتسنى له تنفيذ شروط وصية «ويلكز» قام تحت ستار ادعاء الصداقة بزيارة للسيد « باودلر » حيث وجده فى غاية السعادة وهو ينعم بنعمة الأسرة فى أكمل صورها ... كان قد جعل على كل واحدة من ركبتيه واحدا من ابنائه وهو يؤرجحهما ويقول لهما « امتطيا حصانيكما وامضيا الى القاطع بالبيوري» فى حين اخذ طفلان آخران يهتفان «جاء الآن دورنا ... يا بابا » ثم حصلا بدورهما على نصيبهما من نشوة الأرجوحة. واما زوجته مدام «باودلر» تلك السيدة البدينة الطيبة القلب، لقد راحت تراقب فى ابتسام هذا المنظر البهيج وهى منهمكة فى اعداد الشاى.

استطاع السيد « سبيفكتز » بما لديه من الفطنة البارعة ـ تلك التى جعلت اختيار السيد « ويلكز » يقع عليه ـ أن يدير دفة الحديث الى تلك الموضوعات الأدبية التى يعلم انها اثيرة الى قلب السيد « باودلر » وأن يناقش المبادئ التى دفعت بهذا السيد المهذب الى ان يجعل من أعمال الرجال العظماء امرا لايليق وضعه بين أيدى النساء حديثات السن ... وهكذا حدث التوافق التام الذى ساد الى ان انتهيا من تناول الشاى ، وتهيأ السيد « سبيفكتز » للانصراف حيث كانت مدام « باودلر » فى تلك اللحظة تبدو من خلال باب المطبخ المفتوح وهى تغسل اطباق الشاى.

ومع تحية الوداع قام السيد « سبيفكتز » بتوجيه الملاحظة التالية :

لقد تأثرت كثيرا يا عزيزى « باودلر » ببهجات حياتكم العائلية ، غير انني نتيجة للدراسة الدقيقة التى قمت بها لكافة الأجزاء التى عمدتم الى حذفها من اعمال شاعر آفون الفرد ، فانني اجد نفسي مضطرا لأن اخلص بنتيجة مؤداها أن هؤلاء الأطفال الباسمين انما يرجع الفضل فى وجودهم الى « البارثينوجينيسيس » (1)

عندئذ صاح السيد « باودلر » وقد

(1) البارثينوجينيسيس اى التوالد العذرى بمصطلح علمى يعنى التكاثر بدون تلقيح اى بدون احتساب الذكر للانثى ـ المترجم .

علت وجهه حمرة الغضب الشديد اغرب عن وجهي ! ...

ثم صفق الباب بعنف في وجه السيد « سبيفكتز » ، لكن ، ويا للأسف ، فلقد تسربت هذه الكلمة المرعبة الى مسامع مدام « باودلر » على الرغم من صلصلة اكواب الشاي ! ..

ولم تستطع ان تدرك معناها ، غير انها مادامت لم تعرف ماذا تعني ومادام زوجها قد استنكرها ، فلم يعد لديها شك في انها لابد وان تكون كلمة رديئة، وانها ليست من تلك الموضوعات التي يمكن أن تسأل زوجها عنها ، اذ انها لو فعلت لما زاد على أن يقول « يا عزيزتي انها تعني شيئا لا يجوز لأي امرأة فاضلة ان تفكر فيه ! »

وهكذا فان الأمر قد اصبح متوقفا على مجهوداتها الخاصة .. انها تعرف كل شيء عن معنى النصف الثاني من الكلمة وهو « جينيسيس » (٢) اما النصف الأول « بارثينو » فقد ظل معناه غامضا بالنسبة لها ..

وهكذا استجمعت شجاعتها ذات يوم وتسللت الى مكتبة زوجها عندما كان في الخارج واخرجت منها القاموس التقليدي ، وراحت تقرأ كل ما هو مكتوب فيه عن «البارثينون» ومع هذا فقد ظل معنى هذه الكلمة الغامضة يروغ بعيدا عن متناول ادراكها ، ذلك أن القاموس لم يورد شيئا عن « البارثينون » في الجزء الخاص « بالجينيسيس » . كذلك لم يورد شيئا عن « الجينيسيس » في معرض حديثه عن « البارثينون » ! ..

وكلما زادت مساعيها احباطا تضاعف التوجس والقلق الذي يسببه لها هذا الموضوع .. وبدأ الاهمال يدب الى اعمالها المنزلية التي كانت قبلا بالغة الاتقان ، وراحت الافكار تتملكها الى حد انها نسيت ذات يوم من ايام الاربعاء ان تقدم « الجمبري مع الشاي » وهو مالم تغفل عنه قط في أي يوم اربعاء منذ ذلك اليوم السعيد الذي ارتبطت فيه مع السيد « باودلر » برابطة الاتحاد المقدس ...

ثم ازداد الوضع سوءا بحيث شعر السيد « باودلر » في النهاية بضرورة استدعاء طبيب للعلاج . وقد قام الطبيب بطرح اسئلة عديدة ثم طرق جبهة مدام « باودلر » بمطرقة خشبية صغيرة كما جس أورامها ، ثم قام بفصدها ، غير ان هذا كله ذهب هباء..

قال في النهاية ـ حسنا ... أخشى ان يكون العلاج الوحيد لشكواك يا سيدتي العزيزة هو «الايداكس ديروم» (٣) ـ (وكان يقصد الزمن على سبيل الحذلقة) ـ علينا أن نعلق رجاءنا على الزمن ، ذلك الشافي العظيم !

قالت مدام «باودلر»: ـ اخبرني بالله عليك يا عزيزي الطبيب اين يمكن الحصول على « الايداكس ديروم » ؟

اجابها الطبيب : ـ في كل مكان .

... كان من بين أعباء زوجها أن يعمد الى قراءة قوائم تلك الكتب التي يرغب في جمعها ، وهكذا قامت باستعراض القوائم التي وجدتها في درج مكتبه بأسماء باعة الكتب حيث توقفت عند اسم وعنوان واحد منهم توسمت فيه من خلال نوعية الموضوعات التي يطرحها على السيد « باودلر » انه هو الذي يمكن ان توجد لديه أعمال ادبية من ذلك الطراز الفظيع الذي ثار اهتمامها حوله ...

وضعت على وجهها حجابا سميكا وغامرت بالذهاب الى مدخل المكتبة ثم سألته في شجاعة : ـ «سيدي، أريد كتابا لاتثقف في موضوع .. « البارثينوجينيسيس » .

اجابها وهو يتأمل تلك المفاتن التي لم يستطع الحجاب أن يخفيها ؟

(٢) جينيسيس تعني في اللغة الانجليزية التكوين.
(٣) أيداكس ديروم ، عبارة لاتينية تعني الشيء الذي يقضي على كل شيء ـ المترجم .

ـ « سـيدتى . . . ان البارثينوجينيسيس هو ما لن تتعلمى عنه شيئا اذا صعدت معى الى الغرفة العليا » .

وعندئذ اصابها هلع شـديد ، فانفلتت هاربة ...

لم يعد لديها الآن الا امل واحد ، امل يتعلق بذلك الحل اليائس الذى طالما كانت تشك فى ان لديهـا من الشجاعة ما يكفى لتحقيقه ... انها تذكر أن زوجها عندما شرع فى اكمال كتابه « شيكسبير للأسرة » تلك النعمى التى قدمها لكل ربة بيت مهذبة ، قد اضطر ـ بالغا ما بلغ العبء من الألم بلا شك ـ الى قراءة تلك الأعمال غير المهذبة لذلك المؤلف الذى تدعو كتاباته الفاضحة الى الأسـف . كانت تعرف انه يقتنى خلف تلك الأبواب المغلقـة لدولاب الكتب صندوقا به مؤلفـات « شيكسبير فى مرحلة ما قبل باودلر » وقد عمد الى وضع خطوط تحت كافة العبارات التى رأى أن من المناسب حذفها تيسيرا على المختص بالطباعة فى قيامه بمهمته .

قالت لنفسها انه حيث توجد اجزاء كثيرة محذوفة ، فلابد أن تكون كلمة « بارثينوجينيسيس » من بين تلـك العبارات التى تحتها خط ، وسـوف استطيع بغير شـك أن أفهم معنى الكلمة من خلال السياق ...

وذات يوم وعندما كان زوجها مدعوا لحضـور مؤتمر لأصحاب المكتبات الفاضـلة ـ دلفت الى مكتبـه ، واسـتطاعت بعد شىء من البحث والتنقيب أن تجد مفتاح الصندوق فى درج مكتبه فقامت بفتـح الأبواب الرهيبة وأخرجت المجلد البالى بمـا يحويه من معرفة مفزعة ، وراحت تقلب الصفحات الواحدة تلو الأخرى ، غير ان الكلمة المنشودة لم يكن لها اى ذكر فى اى موضع ، فى حين وجدت بدلا منها اشياء كثيرة لم يكن يدور بخلدها ان تبحث عنها ... ارتعبت فى البداية ، ثم شدتها الموضـوعات اليها ، ثم أحجمت وقاومت ، ثم استسلمت فى النهاية واندمجت فى القراءة وقد غفلت عن مرور الوقت ! ..

وفجأة انتبهت الى ان الباب مفتوح وان زوجها واقف فى فتحة الباب وهو يتساءل مأخوذا : « أى مجلد هذا الذى أراه بين يديك يا مارى ! .. الا تعرفين ان السم الزعاف يقطر من بين صفحاته ، وان عدوى الأفكار الداعرة تقفز مـن كل حرف فيه الى ذهن الأنثى الغافل ! .. هل نسيت أن مهمتى فى الحياة هى حماية ذرى البراءة من مثل هذا التلوث ؟ .. هل كتب على أن يحل هذا الفشل الرهيب على فى عقر دارى ؟ ! »

انهمرت دموع الرجل الطيب وهـو يردد هذه الكلمات ! ..

انهمرت دموعه مفعمة بالخـزى والاسى ، بل وبالغضب الصارخ كذلك. احست بخطيئتهـا بغتة ، وتركت المجلد يسقط من يديها ، وانفلتت الى حجرتها ، وانفجرت شهقاتها وزفراتهـا التى تمزق نياط القلوب ...

لم يكن الى التوبة من سبيل ... فقد قرأت كثيرا ، ولم يكن بوسعها ان تنسى كلمة واحدة مما قرأت . . . راحت الكلمـات الخزية والدعابات البغيضـة تدور بصورها المفزعة فى رأسها ، وساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم أصبحت تتسلط عليها تماما ، حتى تحول الأمر فى النهـاية الى نوع من الجنون الذى لا يمكن السيطرة عليه ، مما أدى الى اقتيادها الى مصـحة للأمراض العقلية ، حيث راحت وهى فى الطريق تردد على مسامع الملأ بصوت مرتفع عبارات شيكسبير الفاحشـة !

وعنـدما غابت كلماتها الأليمـة ولم تعد تسمع ، خر السيد « باودلر » على ركبتيه يسأل الخالق الأعلى : على أى خطيئة جناها قد نزل به هـذا العقاب . ولم يكن ـ مثلى أو مثلك ـ قادرا على ان يجد الجواب ! ●

"الطابور"

● سعد رضوان ●

● وصلت اخيرا وأنا الهث ، ووضعت حقيبتي على الارض ، ثم نظرت الى ساعتي فوجدتها العاشرة صباحا ، واطمأن قلبي ، فما زال امامي ساعتان ....

ونظرت الى الشبابيك المفتوحة فالفيتها ، كانت كثيرة ولكن أغلبها كان خاليا من الناس ، الا الشباك الاول ، فقد كان امامه طابور طويل ، بل طابوران ، احدهما رجال والآخر نسائي ، ويحرس الطابورين اثنان من رجال الشرطة لمنع التزاحم ...

وحملت حقيبتي ، وتقدمت بمحاذاة طابور الرجال ، وسرت جهة الشباك ، ومنعني الشرطي من التقدم قائلا :

ـ خذ دورك في الصف !

قلت : « فقط اريد أن أسأل هل تباع هنا... »

ولم يدعني أكمل سؤالي ، بل قال :

ـ اذهب الى اي شباك يعجبك .. كل الشبابيك واحدة !

وطبعا حاولت أن افهمه انني اريد ان اسأل فقط ، ولكن اصوات مشادة قرب الشباك جعلته يكرر امره لي بأن آخذ دوري في الطابور والا اعصفه ... ثم تركني واسرع ليفض الشجار ، وتقدمت خلفه ...

كان احدهم قد مرق والشرطي يتحدث الى ، واخرج نقودا يعطيها لرجل يقف في الطابور ليحجز له معه ، ولكن الرجل امتنع ، فصرخ فيه طالب الخدمة :

ـ ألا توجد انسانية !؟

وصرخ رجل من الطابور :

ـ خذ مكانك يارجل .. نقف ساعات في الطابور ، وتحضر حضرتك لتخدمك وتأخذ دورنا !.. هل انت على واسك ريشة تؤهلك لان تسبقنا !»

فزعق به طالب الخدمة :

ـ وما دخلك أنت ؟ .. هل طلبت منك شيئا !»

وبينما الشجار مستمر ، تقدمت انا اسأل احد الواقفين بالطابور : « هل تباع هنا ... »

ولكنه قاطعني : « آسف ! »

ـ آسف على ماذا ؟ انا اسألك ! ...

ـ قلت لك آسف .. ألا ترى المشاجرة الدائرة هنا !

ووجدت نفسي أدفع الى الخلف فالتفت .. كان الشرطي يقول لي وهو يبعدني :

ـ ألم أقل لك ان تأخذ مكانك في الصف !؟

وصرخت : احترس .. ستوقع حقيبتي .. » فقد كادت حقيبتي الثقيلة تقع من يدي ، وأوشكت ان أقع فوقها » .

وصرخ رجل من الخلف :

ـ ما الذي حدث بالطابور ! .. لا تدخل أحدا الى الصف ياسيد ! ..

وابتعدت قليلا الى حيث استطعت أن أضع حقيبتي فوق الارض ، ثم اقف أسترد انفاسي ، وانا افكر : متى ينتهي هذا الزحام والتزاحم ...

ثم تنهدت ، واتجهت الى آخر الصف .. وسألت الرجل الذي يقف في نهايته فكان رده :

ـ قف خلفي ..

ـ انا اسألك هل ....

فقاطعني : « لا اعرف .. قف في الصف كما اقف ، وانتظر دورك ! »

ولنحت فمي ، ثم اغلقته ، ولوضعت امري الى الله ، ووقفت ورأسي يدور .. ماذا افعل ؟ .. ومن اسأل؟ ولا احد يجيب .. ما الذي اصاب هؤلاء الناس !؟.. لا يهم .. سأقف في الطابور ، فان في الوقت متسعا على كل حال ...

وكانت ذراعي التي تحمل الحقيبة قد اصابها التعب ، واردت ان اضعها فوق الارض ، ولكني خفت فلي مثل هذه الاماكن المزدحمة ، من ادراني ان احدا لن يسرق الحقيبة ، او حتى يأخذها بطريق الخطأ ، كما سمعت انه حدث لغيري ...

ولكن ذراعي لم تتحمل الحقيبة فوضعتها بين قدمي .

ووصل احدهم يسألني : « هل هنا .. »

ولكني لم ادعه يكمل كلامه بل قلت له :

ـ قف بالصف ! ...



فقال : « انى أسائلك ... »

فانفجر بشيط : « أنا أعرف انك تسائلنى ، ولكن ... قف بالصف كما أقف وانتظر دورك ! »

ورمقنى الرجل بنظرة قاتلة ، وتمتم بما لا شك انه شتائم لم أفهمها ، وابتعد ... والتفت خلفه ، ياسيدى ! .. لقد طال الصف خلفى حتى لم أعد أرى نهايته ! .. متى ، ومن أين أتى هؤلاء الناس ..

وفوجئت بالرجـــل الذى خلفى يدفعنى قائلا :

« تقدم يارجل .. لاتدع فسحة فى الطابور حتى لا يندس فيها أحد .. »

ونظرت أمامى .. كان الصف قد تقدم قليلا ، فتقدمت أنا أيضا ...

كان الوقت يجرى ، والطابور يقصر أمامى ، ويطول خلفى ! ..

ومن الامام ، ومن الخلف ، تسمع أصوات المشادات التى تهب ثم تسكت .. وصوت رجل يصرخ بأن هذه محسوبية ، وان عامل الشباك يحابى النساء على الرجال ويأخذ النقود منهن تاركا الرجال يقفون ...

وتسرى فى الصف همهمات واحتجاجات بعضها بصوت عال ، وبعضها بصوت غير مسموع ، والكل يجمع على انه يجب تطبيق العدالة فى الطابورين : مرة رجلا ، ومرة امرأة .

وتدخل الشرطى ، وصرخ فى الطابور انه لا محاباة هناك ، والموضوع ان عامل الشباك أخذ من المرأة الثانية لان معها نقودا صغيرة ، بينما الرجل الذى جاء دوره ليس معه غير نقود كبيرة ، وليس لدى عامل الشباك الباقى ليعطيه له ...

ويصرخ احدهم بأن من ليس لديه نقود صغيرة عليه ان يترك الصف ليأتى بالمبلغ المطلوب منه بالضبط حتى لا يعطل الناس .

وتكلم الرجل الذى امامى ، متعجبا من هؤلاء الرجال الذين يتركون نساءهم تقف فى الصف بدلا منهم ، وطالب بالغاء طابور النساء ...

وصرخت فيه امرأة عجوز من صف النساء :

ـ تكلم عن نفسك فقط ، بدلا من ان تلوم امرأة وحيدة أو كبيرة فى السن تقف متالمة فى الصف ..

وسكت الرجل ، وبرطم ... ثم أخرج علبة سجائره ، واشعل واحدة منها ، واستنشق نفسا ثم زفر دخانا وصل الى أنفى وحلقى فاصابنى سعال انتشر فى أماكن كثيرة من الصف ، وصرخت بالرجل:

ـ أطفىء هذه السيجارة يا رجل .. ألا تحس بالاختناق فى هذا الزحام ؟!

ورمقنى الرجل بنظرة قاتلة ، ثم استنشق نفسا آخر من سيجارته قبل أن يطفئها ..

وأخيرا وصلت الى الشباك ، فوضعت النقود وقلت للعامل :

ـ تذكرة بقطار الساعة الثانية عشرة للاسكندرية .

ونظر الى الرجل ، وقال ببرود :

ـ قطار الثانية عشرة رحل من مدة ... الساعة الواحدة الآن ياسيد ! خذ نقودك وافسح مكانا لغيرك ..

ـ ماذا تقول ؟! .. انى أقف بالصف منذ الساعة العاشرة !

ـ ليس هذا شأنى ... هناك عشرة شبابيك مفتوحة ... الجميع لا يقفون الا على هذا الشباك لانه أول شباك يقابلهم ...

ـ وكيف أعلم ان هناك عشرة شبابيك ؟

ـ ياسيد لاتعطلنى ...

ودفعنى الرجل الذى خلفى ، فالتفت اتشاجر معه ، وبقدرة قادر وجدتنى أنا والرجل الذى خلفى قد جذبنا الشرطى خارج الصف ...

ووقفت حائرا ، أنظر للصف الطويل و ... نعم الشبابيك الاخرى خالية ومكتوب فوق كل الشبابيك :

« تذاكر لجميع المحطات » .

ومن أحد الشبابيك الخالية اخذت تذكرة لقطار الساعة الثانية الذى اركبه الآن وانا اضحك من نفسى ، بينما الرجـــل الجالس امامى يرمقنى وهو لا شك يتعجب من هذا السفيه الذى يضاحك نفســـه ....

لننظر ماذا يفعلون لإنشاء

باريس سنة ٢٠٠٠

قبل أن نبدأ بتنفيذ مشروعات

القاهرة الكبرى

القاهرة ، وكل عواصم الدنيا الكبرى تختنق بتزايد اعداد السكان وتدفق الحركة التجارية والمالية وتغير كل أساليب العمل نتيجة للمكتشفات الحديثة مثل التليفون الالكترونى والتليكس ومنشآت محطات الطيران فى وسط المدن بالاضافة الى تزايد اعداد السيارات ، فلننظر ماذا يعملون هناك لكى نفيد من تجاربهم ونسير على نور نحو قاهرة سنة ٢٠٠٠ .

تمثال الحرية أصبح سجيناً



كان هذا النموذج المصغر لتمثال الحرية يقوم فى حديقة جميلة فى حى السيتى فى جزيرة فرنسا « ابل دى فرانس » وهى قلب باريس ، وكان التمثال يتألق جمالا هناك ، ثم جاءوا فأنشأوا خلفه تلك العمارة الضخمة التى تشبه سجنا هائلا من الحديد والاسمنت المسلح والزجاج ، فاصبح تمثال الحرية سجينا أو اسيرا وضاع جماله، هذانموذج من التجديد المفسد الذى يقضى على كل جمال ويضيع بهجة الحياة ويضع الناس فى النهاية فى غرف منيعة مقبضة كل ما فيها صناعى حتى الهواء لا يأتى الامن جهاز التكييف .

باريس الكبرى

كل عواصم العالم الكبرى تعاني ازمات تطور وتوسع .

لان النشاط التجارى والمالى والصناعى فى العالم كله فى تزايد مستمر ، والناس كذلك يتزايلون بشكل رهيب ، ثم ان مطالب الناس تتزايد وتتعدد ، وعلى العواصم ان تحمل عبء ذلك كله وتساير الزمن وتتحمل تبعاته .

ولكن العواصم فى غير العالم العربى لا تعانى الا جانبا يسيرا مما تعانيه عواصمنا العربية وخاصة القاهرة .

لان اهل العواصم الغربية عندهم احساس بمدينتهم وعطف عليها ومحبة، وعندهم الوعى الكافى للمحافظة عليها وخدمتها ، اما نحن فنسىء استعمال عواصمنا ، ونتصرف فيها وكانها لا تعنينا .

فالقاهرة مثلا وهى من اشهر مدن الدنيا واولاها بالعناية والمحافظة يقتلها اهلها ، فقد قضوا على كل حدائقها تقريبا وكل شوارعها الجميلة تحولت الى ازقة لان الشوارع ملأى بالتجار الطفيليين الذين يقيم الواحد منهم تجارة فى « كشك » على الرصيف او فى صندوق معلق على الحائط او يحتل الرصيف كله بصحفه ومجلاته ، وفى الاحياء البلدية يزدحم الطريق بتجار العربات؛ هذا يبيع خضارا وذاك فاكهة وثالث يبيع البطاطا ويشويها فى الطريق ورابع يشوى الذرة ويرمى بالورق الاخضر الذى يغطى الكيزان فى الشارع ، والذين يشترون منه يرمون القوالح فى الطريق .

واسوا ما فى الموضوع ان سلطات البلد تسمح لرجل ان ينشىء كشكا فى وسط الرصيف لكى يدفع ايجارا يظنون انه يزيد حصيلتهم ، ويصرحون للناس بالبناء فى كل متر يمكن البناء فيه ، حتى اصبحنا نسير وسط اكوام الرمال والطوب وحديد التسليح ، وكل ذلك يسمونه تعميرا وهو فى الحقيقة تخريب .

وسنتحدث فى مقال قادم عن القاهرة وجمالها الذى لا نحرص عليه ومتاعبها ، وسنعرض للجرائم التى نرتكبها فى حق ذلك البلد العظيم ، وسنحاول أن نتقدم ببعض الاقتراحات لحل ازمة القاهرة ، أو لانقاذها بتعبير أصح ، أما فى مقالنا هذا فسنتحدث عما يصنعونه فى فرنسا لانقاذ عاصمتهم الجميلة باريس من التشويه مع السير مع حركة التعمير والنمو والانشاء فى خطوط محسوبة مرسومة .

هنا فى بلادنا لا نبالى بان نحطم مدننا لكى نوسع مكانا للافراد ، فاذا اراد رجل ان يبنى عمارة من ثلاثين دورا امام مسجد السيدة زينب رحبنا بالمشروع لانه يحل ازمة الاسكان فى ظننا ، مع ان هذه المبانى تزيد الازمة ، لان الغالب ان السكان الذين يحتلون شقق المبانى الجديدة كان من الممكن ان ينتقلوا من القاهرة الى مدن جديدة بعيدة ، ثم انهم فى الغالب يحتفظون بشققهم القديمة لرخص ايجارها .. ومعنى ذلك اننا نشوه ميدان السيدة زينب ونقتل ميدانا كان من الممكن ان يكون زينة للقاهرة لكى نحل ازمة اسكان لبضع عشرات من الناس .

تعال اذن ننظر ماذا يعملون لحل ازمة التوسع فى باريس ، وهى دون نزاع أجمل مدن الدنيا ، واذا أردنا أن نتعلم أو نقتبس فلنتعلم ولنقتبس من الاجمل والاحسن .

باريس الجميلة هذه من تخطيط مهندس عبقرى يسمى البارون اوسمان، الذى أطلقوا اسمه على شارع من أجمل شوارع باريس وأوسعها ..

انه هو الذى اخترع فكرة البوليفار ، والبوليفار هو الشارع الواسع الذى يتراوح اتساعه من ٨٠ مترا الى ١٥٠ ، وتقسم مساحة الشارع الواسعة الى ممرات مقسمة بخطوط من الاشجار والارصفة والحدائق الممتدة بطول الشارع .

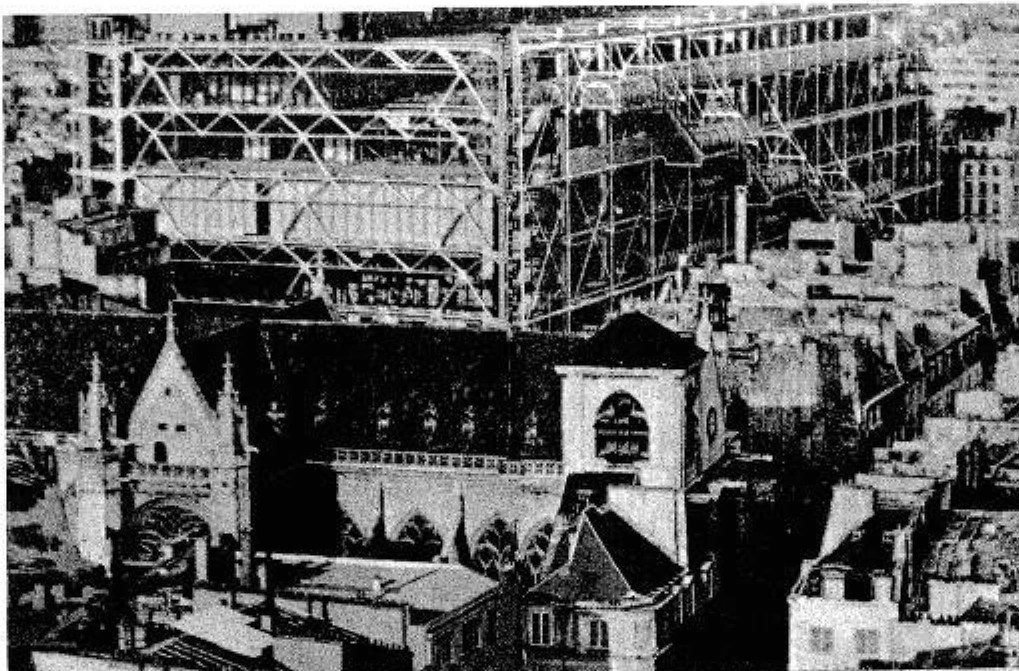


صورة طريفة اخذت لبرج ايفل في باريس . ان هذا البرج اشهر رمز على مدينة في الدنيا لانه صنع بذوق يتفق مع تقاليد الفن الفرنسي، ومستوى العلم الهندسي في فرنسا في منتصف القرن الماضي .. ومع ذلك فان صورتعذا البرج جديدة دائما ، لانها اصيلة .

وعندما شرع أوسمان يعمل تؤيده بلدية باريس وحكومة فرنسا ، رسم خريطة باريس الجديدة ثم أخذ يشق البوليفارات في وسط المساكن بعد اجلاء سكانها وتعويضهم العوض المجزى لان النظرية الرئيسية التي قام عليها تخطيطه أن العاصمة ينبغي أن تؤدى غرضين لا ثالث لهما : أن تكون مركزا للاعمال والمال والثاني أن تكون « صالونا » لفرنسا كلها ، فكما أننا نخصص للصالون او بهو الاستقبال أجمل غرف البيت ونضع فيه أجمل الاثاث فكذلك ينبغي أن تكون باريس صالون أوروبا كلها : كل شارع وكل بوليفار ينبغي أن يكون له طابعه وشكله وكل مبنى ينبغي أن يكون زينة للبلد كما ان كل قطعة أثاث في الصالون زينة للبيت وأهله .

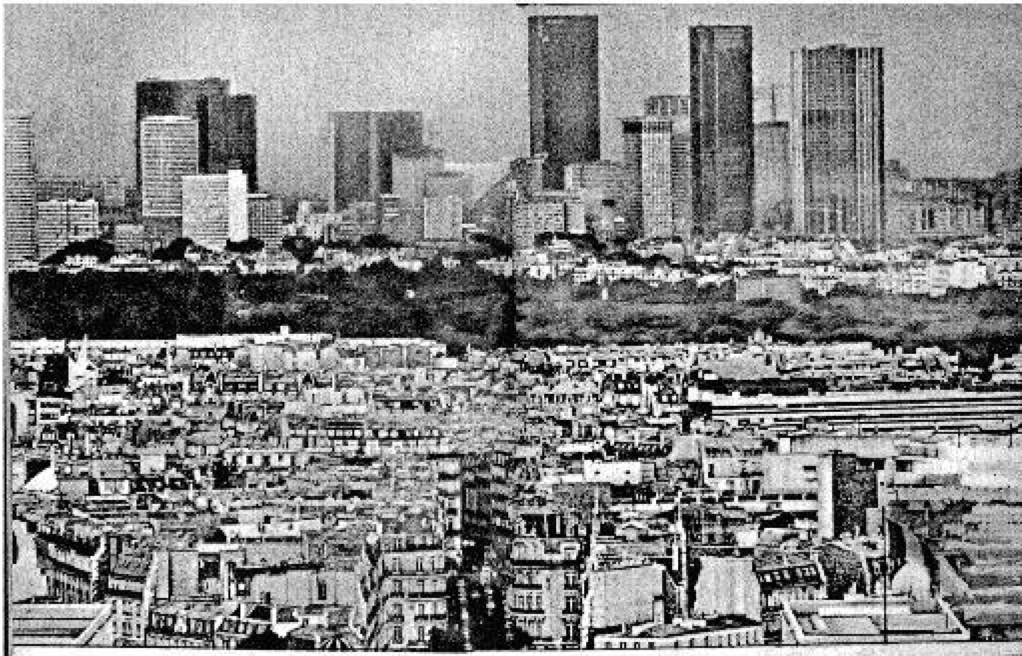
والقاعدة الاساسية تقول : باريس أولا ثم أهل باريس ثانيا .

اما نحن فنقول : الناس اولا . وهذا له وجه من الحق ، ولكن ليس في العاصمة . ليس في الصالون ومركز الاعمال . ومن خطل الرأى ان تنقل سكان حى الترجمان الى مدينة نصر ، لان الذى سيحدث انهم سينزلون الى القاهرة كل يوم من مدينة نصر ، فكاننا



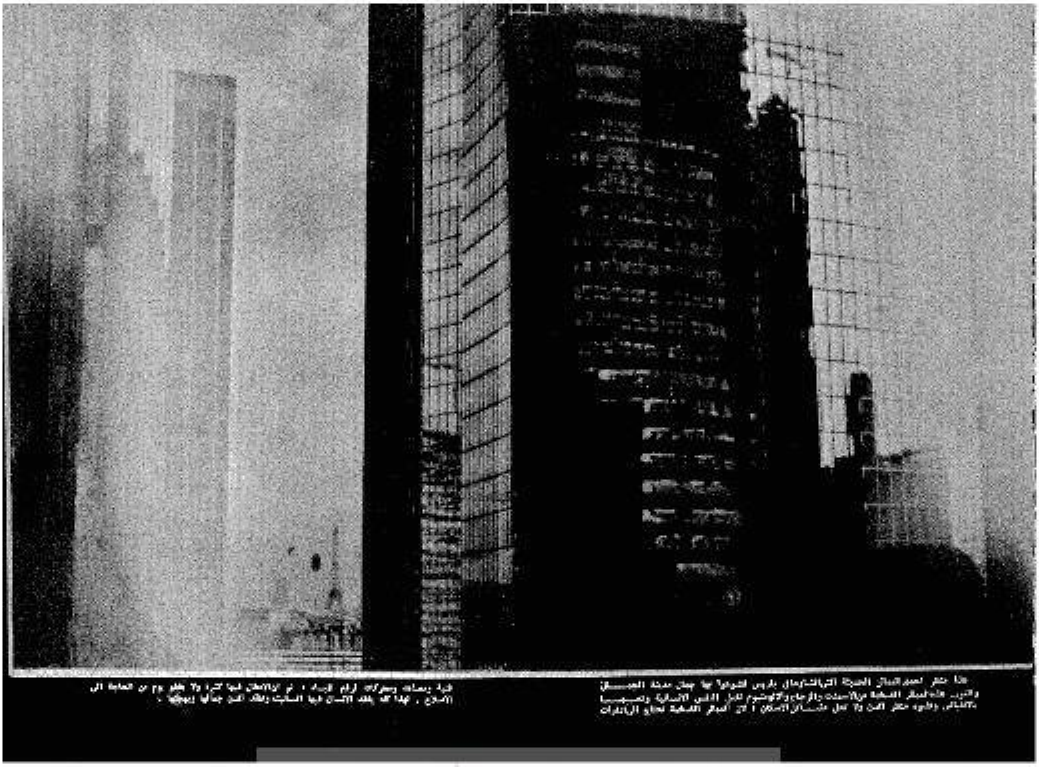
في الحي اللاتيني الذي اصطف دائما بالمحافظة [illegible] مركز بومبيدو الثقافي ، بشكل غريب من الحديد ، والزجاج والالومنيوم [illegible] الحي كله ومع ذلك فان للحركة الثقافية قيمة ، لكن الثقافة والفن لا يزدهران في بيوت الحديد والزجاج والالومنيوم والنحاس ؟ ان

الاحجار والكنائس والقاعات [illegible] العتيقة وحاجة الى شيء آخر يختلف تماما عن هذا [illegible] الشاذ . [illegible] باريس [illegible] ان تكون كل [illegible]



هذا منظر باريس القديمة في مقدمة الصورة بشوارعها ومبانيها الجميلة المريحة ، وخلفها نرى باريس الجديدة أو باريس ٢ بمستشفياتها الشاهقة وشوارعها الواسعة وحدائقها ، محتفظة بكل القديم جماله وشخصيته وتاريخه الحضاري ... التوسع . فهلا نرجو أن نعمل في القاهرة ؟ لا تشوه المدينة القديمة بالعمارات الشاهقة التي تحجب جمال المساجد ومآذنها

هكذا ، ونحن نشكو زيادة السكان والانشاءات الجديدة كما هي حالة بمصر مع القاهرة ، وتكون القرية الجديدة مستقلة بذاتها وأن مرافقها وطلاب سكانها كما فعل الباريسيون عندنا الآن مصر الجديدة منذ أكثر من نصف قرن . ألا يوجد بين من يخططون اليوم لا سيما القاهرة الكبرى رجل واحد يفكر بعقلية البارون امبان أو الباريسيين ؟ .



لم نخفف عن العاصمة بل زدنا ازمة المواصلات فيها تعقيدا .

البارون أوسمان شق البوليفارات ورسم هيئة الميادين وزينتها ،واليه يرجع الفضل فى ميدان مثل الكونكورد اتساعه عشرة أفدنة معظمها حدائق ، وهو الذى انشأ بوليفار الشانزليزيه وميدان الاتوال ومجموعة البوليفارات والشوارع البديعة التى تصب فيه ..

لو أردنا انقاذ القاهرة لكان علينا أن نمد أولا على ٢٠٠ كيلو متر منها وفى وسط الصحراء مساحة لمدينة جديدة ننقل اليها من سنخلى القاهرة منهم : مدينة جديدة كاملة فيها كل مطالب الحياة ، ثم ننقل اليها الناس بأسرهم واقاربهم بل اصدقائهم ، وهناك يمارسون حرفهم ، واعمالهم : النجار نجار والطبيب طبيب وموظف الحكومة موظف حكومة ، ثم نهدم كل حى بولاق ومعروف ، وهناك على شاطىء النيل ننشىء « السيتى » أى مدينة الاعمال والصالون .. نرسم كل شىء مقدما قبل البناء : نعرف اتساع الشوارع وارتفاعات البيوت واشكالها ومواضع الحدائق والاشجار ، بل قد ننشىء خطا للمترو من أول « السيتى » الى آخرها مع خطوط جانبية حتى لا نفاجأ بعد خمسين سنة بأن مدينتنا الجديدة تختنق بمئات السيارات وخطوط الاوتوبيس .

هذا ما فكر فيه ونفذه البارون اوسمان واخوه عندما شرعا فى انشاء باريس التى نراها الآن ــ فى منتصف القرن الماضى ..

وبعد مائة سنة ، أى بعد الحرب العالمية الثانية بدأت باريس تعانى ازمة ضغط السكان ، وظهرت الحاجة لانشاء مبان لادارات الشركات ،فأخذوا ينشئون ناطحات سحاب من الحديد والالومنيوم والزجاج وهدموا أحياء قديمة تماما مثل حى جوسيو وانشأوا عمائر جديدة ..

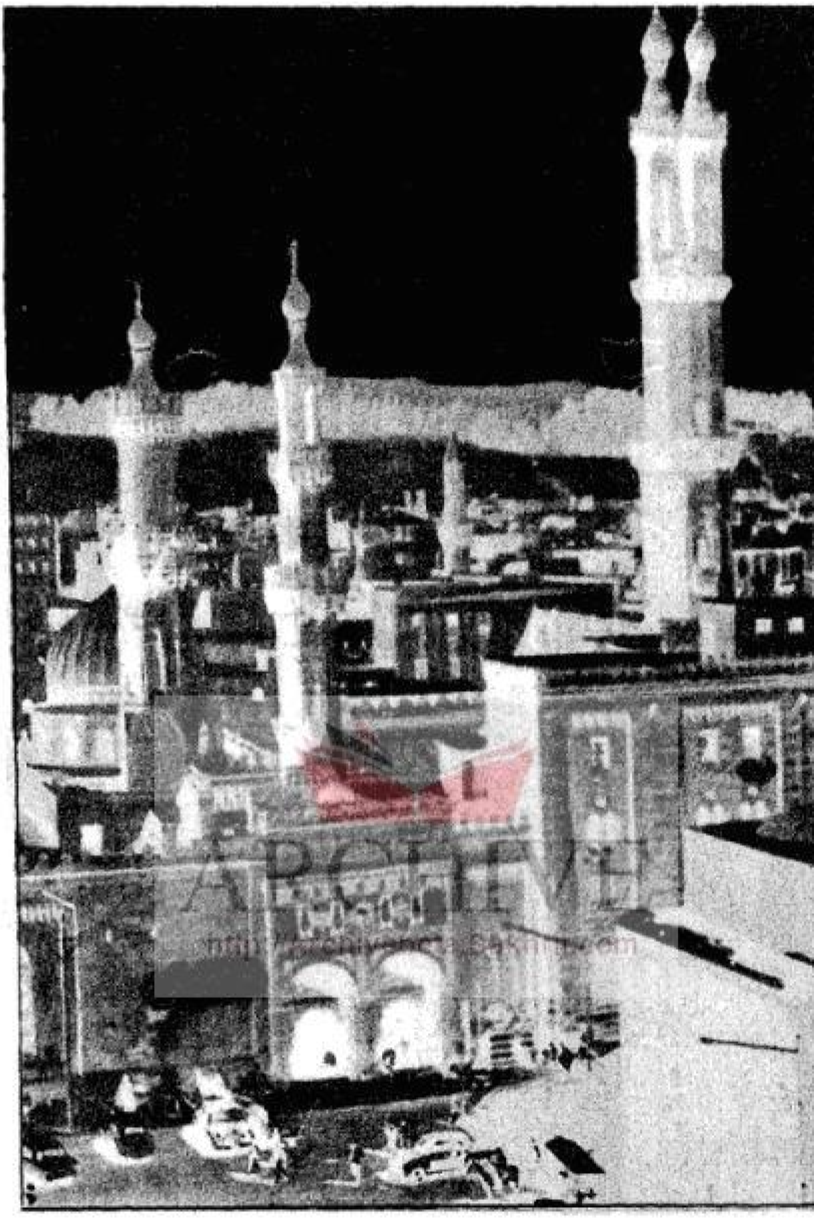
لم حدث ، من عشر سنوات ، أن انشأوا فى قلب باريس مبنى هائلا من الحديد والاسمنت المسلح والالومنيوم سموه مركز بومبيدو الثقافى ، وبعد أن فرغوا منه تبينوا أنهم ارتكبوا جريمة فى حق باريس ، فقد افسدوا الضفة اليسرى ــ لا ريف جوش ــ من مدينتهم الجميلة ، فتقدم الرئيس ديستان بمشروع تخطيط باريس الكبرى بعيدا عن باريس التقليدية .. على بعد ٢٠ كيلو مترا أخذوا ينشئون « السيتى » الجديدة بعمائرها السامقة وبوليفاراتها الفسيحة وحدائقها الغناء .

وعندما قرروا نقل سوق الخضروات الشهير فى وسط باريس القديمة ، بدأوا بانشاء السوق الجديد خارج باريس ، بنوه على أحدث الطرق : كل المخازن لها ثلاجاتها الضخمة تحت الارض ، انشأوا دورين تحت الارض للمخازن ، وتحت الدورين دورين آخرين للمرافق ، ثم مدوا تحت ذلك كله خط المترو .

ثم هدموا السوق القديم .

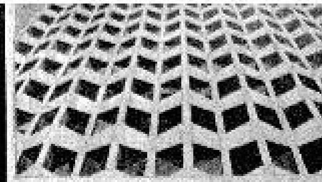
وانشأوا محله حيا جديدا مزدانا بالحدائق والمتنزهات والمحلات الجديدة الانيقة .

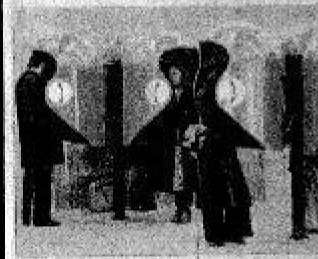
هذا أيضا ينبغى أن نفعله : بدل سوق الخضر الرهيب فى روض الفرج حيث يخاف الانسان أن يتمشى بالليل أو بالنهار لابد من انشاء سوق خضر جديد لا فى شبرا ولا فى وراق الحضر ، بل لابد أن نسير غربا مسافة عشرين كيلو مترا فى الصحراء ونضع خطة السوق الجديد هناك ، وقبل أن ننشئه ننشىء الشارع الواسع الذى سيؤدى الى السوق ، ويستحسن أن نشق نفقا تحت الارض حتى لا يأخذ الشارع مساحة مزروعة نحن فى حاجة اليها ، وينبغى من الآن أن يتغير نوع تاجر الخضر بالجملة وطريقته فى العمل لانه من العيب أن يظل تدوين القاهرة كله فى يد جماعات تفكر بعقلية العصور الوسطى وتدير الاعمال على مقاعد مقاه بلدية سخيفة وتتخذ القرارات وهى تدخن النارجيله ، من العسير جدا أن

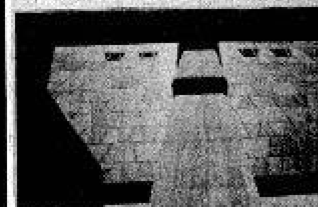


الجامع الازهر ، منارة العلم الخالدة ، المسجد نفسه لا يتميز
بجمال فني كبير بسبب كثرة من تعاقبوا على بنائه والاضافة اليه ،
ولكنه رمز من رموز القاهرة التقليدية .

ابتكارات بديعة في باريس الجديدة

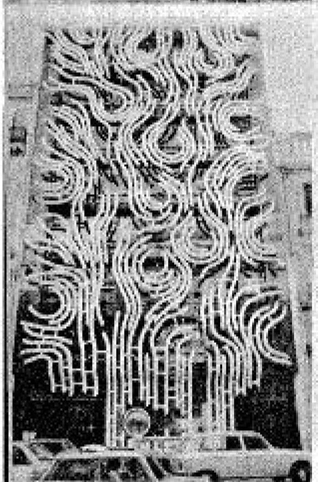






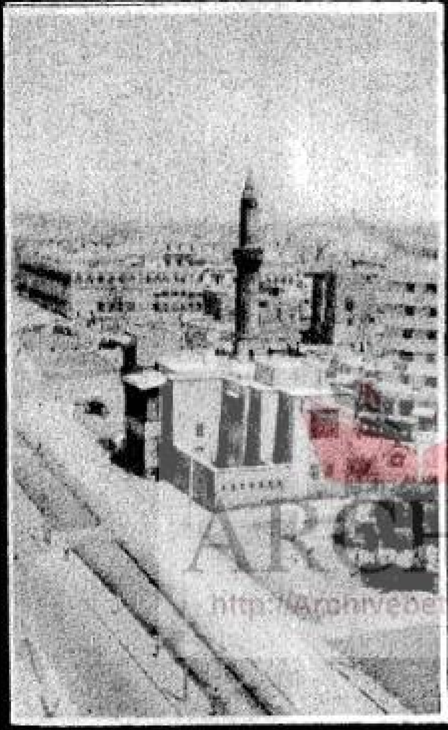
[illegible]





[illegible]



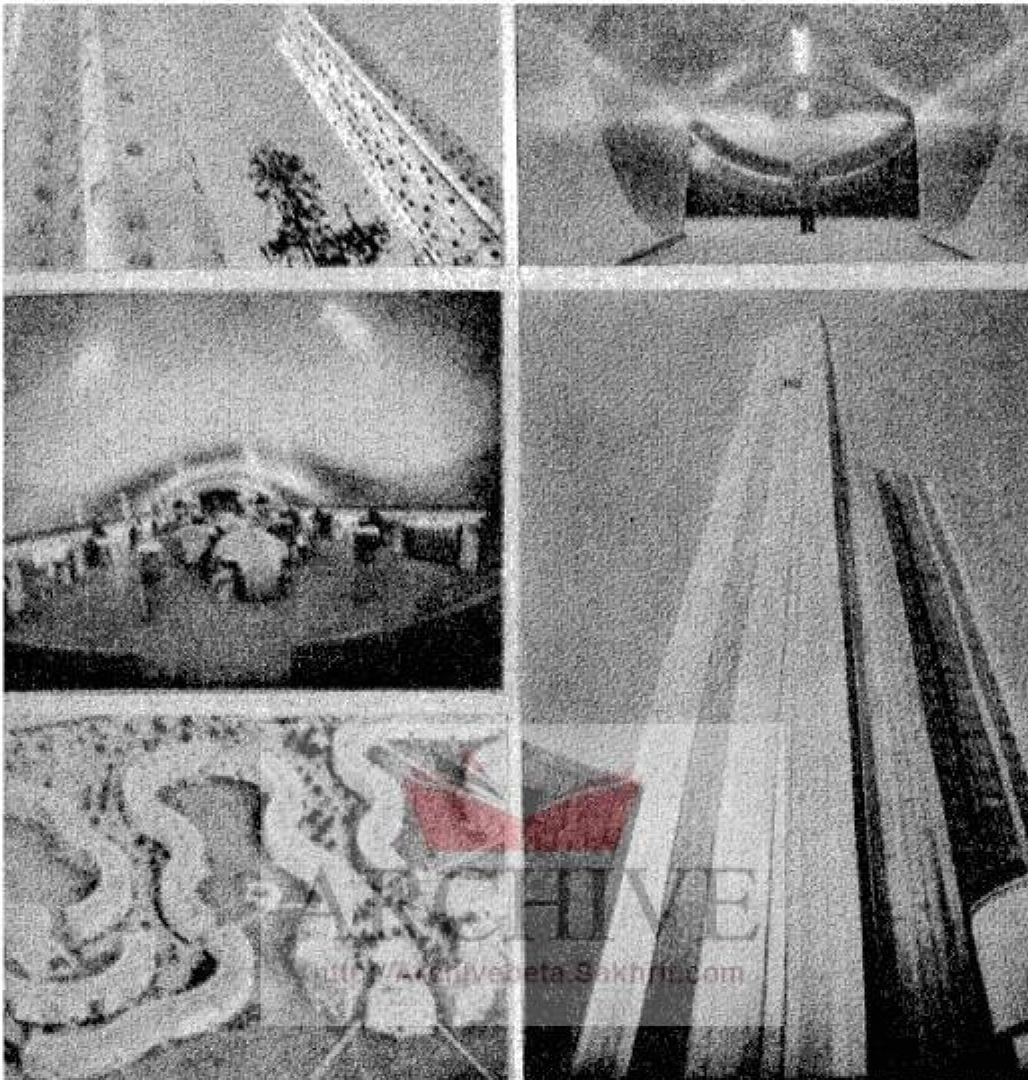


نموذج كانوا قد عملوه لمبنى جديد للمتحف المصرى مع تنظيم جديد لميدان التحرير ، وقد رفض التخطيط لان الامر استقر على المحافظة على مبنى المتحف المصرى كما هو •

شارع الخليج المصرى بعد تجديده ، انه يسمى اليوم شارع بورسعيد ، وكنا ننتظر ان يكون من اجمل شوارع القاهرة ، ولكن يد الفوضى ما لبثت ان عبثت به ، فاضطرب وضاع تخطيطه الاصلى •



شارع الخيمية المسقوف · طراز قديم اختفى من القاهرة
الجديدة · كان من الممكن أن نحافظ عليه مع تجديده وتنسيقه ،
ولكن حركة التعمير فى القاهرة تعصف بكل شىء ·



نماذج من المبتكرات الهندسية والزخرفية فى انشاء عمائر سنة ٢٠٠٠ فى باريس الكبرى ، انهم يتحرون ان يكون كل شيء جديدا مبتكرا ومتمشيا مع تقاليد الذوق الفرنسى فى نفس الوقت ، الفـرق بين باريس الكبرى كما يصممونها هناك والقاهرة الكبرى كما نصممها هنا انهم يضعون صـورة البلد الجديد كاملة ، متناسقا بعضها مع بعض ثم ينفذون ، اما نحن فلا نعرف التصور على الافق الواسع .. تصورنا دائما فى حدود ضيقة ..

تعتمد قاهرة سنة ٢٠٠٠ على هذا الطراز من التجار وعندنا كليات تجارة تخرج شبابا لابد أن يتولوا هذه العملية الضخمة الخطرة ، وكيف نريد والله أن نسيطر على أسعار الخضر والفاكهة ونحن تحت رحمة المعلم فلان والمعلم علان ؟

اتخذ الرئيس ديستان ذلك القرار وبدأوا في التنفيذ • على بعد عشرين كيلو مترا من باريس ،ودون أن يفسدوا جمالها وضعوا تخطيط مدينة كاملة امريكية الشكل فرنسية الروح : الشوارع بوليفارات فسيحة والميادين كثيرة واسعة ، والحدائق بلا عدد ، والارصفة عريضة ، وحددت اماكن المقاهي والمطاعم ، لأن روح باريس هي مقاهيها ومطاعمها ، ولكنهم لا يسمحون لمقهى بان يأكل من الشارع ليضع كراسيه ، لقد حسبوا قبل البناء المساحة اللازمة لامتداد المقهى وجعلوا هذه المساحة بعيدا عن الرصيف بحيث يكون امتداد المقهى في نفس مبنى المقهى ويظل الرصيف للمارة •

وقبل ان يشرعوا في البناء حفروا انفاق المترو وانفاق المرافق تحت الارض • هناك نفق ضخم عرضه ١٥٠ مترا وارتفاعه ٣٠ لانابيب المياه والكهرباء والغاز وحدها • اذا ارادوا الآن اصلاح المواسير لم يحفروا الشارع بل نزلوا الى الشارع السفلى واصلحوا ما يريدون اصلاحه • والى جانب هذا النفق نفق المترو • ومحطات المترو انشئت لتخدم باريس سنة ٢٠٠٠ •

بل ان كل توسعات جامعة باريس جعلت خارج باريس ،وبدلا من ان تغص جامعة باريس بمئة وخمسين الف طالب قسموها الى ثمانية جامعات متخصصة كل جامعة في ضاحية من ضواحي باريس هناك جامعة للاداب وجامعة للعلوم الطبية وجامعة للعلوم التجارية وجامعة للعلوم الهندسية •• وكل جامعة مدينة مستقلة بنفسها بكل مرافقها ومطالبها بحيث لا يحدث ما يحدث عندنا من ان طالبا يقطع كل يوم المسافة من المرج الى كلية التجارة بجامعة القاهرة ، بل الطالب يقيم هناك في مدينته الجامعية ، ولا ينزل باريس الا لماما ، والغريب انهم حسبوا تكاليف اقامة الطلاب في مدنهم الجامعية فوجدوا أنها أرخص على أهاليهم من نفقات الانتقال واستهلاك الملابس مع أن نفقات المدينة الجامعية هناك لا تهبط الى ذلك المبلغ الذى لا يصدق الذى نأخذه من ساكن المدينة الجامعية عندنا، فنحن نأخذ خمسة جنيهات في الشهر من الطالب في مقابل الاقامة الكاملة مع أن الطالب ينفق الى جانبها ٢٠ جنيها **لكي يعوض على نفسه وجوه النقص الكثيرة في المدينة من سوء مستوى الطعام وعدم ملاءمة الحمامات ودورات المياه ، ولو اننا درسنا الموضوع جيدا لوجدنا اننا نستطيع أن نقدم للطالب سكنا جامعيا محترما حقا في حدود ٢٠ جنيها في الشهر ، وهو مستعد لدفعها لأن المدينة الجامعية الحالية تكلفه خمسة وعشرين وثلاثين ، والجنيهات الخمسة التي يدفعها الطالب اسطورة خادعة ، ونحن عندما نجعل رسوم المدينة** الجامعية خمسة جنيهات نظلم الطالب ، لاننا في الواقع نقدم له بالجنيهات الخمسة شيئا لا يساوى جنيها واحدا ، ودعنا والله من كلام المسئولين عن هذه المدن ، انهم يعرفون الحقيقة ولكنهم لا يقولونها ، وينبغي أن نتعلم كيف نواجه الحقائق بالصراحة والموضوعية بدلا من أعمال خداع النفس التي لا تنتهي ولا تؤدى الى شيء •

امامك باريس الكبرى فانظر كيف يصنعونها وكيف ينظمونها • انهم يفكرون طويلا قبل أن يبدأوا العمل ، ويتصورون سنة ٢٠٠٠ قبل ان يضعوا حجرا • وهم متحررون من عقلية موظف الدولة عندنا الذى يعتقد أن وظيفته هي خداع نفسه واقناعها بانه يعمل مشروعات وينفذ أحسن تنفيذ بينما هو في الحقيقة لا يعمل شيئا لانه لا يتعب ذهنه ، ومن طريف ما نذكر ان موظفا كبيرا أعلن ذات مرة عن انشاء مصنع خشب مضغوط وقال انه سيوفر لنا عشرة ملايين جنيه في السنة • ثم تبين ان المصنع الذى ينشئه سيادته لا ينتج خشبا الا بمائة الف من الجنيهات وانـ نستورد الآن بعشرة ملايين من الجنيهات خشبا من ذلك النوع ••

● د • حسين مؤنس ●

قصـــة

العربة والقطار

● فؤاد بركات ●

ـ ١ ـ

● على مائدة الغداء ، كانت زوجته ـ على غير العادة ـ تنظر اليه نظرات فاحصة ، وهي تحرض الاولاد على الاسراع في تناول الطعام .. ولداه يلجآن اليه عند غضبها ، لكنهما على مائدة الطعام يلتزمان بطاعتها ، ومن يتكاسل فلغضبها شديد لن ينقذهما هو من عواقبه .

تفادى نظراتها ... ترتدى قميصها الابيض يكشف عن ذراعين عاريتين ، جسدها يزداد امتلاء وترهلا .. الحجرة مبعثرة الظلال ، والعتمة تتسلل الى الغرفة على غير العادة ... الابن الصغير نهض ليفتح المصباح فنهره ولاذت هي بالصمت ، رغم انها عادة كانت تنتصر للصغير .

الالوان في الحجرة كانت غير واضحة ، راح يحملق في صورة تهتز بهارقد نسيجها منذ كالقاعة

ـ الصورة كانت تبعث اليه بالضيق ، صورة جرو يرتكز على شجرة ويطل ببلاهة الى نهر غير واضح المعالم ، وقد نسجتها في عدة أشهر ، وأحاطتها باطار ثمين ... يقول هو لها : ـ ان الاطار أثمن ما في اللوحة !

انتهى من الغداء ـ وفي سكون اتجه الى ركن بعيد ، وراح يقرأ جريدته .. فلاحقه اليه صوتها آمرا :

ـ ذاكر للولد دروس الحساب ..

قال لها في صوت مرتعد انه لن يفعل فهو متعب ... ثم ان هناك موعدا في السادسة .

أتاه صوتها حادا قاذفا بموضوع دائم للشجار :

ـ من يوم اشتريتا العربة وأنت كثير الخروج !

كان الجواب هو الاستغراق في قراءة الجريدة .. بيد أنه عاد ونهض متثاقلا وراح يحكي لها أن زميله في المكتب قد دعاه الى زيارة ضرورية لحل مشكلة خاصة مع اشكاله ... نظرت اليه في استياء وهي تسوى من ملابس مغسولة .

.. العربة .. موضوع النزاع ، كانت هي الاكثر سعادة بشرائها ، دفعت اليه من ثمنها النصف ... كانت تحرص في البداية الا يخرج بها وحده ، ولكنها منذ عدة أسابيع ـ وفي فترة هدنة ـ قد رضخت لالحاحه ان يذهب بها الى العمل ... عندما يعود فانها تسأله عشرات الاسئلة عن العربة ، وأحيانا تسجل قراءة المسافات وتحاسبه في صرامة .

اليوم ، حادث جديد غريب صادفه .. عدة مرات من قبل ركبت معه سيدات لتوصيلهن الى مكان في طريقه ، كانت دائما مجازفة منه ـ فهو رجل متحفظ والعاقبة قد تكون وخيمة ... وفي الظهيرة ، اشارت اليه مع بسمة ، ركبت بجواره ، حسناء لعـــوب ، قالت في ضحكة :

ـ عربتك قديمة ، وانا احب ركوب العربات القديمة .. احس بالامان !

لم في وقار : مشكلة المواصلات معقدة !

واردفت في صوت مهذب :

ـ آسفة لتعطيلك !

كان عبقها فواحا .. اليرى في رقة وكبرياء :

ـ العربة حديثة الطراز ، و .. ثمنها للالة الاف !

قالت له : زوجي يمتلك عربة « مرسيدس » ، هو الآن مسافر ، ولا أجيد القيادة ...

ـ ٢ ـ

زوجته حلت بالصغير كي يأتي بكراسة الحساب ، والولد وقف في الغرفة يشاهد مباراة حامية في الكرة ... عندما تكرر النـــداء عدة مرات ، أتاها متباطئا ، ونظراته اليها تتقلب بين الخوف والتصنع اللامبالاة .

نظره الى داخل الشقة ، وهو يقرأ كعادته الصفحة الاخيرة قبل أن يقرأ أي خبر في الجريدة ، كان هناك كاتب يتحدث عن الحب ...

النظرة الاولى .. كانت واقفة وحيدة على الطريق في ركن خال ، على بعد ثوان استرعت التفاته ، قوامها ملفوف ، ساقاها واضحتا الدقة والاناقة ، والصدر بارز متماسك ، والشعر أسود فاحم مختلط بخيوط الذهب ، وفستانها ارجوانى بالغ الاناقة ، عيناها تتلألآن ، وفي لقاء مع عينيه ، وبسمة تمنيه عن مهداة اليه ـ يحس أنها كانت تنتظره وتتأهب لاستقباله كالنائم ، عبر بوابة أسوار قديمة ... بتلقائية مدهشة دون أن تمديدها أو تومئ بالرأس ... توقف الرها بخطوات ، من خلال المرآة شاهدها وهي تتقدم الى العربة متلهفة .. يفتح لها الباب ، فتستلقى الى جواره ... سألته في صوت رقيق : طريقك الى المعادي ؟!

لم يكن طريقه هناك فهو يقطن في الجيزة ، بيد انه انطلق قبل أن يجيب ..

انحرف القائد أسفل عينيه انتابها الاعتام ... سجادة الصلاة كانت بجواره ، نهض ليتوضأ وليصلي ... هناك علبة سجائر ، يدخن سيجارة كل عدة أيام ، اثر الصلاة بدقائق ... نهض واشعل سيجارة ، وهو يحس انه أسفل منظار زوجته التي قالت له ، وهي تذاكر لابنها موضوعات الحساب :

ـ هل مشوارك ضروري باحلال الشاكل .. ؟!

ـ انه هنا بجوارنا ، وكلها ساعة واعود ...

لم يكن على ملامح زوجته أدنى تعبير للارتياب ، تعبيرات الارتياب تلك اختفت من وجه زوجته منذ

أعوام ، وقد التمها هو – أن امرأة لعوب لن تسعى سوى وراء شاب صغير أو عجوز موسر – وهو ليس كذلك

مع أنفاس السيجارة ، أحس برأسه يدور ، شيء ما قد حدث – لم يحدث اليوم ... يذكر أنه منذ صباه كان يحلم بامرأة ما ... كان أحيانا يراها في يقظته ، حينما تزوج أقنع نفسه أنه تزوجها ...

ومنذ أعوام عاد الحلم القديم غالبا مشوشا مجهضا – أقنع نفسه في حسم أنهن سواء ... وهناك الحرام ، والحرام حرام .. وهو أسوأ للجنايات عدا القتل .. الحب أوهام المراهقين والعزاب والفاشلين من المتزوجين ... وأي يكون هناك مستقبل حلال لحب رجل يدنو من الخمسين ويأخذ مصروفا من زوجته خمسة جنيهات ؟!

ضحك . وهو يسترجع هذه الحقيقة ... وركل الجريدة في سأم وتمرد ، وعاد ليلتقطها ويهمس :

– لم أعقد الامور ... انها مجرد تجربة صغيرة عابرة !

حينما انطلقت العربة تناهى اليه عبقها ، نظراتها الجانبية كانت طاغية ، جسدها يدق جسده ، انها الفتنة بالتأكيد .. أشعلت سيجارة ، وقال انه لا يدخن – همست :

– أنت نموذج لابد لزوج طيب !

ضحك ... ورجل آخر ضحك في مرح :

– الزواج عادة مملة .. أليس كذلك ؟!

اتكأت بذراعها على مسند الظهر ، وقالت :

– زوجي يعود شهرين كل عام ، أشتاق اليه في جنون ... يعود ، وأثر أسبوع واحد يعود الاحساس بالسأم ... ويوم يسافر أرجوه في ضراعة أن يبقى ... لسنا في حاجة الى فلوس !

ثم أردفت : سافر منذ شهرين ... يحدثني تليفونيا كل عدة أيام ...

صوبت اليه سؤالا مباغتا : سعيد أنت في حياتك الزوجية ؟!

أجابها وهو يأكلها بنظراته : قطار الزواج ما أن ينطلق ، حتى يسير ببطء ... حتى الموت ..!

أحس ان شخصا آخر يتحدث في تلق ومرح...

ثم يلبي :

– أنت على فكرة رائعة الجمال .. أنت أجمل امرأة رأيتها !

انتعش وجهها ببسمة حادة ، صارحته أنها بكثيرة همست في نعومة :

– قال لي الكثيرون انني جميلة ، ولكن أحدا لم يقل انني أجمل من رأى ، لعلك لم تر الكثير من النساء ؟!

أجابها في اصرار : بل رأيت الكثيرات ... أنت أجمل من أية نجمة سينمائية في العالم ، ليس فيك كلك نقطة واحدة ليست جميلة ... صدقيني ، تلك حقيقة !

تضرج وجهها بالتورد ... أهدته بسمة واسعة :

– أنت لطيف ، لطيف جدا ، احتاج أن أجلس اليك وأسمعك .. !

سألها في لهفة : متى ؟!

شردت بنظراتها الى بعيد ثم أجابت بسرعة :

– اليوم . أمام كازينو « .... »

– ولكنه في المعادي حيث تسكنين !

قالت له – لا أسكن في المعادي بل في أبعد مكان عنها

عندما ودعته ضغطت يده ، لا يزال يحس بالضغطة ويستعيدها همس لنفسه وهو ينهض ليرتدي بذلته قبل الموعد بساعة :

– والآن ... ماذا سيحدث ... بداية ، أم نهاية ؟!

– ٣ –

العربة تنطلق ... الحب والحياة ، وكلام رائع سيقال .. وماذا بعد الكلام ، قد عرضت اللقاء . توقفت العربة في اشارة ، وطال الوقوف ، وعقد شاربه ونظر مليا الى وجهه في المرآة ، اتجه بذهنه الى موضوع الحرام ، ماذا لو اندلعت الامور حتى النهاية ... لقاء في العربة ، فيلات ، والنساء قادرات ، اطراؤه ذهب يليها ، مضرورة تبحث عن معجب مبهور بحسنها ... الحرام ... حتى الصباح كان يقول للآخرين انه أسوأ ما في الحياة .. الآن يحس انه بالفعل قد انساق اليه ، قد انهار الى صراع قصير ... هل كان الاغراء قويا ، أم أنه كان في انتظار الاغراء متلهفا الى حدوثه ؟!

أحس للحظة بحزن وندم دونما رغبة في النكوص ... ليست كما يدعي مجرد الرغبة في التجربة .

... العربة انحرفت يمينا الى شارع كورنيش النيل ، النيل شاعري الملامح ، أطلق أنفاس الصعداء مع أغنية من الهجر يرددها المذياع ، تذكر زميلا ماجنا ، يقول كل يوم انه يلتقي في عريشة ببعضهن ... يعطين غالبا مواعيد زائفة ...

اعترضه الآخر :

– أنت لا تملك عربة ولا تعلم مغامراتها .. ثلاث نساء فقط يبررن بالموعد ، ويبدو أنني سأتزوجهن !

توقفت العربة أمام « الكازينو » – قبل الموعد بدقائق ، تلفت في تردد – ماذا لو رآه شخص يعرفه ؟ أو شاهد أحدهم العربة ... في قوة نفض عنه هذا الخاطر ، وتوقف موجها وجهه الى النيل .

كان يحلم .. بعد دقائق ستمسك بذراعيه ، سيلتقي الجسدان جسدا لجسد ، وعيناها في عينيه .. أقفل عينيه طويلا لتحيا .. كان الموعد قد مر بدقائق ، راح يتمشى معقدا وجهها ، كان هناك شاب ينتظر ، مشتاق على موعده ، والنيل يسري في سكون ... عيون تلمع ، أذرع تتشابك..

مر على الموعد نصف الساعة ... تذكر ، لو لم تحضر الآن سيفقد تماما أثرها ... سيكون مثل طيف ، حلم ساحر مبتور .

انتابه حزن عارم للحظات ، وهو يهمس :

– استسلمت ، وأيضا لا تأتي ..

ساد الظلام : لم يعد يرى صفحة النيل .... مر على الموعد ساعتان ، وأقف وحده مل من التجوال والبحث ، تضاءلت اللهفة وحل اليأس ... من ذاكرته رويدا رويدا تاهت ملامحها . – امرأة دلفت الى الكازينو – في أمل أخير دلف وراءها ...أبدا ليست هي . فقط رأى وجوه نساء رأين بأعين مشوشة وعلى شفاههن بسمات سخرية .

... عاد الى الشقة .. السلم في هدوء .. وجهه متغير ، زوجه لم تسأله .. الولد حمل كراساته قائلا له :

– على فكرة عندي غدا اختبار في الحساب ...

وهو يخلع ملابسه – حاول أن يتذكر أحلامه... عاد اليه الوجه الساحر ، خيل اليه أن قطارا يمضي به بطيئا ، الدوار .. من الخارج الوجه يبتعد ... يبتعد . يطل وجه زوجته، وذراعاها العاريتان !

المتنبى

دراسة عامة

• تأليف : جورج غريب •
• اعداد : عادل عبد الصمد •

● ما أكثر ما كتب المتنبى ، وما كتب عنه ..

والحق أن من يتناول حياة المتنبى بالدراسة والتحليل ، يجد نفسه امام تاريخ حافل بالتقلبات والتحولات والحياة الصاخبة ، الهادئة حينا والغاصبة غير الآمنة حينا آخر ..

وقد تناول مؤلف كتاب « المتنبى » تلك الحياة بكل تطوراتها منذ البداية مارا مع مراحل حياته بالكامل ، ثم تناول كل الوان فنه من شعر جيد بلغ به المجد والشهرة .

وما هو المتنبى الذى ولد فى عصر قلق واضطراب فتأثر بما فيه من استخفاف بالخلق والدين ، ورأى فى الدولة تفسيخا فاتخذ من تفوقه عدة للطموح ..

وهنا يذكر الكاتب انه بالرغم من أن طفولة الشاعر شبه مجهولة برغم ما وحدثاه فى الديوان ، وما ذكر الرواة ، فان ديوانه ليس فيه ما ينبىء عن عروبته او عن أبيه أو جده ، فجملة ما عرفه الرواة أن والد المتنبى كان سقاء يبيع الماء ، وكان ذلك سببا فى ان المتنبى كان يضرب عرض الحائط بكل مقومات الانساب فى التاريخ ـ فيقول :

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخرت لا بجدودى !

والواقع انه ليس هناك شىء ثابت عن حقيقة أبيه وعمدانية أمه ، ولعل مايفيد فى هذا المجال الالتفات الى البيئة الكوفية التى عاش فيها الشاعر بعد أن أحاط الغموض بنسبه .

ثم ينتقل بنا الكاتب الى ثقافة شاعرنا ، حيث أن أول مدرسة عرفها الصبى كما ذكر الرواة كانت المدرسة العلوية المختصة بالشيعة ، ففيها تعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن الكريم وتلقى أصول الدين والعلم والادب .

وقد تركت هذه المدرسة أثرها فى شعر صباه من حيث التقليد والاندماج

منذ العاشرة من عمره •

ثم تنتقل الى مرحلة أخرى استفاد منها الشاعر وهي خروجه مع والده الى البادية بعد ذلك فاستفاد فصاحة اللسان وازداد معرفة بأصول القرامطة

وبعد جلاء القرامطة عن العراق رحل المتنبي مع أبيه عن الكوفة الى بغداد ، ثم تركها الى الشام وهو في السابعة عشرة وكان لهذا التجوال والحركة القرمطية أثرهما الواضح في بناء مجده الشعري •

ومن المعروف انه في اثناء هذا التجوال ، أعلن دعوته ، فأخذ وسجن في العام ٣٢٢ بعد أن كثر ممدوحوه ثم قدم اللاذقية ولكنه سرعان ما رحل عنها نتيجة الحقد والحسد ••

وقد ذكر الكاتب هنا ان سبب سجنه ليس نبوءته كما يرى د • طه حسين ، ولا قرآنه المزعوم ، بل الرأى العام الذى تألب ضده ، وهو بعد حبسه لم يستقر به مكان لانه كان قد غاضب الناس جميعا •

وهنا نجد ان حياته ذات شقين ، فهو في الاولى شقي آمل وفي الثانية شقي يائس •

وأراد الكاتب هنا أن ينبه الى جزء هام من حياة المتنبى ، فمما لا شك فيه ان لعبة سياسية حملت المتنبى الى مصر فقد أراد الاخشيديون أن ينتزعوا من خصوم الحمدانى صوت الدعاية الصارخ فلم يجدوا أمامهم سوى ابى الطيب المتنبى ••

ولم يفطن الشاعر الى هذه الخدعة لانشغاله بأحلامه الخاصة ، بل انقاد بحيل السياسيين ، وراح يتلمس السراب ، فظن ان كافورا يرى فيه ما يرى هو في نفسه من غرور وكبرياء ورفعة ، فلم يفطن للخدعة التى قام بها سياسى حاذق كان همه الحاق الضرر بأكبر خصومه ••

وكانت خيبة المتنبى عند كافور في آماله وطموحه وطمعه قد ضاعت ، فأعطى أعذب وأرق ما عنده من شعر •

والمتنبى كشاعر مثل بقية الشعراء أخذوا من هموم العيش وتصرفات الزمان مادة لقوافيهم ، فما من شاعر الا تلمس دنيا الحكمة وكان للمتنبى في مجالها الباع الطويل ، فيقول :

الممتنى الدنيا فلما جئتها مستسقيا مطرت على مصائبا !

ويقول في موقف آخر :

نبكى على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
اين الاكاسرة الجبابرة الاولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا !

وفي الفخر يقول :

قالت عن الرفد طب نفسا فقلت لها لا يصدر الحر الا بعد مورده
لم اعرف الخير الا مذ عرفت فتى لم يولد الجود الا عند مولده !

ويزداد عنفه فيقول :

امط عنك تشبيهى بما وكأنه فما احد فوقى ولا احد مثلى !

وفي الغزل يقول :

كل جريح ترجى سلامته الا فؤادا رمته عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

والمتنبى يعتبر تراثا ضخما من حياة العرب ونبوغهم الفنى والأدبى برغم ما كان يعتريهم من تيارات ضخمة تكون عائقا يطمس الثقافة • ولكن اصالة الثقافة في البيئة العربية هى التى جعلت هذا التراث حتى اليوم حيا نابضا بالعلم والأدب والفن •

●●

لكل شهر عربي قصة

شهر صفر

● مصطفى الشهابى ●

● شهر صفر ، هو اسم الشهر الثانى من شهور السنة القمرية أو الهجرية ، وكان يسمى فى الجاهلية « ناجرا » ثم سمى فيما بعد « صفرا » . وقالوا فى سبب تسميته بصفر : أن العرب كانت تكثر فيه الغارات وتطلب فيه الثارات ، فيتركون الديار صفرا أى خالية من المتاع ومن السكان .

وقيل كذلك ان العرب كانت تشترى تقصد فيه الى أسواق اليمن التى تسمى الصفرية لبيع الصفر ، أى النحاس ، فيها ..

وقيل كذلك أن العرب كانت تشترى فيه من اليمن تمرا يمانيا يسمى الصفرية كان يجفف قبل أن يصلبح رطبا ليستعمل فى تحلية السويق وهو طعام يصنع من مدقوق الحنطة أو الشعير .

وكان العرب ينسئون ، أى يؤخرون حرمة المحرم الى صفر ، لانهم ما كانوا يستطيعون العيش دون غزو ثلاثة أشهر متواليات هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فكانوا يطلبون من الناسيء أن يؤخر حرمة المحرم الى صفر ، لأن معاش أغلبهم كان من الاغارة .

فاذا كان فى السنة المقبلة حرم الناسيء المحرم وأحل لهم صفرا .

ولكثرة ما كان يقع فى شهر صفر من كثرة الغارات والقتال كان يعتبر من الأشهر البغيضة ، ولذلك كانوا يتشاءمون منه ، وظل ذلك التشاؤم ينتقل من جيل الى جيل حتى اصبح بعض المسلمين لا يعقدون فيه زواجا أو يسافرون لتجارة .. الى غير ذلك من الامور .

وبمرور الأيام حصر العامة الشؤم فى آخره ، وخاصة آخر اربعاء فيه .

وعلى عكس ما ذهب اليه هؤلاء ، فقد وصف هذا الشهر بالخير فقيل : وصفر الخير » .

اهم احداث صفر

واهم ما وقع فى صفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ هجرته من مكة الى يثرب (المدينة) فيه ، فقد خرج من مكة فى أواخر صفر فى السنة الثالثة عشرة من مبعثه عليه الصلاة والسلام ، واختفى فى غار ثور الى أن خرج مع صاحبه ابى بكر قاصدا نحو يثرب ..

وفى صفر من السنة الثانية للهجرة وضع الحجر الأساسى لبناء الحرية الانسانية وصرح القوة العربية والعزة الاسلامية عندما أنزل الله سبحانه وتعالى على الرسول الكريم قوله : **« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »** . فكان ذلك الأذن اعلانا للجهاد ضد المشركين المعتدين الظالمين للمسلمين ، كما كان استجابة ربانية لرغبة المسلمين فى مجابهة اعدائهم وتبرمهم بالموقف السلبى الذى يقفونه منهم .

وكان هذا الاذن بقتال المشركين لاثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر

نحق أن يسمى « عيد الجهاد الاسلامى » وتوالت بعدهذا الاذن الكريم التشريعات الربانية التى نظمت شئون الحرب ووسائل القتال وكل ما يتعلق به .

وفى هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة كانت غزوة الأبواء أو (ودان) وهى أول غزوة قادها النبى صلى الله عليه وسلم ضد قريش . ولو أنه لم يحدث قتال الا أن الغزوة أثمرت ، وذلك لتحالف النبى مع بعض القبائل العربية فى تلك المنطقة .

وفى صفر من السنة الرابعة للهجرة كانت سريتا الرجيع وبئر معونة وقد استشهد فى كلتيهما غدرا بعض المسلمين ولكن المسلمين انتقموا من الغادرين .

وفى صفر من السنة السابعة للهجرة وقعت غزوة خيبر التى قاد جيشها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هدفها القضاء على اليهود فى شمال المدينة ، لاثارتهم المشركين على المسلمين ، وانتهت بتحصن اليهود فى معاقلهم ، ولكن تلك المعاقل سقطت الواحد بعد الآخر واستسلم اليهود وطلبوا الصلح على ان يحقن النبى الكريم دماءهم . وقبل النبى وابقاهم على ارضهم التى آلت له بحكم انتصاره عليهم ، على ان يكون لهم نصف ثمارها مقابل عملهم فيها ، لان ما كان بخيبر من الحدائق والمزارع والنخيل كان يحتاج الى الأيدى العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن زراعته .

مواقف واحداث

وجدير بالذكر ما وقع عقب الصلح فقد اهدت زينب بنت الحارث الى النبى الكريم شاة فلما جلس واصحابه حولها ليأكلوها ، وتناول عليه الصلاة والسلام الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها فلفظها وهو يقول : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » ..

ثم دعا بزينب فاعترفت وقالت : « لقد بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر » .

وقد اختلف الرواة فذكر اكثرهم أن **النبى عفا عن زينب وقدر لها عذرها بعد الذى اصابها وأباها وزوجها . وذكر البعض أنها قتلت فى بشر بن البراء الذى مات مسموما بسبب ما أساغه وازدرده من تلك الشاة .**

وكان لما فعلته زينب اثره فى نفوس المسلمين اذ اصبحوا لا يثقون باليهود بل يخشون غدرهم افرادا بعد أن قضى على جماعتهم القضاء الأخير .

وكانت صفية بنت حيى بن أخطب احدى سبايا تلك الغزوة،وقال المسلمون للنبى : « صفية سيدة بنى قريظة والنضير لا تصلح الا لك » . فاعتقها النبى وتزوجها .

والعظماء الفاتحون كانوا يتزوجون من بنات ونساء عظماء الممالك التى يفتحونها ليخففوا من مصابهن ويحفظوا من كرامتهن .

وقد خشى أبو ايوب الأنصارى أن تتحرك الضغينة فى نفس صفية بسبب من قتل من اهلها ولذلك بات حول الخيمة التى اعرس فيها النبى بصفية ، متقلدا سيفه . وفى الصباح رآه النبى فسأله عما دفعه الى هذا الموقف فأجاب بأنه خشى على النبى منها لما أصابها . وقد كانت صفية من أوفى زوجات النبى .

وفى هذا الشهر من السنة الحادية عشرة جهز النبى سرية اسامة بن زيد ولكن جيش تلك السرية عاد للمدينة لما علم بوفاة النبى ، غير أن أبا بكر انفذ تلك السرية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام عقب المرض الذى أصابه فى اواخر صفر من تلك السنة .

ومن اهم الأحداث البارزة فى تاريخ مصر خلال شهر صفر ، جلاء الفرنسيين عن دمياط ، عقب العدوان الصليبى الذى قام به لويس التاسع ملك فرنسا ، فى سنة ٦٤٨ هـ بعد اسره واطلاق سراحه نظير فدية مالية كبيرة . كما وقع الفرنسيون فيه عام ١٢١٦ وثيقة الجلاء عن مصر بعد احتلالهم لها ثلاث سنوات فقد وقع الانجليز اتفاقية الجلاء عن مصر فى ٢١ من صفر سنة ١٣٧٤ (١٩ من اكتوبر سنة ١٩٥٤) .

كاريكاتير

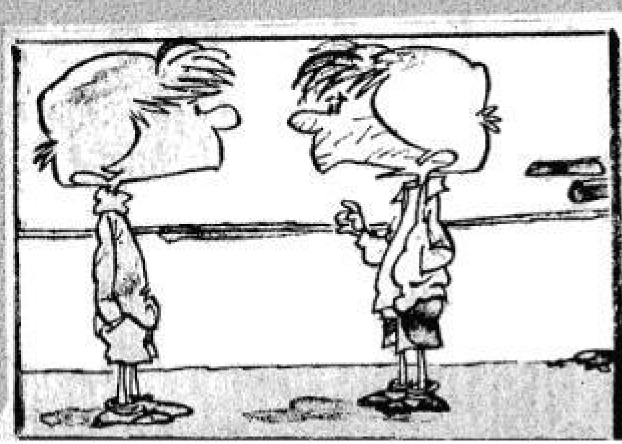
جيل جديد جداً!



الولد : أنا فرحت وحمدت ربنا على خلقتي الملخبطة دي ، علشان أستريح من الفسرة ودوشتها ! .. تفتكري خطرك تيجي والفسري على بوءه وتدوشني ؟!



الولد لصديقته : هو كل مرة أنا اللي ادفع لمن نأخر السينما . ماتخليكي واحدة كويسة كده وامريكانية وتدفعي لنا احنا الاتنين !.



الولد لصاحبه : يابختك ياعم .. أبوك بيسافر كل يوم ويريحك من أوامره .. مش زي أنا اللي أبويا قاعد لي كل يوم وواخد باله قوى مني !



الولد لوالده : تعرف ليه بقى انا اخدت نمر كويسه النهاردة ؟ ... علشان انت كنت مسافر امبارح وماساعدتنيش في حل الواجب !



الولد للمارد : من غير ماتتعب نفسك وتقولي شبيك لبيك .. انا طلباتي بسيطة .. عاوز ثانوية عامة بنسبة نجاح ١٠٠٪ وبكالوريوس طب باختيار ونيابة في قصر العيني ، وعروسة جميلة ومهاودة ، وكام مليون جنيه عملةصعبة ، و .. كفاية كده مؤقتا !.



الولد لابيه : قالوا لي في المدرسة روح وماتجيش الا مع ابوك .. يظهر انهم عاوزينك علشان تكمل تعليمك ! ..

انت طبيب نفسك

● د . السيد الجميلى ●

طبيب نفسك

جاءنى لاول مرة مستبشرا على غير عـادته ، لانه دائما كان يواصل الاتصال بى للاشراف على حالته اذ انه مصاب بضيق الصمام الميترالى بالقلب وارجاع الصمام الاورطى . وقد عانى الكثير والخطير من مضاعفات هذه الحالة مكابدا من آلام شديدة كان اقسى مافيها هو العامل النفسى ..

وكان دواؤه بالعقاقير مقررا من واقع التقدير العلمى .. اما دواؤه النفسى فكان لعلاجه شقان اولهما بالعقاقير ، وثانيهما يتوقف عليه هو نفسه كل التوقف ..

وقد كانت الأعراض المضوية تنهكه فيزورنى عابس الوجه مكفهرا ، ولكن بعد حين — ولحسن الحظ — استدرك منطق الحياة ، وانتهى الى مايجب الانتهاء اليه ، فاقبل مسرورا وقال : — الآن وثقت تماما بان العلاج النفسى ضرورى ولا يجب اغفاله فى تطبيب القلب

قلت له : هذا ما اكدت وتؤكد دائما التذكرة الطبية ضرورته وحتميته .. ولقد وصلك متاخرا ..

فقال : لا بل وصل مبكرا لكن بعد ان اجريت التجارب على نفسى وبمقياس الحساسية وجدتنى احسن حالا فى المزاج المعتدل عنى فى المزاج المتكدر ..

اجبته : يا سيدى لو انصفت لقلت ان جميع الأمراض الباطنة والظاهرة فى هذا العصر بالذات لاتخلو من العامل النفسى الذى يجب ان يؤخذ باهتمام وجدية .

شلل هستيرى

فتاة فى الثالثة والعشرين تشكو من آلام شديدة فى البطن مع نزول الدورة الحيضية الشهرية وباجراء بعض التحاليل لم تسفر من اية متاعب عضوية ، ومما هو جدير بالذكر ان هذه العذراء لم يسبق ان عرفت طريق الاطباء ، وبينما هى تحت العلاج البسيط للتقلصات المعدية اذ بها تشكو فجأة من عدم القدرة على تحريك الشق الأيمن من جسمها تماما .. ولم يسفر فحصها عن وجود سبب عضوى ظاهر ..

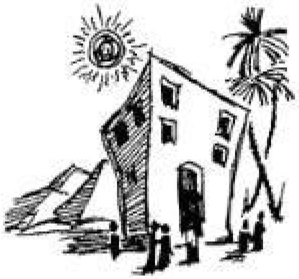
وعندما فوجئت بعد الفحص بالتشخيص انه « شلل هستيرى » وربما يرجع سببه الى عقدة نفسية معينة انفجرت باكية وكشفت عن اعماقها تروى قصة مثيرة لشاب خدعها بأمنية الزواج ثم بغتة واثناء التحضير والامداد لهذا الزواج ، تركها واهلها الى حيث لايعرفون عنه شيئا ..

ومع مواصلة العلاج ، كانت افضل نصيحة للفتاة ان تحمد الله ليل نهار وتشكره لان رحمته بها كانت اكبر بان ازاح عنها هذا الخادع اللعين .

ارح قلبك

على خريطة الجسم يحتل القلب مركزا خطيرا عظيما فى خطورته اذ انه قوام الحيوية والنشاط وسر الحياة فلنحافظ على قلوبنا بالتسرية عن النفس والترويح عن الخاطر . وهذا هو سر السعادة ، فان كثيرا من القلوب التالفة لاتحتاج لعلاج اكثر من نفس هادئة او منظر جميل .. وكذلك بالمثل لايعمر نواحيها مثل انفعال مثير او اختلاف حاد على سبب سيط فارح قلبك فان شفاءه واستواءه فى يدك انت .. ●

زهرات من



● آثار النعمة ●

● شيد محمد بن عمران بناء شامخا بجوار قصر المامون ، فحقد عليه بعض اتباع الخليفة ووشـوا به عنده حتى اوغروا صدره عليه .. فجاء به المامون بين يديه وقال له : ما هذه الجراة يا محمد ؟ اتتحدانى ببناء قصرك الى جوارى ؟!

فقال محمد : والله ما شيدت دارى للمشاكلة او التحدى ، ولكن لترى بعينيك آثار نعمتك وآياديك على !

● الصمصامه ●

سال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب أن يريه سيفه المشهور «بالصمصامة» ، فقدمه عمرو له ، ففحصه عمر بن الخطاب وضرب به ثم رماه من يده وقال له : يا عمرو .. هذا سيفك المشهور بالصمصامة .. فما هو والله بشىء !

فأجاب عمرو بن معدى كرب : يا أمير المؤمنين .. أنت طلبت منى السيف ، ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به !

● شـجاعة ●

سال رجل الخليفة عليا كرم الله وجهه وهو يعلو على بغلة له فى ساحة الحرب : حبذا لو اتخذ أمير المؤمنين الخيل مطية له ، فانها اقرب الى النجدة ، واوسع فى الخطوة ..

فقال على : يا رجل ، انا لا افر ممن كر ، ولا اكر على من فر ، فالبغلة تكفينى ..

● ما الحيلة ! ●

زرع اعرابى برا له ، فلما قام على سوقه وجاء سنبله ، أتت عليه رجل جراد فجعل الرجل ينظر اليه ولا يدرى كيف الحيلة فيه ، فانشأ يقول :

مر الجراد على زرعى فقلت له   الزم طريقك لا تولع بافساد
فقام منهم خطيب فوق سنبلة   انا على سفر لابد من زاد !

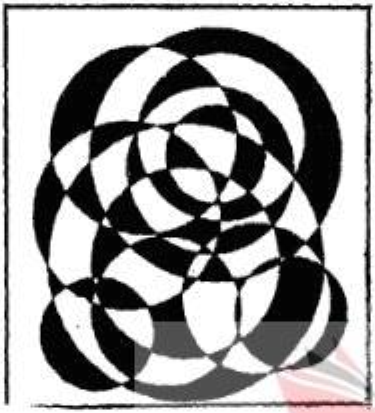
● لا تقل الا خيرا ●

عن ابى هريرة قال ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت »

● محسن فهمى ●

روّح عن نفسك

أولا : لغز بالشعر : ما هو ؟



وحـــامل يحـــملني
وما له شـــخص يسـرى
اذا حمـــلت فوقـــه
وهـــو لـــذيذ المتـــطى
ســـــريت لا أدرى أنى
أرض سريت أم ســـما ؟ .

ثانيا : كم دائرة فى هذا الشكل ؟

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ — من ولد ولم يمت ؟
٢ — أين يكون البرغوث فى حجم الصرصار ؟
٣ — أى سؤال لا يمكن الاجابة عنه بنعم ؟
٤ — متى يكون جيبك فارغا ومع ذلك به شىء ؟
٥ — شخص ولد سنة ٣٥ ومات سنة ٢٥ وكان عمره ستين عاما فكيف تم ذلك ؟
٦ — من الشخص الذى ليس أخى ولا أختى ولكنه ابن أمى وأبى ؟
٧ — ما الذى يسير بين القاهرة والاسكندرية ذهابا وايابا ولا يتحـــرك من مكانه ؟
٨ — سفينة فى ميناء الاسكندرية ، لها سلم عدد درجاته عشرون ، بين كل درجة من درجاته ثلاثون سنتيمترا ، فاذا علمت ان الماء يرتفع بمعـــدل ١٣ سنتيمترا فى الدقيقة ، فمتى يغطى الماء السلم ؟
٩ — كم مرة احتفلت انت واسرتك بميلادك حتى اليوم ؟
١٠ — هناك اناس مشهورون يتزوجون ولكن الزوج والزوجة لا يعيشان معا كما ان بعضهم يموتون ولكنهم لا ينعون ولا يدفنون ، فمن هم ؟

رابعا : اختبر معلوماتك : اين .. ؟

١ — اين يوجد مبنى « التاج محل » ؟
٢ — اين تقع مدينة تدمر الاثرية ؟

٣ ـ أين توجد « العلمين » فى غير جمهورية مصر العربية ؟
٤ ـ أين تسكن كل من الحيوانات التالية :
الغوريللا ، الدب الرمادى ، الكانجارو ؟
٥ ـ أين ولد نابليون ؟
٦ ـ أين توجد مقاطعة بريتانى ؟
٧ ـ أين توجد محكمة العدل الدولية ؟
٨ ـ أين يتكلم الناس اللغة الأمهرية ؟
٩ ـ أين يقع سد مأرب ؟
١٠ ـ أين تقع بحيرة تانا ؟

الإجابات

أولا : لغز بالشعر :
النوم

ثانيا : كم دائرة ؟
١٢ دائرة

ثالثا : إختبر ذكاءك
١ ـ انت أيها القارىء .
٢ ـ تحت الميكروسكوب .
٣ ـ هل أنت نائم ؟
٤ ـ حين يكون به ثقب .
٥ ـ ولد سنة ٣٥ قبل الميلاد وتوفى سنة ٢٥ بعد الميلاد
٦ ـ أنا
٧ ـ قضيب السكك الحديدية
٨ ـ السلم ثابت بالنسبة للماء كلما ارتفع الماء ارتفعت السفينة ، وبالتالى ارتفع السلم .
٩ ـ مرة واحدة ، أما غير ذلك فكان احتفالا بذكرى عيد الميلاد .
١٠ ـ المثلون .

رابعا : اختبر معلوماتك : أين .. ؟
١ ـ فى مدينة أجرا بالهند
٢ ـ فى سوريا
٣ ـ توجد فى انجلترا اذ انشئت هناك قرية بعد الحرب العالمية الثانية تخليدا لذكرى معركة العلمين .
٤ ـ فى افريقيا ، شمال أمريكا ، استراليا .
٥ ـ بمدينة اجاكسيو بجزيرة كورسيكا الفرنسية .
٦ ـ فى فرنسا
٧ ـ فى لاهاى بهولنده
٨ ـ فى اثيوبيا
٩ ـ باليمن
١٠ ـ فى أثيوبيا .

قصة

الطابق الأرضي



● حسين عيد مادى ●

ـ ١ ـ

● تسربت رائحة نفاذة ، حادة اول الامر ، عبرت ببطء اجواء الغرفة على استحياء ..

كنت عندئذ ممددا باسترخاء على الفراش اتصفح جريدة قديمة لم اهتم بها ... لكن الغريب ان نفس الرائحة عادت بعد فترة وجيزة ، قوية ، ملحة ، مستمرة ، محاولة أن تفرض نفسها على جو الغرفة .

نهضت مكرها .. كان اشد مايزعجني دائما اى طارىء مفاجىء .. وتاكدت ان مفاتيح البوتاجاز وانبوبته مغلقة ... اسرعت الى الحمام ، كل شىء هادىء مستقر .. فتشت أركان الغرفة ، تشممت كل جزء من الحوائط والارضية ككلب بوليسى يبحث عن منبع هذه الرائحة ـ دون جدوى ! ..

جلست على كرسي خشبي قديم محنقا .. كانت الرائحة تحكم حصارها حولى، تخدرني ، تثير غثياني ، تخنقني ... سقطت نظراتي على الدولاب المفتوح

ريفية قطع الاثاث المتراكمة المبعثرة فى أرجاء الغرفة ... اكتشفت فجأة أني وحيد ... فهل يعاني الآخرون مثلى ؟ الآخرون ، رباه .. كيف حدث كل ذلك متى تم ؟

لم يعد أحد يذكر متى تم كل شىء ؟. فنحن لم يكن يهمنا التاريخ لاى حدث او التأكد من وقائعه الماضية . فهل كان ما حدث اتفاقا نفذناه بدقة ، أم كان رغبة فردية تفجرت فى كل منا فى وقت متقارب ليحققها كل فرد منا وفق مزاجه الخاص ؟ ..

لم يعد أحد يدرى ... فقط غدا الامر كأنه حدث منذ زمن بعيد فأصبح كل منا مستقلا بغرفته فى الطابق الارضى .. حتى أختينا الصغيرتين ـ اقامتا حاجزا فى حجرتهما الواسعة فصار لكل منهما حجرة صغيرة ، خاصة كالاخرين ...

تعود نفس الرائحة تثيرني .. ترى هل يعاني الاخرون منها أيضا ؟!

الامر يستحق محاولة للاستكشاف قد تقود في النهاية الى مصدر هذه الرائحة ؟ ..

– ٢ –

تحاملت ، تحركت ، مشيت ، فتحت باب غرفتي ... سقط مستطيل ضوء وسط ظلام الردهة الدامس ..

الافضل الا يعرف الاخرون بخروجي . اطفات مصباح الحجرة ، عم الظلام . اغلقت عيني لوهلة حتى اعتاد الظلام .. الجو راكد خانق .. تحسست طريقي بملامسة الحائط . ينبعث بصيص ضوء من اسفل بعض ابواب الحجرات المجاورة المغلقة . وصلت الى باب الغرفة المجاورة ، دبيب خطوات حائرة بالداخل التصقت بالباب ، انحنيت ، حملقت من ثقب مفتاح الباب .. كان اخي الاكبر يرقد على سريره وسط الفوضى والقذارة ملامح اشمئزاز متجمدة على وجهه العجوز اصبح عجوزا .. منذ متى لم نلتق ؟ ..

لا احد يدري ... فجعتني نفس الرائحة الكريهة ... هل كانت تنساب من ثقب الباب ؟ ... سددت أنفي باصبعي بقوة جريت مهرولا ، تخبطت في الظلام .. تعثرت .. كدت اقع .. عدت الى حجرتي مسرعا . اندفعت الى الحمام تقيات بقسوة بالغة ، حتى ظننت أنني سأنتهي لا محالة .

ارتميت على سريري منهكا . تحاصرني نفس الرائحة العتيقة ، المجهولة ! ..

– ٣ –

استيقظت في الصباح فزعا . ضوء الشمس يغمر الغرفة . نظرت للساعة .. الثامنة !! لا شك تاخرت كثيرا ، كيف الحق بعملي ؟ كيف ؟ ..

نهضت . برأسي ثقل غامض ... مددت قدمي تحت السرير ، بحثا عن الخف المنزلي . شعرت بابتلالهما .. فتحت عيني المجهدتين ، حملقت في بلاط الارضية . طبقة رقيقة من سائل ما تلتمع عليه ؛ كأنه ماء .. بلمسة صغيرة من أصبع قدمي اليمنى ايقنت ان هذا السائل ليس لزجا .. لبست خفي

ما زلت أتأرجح بين كوابيس النوم واليقظة المفاجئة .. رفعت حقيبة سفر من تحت السرير الى سطح الدولاب تثاءبت .. مضيت مسرعا نحو الحمام .. أصاب البلل عدة جرائد مبعثرة على الارضية ، اغتسلت .. فوجئت أثناء تجفيف وجهي بنفس الطبقة السائلة على بلاط الحمام .. لم أستطع تحديد مصدر هذا الماء .. ارتديت ملابسي على عجل . سأتناول الشاي في العمل .. وأغلقت باب حجرتي دون أن أتلفت يمينا او يسارا . صفعني سؤال غريب . هل توجد علاقة بين الرائحة النفاذة الكريهة وطبقة المياه الناضحة على الارضية ؟ .. أكانت الرائحة مقدمة ؟ واذا كان الامر كذلك فماذا سيحدث بعدئذ ؟ ..

استنشقت الهواء الطلق بقوة ... تأكدت أنني كنت حبيس نفس الرائحة البغيضة طوال الليل .

– ٤ –

في المساء غادرت غرفتي وسط الصمت ... اندفع الماء معي حال خروجي للردهة الطويلة .. اطفات النور ، تلمست طريقي ثانية على الحائط سمعت خرير الماء المنساب من تحت الابواب المغلقة ، ابطات خطواتي . خشيت ان يتعرفها اي من الاخرين مع صوت ارتطام قدمي بالماء المتجمع في الردهة ... انحنيت هذه المرة على ثقب باب اخي الاصغر ، كان منكبا على الطعام يأكل بنهم شديد لكن قدميه كانتا غارقتين في الماء .. ارتفعت المياه الراكدة في الحجرة بلا شك لأكثر من قدم ... تراجعت الى غرفتي متمهلا ، اضأت المصباح الكهربي . كدت انزلق ... تمددت على سريري ... تناولت بقايا جريدة قديمة فتحتها امامي كأني أتصفحها . قررت ان اتجاهل الماء المتكاثر والرائحة الفجة ، فكما بدا من العدم يجب أن يعود اليه ! ..

رغم ذلك ظلت الرائحة تتفاقم ، والمياه تتراكم .. لم تكن عنيفة كالطوفان . لكنها تتدفق بهدوء وتدريجيا وترتفع ببطء وثقة ...

جونتر جراس

ظاهرة في الأدب الألماني الحديث

● ماري غضبان ●

●● زار القاهرة خلال شهر اكتوبر الاديب الالماني المشهور جونتر جراس الذى يعتبر اليوم من أصحاب العلامات فى الأدب الالمانى الحديث ..

ويشكل جونتر جراس ، مع هنريش بول ، ابرز اعمدة الأدب الالمانى المعاصر ، وهما الامتداد الطبيعى للفكر الالمانى الحديث الذى يمثله برتولد بريخت ، وجورج كيزر ، وروبرت ميوزيل .

● أول كتاب صدر للكاتب الالمانى جونتر جراس كان (الطبلة الصفيح) الذى صدر عام ١٩٥٩ فأحدث ضجة فى الاوساط الثقافية وأثار جدلا كبيرا ، وجعل أصحاب الاتجاهات المحافظة يقفون منه موقفا مضادا ،وسبب عندهم مايشبه حالة ذعر بطريقته وأسلوبه فى الكتابة ... بينما وقف منه موقف الاعجاب كل من كافحوا النازية وتصدوا لها وظلوا يتعقبون فكرها حتى بعد انهيارها وانتهائها ..

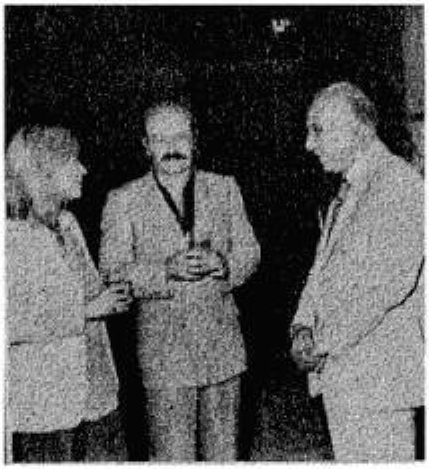
وكان الكتاب بمثابة تشريح للحياة السياسية والثقافية الالمانية التى أصابها الدمار بالمعنى المادى والمعنوى من خلال شرح يمتاز بغنى الفكر والصياغة .

ولكى يصور الكاتب هذا العالم بما فيه من شروخ وانقسامات ، جعل بطل روايته طفلا يتوقف نموه ، ويتميز برؤية مختلفة .. وتخيل هذا الطفل الذى توقف نموه بارادته نتيجة يأسه من العالم حوله ورغم صغره ، وتوقف نموه .. يعرف جيدا ماذا يريد من خلال ارادة واضحة تبدو فى انهماكه فى الضرب على آلة الطبلة الصفيح التى أفسدت بصوتها الضخم العروض العسكرية التى كان جيش النازى يتباهى بها وبايقاعات موسيقاها العسكرية .

والشعور بالمسئولية ، وفداحة المشاركة فى التطورات التى تصيب العالم ، يجعل الكثيرين يتقوقعون داخل



الأديب الألمانى : جونتر جراس



لقاء بين جونتر جراس
والمخرج صلاح أبوسيف

انفسهم ويرفضون هذه التغيرات التى لا يقبلونها ، ويفضلون البقاء بعيدا عن بؤرة الاهتمام ، والاكتفاء بموقف ارادى فى هامش الاهتمامات .

ومن هنا يقول الدكتور س . ب . ماجيل فى تحليله لأدب جونتر جراس ، انه ينظر الى العالم من زاوية غـريبة لكنها موضوعية لا تعـرف التحيز ... والبعض يتصوره شعوريا غير انسانى لا يتعاطف مع تطورات وانفعالات الجنس البشرى .

وبعد نجاح « الطبلة الصفيح » قـدم جونتر جراس الجزء الثانى من ثلاثيته التى سماها « قط وفار » عـام ١٩٦١ ، وفيها يلجأ الى رموز الحالة التعيسة التى كانت تعيشها المانيا قبل واثناء الحرب .

وتدور القصـــة حـول تلميذين فى مدرسة بمدينة دانزيج الالمانية التى كانت تتبع بولنده قبل الحرب ، وهى المدينة التى ينتمى اليها الكاتب الالمانى جونتر جراس .

اما القصة الثالثة من الثلاثية «ثلاثية دانزيج .. ضد الاضطهاد والمعاناة » ، فيسميها « سنوات الكلب » ويدور موضـــوعها حول أحد عملاء هتلر الذى يصحب معه كلبه الخاص فى جولته فى الحيـاة الالمانية وكيف يبدو أناس يكونون لهم عالما خاصا بعيدا عن عالم النازية الذى يكرهه ويدينــه الكاتب ، من خـــلال نظره تشـــاؤمية ــ يلمس الكثيرون مبالغة الكاتب فى التعبير عنها

ومن هنا تبدو التفاصيل العديدة التى يلجأ اليها الكاتب فى تصويره للاحداث والانفعالات التى يتبنى قضيتها .

وفى أعقـاب الضـجة التى أثارها جونتر جراس بثلاثيته التى استمدت أهميتها من توجيه الضـــمير الالمـانى للاحساس بالذنب تجـاه أيام النازية الالمانية ــ وضع جراس روايته التـالية « المخدر المحلى » التى صدرت عام ١٩٦٩ وفيها قدم شخصية مدرس فى مدينـة برلين عمره أربعون عاما يفشل فى حياته وفى التفاهم مع تلاميذه .. ولما اكتشف فى نفسه عوامل التعاسة والفشـــل ، فكر فى تخـدير نفسه حتى لا يحس بمعاناة الوحـدة وعـدم الاتصـــال بالآخرين ..

وفى عام ١٩٧٢ أصدر جونتر جراس روايته « يوميات قوقع » وفيها يتناول موضوع الأجيال الجديدة ، وكيف يمكن للاجيال القادمة أن تتناول امورمستقبلها من خلال المفهوم الاشتراكى ، وفى الرواية يتحـدث عن رموز تعبر عن موقف الشعب الالمانى من اليهود خلال حكم النازى .



مشهد من فيلم كتب قصته جونتر جراس

والكاتب الالماني جونتر جراس شخصية متنوعة الاهتمام ، فهو فنان تشكيلي يميل الى التصوير ، فقد تفرغ خلال عامي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ للمعارض الفنية التي اقامها وقدم فيها لوحات من رسومه وبعض قطع من النحت التي وضعها .

وفي عام ١٩٧٦ اصدر مع زميله الكاتب هنريش بول الذى حصل على جائزة نوبل منذ عدة اعوام مجلة (المجلة ل . ١٩٧٦) .

وفي عام ١٩٧٧ أصدر دراسة بعنوان « السمكة » تتناول تاريخ الطعام والماكولات من خلال ما قدمته له تسع طباخات عالميات .. قدم فيها الماكولات وتاريخها منذ القرن الاول الميلادى ومن خلال كل الحضارات القديمة والحديثة .

وفي السنوات الأخيرة اهتم جونتر جراس بالرحلات وبادب الرحلات ، وتعددت رحلاته خاصة الى شرق آسيا حيث زار اندونيسيا واليابان والصين وتكررت رحلاته الى هذه المناطق حيث زار الصين مؤخرا قبل وصوله الى مصر .

●● ولعل الموهبة هي أبرز ما يميز أعمال الكاتب جونتر جراس ، فهو لم يتلق أى قدر من التعليم النظامى ، وهو من مواليد مدينة دانزيج البولندية عام ١٩٢٧ ، وفي سنى طفولته وبعدها استولى هتلر على هذه المقاطعة البولندية والتحق جونتر بفصائل الشباب في المنظمات الالمانية النازية وعندما قامت الحرب العالمية الثانية جند في الجيش الالماني والتحق بالاسلحة الميكانيكية . الى أن وجد نفسه اسيرا لدى جيوش الحلفاء ..

وبعد الحرب عاد الى بلدته بدون وظيفة وبدون تعليم ، ولجا الى الاعمال اليدوية في الزراعة ثم في أعمال المناجم ثم في أعمال البناء بجانب اهتماماته الفنية عندما بدأ يتعلم العزف الموسيقى والتحق بفرقة لموسيقى الجاز .

وساعدته ظروف عمله ووجود مدخرات مالية على الالتحاق باكاديمية الفنون في دوسلدورف ، ثم اكاديمية برلين حيث درس النحت والتصوير ، وأثناء تلك الفترة ظهرت مواهبه في الكتابة والادب ، وظهر اول كتاب له في الشعر .

بعدها كون جماعة ادبية عنوانها « مجموعة ١٩٤٧ » وهي حركة ثقافية لاحياء الأدب الالماني وقد منحت هذه المجموعة الأدبية الكاتب جونتر جراس جائزة عن روايته الأولى «الطبلة الصفيح» وهي نفس المجموعة التي أسهمت باشراف جونتر جراس في الدعاية الانتخابية لمستشار المانيا السابق فيلي برانت .

وقد ترجمت أعماله الى معظم اللغات ومنها السويدية والتشيكية والمجريه واليوغوسلافية والايطالية والفرنسية والانجليزية والعربية واليابانية والبرتغالية والتركية وغيرها . ●●



جوهرة

● تاج الدين سلامة نوفل ●

حبيبتي كجوهره ... كنجمة منوره :
جمالها فوق الرؤى ... وحسنها ما أندره !
ووجهها ما أبراه ... وقلبها ما أطهره !
وريحها في طيبه ... كزهرة معطره ..
صفاتها مكارم ... كأنجم مبعثره !
وأنها حضارة ... بألف ألف خاطره
وأنها .. وأنها ... أحلى بنات القاهرة!

***

وخيرها لا ينتهي ... وعلمها ما أغزره
وكل آن في هدى ... تعد زاد الآخره
مشغوفة بربها ... تريد منه المغفره
وصمتها عن فكرة ... ونطقها عن تذكره !
وحبها عن عفة ... وعفوها عن مقدره
مؤمنة وصابرة ... وذاكره وشاكره
وقد تحلت بالحياء ... خاتما وأسوره

***

مطيعة عفيفة ... أمينة مدبره
كلامها مرتل ... كسورة مفسره
وصوتها مغرد ... كنغمة مؤثره
وأنها .. وكلها ... أغلى وأسمى جوهره
ورغم ما سردته ... مقصر ـ فمعذره !

ليس بالطعام وحده نعيش..
الاسترخاء
فن الراحه وصفاء العقل

● جورج عزيز ●

● لا يدرك معظم الناس الدور الحيوى الذى يقوم به الاوكسجين فى عملية الهضم ، واستيعاب الطعام .. فالطعام لايمكن ان يهضم بدون مساعدة من الاوكسجين الذى له دوره الهام فى تفتيت جزئيات الاغذية وتحويلها الى طاقة . وهذه العملية تسمى ((التاين)) و ((الايون)) عبارة عن ذرة مشحونة بالكهرباء .

ان كثيرين منا يعتقدون خطأ ان الجسم يتغذى مباشرة بالطعام الذى ناكله . والامر الذى لاندركه هو ان الغذاء يجب أن يتم هضمه تماما لكى يتحول الى طاقة خالصة . وبعد ان يحدث ذلك فقط يستطيع جسم الانسان ان يستوعب الغذاء الذى يمكنه من البقاء على قيد الحياة .

ومن ثم فان احسن طعام فى العالم لايمكن أن يؤدى وظيفته تماما قبل أن تمد جسمنا بقدر كاف من الاوكسجين بعملية « التاين » . هذا هو السبب الجوهرى الذى يجعل التنفس الايقاعى العميق ضروريا لعملية التمثيل الغذائى وامتصاص الطعام . واذا لم تحدث عملية التمثيل الغذائى ولم يمتص الجسم الطعام بطريقة سليمة ، فانه ــ اى الطعام ــ يتحول الى مادة سامة كثيرا ما تبقى فى الجسم ، وتتسبب فى كثير من الامراض .

ان التنفس يستطيع ان يفعل اكثر من ذلك ، لأنه يمدنا بغذاء من الهواء المشبع بالاوكسجين بحيث لانحتاج فعلا الى كثير من الطعام . وثمة ملاحظة هامة فى هذا الشأن هى ان الذين يخصصون وقتا طويلا للتنفس يأكلون أقل من غيرهم .

مثال ذلك ان الطبيبة الامريكية دكتورة باربارا مود التى ذاعت شهرتها فى الولايات المتحدة لانها كانت تمشى مسافات طويلة ولا تتغذى الا بالهواء وقليل من الفاكهة وعصير الفواكه ، بل وعصير الحشائش . وفى صيف سنة ١٩٦٠ قطعت المسافة بين سان فرانسيسكو ونيويورك سيرا على قدميها على الرغم من اصابة فى ساقها اليسرى !

ان الكثرة الغالبة من سكان المدن فقدوا المقدرة على التنفس بالطريقة التى تتطلبها الطبيعة . وذلك ان عادات الناس فيما يتعلق بالتنفس قد تغيرت لانهم يعيشون حياة غير طبيعية ، وفى بيئة بعيدة عن الطبيعة.

ويقول الطبيب الامريكى العالم الاستاذ الدكتور «راين» فى هذا

● البدائيون وحدهم هم الذين يتنفسون بطريقة طبيعية ، ولا يحتاجون إلى تعليمات في هذا الصدد ، أما معظم الناس فإنهم إذ يتنفسون بالجزء الأعلى من رئاتهم لا يستخدمون من طاقة الرئتين سوى الثلث .. !!

الشان ان الاطفال والناس البدائيين هم وحدهم الذين يتنفسون بطريقة طبيعية ، ولا يحتاجون الى تعليمات في هذا الصدد . اما معظم الناس فانهم اذ يتنفسون بالجزء الاعلى من رئاتهم لايستخدمون من طاقة الرئتين سوى الثلث .

ان اية اسباب تؤدي الى سرعة التنفس – سواءكانت ارهاقا او اسبابا عاطفية مبهجة او مؤلمة ، أو كانت تمارين رياضية عنيفة – ان اية اسباب من هذا القبيل تجعل المرء يتنفس تنفسا غير سليم . والطريقة الفعالة لتحسين عادات التنفس هي تمارين اليوجا البسيطة التي سنشرحها فيما بعد وممارستها يوميا ، حتى يتعود المرء التنفس العميق بطريقة لا شعورية .

يزيد المرأة فتنة

ومن المحقق ان التنفس العميق ليس عاملا حيويا للحفاظ على الصحة السليمة فحسب ، بل هو ايضا يزيد المرأة فتنة وجمالا لانه يحرق ما يتراكم في جسمها من المواد الدهنية وغيرها من النفايات السامة . وهو فضلا عن ذلك يجعل البشرة ناعمة ويزيد العينين بريقا ولمعانا ..

ولعل المغنى الامريكي الشهير روبنصون يمثل أصدق تمثيل ما يمكن ان يفعله التنفس الايقاعي العميق فقد تتلمذ على البروفيسور اليوجوى « جراهال هول » وتعلم منه تمارين التنفس الايقاعي الذى تحدث عنه « هول » في صحيفة « لوس انجليس اكزامينار » فقال : ان التنفس العميق يؤخر الاصابة بتصلب الشرايين ؛ ومعنى ذلك ان الجسم لا يضمحل ولا تسوء حالته . وهذا هو السر الذى تعلمه مني روبنصون الذى ادرك بعد ان مارس التمارين خلال فترة غير طويلة ان التنفس السليم يكفل التنسيق بين العقل والجسم ، ويحول دون حدوث اى ضغط على الحبال الصوتية .

تمارين رواد الفضاء والطيارين

وقد ثبت باقوى الادلة ان تمارين اليوجا البسيطة تفيد رواد الفضاء والطيارين ، فقد نشرت مجلة « اوكروز بيرو الترناسيونال » على غلاف احد اعدادها صورة رائد فضاء اثناء تأديته احدى حركات اليوجا . ونشرت في احدى الصفحات الداخلية بحماسها عن الفوائد التي يجنيها رواد الفضاء من ممارسة تمارين اليوجا قائلة ان التنفس الايقاعي العميق ، وتمارين الاسترخاء مفيدة جدا لهؤلاء الرجال .

نصيحة نرويجية

وكان الفيلسوف اليوجوى الهندى الشهير « سرى كرشنا ماشاريا » يقول لكل من يتطلب منه النصح : « قم بتمرين التنفس الايقاعي العميق كلما شعرت بالتعب والارهاق ، أو كلما توترت اعصابك ، والم بك ضيق نفسى ، أو شعرت بالجوع ، أو ارهقك الحر

الشديد، أو أحسست أن الجو شديد البرودة .. ثم بذلك التمرين حين تحتاج الى مزيد من الطاقة،والنشاط، والحيوية ، والقوة او حين يستبد بك اليأس والقنوط » .

وهناك ما هو اهم بمراحل من استرخاء البدن وهو استرخاء الذهن ولعله اصعب جدا من استرخاء الجسم ...

واذا استثنينا بعض حكماء الشرق استطعنا ان نقول ان معظم الناس لايعرفون كيف يوفرون لعقولهم الاسترخاء المنشود .

اذكر اثناء فترة عملي في صحيفة « البلاغ » خلال الثلاثينات كنت الاحظ أن عميد الكتاب السياسيين وصاحب البلاغ في ذلك الوقت الاستاذ عبد القادر حمزه باشا رحمه الله ، كان اثناء استغراقه في كتابة مقاله السياسي الذي كان يهز الحكومات ، يمسك عن الكتابة اذا شعر باي ارهاق ذهني ، ويخرج من درج مكتبه مجموعه من اقلام الرصاص ليبريها بعناية ، لانه تعود أن يكتب بالقلم الرصاص ، وبذلك يريح ذهنه فترة من التركيز الشديد الذي تتطلبه الكتابة السياسية .

ولاحظت اثناء وجودي في الولايات المتحدة خلال الستينات أن الكثيرين من الامريكيين يحرصون على تخفيف حدة الارهاق الذهني بوسائل عديدة لاقتناعهم بأنه كلما استغرق المرء في العمل والتفكير ازدادت حاجته الى اية وسيلة من وسائل تحويل الانتباه ..

ولكن الرأى عند « اندرا ديفي » أن هناك وسائل كثيرة افيد واجدى لازالة الشعور بالارهاق الذهني ، في مقدمة هذه الوسائل ان يستلقى المرء على السجادة كأنه فاقد الوعي ، ويغمض عينيه ، ويحاول الكف عن التفكير ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وان يظل كذلك بضع دقائق .

وتقول « اندرا » : « كلما عمدت الى تأليف كتاب ، وهذا يتطلب طبعا الجلوس فترات طويلة ، أنتصب واقفة بعد جلسة طويلة مرهقة لاتمدد على السجادة ، أو اقف على راسي . ثم استانف العمل بعد فترة قصيرة هادئة الأعصاب ، صافية الذهن . وكثيرا ما كنت افعل ذلك اثناء عملي في احدى محطات الاذاعة بواشنطون بعد ساعات من العمل المضنى » .

وتتحدث « اندرا » عن الوقوف على الرأس فتقول ان المرء عندما يقف على راسه، اذا كان تكوينه الجسماني يسمح له بذلك ـ فان تدفق ما يسمى بالنشاط العصبي ينقلب راسا على عقب؛ وتتضاءل قوة الجاذبية الشديدة وبهذا تتاح فرصة افضل لاراحة الجسم ..

ماذا يفعل « بوب » ؟

أن بعض الناس يجدون لزاما عليهم أن يبذلوا جهدا لكي يتعلموا فن الاسترخاء ، وهناك اناس آخرون يفعلون ذلك بطريقة طبيعية ، تكاد تكون تلقائية مثل النجم السينمائي الشهير « بوب هوب » الذي يستطيع ان ينعم بالاسترخاء والاستغراق في النوم في اى وقت ، فهو يتجه الى اى ركن في الاستوديو اثناء تصوير الفيلم الذى يمثل فيه ، ويغمض عينيه ليستمتع باغفاءة لمدة خمس أو ست دقائق دون أن يعبأ بالضجيج والاصوات والاضواء المبهرة والموسيقى الصاخبة ، ثم يعود لاستئناف العمل جم النشاط موفور الحيوية ..

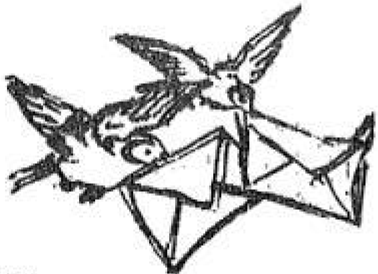
وهو يكرر هذه العملية خلال العمل في الاستوديو ساعات طويلة فلا يشعر بأى ارهاق أو يستبد به التعب او التوتر . ومع أن الادوار التي يسندها اليه المنتجون والمخرجون متعبة مرهقة حقا فانها لاتعييه ، لانه تعود أن ياخذ قسطا من الاسترخاءبغض النظر عن الظروف والمكان .

لست بخوّان

• محمود خليفة غانم •

امسكت الريشة فاستعصت
وابى ان يعنو تبيانى
واختلطت الـوانى ، ذابت
فى ذاتى كل الالوان ! •
انى لا يقـوى رأيهمـا
ان يصمد ضد الطوفان !
جاءت بالفتنة صارخة ...
ان ملت فمن منا الجانى ؟
هل تغنى الصورة عن اصل
مهما غالت فى الاتقان ؟ !
هل يغنى اللفظ عن الاحسا
س يوقد لهيب النيران ؟
مهما صورتك آنستى
مثلك لم ترها عينان
والقلب ابى لا يهـوى
ابدا من حصن الايمان
مشغول ، ولكل شغل
وكما لك شأنك لى شانى !
عندى اخرى ترعى بيتى
سبقتك بقلب حنان
ولديها المفتاح لقلبى
ما عندى مفتاح ثان • !
وملاكى يطمع بالتقوى
عن نزغات الشيطان
هل فى دنيا الناس ملاك
مثل ملاكى كالريان
عيناها الدنيا ، والاخرى
والحب النائى ، والدانى
الخون بشعرى وخيالى
زوجى ؟ انا لست بخوان ! •
علمنا الله الحب لكى
نرقى فوق الحب الفانى ! •
علمنا الحب لطاعته
تقوى عنوان الاحسان
لا آسف انى اتنحى
عن دربك ... انا ضمان !
والافعى ناعمة لكن
هل تهوى غير الثعبان ؟!

رسالة



• يوسف رحال •

احبيبتى يا قرة العين
كنا ومازلنا الغريبين
هل نحن اول عاشقين نرى
فى هذه الدنيا النقيضين
وضريبة العشاق ندفعها
من قسوة الحرمان ضعفين
عشنا كاجمل ما يكون هوى
الفين وا جزعى لالفين ..!

***

يارب انت ارق مرحمة
واحن من هدب على عين
جئناك باسم الحب ، ادمعنا
ممزوجة بنزيف القلبين ..!
عبدان من روح ومن جسد
وقفا ببابك كاليتيمين
ضاقت بنا الدنيا بما رحبت
فاصنع لنا عشا لاثنين

• فى رحلة العمر •

ايقال انى قد بخلت عليه
وانا وعمرى والهوى بيديه !
ويقال عنى خائف .. واقول لا
انا لم اخف ... انى اخاف عليه
اسقيته ما شاء من شهد الهوى
ذوبا وكنت ندى على شفتيه
تدور بى الدنيا فارجع لاهثا
ظمآن اشرب من رؤى عينيه
هذى المصابيح التى احترقت معى
اشعلتها فى الليل من خديه
فى رحلة العمر التى تغتالنى
اسعى بشوق الحائرين اليه !

• يوسف رحال •
• جدة ـ المملكة السعودية •

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٩

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ...

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد فبراير ١٩٨٠
آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من يناير ١٩٨٠

● الاسئلة : ●

س١ ـ من المهندس الذى قام بتخطيط باريس ؟
ج ١ :
(مقال)

س٢ ـ من مؤلف قصة « الطبلة الصفيح » ؟
ج٢ :
(مقال)

س٣ ـ ما اسم أول ديوان للشاعر اليونانى أوديسيوس اليتيس ؟
ج ٣ :
(مقال)

س٤ ـ ما أول غزوة قادها النبى صلى الله عليه وسلم ضد قريش ؟
ج ٤ :
(مقال)

س٥ – كم تبعد الارض عن الشمس ؟
ج ٥ :

(مقال)

س٦ – متى اصدر مصطفى كامل جريدة اللواء ؟
ج ٦ :

(مقال)

س ٧– ما اول مطبعة عربية انشئت فى الشرق ؟
ج ٧ :

(مقال)

س٨ – متى سجن المتنبى ؟
ج ٨ :

(مقال)

س ٩ – اى شعراء مصر الراحلين سمى « الشاعر البدوى » ؟
ج ٩ :

(مقال)

س١٠ – من مؤلف قصة « شىء من الخوف » ؟
ج ١٠ :

(مقال)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد ديسمبر ١٩٧٩

الاسم: ---------------- السن: --------

العنوان: ----------------------------

نتيجة مسابقة عدد أكتوبر ١٩٧٩
اقرأ الهلال واكسب جائزة

هذه هي نتيجة المسابقة الأولى : اقرأ الهلال واكسب جائزة ــ عدد اكتوبر ١٩٧٩ .

ومسابقات الهلال فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شاء الحظ وكان من الفائزين .

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء أن يقرأها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات ، أما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة واجريت القرعة بينها ..

وفيما يلى أسماء الفائزين فى مسابقة شهر اكتوبر ١٩٧٩ فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات الشهور القادمة .. :

الجائزة الأولى وقدرها خمسة جنيهات : عاصم البكرى شهاب الدين ــ المنصورة

الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة جنيهات : عايدة الوردانى حسين ــ الشرابية

الجائزة الثالثة وقدرها جنيهان : مصطفى رمضان مصطفى ــ طنطا

الجائزة الرابعة : اشتراك سنة فى مجلة الهلال : عادل فتح الله جنيدى : الاقصر

الجائزة الخامسة : اشتراك سنة فى مجلة الهلال : ملاك ميخائيل ــ الاسكندرية

تهنئة للفائزين ، وحظ سعيد للجميع فى مسابقات اعداد الهلال القادمة ..

الناس والعصر

١٦

كُتَّاب... وقُرَّاء...

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● عن الهزيمة فى غير معركة ! ●

الى : م . ى . عزمى :
وما دخلى انا يا سيدى فى امر كامرك هذا ، شخصى جدا ، ومحزن ، وبسيط ؟!

ما دمت تريد كما تقول مؤكدا ومصرا « ان تنتحر .. فتفضل يا سيدى ـ براحتك ـ وليس الامر فى يدى !

لكن .. لعلمك ، وقبل ان « تذهب » فانى لا اصدق زعمك انك اديب شاب تعيش المعاناة والمصاعب و .. و .. الى آخر هذه « الكاسيت » الواسعة الانتشار هذا الموسم !

لو انك شاب ، فان الشباب لا تقتله مصاعبه !
ولو انك اديب ، فان الادب حياة ، ومعركة حياة .. واعدى اعداء نفسه من يجحد الحياة مرتين فى وقت معا !..

... والذى تقول فى رسالتك من « هيمنجواى » ، يدل على جهل عظيم .. !

ولن اصحح لك معلوماتك ... ولن احكى لك عنه ـ « هيمنجواى »

ـ حديقته الرائعة ... لان المساحه هنا لا تفي ... ولانني اخشى ان ... اعطلك .. !

المهم ان « هيمنجواي » ذهب بعد سنوات طويلة مجيـــدة الخصب والعطاء .. ذهب بعد ان قال كل ما عنده ، وبعد أن تبين أنه لم يبق عنده ما يقال ! ..

ويبقى ما ذكرت من حادث الشهر الماضي ، حادث الانتحار المـــدوى بانابيب الغاز ، والانفجار ، والنار ، واخبار اخبار الادب ، والوصـــية المشهورة ! ..

ولست ارى فيه لك ، ولا لغيرك ، عبرة ولا قدوة ولا قدره ! ...
انه مجرد اعلان ، بصوت عال ، عن هزيمة في غير معركة !..
ولن اعرض له .. الآن على الاقل ..
هنالك ، لذلك ، واحد واربعون سببا !
ولا تسال ...

ففي صحائف الحب والمعرفة ، لا يجيب الشعراء والعشاق من يهـدم بنيان الله(1) ..!

ولا يبقى ، ونحن نفترق ، الا انني لا ادرى بعد ... :
احييك ...
ام اعزيك فيك مقدما .. ؟!

● .. ويقام عليه الحد والمد ! ●

الى : مختار . ز . ص :
تلك اذن القصة قصتك ... :

تجاوزت حياتكما معا « سنة اولى زواج » وتعودت هي اخيرا ان تفتش جيوبك من ورائك ، وجدت منذ ايام مظروفا مفعما بالاوراق ، عالجته لتكتشف محتوياته ، تبعثرت المحتويات ، تطايرت ، وضاعت ... ضاعت القصة التي كتبتها لتبعث بها الي في « الهلال » ...

وتسالني ...
وفيم السؤال ...
غيرك من الازواج تصادر في جيوبه المحتويات ، ويقام عليه الحد والمد ..!
وغيرها من الزوجات بدات التفتيش منذ الليالي الاولى في الزواج ...
ومن هذه البداية تفجرت في حياة الزوج والازواج في كل العصور ، مواصف النكد ، وقلة النوم ، وانعدام راحة البال ..!

... ففي تلك الليلة البعيدة ، تسللت « بندورا » العروس الجميلة ، تمارس غريزة الفضول النسوي الخالد ... ولم تجد لزوجها السـعيد جيوبا .. ووجدت له في البيت ركنا لاشيائه الخاصة ...

«1» في الحديث الشريف : « ملعون من يهدم بنيان الله » والجسم البشري بناه الله ، ولم يبنه غيره . ومن يهدم ما بناه الله ، فهـو ملعون ...

... كانت الحياة الدنيا وقتذاك رخية للناس ناعمة ـ الكلام هنا لاسطورة اغريقية بديعة ـ لا شرور فيها ، لا احقاد ، لا غيرة ولا امراض ... فكل هذه المصائب كانت بعيدة عن حياة الناس ، حبيسة جرة محكمة الغطاء فى بيت ابيمثيوس ، فى الركن الذى تسللت اليه « بندورا » فى الليل ...

قبل ذلك بأيام ، كان قد وقع الحدث العظيم بين الآلهة والبشر .. فلقد سرق بروميثيوس من الالهة سر اللهب المقدس ـ النار ـ واعطى السر لبنى الانسان .. وتحفز جوبيتر كبير الآلهة ينتقم للآلهة ...

فى البدء قدم الى بروميثيوس ـ « بندورا » ..
« بندورا » ، وقد منحتها فينوس الجمال .. وزودها ميركورى بالغواية والاغراء .. واعطاها ابوللو الرقة والصوت الناغم المعسول ..
ولم يقبل بروميثيوس « الهدية » الجميلة ..
وقبلها أخوه ابيمثيوس ، فاحتفى بها ، وتزوجها ..
وفى الليلة الثالثة من ليالى زواجها ، كانت « بندورا » تقوم بجولة تفتيشية فى ركن الاشياء الخاصة لزوجها .. وعندما نزعت غطاء الجرة لتكشف محتوياتها ، تدفقت من جوف الجرة كل الشرور الحبيسة ـ الحقد والغيرة والانانية ، والاوبئة ، والطاعون .. وانطلقت مع الرياح تنتشر فى دنيا الحياة والاحياء ..

وحاولت « بندورا » ان تتدارك الامر وتعيد الى الجرة محتوياتها ، ولكنها اخفقت .. ولم يبق هناك الا الرجاء والامل ..
و .. معذرة فقد ذهب بى الاستطراد بعيدا بعيدا ..

كنت اريد فقط ان اهون عليك ، وان الفتك الى ان اسلوبك فى رسالتك يغنى عن النظر فى قصتك ! ..
وكنت اريد ان احيى زوجتك الجميلة .. فانا مدين لها بالخلاص من قصتك التى ذهبت .. ومن قصصك التى قد تجىء ...

***

● ما هو « القبعض » ●
الى : عبد الكريم البرهامى ـ رمل الاسكندرية
ولكن العربية ياسيدى اغنى واجمل ..
اخشى ان اجبتك بما اعرف او لا اعرف ، ان تجد انفسنا فى موقف كموقف اصحاب المبرد ..

كان المبرد – « محمد بن يزيد » – عالما لغويا بحرا .. وكان لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم ، احيانا بانه يصطنع أو يختلق فيها ومنها ! ..

ويقول ابو عبد الله المفجع : اتفقنا يوما على مسالة لا اصل لها ، نسال المبرد عنها .. اخذنا شطر بيت الشعر القائل :

« ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا .. »

وجمعنا على الكلمة الاخيرة منه اخر حرف من الكلمة التى قبلها ، فاصبحت « ق بعضنا »

ورحنا للمبرد نساله : ما هو « القبعض » عند العرب ؟
فقال على الفور : هو القطن ! .. يصدق ذلك قول الشاعر :
« كان سنامها حشى القبعضا » !
ويعقب ابو عبد الله : فالتفت اقول لاصحابى : ان كان ذلك صحيحا فهو عجيب ! .. وان كان اختلق الجواب فى الحال فهو اعجب ! ..

● خمسون كتابا لاول مرة ! ●

الى – : سمير اسماعيل – الدقى :

.. هذه قضية لا ينازع الرأى فيها رأى مضاد .. !

ان الرواية الاولى للكاتب الجديد او الكاتب الشاب ، قد تكون هى مفتاح مسيرته فى عالم الادب ، الى ماوراء الظل ، او الى طريق النجوم !..

ولكن السؤال المعجوز والمحير الذى يطرح نفسه ارضا ، ولا يجد من يريحه من طرح نفسه .. هو : كيف ، كيف يتاح لاديبنا الجديد وكاتبنا الشاب ان تنشر روايته البكر او كتابه الاول ؟ .

.. قبل ان تصلنى رسالتك ، كنت احاول ان اتزود بمعلومات وافية عن الكتب الجديدة التى نشرت لاول مرة ، لمؤلفين جدد خلال العام الماضى والحالى – فتعثرت المحاولات تاخذ منى الوقت والجهد سدى ! .

وفى ذات الوقت ، وبغير محاولات تذكر ، وجدت فى متناولى ، فوق ما سالت ، تعريفات بالكتابات الاولى للادباء الفرنسيين الشبان والجدد خلال الموسم الماضى وما قبله ..

لقد صدر ذلك الموسم وحده ، وفى العاصمة الفرنسية باريس وحدها خمسون رواية وكتابا جديدا لروائيين وكتاب جدد ، تنشر اعمالهم لاول مرة ...

بين هؤلاء الخمسين الجدد اصغرهم سنا ، فرانسيس كرير ، فى الخامسة والعشرين ، مدرس لغة لاتينية فى احدى المدن الصغيرة ... كتب فى الأعوام الماضية رواية طويلة بعث بنسخ منها الى خمس عشرة

دارا للنشر ، فتلقى ردودا متناقضة ليس بينها دعوة للتعاقد .. فعكف على كتابة روايته الجديدة « امسيات الليالي الرومانية » ، وفي هذه المرة كانت دار « جاليمار » للنشر ، اسبق في الرد عليه ، وفي التعاقد معه ...

.. بين هؤلاء الخمسين ايضا ، الاكبر سنا ، بيير لويس راي ، مدرس الادب في نانتير ، في السابعة والثلاثين من عمره .. تفرغ لدراسة الاشكال الروائية المعاصرة ، قبل ان يكتب « اهون الشرين » ، روايته الاولى ..

كان وهو يكتب هذه الرواية ، يردد لنفسه كثيرا : انه من غير الطبيعي ان نصل الى سن الاربعين ونحن لا نزال نستخدم اساليب الاخرين ، ولا نكتب لانفسنا عن انفسنا ! .. »

ولعلي قد اخلفني الفال ، فتخطيت حاجز السؤال ، وابتعدت بالجواب عن السؤال ! ..

● من باب الفكر والادب ●

الى : ر . م . رمضان :

غرقتني في ثنائك الملح .. وفي ظنك الحسن !

الثناء الملح ، مشغله ...

وحسن الظن ، حسن الظن ليس يكفي وحده مقنعا وشفيعا .. !

.. ثلاث رسائل ، بمعنى واحد ، في شهر واحد ، والمشكلة هي :

« .. كلما خطبت فتاة ، تغيرت المسائل بعد قليل .. وليس ذنبي تفشل الخطبة ؟! »

ولكن .. الا تعرف يا اخي ، ان المسائل والمشاكل ، تاتى هنا وتمر من باب الفكر والشعر والادب ؟!

على اى حال ، سنسوف لا نكشفك ، وسنعتبر ان فشلك في خطبة الفتيات مشكلة ثقافية .. !

ومع الاعتذار والاعتبار لاختلاف المعنى باختلاف الشكل لكلمة «خطبة» ـ فان الحل السعيد لك ان تتعلم كيف تخطب ..

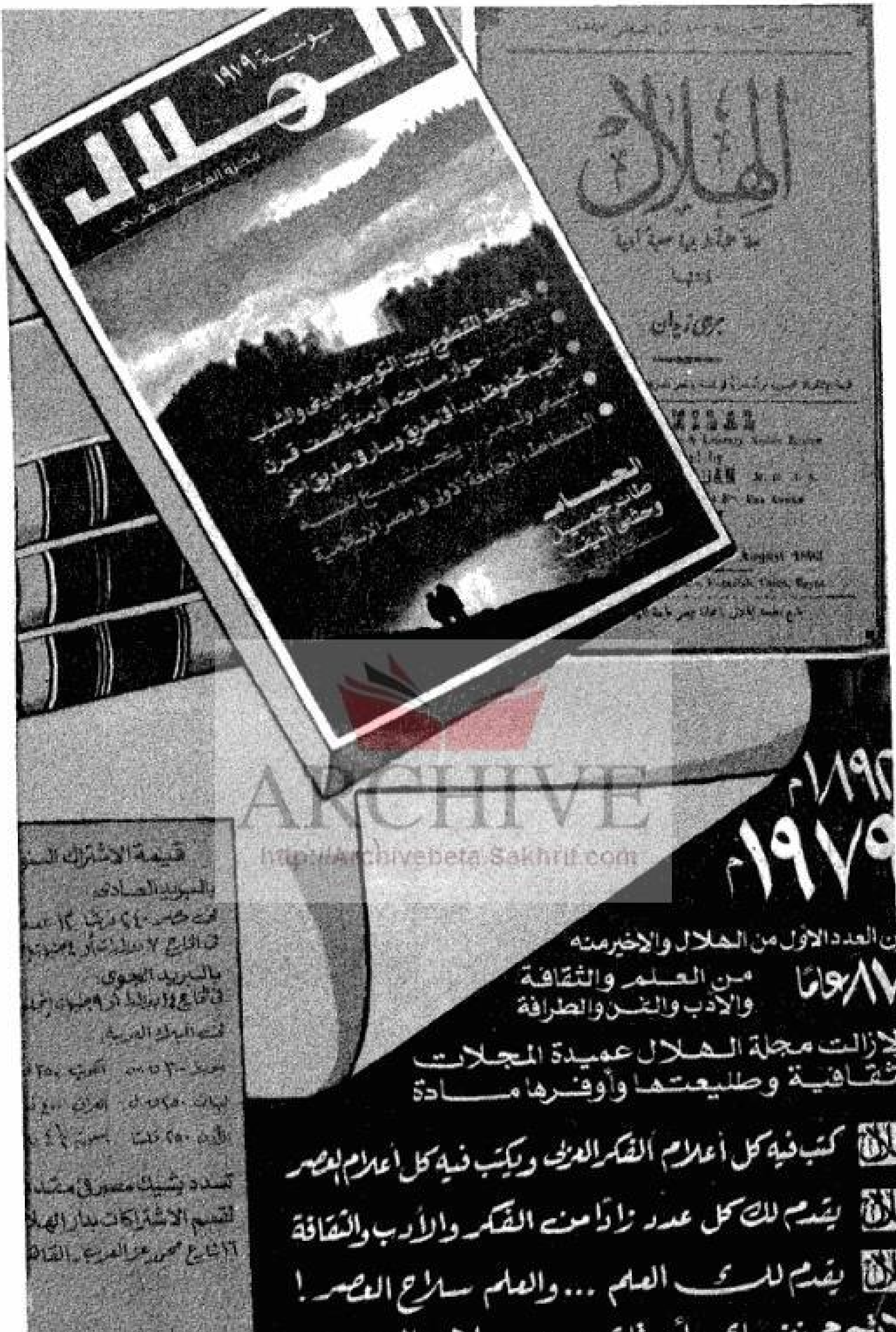
ولكي تتعلم كيف تخطب ، فانك يجب أن « تتحاشى التقعير ،والتعقيب، والتشديق !.. كما يجب ان تؤكد سلامتك من الارتعاش ، والرعدة والبهر ، والتنحنح ، والسعال » ! ..

ثم لا يبقى بعد ذلك الا ان تصح وتبرا من « لمسانى آفات ، هي : التمتمة ـ الفافاة ـ اللثغة ـ اللكنة ـ اللفف ـ اللجلجة ـ والحبسة »! الامر بسيط كما ترى ..

والنصيحة عريقة مجربة ، كتبها لك منذ الف ومئة سنة ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ! ..

.. لا تنس أن تكتب له تشكره .. !

● نصر الدين عبد اللطيف ●


الهلال
يونية ١٩٧٩
الهلال
جرجي زيدان
١٨٩٢م
١٩٧٩م
من العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٧ عاما من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة
لا زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي
بالبريد الجوي
تسدد بشيك مصرفي
تقدم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة